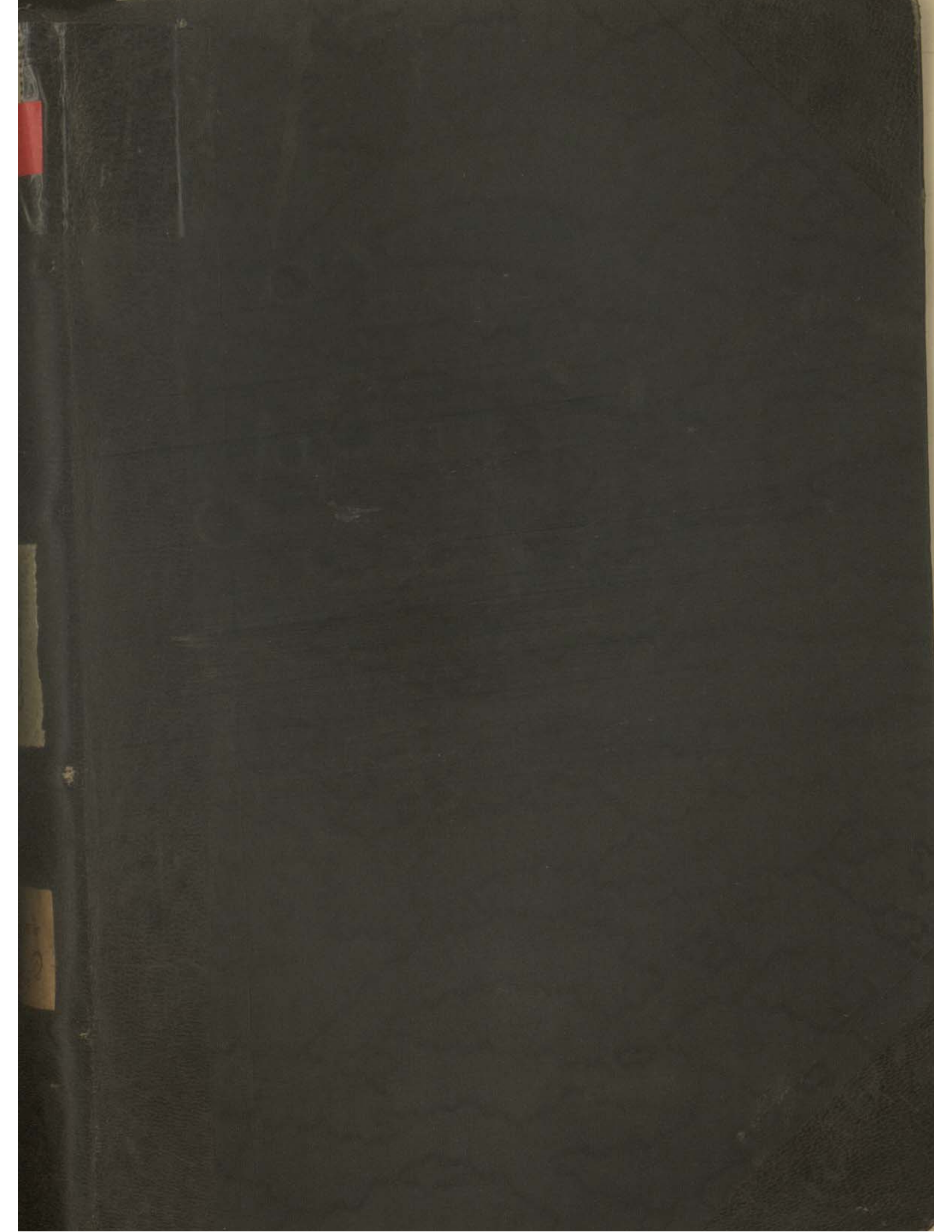
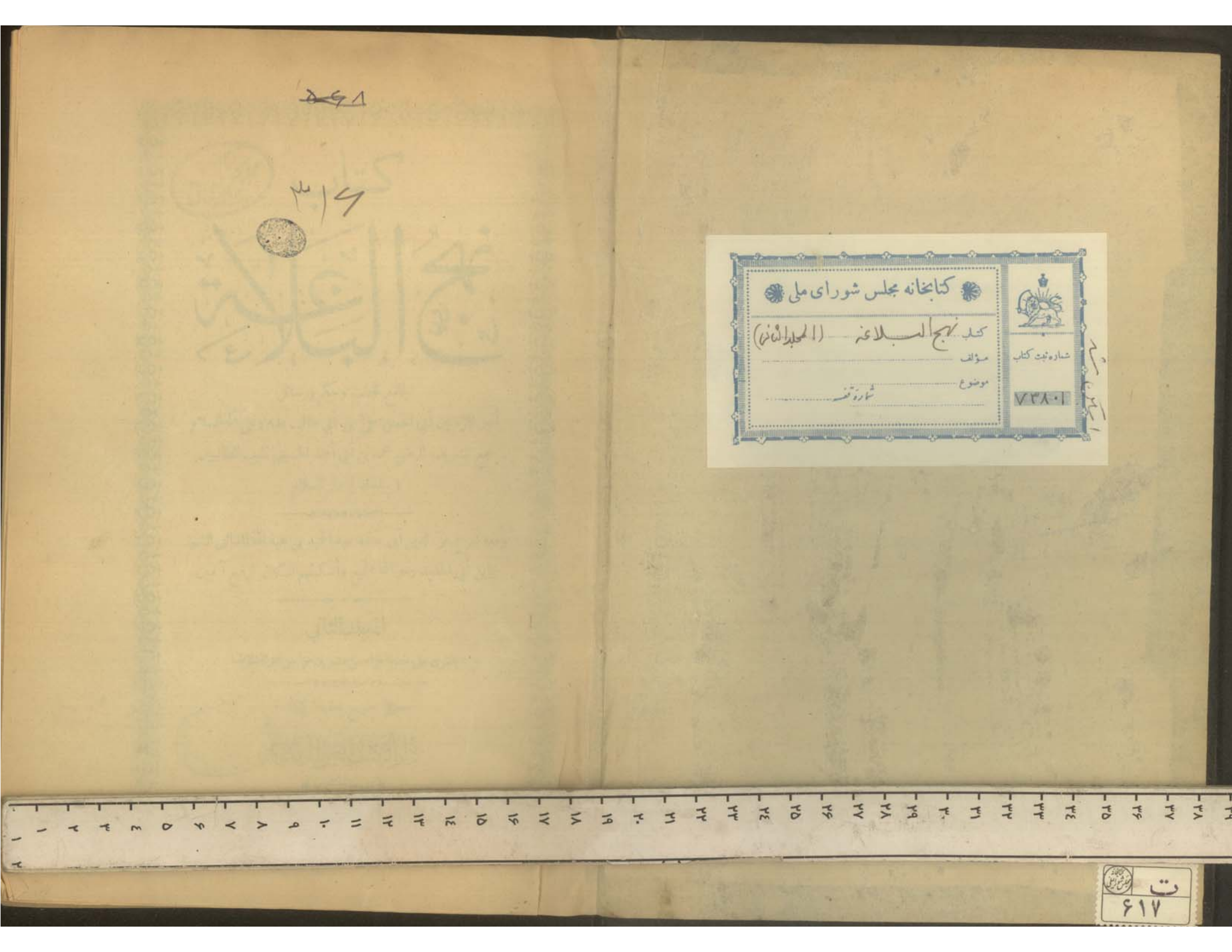
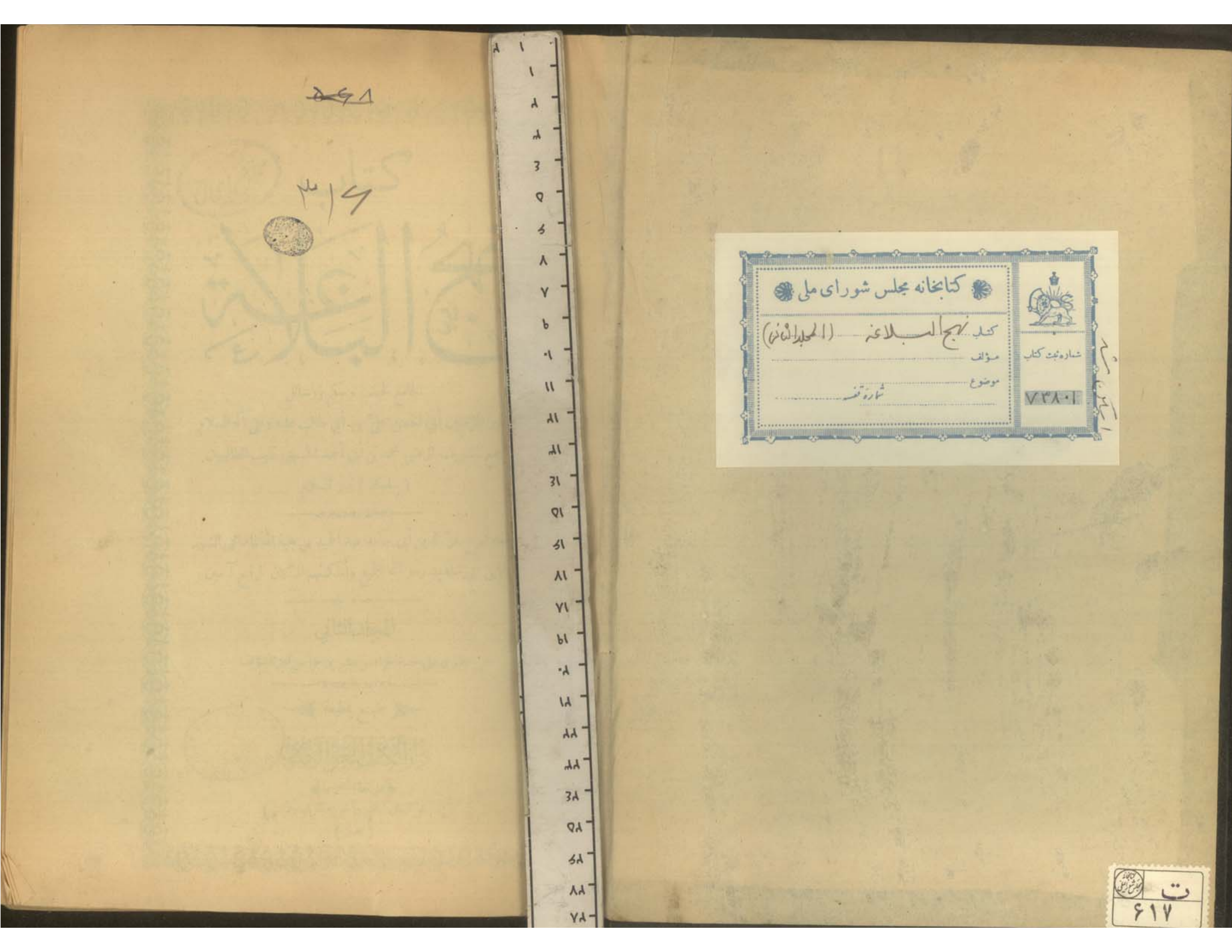




کتابخانه مجلس شورای ملی
کتاب نهج البلاغه (المجلد الثاني)
مؤلف
موضوع
شماره ثبت کتاب
۷۳۸۰۱
ت
۶۱۷





كتاب نهج البلاغة

الجامع لخطب وحكم ورسائل

أمير المؤمنين أبي الحسن علىّ بن أبي طالب عليه وعلى آله السلام

جمع الشريف الرضي محمد بن أبي أحمد الحسيني نقيب الطالبيين

(ببغداد) دار السلام

ومعه شرح عزّ الدين أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني الشهير

بابن أبي الحديد رحم الله الجميع وأسكنهم المكان الرفيع آمين

المجلد الثاني

يحتوى على خمسة أجزاء من عشرين جزأً من تجزئة المؤلف

طبع بمطبعة

دار الكتب العربية الكبرى

على نفقة أصحابها

(مصطفى البابي الحلبي وأخويه بكري وعيسى)

(بمصر)

الجزء السادس

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطاهرين

(الاصل) ﴿ ومن كلام له عليه السلام ﴾

في معنى الانصار قالوا لما انتهت إلى أمير المؤمنين عليه السلام انباء السقيفة
بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله قال عليه السلام ما قالت
الانصار قالوا قالت منا أمير ومنكم أمير قال عليه السلام

فَهَلَّا احْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَّى بِأَنْ يُحْسَنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ وَيُتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ (قَالُوا وَمَا فِي هذَا مِنَ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ) فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَوْ كَانَتْ الْإِمَامَةُ فِيهِمْ لَمْ تَكُنْ الْوَصِيَّةُ بِهِمْ (ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَام) فَمَاذَا قَالَتْ قُرَيْشٌ (قَالُوا احْتَجَّتْ بِأَنَّهَا شَجَرَةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) * فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ * احْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ وَأَضَاعُوا الثَّمَرَةَ

(الشرح) قد ذكرنا فيما تقدم طرفا من أخبار السقيفة فاما هذا الخبر الوارد فى الوصية بالانصار فهو خبر صحيح أخرجه الشيخان محمد بن اسمعيل البخارى ومسلم بن الحجاج القشيرى فى مسنديهما عن أنس بن مالك قال مر أبو بكر والعباس رضى الله تعالى عنهما بمجلس من الانصار فى مرض رسول الله صلى الله عليه وآله وهم يبكون فقالا ما يبكيكم قالوا ذكرنا محاسن رسول الله صلى الله عليه وآله فدخلا على النبى صلى الله عليه وآله وأخبراه بذلك فخرج صلى الله عليه وآله وقد عصب على رأسه حاشية برده فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أوصيكم بالانصار فانهم كرشى وعيبتى وقد قضوا الذى عليهم وبقى الذى لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم فاما كيفية الاحتجاج على الانصار فقد ذكرها على عليه السلام وهى انه لو كان صلوات الله وسلامه عليه ممن يجعل الامامة فيهم لأوصى اليهم ولم يوص بهم والى هذا نظر عمرو بن سعيد بن العاص وهو المسمى بالاشدق فان أباه لما مات خلفه غلاما فدخل الى معاوية فقال الى من أوصى بك أبوك فقال ان أبى أوصى الى ولم يوص بى فاستحسن معاوية منه ذلك فقال ان هذا الغلام لاشدق فسمى الاشدق فاما قول أمير المؤمنين احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة فكلام قد تكرر منه عليه السلام أمثاله نحو قوله اذا احتج عليهم المهاجرون بالقرب من رسول الله صلى الله عليه وآله كانت الحجة لنا على المهاجرين بذلك قائمة فان فلجت حجتهم كانت لنا دونهم والا فالانصار على دعوتهم ونحو هذا المعنى قول العباس لابى بكر وأما

قولك نحن شجرة رسول الله صلى الله عليه وآله فانكم جيرانها ونحن أغصانها ونحن نذكر خبر السقيفة روى أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهرى فى كتاب السقيفة قال أخبرنى أحمد بن اسحق قال حدثنا أحمد بن سيار قال حدثنا سعيد بن كثير بن عفير الانصارى أن النبى صلى الله عليه وآله لما قبض اجتمعت الانصار فى سقيفة بنى ساعدة فقالوا ان رسول الله صلى الله عليه وآله قد قبض فقال سعد بن عبادة لابنه قيس أو لبعض بنيه انى لا أستطيع أن أسمع الناس كلامى لمرضى ولكن تلق منى قولى فاسمعهم فكان سعد يتكلم ويستمع ابنه ويرفع به صوته ليسمع قومه فكان من قوله بعد حمد الله والثناء عليه ان قال ان لكم سابقة الى الدين وفضيلة فى الاسلام ليست لقبيلة من العرب ان رسول الله صلى الله عليه وآله لبث فى قومه بضع عشرة سنة يدعوهم الى عبادة الرحمن وخلع الاوثان فما آمن به من قومه الا قليل والله ما كانوا يقدرون أن يمنعوا رسول الله ولا يعزوا دينه ولا يدفعوا عنه عداه حتى أراد الله بكم خير الفضيلة وساق اليكم الكرامة وخصكم بدينه ورزقكم الايمان به وبرسوله والاعزاز لدينه والجهاد لاعدائه فكنتم أشد الناس على من تخلف عنه منكم وأثقله على عدوه من غيركم حتى استقاموا لامر الله طوعا وكرها وأعطى البعيد المقادة صاغرا داحضا حتى أنجز الله لنبيكم الوعد ودانت لاسيافكم العرب ثم توفاه الله تعالى وهو عنكم راض وبكم قرير عين فشدوا يديكم بهذا الامر فانكم أحق الناس وأولاهم به فاجابوا جميعا ان وفقت فى الرأى وأصبت فى القول ولن نعدو ما أمرت نوليك هذا الامر فانت لنا مقنع ولصالح المؤمنين رضى ثم انهم ترادوا الكلام بينهم فقالوا ان أبت مهاجرة قريش فقالوا نحن المهاجرون وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الاولون ونحن عشيرته وأولياؤه فعلام تنازعوننا هذا الامر من بعده فقالت طائفة منهم اذا نقول منا أمير ومنكم أمير لن نرضى بدون هذا منهم أبدا لنا فى الايواء والنصرة ما لهم فى الهجرة ولنا فى كتاب الله ما لهم فليسوا يعدون شيأ الا ونعد مثله وليس من رأينا الاستئثار عليهم فمنا أمير ومنهم أمير فقال سعد بن عبادة هذا أول الوهن وأتى الخبر عمر فاتى منزل رسول الله صلى الله عليه وآله فوجد أبا بكر فى الدار وعليا فى جهاز رسول الله صلى الله عليه وآله وكان الذى أتاه بالخبر معن بن عدى فاخذ بيد عمر وقال قم فقال عمر انى عنك مشغول فقال انه لا بد من قيام فقام معه فقال له ان هذا الحى من الانصار قد اجتمعوا فى سقيفة بنى ساعدة معهم سعد بن عبادة يدورون حوله ويقولون أنت المرجى ونجلك المرجى وثم اناس من أشرافهم وقد خشيت الفتنة فانظر يا عمر ماذا ترى واذكر لاخوتك من المهاجرين واختاروا لانفسكم فانى أنظر الى باب فتنة قد فتح الساعة الا أن يغلقه الله ففزع عمر أشد الفزع حتى أتى أبا بكر فاخذ بيده فقال قم فقال أبو بكر أين نبرح حتى نوارى رسول الله انى عنك مشغول فقال عمر لا بد من قيام وسنرجع ان شاء الله فقام أبو بكر مع عمر فحدثه الحديث ففزع أبو بكر أشد الفزع وخرجا مسرعين الى سقيفة بنى ساعدة وفيها رجال من أشراف الانصار ومعهم سعد بن عبادة وهو مريض بين أظهرهم فاراد عمر أن يتكلم ويمهد لابى بكر وقال خشيت أن يقصر أبو بكر عن بعض الكلام فلما نبس عمر كفه أبو بكر وقال على رسلك فتلق الكلام ثم تكلم بعد كلامى بما بدا لك فتشهد أبو بكر ثم قال ان الله جل ثناؤه بعث محمدا بالهدى ودين الحق فدعا الى الاسلام فاخذ الله بقلوبنا ونواصينا الى ما دعانا اليه وكنا معاشر المسلمين المهاجرين أول الناس اسلاما والناس لنا فى ذلك تبع ونحن عشيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وأوسط العرب أنسابا ليس من قبائل العرب الا ولقريش فيها ولادة وأنتم أنصار الله وأنتم نصرتم رسول الله صلى الله عليه وآله ثم أنتم وزراء رسول الله صلى الله عليه وآله واخواننا فى كتاب الله وشركاؤنا فى الدين وفيما كنا فيه من خير فانتم أحب الناس الينا وأكرمهم علينا وأحق الناس بالرضا بقضاء الله والتسليم لما ساق الله الى اخوانكم من المهاجرين وأحق الناس أن لا تحسدوهم فانتم المؤثرون على أنفسهم حين الخصاصة وأحق الناس أن لا يكون انتقاض هذا الدين واختلاطه على أيديكم وأنا أدعوكم الى أبى عبيدة وعمر فكلاهما قد رضيت لهذا الامر وكلاهما أراه له أهلا فقال عمر وأبو عبيدة ما ينبغى لاحد من الناس أن يكون فوقك أنت صاحب الغار ثانى اثنين وأمرك رسول الله بالصلاة فانت أحق الناس بهذا الامر فقال الانصار والله ما نحسدكم على خير ساقه الله اليكم ولا أحد أحب الينا ولا أرضى عندنا منكم ولكنا نشفق فيما بعد هذا اليوم

ونحذر أن يغلب على هـذا الامر من ليس مناولا منكم فلوجعلتم اليوم رجلا منكم بايعنا ورضينا على انه اذاهلك اخترنا واحدا من الانصار فاذاهلك كان آخر من المهاجرين أبدا مابقيت هـذه الامة كان ذلك أجدر أن يعدل في أمة محمـد صـلى الله عليـه وآله فيشفق الانصارى أن يزيغ فيقبض عليـه القرشى ويشفق القرشى أن يزيغ فيقبض عليـه الانصارى فقام أبو بكر فقال ان رسول الله صـلى الله عليه وآله لما بعث عظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم فخالفوه وشاقوه وخص الله المهاجرين الاولين من قومه بتصديقه والايمان به والمواساة له والصـبر معه على شدة أذى قومه ولم يستوحشوا لكثرة عدوهم فهم أول من عبـد الله في الارض وهم أول من آمن برسول الله وهم أولياؤه وعترته وأحق الناس بالامر بعده لاينازعهم فيه الاظالم وليس أحـد بعد المهاجرين فضلا وقدما في الاسـلام مثلـكم فنحن الامراء وأنتم الوزراء لانمتاز دونـكم بمشورة ولانقضى دونكم الامور فقام الحباب بن المنـذر بن الجموح فقال يامعشر الانصار أملكوا عليكم أيديكم انما الناس في فيئكم وظلـكم ولن يجترئ مجترئ على خلافـكم ولا يصـدر الناس الاعن أمركم أنتم أهل الايواء والنصرة واليكم كانت الهجرة وأنتم أصحاب الدار والايمـان والله ماعبد الله علانية الاعنـدكم وفى بلادكم ولاجمعت الصـلاة الافى مساجـدكم ولاعرف الايمـان الامن أسيافـكم فاملكوا عليكم أمركم فان أبى هؤلاء فمنا أمير ومنهم أمير فقال عمر هيهات لايجتمع سيفان فى غمدان العرب لاترضى أن تؤمركم ونبيها من غـيركم وليس تمتنع العرب أن تولى أمرها من كانت النبوة فيهم وأولو الامر منهم لنا بذلك الحجة الظاهرة على من خالفنا والسلطان المبين على من نازعنا من ذا يخاصمنا فى سلطان محمـد وميراثه ونحن أولياؤه وعشـيرته الامدل بباطل أومتجانف لاثم أومتورط فى هلـكة فقام الحباب وقال يامعشر الانصار لاتسمعوا مقالة هـذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من الامر فان أبوا عليكم ماأعطيتموهم فاجلوهـم عن بـلادكم وتولوا هـذا الامر عليهـم فانتم أولى الناس بهـذا الامر انه دان لهـذا الامر باسيافـكم من لم يكن يدين له أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب ان شئتم لنعيدنها جذعة والله لايرد أحد على ماأقول الاحطمت أنفه بالسيف قال فلما رأى بشير بن سعد الخزرجى مااجتمعت عليه الانصار من تأمير سعد بن عبادة وكان حاسدا له وكان من سادة الخزرج قام فقال أيها الانصار انا وان كنا ذوى سابقة فانالم نرد بجهادنا واسـلامنا الارضى ربنا وطاعة نبينا ولا ينبغى لنا أن نستطيل بذلك على الناس ولانبتغى به عوضا من الدنيا ان محمدا صلى الله عليه وآله رجل من قريش وقومه أحق بميراث أمره وايم الله لايرانى الله أنازعهم هـذا الامر فاتقوا الله ولاتنازعوهم ولاتخالفوهم فقام أبو بكر وقال هذا عمر وأبو عبيدة بايعوا أيهما شئتم فقالا والله لانتولى هذا الامر عليك وأنت أفضل المهاجرين وثانى اثنين وخليفة رسول الله صـلى الله عليه وآله على الصلاة والصلاة أفضل الدين أبسط يدك نبايعك فلما بسط يده وذهبا يبايعانه سبقهما اليه بشير بن سـعد فبايعه فناداه الحباب بن المنذر يابشير عقك عقاق والله مااضطرك الى هذا الامر الا الحسد لابن عمك ولما رأت الاوس ان رئيسا من رؤساء الخزرج قد بايع قام أسيد بن حضير وهو رئيس الاوس فبايع حسدا لسعد أيضا ومنافسة له أن يلى الامر فبايعت الاوس كلها لما بايع أسيد وحمل سـعد بن عبادة وهو مريض فادخل الى منزله فامتنع من البيعة فى ذلك اليوم وفيما بعده وأراد عمر أن يكرهه عليها فاشير عليه ان لايفعل وانه لايبايع حتى يقتل وانه لايقتل حتى يقتل أهله ولا يقتل أهـله حتى يقتل الخزرج وان حوربت الخزرج كانت الاوس معها وفسـد الامر فتركوه فـكان لايصلى بصلاتهم ولايجمع بجماعتهم ولايقضى بقضائهم ولو وجـد أعوانا لضار بهم فلم يزل كذلك حتى مات أبو بكر ثم لقى عمر فى خلافته وهو على فرس وعمر على بعير فقال له عمر هيهات ياسـعد فقال سعد هيهات ياعمر فقال أنت صاحب من أنت صاحبـه قال نعم أنا ذاك ثم قال لعمر والله ماجاورنى أحـد هو أبغض الى جوارا منك قال عمر فانه من كره جوار رجل انتقل عنه فقال سعد انى لارجو أن أخليها لك عاجلا الى جوار من هو أحب الى جوارا منك ومن أصحابك فلم يلبث سعد بعد ذلك الاقليلا حتى خرج الى الشام فمات بحوران ولم يبايع لاحد لالابى بكر ولا لعمر ولا لغيرهما قال وكثر الناس عـلى أبى بكر فبايعـه معظـم المسـلمين فى ذلك اليوم واجتمعت بنو هاشم الى بيت على بن أبى طالب ومعهم الزبير وكان يعـد نفسه رجلا من بنى هاشم كان على يقول مازال الزبير منا أهل البيت حتى نشأ بنوه فصرفوه عنا

واجتمعت بنو أمية الى عثمان بن عفان واجتمعت بنو زهرة الى سـعد وعبد الرحمن فاقبل عمر اليهم وأبو عبيدة فقال مالى أراكم ملتاثين قوموا فبايعوا أبا بكر فقد بايع له الناس وبايعـه الانصار فقام عثمان ومن معـه وقام سـعد وعبد الرحمن ومن معهما فبايعوا أبا بكر وذهب عمر ومعـه عصابة الى بيت فاطمة منهم أسيد بن حضير وسلمة بن أسـلم فقال لهم انطلقوا فبايعوا فابوا عليه وخرج اليهم الزبير بسيفه فقال عمر عليكم الكلب فوثب عليه سلمة بن أسلم فاخـذ السيف من يده فضرب به الجدار ثم انطلقوا به وبعلى ومعهما بنو هاشم وعلى يقول أنا عبد الله وأخو رسول الله صـلى الله عليه وآله حتى انتهوا به الى أبى بكر فقيل له بايع فقال أنا أحق بهـذا الامر منكم لاأبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لى أخـذتم هـذا الامر من الانصار واحتججتم عليهم بالقرابة من رسول الله فاعطوكم المقادة وسلموا اليكم الامارة وأنا أحتج عليكم بمثل مااحتججتم به على الانصار فانصفونا ان كنتم تخافون الله من أنفسكم واعرفوا لنا من الامر مثل ماعرفت الانصار لـكم والافبوؤا بالظلم وأنتم تعلمون فقال عمر انك لست متروكا حتى تبايع فقال له على احلب ياعمر حلبا لك شطره اشـدد له اليوم أمره ليرده عليك غدا الاوالله لاأقبل قولك ولاأبايعـه فقال له أبو بكر فان لم تبايعنى لم أكرهك فقال له أبو عبيـدة ياأبا الحسن انك حديث السن وهؤلاء مشيخة قريش قومك ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالامور ولاأرى أبا بكر الاأقوى على هـذا الامر منك وأشـد احتمالا له واضطلاعا به فسلم له هـذا الامر وارض به فانك ان تعش ويطل عمرك فانت لهـذا الامر خليق وبه حقيق فى فضلك وقرابتك وسابقتك وجهادك فقال على يامعشر المهاجرين الله الله لاتخرجوا سلطان محمـد عن داره وبيته الى بيوتـكم ودوركم ولاتدفعوا أهـله عن مقامه فى الناس وحقه فوالله يامعشر المهاجرين لنحن أهـل البيت أحق بهذا الامر منكم أما كان منا القارئ لكتاب الله الفقيه فى دين الله العالم بالسـنة المضطلع بامر الرعية والله انه لفينا فلاتتبعوا الهوى فتزدادوا من الحق بعدا فقال بشير بن سعد لو كان هذا الـكلام سمعته منك الانصار ياعلى قبـل بيعتهم لابى بكر مااختلف عليك اثنان ولـكنهم قد بايعوا وانصرف على الى منزله ولم يبايع ولزم بيته حتى ماتت فاطمة فبايع قلت هـذا الحديث يدل على بطلان مايدعى من النص على أمير المؤمنين وغـيره لانه لو كان هناك نص صريح لاحتج به ولم يجر للنص ذكر وانما كان الاحتجاج منه ومن أبى بكر ومن الانصار بالسوابق والفضائل والقرب فلو كان هناك نص على أمير المؤمنين أو على أبى بكر لاحتج به أبو بكر أيضا على الانصار ولاحتج به أمير المؤمنين على أبى بكر فان هـذا الخبر وغـيره من الاخبار المستفيضة يدل على انه قد كان كاشفهم وهتك القناع بينه وبينهم ألاتراه كيف نسبهم الى التعدى عليه وظلمه وتمنع من طاعتهم وأسمعهم من الـكلام أشده وأغلظه فلو كان هناك نص لذكره أوذكره بعض من كان من شيعته وحزبه لانه لاعطر بعد عروس وهـذا أيضا يدل على ان الخبر المروى فى أبى بكر فى صحيحى البخارى ومسلم غير صحيح وهو ماروى من قوله عليه السـلام لعائشة فى مرضـه ادعى لى أباك حتى أكتب لابى بكر كتابا فانى أخاف أن يقول قائل أو يتمنى متمن ويأبى الله والمؤمنون الاأبا بكر وهـذا هو نص مذهب المعتزلة وقال أحمد بن عبد العزيز الجوهرى أيضا وحدثنا أحمـد وقال حدثنا ابن عفير قال حدثنا أبو عوف عبد الله بن عبد الرحمن عن أبى جعفر محمد بن على رضى الله عنهما ان عليا حمل فاطمة على حمار وسار بها ليلا الى بيوت الانصار يسألهم النصرة وتسألهم فاطمة الانتصار له فـكانوا يقولون يابنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهـذا الرجل لو كان ابن عمك سـبق الينا أبا بكر ماعـدلنا به فقال على أكنت أترك رسول الله ميتا فى بيتـه لاأجهزه واخرج الى الناس أنازعهم فى سلطانه وقالت فاطمة ماصـنع أبو حسن الاما كان ينبغى له وصـنعوا هم مالله حسيبهم عليـه وقال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز وحدثنا أحمـد قال حدثنى سعيد بن كثير قال حدثنى ابن لهيعة أن رسول الله صـلى الله عليه وآله لما مات وأبو ذر غائب وقدم وقد ولى أبو بكر فقال أصبتم قناعه وتركتم قرابه لو جعلتم هـذا الامر فى أهـل بيت نبيكم لما اختلف عليكم اثنان قال أبو بكر وأخبرنا أبو زيد عمر بن شبة قال حـدثنا أبو قبيصة محمد بن حرب قال لما توفى النبى صلى الله عليه وآله وجرى فى السقيفة ماجرى تمثل على

وأصبح أقوام يقولون مااشتهوا ✻ ويطغون لما غال زيد اغوائـله

وحدثنى أبو جعفر يحيى بن محمد بن زيد العلوى نقيب البصرة قال لما قدم أبو القاسم على بن الحسين المغربى من مصر الى بغداد استكتبه شرف الدولة أبو على بن بويه وهو يومئذ سلطان الحضرة وأمير الامراء بها والقادر خليفة ففسدت الحال بينه وبين القادر واتفق لابى القاسم المغربى أعداء سوء أوحشوا القادر منه وأوهموه انه مع شرف الدولة فى القبض عليه وخلعه من الخلافة فاطلق لسانه فى ذكره بالقبيح وأوصل القول فيه والشكوى منه ونسبه الى الرفض وسب السلف والى كفران النعمة وانه هرب من يد الحاكم صاحب مصر بعد احسانه اليه قال النقيب أبو جعفر رحمه الله تعالى فاما الرفض فنعم وأما احسان الحاكم اليه فلا كان الحاكم قتل أباه وعمه وأخا من اخوته وأفلت منه أبو القاسم بخديعة الدين ولو ظفر به لألحقه بهم قال أبو جعفر وكان أبو القاسم المغربى ينسب فى الازد ويتعصب لقحطان على عدنان وللانصار على قريش وكان غاليا فى ذلك مع تشيعه وكان أديبا فاضلا شاعرا مترسلا وكثير الفنون عالما وانحدر مع شرف الدولة الى واسط فاتفق ان حصل بيد القادر كتاب بخطه شبه مجموع قد جمعه من خطه وشعره وكلامه مسودا أتحفه به بعض من كان يشنأ أبا القاسم ويريد كيده فوجد القادر فى ذلك المجموع قصيدة من شعره فيها تعصب شديد للانصار على المهاجرين حتى خرج الى نوع من الالحاد والزندقة لافراط غلوه وفيها تصريح بالرفض مع ذلك فوجدها القادر ثمرة الغراب وأبرزها الى ديوان الخلافة فقرئ المجموع والقصيدة بمحضر من أعيان الناس من الاشراف والقضاة والمعدلين والفقهاء ويشهد أكثرهم أنه خطه وأنهم يعرفونه كما يعرفون وجهه وأمر بمكاتبة شرف الدولة بذلك فالى ان وصل الكتاب الى شرف الدولة بما جرى اتصل الخبر بابى القاسم قبل وصول الكتاب الى شرف الدولة فهرب ليلا ومعه بعض غلمانه وجارية كان يهواها ويتحظاها ومضى الى البطيحة ثم منها الى الموصل ثم الى الشام ومات فى طريقه فاوصى أن تحمل جثته الى مشهد على فحملت فى تابوت ومعها خفراء العرب حتى دفن بالمشهد بالقرب منه عليه السلام وكنت برهة أسال النقيب أبا جعفر عن القصيدة وهو يدافعنى بها حتى أملاها على بعد حين وقد أوردت ههنا بعضها لانى لم أستجز ولم أستحل ايرادها على وجهها فمن جملتها وهو يذكر فى أولها رسول الله صلى الله عليه وآله ويقول انه لولا الانصار لم تستقم لدعوته دعامة ولا أرست له قاعدة فى أبيات فاحشة كرهنا ذكرها ومنها

نحن الذين بنا استجار فلم يضع * فينا وأصبح فى أعز جوار
بسيوفنا أمست سخينة ركا * فى بدرها كنحائر الجزار
ولنحن فى أحد سمحنا دونه * بنفوسنا للموت خوف العار
فنجا بمهجته فلولا ذبنا * عنه تنشب فى مخالب ضار
وحمية السعدين بل بحماية السعدين يوم الجحفل الجرار
فى الخندق المشهور اذ ألقى بها * بيد ورام دفاعها بثمار
قالا معاذ الله ان هضيمة * لم نعطها فى سالف الاعصار
ما عندنا الا السيوف وأقبلا * نحو الحتوف بها بدار بدار
ولنا بيوم حنين آثار متى * تذكر فهن كرائم الآثار
لما تصدع جمعه فغدا بنا * مستصرخا بعقيرة وجؤار
عطفت عليه كماتنا فتحصنت * منا جموع هوازن بفرار
وفدته من أبناء قيلة عصبة * شروى البقير وجنة البقار
أفنحن أولى بالخلافة بعده * أم عبد تيم حاملو الاوزار
ما الامر الا أمرنا وبسعدنا * زفت عروس الملك غير نوار
لكنما حسد النفوس وشحها * وتذكر الاذحال والاوتار
أفضى الى هرج ومرج فانبرت * عشواء خابطة بغير نهار

* وتداولتها أربع لولا أبو * حسن لقلت لؤمت من أستار
من عاجز ضرع ومن ذى غلظة * جاف ومن ذى لوثة خوار
ثم ارتدى المحروم فضل ردائها * فغلت مراجل احنة ونفار
فتأكلت تلك الجذى وتلمظت * تلك الظبا ورقى أجيج النار
تالله لو ألقوا اليه زمامها * لمشى بهم سمحى بغير عثار
ولو انها حلت بساحة مجده * بادى بدا سكنت بدار قرار
هو كالنبى فضيلة لكن ذا * من حظه كاس وهذا عارى
والفضل ليس بنافع أربابه * الا بمسعدة من الاقدار
ثم امتطاها عبد شمس فاغتدت * هزؤا وبدل ربحها بخسار
وتنقلت فى عصبة أموية * ليسوا باطهار ولا ابرار *
ما بين مأفون الى متزندق * ومداهن ومضاعف وحمار

فهذه الابيات هى نظيف القصيدة التقطناها وحذفنا الفاحش وفى الملتقط المذكور أيضا ما لا يجوز وهو قوله نحن الذين بنا استجار وقوله ألقى بها بيد وقوله فنجا بمهجته البيت وقوله عن أبى بكر عبد تيم وقوله لولا على لقلت فى الاربعة انهم استار لؤم وذكره الثلاثة بما ذكرهم ونسبهم اليه وقوله ان عليا كالنبى فى الفضيلة وقوله ان النبوة حظ أعطيه وحرمه على عليه السلام فاما قوله فى بنى أمية ما بين المأفون البيت فأخوذ من قول عبد الملك بن مروان وقد خطب فذكر الخلفاء من بنى أمية قبله فقال انى والله لست بالخليفة المستضعف ولا بالخليفة المداهن ولا بالخليفة المأفون عنى بالمستضعف عثمان وبالمداهن معاوية وبالمأفون يزيد بن معاوية فزاد هذا الشاعر فيهم اثنين وهما المتزندق وهو الوليد بن يزيد بن عبد الملك والحمار وهو مروان بن محمد بن مروان وروى الزبير بن بكار فى الموفقيات قال لما بايع بشير بن سعد أبا بكر وازدحم الناس على أبى بكر فبايعوه مر أبو سفيان بن حرب بالبيت الذى فيه على بن ابى طالب عليه السلام فوقف وأنشد

بنى هاشم لا تطمعوا الناس فيكم * ولا سيما تيم بن مرة أو عدى
فما الامر الا فيكم واليكم * وليس لها الا أبو حسن على
أبا حسن فاشدد بها كف حازم * فانك بالامر الذى يرتجى ملى
وأى امرئ يرمى قصيا ورأيها * منيع الحمى والناس من غالب قصى

فقال على لابى سفيان انك تريد أمرا لسنا من أصحابه وقد عهد الى رسول الله صلى الله عليه وآله عهدا فانا عليه فتركه أبو سفيان وعدل الى العباس بن عبد المطلب فى منزله فقال يا أبا الفضل أنت لها أهل وأحق بميراث ابن أخيك امدد يدك لابايعك فلا يختلف عليك الناس بعد بيعتى اياك فضحك العباس وقال يا أبا سفيان يدفعها على ويطلبها العباس فرجع أبو سفيان خائبا قال الزبير وذكر محمد بن اسحق ان الاوس تزعم ان أول من بايع أبا بكر بشير بن سعد وتزعم الخزرج ان أول من بايع أسيد بن حضير قلت بشير بن سعد خزرجى وأسيد بن حضير أوسى وانما تدافع الفريقان الروايتين تفاديا من حال سعد بن عبادة وكراهية كل حى منهما أن يكون نقض أمره جاء من جهة صاحبه فالخزرج الذين هم أهله وقرابته لا يقرون ان بشير بن سعد هو أول من بايع أبا بكر وأبطل أمر سعد بن عبادة ويحيلون بذلك على أسيد بن حضير لانه من الاوس أعداء الخزرج واما الاوس فتكره أيضا أن ينسب أسيد الى انه أول من نقض أمر سعد بن عبادة كى لا يرموه بالحسد للخزرج لان سعد بن عبادة خزرجى فيحيلون بانتقاض أمره على قبيلته وهم الخزرج ويقولون ان أول من بايع أبا بكر ونقض دعوة سعد بن عبادة بشير بن سعد وكان بشير أعور والذى ثبت عندى ان أول من بايعه عمر ثم بشير بن سعد ثم أسيد بن حضير ثم أبو عبيدة بن الجراح ثم سالم مولى أبى حذيفة قال الزبير وقد كان مالأ أبا بكر وعمر على نقض أمر سعد وافساد حاله رجلان من الانصار ممن شهد بدرا وهما عويم بن ساعدة ومعن بن عدى قلت كان

هذان الرجلان ذوى حب لابى بكر فى حياة رسول الله صلى الله عليه وآله واتفق مع ذلك بغض وشحناء كانت بينهما وبين سعد بن عبادة ولها سبب مذكور فى كتاب القبائل لابى عبيدة معمر بن المثنى فليطلب من هناك وعويم بن ساعدة هو القائل لما نصب الانصار سعدا يامعشر الخزرج ان كان هذا الامر فيكم دون قريش فعرفونا ذلك وبرهنوا حتى نبايعكم عليه وان كان لهم دونكم فسلموا اليهم فوالله ماهلك رسول الله صلى الله عليه وآله حتى عرفنا ان أبابكر خليفة حين أمره أن يصلى بالناس فشتمه الانصار وأخرجوه فانطلق مسرعا حتى التحق بابى بكر فشحذ عزمه على طلب الخلافة ذكر هذا بعينه الزبير بن بكار فى الموفقيات وذكر المدائنى والواقدى ان معن بن عدى اتفق هو وعويم بن ساعدة على تحريض أبى بكر وعمر على طلب الامر وصرفه عن الانصار قالا وكان معن بن عدى يشخصهما اشخاصا ويسوقهما سوقا عنيفا الى السقيفة مبادرة الى الامر قبل فواته قال الزبير بن بكار فلما بويع أبو بكر أقبلت الجماعة التى بايعته تزفه زفا الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فلما كان آخر النهار افترقوا الى منازلهم فاجتمع قوم من الانصار وقوم من المهاجرين فتعاتبوا فيما بينهم فقال عبد الرحمن بن عوف يامعشر الانصار انكم وان كنتم أولى فضل ونصر وسابقة ولكن ليس فيكم مثل أبى بكر ولا عمر ولا على ولا أبى عبيدة فقال زيد بن أرقم انا لا ننكر فضل من ذكرت ياعبد الرحمن وان منا السيد الانصار سعد بن عبادة ومن أمر الله رسوله أن يقرئه السلام وان يأخذ عنه القرآن أبى بن كعب ومن يجىء يوم القيامة أمام العلماء معاذ بن جبل ومن أمضى رسول الله صلى الله عليه وآله شهادته بشهادة رجلين خزيمة بن ثابت وانا لنعلم ان ممن سميت من قريش من لو طلب هذا الامر لم ينازعه فيه أحد على بن أبى طالب قال الزبير فلما كان من الغد قام أبو بكر فخطب الناس وقال أيها الناس انى وليت أمركم ولست بخيركم فاذا أحسنت فأعينونى وان أسأت فقومونى ان لى شيطانا يعترينى فاياكم واياى اذا غضبت لا أوثر فى اشعاركم وابشاركم الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف منكم قوى حتى أرد اليه حقه والقوى ضعيف حتى آخذ الحق منه انه لا يدع قوم الجهاد الا ضربهم الله بالذل ولا تشيع فى قوم الفاحشة الا عمهم البلاء أطيعونى ما أطعت الله فاذا عصيته فلا طاعة لى عليكم قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله قال ابن أبى عبرة القرشى

شكرا لمن هو بالثناء حقيق * ذهب اللجاج و بويع الصديق
من بعد ما زلت بسعد نعله * ورجا رجاء دونه العيوق
حفت به الانصار عاصب رأسه * فاتاهم الصديق والفاروق
وأبو عبيدة والذين اليهم * نفس المؤمل للقاء يسوق
كنا نقول لها على والرضا * عمر وأولاهم بذاك عتيق
فدعت قريش باسمه فاجابها * ان المنوه باسمه الموثوق
قل للالى طلبوا الخلافة زلة * لم يخط مثل خطاهم مخلوق
ان الخلافة فى قريش مالكم * فيها ورب محمد معروق

وروى الزبير بن بكار قال روى محمد بن اسحق ان أبابكر لما بويع افتخرت تيم بن مرة قال وكان عامة المهاجرين وجل الانصار لا يشكون ان عليا هو صاحب الامر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فقال الفضل بن العباس يامعشر قريش وخصوصا يابنى تيم انكم انما أخذتم الخلافة بالنبوة ونحن أهلها دونكم ولو طلبنا هذا الامر الذى نحن أهله لكانت كراهية الناس لنا أعظم من كراهتهم لغيرنا حسدا منهم لنا وحقدا علينا وانا لنعلم ان عند صاحبنا عهدا هو ينتهى اليه وقال بعض ولد أبى لهب بن عبد المطلب شعرا

ما كنت أحسب ان الامر منصرف * عن هاشم ثم منها عن أبى حسن
أليس أول من صلى لقبلتكم * واعلم الناس بالقرآن والسنن
واقرب الناس عهدا بالنبى ومن * جبريل عون له فى الغسل والكفن

من فيه مافيهم لا يمترون به * وليس فى القوم مافيه من الحسن
ماذا الذى ردهم عنه فنعلمه * ها ان ذا غبن من أعظم الغبن

قال الزبير فبعث اليه على فنهاه وأمره أن لا يعود وقال سلامة الدين أحب الينا من غيره قال الزبير وكان خالد بن الوليد شيعة لابى بكر ومن المنحرفين عن على فقام خطيبا فقال أيها الناس انا رمينا فى بدء هذا الدين بامر ثقل علينا والله محمله وصعب علينا مرتقاه وكنا كانا فيه على أوتار ثم والله مالبثنا ان خف علينا ثقله وذل لنا صعبه وعجبنا ممن شك فيه بعد عجبنا ممن آمن به حتى أمرنا بما كنا ننهى عنه ونهينا عما كنا نأمر به ولا والله ما سبقنا اليه بالعقول ولكنه التوفيق ألا وان الوحى لم ينقطع حتى أحكم ولم يكن بعد النبى صلى الله عليه وآله نبى فنستبدل بعده نبيا ولا بعد الوحى وحى ونحن اليوم أكثر منا أمس ونحن أمس خير منا اليوم من دخل فى هذا الدين كان ثوابه على حسب عمله ومن تركه رددناه اليه وانه والله ما صاحب الامر يعنى أبابكر بالمسؤل عنه ولا المختلف فيه ولا الخفى الشخص ولا المغمور القناة ثم سكت وعجب الناس من كلامه ومدحه حزن بن أبى وهب المخزومى وهو الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وآله سهلا وهو جد سعيد بن المسيب الفقيه وقال

وقامت رجال من قريش كثيرة * فلم يك منهم فى الرجال كخالد
ترقى فلم يزلق به صدر نعله * وكف فلم يعرض لتلك الاوابد
فجاء بها غراء كالبدر ضوؤها * فسميتها فى الحسن أم القلائد
أخالد لا تعدم لؤى بن غالب * قيامك فيها عند قذف الجلامد
أتاك الوليد بن المغيرة مجده * وعلمك الاشياخ ضرب القماحد
تقارع فى الاسلام عن صلب دينه * وفى الشرك عن احساب جد ووالد
وكنت لمخزوم بن يقظة جنة * يعدك فيها ماجدا وابن ماجد
اذا ما سما فى حربها ألف فارس * عدلت بألف عند تلك الشدائد
ومن يك فى الحرب المثيرة واحدا * فما أنت فى الحرب العوان بواحد
اذا ناب أمر فى قريش مخلج * تشيب له روس العذارى النواهد
توليت منه ما يخاف وان تغب * يقولوا جميعا حظنا غير شاهد

قال الزبير وحدثنا محمد بن موسى الانصارى المعروف بابن مخرمة قال حدثنى ابراهيم بن سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف الزهرى قال لما بويع أبو بكر واستقر أمره ندم قوم كثير من الانصار على بيعته ولام بعضهم بعضا وذكروا على بن أبى طالب وهتفوا باسمه وانه فى داره لم يخرج اليهم وجزع لذلك المهاجرون وكثر فى ذلك الكلام وكان أشد قريش على الانصار نفر منهم وهم سهيل بن عمرو أحد بنى عامر بن لؤى والحرث بن هشام وعكرمة بن أبى جهل المخزوميان وهؤلاء أشراف قريش الذين حاربوا النبى صلى الله عليه وآله ثم دخلوا فى الاسلام وكلهم موتور قد وتره الانصار اما سهيل بن عمرو فاسره مالك بن الدخشم يوم بدر وأما الحرث بن هشام فضربه عروة بن عمرو فجرحه يوم بدر وهو فار عن أخيه واما عكرمة بن أبى جهل فقتل أباه ابنا عفرة وسلبه درعه يوم بدر زياد بن لبيد وفى أنفسهم ذلك فلما اعتزلت الانصار تجمع هؤلاء فقام سهيل بن عمرو فقال يامعشر قريش ان هؤلاء القوم قد سماهم الله الانصار وأثنى عليهم فى القرآن فلهم بذلك حظ عظيم وشأن غالب وقد دعوا الى أنفسهم والى على بن أبى طالب وعلى فى بيته لو شاء لردهم فادعوهم الى صاحبكم والى تجديد بيعته فان أجابوكم والا قاتلوهم فوالله انى لارجو الله أن ينصركم عليهم كما نصرتم بهم ثم قام الحرث بن هشام فقال ان يكن الانصار تبوأت الدار والايمان من قبل ونقلوا رسول الله صلى الله عليه وآله الى دورهم من دورنا فآووا ونصروا ثم مارضوا حتى قاسمونا الاموال وكفونا العمل فانهم قد لهجوا بامر ان ثبتوا عليه فانهم قد خرجوا مما وسموا به وليس بيننا وبينهم معاتبة الا السيف وان نزعوا عنه فقد فعلوا الاولى بهم

والمظنون معهم ثم قام عكرمة بن أبى جهل فقال والله لولا قول رسول الله صلى الله عليه وآله الائمة من قريش ماأنكرنا امرة الانصار ولكانوا لها أهلا ولكنه قول لاشك فيه ولا خيار وقد عجلت الانصار علينا والله ماقبضنا عليهم الامر ولاأخرجناهم من الشورى وان الذى هم فيه من فلتات الامور ونزغات الشيطان ومالايبلغه المنى ولايحمله الامل أعذر والى القوم فان أبوا فقاتلوهم فوالله لولم يبق من قريش كلها الارجل واحد لصيرالله هذا الامر فيه قال وحضر أبو سفيان بن حرب فقال يامعشر قريش انه ليس للانصار أن يتفضلوا على الناس حتى يقروا بفضلنا عليهم فان يفعلوا فحسبنا حيث انتهى بناوالا فحسبهم حيث انتهى بهم وايم الله لئن بطروا المعيشة وكفروا النعمة لنضربنهم على الاسلام كماضربونا عليه فاما على بن أبى طالب فاهل والله أن نسوده على قريش وتطيعه الانصار فلما بلغ الانصار قول هؤلاء الرهط قام خطيبهم ثابت بن قيس بن شماس فقال يامعشر الانصار انما كان يكبر عليكم هذا القول لو قاله أهل الدين من قريش فامااذا كان من اهل الدنيالاسيما من أقوام كلهم موتور فلايكبرن عليكم انما الرأى والقول مع الاخيار من المهاجرين فان تكلمت رجال قريش الذين هم أهل الآخرة مثل كلام هؤلاء فعند ذلك قولوا ماأحببتم والا فامسكوا وقال حسان بن ثابت يذكر ذلك

تنادى سهيل وابن حرب وحارث * وعكرمة الشانى لنا ابن أبى جهل
قتلنا أباه وانتزعنا سلاحه * فاصبح بالبطحا أذل من النعل
فاما سهيل فاحتواه ابن دخشم * أسيرا ذليلا لايمر ولايحلى
وصخر بن حرب قد قتلنا رجاله * غداة لوابدر فرجله يغلى
ورا كضنا تحت العجاجة حارث * على ظهر جرداء كباسقة النخل
يقلبها طورا وطورا يحثها * ويعدلها بالنفس والمال والاهل
أولئك رهط من قريش تبايعوا * على خطة ليست من الخطط الفضل
وأعجب منهم قابلوا ذاك منهم * كأنا اشتملنا من قريش على ذحل
وكلهم ثان عن الحق عطفه * يقول اقتلوا الانصار مابئسما فعل
نصرنا وآوينا النبى ولم نخف * صروف الليالى والبلاء على رجل
بذلنا لهم انصاف مال أكفنا * كقسمة ايسار الجزور من الفضل
ومن بعد ذاك المال انصاف دورنا * وكنا أناسا لانعير بالبخل
ونحمى ذمار الحى فهر بن مالك * ونوقد نار الحرب بالحطب الجزل
فكان جزاء الفضل مناعليهم * جهالتهم حمقا وماذاك بالعدل

فبلغ شعر حسان قريشا فغضبوا وأمروا ابن أبى عزة شاعرهم أن يجيبه فقال

معشر الانصار خافوا ربكم * واستجيروا الله من شر الفتن
انى أرهب حربا لاقحا * يشرق المرضع فيها باللبن
جرها سعد وسعد فتنة * ليت سعد بن عبادة لم يكن
خلف برهوت خفيا شخصه * بين بصرى ذى رعين وجدن
ليس ماقدر سعد كائنا * ماجرى البحر ومادام حضن
ليس بالقاطع مناشعرة * كيف يرجى خير أمر لم يحن
ليس بالمدرك منها أبدا * غير اضغاث أمانى الوسن

قال الزبير لما اجتمع جمهور الناس لابى بكر أكرمت قريش معن بن عدى وعويم بن ساعدة وكان لهما فضل قديم فى الاسلام فاجتمعت الانصار لهما فى مجلس ودعوهما فلما أحضرا أقبلت الانصار عليهما فعيروهما بانطلاقهما الى

المهاجرين

المهاجرين وا كبروا فعلهما فى ذلك فتكلم معن فقال يامعشر الانصار ان الذى أراد الله بكم خير مما أردتم بانفسكم وقد كان منكم أمر عظمه البلاء وصغرته العاقبة فلو كان لكم على قريش مالقريش عليكم ثم أردتموهم لما أرادوكم به لم آمن عليهم منكم مثل ماآمن عليكم منهم فان تعرفوا الخطأ فقد خرجتم منه والافانتم فيه قلت قوله وقد كان منكم أمر عظمه البلاء وصغرته العاقبة يعنى عاقبة الكف والامساك يقول قد كان منكم أمر عظيم وهو دعوى الخلافة لانفسكم وانما جعل البلاء معظماله لانه لولم يتعقبه الامساك لاحدث فتنة عظيمة وانما صغره سكونهم ورجوعهم الى بيعة المهاجرين وقوله وكان لكم على قريش الى آخر الكلام معناه لو كان لكم الفضل على قريش كفضل قريش عليكم وادعت قريش الخلافة لهاثم أردتم منهم الرجوع عن دعواهم وجرت بينكم وبينهم من المنازعة مثل هذه المنازعة التى الآن بينكم لم آمن عليهم منكم أن تقتلوهم وتقدموا على سفك دمائهم ولم يحصل لى من سكون النفس الى حلمكم عنهم وصبركم عليهم مثل ماأنا آمن عليكم منهم فانهم صبروا وحلموا ولم يقدموا على استباحة حربكم والدخول فى دمائكم قال الزبير ثم تكلم عويم بن ساعدة فقال يامعشر الانصار ان من نعم الله عليكم انه تعالى لم يرد بكم ماأردتم بانفسكم فاحمدوا الله على حسن البلاء وطول العافية وصرف هذه البلية عنكم وقد نظرت فى أول فتنتكم وآخرها فوجدتها جاءت من الامانى والحسد واحذروا النقم فوالله لوددت ان الله صيراليكم هذا الامر بحقه فكنا نعيش فيه فردت عليهما الانصار فاغلظوا لهما وفحشوا عليهما وانبرى لهما فروة بن عمرو فقال لهما أنسيتما قولكما لقريش انا قد خلفنا وراءنا قوما قد حلت دماؤهم بفتنتهم هذا والله مالايغفر ولاينسى قد تصرف الحية عن وجهها وسمها فى نابها فقال معن فى ذلك

وقال لى الانصار انك لم تصب * فقلت أمالى فى الكلام نصيب
فقالوا بلى قل مابدا لك راشدا * فقلت ومثلى بالجواب طبيب
تركتكم والله لما رأيتكم * تيوسا لها بالحرتين نبيب
تنادون بالامر الذى النجم دونه * ألا كل شئ ماسواه قريب
فقلت لكم قول الشفيق عليكم * وللقلب من خوف البلاء وجيب
دعوا الركض واثنوا من أعنة بغيكم * ودبوا فسير القاصدين دبيب
وخلوا قريشا والامور وبايعوا * لمن بايعوه ترشدوا وتصيبوا
أراكم أخذتم حقكم باكفكم * وما الناس الامخطئ ومصيب
فلما أبيتم زلت عنكم اليهم * وكنت كأنى يوم ذاك غريب
فان كان هذا الامر ذنبى اليكم * فلى فيكم بعد الذنوب ذنوب
فلاتبعثوا منى الكلام فاننى * اذا شئت يوما شاعر وخطيب
وانى لحلو تعترينى مرارة * وملح أجاج تارة وشروب
لكل امرئ عندى الذى هو أهله * أفانين شتى والرجال ضروب

وقال عويم بن ساعدة فى ذلك

وقالت لى الانصار أضعاف قولهم * لمعن وذاك القول جهل من الجهل
فقلت دعونى لا أبالابيكم * فانى أخوكم صاحب الخطر الفضل
أنا صاحب القول الذى تعرفونه * أقطع أنفاس الرجال على مهل
فان تسكتوا أسكت وفى الصمت راحة * وان تنطقوا أصمت مقالتكم تبلى
ومالت نفسى فى الخلاف عليكم * وان كنتم مستجمعين على عذلى
أريد بذاك الله لاشئ غيره * وماعند رب الناس من درج الفضل

ومالى رحم فى قريش قريبة * ولادارها دارى ولا أصلها أصلى

ولكنهم قوم علينا أئمة * أدين لهم ما أنفذت قدمى نعلى

وكان أحق الناس أن تقنعوا به * وتحتملوا من جاء فى قوله مثلى

لانى أخف الناس فيما يسركم * وفيما يسوؤكم لاأمر ولاأحلى

قال فروة بن عمرو وكان ممن تخلف عن بيعة أبى بكر وكان ممن جاهد مع رسول الله وقاد فرسين فى سبيل الله وكان يتصدق من نخله بالف وسق فى كل عام وكان سيدا وهو من أصحاب على وممن شهد معه يوم الجمل قال فذ كرهما وعابهما على قولهما خلفنا وراءنا قوما قد حلت دماؤهم بفتنتهم

ألا قل لمعن اذا جئته * وذاك الذى شيخه ساعده

* بان المقال الذى قلتما * خفيف علينا سوى واحده

مقالكم ان من خلفنا * مراض قلوبهم فاسده

حلال الدماء على فتنة * فيابئسما ربت الوالده

فلم تأخذا قدر أثمانها * ولم تستفيدا بها فائده

لقد كذب الله ماقلتما * وقد يكذب الرائد الواعده

قال الزبير ثم ان الانصار أصلحوا بين هذين الرجلين وبين أصحابهما ثم اجتمعت جماعة من قريش يوما وفيهم ناس من الانصار واخلاط من المهاجرين وذلك بعد ان انصرفت الانصار عن رأيها وسكون الفتنة فاتفق ذلك عند قدوم عمرو بن العاص من سفر كان فيه فجاء اليهم فافاضوا فى ذكر يوم السقيفة وسعد ودعواه الامر فقال عمرو بن العاص والله لقد دفع الله عنا من الانصار عظيمة ولما دفع الله عنهم أعظم كادوا والله أن يحلوا حبل الاسلام كما قاتلوا عليه ويخرجوا منه من أدخلوا فيه والله لئن كانوا سمعوا قول رسول الله صلى الله عليه وآله الائمة من قريش ثم ادعوها لقد هلكوا وأهلكوا وان كانوا لم يسمعوها فما هم كالمهاجرين ولا سعد كابى بكر ولا المدينة كمكة ولقد قاتلوا أمس فغلبونا على البدء ولو قاتلناهم اليوم لغلبناهم على العاقبة فلم يجبه أحد وانصرف الى منزله وقد ظفر فقال

ألا قل لأوس اذا جئتها * وقل اذا ماجئت للخزرج

تمنيتم الملك فى يثرب * فانزلت القدر لم تنضج

وأخدجتم الامر قبل التما * م وأعجب بذا المعجل المخدج

تريدون نتج الحيال العشا * رولم تلقحوه فلم ينتج

عجبت لسعد وأصحابه * ولو لم يهيجوه لم يهيج

رجا الخزرجى رجاء السراب * وقد يخلف المرء ما يرتجى

فكان كمنح على كفه * بكف يقطعها أهوج

فلما بلغ الانصار مقالته وشعره بعثوا اليه لسانهم وشاعرهم النعمان بن العجلان وكان رجلا أحمر قصيرا تزدريه العيون وكان سيدا فخما فاتى عمرا وهو فى جماعة من قريش فقال والله يا عمرو ما كرهتم من حربنا الاما كرهنا من حربكم وما كان الله ليخرجكم من الاسلام بمن أدخلكم فيه ان كان النبى صلى الله عليه وآله قال الائمة من قريش فقد قال لو سلك الناس شعبا وسلك الانصار شعبا لسلكت شعب الانصار والله ما أخرجنا كم من الامر اذ قلنا منا أمير ومنكم أمير وأما من ذكرت فابو بكر لعمرى خير من سعد لكن سعدا فى الانصار أطوع من أبى بكر فى قريش فاما المهاجرون والانصار فلا فرق بينهم أبدا ولكنك يا ابن العاص وترت بنى عبد مناف بمسيرك الى الحبشة لقتل جعفر وأصحابه ووترت بنى مخزوم باهلاك عمارة بن الوليد ثم انصرف فقال

فقل لقريش نحن أصحاب مكة * ويوم حنين والفوارس فى بدر

وأصحاب أحد والنضير وخيبر * ونحن رجعنا من قريظة بالذكر

ويوم بارض الشام أدخل جعفر * وزيد وعبد الله فى طلق يجرى

وفى كل يوم ينكر الكلب أهله * نطاعن فيه بالمثقفة السمر

ونضرب فى نقع العجاجة ارؤسا * ببيض كامثال البروق اذا تسرى

* نصرنا وآوينا النبى ولم نخف * صروف الليالى والعظيم من الامر

وقلنا لقوم هاجروا قبل مرحبا * وأهلا وسهلا قد أمنتم من الفقر

* نقاسمكم أموالنا وبيوتنا * كقسمة ايسار الجزور على الشطر

ونكفيكم الامر الذى تكرهونه * وكنا أناسا نذهب العسر باليسر

وقلتم حرام نصب سعد ونصبكم * عتيق بن عثمان حلال أبابكر

وأهل أبو بكر لها خير قائم * وان عليا كان أخلق بالامر

* وكان هوانا فى على وانه * لاهل لها يا عمرو من حيث لاتدرى

فذاك بعون الله يدعو الى الهدى * وينهى عن الفحشاء والبغى والنكر

وصى النبى المصطفى وابن عمه * وقاتل فرسان الضلالة والكفر

وهذا بحمد الله يهدى من العمى * ويفتح آذانا ثقلن من الوقر

نجى رسول الله فى الغار وحده * وصاحبه الصديق فى سالف الدهر

فلولا نبى الله لم يذهبوا بها * ولكن هذا الخير أجمع فى الصبر

* ولم نرض الابالرضى ولربما * ضربنا بايدينا الى أسفل القدر

فلما انتهى شعر النعمان وكلامه الى قريش غضب كثير منها وألفى ذلك قدوم خالد بن سعيد بن العاص من اليمن وكان رسول الله استعمله عليها وكان له ولاخيه أثر قديم عظيم فى الاسلام وهما من أول من أسلم من قريش ولهما عبادة وفضل فغضب للانصار وشتم عمرو بن العاص وقال يامعشر قريش ان عمرا دخل فى الاسلام حين لم يجد بدا من الدخول فيه فلما لم يستطع أن يكيده بيده كاده بلسانه وان من كيده الاسلام تفريقه وقطعه بين المهاجرين والانصار والله ما حاربناهم للدين ولا للدنيا لقد بذلوا دماءهم لله تعالى فينا وما بذلنا دماءنا لله فيهم وقاسمونا ديارهم وأموالهم وما فعلنا مثل ذلك بهم وآثرونا على الفقر وحرمناهم على الغنى ولقد وصى رسول الله بهم وعزاهم عن جفوة السلطان فاعوذ بالله أن أكون وإياكم الخلف المضيع والسلطان الجانى قلت هذا خالد بن سعيد بن العاص هو الذى امتنع من بيعة أبى بكر وقال لا أبايع الا عليا وقد ذكرنا خبره فيما تقدم وأما قوله فى الانصار وعزاهم عن جفوة السلطان فاشارة الى قول النبى صلى الله عليه وآله ستلقون بعدى اثرة فاصبروا حتى تقدموا على الحوض وهذا الخبر هو الذى يكفر كثير من أصحابنا معاوية بالاستهزاء به وذلك ان النعمان بن بشير الانصارى جاء فى جماعة من الانصار الى معاوية فشكوا اليه فقرهم وقالوا لقد صدق رسول الله صلى الله عليه وآله فى قوله لنا ستلقون بعدى اثرة فقد لقيناها قال معاوية فماذا قال لكم قالوا قال لنا فاصبروا حتى تردوا على الحوض قال فافعلوا ما أمركم به عساكم تلاقونه غدا عند الحوض كما أخبركم وحرمهم ولم يعطهم شيأ قال الزبير وقال خالد بن سعيد بن العاص فى ذلك

* تفوه عمرو بالذى لا نريده * وصرح للانصار عن شنأة البغض

فان تكن الانصار زلت فاننا * نقيل ولا نجزيهم القرض بالقرض

فلا تقطعن يا عمرو ما كان بيننا * ولا تحملن يا عمرو بعضا على بعض

أتنسى لهم يا عمرو ما كان منهم * ليالى جئناهم من النفل والفرض

وقسمتنا الاموال كاللحم بالمدى * وقسمتنا الاوطان كل به يقضى

ليالي كل الناس بالكفر جهرة * ثقال علينا مجمعون على البغض
فآووا وآووا واتهينا الى المنى * وقر قرارنا من الامن والخفض

قال الزبير ثم ان رجالا من سفهاء قريش ومشيري الفتن منهم اجتمعوا الى عمرو بن العاص فقالوا له انك لسان قريش ورجلها في الجاهلية والاسلام فلا تدع الانصار وما قالت فأكثروا عليه من ذلك فراح الى المسجد وفيه ناس من قريش وغيرهم فتكلم وقال ان الانصار ترى لنفسها ما ليس لها وايم الله لوددت ان الله خلى عنا وعنهم وقضى فيهم وفينا بما أحب ولنحن الذين أفسدنا على أنفسنا أحرزناهم عن كل مكروه وقدمناهم الى كل محبوب حتى أمنوا المخوف فلما جاز لهم ذلك صغروا حقنا ولم يراعوا ما أعظمنا من حقوقهم ثم التفت فرأى الفضل بن العباس بن عبد المطلب وندم على قوله للخؤولة التي بين ولد عبد المطلب وبين الانصار ولان الانصار كانت تعظم عليا وتهتف باسمه حينئذ فقال الفضل يا عمرو انه ليس لنا أن نكتم ما سمعنا منك وليس لنا أن نجيبك وأبو الحسن شاهد بالمدينة الا أن يأمرنا فنفعل ثم رجع الفضل الى علي فحدثه فغضب وشتم عمرا وقال آذى الله ورسوله ثم قام فأتى المسجد فاجتمع اليه كثير من قريش وتكلم مغضبا فقال يا معشر قريش ان حب الانصار ايمان وبغضهم نفاق وقد قضوا ما عليهم وبقي ما عليكم واذكروا أن الله رغب لنبيكم عن مكة فنقله الى المدينة وكره له قريشا فنقله الى الانصار ثم قدمنا عليهم دارهم فقاسمونا الاموال وكفونا العمل فصرنا منهم بين بذل الغني وايثار الفقير ثم حاربنا الناس فوقونا بأنفسهم وقد أنزل الله تعالى فيهم آية من القرآن جمع لهم فيها بين خمس نعم فقال والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ألا وان عمرو بن العاص قد قام مقاما آذى فيه الميت والحي ساء به الواتر وسر به الموتور فاستحق من المستمع الجواب ومن الغائب المقت وانه من أحب الله ورسوله أحب الانصار فليكفف عمرو عنا نفسه قال الزبير فمشت قريش عند ذلك الى عمرو بن العاص فقالوا أيها الرجل أما اذ غضب علي فاكفف وقال خزيمة بن ثابت الانصاري يخاطب قريشا

يال قريش أصلحوا ذات بيننا * وبينكم قد طال حبل التماحك
فلا خير فيكم بعدنا فارفقوا بنا * ولا خير فينا بعد فهر بن مالك
كلانا على الاعداء كف طويلة * اذا كان يوم فيه جب الحوارك
فلا تذكروا ما كان منا ومنكم * ففي ذكر ما قد كان مشي التشارك

قال الزبير وقال علي للفضل يا فضل انصر الانصار بلسانك ويدك فانهم منك وانك منهم فقال الفضل

قلت يا عمرو مقالا فاحشا * ان تعد يا عمرو والله فلك
انما الانصار سيف قاطع * من تصبه ظبة السيف هلك
وسيوف قاطع مضربها * وسهام الله في يوم الحلك
نصروا الدين وآووا أهله * منزل رحب ورزق مشترك
واذا الحرب تلظت نارها * بركوا فيها اذا الموت برك

ودخل الفضل على علي فأسمعه شعره ففرح به وقال وريت بك زنادي يا فضل أنت شاعر قريش وفتاها فأظهر شعرك وابعث به الى الانصار فلما بلغ ذلك الانصار قالت لا أحد يجيب الاحسان الحسام فبعثوا الى حسان بن ثابت فعرضوا عليه شعر الفضل فقال كيف أصنع بجوابه ان لم أتحر قوافيه فضحني فرويدا حتى أقفو أثره في القوافي فقال له خزيمة بن ثابت اذكر عليا وآله يكفك عن كل شئ فقال

جزى الله عنا والجزاء بكفه * أبا حسن عنا ومن كأبي حسن
سبقت قريشا بالذي أنت أهله * فصدرك مشروح وقلبك ممتحن
تمنت رجال من قريش أعزة * مكانك هيهات الهزال من السمن

وانت

وأنت من الاسلام في كل موطن * بمنزلة الدلو البطين من الرسن
غضبت لنا اذ قام عمرو بخطبة * أمات بها التقوى وأحيا بها الاحن
فكنت المرجى من لؤي بن غالب * لما كان منهم والذي كان لم يكن
حفظت رسول الله فينا وعهده * اليك ومن أولى به منك من ومن
ألست أخاه في الهدى ووصيه * وأعلم منهم بالكتاب وبالسنن
فحقك ما دامت بنجد وشيجة * عظيم علينا ثم بعد على اليمن

قال الزبير وبعثت الانصار بهذا الشعر الى علي بن أبي طالب فخرج الى المسجد وقال لمن به من قريش وغيرهم يا معشر قريش ان الله جعل الانصار أنصارا فأثنى عليهم في الكتاب فلا خير فيكم بعدهم انه لا يزال سفيه من سفهاء قريش وتره الاسلام ودفعه الى الحق وأطفأ شرفه وفضل غيره عليه يقوم مقاما فاحشا فيذكر الانصار فاتقوا الله وارعوا حقهم والله لو زالوا لزالت معهم لان رسول الله قال لهم أزول معكم حيثما زلتم فقال المسلمون جميعا رحمك الله يا أبا الحسن قلت قولا صادقا قال الزبير وترك عمرو بن العاص المدينة وخرج عنها حتى رضي عنه علي والمهاجرون ثم قال الزبير ثم ان الوليد ابن عقبة بن أبي معيط وكان يبغض الانصار لانهم أسروا أباه يوم بدر فضربوا عنقه بين يدي رسول الله قام فشتم الانصار وذكرهم بالهجر فقال ان الانصار لترى لها من الحق علينا ما لا نراه والله لئن كانوا آووا لقد عزوا بنا ولئن كانوا آسوا لقد منوا علينا والله ما نستطيع مودتهم لانه لا يزال قائل منهم يذكر ذلنا بمكة وعزنا بالمدينة ولا ينفكون يعيرون موتانا ويغيظون أحياءنا فان أجبناهم قالوا غضبت قريش على غاربها ولكن قد هون علي ذلك منهم حرصهم على الدين أمس واعتذارهم من الذنب اليوم ثم قال

تباذخت الانصار في الناس باسمها * ونسبتها في الازد عمرو بن عامر
وقالوا لنا حق عظيم ومنة * على كل باد من معد وحاضر
فان يك للانصار فضل فلم تنل * بحرمته الانصار فضل المهاجر
وان تكن الانصار آوت وقاسمت * معايشها من جاءها قسم جازر
فقد أفسدت ما كان منها بمنها * وما ذاك فعل الاكرمين الاكابر
اذا قال حسان وكعب قصيدة * بشتم قريش غنيت في المعاشر
وسار بها الركبان في كل وجهة * وأعمل فيها كل خف وحافر
فهذا لنا من كل صاحب خطبة * يقوم بها منكم ومن كل شاعر
وأهل بأن يهجوا بكل قصيدة * وأهل بأن يرموا بنبل فواقر

قال ففشا شعره في الناس فغضبت الانصار وغضب لها من قريش قوم منهم ضرار بن الخطاب الفهري وزيد بن الخطاب ويزيد بن أبي سفيان فبعثوا الى الوليد فجاء فتكلم زيد بن الخطاب فقال يا ابن عقبة بن أبي معيط أما والله لو كنت من الفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا لاحببت الانصار ولكنك من الجفاة في الاسلام البطاء عنه الذين دخلوا فيه بعد ان ظهر أمر الله وهم كارهون انا نعلم أنا أتيناهم ونحن فقراء فأغنونا ثم أصبنا الغنى فكفوا عنا ولم يرزؤنا شيأ فأما ذكرهم ذلة قريش بمكة وعزها بالمدينة فكذلك كنا وكذلك قال الله تعالى واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس فنصرنا الله تعالى بهم وآوانا الى مدينتهم وأما غضبك لقريش فانا لا ننصر كافرا ولا نواد ملحدا ولا فاسقا ولقد قلت وقالوا فقطعك الخطيب والجك الشاعر وأما ذكرك الذي كان بالأمس فدع المهاجرين والانصار فانك لست من ألسنتهم في الرضى ولا نحن من أيديهم في الغضب وتكلم يزيد بن أبي سفيان فقال يا ابن عقبة الانصار أحق بالغضب لقتلى أحد فاكفف لسانك فان من قتله الحق لا يغضب له وتكلم ضرار بن الخطاب فقال أما والله لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الائمة من قريش لقلنا الائمة من

الانصار ولكن جاء أمر غلب الرأى فاقمع شرتك أيها الرجل ولا تكن امرأ سوء فان الله لم يفرق بين الانصار والمهاجرين فى الدنيا وكذلك الله لا يفرق بينهم فى الآخرة وأقبل حسان بن ثابت مغضبا من كلام الوليد بن عقبة وشعره فدخل المسجد وفيه قوم من قريش فقال يا معشر قريش ان أعظم ذنبنا اليكم قتلنا كفاركم وحمايتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كنتم تنقمون منا منة كانت الامس فقد كفى الله شرها فما لنا ولكم والله ما يمنعنا من قتالكم الجبن ولا من جوابكم العى انا لحى فعال ومقال ولكنا قلنا انها حرب أولها عار وآخرها ذل فاغضينا عليها عيوننا وسحبنا ذيولنا حتى نرى وتروا فان قلتم قلنا وان سكتم سكتنا فلم يجبه أحد من قريش ثم سكت كل من الفريقين عن صاحبه ورضى القوم أجمعون وقطعوا الخلاف والعصبية انتهى ما ذكره الزبير بن بكار فى الموفقيات ونعود الآن الى ذكر ما أورده أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهرى فى كتاب السقيفة قال أبو بكر حدثنى أبو يوسف يعقوب بن شيبة عن بحر بن آدم عن رجاله عن سالم بن عبيد قال لما توفى رسول الله وقالت الانصار منا أمير ومنكم أمير أخذ عمر بيد أبى بكر وقال سيفان فى غمد واحد اذا لا يصلحان ثم قال من له هذه الثلاث ثانى اثنين اذ هما فى الغار من هما اذ يقول لصاحبه لا تحزن من صاحبه ان الله معنا مع من ثم بسط يده الى أبى بكر فبايعه فبايعه الناس أحسن بيعة وأجملها قال أبو بكر وحدثنا أحمد بن عبد الجبار العطاردى عن أبى بكر بن عياش عن زيد بن عبد الله قال ان الله تعالى نظر فى قلوب العباد فوجد قلب محمد عليه الصلاة والسلام خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالته ثم نظر فى قلوب الامم بعد قلبه فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون عن دينه فما رأى المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما رأى المسلمون سيأ فهو عند الله سيئ قال أبو بكر بن عياش وقد رأى المسلمون ان يولوا أبا بكر بعد النبى صلى الله عليه وسلم فكانت ولايته حسنة قال أبو بكر وحدثنا يعقوب بن شيبة قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الانصار منا أمير ومنكم أمير قال عمر أيها الناس أيكم يطيب نفسا أن يتقدم قدمين قدمهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصلاة رضيك الله لديننا أفلا نرضاك لدنيانا قال أبو بكر وأخبرنا أبو زيد عمر بن شبة قال حدثنى زيد بن يحيى الانماطى قال حدثنا صخر بن جويرية عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه قال أخذ أبو بكر بيد عمرو يد رجل من المهاجرين يرونه أبا عبيدة حتى انطلقوا الى الانصار وقد اجتمعوا عند سعد فى سقيفة بنى ساعدة فقال عمر قلت لابى بكر دعنى أتكلم وخشيت جد أبى بكر وكان ذا جد فقال أبو بكر لا بل أنا أتكلم فما هو والله الا أن انتهينا اليهم فما كان فى نفسى شئ أريد أن أقوله الا أتى أبو بكر عليه فقال لهم يا معشر الانصار ما ينكر حقكم مسلم انا والله ما أصبنا خيرا قط الا شركتمونا فيه لقد آويتم ونصرتم وآزرتم وواسيتم ولكن قد علمتم أن العرب لا تقر ولا تطيع الا لامرئ من قريش هم رهط النبى صلى الله عليه وسلم أوسط العرب وشيجة رحم وأوسط الناس دارا وأعرب الناس ألسنا وأصبح الناس أوجها وقد عرفتم بلاء ابن الخطاب فى الاسلام وقدمه هلم فلنبايعه قال عمر بل اياك نبايع قال عمر فكنت أول الناس مد يده الى أبى بكر فبايعه الا رجلا من الانصار أدخل يده بين يدى و يد أبى بكر فبايعه قبلى ووطئ الناس فراش سعد فقيل قتلتم سعدا فقال عمر قتل الله سعدا فوثب رجل من الانصار فقال أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب فاخذ ووطئ فى بطنه ودسوا فى فيه التراب قال أبو بكر وحدثنى يعقوب عن محمد بن جعفر عن محمد بن اسماعيل عن مختار التمار عن عيسى ابن زيد قال لما بويع أبو بكر جاء أبو سفيان الى على فقال أغلبكم على هذا الامر أذل بيت من قريش وأقلها أما والله لئن شئت لأملأنها على أبى فضيل خيلا ورجلا ولأسدنها عليه من أقطارها فقال على يا أبا سفيان طالما كدت الاسلام وأهله فما ضرهم شيأ أمسك عليك فانا رأينا أبا بكر لها أهلا قال أبو بكر وحدثنا يعقوب عن رجاله قال لما بويع أبو بكر تخلف على فلم يبايع فقيل لابى بكر انه كره امارتك فبعث اليه أكرهت امارتى قال لا ولكن القرآن خشيت أن يزاد فيه فحلفت ان لا أرتدى رداء حتى أجمعه اللهم الا الى صلاة الجمعة فقال أبو بكر لقد أحسنت قال فكتبه على عليه السلام كما أنزل بناسخه ومنسوخه قال أبو بكر حدثنا يعقوب عن أبى النضر عن محمد بن راشد عن مكحول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل خالد بن سعيد بن العاص على عمل فقدم بعد ما قبض رسول الله

صلى الله عليه وسلم وقد بايع الناس أبا بكر فدعاه الى البيعة فأبى فقال عمر دعنى واياه فمنعه أبو بكر حتى مضت عليه سنة ثم مر به أبو بكر وهو جالس على بابه فناداه خالد يا أبا بكر هل لك فى البيعة قال نعم قال فادن فدنا منه فبايعه خالد وهو قاعد على بابه قال أبو بكر وحدثنا أبو يوسف يعقوب بن شيبة عن خالد بن مخلد عن يحيى بن عمر قال حدثنى أبو جعفر الباقر قال جاء أعرابى الى أبى بكر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له أوصنى فقال لا تتأمر على اثنين ثم ان الاعرابى شخص الى الربذة فبلغه بعد ذلك وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل عن أمر الناس من وليه فقيل أبو بكر فقدم الاعرابى الى المدينة فقال لابى بكر ألست أمرتنى أن لا أتأمر على اثنين قال بلى قال فما بالك فقال أبو بكر لم أجد لها أحدا غيرى أحق منى قال ثم رفع أبو جعفر الباقر يديه وخفضهما فقال صدق صدق قال أبو بكر وقد روى هذا الخبر برواية أتم من هذه الرواية حدثنا يعقوب بن شيبة قال حدثنا يحيى بن حماد قال حدثنا أبو عوانة عن سليمان الاعمش عن سليمان بن ميسرة عن طارق بن شهاب عن رافع بن أبى رافع الطائى قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا فأمر عليهم عمرو بن العاص وفيهم أبو بكر وعمر وأمرهم أن يستنفروا من مروا به فمروا علينا فاستنفرونا فنفرنا معهم فى غزاة ذات السلاسل وهى التى تفخر بها أهل الشام فيقولون استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص على جيش فيه أبو بكر وعمر قال فقلت والله لاختارن فى هذه الغزاة لنفسى رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أستهديه فانى لست أستطيع اتيان المدينة فاخترت أبا بكر ولم آل وكان له كساء فدكى يخله عليه اذا ركب و يلبسه اذا نزل وهو الذى عيرته به هوازن بعد النبى صلى الله عليه وسلم وقالوا لا نبايع ذا الخلال قال فلما قضينا غزاتنا قلت له يا أبا بكر انى قد صحبتك وان لى عليك حقا فعلمنى شيأ أنتفع به فقال قد كنت أريد ذلك لو لم تقل لى تعبد الله لا تشرك به شيأ وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدى الزكاة المفروضة وتحج البيت وتصوم شهر رمضان ولا تتأمر على رجلين فقلت أما العبادات فقد عرفتها أرأيت نهيك لى عن الامارة وهل يصيب الناس الخير والشر الا بالامارة فقال انك استجهدتنى فجهدت لك ان الناس دخلوا فى الاسلام طوعا وكرها فاجارهم الله من الظلم فهم جيران الله وعواذ الله وفى ذمة الله فمن يظلم منكم انما يحقر ربه والله ان أحدكم ليأخذ شويهة جاره أو بعيره فيظل عضله بأسا بجاره والله من وراء جاره قال فلم يلبث الا قليلا حتى أتتنا وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألت من استخلف بعده قيل أبو بكر قلت أصاحبى الذى كان ينهانى عن الامارة فشددت على راحلتى فأتيت المدينة فجعلت أطلب خلوته حتى قدرت عليها فقلت أتعرفنى أنا فلان بن فلان أتعرف وصية أوصيتنى بها قال نعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض والناس حديثو عهد بالجاهلية فخشيت أن يفتتنوا وان أصحابى حملونيها فما زال يعتذر الى حتى عذرته وصار من أمرى بعد ان صرت عريفا قال أبو بكر وأخبرنا أبو زيد عمر بن شبة عن رجاله عن الشعبى قال قام الحسن ابن على عليه السلام الى أبى بكر وهو يخطب على المنبر فقال له انزل عن منبر أبى فقال أبو بكر صدقت والله انه لمنبر أبيك لا منبر أبى فبعث على الى أبى بكر انه غلام حدث وانا لم نأمره فقال أبو بكر صدقت انا لم نتهمك قال أبو بكر وروى أبو زيد عن حباب بن يزيد عن جرير عن المغيرة ان سلمان والزبير و بعض الانصار كان هواهم أن يبايعوا عليا بعد النبى صلى الله عليه وآله فلما بويع أبو بكر قال سلمان للصحابة أصبتم الخير ولكن أخطأتم المعدن قال وفى رواية أخرى أصبتم ذا السن منكم ولكنكم أخطأتم أهل بيت نبيكم أما لو جعلتموها فيهم ما اختلف منكم اثنان ولأكلتموها رغدا قلت هذا الخبر هو الذى رونه المتكلمون فى باب الامامة عن سلمان أنه قال كرديد ونكرديد تفسره الشيعة فتقول أراد أسلمتم وما أسلمتم ويفسره أصحابنا فيقولون معناه أخطأتم وأصبتم قال أبو بكر وأخبرنا أبو زيد وقال حدثنا محمد بن يحيى قال حدثنا غسان بن عبد الحميد قال لما أكثر فى تخلف على عن البيعة واشتد أبو بكر وعمر فى ذلك خرجت أم مسطح بن اثاثة فوقفت عند قبر النبى صلى الله عليه وآله ونادته يا رسول الله

قد كان بعدك أنباء وهينمة * لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
انا فقدناك فقد الارض وابلها * واختل قومك فاشهدهم ولا تغب

قال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز وسمعت أبا زيد عمر بن شبة يحدث رجلا بحديث لم أحفظ اسناده قال مر المغيرة بن شعبة بأبى بكر وعمر وهما جالسان على باب النبى حين قبض فقال مايقعدكما قالا ننتظر هذا الرجل يخرج فنبايعه يعنيان عليا فقال أتريدون ان تنظروا حبل الحبلة من أهل هذا البيت وسعوها فى قريش تتسع قال فقاما الى سقيفة بنى ساعدة أوكلاما هذا معناه قال أبو بكر وأخبرنا أبو جعفر محمد بن عبد الملك الواسطى عن يزيد بن هرون عن سفين بن حسين عن الزهرى عن أنس بن مالك قال لما مرض رسول الله مرضه الذى مات فيه أتاه بلال يؤذنه بالصلاة فقال بعد مرتين يابلال قد أبلغت فمن شاء فليصل بالناس ومن شاء فليدع قال ورفعت الستور عن رسول الله فنظرنا اليه كانه ورقة بيضاء وعليه خيصة له فرجع اليه بلال فقال مروا أبابكر فليصل بالناس قال فما رأيناه بعد ذلك عليه السلام وقال أبو بكر وحدثنى أبو الحسن على ابن سليمان النوفلى قال سمعت أبيا يقول ذكر سعد بن عبادة يوما عليا بعد يوم السقيفة فذكر أمرا من أمره نسيه أبو الحسن يوجب ولايته فقال له ابنه قيس بن سعد أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول هذا الكلام فى على بن أبى طالب ثم تطلب الخلافة ويقول أصحابك منا أمير ومنكم أميرلا كلمتك والله من رأسى بعد هذا كلمة أبدا قال أبو بكر وحدثنى أبو الحسن على بن سليمان النوفلى قال حدثنى أبى قال حدثنى شريك بن عبد الله عن اسمعيل بن خالد عن زيد بن على بن الحسين عن أبيه عن جده قال قال على كنت مع الانصار لرسول الله صلى الله عليه وآله على السمع والطاعة له فى المحبوب والمكروه فلما عز الاسلام وكثر أهله قال يا على زد فيها على ان تمنعوا رسول الله وأهل بيته مما تمنعون منه أنفسكم وذراريكم قال فحملها على ظهور القوم فوفى بها من وفى وهلك من هلك قلت هذا يطابق مارواه أبو الفرج الاصفهانى فى كتاب مقاتل الطالبيين ان جعفر بن محمد عليه السلام وقف مستترا فى خفية يشاهد المحامل التى حمل عليها عبد الله بن الحسن وأهله فى القيود والحديد من المدينة الى العراق فلما مر وابه بكى وقال ماوفت الانصار ولا أبناء الانصار لرسول الله صلى الله عليه وآله بايعهم على أن يمنعوا محمدا وأبناءه وأهله وذريته مما يمنعون منه أنفسهم وأبناءهم وأهلهم وذراريهم فلم يفوا اللهم اشدد وطأتك على الانصار قال أبو بكر وحدثنا أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد قال حدثنا أحمد بن الحكم قال حدثنا عبد الله بن وهب عن ليث بن سعد قال تخلف على عن بيعة أبى بكر فاخرج ملببا يمضى به ركضا وهو يقول معاشر المسلمين علام تضرب عنق رجل من المسلمين لم يتخلف لخلاف وانما تخلف لحاجة فما مر بمجلس من المجالس الا يقال له انطلق فبايع قال أبو بكر وحدثنا على بن جرير الطائى قال حدثنا ابن فضل عن الاجلح عن حبيب بن ثعلبة بن يزيد قال سمعت عليا يقول أما ورب السماء والارض ثلاثا انه لعهد النبى الامى الى لتغدرن بك الامة من بعدى قال أبو بكر وحدثنا أبو زيد عمر بن شبة باسناد رفعه الى ابن عباس قال انى لاماشى عمر فى سكة من سكك المدينة يده فى يدى فقال يا ابن عباس ما أظن صاحبك الا مظلوما فقلت فى نفسى والله لا يسبقنى بها فقلت يا أمير المؤمنين فاردد اليه ظلامته فانتزع يده من يدى ثم مر يهمهم ساعة ثم وقف فلحقته فقال لى يا ابن عباس ما أظن القوم منعهم من صاحبك الا انهم استصغروه فقلت فى نفسى هذه شر من الاولى فقلت والله ما استصغره الله حين أمره أن يأخذ سورة براءة من أبى بكر فأما مارواه البخارى ومسلم فى الصحيحين من كيفية المبايعة لابى بكر بهذا اللفظ الذى أورده عليك والاسناد الى عائشة ان فاطمة والعباس أتيا أبابكر يلتمسان ميراثهما من النبى صلى الله عليه وآله وهما حينئذ يطلبان أرضه من فدك وسهمه من خيبر فقال لهما أبو بكر انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول انا معشر الانبياء لانورث ماتركناه صدقة انما يأكل آل محمد من هذا المال وانى والله لا أدع أمرا رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يصنعه الا صنعته فهجرته فاطمة ولم تكلمه فى ذلك حتى ماتت فدفنها على ليلا ولم يؤذن بها أبابكر وكان لعلى وجه من الناس فى حياة فاطمة فلما توفيت فاطمة انصرفت وجوه الناس عن على فمكثت فاطمة ستة أشهر ثم توفيت فقال رجل للزهرى وهو الراوى لهذا الخبر عن عائشة فلم يبايعه على ستة أشهر قال ولا أحد من بنى هاشم حتى بايعه على فلما رأى ذلك ضرع الى مبايعة أبى بكر فارسل الى أبى بكر أن ائتنا ولا يأت معك أحد وكره أن يأتيه عمر لما عرف من شدته فقال عمر لا تأتهم وحدك فقال أبو بكر والله لآتينهم وحدى وما عسى أن يصنعوا بى فانطلق أبو بكر

حتى دخل على على وقد جمع بنى هاشم عنده فقام على فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أما بعد فانه لم يمنعنا أن نبايعك ياأبابكر انكار لفضلك ولا منافسة لخير ساقه الله اليك ولكنا كنا نرى ان لنا فى هذا الامر حقا فاستبددتم به علينا وذكر قرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله وحقه فلم يزل على يذكر ذلك حتى بكى أبو بكر فلما صمت على تشهد أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أما بعد فوالله لقرابة رسول الله صلى الله عليه وآله أحب الى ان أصلها من قرابتى وانى والله ما آلوكم من هذه الاموال التى كانت بينى وبينكم الا الخير ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لانورث ماتركناه صدقة وانما يأكل آل محمد فى هذا المال وانى والله لا أترك أمرا صنعه رسول الله صلى الله عليه وآله الا صنعته ان شاء الله قال على موعدك العشية للبيعة فلما صلى ابو بكر الظهر أقبل على الناس ثم عذر عليا ببعض ما اعتذر به ثم قام على فعظم من حق أبى بكر وذكر فضله وسابقته ثم مضى الى أبى بكر فبايعه فاقبل الناس الى على فقالوا أصبت وأحسنت وكان على قريبا الى الناس حين قارب الامر بالمعروف وروى أبو بكر أحمد بن عبد العزيز قال حدثنى أبو زيد عمر بن شبة قال حدثنى ابراهيم بن المنذر قال حدثنا ابن وهب عن ابن لهيعة عن أبى الاسود قال غضب رجال من المهاجرين فى بيعة أبى بكر بغير مشورة وغضب على والزبير فدخلا بيت فاطمة معهما السلاح فجاء عمر فى عصابة فيهم أسيد بن حضير وسلمة بن سلامة بن قريش وهما من بنى عبد الاشهل فاقتحما الدار فصاحت فاطمة وناشدتهما الله فأخذوا سيفيهما فضربوا بهما الحجر حتى كسروهما فاخرجهما عمر يسوقهما حتى بايعا ثم قام أبو بكر فخطب الناس فاعتذر اليهم وقال ان بيعتى كانت فلتة وقى الله شرها وخشيت الفتنة وايم الله ماحرصت عليها يوما قط ولا سألتها الله فى سر ولا علانية قط ولقد قلدت أمرا عظيما مالى به طاقة ولا يدان ولقد وددت ان أقوى الناس عليه مكانى فقبل المهاجرون وقال على والزبير ماغضبنا الا فى المشورة وانا لنرى أبابكر أحق الناس بها انه لصاحب الغار وثانى اثنين وانا لنعرف له سنه ولقد أمره رسول الله صلى الله عليه وآله بالصلاة وهو حى قال أبو بكر وذكر ابن شهاب بن ثابت ان قيس بن شماس أخا بنى الحارث من الخزرج كان مع الجماعة الذين دخلوا بيت فاطمة قال وروى سعد بن ابراهيم أن عبد الرحمن بن عوف كان مع عمر ذلك اليوم وان محمد بن مسلمة كان معهم وانه هو الذى كسر سيف الزبير قال أبو بكر وحدثنى أبو زيد عمر بن شبة عن رجاله قال جاء عمر الى بيت فاطمة فى رجال من الانصار ونفر قليل من المهاجرين فقال والذى نفسى بيده لتخرجن الى البيعة أو لأحرقن البيت عليكم فخرج اليه الزبير مصلتا بالسيف فاعتنقه زياد بن لبيد الانصارى ورجل آخر فندر السيف من يده فضرب به عمر الحجر فكسره ثم أخرجهم بتلابيبهم يساقون سوقا عنيفا حتى بايعوا أبابكر قال أبو زيد وروى النضر بن سهيل قال حمل سيف الزبير لما ندر من يده الى أبى بكر وهو على المنبر يخطب فقال اضربوا به الحجر قال أبو عمرو بن حماس ولقد رأيت الحجر وفيه تلك الضربة والناس يقولون هذا أثر ضربة سيف الزبير قال أبو بكر وأخبرنى أبو بكر الباهلى عن اسماعيل بن مجالد عن الشعبى قال قال أبو بكر ياعمر أين خالد بن الوليد قال هو هذا فقال انطلقا اليهما يعنى عليا والزبير فأتيانى بهما فانطلقا فدخل عمر ووقف خالد على الباب من خارج فقال عمر للزبير ماهذا السيف قال أعددته لابايع عليا قال وكان فى البيت ناس كثير منهم المقداد بن الاسود وجمهور الهاشميين فاخترط عمر السيف فضرب به صخرة فى البيت فكسره ثم أخذ بيد الزبير فاقامه ثم دفعه فاخرجه وقال ياخالد دونك هذا فمسكه خالد وكان فى خارج البيت مع خالد جمع كثير من الناس أرسلهم أبو بكر ردأ لهما ثم دخل عمر فقال لعلى قم فبايع فتلكأ واحتبس فاخذ بيده فقال قم فأبى أن يقوم فحمله ودفعه كما دفع الزبير حتى أمسكهما خالد وساقهما عمر ومن معه سوقا عنيفا واجتمع الناس ينظرون وامتلأت شوارع المدينة بالرجال ورأت فاطمة ماصنع عمر فصرخت وولولت واجتمع معها نساء كثير من الهاشميات وغيرهن فخرجت الى باب حجرتها ونادت ياأبابكر ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله والله لا أكلم عمر حتى ألقى الله قال فلما بايع أبابكر على والزبير وهدأت تلك الفورة مشى اليها أبو بكر بعد ذلك فشفع لعمر وطلب اليها فرضيت عنه قال أبو بكر وحدثنى المؤمل بن جعفر قال حدثنى محمد بن ميمون قال حدثنى داود بن المبارك قال أتينا

عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب عليه السلام ونحن راجعون من الحج فى جماعة فسألناه عن مسائل وكنت أحد من سأله فسألته عن أبى بكر وعمر فقال أجيبك بما أجاب به جدى عبد الله ابن الحسن فانه سئل عنهما فقال كانت أمنا صديقة ابنة نبى مرسل وماتت وهى غضبى على قوم فنحن غضاب لغضبها قلت قد أخذ هذا المعنى بعض شعراء الطالبيين من أهل الحجاز أنشدنيه النقيب جلال الدين عبد الحميد بن محمد ابن عبد الحميد العلوى قال أنشدنى هذا الشاعر وذهب عنى انا اسمه قال

يا أباحفص الهوينا وما كنـ * ـت مليا بذاك لولا الحمام

أتموت البتول غضبى ونرضى * ما كذا يصنع البنون الكرام

يخاطب عمر و يقول له مهلا رويدا يا عمر أى ارفق واتئد ولا تعنف بنا وما كنت مليا أى وما كنت أهلا لأن تخاطب بهذا وتستعطف ولا كنت قادرا على ولوج دار فاطمة على ذلك الوجه الذى ولجتها عليه لولا ان أباها الذى كان بيتها يحترم و يصان لاجله مات فطمع فيها من لم يكن يطمع ثم قال أتموت أمنا وهى غضبى ونرضى نحن اذا لسنا بكرام فان الولد الكريم يرضى لرضى أبيه وأمه و يغضب لغضبهما والصحيح عندى انها ماتت وهى واجدة على أبى بكر وعمر وانها أوصت ان لا يصليا عليها وذلك عند أصحابنا من الامور المغفورة لهما وكان الأولى بهما اكرامها واحترام منزلها لكنهما خافا الفرقة وأشفقا من الفتنه ففعلا ما هو الاصلح بحسب ظنهما وكانا من الدين وقوة اليقين بمكان مكين لاشك فى ذلك والامور الماضية يتعذر الوقوف على عللها وأسبابها ولا يعلم حقائقها الا من قد شاهدها ولابسها بل لعل الحاضرين المشاهدين لها لا يعلمون باطن الامر فلا يجوز العدول عن حسن الاعتقاد فيهما بما جرى والله ولى المغفرة والعفو فان هذا لوثبت انه خطأ لم يكن كبيرة بل كان من باب الصغائر التى لا تقتضى التبرى ولا توجب زوال التولى قال أبو بكر وأخبرنا أبو زيد عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن حاتم عن رجاله عن ابن عباس قال مر عمر بعلى وأنا معه بفناء داره فسلم عليه فقال له على أين تريد قال البقيع قال أفلا تصل جناحك وتقوم معك قال بلى فقال لى على قم معه فقمت فمشيت الى جانبه فشبك أصابعه فى أصابعى ومشينا قليلا حتى اذا خلفنا البقيع قال لى يا ابن عباس أما والله ان صاحبك هذا لاولى الناس بالامر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله الا انا خفناه على اثنين قال ابن عباس فجاء بكلام لم أجد بدا من مسألته عنه فقلت ماهما يا أمير المؤمنين قال خفناه على حداثة سنه وحبه بنى عبد المطلب قال أبو بكر وحدثنى أبو زيد قال حدثنى محمد بن عباد قال حدثنى أخى سعيد بن عباد عن الليث بن سعد عن رجاله عن أبى بكر الصديق انه قال ليتنى لم أكشف بيت فاطمة ولو أغلق على الحرب قال أبو بكر وحدثنا الحسن بن الربيع عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن على ابن عبد الله بن العباس عن أبيه قال لما حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله الوفاة وفى البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال رسول الله صلى الله عليه وآله ائتونى بدواة وصحيفة أكتب لكم كتابا لا تضلون بعدى فقال عمر كلمة معناها ان الوجع قد غلب على رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال عندنا القرآن حسبنا كتاب الله فاختلف من فى البيت واختصموا فمن قائل يقول القول ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله ومن قائل يقول القول ما قال عمر فلما أكثروا اللغط واللغو والاختلاف غضب رسول الله فقال قوموا انه لا ينبغى لنبى أن يختلف عنده هكذا فقاموا فمات رسول الله صلى الله عليه وآله فى ذلك اليوم فكان ابن عباس يقول ان الرزية كل الرزية ما حال بيننا و بين كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله يعنى الاختلاف واللغط قلت هذا الحديث قد خرجه الشيخان محمد بن اسمعيل البخارى ومسلم بن الحجاج القشيرى فى صحيحيهما واتفق المحدثون كافة على روايته قال أبو بكر وحدثنا أبو زيد عن رجاله عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان تولوها أبا بكر تجدوه ضعيفا فى بدنه قويا فى أمر الله وان تولوها عمر تجدوه قويا فى بدنه قويا فى أمر الله وان تولوها عليا وما أراكم فاعلين تجدوه هاديا مهديا يحملكم على المحجة البيضاء والصراط المستقيم قال أبو بكر وحدثنا أحمد بن اسحق بن صالح عن أحمد بن سيار عن سعيد بن كثير الانصارى عن رجاله عن عبد الله بن عبد الرحمن ان رسول الله صلى الله عليه وآله فى مرض موته أمر اسامة بن زيد بن حارثة على جيش فيه جلة

المهاجرين والانصار منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وأمره أن يغير على مؤتة حيث قتل أبوه زيد وان يغزو وادى فلسطين فتثاقل اسامة وتثاقل الجيش بتثاقله وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله فى مرضه يثقل و يخف و يؤكد القول فى تنفيذ ذلك البعث حتى قال له اسامة بأبى أنت وأمى أتأذن لى ان امكث أياما حتى يشفيك الله تعالى فقال اخرج وسر على بركة الله فقال يا رسول الله ان أنا خرجت وأنت على هذه الحال خرجت وفى قلبى قرحة منك فقال سر على النصر والعافية فقال يا رسول الله انى أكره ان أسأل عنك الركبان فقال انفذ لما أمرتك به ثم أغمى على رسول الله صلى الله عليه وآله وقام اسامة فتجهز للخروج فلما أفاق رسول الله صلى الله عليه وآله سأل عن اسامة والبعث فاخبر انهم يتجهزون فجعل يقول انفذوا بعث اسامة لعن الله من تخلف عنه وكرر ذلك فخرج اسامة واللواء على رأسه والصحابة بين يديه حتى اذا كان بالجرف نزل ومعه أبو بكر وعمر وأكثر المهاجرين ومن الانصار أسيد بن حضير و بشير بن سعد وغيرهم من الوجوه فجاءه رسول أم أيمن يقول له أدخل فان رسول الله يموت فقام من فوره فدخل المدينة واللواء معه فجاء به حتى ركزه بباب رسول الله ورسول الله قد مات فى تلك الساعة قال فما كان أبو بكر وعمر يخاطبان اسامة الى ان ماتا الا بالامير

(الاصل) ﴿ وَمِنْ كلام لهُ عليهِ السلاَم﴾

لما قلد محمد بن أبي بكر مصر فملكت عليه وقتل

وقَدْ أَرَدْتُ تَوْلِيَةَ مِصْرَ هَاشِمَ بْنَ عُتْبَةَ ولَوْ وَلَّيْتُهُ إِيَّاهَا لَمَا خَلَّى لَهُمُ الْعَرْصَةَ * ولاَ أَنْهَزَهُمُ الْفُرْصَةَ * بِلاَ ذَمٍّ لِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ * فَلَقَدْ كَانَ إِلَيَّ حَبِيباً * وكَانَ لِي رَبِيباً *

(الشرح) أم محمد بن أبى بكر أسماء بنت عميس بن النعمان بن كعب بن مالك بن قحافة بن خثعم كانت تحت جعفر بن أبى طالب وهاجرت معه الى الحبشة فولدت له هناك عبد الله بن جعفر الجواد ثم قتل عنها يوم مؤتة فخلف عليها أبو بكر الصديق فاولدها محمدا ثم مات عنها فخلف عليها على بن أبى طالب وكان محمد ربيبه وخريجه وجاريا عنده مجرى أولاده رضع الولاء والتشيع مذ زمن الصبا فنشأ عليه فلم يكن يعرف له أبا غير على ولا يعتقد لاحد فضيلة غيره حتى قال على عليه السلام محمد ابنى من صلب أبى بكر وكان يكنى بأبى القاسم فى قول ابن قتيبة وقال غيره بل كان يكنى أبا عبد الرحمن وكان محمد من نساك قريش وكان ممن أعان على عثمان فى يوم الدار واختلف هل باشر قتل عثمان أم لا ومن ولد محمد القاسم بن محمد بن أبى بكر فقيه الحجاز وفاضلها ومن ولد القاسم عبد الرحمن بن القاسم بن محمد كان من فضلاء قريش ويكنى أبا محمد ومن ولد القاسم أيضا أم فروة تزوجها الباقر أبو جعفر محمد بن على فاولدها الصادق أبا عبد الله جعفر ابن محمد عليهما السلام والى أم فروة أشار الرضى أبو الحسن بقوله

يفاخرنا قوم بمن لم نلدهم * بتيم اذا عد السوابق او عدى

و ينسون من لو قدموه لقدموا * عذار جواد فى الجياد مقلد

فتى هاشم بعد النبى و باعها * لمرمى علا أو نيل مجد وسودد

ولولا على ما علوا سرواتها * ولا جعجعوا فيها بمرعى ومورد

أخذنا عليكم بالنبى وفاطم * طلاع المساعى من مقام ومقعد

وطئنا بسبطى أحمد ووصيه * رقاب الورى من متهمين ومنجد

وحزنا عتيقا وهو غاية فخركم * بمولد بنت القاسم بن محمد *

فجدنبي ثم جـــد خليفة * فاكرم بجدينا عتيق وأحمد
ومالفتخرت بعد النبي بغيره * يدصـفقت يوم البياع على يد

قوله ولولا على ماعلوا سروا تها البيت ينظر فيه الى قول المأمون فى أبيات يمدح فيها عليا أولها

ألام على حبي الوصى أبا الحسن * وذلك عندى من أعاجيب ذا الزمن

والبيت المنظور اليه منها قوله

ولولاه ماعدت لهاشم امرة * وكان مدى الايام يعصى ويمتهن

واما هاشم بن عتبة بن أبى وقاص واسم أبى وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب عمه سعد بن أبى وقاص أحد العشرة وأبوه عتبة بن أبى وقاص الذى كسر رباعية رسول الله صلى الله عليه وآله يوم أحد وكلم شفتيه وشج وجهه فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل الله عز وجل ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون وقال حسان ابن ثابت فى ذلك اليوم

اذا الله حيا معشرا بفعالهـــم * ونصرهـــم الرحمن رب المشارق
فهــدك ربى ياعتيب بن مالك * ولقاك قبل الموت احدى الصواعق
بســطت يمينا للنبي محمـــد * فدميت فاه قطعت ٧ بالبوارق
فهلا ذكرت الله والمنزل الذى * تصير اليه عند احدى الصفائق
فمن عاذرى من عبد عذرة بعدما * هوى فى دجوجى شديد المضايق
وأورث عارا فى الحياة لاهـــله * وفى النار يوم البعث أم البوائق

وانما قال عبد عذرة لان عتبة بن أبى وقاص واخوته وأقاربه فى نسبهم كلام ذكر قوم من أهل النسب أنهم من عذرة وأنهم أدعياء فى قريش ولهم خبر معروف وقصة مذكورة فى كتب النسب وتنازع عبد الله بن مسعود وسعد بن أبى وقاص فى أيام عثمان فى أمر فاختصما فقال سعد لعبد الله اسكت ياعبد هذيل فقال له عبد الله اسكت ياعبد عذرة وهاشم بن عتبة هو المرقال سمى المرقال لانه كان يرقل فى الحرب ارقالا وهو من شيعة على وسنفصل مقتله اذا انتهينا الى فصل من كلامه يتضمن ذكر صفين فاما قوله لما خلى لهم العرصة فيعنى عرصة مصر وقد كان محمد رحمه الله تعالى لما ضاق عليه الامر ترك لهم مصر وظن انه بالفرار ينجو بنفسه فلم ينج وأخذ وقتل وقوله ولا أنهزهم الفرصة أى ولا جعلهم للفرصة منتهزين والهمزة للتعدية يقال أنهزت الفرصة اذا انتهزتها غيرى ونحن نذكر فى هذا الموضع ابتداء أمر الذين ولاهم على عليه السلام مصر الى ان ننتهى الى كيفية ملك معاوية لها وقتل محمد بن أبى بكر وننقل ذلك من كتاب ابراهيم بن سعد بن هلال الثقفى وهو كتاب الغارات قال ابراهيم حدثنا محمد بن عبد الله بن عثمان الثقفى قال حدثنى على بن محمد بن أبى سيف عن الكلبى أن محمد بن أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس هو الذى حرض المصريين على قتل عثمان وندبهم اليه وكان حينئذ بمصر فلما ساروا الى عثمان وحصروه وثب هو بمصر على عامل عثمان عليها وهو عبد الله بن سعد بن أبى سرح أحد بنى عامر بن لؤى فطرده عنها وصلى بالناس فخرج ابن أبى سرح من مصر ونزل على تخوم أرضها مما يلى فلسطين وانتظر مايكون من أمر عثمان فطلع عليه راكب فقال له ياعبد الله ماوراءك ماخبر الناس بالمدينة قال قتل المسلمون عثمان فقال ابن أبى سرح انا لله وانا اليه راجعون ثم صنعوا ماذا ياعبد الله قال بايعوا ابن عم رسول الله على بن أبى طالب فقال ثانية انا لله وانا اليه راجعون فقال الرجل أرى ان ولاية على عدلت عندك قتل عثمان قال أجل فنظر اليه متأملا له فعرفه فقال اظنك عبد الله بن سعد بن أبى سرح أمير مصر قال أجل قال ان كانت لك فى الحياة حاجة فالنجاء النجاء فان رأى على فيك وفى أصحابك ان ظفر بكم قتلكم أو نفاكم عن بلاد المسلمين وهذا أمير تقدم بعدى عليكم قال ومن الامير قال قيس بن سعد بن عبادة فقال ابن أبى سرح

أبعد الله ابن أبى حذيفة فانه بغى على ابن عمه وسعى عليه وقد كان كفله ورباه وأحسن اليه وأمن جواره فجهز الرجال اليه حتى قتل ووثب على عامله وخرج ابن أبى سرح حتى قدم على معاوية بدمشق قال ابراهيم وكان قيس بن سعد بن عبادة من شيعة على ومناصحيه فلما ولى الخلافة قال له سر الى مصر فقد وليتكها واخرج الى ظاهر المدينة واجمع ثقاتك ومن أحببت أن يصحبك حتى تأتى مصر ومعك جند فان ذلك أرعب لعدوك وأعز لوليك فاذا أنت قدمتها ان شاء الله فاحسن الى المحسن واشدد على المريب وارفق بالعامة والخاصة فالرفق يمن فقال قيس رحمك الله ياأمير المؤمنين قد فهمت ماذكرت فاما الجند فانى أدعه لك فاذا احتجت اليهم كانوا قريبا منك وان أردت بعثهم الى وجه من وجوهك كان لك عدة ولكنى أسير الى مصر بنفسى وأهل بيتى واماما أوصيتنى به من الرفق والاحسان فالله تعالى هو المستعان على ذلك قال فخرج قيس فى سبعة نفر من أهله حتى دخل مصر فصعد المنبر وأمر بكتاب معه يقرأ على الناس فيه من عبد الله على أمير المؤمنين الى من بلغه كتابى هذا من المسلمين سلام عليكم فانى أحمد الله اليكم الذى لا اله الا هو أما بعد فان الله بحسن صنعه وقدره وتدبيره اختار الاسلام دينا لنفسه وملائكته ورسله وبعث به أنبياءه الى عباده فكان مما أكرم الله عز وجل به هذه الامة وخصهم به من الفضل ان بعث محمدا صلى الله عليه وآله اليهم فعلمهم الكتاب والحكمة والسنة والفرائض وأدبهم لكيما يهتدوا وجمعهم لكيما لا يتفرقوا وزكاهم لكيما يتطهروا فلما قضى من ذلك ماعليه قبضه الله اليه فعليه صلوات الله وسلامه ورحمته ورضوانه ثم ان المسلمين من بعده استخلفوا أميرين منهم صالحين فعملا بالكتاب والسنة وأحيا السيرة ولم يعدوا السنة ثم توفيا رحمهما الله فولى بعدهما وال أحدث أحداثا فوجدت الامة عليه مقالا فقالوا ثم نقموا فغيروا ثم جاؤنى فبايعونى وأنا استهدى الله الهدى وأستعينه على التقوى ألا وان لكم علينا العمل بكتاب الله وسنة رسوله والقيام بحقه والنصح لكم بالغيب والله المستعان على ماتصفون وحسبنا الله ونعم الوكيل وقد بعثت لكم قيس بن سعد الانصارى أميرا فوازروه وأعينوه على الحق وقد أمرته بالاحسان الى محسنكم والشدة على مريبكم والرفق بعوامكم وخواصكم وهو ممن أرضى هديه وأرجو اصلاحه ونصحه نسأل الله لنا ولكم عملا زاكيا وثوابا جزيلا ورحمة واسعة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وكتبه عبد الله بن أبى رافع فى صفر سنة ست وثلاثين قال ابراهيم فلما فرغ من قراءة الكتاب قام قيس خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وقال الحمد لله الذى جاء بالحق وأمات الباطل وكبت الظالمين أيها الناس انا بايعنا خير من نعلم من بعد نبينا محمد صلى الله عليه وآله فقوموا فبايعوا على كتاب الله وسنة رسوله فلا بيعة لنا عليكم فقام الناس فبايعوا واستقامت مصر وأعمالها لقيس وبعث عليها عماله الا أن قرية منها قد أعظم أهلها قتل عثمان وبها رجل من بنى كنانة يقال له يزيد بن الحرث فبعث الى قيس انا لا نأتيك فابعث عمالك فالارض أرضك ولكن أقرنا على حالنا حتى ننظر الى مايصير أمر الناس ووثب محمد بن مسلمة بن مخلد ابن صامت الانصارى فنعى عثمان ودعا الى الطلب بدمه فارسل اليه قيس ويحك أعلى تثب والله ماأحب ان لى ملك الشام ومصر وانى قتلتك فاحقن دمك فارسل اليه مسلمة انى كاف عنك مادمت أنت والى مصر وكان قيس بن سعد ذا رأى وحزم فبعث الى الذين اعتزلوا انى لا أكرهكم على البيعة ولكنى أدعكم وأكف عنكم فهادنهم وهادن مسلمة ابن مخلد وجبى الخراج وليس أحد ينازعه قال ابراهيم وخرج على عليه السلام الى الجمل وقيس على مصر ورجع من البصرة الى الكوفة وهو بمكانه فكان أثقل خلق الله على معاوية لقرب مصر وأعمالها من الشام ومخافة أن يقبل على باهل العراق ويقبل اليه قيس باهل مصر فيقع بينهما فكتب معاوية الى قيس وعلى يومئذ بالكوفة قبل أن يسير الى صفين من معاوية بن أبى سفيان الى قيس بن سعد سلام عليك فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو أما بعد فانكم ان كنتم نقمتم على عثمان فى أثرة رأيتموها أو ضربة سوط ضربها أو فى شتمه رجلا أو تعييره واحدا أو فى استعماله الفتيان من أهله فانكم قد علمتم ان كنتم تعلمون ان دمه لم يحل لكم بذلك فقد ركبتم عظيما من الامر وجئتم شيأ ادا فتب ياقيس الى ربك ان كنت من المجلبين على عثمان ان كانت التوبة قبل الموت تغنى شيأ وأما صاحبك فقد استيقنا انه أغرى الناس بقتله وحملهم على قتله حتى قتلوه وانه لم يسلم من دمه عظم قومك فان استطعت ياقيس أن تكون ممن

يطلب بدم عثمان فافعل و بايعنا على علىّ في أمرنا هذا ولك سلطان العراقين ان أنا ظفرت ما بقيت ولمن أحببت من
أهل بيتك سلطان الحجاز ما دام لي سلطان وسلني عن غير هذا مما تحب فانك لا تسألني شيأ الا اتيته واكتب الى رأيك
فيما كتبت اليك فلما جاءه اليه كتاب معاوية أحب أن يدافعه ولا يبدي له أمره ولا يعجل له حربه فكتب اليه أما بعد
فقد وصل الى كتابك وفهمت الذي ذكرت من أمر عثمان وذلك أمر لم أقاربه وذكرت ان صاحبي هو الذي أغرى
الناس بعثمان ودسهم اليه حتى قتلوه وهذا أمر لم أطلع عليه وذكرت لي ان عظم عشيرتي لم تسلم من دم عثمان فلعمري
ان أولى الناس كان في أمره عشيرتي واما ما سألتني من متابعتك على الطلب بدمه وما عرضته على فقد فهمته وهذا
أمر لي نظر فيه وفكر وليس هذا مما يعجل الى مثله وأنا كاف عنك وليس يأتيك من قبلي شئ تكرهه حتى ترى
ونرى ان شاء الله تعالى والسلام عليك ورحمة الله و بركاته قال ابراهيم فلما قرأ معاوية كتابه لم يره الا مقاربا مباعدا
ولم يأمن أن يكون له في ذلك مخادعا مكايدا فكتب اليه أما بعد فقد قرأت كتابك فلم أرك تدنو فاعدك سلما ولم أرك
تتباعد فاعدك حربا أراك كحبل الجرور وليس مثلي يصانع بالخداع ولا يخدع بالمكايد ومعه عدد الرجال وأعنة الخيل
فان قبلت الذي عرضت عليك فلك ما أعطيتك وان أنت لم تفعل ملأت مصر عليك خيلا ورجلا والسلام فلما قرأ
قيس كتابه وعلم أنه لا يقبل منه المدافعة والمطاولة أظهر له ما في نفسه فكتب اليه من قيس بن سعد الى معاوية بن أبي
سفيان أما بعد فالعجب من استسقاطك رأيي والطمع في أن تسومني لا أبا لغيرك الخروج من طاعة أولى الناس بالامر
وأقولهم بالحق وأهداهم سبيلا وأقربهم من رسول الله وسيلة وتأمرني بالدخول في طاعتك طاعة أبعد الناس من
هذا الامر وأقولهم بالزور وأضلهم سبيلا وأدناهم من رسول الله وسيلة ولديك قوم ضالون مضلون طواغيت من
طواغيت ابليس وأما قولك انك تملأ على مصر خيلا ورجلا فلئن لم أشغلك عن ذلك حتى يكون منك انك لذو جد
والسلام فلما أتى معاوية كتاب قيس أيس وثقل مكانه عليه وكان أن يكون مكانه غيره أحب اليه لما يعلم من قوته
وتأبيه ونجدته واشتداد أمره على معاوية فاظهر للناس ان قيسا قد بايعكم فادعوا الله له وقرأ عليهم كتابه الذي لان فيه
وقاربه واختلق كتابا نسبه الى قيس فقرأه على أهل الشام للامير معاوية بن أبي سفيان من قيس بن سعد أما بعد ان
قتل عثمان كان حدثا في الاسلام عظيما وقد نظرت لنفسي وديني فلم أر يسعني مظاهرة قوم قتلوا امامهم مسلما محرما
برا تقيا فنستغفر الله سبحانه لذنوبنا ونسأله العصمة لديننا ألا واني قد ألقيت اليكم بالسلام وأجبتك الى قتال قتلة امام
الهدى المظلوم فاطلب مني ما أحببت من الاموال والرجال أعجله اليك ان شاء الله والسلام على الامير ورحمة الله و بركاته
قال فشاع في الشام كلها ان قيسا صالح معاوية وأتت عيون على بن أبي طالب اليه بذلك فاعظمه وأكبره وتعجب له
ودعا ابنيه حسنا وحسينا وابنه محمدا وعبد الله بن جعفر فاعلمهم بذلك وقال ما رأيكم فقال عبد الله بن جعفر يا أمير
المؤمنين دع ما يريبك الى ما لا يريبك اعزل قيسا عن مصر قال على والله اني غير مصدق بهذا على قيس فقال عبد الله
اعزله يا أمير المؤمنين فان كان ما قد قيل حقا فلا يعتزل لك ان عزلته قال وانهم لكذلك اذ جاءهم كتاب من قيس بن
سعد فيه أما بعد فاني أخبرك يا أمير المؤمنين أكرمك الله وأعزك ان قبلي رجالا معتزلين سألوني أن أكف عنهم
وأدعهم على حالهم حتى يستقيم أمر الناس فنرى ويرون وقد رأيت أن أكف عنهم ولا أعجل بحربهم وان أتألفهم فيما
بين ذلك لعل الله أن يقبل بقلوبهم ويفرقهم عن ضلالتهم ان شاء الله والسلام فقال عبد الله بن جعفر يا أمير المؤمنين
انك ان أطعته في تركهم واعتزالهم استشرى الامر وتفاقمت الفتنة وقعد عن بيعتك كثير ممن تريده على الدخول
فيها ولكن مره بقتالهم فكتب اليه أما بعد فسر الى القوم الذين ذكرت فان دخلوا فيما دخل فيه المسلمون
والا فناجزهم والسلام قال فلما أتى هذا الكتاب قيسا فقرأه لم يتمالك ان كتب الى على أما بعد يا أمير المؤمنين فالعجب
لك تأمرني بقتال قوم كافين عنك ولم يمدوا يدا للفتنة ولا أرصدوا لها فاطعني يا أمير المؤمنين وكف عنهم فان الرأى
تركهم والسلام فلما أتاه هذا الكتاب قال عبد الله بن جعفر يا أمير المؤمنين ابعث محمد بن أبي بكر الى مصر يكفك
أمرها واعزل قيسا فوالله لبلغني ان قيسا يقول ان سلطانا لا يتم الا بقتل مسلمة بن مخلد لسلطان سوء والله ما أحب

ان

ان لي سلطان الشام مع سلطان مصر واني قتلت بن مخلد وكان عبد الله بن جعفر أخا محمد ابن أبي بكر لامه وكان يحب
أن يكون له امرة وسلطان فاستعمل على عليه السلام محمد بن أبي بكر على مصر لمحبة له ولهوى عبد الله بن جعفر أخيه
فيه وكتب معه كتابا الى أهل مصر فسار حتى قدمها فقال له قيس ما بال أمير المؤمنين ما غيره أدخل أحد بيني و بينه
قال لا وهذا السلطان سلطانك وكان بينهما نسب كان تحت قيس قريبة بنت أبي قحافة أخت أبي بكر الصديق فكان
قيس زوج عمته فقال قيس لا والله لا أقيم معك ساعة واحدة وغضب حين عزله على عنها وخرج منها مقبلا الى المدينة
ولم يمض الى على بالكوفة قال ابراهيم وكان قيس مع شجاعته ونجدته جوادا مفضالا لحدثني على بن محمد بن أبي سيف
عن هشام بن عروة عن أبيه قال لما خرج قيس بن سعد من مصر فمر بأهل بيت من بلقين فنزل بمائهم فنحر له صاحب
المنزل جزورا وأتاه بها فلما كان الغد نحر له أخرى ثم حبستهم السماء اليوم الثالث فنحر لهم ثالثة ثم ان السماء أقلعت فلما
أراد قيس أن يرتحل وضع عشرين ثوبا من ثياب مصر وأربعة آلاف درهم عند امرأة الرجل وقال لها اذا جاء
صاحبك فادفعي هذه اليه ثم رحل فما أتت عليه الا ساعة حتى لحقه الرجل صاحب المنزل على فرس ومعه رمح والثياب
والدراهم بين يديه فقال يا هؤلاء خذوا ثيابكم ودراهمكم فقال قيس انصرف أيها الرجل فانا لم نكن لنأخذها قال والله
لتأخذنها فقال قيس لله أبوك ألم تكرمنا وتحسن ضيافتنا فكافأناك فليس بهذا بأس فقال الرجل انا لا نأخذ لقرى
الاضياف ثمنا والله لا آخذها أبدا فقال قيس اما اذ أبى أن لا يأخذها فوالله ما فضلني رجل من العرب غيره قال ابراهيم
وقال أبو المنذر مر قيس في طريقه برجل من بلي يقال له أسود بن فلان فاكرمه فلما أراد قيس أن يرتحل وضع عند
امرأته ثيابا ودراهم فلما جاء الرجل دفعته اليه فلحقه فقال ما أنا بائع ضيافتي والله لتأخذن هذا أو لانفذن الرمح بين
جنبيك فقال قيس ويحكم خذوه قال ابراهيم ثم أقبل قيس حتى قدم المدينة فجاءه حسان بن ثابت شامتا به وكان عثمانيا
فقال له نزعك على بن أبي طالب وقد قتلت عثمان فبقي عليك الاثم ولم يحسن لك الشكر فزجره قيس وقال يا أعمى القلب
يا أعمى البصر والله لولا أن ألقي بين رهطي ورهطك حربا لضربت عنقك ثم أخرجه من عنده قال ابراهيم ثم ان قيسا
وسهل بن حنيف خرجا حتى قدما على علي الكوفة فخبره قيس الخبر وما كان بمصر فصدقه وشهد مع على صفين هو
وسهل بن حنيف قال ابراهيم وكان قيس طوالا أطول الناس وأمدهم قامة وكان سناطا أصلع شيخا شجاعا مجربا
مناصحا لعلي ولولده ولم يزل على ذلك الى ان مات قال ابراهيم حدثني أبو غسان قال أخبرني على بن أبي سيف قال كان
قيس بن سعد مع أبي بكر وعمر في سفر في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله فكان ينفق عليهما وعلى غيرهما ويفضل
فقال له أبو بكر ان هذا لا يقوم به مال أبيك فامسك يدك فلما قدموا من سفرهم قال سعد بن عبادة لابي بكر أردت ان
تبخل ابني انا لقوم لا نستطيع البخل قال وكان قيس بن سعد يقول في دعائه اللهم ارزقني حمدا ومجدا وشكرا فانه لا حمد
الا بفعال ولا مجد الا بمال اللهم وسع على فان القليل لا يسعني ولا أسعه قال ابراهيم وكان عهد على الى محمد بن أبي بكر
الذي قرئ بمصر هذا ما عهد عبد الله على أمير المؤمنين الى محمد بن أبي بكر حين ولاه مصر أمره بتقوى الله في السر
والعلانية وخوف الله تعالى في المغيب والمشهد وأمره باللين على المسلم وبالغلظة على الفاجر وبالعدل على أهل الذمة
وبالانصاف للمظلوم وبالشدة على الظالم وبالعفو عن الناس وبالاحسان ما استطاع والله يجزي المحسنين وأمره أن
يدعو من قبله الى الطاعة والجماعة فان لهم في ذلك من العافية وعظم المثوبة ما لا يقدر قدره ولا يعرف كنهه وأمره
أن يجبي خراج الارض على ما كانت تجبى عليه من قبل ولا ينتقص ولا يبتدع ثم يقسمه بين اهله كما كانوا يقسمونه
عليه من قبل وان يلين لهم جناحه ويواسي بينهم في مجلسه ووجهه وليكن القريب والبعيد عنده في الحق على سواء
وأمره أن يحكم بين الناس بالحق وأن يقوم بالقسط ولا يتبع الهوى ولا يخاف لومة لائم فان الله مع من اتقاه وآثر طاعته
على من سواه وكتبه عبد الله بن أبي رافع مولى رسول الله لغرة شهر رمضان سنة ست وثلاثين قال ابراهيم ثم قام محمد
ابن أبي بكر خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وقال أما بعد فالحمد لله الذي هدانا واياكم لما اختلف فيه من الحق وبصرنا واياكم
كثيرا مما عمي عنه الجاهلون ألا وان أمير المؤمنين ولاني أموركم وعهد الي بما سمعتم وأوصاني بكثير منه مشافهة وان

آلو كم خيرا ما استطعت وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب فان يكن ماترون من آثارى وأعمالى طاعة لله وتقوى فاحمدوا الله على ما كان من ذلك فانه هو الهادى اليه فان رأيتم من ذلك عملا بغير الحق فارفعوه الى وعاتبونى عليه فانى بذلك أسعد وأنتم بذلك جديرون وفقنا الله واياكم لصالح العمل ثم نزل قال ابراهيم وحدثنى يحيى بن صالح عن مالك بن خالد الاسدى عن الحسن بن ابراهيم عن عبد الله بن الحسن بن الحسن قال كتب على عليه السلام الى أهل مصر لما بعث محمد بن أبى بكر اليهم كتابا يخاطبهم فيه ويخاطب محمدا أيضا فيه أما بعد فانى أوصيكم بتقوى الله فى سر أمركم وعلانيته وعلى أى حال كنتم عليها وليعلم المرء منكم ان الدنيا دار بلاء وفناء والآخرة دار جزاء وبقاء فمن استطاع أن يؤثر ما يبقى على ما يفنى فليفعل فان الآخرة تبقى والدنيا تفنى رزقنا الله واياكم بصرا لما بصرنا وفهما لما فهمنا حتى لا نقصر عما أمرنا ولا نتعدى الى ما نهانا واعلم يا محمد انك وان كنت محتاجا الى نصيبك من الدنيا الا انك الى نصيبك من الآخرة أحوج فان عرض لك أمران أحدهما للآخرة والاخر للدنيا فابدأ بأمر الآخرة ولتعظم رغبتك فى الخير ولتحسن فيه نيتك فان الله عز وجل يعطى العبد على قدر نيته واذا أحب الخير وأهله ولم يعمله كان ان شاء الله كمن عمله فان رسول الله صلى الله عليه وآله قال حين رجع من تبوك ان بالمدينة لاقواما ما سرتم من مسير ولا هبطتم من واد الا كانوا معكم ما حبسهم الا المرض يقول كانت لهم نية ثم اعلم يا محمد انى قد وليتك أعظم أجنادى أهل مصر ووليتك ما وليتك من أمر الناس فانت محقوق ان تخاف فيه على نفسك وتحذر فيه على دينك ولو كان ساعة من نهار فان استطعت أن لا تسخط ربك لرضى أحد من خلقه فافعل فان فى الله خلفا من غيره وليس فى شئ خلف منه فاشتد على الظالم ولن لاهل الخير وقربهم اليك واجعلهم بطانتك واخوانك والسلام قال ابراهيم حدثنى يحيى بن صالح عن مالك بن خالد عن الحسن بن ابراهيم عن عبد الله بن الحسن بن الحسن قال كتب على الى محمد بن أبى بكر وأهل مصر أما بعد فانى أوصيكم بتقوى الله والعمل بما أنتم عنه مسؤولون فانتم به رهن واليه صائرون فان الله عز وجل يقول كل نفس بما كسبت رهينة وقال ويحذركم الله نفسه والى الله المصير وقال فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون فاعلموا عباد الله ان الله سائلكم عن الصغير من أعمالكم والكبير فان يعذب فنحن الظالمون وان يغفر ويرحم فهو أرحم الراحمين واعلموا ان أقرب ما يكون العبد الى الرحمة والمغفرة حينما يعمل بطاعة الله ومناصحته فى التوبة فعليكم بتقوى الله عز وجل فانها تجمع من الخير ما لا يجمع غيرها ويدرك بها من الخير ما لا يدرك بغيرها خير الدنيا وخير الآخرة يقول الله سبحانه وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين واعلموا عباد الله ان المؤمنين المتقين قد ذهبوا بعاجل الخير وآجله شركوا أهل الدنيا فى دنياهم ولم يشاركهم أهل الدنيا فى آخرتهم يقول الله عز وجل قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة سكنوا الدنيا بافضل ما سكنت وأكلوها بافضل ما أكلت شاركوا أهل الدنيا فى دنياهم فأكلوا من أفضل ما يأكلون وشربوا من أفضل ما يشربون ويلبسون من أفضل ما يلبسون ويسكنون من أفضل ما يسكنون أصابوا لذة أهل الدنيا مع انهم غدا من جيران الله عز وجل يتمنون عليه لا يرد لهم دعوة ولا ينقص لهم لذة أما فى هذا ما يشتاق اليه من كان له عقل واعلموا عباد الله انكم اذا اتقيتم ربكم وحفظتم نبيكم فى أهل بيته فقد عبدتموه بافضل ما عبد وذكرتموه بافضل ما ذكر وشكرتموه بافضل ما شكر وأخذتم بافضل الصبر وجاهدتم بافضل الجهاد وان كان غيركم أطول صلاة منكم وأكثر صياما اذا كنتم أتقى لله وأنصح لاولياء الله من آل محمد صلى الله عليه وآله وأخشع واحذروا عباد الله الموت ونزوله وخذوا له فانه يدخل بأمر عظيم خير لا يكون معه شر أبدا أو شر لا يكون معه خير أبدا وليس أحد من الناس يفارق روحه جسده حتى يعلم الى أى المنزلتين يصير الى الجنة أم الى النار أعدو هو لله أم ولى له فان كان وليا فتحت له أبواب الجنة وشرع له طريقها ونظر الى ما أعد الله عز وجل لاوليائه فيها فرغ من كل شغل ووضع عنه كل ثقل وان كان عدو الله فتحت له أبواب النار وسهل له طريقها ونظر الى ما أعد الله فيها لاهلها استقبل كل مكروه وفارق كل سرور قال الله تعالى الذين تتوفاهم الملائكة

ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا ما كنا نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين واعلموا عباد الله أن الموت ليس منه فوت فاحذروه وأعدوا له عدته فانكم طرد الموت ان قمتم أخذكم وان هربتم أدرككم وهو ألزم لكم من ظلكم معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من خلفكم فأكثروا ذكر الموت عندما تنازعكم اليه أنفسكم من الشهوات فانه كفى بالموت واعظا قال رسول الله صلى الله عليه وآله أكثروا ذكر الموت فانه هادم اللذات واعلموا عباد الله أن ما بعد الموت أشد من الموت لمن لم يغفر الله له ويرحمه واحذروا القبر وضمته وضيقه وظلمته فانه الذى يتكلم كل يوم يقول أنا بيت التراب وأنا بيت الغربة وأنا بيت الدود والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار وأن المسلم اذا مات قالت له الارض مرحبا وأهلا قد كنت ممن أحب أن تمشى على ظهرى فاذ وليتك فستعلم كيف صنعى بك فيتسع له مد بصره واذا دفن الكافر قالت له الارض لا مرحبا ولا أهلا قد كنت ممن أبغض ان تمشى على ظهرى فاذ وليتك فستعلم كيف صنعى بك فتنضم عليه حتى تلتقى أضلاعه واعلموا أن المعيشة الضنك التى قال سبحانه فان له معيشة ضنكا هى عذاب القبر وأنه يسلط على الكافر فى قبره حيات عظام تنهش لحمه حتى يبعث لو أن تنينا منها نفخ الارض ما أنبت الزرع أبدا واعلموا عباد الله أن أنفسكم وأجسادكم الرقيقة الناعمة التى يكفيها اليسير من العقاب ضعيفة عن هذا فان استطعتم أن ترحموا أنفسكم وأجسادكم مما لا طاقة لكم به ولا صبر لكم عليه فتعملوا بما أحب الله سبحانه وتتركوا ما كره فافعلوا ولا حول ولا قوة الا بالله واعلموا عباد الله أن ما بعد القبر أشد من القبر يوم يشيب فيه الصغير ويسكر فيه الكبير وتذهل كل مرضعة عما أرضعت واحذروا يوما عبوسا قمطريرا كان شره مستطيرا أما ان شر ذلك اليوم وفزعه استطار حتى فزعت منه الملائكة الذين ليست لهم ذنوب والسبع الشداد والجبال الاوتاد والارضون المهاد وانشقت السماء فهى يومئذ واهية وتغيرت فكانت وردة كالدهان وكانت الجبال سرابا بعدما كانت صما صلابا يقول الله سبحانه ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله فكيف بمن يعصيه بالسمع والبصر واللسان واليد والرجل والفرج والبطن ان لم يغفر الله ويرحم واعلموا عباد الله أن ما بعد ذلك اليوم أشد وأدهى نار قعرها بعيد وحرها شديد وعذابها جديد ومقامعها حديد وشرابها صديد لا يفتر عذابها ولا يموت ساكنها دار ليست لله سبحانه فيها رحمة ولا يسمع فيها دعوة ومع هذا رحمة الله التى وسعت كل شئ لا تعجز عن العباد وجنة عرضها كعرض السماء والارض خير لا يكون معه شر أبدا وشهوة لا تنفد أبدا ولذة لا تفنى أبدا ومجمع لا يتفرق أبدا قوم قد جاوروا الرحمن وقام بين أيديهم الغلمان بصحاف من ذهب فيها الفاكهة والريحان وان أهل الجنة يزورون الجبار سبحانه فى كل جمعة فيكون أقربهم منه على منابر من نور والذين يلونهم على منابر من ياقوت والذين يلونهم على منابر من مسك فبيناهم كذلك ينظرون نور الله جل جلاله وينظر الله فى وجوههم اذ أقبلت سحابة تغشاهم فتمطر عليهم من النعمة واللذة والسرور والبهجة ما لا يعلمه الا الله سبحانه ومع هذا ما هو أفضل منه رضوان الله الاكبر أما انا لو لم نخوف الا ببعض ما خوفنا به لكنا محقوقين ان يشتد خوفنا مما لا طاقة لنا به ولا صبر لقوتنا عليه وان يشتد شوقنا الى ما لا غنى لنا عنه ولا بد لنا منه فان استطعتم عباد الله أن يشتد خوفكم من ربكم فافعلوا فان العبد انما تكون طاعته على قدر خوفه وان أحسن الناس لله طاعة أشدهم له خوفا وانظر يا محمد صلاتك كيف تصليها فانما أنت امام ينبغى لك أن تتمها وان تحفظها بالاركان وان تصليها لوقتها فانه ليس من امام يصلى بقوم فيكون فى صلاته وصلاتهم نقص الا كان اثم ذلك عليه ولا ينقص من صلاتهم شئ واعلم أن كل شئ من عملك يتبع صلاتك فمن ضيع الصلاة فهو لغيرها أشد تضييعا ووضوءك من تمام الصلاة فأت به على وجهه فالوضوء نصف الايمان اسأل الله الذى يرى ولا يرى وهو بالمنظر الاعلى أن يجعلنا واياك ممن يحبه ويرضاه حتى يبعثنا على شكره وذكره وحسن عبادته وأداء حقه وعلى كل شئ اختاره لنا فى دنيانا وديننا وأولانا وأخرانا وأن يجعلنا من المتقين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فان استطعتم يا أهل مصر أن تصدق أقوالكم أفعالكم وأن يتوافق سركم وعلانيتكم ولا تخالف ألسنتكم قلوبكم فافعلوا رحمكم الله وعصمنا واياكم وسلك بنا وبكم المحجة البيضاء واياكم ودعوة الكذاب ابن هند

وتأملوا واعلموا أنه لاسوى امام الهدى وامام الردى ووصي النبي وعدو النبي جعلنا الله وايا كم ممن يحب ويرضى ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول اني لا أخاف على أمتي مؤمنا ولا مشركا اما المؤمن فيمنعه الله بايمانه واما المشرك فيخزيه الله بشركه ولكني أخاف عليهم كل منافق اللسان يقول ما تعرفون ويفعل ما تنكرون واعلم يا محمد أن أفضل الفقه الورع في دين الله والعمل بطاعته فعليك بتقوى الله في سر أمرك وعلانيته أوصيك بسبع هن جوامع الاسلام اخش الله ولا تخش الناس في الله وخير القول ما صدقه العمل ولا تقض في أمر واحد بقضاءين مختلفين فيتناقض أمرك وتزيغ عن الحق وأحب لعامة رعيتك ما تحبه لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك وأصلح أحوال رعيتك وخض الغمرات الى الحق ولا تخف لومة لائم وانصح لمن استشارك واجعل نفسك أسوة لقريب المسلمين وبعيدهم جعل الله خلتنا وودنا خلة المتقين وود المخلصين وجمع بيننا وبينكم في دار الرضوان اخوانا على سرر متقابلين ان شاء الله قال ابراهيم بن سعد الثقفي فحدثني محمد بن عبد الله بن عثمان بن علي بن محمد بن أبي سيف عن أصحابه أن عليا لما كتب الى محمد بن أبي بكر هذا الكتاب كان ينظر فيه ويتأدب بأدبه فلما ظهر عليه عمرو بن العاص وقتله أخذ كتبه أجمع فبعث بها الى معاوية فكان معاوية ينظر في هذا الكتاب ويتعجب منه فقال الوليد بن عقبة وهو عند معاوية وقد رأى اعجابه به مر بهذه الاحاديث أن تحرق فقال معاوية مه لا رأي لك فقال الوليد أفمن الرأي أن يعلم الناس ان أحاديث أبي تراب عندك تتعلم منها قال معاوية ويحك أتأمرني أن أحرق علما مثل هذا والله ما سمعت بعلم هو أجمع منه ولا أحكم فقال الوليد ان كنت تعجب من علمه وقضائه فعلام تقاتله فقال لولا ان أبا تراب قتل عثمان ثم أفتانا لأخذنا عنه ثم سكت هنيهة ثم نظر الى جلسائه فقال انا لا نقول ان هذه من كتب علي بن أبي طالب عليه السلام ولكن نقول هذه من كتب أبي بكر الصديق كانت عند ابنه محمد فنحن تنظر فيها ونأخذ منها قال فلم تزل تلك الكتب في خزائن بني أمية حتى ولي عمر بن عبد العزيز فهو الذي أظهر أنها من أحاديث علي بن أبي طالب عليه السلام وكلامه قلت الاليق أن يكون الكتاب الذي كان معاوية ينظر فيه ويعجب منه ويفتي به ويقضي بقضاياه وأحكامه هو عهد علي عليه السلام الى الاشتر فانه نسيج وحده ومنه تعلم الناس الآداب والقضايا والاحكام والسياسة وهذا العهد صار الى معاوية لما سم الاشتر ومات قبل وصوله الى مصر فكان ينظر فيه ويعجب منه وحقيق مثله أن يقتنى في خزائن الملوك قال ابراهيم فلما بلغ عليا عليه السلام ان ذلك الكتاب صار الى معاوية اشتد عليه حزنا وحدثني بكر بن بكار عن قيس ابن الربيع عن ميسرة بن حبيب عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة قال صلى بنا علي عليه السلام فلما انصرف قال

لقد عثرت عثرة لا أعتذر * سوف أكيس بعدها واستمر * واجمع الامر الشتيت المنتشر

فقلنا ما بالك يا أمير المؤمنين فقال اني استعملت محمد بن أبي بكر على مصر فكتب الي انه لا علم لي بالسنة فكتبت اليه كتابا فيه أدب وسنة فقتل وأخذ الكتاب قال ابراهيم فحدثني عبد الله بن محمد عن ابن أبي سيف المدايني قال فلم يلبث محمد بن أبي بكر شهرا كاملا حتى بعث الى أولئك المعتزلين الذين كان قيس بن سعد موادعا لهم فقال يا هؤلاء اما أن تدخلوا في طاعتنا واما أن تخرجوا من بلادنا فبعثوا اليه انا لا نفعل فدعنا حتى ننظر الى ما يصير اليه أمر الناس فلا تعجل علينا فأبى عليهم فامتنعوا منه وأخذوا حذرهم ثم كانت وقعة صفين وهم لمحمد هائبون فلما أتاهم خبر معاوية وأهل الشام ثم صار الامر الى الحكومة وان عليا وأهل العراق قد قفلوا عن معاوية والشام الى عراقهم اجترؤا على محمد بن أبي بكر وأظهروا المنابذة له فلما رأى محمد ذلك بعث اليهم ابن جهمان البلوي ومعه يزيد بن الحرث الكناني فقاتلاهم فقتلوهما ثم بعث اليهم رجلا من كلب فقتلوه أيضا وخرج معاوية بن حديج من السكاسك يدعو الى الطلب بدم عثمان فأجابه القوم وناس كثير آخرون وفسدت مصر على محمد بن أبي بكر فبلغ عليا توثبهم عليه فقال ما أرى لمصر الا أحد الرجلين صاحبنا الذي عزلناه بالامس يعني قيس بن سعد بن عبادة أو مالك بن الحرث الاشتر وكان علي حين رجع عن صفين رد الأشتر الى عمله بالجزيرة وقال لقيس بن سعد أقم أنت معي على شرطتي حتى نفرغ من أمر هذه الحكومة ثم اخرج الى اذربيجان فكان قيس مقيما على شرطته فلما أن انقضى أمر الحكومة كتب علي الى

الاشتر وهو يومئذ بنصيبين أما بعد فانك ممن أستظهر به على اقامة الدين وأقمع به نخوة الاثيم وأسد به الثغر المخوف وقد كنت وليت محمد بن أبي بكر مصر فخرجت عليه خوارج وهو غلام حدث السن ليس بذي تجربة للحروب فاقدم علي لننظر فيما ينبغي واستخلف على عملك أهل الثقة والنصيحة من أصحابك والسلام فأقبل الاشتر الى علي واستخلف على عمله شبيب بن عامر الأزدي وهو جد الكرماني الذي كان بخراسان صاحب نصر بن سيار فلما دخل الاشتر على علي حدثه حديث مصر وخبره خبر أهلها وقال له ليس لها غيرك فاخرج اليها رحمك الله فاني لا أوصيك اكتفاء برأيك واستعن بالله على ما أهمك واخلط الشدة باللين وارفق ما كان الرفق أبلغ واعتزم على الشدة حين لا يغني عنك الا الشدة فخرج الاشتر من عنده فأتى برحله وأتت معاوية عيونه فاخبروه بولاية الاشتر مصر فعظم ذلك عليه وقد كان طمع في مصر فعلم أن الاشتر ان قدم عليها كان أشد عليه من محمد بن أبي بكر فبعث الى رجل من أهل الخراج يثق به وقال له الاشتر قد ولي مصر فان كفيتنيه لم آخذ منك خراجا ما بقيت وبقيت فاحتل في هلاكه ما قدرت عليه فخرج الاشتر حتى انتهى الى القلزم حيث تركب السفن من مصر الى الحجاز فاقام به فقال له ذلك الرجل وكان ذلك المكان مكانه أيها الامير هذا منزل فيه طعام وعلف وأنا رجل من أهل الخراج فاقم واسترح وأتاه بالطعام حتى اذا طعم سقاه شربة عسل قد جعل فيها سما فلما شربها مات قال ابراهيم وقد كان أمير المؤمنين كتب على يد الاشتر كتابا الى أهل مصر روى ذلك الشعبي عن صعصعة بن صوحان عن عبد الله علي أمير المؤمنين الى من بمصر من المسلمين سلام الله عليكم فاني أحمد الله اليكم الذي لا اله الا هو أما بعد فاني قد بعثت اليكم عبدا من عباد الله لا ينام أيام الخوف ولا ينكل عن الاعداء حذار الدوائر لا نا كل من قدم ولا واه في عزم من أشد عباد الله بأسا وأكرمهم حسبا أضر على الفجار من حريق النار وأبعد الناس من دنس أو عار وهو مالك بن الحرث الاشتر حسام صارم لا نابي الضريبة ولا كليل الحد حليم في السلم رزين في الحرب ذو رأي أصيل وصبر جميل فاسمعوا له وأطيعوا أمره فان أمركم بالنفر فانفروا وان أمركم أن تقيموا فاقيموا فانه لا يقدم ولا يحجم الا بأمري وقد آثرتكم به على نفسي نصيحة لكم وشدة شكيمة على عدوكم عصمكم الله بالهدى وثبتكم بالتقوى ووفقنا واياكم لما يحب ويرضى والسلام عليكم ورحمة الله قال ابراهيم وروى جابر عن الشعبي قال هلك الاشتر حين أتى عقبة أفيق قال ابراهيم وحدثنا وطبة بن العلاء بن المنهال الطوري عن أبيه عن عاصم بن كليب عن أبيه أن عليا لما بعث الاشتر الى مصر واليا عليها وبلغ معاوية خبره بعث رسولا يتبع الاشتر الى مصر وأمره باغتياله فحمل معه مزودين فيهما شراب وصحب الاشتر فاستسقى الاشتر يوما فسقاه من أحدهما ثم استسقى يوما آخر منه فسقاه من الآخر وفيه سم فشربه فمالت عنقه وطلب الرجل ففاتهم قال ابراهيم وحدثنا محرز بن هشام عن جرير بن عبد الحميد عن مغيرة الضبي ان معاوية دس للاشتر مولى لآل عمر فلم يزل المولى يذكر للاشتر فضل علي وبني هاشم حتى اطمأن اليه واستأنس به فقدم الاشتر يوما ثقله أو تقدم ثقله فاستسقى ماء فقال له مولى عمر وهل لك في شربة سويق فسقاه شربة سويق فيها سم فمات وقد كان معاوية قال لاهل الشام لما دس اليه مولى عمر ادعوا على الاشتر فدعوا عليه فلما بلغه موته قال ألا ترون كيف استجيب لكم قال ابراهيم وقد روي من بعض الوجوه ان الاشتر قتل بمصر بعد قتال شديد والصحيح انه سقي سما فمات قبل أن يبلغ مصر قال ابراهيم وحدثنا محمد بن عبد الله بن عثمان عن علي بن محمد بن أبي سيف المدائني ان معاوية أقبل يقول لاهل الشام أيها الناس ان عليا قد وجه الاشتر الى مصر فادعوا الله ان يكفيكموه فكانوا يدعون عليه من دبر كل صلاة وأقبل الذي سقاه السم الى معاوية فاخبره بهلاك الاشتر فقام معاوية في الناس خطيبا فقال أما بعد فانه كان لعلي بن أبي طالب يدان يمينان فقطعت احداهما يوم صفين وهو عمار بن ياسر وقد قطعت الاخرى اليوم وهو مالك الاشتر قال ابراهيم فلما بلغ عليا موت الاشتر قال انا لله وانا اليه راجعون والحمد لله رب العالمين اللهم اني أحتسبه عندك فان موته من مصائب الدهر ثم قال رحم الله مالكا فقد كان وفى بعهده وقضى نحبه ولقي ربه مع انا قد وطنا أنفسنا ان نصبر على كل مصيبة بعد مصابنا برسول الله صلى الله عليه وآله

فانها من أعظم المصيبات قال ابراهيم وحدثنا محمد بن هشام المرادى عن جرير بن عبد الحميد عن مغيرة الضبي قال لم يزل
أمر على شديدا حتى مات الاشتر وكان الاشتر بالكوفة أسود من الاحنف بالبصرة قال ابراهيم وحدثنا محمد بن عبد الله
عن ابن أبي سيف المدائنى عن جماعة من أشياخ النخع قالوا دخلنا على أمير المؤمنين حين بلغه موت الاشتر فوجدناه
يتلهف و يتأسف عليه ثم قال لله در مالك وما مالك لو كان من جبل لكان فندا ولو كان من حجر لكان صلدا أما والله
ليهدن موتك عالما وليفرحن عالما على مثل مالك فليبك البواكى وهل موجود كمالك قال علقمة بن قيس النخعى
فما زال على يتلهف و يتأسف حتى ظننا انه المصاب به دوننا وعرف ذلك فى وجهه أياما قال ابراهيم وحدثنا محمد بن عبد الله
عن المدائنى قال حدثنا مولى للاشتر قال لما هلك الاشتر أصيب فى ثقله رسالة على الى أهل مصر من عبد الله أمير المؤمنين
الى النفر من المسلمين الذين غضبوا لله اذ عصى فى الارض وضرب الجور برواقه على البر والفاجر فلا حق يستراح اليه
ولا منكر يتناهى عنه سلام عليكم فانى أحمد اليكم الله الذى لا اله الا هو أما بعد فقد وجهت اليكم عبدا من عباد الله
لا ينام فى الخوف ولا ينكل من الاعداء حذار الدوائر أشد على الكافرين من حريق النار وهو مالك بن الحرث
الاشتر أخو مذحج فاسمعوا له وأطيعوا فانه سيف من سيوف الله لا نابى الضريبة ولا كليل الحد فان أمركم أن تقيموا
فأقيموا وان أمركم أن تنفروا فانفروا وان أمركم أن تحجموا فاحجموا فانه لا يقدم ولا يحجم الا بأمرى وقد آثرتكم
به على نفسى لنصيحته وشدة شكيمته على عدوه عصمكم الله بالحق وثبتكم بالتقوى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
قال ابراهيم وحدثنا محمد بن عبد الله عن المدائنى عن رجاله ان محمد بن أبي بكر لما بلغه أن عليا قد وجه الاشتر الى مصر
شق عليه فكتب عليه السلام اليه عند مهلك الاشتر أما بعد فقد بلغنى موجدتك من تسريح الاشتر الى عملك ولم أفعل
ذلك استبطاء لك عن الجهاد ولا استزادة لك منى فى الجد ولو نزعت ما حوت يداك من سلطانك لوليتك ما هو أيسر
مؤنة عليك وأعجب ولاية اليك الا ان الرجل الذى كنت وليته مصر كان رجلا لنا مناصحا وهو على عدونا شديد فرحمة
الله عليه فقد استكمل أيامه ولاقى حمامه ونحن عنه راضون فرضى الله عنه وضاعف له الثواب وأحسن له المآب
فأصحر لعدوك وشمر للحرب وادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وأكثر ذكر الله والاستعانة به
والخوف منه يكفك ما أهمك و يعنك على ما ولاك أعاننا الله واياك على ما لا ينال الا برحمته والسلام قال فكتب
محمد بن أبي بكر اليه جوابه الى عبد الله أمير المؤمنين من محمد بن أبي بكر سلام عليك فانى أحمد اليك الله الذى لا اله
الا هو أما بعد فقد انتهى الى كتاب أمير المؤمنين وفهمته وعرفت ما فيه وليس أحد من الناس أشد على عدو أمير
المؤمنين ولا أرأف وأرق لوليه منى وقد خرجت فعسكرت وأمنت الناس الا من نصب لنا حربا وأظهر لنا خلافا وانا
أتبع أمر أمير المؤمنين وحافظ ولاجئ اليه وقائم به والله المستعان على كل حال والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله
وبركاته قال ابراهيم فحدث محمد بن عبد الله بن عثمان عن ابن أبي سيف المدائنى عن أبي جهضم الازدى ان أهل
الشام لما انصرفوا عن صفين كانوا ينتظرون ما يأتى به الحكمان فلما انصرفا وتفرقا بايع أهل الشام معاوية بالخلافة
لم يزدد معاوية الا قوة واختلف أهل العراق على على بن أبي طالب فلم يكن همّ معاوية الا مصر وقد كان لاهلها هائبا
لقربهم منه وشدتهم على من كان على رأى عثمان وقد كان علم أن بها قوما قد ساءهم قتل عثمان وخالفوا عليا مع انه
كان يرجو أن يكون له فيها معاونة اذا ظهر عليها على حرب على عليه السلام لوفور خراجها فدعا من كان معه من قريش
وهم عمرو بن العاص السهمى وحبيب بن مسلمة الفهرى وبسر بن ارطاة العامرى والضحاك بن قيس الفهرى وعبد
الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومى ودعا غير قريش نحو شرحبيل بن السمط الحميرى وأبا الاعور السلمى وحمزة بن مالك
الهمدانى فقال أتدرون لماذا دعوتكم قالوا لا قال فانى دعوتكم لامر هو لى مهم وأرجو أن يكون الله عز وجل قد أعان
عليه فقال له القوم أو من قال له منهم ان الله لم يطلع على غيبه أحدا ولسنا ندرى ما تريد فقال عمرو بن العاص أرى والله
أن أمر هذه البلاد المصرية لكثرة خراجها وعدد أهلها قد أهمك فدعوتنا تسألنا عن رأينا فى ذلك فان
كنت لذلك دعوتنا وله جمعتنا فاعزم واصرم ونعم الرأى ما رأيت ان فى افتتاحها عزك وعز أصحابك وذل عدوك

وكبت

وكبت أهل الخلاف عليك قال معاوية أهمك ما أهمك يا ابن العاص وذلك ان عمرا كان بايع معاوية على قتال على وان
مصر له طعمة ما بقى فأقبل معاوية على أصحابه وقال ان هذا يعنى ابن العاص قد ظن وحقق ظنه قالوا ولكنا لا ندرى
ولعل أبا عبد الله قد أصاب فقال عمرو وأنا أبو عبد الله ان أفضل الظنون ما شابه اليقين ثم ان معاوية حمد الله وأثنى
عليه ثم قال أما بعد فقد رأيتم كيف صنع الله لكم فى حربكم هذه على عدوكم ولقد جاؤكم وهم لا يشكون انهم يستأصلون
بيضتكم ويحوضون بلادكم ما كانوا يرون الا أنكم فى أيديهم فردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال
وكفاكم مؤنتهم وحاكمتموهم الى الله فحكم لكم عليهم ثم جمع كلمتنا وأصلح ذات بيننا وجعلهم أعداء متفرقين
يشهد بعضهم على بعض بالكفر ويسفك بعضهم دم بعض والله انى لارجو أن يتم الله لنا هذا الامر وقد رأيت أن
أحاول حرب مصر فماذا ترون فقال عمرو بن العاص قد أخبرتك عما سألت وأشرت عليك بما سمعت فقال معاوية
ما ترون فقالوا نرى ما رأى عمرو بن العاص فقال معاوية ان عمرا قد عزم وصرم بما قال ولم يفسر كيف ينبغى أن نصنع
قال عمرو فانى مشير عليك بما تصنع أرى أن تبعث جيشا كثيفا عليهم رجل صارم تأمنه وتثق به فيأتى مصر فيدخلها
فانه سيأتينا من كان على مثل رأينا من أهلها فنظاهره على من كان من عدونا فان اجتمع بها جندك ومن كان بها
من شيعتك على من بها من أهل حربك رجوت الله أن يعز نصرك ويظهر فلجك فقال معاوية هل عندك شئ غير هذا
نعمله فيما بيننا وبينهم قبل هذا قال ما أعلمه قال معاوية فان رأيى غير هذا أرى أن نكاتب من كان بها من شيعتنا ومن
كان بها من عدونا فاما شيعتنا فنأمرهم بالثبات على أمرهم ونمنيهم قدومنا عليهم وأما من كان بها من عدونا فندعوهم
الى صلحنا ونمنيهم شكرنا ونخوفهم حربنا فان صلح لنا ما قبلهم من غير حرب ولا قتال فذاك ما أحببنا والا فحربهم
من وراء ذلك انك يا ابن العاص لامرؤ بورك لك فى العجلة وبورك لى فى التؤدة قال عمرو فاعمل بما أراك الله
فوالله ما أرى أمرك وأمرهم يصير الا الى الحرب العوان قال فكتب معاوية عند ذلك الى مسلمة بن مخلد الانصارى
والى معاوية بن حديج الكندى وكانا قد خالفا عليا أما بعد فان الله عز وجل قد ابتعثكما لامر عظيم أعظم به أجركما
ورفع درجتكما ومرتبتكما فى المسلمين طلبتما بدم الخليفة المظلوم وغضبتما لله اذ ترك حكم الكتاب وجاهدتما أهل
الظلم والعدوان فابشروا برضوان الله وعاجل نصرة أولياء الله فالمواساة لكما فى دار الدنيا وسلطاننا حتى ينتهى
ذلك الى ما يرضيكما ويؤدى به حقكما فالزما أمركما وجاهدا عدوكما وادعوا المدبرين منكما الى هداكما فكأن
الجيش قد أظل عليكما فاندفع كل ما تكرهان ودام كل ما تهويان والسلام عليكما ورحمة الله وبعث بالكتاب مع مولى له
يقال له سبيع فخرج بكتابه حتى قدم به عليهما بمصر ومحمد بن أبي بكر يومئذ أميرها قد ناصبه هؤلاء النفر الحرب وهم
هائبون الاقدام عليه فدفع الكتاب الى مسلمة بن مخلد فقرأه فقال الق به معاوية بن حديج ثم القنى به حتى أجيب
عنى وعنه فانطلق الرسول بكتاب معاوية فاقرأه اياه ثم قال له ان مسلمة قد أمرنى أن أرد الكتاب اليه لكى يجيب عنك
وعنه قال قل له فليفعل فأتى مسلمة بالكتاب فكتب الجواب عنه وعن معاوية بن حديج أما بعد فان هذا الامر
الذى قد ندبنا له أنفسنا وابتغينا الله به على عدونا أمر نرجو به ثواب ربنا والنصر على من خالفنا وتعجيل النقمة على
من سعى على امامنا وطأطأ الركض فى مهادنا ونحن بهذا الارض قد نفينا من كان بها من أهل البغى وأنهضنا من كان
بها من أهل القسط والعدل وقد ذكرت موازرتك فى سلطانك وذات يدك وبالله انه لا من أجل مال نهضنا ولا اياه
أردنا فان يجمع الله لنا ما نريد وتطلب أو يريناما تمنينا فان الدنيا والآخرة لله رب العالمين وقد يؤتيهما الله جميعا عالما
من خلقه كما قال فى كتابه فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين عجل الينا بخيلك ورجلك
فان عدونا قد كان علينا حربا وكنا عليهم قليلا وقد أصبحوا لنا هائبين وأصبحنا لهم منابذين فان يأتنا مدد من قبلك
يفتح الله عليك ولا قوة الا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل قال فجاء هذا الكتاب معاوية وهو يومئذ بفلسطين فدعا النفر
الذين سميناهم من قريش وغيرهم واقرأهم الكتاب وقال لهم ماذا ترون قالوا نرى ان تبعث اليهم جيشا من قبلك
فانك مفتتحها ان شاء الله باذن الله قال معاوية فتجهز اليها يا أبا عبد الله يعنى عمرو بن العاص فبعثه فى ستة آلاف

فخرج يسير وخرج معه معاوية يودعه فقال له معاوية عند وداعه اياه أوصيك بتقوى الله ياعمرو وبالرفق فانه يمن وبالتؤدة فان العجلة من الشيطان وبان تقبل من أقبل وتعفو عمن أدبر أنظره فان تاب وأناب قبلت منه وان أبى فان السطوة بعد المعرفة أبلغ فى الحجة وأحسن فى العاقبة وادع الناس الى الصلح والجماعة فان أنت ظفرت فليكن أنصارك أبر الناس عندك وكل الناس فاول حسنا قال فسار عمرو فى الجيش حتى دنا من مصر فاجتمعت اليه العثمانية فاقام وكتب الى محمد بن أبى بكر أما بعد فتنح عنى بدمك يا ابن أبى بكر فانى لا أحب أن يصيبك منى ظفر وان الناس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك ورفض أمرك وندموا على اتباعك وهم مسلموك لو قد التقت حلقتا البطان فاخرج منها فانى لك من الناصحين والسلام قال وبعث عمرو الى محمد مع هذا الكتاب كتاب معاوية اليه وهو أما بعد فان غب الظلم والبغى عظيم الوبال وان سفك الدم الحرام لا يسلم صاحبه من النقمة فى الدنيا والتبعة الموبقة فى الآخرة وما نعلم أحدا كان أعظم على عثمان بغيا ولا أسوأ له عيبا ولا أشد عليه خلافا منك سعيت عليه فى الساعين وساعدت عليه مع المساعدين وسفكت دمه مع السافكين ثم تظن انى نائم عنك فتأتى بلدة فتأمن فيها وجل أهلها أنصارى يرون رأيى و يرفضون قولك و يستصرخونى عليك وقد بعثت اليك قوما حناقا عليك يسفكون دمك و يتقربون الى الله عز وجل بجهادك وقد أعطوا الله عهدا ليقتلنك ولو لم يكن منهم اليك ما قالوا لقتلك الله بايديهم أو بايدى غيرهم من أوليائه وأنا أحذرك وأنذرك فان الله مقيد منك ومقتص لوليه وخليفته بظلمك له و بغيك عليه ووقيعتك فيه وعدوانك يوم الدار عليه تطعن بمشاقصك فيما بين احشائه وأوداجه ومع هذا فانى أكره قتلك ولا أحب أن أتولى ذلك منك ولن يسلمك الله من النقمة أين كنت أبدا فتنح وانج بنفسك والسلام قال فطوى محمد بن أبى بكر كتابيهما و بعث بهما الى على عليه السلام وكتب اليه أما بعد يا أمير المؤمنين فان العاصى بن العاصى قد نزل أدانى مصر واجتمع اليه من أهل البلد من كان يرى رأيهم وهو فى جيش جرار وقد رأيت ممن قبلى بعض الفشل فان كان لك فى أرض مصر حاجة فامددنى بالاموال والرجال والسلام عليك ورحمة الله وبركاته قال على فكتب اليه أما بعد فقد أتانى رسولك بكتابك تذكر ان ابن العاص قد نزل أدانى مصر فى جيش جرار وان من كان على مثل رأيه قد خرج اليه وخروج من كان يرى رأيه خير لك من اقامته عندك وذكرت أنك قد رأيت ممن قبلك فشلا فلا تفشل وان فشلوا حصن قريتك واضمم اليك شيعتك وأذك الحرس فى عسكرك واندب الى القوم كنانة بن بشر المعروف بالنصيحة والتجربة والباس وأنا نادب اليك الناس على الصعب والذلول فاصبر لعدوك وامض على بصيرتك وقاتلهم على نيتك وجاهدهم محتسبا لله سبحانه وان كانت فئتك أقل الفئتين فان الله تعالى يعين القليل ويخذل الكثير وقد قرأت كتاب الفاجرين المتحابين على المعصية والمتلائمين على الضلالة والمرتشين على الحكومة والمتكبرين على أهل الدين الذين استمتعوا بخلاقهم كما استمتع الذين من قبلهم بخلاقهم فلا يضرنك ارعادهما وابراقهما وأجبهما ان كنت لم تجبهما بما هما أهله فانك تجد مقالا ما شئت والسلام قال فكتب محمد بن أبى بكر الى معاوية جواب كتابه أما بعد فقد أتانى كتابك تذكر من أمر عثمان أمرا لا أعتذر اليك منه وتأمرنى بالتنحى عنك كأنك لى ناصح وتخوفنى بالحرب كأنك على شفيق وأنا أرجو أن تكون الدائرة عليكم وان يهلككم الله فى الوقعة وأن ينزل بكم الذل وان تولوا الدبر فان يكن لكم الامر فى الدنيا فكم وكم لعمرى من ظالم قد نصرتم وكم من مؤمن قد قتلتم ومثلتم به والى الله المصير واليه ترد الامور وهو أرحم الراحمين والله المستعان على ما تصفون قال وكتب محمد بن أبى بكر الى عمرو بن العاص جواب كتابه أما بعد فهمت كتابك وعلمت ما ذكرت زعمت انك تكره أن يصيبنى منك ظفر فأشهد بالله انك لمن المبطلين وزعمت أنك ناصح لى وأقسم انك عندى ظنين وقد زعمت أن أهل البلد قد رفضونى وندموا على اتباعى فاولئك حزبك وحزب الشيطان الرجيم وحسبنا الله رب العالمين ونعم الوكيل وتوكلت على الله العزيز الرحيم رب العرش العظيم قال ابراهيم فحدثنا محمد بن عبد الله عن المدائنى قال فاقبل عمرو بن العاص يقصد قصد مصر فقام محمد بن أبى بكر فى الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد يا معاشر المؤمنين فان القوم الذين

كانوا

كانوا ينتهكون الحرمة و يغشون أرض الضلالة و يستطيلون بالجبرية قد نصبوا لكم العداوة وساروا اليكم بالجنود فمن أراد الجنة والمغفرة فليخرج الى هؤلاء القوم فليجاهدهم فى الله انتدبوا رحمكم الله مع كنانة بن بشر ثم ندب معه نحو ألفى رجل وتخلف محمد فى ألفين واستقبل عمرو بن العاص كنانة وهو على مقدمة محمد فلما دنا عمرو من كنانة سرح اليه الكتائب كتيبة بعد كتيبة فلم تأته من كتائب الشام كتيبة الا شد عليها بمن معه فيضربها حتى يلحقها بعمرو ففعل ذلك مرارا فلما رأى عمرو ذلك بعث الى معاوية بن حديج الكندى فاتاه فى مثل الدهم فلما رأى كنانة ذلك الجيش نزل عن فرسه ونزل معه أصحابه فضاربهم بسيفه وهو يقول وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا فلم يزل يضاربهم بالسيف حتى استشهد رحمه الله قال ابراهيم حدثنا محمد بن عبد الله عن المدائنى عن محمد بن يوسف أن عمرو بن العاص لما قتل كنانة أقبل نحو محمد بن أبى بكر وقد تفرق عنه أصحابه فخرج محمد متمهلا فمضى فى طريقه حتى انتهى الى خربة فآوى اليها وجاء عمرو بن العاص حتى دخل الفسطاط وخرج معاوية بن حديج فى طلب محمد حتى انتهى الى علوج على قارعة الطريق فسألهم هل مر بهم أحد ينكرونه قالوا لا قال أحدهم انى دخلت تلك الخربة فاذا أنا برجل جالس قال ابن حديج هو هو ورب الكعبة فانطلقوا يركضون حتى دخلوا على محمد فاستخرجوه وقد كاد يموت عطشا فاقبلوا به نحو الفسطاط قال ووثب أخوه عبد الرحمن بن أبى بكر الى عمرو بن العاص وكان فى جنده فقال لا والله لا يقتل أخى صبرا ابعث الى معاوية بن حديج فانهه فارسل عمرو بن العاص أن ائتنى بمحمد فقال معاوية أقتلتم كنانة بن بشر ابن عمى وأخلى عن محمد هيهات أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة فى الزبر فقال محمد اسقونى قطرة من الماء فقال له معاوية بن حديج لا سقانى الله ان سقيتك قطرة أبدا انكم منعتم عثمان أن يشرب الماء حتى قتلتموه صائما محرما فسقاه الله من الرحيق المختوم والله لأقتلنك يا ابن أبى بكر وأنت ظمآن و يسقيك الله من الحميم والغسلين فقال له محمد يا ابن اليهودية النساجة ليس ذلك اليوم اليك ولا الى عثمان انما ذلك الى الله يسقى أولياءه و يظمئ أعداءه وهم أنت وقرناؤك ومن تولاك وتوليته والله لو كان سيفى فى يدى ما بلغتم منى ما بلغتم فقال له معاوية بن حديج أتدرى ما أصنع بك أدخلك جوف هذا الحمار الميت ثم أحرقه عليك بالنار قال محمد ان فعلتم ذاك بى فطالما فعلتم ذاك باولياء الله وايم الله انى لأرجو أن يجعل الله هذه النار التى تخوفنى بها بردا وسلاما كما جعلها الله على ابراهيم خليله وأن يجعلها عليك وعلى أوليائك كما جعلها على نمرود وأوليائه وانى لأرجو أن يحرقك الله وامامك معاوية وهذا وأشار الى عمرو بن العاص بنار تلظى كلما خبت زادها الله عليكم سعيرا فقال له معاوية بن حديج انى لا اقتلك ظلما انما أقتلك بعثمان بن عفان قال محمد وما أنت وعثمان رجل عمل بالجور وبدل حكم الله والقرآن وقد قال الله عز وجل ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون فاولئك هم الظالمون وأولئك هم الفاسقون فنقمنا عليه أشياء عملها فاردناه أن يخلع نفسه من الخلافة علينا فلم يفعل فقتله من قتله من الناس فغضب معاوية بن حديج فقدمه فضرب عنقه ثم ألقاه فى جوف حمار وأحرقه بالنار فلما بلغ ذلك عائشة جزعت عليه جزعا شديدا وقنتت فى دبر كل صلاة تدعو على معاوية بن أبى سفيان وعمرو بن العاص ومعاوية بن حديج وقبضت عيال محمد أخيها وولده اليها فكان القاسم بن محمد من عيالها قال وكان ابن حديج ملعونا خبيثا يسب على بن أبى طالب عليه السلام قال ابراهيم وحدثنى عمرو بن حماد بن طلحة القناد عن على بن هاشم عن أبيه عن داود بن أبى عوف قال دخل معاوية بن حديج على الحسن بن على فى مسجد المدينة فقال له الحسن ويلك يا معاوية أنت الذى تسب أمير المؤمنين عليا عليه السلام أما والله لئن رأيته يوم القيامة وما أظنك تراه لترينه كاشفا عن ساق يضرب وجوه أمثالك عن الحوض ضرب غرائب الابل قال ابراهيم وحدثنى محمد بن عبد الله بن عثمان عن المدائنى عن عبد الملك بن عمير عن عبد الله بن شداد قال حلفت عائشة الا تأكل شواء أبدا بعد قتل محمد فلم تأكل شواء حتى لحقت بالله وما عثرت قط الا قالت تعس معاوية بن أبى سفيان وعمرو بن العاص ومعاوية بن حديج قال ابراهيم وقد روى هاشم أن أسماء بنت عميس لما جاءها نعى محمد ابنها وما صنع به قامت الى مسجدها وكظمت غيظها حتى تشخبت دما قال ابراهيم وروى ابن عائشة التيمى عن رجاله

عن كثير النواء ان أبابكر خرج في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله في غزاة فرأت أسماء بنت عميس وهي تحته كأن أبابكر مخضب بالحناء رأسه ولحيته وعليه ثياب بيض فجاءت الى عائشة فاخبرتها فقالت ان صدقت رؤياك فقد قتل أبو بكر ان خضابه الدم وان ثيابه أكفانه ثم بكت فدخل النبي صلى الله عليه وآله وهي كذلك فقال ما أبكاها فقالوا يارسول الله ما أبكاها أحد ولكن اسماء ذكرت رؤيا رأتها لأبي بكر فاخبر النبي صلى الله عليه وآله فقال ليس كما عبرت عائشة ولكن يرجع أبو بكر صالحا فيلقى أسماء فتحمل منه بغلام فتسميه محمدا يجعله الله غيظا على الكافرين والمنافقين قال فكان كما أخبر قال ابراهيم حدثنا محمد بن عبد الله عن المدائني قال فكتب عمرو بن العاص الى معاوية بن أبي سفيان عند قتل محمد بن أبي بكر وكنانة بن بشر أما بعد فانا لقينا محمد بن أبي بكر وكنانة بن بشر في جموع من أهل مصر فدعوناهم الى الكتاب والسنة فعصوا الحق فتهولوا في الضلال فجاهدناهم فاستنصرنا الله جل وعز عليهم فضرب الله وجوههم وأدبارهم ومنحنا أكتافهم فقتل محمد بن أبي بكر وكنانة بن بشر والحمد لله رب العالمين قال ابراهيم وحدثني محمد بن عبد الله عن المدائني عن الحرث بن كعب بن عبد الله بن قعين عن حبيب بن عبد الله قال والله اني لعند علي جالس اذ جاءه عبد الله بن قعين وكعب بن عبد الله من قبل محمد بن أبي بكر يستصرخه قبل الوقعة فقام علي فنادى في الناس الصلاة جامعة فاجتمع الناس فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وذكر رسول الله صلى الله عليه وآله فصلى عليه ثم قال أما بعد فهذا صريخ محمد بن أبي بكر واخوانكم من أهل مصر قد سار اليهم ابن النابغة عدو الله وعدو من والاه وولي من عادى الله فلا يكونن أهل الضلال الى باطلهم والركون الى سبيل الطاغوت أشد اجتماعا على باطلهم وضلالتهم منكم على حقكم فكأنكم بهم وقد بدؤكم واخوانكم بالغزو فاعجلوا اليهم بالمواساة والنصر عباد الله ان مصر أعظم من الشام وخير أهلا فلا تغلبوا على مصر فان بقاء مصر في أيديكم عز لكم وكبت لعدوكم أخرجوا الى الجرعة قال والجرعة بين الحيرة والكوفة لنتوافى هناك كلنا غدا ان شاء الله قال فلما كان الغد خرج يمشي فنزلها بكرة فأقام بها حتى انتصف النهار فلم يوافه مائة رجل فرجع فلما كان العشي بعث الى الاشراف فجمعهم فدخلوا عليه القصر وهو كئيب حزين فقال الحمد لله على ما قضى من أمر وقدر من فعل وابتلاني بكم أيها الفرقة التي لا تطيع اذا أمرتها ولا تجيب اذا دعوتها الا أبا لغيركم ماذا تنتظرون بنصركم والجهاد على حقكم الموت خير من الذل في هذه الدنيا لغير الحق والله ان جاءني الموت وليأتيني لتجدنني لصحبتكم جد قال ألا دين يجمعكم ألا حمية تغضبكم ألا تسمعون بعدوكم ينتقص بلادكم ويشن الغارة عليكم أو ليس عجبا أن معاوية يدعو الجفاة الطغام الظلمة فيتبعونه على غير عطاء ولا معونة ويجيبونه في السنة المرة والمرتين والثلاث الى أي وجه شاء ثم أنا أدعوكم وأنتم أولو النهى وبقية الناس تختلفون وتفترقون عني وتعصونني وتخالفون علي فقام اليه مالك بن كعب الارحبي فقال يا أمير المؤمنين اندب الناس معي فانه لا عطر بعد عروس وان الاجر لا يأتي الا بالكره ثم التفت الى الناس وقال اتقوا الله وأجيبوا دعوة امامكم وانصروا دعوته وقاتلوا عدوكم أنا أسير اليهم يا أمير المؤمنين فأمر علي سعدا مولاه أن ينادي بالناس ألا سيروا مع مالك بن كعب الى مصر وكان وجها مكروها فلم يجتمعوا اليه شهرا فلما اجتمع له منهم ما اجتمع خرج بهم مالك بن كعب فعسكر بظاهر الكوفة وخرج معه علي فنظر فاذا جميع من خرج نحو من ألفين فقال علي سيروا والله ما أنتم اخالكم تدركون القوم حتى ينقضي أمرهم فخرج مالك بهم وسار خمس ليال وقدم الحجاج بن غزية الانصاري على علي وقدم عليه ابن عبد الرحمن بن المسيب الفزاري من الشام فاما الفزاري فكان عينا لعلي عليه السلام بالشام لا ينام وأما الانصاري فكان مع محمد بن أبي بكر فحدثه الانصاري بما عاين وشاهد وأخبره بهلاك محمد وأخبره الفزاري انه لم يخرج من الشام حتى قدمت البشرى من قبل عمرو بن العاص يتبع بعضها بعضا بفتح مصر وقتل محمد بن أبي بكر وحتى أذن معاوية بقتله على المنبر وقال يا أمير المؤمنين ما رأيت يوما قط سرورا مثل سرور رأيته بالشام حين أتاهم قتل محمد بن أبي بكر فقال علي أما ان حزننا على قتله على قدر سرورهم به لا بل يزيد أضعافا قال فسرح علي عبد الرحمن بن شريح الى مالك بن كعب فطرده من الطريق قال وحزن علي على محمد بن أبي بكر حتى رؤي ذلك فيه وتبين في وجهه وقام في الناس خطيبا فحمد الله

وأثنى عليه ثم قال ألا وان مصر قد افتتحها الفجرة أولياء الجور والظلم الذين صدوا عن سبيل الله وبغوا الاسلام عوجا ألا وان محمد بن أبي بكر قد استشهد رحمة الله عليه وعند الله نحتسبه أما والله لقد كان ما علمت ينتظر القضاء ويعمل للجزاء ويبغض شكل الفاجر ويحب سمت المؤمن اني والله لا ألوم نفسي على تقصير ولا عجز واني بمقاساة الحرب لجد بصير اني لأقدم على الحرب وأعرف وجه الحزم وأقوم بالرأي المصيب فاستصرخكم معلنا وأناديكم مستغيثا فلا تسمعون لي قولا ولا تطيعون لي أمرا حتى تصير الامور الى عواقب المساءة وأنتم القوم لا يدرك بكم الثار ولا تنقض بكم الاوتار دعوتكم الى غياث اخوانكم منذ بضع وخمسين ليلة فجرجرتم على جرجرة الجمل الاشر وتثاقلتم الى الارض تثاقل من لا نية له في الجهاد ولا رأي له في الاكتساب للاجر ثم خرج الي منكم جنيد متذائب ضعيف كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون فأف لكم ثم نزل فدخل رحله قال ابراهيم فحدثنا محمد بن عبد الله عن المدائني قال كتب علي الى عبد الله بن عباس وهو على البصرة من عبد الله علي أمير المؤمنين عليه السلام الى عبد الله بن عباس سلام عليك ورحمة الله وبركاته أما بعد فان مصر قد افتتحت وقد استشهد محمد بن أبي بكر فعند الله عز وجل نحتسبه وقد كنت كتبت الى الناس وتقدمت اليهم في بدء الامر وأمرتهم باغاثته قبل الوقعة ودعوتهم سرا وجهرا وعودا وبدأ فمنهم الآتي كارها ومنهم المتعلل كاذبا ومنهم القاعد خاذلا أسأل الله أن يجعل لي منهم فرجا وأن يريحني منهم عاجلا فوالله لولا طمعي عند لقاء عدوي في الشهادة وتوطيني نفسي عند ذلك لأحببت أن لا أبقى مع هؤلاء يوما واحدا عزم الله لنا ولك على تقواه وهداه انه على كل شيء قدير والسلام عليك ورحمة الله وبركاته قال فكتب اليه عبد الله بن عباس لعبد الله علي أمير المؤمنين من عبد الله بن عباس سلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر فيه افتتاح مصر وهلاك محمد بن أبي بكر وانك سألت الله ربك أن يجعل لك من رعيتك التي ابتليت بها فرجا ومخرجا وأنا أسأل الله أن يعلي كلمتك وان يغشيك بالملائكة عاجلا واعلم أن الله صانع لك ومعز دعوتك وكابت عدوك وأخبرك يا أمير المؤمنين أن الناس ربما تباطؤا ثم نشطوا فارفق بهم يا أمير المؤمنين ودارهم ومنهم واستعن بالله عليهم كفاك الله الهم والسلام عليك ورحمة الله وبركاته قال ابراهيم وروى عن المدائني ان عبد الله بن عباس قدم من البصرة على علي معزيا عن محمد بن أبي بكر وروى المدائني ان عليا قال رحم الله محمدا كان غلاما حدثا لقد كنت أردت ان أولي المرقال هاشم بن عتبة مصرا فانه والله لو وليها لما خلى لابن العاص وأعوانه العرصة ولا قتل الا وسيفه في يده بلا ذم لمحمد فلقد أجهد نفسه فقضى ما عليه قال المدائني وقيل لعلي عليه السلام لقد جزعت على محمد بن أبي بكر يا أمير المؤمنين جزعا شديدا فقال وما يمنعني انه كان لي ربيبا وكان لبني أخا وكنت له والدا أعده ولدا وروى ابراهيم عن رجاله عن عبد الرحمن بن جندب عن أبيه قال خطب علي عليه السلام بعد فتح مصر وقتل محمد بن أبي بكر فقال أما بعد فان الله بعث محمدا نذيرا للعالمين وأمينا على التنزيل وشهيدا على هذه الامة وأنتم معاشر العرب يومئذ على شر دين وفي شر دار منيخون على حجارة خشن وحيات صم وشوك مبثوث في البلاد تشربون الماء الخبيث وتأكلون الطعام الخبيث تسفكون دماءكم وتقتلون أولادكم وتقطعون أرحامكم وتأكلون أموالكم بينكم بالباطل سبلكم خائفة والاصنام فيكم منصوبة ولا يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون فمن الله عز وجل عليكم بمحمد فبعثه اليكم رسولا من أنفسكم فعلمكم الكتاب والحكمة والفرائض والسنن وأمركم بصلة أرحامكم وحقن دمائكم وصلاح ذات البين وأن تؤدوا الامانات الى أهلها وان توفوا بالعهد ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وان تعاطفوا وتباروا وتباذلوا وتراحموا ونهاكم عن التناهب والتظالم والتحاسد والتباغي والتقاذف وعن شرب الخمر وبخس المكيال ونقص الميزان وتقدم اليكم فيما يتلى عليكم أن لا تزنوا ولا تربوا ولا تأكلوا أموال اليتامى ظلما وان تؤدوا الامانات الى أهلها ولا تعثوا في الارض مفسدين ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وكل خير يدني الى الجنة ويباعد عن النار أمركم به وكل شر يدني الى النار ويباعد عن الجنة نهاكم عنه فلما استكمل مدته توفاه الله اليه سعيدا حميدا فيالها مصيبة خصت الاقربين وعمت المسلمين ما أصيبوا قبلها بمثلها ولن يعاينوا بعدها أختها فلما مضى لسبيله صلى الله عليه وآله تنازع المسلمون الامر

بعده فوالله ما كان يلقى فى روعى ولا يخطر على بالى ان العرب تعدل هذا الامر بعد محمد عن أهل بيته ولا أنهم منحوه
عنى من بعده فما راعنى الا انثيال الناس على أبى بكر واجفالهم اليه ليبايعوه فامسكت يدى ورأيت أنى أحق بمقام
محمد صلى الله عليه وآله فى الناس ممن تولى الامر من بعده فلبثت بذلك ماشاء الله حتى رأيت راجعة من الناس
رجعت عن الاسلام يدعون الى محق دين الله وملة محمد صلى الله عليه وآله فخشيت ان لم أنصر الاسلام وأهله ان
أرى فيه ثلما وهدما يكون المصاب بهما على أعظم من فوات ولاية أموركم التى انما هى متاع أيام قلائل ثم يزول ما كان
منها كما يزول السراب وكما يتقشع السحاب فمشيت عند ذلك الى أبى بكر فبايعته ونهضت فى تلك الاحداث حتى
زاغ الباطل وزهق وكانت كلمة الله هى العليا ولو كره الكافرون فتولى أبو بكر تلك الامور فيسر وسدد وقارب واقتصد
وصحبته مناصحا وأطعته فيما أطاع الله فيه جاهدا وما طمعت أن لو حدث به حادث وأنا حى ان يرد الى الامر الذى
نازعته فيه طمع مستيقن ولا يئست منه يأس من لا يرجوه ولولا خاصة ما كان بينه وبين عمر لظننت انه لا يدفعها
عنى فلما احتضر بعث الى عمر فولاه فسمعنا وأطعنا وناصحنا وتولى عمر الامر فكان مرضى السيرة ميمون النقيبة
حتى اذا احتضر قلت فى نفسى لن يعدلها عنى ليس بدافعها عنى فجعلنى سادس ستة فما كانوا لولاية أحد منهم أشد
كراهة لولايتى عليهم كانوا يسمعون عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله لجاج أبى بكر وأقول يامعشر قريش انا أهل
البيت أحق بهذا الامر منكم ما كان فينا من يقرأ القرآن ويعرف السنة ويدين بدين الحق فخشى القوم ان أنا وليت
عليهم أن لا يكون لهم من الامر نصيب ما بقوا فاجمعوا اجماعا واحدا فصرفوا الولاية الى عثمان وأخرجونى منها رجاء
ان ينالوها ويتداولوها اذ يئسوا أن ينالوها من قبلى ثم قالوا هلم فبايع والا جاهدناك فبايعت مستكرها وصبرت محتسبا
فقال قائلهم يا ابن أبى طالب انك على هذا الامر لحريص فقلت أنتم أحرص منى وأبعد أينا أحرص أنا الذى طلبت ميراثى
وحقى الذى جعلنى الله ورسوله أولى به أم أنتم اذ تضربون وجهى دونه وتحولون بينى وبينه فبهتوا والله لا يهدى القوم
الظالمين اللهم انى أستعديك على قريش فانهم قطعوا رحمى وأضاعوا ايامى وصغروا عظيم منزلتى وأجمعوا على منازعتى
حقا كنت أولى به منهم فسلبونيه ثم قالوا الا ان فى الحق أن تأخذه وفى الحق أن تمنعه فاصبر كمدا أو مت أسفا حنقا
فنظرت فاذا ليس معى رافد ولا ذاب ولا ناصر ولا مساعد الا أهل بيتى فضننت بهم عن المنية فأغضيت على القذى
وتجرعت ريقى على الشجى وصبرت من كظم الغيظ على أمر من العلقم وآلم للقلب من حز الشفار حتى اذا نقمتم على
عثمان أتيتموه فقتلتموه ثم جئتمونى لتبايعونى فأبيت عليكم وأمسكت يدى فنازعتمونى ودافعتمونى وبسطتم
يدى فكففتها ومددتموها فقبضتها وازدحمتم على حتى ظننت أن بعضكم قاتل بعضكم أو أنكم قاتلى فقلتم بايعنا لا نجد
غيرك ولا نرضى الا بك بايعنا لا نفترق ولا تختلف كلمتنا فبايعتكم ودعوت الناس الى بيعتى فمن بايع طوعا قبلته ومن أبى
لم أكرهه وتركته فبايعنى فيمن بايعنى طلحة والزبير ولو أبيا ما أكرهتهما كما لم أكره غيرهما فما لبثنا الا يسيرا حتى بلغنى
انهما قد خرجا من مكة متوجهين الى البصرة فى جيش ما منهم رجل الا قد أعطانى الطاعة وسمح لى بالبيعة فقدما على
عاملى وخزان بيت مالى وعلى أهل مصرى الذين كلهم على بيعتى وفى طاعتى فشتتوا كلمتهم وأفسدوا جماعتهم ثم وثبوا
على شيعتى من المسلمين فقتلوا طائفة منهم غدرا وطائفة صبرا ومنهم طائفة غضبوا لله ولى فشهروا اسيوفهم وضربوا بها
حتى لقوا الله عز وجل صادقين فوالله لو لم يصيبوا منهم الا رجلا واحدا متعمدين لقتله لحل لى به قتل ذلك الجيش
باسره فدع ما أنهم قد قتلوا من المسلمين أكثر من العدة التى دخلوا بها عليهم وقد أدال الله منهم فبعدا للقوم الظالمين
ثم انى نظرت فى أمر أهل الشام فاذا أعراب أحزاب وأهل طمع جفاة طغاة يجتمعون من كل أوب من كان ينبغى
أن يؤدب وأن يولى عليه ويؤخذ على يده ليسوا من الأنصار ولا المهاجرين ولا التابعين باحسان فسرت اليهم فدعوتهم
الى الطاعة والجماعة فأبوا الا شقاقا وفراقا ونهضوا فى وجوه المسلمين ينضحونهم بالنبل ويشجرونهم بالرماح فهناك
نهدت اليهم بالمسلمين فقاتلتهم فلما عضهم السلاح ووجدوا ألم الجراح رفعوا المصاحف يدعونكم الى ما فيها فأنبأتكم
أنهم ليسوا بأهل دين ولا قرآن وأنهم رفعوها مكيدة وخديعة ووهنا وضعفا فامضوا على حقكم وقتالكم فأبيتم على

وقلتم اقبل منهم فان أجابوا الى ما فى الكتاب جامعونا على ما نحن عليه من الحق وان أبوا كان أعظم لحجتنا عليهم
فقبلت منهم وكففت عنهم اذ ونيتم وأبيتم فكان الصلح بينكم وبينهم على رجلين يحييان ما أحيا القرآن ويميتان
ما أمات القرآن فاختلف رأيهما وتفرق حكمهما ونبذا ما فى القرآن وخالفا ما فى الكتاب فجنبهما الله السداد ودلاهما
فى الضلالة فانحرفت فرقة منا فتركناهم ما تركونا حتى اذا عثوا فى الارض يقتلون ويفسدون أتيناهم فقلنا ادفعوا
الينا قتلة اخواننا ثم كتاب الله بيننا وبينكم قالوا كلنا قتلهم وكلنا استحل دماءهم وشدت علينا خيلهم ورجالهم
فصرعهم الله مصارع الظالمين فلما كان ذلك من شأنهم أمرتكم أن تمضوا من فوركم ذلك الى عدوكم فقلتم كلت سيوفنا
ونفدت نبالنا ونصلت أسنة رماحنا وعاد أكثرها قصدا فارجع بنا الى مصرنا لنستعد باحسن عدتنا فاذا رجعت
زدت فى المقاتلين عدة من هلك منا وفارقنا فان ذلك أقوى لنا على عدونا فاقبلت بكم حتى اذا أطللتم على الكوفة
أمرتكم أن تنزلوا بالنخيلة وأن تلزموا معسكركم وان تضموا قواصيكم وان توطنوا على الجهاد أنفسكم ولا تكثروا زيارة
أبنائكم ونسائكم فان أهل الحرب المصابروها وأهل التشمير فيها الذين لا ينقادون من سهر ليلهم ولا ظمأ نهارهم ولا
خمص بطونهم ولا نصب أبدانهم فنزلت طائفة منكم معى معذرة ودخلت طائفة منكم المصر عاصية فلا من بقى منكم
صبر وثبت ولا من دخل المصر عاد ورجع فنظرت الى معسكرى وليس فيه خمسون رجلا فلما رأيت ما أتيتم دخلت
اليكم فلم أقدر على أن تخرجوا معى الى يومنا هذا فما تنتظرون أما ترون أطرافكم قد انتقصت والى مصركم قد فتحت
والى شيعتى بها قد قتلت والى مسالحكم تعرى والى بلادكم تغزى وأنتم ذوو عدد كثير وشوكة وبأس شديد فما بالكم
لله أنتم من أين تؤتون وما لكم تؤفكون وانى تسحرون ولو أنكم عزمتم وأجمعتم لم تراموا الا ان القوم تراجعوا
وتناسبوا وتناصحوا وأنتم قد ونيتم وتغاششتم وافترقتم ما ان أنتم ان ألممتم عندى على هذا بسعداء فنبهوا نائمكم وأجمعوا
على حقكم وتجردوا لحرب عدوكم قد أبدت الرغوة عن الصريح وبين الصبح لذى عينين انما تقاتلون الطلقاء وأبناء
الطلقاء وأولى الجفاء ومن أسلم كرها وكان لرسول الله صلى الله عليه وآله أنف الاسلام كله حربا أعداء الله والسنة
والقرآن وأهل البدع والاحداث ومن كان بوائقه تتقى وكان على الاسلام مخوفا أكلة الرشا وعبدة الدنيا لقد أنهى
الى ان ابن النابغة لم يبايع معاوية حتى أعطاه وشرط له ان يؤتيه ما هى أعظم مما فى يده من سلطانه ألا صفرت يد هذا
البائع دينه بالدنيا وخزيت أمانة هذا المشترى بنصرة فاسق غادر باموال المسلمين وان فيهم من قد شرب فيكم الخمر
وجلد الحد يعرف بالفساد فى الدين والفعل السيء وان فيهم من لم يسلم حتى رضخ له على الاسلام رضيخة فهؤلاء قادة
القوم ومن تركت ذكر مساويه من قادتهم مثل من ذكرت منهم بل هو شر ويود هؤلاء الذين ذكرت لو ولوا عليكم
فأظهروا فيكم الكبر والفساد والفجور والتسلط بجبرية واتبعوا الهوى وحكموا بغير الحق ولأنتم على ما كان
فيكم من تواكل وتخاذل خير منهم وأهدى سبيلا فيكم العلماء والفقهاء والنجباء والحكماء وحملة الكتاب والمتهجدون
بالاسحار وعمار المساجد بتلاوة القرآن أفلا تسخطون وتهتمون ان ينازعكم الولاية عليكم سفهاؤكم والاشرار الاراذل
منكم فاسمعوا قولى وأطيعوا أمرى فوالله لئن أطعتمونى لا تغوون وان عصيتمونى لا ترشدون خذوا للحرب
أهبتها وأعدوا لها عدتها فقد شبت نارها وعلا سنانها وتجرد لكم فيها الفاسقون كى يعذبوا عباد الله ويطفئوا
نور الله ألا انه ليس أولياء الشيطان من أهل الطمع والمكر والجفاء بأولى فى الجد فى غيهم وضلالتهم من أهل البر
والزهادة والاخبات فى حقهم وطاعة ربهم والله لو لقيتهم فردا وهم ملء الارض ما باليت ولا استوحشت وانى من
ضلالتهم التى هم فيها والهدى الذى نحن عليه لعلى ثقة وبينة ويقين وبصيرة وانى الى لقاء ربى لمشتاق ولحسن ثوابه
لمنتظر ولكن أسفا يعترينى وحزنا يخامرنى ان يلى أمر هذه الامة سفهاؤها وفجارها فيتخذوا مال الله دولا وعباده
خولا والفاسقين حزبا وايم الله لولا ذلك لما أكثرت تأنيبكم وتحريضكم ولتركتكم اذ ونيتم وأبيتم حتى ألقاهم
بنفسى متى حم لى لقاؤهم فوالله انى لعلى الحق وانى للشهادة لمحب فانفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى
سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ولا تثاقلوا الى الارض فتقروا بالخسف وتبوؤا بالذل ويكن نصيبكم

الخسران أخا الحرب اليقظان ومن ضعف أودى ومن ترك الجهاد كان كالمغبون المهين اللهم اجمعنا واياهم على الهدى وزهدنا واياهم فى الدنيا واجعل الآخرة خيرا لنا ولهم من الاولى قال ابراهيم وحدثنى محمد بن عبد الله بن عثمان عن المدائنى ان محمد بن أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس أصيب لما افتتح عمرو بن العاص مصر فبعث به الى معاوية بن أبى سفيان وهو يومئذ بفلسطين فحبسه معاوية فى سجن له فمكث فيه غير كثير ثم هرب وكان ابن خال معاوية فأرى معاوية الناس انه كره انفلاته من السجن وكان يحب أن ينجو فقال لاهل الشام من يطلبه فقال رجل من خثعم يقال له عبيد الله بن عمرو بن ظلام وكان شجاعا وكان عثمانيا أنا أطلبه فخرج فى خيل فلحقه بحوارين وقد دخل بغار هناك فجاءت حمر فدخلته فلما رأت الرجل فى الغار فزعت ونفرت فقال حارون كانوا قريبا من الغار ان لهذه الحمر لشأنا ما نفرها من هذا الغار الا أمر فذهبوا ينظرون فاذا هم به فخرجوا به فوافاهم عبد الله بن عمرو بن ظلام فسألهم ووصفه لهم فقالوا ها هو هذا فجاء حتى استخرجه وكره أن يصير به الى معاوية فيخلى سبيله فضرب عنقه رحمه الله تعالى

(الاصل) ﴿ ومن كلام له عليه السلام فى ذم أصحابه ﴾

كَمْ أُدَارِيكُمْ كما تُدَارَى البِكَارُ العَمِدَةُ * والثِّيَابُ المُتَدَاعِيَةُ * كُلَّمَا حِيصَتْ مِنْ جَانِبٍ تَهَتَّكَتْ مِنْ آخَرَ * كُلَّمَا أَطَلَّ عَلَيْكُمْ مَنْسِرٌ مِنْ مَنَاسِرِ أَهْلِ الشَّامِ أَغْلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بَابَهُ وانْجَحَرَ انْجِحَارَ الضَّبَّةِ فِي جُحْرِهَا والضَّبُعِ فِي وِجَارِهَا * الذَّلِيلُ واللهِ مَنْ نَصَرْتُمُوهُ * وَمَنْ رُمِيَ بِكُمْ فَقَدْ رُمِيَ بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ * إِنَّكُمْ وَاللهِ لَكَثِيرٌ فِي البَاحَاتِ * قَلِيلٌ تَحْتَ الرَّايَاتِ * وإِنِّي لَعَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُكُمْ وَيُقِيمُ أَوَدَكُمْ * وَلَكِنِّي واللهِ لاَ أَرَى إِصْلاَحَكُمْ بِإِفْسَادِ نَفْسِي * أَضْرَعَ اللهُ خُدُودَكُمْ * وأَتْعَسَ جُدُودَكُمْ * لاَ تَعْرِفُونَ الحَقَّ كَمَعْرِفَتِكُمُ البَاطِلَ * ولاَ تُبْطِلُونَ البَاطِلَ كَإِبْطَالِكُمُ الحَقَّ

(الشرح) البكار جمع بكر وهو الفتى من الابل والعمدة التى قد انشدخت اسنمتها من داخل وظاهرها صحيح وذلك لكثرة ركوبها والثياب المتداعية الأسمال التى قد أخلقت وانما سميت متداعية لان بعضها يتخرق فيدعو بعضها الى مثل حاله وحيصت خيطت والحوص الخياطة وتهتكت تخرقت وأطل عليكم أى اشرف وروى أظل بالظاء المعجمة والمعنى واحد ومنسر قطعة من الجيش تمر قدام الجيش الكبير والافصح منسر بكسر الميم وفتح السين ويجوز منسر بفتح الميم وكسر السين وانجحر استتر فى بيته انجحرت الضب اذا ألجأته الى جحره فانجحر والضبة أنثى الضباب وانما اوقع التشبيه على الضبة مبالغة فى وصفهم بالجبن والفرار لان الانثى أجبن وأذل من الذكر والوجار بيت الضبع والسهم الافوق الناصل المكسور الفوق المنزوع النصل والفوق موضع الوتر من السهم يقال نصل السيف اذا خرج منه النصل فهو ناصل وهذا مثل يضرب لمن استنجد من لا ينجده والباحات جمع باحة وهى ساحة الدار والاود العوج أود الشئ بكسر الواو يأود أودا أى اعوج وتأود أى تعوج وأضرع الله خدودكم أذل وجوهكم ضرع الرجل ذل وأضرعه غيره ومنه المثل الحمى أضرعتنى لك وأتعس جدودكم أى أحال حظوظكم وسعودكم وأهلكها فجعلها ادبارا ونحسا والتعس الهلاك وأصله الكب وهو ضد الانتعاش تعس الرجل بفتح العين يتعس تعسا يقول كم أداريكم كما يدارى راكب البعير بعيره المنفضخ السنام وكما يدارى لابس الثوب السمل ثوبه المتداعى الذى كلما خيط منه جانب تمزق جانب ثم ذكر

خبنهم وذلهم وقلة انتصار من ينتصر بهم وانهم كثير فى الصورة قليل فى المعنى ثم قال انى عالم بما يصلحكم يقول انما يصلحكم فى السياسة السيف وصدق فان كثيرا لا يصلح الا عليه كما فعل الحجاج بالجيش الذى تقاعد بالمهلب فانه نادى مناديه من وجدناه بعد ثالثة لم يلتحق بالمهلب فقد حل لنا دمه ثم قتل عمير بن صابئ وغيره فخرج الناس يهرعون الى المهلب وأمير المؤمنين لم يكن ليستحل من دماء أصحابه ما يستحله من يريد الدنيا وسياسة الملك وانتظام الدولة قال عليه السلام لكنى لا أرى اصلاحكم بافساد نفسى أى بافساد دينى عند الله تعالى وان قلت أليست نصرة الامام واجبة عليهم فلم لا يقتلهم اذا أخلوا بهذا الواجب قلت ليس كل اخلال بواجب يكون عقوبته القتل كمن أخل بالحج وأيضا فانه كان يعلم عاقبة القتل فسادهم عليه واضطرابهم فلو أسرع فى قتلهم لشغبوا عليه شغبا يفضى الى أن يقتلوه ويقتلوا أولاده أو يسلموه أو يسلموهم الى معاوية ومتى علم هذا أو غلب على ظنه لم يجز له أن يسوسهم بالقتل الذى يفضى الى هذه المفسدة فلو ساسهم بالقتل والحال هذه لكان آثما عند الله تعالى ومواقعا للقبيح وفى ذلك افساد دينه كما قال لا تعرفون الحق كمعرفتكم الباطل الى آخر الفصل فكأنه قال لا تعتقدون الصواب والحق كما تعتقدون الخطأ والباطل أى اعتقادكم الحق قليل واعتقادكم الباطل كثير فعبر عن الاعتقاد العام بالمعرفة الخاصة وهى نوع تحت جنسه مجازا ثم قال ولا تسرعون فى نقض الباطل سرعتكم فى نقض الحق وهدمه واعلم ان الهجاء بالجبن والذل والفرق كثير جدا ونظير قوله انكم لكثير فى الباحات قليل تحت الرايات قول معدان الطائى

فاما الذى يحصيهم فمكثر * وأما الذى يطريهم فقليل

ونحو قول قراد بن حنش وهو من شعر الحماسة

وأنتم سماء يعجب الناس رزها * بآبدة تنحى شديد وئيدها

تقطع أطناب البيوت بحاصب * وأكذب شئ برقها ورعودها

فويل امها خيلا بهاء وشارة * اذا لاقت الاعداء لولا صدودها

ومن شعر الحماسة فى هذا المعنى

لقد كان فيكم لو وفيتم بجاركم * لحى ورقاب عردة ومناخر

من الصمت اثناء وجذعا كأنهم * عذارى عليها شارة ومعاجر

ومن الهجاء بالجبن والفرار قول بعض بنى طى يهجو حاتما وهو من شعر الحماسة أيضا

لعمرى وما عمرى لدى بهين * لبئس الفتى المدعو بالليل حاتم

غداة أتى كالثور أخرج فاتقى * بجبهته اقتاله وهو قائم *

كأن بصحراء المريط نعامة * تبادرها جنح الظلام نعائم

أعارتك رجليها وهافى ليتها * وقد جردت بيض المتون صوارم

ونظير المعنى الاول أيضا قول بعضهم من شعر الحماسة

كأثر بسعد ان سعدا كثيرة * ولا ترج من سعد وفاء ولا نصرا

يروعك من سعد بن عمرو جسومها * وتزهد فيها حين تقتلها خبرا

ومنه قول عويف القوافى وما أمكم تحت الخوافق والقنا * بثكلى ولا زهراء من نسوة زهر

ألستم أقل الناس عند لوائهم * وأكثرهم عند الذبيحة والقدر

ومن حسن الجبن والفرار بعض الشعراء فى قوله

أضحت تشجعنى هند وقد علمت * أن الشجاعة مقرون بها العطب

لا والذى حجت الانصار كعبته * ما يشتهى الموت عندى من له أرب

للحرب قوم أضل الله سعيهم * اذا دعتهم الى حوماتها وثبوا

ولست منهم ولا أهوى فعالهم * لا القتل يعجبنى منها ولا السلب

ومن هذا قول أيمن بن خريم الاسدى

ان للفتنة ميطا بيننا * وورى بدالميط منها يعتدل

فاذا كان عطاء فابتدر * واذا كان قتال فاعتزل

انما يسعرها جاهلها حطب النار فدعها تشتعل

وممن عرف بالجبن أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد عيره عبد الملك بن مروان فقال

اذا صوت العصفور طار فؤاده * وليث حديد الناب عند الثرائد

وقال آخر

يطير فؤاده من نبح كلب * ويكفيه من الزجر الصفير

وقال آخر

ولو أنها عصفورة لحسبتها * مسومة تدعو عبيدا وأزنما

ومن أخبار الجبناء ما رواه ابن قتيبة فى كتاب عيون الاخبار قال رأى عمرو بن العاص معاوية يوما يضحك فقال لم تضحك يا أمير المؤمنين أضحك الله سنك قال أضحك من حضور ذهنك عند ابدائك سوأتك يوم ابن أبى طالب والله لقد وجدته منانا ولو شاء أن يقتلك لقتلك فقال عمرو يا أمير المؤمنين أما والله انى لعن يمينك حين دعاك الى البراز فاحولت عيناك وانتفخ سحرك وبدا منك ما أكره ذكره لك فمن نفسك فاضحك أو فدع قال ابن قتيبة وقدم الحجاج على الوليد بن عبد الملك وعليه درع وعمامة سوداء وقوس عربية وكنانة فبعثت أم البنين بنت عبد العزيز ابن مروان الى الوليد وهى تحته يومئذ من هذا الاعرابى المستلئم فى السلاح عندك على خلوة وأنت فى غلالة فأرسل اليها الوليد انه الحجاج فأعادت عليه الرسول والله لأن يخلو بك ملك الموت أحب الى من أن يخلو بك الحجاج فضحك وأخبر الحجاج بقولها وهو يمازحه فقال الحجاج يا أمير المؤمنين دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول فانما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة فلا تطلعها على سرك ومكايدة عدوك فلما انصرف الحجاج ودخل الوليد على امرأته أخبرها بمقالة الحجاج فقالت يا أمير المؤمنين حاجتى اليك اليوم أن تأمره غدا أن يأتينى مستلئما ففعل ذلك وأتاها الحجاج فحجبته ثم أدخلته ولم تأذن له فى القعود فلم يزل قائما ثم قالت ايه يا حجاج أنت الممتن على أمير المؤمنين بقتلك ابن الزبير وابن الاشعث أما والله لولا أن الله علم انك شر خلقه ما ابتلاك برمى الكعبة الحرام ولا بقتل ابن ذات النطاقين أول مولود فى الاسلام وأما نهيك أمير المؤمنين عن مفاكهة النساء وبلوغ لذاته وأوطاره فان كن ينفرجن عن مثلك فما أحقه بالقبول منك وان كن ينفرجن عن مثله فهو غير قابل لقولك أما والله لو نفض نساء أمير المؤمنين الطيب من غدائرهن فبعنه فى أعطية أهل الشام حين كنت فى أضيق من القرن قد أظلتك الرماح وأثخنك الكفاح وحين كان أمير المؤمنين أحب اليهم من آبائهم وأبنائهم فأنجاك الله من عدو أمير المؤمنين بحبهم اياه قاتل الله القائل حين ينظر اليك وسنان غزالة بين كتفيك

أسد على وفى الحروب نعامة * ربداء تنفر من صفير الصافر

هلا برزت الى غزالة فى الوغا * أم كان قلبك فى جناحى طائر

ثم قالت لجواريها أخرجنه فأخرج * ومن ظريف حكايات الجبناء ما ذكره ابن قتيبة أيضا فى الكتاب المذكور قال كان بالبصرة شيخ من بنى نهشل بن دارم يقال له عروة بن مرثد ويكنى أبا الاعز ينزل فى بنى أخت له من الازد فى سكة بنى مازن فخرج رجالهم الى ضياعهم فى شهر رمضان وخرج النساء يصلين فى مسجدهم ولم يبق فى الدار الا الاماء فدخل كلب يتعسس فرأى بيتا مفتوحا فدخله وانصفق الباب عليه فسمع بعض الاماء الحركة فظنوا انه لص دخل الدار فذهبت احداهن الى أبى الاعز فأخبرته فقال أبو الاعز الام يبتغى اللص عندنا وأخذ عصاه وجاء حتى وقف بباب البيت وقال ايه يافلان أما والله انى بك لعارف فهل أنت من لصوص بنى مازن شربت حامضا خبيثا حتى اذا دارت فى رأسك منتك نفسك الامانى وقلت اطرق دور بنى عمرو والرجال خلوف والنساء يصلين فى مسجدهن فاسرقهم سوأة لك والله

ما يفعل هذا ولد الاحرار وايم الله لتخرجن أو لأهتفن هتفة مشؤمة يلتقى فيها الحيان عمرو وابن حنظلة ويجيء سعد عدد الحصى وتسيل عليك الرجال من هنا وهنا ولئن فعلت لتكونن أشأم مولود فلما رأى انه لا يجيبه أخذه باللين فقال اخرج بابى أنت مستورا والله ما أراك تعرفنى ولو عرفتنى لقنعت بقولى واطمأننت الى ابن أخت البار الوصول أنا فديتك أبو الاعز النهشلى وأنا خال القوم وجلدة بين أعينهم لا يعصوننى ولا تضار الليلة وأنت فى ذمتى وعندى قوصرتان اهداهما الى ابن أختى البار الوصول فخذ احداهما فانتبذها حلالا من الله ورسوله وكان الكلب اذا سمع الكلام أطرق واذا سكت أبو الاعز وثب يريد المخرج فتهاتف أبو الاعز ثم تضاحك وقال يا ألأم الناس وأوضعهم ألا أرانى لك منذ الليلة فى واد وأنت لى فى واد آخر أقبلت السوداء والبيضاء فتصيح وتطرق فاذا سكت عنك وثبت تريد الخروج والله لتخرجن أو لألجن عليك البيت فلما طال وقوفه جاءت احدى الاماء فقالت أعرابى مجنون والله ما أرى فى البيت شيأ فدفعت الباب فخرج الكلب شاردا وحاد عنه أبو الاعز ساقطا على قفاه شائلة رجلاه وقال تالله ما رأيت كالليلة هذه ما أراه الا كلبا ولو علمت بحاله لولجت عليه ونظير هذه الحكاية حكاية أبى حية النميرى وكان جبانا قيل كان لأبى حية سيف ليس بينه وبين الخشب فرق كان يسميه لعاب المنية فحكى عنه بعض جيرانه أنه قال أشرفت عليه ليلة وقد انتضاه وهو واقف بباب بيت فى داره وقد سمع فيه حسا وهو يقول أيها المغتر بنا المجترئ علينا بئس والله ما اخترت لنفسك خير قليل وسيف صقيل لعاب المنية الذى سمعت به مشهورة صولته لا تخاف نبوته اخرج بالعفو عنك لا أدخل بالعقوبة عليك انى والله ان أدع قيسا تملأ الفضاء عليك خيلا ورجلا سبحان الله ما أكثرها وأطيبها والله ما أنت ببعيد من تابعها والرسوب فى تيار لجتها قال وهبت ريح ففتحت الباب فخرج كلب يشتد فلبط بأبى حية وارتدوشغر برجليه وتبادرت اليه نساء الحى فقلن يا أبا حية لتفرخ روعتك انما هو كلب فجلس وهو يقول الحمد لله الذى مسخك كلبا وكفانى حربا * وخرج مغيرة بن سعيد العجلى فى ثلاثين رجلا بظهر الكوفة فعطعطوا وخالد بن عبد الله القسرى أمير العراق يخطب على المنبر فعرق واضطرب وتحير وجعل يقول اطعمونى ماء فهجاه ابن نوفل فقال

أخالد لا جزاك الله خيرا * وأيرى فى حرأمك من أمير

تروم الفخر فى اعراب قسر * كأنك من سراة بنى جرير

جرير من ذوى يمن أصيل * كريم الاصل ذو خطر كثير

وأمك علجة وأبوك وغد * وما الاذناب عدل للصدور

وكنت لدى المغيرة عبد سوء * تبول من المخافة للزئير

لأعلاج ثمانية وشيخ * كبير السن ليس بذى ضرير

صرخت من المخافة أطعمونى * شرابا ثم بلت على السرير

وقال آخر يعيره بذلك

بل المنابر من خوف ومن دهش * واستطعم الماء لما جد فى الهرب

ومن كلام ابن المقفع فى ذم الجبن الجبن مقتلة والحرص محرمة فانظر فيما رأيت وسمعت أمن قتل فى الحرب مقبلا أكثر أم من قتل مدبرا وانظر من يطلب اليك بالاجمال والتكرم أحق أن تسخو نفسك له بالعطية أم من يطلب ذلك بالشره والحرص

(الاصل) ﴿ وقال عليه السلام فى سحرة اليوم الذى ضرب فيه ﴾

مَلَكَتْنِى عَيْنِى وأنَا جَالِسٌ * فَسَنَحَ لِى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِه فَقُلْتُ يا رَسُولَ اللهِ ماذَا لَقِيتُ مِنْ أُمَّتِكَ مِنَ الأَوَدِ واللَّدَدِ فَقَالَ ادْعُ عَلَيْهِمْ فَقُلْتُ أَبْدَلَنِى اللهُ بِهِمْ

خَيْرًا مِنْهُمْ وَأَبْدِلْهُمْ بِي شَرًّا لَهُمْ مِنِّي (قال الرضي رحمه الله) (يَعْنِي بِالأَوَدِ الاعْوِجَاجَ وَبِاللَّدَدِ الخِصَامَ وَهَذَا مِنْ أَفْصَحِ الكَلَامِ)

(الشرح) قوله ملكتني عيني من فصيح الكلام يريد غلبني النوم قوله فسنح لي رسول الله صلى الله عليه وآله يريد مر بي كما تسنح الظباء والطير يمر بك ويعترض لك وذا هاهنا بمعنى الذي كقوله تعالى ماذا ترى أي ما الذي ترى يقول قلت له ما الذي لقيت من أمتك وما هاهنا استفهامية كأي ويقال ذلك فيما يستعظم أمره كقوله سبحانه القارعة ما القارعة وشرا هاهنا لا يدل على أن فيه شرا كقوله قل أذلك خير أم جنة الخلد لا يدل على ان في النار خيرا * ويجب أن نذكر في هذا الموضع مقتله وأصح ما ورد في ذلك ما ذكره أبو الفرج علي بن الحسين الاصفهاني في كتاب مقاتل الطالبيين قال أبو الفرج علي بن الحسين بعد أسانيد ذكرها مختلفة متفرقة تجتمع على معنى واحد نحن ذاكروه ان نفرا من الخوارج اجتمعوا بمكة فتذاكروا أمر المسلمين فعابوهم وعابوا أعمالهم عليهم وذكروا أهل النهروان فترحموا عليهم وقال بعضهم لبعض لو أنا شرينا أنفسنا لله عز وجل فأتينا أئمة الضلال وطلبنا غرتهم وأرحنا منهم العباد والبلاد وثأرنا بإخواننا الشهداء بالنهروان فتعاقدوا عند انقضاء الحج فقال عبد الرحمن بن ملجم أنا أكفيكم عليا وقال واحد أنا أكفيكم معاوية وقال الثالث أنا أكفيكم عمرو بن العاص فتعاقدوا وتواثقوا على الوفاء وان لا ينكل أحد منهم عن صاحبه الذي يتوجه اليه ولا عن قتله وتواعدوا لشهر رمضان في الليلة التي قتل فيها ابن ملجم عليا قال أبو الفرج قال أبو مخنف قال أبو زهير العبسي الرجلان الآخران البرك بن عبد الله التميمي وهو صاحب معاوية وعمرو بن بكر التميمي وهو صاحب عمرو بن العاص قال فأما صاحب معاوية فانه قصده فلما وقعت عينه عليه ضربه فوقعت ضربته على أليته وأخذ فجاء الطبيب اليه فنظر الى الضربة فقال ان السيف مسموم فاختر إما أن أحمي لك حديدة فأجعلها في الضربة وإما أن أسقيك دواء فتبرأ وينقطع نسلك فقال أما النار فلا أطيقها وأما النسل ففي يزيد وعبد الله ما تقر عيني وحسبي بهما فسقاه الدواء فعوفي وعالج جرحه حتى التأم ولم يولد له بعد ذلك وقال البرك بن عبد الله ان لك عندي بشارة قال وما هي فأخبره خبر صاحبه وقال له ان عليا قتل في هذه الليلة فاحتبسني عندك فان قتل فأنت ولي ما تراه في أمري وان لم يقتل أعطيتك العهود والمواثيق ان أمضي اليه فأقتله ثم أعود اليك فأضع يدي في يدك حتى تحكم في بما ترى فحبسه عنده فلما أتى الخبر ان عليا قتل في تلك الليلة خلى سبيله هذه رواية اسماعيل بن راشد وقال غيره من الرواة بل قتله من وقته وأما صاحب عمرو بن العاص فانه وافاه في تلك الليلة وقد وجد علة فأخذ دواء واستخلف رجلا يصلي بالناس يقال له خارجة بن حذافة أحد بني عامر بن لؤي فخرج للصلاة فشد عمرو بن بكر فضربه بالسيف فأثبته وأخذ الرجل فأتي به عمرو بن العاص فقتله ودخل من غد الى خارجة وهو يجود بنفسه فقال أما والله يا أبا عبد الله ما أراد غيرك قال عمرو ولكن الله أراد خارجة وأما ابن ملجم فانه قتل عليا تلك الليلة قال أبو الفرج وحدثني محمد بن الحسن الأشناندانى وغيره قال أخبرني علي بن المنذر الطريقي قال حدثنا ابن فضيل قال حدثنا أبو قطن عن أبي الطفيل قال جمع علي عليه السلام الناس للبيعة فجاء عبد الرحمن بن ملجم فرده مرتين أو ثلاثا ثم مد يده فبايعه فقال له علي ما يحبس أشقاها فوالذي نفسي بيده ليخضبن هذه من هذه ثم أنشد

اشدد حيازيمك للمو * ت فان الموت لاقيكا ... ولا تجزع من المو * ت اذا حل بواديكا

قال أبو الفرج وقد روي لنا من طرق غير هذه أن عليا أعطى الناس فلما بلغ ابن ملجم أعطاه وقال له

أريد حباءه ويريد قتلي * عذيرك من خليلك من مراد

قال أبو الفرج وحدثني أحمد بن عيسى العجلي باسناد ذكره في الكتاب الى أبي زهير العبسي قال كان ابن ملجم من مراد وعداده في كندة فأقبل حتى قدم الكوفة فلقي بها أصحابه وكتمهم أمره وطوى عنهم ما تعاقد هو وأصحابه عليه بمكة

من

من قتل أمراء المسلمين مخافة أن ينتشر وزار رجلا من أصحابه ذات يوم من بني تيم الرباب فصادف عنده قطام بنت الاخضر من بني تيم الرباب وكان علي قتل أخاها وأباها بالنهروان وكانت من أجمل نساء أهل زمانها فلما رآها شغف بها واشتد اعجابه فخطبها فقالت له ما الذي تسمي لي من الصداق فقال احتكمي ما بدا لك فقالت أحتكم عليك ثلاثة آلاف درهم ووصيفا وخادما وأن تقتل علي بن أبي طالب فقال لها لك جميع ما سألت وأما قتل علي فأنى لي بذلك قالت تلتمس غرته فان أنت قتلته شفيت نفسي وهناك العيش معي وان قتلت فما عند الله خير لك من الدنيا فقال لها أما والله ما أقدمني هذا المصر وقد كنت هاربا منه لا آمن أهله الا ما سألتني من قتل علي قالت له فأنا طالبة لك بعض من يساعدك على هذا ويقويك ثم بعثت الى وردان بن مجالد أحد بني تيم الرباب فخبرته الخبر وسألته معاونة ابن ملجم فتحمل لها ذلك وخرج ابن ملجم فأتى رجلا من أشجع يقال له شبيب بن بجرة فقال له يا شبيب هل لك في شرف الدنيا والآخرة قال وما ذاك قال تساعدني على قتل علي وكان شبيب على رأي الخوارج فقال له هبلتك الهبول لقد جئت شيأ ادا وكيف تقدر ويحك على قتل ابن أبي طالب قال ابن ملجم نكمن له في المسجد الاعظم فاذا خرج لصلاة الفجر فتكنا به وقتلناه وشفينا أنفسنا منه وأدركنا ثأرنا فلم يزل به حتى أجابه فأقبل به حتى دخلا على قطام وهي معتكفة في المسجد الاعظم قد ضربت لها قبة فقالا لها قد أجمع رأينا على قتل هذا الرجل قالت لهما فاذا أردتما ذلك فالقياني في هذا الموضع فانصرفا من عندها فلبثا أياما ثم أتياها ومعهما وردان بن مجالد الذي كلفته مساعدة ابن ملجم وذلك في ليلة الجمعة لتسع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة أربعين قال أبو الفرج هكذا في رواية ابن مخنف وفي رواية أبي عبد الرحمن السلمي أنها كانت ليلة سبع عشرة من شهر رمضان فقال لها ابن ملجم هذه الليلة هي التي وعدت فيها صاحبي ووعداني أن يقتل كل واحد منا صاحبه الذي يتوجه اليه فاتواعدوا بمكة عبد الرحمن والبرك وعمرو على هذه الليلة بعينها لأنهم يعتقدون ان قتل ولاة الجور قربة الى الله وأحرى القربات بالقبول ما تقرب به في الاوقات الشريفة المباركة ولما كانت ليلة الجمعة التاسعة عشر من شهر رمضان ليلة شريفة يرجى أن تكون ليلة القدر عينوها لفعل ما يعتقدونه قربة الى الله فليعجب المتعجب من العقائد كيف تسري في القلوب وتغلب على العقول حتى يرتكب الناس عظائم الامور وأهوال الخطوب لاجلها قال أبو الفرج فدعت لهم بحرير فعصبت به صدورهم وتقلدوا اسيافهم ومضوا فجلسوا مقابل السدة التي كان يخرج منها علي عليه السلام الى الصلاة قال أبو الفرج وقد كان ابن ملجم أتى الاشعث بن قيس في هذه الليلة فخلا به في بعض نواحي المسجد ومر بهما حجر بن عدي فسمع الاشعث وهو يقول لابن ملجم النجاء النجاء بحاجتك فقد فضحك الصبح قال له حجر قتلته يا أعور وخرج مبادرا الى علي وقد سبقه ابن ملجم فضربه فأقبل حجر والناس يقولون قتل أمير المؤمنين قال أبو الفرج وللاشعث بن قيس في انحرافه عن أمير المؤمنين أخبار يطول شرحها منها حديث حدثنيه محمد بن الحسين الأشناندانى قال حدثني اسمعيل بن موسى قال حدثنا علي بن مسهر عن الاجلح عن موسى بن أبي النعمان قال جاء الاشعث الى علي يستأذن عليه فرده قنبر فأدمى الاشعث أنفه فخرج علي وهو يقول ما لي ولك يا أشعث أما والله لو بعبد ثقيف تمرست لاقشعرت شعيراتك قيل يا أمير المؤمنين ومن عبد ثقيف قال غلام لهم لا يبقى أهل بيت من العرب الا أدخلهم ذلا قيل يا أمير المؤمنين كم يلي أو كم يمكث قال عشرين ان بلغها قال أبو الفرج وحدثني محمد بن الحسين أيضا باسناد ذكره أن الاشعث دخل على علي فكلمه فأغلظ علي له فعرض له الاشعث انه سيفتك به فقال له علي أبالموت تخوفني أو تهددني فوالله ما أبالي وقعت على الموت أو وقع الموت علي قال أبو الفرج قال أبو مخنف فحدثني أبي عن عبد الله بن محمد الأزدي قال اني لأصلي تلك الليلة في المسجد الاعظم مع رجال من أهل المصر كانوا يصلون في ذلك الشهر من أول الليل الى آخره اذ نظرت الى رجال يصلون قريبا من السدة قياما وقعودا وركوعا وسجودا ما يسأمون اذ خرج عليهم علي بن أبي طالب الفجر فأقبل ينادي الصلاة الصلاة فرأيت بريق السيف وسمعت قائلا يقول الحكم لله يا علي لا لك ثم رأيت بريق سيف آخر وسمعت صوت علي عليه السلام يقول لا يفوتنكم الرجل قال أبو الفرج فأما بريق السيف الاول فانه كان شبيب بن بجرة ضربه فأخطأه ووقعت ضربته في الطاق وأما بريق السيف الثاني فانه ابن ملجم ضربه

فاثبت الضربة فى وسط رأسه وشد الناس عليهما من كل ناحية حتى أخذوهما قال أبو مخنف فهمدان تذكر أن رجلا منهم يكنى أبا أدمى أخذ ابن ملجم وقال غيرهم بل أخذه المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب طرح عليه قطيفة ثم صرعه وأخذ السيف من يده وجاء به قال وأما شبيب بن بجيرة فانه خرج هاربا فاخذه رجل فصرعه وجلس على صدره وأخذ السيف من يده ليقتله فرأى الناس يقصدون نحوه فخشى أن يعجلوا عليه فوثب عن صدره وخلاه وطرح السيف من يده ومضى شبيب بن بجيرة ففاته فخرج هاربا حتى دخل منزله فدخل عليه ابن عم له فرآه يحل الحرير عن صدره فقال له ما هذا العلك قتلت أمير المؤمنين فاراد أن يقول لا فقال نعم فمضى ابن عمه فاشتمل على سيفه فدخل عليه حتى ضربه فقتله قال أبو مخنف فحدثنى أبى عن عبد الله بن محمد الأزدى قال أدخل ابن ملجم على علىّ عليه السلام ودخلت عليه فيمن دخل فسمعت عليا يقول النفس بالنفس ان أنا مت فاقتلوه كما قتلنى وان سلمت رأيت فيه رأيى فقال ابن ملجم ولقد اشتريته بالف يعنى السيف وسممته بالف فان خاننى فأبعده الله قال فنادته أم كلثوم ياعدو الله قتلت أمير المؤمنين قال انما قتلت أباك قالت ياعدو الله انى لأرجو أن لا يكون عليه بأس قال فأراك انما تبكين علىّ اذا أما والله لقد ضربته ضربة لو قسمت بين أهل الارض لأهلكتهم قال أبو الفرج وأخرج ابن ملجم من بين يديه وهو يقول

نحن ضربنا يا ابنة الخير اذ طغى * أبا حسن مامومة فتفطرا

ونحن حللنا ملكه من نظامه * بضربة سيف اذ علا وتجبرا

ونحن كرام فى الصباح أعزة * اذ المرء بالموت ارتدى وتأزرا

قال وانصرف الناس من صلاة الصبح فاحدقوا بابن ملجم ينهشون لحمه باسنانهم كأنهم السباع و يقولون ياعدو الله ماذا صنعت أهلكت أمة محمد وقتلت خير الناس وانه لصامت ماينطق قال أبو الفرج وروى أبو مخنف عن أبى الطفيل أن صعصعة بن صوحان استأذن على علىّ عليه السلام وقد أتاه عائدا لما ضربه ابن ملجم فلم يكن عليه اذن فقال صعصعة للآذن قل له يرحمك الله يا أمير المؤمنين حيا وميتا فلقد كان الله فى صدرك عظيما ولقد كنت بذات الله عليما فابلغه الآذن مقالته فقال قل له وأنت يرحمك الله فلقد كنت خفيف المؤنة كثير المعونة قال أبو الفرج ثم جمع له اطباء الكوفة فلم يكن منهم أحد أعلم بجرحه من أثير بن عمرو بن هانئ السكونى وكان متطببا صاحب كرسى يعالج الجراحات وكان من الاربعين غلاما الذين كان ابن الوليد أصابهم فى عين التمر فسباهم فلما نظر أثير الى جرح أمير المؤمنين دعا برئة شاة حارة فاستخرج منها عرقا وأدخله فى الجرح ثم نفخه ثم استخرجه واذا عليه بياض الدماغ فقال يا أمير المؤمنين اعهد عهدك فان عدو الله قد وصلت ضربته الى أم رأسك فدعا علىّ عليه السلام عند ذلك بدواة وصحيفة وكتب وصيته هذا ما أوصى به أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام أوصى بانه يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون صلوات الله و بركاته عليه ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له و بذلك أمرت وأنا أول المسلمين أوصيك ياحسن وجميع ولدى وأهل بيتى ومن بلغه كتابى هذا بتقوى الله ربنا وربكم ولا تموتن الا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا فانى سمعت رسول الله يقول صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام وان المبيرة حالقة الدين فساد ذات البين ولا قوة الا بالله العلى العظيم انظروا الى ذوى أرحامكم فصلوها يهون الله عليكم الحساب والله الله فى الايتام فلا تغبرن أفواههم بجفوتكم والله الله فى جيرانكم فانها وصية رسول الله صلى الله عليه وآله فما زال يوصينا بهم حتى ظننا أنه سيورثهم الله والله الله فى القرآن فلا يسبقنكم بالعمل به غيركم والله الله فى الصلاة فانها عماد دينكم والله الله فى صيام شهر رمضان فانه جنة من النار والله الله فى الجهاد بأموالكم وأنفسكم والله الله فى زكاة أموالكم فانها تطفئ غضب ربكم والله الله فى أهل بيت نبيكم فلا يظلمن بين أظهركم والله الله فى أصحاب نبيكم فان رسول الله صلى الله عليه وآله أوصى بهم والله الله فى الفقراء والمساكين فأشركوهم فى معايشكم والله الله فيما ملكت أيمانكم فانه كانت آخر

وصية رسول الله صلى الله عليه وآله اذ قال أوصيكم بالضعيفين فيما ملكت أيمانكم ثم الصلاة الصلاة لا تخافوا فى الله لومة لائم يكفكم من بغى عليكم ومن أرادكم بسوء وقولوا للناس حسنا كما أمركم الله به ولا تتركوا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فيتولى ذلك غيركم وتدعون فلا يستجاب لكم عليكم بالتواضع والتباذل والتبار واياكم والتقاطع والتفرق والتدابر تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب حفظكم الله من أهل بيت وحفظ فيكم نبيه استودعكم الله خير مستودع وعليكم سلام الله ورحمته قلت قوله والله الله فى الايتام فلا تغبرن أفواههم بجفوتكم يحتمل تفسيرين أحدهما لا تجيعوهم فان الجائع يخلف فمه وتتغير نكهته والثانى لا تحوجوهم الى تكرار الطلب والسؤال فان السائل ينضب ريقه وتنشف لهواته ويتغير ريح فمه وقوله حكاية عن رسول الله صلى الله عليه وآله أوصيكم بالضعيفين فيما ملكت أيمانكم يعنى به الحيوان الناطق والحيوان الاعجم قال أبو الفرج وحدثنى أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى باسناد ذكره فى الكتاب عن أبى عبد الرحمن السلمى قال قال لى الحسن بن على عليه السلام خرجت وأبى يصلى فى المسجد فقال لى يابنى انى بت الليلة أوقظ أهلى لأنها ليلة الجمعة صبيحة يوم بدر لتسع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان فملكتنى عيناى فسنح لى رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت يارسول الله ماذا لقيت من أمتك من الاود واللدد فقال لى ادع عليهم فقلت اللهم أبدلنى بهم من هو خير منهم وأبدلهم بى من هو شر منى قال الحسن عليه السلام وجاء ابن أبى الساج فآذنه بالصلاة فخرج فخرجت خلفه فاعتوره الرجلان فاما أحدهما فوقعت ضربته فى الطاق وأما الآخر فاثبتها فى رأسه قال أبو الفرج قال حدثنى أحمد بن عيسى قال حدثنا الحسين بن نصر قال حدثنا ابن مليك المعدل عن يحيى بن شعيب عن أبى مخنف عن فضيل بن جديج عن الاسود الكندى والاجلح قالا توفى على عليه السلام وهو ابن أربع وستين سنة فى عام أربعين من الهجرة ليلة الاحد لاحدى وعشرين ليلة مضت من شهر رمضان وولى غسله ابنه الحسن وعبد الله بن العباس وكفن فى ثلاثة أثواب ليس فيها قميص وصلى عليه ابنه الحسن فكبر عليه خمس تكبيرات ودفن بالرحبة مما يلى أبواب كندة عند صلاة الصبح هذه رواية أبى مخنف قال أبو الفرج وحدثنى أحمد بن سعيد قال حدثنا يحيى بن الحسن العلوى قال حدثنا يعقوب بن زيد عن ابن أبى عمير عن الحسن بن على الخلال عن جده قال قلت للحسين بن على عليه السلام أين دفنتم أمير المؤمنين عليه السلام قال خرجنا به ليلا من منزله حتى مررنا به على منزل الاشعث بن قيس ثم خرجنا به الى الظهر بجنب الغرى قلت وهذه الرواية هى الحق وعليها العمل وقد قلنا فيما تقدم ان أبناء الناس أعرف بقبور آبائهم من غيرهم من الاجانب وهذا القبر الذى بالغرى هو الذى كان بنو على يزورونه قديما وحديثا ويقولون هذا قبر أبينا لا يشك أحد فى ذلك من الشيعة ولا من غيرهم أعنى بنى على من ظهر الحسن والحسين وغيرهما من سلالته المتقدمين منهم والمتأخرين مازاروا ولا وقفوا الا على هذا القبر بعينه وقد روى أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزى فى تاريخه المعروف بالمنتظم وفاة أبى الغنائم محمد بن على بن ميمون الرسى المقرى بأبى لجودة قرآنه قال توفى أبو الغنائم هذا فى سنة عشر وخمسمائة وكان محدث من أهل الكوفة ثقة حافظا وكان من قوام الليل ومن أهل السنة وكان يقول ما بالكوفة من هو على مذهب أهل السنة وأصحاب الحديث غيرى وكان يقول مات بالكوفة ثلثمائة صحابى ليس قبر أحد منهم معروفا الا قبر أمير المؤمنين وهو هذا القبر الذى يزوره الناس الآن جاء جعفر بن محمد عليه السلام وأبوه محمد بن على بن الحسين عليهم السلام اليه فزاراه ولم يكن اذ ذاك قبرا معروفا ظاهرا وانما كان به سرح عضاه حتى جاء محمد بن زيد الداعى صاحب الديلم فاظهر القبة وسألت بعض من أثق به من عقلاء شيوخ أهل الكوفة عما ذكره الخطيب أبو بكر فى تاريخه أن قوما يقولون ان هذا القبر الذى تزوره الشيعة الى جانب الغرى هو قبر المغيرة بن شعبة فقال غلطوا فى ذلك قبر المغيرة وقبر زياد بالثوية من أرض الكوفة ونحن نعرفهما وننقل ذلك عن آبائنا وأجدادنا وأنشدنى قول الشاعر يرثى زيادا وقد ذكره أبو تمام فى الحماسة

صلى الاله على قبر وطهره * عند الثوية يسفى فوقه المور

زفت اليه قريش نعش سيدها * فالحلم والجود فيه اليوم مقبور
أبا المغيرة والدنيا مفجعة * وان من غرت الدنيا لمغرور
قد كان عندك للمعروف معرفة * وكان عندك للمنكور تنكير
وكنت تغنى وتعطى المال من سعة * فاليوم قبرك أضحى وهو مهجور
والناس بعدك قد خفت حلومهم * كانما نفخت فيه الاعاصير

وسألت قطب الدين نقيب الطالبيين أبا عبد الله الحسين بن الاقساسى رحمه الله تعالى عن ذلك فقال صدق من أخبرك نحن وأهلها كافة نعرف مقابر ثقيف الى الثوية وهى الى اليوم معروفة وقبر المغيرة فيها الا انها لا تعرف قد ابتلعها السبخ وزبد الارض وفورانها فطمست واختلط بعضها ببعض ثم قال ان شئت ان تتحقق أن قبر المغيرة فى مقابر ثقيف فانظر الى كتاب الاغانى لأبى الفرج على بن الحسين والمح ماقاله فى ترجمة المغيرة وأنه مدفون فى مقابر ثقيف ويكفيك قول أبى الفرج فانه الناقد البصير والطبيب الخبير فتصفحت ترجمة المغيرة فى الكتاب المذكور فوجدت الامر كما قاله النقيب قال أبو الفرج كان مصقلة بن هبيرة الشيبانى قد لاحى المغيرة فى شئ كان بينهما منازعة فضرع له المغيرة وتواضع فى كلامه حتى طمع فيه مصقلة فاستعلى عليه وشتمه وقال انى لأعرف شبهى فى عروة ابنك فاشهد المغيرة على قوله هذا شهودا ثم قدمه الى شريح القاضى فأقام عليه البينة فضربه شريح الحد وآلى مصقلة أن لا يقيم ببلدة فيها المغيرة فلم يدخل الكوفة حتى مات المغيرة فدخلها فتلقاه قومه فسلموا عليه فما فرغ من السلام حتى سألهم عن مقابر ثقيف فارشدوه اليها فجعل قوم من مواليه يلتقطون الحجارة فقال لهم ماهذا فقالوا نظن أنك تريد أن ترجم قبر المغيرة فقال ألقوا مافى أيديكم فانطلق حتى وقف على قبره ثم قال والله لقد كنت ماعلمت نافعا لصديقك ضارا لعدوك وما مثلك الا كما قال مهلهل فى كليب أخيه

ان تحت الاحجار حزما وعزما * وخصيما ألد ذا معلاق
حيـة فى الوجار أربد لا * ينفع منه السليم نفث الراقى

قال أبو الفرج فاما ابن ملجم فان الحسن بن على بعد دفنه أمير المؤمنين دعا به وأمر بضرب عنقه فقال له ان رأيت أن تأخذ على العهود ان أرجع اليك حتى أضع يدى فى يدك بعد ان أمضى الى الشام فانظر ماصنع صاحبى بمعاوية فان كان قتله والا قتلته ثم عدت اليك حتى تحكم فى حكمك فقال هيهات والله لا تشرب الماء البارد حتى تلحق روحك بالنار ثم ضرب عنقه واستوهبت أم الهيثم بنت الاسود النخعية جثته منه فوهبها لها فحرقتها بالنار قال ابن أبى مياس الفزارى وهو من الخوارج

فلم أر مهرا ساقه ذو سماحة * كمهر قطام من غنى ومعدم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة * وضرب على بالحسام المصمم
فلا مهر أغلى من على وان غلا * ولا فتك الادون فتك ابن ملجم

وقال عبد الله بن العباس بن عبد المطلب

وهز على بالعراقين لحية * مصيبتها جلت على كل مسلم
وقال سيأتيها من الله نازل * ويخضبها أشقى البرية بالدم
فعاجله بالسيف شلت يمينه * لشؤم قطام عند ذاك ابن ملجم
فيا ضربة من خاسر ضل سعيه * تبوأ منها مقعدا فى جهنم
ففاز أمير المؤمنين بحظه * وان طرقت احدى الليالى بمعظم
ألا انما الدنيا بلاء وفتنة * حلاوتها شيبت بصاب وعلقم

قال أبو الفرج وأنشدنى عمى الحسن بن محمد قال أنشدنى محمد بن سعد لبعض بنى عبد المطلب يرثى عليا ولم يذكر اسمه

ياقبر سيدنا المجن سماحة * صلى الاله عليك ياقبر
ماضر قبرا أنت ساكنه * أن لا يحل بأرضه القطر
فليندين سماح كفك بالثرى * وليورقن بجنبك الصخر
والله لو بك لم أجد أحدا * الا قتلت لفاتنى الوتر *

(الاصل) ﴿ وَمِنْ كلام لهُ عَليهِ السلاَم فى ذم أهل العراق ﴾

أمَّا بَعْدُ يَا أهْلَ العِرَاقِ فَإِنَّمَا أنْتُمْ كَالمَرْأةِ الحَامِلِ حَمَلَتْ فَلَمَّا أتَمَّتْ أمْلَصَتْ * وَمَاتَ قَيِّمُهَا وطَالَ تأيُّمُهَا وَوَرِثَهَا أبْعَدُهَا * أمَا واللهِ مَا أتَيْتُكُمْ اخْتِيَارًا ولَكِنْ جِئْتُ إلَيْكُمْ سَوْقًا * ولَكِنِّى بَلَغَنِى أنَّكُمْ تَقُولُونَ عَلِىٌّ يَكْذِبُ * قَاتَلَكُمُ اللهُ تَعَالَى فَعَلَى مَنْ أكْذِبُ * أعَلَى اللهِ فأنَا أوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ * أمْ عَلَى نَبِيِّهِ فأنَا أوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ * كَلاَّ واللهِ لَكِنَّهَا لَهْجَةٌ غِبْتُمْ عَنْهَا * ولَمْ تَكُونُوا مِنْ أهْلِهَا * وَيْلُ امِّهِ كَيْلاً بِغَيْرِ ثَمَنٍ * لَوْ كَانَ لَهُ وِعَاءٌ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ

(الشرح) أملصت الحامل ألقت ولدها اسقاطا وقيمها بعلها وتأيمها خلوها عن الازواج يقول لما شارفتم استئصال أهل الشام وظهرت أمارات الظفر لكم ودلائل الفتح نكصتم وجنحتم الى السلم والاجابة الى التحكيم عند رفع المصاحف فكنتم كالمرأة الحامل لما أتمت أشهر حملها ألقت ولدها القاء غير طبيعى نحو ان تلقيه لسقطة أو ضربة أو عارض يقتضى أن تلقيه هالكا ثم لم يكتف لهم بذلك حتى قال ومات بعلها وطال تأيمها وورثها أبعدها أى لم يكن لها ولد وهو أقرب المخلفين الى الميت ولم يكن لها بعل فورثها الاباعد عنها كالسافل من بنى عم وكالمولاة تموت من غير ولد ولا من يجرى مجراه فيرثها مولاها ولا نسب بينها وبينه ثم اقسم أنه لم يأتهم اختيارا ولكن المقادير ساقته اليهم سوقا يعنى اضطرارا وصدق عليه السلام لانه لولا يوم الجمل لم يحتج الى الخروج من المدينة الى العراق وانما استنجد باهل الكوفة على أهل البصرة اضطرارا اليهم لانه لم يكن جيشه الحجازى وافيا باهل البصرة لذين اتفقوا على حربه ونكث بيعته ولم يكن خروجه عن المدينة وهى دار الهجرة ومفارقته لقبر رسول الله صلى الله عليه وآله وقبر فاطمة عن ايثار ومحبة ولكن الاحوال تحكم وتسوق الناس الى مالا يختارونه ابتداء وقد روى هذا الكلام على وجه آخر ما أتيتكم اختيارا ولا جئت اليكم شوقا بالشين المعجمة ثم قال بلغنى أنكم تقولون يكذب وكان كثيرا مايخبر عن الملاحم والكائنات ويومئ الى أمور أخبره بها رسول الله صلى الله عليه وآله فيقول المنافقون من أصحابه يكذب كما كان المنافقون الاولون فى حياة رسول الله صلى الله عليه وآله يقولون عنه يكذب وروى صاحب كتاب الغارات عن الاعمش عن رجاله قال خطب على عليه السلام فقال والله لو أمرتكم فجمعتم من خياركم مائة ثم لو شئت لحدثتكم من غدوة الى أن تغيب الشمس لا أخبرتكم الا حقا ثم لتخرجن فلتزعمن أنى أكذب الناس وأفجرهم وقد روى صاحب هذا الكتاب وغيره من الرواة انه قال ان أمرنا صعب مستصعب لا يحمله الا ملك مقرب أو نبى مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للايمان وهذا الكلام منه كلام عارف عالم بأن فى الناس من لا يصدقه فيما يقوله وهذا أمر مركوز فى الجبلة البشرية وهو استبعاد الامور الغريبة وتكذيب الاخبار بها واذا تأملت أحواله فى خلافته كلها وجدتها مختصرة من أحوال رسول الله صلى الله عليه وآله فى حياته كأنها نسخة منتسخة منها فى حربه وسلمه وسيرته واخلاقه وكثرة شكايته من المنافقين من أصحابه

والمخالفين لأمره واذا أردت ان تعلم ذلك علما واضحا فاقرأ سورة براءة ففيها الجم الغفير من المعنى الذى أشرنا اليه
* واعلم ان النظام لما تكلم فى كتاب النكت وانتصر لكون الاجماع ليس بحجة اضطر الى ان ذكر عيوب الصحابة
فذكر لكل منهم عيبا ووجه الى كل واحد منهم طعنا وقال فى على انه لما حارب الخوارج يوم النهروان كان يرفع
رأسه الى السماء تارة ينظر اليها ثم يطرق الى الارض فينظر اليها تارة أخرى يوهم أصحابه أنه يوحى اليه ثم يقول ما كذبت
ولا كذبت فلما فرغ من قتالهم وأديل عليهم ووضعت الحرب أوزارها قال الحسن ابنه يا أمير المؤمنين أكان رسول
الله صلى الله عليه وآله تقدم اليك فى أمر هؤلاء بشئ فقال لا ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله أمرنى بكل حق
ومن الحق ان أقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين قال النظام وقوله ما كذبت ولا كذبت ورفعه رأسه أحيانا
الى السماء واطراقه الى الارض ايهام اما لنزول الوحى عليه أولأنه قد أوصى من قبل فى شأن الخوارج وقتالهم بأمر ثم
هو يقول ما أوصى فيهم على خصوصيتهم بأمر وانما أوصى بكل الحق وهذا عجيب طريف فنقول فى الجواب ان النظام
أخطأ عندنا فى تعريضه بهذا الرجل خطأ قبيحا وقال قولا منكرا نستغفر الله له من عقابه ونسأله عفوه عنه وليست الرواية
التى رواها عن الحسن وسؤاله لأبيه وجوابه له بصحيحة ولا معروفة والمشهور المعروف المنقول نقلا يكاد يبلغ درجة
المتواتر من الاخبار ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله فى معنى الخوارج بأعيانهم وذكرهم بصفاتهم وقوله
صلى الله عليه وآله لعلى عليه السلام انك مقاتلهم وقاتلهم وان المخدج ذا الثدية منهم وانك ستقاتل بعدى الناكثين
والقاسطين والمارقين فجعلهم أصنافا ثلاثة حسب ما وقعت الحال عليه وهذا من معجزات الرسول صلى الله عليه وآله
واخباره عن الغيوب المفصلة فلا أعلم من أى كتاب نقل النظام هذه الرواية ولا عن أى محدث ولقد كان رحمه الله تعالى
بعيدا عن معرفة الاخبار والسير منصبا فكره مجهدا نفسه فى الامور النظرية الدقيقة كمسئلة الجزء ومداخلة
الاجسام وغيرهما ولم يكن الحديث والسير من فنونه ولا من علومه ولا ريب انه سمعها ممن لا يوثق بقوله فنقلها كما سمعها
فاما كونه عليه السلام كان ينظر تارة الى السماء وتارة الى الارض وقوله ما كذبت ولا كذبت فصحيح وموثوق
بنقله لاستقامته وشهرته وكثرة رواته والوجه فى ذلك انه استبطأ وجود المخدج حيث طلبه فى جملة القتلى فلما طال
الزمان وأشفق من دخول شبهة على أصحابه لما كان قدمه اليهم من الاخبار قلق واهتم وجعل يكرر قوله ما كذبت
ولا كذبت أى ما كذبت على رسول الله صلى الله عليه وآله ولا كذبنى رسول الله صلى الله عليه وآله فيما أخبرنى به
فاما رفعه رأسه الى السماء تارة واطراقه الى الارض أخرى فانه حيث كان يرفع رأسه كان يدعو ويتضرع الى الله فى تعجيل
الظفر بالمخدج وحيث يطرق كان يغلبه الهم والفكر فيطرق وكيف ينسب أمير المؤمنين عليه السلام الى أنه كان يوهم
الناس بنزول الوحى وبسيفه ثبت ان ابن عمه خاتم المرسلين ثم حين يقول ما كذبت ولا كذبت كيف ينتظر نزول
الوحى فان من نزل عليه الوحى لا يحتاج أن يسند الخبر الى غيره ويقول ما كذبت فيما أخبرتكم به عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم * ومما طعن به النظام عليه انه عليه السلام قال اذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وآله فهو كما حدثتكم
فوالله لأن أخر من السماء أحب الى من ان أكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله واذا سمعتمونى أحدثكم
فيما بينى وبينكم فانما الحرب خدعة قال النظام هذا يجرى مجرى التدليس فى الحديث ولو لم يحدثهم عن رسول الله
صلى الله عليه وآله بالمعاريض وعلى طريق الايهام لما اعتذر من ذلك فنقول فى الجواب ان النظام قد وهم وانعكس
عليه مقصد أمير المؤمنين وذلك أنه عليه السلام لشدة ورعه أراد ان يفصل للسامعين بين ما يخبر به عن نفسه وبين
ما يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك لان الضرورة ربما تدعوه الى استعماله المعاريض لاسيما فى الحرب
المبنية على الخديعة والرأى فقال لهم كلما أقول لكم قال لى رسول الله صلى الله عليه وآله فاعلموا انه سليم من المعاريض
خال من الرمز والكناية لانى لا أستجيز ولا أستحل ان أعمى أو ألغز فى حديث رسول الله صلى الله عليه وآله
وما حدثتكم به عن نفسى فربما استعمل فيه المعاريض لأن الحرب خدعة وكان هذا كلام رجل قد استعمل التقوى
والورع فى جميع أموره وبلغ من تعظيم أمر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام واجلال قدره واحترام حديثه أن لا يرويه

الا

الا بالفاظه لا بمعانيه ولا بأمر يقتضى فيه الباسا وتعمية ولو كان مضطرا الى ذلك ترجيحا لجانب الدين على جانب
مصلحته فى خاص نفسه فاما اذا قال يوما كلاما يبتدئ به من نفسه فانه قد يستعمل فيه المعاريض اذا اقتضت الحكمة
والتدبير ذلك فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله باتفاق الرواة كافة اذا أراد ان يغزو وجها ورى عنه بغيره
ولما خرج عليه السلام من المدينة لفتح مكة قال لاصحابه كلاما يقتضى أنه يقصد بنى بكر بن عبد مناة من كنانة فلم يعلموا
حقيقة حاله حتى شارف مكة وقال حين هاجر وصحبه أبو بكر الصديق لأعرابى لقيهما من أين أنت وممن أنت فلما انتسب
لهما قال له الاعرابى أما أنا فقد أطلعتكما طلع أمرى فممن أنت فقال من ماء لم يزده على ذلك فجعل الاعرابى يفكر ويقول
من أى ماء من ماء بنى فلان من ماء بنى فلان فتركه ولم يفسر له وانما أراد عليه السلام أنه مخلوق من نطفة فاما قول النظام
لو لم يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله بالمعاريض لما اعتذر من ذلك فليس فى كلامه اعتذار ولكنه نفى أن يدخل
المعاريض فى روايته وأجازها فيما يبتدئ به عن نفسه وليس يتضمن هذا اعتذارا وقوله لأن أخر من السماء يدل على
أنه ما فعل ذلك ولا يفعله ثم قال على من أكذب يقول كيف أكذب على الله وأنا أول المؤمنين به وكيف أكذب
على رسول الله وأنا أول المصدقين به أخرج مخرج الاستبعاد لدعواهم وزعمهم فان قلت كيف يمكن أن يكون المكاف
الذى هو من اتباع الرسول كاذبا على الله الا بواسطة أخباره عن الرسول لانه لا وصلة ولا واسطة بينه وبين الله تعالى
الا الرسول واذا لم يمكن كذبه عليه من دون كذبه على الرسول لم يبق لتقسيم الكذب معنى وهو قوله أنا ان أكذب على
الله أو على رسوله قلت يمكن أن يكذب الكاذب على الله دون أن يكون كاذبا على الرسول وان كان من اتباع الرسول
نحو أن يقول كنت مع الرسول صلى الله عليه وآله ليلة فى مقبرة فاحيا الله تعالى فلانا الميت فقام وقال كذا أو يقول
كنت معه يوم كذا فسمعت مناديا يناديه من السماء ياموسى افعل كذا أو نحو ذلك من الاخبار بامور لا تسند الى حديث
الرسول ثم قال عليه السلام كلا والله أى لا والله وقيل ان كلا بمعنى حقا وانه اثبات قال ولكنها لهجة غبتم عنها اللهجة
بفتح الجيم وهى آلة النطق يقال له هو فصيح اللهجة وصادق اللهجة ويمكن ان يعنى بها لهجة رسول الله صلى الله عليه
وآله فيقول شهدت وغبتم ويمكن أن يعنى بها لهجته هو فيقول انها لهجة غبتم عن منافعها وأعدمتم أنفسكم ثمن
مناصحتها ثم قال ويلمه الضمير راجع الى ما دل عليه معنى الكلام من العلم لانه لما ذكر اللهجة وشهوده اياها وغيبوبتهم
عنها دل ذلك على علم له خصه به الرسول عليه السلام يقال ويلمه وهذه كلمة تقال للتعجب والاستعظام يقال ويلمه
فارسا وتكتب موصولة كما هى بهذه الصورة وأصله ويل امه مرادهم التعظيم والمدح وان كان اللفظ موضوعا لضد
ذلك كقوله عليه الصلاة والسلام فاظفر بذات الدين تربت يداك وكقولهم للرجل يصفونه ويقرظونه لا أباله وقال
الحسن البصرى وهو يذكر عليا عليه السلام ويصف كونه على الحق فى جميع أموره حتى قال فلما شارف الظفر
وافق على التحكيم ومالك فى التحكيم والحق فى يديك لا أبالك قال أبو العباس المبرد هى كلمة فيها جفاء وخشونة كانت
الاعراب تستعملها فيمن يستعظمون أمره قال ولما أنشد سليمان بن عبد الملك قول بعض الاعراب

رب العباد ما لنا وما لكا * قد كنت تسقينا فما بدا لكا * انزل علينا الغيث لا أبالكا

قال أشهد أنه لا أب له ولا صاحبة ولا ولد فاخرجها أحسن مخرج ثم قال عليه السلام كيلا بغير ثمن لو كان له وعاء انتصب
كيلا لانه مصدر فى موضع الحال ويمكن أن ينتصب على التمييز كقولهم لله دره فارسا يقول أنا أكيل لكم العلم والحكمة
كيلا ولا أطلب لذلك ثمنا لو وجدت وعاء أى حاملا للعلم وهذا مثل قوله عليه السلام ها ان بين جنبى علما جالو أجد له
حملة ثم ختم الفصل بقوله تعالى ولتعلمن نبأه بعد حين وهو أحسن ما ختم هذا الكلام به وروى المدائنى فى كتاب
صفين قال خطب على عليه السلام بعد انقضاء أمر النهروان فذكر طرفا من الملاحم قال اذا كثرت فيكم الاخلاط
واستولت الانباط ودنا خراب العراق وذاك اذا بنيت مدينة ذات اثل وأنهار فاذا غلت فيها الاسعار وشيد فيها
البنيان وحكم فيها الفساق واشتد البلاء وتفاخر الغوغاء دنا خسوف البيداء وطاب الهرب والجلاء وستكون
قبل الجلاء أمور يشيب منها الصغير ويعطب الكبير ويخرس الفصيح ويبهت اللبيب يعاجلون بالسيف صلتا وقد

كانوا قبل ذلك فى غضارة من عيشهم يمرحون فيا لها من مصيبة حينئذ من البلاء العقيم والبكاء الطويل والويل والعويل وشدة الصريخ ذلك أمر الله وهو كائن وفناء مريح فيا ابن خيرة الآباء متى تنتظر البشير بنصر قريب من رب رحيم الافويل للمتكبرين عند حصاد الحاصدين وقتل الفاسقين عصاة ذى العرش العظيم فبأبى وأمى من عدة قليلة أسماؤهم فى الارض مجهولة قد دان حينئذ ظهورهم ولوشئت لاخبرتكم بما يأتى ويكون من حوادث دهركم ونوائب زمانكم وبلايا أيامكم وغمرات ساعاتكم ولكنه أفضيه الى من أفضيه اليه مخافة عليكم ونظرا لكم علما منى بما هو كائن ومايلقون من البلاء الشامل ذلك عند تمرد الاشرار وطاعة أولى الخسار ذاك أوان الحتف والدمار ذاك ادبار أمركم وانقطاع أصلكم وتشتت أنفسكم وانما يكون ذلك عند ظهور العصيان وانتشار الفسوق حيث يكون الضرب بالسيف أهون على المؤمن من اكتساب درهم حلال حين لاتنال المعيشة الا بمعصية الله فى سمائه حين تسكرون من غير شراب وتحلفون من غير اضطرار وتظلمون من غير منفعة وتكذبون من غير احراج تتفكهون بالفسوق وتبادرون بالمعصية قولكم البهتان وحديثكم الزور وأعمالكم الغرور فعند ذلك لاتأمنون البيات فياله من بيات ما أشد ظلمته ومن صائح ما أقطع صوته ذلك بيات لايمنى صباحه صاحبه فعند ذلك تقتلون وبانواع البلاء تضربون وبالسيف تحصدون والى النار تصيرون ويعضكم البلاء كما يعض الغارب القتب ياعجبا كل العجب بين جادى ورجب من جمع أشتات وحصد نبات ومن أصوات بعدها أصوات ثم قال سبق القضاء سبق القضاء قال رجل من أهل البصرة لرجل من أهل الكوفة الى جانبه أشهد انه كاذب على الله ورسوله قال الكوفى ومايدريك قال فوالله مانزل عن المنبر حتى فلج الرجل فحمل الى منزله فى شق محمل فمات من ليلته وروى المدائنى أيضا قال خطب على عليه السلام فقال لو كسرت لى الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الانجيل بانجيلهم وبين أهل الفرقان بفرقانهم ومامن آية فى كتاب الله أنزلت فى سهل أو جبل الا وأنا عالم متى أنزلت وفيمن أنزلت فقال رجل من القعود تحت منبره يالله وللدعوى الكاذبة وقال آخر الى جانبه أشهد أنك أنت الله رب العالمين قال المدائنى فانظر الى هذا التناقض والتباين فيه وروى المدائنى أيضا قال خطب على عليه السلام فذكر الملاحم فقال سلونى قبل أن تفقدونى أما والله لتسمعن الفتنة الصماء برجلها وتطأ فى خطامها يالها من فتنة شبت نارها بالحطب الجزل مقبلة من شرق الارض رافعة ذيلها داعية ويلها بدجلة أو حولها ذاك اذا استدار الفلك وقلتم مات أوهلك بأى واد سلك فقال قوم تحت منبره لله أبوه ما أفصحه كاذبا وروى صاحب كتاب الغارات عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحرث قال سمعت عليا يقول على المنبر ما أحد جرت عليه المواسى الا وقد أنزل الله فيه قرآنا فقام اليه رجل فقال يا أمير المؤمنين فما أنزل الله تعالى فيك قال يريد تكذيبه فقام الناس اليه يلكزونه فى صدره وجنبه فقال دعوه أقرأت سورة هود قال نعم قال أقرأت قوله سبحانه أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه قال نعم قال صاحب البينة محمد والتالى الشاهد أنا

(الاصل) ﴿ومن خطبة له عليه السلام﴾

علم فيها الناس الصلاة على النبى صلى الله عليه وآله

اللَّهُمَّ دَاحِيَ الْمَدْحُوَّاتِ * وَدَاعِمَ الْمَسْمُوكَاتِ * وَجَابِلَ الْقُلُوبِ عَلَى فِطْرَتِهَا * شَقِيِّهَا وَسَعِيدِهَا * اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ وَنَوَامِيَ بَرَكَاتِكَ * عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ * وَالْفَاتِحِ لِمَا انْغَلَقَ * وَالْمُعْلِنِ الْحَقَّ بِالْحَقِّ * وَالدَّافِعِ جَيْشَاتِ الْأَبَاطِيلِ * وَالدَّامِغِ صَوْلَاتِ الْأَضَالِيلِ * كَمَا حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ * قَائِماً بِأَمْرِكَ

مُسْتَوْفِزاً فِي مَرْضَاتِكَ * غَيْرَ نَاكِلٍ عَنْ قُدُمٍ * وَلَا وَاهٍ فِي عَزْمٍ * وَاعِياً لِوَحْيِكَ حَافِظاً لِعَهْدِكَ * مَاضِياً عَلَى نَفَاذِ أَمْرِكَ * حَتَّى أَوْرَى قَبَسَ الْقَابِسِ وَأَضَاءَ الطَّرِيقَ لِلْخَابِطِ * وَهُدِيَتْ بِهِ الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ وَالْآثَامِ * وَأَقَامَ بِمُوضِحَاتِ الْأَعْلَامِ وَنَيِّرَاتِ الْأَحْكَامِ فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ وَخَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ * وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ * وَبَعِيثُكَ بِالْحَقِّ وَرَسُولُكَ إِلَى الْخَلْقِ * اللَّهُمَّ افْسَحْ لَهُ مَفْسَحاً فِي ظِلِّكَ * وَاجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ * اللَّهُمَّ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ * وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ مَنْزِلَتَهُ وَأَتْمِمْ لَهُ نُورَهُ وَاجْزِهِ مِنِ ابْتِعَاثِكَ لَهُ مَقْبُولَ الشَّهَادَةِ * مَرْضِيَّ الْمَقَالَةِ * ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ * وَخُطْبَةٍ فَصْلٍ * اللَّهُمَّ اجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فِى بَرْدِ الْعَيْشِ وَقَرَارِ النِّعْمَةِ * وَمُنَى الشَّهَوَاتِ * وَأَهْوَاءِ اللَّذَّاتِ * وَرَخَاءِ الدَّعَةِ * وَمُنْتَهَى الطُّمَأْنِينَةِ * وَتُحَفِ الْكَرَامَةِ

(الشرح) دحوت الرغيف دحوا بسطته والمدحوات هنا الارضون فان قلت قد ثبت ان الارض كروية فكيف تكون مبسوطة والبسيط هو المسطح والكروى لايكون مسطحا قلت الارض بجملتها شكل كرة وذلك لايمنع أن تكون كل قطعة منها مبسوطة تصلح لأن تكون مستقرا ومجالا للبشر وغيرهم من الحيوان فان المراد ببسطها ههنا ليس هو السطح الحقيقى الذى لايوجد فى الكرة بل كون كل قطعة منها صالحة لأن يتصرف عليها الحيوان لايعنى بها غير ذلك وداحى المدحوات منتصب لانه منادى مضاف تقديره ياباسط الارضين المبسوطات وقوله وداعم المسموكات أى حافظ السموات المرفوعات دعمت الشئ اذا حفظته من الهوى بدعامة والمسموك المرفوع قال

ان الذى سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول

ويجوز أن يكون عنى بكونها مسموكة كونها ثخينة وسمك الجسم هو البعد الذى يعبر عنه المتكلمون بالعمق وهو قسيم الطول والعرض ولاشئ أعظم ثخنا من الافلاك فان قلت كيف قال انه تعالى داعم المسموكات أى السموات وهى بغير عمد قلت اذا كان حافظا لها من الهوى بقدرته وقوته فقد صدق عليه كونه داعما لها لان قوته الحافظة لها تجرى مجرى الدعامة قوله وجابل القلوب أى خالقها والجبل الخلق وجبلة الانسان خلقته وفطراتها بكسر الفاء وفتح الطاء جمع فطرة ويجوز كسر الطاء كما قالوا فى سدرة وسدرات وسدرات والفطرة الحالة التى يفطر الله عليها الانسان أى يخلقه عليها خاليا من الآراء والديانات والعقائد والاهوية وهى مايقتضيه محض العقل وهو التوحيد والعدل وانما يختار الانسان بسوء نظره مايفضى به الى الشقوة وهذا معنى قول النبى صلى الله عليه وآله كل مولود يولد على الفطرة فانما أبواه يهودانه أو ينصرانه قوله شقيها وسعيدها بدل من القلوب وتقدير الكلام وجابل الشقى من القلوب والسعيد على مافطرت عليه والنوامى الزوائد والخاتم لما سبق أى لما سبق من الملل والفاتح لما انغلق من أمر الجاهلية والمعلن الحق بالحق أى المظهر للحق الذى هو خلاف الباطل بالحق أى بالحرب والخصومة يقال حاق فلان فلانا فحقه أى خاصمه فخصمه ويقال مافيه حق أى خصومة ونزاع قوله والدافع جيشات الاباطيل جمع جيشة من جاشت القدر اذا ارتفع غليانها والاباطيل جمع باطل على غير قياس والمراد أنه قامع ماتجم من الباطل والدامغ المهلك من دمغه أى شجه حتى بلغ الدماغ ومع ذلك يكون الهلاك والصولات جمع صولة وهى السطوة والاضاليل جمع ضلال على غير قياس قوله كما حمل أى لاجل انه تحمل والعرب تستعمل هذه الكاف بمعنى التعليل قال الشاعر

فقلت له أبا الملحاء خذها ＊ كما أوسعتنا بغيا وعدوا

أى هذه الضربة لبغيك علينا وتعديك وقوله كما حمل يعنى حمل أعباء الرسالة فاضطلع أى نهض بها قويا فرس ضليع أى قوى وهى الضلاعة أى القوة مستوفزا أى غير بطىء بل يحث نفسه ويجهدها فى رضا الله سبحانه والوفز العجلة والمستوفز المستعجل غيرنا كل عن قدم أى غير جبان ولا متأخر عن اقدام والقدم التقدم يقال مضى قدما أى تقدم وسار ولم يعرج قوله ولا واه فى عزم وهى أى ضعف والواهى الضعيف واعيا لوحيك أى فاهما وعيت الحديث أى فهمته وعقلته ماضيا على نفاذ أمرك فى الكلام حذف تقديره ماضيا مصرا على نفاذ أمرك كقوله تعالى فى تسع آيات الى فرعون ولم يقل مرسلا لان الكلام يدل بعضه على بعض وقوله حتى أورى قبس القابس يقال ورى الزند وأورى أى خرج ناره وأوريته أنا والقبس شعلة من النار والمراد بالقبس ههنا نور الحق والقابس الذى يطلب النار يقال قبست منه نارا وأقبسنى نارا أى أعطانيها وقال الراوندى أقبست الرجل علما وقبسته نارا أعطيته فان كنت طلبتها له قلت أقبسته نارا وقال الكسائى أقبسته نارا وعلما سواء قال ويجوز قبسته بغير همزة فيهما قوله وأضاء الطريق للخابط أى جعل الطريق للخابط مضيئة والخابط الذى يسير ليلا على غير جادة واضحة وهذه الالفاظ كلها استعارات ومجازات وخوضات الفتن جمع خوضة وهى المرة الواحدة من خضت الماء والوحل أخوضهما وتقدير الكلام وهديت به القلوب الى الاعلام الموضحة بعد ان خاضت فى الفتن أطوارا والاعلام جمع علم وهو ما يستدل به على الطريق كالمنارة ونحوها والموضحة التى توضح للناس الامور وتكشفها والنيرات ذوات النور قوله فهو أمينك المأمون أى أمينك على وحيك والمأمون من ألقاب رسول الله صلى الله عليه وآله قال كعب بن زهير

سقاك أبو بكر بكأس روية ＊ وأنهلك المأمون منها وعلكا

وخازن علمك المخزون بالجر صفة علمك والعلم الالهى المخزون هو ما أطلع الله تعالى عليه رسوله من الامور الخفية التى لا تتعلق بالاحكام الشرعية كالملاحم وأحوال الآخرة وغير ذلك لان الامور الشرعية لا يجوز أن تكون مخزونة عن المكلفين قوله وشهيدك يوم الدين أى شاهدك قال سبحانه فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا والبعيث المبعوث فعيل بمعنى مفعول كقتيل وجريح وصريع ومفسحا مصدر أى وسع له مفسحا وقوله فى ظلك يمكن أن يكون مجازا كقولهم فلان يشملنى بظله أى باحسانه وبره ويمكن أن يكون حقيقة ويعنى به الظل الممدود الذى ذكره الله تعالى فقال فى ظل ممدود وماء مسكوب قوله وأعل على بناء البانين بناءه أى اجعل منزلته فى دار الثواب أعلى المنازل وأتمم له نوره من قوله تعالى ربنا أتمم لنا نورنا وقد روى انه يطفأ سائر الانوار الا نور محمد صلى الله عليه وآله ثم يعطى المخلصون من أصحابه أنوارا يسيرة يبصرون بها مواطئ الاقدام فيدعون الى الله تعالى بزيادة تلك الانوار واتمامها ثم ان الله تعالى يتم نور محمد صلى الله عليه وآله فيستطيل حتى يملأ الآفاق فذلك هو اتمام نوره صلى الله عليه وآله قوله من ابتعاثك له أى فى الآخرة مقبول الشهادة أى مصدقا فيما يشهد به على أمته وعلى غيرها من الامم وقوله ذا منطق عدل أى عادل وهو مصدر أقيم مقام اسم الفاعل كقولك رجل فطر وصوم أى مفطر وصائم قوله وخطبة فصل أى يخطب خطبة فاصلة يوم القيامة كقوله تعالى انه لقول فصل وما هو بالهزل أى فاصل يفصل بين الحق والباطل وهذا هو المقام المحمود الذى ذكره الله تعالى فى الكتاب فقال عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وهو الذى يشار اليه فى الدعوات فى قولهم اللهم آت محمدا الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه المقام المحمود قوله فى برد العيش تقول العرب عيش بارد ومعيشة باردة أى لا حرب فيها ولا نزاع لان البرد والسكون متلازمان كتلازم الحر والحركة وقرار النعمة أى مستقرها يقال هذا قرار السيل أى مستقره ومن أمثالهم لكل سائلة قرار ومنى الشهوات ما تتعلق به الشهوات من الامانى وأهواء اللذات ما تهواه النفوس وتستلذه والرخاء المصدر من قولك رجل رخى البال فهو بين الرخاء أى واسع الحال والدعة السكون والطمأنينة وأصلها الواو ومنتهى الطمأنينة غايتها التى ليس بعدها غاية والتحف جمع تحفة وهى ما يكرم به الانسان من البر واللطف ويجوز فتح الحاء فان قلت ما معنى الصلاة على الرسول صلى الله عليه

وآله التى قال الله تعالى فيها ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قلت الصلاة من الله تعالى هى الاكرام والتبجيل ورفع المنزلة والصلاة منا على النبى صلى الله عليه وآله هى الدعاء له بذلك فقوله سبحانه هو الذى يصلى عليكم أى هو الذى يرفع منازلكم فى الآخرة وقوله وملائكته أى يدعون لكم بذلك وقيل جعلوا لكونهم مستجابى الدعوة كأنهم فاعلون التعظيم للمؤمن ورفع المنزلة ونظيره قوله حياك الله أى أحياك الله وأبقاك وحييتك أى دعوت لك بان يحييك لانك لاعتمادك على اجابة دعوتك وتوفك بذلك كأنك تحييه وتبقيه على الحقيقة وهكذا القول فى قوله سبحانه ان الله وملائكته يصلون على النبى وقد اختلف فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وآله هل هى واجبة أم لا فمن الناس من لم يقل بوجوبها وجعل الامر فى هذه الآية للندب ومنهم من قال انها واجبة واختلفوا فى حال وجوبها فمنهم من أوجبها كلما جرى ذكره وفى الحديث من ذكرت عنده فلم يصل على دخل النار وأبعده الله ومنهم من قال تجب فى كل مجلس مرة واحدة وان تكرر ذكره ومنهم من أوجبها فى العمر مرة واحدة وكذلك قال فى اظهار الشهادتين واختلف أيضا فى وجوبها فى الصلاة المفروضة فأبو حنيفة وأصحابه لا يوجبونها فيها وروى عن ابراهيم النخعى أنهم كانوا يكتفون يعنى الصحابة عنها بالتشهد وهو السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته وأوجبها الشافعى وأصحابه واختلف أصحابه فى وجوب الصلاة على آل محمد صلى الله عليه وآله فالاكثرون على أنها واجبة وأنها شرط فى صحة الصلاة فان قلت فما تقول فى الصلاة على الصحابة والصالحين من المسلمين قلت القياس جواز الصلاة على كل مؤمن لقوله تعالى هو الذى يصلى عليكم وملائكته وقوله وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم وقوله أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ولكن العلماء قالوا اذا ذكر الآل أحد من المسلمين تبعا للنبى صلى الله عليه وآله فلا كلام فى جواز ذلك وأما اذا أفردوا أو ذكر أحد منهم فاكثر الناس كرهوا الصلاة عليه لان ذلك شعار رسول الله صلى الله عليه وآله فلا يشركه فيه غيره وأما أصحابنا من البغداديين فلهم اصطلاح آخر وهو أنهم يكرهون اذا ذكروا عليا عليه السلام أن يقولوا صلى الله عليه ولا يكرهون أن يقولوا صلوات الله عليه وجعلوا اللفظة الاولى مختصة بالرسول صلى الله عليه وآله وجعلوا اللفظة الثانية مشتركا فيها بينهما عليهما السلام ولم يطلقوا لفظ الصلاة على أحد من المسلمين الا على على عليه السلام وحده

(الاصل) ﴿ومن كلام له عليه السلام﴾

قاله لِمَرْوانَ بن الحَكَم بالبصرة

قَالُوا أُخِذَ مَرْوَانُ ابْنُ الحَكَمِ أَسِيراً يَوْمَ الجَمَلِ فَاسْتَشْفَعَ الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ＊ إِلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ＊ فَكَلَّمَاهُ فِيهِ فَخَلَّى سَبِيلَهُ فَقَالَا لَهُ يُبَايِعُكَ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوَلَمْ يُبَايِعْنِي قَبْلَ قَتْلِ عُثْمَانَ لَا حَاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِهِ إِنَّهَا كَفٌّ يَهُودِيَّةٌ ＊ لَوْ بَايَعَنِي بِيَدِهِ لَغَدَرَ بِسُبَّتِهِ ＊ أَمَا إِنَّ لَهُ إِمْرَةً كَلَعْقَةِ الكَلْبِ أَنْفَهُ ＊ وَهُوَ أَبُو الأَكْبُشِ الأَرْبَعَةِ ＊ وَسَتَلْقَى الأُمَّةُ مِنْهُ وَمِنْ وَلَدِهِ يَوْماً أَحْمَرَ

(الشرح) قد روى هذا الخبر من طرق كثيرة ورويت فيه زيادة لم يذكرها صاحب نهج البلاغة وهى قوله عليه السلام فى مروان يحمل راية ضلالة بعد ما يشيب صدغاه وان له امرة الى آخر الكلام وقوله فاستشفع الحسن والحسين الى أمير المؤمنين عليه السلام وهو الوجه يقال استشفعت فلانا الى فلان أى سألته أن يشفع لى اليه وتشفعت الى فلان

فى فلان فشفعنى فيه تشفيعا وقول الناس استشفعت بفلان الى فلان بالباء ليس بذلك الجيد وقول أمير المؤمنين عليه السلام أولم يبايعنى بعد قتل عثمان أى وقد غدر وهكذا لو بايعنى الآن ومعنى قوله انها كف يهودية أى غادرة واليهود تنسب الى الغدر والخبث وقال تعالى ولتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والسبة الاست بفتح ٧ السين سبه يسبه أى طعنه فى الموضع ومعنى الكلام محمول على وجهين أحدهما أن يكون ذكر السبة اهانة له وغلظة عليه والعرب تسلك مثل ذلك فى خطبها وكلامها قال المتوكل لأبى العيناء الى متى تمدح الناس وتذمهم فقال ما أحسنوا وأساؤا ثم قال يا أمير المؤمنين ان الله تعالى رضى عن واحد فمدحه وسخط على آخر فهجاه وهجا أمه قال نعم العبد انه أواب وقال عتل بعد ذلك زنيم والزنيم ولد الزنا والوجه الثانى ان يريد بالكلام حقيقة لا مجازا وذلك لان الغادر من العرب كان اذا عزم على الغدر بعد عهد قد عاهده أو عقد قد عقده حبق استهزاء بما كان قد أظهره من اليمين والعهد وسخرية وتهكما والامرة الولاية بكسر الهمزة وقوله كلعقة الكلب أنفه يريد قصر المدة وكذلك كانت مدة خلافة مروان فانها ولى تسعة أشهر والاكبش الاربعة بنو عبد الملك الوليد وسليمان ويزيد وهشام ولم يل الخلافة من بنى أمية ولا من غيرهم أربعة اخوة الا هؤلاء وكل الناس فسروا الاكبش الاربعة بما ذكرناه وعندى أنه يجوز أن يعنى به بنى مروان لصلبه وهم عبد الملك وعبد العزيز وبشر ومحمد وكانوا كباشا أبطالا أنجادا أما عبد الملك فولى الخلافة وأما بشر فولى العراق وأما محمد فولى الجزيرة وأما عبد العزيز فولى مصر ولكل منهم آثار مشهورة وهذا التفسير أولى لان الوليد واخوته ابناء ابنه وهؤلاء بنوه لصلبه ويقال لليوم الشديد يوم أحمر وللسنة ذات الجدب سنة حمراء وكلما أخبر به أمير المؤمنين عليه السلام فى هذا الكلام وقع كما أخبر به وكذلك قوله يحمل راية ضلالة بعد ما يشيب صدغاه فانه ولى الخلافة وهو ابن خمس وستين فى أعدل الروايات ونحن ذاكرون فى هذا الموضع نسبه وجملا من أمره وولايته للخلافة ووفاته على سبيل الاختصار هو مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف وأمه آمنة بنت علقمة بن صفوان بن أمية الكنانى يكنى أبا عبد الملك ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله قيل سنة اثنتين من الهجرة وقيل عام الخندق وقيل يوم أحد وقيل غير ذلك وقال قوم بل ولد بمكة وقيل ولد بالطائف ذكر ذلك كله أبو عمر بن عبد البر فى كتاب الاستيعاب قال أبو عمر ومن قال بولادته يوم أحد مالك بن أنس وعلى قوله يكون رسول الله صلى الله عليه وآله قد توفى وعمره ثمان سنين أو نحوها وقيل انه لما نفى مع أبيه الى الطائف كان طفلا لا يعقل وانه لم ير رسول الله صلى الله عليه وآله وكان الحكم أبوه قد طرده رسول الله عن المدينة وسيره الى الطائف فلم يزل بها حتى ولى عثمان فرده الى المدينة فقدمها هو وولده فى خلافة عثمان وتوفى فاستكتبه عثمان وضمه اليه فاستولى عليه الى أن قتل والحكم بن أبى العاص هو عم عثمان بن عفان كان من مسلمة الفتح ومن المؤلفة قلوبهم وتوفى الحكم فى خلافة عثمان قبل قتله بشهور واختلف فى السبب الموجب لنفى رسول الله صلى الله عليه وآله له فقيل انه كان يتحيل ويستخفى ويسمع ما يسره رسول الله صلى الله عليه وآله الى أكابر الصحابة فى مشركى قريش وسائر الكفار والمنافقين ويفشى ذلك عنه حتى ظهر ذلك عليه وقيل كان يتجسس على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو عند نسائه ويسترق السمع ويصغى الى ما يجرى هناك مما لا يجوز الاطلاع عليه ثم يحدث به المنافقين على طريق الاستهزاء وقيل كان يحكيه فى بعض مشيته وبعض حركاته فقد قيل ان النبى صلى الله عليه وآله كان اذا مشى يتكفأ وكان الحكم بن أبى العاص يحكيه وكان شانئا له مبغضا حاسدا فالتفت رسول الله صلى الله عليه وآله يوما فرآه يمشى خلفه يحكيه فى مشيته فقال له كذلك فلتكن يا حكم فكان الحكم مختلجا يرتعش من يومئذ فذكر ذلك عبد الرحمن ابن حسان بن ثابت فقال لعبد الرحمن بن الحكم يهجوه

ان اللعين أبوك فارم عظامه * ان ترم ترم مخلجا مجنونا
يمشى خميص البطن من عمل التقى * ويظل من عمل الخبيث بطينا

٧ هكذا بالفتح وفى القاموس بالضم فى هذا المعنى اه

قال صاحب الاستيعاب أما قول عبد الرحمن بن حسان ان اللعين أبوك فانه روى عن عائشة من طرق ذكرها ابن أبى خيثمة وغيره أنها قالت لمروان اذ قال فى أخيها عبد الرحمن انه أنزل فيه والذى قال لوالديه أف لكما أتعداننى أن أخرج وقد خلت القرون من قبلى وهما يستغيثان الله ويلك آمن ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا أساطير الاولين أما انت يا مروان فأشهد أن رسول الله صلى الله عليه وآله لعن أباك وأنت فى صلبه وروى صاحب كتاب الاستيعاب باسناد ذكره عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال يدخل عليكم رجل لعين قال عبد الله وكنت قد رأيت أبى يلبس ثيابه ليقبل الى رسول الله صلى الله عليه وآله فلم أزل مشفقا أن يكون أول من يدخل فدخل الحكم بن أبى العاص قال صاحب كتاب الاستيعاب ونظر على عليه السلام يوما الى مروان فقال له ويل لك وويل لامة محمد منك ومن بيتك اذا شاب صدغاك وكان مروان يدعى خيط باطل قيل لانه كان طويلا مضطربا وضرب يوم الدار على قفاه فخر لفيه فلما بويع له بالخلافة قال فيه أخوه عبد الرحمن بن الحكم وكان ماجنا شاعرا وكان لا يرى رأى مروان

فوالله ما أدرى وانى لسائل * حليلة مضروب القفا كيف تصنع
لحا الله قوما أمروا خيط باطل * على الناس يعطى ما يشاء ويمنع

وقيل انما قال له أخوه عبد الرحمن ذلك حين ولاه معاوية امرة المدينة وكان كثيرا ما يهجوه ومن شعره فيه

وهبت نصيبى منك يا مروكله * لعمرو ومروان الطويل وخالد
ورب ابن أم زائد غير ناقص * وأنت ابن أم ناقص غير زائد

وقال مالك الريب يهجو مروان بن الحكم

لعمرك ما مروان يقضى أمورنا * ولكن ما تقضى لنا بنت جعفر
فياليتها كانت علينا أميرة * وليتك يا مروان أمسيت ذا حر

ومن شعر أخيه عبد الرحمن فيه

ألا من يبلغن مروان عنى * رسولا والرسول من البيان
بأنك لم تجد طردا الحر * كالصاق به طرف الهوان
وهل حدثت قبلى عن كريم * معين فى الحوادث أو معان
* يقيم بدار مضيعة اذا لم * يكن حيران أوها فى الجنان
فلا تقذف بى الرجوين انى * أقل القوم من يغنى مكانى
سأكفيك الذى استكفيت منى * بأمر لا تخالجه اليدان
* فلو أنا بمنزلة جرينا * جريت وأنت مضطرب العنان
ولولا أن أم أبيك أمى * وأن من قد هجاك فقد هجانى
لقد جاهرت بالبغضاء انى * الى من بالجهالة قد علانى

ولما صار أمر الخلافة الى معاوية ولى مروان المدينة ثم جمع له الى المدينة مكة والطائف ثم عزله وولى سعيد بن العاص فلما مات يزيد بن معاوية وولى ابنه أبو ليلى معاوية بن يزيد فى سنة أربع وستين عاش فى الخلافة أربعين يوما ومات فقالت له أمه أم خالد بنت أبى هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس اجعل الخلافة من بعدك لاخيك فأبى وقال لا يكون لى مرها ولكم حلوها فوثب مروان عليها وأنشد

انى أرى فتنة تغلى مراجلها * والملك بعد أبى ليلى لمن غلبا

وذكر أبو الفرج على بن الحسين الاصفهانى فى كتاب الاغانى أن معاوية لما عزل مروان بن الحكم عن امرة المدينة والحجاز وولى مكانه سعيد بن العاص وجه مروان أخاه عبد الرحمن بن الحكم أمامه الى معاوية وقال له القه

قبلى فعاتبه لى واستصلحه قال أبو الفرج وقد روى ان عبد الرحمن كان بدمشق يومئذ فلما بلغه خبر عزل مروان وقدومه الى الشام خرج وتلقاه وقال له أقم حتى أدخل الى أخيك فان كان عزلك عن موجدة دخلت اليه منفردا وان كان عن غير موجدة دخلت اليه مع الناس فأقام مروان ومضى عبد الرحمن فلما قدم على معاوية دخل اليه وهو يعشى الناس فانشده

أتتك العيس تنفخ فى براها ❊ تكشف عن مناكبها القطوع

بأبيض من أمية مضرحى ❊ كأن جبينه سيف صنيع

فقال له معاوية أزائرا جئت أم مفاخرا مكابرا فقال أى ذلك شئت فقال ما أشاء من ذلك شيأ وأراد معاوية أن يقطعه عن كلامه الذى عن له فقال له على أى ظهر جئتنا فقال على فرس قال ماصفته قال أجش هزيم يعرض بقول النجاشى فى معاوية يوم صفين

ونجى ابن حرب سابح ذو علالة ❊ أجش هزيم والرماح دوانى

اذا قلت أطراف الرماح تناله ❊ مرته له الساقان والقدمان

فغضب معاوية وقال الا انه لا يركبه صاحبه فى الظلم الى الريب ولا هو ممن يتسور على جاراته ولا يتوثب بعد هجعة الناس على كناته وكان عبد الرحمن يتهم بذلك فى امرأة أخيه فخجل عبد الرحمن وقال يا أمير المؤمنين ما حملك على عزل ابن عمك ألخيانة أوجبت ذلك أم لرأى رأيته وتدبير استصلحته فقال بل لتدبير استصلحته قال فلا بأس بذلك فخرج من عنده فلقى أخاه مروان فاخبره بما دار بينه وبين معاوية فاستشاط غيظا وقال لعبد الرحمن قبحك الله ما أضعفك عرضت للرجل بما أغضبه حتى اذا انتصر منك أحجمت عنه ثم لبس حلته وركب فرسه وتقلد سيفه ودخل على معاوية فقال له حين رآه وتبين الغضب فى وجهه مرحبا بأبى عبد الملك لقد زرتنا عند اشتياق منا اليك فقال ها الله ما زرتك لذلك ولا قدمت عليك فألفيتك الا عاقا قاطعا والله ما أنصفتنا ولا جزيتنا جزاءنا لقد كانت السابقة من بنى عبد شمس لآل أبى العاص والصهر عن رسول الله صلى الله عليه وآله لهم والخلافة منهم فوصلوكم يا بنى حرب وشرفوكم وولوكم فما عزلوكم ولا آثروا عليكم حتى اذا وليتم وأفضى الامر اليكم أبيتم الا أثرة وسوء صنيعة وقبح قطيعة فرويدا رويدا فقد بلغ بنو الحكم وبنو بنيه نيفا وعشرين وانما هى أيام قلائل حتى يكملوا أربعين ثم يعلم امرؤ ما يكون منهم حينئذ ثم هم للجزاء بالحسنى والسوء بالمرصاد قال أبو الفرج هذا رمز الى قول رسول الله صلى الله عليه وآله اذا بلغ بنو أبى العاص أربعين رجلا اتخذوا مال الله دولا وعباد الله خولا فكان بنو أبى العاص يذكرون أنهم سيلون أمر الامة اذا بلغوا هذه العدة قال أبو الفرج فقال له معاوية مهلا أبا عبد الملك انى لم أعزلك عن خيانة وانما عزلتك لثلاثة لو لم يكن منهن الا واحدة لأوجبت عزلك احداهن أنى أمرتك على عبد الله بن عامر وبينكما ما بينكما فلن تستطيع أن تشتفى منه والثانى كراهيتك لامرة زياد والثالث ان ابنتى رملة استعدتك على زوجها عمرو بن عثمان فلم تعدها فقال مروان أما ابن عامر فانى لا أنتصر منه فى سلطانى ولكن اذا تساوت الاقدام علم أين موقعه وأما كراهتى لامرة زياد فان سائر بنى أمية كرهوه وجعل الله لنا فى ذلك الكره خيرا كثيرا وأما استعداء رملة على عمرو فوالله انه ليأتى على سنة أو أكثر وعندى بنت عثمان فما أكشف لها ثوبا يعرض بان رملة انما تستعدى على عمرو بن عثمان طلب النكاح فغضب معاوية فقال يا ابن الوزغ لست هناك فقال مروان هو ما قلت لك وانى الآن لأبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة وقد كاد ولد أبى أن يكملوا العدة يعنى أربعين ولو قد بلغوها لعلمت أين تقع منى فانخذل معاوية وقال

فان أك فى شراركم قليلا ❊ فانى فى خياركم كثير

بغاث الطير أكثرها فراخا ❊ وأم الصقر مقلاة نزور

ثم استخذى معاوية فى يد مروان وخضع وقال العتبى وأنا رادك الى عملك فوثب مروان وقال كلا وعيشك لا رأيتنى عائدا وخرج فقال الاحنف لمعاوية ما رأيت قط لك سقطة مثلها ما هذا الخضوع لمروان وأى شئ يكون منه ومن بنى

أبيه اذا بلغوا أربعين وما الذى تخشاه منهم فقال ادن منى أخبرك ذلك فدنا الاحنف منه فقال ان الحكم بن أبى العاص كان أحد من قدم مع أم حبيبة لما زفت الى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يتولى نقلها اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يحد النظر اليه فلما خرج من عنده قيل يا رسول الله لقد أحددت النظر الى الحكم فقال ابن المخزومية ذاك رجل اذا بلغ بنو أبيه ثلاثين أو أربعين ملكوا الامر من بعدى فوالله لقد تلقاها مروان من عين صافية فقال الاحنف رويدا يا أمير المؤمنين لا يسمع هذا منك أحد فانك تضع من قدرك وقدر ولدك بعدك وان يقض الله أمرا يكن فقال معاوية اكتمها يا أبا بحر على اذا فقد لعمرك صدقت ونصحت وذكر شيخنا أبو عثمان الجاحظ فى كتاب مفاخرة هاشم وعبد شمس أن مروان كان يضعف وانه كان ينشد يوم مرج راهط والرؤس تندر عن كواهلها وما ضر هم عند حنين النفوس أى غلامى قريش علمت ٧ قال وهذا حمق شديد وضعف عظيم قال وانما ساد مروان وذكر بابنه عبد الملك كما ساد بنوه ولم يكن فى نفسه هناك ❊ فاما خلافة مروان فذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى التاريخ ان عبد الله بن الزبير لما أخرج بنى أمية عن الحجاز الى الشام فى خلافة يزيد بن معاوية خرجوا وفيهم مروان وابنه عبد الملك ولم تطل مدة يزيد فتوفى ومات ابنه بعده بايام يسيرة وكان من رأى مروان أن يدخل الى ابن الزبير بمكة فيبايعه بالخلافة فقدم عبيد الله بن زياد وقد أخرجه أهل البصرة عنها بعد وفاة يزيد فاجتمع هو وبنو أمية وأخبروه بما قد أجمع عليه مروان فجاء اليه وقال استحييت لك يا أبا عبد الملك مما تريد أنت كبير قريش وسيدها تصنع ما تصنع وتشخص الى أبى خبيب فتبايعه بالخلافة فقال مروان ما فات شئ بعد فقام مروان واجتمع اليه بنو أمية ومواليهم وعبيد الله بن زياد وكثير من أهل اليمن وكثير من كلب فقدم دمشق وعليها الضحاك بن قيس الفهرى قد بايعه الناس على ان يصلى بهم ويقيم لهم أمرهم حتى يجتمع الناس على امام وكان هوى الضحاك مع ابن الزبير الا أنه لم يبايع له بعد وكان زفر بن الحارث الكلابى بقنسرين يخطب لابن الزبير والنعمان بن بشير الانصارى بحمص يخطب لابن الزبير وكان حسان بن مالك بن بجدل الكلبى بفلسطين يهوى هوى بنى أمية ثم من بينهم بنى حرب لأنه كان عاملا لمعاوية ثم ليزيد بن معاوية من بعده وكان حسان بن مالك مطاعا فى قومه عظيما عندهم فخرج عن فلسطين يريد الاردن واستخلف على فلسطين روح بن زنباع الجذامى فوثب عليه بعد شخوص حسان بن مالك نائل بن قيس الجذامى أيضا فأخرجه عن فلسطين وخطب لابن الزبير وكان له فيه هوى فاستوثقت الشام كلها لابن الزبير ما عدا الأردن فان حسان بن مالك الكلبى كان يهوى هوى بنى أمية ويدعو اليهم فقام فى أهل الاردن فخطبهم وقال لهم ما شهادتكم على ابن الزبير وقتلى المدينة بالحرة قالوا نشهد أن ابن الزبير كان منافقا وأن قتلى أهل المدينة بالحرة فى النار قال فما شهادتكم على يزيد بن معاوية وقتلاكم بالحرة قالوا نشهد ان يزيد بن معاوية كان مؤمنا وكان قتلانا بالحرة فى الجنة قال وأنا أشهد أنه ان كان دين يزيد بن معاوية وهو حى حقا انه اليوم لعلى حق هو وشيعته وان كان ابن الزبير يومئذ هو وشيعته على باطل انه اليوم وشيعته على باطل قالوا صدقت نحن نبايعك على ان نقاتل معك من خالفك من الناس وأطاع ابن الزبير على ان تجنبنا ولاية هذين الغلامين ابنى يزيد بن معاوية وهما خالد وعبد الله فانهما حديثة أسنانهما ونحن نكره ان يأتينا الناس بشيخ ونأتيهم بصبى وقال وقد كان الضحاك بن قيس يوالى ابن الزبير باطنا ويهوى هواه ويمنعه اظهار ذلك بدمشق والبيعة له أن بنى أمية وكلبا كانوا بحضرته وكلب أخوال يزيد بن معاوية وبنيه ويطلبون الامرة لهم فكان الضحاك يعمل فى ذلك سرا وبلغ حسان بن مالك بن بجدل ما أجمع عليه الضحاك فكتب اليه كتابا يعظم فيه حق بنى أمية ويذكر الطاعة والجماعة وحسن بلاء بنى أمية عنده وصنيعهم اليه ويدعوه الى بيعتهم وطاعتهم ويذكر ابن الزبير ويقع فيه ويشتمه ويذكر أنه منافق قد خلع خليفتين وأمره أن يقرأ كتابه على الناس ثم دعا رجلا من كلب يقال له باغضة فسرح بالكتاب معه الى الضحاك بن قيس وكتب حسان نسخة ذلك الكتاب ودفعه الى باغضة وقال له ان قرأ الضحاك كتابى على الناس والا فقم أنت واقرأ هذا الكتاب عليهم وكتب حسان الى بنى أمية يأمرهم أن يحضروا ذلك فقدم باغضة بالكتاب على الضحاك فدفعه اليه ودفع كتاب بنى أمية اليهم سرا فلما كان

يوم الجمعة وصعد الضحاك على المنبر وقدم اليه باغضة فقال أصلح الله الامير ادع بكتاب حسان فاقرأه على الناس فقال له الضحاك اجلس فجلس ثم قام ثانية فتكلم مثل ذلك فقال له اجلس فجلس ثم قام ثالثة وكان كالثانية والاولى فلما رآه باغضة لايقرأ الكتاب أخرج الكتاب الذى معه فقرأه على الناس فقام الوليد بن عتبة بن أبى سفيان فصدق حسان وكذب ابن الزبير وشتمه وقام يزيد بن أبى النمس الغسانى فصدق مقالة حسان وكتابه وشتم ابن الزبير وقام سفيان بن أبرد الكلبى فصدق مقالة حسان وشتم ابن الزبير وقام عمر بن يزيد الحكمى فشتم حسان وأثنى على ابن الزبير فاضطرب الناس ونزل الضحاك بن قيس فامر بالوليد بن عتبة وسفيان بن الابرد ويزيد بن أبى النمس الذين كانوا صدقوا حسان وشتموا ابن الزبير فحبسوا وجال الناس بعضهم فى بعض ووثبت كلب على عمر بن يزيد الحكمى فضربوه وخرقوا ثيابه وقد كان قام خالد بن يزيد بن معاوية فصعد مرقاتين من المنبر وهو يومئذ غلام والضحاك بن قيس فوق المنبر فتكلم بكلام أوجز فيه لم يسمع مثله ثم نزل فلما دخل الضحاك بن قيس داره جاءت كلب الى السجن فاخرجوا سفيان بن ابرد الكلبى وجاءت غسان فاخرجوا يزيد بن أبى النمس وقال الوليد بن عتبة لو كنت من كلب أوغسان لأخرجت فجاء ابنا يزيد بن معاوية خالد وعبد الله ومعهما أخوالهما من كلب فأخرجوه من السجن ثم ان الضحاك بن قيس خرج الى مسجد دمشق فجلس فيه وذكر يزيد بن معاوية فوقع فيه فقام اليه سنان من كلب ومعه عصا فضربه بها والناس جلوس حلقا متقلدى السيوف فقام بعضهم الى بعض فى المسجد فاقتتلوا فكانت قيس غيلان قاطبة تدعو الى ابن الزبير معها الضحاك وكلب تدعو الى بنى أمية ثم الى خالد بن يزيد فيتعصبون له فدخل الضحاك دار الامارة وأصبح الناس فلم يخرج الضحاك الى صلاة الفجر فلما ارتفع النهار بعث الى بنى أمية فدخلوا عليه فاعتذر اليهم وذكر حسن بلائهم عنده وأنه ليس يهوى شيأ يكرهونه ثم قال تكتبون الى حسان ونكتب ويسير حسان من الأردن حتى ينزل الجابية ونسير نحن وأنتم حتى نوافيه بها فيجتمع رأى الناس على رجل منكم فرضيت بذلك بنو أمية وكتبوا الى حسان وهو بالاردن وكتب اليه الضحاك يأمره بالموافاة فى الجابية وأخذ الناس فى الجهاز للرحيل وخرج الضحاك بن قيس من دمشق وخرج الناس وخرجت بنو أمية وتوجهت الرايات يريدون الجابية فجاء ثور بن معن بن يزيد بن الاخنس السلمى الى الضحاك فقال دعوتنا الى طاعة ابن الزبير فبايعناك على ذلك ثم أنت الآن تسير الى هذا الاعرابى من كلب لتستخلف ابن أخته خالد بن يزيد بن معاوية فقال الضحاك فما الرأى قال الرأى أن نظهر ما كنا نسر وندعو الى طاعة ابن الزبير ونقاتل عليها فمال الضحاك بمن معه من الناس وانخزل من بنى أمية ومن معهم من قبائل اليمن فنزل مرج راهط قال أبو جعفر واختلف فى أى وقت كانت الوقعة بمرج راهط فقال الواقدى كانت فى سنة خمس وستين وقال غيره فى سنة أربع وستين قال أبو جعفر وسارت بنو أمية ولفيفها حتى وافوا حسان بالجابية فصلى بهم أربعين يوما والناس يتشاورون وكتب الضحاك بن قيس من مرج راهط الى النعمان بن بشير الانصارى وهو على حمص يستنجده والى زفر بن الحارث وهو فى قنسرين والى نائل بن قيس وهو على فلسطين ليستمدهم وكلهم على طاعة ابن الزبير فأمدوه فاجتمعت الاجناد اليه بمرج راهط وأما الذين بالجابية فكانت أهواؤهم مختلفة فأما مالك بن هبيرة السلولى فكان يهوى هوى يزيد بن معاوية ويحب أن تكون الخلافة فى ولده وأما حصين ابن نمير السلولى فكان يهوى هوى بنى أمية ويحب أن تكون الخلافة لمروان بن الحكم فقال مالك بن هبيرة للحصين ابن نمير هلم فلنبايع لهذا الغلام الذى نحن ولدنا أباه وهو ابن أختنا فقد عرفت منزلتنا التى كانت من أبيه انك ان تبايعه يحملك غدا على رقاب العرب يعنى خالد بن يزيد فقال الحصين لا لعمر الله لا يأتينا العرب بشيخ ونأتيها بصبى فقال مالك أظن هواك فى مروان والله ان استخلفت مروان ليحسدنك على سوطك وشراك نعلك وظل شجرة تستظل بها ان مروان أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة فان بايعتموه كنتم عبيدا لهم ولكن عليكم بابن أختكم خالد بن يزيد فقال الحصين انى رأيت فى المنام قنديلا معلقا من السماء وانه جاء كل من يمد عنقه الى الخلافة ليتناوله فلم يصل اليه وجاء مروان فتناوله والله لنستخلفنه فلما اجتمع رأيهم على بيعته واستمالوا حسان بن بحدل اليها قام روح بن زنباع

الجذامى

الجذامى فحمد الله وأثنى عليه فقال أيها الناس انكم تذكرون لهذا الامر عبد الله بن عمر بن الخطاب وتذكرون صحبته لرسول الله صلى الله عليه وآله وقدمه فى الاسلام وهو كما تذكرون لكنه رجل ضعيف وليس صاحب أمة محمد بالضعيف وأما عبد الله بن الزبير وما يذكر الناس من أمره وان أباه حوارى رسول الله صلى الله عليه وآله وأمه أسماء بنت أبى بكر ذات النطاقين فهو لعمرى كما تذكرون ولكنه منافق قد خلع خليفتين يزيد وأباه معاوية وسفك الدماء وشق عصا المسلمين وليس صاحب أمة محمد صلى الله عليه وآله بالمنافق وأما مروان بن الحكم فوالله ما كان فى الاسلام صدع قط الا كان مروان ممن يشعب ذلك الصدع وهو الذى قاتل عن عثمان بن عفان يوم الدار والذى قاتل على ابن أبى طالب عليه السلام يوم الجمل وانا نرى للناس أن يبايعوا الكبير ويستشبوا الصغير يعنى بالكبير مروان وبالصغير خالد بن يزيد فاجتمع رأى الناس على البيعة لمروان ثم لخالد بن يزيد من بعده ثم لعمرو بن سعيد بن العاص بعدهما على أن تكون فى أيام خلافة مروان امرة دمشق لعمرو بن سعيد وامرة حمص لخالد بن يزيد فلما استقر الامر على ذلك دعا حسان بن بحدل خالد بن يزيد فقال يا ابن أختى ان الناس قد أبوك لحداثة سنك وانى والله ما أريد هذا الامر الا لك ولاهل بيتك وما أبايع مروان الا نظرا لكم فقال خالد بل عجزت عنا فقال لا والله لم أعجز عنك ولكن الرأى لك ما رأيت ثم ان حسان دعا مروان بن الحكم فقال له يا مروان ان الناس كلهم لا يرضون بك فقال مروان ان يرد الله أن يعطينيها لم يمنعنيها أحد من خلقه وان يرد أن يمنعنيها لا يعطينيها أحد من خلقه فقال حسان صدقت ثم صعد حسان المنبر فقال أيها الناس انى مستخلف فى غد أحدكم ان شاء الله فاجتمع الناس بكرة الغد ينتظرون فصعد حسان المنبر وبايع لمروان وبايع الناس وسار من الجابية حتى نزل بمرج راهط حيث الضحاك بن قيس نازل فجعل مروان على ميمنته عمرو بن سعيد بن العاص وعلى ميسرته عبيد الله بن زياد وجعل الضحاك على ميمنته زياد بن عمر بن معاوية العتكى وعلى ميسرته ثور بن معن السلمى وكان يزيد بن أبى النمس الغسانى بدمشق لم يشهد الجابية وكان مريضا فلما حصل الضحاك بمرج راهط ثار بأهل دمشق فى عبيده وأهله فغلب عليها وأخرج عامل الضحاك منها وغلب على الخزائن وبيت المال وبايع لمروان وأمده من دمشق بالرجال والمال والسلاح فكان ذلك أول فتح فتح لمروان ثم وقعت الحرب بين مروان والضحاك فاقتتلوا بمرج راهط عشرين ليلة فهزم أصحاب الضحاك وقتلوا وقتل أشراف الناس من أهل الشام وقتلت قيس مقتلة لم تقتل مثلها فى موطن قط وقتل ثور بن معن السلمى الذى رد الضحاك عن رأيه قال أبو جعفر وروى أن بشير بن مروان كان صاحب الراية ذلك اليوم وأنه كان ينشد

ان على الرئيس حقا حقا * ان يخضب الصعدة أو يندقا

وصرع ذلك اليوم عبد العزيز بن مروان ثم استنقذ قال ومر مروان برجل من محارب وهو فى نفر يسير من أصحاب مروان فقال له لو انضممت الى أصحابك رحمك الله فانى أراك فى قلة فقال ان معنا يا أمير المؤمنين من الملائكة مددا أضعاف من تأمرنا بالانضمام اليهم قال فضحك مروان وسر بذلك وقال للناس ممن كان حوله ألا تستمعون قال أبو جعفر وكان قاتل الضحاك رجل من كلب يقال له زحنة بن عبد الله فلما قتله وأحضر الرأس الى مروان ظهرت عليه كآبة وقال الآن حين كبرت سنى ودق عظمى وصرت فى مثل ظمء الحمار أقبلت أضرب الكتائب بعضها ببعض قال أبو جعفر وروى ان مروان أنشد لما بويع ودعا الى نفسه

لما رأيت الامر أمرا نهبا * سيرت غسان لهم وكلبا
والسكسكيين رجالا غلبا * وطيئا تأباه الاضربا *
والقين تمشى فى الحديد نكبا * ومن تنوخ مشمخرا صعبا
لا يملكون الملك الا غصبا * وان دنت قيس فقل لا قربا

قال أبو جعفر وخرج الناس منهزمين بعد قتل الضحاك فانتهى أهل حمص الى حمص وعليها النعمان بن بشير فلما عرف الخبر خرج هاربا ومعه ثقله وولده وتحير ليلته كلها وأصبح وهو بباب مدينة حمص فرآه أهل حمص فقتلوه وخرج

زفر بن الحرث الكلابي من قنسرين هاربا فلحق بقرقيسا وعليها عياض بن أسلم الحرشي فلم يمكنه من دخولها فحلف له زفر بالطلاق والعتاق انه اذا دخل حمامها خرج منها وقال له ان لي حاجة الى دخول الحمام فلما دخلها لم يدخل حمامها وأقام بها وأخرج عياضا منها وتحصن فيها وثابت اليه قيس غيلان وخرج نائل بن قيس الجذامي من فلسطين هاربا فالتحق بابن الزبير بمكة وأطبق أهل الشام على مروان واستوثقوا له واستعمل عليهم عماله ففي ذلك يقول زفر بن الحارث

أريني سلاحي لا أبالك انني * أرى الحرب لا يزداد الا تماديا

أتاني عن مروان بالغيب أنه * مريق دمي أو قاطع من لسانيا

وفي العيش منجاة وفي الارض مهرب * اذا نحن رفعنا لهن المبانيا *

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى * وتبقى حزازات النفوس كما هيا

أتذهب كلب لم ينلها رماحنا * وتترك قتلى راهط هي ماهيا

لعمري لقد أبقت وقيعة راهط * لحسان صدعا بينا متنائيا

أبعد ابن عمرو وابن معن تتابعا * ومقتل همام أمني الامانيا

ولم ترمني نبوة قبل هذه * فراري وتركي صاحباي ورائيا

أيذهب يوم واحد ان أسأته * بصالح أيامي وحسن بلائيا

فلا صلح حتى تنحط الخيل بالقنا * وتثأر من نسوان كلب نسائيا

وقال زفر بن الحارث أيضا وهو من شعر الحماسة

أفي الله اما بحدل وابن بحدل * فيحيا وأما ابن الزبير فيقتل

كذبتم وبيت الله لا تقتلونه * ولما يكن يوم أغر محجل

ولما يكن للمشرفية فوقكم * شعاع كقرن الشمس حين ترجل

* وأما وفاة مروان والسبب فيها أنه كان قد استقر الامر بعده لخالد بن يزيد بن معاوية على ما قدمناه ذكره فلما استوثق له الامر أحب أن يبايع لعبد الملك وعبد العزيز ابنيه فاستشار في ذلك فأشير عليه أن يتزوج أم خالد بن يزيد وهي ابنة أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة ليصغر شأنه فلا يرشح للخلافة فتزوجها ثم قال لخالد يوما في كلام دار بينهما والمجلس غاص بأهله اسكت يا ابن الرطبة فقال خالد أنت لعمري مؤتمن وخبير ثم قام باكيا من مجلسه وكان غلاما حينئذ فدخل على أمه فأخبرها فقالت له لا يعرفن ذلك فيك واسكت فانا أكفيك أمره فلما دخل عليها مروان قال لها ما قال لك خالد قالت وما عساه يقول قال ألم يشكني اليك قالت ان خالدا أشد اعظاما لك من أن يشتكيك فصدقها ثم مكثت أياما فنام عندها وقد واعدت جواريها فقمن اليه فجعلن الوسائد والبراذع عليه وجلسن عليه حتى خنقنه وذلك بدمشق في شهر رمضان وهو ابن ثلاث وستين سنة في قول الواقدي وأما هشام بن محمد الكلبي فقال ابن احدى وثمانين سنة وقال كان ابن احدى وثمانين عاش في الخلافة تسعة أشهر وقيل عشرة أشهر وكان في أيام كتابته لعثمان بن عفان أكثر حكما وأشد تلطفا وتسلطا منه في أيام خلافته وكان ذلك من أعظم الاسباب الداعية الى خلع عثمان وقتله وقد قال قوم ان الضحاك بن قيس لما نزل مرج راهط لم يدع الى ابن الزبير وانما دعا الى نفسه وبويع بالخلافة وكان قرشيا والاكثر الاشهر أنه كان يدعو الى ابن الزبير

(الاصل) ﴿ ومن كلام له عليه السلام لما عزموا على بيعة عثمان ﴾

لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ بِهَا مِنْ غَيْرِي وَوَاللهِ لَأُسَلِّمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ وَلَمْ

يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً الْتِمَاسًا لِأَجْرِ ذَلِكَ وَفَضْلِهِ وَزُهْدًا فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَزِبْرِجِهِ

(الشرح) نافست في الشيء منافسة ونفاسا اذا رغبت فيه على وجه المباراة في الكرم وتنافسوا فيه أي رغبوا والزخرف الذهب ثم شبه به كل مموه مزور قال تعالى حتى اذا أخذت الارض زخرفها والمزخرف المزين والزبرج الزينة من وشي أو جوهر ونحو ذلك ويقال الزبرج الذهب أيضا يقول لاهل الشورى انكم تعلمون أني أحق بالخلافة من غيري وتعدلون عني ثم أقسم ليسلمن وليتركن المخالفة لهم اذا كان في تسليمه ونزوله عن حقه سلامة أمور المسلمين ولم يكن الجور والحيف الا عليه خاصة وهذا كلام مثله عليه السلام لأنه اذا علم أو غلب على ظنه أنه ان نازع وحارب دخل على الاسلام وهن وثلم لم يختر له المنازعة وان كان يطلب بالمنازعة ما هو حق وان علم أو غلب على ظنه أنه بالامساك عن طلب حقه انما يدخل الثلم والوهن عليه خاصة ويسلم الاسلام من الفتنة وجب عليه أن يغضي ويصبر على ما أتوا اليه من أخذ حقه وكف يده حراسة للاسلام من الفتنة فان قلت فهلا سلم الى معاوية والى أصحاب الجمل وأغضى على اغتصاب حقه حفظا للاسلام من الفتنة قلت ان الجور الداخل عليه من أصحاب الجمل ومن معاوية وأهل الشام لم يكن مقصورا عليه خاصة بل كان يعم الاسلام والمسلمين جميعا لأنهم لم يكونوا عنده ممن يصلح لرئاسة الامة وتحمل أعباء الخلافة فلم يكن الشرط الذي اشترطه متحققا وهو قوله ولم يكن فيه جور الا علي خاصة وهذا الكلام يدل على انه عليه السلام لم يكن يذهب الى أن خلافة عثمان كانت تتضمن جورا على المسلمين والاسلام وانما كانت تتضمن جورا عليه خاصة وأنها وقعت على جهة مخالفة الأولى لا على جهة الفساد الكلي والبطلان الاصلي وهذا محض مذهب أصحابنا ونحن نذكر في هذا الموضع ما استفاض في الروايات من مناشدته أصحاب الشورى وتعديده فضائله وخصائصه التي بان بها منهم ومن غيرهم قد روى الناس ذلك فأكثروا والذي صح عندنا أنه لم يكن الامر كما روي من تلك التعديدات الطويلة ولكنه قال لهم بعد أن بايع عبد الرحمن والحاضرون عثمان وتلكأ هو عليه السلام عن البيعة ان لنا حقا ان نعطه نأخذه وان نمنعه نركب أعجاز الابل وان طال السرى في كلام قد ذكره أهل السيرة وقد أوردنا بعضه فيما تقدم ثم قال لهم أنشدكم الله أفيكم أحد آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بينه وبين نفسه حيث آخى بين بعض المسلمين وبعض غيري فقالوا لا فقال أفيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله من كنت مولاه فهذا مولاه غيري فقالوا لا فقال أفيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله أنت مني بمنزلة هرون من موسى الا أنه لا نبي بعدي غيري قالوا لا قال أفيكم من أؤتمن على سورة براءة وقال له رسول الله صلى الله عليه وآله انه لا يؤدي عني الا أنا أو رجل مني غيري قالوا لا قال ألا تعلمون أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فروا عنه في مأقط الحرب في غير موطن وما فررت قط قالوا بلى قال ألا تعلمون أني أول الناس اسلاما قالوا بلى قال فأينا أقرب الى رسول الله صلى الله عليه وآله نسبا قالوا أنت فقطع عليه عبد الرحمن بن عوف كلامه وقال يا علي قد أبى الناس الا على عثمان فلا تجعلن على نفسك سبيلا ثم قال يا أبا طلحة ما الذي أمرك به عمر قال ان أقتل من شق عصا الجماعة فقال عبد الرحمن لعلي بايع اذن والا كنت متبعا غير سبيل المؤمنين وأنفذنا فيك ما أمرنا به فقال لقد علمتم أني أحق بها من غيري والله لأسلمن الفصل الى آخره ثم مد يده فبايع

(الاصل) ﴿ وَمِنْ كلام لهُ عليه السلام ﴾

لما بلغه اتهام بني أمية له بالمشاركة في دم عثمان

أَوَلَمْ يَنْهَ بَنِي أُمَيَّةَ عِلْمُهَا بِي عَنْ قَرْفِي * أَوَمَا وَزَعَ الْجُهَّالَ سَابِقَتِي عَنْ تُهْمَتِي * وَلَمَا وَعَظَهُمُ اللهُ بِهِ أَبْلَغُ مِنْ لِسَانِي * أَنَا حَجِيجُ الْمَارِقِينَ * وَخَصِيمُ النَّاكِثِينَ الْمُرْتَابِينَ *

وَعلى كِتابِ اللهِ تُعرَضُ الأَمثالُ * وَبِما في الصُّدورِ تُجازى العِبادُ

(الشرح) القرف العيب قرفته بكذا أى عبته ووزع كف وردع ومنه قوله لابد للناس من وزعة جمع وازع أى من رؤساء وأمراء والتهمة بفتح الهاء هى اللغة الفصيحة وأصل التاء فيه واو والحجيج كالخصيم ذوا الحجاج والخصومة يقول عليه السلام أما كان فى علم بنى أمية بحالى ما ينهاها عن قرفى بدم عثمان وحاله التى أشار اليها وذكر أن علمهم بها يقتضى ان لا يقرفوه بذلك هى منزلته فى الدين التى لا منزلة أعلى منها وما نطق به الكتاب الصادق من طهارته وطهارة بنيه وزوجته فى قوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وقول النبى صلى الله عليه وآله أنت منى بمنزلة هرون من موسى وذلك يقتضى عصمته عن الدم الحرام كما أن هرون معصوم عن مثل ذلك وترادف الاقوال والافعال من رسول الله صلى الله عليه وآله فى أمره التى يضطر معها الحاضرون لها والمشاهدون اياها الى ان مثله لا يجوز أن يسعى فى اراقة دم أمير مسلم لم يحدث حدثا يستوجب به احلال دمه وهذا الكلام صحيح معقول وذاك انا نرى من يظهر ناموس الدين ويواظب على نوافل العبادات ونشاهد من ورعه وتقواه ما يتقرر معه فى نفوسنا استشعاره الدين واعتقاده اياه فيصرفنا ذلك عن قرفه بالعيوب الفاحشة ونستبعد مع ذلك طعن من يطعن فيه ونتكره ونأباه ونكذبه فكيف ساغ لاعداء أمير المؤمنين عليه السلام مع علمهم بمنزلته العالية فى الدين التى لم يصل اليها أحد من المسلمين أن يطلقوا ألسنتهم فيه وينسبوه الى قتل عثمان أو الممالأة عليه لا سيما وقد اتصل بهم وثبت عندهم أنه كان من أنصاره لا من المجلبين عليه وأنه كان أحسن الجماعة فيه قولا وفعلا ثم قال ألم تزع الجهال وتردعهم سابقتى عن تهمتى وهذا الكلام تأكيد للقول الاول ثم قال ان الذى وعظهم الله تعالى به فى القرآن من تحريم الغيبة والقذف وتشبيه ذلك بأكل لحم الميت أبلغ من وعظى لهم لانه لا عظة أبلغ من عظة القرآن ثم قال أنا حجيج المارقين وخصيم المرتابين يعنى يوم القيامة روى عنه عليه السلام أنه قال أنا أول من يجثو للحكومة بين يدى الله تعالى وقد روى عن النبى صلى الله عليه وآله مثل ذلك مرفوعا فى قوله تعالى هذان خصمان اختصموا فى ربهم وأنه صلى الله عليه وآله سئل عنها فقال على وحمزة وعبيدة وعتبة وشيبة والوليد وكانت حادثتهم أول حادثة وقعت فيها مبارزة أهل الايمان لاهل الشرك وكان المقتول الاول بالمبارزة الوليد بن عتبة قتله على عليه السلام ضربه على رأسه فبدرت عيناه على وجنته فقال النبى صلى الله عليه وآله فيه وفى أصحابه ما قال وكان على عليه السلام يكثر من قوله أنا حجيج المارقين ويشير الى هذا المعنى ثم أشار الى ذلك بقوله على كتاب الله تعرض الامثال يريد قوله تعالى هذان خصمان اختصموا فى ربهم ثم قال وبما فى الصدور تجازى العباد ان كنت قتلت عثمان أو مالأت عليه فان الله تعالى سيجازى منى بذلك والا فسوف يجازى بالعقوبة والعذاب من اتهمنى به ونسبه الى وهذا الكلام يدل على ما يقوله أصحابنا من تبرى أمير المؤمنين عليه السلام من دم عثمان وفيه رد وابطال لما يزعمه الامامية من كونه رضى به وأباحه وليس يقول أصحابنا انه عليه السلام لم يكن ساخطا أفعال عثمان ولكنهم يقولون انه وان سخطها وكرهها وأنكرها لم يكن مبيحا لدمه ولا ممالئا على قتله ولا يلزم من انكار أفعال الانسان احلال دمه فقد لا يبلغ الفعل فى القبح الى أن يستحل به الدم كما فى كثير من المناهى

(الاصل) ﴿ومن خطبة له عليه السلام﴾

رَحِمَ اللهُ امرَأً سَمِعَ حُكماً فَوَعى * وَدُعِيَ إِلى رَشادٍ فَدَنا * وَأَخَذَ بِحُجزَةِ هادٍ فَنَجا * راقَبَ رَبَّهُ * وَخافَ ذَنبَهُ * قَدَّمَ خالِصاً * وَعَمِلَ صالِحاً * اكتَسَبَ مَذخوراً * وَاجتَنَبَ مَحذوراً * وَرَمى غَرَضاً وَأَحرَزَ عِوَضاً * كابَرَ هَواهُ * وَكَذَّبَ

مُناهُ * جَعَلَ الصَّبرَ مَطِيَّةَ نَجاتِهِ * وَالتَّقوى عُدَّةَ وَفاتِه * رَكِبَ الطَّريقَةَ الغَرّاءَ * وَلَزِمَ المَحَجَّةَ البَيضاءَ * اغتَنَمَ المَهَلَ * وَبادَرَ الأَجَلَ وَتَزَوَّدَ مِنَ العَمَلِ

(الشرح) الحكم ههنا الحكمة قال سبحانه وآتيناه الحكم صبيا ووعى حفظ وعيت الحديث أعيه وعيا واذن واعية أى حافظة ودنا قرب والحجزة معقد الازار وأخذ فلان بحجزة فلان اذا اعتصم به ولجأ اليه ثم حذف عليه السلام الواو فى اللفظات الأخر فلم يقل وراقب ربه ولا وقدم خالصا وكذلك الى آخر اللفظات وهذا نوع من الفصاحة كثير فى استعمالهم واكتسب بمعنى كسب يقال كسبت الشئ واكتسبته بمعنى والغرض ما يرمى بالسهام يقول رحم الله امرأ رمى غرضا أى قصد الحق كمن يرمى غرضا بقصده لا من يرمى فى عمياء لا يقصد شيأ بعينه والعوض المحرز ههنا هو الثواب وقوله كابر هواه أى غالبه وروى كاثر بالثاء المنقوطة بالثلاث أى غالب هواه بكثرة عقله يقال كاثرناهم فكثرناهم أى غلبناهم بالكثرة وقوله وكذب مناه أى أمنيته والطريقة الغراء البيضاء والمهل النظر والتؤدة

(الاصل) ﴿ومن كلام له عليه السلام﴾

إِنَّ بَني أُمَيَّةَ لَيُفَوِّقونَني تُراثَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ تَفويقاً * وَاللهِ لَئِن بَقيتُ لَهُم لَأَنفُضَنَّهُم نَفضَ اللَّحّامِ الوِذامَ التَّرِبَةَ (قال الرضي رحمه الله) (وَيُروى التِّرابَ الوَذِمَةَ * وَهُوَ عَلى القَلبِ) وَقَولُهُ عَلَيهِ السَّلامُ لَيُفَوِّقونَني أَي يُعطونَني مِنَ المالِ قَليلاً قَليلاً كَفُواقِ النّاقَةِ * وَهُوَ الحَلبَةُ الواحِدَةُ مِن لَبَنِها وَالوِذامُ التَّرِبَةُ جَمعُ وَذَمَةٍ وَهِيَ الحُزَّةُ مِنَ الكَرِشِ أَوِ الكَبِدِ تَقَعُ في التُّرابِ فَتُنفَضُ

(الشرح) اعلم ان أصل هذا الخبر قد رواه أبو الفرج على بن الحسين الاصفهانى فى كتاب الاغانى باسناد رفعه الى الحرب بن جيش قال بعثنى سعيد بن العاص وهو يومئذ أمير الكوفة من قبل عثمان بهدايا الى المدينة وبعث معى هدية الى على عليه السلام وكتب اليه انى لم أبعث الى أحد أكثر مما بعثت به اليك الا الى أمير المؤمنين فلما أتيت عليا عليه السلام وقرأ كتابه قال لشد ما يحظر على بنو أمية تراث محمد صلى الله عليه وآله أما والله لئن وليتها لأنفضنها نفض القصاب التراب الوذمة قال أبو الفرج وهذا خطأ انما هو الوذام التربة قال وقد حدثنى بذلك أحمد بن عبد العزيز الجوهرى عن أبى زيد عمر بن شبة باسناد ذكره فى الكتاب أن سعيد بن العاص حيث كان أمير الكوفة بعث مع ابن أبى عائشة مولاه الى على بن أبى طالب عليه السلام بصلة فقال على عليه السلام والله لا يزال غلام من غلمان بنى أمية يبعث الينا مما أفاء الله على رسوله بمثل قوت الارملة والله لئن بقيت لأنفضنها نفض القصاب الوذام التربة

(الاصل) ﴿ومن كلمات كان عليه السلام يدعو بها﴾

اللَّهُمَّ اغفِر لي ما أَنتَ أَعلَمُ بِهِ مِنّي * فَإِن عُدتُ فَعُد عَلَيَّ بِالمَغفِرَةِ * اللَّهُمَّ اغفِر لي ما وَأَيتُ مِن نَفسي وَلَم تَجِد لَهُ وَفاءً عِندي * اللَّهُمَّ اغفِر لي ما تَقَرَّبتُ بِهِ إِلَيكَ بِلِساني ثُمَّ خالَفَهُ قَلبي * اللَّهُمَّ اغفِر لي رَمَزاتِ الأَلحاظِ * وَسَقَطاتِ الأَلفاظِ * وَسَهَواتِ الجَنانِ * وَهَفَواتِ اللِّسانِ

(الشرح) وأيت أى وعدت والوأى الوعد ورمزات الالحاظ الاشارة بها والالحاظ جمع لحاظ بفتح اللام وهو مؤخر
العين وسقطات الالفاظ لغوها وسهوات الجنان غفلاته والجنان القلب وهفوات اللسان زلاته وفى هذا الموضع
يقال مافائدة الدعاء والقديم تعالى عندكم انما يغفر الصغائر لأنها تقع مكفرة فلا حاجة الى الدعاء بغفرانها ولا
يؤثر الدعاء أيضا فى أفعال البارى سبحانه لأنه انما يفعل بحسب المصالح ويرزق المال والولد وغير ذلك ويصرف
المرض والجدب وغيرهما بحسب مايعلمه من المصلحة فلا تأثير للدعاء فى شئ من ذلك والجواب أنه لا يمتنع ان
يحسن الدعاء بما يعلم أن القديم يفعله لا محالة ويكون وجه حسنه صدوره عن المكلف على سبيل الانقطاع الى الخالق
سبحانه ويجوز أيضا أن يكون فى الدعاء نفسه مصلحة ولطف للمكلف ولهذا احسن منا الاستغفار للمؤمنين والصلاة على
الانبياء والملائكة وأيضا فليس كل أفعال البارى سبحانه واجبة عليه بل معظمها مايصدر على وجه الاحسان والتفضل
فيجوز أن يفعله ويجوز أن لا يفعله فان قلت فهل يسمى فعل الواجب الذى لا بد للقديم تعالى من فعله اجابة لدعاء
المكلف قلت لا وانما يسمى اجابة اذا فعل سبحانه مايجوز أن يفعله ويجوز أن لا يفعله كالتفضل وأيضا فان اللطف
والمصلحة قد يكون لطفا ومصلحة فى كل حال وقد يكون لطفا عند الدعاء ولولا الدعاء لم يكن لطفا وليس بممتنع فى القسم
الثانى أن يسمى اجابة للدعاء لان للدعاء على كل حال تأثيرا فى فعله فان قيل أيجوز أن يدعو النبى صلى الله عليه وآله بدعاء
فلا يستجاب له قيل ان من شرط حسن الدعاء أن يعلم الداعى حسن ماطلبه بالدعاء وانما يعلم حسنه بان لا يكون فيه وجه
قبح ظاهر وماغاب عنه من وجوه القبح نحو كونه مفسدة يجب أن يشترطه فى دعائه ويطلب مايطلبه بشرط
أن لا يكون مفسدة وان لم يظهر هذا الشرط فى دعائه وجب أن يضمره فى نفسه فتى سأل النبى ربه تعالى أمرا فلم يفعله
لم يجز أن يقال انه ما أجيبت دعوته لانه يكون قد سأل بشرط أن لا يكون مفسدة فاذا لم يقع مايطلبه فلأن المطلوب قد
علم الله فيه من المفسدة مالم يعلمه النبى صلى الله عليه وآله فلا يقال انه ما أجيب دعاؤه لان دعاءه كان مشروطا وانما يصدق
قول ما أجيب دعاؤه على من طلب أمرا طلبا مطلقا غير مشروط فلم يقع والنبى صلى الله عليه وآله لا يتحقق ذلك فى حقه
ونحن نذكر فى هذا الموضع جملة من الادعية المأثورة طلبا لبركتها ولينتفع قارئ الكتاب بها كان من دعاء رسول الله
صلى الله عليه وآله اذا أصبح أن يقول أصبحنا وأصبح الملك والكبرياء والعظمة والجلال والخلق والامر والليل
والنهار ومايسكن فيهما لله عز وجل وحده لا شريك له اللهم اجعل أول يومى هذا صلاحا وأوسطه فلاحا وآخره نجاحا اللهم
انى أسألك خير الدنيا والآخرة ياأرحم الراحمين اللهم اقسم لنا من خشيتك مايحول بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك
ماتبلغنا به رحمتك ومن اليقين ماتهوّن به علينا مصيبات الدنيا اللهم متعنا باسماعنا وأبصارنا واجعله الوارث منا وانصرنا
على من ظلمنا ولا تجعل مصيبتنا فى ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا ومن
دعاء أمير المؤمنين عليه السلام وكان يدعو به زين العابدين على بن الحسين عليه السلام وهو من أدعية الصحيفة
يامن يرحم من لا يرحمه العباد ويامن يقبل من لا تقبله البلاد ويامن لا يحتقر أهل الحاجة اليه يامن لا يجبه بالرد أهل
الالحاح عليه يامن لا يخفى عليه صغير مايتحف به ولا يضيع يسير مايعمل له يامن يشكر على القليل ويجازى بالجليل
يامن يدنو الى من دنا منه يامن يدعو الى نفسه من أدبر عنه يامن لا يغير النعمة ولا يبادر بالنقمة يامن يثمر الحسنة حتى
ينميها ويتجاوز عن السيئة حتى يعفيها انصرفت دون مدى كرمك الحاجات وامتلأت بفيض جودك أوعية الطلبات
وتفسخت دون بلوغ نعتك الصفات فلك العلو الاعلى فوق كل عال والجلال الامجد فوق كل جلال كل جليل عندك
حقير وكل شريف فى جنب شرفك صغير خاب الوافدون على غيرك وخسر المتعرضون الا لك وضاع الملمون الا بك
وأجدب المنتجعون الا من انتجع فضلك لأنك ذو غاية قريبة من الراغبين وذو مجد مباح للسائلين لا يخيب عليك
الآملون ولا يخفق من عطائك المتعرضون ولا يشقى بنقمتك المستغفرون رزقك مبسوط لمن عصاك وحلمك معرض
لمن ناواك وعادتك الاحسان الى المسيئين وسنتك الابقاء على المعتدين حتى لقد غرتهم أناتك عن النزوع وصدهم
امهالك عن الرجوع وانما تأنيت بهم ليفيئوا الى أمرك وأمهلتهم ثقة بدوام ملكك فمن كان من أهل السعادة اجتمعت

له بها ومن كان من أهل الشقاوة خذلته عنها كلهم صائر الى رحمتك وأمورهم آيلة الى أمرك لم يهن على طول مدتهم
سلطانك ولم تدحض لترك معاجلتهم حججك حجتك قائمة وسلطانك ثابت فالويل الدائم لمن جنح عنك والخيبة الخاذلة
لمن خاب منك والشقاء الاشقى لمن اغتر بك ما أكثر تقلبه فى عذابك وما أعظم تردده فى عقابك وما أبعد غايته من
الفرج وما أبطه من سهولة المخرج عدلا من قضائك لا تجور فيه وانصافا من حكمك لا تحيف عليه قد ظاهرت الحجج
وأزلت الاعذار وتقدمت بالوعيد وتلطفت فى الترغيب وضربت الامثال وأطلت الامهال وأخرت وأنت تستطيع
للمعاجلة وتأنيت وأنت ملئ بالمبادرة لم تك اناتك عجزا ولا حلمك وهنا ولا امساكك اغفالا ولا انتظارك لمداراة بل
لتكون حجتك الابلغ وكرمك الاكمل واحسانك الاوفى ونعمتك الاتم كل ذلك كان ولم يزل وهو كائن لا يزول نعمتك
أجل من أن توصف بكلها ومجدك أرفع من أن يحد بكنهه واحسانك أكبر من أن يشكر على أقله فقد أقصرت ساكتا
عن تحميدك وتهيبت ممسكا عن تمجيدك لا رغبة ياالهى عنك بل عجزا ولا زهدا فيما عندك بل تقصيرا وها أنا ذا ياالهى
أؤمل بالوفادة وأسألك حسن الرفادة فاسمع ندائى واستجب دعائى ولا تختم عملى بخيبتى ولا تجبهنى بالرد فى مسئلتى وأكرم
من عندك منصرفى انك غير ضائق عما تريد ولا عاجز عما تشاء وأنت على كل شئ قدير * ومن أدعيته عليه السلام وهو
من أدعية الصحيفة أيضا اللهم يامن برحمته يستغيث المذنبون ويامن الى احسانه يفزع المضطرون ويامن لخيفته
ينتحب الخاطئون ياأنس كل مستوحش غريب يافرج كل مكروب حريب ياعون كل مخذول فريد ياعاضد كل محتاج
طريد أنت الذى وسعت كل شئ رحمة وعلما وأنت الذى جعلت لكل مخلوق فى نعمتك سهما وأنت الذى عفوه أعلى
من عقابه وأنت الذى رحمته أمام غضبه وأنت الذى اعطاؤه أكبر من منعه وأنت الذى وسع الخلائق كلهم بعفوه وأنت
الذى لا يرغب فى غنى من اعطاه وأنت الذى لا يفرط فى عقاب من عصاه وأنا ياسيدى عبدك الذى أمرته بالدعاء فقال
لبيك وسعديك ها أنا ذا يارب مطروح بين يديك أنا الذى أوقرت الخطايا ظهره وأنا الذى أفنت الذنوب عمره وأنا
الذى بجهله عصاك ولم يكن أهلا منه لذلك فهل أنت يامولاى راحم من دعاك فاجتهد فى الدعاء أم أنت غافر لمن بكى لك
فأسرع فى البكاء أم أنت متجاوز عمن عفر لك وجهه متذللا أم أنت مغن من شكى اليك فقره متوكلا اللهم فلا تخيب
من لا يجد معطيا غيرك ولا تخذل من لا يستغنى عنك بأحد دونك اللهم لا تعرض عنى وقد أقبلت عليك ولا تحرمنى
وقد رغبت اليك ولا تجبهنى بالرد وقد انتصبت بين يديك أنت الذى وصفت نفسك بالرحمة وأنت الذى سميت نفسك
بالعفو فارحمنى واعف عنى فقد ترى ياسيدى فيض دموعى من خيفتك ووجيب قلبى من خشيتك وانتقاض جوارحى
من هيبتك كل ذلك حياء منك بسوء عملى وخجلا منك لكثرة ذنوبى قد كل لسانى عن مناجاتك وخمد صوتى عن
الدعاء اليك ياالهى فكم من عيب سترته على فلم تفضحنى وكم من ذنب غطيت عليه فلم تشهر بى وكم من عائبة ألممت بها
فلم تهتك عنى سترها ولم تقلدنى مكروه شنارها ولم تبد على محرمات سوآتها من يلتمس معايبى من جيرتى وحسدة
نعمتك عندى ثم لم ينهنى ذلك حتى صرت الى أسوأ ماعهدت منى فمن أجهل منى ياسيدى برشدك ومن أغفل منى
عن حظه منك ومن أبعد منى من استصلاح نفسه حين أنفقت ما أجريت على من رزقك فيما نهيتنى عنه من معصيتك
ومن أبعد غورا فى الباطل وأشد اقداما على السوء منى حين أقف بين دعوتك ودعوة الشيطان فاتبع دعوته على غير
عمى عن المعرفة به ولا نسيان من حفظى له وأنا حينئذ موقن ان منتهى دعوتك الجنة ومنتهى دعوته النار سبحانك
فما أعجب ما أشهد به على نفسى واعدده من مكنون أمرى وأعجب من ذلك اناتك عنى وابطاؤك عن معاجلتى وليس
ذلك من كرمى عليك بل تأنيا منك بى وتفضلا منك على لان ارتدع عن خطئى ولأن عفوك أحب اليك من عقوبتى
بل أنا ياالهى أكثر ذنوبا وأقبح آثارا وأشنع أفعالا وأشد فى الباطل تهورا وأضعف عند طاعتك تيقظا وأغفل لوعيدك
انتباها من ان أحصى لك عيوبى وأقدر على تعديد ذنوبى وانما أوبخ بهذا نفسى طمعا فى رأفتك التى بها اصلاح أمر
المذنبين ورجاء لعصمتك التى بها فكاك رقاب الخاطئين اللهم وهذه رقبتى قد أرقتها الذنوب فاعتقها بعفوك وقد أثقلتها
الخطايا فخفف عنها بمنك اللهم انى لو بكيت حتى تسقط أشفار عينى وانتحبت حتى ينقطع صوتى وقمت لك حتى تنتشر

قدماى وركعت لك حتى ينجذع صلبي وسجدت لك حتى تتفقأ حدقتاى وأكلت التراب طول عمرى وشربت ماء الرماد آخر دهرى وذكرتك فى خلال ذلك حتى يكل لسانى ثم لم أرفع طرفى الى آفاق السماء استحياء منك لما استوجبت بذلك محو سيئة واحدة من سيآتى فان كنت تغفر لى حين أستوجب مغفرتك وتعفو عنى حين أستحق عفوك فان ذلك غير واجب لى بالاستحقاق ولا أنا أهل له على الاستيجاب اذ كان جزائى منك فى أول ماعصيتك النار فان تعذبنى فانك غير ظالم الهى فان تغمدتنى بسترك فلم تفضحنى وأمهلتنى بكرمك فلم تعاجلنى وحلمت عنى بتفضلك فلم تغير نعمك على ولم تكدر معروفك عندى فارحم طول تضرعى وشدة مسكنتى وسوء موقفى اللهم صل على محمد وآل محمد وانقذنى من المعاصى واستعملنى بالطاعة وارزقنى حسن الانابة وطهرنى بالتوبة وأيدنى بالعصمة واستصلحنى بالعافية وارزقنى حلاوة المغفرة واجعلنى طليق عفوك واكتب لى أمانا من سخطك وبشرنى بذلك فى العاجل والآجل بشرى أعرفها وعرفنى له علامة أتبينها ان ذلك لا يضيق عليك فى وجدك ولا يتكاءدك فى قدرتك وأنت على كل شئ قدير ٭ ومن أدعيته عليه السلام وهو من أدعية الصحيفة اللهم ياذا الملك المتأبد بالخلود والسلطان الممتنع بغير جنود والعز الباقى على مر الدهور عز سلطانك عزا لا حد له ولا منتهى لآخره واستعلى ملكك علوا سقطت الاشياء دون بلوغ أمده ولا يبلغ أدنى ما استأثرت به من ذلك نعوت أقصى نعت الناعتين ضلت فيك الصفات وتفسخت دونك النعوت وحارت فى كبريائك لطائف الاوهام كذلك أنت الله فى أوليتك وعلى ذلك أنت دائم لا تزول وكذلك أنت الله فى آخريتك وكذلك أنت ثابت لا تحول وأنا العبد الضعيف عملا الجسيم أملا خرجت من يدى الاسباب الموصلة الى رحمتك وتقطعت عنى عصم الآمال الا ما أنا معتصم به من عفوك قل عندى ما أعتد به من طاعتك وكثر عندى ما أبوء به من معصيتك ولن يضيق بك عفو عن عبدك وان أساء فاعف عنى اللهم قد أشرف كل خطايا الاعمال علمك وانكشف كل مستور عند خبرك فلا ينطوى عنك دقائق الامور ولا يعزب عنك خفايا السرائر وقد هربت اليك من صغائر ذنوب موبقة وكبائر أعمال مردية فلا شفيع يشفع لى اليك ولا خفير يؤمننى منك ولا حصن يحجبنى عنك ولا ملاذ ألجأ اليه غيرك هذا مقام العائذ بك ومحل المعترف لك فلا يضيقن عنى فضلك ولا يقصرن دونى عفوك ولا أكون أخيب عبادك التائبين ولا أقنط وفودك الآملين واغفر لى انك خير الغافرين اللهم انك أمرتنى فغفلت ونهيتنى فركبت وهذا مقام من استحيا لنفسه منك وسخط عليها ورضى عنك وتلقاك بنفس خاشعة وعين خاضعة وظهر مثقل من الخطايا واقفا بين الرغبة اليك والرهبة منك وأنت أولى من رجاه وأحق من خشيه واتقاه فأعطنى يارب مارجوت وأمنى ما حذرت وعد على بفضلك ورحمتك انك أكرم المسؤلين اللهم واذ سترتنى بعفوك وتغمدتنى بفضلك فى دار الفناء فأجرنى من فضيحات دار البقاء عند مواقف الاشهاد من الملائكة المقربين والرسل المكرمين والشهداء الصالحين من جار كنت أكاتمه سيآتى ومن ذى رحم كنت أحتشم منه اسريرانى لم أثق بهم فى الستر على ووثقت بك فى المغفرة لى وأنت أولى من وثق به وأعطى من رغب اليه وأرأف من استرحم فارحمنى اللهم انى أعوذ بك من نار تغلظت بها على من عصاك وأوعدت بها من ضارك وناواك وصدف عن رضاك ومن نار نورها ظلمة وهينها صعب وقريبها بعيد ومن نار يأكل بعضها بعضا وتصول بعضها على بعض ومن نار تذر العظام رميما وتسقى أهلها حميما ومن نار لا تبقى على من تضرع ولا ترحم من استعطفها ولا تقدر على التخفيف عمن خشع لها واستسلم اليها تلقى سكانها بآخر ما لديها من أليم النكال وشديد الوبال اللهم بك أعوذ من عقاربها الفاغرة أفواهها وحياتها الناهشة بأنيابها وشرابها الذى يقطع الامعاء ويذيب الاحشاء واستهديك لما باعد عنها وأنقذ منها فأجرنى بفضل رحمتك وأقلنى عثرتى بحسن اقالتك ولا تخذلنى ياخير المجيرين اللهم صل على محمد وآل محمد اذا ذكر الابرار وصل على محمد وآل محمد ما اختلف الليل والنهار صلاة لا ينقطع مددها ولا يحصى عددها صلاة تشحن الهواء وتملأ الارض والسماء اللهم صل عليه وعليهم حتى ترضى وصل عليه وعليهم بعد الرضا صلاة لا حد لها ولا منتهى يا أرحم الراحمين ٭ ومن دعائه عليه السلام وهو من أدعية الصحيفة اللهم انى أعوذ بك من هيجان الحرص وسورة الغضب وغلبة الحسد وضعف الصبر وقلة القناعة وشكاسة

الخلق والحاح الشهوة وملكة الحمية ومتابعة الهوى ومخالفة الهدى وسنة الغفلة وتعاطى الكلفة وايثار الباطل على الحق والاصرار على المأثم والاستكثار من المعصية والاقلال من الطاعة ومباهاة المكثرين والازراء على المقلين وسوء الولاية على من تحت أيدينا وترك الشكر لمن اصطنع العارفة عندنا وان نعضد ظالما أو نخذل ملهوفا أو نروم ماليس لنا بحق أو نقول بغير علم ونعوذ بك أن ننطوى على غش لاحد وان نعجب بأموالنا وأعمالنا وان نمد فى آمالنا ونعوذ بك من سوء السريرة واحتقار الصغيرة وان يستحوذ علينا الشيطان أو ينكبنا الزمان أو يتهضمنا السلطان ونعوذ بك من حب الاسراف وفقدان الكفاف ومن شماتة الاعداء والفقر الى الاصدقاء ومن عيشة فى شدة أو موت على غير عدة ونعوذ اللهم بك من الحسرة العظمى والمصيبة الكبرى ومن سوء المآب وحرمان الثواب وحلول العقاب اللهم أعذنا من كل ذلك برحمتك ومنك وجودك انك على كل شئ قدير ٭ ومن دعائه عليه السلام وتحميده وذكره النبى صلى الله عليه وآله وهو من أدعية الصحيفة أيضا الحمد لله بكل ما حمده أدنى ملائكته اليه وأكرم خلقه عليه وأرضى حامديه لديه حمدا يفضل سائر الحمد كفضل ربنا جل جلاله على جميع خلقه ثم له الحمد مكان كل نعمة له علينا وعلى جميع عباده الماضين والباقين عدد ما أحاط به علمه ومن جميع الاشياء أضعافا مضاعفة أبدا سرمدا الى يوم القيامة والى مالا نهاية له من بعد القيامة حمدا لا غاية لحده ولا نهاية حساب لعده ولا مبلغ لاعداده ولا انقطاع لآماده حمدا يكون وصلة الى طاعته وسببا الى رضوانه وذريعة الى مغفرته وطريقا الى جنته وخفيرا من نقمته وأمنا من غضبه وظهيرا على طاعته وحاجزا عن معصيته وعونا على تأدية حقه ووظائفه حمدا نسعد به فى السعداء من أوليائه وننتظم به فى نظام الشهداء بسيوف أعدائه والحمد لله الذى من علينا بنبيه محمد صلى الله عليه وآله دون الامم الماضية والقرون السالفة لقدرته التى لا تعجز عن شئ وان عظم ولا يفوتها شئ وان لطف اللهم فصل على محمد أمينك على وحيك ونجيك من خلقك وصفيك من عبادك امام الرحمة وقائد الخير ومفتاح البركة كما نصب لامرك نفسه وعرض فيك للمكروه بدنه وكاشف فى الدعاء اليك حامته وحارب فى رضاك أسرته وقطع فى نصرة دينك رحمه وأقصى الادنين على عنودهم عنك وقرب الاقصين على استجابتهم لك ووالى فيك الابعدين وعاند فيك الاقربين وأدأب نفسه فى تبليغ رسالتك وأتعبها فى الدعاء الى ملتك وشغلها بالنصح لاهل دعوتك وهاجر الى بلاد الغربة ومحل النأى عن موطن رحله وموضع رجله ومسقط رأسه ومأنس نفسه ارادة منه لاعزاز دينك واستنصارا على أهل الكفر بك حتى استتب له ما حاول فى أعدائك واستتم له ما دبر فى أوليائك فنهد الى المشركين بك مستفتحا بعونك ومتقويا على ضعفه بنصرك فغزاهم فى عقر ديارهم وهجم عليهم فى بحبوحة قرارهم حتى ظهر أمرك وعلت كلمتك ولو كره المشركون اللهم فارفعه بما كدح فيك الى الدرجة العليا من جنتك حتى لا يساوى فى منزلة ولا يكافأ فى مرتبة ولا يوازيه لديك ملك مقرب ولا نبى مرسل وعرفه فى أمته من حسن الشفاعة أجل ما وعدته يا نافذ العدة يا وافى القول يا مبدل السيآت باضعافها من الحسنات انك ذو الفضل العظيم ٭ ومن الادعية المروية عن عيسى بن مريم عليه السلام اللهم أنت اله من فى السماء واله من فى الارض لا اله فيهما غيرك وأنت حكيم من فى السماء وحكيم من فى الارض لا حكيم فيهما غيرك وأنت ملك من فى السماء وملك من فى الارض لا ملك فيهما غيرك قدرتك فى السماء كقدرتك فى الارض وسلطانك فى السماء كسلطانك فى الارض أسألك باسمك الكريم ووجهك المنير وملكك القديم ان تفعل بى كذا وكذا ٭ وكان بعض الصالحين يدعو فيقول اللهم لا تدخلنا النار بعد ان أسكنت قلوبنا توحيدك وانى لارجو ان لا تفعل وان فعلت لتجمعن بيننا وبين قوم عاديناهم فيك ٭ ومن دعاء بعضهم اللهم انك لم تشرك فى خلقنا غيرك فلا تشرك فى الاحسان الينا غيرك اللهم لا رب لنا غيرك فلا تجعل حاجتنا عند غيرك اللهم انا لا نعبد غيرك فلا تسلط علينا غيرك قام اعرابى على قبر رسول الله صلى الله عليه وآله فقال بابى أنت وأمى يارسول الله قلت فقبلنا وبلغت فوعينا ثم ظلمنا أنفسنا وقرأنا فى آية أتيتنا بها عن ربنا ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما اللهم انا قد جئنا رسولك ونحن نستغفرك ونسأل رسولك أن يستغفر لنا خطايانا فاغفر لنا وتب علينا فيقال ان انسانا حضر ذلك الدعاء فرأى تلك الليلة رسول الله صلى

الله عليه وآله فى منامه يقول له أبلغ الاعرابى ان الله قد غفر له * ومن أدعية بعض الصالحين اللهم انى لم آتك بعمل
صالح قدمته ولا شفاعة مخلوق رجوته أتيتك مقرا بالظلم والاساءة على نفسى أتيتك أرجو عظيم عفوك الذى عدت به
على الخاطئين ثم لم يمنعك عكوفهم على عظيم الجرم أن جدت لهم بالمغفرة فياصاحب العفو العظيم اغفر الذنب العظيم
برحمتك يا أرحم الراحمين * وروى ان عليا عليه السلام اعتمر فرأى رجلا متعلقا باستار الكعبة وهو يقول يامن
لا يشغله سمع عن سمع يامن لا تغلطه المسائل ولا يبرمه الحاح الملحين أذقنى برد عفوك وحلاوة مغفرتك وعذوبة
عافيتك والفوز بالجنة والنجاة من النار فقال على عليه السلام والذى نفسى بيده ان قالها وعليه مثل السموات
والارض من الذنوب قولا مخلصا ليغفرن له * ودعا اعرابى عند الملتزم فقال اللهم ان لك على حقوقا فتصدق بها على
وان للناس قبلى تبعات فتحملها عنى وقد أوجبت لكل ضيف قرى وأنا ضيفك الليلة فاجعل قراى الجنة * ودعا بعض
الاعراب أيضا وقد خرج حاجا فقال اللهم اليك خرجت وما عندك طلبت فلا تحرمنى خير ما عندك لشر ما عندى اللهم
ان كنت لم ترحم تعبى ونصبى فلا تحرمنى أجر المصاب على المصيبة * ودعا بعضهم فقال اللهم انك
سترت علينا فى الدنيا ذنوبا كثيرة ونحن الى سترها فى الآخرة أحوج فاغفرلنا * ومن دعاء بعضهم اللهم اجعل الموت
خير غائب ننتظره واجعل القبر خير بيت نعمره واجعل ما بعده خيرا لنا منه اللهم اليك عجت الاصوات بصنوف اللغات
تسألك الحاجات وحاجتى اليك ان تذكرنى عند طول البلى اذا نسينى أهل الدنيا * وقال بعضهم كنت أدعو الله بعد
وفاة مالك بن دينار ان أراه فى منامى فرأيته بعد سنة فقلت يا أبا يحيى علمنى كيف أدعو فقال قل اللهم يسر الجواز وسهل
المجاز وقال الشعبى حسدت عبد الملك بن مروان على دعاء كان يدعو به على المنبر يقول اللهم ان ذنوبى كثيرة جلت
ان توصف وهى صغيرة فى جنب عفوك فاعف عنى ومن دعاء بعض الزهاد اللهم انى أعوذ بك من أهل تلهينى ومن
هوى يردينى ومن عمل يخزينى ومن صاحب يغوينى ومن جار يؤذينى ومن غنى يطغينى ومن فقر ينسينى اللهم اجعلنا
نستحييك ونتقيك ونخافك ونخشاك ونرجوك ونطيعك فى السر والعلانية اللهم استرنا بالمعافاة والغنى أستعين
الله على امورى واستغفر الله لذنوبى وأعوذ بك من شر نفسى ويروى ان رجلا أعمى جاء الى رسول الله صلى الله
عليه وآله فشكى اليه ذهاب بصره فقال صلى الله عليه وآله قل ياسبوح ياقدوس يانور الانوار يانور السموات
والارض يا أول الاولين ويا آخر الآخرين ويا أرحم الراحمين أسألك ان تغفرلى الذنوب التى تغير النعم والذنوب التى
تنزل النقم والذنوب التى تهتك العصم والذنوب التى توجب البلاء والذنوب التى تقطع الرجاء والذنوب التى تحبس
الدعاء والذنوب التى تكشف الغطاء والذنوب التى تعجل الفناء والذنوب التى تظلم الهواء وأسألك باسمك العظيم
ووجهك الكريم ان ترد على بصرى فدعا بذلك فرد عليه بصره * ومن الآثار المنقولة ان الله تعالى غضب على أمة
فانزل عليهم العذاب وكان فيهم ثلاثة صالحون فخرجوا وابتهلوا الى الله سبحانه فقام أحدهم فقال اللهم انك أمرتنا
ان نعتق أرقاءنا ونحن ارقاؤك فاعتقنا ثم جلس وقام الثانى فقال اللهم انك أمرتنا ان نعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا
أنفسنا فاعف عنا ثم جلس وقام الثالث فقال اللهم انا على ثقة انك لم تخلق خلقا أوسع من مغفرتك فاجعل لنا فى سعتها
نصيبا فرفع عنهم العذاب قيل لسفيان بن عيينة ما حديث رويته عن رسول الله صلى الله عليه وآله أفضل دعاء أعطيته
أنا والنبيون قبلى أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو
على كل شئ قدير كأنهم لم يروا ذلك دعاء فقال ما تنكرون من هذا ثم روى لهم قول رسول الله صلى الله عليه وآله من
تشاغل بالثناء على الله أعطاه الله فوق رغبة السائلين ثم قال هذا أمية بن أبى الصلت يقول لابن جدعان

أأذكر حاجتى أم قد كفانى * حياؤك ان شيمتك الحياء
اذا أثنى عليك المرء يوما * كفاه من تعرضه الثناء

وقال هذا المخلوق يقول لمخلوق فما ظنكم برب العالمين * ومن دعائه صلى الله عليه وآله اللهم انى أعوذ بك من الفقر
الا اليك ومن الذل الا لك ومن دعائه عليه السلام اللهم ارزقنى عينين هطالتين تسقيان القلوب بذروف الدموع قبل

أن

أن يكون الدمع دما والضرس قرع ندما ومن دعائه عليه السلام اللهم طهر لسانى من الكذب وقلبى من النفاق
وعملى من الرياء وبصرى من الخيانة فانك تعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور وعما رواه أنس بن مالك لا تعجزوا عن
الدعاء فانه لن يهلك مع الدعاء أحد ومن رواية جابر بن عبد الله لقد بارك الله للرجل فى الحاجة بكثرة الدعاء فيها أعطيها
أو منعها أبو هريرة يرفعه اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى واصلح لى
آخرتى التى اليها معادى واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير والموت راحة لى من كل شر * قيل لاعرابى أتحسن ان تدعو
ربك فقال نعم ثم دعا فقال اللهم انك مننت علينا بالاسلام من غير أن نسألك فلا تحرمنا الجنة ونحن نسألك سمعت
اعرابية تقول فى دعائها يا عريض الجفنة يا أبا المكارم يا أبيض الوجه فزجرها رجل فقالت دعونى أصف ربى بما يستحقه
* وكان موسى بن جعفر عليه السلام يقول فى سجوده آخر الليل الهى عظم الذنب من عبدك فليحسن العفو من عندك
ذكر عند بعض الصالحين رجل قد أصابه بلاء عظيم وهو يدعو فتبطئ عنه الاجابة فقال بلغنى أن الله تعالى يقول كيف
أرحم المبتلى من شئ أرحمه به قال طاوس انى لفى الحجر ليلة اذ دخل على بن الحسين عليه السلام فقلت رجل صالح
من أهل بيت صالح لأسمعن دعاءه فسمعته يقول فى أثناء دعائه عبيدك بفنائك سائلك بفنائك مسكينك بفنائك
فما دعوت بهن فى كرب الا وفرج عنى عمر بن ذر اللهم ان كنا عصيناك فقد تركنا من معاصيك أبغضها اليك وهو
الاشراك وان كنا قصرنا عن بعض طاعتك فقد تمسكنا منها بأحبها اليك وهو شهادة أن لا اله الا أنت وأن رسلك
جاءت بالحق من عندك اعرابى اللهم انا نبات نعمتك فلا تجعلنا حصائد نقمتك بعضهم اللهم ان كنت قد بلغت
أحدا من عبادك الصالحين درجة ببلاء فبلغنيها بالعافية حج اعرابى فكان لا يستغفر اذا صلى كما يستغفر الناس فقيل
له فقال كما ان تركى الاستغفار مع ما أعلم من عفو الله ورحمته ضعف فكذلك استغفارى مع ما أعلم من اصرارى لؤم لما
صاف قتيبة بن مسلم الترك وهاله أمرهم سأل عن محمد بن واسع فقيل هو فى أقصى الميمنة جانحا على سية قوسه مبصبصا
باصبعه نحو السماء فقال قتيبة لتلك الاصبع القارورة أحب الى من مائة ألف سيف شهير ورمح طرير سمع مطرف
ابن الشخير صيحة الناس بالدعاء فقال لقد هممت ان أحلف ان الله قد غفر لهم ثم ذكرت انى فيهم فكففت كان المأمون
اذا رفعت المائدة من بين يديه يقول الحمد لله الذى جعل أرزاقنا أكثر من أقواتنا الحسن البصرى من دخل المقبرة
فقال اللهم رب الارواح العالية والاجساد البالية والعظام النخرة التى خرجت من الدنيا وهى مؤمنة بك ادخل
عليهم روحا منك وسلاما منى كتب الله له بعدد من ولد منذ زمن آدم الى أن تقوم الساعة حسنات على عليه السلام
الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والارض قيل ان فيما أنزله الله تعالى من الكتب القديمة ان الله
يبتلى العبد وهو يحبه ليسمع دعاءه وتضرعه أبو هريرة اطلبوا الخير دهركم كله وتعرضوا النفحات من رحمة الله
تعالى فان لله تعالى نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده واسألوا الله أن يستر عوراتكم ويؤمن روعاتكم
صلى رجل الى جنب عبد الله بن المبارك فلما سلم الامام سلم وقام عجلا فجذب عبد الله بثوبه وقال أمالك الى ربك حاجة
قيل لعمر بن عبد العزيز جزاك الله عن الاسلام خيرا فقال لا بل جزى الله الاسلام عنى خيرا على عليه السلام الداعى
بغير عمل كالرامى بغير وتر كان الزهرى اذا فرغ من الحديث تلاه فدعا اللهم انى أسألك خير ما أحاط به علمك فى الدنيا
والآخرة وأعوذ بك من شر ما أحاط به علمك فى الدنيا والآخرة كان زبيد اليامى يستتبع الصبيان الى المسجد وفى
كمه الجوز ويقول من يتبعنى منكم فاعطه خمس جوزات فاذا دخلوا المسجد قال ارفعوا أيديكم وقولوا اللهم اغفر
لزبيد فاذا دعوا قال اللهم استجب لهم فانهم لم يذنبوا على عليه السلام جعل فى يديك مفاتيح خزائنه بما أذن لك فيه
من مسألته فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب نعمته واستمطرت شآبيب رحمته فلا يقنطنك ابطاء اجابته فان العطية
على قدر النية وربما أخرت عنك الاجابة ليكون ذلك أعظم لاجر السائل واجزل لعطاء الآمل وربما سألت الشئ
فلا تؤتاه وأوتيت خيرا منه أو صرف عنك بما هو لك خير واعلم انه رب أمر قد طلبت فيه هلاك دينك لو أوتيته * ومن الدعاء
المرفوع اللهم من أرادنا بسوء فأحط به ذلك السوء كاحاطة القلائد بترائب الولائد وأرسله على هامته كرسوخ السجيل

على قم أصحاب الفيل سمع عمر رجلا يقول فى دعائه اللهم اجعلنى من الاقلين فقال ما أردت بهذا قال قول الله عز وجل وما آمن معه الاقليل وقوله تعالى وقليل من عبادى الشكور فقال عليكم من الدعاء بما يعرف قال سعيد بن المسيب مر بى صلة بن أشيم فقلت له ادع لى فقال رغبك الله فيما يبقى وزهدك فيما يفنى ووهب لك اليقين الذى لا تسكن النفوس الا اليه ولا تعول الا عليه كان على بن عيسى بن ماهان صاحب خراسان وفى أيامه عصام بن يوسف الزاهد فلقيه فى الطريق وسلم عليه على فاعرض عنه ولم يرد عليه فوقف على ورفع يديه وأسبل عينيه وقال اللهم ان هذا الرجل يتقرب اليك ببغضى وأنا أتقرب اليك بحبه فان كنت غفرت له ببغضى فاغفر لى بحبه يا كريم ثم سار قال الاصمعى سمعت اعرابيا يدعو و يقول اللهم ان كان رزقى فى السماء فانزله وان كان فى الارض فاخرجه وان كان بعيدا فقربه وان كان قريبا فيسره وان كان قليلا فكثره وان كان كثيرا فبارك لى فيه من دعاء عمرو بن عبيد اللهم أغننى بالافتقار اليك ولا تفقرنى بالاستغناء عنك اللهم أعنى على الدنيا بالقناعة وعلى الدين بالعصمة شكى رجل الى الحسن رحمه الله تعالى رجلا يظلمه فقال له اذا صليت الركعتين بعد المغرب فاسجد وقل يا شديد القوى يا شديد المحال يا عزيز أذللت لعزتك جميع من خلقت فصل على محمد وآل محمد واكفنى مؤنة فلان بما شئت فدعا بها فلم يرعه الا الواعية بالليل فسأل فقيل مات فلان فجأة قال موسى عليه السلام يارب انك لتعطينى أكثر من أملى قال لانك تكثر من قول ماشاء الله لاقوة الا بالله كان بعض الصالحين يقول قبل الصلاة يا محسن قد جاءك المسىء وقد أمرت المحسن أن يتجاوز عن المسىء فتجاوز عن قبيح ما عندى بجميل ما عندك اللهم ارزقنى عمل الخائفين وخوف العاملين حتى أتنعم بترك التنعم طمعا فيما وعدت وخوفا مما أوعدت * ومن الادعية الجامعة اللهم أغننى بالعلم و زينى بالحلم وجملنى بالعافية وكرمنى بالتقوى أحمد بن يوسف كاتب المأمون اذا دخل عليه حياه بتحية أبرويز الملك عشت الدهر ونلت المنى وجنبت طاعة النساء ومن الدعاء المروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله اللهم اغفر لى ذنوبى وخطاياى كلها اللهم انعشنى واجبرنى وانصرنى واهدنى لصالح الاعمال والاخلاق انه لا يهدى لصالحها ولا يصرف عن سيئها الا أنت اللهم انى أسألك الثبات فى الامر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم انك علام الغيوب قالوا ومن آداب الدعاء ان يرصد له الاوقات الشريفة كما بين الآذان والاقامة وكوقت السجود ووقت السحر ويستحب أن يدعو مستقبل القبلة رافعا يديه لما روى سلمان عن النبى صلى الله عليه وآله ان ربكم كريم يستحى من عبده اذا رفع اليه يديه أن يردهما صفرا ويستحب ان يمسح بهما وجهه بعد الدعاء فان ذلك قد روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله ويكره أن يرفع بصره الى السماء لقوله عليه السلام لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم الى السماء عند الدعاء أو لتخطفن أبصارهم وقد رخص فى ذلك للصديقين والائمة العادلين ويستحب ان يخفض صوته لقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخيفة وقد روى ان عمر سمع رجلا يجهر بالدعاء فقال لكن زكريا نادى ربه نداء خفيا ويكره أن يتكلم الكلام المسجوع ويستحب الاتيان بالمطبوع منه لقوله صلى الله عليه وآله اياكم والسجع فى الدعاء بحسب أحدكم أن يقول اللهم انى أسألك الجنة وما قرب اليها من قول أو عمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول أو عمل وقيل فى الوصية الصالحة ادع ربك بلسان الذلة والاحتقار لا بلسان الفصاحة والتشدق وقال سفيان بن عيينة لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلمه من نفسه فان الله تعالى أجاب دعاء شر خلقه ابليس حيث قال أنظرنى النبى صلى الله عليه وآله اذا سأل أحدكم ربه مسئلة فتعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ومن أبطأ عنه شىء من ذاك فليقل الحمد لله على كل حال ومن الآداب ان يفتتح بالذكر وأن لا يبتدئ بالمسئلة كان رسول الله صلى الله عليه وآله قبل أن يدعو يقول سبحان ربى العلى الوهاب أبو سليمان الدارانى من أراد ان يسأل الله تعالى حاجته فليبدأ بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله ثم يسأل حاجته ثم يختم بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله فان الله تعالى يقبل الصلاتين وهو أكرم من أن يدع ما بينهما ومن

دعاء على عليه السلام اللهم صن وجهى باليسار ولا تبذل جاهى بالاقتار فاسترزق طالبى رزقك واستعطف شرار خلقك وابتلى بحمد من أعطانى وافتتن بذم من منعنى وأنت من وراء ذلك كله ولى الاعطاء والمنع انك على كل شىء قدير ومن دعاء الحسن رحمه الله تعالى اللهم انى أعوذ بك من قلب يعرف ولسان يصف وأعمال تخالف ومن دعاء أهل البيت عليهم السلام وفيه رائحة من كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذى نحن فى شرحه اللهم انى أستغفرك لما تبت منه اليك ثم عدت فيه وأستغفرك لما وعدتك من نفسى ثم أخلفتك وأستغفرك للنعم التى أنعمت بها على فتقويت بها على معصيتك وأستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل ذنب أذنبته ومعصية ارتكبتها فى ضياء النهار وظلام الليل فى ملا أو خلا أو سرا أو علانية وأستغفرك من كل ذنب تمكنت منه بعافيتك ونالته يدى بفضل نعمتك وانبسطت اليه بسعة رزقك واحتجبت فيه عن الناس بسترك واتكلت فيه على كرم عفوك اللهم انى أعوذ بك أن أقول حقا ليس فيه رضاك التمس به أحدا سواك وأعوذ بك ان أتزين للناس بشىء يشيننى عندك وأعوذ بك أن أكون عبرة لاحد من خلقك وان يكون أحد من خلقك أسعد بما علمتنى منى وأعوذ بك ان أستعين بمعصيتك على ضر يصيبنى كان أبو مسلم الخولانى اذا أهمه أمر قال يا مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين ومن دعاء على عليه السلام اللهم ان فههت عن مسئلتى او عميت عن طلبتى فدلنى على مصالحى وخذ بقلبى الى مراشدى اللهم احملنى على عفوك ولا تحملنى على عدلك

(الاصل) ﴿ ومن كلام له عليه السلام ﴾

قاله لبعض أصحابه لما عزم على المسير الى الخوارج وقد قال له إن سرت يا أمير المؤمنين في هذا الوقت خشيت أن لا تظفر بمرادك من طريق علم النجوم فقال عليه السلام

أَتَزْعُمُ أَنَّكَ تَهْدِي إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا صُرِفَ عَنْهُ السُّوءُ وَتُخَوِّفُ مِنَ السَّاعَةِ الَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا حَاقَ بِهِ الضُّرُّ * فَمَنْ صَدَّقَكَ بِهَذَا فَقَدْ كَذَّبَ الْقُرْآنَ وَاسْتَغْنَى عَنِ الْإِسْتِعَانَةِ بِاللهِ فِي نَيْلِ الْمَحْبُوبِ وَدَفْعِ الْمَكْرُوهِ * وَتَبْتَغِي فِي قَوْلِكَ لِلْعَامِلِ بِأَمْرِكَ أَنْ يُولِيَكَ الْحَمْدَ دُونَ رَبِّهِ لِأَنَّكَ بِزَعْمِكَ أَنْتَ هَدَيْتَهُ إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي نَالَ فِيهَا النَّفْعَ وَأَمِنَ الضُّرَّ (ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ) أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَتَعَلُّمَ النُّجُومِ إِلَّا مَا يُهْتَدَى بِهِ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ * فَإِنَّهَا تَدْعُو إِلَى الْكَهَانَةِ الْمُنَجِّمُ كَالْكَاهِنِ * وَالْكَاهِنُ كَالسَّاحِرِ وَالسَّاحِرُ كَالْكَافِرِ * وَالْكَافِرُ فِي النَّارِ سِيرُوا عَلَى اسْمِ اللهِ

(الشرح) حاق به الضر أى أحاط به قال تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله و يوليك الحمد مضارع أولاك وأولاك معدى بالهمزة من ولى قال ولى الشىء ولاية وأوليته ذلك أى جعلته واليا له ومتسلطا عليه والكاهن واحد الكهان وهم الذين كانوا يخبرون عن الشياطين بكثير من الغائبات * واعلم أن الناس قد اختلفوا فى أحكام النجوم فانكرها جمهور المسلمين والمحققون من الحكماء ونحن نتكلم ههنا فى ذلك ونبحث فيه بحثين بحثا كلاميا و بحثا حكميا

اما البحث الكلامى هو أن يقال اما أن يذهب المنجمون الى ان النجوم مؤثرة أو أمارات والوجه الاول ينقسم قسمين أحدهما أن يقال انها تفعل بالاختيار والثانى ان تفعل بالايجاب والقول بانها تفعل بالاختيار باطل لان المختار لا بد أن يكون قادرا حيا والاجماع من المسلمين حاصل على ان الكواكب ليست حية ولا قادرة والاجماع حجة وقد بين المتكلمون أيضا أن من شرط الحياة الرطوبة وأن تكون الحرارة على قدر مخصوص متى أفرطت امتنع حلول الحياة فى ذلك الجسم فان النار على صرافتها يستحيل أن تكون حية وان تحلها الحياة لعدم الرطوبة وافراط الحرارة فيها واليبس والشمس أشد حرارة من النار لانها على بعدها تؤثر ما تؤثره النار على قربها وذلك دليل على أن حرارتها أضعاف حرارة النار وبينوا أيضا انها لو كانت حية قادرة لم يجز أن تفعل فى غيرها ابتداء لان القادر بقدرة لا يصح منه الاختراع وانما يفعل فى غيره على سبيل التوليد ولا بد من وصلة بين الفاعل والمفعول فيه والكواكب غير مماسة لنا فلا وصلة بينها وبيننا فيستحيل أن تكون فاعلة فينا فان ادعى مدع ان الوصلة هى الهواء فعن ذلك أجوبة أحدها ان الهواء لا يجوز أن يكون وصلة وآلة فى الحركات الشديدة وحمل الاثقال لاسيما اذا لم يتموج والثانى انه كان يجب أن نحس بذلك ونعلم ان الهواء يحركنا ويصرفنا كما نعلم فى الجسم اذا حركنا وصرفنا بآلة موضع تحريكه لنا بتلك الآلة والثالث ان فى الافعال الحادثة فينا ما لا يجوز أن يفعل بآلة ولا يتولد عن سبب كالارادات والاعتقادات ونحوها وقد دل أصحابنا أيضا على ابطال كون الكواكب فاعلة للافعال فينا بان ذلك يقتضى سقوط الامر والنهى والمدح والذم ويلزمهم ما يلزم المجبرة وهذا الوجه يبطل كون الكواكب فاعلة فينا بالايجاب كما يبطل كونها فاعلة بالاختيار وأما القول بأنها أمارات على ما يحدث ويتجدد فيمكن ان ينصر بأن يقال لم لا يجوز أن يكون الله تعالى أجرى العادة بأن يفعل أفعالا مخصوصة عند طلوع كوكب أو غروبه أو اتصاله بكوكب آخر والكلام على ذلك بأن يقال هذا غير ممتنع لو ثبت سمع مقطوع به يقتضى ذلك فان هذا مما لا يعلم بالعقل فان قالوا نعلم بالتجربة قيل لهم التجربة انما تكون حجة اذا استمرت واطردت وأنتم خطؤكم فيما تحكمون به أكثر من صوابكم فهلا نسبتم الصواب الذى يقع منكم الى الاتفاق والتخمين فقد رأينا من أصحاب الزرق والتخمين من يصيب أكثر مما يصيب المنجم وهو من غير أصل صحيح ولا قاعدة معتمدة ومتى قلتم انما أخطأ المنجم لغلطه فى تسيير الكواكب قيل لكم ولم لا يكون سبب الاصابة الاتفاق وانما يصح لكم هذا التأويل والتخريج لو كان على صحة أحكام النجوم دليل قاطع هو غير اصابة المنجم فأما اذا كان دليل صحة الاحكام الاصابة فهلا كان دليل فسادها الخطأ فما أحدهم الا فى مقابلة صاحبه ومما قيل على أصحاب الاحكام ان قيل لهم فى شئ بعينه خذوا الطالع واحكموا أيؤخذ أم يترك فان حكموا بأحدهما خولفوا وفعل خلاف ما أخبروا به وهذه المسألة قد أعضل عليهم جوابها وقال بعض المتكلمين لبعض المنجمين أخبرنى لو فرضنا جادة مسلوكة وطريقا يمشى فيها الناس نهارا وليلا وفى تلك المحجة آبار متقاربة وبين بعضها وبعض طريق يحتاج سالكه الى تأمل وتوقف حتى يتخلص من السقوط فى بعض تلك الآبار هل يجوز أن تكون سلامة من يمشى بهذا الطريق من العميان سلامة من يمشى فيه من البصراء والمفروض ان الطريق لا تخلو طرفة عين من مشاة فيها عميان ومبصرون وهل يجوز أن يكون عطب البصراء مقاربا لعطب العميان فقال المنجم هذا مما لا يجوز بل الواجب أن تكون سلامة البصراء أكثر من سلامة العميان فقال المتكلم فقد بطل قولكم لان مسألتنا نظير هذه الصورة فان مثال البصراء هم الذين يعرفون أحكام النجوم ويميزون مساعدها من مناحسها ويتوقون بهذه المعرفة مضار الوقت والحركات ويتخطونها ويعتمدون منافعها ويقصدونها ومثال العميان كل من لا يحسن علم النجوم ولا يقولون به من أهل العلم والعامة وهم أضعاف عدد المنجمين ومثال الطريق الذى فيه الآبار الزمان الذى مضى ومر على الخلق أجمعين ومثال آباره مصائبه ومحنه وقد كان يجب لو صح علم أحكام النجوم أن سلامة المنجمين أكثر ومصائبهم أقل لأنهم يتوقون المحن ويتخطونها لعلمهم بها قبل كونها وأن تكون محن المعرضين عن علم أحكام النجوم على كثرتهم أوفر وأظهر حتى تكون سلامة كل واحد منهم هى الطريقة الغريبة والمعلوم خلاف ذلك فان السلامة والمحن فى الجميع متقاربة متناسبة

غير متفاوتة * وأما البحث الحكمى فى هذا الموضع فهو ان الحادث فى عالم العناصر عند حلول الكوكب المخصوص فى البرج المخصوص اما أن يكون المقتضى له مجرد ذلك الكوكب أو مجرد ذلك البرج أو حلول ذلك الكوكب فى ذلك البرج فالاولان باطلان والا لوجب أن يحدث ذلك الامر قبل أن يحدث والثالث باطل أيضا لأنه اما أن يكون ذلك البرج مساويا لغيره من البروج فى الماهية أو مخالفا والاول يقتضى حدوث ذلك الحادث حال ما كان ذلك الكوكب حالا فى غيره من البروج لان حكم الشئ حكم مثله والثانى يقتضى كون كرة البروج متخالفة الاجزاء فى أنفسها ويلزم فى ذلك كونها مركبة وقد قامت الدلالة على انه لا شئ من الافلاك بمركب وقد اعترض على هذا الدليل بوجهين أحدهما انه لم لا يجوز أن تختلف أفعال الكواكب المتحيرة عند حلولها فى البروج لاختلاف البروج فى نفسها بل لاختلاف ما فى تلك البروج من الكواكب الثابتة المختلفة الطبائع الوجه الثانى لم لا يجوز أن يقال الفلك التاسع مكوكب بكواكب صغار لا نراها لغاية بعدها عنا فاذا تحركت فى كرات تداويرها سامتت مواضع مخصوصة من كرة الكواكب الثابتة وهى فلك البروج فاختلفت آثار الكواكب المتحيرة عند حلولها فى البروج باعتبار اختلاف تلك الكواكب الصغيرة ولم لا يجوز اثبات كرة بين الكرة الثامنة وبين الفلك الاطلس المدبر لجميع الافلاك من المشرق الى المغرب وتكون تلك الكرة المتوسطة بينهما بطيئة الحركة بحيث لا تفى أعمارنا بالوقوف على حركتها وهى مكوكبة بتلك الكواكب الصغار المختلفة الطبائع وأجيب عن الاول بانه لو كان الامر كما ذكر لوجب أن تختلف بيوت الكواكب واشرافها وحدودها عند حركة الثوابت بحركة فلكها حتى أنها تتقدم على مواضعها فى كل مائة سنة على رأى المتقدمين أو فى كل ست وستين سنة على رأى المتأخرين درجة واحدة لكن ليس الامر كذلك فان شرف القمر كما انه فى زماننا فى درجة الثالثة من الثور فكذلك كان عند الذين كانوا قبلنا بألف سنة وبألفى سنة وأما الوجه الثانى فلا جواب عنه * واعلم أن الفلاسفة قد عولت فى ابطال القول باحكام النجوم على وجه واحد وهو أن مبنى هذا العلم على التجربة ولم توجد التجربة فيما يدعيه أرباب علم النجوم فان ههنا أمورا لا تتكرر الا فى الاعمار المتطاولة مثل الادوار والالوف التى زعم أبو معشر أنها هى الاصل فى هذا العلم ومثل مماسة جرم زحل للكرة المكوكبة ومثل انطباق معدل النهار على دائرة فلك البروج فانهم يزعمون أن ذلك يقتضى حدوث طوفان الماء واحاطته بالارض من جميع الجوانب مع أن هذه الامور لا توجد الا فى ألوف الالوف من السنين فكيف تصح امثال هذه الامور بالتجربة وأيضا فانا اذا رأينا حادثا حدث عند حلول كوكب مخصوص فى برج مخصوص فكيف نعلم استناد حدوثه الى ذلك الحلول فان فى الفلك كواكب لا تحصى فما الذى خصص حدوث ذلك الحدوث بحلول ذلك الكوكب فى ذلك البرج لا غيره وبتقدير أن يكون لحلوله تأثير فى ذلك فلا يمكن الجزم قبل حلوله بانه اذا حل فى البرج المذكور لا بد أن يحدث ذلك الحادث لجواز ان يوجد ما يبطل تأثيره نحو ان يحل كوكب آخر فى برج آخر فيدفع تأثيره ويبطل عمله أو لعل المادة الارضية لا تكون مستعدة لقبول تلك الصورة وحدوث الحادث كما يتوقف على حصول الفاعل يتوقف على حصول القابل واذا وقع الشك فى هذه الامور بطل القول بالجزم بعلم أحكام النجوم وهذه الحجة جيدة ان كان المنجمون يطلبون القطع فى علمهم فاما ان كانوا يطلبون الظن فان هذه الحجة لا تفسد قولهم فاما أبو البركات بن ملكا البغدادى صاحب كتاب المعتبر فانه أبطل أحكام النجوم من وجه وأثبته من وجه قال أما من يريد تطبيق علم أحكام النجوم على قاعدة العلم الطبيعى فانه لا سبيل له الى ذلك فانا لا نتعلق من أقوالهم الا باحكام يحكمون بها من غير دليل نحو القول بحر الكواكب وبردها أو رطوبتها ويبوستها واعتدالها كقولهم ان زحل بارد يابس والمشترى معتدل والاعتدال خير والافراط شر وينتجون من ذلك أن الخير يوجب سعادة والشر يوجب منحسة وما جانس ذلك مما لم يقل به علماء الطبيعيين ولم تنتجه مقدماتهم فى انظارهم وانما الذى انتجته هو أن الاجرام السماوية فعالة فيما تحويه وتشتمل عليه وتتحرك حوله فعلا على الاطلاق غير محدود بوقت ولا مقدر بتقدير والقائلون بالاحكام ادعوا حصول علمهم بذلك من توقيف

ومجربة لايطابق نظر الطبيعي واذا قلت بقول الطبيعي بحسب انظاره ان المشترى سعد والمريخ نحس أوان زحل بارد
يابس والمريخ حار يابس والحار والبارد من الملموسات ومادل على هذا اللمس ولا ما استدل عليه بلمس كتأثيره فيما يلمسه
فان ذلك لم يظهر للحس فى غير الشمس حيث تسخن الارض بشعاعها ولو كان فى السمائيات شئ من طبائع الاضداد
لكان الأولى أن تكون كلها حارة لان كوا كبها كلها منيرة ومتى يقول الطبيعي بتقطيع الفلك وتقسيمه الى أجزاء كما
قسمه المنجمون قسمة وهمية الى بروج ودرج ودقائق وذلك جائز للمتوهم لجواز غيره وليس بواجب فى الوجود ولا
حاصل فنقلوا ذلك التوهم الجائز الى الوجود الواجب فى أحكامهم وكان الاصل فيه على زعمهم حركة الشمس والأيام
والشهور فصلوا منها قسمة وهمية وجعلوها كالحاصلة الوجودية المفرزة بحدود وخطوط كأن الشمس بحركتها من وقت
الى مثله خطت فى السماء خطوطا وأقامت فيها جدرا أوحدودا أوغيرت فى أجزائها طباعا تغييرا يبقى فيتبقى به القسمة الى
تلك الدرج والدقائق مع جواز الشمس عنها وليس فى جوهر الفلك اختلاف يتميز به موضع عن موضع سوى الكوا كب
والكوا كب تتحرك عن أمكنتها فبقيت الامكنة على التشابه فبماذا تتميز بروجه ودرجه ويبقى اختلافها بعد حركة
المتحرك فى سمتها وكيف يقيس الطبيعي على هذه الاصول ويستنتج منها نتائج ويحكم بحسبها أحكاما فكيف له أن يقول
بالحدود ويجعل خمس درجات من برج الكوكب وستا لآخر وأربعا لآخر ويختلف فيها البابليون والمصريون
وجعلوا أرباب البيوت كأنها املاك والبيوت كأنها أملاك تثبت لاربابها بصكوك وأحكام الاسد للشمس والسرطان
للقمر واذا نظر الناظر وجد الاسد أسدا من جهة كوا كب شكلوها بشكل الاسد ثم انقلب عن مواضعها وبقى الموضع
أسدا وجعلوا الاسد للشمس وقد ذهبت منه الكوا كب التى كان بها أسدا كأن ذلك الملك بيت للشمس مع انتقال
الساكن وكذلك السرطان للقمر ومن الدقائق فى العلم النجومى الدرجات المدارة والغربية والمظلمة والنيرة
والزائدة فى السعادة ودرجات الآثار من جهة أنها أجزاء الفلك ان قطعوها وما انقطعت ومع انتقال ماينتقل من
الكوا كب اليها وعنها ثم انتجوا من ذلك نتائج أنظارهم من أعداد الدرج وأقسام الفلك فقالوا ان الكوكب ينظر
الى الكوا كب من ستين درجة نظر تسديس لانه سدس من الفلك ولا ينظر اليه من خمسين ولا من سبعين وقد كان قبل
الستين بعشر درج وهو أقرب من ستين و بعدها بعشر درج وهو أبعد من ستين لا ينظر فليت شعرى ماهذا النظر
أترى الكوا كب تظهر للكوكب ثم تحتجب عنه ثم شعاعه يختلط بشعاعه عند حد لا يختلط به قبله ولا بعده وكذلك التربيع
من الربع الذى هو تسعون درجة والتثليث من الثلث الذى هو مائة وعشرون درجة فلم لا يكون التخميس والتسبيع
والتعشير على هذا القياس ثم يقولون الحمل حار يابس نارى والثور بارد يابس أرضى والجوزاء حار رطب هوائى والسرطان
بارد رطب مائى ماقال الطبيعي هذا قط ولا يقول به واذا احتجوا وقاسوا كانت مبادئ قياساتهم الحمل برج ينقلب لان
الشمس اذا نزلت فيه ينقلب الزمان من الشتاء الى الربيع والثور برج ثابت لان الشمس اذا نزلت فيه ثبت الربيع على
ربيعيته والحق انه لا ينقلب الحمل ولا يثبت الثور بل هما على حالهما فى كل وقت ثم كيف يبقى دهره منقلبا مع خروج الشمس
منه وحلولها فيه أتراها تخلف فيه أثرا أو تحيل منه طباعا وتبقى تلك الاستحالة الى أن تعود فتجددها ولم لا يقول قائل ان
السرطان حار يابس لان الشمس اذا نزلت فيه يشتد حر الزمان ومايجانس هذا انما لا يلزم لاهو ولا ضده فليس فى الفلك
اختلاف يعرفه الطبيعي الا ماقيه من الكوا كب وهو فى نفسه واحد متشابه الجوهر والطبع ولكنها أقوال قال بها قائل
فقبلها قائل ونقلها ناقل فحسن فيها ظن السامع واغتر بها من لا خبرة له ولا قدرة له على النظر ثم حكم بها الحاكمون بجيد
ورديء وسلب وايجاب وبت وتجوز فصادف بعضه موافقة الوجود فصدق فيعتبر به المعتبرون ولم يلتفتوا الى ماكذب
منه فيكذبوه بل عذروا وقالوا انما هو منجم وليس بنبى حتى يصدق فى كل مايقول واعتذروا له بان العلم أوسع من أن يحيط
به احد ولو أحاط به أحد لصدق فى كل شئ ولعمر الله انه لو أحاط به علما صادقا لصدق والشأن فى أن يحيط به على الحقيقة
لا ان يفرض فرضا ويتوهم وهما فينقله الى الوجود وينسب اليه ويقيس عليه قال والذى يصح من هذا العلم ويلتفت
اليه العقلاء هى أشياء غير هذه الخرافات التى لا أصل لها فما حصل توقيفا أو تجربة حقيقية كالقرانات والمقابلة فانها أيضا

من جملة الاتصالات كالمقارنة من جهة ان تلك غاية القرب وهذه غاية البعد وبحو مر كوكب من المتحيرة تحت كوكب من
الثابتة ونحوه مايعرض للمتحيرة من رجوع واستقامة وارتفاع فى شمال وانخفاض فى جنوب وأمثال ذلك فهذا
كلام ابن ملكا كما تراه يبطل هذا الفن من وجه ويقول به من وجه وقد وقفت لابى جعفر محمد بن الحسين الصنعانى
المعروف بالخازن صاحب كتاب زيج الصفائح على كلام فى هذا الباب مختصر له سماه كتاب العالمين أنا ذاكره فى هذا
الموضع على وجهه لانه كلام لا بأس به قال ان بعض المصدقين باحكام النجوم وكل المكذبين بها قد زاغوا عن طريق
الحق والصواب فيها فان الكثير من المصدقين بها قد أدخلوا فيها ماليس منها وادعوا مالم يمكن ادراكه بها حتى كثر فيها
خطؤهم وظهر كذبهم وصار ذلك سببا لتكذيب أكثر الناس بهذا العلم فاما المكذبون به فقد بلغوا من انكار صحيحه
ورد ظاهره الى أن قالوا انه لا يصح منه شئ أصلا ونسبوا أهله الى الرزق والاحتيال والخداع والتمويه فلذلك رأينا
أن نبتدئ بتبيين صحة هذه الصناعة ليظهر فساد قول المكذبين لها بأسرها ثم نبين مايمكن ادراكه بها ليبطل دعوى
المدعين فيها ما يمتنع وجوده بها أما الوجوه التى بها تصح صناعة الاحكام فهى كثيرة منها مايظهر لجميع الناس من قبل
الشمس فان حدوث الصيف والشتاء ومايعرض فيهما من الحر والبرد والامطار والرياح ونبات الارض وخروج ورق
الاشجار وحملها الثمار وحركة الحيوان الى النسل والتوالد وغير ذلك مما يشا كله من الاحوال انما يكون أكثر ذلك
بحسب دنو الشمس من سمت الرؤس فى ناحية الشمال وتباعدها منه الى ناحية الجنوب وبفضل قوة الشمس على قوة
القمر وقوى سائر الكوا كب ظهر ماقلنا لجميع الناس وقد ظهر لهم أيضا من قبل الشمس فى تغيير الهواء كل يوم عند
طلوعها وعند توسطها السماء وعند غروبها ما لا خفاء به من الآثار ومن هذه الوجوه مايظهر للفلاحين والملاحين بادنى
تفقد للاشياء التى تحدث فانها يعلمون أشياء كثيرة من الآثار التى يؤثرها القمر وأنواء الكوا كب الثابتة كالمد والجزر
وحركات الرياح والامطار وأوقاتها عند الحدوث ومايوافق من أوقات الزراعات ومالا يوافق وأوقات اللقاح والنتاج
وقد يظهر من آثار القمر فى الحيوان الذى يتولد فى الماء والرطوبات ماهو مشهور لا ينكر ومنها جهات أخر يعرفها
المنجمون فقط على حسب فضل علمهم ودقة نظرهم فى هذا العلم واذ قد وصفنا على سبيل الاجمال مايوجب حقيقة هذا
العلم فانا نصف مايمكن ادراكه به أولا يمكن فنقول لما كانت تغييرات الهواء انما تحدث بحسب أحوال الشمس والقمر
والكواكب المتحيرة والثابتة صارت معرفة هذه التغييرات قد تدرك من النجوم مع سائر مايتبعها من الرياح
والسحاب والامطار والثلج والبرد والرعد والبرق ولان الاشياء التى تلى الارض وتصل اليها هذه الآثار من الهواء المحيط
بها كانت الاعراض العامية التى تعرض فى هذه الاشياء تابعة لتلك الآثار مثل كثرة مياه الانهار وقلتها وكثرة الثمار وقلتها
وكثرة خصب الحيوان وقلته والجدوبة والقحط والوباء والامراض التى تحدث فى الاجناس والانواع أو فى جنس
دون جنس أو فى نوع دون نوع وسائر مايشا كل ذلك من الاحداث ولما كانت أخلاق النفس تابعة لمزاج البدن
وكانت الاحداث التى ذكرناها مغيرة لمزاج البدن صارت أيضا مغيرة للاخلاق ولان المزاج الاول الاصلى هو الغالب
على الانسان فى الامر الا كثر وكان المزاج الاصلى هو الذى طبع عليه الانسان فى وقت كونه فى الرحم وفى وقت مولده
وخروجه الى جو العالم صار وقت الكون ووقت المولد أدل الاشياء على مزاج الانسان وعلى أحواله التابعة للمزاج
مثل خلقة البدن وخلق النفس والمرض والصحة وسائر مايتبع ذلك فهذه الاشياء ومايشبهها من الامور التى لا تشارك
شيأ من الافعال الارادية فيه مما يمكن معرفته بالنجوم وأما الاشياء التى تشارك الامور الارادية بعض المشاركة فقد يمكن
ان يصدق فيها هذا العلم على الامر الا كثر واذا لم يستعمل فيه الارادة جرى ماتقود اليه الطبيعة على انه قد يعرض
الخطأ والغلط لاصحاب هذه الصناعة من أسباب كثيرة بعضها يختص بهذه الصناعة دون غيرها وبعضها يعمها وغيرها
من الصنائع فاما مايعم فهو من قصور طبيعة الناس فى معرفة الصنائع أيا كانت عن بلوغ الغاية فيها حتى لا يبقى وراءها
غاية أخرى فكثرة الخطأ وقلته على حسب تقصير واحد واحد من الناس وأما مايختص بهذه الصناعة فهو كثير مما يحتاج
صاحبها الى معرفته مما لا يمكنه ان يعلم كثيرا منه الا بالحدس والتخمين فضلا عن لطف الاستنباط وحسن القياس

ومما يحتاج الى معرفة علم أحوال الفلك . ما يحدث فى كل واحد من تلك الاحوال فان كل واحد منها له فعل خاص ثم يؤلف تلك الاحوال بعضها مع بعض على كثرة فنونها واختلافاتها ليحصل من جميع ذلك قوة واحدة وفعل واحد يكون عنه الحادث فى هذا العالم وذلك أمر عسير فتى أغفل من ذلك شئ كان الخطأ الواقع بحسب الشئ الذى سها عنه وترك استعماله ثم من بعد تحصيل ما وصفناه ينبغى أن يعلم الحال التى عليها بوافى تلك القوة الواحدة الاشياء التى تعرض فيها تلك الاحداث كانه مثلا اذا دل ما فى الفلك على حدوث حر وكانت الاشياء التى يعرض فيها ما يعرض قدمر بها قبل ذلك حر شديد وسخنت أثر ذلك فيها أثرا قويا فان كان قدمر بها برد قبل ذلك أثر ذلك فيها أثرا ضعيفا وهذا شئ يحتاج اليه فى جميع الاحداث التى تعمل فى غيرها مما يناسب هذه المعرفة وأما الاحداث التى تخص ناحية ناحية أو قوما قوما أو جنسا جنسا أو مولودا واحدا من الناس فيحتاج مع معرفتها الى أن يعلم أيضا أحوال البلاد والعادات والاغذية والاوباء وسائر ما يشبه ذلك مما له فيه أثر وشركة مثل ما يفعل الطبيب فى المعالجة وفى تقدمة المعرفة ثم من بعد تحصيل هذه الاشياء كلها ينبغى أن ينظر فى الامر الذى قد استدل على حدوثه هل هو مما يمكن أن يرد أو يتلافى بما يبطله أو يغيره من جهة الطب والحيل أم لا كانه مثلا استدل على انه يصيب هذا الانسان حرارة يحم منها فينبغى أن يحكم بانه يحم ان لم يتلاف تلك الحرارة بالتبريد فانه اذا فعل ذلك أزال الامور منازلها واجراها مجراها ثم ان كان الحادث قويا لا يمكن دفعه ببعض ما ذكرنا فليس يلزم الحاجة الى ما قلناه فان الامر يحدث لا محالة وما قوى وشمل الناس فانه لا يمكن دفعه ولا فسخه وان امكن فانما يمكن فى بعض الناس دون بعض وأما أكثرهم فانه يجرى أمره على ما قد شمل وعم فقديم الناس حر الصيف وان كان بعضهم يحتال فى صرفه بالاشياء التى تبرد وتنفى الحر فهذه جملة ما ينبغى أن يعلم ويعمل عليه فى أمور هذه الصناعة قلت هذا اعتراف بان جميع الاحداث المتعلقة باختيار الانسان وغيره من الحيوان لا مدخل لعلم أحكام النجوم فيه فعلى هذا لا يصح قول من يقول منهم لزيد مثلا انك تتزوج أو تشترى فرسا أو تقتل عدوا أو تسافر الى بلد ونحو ذلك وهو أكثر ما يقولونه ويحكمون به وأما الامور الكلية الحادثة لا بارادة الحيوان واختياره فقد يكون لكلامهم فيه وجه من الطريق التى ذكرها وهى تعلق كثير من الاحداث بحركة الشمس والقمر الا أن المعلوم ضرورة من دين رسول الله صلى الله عليه وآله ابطال حكم النجوم وتحريم الاعتقاد بها والنهى والزجر عن تصديق المنجمين وهذا معنى قول أمير المؤمنين فى هذا الفصل فمن صدقك بهذا فقد كذب القرآن واستغنى عن الاستعانة بالله ثم أردف ذلك وأكده بقوله كان يجب أن يحمد المنجم دون البارى تعالى لان المنجم هو الذى هدى الانسان الى الساعة التى ينجح فيها وصده عن الساعة التى يخفق ويكدى فيها فهو المحسن اليه اذا والمحسن يستحق الحمد والشكر وليس للبارى سبحانه الى الانسان فى هذا الاحسان المخصوص فوجب أن لا يستحق الحمد على ظفر الانسان بطلبه لكن القول بذلك والتزامه كفر محض

(الاصل) ﴿ومن كلام له عليه السلام﴾

بعد فراغه من حرب الجمل في ذم النساء

مَعاشِرَ النَّاسِ إنَّ النِّساءَ نَوَاقِصُ الإيمَانِ * نَوَاقِصُ الحُظُوظِ نَوَاقِصُ العُقُولِ * فأَمَّا نُقْصانُ إيمَانِهِنَّ فَقُعُودُهُنَّ عَنِ الصَّلاَةِ وَالصِّيَامِ في أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ * وَأَمَّا نُقْصانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ كَشَهَادَةِ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ * وَأَمَّا نُقْصانُ حُظُوظِهِنَّ فَمَوَارِيثُهُنَّ عَلَى الْأَنْصَافِ مِنْ مَوَارِيثِ الرِّجالِ * فاتَّقُوا شِرَارَ النِّساءِ * وكُونُوا مِنْ خِيارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ

ولا

وَلاَ تُطِيعُوهُنَّ فى المَعْرُوفِ حَتَّى لاَ يَطْمَعْنَ في المُنْكَرِ

(الشرح) جعل عليه السلام نقصان الصلاة نقصانا فى الايمان وهذا هو قول أصحابنا ان الاعمال من الايمان وان المقر بالتوحيد والنبوة وهو تارك للعمل ليس بمؤمن وقوله عليه السلام ولا تطيعوهن فى المعروف ليس بنهى عن فعل المعروف انما هو نهى عن طاعتهن أى لا تفعلوه لاجل أمرهن لكم بل افعلوه لانه معروف والكلام ينحو نحو المثل المشهور لا تعط العبد كراعا فيأخذ ذراعا وهذا الفصل كله رمز الى عائشة ولا يختلف أصحابنا فى أنها أخطأت فيما فعلت ثم تابت وماتت تائبة وانها من أهل الجنة قال كل من صنف فى السير والاخبار ان عائشة كانت من أشد الناس على عثمان حتى أنها أخرجت ثوبا من ثياب رسول الله صلى الله عليه وآله فنصبته فى منزلها وكانت تقول للداخلين اليها هذا ثوب رسول الله صلى الله عليه وآله لم يبل وعثمان قد أبلى سنته قالوا أول من سمى عثمان نعثلا عائشة والنعثل الكثير شعر اللحية والجسد وكانت تقول اقتلوا نعثلا قتل الله نعثلا وروى المدائنى فى كتاب الجمل قال لما قتل عثمان كانت عائشة بمكة وبلغ قتله اليها وهى بشراف فلم تشك فى ان طلحة هو صاحب الامر وقالت بعدا لنعثل وسحقا ايه ذا الاصبع ايه أبا شبل ايه يا ابن عم لكأنى أنظر الى أصبعه وهو يبايع له حثوا الابل ودعدعوها قال وقد كان طلحة حين قتل عثمان أخذ مفاتيح بيت المال وأخذ نجائب كانت لعثمان فى داره ثم فسد أمره فدفعها الى على بن أبى طالب عليه السلام وقال أبو مخنف لوط بن يحيى الازدى فى كتابه ان عائشة لما بلغها قتل عثمان وهى بمكة أقبلت مسرعة وهى تقول ايه ذا الاصبع لله أبوك أما انهم وجدوا طلحة لها كفوا فلما انتهت الى شراف استقبلها عبيد بن أبى سلمة الليثى فقالت له ما عندك قال قتل عثمان قالت ثم ماذا قال ثم حارت بهم الامور الى خير محار بايعوا عليا فقالت لوددت ان السماء انطبقت على الارض ان تم هذا ويحك انظر ماذا تقول قال هو ما قلت لك يا أم المؤمنين فولولت فقال لها ما شأنك يا أم المؤمنين والله ما أعرف بين لابتيها أحدا أولى بها منه ولا أحق ولا أرى له نظيرا فى جميع حالاته فلماذا تكرهين ولايته قال فما ردت عليه جوابا قال وقد روى من طرق مختلفة أن عائشة لما بلغها قتل عثمان وهى بمكة قالت أبعده الله ذلك بما قدمت يداه وما الله بظلام للعبيد قال وقد روى قيس بن أبى حازم انه حج فى العام الذى قتل فيه عثمان وكان مع عائشة لما بلغها قتله فتحمل الى المدينة قال فسمعها تقول فى بعض الطريق ايه ذا الاصبع واذا ذكرت عثمان قالت أبعده الله حتى أتاها خبر بيعة على فقالت لوددت أن هذه وقعت على هذه ثم أمرت برد ركائبها الى مكة فرددت معها ورأيتها فى سيرها الى مكة تخاطب نفسها كانها تخاطب أحدا قتلوا ابن عفان مظلوما فقلت لها يا أم المؤمنين ألم أسمعك آنفا تقولين أبعده الله وقد رأيتك قبل أشد الناس عليه وأقبحهم فيه قولا فقالت لقد كان ذلك ولكنى نظرت فى أمره فرأيتهم استتابوه حتى اذا تركوه كالفضة البيضاء أتوه صائما محرما فى شهر حرام فقتلوه قال وروى من طرق أخرى انها قالت لما بلغها قتله أبعده الله قتله ذنبه وأقاده الله بعمله يا معشر قريش لا يسومنكم قتل عثمان كما سام أحمر ثمود قومه ان أحق الناس بهذا الامر ذو الاصبع فلما جاءت الاخبار ببيعة على عليه السلام قالت تعسوا تعسوا لا يردون الامر فى تيم أبدا كتب طلحة والزبير الى عائشة وهى بمكة كتبا أن خذلى الناس عن بيعة على وأظهرى الطلب بدم عثمان وحملا الكتب مع ابن أختها عبد الله بن الزبير فلما قرأت الكتب كاشفت وأظهرت الطلب بدم عثمان وكانت أم سلمة رضى الله عنها بمكة فى ذلك العام فلما رأت صنع عائشة قابلتها بنقيض ذلك وأظهرت موالاة على عليه السلام ونصرته على مقتضى العداوة المركوزة فى طباع الضرتين قال أبو مخنف جاءت عائشة الى أم سلمة تخادعها على الخروج للطلب بدم عثمان فقالت لها يا بنت أبى أمية أنت أول مهاجرة من أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله وأنت كبيرة أمهات المؤمنين وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقسم لنا من بيتك وكان جبريل أكثر ما يكون فى منزلك فقالت أم سلمة لامر ما قلت هذه المقالة فقالت عائشة ان عبد الله أخبرنى أن القوم استتابوا عثمان فلما تاب قتلوه صائما فى شهر حرام وقد عزمت على الخروج الى البصرة ومعى الزبير وطلحة فاخرجى معنا لعل الله أن يصلح هذا الامر على أيدينا

و بنا فقالت أنا أم سلمة انك كنت بالامس تحرضين على عثمان وتقولين فيه أخبث القول وما كان اسمه عندك الا نعثلا وانك لتعرفين منزلة على بن أبى طالب عليه السلام عند رسول الله صلى الله عليه وآله أفأذكرك قالت نعم قالت أتذكرين يوم أقبل عليه السلام ونحن معه حتى اذا هبط من قديد ذات الشمال خلا بعلى يناجيه فاطال فاردت ان تهجمين عليهما فنهيتك فعصيتني فهجمت عليهما فالبثت أن رجعت باكية فقلت ماشأنك فقلت انى هجمت عليهما وهما يتناجيان فقلت لعلى ليس لى من رسول الله الا يوم من تسعة أيام أفما تدعنى يا ابن أبى طالب ويومى فاقبل رسول الله صلى الله عليه وآله على وهو غضبان محمر الوجه فقال ارجعى وراءك والله لا يبغضه أحد من أهل بيتى ولا من غيرهم من الناس الا وهو خارج من الايمان فرجعت نادمة ساقطة قالت عائشة نعم اذكر ذلك قالت وأذكرك أيضا كنت أنا وأنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وأنت تغسلين رأسه وأنا أحيس له حيسا وكان الحيس يعجبه فرفع رأسه وقال ياليت شعرى ايتكن صاحبة الجمل الاذنب تنبحها كلاب الحوأب فتكون ناكبة عن الصراط فرفعت يدى من الحيس فقلت أعوذ بالله وبرسوله من ذلك ثم ضرب على ظهرك وقال اياك ان تكونيها ثم قال يابنت أبى أمية اياك ان تكونيها يا حميراء أما انا فقد أنذرتك قالت عائشة نعم اذكر هذا قالت وأذكرك أيضا كنت أنا وأنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله فى سفر له وكان على يتعاهد نعلى رسول الله صلى الله عليه وآله فيخصفها ويتعاهد أثوابه فيغسلها فنقبت له نعل فاخذها يومئذ يخصفها وقعد فى ظل سمرة وجاء أبوك ومعه عمر فاستأذنا عليه فقمنا الى الحجاب ودخلا يحادثانه فيما أرادا ثم قالا يارسول الله انا لا ندرى قدر ما تصحبنا فلو أعلمتنا من يستخلف علينا ليكون لنا بعدك مفزعا فقال لهما أما انى قد أرى مكانه ولو فعلت لتفرقتم عنه كما تفرقت بنو اسرائيل عن هرون بن عمران فسكتا ثم خرجا فلما خرجنا الى رسول الله صلى الله عليه وآله قلت له وكنت أجرأ عليه منا من كنت يارسول الله مستخلفا عليهم فقال خاصف النعل فنزلنا فلم نر أحدا الا عليا فقلت يارسول الله ما أرى الا عليا فقال هو ذاك فقالت عائشة نعم أذكر ذلك فقالت فأى خروج تخرجين بعد هذا فقالت انما أخرج للاصلاح بين الناس وأرجو فيه الاجر ان شاء الله فقالت أنت ورأيك فانصرفت عائشة عنها وكتبت أم سلمة بما قالت وقيل لها الى على عليه السلام فان قلت فهذا نص صريح فى امامة على عليه السلام فما تصنع أنت وأصحابك المعتزلة به قلت كلا انه ليس بنص كما ظننت لانه صلى الله عليه وآله لم يقل قد استخلفته وانما قال لو قد استخلفت أحدا لاستخلفته وذلك لا يقتضى حصول الاستخلاف ويجوز أن تكون مصلحة المكلفين متعلقة بالنص عليه لو كان النبى صلى الله عليه وآله مأمورا بان ينص على امام بعينه من بعده وأن يكون من مصلحتهم أن يختاروا لانفسهم من شاؤا اذا تركهم النبى صلى الله عليه وآله وآراءهم ولم يعين أحدا وروى هشام بن محمد الكلبى فى كتاب الجمل ان أم سلمة كتبت الى على عليه السلام من مكة أما بعد فان طلحة والزبير وأشياعهم أشياع الضلالة يريدون أن يخرجوا بعائشة الى البصرة ومعهم ابن الجزار عبد الله بن عامر بن كريز ويذكرون ان عثمان قتل مظلوما وانهم يطلبون بدمه والله كافيهم بحوله وقوته ولولا مانهانا الله عنه من الخروج وأمرنا به من لزوم البيوت لم أدع الخروج اليك والنصرة لك ولكنى باعثة نحوك ابنى عدل نفسى عمر بن أبى سلمة فاستوص به يا أمير المؤمنين خيرا قال فلما قدم عمر على على عليه السلام أكرمه ولم يزل مقيما معه حتى شهد مشاهده كلها ووجهه أميرا على البحرين وقال لابن عم له بلغنى أن عمر يقول الشعر فابعث الى من شعره فبعث اليه بابيات له أولها

جزتك أمير المؤمنين قرابة ☆ رفعت بها ذكرى جزاء موفرا

فعجب على عليه السلام من شعره واستحسنه ومن كلام الشرح والكلام الذى قيل ان أم سلمة رحمها الله كتبت به الى عائشة انك جنة بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين أمته وان الحجاب دونك لمضروب على حرمته وقد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه وسكن عقيراك فلا تصحريها لو أذكرتك قولة من رسول الله صلى الله عليه وآله تعرفينها لنهشت بها نهش الرقشاء المطرقة ما كنت قائلة لرسول الله صلى الله عليه وآله لو لقيك ناصة قلوص قعودك من منهل

الى منهل قد تركت عهيداه وهتكت ستره ان عمود الدين لا يقوم بالنساء وصدعه لا يرأب بهن حماديات النساء خفض الاصوات وخفر الاعراض اجعلى قاعدة البيت قبرك حتى تلقينه وأنت على ذلك فقالت عائشة ما أعرفنى بنصحك وأقبلنى لوعظك وليس الامر حيث تذهبين ما أنا بعمية عن رأيك فان أقم ففى غير حرج وان أخرج ففى اصلاح بين فئتين من المسلمين وقد ذكر هذا الحديث أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة فى كتابه المصنف فى غريب الحديث فى باب أم سلمة على ما أورده عليك قال لما أرادت عائشة الخروج الى البصرة أتتها أم سلمة فقالت لها انك سدة بين محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وبين أمته وحجابك مضروب على حرمته قد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه وسكن عقيراك فلا تصحريها الله من وراء هذه الامة لو أراد رسول الله صلى الله عليه وآله ان يعهد اليك عهدا علت بل قد نهاك عن الفرطة فى البلاد ان عمود الاسلام لا يثاب بالنساء ان مال ولا يرأب بهن ان صدع حماديات النساء غض الاطراف وخفر الاعراض وقصد الوهازة ما كنت قائلة لو أن رسول الله صلى الله عليه وآله عارضك ببعض الفلوات ناصة قلوصا من منهل الى آخر ان بعين الله مهواك وعلى رسوله تردين وقد وجهت سدافته وتركت عهيداه لو سرت مسيرك هذا ثم قيل لى ادخلى الفردوس لاستحييت أن ألقى محمدا صلى الله عليه وآله هاتكة حجابا قد ضربه على اجعلى حصنك بيتك ووقاعة الستر قبرك حتى تلقينه وأنت على تلك أطوع ما تكونين لله بالرقبة وأنصر ما تكونين للدين ما حلت عنه لو ذكرتك قولا تعرفينه لنهشت به نهش الرقشاء المطرقة فقالت عائشة ما أقبلنى لوعظك وليس الامر كما تظنين ولنعم المسير مسير فزعت فيه الى فئتان متناجزتان أو قالت متناحرتان ان اقعد ففى غير حرج وان أخرج فالى مالا بدلى من الازدياد منه ☆ تفسير غريب هذا الخبر السدة الباب ومنه حديث رسول الله صلى الله عليه وآله انه ذكر أول من يرد عليه الحوض فقال الشعث رؤسا الدنس ثيابا الذين لا تفتح لهم السدد ولا ينكحون المتنعمات وأرادت أم سلمة أنك باب بين النبى صلى الله عليه وآله وبين الناس فمتى أصيب ذلك الباب بشئ فقد دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله فى حرمه وحوزته واستبيح ما حماه تقول فلا تكونى أنت سبب ذلك بالخروج الذى لا يجب عليك فتحوجى الناس الى أن يفعلوا ذلك وهذا مثل قول نعمان بن مقرن للمسلمين فى غزاة نهاوند ألا وانكم باب بين المسلمين والمشركين ان كسر ذلك الباب دخل عليهم منه وقولها قد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه أى لا تفتحيه ولا توسعيه بالحركة والخروج يقال ندحت الشئ اذا وسعته ومنه يقال فلان فى مندوحة عن كذا أى فى سعة تريد قول الله تعالى وقرن فى بيوتكن ومن روى تبدحيه بالباء فانه من البداح وهو المتسع من الارض وهو معنى الاول وسكن عقيراك من عقر الدار وهو أصلها أهل الحجاز يضمون العين وأهل نجد يفتحونها وعقيرا اسم مبنى من ذلك على صيغة التصغير ومثله مما جاء مصغرا الثريا والحميا وهو سورة الشراب قال ابن قتيبة ولم أسمع بعقيرا الا فى هذا الحديث قولها ولا تصحريها أى لا تبرزيها وتجعليها بالصحراء يقال أصحر كما يقال أنجد وأسهل وأحزن وقولها الله من وراء هذه الامة أى محيط بهم وحافظ لهم وعالم باحوالهم كقوله تعالى والله من ورائهم محيط قولها لو أراد رسول الله صلى الله عليه وآله الجواب محذوف أى لفعل ولعهد وهذا كقوله تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أى لكان هذا القرآن قولها علت أى جرت فى هذا الخروج وعدلت عن الجواب والعول الميل والجور قال تعالى ذلك أدنى ألا تعولوا ومن الناس من يرويه عات علت بكسر العين أى ذهبت فى البلاد وأبعدت السير يقال عال فلان فى البلاد أى ذهب وأبعد ومنه قيل للذئب عيال قولها عن الفرطة فى البلاد أى عن السفر والشخوص من الفرط وهو السبق والتقدم ورجل فارط أتى الماء أى سابق قولها لا يثاب بالنساء أى لا يرد بهن ان مال الى استوائه من قولك ثاب فلان الى كذا أى عاد اليه قولها ولا يرأب بهن ان صدع أى لا يسد بهن ولا يجمع والصدع الشق ويروى ان صدع بفتح الصاد والدال أجروه مجرى قولهم جبرت العظم فجبر قولها حماديات النساء يقال حماداك ان تفعل كذا مثل قصاراك ان تفعل كذا أى جهدك وغايتك غض الاطراف جمعها وخفر الاعراض الخفر الحياء والاعراض جمع عرض وهو الجسد يقال فلان طيب العرض أى طيب ريح البدن ومن رواه الاعراض بكسر الهمزة جعله مصدرا من اعرض عن

كذا قولها وقصر الوهازة قال ابن قتيبة سألت عن هذا فقال لي من سألته سألت عنه اعرابيا فصيحا فقال الوهازة الخطوة يقال للرجل انه لمتوهز ومتوهر اذا وطئ وطأ ثقيلا قولها ناصة قلوصا أي رافعة لها في السير والنص الرفع ومنه يقال حديث منصوص أي مرفوع والقلوص من النوق الشابة وهي بمنزلة الفتاة من النساء والمنهل الماء ترده الابل قولها ان بعين الله مهواك أي ان الله يرى سيرك وحركتك والهوى الانحدار في السير من النجد الى الغور قولها وعلى رسوله تردين أي تقدمين في القيامة قولها وقد وجهت سدافته السدافة الحجاب والستر هي من أسدف الليل اذا استتر بظلمته كانه أرخى ستورا من الظلام ويروى بفتح السين وكذلك القول في سجافته انه يروى بكسر السين وفتحها والسدافة والسجافة بمعنى ووجهت أي نظمتها بالخرز والوجيهة خرزة معروفة وعادة العرب أن تنظم على المحمل خرزات اذا كان للنساء قولها وتركت عهيداه لفظة مصغرة مأخوذة من العهد مشابهة لما سلف من قولها عقيراك وحماديات النساء قولها ووقاعة الستر أي موقعه على الارض اذا أرسلته وهي الموقعة أيضا وموقعة الطائر قولها حتى تلقينه وأنت على تلك أي على تلك الحال فحذف قولها أطوع ماتكونين لله اذا الزمته أطوع مبتدأ واذا الزمته خبر المبتدأ والضمير في لزمته راجع الى العهد والامر الذي أمرت به قولها نهشت به نهش الرقشاء المطرقة أي لعضك ونهشك ما أذكرك وأذكرك به كما تنهشك أفعى رقشاء والرقش في ظهرها هو النقط والجرارة أيضا رقشاء قال النابغة

فبت كأني ساورتني ضئيلة ✽ من الرقش في أنيابها السم ناقع

والافعى يوصف بالاطراق وكذلك الاسد والنمر والرجل الشجاع وكان معاوية يقول في علي عليه السلام الشجاع المطرق وقال الشاعر وذكر أفعى

أصم أعمى ما يجيب الرقي ✽ من طول الاطراق واسبات

قولها فئتان متناجزتان أي تسرع كل واحدة منهما الى نفوس الاخرى ومن رواه متناحرتان أراد الحرب وطعن النحور بالأسنة ورشقها بالسهام وفزعت الى فلان في كذا أي لذت به والتجأت اليه وقولها ان أقعد ففي غير حرج أي في غير اثم وقولها فان أخرج فالى ما لا بد لي من الازدياد منه كلام من يعتقد الفضيلة في الخروج أو يعرف موقع الخطأ ويصر عليه ✽ لما عزمت عائشة على الخروج الى البصرة طلبوا لها بعيرا أيدا يحمل هودجها فجاءهم يعلى بن أمية ببعيره المسمى عسكرا وكان عظيم الخلق شديدا فلما رأته أعجبها وأنشأ الجمال يحدثها بقوته وشدته ويقول في أثناء كلامه عسكر فلما سمعت هذه اللفظة استرجعت وقالت ردوه لا حاجة لي فيه وذكرت حيث سئلت أن رسول الله صلى الله عليه وآله ذكر لها هذا الاسم ونهاها عن ركوبه وأمرت أن يطلب لها غيره فلم يوجد لها ما يشبهه فغير لها بجلال غير جلاله وقيل لها قد أصبنا لك أعظم منه خلقا وأشد قوة وأتيت به فرضيت قال أبو مخنف وأرسلت الى حفصة تسألها الخروج والمسير معها فبلغ ذلك عبد الله بن عمر فأتى أخته فعزم عليها فاقامت وحطت الرحال بعد ما همت ✽ كتب الاشتر من المدينة الى عائشة وهي بمكة أما بعد فانك ظعينة رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أمرك أن تقري في بيتك فان فعلت فهو خير لك فان أبيت الا أن تأخذي منسأتك وتلقي جلبابك وتبدي للناس شعيراتك قاتلتك حتى أردك الى بيتك والموضع الذي يرضاه لك ربك فكتبت اليه في الجواب أما بعد فانك أول العرب شب الفتنة ودعا الى الفرقة وخالف الأئمة وسعى في قتل الخليفة وقد علمت أنك لن تعجز الله حتى يصيبك منه بنقمة ينتصر بها منك للخليفة المظلوم وقد جاءني كتابك وفهمت ما فيه وسيكفينيك الله وكل من أصبح مماثلا لك في ضلالك وغيك ان شاء الله وقال أبو مخنف لما انتهت عائشة في مسيرها الى الحوأب وهو ماء لبني عامر بن صعصعة نبحتها الكلاب حتى نفرت صعاب ابلها فقال قائل من أصحابها ألا ترون ما أكثر كلاب الحوأب وما أشد نباحها فامسكت زمام بعيرها وقالت وانها لكلاب الحوأب ردوني ردوني فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول وذكرت الخبر فقال لها قائل مهلا يرحمك الله فقد جزنا ماء الحوأب فقالت فهل من شاهد فلفقوا لها خمسين اعرابيا جعلوا لهم جعلا فحلفوا لها أن هذا ليس بماء الحوأب فسارت لوجهها ✽ لما انتهت عائشة وطلحة والزبير الى حفر أبي موسى قريبا من البصرة أرسل عثمان بن حنيف

وهو

وهو يومئذ عامل علي عليه السلام على البصرة الى القوم أبا الاسود الدؤلي يعلم له علمهم فجاء حتى دخل على عائشة فسألها عن مسيرها فقالت أطلب بدم عثمان قال انه ليس بالبصرة من قتلة عثمان أحد قالت صدقت ولكنهم مع علي بن أبي طالب بالمدينة وجئت أستنهض أهل البصرة لقتاله أنغضب لكم من سوط عثمان ولا نغضب لعثمان من سيوفكم فقال لها ما أنت من السوط والسيف انما أنت حبيس رسول الله صلى الله عليه وآله أمرك أن تقري في بيتك وتتلي كتاب ربك وليس على النساء قتال ولا لهن الطلب بالدماء وان عليا لأولى بعثمان منك وأمس رحما فانهما ابنا عبد مناف فقالت لست بمنصرفة حتى أمضي لما قدمت اليه أفتظن يا أبا الاسود ان أحدا يقدم على قتالي قال أما والله لتقاتلن قتالا أهونه الشديد ثم قام فأتى الزبير فقال يا أبا عبد الله عهد الناس بك وأنت يوم بويع أبو بكر آخذ بقائم سيفك تقول لا أحد أولى بهذا الامر من ابن أبي طالب وأين هذا المقام من ذاك فذكر له دم عثمان قال أنت وصاحبك وليتماه فيما بلغنا قال فانطلق الى طلحة فاسمع ما يقول فذهب الى طلحة فوجده سادرا في غيه مصرا على الحرب والفتنة فرجع الى عثمان بن حنيف فقال انها الحرب فتأهب لها ✽ لما نزل علي عليه السلام بالبصرة فكتبت عائشة الى زيد بن صوحان العبدي من عائشة بنت أبي بكر الصديق زوج النبي صلى الله عليه وآله الى ابنها الخالص زيد بن صوحان أما بعد فأقم في بيتك وخذل الناس عن علي عليه السلام وليبلغني عنك ما أحب فانك أوثق أهلي عندي والسلام فكتب اليها من زيد بن صوحان الى عائشة بنت أبي بكر أما بعد فان الله أمرك بامر وأمرنا بامر أمرك أن تقري في بيتك وأمرنا أن نجاهد وقد أتاني كتابك فأمرتني ان أصنع خلاف ما أمرني الله فأكون قد صنعت ما أمرك الله به وصنعت ما أمرني الله به فامرك عندي غير مطاع وكتابك غير مجاب والسلام روى هذين الكتابين شيخنا أبو عثمان عمرو بن عبيد عن شيخنا أبي سعيد الحسن البصري وركبت عائشة يوم الحرب الجمل المسمى عسكرا في هودج قد ألبس الرفرف ثم ألبس جلود النمر ثم ألبس فوق ذلك دروع الحديد الشعبي عن مسلم بن أبي بكرة عن أبيه أبي بكرة قال لما قدم طلحة والزبير البصرة تقلدت سيفي وأنا أريد نصرهما فدخلت على عائشة واذا هي تأمر وتنهى واذا الامر أمرها فذكرت حديثا كنت سمعته عن رسول الله صلى الله عليه وآله لن يفلح قوم تدبر أمرهم امرأة فانصرفت واعتزلتهم وقد روي هذا الخبر على صورة أخرى ان قوما يخرجون بعدي في فئة رأسها امرأة لا يفلحون أبدا كان الجمل لواء عسكر البصرة لم يكن لواء غيره خطبت عائشة والناس قد أخذوا مصافهم للحرب فقالت أما بعد فانا كنا نقمنا على عثمان ضرب السوط وامرة الفتيان وموقع السحابة المحمية الا وانكم استعتبتموه فأعتبكم فلما مصتموه كما يماص الثوب الرخيص عدوتم عليه فارتكبتم منه دما حراما وايم الله ان كان لأحصنكم فرجا وأتقاكم لله خطب علي عليه السلام لما تواقف الجمعان فقال لا تقاتلوا القوم حتى يبدؤكم فانكم بحمد الله على حجة وكفكم عنهم حتى يبدؤكم حجة أخرى واذا قاتلتموهم فلا تجهزوا على جريح واذا هزمتموهم فلا تتبعوا مدبرا ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل واذا وصلتم الى رحال القوم فلا تهتكوا سترا ولا تدخلوا دارا ولا تأخذوا من أموالهم شيئا ولا تهيجوا امرأة بأذى وان شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم وصلحاءكم فانهن ضعاف القوى والانفس والعقول لقد كنا نؤمر بالكف عنهن وانهن لمشركات وان كان الرجل ليتناول المرأة بالهراوة والجريدة فيعير بها وعقبه من بعده قتل بنو ضبة حول الجمل فلم يبق فيهم الا من لا نفع عنده وأخذت الازد بخطامه فقالت عائشة من أنتم قالوا الازد قالت صبرا فانما يصبر الاحرار ما زلت أرى النصر مع بني ضبة فلما فقدتهم أنكرته فحرضت الازد بذلك فقاتلوا قتالا شديدا ورمي الجمل بالنبل حتى صارت القبة عليه كهيئة القنفذ قال علي عليه السلام لما فني الناس على خطام الجمل وقطعت الايدي وسالت النفوس ادعوا لي الاشتر وعمارا فجاآ فقال اذهبا فاعقرا هذا الجمل فان الحرب لا يبوخ ضرامها ما دام حيا انهم قد اتخذوه قبلة فذهبا ومعهما فتيان من مراد يعرف أحدهم بعمر بن عبد الله فما زالا يضربان الناس حتى خلصا اليه فضربه المرادي على عرقوبيه فأقعى وله رغاء ثم وقع لجنبه وفر الناس من حوله فنادى علي عليه السلام اقطعوا انساع الهودج ثم قال لمحمد بن أبي بكر اكفني أختك فحملها محمد حتى أنزلها دار عبد الله بن خلف الخزاعي بعث علي عبد الله

ابن عباس الى عائشة يأمرها بالرحيل الى المدينة قال فأتيتها فدخلت عليها فلم يوضع لي شئ أجلس عليه فتناولت وسادة كانت في رحلها فقعدت عليها فقالت يا ابن عباس أخطأت السنة قعدت على وسادتنا في بيتنا بغير اذننا فقلت ليس هذا بيتك الذي أمرك الله أن تقري فيه ولو كان بيتك ماقعدت على وسادتك الا باذنك ثم قلت ان أمير المؤمنين أرسلني اليك يأمرك بالرحيل الى المدينة فقالت وأين أمير المؤمنين ذاك عمر فقلت عمر وعلي قالت أبيت قلت أما والله ما كان أبوك الاقصير المدة عظيم المشقة قليل المنفعة ظاهر الشؤم بين النكد وما عسى أن يكون ابوك والله ما كان أمرك الا كحلب شاة حتى صرت لاتأمرين ولا تنهين ولا تأخذين ولا تعطين وما كنت الا كما قال أخو بني أسد

مازال اهداء الصغائر بيننا * نث الحديث وكثرة الالقاب

حتى نزلت كأن صوتك بينهم * في كل نائبة طنين ذباب

قال فبكت حتى سمع نحيبها من وراء الحجاب ثم قالت اني معجلة الرحيل الى بلادي ان شاء الله تعالى والله مامن بلد أبغض الي من بلد أنتم فيه قلت ولم ذاك فوالله لقد جعلناك للمؤمنين أما وجعلنا أباك صديقا قالت يا ابن عباس أتمن علي برسول الله قلت مالي لا أمن عليك بمن لو كان منك لمننت به علي ثم أتيت عليا عليه السلام فاخبرته بقولها وقولي فسر بذلك وقال لي ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم وفي رواية أنا كنت أعلم بك حيث بعثتك

(الاصل) ﴿ومن كلام له عليه السلام﴾

أَيُّها النَّاسُ الزَّهَادَةُ قِصَرُ الأَمَلِ * والشُّكْرُ عِنْدَ النِّعَمِ وَالتَّوَرُّعُ عِنْدَ المَحَارِمِ * فانْ عَزَبَ ذَلِكَ عَنْكُمْ فَلاَ يَغْلِبِ الحَرَامُ صَبْرَكُمْ * ولاَ تَنْسَوْا عِنْدَ النِّعَمِ شُكْرَكُمْ فَقَدْ أَعْذَرَ اللهُ إِلَيْكُمْ بِحُجَجٍ مُسْفِرَةٍ ظاهِرَةٍ وَكُتُبٍ بارِزَةِ العُذْرِ وَاضِحَةٍ

(الشرح) فسر عليه السلام لفظ الزهادة وهي الزهد بثلاثة أمور وهي قصر الامل وشكر النعمة والورع عن المحارم فقال لايسمى الزاهد زاهدا حتى يستكمل هذه الامور الثلاثة ثم قال فان عزب ذلك عنكم أي بعد فامر ان من الثلاثة لابد منهما وهما الورع وشكر النعم جعلهما آكد وأهم من قصر الامل واعلم أن الزهد في العرف المشهور هو الاعراض عن متاع الدنيا وطيباتها لكنه لما كانت الامور الثلاثة طريقا موصلة الى ذلك أطلق عليه السلام لفظ الزهد عليها على وجه المجاز وقوله فقد أعذر كم الله اليكم أي بالغ يقال أعذر فلان في الامر أي بالغ فيه ويقال ضرب فلان فاعذر أي أشرف على الهلاك وأصل اللفظة من العذر يريد أنه قد أوضح لكم بالحجج النيرة المشرقة مايجب اجتنابه ومايجب فعله فان خالفتم استوجبتم العقوبة فكان له في تعذيبكم العذر والآثار الواردة في الزهد كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله أفلح الزاهد في الدنيا حظي بعز العاجلة وبثواب الآخرة وقال صلى الله عليه وآله من أصبحت الدنيا همه وسدمه نزع الله الغنى من قلبه وصير الفقر بين عينيه ولم يأته من الدنيا الاما كتب له ومن أصبحت الآخرة همه وسدمه نزع الله الفقر عن قلبه وصير الغنى بين عينيه وأتته الدنيا وهي راغمة وقال عليه السلام للضحاك بن سفيان ما طعامك قال اللحم واللبن قال ثم يصير الى ماذا قال الى ماعلمت قال فان الله ضرب ما يخرج من ابن آدم مثلا للدنيا وكان الفضيل بن عياض يقول لاصحابه اذا فرغ من حديثه انطلقوا حتى أريكم الدنيا فيجيء بهم الى المزبلة فيقول انظروا الى عنبهم وسمنهم ودجاجهم وبطهم صاروا الى ماترون ومن الكلام المنسوب الى المسيح عليه السلام الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن قوله سبحانه فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام فقال اذا دخل النور القلب انفسح فذلك شرح الصدر فقيل أفلذلك علامة تعرف بها قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله قالوا أوحى الله

تعالى الى نبي من الانبياء اتخذ الدنيا ظئرا واتخذ الآخرة أما الشعبي ما أعلم لنا وللدنيا مثلا الاقول كثير

أسيئي بنا أو احسني لاملومة * لدينا ولا مقلية ان تقلت

بعض الصالحين المستغني عن الدنيا بالدنيا كالمطفئ النار بالعين وفي بعض الكتب القديمة الالهية قال الله للدنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم وعليه مدرعة من صوف فقال ما هذه فسكت فاعاد عليه السؤال فقال أكره ان أقول زهدا فازكي نفسي أو فقرا فاشكو ربي قيل في صفة الدنيا والآخرة هما كضرتين ان ارضيت احداهما أسخطت الاخرى قيل لمحمد بن واسع انك لترضى بالدون قال انما رضي بالدون من رضي بالدنيا خطب اعرابي كان عاملا لجعفر بن سليمان على ضرية يوم جمعة خطبة لم يسمع أوجز منها ولا أفصح فقال ان الدنيا دار بلاغ وان الآخرة دار قرار فخذوا من ممركم لمستقركم ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم وأخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم ففيها حييتم ولغيرها خلقتم ان المرء اذا هلك قال الناس ماترك وقالت الملائكة ماقدم فلله آثاركم قدموا بعضا يكن لكم ولا تؤخروا كلا فيكن عليكم أقول قولي هذا وأستغفر الله والمدعو له الخليفة ثم الامير جعفر ونزل أبو حازم الاعرج الدنيا كلها غموم فما كان فيها سرور فهو ربح محمد بن الحنفية من عزت عليه نفسه هانت عليه الدنيا قيل لعلي بن الحسين عليه السلام من أعظم الناس خطرا قال من لم ير الدنيا لنفسه خطرا قال المسيح عليه السلام لاصحابه حب الدنيا رأس كل خطيئة واقتناء المال فيها داء عظيم قالوا له كيف ذلك قال لا يسلم صاحبه من البغي والكبر قيل فان سلم منهما قال يشغله اصلاحه عن ذكر الله أشرف أبو الدرداء على أهل دمشق فقال يا أهل دمشق تبنون مالا تسكنون وتجمعون مالا تأكلون وتأملون مالا تدركون أين من كان قبلكم بنوا شديدا وأملوا بعيدا وجمعوا كثيرا فاصبحت مساكنهم قبورا وجمعهم بورا وأملهم غرورا قال المأمون لو سئلت الدنيا عن نفسها لم تستطع ان تصف نفسها باحسن من قول الشاعر

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق

وقال رجل يارسول الله كيف لي ان أعلم أمري قال اذا أردت شيأ من أمور الدنيا فعسر عليك فاعلم أنك بخير واذا أردت شيأ من أمر الدنيا فيسر لك فاعلم انه شر لك قال رجل ليونس بن عبيد ان فلانا يعمل بعمل الحسن البصري فقال والله ما أعرف أحدا يقول بقوله فكيف يعمل بعمله قيل فصفه لنا قال كان اذا أقبل فكأنه أقبل من دفن حبيب واذا جلس فكأنه أسير أجلس لضرب عنقه واذا ذكرت النار فكأنها لم تخلق الا له وقال بعض الصالحين لرجل يافلان هل أنت على حال أنت فيها مستعد للموت قال لا قال فهل أنت عالم بانك تنتقل الى حال ترضى به قال لا قال أفتعلم بعد الموت دارا فيها مستعتب قال لا قال أفتأمن الموت أن يأتيك صباحا أو مساء قال لا قال أفترضى بهذه الحال عاقل وقال أبو الدرداء أضحكتني ثلاث وأبكتني ثلاث أضحكني مؤمل الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه وضاحك ملء فيه لايدري أراض عنه الله أم ساخط وأبكاني فراق محمد وحزبه وأبكاني هول الموت وأبكاني هول الموقف يوم تبدو السرائر حين لا أدري أيؤخذ بي الى جنة أم الى ناره وكان عبد الله بن صغير يقول أتضحك ولعل اكفانك قد خرجت من عند القصار وكان يقال من أتى الذنب ضاحكا دخل النار باكيا وكان مالك بن دينار يقول وددت ان رزقي في حصاة أمصها حتى أقول فلقد اختلفت الى الخلاء حتى استحييت من ربي وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما ليس به بأس حذرا مما به البأس وقال المسيح عليه السلام بحق أقول لكم ان من طلب الفردوس فخبز الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب له كثير وأوصى ابن محرز رجلا فقال ان استطعت أن تعرف ولا تعرف وتسأل ولا تسئل وتمشي ولا يمشى اليك فافعل وقال علي عليه السلام طوبى لمن عرف الناس ولم يعرفوه تعجلت له منيته وقل تراثه وفقد باكياته وكان يقال في الجوع ثلاث خصال حياة للقلب ومذلة للنفس ويورث العقل الدقيق السماني وقال رجل لابراهيم بن أدهم أريد أن تقبل مني دراهم قال ان كنت غنيا قبلتها منك وان كنت فقيرا لم أقبلها قال فاني غني قال كم تملك قال ألفي درهم قال أفيسرك أن تكون أربعة آلاف قال نعم قال لست بغني ودراهمك

لا أقبلها وكان أبو حازم الاعرج اذا نظر الى الفاكهة في السوق قال موعدك الجنة ان شاء الله تعالى ومر أبو حازم بالقصابين فقال له رجل منهم يا أبا حازم هذا سمين فاشتر منه قال ليس عندي دراهم قال أنا أنظرك فافكر ساعة ثم قال أنا أنظر نفسي * نزل الحجاج في يوم حار على بعض المياه ودعا بالغداء وقال لحاجبه انظر من يتغدى معي واجهد أن لا يكون من أهل الدنيا فرأى الحاجب اعرابيا نائما عليه شملة من شعر فضربه برجله وقال أجب الامير فأتاه فدعاه الحجاج الى الاكل فقال دعاني من هو خير من الامير فاجبته قال من هو قال الله دعاني الى الصوم فصمت قال أفي هذا اليوم الحار قال نار جهنم أشد حرا قال أفطر وتصوم غدا قال ان ضمنت لي البقاء الى غد قال ليس ذلك الي قال فكيف أدع عاجلا لآجل لا تقدر عليه قال انه طعام طيب قال انك لم تطيبه ولا الخباز ولكن العافية طيبته لك وقال شبيب كناسة في طريق مكة فجاء اعرابي في يوم صائف شديد الحر ومعه جارية سوداء وصحيفة فقال أفيكم كاتب قلنا نعم وحضر غداؤنا فقلنا له لو دخلت فاصبت من طعامنا قال اني صائم قلنا الحر وشدته وجفاء البادية فقال ان الدنيا كانت ولم أكن فيها وستكون ولا أكون فيها وما أحب أن أغبن أيامي ثم نبذ الينا الصحيفة فقال للكاتب اكتب ولا تزيدن على ما أمليه عليك هذا ما أعتق عبد الله بن عقيل الكلبي أعتق جارية له سوداء اسمها لؤلؤة ابتغاء وجه الله وجواز العقبة وانه لا سبيل له عليها الا سبيل الولاء والمنة لله علينا وعليها واحدة قال الاصمعي فحدثت بذلك الرشيد فأمر أن يعتق عنه ألف نسمة ويكتب لهم هذا الكتاب وقال خالد بن صفوان بت ليلي هذه أتمنى فكبست البحر الاخضر بالذهب الاحمر فاذا الذي يلقاني من ذلك رغيفان وكوزان وطمران ورأى رجل رجلا من ولد معاوية يعمل على بعير له فقال هذا بعد ما كنتم فيه من الدنيا قال رحمك الله يا ابن أخي ما فقدنا الا الفضول وقال الحسن يا ابن آدم انما أنت أيام مجموعة كلما ذهب يوم ذهب بعضك قال يونس الكاتب لو قيل بيت دريد في زاهد كان به جديرا

قليل التشكي للمصيبات ذاكر * من اليوم اعقاب الاحاديث في غد

وقال الحسن ما أطال عبد الامل الا أساء العمل وقال رجل للفضيل بن عياض ما أعجب الاشياء قال قلب عرف الله ثم عصاه وقال وكيع ما أحسنت قط الى أحد ولا أسأت اليه قيل كيف قال لان الله تعالى قال ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها وقال الحسن لرجل ان استطعت ان لا تسيء الى أحد ممن تحبه فافعل قال الرجل يا أبا سعيد أو يسيء المرء الى من يحبه قال نعم نفسك أحب النفوس اليك فاذا عصيت الله فقد أسأت اليها وكان مالك بن دينار اذا منع نفسه شيأ من الشهوات قال اصبري فوالله ما منعتك الا لكرامتك علي قام رسول الله صلى الله عليه وآله الليل حتى تورمت قدماه فقيل له يا رسول الله أتفعل هذا وقد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا وقال عبد الله بن مسعود لا يكونن أحدكم جيفة ليله قطرب نهاره وكان يقال من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وكان مالك ابن دينار يقول في قصصه ما أشد فطام الكبير وينشد

أتروض عرسك بعد ما هرمت * ومن العناء رياضة الهرم

وقال آخر

ان كنت تؤمن بالقيا * مة واجترأت على الخطيه
فلقد هلكت وان * جحدت فذاك أعظم للبليه

(الاصل) ﴿ومن كلام له عليه السلام﴾

في صفة الدنيا

ما أَصِفُ مِنْ دَارٍ أَوَّلُهَا عَنَاءٌ * وَآخِرُهَا فَنَاءٌ * فِي حَلَالِهَا حِسَابٌ * وفي حَرَامِهَا عِقَابٌ مَنِ اسْتَغْنَى فِيهَا فُتِنَ * وَمَنِ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ * وَمَنْ سَاعَاهَا فَاتَتْهُ * وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْهُ

ومن

وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَّرَتْهُ * وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ (قال الرضي رحمه الله) (أقول وإذا تأمل المتأمل قوله عليه السلام من أبصر بها بصرته وجد تحته من المعنى العجيب والغرض البعيد ما لا يبلغ غايته ولا يدرك غوره لا سيما إذا قرن إليه قوله * ومن أبصر إليها أعمته * فإنه يجد الفرق بين أبصر بها وأبصر إليها واضحا نيرا وعجيبا باهرا)

(الشرح) العناء التعب وساعاها جاراها سعيا وواتته طاوعته ونظر الرضي الى قوله أولها عناء وآخرها فناء فقال وأولنا

وأولنا العناء اذا طلعنا * الى الدنيا وآخرنا الذهاب

ونظر الى قوله عليه السلام في حلالها حساب وفي حرامها عقاب بعض الشعراء فقال

الدهر يومان فيوم مضى * عنك بما فيه ويوم جديد
حلال يوميك حساب وفي * حرام يوميك عذاب شديد
تجمع ما يأكله وارث * وأنت في القبر وحيد فريد
اني لغيري واعظ تارك * نفسي وقولي من فعالي بعيد
حلاوة الدنيا ولذاتها * تكلف العاقل ما لا يريد

ومن المعنى أيضا قول بعضهم

حلالها حسرة تفضي الى ندم * وفي المحارم منها الغنم منزور

ونظر الحسن البصري الى قوله عليه السلام من استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن فقال وقد جاءه انسان يبشره بمولود له ذكر ليهنك الفارس يا أبا سعيد فقال بل الراجل ثم قال لا مرحبا لمن ان كان غنيا فتنني وان كان فقيرا أحزنني وان عاش كدني وان مات هدني ثم لا أرضى بسعيي له سعيا ولا بكدحي له كدحا حتى أهتم بما يصيبه بعد موتي وأنا في حال لا ينالني بمساءته حزن ولا بسروره جذل ونظر ابن المعتز الى قوله عليه السلام من ساعاها فاتته ومن قعد عنها واتته فقال الدنيا كظلك كلما طلبته زاد منك بعدا ونظرت الى قوله عليه السلام ومن أبصر بها بصرته ومن أبصر اليها أعمته فقلت

دنياك مثل الشمس تدني * اليك الضوء لكن دعوة المهلك
ان أنت أبصرت الى نورها * تعش وان تبصر به تدرك

فان قلت المسموع أبصرت زيدا ولم يسمع أبصرت الى زيد قلت يجوز أن يكون قوله عليه السلام ومن أبصر اليها أي ومن أبصر متوجها اليها كقوله في تسع آيات الى فرعون ولم يقل مرسلا ويجوز أن يكون أقام ذلك مقام قوله نظر اليها لما كان مثله كما قالوا في دخلت البيت ودخلت الى البيت أجروه مجرى ولجت الى البيت لما كان نظيره

(الاصل) ﴿ومن خطبة له عليه السلام﴾

وتسمى بالغراء وهي من الخطب العجيبة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَا بِحَوْلِهِ * وَدَنَا بِطَوْلِهِ مَانِحِ كُلِّ غَنِيمَةٍ وَفَضْلٍ * وَكَاشِفِ كُلِّ عَظِيمَةٍ وَأَزْلٍ * أَحْمَدُهُ عَلَى عَوَاطِفِ كَرَمِهِ * وَسَوَابِغِ نِعَمِهِ * وَأُومِنُ بِهِ أَوَّلًا بَادِيًا * وَأَسْتَهْدِيهِ قَرِيبًا هَادِيًا * وَأَسْتَعِينُهُ قَاهِرًا قَادِرًا * وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ كَافِيًا نَاصِرًا وَأَشْهَدُ أَنَّ

مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ * أَرْسَلَهُ لِإِنْفَاذِ أَمْرِهِ * وَإِنْهَاءِ عُذْرِهِ * وَتَقْدِيمِ نُذُرِهِ

(الشرح) الحول القوة والطول الافضال والمانح المعطى والازل بفتح الهمزة الضيق والحبس والعواطف جمع عاطفة وهى مايعطفك على الغير و يدنيه من معروفك والسوابغ التوام الكوامل سبغ الظل اذا عم وشمل وأولا ههنا منصوب على الظرفية كأنه قال قبل كل شئ والاول نقيض الآخر أصله أوأل على أفعل مهموز الوسط قلبت الهمزة واوا وأدغم يدل على ذلك قولهم هذا أول منك والاتيان بحرف الجر دليل على انه أفعل كقولهم هذا أفضل منك وجمعه على أوائل واوال أيضا على القلب وقال قوم أصله ووّل على فوعل فقلبت الواو الاولى همزة وانما لم يجمع على واوال لاستثقالهم اجتماع الواوين و بينهما ألف الجمع واذا جعلت الاول صفة لم تصرفه تقول لقيته عاما أول لاجتماع و زن الفعل وتقول مارأيته مذ عام أول كلاهما بغير تنوين فمن رفع جعله صفة لعام كأنه قال أول من عامنا ومن نصب جعله كالظرف كأنه قال مذ عام قبل عامنا فان قلت ابدأ بهذا أول ضممته على الغاية والانهاء الابلاغ أنهيت اليه الخبر فانتهى أى بلغ والمعنى أن الله تعالى أعذر الى خلقه وأنذرهم فاعذاره اليهم أن عرفهم بالحجج العقلية والسمعية انهم ان عصوه استحقوا العقاب فاوضح عذره لهم فى عقوبته اياهم على عصيانه وانذاره لهم تخويفه اياهم من عقابه وقد نظر البحترى الى معنى قوله عليه السلام علا بحوله ودنا بطوله فقال

دنوت تواضعا وعلوت قدرا * فشأناك انخفاض وارتفاع
كذاك الشمس تبعد ان تسامى * و يدنو النور منها والشعاع

وفى هذا الفصل ضروب من البديع فمنها ان دنا فى مقابلة علا لفظا ومعنى وكذلك حوله وطوله فان قلت لاريب فى تقابل دنا وعلا من حيث المعنى واللفظ وأما حوله وطوله فانهما يتناسبان لفظا وليسا متقابلين معنى لانهما ليسا ضدين كما فى العلو والدنو قلت بل فيهما معنى التضاد لان الحول هو القوة وهى مشعرة بالسطوة والقهر ومنه منشأ الانتقام والطول الافضال والتكرم وهو نقيض الانتقام والبطش فان قلت أنت وأصحابك لا تقولون ان الله تعالى قادر بقدرة وهو عندكم قادر لذاته فكيف تتأولون قوله عليه السلام الذى علا بحوله أليس فى هذا اثبات قدرة له زائدة على ذاته وهذا يخالف مذهبكم قلت ان أصحابنا لا يمتنعون من اطلاق قولهم ان لله قوة وقدرة وحولا وحاش لله أن يذهب ذاهب منهم الى منع ذلك ولكنهم يطلقونه و يعنون به حقيقته العرفية وهى كون الله تعالى قويا قادرا كما نقول نحن والمخالف ان لله وجودا و بقاء وقدما ولا نعنى بذلك ان وجوده أو بقاءه أوقدمه معان زائدة على نفسه لكنا نعنى كما باطلاق هذه الالفاظ عليه كونه موجودا أو باقيا أوقديما وهذا هو العرف المستعمل فى قول الناس لا قوة لى على ذلك ولا قدرة لى على فلان لا يعنون نفى المعنى بل يعنون كون الانسان قادرا قويا على ذلك * ومنها ان ما يحاقى وزن كاشف وغنمية بازاء عظمية فى اللفظ وضدها فى المعنى وكذلك فضل وأزل ومنها ان عواطف بازاء سوابغ ونعمه بازاء كرمه * ومنها وهو ألطف ما استعمله أرباب هذه الصناعة انه جعل قريبا هاديا مع قوله استهديه لان الدليل القريب منك أجدر بان يهديك من البعيد النازح ولم يجعله مع قوله وأستعينه وجعل مع الاستعانة قاهرا قادرا لان القادر القاهر يليق أن يستعان و يستنجد به ولم يجعله قادرا قاهرا مع التوكل عليه وجعل مع التوكل كافيا ناصرا لان الكافى الناصر أهل لان يتوكل عليه وهذه اللطائف والدقائق من معجزاته عليه السلام التى فات بها البلغاء وأخرس الفصحاء

(الاصل)

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ الَّذِي ضَرَبَ الأَمْثَالَ * وَوَقَّتَ لَكُمُ الآجَالَ * وَأَلْبَسَكُمُ الرِّيَاشَ * وَأَرْفَغَ لَكُمُ المَعَاشَ وَأَحَاطَ بِكُمُ الإِحْصَاءَ * وَأَرْصَدَ لَكُمُ

الجَزَاءَ * وَآثَرَكُمْ بِالنِّعَمِ السَّوَابِغِ * وَالرِّفَدِ الرَّوَافِغِ * وَأَنْذَرَكُمْ بِالحُجَجِ البَوَالِغِ فَأَحْصَاكُمْ عَدَدًا * وَوَظَّفَ لَكُمْ مُدَدًا * فِي قَرَارِ خِبْرَةٍ وَدَارِ عِبْرَةٍ * أَنْتُمْ مُخْتَبَرُونَ فِيهَا وَمُحَاسَبُونَ عَلَيْهَا

(الشرح) وقت وأقت بمعنى أى جعل الآجال لوقت مقدر والرياش والريش واحد وهو اللباس يوارى سوآتكم ورياشا وقرئ ورياشا و يقال الرياش الخصب والغنى ومنه ارتاش فلان حسنت حاله و يكون لفظ ألبسكم مجازا ان فسر بذلك وأرفغ لكم المعاش أى جعله رفيغا أى واسعا مخصبا يقال رفغ بالضم عيشه رفاغة اتسع فهو رافغ ورفيغ وترفغ الرجل وهو فى رفاغية من العيش مخففا مثل رفاهية وثمانية وقوله وأحاط بكم الاحصاء يمكن ان ينصب الاحصاء على انه مصدر فيه اللام والعامل فيه غير لفظه كقوله يعجبه السجون ثم قال حينا وليس دخول اللام بمانع من ذلك تقول ضربته الضربة كما تقول ضربته ضربا و يجوز أن ينصب بانه مفعول به و يكون ذلك على وجهين أحدهما أن يكون من حاط ثلاثيا تقول حاط فلان كرمه أى جعل عليه حائطا فكأنه جعل الاحصاء والعد كالحائط المدار عليهم لانهم لا يتعدونه ولا يخرجون عنه والثانى أن يكون من حاط الحمار عانته يحوطها بالواو أى جمعها فأدخل الهمزة كأنه جعل الاحصاء يحوطهم و يجمعهم تقول ضربت زيدا وأضربته أى جعلته ذا ضرب فلذلك كأنه جعل عليه السلام الاحصاء ذا تحويط عليهم بالاعتبار الاول أوجعله ذا جمع لهم بالاعتبار الثانى و يمكن فيه وجه آخر وهو أن يكون الاحصاء مفعولا له و يكون فى الكلام محذوف تقديره وأحاط بكم حفظته وملائكته للاحصاء ودخول اللام فى المفعول له كثير كقوله والهول من يهول الهبور * قوله وأرصد يعنى أعد وفى الحديث الا أن أرصده لدين على وآثركم من الايثار وأصله ان تقدم غيرك على نفسك فى منفعة أنت قادر على الاختصاص بها وهو فى هذا الموضع مجاز مستحسن والرفد جمع رفدة مثل كسرة وكسر وقدرة وقدر والرفدة والرفد واحد وهى العطية والصلة ورفدت فلانا رفدا بالفتح والمضارع أرفده بكسر الفاء و يجوز أرفدته بالهمزة والروافغ الواسعة والحجج البوالغ الظاهرة المبينة قال سبحانه فلله الحجة البالغة ووظف لكم مددا أى قدر ومنه وظيفة الطعام وقرار خبرة بكسر الخاء أى دار بلاء واختبار تقول خبرت زيدا أخبره خبرة بالضم فيهما وخبرة بالكسر اذا بلوته واختبرته ومنه قولهم صغر الخبر الخبر ودار عبرة أى دار اعتبار واتعاظ والضمير فى فيها وعليها ليس واحدا فانه فى فيها يرجع الى الدار وفى عليها يرجع الى النعم والرفد و يجوز أن يكون الضمير فى عليها عائدا الى الدار على حذف المضاف أى على سكانها

(الاصل) فَإِنَّ الدُّنْيَا رَنِقٌ مَشْرَبُهَا * رَدِغٌ مَشْرَعُهَا * يُونِقُ مَنْظَرُهَا * وَيُوبِقُ مَخْبَرُهَا غُرُورٌ حَائِلٌ * وَضَوْءٌ آفِلٌ * وَظِلٌّ زَائِلٌ * وَسِنَادٌ مَائِلٌ * حَتَّى إِذَا أَنِسَ نَافِرُهَا * وَاطْمَأَنَّ نَاكِرُهَا * قَمَصَتْ بِأَرْجُلِهَا * وَقَنَصَتْ بِأَحْبُلِهَا * وَأَقْصَدَتْ بِأَسْهُمِهَا * وَأَعْلَقَتِ المَرْءَ أَوْهَاقَ المَنِيَّةِ قَائِدَةً لَهُ إِلَى ضَنْكِ المَضْجَعِ * وَوَحْشَةِ المَرْجِعِ * وَمُعَايَنَةِ المَحَلِّ * وَثَوَابِ العَمَلِ * وَكَذَلِكَ الخَلَفُ يَعْقُبُ السَّلَفَ * لَا تُقْلِعُ المَنِيَّةُ اخْتِرَامًا * وَلَا يَرْعَوِي البَاقُونَ اجْتِرَامًا * يَحْتَذُونَ مِثَالًا * وَيَمْضُونَ أَرْسَالًا إِلَى غَايَةِ الانْتِهَاءِ * وَصَيُّورِ الفَنَاءِ

(الشرح) يقال عيش رنق بكسر النون أى كدر وماء رنق بالتسكين أى كدر والرنق بفتح النون مصدر قولك رنق الماء بالكسر ورنقته أنا ترنيقا أى كدرته والرواية المشهورة فى هذا الفصل رنق مشربها بالكسر أقامه مقام قولهم

عيش رنق ومن رواه رنق مشربها بالسكون وهم الاقلون أجرى اللفظ على حقيقته ويقال مشرع ردغ ذو طين ووحل روى الردغة بالتحريك ويجوز تسكين الدال والجمع رداغ وردغ ويونق منظرها يعجب الناظر آنقني الشئ أعجبني ويوبق مخبرها يهلك وبق الرجل يبق وبوقا هلك والموبق مفعل منه كالموعد مفعل من وعد يعد ومنه قوله سبحانه وجعلنا بينهم موبقا وقد جاء وبق يبق بالكسر فيهما وهو نادر كورث يرث وجاء أيضا وبق يوبق وبقا والغرور بضم الغين مايغتر به من متاع الدنيا والغرور بالفتح الشيطان والحائل الزائل والآفل الغائب أفل غاب يافل ويافل أفولا والسناد دعامة يسند بها السقف وناكرها فاعل من نكرت كذا أي أنكرته وقمصت بأرجلها قمص الفرس وغيره يقمص ويقمص قماصا وقماصا أي استن وهو أن يرفع يديه ويطرحهما معا ويعجن برجليه وفي المثل المضروب لمن ذل بعد عزة ماالعير من قماص وجمع فقال بأرجلها وانما للدابة رجلان امالان المثنى قد يطلق عليه صيغة الجمع كما في قولهم امرأة ذات أوراك ومآكم وهما وركان وامالانه أجرى اليدين والرجلين مجرى واحد فسماها كلها أرجلا ومن رواه بالحاء فهو جمع رحل الناقة وأقصدت قتلت مكانها من غيرتأخير والاوهاق جمع وهق بالتحريك وهو الحبل وقد يسكن مثل نهر ونهر وأعلقت المرء الاوهاق جعلت الاوهاق عالقة به والضنك الضيق والمضجع المصدر والمكان والفعل ضجع الرجل جنبه بالارض بالفتح يضجع ضجوعا وضجعا فهو ضاجع ومثله أضجع والمرجع مصدر رجع ومنه قوله تعالى الى ربكم مرجعكم وهو شاذ لان المصادر من فعل يفعل بكسر العين انما تكون بالفتح قوله ومعاينة المحل أي الموضع الذي يحل به المكلف بعد الموت ولا بد لكل مكلف أن يعلم عقيب الموت مصيره اما الى جنة واما الى نار وقوله ثواب العمل يريد جزاء العمل ومراده الجزاء الاعم الشامل للسعادة والشقاوة لا الجزاء الاخص الذي هو جزاء الطاعة وسمى الاعم ثوابا على أصل الحقيقة اللغوية لان الثواب في اللغة الجزاء يقال قد أثاب فلان الشاعر القصيدة كذا أي جازاه وقوله وكذلك الخلف يعقب السلف الخلف المتأخرون والسلف المتقدمون وعقب ههنا بالتسكين وهو بمعنى بعد جئت بعقب فلان أي بعده وأصله جرى الفرس بعد جريه يقال لهذا الفرس عقب حسن وقال ابن السكيت يقال جئت في عقب شهر كذا بالضم اذا جئت بعد مامضى كله وجئت في عقب بكسر القاف اذا جئت وقد بقيت منه بقية وقد روى يعقب السلف أي يتبع وقوله لا يقلع المنية أي لا يكف والاخترام اذهاب الانفس واستئصالها وارعوى كف عن الامر وأمسك وأصل فعله الماضي رعى يرعو أي كف عن الامر وفلان حسن الرعوة والرعوة والرعاء والرعوى والارعواء والاجترام افتعال من الجرم وهو الذنب ومثله الجريمة يقال جرم وأجرم بمعنى قوله يحتذون مثالا أي يقتدون وأصله من حذوت النعل بالنعل حذوا اذا قدرت كل واحدة على صاحبها قوله ويمضون ارسالا بفتح الهمزة جمع رسل بفتح السين وهو القطيع من الابل أو الغنم يقال جاءت الخيل ارسالا أي قطيعا قطيعا وصيور الامر آخره ومايؤل اليه

(الاصل) حَتَّى إِذَا تَصَرَّمَتَ الأُمُورُ * وَتَقَضَّتِ الدُّهُورُ * وَأَزِفَ النُّشُورُ * أَخْرَجَهُمْ مِنْ ضَرَائِحِ الْقُبُورِ * وَأَوْكَارِ الطُّيُورِ * وَأَوْجِرَةِ السِّبَاعِ وَمَطَارِحِ الْمَهَالِكِ سِرَاعًا إِلَى أَمْرِهِ * مُهْطِعِينَ إِلَى مَعَادِهِ * رَعِيلاً صُمُوتًا قِيَامًا صُفُوفًا يَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ * وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي عَلَيْهِمْ لَبُوسُ الاسْتِكَانَةِ * وَضَرَعُ الاسْتِسْلاَمِ وَالذِّلَّةِ * قَدْ ضَلَّتِ الْحِيَلُ * وَانْقَطَعَ الأَمَلُ * وَهَوَتِ الأَفْئِدَةُ كَاظِمَةً * وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ مُهَيْنِمَةً وَأَلْجَمَ الْعَرَقُ * وَعَظُمَ الشَّفَقُ * وَأُرْعِدَتِ الأَسْمَاعُ لِزَبْرَةِ الدَّاعِي إِلَى فَصْلِ الْخِطَابِ * وَمُقَايَضَةِ الْجَزَاءِ * وَنَكَالِ الْعِقَابِ * وَنَوَالِ الثَّوَابِ

الشرح

(الشرح) تصرمت الامور تقطعت ومثله تقضت الدهور وأزف قرب ودنا يأزف أزفا ومنه قوله تعالى أزفت الآزفة أي القيامة الفاعل آزف والضرائح جمع ضريح وهو الشق في وسط القبر واللحد ما كان في جانب القبر وضرحت ضرحا اذا حفرت الضريح والاوكار جمع وكر بفتح الواو وهو عش الطائر وجمع الكثرة وكور وكر الطائر يكر وكرا أي دخل وكره والوكن بالفتح مثل الوكر أي العش وأوجرة السباع جمع وجار بكسر الواو ويجوز فتحها وهو بيت السبع والضبع ونحوهما مهطعين مسرعين والرعيل القطعة من الخيل قوله عليه السلام ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي أي هم مع كثرتهم لا يخفى منهم أحد عن ادراك الباري سبحانه وهم مع هذه الكثرة أيضا لا يبقى منهم أحد الا واذا دعا داعي الموت سمع دعاءه ونداءه واللبوس بفتح اللام مايلبس قال

البس لكل حالة لبوسها * اما نعيمها واما بؤسها

ومنه قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم يعني الدروع والاستكانة الخضوع والضرع الخشوع والضعف ضرع الرجل يضرع وأضرعه غيره وكاظمة ساكتة كظم يكظم كظوما أي سكت وقوم كظم أي ساكتون ومهينمة ذات هينمة وهي الصوت الخفي وألجم العرق صار لجاما وفي الحديث ان العرق ليجري منهم حتى ان منهم من يبلغ ركبتيه ومنهم من يبلغ صدره ومنهم من يبلغ عنقه ومنهم من يلجمه وهم أعظمهم مشقة وقال لي قائل ما أرى لقوله عليه السلام المؤذنون أطول الناس أعناقا يوم القيامة كثير فائدة لان طول العنق جدا ليس مما يرغب في مثله فذكرت له الخبر الوارد في العرق وقلت اذا كان الانسان شديد طول العنق كان عن الجام العرق أبعد فظهرت فائدة الخبر ويروى وأثجم العرق أي كثر ودام والشفق والشفقة بمعنى وهو الاسم من الاشفاق وهو الخوف والحذر قال الشاعر

تهوى حياتي وأهوى موتها شفقا * والموت أكرم نزال على الحرم

وارعدت الاسماع عرتها الرعدة وزبرة الداعي صوته ولا يقال للصوت زبرة الا اذا خالطه زجر وانتهار زبرته أزبره بالضم وقوله الى فصل الخطاب الى ههنا يتعلق بالداعي وفصل الخطاب بت الحكومة التي بين الله وبين عباده في الموقف رزقنا الله المسامحة فيها بمنه وانما خص الاسماع بالرعدة لانها تحدث من صوت الملك الذي يدعو الناس الى محاسبته والمقايضة المعاوضة قايضت زيدا بالمتاع وهما قيضان كما قالوا بيعان فان قلت كيف يصح ماذكره المسلمون من حشر الاجساد وكيف يمكن ما أشار اليه عليه السلام من جمع الاجزاء البدنية من أوكار الطيور وأوجرة السباع ومعلوم انه قد يأكل الانسان سبع ويأكل ذلك السبع انسان آخر ويأكل هذا الانسان طائر ثم يأكل الطائر انسان آخر والمأكول يصير أجزاء من أجزاء بدن الآكل فاذا حشرت الحيوانات كلها على مازعم المعتزلة فتلك الاجزاء المفروضة اما أن تحشر أجزاء من بنية الانسان أو بنية السبع أو منهما معا فان كان الاول وجب أن لا يحشر السبع وان كان الثاني وجب أن لا يحشر الانسان والثالث محال عقلا لان الجزء الواحد لا يكون في موضعين قلت ان في بدن كل انسان وكل حيوان أجزاء أصلية وأجزاء زائدة فالاجزاء الزائدة يمكن أن تصير أجزاء بدن حيوان اذا اغتذى بها والاجزاء الاصلية لا يمكن ذلك فيها بل يحرسها الله تعالى من الاستحالة والتغيير واذا كان كذلك أمكن الحشر بان تعاد الاجزاء الاصلية الى موضعها الاول ولا فساد في استحالة الاجزاء الزائدة لانه لا يجب حشرها لانها ليست أصل بنية المكلف فاندفع الاشكال وأما من يقول بالنفس الناطقة من أهل الملة فلا يلزمه الجواب عن السؤال لانه يقول ان الانفس اذا أزف يوم القيامة خلقت لها أبدان غير الابدان الاولى لان المكلف المطيع والعاصي المستحق للثواب والعقاب عندهم هو النفس وأما البدن فآلة لها تستعمله استعمال الكاتب للقلم والنجار للفاس

(الاصل) عِبَادٌ مَخْلُوقُونَ اقْتِدَارًا * وَمَرْبُوبُونَ اقْتِسَارًا * وَمَقْبُوضُونَ احْتِضَارًا * وَمُضَمَّنُونَ أَجْدَاثًا وَكَائِنُونَ رُفَاتًا وَمَبْعُوثُونَ أَفْرَادًا وَمَدِينُونَ جَزَاءً * وَمُمَيَّزُونَ حِسَابًا قَدْ أُمْهِلُوا فِي

طَلَبِ المَخْرَجِ * وهَدُوا سَبِيلَ المَنْهَجِ * وعَمَّرُوا مَهَلَ المُسْتَعْتَبِ وَكُشِفَتْ عَنْهُمْ سُدَفُ الرِّيَبِ * وخُلُّوا لِمِضْمارِ الجِيادِ * ورَوِيَّةِ الارْتِيادِ * وأَناةِ المُقْتَبِسِ المُرْتادِ * في مُدَّةِ الأَجَلِ وَمُضْطَرَبِ المَهَلِ

(الشرح) مربوبون مملوكون والاقتسار الغلبة والقهر والاحتضار حضور الملائكة عند الميت وهو حينئذ محتضر وكانت العرب تقول للبن محتضر أي فاسد ذو آفة يعنون أن الجن حضرته يقال اللبن محتضر فغط اناءك والاجداث جمع جدث وهو القبر واجتدث الرجل اتخذ جدثا ويقال جدف بالفاء والرفات الحطام تقول منه رفت الشيء فهو مرفوت ومدينون أي مجزيون والدين الجزاء ومنه مالك يوم الدين ويميزون حسابا من قوله تعالى وامتازوا اليوم أيها المجرمون ومن قوله تعالى وكنتم أزواجا ثلاثة كان قوله ومبعوثون افرادا مأخوذ من قوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى وأصل التمييز على الفصل والتبيين قوله قد أمهلوا في طلب المخرج أي انظروا ليفيؤا الى الطاعة ويخلصوا التوبة لان اخلاص التوبة هو المخرج الذي من سلكه خرج من ربقة المعصية ومثله قوله وهدوا سبيل المنهج والمنهج الطريق الواضح والمستعتب المسترضى استعتبت زيدا اذا استرضيته عني فانا مستعتب له وهو مستعتب وأعتبني أي ارضاني وانما ضرب المثل بمهل المستعتب لان من يطلب رضاه في مجرى العادة لا يرهق بالتماس الرضا منه وانما يمهل ليرضى بقلبه لا بلسانه والسدف جمع سدفة هي القطعة من الليل المظلم هذا في لغة أهل نجد وأما غيرهم فيجعل السدفة الضوء وهذا اللفظ من الاضداد وكذلك السدف بفتح السين والدال وقد قيل السدفة اختلاط الضوء والظلمة كوقت ما بين طلوع الفجر الى الاسفار والسدف الليل والسدف الصبح واقباله وأسدف الليل أظلم وأسدف الصبح أضاء يقال أسدف الباب أي افتحه حتى يضيء البيت وفي لغة هوازن اسدفوا أي اسرجوا من السراج والريب الشبهة جمع ريبة والمضمار الموضع الذي تضمر فيه الخيل والمضمار أيضا المدة التي تضمر فيها والتضمير ان تعلف الفرس حتى يسمن ثم ترده الى قوته الاول وذلك في أربعين يوما وقد يطلق التضمير على نقيض ذلك وهو التجويع حتى يهزل ويخف لحمه ضمر الفرس بالفتح يضمر بالضم ضمورا وجاء ضمر الفرس بالضم وأضمرته أنا وضمرته فاضطمر هو ولؤلؤ مضطمر في وسطه بعض الانضمام رجل لطيف الجسم ضمير هضيم البطن وناقة ضامر وضامرة أيضا يقول مكنهم الحكيم سبحانه وخلاهم وأعمالهم كما تمكن الخيل التي تستبق في المضمار ليعلم أيها أسبق والروية الفكرة والارتياد الطلب ارتاد فلان الكلأ يرتاده ارتيادا طلبه ومثله راد الكلأ يروده رودا وريادا وفي الحديث اذا بال أحدكم فليرتد لبوله أي فليطلب مكانا لينا أو منحدرا والرائد الذي يرسله القوم في طلب الكلأ وفي المثل الرائد لا يكذب أهله والأناة التؤدة والانتظار مثل القناة وتأنى في الامر ترفق واستأنى فلان بفلان أي انتظر به وجاء الأناء بالفتح والمد على فعال قال الحطيئة

وأكريت العشاء الى سهيل * أو الشعرى فطال بي الاناء

والمقتبس متعلم العلم ههنا ولا بد له من أناة ومهل ليبلغ حاجته فضرب مثلا وجاء في بعض الروايات ومقبوضون اختضارا بالخاء المعجمة وهو موت الشاب غضا أخضر أي مات شابا وكان فتيان يقولون لشيخ أجززت يا أبا فلان فيقول أي بني وتختضرون أجز الحشيش آن ان يجز ومنه قيل للشيخ كاد يموت قد أجز والرواية الاولى أحسن لانها أعم وفي رواية لمضمار الخيار أي للمضمار الذي يستبق فيه الابرار الاتقياء الى رضوان الله سبحانه

(الاصل) فيالها أَمْثالاً صائِبَةً * وَمَواعِظَ شافِيَةً * لَوْ صادَفَتْ قُلُوبًا زاكِيَةً * وأَسْماعًا واعِيَةً * وَآراءً عازِمَةً * وأَلْبابًا حازِمَةً * فَاتَّقُوا اللهَ تَقِيَّةَ مَنْ سَمِعَ فَخَشَعَ * واقْتَرَفَ فَاعْتَرَفَ * وَوَجِلَ فَعَمِلَ * وحاذَرَ فَبادَرَ * وأَيْقَنَ فَأَحْسَنَ وَعُبِّرَ فَاعْتَبَرَ * وَحُذِّرَ فَحَذِرَ

وَزُجِرَ فَازْدَجَرَ * وَأَجابَ فَأَنابَ * وَرَاجَعَ فَتابَ * واقْتَدَى فَاحْتَذَى * وأُرِيَ فَرَأَى * فَأَسْرَعَ طالِبًا ونَجا هارِبًا * فَأَفادَ ذَخِيرَةً * وأَطابَ سَرِيرَةً * وعَمَّرَ مَعادًا واسْتَظْهَرَ زادًا * لِيَوْمِ رَحِيلِهِ * وَوَجْهِ سَبِيلِهِ * وحالِ حاجَتِهِ * ومَوْطِنِ فاقَتِهِ * وَقَدَّمَ أَمامَهُ لِدارِ مُقامِهِ * فَاتَّقُوا اللهَ عِبادَ اللهِ جِهَةَ ما خَلَقَكُمْ لَهُ * واحْذَرُوا مِنْهُ كُنْهَ ما حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ * واسْتَحِقُّوا مِنْهُ ما أَعَدَّ لَكُمْ بِالتَّنَجُّزِ لِصِدْقِ مِيعادِهِ * والحَذَرِ مِنْ هَوْلِ مَعادِهِ

(الشرح) صائبة غير عادلة عن الصواب صاب السهم يصوب صوبة أي قصد ولم يجر وصاب السهم القرطاس يصيبه صيبا لغة في أصابه وفي المثل مع الخواطي سهم صائب وشافية تبرئ من مرض الجهل والهوى والقلوب الزاكية الطاهرة والاسماع الواعية الحافظة والآراء العازمة ذات العزم والالباب العقول والحازمة ذات الحزم والحزم ضبط الرجل أمره وخشع الرجل أي خضع واقترف اكتسب ومثله قرف يقرف بالكسر يقال هو يقرف لعياله أي يكسب ووجل الرجل خاف وجلا بفتح الجيم ومستقبله يوجل وياجل وييجل وييجل بكسر الياء المضارعة وبادر سارع وعبر أي أرى العبر مرارا كثيرة لان التشديد ههنا دليل التكثير فاعتبر أي فاتعظ والزجر النهي والمنع زجرا أي منع وازدجر مطاوع ازدجر اللفظ فيهما واحد تقول ازدجرت زيدا عن كذا فازدجر هو وهذا غريب وانما جاء مطاوع ازدجر في زجر لانهما كالشيء الواحد وفي بعض الروايات ازدجر فازدجر فلا يحتاج مع هذه الرواية الى تأويل وأناب الرجل الى الله أي أقبل وتاب واقتدى بزيد فعل مثل فعله واحتذى مثله قوله عليه السلام فأفاد ذخيرة أي فاستفاد وهو من الاضداد أفدت المال زيدا أعطيته اياه وأفدت أنا مالا أي استفدته وا كتسبته قوله عليه السلام فاتقوا الله عباد الله جهة ما خلقكم له نصب جهة بفعل مقدر تقديره واقصدوا جهة ما خلقكم له يعني العبادة لانه تعالى قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فحذف الفعل واستغنى عنه بقوله فاتقوا الله لان التقوى ملازمة لقصد المكلف العبادة فدلت عليه واستغنى بها عن اظهاره والكنه الغاية والنهاية تقول أعرفه كنه المعرفة أي نهايتها ثم قال عليه السلام واستحقوا منه ما أعد لكم أي اجعلوا أنفسكم مستحقين لثوابه الذي أعده لكم ان أطعتم والباء في بالتنجز متعلق باستحقوا ويقال فلان يتنجز الحاجة أي يستنجحها ويطلب تعجلها والناجز العاجل يقال ناجزا بناجز كقولك يدا بيد أي تعجيلا بتعجيل والتنجز من المكلفين بصدق ميعاد القديم سبحانه وهو مواظبتهم على فعل الواجب وتجنب القبيح والحذر مجرور بالعطف على التنجز لا على الصدق لانه لا معنى له

(الاصل) ومِنْها جَعَلَ لَكُمْ أَسْماعًا لِتَعِيَ ما عَناها * وَأَبْصارًا لِتَجْلُوَ عَنْ عَشاها * وأَشْلاءً جامِعَةً لِأَعْضائِها * مُلائِمَةً لِأَحْنائِها * في تَرْكِيبِ صُوَرِها ومُدَدِ عُمْرِها * بِأَبْدانٍ قائِمَةٍ بِأَرْفاقِها * وقُلُوبٍ رائِدَةٍ لِأَرْزاقِها * في مُجَلِّلاتِ نِعَمِهِ * ومُوجِباتِ مِنَنِهِ وحَواجِزِ عافِيَتِهِ * وقَدَّرَ لَكُمْ أَعْمارًا سَتَرَها عَنْكُمْ * وَخَلَّفَ لَكُمْ عِبَرًا مِنْ آثارِ الماضِينَ قَبْلَكُمْ * مِنْ مُسْتَمْتَعِ خَلاقِهِمْ ومُسْتَفْسَحِ خَناقِهِمْ * أَرْهَقَتْهُمُ

المَنَايا دُونَ الآمالِ * وشَذَّ بِهِمْ عَنْها تَخَرُّمُ الآجالِ * لَمْ يَمْهَدُوا في سَلامَةِ الأَبْدانِ ولَمْ يَعْتَبِرُوا في أُنُفِ الأَوانِ

(الشرح) قوله لتعي ماعناها أي لتحفظ وتفهم ما أهمها ومنه الاثر المرفوع من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه ولتجلوا أي لتكشف وعن ههنا زائدة ويجوز أن تكون بمعنى بعد كما قال لقحت حرب وائل عن حيال * أي بعد حيال فيكون قد حذف المفعول وحذفه جائز لانه فضلة ويكون التقدير لتجلو الاذى بعد عشاها والعشا مقصور مصدر عشى بكسر الشين يعشى فهو عشى اذا أبصر نهارا ولم يبصر ليلا والاشلاء جمع شلو وهو العضو فان قلت فأي معنى في قوله أعضاء تجمع أعضاءها وكيف يجمع الشئ نفسه قلت أراد عليه السلام بالاشلاء ههنا الاعضاء الظاهرة وبالاعضاء الجوارح الباطنة ولا ريب أن الاعضاء الظاهرة تجمع الاعضاء الباطنة وتضمها والملائمة الموافقة والاحناء الجوانب والجهات ووجه الموافقة والملائمة ان كون اليد في الجانب أولى من كونها في الرأس أو في أسفل القدم لانها اذا كانت في الجانب كان البطش وتناول ما يراد ودفع ما يؤذي أسهل وكذلك القول في جعل العين في الموضع الذي جعلت به لأنها كديدبان السفينة البحرية ولو جعلت في أم الرأس لم ينتفع بها هذا الحد من الانتفاع الآن واذا تأملت سائر ادوات الجسد وأعضائه وجدتها كذلك ثم قال في تركيب صورها كانه قال مركبة أو مصورة فأتى بلفظة في كما تقول ركب بسلاحه وفي سلاحه أي متسلحا وقوله بارفاقها أي بمنافعها جمع رفق بكسر الراء مثل حمل وأحمال وأرفقت فلانا أي نفعته والمرفق من الامر ما ارتفقت به وانتفعت ويروى بارماقها والرمق بقية الروح ورائده طالبه ومجللات النعم مجلل الناس أي تعمهم من قولهم سحاب مجلل أي يطبق الارض وهذا من باب اضافة الصفة الى الموصوف كقولك أنا في سابغ ظلك وعميم فضلك كانه قال في نعمه المجللة وكذلك القول في موجبات مننه أي في مننه التي توجب الشكر وفي ههنا متعلقة بمحذوف والموضع نصب على الحال ثم قال وحواجز عافيته الحواجز الموانع أي في عافية تحجز وتمنع عنكم المضار ويروى وحواجز بلية وقد فسر قوله حواجز عافيته على ان يراد به ما يحجز العافية ويمنعها عن الزوال والعدم قوله عليه السلام من مستمتع خلاقهم الخلاق النصيب قال تعالى في ماله في الآخرة من خلاق وقال تعالى فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وتقدير الكلام خلف لكم عبرا من القرون السالفة منها تمتعهم بنصيبهم من الدنيا ثم فناؤهم ومنها فسحة خناقهم وطول امهالهم ثم كانت عاقبتهم الهلكة وأرهقتهم المنايا أدركتهم بسرعة والمرهق الذي أدرك ليقتل وشذ بهم عنها قطعهم وفرقهم من تشذيب الشجرة وهو تقشيرها وتخرمت زيدا المنية استأصلته واقتطعته ثم قال لم يمهدوا في سلامة الابدان أي لم يمهدوا لانفسهم من تمهيد الامور وهو تسويتها واصلاحها وأنف الاوان أوله يقال روضة أنف لم ترع قبل وكاس أنف لم يشرب بها قبل

(الاصل) فَهَلْ يَنْتَظِرُ أَهْلُ بَضاضَةِ الشَّبابِ إِلاَّ حَوانِيَ الهَرَمِ * وأَهْلُ غَضارَةِ الصِّحَّةِ إِلاَّ نَوازِلَ السَّقَمِ * وأَهْلُ مُدَّةِ البَقاءِ إِلاَّ آوِنَةَ الفَناءِ * مَعَ قُرْبِ الزِّيالِ * وأُزُوفِ الانْتِقالِ وعَلَزِ القَلَقِ * وأَلَمِ المَضَضِ وغُصَصِ الجَرَضِ وتَلَفُّتِ الاسْتِغاثَةِ بِنُصْرَةِ الحَفَدَةِ وَالأَقْرِباءِ * وَالأَعِزَّةِ وَالقُرَناءِ * فَهَلْ دَفَعَتِ الأَقارِبُ أَوْ نَفَعَتِ النَّواحِبُ * وقَدْ غُودِرَ في مَحَلَّةِ الأَمْواتِ رَهِيناً * وَفي ضِيقِ المَضْجَعِ وَحِيداً قَدْ هَتَكَتِ الهَوامُّ جِلْدَتَهُ * وأَبْلَتِ النَّواهِكُ جِدَّتَهُ وَعَفَتِ العَواصِفُ آثارَهُ ومَحا الحَدَثانُ مَعالِمَهُ * وَصارَتِ الأَجْسادُ شَحِبَةً

بَعْدَ بَضَّتِها * وَالعِظامُ نَخِرَةً بَعْدَ قُوَّتِها * وَالأَرْواحُ مُرْتَهَنَةً بِثِقَلِ أَعْبائِها * مُوقِنَةً بِغَيْبِ أَنْبائِها * لاَ تُسْتَزادُ مِنْ صالِحِ عَمَلِها ولاَ تُسْتَعْتَبُ مِنْ سَيِّئِ زَلَلِها

(الشرح) البضاضة مصدر من بضضت يا رجل بضضت بالفتح والكسر بضاضة وبضوضة ورجل بض أي ممتلئ البدن رقيق الجلد وامرأة بضة وحواني الهرم جمع حانية وهي العلة التي تحني شطاط الجسد وتميله عن الاستقامة والهرم الكبر والغضارة طيب العيش ومنه المثل أباد الله غضراءهم أي خيرهم وخصبهم وآونة الفناء جمع أوان وهو الحين كزمان وأزمنة وفلان يصنع ذلك الامر آونة كقولك تارات أي يصنعه مرارا ويدعه مرارا والزيال مصدر زايله مزايلة وزيالا أي فارقه والازوف مصدر ازف أي دنا والعلز قلق وجعة وهلع يصيب الانسان وقد علز بالكسر وبات علزا أي وجعا قلقا والمضض الوجع أمضني الجرح ومضني لغتان وقد مضضت يا رجل بالكسر والغصص جمع غصة وهي الشجا والغصص بالفتح مصدر قولك غصصت يا رجل تغص بالطعام فانت غاص وغصان وأغصصته أنا والجريض الريق يغص به جرض بريقه بالفتح يجرض بالكسر مثل كسر يكسر وهو ان يبلع ريقه على هم وحزن بالجهد والجريض الغصة وفي المثل حال الجريض دون القريض وفلان يجرض بنفسه اذا كاد يموت وأجرضه الله بريقه أغصه والحفدة الاعوان والخدم وقيل ولد الولد واحدهم حافد والباء في بنصرة الحفدة متعلق بالاستعانة يقول ان الميت عند نزول الامر به يتلفت مستغيثا بنصرة أهله وولده أي يستنصر ويستصرخ بهم والنواحب جمع ناحبة وهي الرافعة صوتها بالبكاء ويروى النوادب والهوام جمع هامة وهي ما يخاف ضرره من الاحناش كالعقارب والعناكب ونحوها والنواهك جمع ناهكة وهي ما ينهك البدن أي يبليه وعفت درست ويروى بالتشديد وشحبة هالكة والشحب الهلاك شحب الرجل بالكسر يشحب وجاء شحب بالفتح يشحب بالضم أي هلك وشحبه الله يشحبه يتعدى ولا يتعدى ونخرة بالية والاعباء الاثقال واحدها عبء وقال موقنة بغيب أنبائها لان الميت يعلم بعد موته ما يصير اليه حاله من جنة أو نار ثم قال انها لا تكلف بعد ذلك زيادة في العمل الصالح ولا يطلب منها التوبة من العمل القبيح لان التكليف قد بطل

(الاصل) أَوَلَسْتُمْ أَبْناءَ القَوْمِ وَالآباءِ وَإِخْوانَهُمْ وَالأَقْرِباءَ * تَحْتَذُونَ أَمْثِلَتَهُمْ * وَتَرْكَبُونَ قِدَّتَهُمْ * وَتَطَؤُونَ جادَّتَهُمْ فَالقُلُوبُ قاسِيَةٌ عَنْ حَظِّها * لاهِيَةٌ عَنْ رُشْدِها سالِكَةٌ في غَيْرِ مِضْمارِها * كَأَنَّ المَعْنِيَّ سِواها * وَكَأَنَّ الرُّشْدَ في إِحْرازِ دُنْياها

(الشرح) القدة بالدال المهملة وبكسر القاف الطريقة ويقال لكل فرقة من الناس اذا كانت ذات هوى على حدة قدة ومنه قوله تعالى كنا طرائق قددا ومن رواه ويركبون قذتهم بالذال المعجمة وضم القاف أراد الواحدة من قذذ السهم وهي ريشه يقال حذو القذة بالقذة ويكون معنى وتركبون قذتهم تقتفون آثارهم وتتشابهون بهم في أفعالهم ثم قال وتطؤون جادتهم وهذه لفظة فصيحة جدا ثم ذكر قساوة القلوب وضلالها عن رشدها وقال كان هذا المعنى سواها هذا مثل قول النبي صلى الله عليه وآله كأن الموت فيها على غيرنا كتب وكأن الحق فيها على غيرنا وجب

(الاصل) وَاعْلَمُوا أَنَّ مَجازَكُمْ عَلَى الصِّراطِ وَمَزالِقَ دَحْضِهِ * وَأَهاوِيلَ زَلَلِهِ وَتاراتِ أَهْوالِهِ * فَاتَّقُوا اللهَ عِبادَ اللهِ تَقِيَّةَ ذِي لُبٍّ شَغَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ * وَأَنْصَبَ الخَوْفُ بَدَنَهُ * وَأَسْهَرَ التَّهَجُّدُ غِرارَ نَوْمِهِ * وَأَظْمَأَ الرَّجاءُ هَواجِرَ يَوْمِهِ * وَظَلَفَ الزُّهْدُ شَهَواتِهِ * وَأَوْجَفَ الذِّكْرُ بِلِسانِهِ * وَقَدَّمَ الخَوْفَ لأَمانِهِ وَتَنَكَّبَ المَخالِجَ

عَنْ وَضَحِ السَّبِيلِ وَسَلَكَ أَقْصَدَ المَسَالِكِ إِلَى النَّهْجِ المَطْلُوبِ وَلَمْ تَفْتِلْهُ فَاتِلَاتُ الغُرُورِ وَلَمْ تَعَمَّ عَلَيْهِ مُشْتَبِهَاتُ الأُمُورِ * ظَافِرًا بِفَرْحَةِ البُشْرَى * وَرَاحَةِ النُّعْمَى * في أَنْعَمِ نَوْمِهِ * وَآمَنِ يَوْمِهِ * وَقَدْ عَبَرَ مَعْبَرَ العَاجِلَةِ حَمِيدًا * وَقَدَّمَ زَادَ الآجِلَةِ سَعِيدًا * وَبَادَرَ عَنْ وَجَلٍ * وَأَكْمَشَ فِي مَهَلٍ * وَرَغِبَ فِي طَلَبٍ * وَذَهَبَ عَنْ هَرَبٍ * وَرَاقَبَ فِي يَوْمِهِ غَدَهُ * وَرُبَّمَا نَظَرَ قُدُمًا أَمَامَهُ فَكَفَى بِالجَنَّةِ ثَوَابًا وَنَوَالًا * وَكَفَى بِالنَّارِ عِقَابًا وَوَبَالًا * وَكَفَى بِاللهِ مُنْتَقِمًا وَنَصِيرًا * وَكَفَى بِالكِتَابِ حَجِيجًا وَخَصِيمًا

(الشرح) قال أصحابنا رحمهم الله تعالى الصراط الوارد ذكره في الكتاب العزيز هو الطريق لاهل الجنة الى الجنة ولاهل النار الى النار بعد المحاسبة قالوا لان أهل الجنة ممرهم على باب النار فمن كان من أهل النار عدل به اليها وقذف فيها ومن كان من أهل الجنة مر بالنار مرورا نجاه منها الى الجنة وهو معنى قوله تعالى وان منكم الا واردها الان ورودها هو القرب منها والدنو اليها وقد دل القرآن على سور مضروب بين مكان النار و بين الموضع الذى يجتازون منه الى الجنة فى قوله فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب قالوا ولا يصح ماروى فى بعض الاخبار أن الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف وان المؤمن باطنه يقطعه كمرور البرق الخاطف والكافر يمشى عليه حبوا وانه ينتفض بالذين عليه حتى تتزايل مفاصلهم قالوا لان مثل ذلك لا يكون طريقا للماشى ولا يتمكن من المشى عليه ولو أمكن لم يصح التكليف فى الآخرة ليؤمر العقلاء بالمرور عليه على وجه التعبد ثم سأل أصحابنا أنفسهم فقالوا أى فائدة فى عمل هذا السور وأى فائدة فى كون الطريق الذى هو الصراط منتهيا الى باب النار منفرجا منها الى الجنة لستم تعللون أفعال البارى تعالى بالمصالح والآخرة ليست دار تكليف ليفعل فيها هذه الافعال للمصالح وأجابوا بأن شعور المكلفين فى الدنيا بهذه الاشياء مصالح لهم وألطاف فى الواجبات العقلية فاذا أعلم المكلفون بها وجب ايقاعها على حسب ماوعدوا وأخبروا به لان الله صادق لا خلف فى أخباره وعندى أنه لا يمتنع أن يكون الصراط على ماوردت به الاخبار ولا مانع من ذلك قولهم لا يكون طريقا للماشى ولا يتمكن من المشى عليه مسلم ولكن لم لا يجوز أن يكون فى جعله على هذا الوجه والاخبار عن كيفيته هذه مصلحة للمكلفين فى الدنيا وليس عدم تمكن الانسان من المشى عليه بمانع من ايقاعه على هذا الوجه لان المراد من هذا وامثاله هو التخويف والزجر وأما قولهم الآخرة ليست دار تكليف فلقائل أن يقول لهم لم قلتم انه تكليف ولم لا يجوز أن يكون المكلفون مضطرين الى سلوكه اضطرارا فالمؤمن يخلق الله فيه الثبات والسكينة والحركة السريعة فينجو ويسلم والكافر يخلق فيه ضد ذلك فيهوى و يعطب ولا مانع من ذلك يقال مكان دحض ودحض بالتحريك أى زلق وأدحضته أنا أزلقته فدحض هو والاهاويل الامور المفزعة وتارات أهواله كقولك دفعات أهواله وانما جعل أهواله تارات لان الامور الهائلة اذا استمرت لم تكن فى الازعاج والترويع كما تكون اذا طرأت تارة وسكنت تارة وأنصب الخوف بدنه أتعب والنصب التعب والتهجد ههنا صلاة الليل وأصله السهر وقد جاء التهجد بمعنى النوم أيضا وهو من الاضداد الغرار قلة النوم وأصله قلة لبن الناقة ويقال غارت الناقة تغار غرارا قل لبنها فان قلت كيف توصف قلة النوم بالسهر وانما يوصف بالسهر الانسان نفسه قلت هذا من مجازات كلامهم كقولهم ليل ساهر وليل نائم والهواجر جمع هاجرة وهى نصف النهار عند اشتداد الحر يقال قد هجر النهار وأتينا أهلنا مهاجرين أى سائرين فى الهاجرة وظلف منع وظلفت نفس فلان بالكسر عن كذا أى كفت وأوجف أسرع كانه جعل الذكر لشدة تحريكه اللسان موجفا به كما توجف الناقة براكبها والوجيف ضرب من السير ثم قال وقدم الخوف لأمانه اللام ههنا لام التعليل أى قدم خوفه ليأمن والمخالج الامور المختلجة أى الجاذبة خلجه واختلجه أى جذبه وأقصد

المسالك أقومها وطريق قاصد أى مستقيم وفتله عن كذا أى رده وصرفه وهو قلب لفت ويروى قد عبر معبر العاجلة حيدا وقدم زاد الآجلة سعيدا وأكمش أسرع ومثله انكمش ورجل كمش أى سريع وقد كمش بالضم كماشة فهو كمش وكميش وكمشته تكميشا أعجلته قوله ورغب فى طلب وذهب عن هرب أى ورغب فيما يطلب مثله وفر عما يهرب من مثله وأقام المصدر مقام ذى المصدر ونظر قدما امامه أى ونظر مابين يديه مقدما لم يثن ولم يعرج والدال مضمومة ههنا قال الشاعر يذم امرأة تمضى اذا زجرت عن سوأة قدما * كانها هدم فى الحفر منقاض ومن رواه بالتسكين جاز ان يعنى به هذا ويكون قد خفف كما قالوا احلم وحلم وجاز أن يجعله مصدرا من قدم الرجل بالفتح يقدم قدما أى تقدم قال الله تعالى يقدم قومه يوم القيامة أى يتقدمهم الى ورودها كانه قال ونظر بين يديه متقدما لغيره وسابقا اياه الى ذلك والباء فى بالجنة و بالنار و بالله و بالكتاب زائدة والتقدير كفى الله وكفى الكتاب

(الاصل) أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ الَّذِي أَعْذَرَ بِمَا أَنْذَرَ * وَاحْتَجَّ بِمَا نَهَجَ * وَحَذَّرَكُمْ عَدُوًّا نَفَذَ فِي الصُّدُورِ خَفِيًّا وَنَفَثَ فِي الآذَانِ نَجِيًّا * فَأَضَلَّ وَأَرْدَى وَوَعَدَ فَمَنَّى وَزَيَّنَ سَيِّئَاتِ الجَرَائِمِ وَهَوَّنَ مُوبِقَاتِ العَظَائِمِ * حَتَّى إِذَا اسْتَدْرَجَ قَرِينَتَهُ * وَاسْتَغْلَقَ رَهِينَتَهُ أَنْكَرَ مَا زَيَّنَ * وَاسْتَعْظَمَ مَا هَوَّنَ وَحَذَّرَ مَا أَمَّنَ

(الشرح) أعذر بما أنذر ما ههنا مصدرية أى اعذر بانذاره ويجوز أن تكون بمعنى الذى والعدو المذكور الشيطان وقوله نفذ فى الصدور ونفث فى الآذان كلام صحيح بديع وفى قوله نفذ فى الصدور مناسبة لقوله صلى الله عليه وآله الشيطان يجرى من بنى آدم مجرى الدم والنجى الذى يساره والجمع الانجية قال * انى اذا ما القوم كانوا أنجيه * وقد يكون النجى جماعة مثل الصديق قال الله تعالى خلصوا نجيا أى متناجين القرينة ههنا الانسان الذى قارنه الشيطان ولفظه لفظ التأنيث وهو مذكر أراد القرين قال تعالى فبئس القرين ويجوز أن يكون أراد بالقرينة النفس ويكون الضمير عائدا الى غير مذكور لفظا لما دل المعنى عليه لان قوله فأضل وأردى ووعد فمنى معناه أضل الانسان وأردى ووعده فمنى فالمفعول محذوف لفظا واليه رجع الضمير على هذا الوجه ويقال غلق الرهن اذا لم يفتكه الراهن فى الوقت المشروط فاستحقه المرتهن وهذا الكلام مأخوذ من قوله تعالى وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى الآية

(الاصل) (ومِنْهَا فِي صِفَةِ خَلْقِ الإِنْسَانِ) أَمْ هَذَا الَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْحَامِ وَشُغُفِ الأَسْتَارِ نُطْفَةً دِهَاقًا * وَعَلَقَةً مُحَاقًا * وَجَنِينًا وَرَاضِعًا * وَوَلِيدًا وَيَافِعًا ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْبًا حَافِظًا وَلِسَانًا لَافِظًا * وَبَصَرًا لَاحِظًا * لِيَفْهَمَ مُعْتَبِرًا * وَيُقَصِّرَ مُزْدَجِرًا * حَتَّى إِذَا قَامَ اعْتِدَالُهُ * وَاسْتَوَى مِثَالُهُ * نَفَرَ مُسْتَكْبِرًا * وَخَبَطَ سَادِرًا * مَاتِحًا فِي غَرْبِ هَوَاهُ * كَادِحًا سَعْيًا لِدُنْيَاهُ فِي لَذَّاتِ طَرَبِهِ * وَبَدَوَاتِ أَرَبِهِ ثُمَّ لَا يَحْتَسِبُ رَزِيَّةً * وَلَا يَخْشَعُ تَقِيَّةً * فَمَاتَ فِي فِتْنَتِهِ غَرِيرًا وَعَاشَ فِي هَفْوَتِهِ يَسِيرًا لَمْ يُفِدْ

عِوَضاً * وَلَمْ يَقْضِ مُفْتَرَضاً * دَهِمَتْهُ * فَجَعاتُ المَنِيَّةِ فِي غُبَّرِ جِماحِهِ وَسَنَنِ مِراحِهِ فَظَلَّ سادِراً * وَباتَ ساهِراً فِي غَمَراتِ الآلامِ * وَطَوارِقِ الأَوْجاعِ وَالأَسْقامِ * بَيْنَ أَخٍ شَقِيقٍ * وَوالِدٍ شَفِيقٍ * وَداعِيَةٍ بِالوَيْلِ جَزَعاً * وَلادِمَةٍ لِلصَّدْرِ قَلَقاً * وَالمَرْءُ فِي سَكْرَةٍ مُلْهِيَةٍ * وَغَمْرَةٍ كارِثَةٍ * وَأَنَّةٍ مُوجِعَةٍ * وَجَذْبَةٍ مُكْرِبَةٍ * وَسَوْقَةٍ مُتْعِبَةٍ * ثُمَّ أُدْرِجَ فِي أَكْفانِهِ مُبْلِساً * وَجُذِبَ مُنْقاداً سَلِساً * ثُمَّ أُلْقِيَ عَلَى الأَعْوادِ * رَجِيعَ وَصَبٍ * وَنِضْوَ سَقَمٍ * تَحْمِلُهُ حَفَدَةُ الوِلْدانِ * وَحَشَدَةُ الإِخْوانِ إِلى دارِ غُرْبَتِهِ * وَمُنْقَطَعِ زَوْرَتِهِ * وَمُفْرَدِ وَحْشَتِهِ * حَتَّى إِذا انْصَرَفَ المُشَيِّعُ * وَرَجَعَ المُتَفَجِّعُ أُقْعِدَ فِي حُفْرَتِهِ نَجِيّاً لِبَهْتَةِ السُّؤالِ وَعَثْرَةِ الامْتِحانِ * وَأَعْظَمُ ما هُنالِكَ بَلِيَّةً نُزُولُ الحَمِيمِ * وَتَصْلِيَةُ الجَحِيمِ * وَفَوْراتُ السَّعِيرِ * وَسَوْراتُ الزَّفِيرِ * لا فَتْرَةٌ مُرِيحَةٌ * وَلا دَعَةٌ مُزِيحَةٌ وَلا قُوَّةٌ حاجِزَةٌ * وَلا مَوْتَةٌ ناجِزَةٌ وَلا سِنَةٌ مُسَلِّيَةٌ بَيْنَ أَطْوارِ المَوْتاتِ * وَعَذابِ السَّاعاتِ إِنَّا بِاللهِ عائِذُونَ

(الشرح) أم هنا اما استفهامية على حقيقتها كأنه قال أعظكم واذكركم بحال الشيطان واغوائه أم بحال الانسان منذ ابتدأ وجوده الى حين مماته واما أن تكون منقطعة بمعنى بل كأنه قال عادلا وتاركا لما وعظهم به بل اتلو عليكم نبأ هذا الانسان الذى حاله كذا الشغف بالغين المعجمة جمع شغاف بفتح الشين وأصله غلاف القلب يقال شغفه الحب أى بلغ شغافه وقرئ قد شغفها حبا والدهاق المملوءة ويروى دفاقا من دفقت الماء أى صببته قال وعلقة محاقا المحاق ثلاث ليال من آخر الشهر وسميت محاقا لان القمر يمتحق فيهن أى يخفى وتبطل صورته وانما جعل العلقة محاقا ههنا لانها لم تحصل لها الصورة الانسانية بعد فكانت ممحوة ممحوقة واليافع الغلام المرتفع أيفع وهو يافع وهذا من النوادر وغلام يفع ويفعة وغلمان ايفاع ويفعة أيضا قوله وخبط سادرا خبط البعير اذا ضرب بيده الى الارض ومشى لا يتوقى شيأ والسادر المتحير والسادر أيضا الذى لا يهتم ولا يبالى ما صنع والموضع يحتمل كلا التفسيرين والماتح الذى يستقى الماء من البئر وهو على رأسها والمائح الذى نزل البئر اذا قل ماؤها فيملأ الدلاء وسئل بعض أئمة اللغة عن الفرق بين الماتح والمائح فقال اعتبر نقطتى الاعجام فالاعلى للاعلى والادنى للادنى والغرب الدلو العظيمة والكدح شدة السعى والحركة قال تعالى يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا قوله وبدوات أى ما يخطر له من آرائه التى تختلف فيها دواعيه فتقدم وتحجم ومات غريرا أى شابا ويمكن أن يراد به انه غير مجرب للامور والهفوة الزلة هفا يهفو ولم يفد عوضا أى لم يكتسب وغبر جماحه بقاياه قال أبو كبير الهذلى

ومبرأ من كل غبر حيضة * وفساد مرضعة وداء معيل

والجماح الشرة وارتكاب الهوى وسنن مراحه السنن الطريقة والمراح شدة الفرح والنشاط قوله فظل سادرا السادر ههنا غير السادر الاول لانه ههنا المغمى عليه كأنه سكران وأصله من سدر البعير من شدة الحر وكثرة الطلا بالقطران فيكون كالنائم لا يحس ومراده عليه السلام ههنا انه بدا به المرض ولادمة للصدر ضاربة له والتدام النساء ضربهن الصدور عند

النياحة سكرة ملهثة تجعل الانسان لاهثا لشدتها لهث يلهث لهثانا ولهاثا ويروى ملهية بالياء أى تلهى الانسان وتشغله والكارثة فاعلة من كرثه الغم يكرثه بالضم أى اشتد عليه وبلغ منه غاية المشقة والجذبة جذب الملك الروح من الجسد أو جذب الانسان اذا احتضر ليسجى والسوقة من سياق الروح عند الموت والمبلس الذى ييأس من رحمة الله ومنه سمى ابليس والابلاس أيضا الانكسار والحزن والسلس السهل المقادة والاعواد خشب الجنازة ورجيع وصب الرجيع المعنى الكال والوصب الوجع وصب الرجل يوصب فهو واصب وأوصبه الله فهو موصب والموصب بالتشديد الكثير الاوجاع والنضو الهزيل وحشدة الاخوان جمع حاشد وهو المتأهب المستعد ودار غربته قبره وكذلك منقطع زورته لان الزيارة تنقطع عنده ومفرد وحشته نحو ذلك لانفراده بعمله واستيحاش الناس منه حتى اذا انصرف المشيع وهو الخارج مع جنازته أقعد فى حفرته هذا تصريح بعذاب القبر وسنذكر ما يصلح ذكره فى هذا الموضع والنجى المناجى ونزل الحميم وتصلية الجحيم من الالفاظ الشريفة القرآنية ثم نفى عليه السلام أن يكون فى العذاب فتور يجد الانسان معه راحة أو سكون يزيح عنه الالم أى يزيله أو ان الانسان يجد فى نفسه قوة تحجز بينه وبين الالم أى تمنع وتموت موتا ناجزا معجلا فيستريح أو ينام فيسلو وقت نومه عما أصابه من الالم فى اليقظة كما فى دار الدنيا ثم قال بين أطوار الموتات وهذا فى ظاهره متناقض لانه نفى الموت مطلقا ثم قال بين أطوار الموتات والجواب انه أراد بالموتات الآلام العظيمة فسماها موتات لان العرب تسمى المشقة العظيمة موتا كما قال * انما الميت ميت الاحياء * ويقولون الفقر الموت الاحمر واستعمالهم مثل ذلك كثير جدا ثم قال انا بالله عائذون عذت بفلان واستعذت به أى التجأت اليه * واعلم ان لقاضى القضاة فى كتاب طبقات المعتزلة فى باب القبر وسؤال منكر ونكير كلاما أنا أورده ههنا بعضه قال رحمه الله تعالى ان عذاب القبر انما أنكره ضرار بن عمرو ولما كان ضرار من أصحاب واصل بن عطاء ظن كثير من الناس ان ذلك مما أنكرته المعتزلة وليس الامر كذلك بل المعتزلة رجلان أحدهما يجوز عذاب القبر ولا يقطع به وهم الاقلون والآخر يقطع على ذلك وهم أكثر أصحابنا لظهور الاخبار الواردة فيه وانما تنكر المعتزلة قول طائفة من الجهلة انهم يعذبون وهم موتى لان العقل يمنع من ذلك واذا كان الانسان مع قرب العهد بموته ولما يدفن يعلمون انه لا يسمع ولا يبصر ولا يدرك ولا يألم ولا يلتذ فكيف يجوز عليه ذلك وهو ميت فى قبره وما روى من أن الموتى يسمعون لا يصح الا أن يراد به أن الله تعالى أحياهم وقوى حاسة سمعهم فسمعوا وهم أحياء قال رحمه الله تعالى وأنكر أيضا مشايخنا أن يكون عذاب القبر دائما فى كل حال لان الاخبار انما وردت بذلك فى الجملة فالذى يقال به هو قدر ما تقتضيه الاخبار دون ما زاد عليه مما لا دليل عليه ولذلك لسنا نوقت فى التعذيب وقتا وان كان الاقرب فى الاخبار انها الاوقات المقارنة للدفن وان كان لا نعينها بأعيانها هكذا قال قاضى القضاة والذى أعرفه أنا من مذهب كثير من شيوخنا قبل قاضى القضاة أن الاغلب أن يكون عذاب القبر بين النفختين ثم ان قاضى القضاة سأل نفسه فقال اذا كانت الآخرة هى وقت المجازاة فكيف يعذب فى القبر فى أيام الدنيا وأجاب بان القليل من العقاب المستحق قد يجوز أن يجعله الله فى الدنيا لبعض المصالح كما فعل فى تعجيل اقامة الحدود على من يستحقها فلا يمنع منه تعالى ان يفعل ذلك بالانسان اذا كان من أهل النار ثم سأل نفسه فقال اذا كان بالموت قد زال عنه التكليف فكيف يقولون بكون ذلك من مصالحه وأجاب بانا لم نقل ان ذلك من مصالحه وهو ميت وانما نقول انه مصلحة ان نعلم فى الدنيا ذلك من حال الموتى لانه اذا تصور انه مات عوجل بضرب من العقاب فى القبر كان أقرب الى أن ينصرف عن كثير من المعاصى وقد يجوز أن يكون ذلك لطفا للملائكة الذين يتولون هذا التعذيب فاما القول فى منكر ونكير فانه سأل نفسه رحمه الله تعالى وقال كيف يجوز ان يسموا باسماء الذم وعندكم أن الملائكة أفضل من الانبياء وأجاب فقال ان التسمية اذا كانت لقبا لم يقع بها ذم لان الذم انما يقع لفائدة الاسم والالقاب كالاشارات لا فائدة تحتها ولذا يلقب الرجل المسلم بظالم وكلب ونحو ذلك فيجوز أن يكون هذان الاسمان من باب الالقاب ويجوز ان يسميا بذلك من حيث يهجمان على الانسان عندما كمل الله تعالى عقله على وجه ينكره ويرتاع منه فسميا منكرا ونكيرا قال وقد روى فى المساءلة فى القبر أخبار كثيرة وكل ذلك مما لا قبح فيه بل يجوز

أن يكون من مصالح المكلفين فلا يصح المنع عنه وجلة الامر ان كل ماثبت من ذلك بالتواتر والاجماع وليس بمستحيل فى القدرة ولا قبيح فى الحكمة يجب القول به وماعداه مما وردت به آثار وأخبار آحاد يجب أن يجوز ويقال انه مظنون ليس بمعلوم اذا لم يمنع منه الدليل

(الاصل) عِبادَ اللهِ أينَ الذينَ عُمِّرُوا فَنَعِمُوا * وَعُلِّمُوا فَفَهِمُوا * وَأُنْظِرُوا فَلَهَوْا * وسُلِّمُوا فَنَسُوا * أُمْهِلُوا طَوِيلاً * ومُنِحُوا جَمِيلاً * وحُذِّرُوا أَلِيماً * ووُعِدُوا جَسِيماً * احْذَرُوا الذُّنُوبَ المُوَرِّطَةَ وَالعُيُوبَ المُسْخِطَةَ أُولِي الأَبْصارِ والأَسْماعِ * والعافِيَةِ والمَتاعِ * هَلْ مِنْ مَناصٍ أَوْ خَلاصٍ أَوْ مَعاذٍ * أَوْ مَلاذٍ * أَوْ فِرارٍ أَوْ مَحارٍ * (فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ) أَمْ أَيْنَ تُصْرَفُونَ * أَمْ بِمَاذا تَغْتَرُّونَ وإِنَّما حَظُّ أَحَدِكُمْ مِنَ الأَرْضِ ذاتِ الطُّولِ والعَرْضِ * قِيدُ قَدِّهِ * مُتَعَفِّرًا عَلَى خَدِّهِ * الآنَ عِبادَ اللهِ وَالخِناقُ مُهْمَلٌ * وَالرُّوحُ مُرْسَلٌ * فِي فَيْنَةِ الإِرْشادِ * وَرَاحَةِ الأَجْسادِ * وَبَاحَةِ الاحْتِشادِ * وَمَهَلِ البَقِيَّةِ * وَأُنُفِ المَشِيَّةِ * وإِنْظارِ التَّوْبَةِ * وانْفِساحِ الحَوْبَةِ * قَبْلَ الضَّنْكِ وَالمَضِيقِ * والرَّوْعِ والزُّهُوقِ * وقَبْلَ قُدُومِ الغائِبِ المُنْتَظَرِ * وأَخْذَةِ العَزِيزِ المُقْتَدِرِ (قال الرضي رحمه الله) وفي الخَبَرِ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلامُ لَمَّا خَطَبَ بِهذِهِ الخُطْبَةِ اقْشَعَرَّتْ لَها الجُلُودُ * وبَكَتِ العُيُونُ ورَجَفَتِ القُلُوبُ * ومِنَ النَّاسِ مَنْ يُسَمِّي هذِهِ الخُطْبَةَ الغَرَّاءَ

(الشرح) نعم الرجل ينعم ضد قولك بئس وجاء شاذا نعم ينعم بالكسر وانظروا امهلوا والذنوب المورطة التى تلقى أصحابها فى الورطة وهى الهلاك قال رؤبة * فاصبحوا فى ورطة الاوراط * وأصله أرض مطمئنة لا طريق فيها وقد أورطت زيدا وورطته توريطا فتورط ثم قال عليه السلام أولى الابصار والاسماع ناداهم نداء ثانيا بعد النداء الذى فى أول الفصل وهو قوله عباد الله فقال يامن منحهم الله أبصارا وأسماعا وأعطاهم عافية ومتعهم متاعا هل من مناص وهو الملجأ والمفر يقال ناص عن قرنه مناصا أى فر وراوغ قال سبحانه ولات حين مناص والمحار المرجع من حار يحور أى رجع قال تعالى انه ظن أن لن يحور ويؤفكون يقلبون افكه يأفكه عن كذا قلبه عنه الى غيره ومثله يصرفون وقيد قده مقدار قده يقال قرب منه قيد رمح وقاد رمح والمراد ههنا هو القبر لانه بمقدار قامة الانسان والمتعفر الذى قد لامس العفر وهو التراب ثم قال عليه السلام الآن والخناق مهمل تقديره اعملوا الآن وأنتم مخلون متمكنون لم يعقد الحبل فى أعناقكم ولم تقبض أرواحكم والروح يذكر ويؤنث والفينة الوقت وروى وفينة الارتياد وهو الطلب وأنف المشية أول أوقات الارادة والاختيار قوله وانفساح الحوبة أى سعة وقت الحاجة والحوبة الحاجة والارب قال الفرزدق

فهب لى حبيبا واتخذ فيه منة * لحوبة أم مايسوغ شرابها

والغائب المنتظر هو الموت قال شيخنا أبو عثمان رحمه الله تعالى حدثنى ثمامة قال سمعت جعفر بن يحيي وكان من أبلغ الناس وأفصحهم يقول الكتابة بضم اللفظة الى أختها ألم تسمعوا قول شاعر لشاعر وقد تفاخرا انا أشعر منك لانى أقول البيت وأخاه وأنت تقول البيت وابن عمه ثم قال وناهيك حسنا بقول على بن أبى طالب عليه السلام هل من مناص أو خلاص أو معاذ أو ملاذ أو فرار أو محار قال أبو عثمان وكان جعفر يعجب أيضا بقول على عليه السلام أين

من جد واجتهد وجمع واحتشد وبنى فشيد وفرش فمهد وزخرف فنجد قال ألا ترى ان كل لفظة منها آخذة بعنق قرينتها جاذبة اياها الى نفسها دالة عليها بذاتها قال أبو عثمان فكان جعفر يسميه فصيح قريش واعلم أننا لا يتخالجنا الشك فى أنه عليه السلام أفصح من كل ناطق بلغة العرب من الاولين والآخرين الا من كلام الله سبحانه وكلام رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك لان فضيلة الخطيب والكاتب فى خطابته وكتابته تعتمد على أمرين هما مفردات الالفاظ ومركباتها أما المفردات فان تكون سهلة سلسة غير وحشية ولا معقدة وألفاظه عليه السلام كلها كذلك فأما المركبات فحسن المعنى وسرعة وصوله الى الافهام واشتماله على الصفات التى باعتبارها فضل بعض الكلام على بعض وتلك الصفات هى الصناعة التى سماها المتأخرون البديع من المقابلة والمطابقة وحسن التقسيم ورد آخر الكلام على صدره والترصيع والتسهيم والتوشيح والمماثلة والاستعارة ولطافة استعمال المجاز والموازنة والتكافؤ والتسميط والمثا كلة ولا شبهة ان هذه الصفات كلها موجودة فى خطبه وكتبه مبثوثة متفرقة فى فرش كلامه عليه السلام وليس يوجد هذان الامران فى كلام أحد غيره فان كان قد تعملها وأفكر فيها وأعمل رويته فى رصفها ونثرها فلقد أتى بالعجب العجاب ووجب أن يكون امام الناس كلهم فى ذلك لانه ابتكره ولم يعرف من قبله وان كان اقتضبها ابتداء وفاضت على لسانه مرتجلة وجاش بها طبعه بديهة من غير روية ولا اعتمال فاعجب وأعجب وعلى كلا الامرين فلقد جاء مجليا والفصحاء تنقطع أنفاسهم على أثره وبحق ماقال معاوية لمحقن الضبى لما قال له جئتك من عند أعيا الناس يا ابن اللخناء ألعلى تقول هذا وهل سن الفصاحة لقريش غيره واعلم ان تكلف الاستدلال على ان الشمس مضيئة يتعب وصاحبه منسوب الى السفه وليس جاحد الامور المعلومة علما ضروريا باشد سفها ممن رام الاستدلال بالادلة النظرية عليها



(الاصل) ﴿ ومن كلام له عليه السلام في ذكر عمرو بن العاص ﴾

عَجَباً لابْنِ النَّابِغَةِ * يَزْعُمُ لِأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فِيَّ دُعابَةً * وَأَنِّي امْرُؤٌ تِلْعابَةٌ أُعافِسُ وَأُمارِسُ * لَقَدْ قالَ باطِلاً وَنَطَقَ آثِماً * أَما وَشَرُّ القَوْلِ الكَذِبُ إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ ويَعِدُ فَيُخْلِفُ * وَيَسْأَلُ فَيُلْحِفُ * وَيُسْأَلُ فَيَبْخَلُ * وَيَخُونُ العَهْدَ * وَيَقْطَعُ الإِلَّ * فَإِذا كانَ عِنْدَ الحَرْبِ فَأَيُّ زاجِرٍ وَآمِرٍ هُوَ * مالَمْ تَأْخُذِ السُّيُوفُ مَآخِذَها * فَإِذا كانَ ذلِكَ كانَ أَكْبَرُ مَكِيدَتِهِ أَنْ يَمْنَحَ القَرْمَ سَبَّتَهُ * أَما وَاللهِ إِنِّي لَيَمْنَعُنِي مِنَ اللَّعِبِ ذِكْرُ المَوْتِ * وإِنَّهُ لَيَمْنَعُهُ مِنْ قَوْلِ الحَقِّ نِسْيانُ الآخِرَةِ * وإِنَّهُ لَمْ يُبايِعْ مُعاوِيَةَ حَتَّى شَرَطَ لَهُ أَنْ يُؤْتِيَهُ أَتِيَّةً وَيَرْضَخَ لَهُ عَلى تَرْكِ الدِّينِ رَضِيخَةً

(الشرح) الدعابة المزاح دعب الرجل بالفتح ورجل تلعابة بكسر التاء كثير اللعب والتلعاب بالفتح مصدر لعب والمعافسة المعالجة والممارسة ومنه الحديث عافسنا النساء والممارسة نحوه يقول عليه السلام ان عمرا يقدح فى عند أهل الشام بالدعابة واللعب وانى كثير الممازحة حتى انى ألاعب النساء وأغازلهن فعل المترف الفارغ القلب الذى يقضى أوقاته بملاذ نفسه ويلحف يلح فى السؤال قال تعالى لا يسألون الناس الحافا ومنه المثل ليس للملحف مثل الرد والال العهد ولما اختلف اللفظان حسن التقسيم بهما وان كان المعنى واحدا ومعنى قوله مالم تأخذ السيوف مآخذها أى مالم يبلغ الحرب الى أن تخالط الرؤس أى هو ملىء بالتحريض والاغراء قبل أن يلتحم الحرب فاذا التحمت واشتدت فلا يمكث وفعل فعلته التى فعل والسبة الاست وسبه يسبه طعنه فى السبة ويجوز رفع أكبر ونصبه فان رفعت فهو الاسم وان نصبت فهو الخبر والأتية العطية والاتياء الاعطاء ورضخ له رضخا أعطاه عطاء بالكثير وهى الرضيخة لما يعطى

ونحن نذكر طرفا من نسب عمرو بن العاص وأخباره الى حين وفاته ان شاء الله وهو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم ابن سعيد بن سهم بن عمرو بن حصيص بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر يكنى أبا عبد الله و يقال أبو محمد أبوه العاص بن وائل أحد المستهزئين برسول الله صلى الله عليه وآله والمكاشفين له بالعداوة والاذى وفيه وفى أصحابه أنزل قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين و يلقب العاص بن وائل فى الاسلام بالابتر لانه قال لقريش سيموت هذا الابتر غدا فينقطع ذكره يعنى رسول الله صلى الله عليه وآله لانه لم يكن له صلى الله عليه وآله ولد ذكر يعقب منه فانزل الله سبحانه ان شانئك هو الابتر وكان عمرو أحد من يؤذى رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة ويشتمه ويضع فى طريقه الحجارة لانه كان صلى الله عليه وآله يخرج من منزله ليلا فيطوف بالكعبة وكان عمرو يجعل له الحجارة فى مسلكه ليعثر بها وهو أحد القوم الذين خرجوا الى زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله لما خرجت مهاجرة من مكة الى المدينة فروعوها وقرعوا هودجها بكعوب الرماح حتى أجهضت جنينا ميتا من أبى العاص بن الربيع بعلها فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله نال منه وشق عليه مشقة شديدة ولعنهم روى ذلك الواقدى وروى الواقدى أيضا وغيره من أهل الحديث ان عمرو بن العاص هجا رسول الله صلى الله عليه وآله هجاء كثيرا كان يعلمه صبيان مكة فينشدونه و يصيحون برسول الله اذا مر بهم رافعين أصواتهم بذلك الهجاء فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يصلى بالحجر اللهم ان عمرو بن العاص هجانى ولست بشاعر فالعنه بعدد ما هجانى وروى أهل الحديث ان النضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط وعمرو بن العاص عهدوا الى سلا جمل فرفعوه بينهم ووضعوه على رأس رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ساجد بفناء الكعبة فسال عليه فصبر ولم يرفع رأسه و بكى فى سجوده ودعا عليهم فجاءت ابنته فاطمة عليها السلام وهى باكية فاحتضنت ذلك السلا فرفعته عنه فالقته وقامت على رأسه تبكى فرفع رأسه صلى الله عليه وآله وقال اللهم عليك بقريش قالها ثلاثا ثم قال رافعا صوته انى مظلوم فانتصر قالها ثلاثا ثم قام فدخل منزله وذلك بعد وفاة عمه أبى طالب بشهرين ولشدة عداوة عمرو بن العاص لرسول الله صلى الله عليه وآله أرسله أهل مكة الى النجاشى ليزهده فى الدين وليطرد عن بلاده مهاجرة الحبشة وليقتل جعفر بن أبى طالب عنده ان أمكنه قتله فكان منه فى أمر جعفر هناك ما هو مذكور مشهور فى السير وسنذكر بعضه فاما النابغة فقد ذكر الزمخشرى فى كتاب ربيع الابرار قال كانت النابغة أم عمرو بن العاص أمة لرجل من عنزة فسبيت فاشتراها عبد الله بن جدعان التيمى بمكة فكانت بغيا ثم أعتقها فوقع عليها أبو لهب بن عبد المطلب وأمية بن خلف الجمحى وهشام بن المغيرة المخزومى وأبو سفيان بن حرب والعاص بن وائل السهمى فى طهر واحد فولدت عمرا فادعاه كلهم فحكمت أمه فيه فقالت هو من العاص بن وائل وذاك لان العاص بن وائل كان ينفق عليها كثيرا قالوا وكان أشبه بابى سفيان وفى ذلك يقول أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب فى عمرو بن العاص

أبوك أبو سفيان لا شك قد بدت * لنا فيك منه بينات الشمائل

وقال أبو عمر بن عبد البر صاحب كتاب الاستيعاب كان اسمها سلمى وتلقبت بالنابغة بنت حرملة من بنى جلان بن عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار أصابها سباء فصارت الى العاص بن وائل بعد جماعة من قريش فاولدها عمرا قال أبو عمر يقال انه جعل لرجل ألف درهم على ان يسأل عمرا وهو على المنبر من أمه فسأله فقال أمى سلمى بنت حرملة تلقب بالنابغة من بنى عنزة ثم أحد بنى جلان وأصابتها رماح العرب فبيعت بعكاظ فاشتراها الفاكه بن المغيرة ثم اشتراها منه عبد الله بن جدعان ثم صارت الى العاص بن وائل فولدت فانجبت فان كان جعل لك شئ فخذه وقال المبرد فى كتاب الكامل اسمها ليلى وذكر هذا الخبر وقال انها لم تكن فى موضع مرضى قال المبرد وقال المنذر بن الجارود مرة لعمرو بن العاص أى رجل أنت لولا ان أمك أمك فقال انى أحمد الله اليك لقد فكرت البارحة فيها فاقبلت أنقلها فى قبائل العرب ممن أحب أن تكون منها فما خطرت لى عبد القيس على بال وقال المبرد ودخل عمرو بن العاص مكة فرأى قوما من قريش قد جلسوا حلقة فلما رأوه رمقوه بابصارهم فعدل اليهم فقال أحسبكم كنتم فى شئ من ذكرى

قالوا أجل كنا نمثل بينك و بين أخيك هشام بن العاص أيكما أفضل فقال عمرو ان لهشام على أربعة أمه بنت هشام بن المغيرة وأمى من قد عرفتم وكان أحب الى أبيه منى وقد علمتم معرفة الوالد بولده وأسلم قبلى واستشهد وبقيت وروى أبو عبيدة معمر بن المثنى فى كتاب الانساب ان عمرا اختصم فيه يوم ولادته رجلان أبو سفيان بن حرب والعاص ابن وائل فقيل لتحكم أمه فقالت انه من العاص بن وائل فقال أبو سفيان أما انى لا أشك أنى وضعته فى رحم أمه فابت الا العاص فقيل لها أبو سفيان أشرف نسبا فقالت ان العاص بن وائل كثير النفقة على وأبو سفيان شحيح ففى ذلك يقول حسان بن ثابت لعمرو بن العاص حيث هجاه مكافيا له عن هجاء رسول الله صلى الله عليه وآله

أبوك أبو سفيان لا شك قد بدت * لنا فيك منه بينات الدلائل

ففاخر به اما فخرت ولا تكن * تفاخر بالعاص الهجين ابن وائل

وان التى فى ذاك يا عمرو حكمت * فقالت رجاء عند ذاك لنائل

من العاص عمرو تخبر الناس كلما * تجمعت الاقوام عند المحافل

وروى الزبير بن بكار فى كتاب المفاخرات قال اجتمع عند معاوية عمرو بن العاص والوليد بن عقبة بن أبى معيط وعتبة بن أبى سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة وقد كان بلغهم عن الحسن بن على عليه السلام قوارص و بلغه عنهم مثل ذلك فقالوا يا أمير المؤمنين ان الحسن قد أحيا أباه وذكره وقال فصدق وأمر فاطيع وخفقت له النعال وان ذلك لرافعه الى ما هو أعظم منه ولا يزال يبلغنا عنه ما يسوؤنا قال معاوية فما تريدون قالوا ابعث عليه فليحضر لنسبه ونسب أباه ونعيره ونوبخه ونخبره ان أباه قتل عثمان ونقرره بذلك ولا يستطيع أن يغير علينا شيأ من ذلك قال معاوية انى لا أرى ذلك ولا أفعله قالوا عزمنا عليك يا أمير المؤمنين لتفعلن فقال و يحكم لا تفعلوا فوالله ما رأيته قط جالسا عندى الا خفت مقامه وعيبه لى قالوا ابعث اليه على كل حال قال ان بعثت اليه لانصفنه منكم فقال عمرو بن العاص أتخشى ان يأتى باطله على حقنا أو يربى قوله على قولنا قال معاوية أما انى ان بعثت اليه لآمرنه أن يتكلم بلسانه كله قالوا مره بذلك قال أما اذا عصيتمونى و بعثتم اليه وأبيتم الا ذلك فلا تمرضوا له فى القول واعلموا أنهم أهل بيت لا يعيبهم العائب ولا يلصق بهم العار ولكن اقذفوه بحجره تقولون له ان أباك قتل عثمان وكره خلافة الخلفاء من قبله فبعث اليه معاوية فجاءه رسوله فقال ان أمير المؤمنين يدعوك قال من عنده فسماهم فقال الحسن عليه السلام ما لهم خر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ثم قال يا جارية أبغينى ثيابى اللهم انى أعوذ بك من شرورهم وادرأ بك فى نحورهم وأستعين بك عليهم فاكفنيهم كيف شئت وانى شئت بحول منك وقوة يا أرحم الراحمين ثم قام فلما دخل على معاوية أعظمه وأكرمه وأجلسه الى جانبه وقد ارتاد القوم وخطروا خطران الفحول بغيا فى أنفسهم وعلوا ثم قال يا أبا محمد ان هؤلاء بعثوا اليك وعصونى فقال الحسن عليه السلام سبحان الله الدار دارك والاذن فيها اليك والله ان كنت أجبتهم الى ما أرادوا وما فى أنفسهم انى لاستحيى لك من الفحش وان كانوا غلبوك على رأيك انى لاستحيى لك من الضعف فايهما تقر وأيهما تنكر أما انى لو علمت بمكانهم جئت معى بمثلهم من بنى عبد المطلب ومالى أن أكون مستوحشا منك ولا منهم ان وليى الله وهو يتولى الصالحين فقال معاوية يا هذا انى كرهت أن أدعوك ولكن هؤلاء حملونى على ذلك مع كراهتى له وان لك منهم النصف ومنى وانما دعوناك لنقررك ان عثمان قتل مظلوما وان أباك قتله فاستمع منهم ثم أجبهم ولا تمنعك وحدتك واجتماعهم ان تتكلم بكل لسانك فتكلم عمرو بن العاص فحمد الله وصلى على رسوله ثم ذكر عليا عليه السلام فلم يترك شيأ يعيبه به الا قاله وقال انه شتم أبا بكر وكره خلافته وامتنع من بيعته ثم بايعه مكرها وشرك فى دم عمر وقتل عثمان ظلما وادعى من الخلافة ما ليس له ثم ذكر الفتنة يعيره بها وأضاف اليه مساوى وقال انكم يا بنى عبد المطلب لم يكن الله ليعطيكم الملك على قتلكم الخلفاء واستحلالكم ما حرم الله من الدماء وحرصكم على الملك واتيانكم ما لا يحل ثم انك يا حسن تحدث نفسك أن الخلافة صائرة اليك وليس عندك عقل ذلك ولا لبه كيف ترى الله سبحانه سلبك عقلك وتركك أحمق قريش يسخر منك ويهزأ بك وذلك لسوء عمل أبيك وانما دعوناك لنسبك

وأباك فاما أبوك فقد تفرد الله به وكفانا أمره وأما أنت فانك في أيدينا نختار فيك الخصال ولو قتلناك ما كان علينا اثم من الله ولاعيب من الناس فهل تستطيع أن ترد علينا وتكذبنا فان كنت ترى أنا كذبنا في شئ فاردده علينا فيما قلنا والا فاعلم أنك وأباك ظالمان ثم تكلم الوليد بن عقبة بن أبي معيط فقال يابني هاشم انكم كنتم أخوال عثمان فنعم الولد كان لكم فعرف حقكم وكنتم أصهاره فنعم الصهر كان لكم يكرمكم فكنتم أول من حسده فقتله أبوك ظلما لاعذر له ولاحجة فكيف ترون الله طلب بدمه وأنزلكم منزلتكم والله ان بني أمية خير لبني هاشم من بني هاشم لبني أمية وان معاوية خير لك من نفسك ثم تكلم عتبة بن أبي سفيان فقال ياحسن كان أبوك شر قريش لقريش اسفكه لدمائها وقطعه لارحامها طويل السيف واللسان يقتل الحي و يعيب الميت وانك ممن قتل عثمان ونحن قاتلوك به وأما رجاؤك الخلافة فلست في زندها قادحا ولا في ميزانها راجحا وانكم يابني هاشم قتلتم عثمان وان في الحق ان نقتلك وأخاك به فاما أبوك فقد كفانا الله أمره وأقاد منه وأما أنت فوالله ما علينا لو قتلناك بعثمان اثم ولا عدوان ثم تكلم المغيرة ابن شعبة فشتم عليا وقال والله ما أعيبه في قضية يخون ولا في حكم يميل ولكنه قتل عثمان ثم سكتوا فتكلم الحسن بن علي عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله صلى الله عليه وآله ثم قال أما بعد يامعاوية فما هؤلاء شتموني ولكنك شتمتني فحشا ألفته وسوء رأي عرفت به وخلقا سيئا ثبت عليه وبغيا علينا عداوة منك لمحمد وأهله ولكن اسمع يامعاوية واسمعوا فلا قولن فيك وفيهم ماهو دون مافيكم أنشدكم الله أيها الرهط أتعلمون أن الذي شتمتموه منذ اليوم صلى القبلتين كلتيهما وأنت يامعاوية بهما كافر تراها ضلالة وتعبد اللات والعزى غواية وأنشدكم الله هل تعلمون انه بايع البيعتين كلتيهما بيعة الفتح و بيعة الرضوان وأنت يامعاوية باحداهما كافر و بالاخرى ناكث وأنشدكم الله هل تعلمون انه أول الناس ايمانا وانك يامعاوية وأباك من المؤلفة قلوبهم تسرون الكفر وتظهرون الاسلام وتستمالون بالاموال وأنشدكم الله ألستم تعلمون انه كان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر وان راية المشركين كانت مع معاوية ومع أبيه ثم لقيكم يوم أحد و يوم الاحزاب ومعه راية رسول الله صلى الله عليه وآله ومعك ومع أبيك راية الشرك وفي كل ذلك يفتح الله له و يفلج حجته و ينصر دعوته و يصدق حديثه ورسول الله صلى الله عليه وآله في تلك المواطن كلها عنه راض وعليك وعلى أبيك ساخط وأنشدك الله يامعاوية أتذكر يوما جاء أبوك على جمل أحمر وأنت تسوقه وأخوك عتبة هذا يقوده فرآكم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال اللهم العن الراكب والقائد والسائق أتنسى يامعاوية الشعر الذي كتبته الى أبيك لما هم أن يسلم تنهاه عن ذلك

يا صخر لا تسلمن يوما فتفضحنا * بعد الذين ببدر أصبحوا مزقا
خالي وعمي وعم الام ثالثهم * وحنظل الخير قد أهدى لنا الارقا
لا تركنن الى أمر تكلفنا * والراقصات به في مكة الخرقا
فالموت أهون من قول العداة لقد * حاد ابن حرب عن العزى اذا فرقا

والله لما أخفيت من أمرك أكبر مما أبديت وأنشدكم الله أيها الرهط أتعلمون ان عليا حرم الشهوات على نفسه بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فانزل فيه يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم وأن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث أكابر أصحابه الى بني قريظة فنزلوا من حصنهم فهزموا فبعث عليا بالراية فاستنزلهم على حكم الله وحكم رسوله وفعل في خيبر مثلها ثم قال يامعاوية أظنك لا تعلم اني أعلم ما دعا به عليك رسول الله صلى الله عليه وآله لما أراد أن يكتب كتابا الى بني خزيمة فبعث اليك ونهمك الى أن تموت وأنتم أيها الرهط نشدتكم الله ألا تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله لعن أباسفيان في سبعة مواطن لا تستطيعون ردها أولها يوم لقي رسول الله صلى الله عليه وآله خارجا من مكة الى الطائف يدعو ثقيفا الى الدين فوقع به وسبه وسفهه وشتمه وكذبه وتوعده وهم أن يبطش به فلعنه الله ورسوله وصرف عنه والثانية يوم العير اذ عرض لها رسول الله صلى الله عليه وآله وهي جائية من الشام فطردها أبوسفيان وساحل بها فلم يظفر المسلمون بها ولعنه رسول الله صلى الله عليه وآله ودعا عليه فكانت وقعة بدر

لاجلها والثالثة يوم أحد حيث وقف تحت الجبل ورسول الله صلى الله عليه وآله في أعلاه وهو ينادي أعل هبل مرارا فلعنه رسول الله صلى الله عليه وآله عشر مرات ولعنه المسلمون والرابعة يوم جاء بالاحزاب وغطفان واليهود فلعنه رسول الله وابتهل والخامسة يوم جاء أبوسفيان في قريش فصدوا رسول الله صلى الله عليه وآله عن المسجد الحرام والهدي معكوفا أن يبلغ محله ذلك يوم الحديبية فلعن رسول الله صلى الله عليه وآله أباسفيان ولعن القادة والاتباع وقال ملعونون كلهم وليس فيهم من يؤمن فقيل يارسول الله أفما يرجى الاسلام لاحد منهم فكيف باللعنة فقال لا تصيب اللعنة أحدا من الاتباع وأما القادة فلا يفلح منهم أحد والسادسة يوم الجمل الاحمر والسابعة يوم وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وآله في العقبة ليستنفروا ناقته وكانوا اثنى عشر رجلا منهم أبوسفيان فهذا لك يامعاوية وأما أنت ياابن العاص فان أمرك مشترك وضعتك أمك مجهولا من عهر وسفاح فتحاكم فيك أربعة من قريش فغلب عليك جزارها ألأمهم حسبا وأخبثهم منصبا ثم قام أبوك فقال أنا شانئ محمد الابتر فانزل الله فيه ما أنزل وقاتلت رسول الله صلى الله عليه وآله في جميع المشاهد وهجوته وآذيته بمكة وكدته كيدك كله وكنت من أشد الناس له تكذيبا وعداوة ثم خرجت تريد النجاشي مع أصحاب السفينة لتأتي بجعفر وأصحابه الى أهل مكة فلما أخطأك مارجوت ورجعك الله خائبا وأكذبك واشيا جعلت حدك على صاحبك عمارة بن الوليد فوشيت به الى النجاشي حسدا لما ارتكب من حليلته ففضحك الله وفضح صاحبك فانت عدو بني هاشم في الجاهلية والاسلام ثم انك تعلم وكل هؤلاء الرهط يعلمون أنك هجوت رسول الله صلى الله عليه وآله بسبعين بيتا من الشعر فقال رسول الله صلى الله عليه وآله اللهم اني لا أقول الشعر ولا ينبغي لي اللهم العنه بكل حرف ألف لعنة فعليك اذا من الله مالا يحصى من اللعن وأما ماذكرت من أمر عثمان فانت سعرت عليه الدنيا نارا ثم لحقت بفلسطين فلما أتاك قتله قلت أنا أبو عبد الله اذا نكأت قرحة أدميتها ثم حبست نفسك الى معاوية وبعت دينك بدنياه فلسنا نلومك على بغض ولا نعاتبك على ود و بالله مانصرت عثمان حيا ولا غضبت له مقتولا و يحك ياابن العاص ألست القائل في بني هاشم لما خرجت من مكة الى النجاشي

تقول ابنتي أين هذا الرحيل * وما السير مني بمستنكر
فقلت ذريني فاني امرؤ * أريد النجاشي في جعفر
لاكويه عنده كية * أقيم بها نخوة الاصعر
وشانئ أحمد من بينهم * وأقولهم فيه بالمنكر
وأجري الى عتبة جاهدا * ولو كان كالذهب الاحمر
ولا أنثني عن بني هاشم * وما اسطعت في الغيب والمحضر
فان قبل العتب مني له * والا لويت له مشفري

فهذا جوابك هل سمعته وأما أنت ياوليد فوالله ما ألومك على بغض علي وقد جلدك ثمانين في الخمر وقتل أباك بين يدي رسول الله صبرا وأنت الذي سماه الله الفاسق وسمى عليا المؤمن حيث تفاخرتما فقلت له اسكت ياعلي فانا أشجع منك جنانا وأطول منك لسانا فقال لك علي اسكت ياوليد فانا مؤمن وأنت فاسق فانزل الله تعالى في موافقة قوله أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون ثم أنزل فيك على موافقة قوله أيضا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا و يحك ياوليد مهما نسيت فلا تنس قول الشاعر فيك وفيه

أنزل الله والكتاب عزيز * في علي وفي الوليد قرانا
فتبوا الوليد اذ ذاك فسقا * وعلي مبوء ايمانا
ليس من كان مؤمنا عمرك الله كمن كان فاسقا خوانا
سوف يدعى الوليد بعد قليل * وعلي الى الحساب عيانا
فعلي يجزى بذاك جنانا * ووليد يجزى بذاك هوانا

رب جـد لعقبـة بن أبان * لابس فى بـلادنا تبانا

وما أنت وقريش انما أنت علج من أهل صفورية وأقسم بالله لأنت أكبر فى الميلاد وأسن ممن تدعى اليه وأما أنت ياعتبة فوالله ما أنت بحصيف فأجيبك ولا عاقل فاحاورك وأعاتبك وما عندك خير يرجى ولا شر يتقى وما عقلك وعقل أمتك الاسواء وما يضر عليا لوسببته على رؤس الاشهاد وأما وعيدك اياى بالقتل فهلا قتلت اللحيانى اذ وجدته على فراشك أما تستحيى من قول نصر بن حجاج فيك

يا للرجال وحادث الازمان * ولسبة تخزى أبا سفيان

نبئت عتبة خانه فى عرسه * جنس لئيم الاصل من لحيان

وبعد هذا ما أربأ بنفسى عن ذكره لفحشه فكيف يخاف أحد سيفك ولم تقتل فاضحك وكيف ألومك على بغض على وقد قتل خالك الوليد مبارزة يوم بدر وشرك حمزة فى قتل جدك عتبة وأوحدك من أخيك حنظلة فى مقام واحد وأما أنت يامغيرة فلم تكن بخليق ان تقع فى هذا وشبهه وانما مثلك مثل البعوضة اذ قالت للنخلة استمسكى فانى طائرة عنك فقالت النخلة وهل علمت بك واقعة على فاعلم بك طائرة عنى والله مانشعر بعداوتك ايانا ولا اغتممنا اذ علمنا بها ولا يشق علينا كلامك وان حد الله فى الزنا لثابت عليك ولقد درأ عمر عنك حقا الله سائله عنه ولقد سألت رسول الله صلى الله عليه وآله هل ينظر الرجل الى المرأة يريد أن يتزوجها فقال لا بأس بذلك يامغيرة مالم ينو الزنا لعلمه بانك زان وأما فخركم علينا بالامارة فان الله تعالى يقول واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ثم قام الحسن فنفض ثوبه فانصرف فتعلق عمرو بن العاص بثوبه وقال ياأمير المؤمنين قد شهدت قوله فى وقذفه أمى بالزنا وأنا مطالب له بحد القذف فقال معاوية خل عنه لاجزاك الله خيرا فتركه فقال معاوية قد أنبأتكم انه ممن لا تطاق عارضته ونهيتكم ان تسبوه فعصيتمونى والله ماقام حتى أظلم على البيت قوموا عنى فلقد فضحكم الله وأخزاكم بترككم الحزم وعدولكم عن راى الناصح المشفق والله المستعان وروى الشعبى قال دخل عمرو بن العاص على معاوية يسأله حاجة وقد كان بلغ معاوية عنه ما كرهه فكره قضاءها وتشاغل فقال عمرو يامعاوية ان السخاء فطنة واللؤم تغافل والجفاء ليس من أخلاق المؤمنين فقال معاوية ياعمرو بماذا تستحق منا قضاء الحوائج العظام فغضب عمرو وقال باعظم حق وأوجبه اذ كنت فى بحر عجاج فلولا عمرو لغرقت فى أقل مائه وأرقه ولكنى دفعتك فيه دفعة فصرت فى وسطه ثم دفعتك فيه أخرى فصرت فى أعلى المواضع منه فمضى حكمك ونفذ أمرك وانطلق لسانك بعد تلجلجه وأضاء وجهك بعد ظلمته وطمست لك الشمس بالعهن المنفوش وأظلمت لك القمر بالليلة المدلهمة فتناوم معاوية وأطبق جفنيه مليا فخرج عمرو فاستوى معاوية جالسا وقال لجلسائه أرأيتم ماخرج من فم ذلك الرجل ماعليه لو عرض ففى التعريض مايكفى ولكنه جبهنى بكلامه ورمانى بسموم سهامه فقال بعض جلسائه ياأمير المؤمنين ان الحوائج لتقضى على ثلاث خصال اما أن يكون السائل لقضاء الحاجة مستحقا فتقضى له بحقه واما أن يكون السائل لئيما فيصون الشريف نفسه عن لسانه فيقضى حاجته واما أن يكون المسؤل كريما فيقضيها لكرمه صغرت أو كبرت فقال معاوية لله أبوك ما أحسن مانطقت وبعث الى عمرو فأخبره وقضى حاجته ووصله بصلة جليلة فلما أخذها ولى منصرفا فقال معاوية فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذاهم يسخطون فسمعها عمرو فالتفت اليه مغضبا فقال والله يامعاوية لا أزال آخذ منك قهرا ولا أطيع لك أمرا وأحفر لك بئرا عميقا اذا وقعت فيه لم تدرك الا رميا فضحك معاوية فقال ما أدراك ياأبا عبد الله بالكلمة وانما كانت آية تلوتها من كتاب الله عرضت بقلبى فاصنع ماشئت *وروى المدائنى قال بينا معاوية يوما جالسا وعنده عمرو بن العاص اذ قال الآذن قد جاء عبد الله بن جعفر بن أبى طالب فقال عمرو والله لأسوأنه اليوم فقال معاوية لاتفعل ياأبا عبد الله فانك لاتنتصف منه ولعلك ان تظهر لنا من منقبته ماهو خفى عنا ومالانحب أن نعلمه منه وغشيهم عبد الله بن جعفر فادناه معاوية وقربه فمال عمرو الى بعض جلساء معاوية فنال من على عليه السلام جهارا غير ساتر له وثلبه ثلبا قبيحا فالتمع لون عبد الله واعتراه

أفكل حتى أرعدت خصائله ثم نزل عن السرير كالفنيق فقال عمرو مه ياأبا جعفر فقال له عبد الله مه لا أم لك ثم قال

أظن الحلم دل على قومى * وقد يتجهل الرجل الحليم

ثم حسر عن ذراعيه وقال يامعاوية حتام تتجرع غيظك والى كم الصبر على مكروه قولك وسيىء أدبك وذميم أخلاقك هبلتك الهبول أما يزجرك ذمام المجالسة عن القذع لجليسك اذا لم تكن لك حرمة من دينك تنهاك عما لا يجوز لك أما والله لوعطفتك أواصر الارحام أو حاميت على سهمك من الاسلام ما أوعيت بنى الاماء المتك والعبيد السك اعراض قومك وما يجهل موضع الصفوة الا أهل الجفوة وانك لتعرف وشائك قريش وصفوة غرائزها فلا يدعونك تصويب مافرط من خطئك فى سفك دماء المسلمين ومحاربة أمير المؤمنين الى التمادى فيما قد وضح لك الصواب فى خلافه فاقصد لمنهج الحق فقد طال عمهك عن سبيل الرشد وخبطك فى ديجور ظلمة الغى فان أبيت ان لاتتابعنا فى قبح اختيارك لنفسك فاعفنا عن سوء القالة فينا اذا ضمنا واياك الندى وشأنك وماتريد اذا خلوت والله حسيبك فوالله لولا ماجعل الله لنا فى يديك لما أتيناك ثم قال انك ان كلفتنى مالم أطق ساءك ماسرتمنى من خلق فقال معاوية ياأبا جعفر نغير الخطأ أقسمت عليك لتجلسن لعن الله من أخرج ضب صدرك من وجاره محمول لك ماقلت ولك عندنا ما أملت فلو لم يكن مجدك ومنصبك لكان خلقك وخلقك شافعين لك الينا وأنت ابن ذى الجناحين وسيد بنى هاشم فقال عبد الله كلا بل سيد بنى هاشم حسن وحسين لا ينازعهما فى ذلك أحد فقال أبا جعفر أقسمت عليك لما ذكرت حاجة لك الا قضيتها كائنة ما كانت ولو ذهبت بجميع ما أملك فقال أما فى هذا المجلس فلا ثم انصرف فأتبعه معاوية بصره فقال والله لكأنه رسول الله صلى الله عليه وآله مشيه وخلقه وخلقه وانه لمن مشكاته لوددت انه أخى بنفيس ما أملك ثم التفت الى عمرو فقال أبا عبد الله ماتراه منعه من الكلام معك قال مالاخفاء به عنك قال أظنك تقول انه هاب جوابك لا والله ولكنه ازدراك واستحقرك ولم يرك للكلام أهلا أما رأيت اقباله على دونك ذاهبا بنفسه عنك فقال عمرو فهل لك أن تسمع ما أعددته لجوابه قال معاوية أرغب اليك أبا عبد الله فلات حين جواب فيما برى اليوم ونهض معاوية وتفرق الناس وروى المدائنى أيضا قال وفد عبد الله بن عباس على معاوية مرة فقال معاوية لابنه يزيد ولزياد بن سمية وعتبة بن أبى سفيان ومروان بن الحكم وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن أم الحكم انه قد طال العهد بعبد الله بن عباس وما كان شجر بيننا وبينه وبين ابن عمه ولقد كان نصبه للتحكيم فدفع عنه فحركوه على الكلام لنبلغ حقيقة صفته ونقف على كنه معرفته ونعرف ماصرف عنا من شباحده ووورى عنا من دهاء رأيه فربما وصف المرء بغير ماهو فيه وأعطى من النعت والاسم مالا يستحقه ثم أرسل الى عبد الله بن عباس فلما دخل واستقر به المجلس ابتدأه ابن أبى سفيان فقال يا ابن عباس مامنع عليا أن يوجه بك حكما فقال أما والله لو فعل لقرن عمرا بصعبة من الابل يوجع كتفيه مراسها ولأذهلت عقله وأجرضته بريقه وقدحت فى سويداء قلبه فلم يبرم أمرا ولم ينفض ترابا الا كنت منه بمرأى ومسمع فان نكثه أرمت قواه وان أرمه فصمت عراه بغرب مقول لايفل حده واصالة رأى كمتاح الاجل لاوزر منه أصدع به أديمه وأفل به شبا حده واشحذ به عزائم المتقين وأزيح به شبه الشاكين فقال عمرو بن العاص هذا والله ياأمير المؤمنين نجوم أول الشر وأفول آخر الخير وفى حسمه قطع مادته فبادره بالحلة وانتهز منه الفرصة واردع بالتنكيل به غيره وشرد به من خلفه فقال ابن عباس يا ابن النابغة ضل والله عقلك وسفه حلمك ونطق الشيطان على لسانك هلا توليت ذلك بنفسك يوم صفين حين دعيت نزال وتكافح الابطال وكثرت الجراح وتقصفت الرماح وبرزت الى أمير المؤمنين مصاولا فانكفأ نحوك بالسيف حاملا فلما رأيت الكواثر من الموت أعددت حيلة السلامة قبل لقائه والانكفاء عنه بعد اجابة دعائه فمنحته رجاء النجاة عورتك وكشفت له خوف بأسه سوأتك حذرا ان يصطلمك بسطوته أو يلتهمك بحملته ثم أشرت على معاوية كالناصح له بمبارزته وحسنت له التعرض لمكافحته رجاء أن تكتفى مؤنته وتعدم صورته فعلم غل صدرك وما انحنت عليه من النفاق أضلعك وعرف مقر سهمك فى غرضك فاكفف غرب لسانك

واقع عوراء لفظك فانك لمن أسد خادر و بحر زاخر ان تبرزت للاسد افترسك وان عمت فى البحر قتلك فقال مروان ابن الحكم يا ابن عباس انك لتصرف بنابك وتورى نارك كانك ترجوا الغلبة وتؤمل العافية ولولا حلم أمير المؤمنين عنكم لتناولكم بأقصر أنامله فأوردكم منهلا بعيدا اصدره ولعمرى لئن سطا بكم ليأخذن بعض حقه منكم ولئن عفا عن جرائركم فقديما ما نسب الى ذلك فقال ابن عباس وانك لتقول ذلك يا عدو الله وطريد رسول الله والمباح دمه والداخل بين عثمان ورعيته بما حملهم على قطع أوداجه وركوب اثباجه أما والله لوطلب معاوية ثاره لاخذك به ولونظر فى أمر عثمان لوجدك أوله وآخره وأما قولك لى انك لتصرف بنابك وتورى نارك فسل معاوية وعمرا يخبراك ليلة الهرير كيف ثباتنا للمثلات واستخفافنا بالعضلات وصدق جلادنا عند المصاولة وصبرنا على اللأواء والمطاولة ومصافحتنا بجباهنا السيوف المرهفة ومباشرتنا بنحورنا حد الاسنة هل خمنا عن كرائم تلك المواقف أم لم نبذل مهجنا للمتالف وليس لك اذ ذاك فيها مقام محمود ولا يوم مشهود ولا أثر معدود وانهما شهدا مالو شهدت لاقلقك فاربع على ظلعك ولا تتعرض لما ليس لك فانك كالمغروز فى صفد لا يهبط برجل ولا يرقأ بيد فقال زياد يا ابن عباس انى لأعلم ما منع حسنا وحسينا من الوفود معك على أمير المؤمنين الا ما سولت لهما أنفسهما وغرهما به من هو عند البأساء يسلمهما وايم الله لو وليتهما لأدأبا فى الرحلة الى أمير المؤمنين أنفسهما ولقل بمكانهما لبثهما فقال ابن عباس اذن والله يقصر دونهما باعك و يضيق بهما ذراعك ولو رمت ذلك لوجدت من دونهما فئة صدقا صبرا على البلاء لا يخيمون عن اللقاء فلعركوك بكلا كلهم ووطئوك بمناسمهم وأوجروك مشق رماحهم وشفار سيوفهم ووخز أسنتهم حتى تشهد بسوء ما أتيت وتتبين ضياع الحزم فيما جنيت فحذار حذار من سوء النية فانها ترد الأمنية وتكون سبب الفساد هذين الحيين بعد صلاحهما وسعيا فى اختلافهما بعد ائتلافهما حيث لا يضرهما ابساسك ولا يغنى عنهما ايناسك فقال عبد الرحمن بن أم الحكم لله در ابن ملجم فقد بلغ الامل وأمن الوجل وأحد الشفرة وألان المهرة وأدرك الثار ونفى العار وفاز بالمنزلة العليا ورقى الدرجة القصوى فقال ابن عباس أما والله لقد كرع كاس حتفه بيده وعجل الله الى النار بروحه ولو أبدى لامير المؤمنين صفحته لخالطه الفحل القطم والسيف الخزم ولألعقه صابا وسقاه سماما وألحقه بالوليد وعتبة وحنظلة فكلهم كان أشد منه شكيمة وأمضى عزيمة ففرى بالسيف هامهم ورملهم بدمائهم وقرى الذياب اشلاءهم وفرق بينهم و بين أحبائهم أولئك حصب جهنم هم لها واردون فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ولا غروان ختل ولا وصمة ان قتل فانا لكما قال دريد بن الصمة

فانا للحم السيف غير مكره ❁ ونلحمه طورا وليس بذى نكر
يغار علينا واترين فيشتفى ❁ بنا ان أصبنا أو نغير على وتر

فقال المغيرة بن شعبة أما والله لقد أشرت على على بالنصيحة فآثر رأيه ومضى على غلوائه فكانت العاقبة عليه لا له وانى لأحسب ان خلفه يقتدون بمنهجه فقال ابن عباس كان والله أمير المؤمنين عليه السلام أعلم بوجوه الرأى ومعاقد الحزم وتصريف الامور من ان يقبل مشورتك فيما نهى الله عنه وعنف عليه قال سبحانه لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله الى آخر الآية ولقد وقفك على ذكر مبين وآية متلوة قوله تعالى وما كنت متخذ المضلين عضدا وهل كان يسوغ له أن يحكم فى دماء المسلمين وفىء المؤمنين من ليس بمأمون عنده ولا موثوق به فى نفسه هيهات هيهات هو أعلم بفرض الله وسنة رسوله أن يبطن خلاف ما يظهر الا للتقية ولات حين تقية مع وضوح الحق وثبوت الجنان وكثرة الانصار يمضى كالسيف المصلت فى أمر الله مؤثرا لطاعة ربه والتقوى على آراء أهل الدنيا فقال يزيد بن معاوية يا ابن عباس انك لتنطق بلسان طلق تنبىء عن مكنون قلب حرق فاطوما أنت عليه كشحا فقد محا ضوء حقنا ظلمة باطلكم فقال ابن عباس مهلا يزيد فوالله ما صفت القلوب لكم منذ تكدرت بالعداوة عليكم ولا دنت بالمحبة اليكم مذ نأت بالبغضاء عنكم ولا رضيت اليوم منكم ما سخطت الامس من أفعالكم وان تدل الايام نستقض ما شذ عنا ونسترجع ما ابتززنا كيلا بكيل و وزنا بوزن وان تكن الاخرى فكفى بالله وليا لنا ووكيلا على المعتدين علينا فقال

معاوية ان فى نفسى منكم لحزازات يا بنى هاشم وانى لخليق ان أدرك فيكم الثار وأنفى العار فان دماءنا قبلكم وظلامتنا فيكم فقال ابن عباس والله ان رمت ذلك يا معاوية لتثيرن عليك أسدا مخدرة وأفاعى مطرقة لا يفثؤها كثرة السلاح ولا تعضها نكاية الجراح يضعون أسيافهم على عواتقهم يضربون قدما قدما من ناواهم يهون عليهم نباح الكلاب وعواء الذئاب لا يفاتون بوتر ولا يسبقون الى كريم ذكر قد وطنوا على الموت أنفسهم وسمت بهم الى العلياء هممهم كما قالت الازدية

قوم اذا شهدوا الهياج فلا ❁ ضرب ينهنههم ولا زجر
وكأنهم آساد غينة غرثت ❁ و بل متونها القطر

فلتكونن منهم بحيث أعددت ليلة الهرير للهرب فرسك وكان أكبر همك سلامة حشاشة نفسك ولولا طغام من أهل الشام وقوك بأنفسهم و بذلوا دونك مهجهم حتى اذا ذاقوا وخز الشفار وأيقنوا بحلول الدمار رفعوا المصاحف مستجيرين بها وعائذين بعصمتها لكنت شلوا مطروحا بالعراء تسفى عليك رياحها و يعتورك ذبابها وما أقول هذا أريد صرفك عن عزيمتك ولا ازالتك عن معقود نيتك لكن الرحم التى تعطف عليك والاواصر التى توجب صرف النصيحة اليك فقال معاوية لله درك يا ابن عباس ما تكشف الايام منك الا عن سيف صقيل ورأى أصيل و بالله لولم يلد هاشم غيرك لما نقص عددهم ولولم يكن لاهلك سواك لكان الله قد كثرهم ثم نهض فقام ابن عباس وانصرف ❁وروى أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب فى أماليه ان عمرو بن العاص قال لعتبة بن أبى سفيان يوم الحكمين أما ترى ابن عباس قد فتح عينيه ونشر أذنيه ولوقدر أن يتكلم بهما فعل وان غفلة أصحابه لمجبورة بفطنته وهى ساعتنا الطولى فاكفنيه قال عتبة بجهدى قال فقمت فقعدت الى جانبه فلما أخذ القوم فى الكلام أقبلت عليه بالحديث فقرع يدى وقال ليست ساعة حديث قال فاظهرت غضبا وقلت يا ابن عباس ان ثقتك باحلامنا أسرعت بك الى أعراضنا وقد والله تقدم من قبلنا العذر وكثر منا الصبر ثم أقذعته فجاش لى مرجله وارتفعت أصواتنا فجاء القوم فأخذوا بايدينا فنحوه عنى ونحونى عنه فجئت فقربت من عمرو بن العاص فرمانى بمؤخر عينيه أى ما صنعت فقلت كفيتك التقوالة فحمحم كما يحمحم الفرس للشعير قال وفات ابن عباس أول الكلام فكره أن يتكلم فى آخره وقد ذكرنا نحن هذا الخبر فيما تقدم فى أخبار صفين على وجه آخر غير هذا الوجه❁فاما خبر عمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومى أخى خالد بن الوليد مع عمرو بن العاص فقد ذكره ابن اسحق فى كتاب المغازى قال كان عمارة بن الوليد بن المغيرة وعمرو بن العاص ابن وائل بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله خرجا الى أرض الحبشة على شركهما وكلاهما كان شاعرا عارما فاتكا وكان عمارة بن الوليد رجلا جميلا وسيما تهواه النساء صاحب محادثة لهن فركبا البحر ومع عمرو بن العاص امرأته حتى اذا صاروا فى البحر ليالى أصابا من خمر معهما فلما انتشى عمارة قال لامرأة عمرو بن العاص قبلينى فقال لها عمرو قبلى ابن عمك فقبلته فهويها عمارة وجعل يراودها عن نفسها فامتنعت منه ثم ان عمرا جلس على منجاف السفينة يبول فدفعه عمارة فى البحر فلما وقع عمرو سبح حتى أخذ بمنجاف السفينة فقال له عمارة أما والله لو علمت انك سابح ما طرحتك ولكننى كنت أظن أنك لا تحسن السباحة فضغن عمرو عليه فى نفسه وعلم أنه كان أراد قتله ومضيا على وجههما ذلك حتى قدما أرض الحبشة فلما نزلاها كتب عمرو الى أبيه العاص بن وائل أن اخلعنى وتبرأ من جريرتى الى بنى المغيرة وسائر بنى مخزوم وخشى على أبيه أن يتبع بجريرته فلما قدم الكتاب على العاص بن وائل مشى الى رجال بنى المغيرة و بنى مخزوم فقال ان هذين الرجلين قد خرجا حيث علمتم وكلاهما فاتك صاحب شر غير مأمونين على أنفسهما ولا أدرى ما يكون منهما وانى أبرأ اليكم من عمرو وجريرته فقد خلعته فقال عند ذلك بنو المغيرة و بنو مخزوم وأنت تخاف عمرا على عمارة ونحن فقد خلعنا عمارة وتبرأنا اليك من جريرته فخل بين الرجلين قال قد فعلت فخلعوهما وتبرأ كل قوم من صاحبهم وما يجرى منه قال فلما اطمأنا بارض الحبشة لم يلبث عمارة بن الوليد ان دب لامرأة النجاشى وكان جميلا صبيحا وسيما فادخلته فاختلف اليها وجعل اذا رجع من مدخله ذلك يخبر عمرا بما كان من أمره فيقول عمرو لا أصدقك أنك قدرت على هذا ان شأن هذه المرأة أرفع من ذلك فلما أكثر عليه عمارة بما كان يخبره وكان عمرو قد

علم صدقه وعرف أنه دخل عليها ورأى من حاله وهيئته وما تصنع المرأة به اذا كان معها وبيتونه عندها حتى يأتي اليه مع السحر ماعرف به ذلك وكانا في منزل واحد ولكنه كان يريد أن يأتيه بشئ لا يستطاع دفعه ان هو رفع شأنه الى النجاشي فقال له في بعض ما يتبذا كران من أمرها ان كنت صادقا فقل لها فلتدهنك بدهن النجاشي الذي لا يدهن به غيره فاني أعرفه وائتني بشئ منه حتى أصدقك قال أفعل فجاء في بعض ما يدخل اليها فسألها ذلك فدهنته منه وأعطته شيأ في قارورة فلما شمه عمرو عرفه فقال أشهد أنك قد صدقت لقد أصبت شيأ ما أصاب أحد من العرب مثله قط امرأة الملك ما سمعنا بمثل هذا وكانوا أهل جاهلية وشبانا وذلك في أنفسهم فضل لمن أصابه وقدر عليه ثم سكت عنه حتى اطمأن ودخل على النجاشي فقال أيها الملك ان معي سفيها من سفهاء قريش وقد خشيت أن يعترني عندك أمره وأردت ان أعلمك بشأنه وأن لا أرفع ذلك اليك حتى أثبت انه قد دخل على بعض نسائك فأكثر وهذا دهنك قد أعطته وادهن به فلما شم النجاشي الدهن قال صدقت هذا دهني الذي لا يكون الا عند نسائي فلما أثبت أمره دعا بعمارة ودعا نسوة أخر فجردوه من ثيابه ثم أمرهن ينفخن في احليله ثم خلى سبيله فخرج هاربا في الوحش فلم يزل في أرض الحبشة حتى كانت خلافة عمر بن الخطاب فخرج اليه رجال من بني المغيرة منهم عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة وكان اسم عبد الله قبل أن يسلم بحيرا فلما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وآله عبد الله فرصدوه على ماء بارض الحبشة كان يرده مع الوحش فزعموا أنه أقبل في حمر من حمر الوحش ليرد معها فلما وجد ريح الانس هرب منه حتى اذا أجهده العطش ورد فشرب حتى تملأ وخرجوا في طلبه قال عبد الله بن أبي ربيعة فسبقت اليه فالتزمته فجعل يقول أرسلني اني أموت ان أمسكتني قال فضبطته فمات في يدي مكانه فواروه ثم انصرفوا وكان شعره قد غطى كل شئ منه فقال عمرو بن العاص يذكر ما كان صنع به وما أراد من امرأته

تعلم عمار أن من شر سنة ✽ على المرء ان يدعى ابن عم له ابنما
أأن كنت ذا بردين أحوى مرجلا ✽ فلست براع لابن عمك محرما
اذا المرء لم يترك طعاما يحبه ✽ ولم ينه قلبا غاويا حيث يمما
قضى وطرا منه يسيرا وأصبحت ✽ اذا ذكرت أمثاله تملأ الفما

وأما خبر عمرو بن العاص في شخوصه الى الحبشة ليكيد جعفر بن أبي طالب والمهاجرين من المؤمنين عند النجاشي فقد رواه كل من صنف في السيرة قال محمد بن اسحق في كتاب المغازي قال حدثني محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام المخزومي عن أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله قالت لما نزلنا بارض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي أمننا على ديننا وعبدنا الله لا نؤذى كما كنا نؤذى بمكة ولا نسمع شيأ نكرهه فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا بينهم أن يبعثوا الى النجاشي في أمرنا رجلين منهم جلدين وان يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة وكان من أعجب ما يأتيه منه الادم فجمعوا أدما كثيرا ولم يتركوا من بطارقته بطريقا الا أهدوا اليه هدية ثم بعثوا بذلك مع عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي وعمرو بن العاص بن وائل السهمي وأمروهما أمرهم وقالوا لهما ادفعا الى كل بطريق هديته قبل أن تكلما النجاشي فيهم ثم قدموا الى النجاشي ونحن عنده في خير دار عند خير جار فلم يبق من بطارقته بطريق الا دفعا اليه هديته قبل أن يكلما النجاشي ثم قالا للبطارقة انه قد فر الى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم وجاؤا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم وقد بعثنا الى الملك أشراف قومهم لنردهم اليهم فاذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه أن يسلمهم الينا ولا يكلمهم فان قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم فقالوا لهما نعم ثم انهما قربا هدايا الملك اليه فقبلها منهم ثم كلماه فقالا له أيها الملك قد فر الى بلادك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك جاؤا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت وقد بعثنا فيهم اليك أشراف قومنا من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم عليهم فهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم وعاينوه منهم قالت أم سلمة ولم يكن شئ أبغض الى عبد الله بن أبي ربيعة

وعمرو

وعمرو بن العاص من أن يسمع النجاشي كلامهم فقالت بطارقة الملك وخواصه حوله صدقوا أيها الملك قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم فليسلمهم الملك اليهما ليرداهم الى بلادهم وقومهم فغضب الملك وقال لاها الله اذا لا أسلمهم اليهما ولا أخفر قوما جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على سواي حتى أدعوهم وأسألهم عما يقول هذان في أمرهم فان كانوا كما يقولون أسلمتهم اليهما ورددتهم الى قومهم وان كانوا على غير ذلك منعتهم منهم وأحسنت جوارهم ما جاوروني قالت ثم أرسل الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فدعاهم فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل اذا جئتموه قالوا نقول والله ما علمناه وما أمرنا به نبينا صلى الله عليه وآله كائنا ما هو كائن فلما جاؤه وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله سألهم فقال لهم ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الملل قالت أم سلمة وكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب فقال له أيها الملك انا كنا قوما في جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الارحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله عز وجل الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا عليه نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والاوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الامانة وصلة الرحم وحسن التجاور والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن سائر الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة وأمرنا ان نعبد الله لا نشرك به شيأ وبالصلاة والزكاة والصيام قال فعدد عليه أمور الاسلام كلها فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيأ وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا أي يفتنونا عن ديننا ليردونا على عبادة الاصنام والاوثان عن عبادة الله وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلدك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك فقال له النجاشي فهل معك مما جاء به صاحبكم عن الله شئ فقال جعفر نعم فقال اقرأه علي فقرأ عليه صدرا من كهيعص فبكى حتى اخضلت لحيته وبكت أساقفته حتى اخضلت لحاهم ثم قال النجاشي والله ان هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة والله لا أسلمكم اليهم قالت أم سلمة فلما خرج القوم من عنده قال عمرو ابن العاص والله لأعيبهم غدا عنده بما يستأصل به خضراءهم فقال له عبد الله بن أبي ربيعة وكان أتقى الرجلين لا تفعل فان لهم ارحاما وان كانوا قد خالفوا قال والله لأخبرنه غدا انهم يقولون في عيسى بن مريم انه عبد ثم غدا عليه من الغد فقال أيها الملك ان هؤلاء يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيما فارسل اليهم فسلهم عما يقولون فيه فارسل اليهم قالت أم سلمة فما نزل بنا مثلها واجتمع المسلمون وقال بعضهم لبعض ما تقولون في عيسى اذا سألكم عنه فقال جعفر بن أبي طالب نقول فيه والله ما قال عز وجل وما جاء به نبينا عليه السلام كائنا في ذلك ما هو كائن فلما دخلوا عليه قال لهم ما تقولون في عيسى بن مريم عليه السلام فقال جعفر نقول انه عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها الى مريم العذراء البتول قالت فضرب النجاشي يده على الارض وأخذ منها عودا وقال ما عدا عيسى بن مريم ما قال هذا العود قالت فقد كانت بطارقته تناخرت حوله حين قال جعفر ما قال فقال لهم النجاشي وان تناخرتم ثم قال للمسلمين اذهبوا فانتم سيوم بارضي أي آمنون من سبكم غرم ثم من سبكم غرم ثم من سبكم غرم ما أحب ان لي دينا ذهبا وأني آذيت رجلا منكم والدين بلسان الحبشة الجبل ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي فيها فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين ردني الى ملكي فآخذ الرشوة فيه وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه قالت فخرج الرجلان من عنده مقبوحين مردودة عليهما ما جاآ به وأقمنا عنده في خير دار مع خير جار فوالله انا لعلى ذلك اذ نزل به رجل من الحبشة ينازعه في ملكه قالت أم سلمة فوالله ما أصابنا خوف وحزن قط كان أشد من خوف وحزن نزل بنا أن يظهر ذلك الرجل على النجاشي فيأتي رجل لا يعرف من حقنا ما كان يعرف منه قالت وسار اليه النجاشي وبينهما عرض النيل فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من رجل يخرج حتى يحضر وقعة القوم ثم يأتينا بالخبر فقال الزبير بن العوام أنا وكان من أحدث المسلمين سنا فنفخوا له قربة فجعلها تحت صدره ثم سبح عليها حتى خرج الى ناحية النيل التي بها يلتقي القوم ثم انطلق حتى حضرهم

قالت ودعونا الله للنجاشى بالظهور على عدوه والتمكن له فى بلاده فوالله انا لعلى ذلك متوقعون لما هو كائن اذ طلع الزبير يسعى ويلوح بثوبه ويقول الا أبشروا فقد ظهر النجاشى وأهلك الله عدوه قالت فوالله ما أعلمنا فرحنا فرحة مثلها قط ورجع النجاشى وقد أهلك الله عدوه وتمكن ومكن له فى بلاده واستوثق له أمر الحبشة فكنا عنده فى خير منزل ودار الى أن رجعنا الى رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة وروى عبد الله بن جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال لقد كاد عمرو بن العاص عمنا جعفرا بارض الحبشة عند النجاشى وعند كثير من رعيته بانواع الكيد ردها الله تعالى عنه بلطفه رماه بالقتل والسرق والزنا فلم يلصق به شئ من تلك العيوب لما شاهده القوم من طهارته وعبادته ونسكه وسيما النبوة عليه فلما نبا معوله عن صفاته هيأ له سما قذفه اليه فى طعام فارسل الله هرا كفأ تلك الصفحة وقد مد يده نحوه ثم مات لوقته وقد أكل منها فتبين لجعفر كيده وغائلته فلم يأكل بعدها عنده ومازال ابن الجزار عدوا لنا أهل البيت *وأما خبر عمرو فى صفين واتقائه حملة على عليه السلام بطرحه نفسه وابداء سوأته فقد ذكره كل من صنف فى السير كتابا وخصوصا الكتب الموضوعة لصفين قال نصر بن مزاحم فى كتاب صفين قال حدثنا محمد بن اسحق عن عبد الله ابن أبى عمرو عن عبد الرحمن بن حاطب قال كان عمرو بن العاص عدوا للحرث بن نضر الخثعمى وكان من أصحاب على عليه السلام وكان على عليه السلام قد تهيبته فرسان الشام وملأ قلوبهم بشجاعته وامتنع كل منهم من الاقدام عليه وكان عمرو قلما جلس مجلسا الا ذكر فيه الحرث بن نضر الخثعمى وعابه فقال الحرث

ليس عمرو بتارك ذكره الحر * ث بالسوء او لاقى عليا
واضع السيف فوق منكبه الايـ * ـمن لا يحسب الفوارس شيا
ليت عمرا يلقاه فى حومة النقـ * ـع وقد أمست السيوف عصيا
حيث يدعو للحرب حامية القـ * ـوم اذا كان بالبراز مليا
فالقه ان أردت مكرمة الدهـ * ـر وأبه به ونادى اليا

فشاعت هذه الابيات حتى بلغت عمرا فاقسم بالله ليلقين عليا ولو مات ألف موتة فلما اختلطت الصفوف لقيه فحمل عليه برمحه فتقدم على عليه السلام وهو مخترط سيفا معتقل رمحا فلما رهقه همز فرسه ليعلو عليه فالقى عمرو نفسه عن فرسه الى الارض شاغرا برجليه كاشفا عورته فانصرف عنه لافتا وجهه مستدبرا له فعد الناس ذلك من مكارمه وسودده وضرب بها المثل قال نصر وحدثنى محمد بن اسحق قال اجتمع عند معاوية فى بعض ليالى صفين عمرو بن العاص وعتبة بن أبى سفيان والوليد بن عقبة ومروان بن الحكم وعبد الله بن عامر وابن طلحة الطلحات الخزاعى فقال عتبة ان أمرنا وأمر على بن أبى طالب لعجب مافينا الا موتور مجتاح أما أنا فقتل جدى عتبة بن ربيعة وأخى حنظلة وشرك فى دم عمى شيبة يوم بدر وأما أنت ياوليد فقتل أباك صبرا وأما أنت يا ابن عامر فصرع أباك وسلب عمك وأما أنت يا ابن طلحة فقتل أباك يوم الجمل وأيتم اخوتك وأما أنت يا مروان فكما قال الشاعر

وأفلتهن علباء جريضا * ولو أدركنه صفر الوطاب

فقال معاوية هذا الاقرار فاى غير غيرت قال مروان وأى غير تريد قال أريد أن تشجروه بالرماح قال والله يامعاوية ما أراك الا هاذيا أو هازئا وما أرانا الا ثقلنا عليك فقال ابن عقبة

يقول لنا معاوية بن حرب * أما فيكم لواتركم طلوب
يشد على أبى حسن على * بأسمر لا تهجنه الكعوب
فيشجره بأبيض مقضبى * ونقع الحرب مطرد يؤوب
فقلت له أتلعب يا ابن هند * كأنك بيننا رجل غريب
أتغرينا بحية بطن واد * اذا نهشت فليس لها طبيب
وما ضبع يدب ببطن واد * أتيح له به أسد مهيب

بأضعف حيلة منا اذا ما * لقيناه ولقياه عجيب
سوى عمرو وقته خصيتاه * وكان لقلبه منه وجيب
كأن القوم لما عاينوه * خلال النقع ليس لهم قلوب
لعمر وأبى معاوية بن حرب * وما ظنى ستلحقه العيوب
لقد ناداه فى الهيجا على * فاسمعه ولكن لا يجيب

فغضب عمرو وقال ان كان الوليد صادقا فليلق عليا أو فليقف حيث يسمع صوته وقال عمرو

يذكرنى الوليد دعا على * ونطق المرء يملأه الوعيد
متى يذكر مشاهده قريش * يطر من خوفه القلب الشديد
فاما فى اللقاء فاين منه * معاوية بن حرب والوليد
وعيرنى الوليد لقاء ليث * اذا ما شد هابته الاسود
لقيت ولست أجهله عليا * وقد بلت من العلق اللبود
فاطعنه ويطعننى خلاسا * وماذا بعد طعنته أريد
فرمها منه يا ابن أبى معيط * وأنت الفارس البطل النجيد
وأقسم لو سمعت ندا على * لطار القلب وانتفخ الوريد
ولو لاقيته شقت جيوب * عليك ولطمت فيك الخدود

وذكر أبو عمر بن عبد البر فى كتاب الاستيعاب فى باب بسر بن أرطاة قال كان بسر من الابطال الطغاة وكان مع معاوية بصفين فامره أن يلقى عليا عليه السلام فى القتال وقال له انى سمعتك تمنى لقاءه فلو أظفرك الله به وصرعته حصلت على الدنيا والآخرة ولم يزل يشجعه ويمنيه حتى رأى عليا فى الحرب فقصده والتقيا فصرعه على عليه السلام وعرض له معه مثل ما عرض له مع عمرو بن العاص فى كشف السوأة قال ابن عمرو وذكر ابن الكلبى فى كتابه فى أخبار صفين ان بسر بن أرطاة بارز عليا يوم صفين فطعنه على عليه السلام فصرعه فانكشف له فكف عنه كما عرض له مثل ذلك مع عمرو بن العاص وقال وللشعراء فيهما أشعار مذكورة فى موضعها من ذلك الكتاب منها فيما ذكر ابن الكلبى والمدائنى قول الحرث بن نضر الخثعمى وكان عدوا لعمرو بن العاص وبسر بن أرطاة

أفى كل يوم فارس لك ينتهى * وعورته وسط العجاجة بادية
يكف لها عنه على سنانه * ويضحك منها فى الخلاء معاوية
بدت أمس من عمرو فقنع رأسه * وعورة بسر مثلها حذو حاذية
فقولا لعمرو ثم بسر ألا انظرا * لنفسكما لا تلقيا الليث ثانية
ولا تحمدا الا الحيا وخصاكما * هما كانتا والله للنفس واقية
ولولاهما لم تنجوا من سنانه * وتلك هما منها الى العود ناهية
متى تلقيا الخيل المشيحة صبحة * وفيها على فاتركا الخيل ناحية
وكونا بعيدا حيث لا يبلغ القنا * نحوركما ان التجارب كافية

وروى الواقدى قال قال معاوية يوما بعد استقرار الخلافة له لعمرو بن العاص يا أبا عبد الله لا أراك الا ويغلبنى الضحك قال بماذا قال اذكر يوم حمل عليك أبو تراب فى صفين فاذريت نفسك فرقا من شبا سنانه وكشفت سوأتك له فقال عمرو أنا منك أشد ضحكا انى لأذكر يوم دعاك الى البراز فانتفخ سحرك وربا لسانك فى فمك وغصصت بريقك وارتعدت فرائصك وبدا منك ما أكره ذكره لك فقال معاوية لم يكن هذا كله وكيف يكون ودونى عك والاشعريون قال انك لتعلم أن الذى وصفت دون ما أصابك وقد نزل ذلك بك ودونك عك والاشعريون فكيف كانت حالك

لو جمعكما أفط الحرب قال يا أبا عبد الله خض بنا الهزل الى الجد ان الجبن والفرار من على لا عار على أحد فيهما ﴿ فأما القول فى اسلام عمرو بن العاص فقد ذكره محمد بن اسحق فى كتاب المغازى قال حدثنى زيد بن أبى حنيف عن راشد مولى حبيب بن أبى أوس الثقفى عن حبيب بن أبى أوس قال حدثنى عمرو بن العاص من فيه قال لما انصرفنا من الخندق جمعت رجالا من قريش كانوا يرون رأيى ويسمعون منى فقلت لهم والله انى لأرى أمر محمد يعلو الامور علوا منكرا وانى قد رأيت رأيا فما ترون فيه فقالوا ما رأيت فقلت أرى أن نلحق بالنجاشى فنكون عنده فان ظهر محمد على قومه أقمنا عند النجاشى فأن نكون تحت يديه أحب الينا من أن نكون تحت يدى محمد فان ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا قالوا ان هذا الرأى فقلت فاجمعوا ما نهدى له وكان أحب ما يأتيه من أرضنا الادم فجمعنا له أدما كثيرا ثم خرجنا حتى قدمنا عليه فوالله انا لعنده اذ قدم عمرو بن أمية الضمرى وكان رسول الله صلى الله عليه وآله بعثه اليه فى شأن جعفر بن أبى طالب وأصحابه قال فدخل عليه ثم خرج من عنده فقلت لأصحابى هذا عمرو بن أمية لو قد دخلت على النجاشى فسألته اياه فأعطانيه فضربت عنقه فاذا فعلت ذلك رأت قريش أنى قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد قال فدخلت عليه فسجدت له فقال مرحبا بصديقى أهديت الى من بلادك شيأ قلت نعم أيها الملك قد أهديت لك أدما كثيرة ثم قربته اليه فأعجبه واشتهاه ثم قلت له أيها الملك انى قد رأيت رجلا خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا فأعطنيه لأقتله فانه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا فغضب الملك ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت انه قد كسره فلو انشقت لى الارض لدخلت فيها فرقا منه ثم قلت أيها الملك والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه فقال أتسألنى ان أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الاكبر الذى كان يأتى موسى لتقتله فقلت أيها الملك أكذلك هو فقال اى والله أطعنى ويحك واتبعه فانه والله لعلى حق وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده قلت فبايعنى له على الاسلام فبسط يده فبايعته على الاسلام وخرجت عامدا لرسول الله صلى الله عليه وآله فلما قدمت المدينة جئت الى رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أسلم خالد بن الوليد وقد كان صحبنى فى الطريق اليه فقلت يا رسول الله أبايعك على أن تغفر لى ما تقدم من ذنبى ولم أذكر ما تأخر فقال بايع يا عمرو فان الاسلام يجب ما قبله وان الهجرة تجب ما قبلها فبايعته وأسلمت وذكر أبو عمر فى الاستيعاب أن اسلامه كان سنة ثمان وأنه قدم وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة المدينة فلما رآهم رسول الله قال رمتكم مكة بأفلاذ كبدها قال وقد قيل انه أسلم بين الحديبية وخيبر والقول الاول أصح قال أبو عمر وبعث رسول الله عمرا الى ذات السلاسل من بلاد قضاعة فى ثلثمائة وكانت أم العاص بن وائل من بلى فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله عمرا الى أرض بلى وعذرة يتألفهم بذلك ويدعوهم الى الاسلام فسار حتى اذا كان على ماء أرض جذام يقال له السلاسل وقد سميت تلك الغزاة ذات السلاسل خاف فكتب الى رسول الله صلى الله عليه وآله يستنجده فأمده بجيش فيه مائتا فارس فيه أهل الشرف والسوابق من المهاجرين والانصار فيهم أبو بكر وعمر وأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح فلما قدموا على عمرو قال عمرو أنا أميركم وانما أنتم مددى فقال أبو عبيدة بل أنا أمير من معى وأنت أمير من معك فأبى عمرو ذلك فقال أبو عبيدة ان رسول الله صلى الله عليه وآله عهد الى فقال اذا قدمت الى عمرو فتطاوعا ولا تختلفا فان خالفتنى أطعتك قال عمرو فانى أخالفك فسلم اليه أبو عبيدة وصلى خلفه فى الجيش كله وكان أميرا عليهم وكانوا خمسمائة قال أبو عمر وثم ولاه رسول الله صلى الله عليه وآله عمان فلم يزل عليها حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وعمل لعمر وعثمان ومعاوية وكان عمر بن الخطاب ولاه بعد موت يزيد بن أبى سفيان فلسطين والاردن وولى معاوية دمشق وبعلبك والبلقاء وولى سعيد بن عامر بن خذيم حمص ثم جمع الشام كلها لمعاوية وكتب الى عمرو بن العاص أن يسير الى مصر فسار اليها فافتتحها فلم يزل عليها واليا حتى مات عمر فأمره عثمان عليها أربع سنين ونحوها ثم عزله عنها وولاها عبد الله بن سعد العامرى قال أبو عمر ثم ان عمرو بن العاص ادعى على أهل الاسكندرية أنهم قد نقضوا العهد الذى كان عاهدهم فعمد اليها فحارب أهلها وافتتحها وقتل المقاتلة وسبى الذرية فنقم ذلك عليه عثمان ولم يصح عنده نقضهم العهد فأمر برد السبى الذى سبوا من القرى الى مواضعهم وعزل عمرا عن

مصر وولى عبد الله بن سعد بن أبى سرح العامرى مصر بدله فكان ذلك بدو الشر بين عمرو بن العاص وعثمان بن عفان فلما بدا بينهما من الشر ما بدا اعتزل عمرو فى ناحية فلسطين بأهله وكان يأتى المدينة أحيانا فلما استقر الامر لمعاوية بالشام بعثه الى مصر بعد تحكيم الحكمين فافتتحها فلم يزل بها الى أن مات أميرا عليها فى سنة ثلاث وأربعين وقيل سنة اثنين وأربعين وقيل سنة ثمان وأربعين وقيل سنة احدى وخمسين قال أبو عمر والصحيح أنه مات فى سنة ثلاث وأربعين ومات يوم عيد الفطر من هذه السنة وعمره تسعون سنة ودفن بالمقطم من ناحية السفح وصلى عليه ابنه عبد الله ثم رجع فصلى بالناس صلاة العيد فولاه معاوية مكانه ثم عزله وولى مكانه أخاه عتبة بن أبى سفيان قال أبو عمر وكان عمرو بن العاص من فرسان قريش وأبطالهم فى الجاهلية مذكورا فيهم بذلك وكان شاعرا حسن الشعر وأحد الدهاة المتقدمين فى الرأى والذكاء وكان عمر بن الخطاب اذا استضعف رجلا فى رأيه وعقله قال أشهد أن خالقك وخالق عمرو واحد يريد خالق الاضداد ونقلت أنا من كتب متفرقة كلمات حكمية تنسب الى عمرو بن العاص استحسنتها وأوردتها لانى لا أجحد لفاضل فضله وان كان دينه عندى غير مرضى فمن كلامه ثلاث لا أملهن جليسى ما فهم عنى وثوبى ما سترنى ودابتى ما حملت رحلى وقال لعبد الله بن عباس بصفين ان هذا الامر الذى نحن وأنتم فيه ليس بأول أمر قاده البلاء وقد بلغ الامر منا ومنكم ما ترى وما أبقت لنا هذه الحرب حياة ولا صبرا ولسنا نقول ليت الحرب عادت ولكنا نقول ليتها لم تكن كانت فافعل فيما بقى بغير ما مضى فانك رأس هذا الامر بعد على وانما هو آمر مطاع ومأمور مطيع ومبرز مأمون وأنت هو ولما نصب معاوية قميص عثمان على المنبر وبكى أهل الشام حوله قال قد هممت أن أدعه على المنبر فقال له عمرو انه ليس بقميص يوسف انه ان طال نظرهم اليه وبحثوا عن السبب وقفوا على ما لا تحب أن يقفوا عليه ولكن تدعهم بالنظر اليه فى الاوقات وقال ما وضعت سرى عند أحد فأفشاه فلمته لانى أحق باللوم منه اذ كنت أضيق به صدرا منه وقال ليس العاقل الذى يعرف الخير من الشر لكن العاقل من يعرف خير الشرين وقال عمر بن الخطاب لجلسائه يوما وعمرو فيهم ما أحسن الاشياء فقال كل منهم ما عنده فقال ما تقول أنت يا عمرو فقال الغمرات ثم ينجلينا وقال لعائشة لوددت أنك قتلت يوم الجمل قالت ولم لا أبا لك قال كنت تموتين بأجلك وتدخلين الجنة ونجعلك أكبر التشنيع على على بن أبى طالب عليه السلام وقال لبنيه يا بنى اطلبوا العلم فان استغنيتم كان جمالا وان افتقرتم كان مالا ومن كلامه أمير عادل خير من مطر وابل وأسد حطوم خير من سلطان ظلوم وسلطان ظلوم خير من فتنة تدوم وزلة الرجل عظم يجبر وزلة اللسان لا تبقى ولا تذر واستراح من لا عقل له وكتب اليه عمر يسأله عن البحر فكتب اليه خلق عظيم يركبه خلق ضعيف دود على عود بين غرق ونزق وقال لعثمان وهو يخطب على المنبر يا عثمان انك قد ركبت بهذه الامة نهابية من الامر وزغت فزاغوا فاعتدل أو اعتزل ومن كلامه استوحش من الكريم الجائع ومن اللئيم الشبعان فان الكريم يصول اذا جاع واللئيم يصول اذا شبع وقال جمع العجز الى التوانى فنتج بينهما الندامة وجمع الجبن الى الكسل فنتج بينهما الحرمان وروى عبد الله بن عباس قال دخلت على عمرو بن العاص وقد احتضر فقلت يا أبا عبد الله كنت تقول أشتهى أنى أرى عاقلا يموت حتى أسأله كيف تجد قال أجد السماء كأنها مطبقة على الارض وأنا بينهما وأرانى كأنما أتنفس من خرق ابرة ثم قال اللهم خذ منى حتى ترضى ثم رفع يده فقال اللهم أمرت فعصينا ونهيت فركبنا فلا برى فأعتذر ولا قوى فأنتصر ولكن لا اله الا الله فجعل يرددها حتى فاض وقد روى أبو عمر بن عبد البر هذا الخبر فى كتاب الاستيعاب قال لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة قال اللهم أمرتنى فلم أأتمر وزجرتنى فلم أزدجر ووضع يده فى موضع الغل ثم قال اللهم لا قوى فأنتصر ولا برى فأعتذر ولا مستكبر بل مستغفر لا اله الا أنت فلم يزل يرددها حتى مات قال أبو عمر وحدثنى خلف بن قاسم قال حدثنى الحسن بن رشيق قال حدثنا الطحاوى قال حدثنا المزنى قال سمعت الشافعى يقول دخل ابن عباس على عمرو بن العاص فى مرضه يسلم عليه فقال كيف أصبحت يا أبا عبد الله قال أصبحت وقد أصلحت من دنياى قليلا وأفسدت من دينى كثيرا فلو كان الذى أصلحت هو الذى أفسدت والذى أفسدت هو الذى أصلحت لفزت ولو كان ينفعنى ان أطلب طلبت ولو كان ينجينى ان أهرب هربت فقد صرت كالمنخنق بين السماء والارض

لا أرقى بيدين ولا أهبط برجلين فعظني بعظة أنتفع بها يا ابن أخي فقال ابن عباس هيهات أبا عبد الله صار ابن أخيك
أخاك ولا تشاء أن تبلى الا تبليت كيف يؤمر برحيل من هو مقيم فقال عمرو وعلى حينها من حين ابن بضع وثمانين تقنطني
من رحمة ربي اللهم ان ابن عباس يقنطني من رحمتك فخذ مني حتى ترضى فقال ابن عباس هيهات أبا عبد الله أخذت
جديدا وتعطي خلقا قال عمرو ومالي ولك يا ابن عباس ما أرسل كلمة الا أرسلت نقيضها وروى أبو عمر في كتاب
الاستيعاب أيضا عن رجال فذكرهم وعددهم ان عمرا لما حضرته الوفاة قال له ابنه عبد الله وقد رآه يبكي لم تبكي أجزعا
من الموت قال لا والله ولكن لما بعده فقال له لقد كنت على خير فجعل يذكره صحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وفتوحه
بالشام فقال له عمرو تركت أفضل من ذلك شهادة أن لا اله الا الله اني كنت على ثلاثة أطباق ليس منها طبق الا عرفت نفسي
فيه كنت أول أمري كافرا فكنت أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وآله فلو مت حينئذ وجبت لي النار فلما
بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله كنت أشد الناس حياء منه فما ملأت منه عيني قط فلو مت يومئذ قال الناس هنيئا
لعمرو أسلم وكان على خير ومات على خير أحواله فرجوا له بالجنة ثم تلبثت بعد ذلك بالسلطان وباشياء فلا أدري أعلي أم
لي فاذا مت فلا تبكين علي باكية ولا يتبعني مادح ولا تقربوا من قبري نارا وشدوا على ازاري فاني مخاصم وسنوا على التراب
سنا فان جنبي الايمن ليس بأحق من جنبي الايسر ولا تجعلوا في قبري خشبة ولا حجرا واذا واريتموني فاقعدوا عندي
قدر نحر جزور وتقطيعها استأنس بكم * فان قلت فما الذي يقوله أصحابك المعتزلة في عمرو بن العاص قلت انهم يحكمون
على كل من شهد بصفين بما يحكم به على الباغي الخارج على الامام العادل ومذهبهم في صاحب الكبيرة اذا لم يتب معلوم
فان قلت أليس في هذه الاخبار ما يدل على توبته نحو قوله ولا مستكبر بل مستغفر وقوله اللهم خذ مني حتى ترضى
وقوله أمرت فعصيت ونهيت فركبت وهذا اعتراف وندم وهو معنى التوبة قلت ان قوله تعالى وليست التوبة للذين
يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن يمنع من كون هذا توبة وشروط التوبة وأركانها معلومة
وليس هذا الاعتراف والتأسف ليس منها في شيء وقال شيخنا أبو عبد الله أول من قال بالارجاء المحض معاوية وعمرو بن
العاص كانا يزعمان أنه لا يضر مع الايمان معصية ولذلك قال معاوية لمن قال له حاربت من تعلم وارتكبت ما تعلم فقال
وثقت بقوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا والى هذا المعنى أشار عمرو بقوله لابنه تركت أفضل من ذلك شهادة
أن لا اله الا الله * فأما ما كان يقوله عمرو بن العاص في علي عليه السلام لاهل الشام ان فيه دعابة يروم أن يعيبه بذلك
عندهم فأصل ذلك كلمة قالها عمر فتلقفها من تلقفها حتى جعلها أعداؤه عيبا له وطعنا عليه قال أبو العباس أحمد بن
يحيى ثعلب في كتاب الامالي كان عبد الله بن عباس عند عمر فتنفس عمر نفسا عاليا قال ابن عباس حتى ظننت ان أضلاعه
قد انفرجت فقلت له ما أخرج هذا النفس منك يا أمير المؤمنين الا هم شديد قال اي والله يا ابن عباس اني فكرت فلم أدر
فيمن أجعل هذا الامر بعدي ثم قال لعلك ترى صاحبك لها أهلا قلت وما يمنعه من ذلك مع جهاده وسابقته وقرابته وعلمه
قال صدقت ولكنه امرؤ فيه دعابة قلت فأين أنت من طلحة قال هو ذو البأو باصبعه المقطوعة قلت فعبد الرحمن قال
رجل ضعيف لو صار الامر اليه لوضع خاتمه في يد امرأته قلت فالزبير قال شكس لقس يلاطم في البقيع في صاع من بر
قلت فسعد بن أبي وقاص قال صاحب مقنب وسلاح قلت فعثمان قال أوه أوه مرارا ثم قال والله لئن وليها ليحملن بني
أبي معيط على رقاب الناس ثم لتنهضن اليه العرب فتقتله ثم قال يا ابن عباس انه لا يصلح لهذا الامر الا خصيف العقدة قليل
الغرة لا تأخذه في الله لومة لائم يكون شديدا من غير عنف لينا من غير ضعف جوادا من غير سرف ممسكا من غير وكف
قال ابن عباس وكانت هذه صفات عمر ثم أقبل علي فقال ان أحراهم أن يحملهم على كتاب ربهم وسنة نبيهم لصاحبك
والله لئن وليها ليحملنهم على المحجة البيضاء والصراط المستقيم واعلم ان الرجل ذا الخلق المخصوص لا يرى الفضيلة
الا في ذلك الخلق ألا ترى ان الرجل يبخل فيعتقد أن الفضيلة في الامساك والبخيل يعيب أهل السماح والجود وينسبهم
الى التبذير واضاعة الحزم وكذلك الرجل الجواد يعيب البخلاء وينسبهم الى ضيق النفس وسوء الظن وحب المال
والجبان يعتقد أن الفضيلة في الجبن ويعيب الشجاعة ويعتقد كونها خرقا وتغريرا بالنفس كما قال المتنبي

* يرى الجبناء أن الجبن حزم * والشجاع يعيب الجبان وينسبه الى الضعف ويعتقد أن الجبن ذل ومهانة وهكذا
القول في جميع الاخلاق والسجايا المقتسمة بين نوع الانسان ولما كان عمر شديد الغلظة وعر الجانب خشن الملمس
دائم العبوس كان يعتقد أن ذلك هو الفضيلة وأن خلافه نقص ولو كان سهلا طلقا مطبوعا على البشاشة وسماحة
الخلق لكان يعتقد ان ذاك هو الفضيلة وأن خلافه نقص حتى لو قدرنا أن خلقه حاصل لعلي عليه السلام وخلق علي
حاصل له لقال في علي لولا شراسة فيه فهو غير ملوم عندي فيما قاله ولا منسوب الى أنه أراد الغض من علي والقدح
فيه ولكنه أخبر عن خلقه ظانا أن الخلافة لا تصلح الا لشديد الشكيمة العظيم الوعورة وبمقتضى ما كان
يظنه من هذا المعنى تم خلافة أبي بكر بمشاركته اياه في جميع تدبيراته وسياسته وسائر أحواله لرفق وسهولة كانت
في أخلاق أبي بكر وبمقتضى هذا الخلق المتمكن عنده كان يشير على رسول الله صلى الله عليه وآله في
مقامات كثيرة وخطوب متعددة بقتل قوم كان يرى قتلهم وكان النبي صلى الله عليه وآله يرى استبقاءهم
واستصلاحهم فلم يقبل عليه السلام مشورته على هذا الخلق وأما اشارته عليه يوم بدر بقتل الاسرى حيث أشار أبو بكر
بالفداء فكان الصواب مع عمر ونزل القرآن بموافقته فلما كان في اليوم الثاني وهو يوم الحديبية أشار بالحرب وكره
الصلح فنزل القرآن بضد ذلك فليس كل وقت يصلح تجريد السيف ولا كل وقت يصلح اغماده والسياسة لا تجري على منهاج
واحد ولا تلزم نظاما واحدا وجملة الامر أنه رضي الله عنه لم يقصد عيب علي عليه السلام ولا كان عنده معيبا ولا
منقوصا ألا ترى أنه قال في آخر الخبر ان أحراهم ان وليها أن يحملهم على كتاب الله وسنة رسوله لصاحبك ثم أكد ذلك
بأن قال ان وليهم ليحملنهم على المحجة البيضاء والصراط المستقيم فلو كان أطلق تلك اللفظة وعنى بها ما حملها عليه الخصوم
لم يقل في خاتمة كلامه ما قاله وأنت اذا تأملت حال علي عليه السلام في أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وجدته بعيدا
عن أن ينسب الى الدعابة والمزاح لانه لم ينقل عنه شيء من ذلك أصلا لا في الشيعة ولا في كتب المحدثين وكذلك
اذا تأملت حاله في أيام الخليفتين أبي بكر وعمر لم تجد في كتب السيرة حديثا واحدا يمكن أن يتعلق به متعلق في دعابته
ومزاحه فكيف يظن بعمر أنه نسبه الى أمر لم ينقله عنه ناقل ولا ندد به صديق ولا عدو وانما أراد سهولة خلقه لا غير
وظن أن ذلك مما يفضي به الى ضعف ان ولي أمر الامة لاعتقاده ان قوام هذا الامر انما هو بالوعورة بناء على ما ألفته
نفسه وطبعت عليه سجيته والحال في أيام عثمان وأيام ولايته عليه السلام الامر كالحال فيما تقدم في انه لم يظهر عنه دعابة
ولا مزاح يسمى الانسان لاجله ذا دعابة ولعب ومن تأمل كتب السير عرف صدق هذا القول وعرف أن عمرو بن
العاص أخذ كلمة عمر اذ لم يقصد بها العيب فجعلها عيبا وزاد عليها أنه كثير اللعب يعافس النساء ويمارسهن وانه صاحب
هزل ولعمر الله لقد كان أبعد الناس من ذلك وأي وقت كان يتسع لعلي عليه السلام حتى يكون فيه على هذه الصفات
فان أزمانه كلها في العبادة والصلاة والذكر والفتاوى والعلم واختلاف الناس اليه في الاحكام وتفسير القرآن ونهاره كله
أو معظمه مشغول بالصوم وليله كله أو معظمه مشغول بالصلاة هذا في أيام سلمه فأما أيام حربه فبالسيف الشهير والسنان
الطرير وركوب الخيل وقود الجيوش ومباشرة الحروب ولقد صدق عليه السلام في قوله انني ليمنعني من اللعب ذكر
الموت ولكن الرجل الشريف النبيل الذي لا يستطيع أعداؤه أن يذكروا له عيبا أو يعدوا عليه وصمة لابد أن يحتالوا
ويبذلوا جهدهم في تحصيل أمر ما وان ضعف يجعلونه عذرا لانفسهم في ذمه ويتوسلون به الى أتباعهم في تحسينهم لهم
مفارقته والانحراف عنه وما زال المشركون والمنافقون يصنعون لرسول الله صلى الله عليه وآله الموضوعات وينسبون
اليه ما قد برأه الله عنه من العيوب والمطاعن في حياته وبعد وفاته الى زماننا هذا وما يزيده الله سبحانه الا رفعة وعلوا
فغير منكر ان يعيب عليا عليه السلام عمرو بن العاص وأمثاله من أعدائه بما اذا تأمله المتأمل علم أنهم باعتمادهم عليه
وتعلقهم به قد اجتهدوا في مدحه والثناء عليه لانهم لو وجدوا عيبا غير ذلك لذكروه ولو بالغ أمير المؤمنين وبذل جهده
في أن يثني أعداؤه وشانئوه عليه من حيث لا يعلمون لم يستطع الى أن يجد الى ذلك طريقا ألطف من هذه الطريق التي
أسلكهم الله تعالى فيها وهداهم الى منهاجها فظنوا أنهم يغضون منه وانما أعلوا شأنه ويضعون من قدره وانما رفعوا

منزلته ومكانه ونحن نذكر من بعد ما جاء في الاحاديث الصحاح والآثار المستفيضة المتفق على نقلها من مزاح رسول الله صلى الله عليه وآله ومن مزاح الاشراف والافاضل والاكابر من أصحابه والتابعين له ليعلم أن المزاح اذا لم يخرج عن القاعدة الشرعية لم يكن قبيحا فاول ذلك ما رواه الناس قاطبة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال اني أمزح ولا أقول الا حقا وقيل لسفيان الثوري المزاح هجنة فقال بل هو سنة لقول رسول الله صلى الله عليه وآله اني أمزح ولا أقول الا الحق وجاء في الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لامرأة من الانصار الحقي زوجك فان في عينه بياضا فسعت نحوه مرعوبة فقال لها ما دهاك فاخبرته فقال نعم ان في عيني بياضا لا لسوء فخفضي عليك فهذا من مزاح رسول الله صلى الله عليه وآله وأتت عجوز من الانصار اليه عليه السلام فسألته أن يدعو الله تعالى لها بالجنة فقال ان الجنة لا تدخلها العجز فصاحت فتبسم عليه السلام فقال انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا وفي الخبر ان امرأة استحملته فقال انا حاملوك ان شاء الله تعالى على ولد الناقة فجعلت تقول يا رسول الله وما أصنع بولد الناقة وهل يستطيع أن يحملني وهو يتبسم ويقول لا أحملك الا عليه حتى قال لها أخيرا وهل يلد الابل الا النوق وفي الخبر انه عليه السلام مر ببلال وهو نائم فضربه برجله وقال أنائمة أم عمرو فقام بلال مرعوبا فضرب بيده الى مذاكيره فقال له ما بالك قال ظننت أني تحولت امرأة قيل فلم يمزح رسول الله بعد هذه وفي الخبر أيضا ان نغرا كان لصبي من صبيان الانصار فطار من يده فبكى الغلام فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يمر به فيقول يا أبا عمير ما فعل النغير والغلام يبكي وكان يمازح ابني بنته مزاحا مشهورا وكان يأخذ الحسين عليه السلام فيجعله على بطنه وهو عليه السلام نائم على ظهره ويقول له حزقة حزقة ترق عين بقة وفي الحديث الصحيح المتفق عليه انه مر على أصحاب الدركلة وهم يلعبون ويرقصون فقال جدوا يا بني ارفدة حتى يعلم اليهود والنصارى أن في ديننا فسحة قال أهل اللغة الدركلة بكسر الدال والكاف لعبة للحبش فيها ترقص وبنو ارفدة جنس من الحبش يرقصون وجاء في الخبر انه سابق عائشة فسبقته ثم سابقها فسبقها فقال هذه بتلك وفي الخبر أيضا ان أصحاب الزفافة وهم الراقصون كانوا يقمعون باب حجرة عائشة فتخرج اليهم مستمعة ومبصرة فيخرج هو عليه السلام وهي من ورائه مستترة به وكان نعيمان وهو من أهل بدر أولع الناس بالمزاح عند رسول الله صلى الله عليه وآله وكان يكثر الضحك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله يدخل الجنة وهو يضحك وخرج نعيمان هو وسويبط بن عبد العزى وأبو بكر الصديق في تجارة قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله بعامين وكان سويبط على الزاد فكان نعيمان يستطعمه فيقول حتى يجيء أبو بكر فمر بركب من نجران فباعه نعيمان منهم على انه عبد له بعشر قلائص وقال لهم انه ذو لسان ولهجة وعساه يقول لكم أنا حر فقالوا لا عليك وجاؤا اليه فوضعوا عمامته في عنقه وذهبوا به فلما جاء أبو بكر أخبر بذلك فرده وأعاد القلائص اليهم فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه سنة من ذلك وروى ان اعرابيا باع نعيمان عكة عسل فاشتراها منه فجاء بها الى بيت عائشة في يومها وقال خذوها فظن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه أهداها اليه ومضى نعيمان فنزل الاعرابي على الباب فلما طال قعوده نادى يا هؤلاء اما ان تعطونا ثمن العسل أو تردوه علينا فعلم رسول الله صلى الله عليه وآله بالقصة وأعطى الاعرابي الثمن وقال لنعيمان ما حملك على ما فعلت قال رأيتك يا رسول الله تحب العسل ورأيت العكة مع الاعرابي فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله ولم ينكر عليه وسئل النخعي هل كان أصحاب رسول الله يضحكون ويمزحون فقال نعم والايمان في قلوبهم مثل الجبال الرواسي وجاء في الخبر ان يحيى عليه السلام لقي عيسى عليه السلام وعيسى متبسم فقال يحيى عليه السلام مالي أراك لاهيا كأنك آمن فقال عليه السلام مالي أراك عابسا كأنك آيس فقالا لا نبرح حتى ينزل علينا الوحي فاوحى الله اليهما أحبكما الي الطلق البسام أحسنكما ظنا بي وروى عن كبراء الصحابة رضي الله تعالى عنهم انهم كانوا يتمازحون ويتناشدون الاشعار فاذا خاضوا في الدين انقلبت حماليقهم وصاروا في صور أخرى وروى أن عبد الله بن عمر قال لجارية له خلقني خالق الخير وخلقك خالق الشر فبكت فقال لا عليك فان الله تعالى هو خالق الخير وهو خالق الشر قلت يعني بالشر المرض والغلاء ونحوهما وكان ابن سيرين ينشد

نبئت ان فتاة كنت أخطبها * عرقوبها مثل شهر الصوم في الطول

ثم يضحك حتى يسيل لعابه وجاء عبد الرحمن بن عوف الى باب عمر بن الخطاب فوجده مستلقيا على مرفقة له رافعا احدى رجليه على الاخرى منشدا بصوت عال

وكيف ثوائي بالمدينة بعدما * قضى وطرا منها جميل بن معمر

فلما دخل عبد الرحمن وجلس قال يا أبا محمد انا اذا خلونا قلنا كما يقول الناس وكان سعيد بن المسيب ينشد

لقد أصبحت عرس الفرزدق جامحا * ولو رضيت رمح استه لاستقرت

ويضحك حتى يستغرق وكان يقال لا بأس بقليل المزاح يخرج منه الرجل عن حد العبوس ومن كلام بعض الادباء ونحن نحمد الله اليك فان عقدة الاسلام في قلوبنا صحيحة وأواخيه عندنا ثابتة وقد اجتهد قوم أن يدخلوا قلوبنا من مرض قلوبهم وأن يشوبوا يقيننا بشكهم فعصم الله منهم وحال توفيقه دونهم ولنا بعد مذهب في الدعابة جميل لا يشوبه أذى ولا قذى يخرج بنا الى الانس من العبوس والى الاسترسال من القطوب ويلحقنا باحرار الناس الذين ارتفعوا عن لبسة الرياء وأنفوا من التشوف بالتصنع وقال ابن جريج سألت عطاء عن القراءة على الحان الغناء والحداء فقال لي لا بأس بذلك حدثني عبيد بن عمير الليثي انه كان لداود النبي عليه السلام معزفة قد يضرب بها اذا قرأ الزبور فتجمع اليه الطير والوحش فيبكي ويبكي من حوله وقال جابر بن عبد الله الجعفي رأيت الشعبي يقول لخياط يمازحه عندنا حب مكسور وأحب أن تخيطه فقال الخياط أحضر لي خيوطا من ريح لاخيطه لك وسئل الشعبي هل يجوز أن يؤكل الجني لو ظفر به فقال ليتنا نخرج منه كفافا لا لنا ولا علينا وسأل انسان محمد بن سيرين عن هشام بن حسان فقال توفي البارحة أما شعرت فخرج يسترجع فلما رأى ابن سيرين جزعه قرأ الله يتوفى الانفس حين موتها وكان زيد بن ثابت من أفكه الناس في بيته وأرفثهم وقد أباح الله تعالى الرفث الى النساء فقال أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن وقال أهل اللغة الرفث القول الفاحش تخاطب به المرأة حال الجماع ومر بالشعبي حمال على ظهره دن خل فوضع الدن وقال له ما كان اسم امرأة ابليس فقال الشعبي ذلك نكاح ما شهدناه وقال عكرمة ختن ابن عباس بنيه فارسلني فدعوت اللعابين فلعبوا فاعطاهم أربعة دراهم وتقدم رجلان الى شريح في خصومة فاقر أحدهما بما ادعي عليه وهو لا يدري فقضى شريح عليه فقال أصلحك الله أتقضي علي بغير بينة قال بلى شهد عندي ثقة قال ومن هو قال ابن أخت خالتك وجاء في الخبر أن النبي صلى الله عليه وآله مر بصهيب وهو أرمد يأكل تمرا فنهاه فقال انما آكله عن جانب العين الصحيحة يا رسول الله فضحك منه ولم ينكر عليه وفي الخبر أنه صلى الله عليه وآله مر بحسان بن ثابت وقد رش أطماره وعنده جارية تغنيه هل علي ويحكما ان لهوت من حرج فقال صلى الله عليه وآله لا حرج ان شاء الله وقيل ان عبد الله بن جعفر قال لحسان بن ثابت في أيام معاوية لو غنتك فلانة جاريتي صوت كذا لم تدرك ركابك فقال يا أبا جعفر فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير وقال أسلم مولى عمر بن الخطاب مر بي عمر وأنا وعاصم نغني غناء النصب فوقف وقال أعيدا علي فاعدناه عليه وقلنا أينا أحسن صنعة يا أمير المؤمنين فقال مثلكما كحماري العبادي قيل له أي حماريك شر فقال هذا ثم هذا فقلت يا أمير المؤمنين أنا الاول من الحمارين فقال أنت الثاني منهما ومر نعيمان وهو بدري بمخرمة بن نوفل في خلافة عثمان وقد كف بصره فقال ألا يقودني رجل حتى أبول فاخذ نعيمان بيده حتى صار به الى مؤخر المسجد وقال ههنا فبل فبال فصاح به الناس فقال من قادني قيل نعيمان قال لله علي ان أضربه بعصاي هذه فبلغ نعيمان فاتاه فقال بلغني أنك أقسمت لتضربن نعيمان فهل لك فيه قال نعم قال قم فقام معه حتى وافى به عثمان بن عفان وهو يصلي فقال دونك الرجل فجمع مخرمة يديه في العصا وضربه بها فصاح الناس ويلك أمير المؤمنين قال من قادني قالوا نعيمان قال ومالي ولنعيمان لا أعرض له أبدا وكان طويس يتغنى في عرس فدخل النعمان بن بشير الانصاري العرس وطويس يغنيهم

أجد بعمرة هجرانها * وتسخط أم شاننا شانها

فاشاروا اليه بالسكوت فقال النعمان دعوه انه لم يقل بأسا انما قال

وعمرة من سروات النسا * ء تنفح بالمسك أردانها

وعمرة هذه أم النعمان وفيها قيل هذا النسيب وقد روى عن جماعة من الصحابة والتابعين اللعب بالنرد والشطرنج ومنهم من روى عنهم شرب النبيذ وسماع الغناء المطرب فاما أمير المؤمنين على عليه السلام فاذا نظرت الى كتب الحديث والسير لم تجد أحدا من خلق الله عدوا ولا صديقا روى عنه شيأ من هذا الفن لا قولا ولا فعلا ولم يكن جدا أعظم من جده ولا وقار أتم من وقاره وما هزل قط ولا لعب ولا فارق الحق والناموس الديني سرا ولا جهرا وكيف يكون هازلا ومن كلامه المشهور عنه ما مزح امرؤ مزحة الا مج معها من عقله مجة ولكنه خلق على سجية لطيفة واخلاق سهلة ووجه طلق وقول حسن وبشر ظاهر وذلك من فضائله عليه السلام وخصائصه التي منحه الله بشرفها واختصه بمزيتها وانما كانت غلظته وفظاظته فعلا لا قولا وضربا بالسيف لا جبها بالقول وطعنا بالسنان لا عضها باللسان كما قال الشاعر

وتسفه أيدينا ويحلم رأينا ۞ ونشتم بالافعال لا بالتكلم

فاما سوء الخلق فلم يكن من سجاياه فقد قال النبي صلى الله عليه وآله خصلتان لا يجتمعان فى مؤمن البخل وسوء الخلق وقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وانك لعلى خلق عظيم وقال أيضا ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقيل لرسول الله صلى الله عليه وآله ما الشؤم فقال سوء الخلق وصحب جابر رجلا فى طريق مكة فآذاه سوء خلقه فقال جابر انى لأرحمه نحن نفارقه ويبقى معه سوء خلقه وقيل لعبد الله بن جعفر كيف تجاور بنى زهرة وفى أخلاقهم وعارة قال لا يكون لى قبلهم شئ الا تركته ولا يطلبون منى شيأ الا أعطيتهم وفى الحديث المرفوع أنه صلى الله عليه وآله قال ألا أنبئكم بشر الناس قالوا بلى يارسول الله قال من نزل وحده ومنع رفده وضرب عبده ثم قال ألا أنبئكم بشر من ذلك قالوا بلى قال من لم يقل عثرة ولا يقبل معذرة وقال ابراهيم بن عباس الصولى لو وزنت كلمة رسول الله صلى الله عليه وآله بمحاسن الخلق كلها لرجحت قوله انكم لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم باخلاقكم وفى الخبر المرفوع حسن الخلق زمام من رحمة الله فى أنف صاحبه والزمام بيد الملك والملك يجره الى الخير والخير يجره الى الجنة وسوء الخلق زمام من عذاب الله فى أنف صاحبه والزمام بيد الشيطان والشيطان يجره الى الشر والشر يجره الى النار وروى الحسن بن على عليه السلام عن النبى صلى الله عليه وآله ان الرجل يدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم وانه ليكتب جبارا ولا يملك الا أهله وروى أبو موسى الاشعرى قال بينا رسول الله صلى الله عليه وآله يمشى وامرأة بين يديه فقلت الطريق لرسول الله صلى الله عليه وآله فقالت الطريق معرض ان شاء أخذ يمينا وان شاء أخذ شمالا فقال صلى الله عليه وآله دعوها فانها جبارة وقال بعض السلف الحسن الخلق ذو قرابة عند الاجانب والسيء الخلق أجنبى عند أهله ومن كلام الاحنف ألا أخبركم بالمحمدة بلا مذمة الخلق السجيح والكف عن القبيح ألا أخبركم بادوأ الداء الخلق الدنى واللسان البذى وفى الحديث المرفوع أول ما يوضع فى الميزان الخلق الحسن وجاء مرفوعا أيضا المؤمن هين لين كالجمل الأنف ان قيد انقاد وان أنيخ على صخرة استناخ وجاء مرفوعا أيضا ألا أخبركم بأحبكم الى وأقربكم منى مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطؤن أكنافا الذين يألفون ويؤلفون ألا أخبركم بأبغضكم الى وأبعدكم منى مجالس يوم القيامة الثرثارون المتفيهقون ۞ أبو رجاء العطاردى من سره أن يكون مؤمنا حقا فليكن أذل من قعود كل من مر به ادعاه ۞ فضيل بن عياض لأن يصحبنى فاجر حسن الخلق أحب الى من أن يصحبنى عابد سيء الخلق لان الفاسق اذا حسن خلقه خف على الناس وأحبوه والعابد اذا ساء خلقه ثقل على الناس ومقتوه ۞ دخل فرقد ومحمد بن واسع على رجل يعودانه فجرى ذكر العنف والرفق فروى فرقد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قيل له على من حرمت النار يارسول الله قال على الهين اللين السهل القريب فلم يجد محمد بن واسع بياضا يكتب ذلك فيه فكتبه على ساقه ۞ عبد الله ابن الدارانى ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب ۞ عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وآله اذا أراد الله بأهل بيت خيرا أدخل عليهم باب رفق وعنها عنه صلى الله عليه وآله من أعطى حظه من الرفق أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة ۞ جرير بن عبد الله البجلى رفعه ان الله ليعطى على الرفق ما لا يعطى على الخرق فاذا أحب الله عبدا أعطاه الرفق وكان يقال ما دخل الرفق فى شئ الا زانه ۞ أبو عون الانصارى ما تكلم الانسان بكلمة عنيفة الا والى جانبها كلمة ألين

منها

منها يجرى مجراها سئلت عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت كان خلقه القرآن خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين وسئل ابن المبارك عن حسن الخلق فقال بسط الوجه وكف الاذى وبذل الندى ۞ ابن عباس ان الخلق الحسن يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجليد وان الخلق السيء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل ۞ على عليه السلام ما من شئ فى الميزان أثقل من خلق حسن وعنه عليه السلام عنوان صحيفة المؤمن حسن خلقه وعنه عليه السلام مرفوعا عليكم بحسن الخلق فانه فى الجنة واياكم وسوء الخلق فانه فى النار ۞ قال المنصور لاخيه أبى العباس فى بنى حسن لما أزمعوا الخروج عليه آنسهم يا أمير المؤمنين بالاحسان فان استوحشوا فالشر يصلح ما يعجز عنه الخير ولا تدع محمدا يمرح فى أعنة العقوق فقال أبو العباس يا أبا جعفر انه من شدد نفر ومن لان ألف والتغافل من سجايا الكرام ۞ ونحن نذكر بعد كلاما كليا فى سبب الغلظة والفظاظة وهو الخلق المنافى للخلق الذى كان عليه أمير المؤمنين فنقول انه قد يكون لامر عائد الى المزاج الجسمانى وقد يكون لامر راجع الى النفس فاما الاول فانما يكون من غلبة الاخلاط السوداوية وترمدها وعدم صفاء الدم وكثرة كدورته وعكره فاذا غلظ الدم ونحن غلظ الروح النفسانى ونحن أيضا لانه متولد من الدم فيحدث منه نوع مما يحدث لاصحاب الفطرة من الاستيحاش والنبوة عن الناس وعدم الاستئناس والبشاشة وصار صاحبه ذا جفاء واخلاق غليظة ويشبه أن يكون هذا سببا ماديا فان الذى يقوى فى نفسى ان النفوس ان صحت وثبتت مختلفة بالذات وأما الراجع الى النفس فان يجتمع عندها اسقاط وانصباء من قوى مختلفة مذمومة نحو ان تكون القوة الغضبية عندها متوفرة وينضاف اليها تصور الكمال فى ذاتها وتوهم النقصان فى غيرها فيعتقد ان حركات غيره واقعة على غير الصواب وان الصواب ما توهمه وينضاف الى ذلك قلة أدب النفس وعدم الضبط لها واستحقارها للغير ويقل التوقير له وينضاف الى ذلك لجاج وضيق فى النفس وحدة واستشاطة وقلة صبر عليه فيتولد من مجموع هذه الامور خلق دنى وهو الغلظة والفظاظة والوعورة والبادرة المكروهة وعدم حب الناس ولقاؤهم بالاذى وقلة المراقبة لهم واستعمال القهر فى جميع الامور وتناول الامر من السماء وهو قادر على أن يتناوله من الارض وهذا الخلق خارج عن الاعتدال وداخل فى حيز الجور ولا ينبغى أن يسمى باسماء المدح وأعنى بذلك ان قوما يسمون هذا النوع من العنف والخلق الوعر رجولية وشدة وشكيمة ويذهبون به مذهب قوة النفس وشجاعتها الذى هو بالحقيقة مدح وشتان بين الخلقين فان صاحب هذا الخلق الذى ذممناه تصدر عنه أفعال كثيرة يجور فيها على نفسه ثم على اخوانه على الاقرب فالاقرب من معامليه حتى ينتهى الى عبيده وحرمه فيكون عليهم سوط عذاب لا يقيلهم عثرة ولا يرحم لهم عبرة وان كانوا برآء من الذنوب غير مجرمين ولا مكتسبى سوء بل يتجرم عليهم ويهيج من أدنى سبب يجد به طريقا اليهم حتى يبسط يده ولسانه وهم لا يمتنعون منه ولا يتجاسرون على رده عن أنفسهم بل يذعنون له ويقرون بذنوب لم يقترفوها استكفافا لعاديته وتسكينا لغضبه وهو فى ذلك يستمر على طريقته لا يكف يدا ولا لسانا وأصل هذا الخلق الذى ذكرناه انه مركب من قوى مختلفة شدة القوة الغضبية فهى الحاملة لصاحب هذا الخلق على ما يصدر عنه من البادرة المكروهة والجبه والقحة وقد رأينا وشاهدنا من تشتد القوة الغضبية فيه فيتجاوز الغضب على نوع الانسان الى البهائم التى لا تعقل والى الاوانى التى لا تحس وربما قام الى الحمار والى البرذون فضربهما ولكمهما وربما كسر الآنية لشدة غضبه وربما عض القفل اذا تعسر عليه وربما كسر القلم اذا تعلقت به شعرة من الدواة واجتهد فى ازالتها فلم تزل ويحكى عن بعض ملوك اليونان المتقدمين أنه كان يغضب على البحر اذا هاج واضطرب وتأخرت سفنه عن النفوذ فيه فيقسم بمعبوده ليطمنه وليطرحن الجبال فيه حتى يصير أرضا يقف بنفسه على البحر ويهدده بذلك ويزجره زجرا عنيفا حتى تدر أوداجه ويشتد احرار وجهه ومنهم من لا يسكن غضبه حتى يصب عليه ماء باردا أو حتى يبول ولهذا ورد فى الشريعة الامر لمن اشتد غضبه أن يتوضأ للصلاة ويصلى وكان عمر ابن الخطاب اذا غضب على واحد من أهله لا يسكن غضبه حتى يعض يده عضا شديدا حتى يدميها وذكر الزبير بن بكار فى الموفقيات ان سرية جاءت لعبد الرحمن أو لعبيد الله بن عمر بن الخطاب اليه تشكوه فقالت يا أمير المؤمنين ألا تعذرنى

من أبي عيسى قال ومن أبو عيسى قال ابنك عبيد الله قال ويحك وقد تكنى بأبي عيسى ثم دعاه فقال ايها اكتنيت بأبي عيسى فحذر وفزع وأخذ يده فعضها ثم ضربه وقال ويلك وهل لعيسى أب أتدري ما كنى العرب أبو سلمة أبو حنظلة أبو عرفطة أبو مرة قال الزبير وكان عمر اذا غضب على بعض أهله لم يسكن غضبه حتى يعض يده عضا شديدا وكان عبد الله بن الزبير كذلك ولقوة هذا الخلق عنده أضمر عبد الله بن عباس في خلافته ابطال القول بالعول وأظهره بعده فقيل له هلا قلت هذا في أيام عمر فقال هبته وكان أميرا مهيبا ولذلك قال أيضا أبو سفيان في استلحاق زياد أخاف من هذا العير الجالس ان يخرق على اهابي فاذا هابه أبو سفيان وهو من بني عبد مناف في المنزلة التي تعلم وحوله بنو عبد شمس وهم جمرة قريش فما ظنك بمن هو دونه وقد علمت حال جبلة بن الايهم وارتداده عن الاسلام لتهدده له ووعيده اياه ان يضربه بالدرة وفساد الحال بينه وبين خالد بن الوليد بعد ان كان وليا مصافيا ومنحرفا عن غيره قاليا والشأن الذي كان بينه وبين طلحة حتى هم أن يوقع به وحتى هم طلحة أن يجاهره وطلحة هو الذي قال لأبي بكر عند موته ماذا تقول لربك وقد وليت فينا فظا غليظا وهو القائل له يا خليفة رسول الله انا كالا نحتمل شراسته وأنت حي تأخذ على يديه فكيف يكون حالنا معه وأنت ميت وهو الخليفة واعلم أنا لا نريد بهذا القول ذمه رضي الله عنه وكيف نذمه وهو أولى الناس بالمدح والتعظيم ليمن نقيبته وبركة خلافته وكثرة الفتوح في أيامه وانتظام أمور الاسلام على يده ولكنا أردنا أن نشرح حال العنف والرفق وحال سعة الخلق وضيقه وحال البشاشة والعبوس وحال الطلاقة والوعورة فنذكر كل واحد منها ذكرا كليا لا نخص به انسانا بعينه فاما عمر فانه وان كان وعرا شديدا خشنا فقد رزق من التوفيق والعناية الالهية ونجح المساعي وطاعة الرعية ونفوذ الحكم وقوة الدين وحسن النية وصحة الرأي ما يربي محاسنه ومحامده على ما في ذلك الخلق من نقص وليس الكامل المطلق الا الله تعالى وحده فاما حديث الرضيخة وما جعل معاوية لعمرو بن العاص من جعالة على مبايعته ونصرته فقد تقدم ذكره في أخبار صفين المشروحة في هذا الكتاب من قبل

(الاصل) ﴿ وَمِنْ خطبة لهُ عليه السلام ﴾

وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ * الأَوَّلُ لاَ شَيْءَ قَبْلَهُ * والآخِرُ لاَ غَايَةَ لَهُ * لاَ تَقَعُ الأَوْهَامُ لَهُ عَلَى صِفَةٍ ولاَ تُعْقَدُ القُلُوبُ مِنْهُ عَلَى كَيْفِيَّةٍ * ولاَ تَنَالُهُ التَّجْزِئَةُ والتَّبْعِيضُ * ولاَ تُحِيطُ بِهِ الأَبْصارُ والقُلُوبُ

(الشرح) في هذا الفصل على خصره ثمانية مسائل من مسائل التوحيد الاولى انه لا ثاني له سبحانه في الالهية والثانية انه قديم لا أول له فان قلت ليس يدل كلامه على القدم لانه قال الاول لا شيء قبله فيوهم كونه غير قديم بان يكون محدثا وليس قبله شيء لانه محدث عن عدم والعدم ليس بشيء قلت اذا كان محدثا كان له محدث فكان ذلك المحدث قبله فثبت انه متى صدق انه ليس شيء قبله صدق كونه قديما والثالثة انه أبدي لا انتهاء ولا انقضاء لذاته والرابعة نفي الصفات عنه أعني المعاني والخامسة نفي كونه مكيفا لان كيف انما يسئل بها عن ذوي الهيئات والاشكال وهو منزه عنها والسادسة انه غير متبعض لانه ليس بجسم ولا عرض والسابعة انه لا يرى ولا يدرك والثامنة ان ماهيته غير معلومة وهو مذهب الحكماء وكثير من المتكلمين من أصحابنا وغيرهم وأدلة هذه المسائل مشروحة في كتبنا الكلامية واعلم أن التوحيد والعدل والمباحث الشريفة الالهية ما عرفت الا من كلام هذا الرجل وان كلام غيره من أكابر الصحابة لم يتضمن شيأ من ذلك أصلا ولا كانوا يتصورونه ولو تصوروه لذكروه وهذه الفضيلة عندي أعظم فضائله عليه السلام

(الاصل) (ومنها) فاتَّعِظُوا عِبادَ اللهِ بِالْعِبَرِ النَّوَافِعِ واعْتَبِرُوا بِالآيِ السَّوَاطِعِ *

وازدجروا

وازْدَجِرُوا بِالنُّذُرِ البَوَالِغِ * وَانْتَفِعُوا بِالذِّكْرِ والمَوَاعِظِ * فَكَأَنْ قَدْ عَلِقَتْكُمْ مَخَالِبُ المَنِيَّةِ * وانْقَطَعَتْ مِنْكُمْ علاَئِقُ الأُمْنِيَّةِ * ودَهِمَتْكُمْ مُفْظِعاتُ الأُمُورِ * وَالسِّيَاقَةُ إلى الوِرْدِ المَوْرُودِ * فَكُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سائِقٌ وشَهِيدٌ * سائِقٌ يَسُوقُها إلَى مَحْشَرِها وَشاهِدٌ يَشْهَدُ عَلَيْها بِعَمَلِها

(الشرح) العبر جمع عبرة وهي ما يعتبر به أي يتعظ والآي جمع آية ويجوز ان يريد بها آي القرآن ويجوز أن يريد بها آيات الله في خلقه وفي غرائب الحوادث في العالم والسواطع المشرقة المنيرة والنذر جمع نذير وهو المخوف والاحسن أن يكون النذر ههنا هي الانذارات نفسها لانه قد وصف ذلك بالبوالغ وفواعل لا تكون في الاكثر الا صفة المؤنث ومفظعات الامور شدائدها الشنيعة أفظع الامر فهو مفظع ويجوز فظع الامر بالضم فظاعة فهو فظيع وافظع الرجل على ما لم يسم فاعله أي نزل به ذلك وقوله والسياقة الى الورد المورود يعني الموت وقوله سائق وشهيد وقد فسر عليه السلام ذلك وقال سائق يسوقها الى محشرها وشاهد يشهد عليها بعملها وقد قال بعض المفسرين ان الآية لا تقتضي كونهما اثنين بل من الجائز أن يكون ملكا واحدا جامعا بين الامرين كانه قال وجاءت كل نفس معها ملك يسوقها ويشهد عليها وكلام أمير المؤمنين يحتمل ذلك أيضا لانه لم يقل أحدهما لكن الاظهر في الاخبار والآثار انهما ملكان فان قلت اذا كان تعالى عالما بكل شيء فاي حاجة الى الملائكة التي تكتب الاعمال كما قال سبحانه بلى ورسلنا لديهم يكتبون واذا كان تعالى أعدل العادلين فاي حاجة الى ملك يشهد على المكلف يوم القيامة واذا كان قادرا لذاته فاي حاجة الى ملك يسوق المكلف الى المحشر قلت يجوز أن يكون في تقرير مثل ذلك في أنفس المكلفين في الدنيا ألطاف ومصالح لهم في أديانهم فيخاطبهم الله تعالى به لوجوب اللطف في حكمته واذا خاطبهم به وجب فعله في الآخرة لان خبره سبحانه لا يجوز الخلف عليه

(الاصل) (ومِنها في صِفَةِ الجَنَّةِ) دَرَجاتٌ مُتَفَاضِلاَتٌ * وَمَنازِلُ مُتَفاوِتاتٌ * لاَ يَنْقَطِعُ نَعِيمُها وَلاَ يَظْعَنُ مُقِيمُها * ولاَ يَهْرَمُ خالِدُها * وَلاَ يَيْأَسُ ساكِنُها

(الشرح) الدرجات جمع درجة وهي الطبقات والمراتب ويقال لها درجات في الجنة ودركات في النار وانما تفاضلت وتفاوتت بحسب الاعمال ولا يجوز أن يقع ذلك تفضلا لان التفضل بالثواب قبيح فان قلت فما قولك في الحور والولدان والاطفال والمجانين قلت يكون الواصل اليهم نعيما ولذة لا شبهة في ذلك ولكن لا ثواب لهم ولا ينالونه والثواب أمر أخص من المنافع والنعيم لانه منافع يقترن بها التعظيم والتبجيل وهذا الامر الاخص لا يحسن ايصاله الا الى أرباب العمل وقوله لا ينقطع نعيمها ولا يظعن مقيمها قول متفق عليه بين أهل الملة الا ما يحكى عن أبي الهذيل أن حركات أهل الجنة تنتهي الى سكون دائم وقد نزهه قوم من أصحابنا عن هذا القول وأكذبوا رواته ومن أثبته منهم عنه زعم انه لم يقل بانقطاع النعيم لكن بانقطاع الحركة مع دوام النعيم وانما حمله على ذلك انه لما استدل على ان الحركة الماضية يستحيل أن لا يكون لها أول عورض بالحركات المستقبلة لاهل الجنة والنار فالتزم انها متناهية وانما استبعد هذا عنه لانه كان أجل قدرا من ان يذهب عليه الفرق بين الصورتين وييأس مضارع بئس وجاء فيه ييئس بالكسر وهو شاذ كشذوذ يحسب وينعم ومعنى ييأس يصيب البؤس وهو الشقاء

(الاصل) ﴿ ومن خطبة له عليه السلام ﴾

قَدْ عَلِمَ السَّرَائِرَ * وَخَبَرَ الضَّمَائِرَ * لَهُ الإِحَاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ * وَالْغَلَبَةُ لِكُلِّ شَيْءٍ والقُوَّةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ * فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُ مِنْكُمْ فِي أَيَّامِ مَهَلِهِ * قَبْلَ إِرْهَاقِ أَجَلِهِ * وَفِي فَرَاغِهِ قَبْلَ أَوَانِ شُغْلِهِ * وَفِي مُتَنَفَّسِهِ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ بِكَظَمِهِ * وَلْيُمَهِّدْ لِنَفْسِهِ وَقَدَمِهِ * وَلْيَتَزَوَّدْ مِنْ دَارِ ظَعْنِهِ لِدَارِ إِقَامَتِهِ * فَاللهَ اللهَ أَيُّهَا النَّاسُ فِيمَا اسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ واسْتَوْدَعَكُمْ مِنْ حُقُوقِهِ * فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً * وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى * وَلَمْ يَدَعْكُمْ فِي جَهَالَةٍ وَلاَ عَمًى * قَدْ سَمَّى آثَارَكُمْ * وَعَلِمَ أَعْمَالَكُمْ * وَكَتَبَ آجَالَكُمْ * وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ * وَعَمَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّهُ أَزْمَاناً * حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ وَلَكُمْ فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ دِينَهُ الَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِهِ وَأَنْهَى إِلَيْكُمْ عَلَى لِسَانِهِ مَحَابَّهُ مِنَ الأَعْمَالِ وَمَكَارِهَهُ * وَنَوَاهِيَهُ وَأَوَامِرَهُ * وَأَلْقَى إِلَيْكُمُ الْمَعْذِرَةَ وَاتَّخَذَ عَلَيْكُمُ الْحُجَّةَ * وَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ * وَأَنْذَرَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ

(الشرح) السرائر جمع سريرة وهي ما يكتم من السر وخبر الضمائر بفتح الباء امتحنها وابتلاها ومن رواه بكسر الباء أراد علم والاسم الخبر بضم الخاء وهو العلم والضمائر جمع ضمير وهو ما تضمره وتكنه في نفسك وفي قوله له الاحاطة بكل شيء وقد بينها ثلاث مسائل من التوحيد احداهن انه تعالى عالم بكل المعلومات والثانية انه لا شريك له واذا ثبت كونه عالما بكل شيء كان في ضمن ذلك نفي الشريك لان الشريك لا يكون مغلوبا والثالثة انه قادر على كل ما يصح تعلق قادريته تعالى به وأدلة هذه المسائل مذكورة في الكتب الكلامية وقوله فليعمل العامل منكم الى قوله وليتزود من دار ظعنه لدار اقامته مأخوذ من قول رسول الله صلى الله عليه وآله في خطبته المشهورة وهي أيها الناس ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم وان لكم غاية فانتهوا الى غايتكم ان المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع به وأجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الهرم ومن الحياة قبل الموت فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب وما بعد الدنيا من دار الا الجنة أو النار والمهل المهلة والتؤدة والارهاق مصدر أرهق تقول أرهقه قرنه في الحرب ارهاقا اذا غشيه ليقتله وزيد مرهق قال الشاعر

تندى أكفهم وفي أبياتهم * ثقة المجاور والمضاف المرهق

وفي متنفسه أي في سعة وقته يقال أنت في نفس من أمرك أي في سعة والكظم بفتحهما مخرج النفس والجمع أكظام ويجوز ظعنه وظعنه بتحريك العين وتسكينها وقرئ بهما يوم ظعنكم وظعنكم ونصب الله الله على الاغراء وهو ان تقدر فعلا ينصب المفعول به أي اتقوا الله وجعل تكرير اللفظ نائبا عن الفعل المقدر ودليلا عليه واستحفظكم من كتابه جعلكم حفظة له جمع حافظ والسدى المهمل ويجوز سدى بالفتح أسديت الابل أهملتها وقوله قد سمى آثاركم يفسر بتفسيرين أحدهما قد بين لكم أعمالكم خيرها وشرها كقوله تعالى وهديناه النجدين والثاني قد أعلى مآثركم أي رفع منازلكم ان أطعتم ويكون سمى بمعنى اسمى كما كان في الوجه الاول بمعنى أبان وأوضح والتبيان بكسر التاء مصدر وهو شاذ لان المصادر انما تجيء على التفعال بفتحها مثل التذكار والتكرار ولم يأت بالكسر الا حرفان

وهما

وهما التبيان والتلقاء وقوله حتى أكمل له ولكم دينه من قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي وقوله الذي رضي لنفسه من قوله تعالى وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم لانه اذا ارتضى لهم فقد ارتضاه لنفسه أي ارتضى أن ينسب اليه فيقال هذا دين الحق وأنهى اليكم عرفكم وأعلمكم ومحابه جمع محبة ومكارهه جمع مكرهة وهي ما تكرهه وفي هذا دلالة ان الله تعالى يحب الطاعة ويكره المعصية وهو خلاف قول المجبرة والاوامر جمع آمر وأنكره قوم وقالوا ههنا جمع أمر كالاحاوص جمع أحوص والاحامر جمع أحمر يعني الكلام الآمر لهم بالطاعات وهو القرآن والنواهي جمع ناهية كالسواري جمع سارية والغوادي جمع غادية يعني الآيات الناهية لهم عن المعاصي ويضعف أن يكون الاوامر والنواهي جمع أمر ونهي لان فعلا لا يجمع على أفاعل وفواعل وان كان قال ذلك بعض الشواذ من أهل الادب وقوله وألقى اليكم المعذرة كلام فصيح وهو من قوله تعالى فألقى اليكم السلم وقدم اليكم بالوعيد وأنذركم بين يدي عذاب شديد أي أمامه وقبله مأخوذ أيضا من القرآن ومعنى قوله بين يدي عذاب شديد أي أمامه وقبله لان ما بين يديك متقدم لك

(الاصل) فَاسْتَدْرِكُوا بَقِيَّةَ أَيَّامِكُمْ * وَاصْبِرُوا لَهَا أَنْفُسَكُمْ * فَإِنَّهَا قَلِيلٌ فِي كَثِيرِ الأَيَّامِ الَّتِي تَكُونُ مِنْكُمْ فِيهَا الْغَفْلَةُ * وَالتَّشَاغُلُ عَنِ الْمَوْعِظَةِ وَلاَ تُرَخِّصُوا لأَنْفُسِكُمْ فَتَذْهَبَ بِكُمُ الرُّخَصُ مَذَاهِبَ الظَّلَمَةِ * وَلاَ تُدَاهِنُوا فَيَهْجُمَ بِكُمُ الادْهَانُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ عِبَادَ اللهِ إِنَّ أَنْصَحَ النَّاسِ لِنَفْسِهِ أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ * وَإِنَّ أَغَشَّهُمْ لِنَفْسِهِ أَعْصَاهُمْ لِرَبِّهِ * وَالْمَغْبُونُ مَنْ غَبَنَ نَفْسَهُ * وَالْمَغْبُوطُ مَنْ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ * وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ * وَالشَّقِيُّ مَنِ انْخَدَعَ لِهَوَاهُ وَغُرُورِهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ * وَمُجَالَسَةَ أَهْلِ الْهَوَى مَنْسَاةٌ لِلإِيمَانِ * وَمَحْضَرَةٌ لِلشَّيْطَانِ جَانِبُوا الْكَذِبَ فَإِنَّهُ مُجَانِبٌ لِلإِيمَانِ الصَّادِقُ عَلَى شَفَا مَنْجَاةٍ وَكَرَامَةٍ * وَالْكَاذِبُ عَلَى شَرَفِ مَهْوَاةٍ وَمَهَانَةٍ * وَلاَ تَحَاسَدُوا فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الإِيمَانَ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ * وَلاَ تَبَاغَضُوا فَإِنَّهَا الْحَالِقَةُ * وَاعْلَمُوا أَنَّ الأَمَلَ يُسْهِي الْعَقْلَ وَيُنْسِي الذِّكْرَ * فَأَكْذِبُوا الأَمَلَ فَإِنَّهُ غُرُورٌ * وَصَاحِبُهُ مَغْرُورٌ

(الشرح) قوله فاستدركوا بقية أيامكم يقال استدركت ما فات وتداركت ما فات بمعنى واصبروا لها أنفسكم مأخوذ من قوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يقال صبر فلان نفسه على كذا أي حبسها عليه يتعدى فينصب قال عنترة

فصبرت عارفة لذلك حرة * ترسو اذا نفس الجبان تطلع

أي حبست نفسا عارفة وفي الحديث النبوي في رجل أمسك رجلا وقتله الآخر فقال عليه السلام اقتلوا القاتل واصبروا الصابر أي احبسوا الذي أمسكه حتى يموت والضمير في فانها قليل عائد الى الايام الذي أمرهم باستدراكها يقول ان هذه الايام التي قد بقيت من أعماركم قليلة بالنسبة والاضافة الى الايام التي تغفلون فيها عن الموعظة وقوله فانها قليل فأخبر عن المؤنث بصيغة المذكر انما معناه فانها شيء قليل بحذف الموصوف كقوله وحسن أولئك رفيقا أي قبيلا رفيقا ثم قال ولا ترخصوا

نهى عن الاخذ برخص المذاهب وذلك لانه لايجوز للواحد من العامة ان يقلد كلا من أئمة الاجتهاد فيما خف وسهل من الاحكام الشرعية أولا تساهلوا أنفسكم فى ترك تشديد المعصية ولا تسامحوها وترخصوا البهافى ارتكاب الصغائر والمحقرات من الذنوب فتهجم بكم على الكبائر لان من مرن على أمر تدرج من صغيره الى كبيره والمداهنة النفاق والمصانعة والادهان مثله قال تعالى ودوا لو تدهن فيدهنون ان أنصح الناس لنفسه أطوعهم لربه لانه قد صانها عن العقاب وأوجب لها الثواب وذلك غاية ما يمكن من نصيحتها ونفعها وان أغش الناس لنفسه أعصاهم لربه لانه ألقاها فى الهلاك الدائم وذلك أقصى ما يمكن من غشها والاضرار بها ثم قال والمغبون من غبن نفسه أى أحق الناس ان يسمى مغبونا من غبن نفسه يقال غبنته فى البيع غبنا بالتسكين أى خدعته وقد غبن فهو مغبون وغبن الرجل رأيه بالكسر غبنا بالتحريك فهو غبين أى ضعيف الرأى وفيه غبانة ولفظ الغبن يدل على انه من باب غبن البيع والشراء لانه قال والمغبون ولم يقل والغبين والمغبوط الذى يتمنى مثل حاله والذى يتمنى زوال حاله وانتقالها هو الحاسد والحسد مذموم والغبطة غير مذمومة يقال غبطته بما نال أغبطه غبطا وغبطة فاغتبط هو كقولك منعته فامتنع وحبسته فاحتبس قال الشاعر

وبينما المرء فى الاحياء مغتبط ＊ اذ صار فى الرمس تعفوه الاعاصير

هكذا أنشدوه بكسر الباء وقالوا فيه مغتبط أى مغبوط قوله والسعيد من وعظ بغيره مثل من الامثال النبوية وقد ذكرنا فيما تقدم ما جاء فى ذم الرياء وتفسير كونه شركا وقوله عليه السلام منساة للايمان أى داعية الى نسيان الايمان واهماله والايمان الاعتقاد والعمل ومحضرة للشيطان موضع حضوره كقولك مسبعة أى موضع السباع ومفعاة أى موضع الافاعى ثم نهى عن الكذب وقال انه مجانب للايمان وكذا ورد فى الخبر المرفوع وشفا منجاة أى حرف نجاة وخلاص وشفا الشئ حرفه قال تعالى وكنتم على شفا حفرة من النار وأشفى على الشئ وأشرف عليه بمعنى وأكثر ما يقال ذلك فى المكروه يقال أشفى المريض على الموت وقد استعمله ههنا فى غير المكروه والشرف المكان العالى بفتح الشين وأشرفت عليه أى اطلعت من فوق والمهواة موضع السقوط والمهانة الحقارة ثم نهى عن الحسد وقال انه يأكل الايمان كما تأكل النار الحطب وقد ورد هذا الكلام فى الاخبار المرفوعة وقد تقدم منا كلام فى الحسد ذكرنا كثيرا مما جاء فيه ثم نهى عن المباغضة وقال انها الحالقة أى المستأصلة التى تأتى على القوم كالحلق للشعر ثم نهى عن الامل وطوله وقال انه يورث العقل سهوا وينسى الذكر ثم أمر بالتكذاب الامل ونهى عن الاعتماد عليه والسكون اليه فانه من باب الغرور وقد ذكرنا فى الامل وطوله نكتا نافعة فيما تقدم ويجب أن نذكر ما جاء فى النهى عن الكذب جاء فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله اذا كذب العبد كذبة تباعد الملك منه مسيرة ميل من نتن ما جاء به وعنه عليه السلام اياكم والكذب فان الكذب يهدى الى الفجور والفجور يهدى الى النار وان الرجل ليكذب ويتحرى الكذب فيكتب عند الله كاذبا وعليكم بالصدق فان الصدق يهدى الى البر وان البر يهدى الى الجنة وان الرجل ليصدق ويتحرى الصدق فيكتب عند الله صادقا وروى أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وآله أنا يا رسول الله أستسر بخلال أربع الزنا وشرب الخمر والسرق والكذب فأيتهن شئت تركتها لك قال دع الكذب فلما ولى هم بالزنا فقال يسألنى فان جحدت نقضت ما جعلت له وان أقررت حددت ثم هم بالسرق ثم بشرب الخمر ففكر فى مثل ذلك فرجع اليه فقال قد أخذت على السبيل كله فقد تركتهن أجمع قال العباس بن عبد المطلب لابنه عبد الله يا بنى أنت أفقه منى وأنا أعقل منك ان هذا الرجل يدنيك يعنى عمر بن الخطاب فاحفظ عنى ثلاثا لا تفشين له سرا ولا تغتابن عنده أحدا ولا يطلعن منك على كذبة قال عبد الله فكانت هذه الثلاث أحب الى من ثلاث بدرات ياقوتا قال الواثق لاحمد بن أبى دؤاد رحمه الله تعالى كان ابن الزيات عندى فذكرك بكل قبيح قال الحمد لله الذى أحوجه الى الكذب على ونزهنى عن الصدق فى أمره وكان يقال أمران لا يكاد أحدهما ينفك من الكذب كثرة المواعيد وشدة الاعتذار ومن الحكم القديمة انما فضل الناطق على الاخرس بالنطق وزين المنطق الصدق فالكاذب شر من الاخرس قال الرشيد للفضل بن الربيع فى كلام جرى بينهما كذبت فقال يا أمير المؤمنين

وجه الكذوب لا يقابلك ولسانه لا يحاورك قيل فى تفسير قوله تعالى ولكم الويل مما تصفون هى فى الكذابين فالويل لكل كاذب الى يوم القيامة ومن كلام بعض الصالحين لو لم أترك الكذب تأثما لتركته تكرما أبو حيان الكذب شعار خلق ومورد رنق وأدب سيء وعادة فاحشة وقلما استرسل معه الا ألفه وقل من ألفه الا أتلفه والصدق ملبس بهى ومنهل غذى وشعاع منبث وقل من اعتاده ومرن عليه الا صحبته السكينة وأيده التوفيق وخدمته القلوب بالمحبة ولحظته العيون بالمهابة ابن السماك لا أدرى أوجر على ترك الكذب أم لا لانى أتركه أنفة يحيى بن خالد رأيت شريب خمر نزع ولصا أقلع وصاحب فواحش ارتدع ولم أر كاذبا رجع قالوا فى تفسير هذا ان المولع بالكذب لا يكاد يصبر عنه فقد عوتب انسان عليه فقال لمعاتبه يا ابن أخى لو تغرغرت به لما صبرت عنه وقيل لكاذب معروف بالكذب أصدقت قط قال لولا انى أخاف أن أصدق لقلت لا وجاء فى بعض الاخبار المرفوعة قيل له يا رسول الله أيكون المؤمن جبانا قال نعم قيل أفيكون بخيلا قال نعم قيل أفيكون كاذبا قال لا وقال ابن عباس الحدث حدثان حدث من فيك وحدث من فرجك وقال بعضهم من أسرع الى الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون أخذه شاعر فقال

ومن دعا الناس الى ذمه ＊ ذموه بالحق وبالباطل

وكان يقال خذوا عن أهل الشرف فانهم قلما يكذبون وقال بعض الصالحين لو صحبنى رجل فقال لى اشترط على خصلة واحدة لا تزيد عليها لقلت لا تكذب وكان يقال خصلتان لا يجتمعان الكذب والمروءة كان يقال من شرف الصدق ان صاحبه يصدق على عدوه ومن دناءة الكذب ان صاحبه يكذب وان كان صادقا ومثل هذا قولهم من عرف بالصدق جاز كذبه ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه وجاء فى الخبر المرفوع ان فى المعاريض لمندوحة عن الكذب وقال ابن سيرين الكلام أوسع من أن يكذب ظريف وقالوا فى قوله تعالى لا تؤاخذنى بما نسيت لم ينس ولكنه من معاريض الكلام وكذلك قالوا فى قول ابراهيم انى سقيم وقال العتبى انى لأصدق فى صغار ما يضرنى فكيف لا أصدق فى كبار ما ينفعنى وقال بعض الشعراء

لا يكذب المرء الا من مهانته ＊ أو عادة السوء أو من قلة الادب

لعض جيفة كلب خير رائحة ＊ من كذبة المرء فى جد وفى لعب

شهد اعرابى عند معاوية بشهادة فقال له كذبت فقال الكاذب والله المتزمل فى ثيابك فقال معاوية هذا جزاء من عجل وقال معاوية يوما للاحنف وحدثه حديثا أتكذب فقال له الاحنف والله ما كذبت منذ علمت ان الكذب يشين أهله ودخل عبد الله بن الزبير يوما على معاوية فقال له اسمع أبياتا قلتها وكان واجدا على معاوية فقال هات فأنشده

اذا أنت لم تنصف أخاك وجدته ＊ على طرف الهجران ان كان يعقل

ويركب حد السيف من أن تضيمه ＊ اذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل

فقال معاوية لقد شعرت بعدنا يا أبا بكر ثم لم يلبث معاوية ان دخل عليه معن بن أوس المزنى فقال أقلت بعدنا شيئا قال نعم وأنشده لعمرك لا أدرى وانى لأوجل ＊ على أينا تعدو المنية أول
حتى صار الى الابيات التى أنشدها ابن الزبير فقال معاوية يا أبا بكر أما ذكرت آنفا ان هذا الشعر لك فقال أنا أصلحت المعانى وهو ألف وبعد فهو ظئرى وما قال من شئ فهو لى وكان عبد الله بن الزبير مسترضعا فى مزينة وروى أبو العباس المبرد فى الكامل ان عمر بن عبد العزيز كتب فى اشخاص اياس بن معاوية المزنى وعدى بن ارطاة الفزارى أمير البصرة وقاضيها اليه فصار عدى الى اياس وقدر أنه يقرظه عند عمر بن عبد العزيز ويثنى عليه فقال له يا أبا واثلة ان لنا حقا ورحما فقال اياس أعلى الكذب تريدنى والله ما يسرنى أن كذبت كذبة يغفرها الله لى ولا يطلع عليها هذا وأومأ الى ابنه ولى ما طلعت عليه الشمس وروى أبو العباس أيضا ان عمرو بن معدى كرب الزبيدى كان معروفا بالكذب وقيل لخلف الاحمر وكان مولى لهم وشديد التعصب لليمن أكان عمرو بن معدى كرب يكذب قال يكذب فى المقال ويصدق فى الفعال قال أبو العباس فروى لنا ان أهل الكوفة الاشراف كانوا يظهرون بالكناسة فيركبون

على دوابهم حتى تطردهم الشمس فوقف عمرو بن معدى كرب الزبيدى وخالد بن الصقعب النهدى وعمرو لا يعرفه انما يسمع باسمه فاقبل عمرو يحدثه فقال اغرنا مرة على بنى نهد فخرجوا مسترعفين بخالد بن الصقعب فحملت عليه فطعنته فارديته ثم ملت عليه بالصمصامة فأخذت رأسه فقال خالد بن الصقعب خلا أبا ثور ان قتيلك هو المحدث فقال عمرو ياهذا اذا حدثت فاستمع فانما نتحدث بمثل ما نستمع لنرهب به هذه المعدية قوله مسترعفين أى مقدمين له وقوله خلا أبا ثور أى استثن يقال حلف ولم يتخلل أى لم يستثن والمعدية مضر وربيعة واياد بنو معد بن عدنان وهم أعداء اليمن فى المفاخرة والتكاثر

(الاصل) ﴿ ومن خطبة له عليه السلام ﴾

عِبادَ اللهِ إنَّ مِنْ أحَبِّ عِبادِ اللهِ إلَيْهِ عَبْدًا أعانَهُ اللهُ عَلَى نَفْسِهِ فاسْتَشْعَرَ الحُزْنَ وَتَجَلْبَبَ الخَوْفَ * فَزَهَرَ مِصْباحُ الهُدَى في قَلْبِهِ * وَأعَدَّ القِرَى لِيَوْمِهِ النّازِلِ بِهِ * فَقَرَّبَ عَلَى نَفْسِهِ البَعِيدَ وَهَوَّنَ الشَّدِيدَ * نَظَرَ فَأبْصَرَ * وَذَكَرَ فَاسْتَكْثَرَ * وَارْتَوَى مِنْ عَذْبٍ فُراتٍ * سُهِّلَتْ لَهُ مَوارِدُهُ فَشَرِبَ نَهَلاً * وَسَلَكَ سَبِيلاً جَدَدًا * قَدْ خَلَعَ سَرابِيلَ الشَّهَواتِ وَتَخَلَّى عَنِ الهُمُومِ إلاّ هَمًّا واحِدًا انْفَرَدَ بِهِ * فَخَرَجَ مِنْ صِفَةِ العَمَى وَمُشارَكَةِ أهْلِ الهَوَى * وَصارَ مِنْ مَفاتِيحِ أبْوابِ الهُدَى * وَمَغالِيقِ أبْوابِ الرَّدَى * قَدْ أبْصَرَ طَرِيقَهُ وَسَلَكَ سَبِيلَهُ وعَرَفَ مَنارَهُ * وقَطَعَ غِمارَهُ * واسْتَمْسَكَ مِنَ العُرَى بِأوْثَقِها * وَمِنَ الحِبالِ بِأمْتَنِها * فَهُوَ مِنَ اليَقِينِ عَلَى مِثْلِ ضَوْءِ الشَّمْسِ * قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ للهِ سُبْحانَهُ فِي أرْفَعِ الأُمُورِ مِنْ إصْدارِ كُلِّ وارِدٍ عَلَيْهِ وَتَصْيِيرِ كُلِّ فَرْعٍ إلَى أصْلِهِ * مِصْباحُ ظُلُماتٍ * كَشّافُ عَشَواتٍ * مِفْتاحُ مُبْهَماتٍ * دَفّاعُ مُعْضَلاتٍ * دَلِيلُ فَلَواتٍ * يَقُولُ فَيُفْهِمُ وَيَسْكُتُ فَيَسْلَمُ * قَدْ أخْلَصَ للهِ فَاسْتَخْلَصَهُ فَهُوَ مِنْ مَعادِنِ دِينِهِ * وَأوْتادِ أرْضِهِ * قَدْ ألْزَمَ نَفْسَهُ العَدْلَ * فَكانَ أوَّلَ عَدْلِهِ نَفْيُ الهَوَى عَنْ نَفْسِهِ يَصِفُ الحَقَّ وَيَعْمَلُ بِهِ لا يَدَعُ لِلْخَيْرِ غايَةً إلاّ أمَّها * ولا مَظِنَّةً إلاّ قَصَدَها * قَدْ أمْكَنَ الكِتابَ مِنْ زِمامِهِ * فَهُوَ قائِدُهُ وإمامُهُ * يَحُلُّ حَيْثُ حَلَّ ثَقَلُهُ * وَيَنْزِلُ حَيْثُ كانَ مَنْزِلُهُ

(الشرح) استشعر الحزن جعله كالشعار وهو ما يلى الجسد من الثياب وتجلبب الخوف جعله جلبابا أى ثوبا فزهر مصباح الهدى أضاء وأعد القرى ليومه أى أعد ما قدمه من الطاعات قرى لضيف الموت النازل به والفرات العذب وقوله فشرب نهلا يجوز أن يكون أراد بقوله نهلا المصدر من نهل ينهل نهلا أى شرب حتى روى ويجوز أن يريد بالنهل الشرب الاول خاصة ويريد انه اكتفى بما شرب به أولا فلم يحتج الى العلل وطريق جدد لا عثار فيه لقوة أرضها وقطع غمارها يقال بحر غمر أى كثير الماء وبحار غمار واستمسك من العرى باوثقها أى من العقود الوثيقة قال تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى ونصب نفسه لله أى أقامها كشاف عشوات جمع عشوة وعشوة وعشوة بالحركات الثلاث وهى الامر

الملتبس يقال أوطأنى عشوة والمعضلات جمع معضلة وهى الشدائد والامور التى لا يهتدى لوجهها دليل فلوات أى يهتدى به كما يهتدى الركب فى الفلاة بدليلهم أمها قصدها ومظنة الشئ حيث يظن وجوده والثقل متاع المسافر وحشمه واعلم أن هذا الكلام منه أخذ أصحاب علم الطريقة والحقيقة علمهم وهو تصريح بحال العارف ومكانته من الله تعالى والعرفان درجة حال رفيعة شريفة جدا مناسبة للنبوة يختص الله تعالى بها من يقربه اليه من خلقه والاولياء على طبقات ثلاث الطبقة الاولى حال العابد وهو صاحب الصلاة الكثيرة والصوم الدائم والحج والصدقة والطبقة الثانية حال الزاهد وهو المعرض عن ملاذ الدنيا وطيباتها تقنعه الكسرة وتستره الخرقة لا مال ولا زوجة ولا ولد والطبقة الثالثة حال العارف وهو الواصل الى الله سبحانه بنفسه لا ببدنه والبارى سبحانه متمثل فى نفسه تمثل المعشوق فى ذات العاشق وهو أرفع الطبقات وبعده الزاهد وأما العابد فهو أدونها وذلك لان العابد معامل كالتاجر يعبد ليثاب ويتعب نفسه ليرتاح فهو يعطى من نفسه شيأ ويطلب ثمنه وعوضه وقد يكون العابد غنيا موسرا كثير المال والولد فليست حاله من أحوال الكمال وأما الزاهد فانه احتقر الدنيا وعروضها وقيناتها فخلصت نفسه من دناءة المطامع وصار عزيزا ملكا لا سلطان عليه لنفسه ولا لغيره فاستراح من الذل والهوان ولم يبق لنفسه شئ تشتاق اليه بعد الموت فكان أقرب الى السلامة والنجاة من العابد الغنى الموسر وأما العارف فانه بالحال التى وصفناها ويستلزم مع وجودها أن يكون زاهدا لانه لا يتصور العرفان مع تعلق النفس بملاذ الدنيا وشهواتها نعم قد يحصل بعض العرفان لبعض العلماء الفضلاء مع تعلقهم بشهوات الدنيا ولكنهم لا يكونون كاملين فى أحوالهم وانما تحصل الحالة الكاملة لمن رفض الدنيا وتخلى عنها وتستلزم الحالة المذكورة أيضا أن يكون عابدا عبادة ما وليس يشترط فى حصول حال العرفان أن يكون على قدم عظيمة من العبادة بل الاكثار من العبادة حجاب كما قيل ولكن لا بد من القيام بالفرائض وشئ يسير من النوافل واعلم أن العارف هو العارف بالله تعالى وصفاته وملائكته ورسله وكتبه وبالحكمة المودعة فى نظام العالم لا سيما الافلاك والكواكب وتركيب طبقات العناصر والاحكام البينة فى تركيب الابدان الانسانية فمن حصل له ذلك فهو العارف فان لم يحصل له ذلك فهو ناقص العرفان وان انضم الى ذلك استشعاره جلال الله تعالى وعظمته ورياضة النفس والمجاهدة والصبر والرضا والتوكل فقد ارتفع طبقة أخرى فان حصل له بعد ذلك الحب والوجد فقد ارتفع طبقة أخرى فان حصل له بعد ذلك الاعراض عن كل شئ سوى الله وان يصير مسلوبا عن الموجودات كلها فلا يشعر الا بنفسه وبالله تعالى فقد ارتفع طبقة أخرى وهى أرفع الطبقات وهناك طبقة أخرى يذكرونها وهى أن يسلب عن نفسه أيضا فلا يكون له شعور بها أصلا وانما يكون شاعرا بالقيوم الاول سبحانه لا غير وهذه درجة الاتحاد بان تصير الذاتان ذاتا واحدة وهذا قول قوم من الاوائل ومن المتأخرين أيضا وهو مقام صعب لا تثبت العقول لتصوره ولا كتناهه واعلم أن هذه الصفات والشروط والنعوت التى ذكرها فى شرح حال العارف انما يعنى بها نفسه عليه السلام وهو من الكلام الذى له ظاهر وباطن فظاهره أن يشرح حال العارف المطلق وباطنه أن يشرح حال عارف معين وهو نفسه عليه السلام وسيأتى فى آخر الخطبة ما يدل على ذلك ونحن نذكر الصفات التى أشار عليه السلام اليها واحدة واحدة فاولها أن يكون عبدا أعانه الله على نفسه ومعنى ذلك ان يخصه بالطاف يختار عندها الحسن ويتجنب القبيح فكانه أقام النفس فى مقام العدو وأقام الالطاف مقام المعونة التى يعده الله سبحانه بها فيكسر عادية العدو المذكور وبهذا الاعتبار سمى قوم من المتكلمين اللطف عونا وثانيها ان يستشعر الحزن أى يحزن على الايام الماضية ان لم يكن اكتسب فيها من موجبات الاختصاص أضعاف ما اكتسبه وثالثها أن يتجلبب الخوف أى يخاف من الاعراض عنه بان يصدر عنه ما يمحوه من جريدة المخلصين ورابعها أن يعد القرى لضيف المنية وذلك باقامة وظائف العبادة وخامسها أن يقرب على نفسه البعيد وذلك بان يمثل الموت بين عينيه صباحا ومساء وان لا يطيل الامل وسادسها أن يهون عليه الشدائد وذلك باحتمال كلف المجاهدة ورياضة النفس على عمل المشاق وسابعها أن يكون قد نظر فابصر وذلك بترتيب المقدمات المطابقة لمتعلقاتها ترتيبا صحيحا لتنتج العلم اليقيني وثامنها أن يذكر الله تعالى فيستكثر من

ذكره لان ذكره سبحانه والاكثار منه يقتضي سكون النفس وطمانينتها كما قال تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب وتاسعها أن يرتوي من حب الله تعالى وهو العذب الفرات الذي سهل موارده على من انتخبه الله وجعله أهلا للوصول اليه فشرب منه ونهل وسلك طريقا لاعثار فيه ولا وعث وعاشرها أن يخلع سرابيل الشهوات لان الشهوات تصدى مرآة العقل فلا تنطبع المعقولات فيها كما ينبغي وكذلك الغضب وحادى عشرها أن يتخلى من الهموم كلها الا همابر بدات وقواطع عن المطلوب الاهما واحدا وهو همه بمولاه الذي لذته وسروره الاهتمام به والتفرد بمناجاته ومطالعة أنوار عزته فحينئذ يخرج عن صفة أهل العمى ومن مشاركة أهل الهوى لانه قد امتاز عنهم بهذه المرتبة والخاصية التي حصلت له فصار مفتاحا لباب الهدى ومغلاقا لباب الضلال والردى قد أبصر طريق الهدى وسلك سبيله وعرف مناره وقطع غماره وثاني عشرها أن ينصب نفسه لله في أرفع الامور وهو الخلوة به ومقابلة أنوار جلاله بمرآة فكره حتى تتكيف نفسه بتلك الكيفية العظيمة الاشراق فهذا أرفع الامور وأجلها وأعظمها وقد رمز في هذا الفصل ومزجه بكلام خرج به الى أمر آخر وهو فقه النفس في الدين والامور الشرعية النافعة للناس في دنياهم وأخراهم أما في دنياهم فلردع المفسد وكف الظالم وأما في أخراهم فللفوز بالسعادة باعتبار امتثال الاوامر الالهية فقال في اصدار كل وارد عليه أي في فتيا كل مستفت له وهداية كل مسترشد له في الدين ثم قال وتصيير كل فرع الى أصله ويمكن أن يحتج بهذا من قال بالقياس ويمكن أن يقال انه لم يرد ذلك بل أراد تخريج الفروع العقلية وردها الى أصولها كما يشكاف أصحابنا القول في بيان حكمة القديم تعالى في الآلام وذبح الحيوانات ردا له الى أصل العدل وهو كونه تعالى لا يفعل القبيح وثالث عشرها أن يكون مصباحا لظلمات الضلال كشافا لعشوات الشبه مفتاحا لمبهمات الشكوك المستغلقة دفاعا للمعضلات الاحتجاجات العقلية الدقيقة الغامضة دليلا في فلوات الانظار الصعبة المشتبهة ولم يكن في أصحاب محمد صلى الله عليه وآله أحد بهذه الصفة الا هو ورابع عشرها أن يقول مخاطبا لغيره فيفهمه ما خاطبه به وان يسكت فيسلم وذلك لانه ليس كل قائل مفهما ولا كل ساكت سالما وخامس عشرها أن يكون قد أخلص لله فاستخلصه الله والاخلاص لله مقام عظيم جدا وهو تنزه الافعال عن الرياء وان لا يمازج العبادة أمر لا يكون لله سبحانه ولهذا كان بعض الصالحين يصبح من طول العبادة نصبا قشفا فيكتحل ويدهن ليذهب بذلك أثر العبادة عنه وقوله فهو من معادن دينه وأوتاد أرضه معادن دينه الذين يقتبس الدين منهم كمعادن الذهب والفضة وهي الارضون التي يلتقط ذلك منها وأوتاد أرضه هم الذين لولاهم لمادت الارض وارتجت باهلها وهذا من باب الاستعارة الفصيحة وأهل هذا العلم يقولون أوتاد الارض جماعة من الصالحين ولهم في الاوتاد والابدال والاقطاب كلام مشهور في كتبهم وسادس عشرها أن يكون قد ألزم نفسه العدل والعدالة ملكة تصدر بها عن النفس الافعال الفاضلة خلقا لا تخلقا وأقسام العدالة ثلاثة هي الاصول وما عداها من الفضائل فروع عليها الاولى الشجاعة ويدخل فيها السخاء لانه شجاعة وتهوين للمال كما ان الشجاعة الاصلية تهوين للنفس فالشجاع في الحرب جواد بنفسه والجواد بالمال شجاع في انفاقه ولهذا قال الطائي

أيقنت ان من السماح شجاعة * تدعى وان من الشجاعة جودا

والثانية الفقه ويدخل فيها القناعة والزهد والعزلة والثالثة الحكمة وهي أشرفها ولم تحصل العدالة الكاملة لاحد من البشر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله الا لهذا الرجل ومن أنصف علم صحة ذلك فان شجاعته وجوده وعفته وقناعته وزهده يضرب بها الامثال وأما الحكمة والبحث في الامور الالهية فلم يكن من فن احد من العرب ولا نقل في جهاز أكابرهم وأصاغرهم شيء من ذلك أصلا وهذا فن كانت اليونان وأوائل الحكماء وأساطين الحكمة ينفردون به وأول من خاض فيه من العرب علي عليه السلام ولهذا تجد المباحث الدقيقة في التوحيد والعدل مبثوثة عنه في فرش كلامه وخطبه ولا تجد في كلام أحد من الصحابة والتابعين كلمة واحدة من ذلك ولا يتصورونه ولو فهموه لم يفهموه وانى للعرب ذلك ولهذا انتسب المتكلمون الذين لججوا في بحار المعقولات اليه خاصة دون غيره وسموه أستاذهم ورئيسهم واجتذبته كل فرقة من الفرق الى نفسها ألا ترى ان أصحابنا ينتمون الى واصل بن عطاء وواصل تلميذ أبي هاشم

ابن محمد بن الحنفية وأبو هاشم تلميذ أبيه محمد ومحمد تلميذ أبيه علي عليه السلام فاما الشيعة من الامامية والزيدية والكيسانية فانتهاؤهم اليه ظاهر وأما الاشعرية فانهم بآخرة ينتمون اليه أيضا لان أبا الحسن الاشعري تلميذ شيخنا أبي علي رحمه الله تعالى وأبو علي تلميذ أبي يعقوب الشحام وأبو يعقوب تلميذ أبي الهذيل وأبو الهذيل تلميذ أبي عثمان الطويل وأبو عثمان الطويل تلميذ واصل بن عطاء فعاد الامر الى انتهاء الاشعرية الى علي عليه السلام وأما الكرامية فان ابن الهيصم ذكر في المعروف كتاب المقالات ان أصل مقالتهم وعقيدتهم تنتهي الى علي عليه السلام من طريقين أحدهما انهم يسندون اعتقادهم عن شيخ بعد شيخ الى ان ينتهي الى سفيان الثوري ثم قال وسفيان الثوري من الزيدية ثم سأل نفسه فقال اذا شيخكم الاكبر الذي تنتمون اليه كان زيديا فما بالكم لا تكونون زيدية وأجاب بان سفيان الثوري رحمه الله تعالى وان اشتهر عنه الزيدية الا ان تزيده انما كان عبارة عن موالاة أهل البيت وانكار ما كان بنو أمية عليه من الظلم واجلال زيد بن علي وتعظيمه وتصويبه في أحكامه وأحواله ولم ينقل عن سفيان الثوري أنه طعن في أحد من الصحابة الطريق الثاني أنه عدد مشايخهم واحدا فواحدا حتى انتهى الى علماء الكوفة من أصحاب علي كسلمة بن كهيل وحبة العرني وسالم بن أبي الجعد والفضل بن دكين وشعبة والاعمش وعلقمة وهبيرة بن مريم وأبي اسحق الشعبي وغيرهم ثم قال وهؤلاء أخذوا العلم من علي بن أبي طالب عليه السلام فهو رئيس الجماعة يعني أصحابه وأقوالهم منقولة عنه ومأخوذة منه وأما الخوارج فانتماؤهم اليه ظاهر أيضا مع طعنهم فيه لانهم كانوا أصحابه وعنه مرقوا بعد ان تعلموا عنه واقتبسوا منه وهم شيعته وأنصاره بالجمل وصفين ولكن الشيطان ران على قلوبهم وأعمى بصائرهم ثم انه عليه السلام ذكر حال هذا العارف العادل فقال أول عدله نفي الهوى عن نفسه وذلك لان من يأمر ولا يأتمر وينهى ولا ينتهي لا تؤثر عظته ولا ينفع ارشاده ثم شرح ذلك فقال يصف الحق ويعمل به ثم قال لا يدع للخير غاية الا أمها ولا مظنة الا قصدها وذلك لان الخير لذته وسروره وراحته فني وجد اليه طريقا سلكها ثم قال قد أمكن الكتاب يعني القرآن من زمامه أي قد أطاع الاوامر الالهية فالقرآن قائده وامامه يحل حيث حل وينزل حيث نزل

(الاصل) وآخَرُ قد تسمى عالماً وليسَ به * فاقتبسَ جهائِلَ مِنْ جُهَّالٍ وأضاليلَ مِنْ ضُلَّالٍ ونَصَبَ لِلناسِ أشراكاً مِنْ حبائِلِ غُرُورٍ وقَوْلِ زُورٍ قَدْ حَمَلَ الكتابَ على آرائِهِ وعَطَفَ الحَقَّ على أهوائِهِ * يُؤمِّنُ النَّاسَ مِنَ العَظائِمِ * ويُهَوِّنُ كَبيرَ الجَرائِمِ * يَقُولُ أَقِفُ عِنْدَ الشُّبُهاتِ وفيها وَقَعَ ويَقُولُ أعتزِلُ البِدَعَ وبَيْنَها اضْطَجَعَ * فالصُّورَةُ صُورَةُ إنسانٍ * والقَلْبُ قَلْبُ حَيَوانٍ * لا يَعْرِفُ بابَ الهُدَى فَيَتَّبِعَهُ * ولا بابَ العَمَى فَيَصُدَّ عَنْهُ * وذَلِكَ مَيِّتُ الأحياءِ فأَيْنَ تَذْهَبُونَ * وأَنَّى تُؤْفَكُونَ * وَالأعلامُ قائِمَةٌ وَالآياتُ وَاضِحَةٌ * والمَنارُ مَنْصُوبَةٌ * فَأَيْنَ يُتاهُ بِكُمْ * وَكَيْفَ تَعْمَهُونَ وبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ وهُمْ أَزِمَّةُ الحَقِّ وأعلامُ الدِّينِ وَأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ فأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنازِلِ القُرْآنِ * ورِدُوهُمْ وُرُودَ الهِيمِ العِطاشِ أَيُّها النَّاسُ خُذُوها عَنْ خاتَمِ النَّبِيِّينَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ * إنَّهُ يَمُوتُ مَنْ ماتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ * وَيَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا وَلَيْسَ بِبالٍ فَلا تَقُولُوا بِما لا تَعْرِفُونَ * فَإِنَّ أَكْثَرَ الحَقِّ فِيما تُنْكِرُونَ * وأَعْذِرُوا مَنْ لا حُجَّةَ

لَكُمْ عَلَيْهِ * وَهُوَ أَنَا * أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ الْأَكْبَرِ * وَأَتْرُكْ فِيكُمُ الثَّقَلَ الْأَصْغَرَ قَدْ رَكَزْتُ فِيكُمْ رَايَةَ الْإِيمَانِ وَوَقَفْتُكُمْ عَلَى حُدُودِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَأَلْبَسْتُكُمُ الْعَافِيَةَ مِنْ عَدْلِي وَفَرَشْتُكُمُ الْمَعْرُوفَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي * وَأَرَيْتُكُمْ كَرَائِمَ الْأَخْلَاقِ مِنْ نَفْسِي فَلَا تَسْتَعْمِلُوا الرَّأْيَ فِيمَا لَا يُدْرِكُ قَعْرَهُ الْبَصَرُ وَلَا يَتَغَلْغَلُ إِلَيْهِ الْفِكَرُ

(الشرح) الجهائل جمع جهالة كما قالوا علاقة وعلائق والاضاليل الضلال جمع لا واحد له من لفظه وقوله وقد حمل الكتاب على آرائه يعني قد فسر الكتاب وتأوله على مقتضى هواه وقد أوضح ذلك بقوله وعطف الحق على اهوائه وقوله يؤمن الناس من العظائم فيه تأكيد لمذهب أصحابنا في الوعيد وتضعيف لمذهب المرجئة الذين يؤمنون الناس من عظائم الذنوب و يمنونهم العفو مع الاصرار وترك التوبة وجاء في الخبر المرفوع المشهور الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقوله يقول أقف عند الشبهات يعني ان هذا المدعى للعلم يقول لنفسه وللناس أنا واقف عند أدنى شبهة تحرجا وتورعا كما قال صلى الله عليه وآله دع ما يريبك الى ما لا يريبك ثم قال وفي الشبهات وقع أي بجهله لان من لا يعلم الشبهة ماهي كيف يقف عندها و يتحرج من الورطة فيها وهو لا يأمن من كونها غير شبهة على الحقيقة وقوله اعتزل البدع و بينها اضطجع اشارة الى تضعيف مذاهب العامة والحشوية الذين رفضوا النظر العقلي وقالوا نعتزل البدع وقوله فالصورة صورة انسان وما بعده مراده بالحيوان ههنا الحيوان الاخرس كالحمار والثور وليس يريد العموم لان الانسان داخل في الحيوان وهذا مثل قوله تعالى ان هم كالانعام بل هم أضل سبيلا وقال الشاعر

وكائن ترى من صامت لك معجب * زيادته أو نقصه في التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * فلم يبق الا صورة اللحم والدم

قوله وذلك ميت الاحياء كلمة فصيحة وقد أخذها شاعر فقال

ليس من مات فاستراح بميت * انما الميت ميت الاحياء

الا ان أمير المؤمنين عليه السلام أراد لجهله والشاعر أراد لبؤسه وتؤفكون تقلبون وتصرفون والاعلام المعجزات ههنا جمع علم وأصله الجبل أو الراية والمنارة تنصب في الفلاة ليهتدى بها وقوله فاين يتاه بكم أي أين يذهب بكم في التيه و يقال أرض تيهاء يتحير سالكها وتعمهون تتحيرون وتضلون وعترة رسول الله صلى الله عليه وآله أهله الادنون ونسله وليس بصحيح قول من قال انهم رهطه وان بعدوا وانما قال أبو بكر يوم السقيفة أو بعده نحن عترة رسول الله صلى الله عليه وآله و بيضته التي فقئت عنه على طريق المجاز لانهم بالنسبة الى الانصار عترة له لا في الحقيقة ألا ترى أن العدناني يفاخر القحطاني فيقول له أنا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله ليس يعني أنه ابن عمه على الحقيقة بل هو بالاضافة الى القحطاني كان ابن عمه وانما استعمل ذلك ونطق به مجازا فان قدر مقدر أنه على طريق حذف المضافات أي ابن ابن عم أب الاب الى عدد كثير في البنين والآباء فكذلك أراد أبو بكر أنهم عترة أجداده على طريق حذف المضاف وقد بين رسول الله صلى الله عليه وآله عترته من هي لما قال اني تارك فيكم الثقلين فقال عترتي أهل بيتي و بين في مقام آخر من أهل بيته حيث طرح عليهم كساء وقال حين نزلت انما يريد الله ليذهب اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب الرجس عنهم فان قلت فمن هي العترة التي عناها أمير المؤمنين عليه السلام بهذا الكلام قلت نفسه وولداه والاصل في الحقيقة نفسه لان ولديه تابعان له ونسبتهما اليه مع وجوده كنسبة الكواكب المضيئة مع طلوع الشمس المشرقة وقد نبه النبي صلى الله عليه وآله على ذلك بقوله وأبوكما خير منكما وقوله وهم أزمة الحق جمع زمام كأنه جعل الحق دائرا معهم حيثما داروا وذاهبا معهم حيثما ذهبوا كما أن الناقة طوع زمامها وقد نبه الرسول صلى الله عليه وآله على صدق هذه القضية بقوله وأدر الحق معه حيث دار وقوله وألسنة الصدق من الالفاظ الشريفة القرآنية قال الله تعالى واجعل لي

لسان صدق في الآخرين لما كان لا يصدر عنهم حكم ولا قول الا وهو موافق للحق والصواب جعلهم كأنهم السنة صدق لا يصدر عنها قول كاذب أصلا بل هي كالمطبوعة على الصدق وقوله فانزلوهم منازل القرآن تحته سر عظيم وذلك انه أمر المكلفين بان يجروا العترة في اجلالها واعظامها والانقياد لها والطاعة لاوامرها مجرى القرآن فان قلت فهذا القول منه يشعر بان العترة معصومة فما قول أصحابكم في ذلك قلت نص أبو محمد بن متويه رحمه الله تعالى في كتاب الكفاية على ان عليا عليه السلام معصوم وان لم يكن واجب العصمة ولا العصمة شرط في الامامة لكن أدلة النصوص قد دلت على عصمته والقطع على باطنه ومغيبه وان ذلك أمر اختص هو به دون غيره من الصحابة والفرق ظاهر بين قولنا زيد معصوم و بين قولنا زيد واجب العصمة لانه امام ومن شرط الامام أن يكون معصوما فالاعتبار الاول مذهبنا والاعتبار الثاني مذهب الامامية ثم قال وردوهم ورد الهيم العطاش أي كونوا ذوي حرص وانكماش على أخذ العلم والدين منهم كحرص الهيم الظماء على ورود الماء ثم قال أيها الناس خذوها عن خاتم النبيين صلى الله عليه وآله الى قوله وليس ببال هذا الموضع يحتاج الى تلطف في الشرح لان لقائل أن يقول ظاهر هذا الكلام متناقض لانه قال يموت من مات منا وليس بميت وهذا كما تقول يتحرك المتحرك وليس بمتحرك وكذلك قوله و يبلى البالي منا وليس ببال ألا ترى انه سلب وايجاب لشيء واحد فان قلتم أراد ببقاء النفس بعد موت الجسد كما قاله الاوائل وقوم من المتكلمين قيل لكم فلا اختصاص للنبي ولا لعلي بذلك بل هذه قضية عامة في جميع البشر والكلام خرج مخرج التمدح والفخر فنقول في الجواب ان هذا يمكن أن يحمل على وجهين أحدهما أن يكون النبي صلى الله عليه وآله وعلي ومن يتلوهما من أطايب العترة احياء بابدانهم التي كانت في الدنيا باعيانها قد رفعهم الله تعالى الى ملكوت سماواته وعلى هذا لو قدرنا أن محتفرا احتفر تلك الاجداث الطاهرة عقب دفنهم لم يجد الابدان في الارض وقد ورد في الخبر النبوي صلى الله عليه وآله مثل ذلك وهو قوله ان الارض لم تسلط على وأنها لا تأكل لي لحما ولا تشرب لي دما نعم يبقى الاشكال في قوله و يبلى من بلي منا وليس ببال فانه ان صح هذا التفسير في الكلام الاول وهو قوله يموت من مات منا وليس بميت فليس يصح في القضية الثانية وهي حديث البلاء لانها تقتضي ان الابدان تبلى وذاك الانسان لم يبل فاحوج هذا الاشكال الى تقدير فاعل محذوف فيكون تقدير الكلام يموت من مات حال موته وليس بميت فيما بعد ذلك من الاحوال والاوقات ويبلى كفن من بلي منا وليس هو ببال فحذف المضاف كقوله والى مدين أي والى أهل مدين ولما كان الكفن كالجزء من الميت لاشتماله عليه عبر باحدهما عن الآخر للمجاورة والاشتمال كما عبروا عن المطر بالسماء وعن الخارج المخصوص بالغائط وعن الخمر بالكاس ويجوز أن يحذف الفاعل كقوله تعالى حتى توارت بالحجاب وحتى بلغت الحلقوم وقول حاتم اذا حشرجت وحذف الفاعل كثير والوجه الثاني ان أكثر المتكلمين ذهبوا الى أن للانسان الحي الفعال اجزاء أصلية في هذه البنية المشاهدة وهي أقل ما يمكن ان تأتلف منه البنية التي معها يصح كون الحي حيا وجعلوا الخطاب متوجها نحوها والتكليف واردا عليها وما عداها من الاجزاء فهي فاضلة ليست داخلة في حقيقة الانسان واذا صح ذلك جاز أن ينتزع الله تلك الاجزاء الاصلية من أبدان الانبياء والاوصياء فيرفعها اليه بعد أن يخلق لها من الاجزاء الفاضلة عنها نظير ما كان لها في الدار الاولى كما قاله من ذهب الى قيامة الانفس والابدان معا فتنعم عنده وتلتذ بضروب اللذات الجسمانية و يكون هذا مخصوصا بهذه الشجرة المباركة دون غيرها ولا عجب فقد ورد في حق الشهداء نحو ذلك في قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون وعلى الوجه الاول لو ان محتفرا احتفر أجدائهم لوجد الابدان فيها وان لم يعلم ان أصول تلك البنى قد انتزعت منها ونقلت الى الرفيع الاعلى وهذا الوجه لا يحتاج الى تقدير ما قدرناه أولا من الحذف لان الجسد يبلى في القبر الا قدر ما انتزع منه ونقل الى محل القدس وكذلك أيضا يصدق على الجسد انه ميت وان كان أصل بنيته لم يمت وقد ورد في الخبر الصحيح أن أرواح الشهداء من المؤمنين في حواصل طيور خضر تدور في أفناء الجنان وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فاذا جاء هذا في الشهداء فما ظنك بموالي الشهداء وساداتهم فان قلت فهل يجوز أن يتأول كلامه

فيقال لعله أراد بقاء الذكر والصيت قلت انه لبعيد لان غيرهم يشركهم في ذلك ولانه أخرج الكلام مخرج المستغرب المستعظم له فان قلت فهل يمكن أن يقال ان الضمير يعود الى النبي صلى الله عليه وآله لانه قد ذكره في قوله خاتم النبيين فيكون التقدير انه يموت من مات منا والنبي صلى الله عليه وآله ليس بميت ويبلى من بلي منا والنبي ليس ببال قلت هذا أبعد من الاول لانه لو أراد ذلك لقال ان رسول الله صلى الله عليه وآله لا تبليه الارض وانه الآن حي ولم يأت بهذا الكلام الموهم ولانه في سياق تعظيم العترة وتبجيل أمرها وفخره بنفسه وتمدحه بخصائصه ومزاياه فلا يجوز أن يدخل في غضون ذلك ما ليس منه فان قلت فهل هذا الكلام منه أم قاله مرفوعا قلت بل ذكره مرفوعا ألا تراه قال خذوها عن خاتم النبيين ثم نعود الى التفسير فنقول انه لما قال لهم ذلك علم انه قال قولا عجيبا وذكر أمرا غريبا وعلم انهم ينكرون ذلك ويعجبون منه فقال لهم فلا تقولوا ما لا تعرفون أي لا تكذبوا اخباري ولا تكذبوا اخبار رسول الله لكم بهذا فتقولون ما لا تعلمون صحته ثم قال فان أكثر الحق في الامور العجيبة التي تنكرونها كاحياء الموتى في القيامة وكالصراط والميزان والنار والجنة وسائر أحوال الآخرة هذا ان كان خاطب من لا يعتقد الاسلام فان كان الخطاب لمن يعتقد الاسلام فانه يعني بذلك ان أكثرهم كانوا مرجئة ومشبهة ومجبرة ومن يعتقد أفضلية غيره عليه ومن يعتقد انه شرك في دم عثمان ومن يعتقد ان معاوية صاحب حجة في حربه أو شبهة يمكن أن يتعلق بها متعلق ومن يعتقد انه أخطأ في التحكيم الى غير ذلك من ضروب الخطأ التي كان أكثرهم عليها ثم قال واعذروا من لا حجة لكم عليه وهو أنا يقول قد عدلت فيكم وأحسنت السيرة وأقمتكم على المحجة البيضاء حتى لم يبق لاحد منكم حجة يحتج بها علي ثم شرح ذلك فقال عملت فيكم بالثقل الاكبر يعني الكتاب وخلفت فيكم الاصغر يعني ولديه لانهما بقية الثقل الاصغر فجاز أن يطلق عليهما بعد ذهاب من ذهب منه انهما الثقل الاصغر وانما سمى النبي صلى الله عليه وآله الكتاب والعترة الثقلين لان الثقل في اللغة متاع المسافر وحشمه فكأنه صلى الله عليه وآله لما شارفه الانتقال الى جوار ربه تعالى جعل نفسه كالمسافر الذي ينتقل من منزل الى منزل وجعل الكتاب والعترة كمتاعه وحشمه لانهما أخص الاشياء به قوله وركزت فيكم راية الايمان أي غرزتها وأثبتها وهذا من باب الاستعارة وكذلك قوله ووقفتكم على حدود الحلال والحرام من باب الاستعارة أيضا مأخوذ من حدود الدار وهي الجهات الفاصلة بينها وبين غيرها قوله وألبستكم العافية من عدلي استعارة فصيحة وأفصح منها قوله وفرشتكم المعروف من قولي وفعلي أي جعلته لكم فراشا وفرش ههنا متعد الى مفعولين يقال فرشته كذا أي أوسعته اياه ثم نهاهم أن يستعملوا الرأي فيما ذكره لهم من خصائص العترة وعجائب ما منحها الله تعالى فقال ان أمرنا أمر صعب لا تهتدي اليه العقول ولا تدرك الابصار قعره ولا تتغلغل الافكار اليه والتغلغل الدخول من تغلغل الماء بين الشجر اذا تخللها ودخل بين أصولها

(الاصل) (ومِنها) حَتَّى يَظُنَّ الظَّانُّ أَنَّ الدُّنيا معقُولَةٌ عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ * تَمنَحُهُمْ دَرَّها * وتُورِدُهُمْ صفوَها * وَلاَ يُرْفَعُ عَنْ هَذهِ الأُمَّةِ سَوْطُها ولاَ سَيْفُها * وكَذَبَ الظَّانُّ لِذَلِكَ بَلْ هِيَ مَجَّةٌ مِنْ لَذِيذِ الْعَيْشِ يَتَطَعَّمُونَهَا بُرْهَةً ثُمَّ يَلْفِظُونَها جُمْلَةً

(الشرح) معقولة محبوسة يقال كما تعقل الناقة وتمنحهم تعطيهم والمنح العطاء منح يمنح بالفتح والاسم المنحة بالكسر واستمنحت زيدا طلبت منحته والدر في الاصل اللبن جعل الدنيا كناقة معقولة عليهم تمنحهم لبنها ثم استعمل الدر في كل خير ونفع فقيل لا در دره أي لا كثر خيره ويقال في المدح لله دره أي عمله ومجة من لذيذ العيش مصدر مج الشراب من فيه أي رمى به وقذفه ويقال امجحت نقطة من القلم أي ترششت وشيخ ماج أي كبير يمج الريق ولا يستطيع حبسه لكبره ويتطعمونها أي يذوقونها وبرهة أي مدة من الزمان فيها طول ولفظت الشيء من فمي ألفظه لفظا رميته وذلك الشيء اللفاظة واللفاظ وجملة أي يلفظونها كلها لا يبقى منها شيء معهم وهذه الخطبة طويلة وقد حذف الرضي رحمه

الله

الله تعالى منها كثيرا ومن جملتها أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لا ترون الذي تنتظرون حتى يهلك المتمنون ويضمحل المحلون ويتثبت المؤمنون وقليل ما يكون والله والله لا ترون الذي تنتظرون حتى لا تدعون الله الا اشارة بايديكم وايماضا بحواجبكم وحتى لا تملكون من الارض الا مواضع أقدامكم وحتى يكون موضع سلاحكم على ظهوركم فيومئذ لا ينصرني الا الله بملائكته ومن كتب على قلبه الايمان والذي نفس علي بيده لا تقوم عصابة تطلب لي أو لغيري حقا أو تدفع عنا ضيما الا صرعتهم البلية حتى تقوم عصابة شهدت مع محمد صلى الله عليه وآله بدرا لا يودى قتيلهم ولا يداوى جريحهم ولا ينعش صريعهم قال المفسرون هم الملائكة ومنها قد دعوتكم الى الحق وتوليتم وضربتكم بالدرة فما استقمتم وستليكم بعدي ولاة يعذبونكم بالسياط والحديد وسيأتيكم غلاما ثقيف أخفش وجعبوب يقتلان ويظلمان وقليل ما يمكنان قلت الاخفش الضعيف البصر خلقة والجعبوب القصير الدميم وهما الحجاج ويوسف بن عمر وفي كتاب عبد الملك الى الحجاج قاتلك الله أخيفش العينين أصك الجاعرتين ومن كلام الحسن البصري رحمه الله تعالى يذكر فيه الحجاج أتانا أعيمش أخيفش يمد بيد قصيرة البنان ما عرق فيها عنان في سبيل الله وكان المثل يضرب بقصر يوسف بن عمر وكان يغضب اذا قيل له قصير فصل له الخياط ثوبا فابقى منه فضلة كثيرة فقال له ما هذه قال فضلت من قميص الامير فضربه مائة سوط فكان الخياطون بعد ذلك يفصلون له اليسير من الثوب ويأخذون الباقي لأنفسهم

(الاصل) ﴿ وَمِنْ خطبةٍ لهُ عليه السلام ﴾

أَمَّا بعدُ فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَقصِمْ جبَّارِي دَهْرٍ قَطُّ إلاَّ بعدَ تمهِيلٍ وَرَخاءٍ * ولَمْ يَجْبُرْ عظْمَ أَحدٍ مِنَ الأُمَمِ إِلاَّ بعْدَ أَزْلٍ وَبَلاَءٍ * وفِي دُونِ مَا استَقبَلتُمْ مِنْ عتَبٍ وَما استَدبَرْتُمْ مِنْ خَطْبٍ مُعْتَبَرٌ * وماكُلُّ ذِي قَلْبٍ بلَبِيبٍ ولاَ كُلُّ ذِي سَمْعٍ بِسَمِيعٍ وَلاَ كُلُّ ذِي ناظِرٍ بِبَصِيرٍ فَيَاعَجَبًا وَما لِيَ لاَ أَعجَبُ مِنْ خَطَإِ هذِهِ الفِرَقِ عَلَى اخْتِلاَفِ حُجَجِها في دِينِها لاَ يَقْتَصُّونَ أَثَرَ نَبِيٍّ * ولاَ يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وصِيٍّ * ولاَ يُؤْمِنُونَ بغَيْبٍ * ولاَ يَعِفُّونَ عَنْ عَيْبٍ * يَعْمَلُونَ فِي الشُّبُهَاتِ وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ * المَعْرُوفُ فِيهِمْ ما عَرَفُوا وَالمُنْكَرُ عِنْدهُمْ ما أَنْكَرُوا * مَفْزَعُهُمْ فِي المُعْضِلاَتِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ * وَتَعْوِيلُهُمْ فِي المُهِمَّاتِ عَلَى آرَائِهِمْ كَأَنَّ كُلَّ امْرِئٍ مِنْهُمْ إِمَامُ نَفْسِهِ قَدْ أَخَذَ مِنْها فِيما يَرَى بِعُرًى ثِقَاتٍ * وَأَسْبَابٍ مُحْكَمَاتٍ

(الشرح) القصم بالقاف والصاد المهملة الكسر قصمته فانقصم وقصمته فتقصم ورجل أقصم الثنية أي مكسورها بين القصم بفتح الصاد والتمهيل التأخير ويروى رجاء وهو التأخير أيضا والرواية المشهورة ورخاء أي بعد اعطائهم من سعة العيش وخصب الحال ما اقتضته المصلحة والازل بفتح الهمزة الضيق ويقتصون يتبعون قال سبحانه وتعالى وقالت لاخته قصيه ويعفون بكسر العين عففت عن كذا أعف عفا وعفة وعفافة أي كففت فانا عف وعفيف وامرأة عفة وعفيفة وقد أعفه الله واستعف عن المسئلة أي عف وتعفف الرجل أي تكلف العفة ويروى ولا يعفون عن عتب أي لا يصفحون ومفزعهم ملجأهم وفيما يرى أي فيما يظن ويرى بفتح الياء أي فيما يراه هو ويروى بعرى وثيقات يقول ان عادة الله تعالى أن لا يقصم الجبابرة الا بعد الامهال والاستدراج بافاضة النعم عليهم وان لا يجبر أولياءه وينصرهم الا بعد بؤس وبلاء يمتحنهم به ثم قال لاصحابه ان في دون ما استقبلتم من عتب لمعتبرا أي من مشقة يعني بما استقبلوه ما لاقوه في مستقبل زمانهم من الشيب وولاة السوء وتنكر الوقت وسمى المشقة عتبا لان العتب مصدر عتب عليه أي وجد

عليه فجعل الزمان كالواجد عليهم القائم في ازال مشاقه بهم مقام الانسان ذي الموجدة يعتب على صاحبه وروى من عتب بفتح التاء جمع عتبة يقال لقد حل فلان على عتبة أي أمر كريه من البلاء وفي المثل مافي هذا الامر رتب ولا عتب أي شدة وروى أيضا من عتب وهو الامر الشاق وما استدبروه من خطب يعني به ما تصرم عنهم من الحروب والوقائع التي قضوها ونضوها واستدبروها ويروى واستدبرتم من خصب وهو رخاء العيش وهذا يقتضي المعنى الاول أي وما خلفتم وراءكم من الشباب والصحة وصفو العيشة ثم قال وما كل ذي قلب بلبيب الكلام الى آخره وهو مأخوذ من قول الله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ثم تعجب من اختلاف حجج الفرق في الدين وخطئهم وكونهم لا يتبعون أقوال الانبياء ولا أقوال الاوصياء ثم نعى عليهم أحوالهم القبيحة فقال انهم لا يؤمنون بالغيب أي لا يصدقون بما لم يشاهدوه ولا يكفون عن الامور القبيحة لكنهم يعملون في الشبهات أي يعملون أعمالا داخلة في الشبهات متوسطة لها ويسيرون في الشهوات جعل الشهوات كالطريق التي يسير فيها الانسان ثم قال المعروف فيهم ما عرفوه أي ليس المعروف عندهم مادل الدليل على كونه معروفا وصوابا وحقا بل المعروف عندهم ماذهبوا الى أنه حق سواء كان حقا في نفس الامر أولم يكن والمنكر عندهم ما أنكروه كما شرحناه في المعروف ثم قال انهم لا يستشيرون بعالم ولا يستفتون فقيها فاضلا بل مفزعهم في الامور المشكلة الى أنفسهم وآرائهم ولقد صدق عليه السلام فان هذه صفات من يدعي العلم والفضل في زماننا وقبله بدهر طويل وذلك أنهم يأنفون من التعلم والاسترشاد فالبادئ منهم يعتقد في نفسه أنه أفضل من البارع المنتهي ومتى ظفر الواحد منهم بمبادئ علم وجمله شرع في التدريس والتصنيف فمنعه التزامه بذلك من التردد الى أبواب العلماء وأنف من سؤالهم عن الامور المشكلة فدام جهله الى أن يموت ثم قال كان كل واحد منهم امام نفسه ويروى بحذف كان واسقاطها وهو أحسن

(الاصل) ﴿ ومن خطبة له عليه السلام ﴾

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ * وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الأُمَمِ وَاعْتِزَامٍ مِنَ الفِتَنِ * وَانْتِشَارٍ مِنَ الأُمُورِ وَتَلَظٍّ مِنَ الحُرُوبِ * وَالدُّنْيَا كَاسِفَةُ النُّورِ ظَاهِرَةُ الغُرُورِ عَلَى حِينِ اصْفِرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا * وَإِيَاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا وَاغْوِرَارٍ مِنْ مَائِهَا * قَدْ دَرَسَتْ مَنَارُ الهُدَى وَظَهَرَتْ أَعْلَامُ الرَّدَى فَهِيَ مُتَجَهِّمَةٌ لِأَهْلِهَا * عَابِسَةٌ فِي وَجْهِ طَالِبِهَا ثَمَرُهَا الفِتْنَةُ وَطَعَامُهَا الجِيفَةُ وَشِعَارُهَا الخَوْفُ وَدِثَارُهَا السَّيْفُ فَاعْتَبِرُوا عِبَادَ اللهِ * وَاذْكُرُوا تِيكَ الَّتِي آبَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ بِهَا مُرْتَهَنُونَ * وَعَلَيْهَا مُحَاسَبُونَ وَلَعَمْرِي مَا تَقَادَمَتْ بِكُمْ وَلَا بِهِمُ العُهُودُ وَلَا خَلَتْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمُ الأَحْقَابُ وَالقُرُونُ * وَمَا أَنْتُمُ اليَوْمَ مِنْ يَوْمَ كُنْتُمْ فِي أَصْلَابِهِمْ بِبَعِيدٍ وَاللهِ مَا أَسْمَعَكُمُ الرَّسُولُ شَيْئًا إِلَّا وَهَا أَنَا ذَا اليَوْمَ مُسْمِعُكُمُوهُ وَمَا أَسْمَاعُكُمُ اليَوْمَ بِدُونِ أَسْمَاعِكُمْ بِالأَمْسِ وَلَا شُقَّتْ لَهُمُ الأَبْصَارُ وَلَا جُعِلَتْ لَهُمُ الأَفْئِدَةُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيتُمْ مِثْلَهَا فِي هَذَا الزَّمَانِ * وَوَاللهِ مَا بُصِّرْتُمْ بَعْدَهُمْ شَيْئًا جَهِلُوهُ * وَلَا أُصْفِيتُمْ بِهِ وَحُرِمُوهُ * وَلَقَدْ نَزَلَتْ بِكُمُ البَلِيَّةُ جَائِلًا

خِطَامُهَا * رِخْوًا بِطَانُهَا فَلَا يَغُرَّنَّكُمْ مَا أَصْبَحَ فِيهِ أَهْلُ الغُرُورِ * فَإِنَّمَا هُوَ ظِلٌّ مَمْدُودٌ إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ

(الشرح) الفترة بين الرسل انقطاع الرسالة والوحي وكذلك كان ارسال محمد صلى الله عليه وآله لان بين محمد وبين عهد المسيح عليه السلام عهدا طويلا أكثر الناس على انه ستمائة سنة ولم يرسل في تلك المدة رسول اللهم الا ما يقال عن خالد بن سنان العبسي ولم يكن نبيا ولا مشهورا والهجعة النومة ليلا والهجوع مثله وكذلك التهجاع بفتح التاء فاما الهجعة بكسر الهاء فهي الهيئة كالجلسة من الجلوس قوله واعتزام من الفتن كانه جعل الفتن معتزمة أي مريدة مصممة للشغب والهرج ويروى واعتراض ويروى واعترام بالراء المهملة من العرام وهي الشرة والتلظي التلهب وكاسفة النور قد ذهب ضوءها كما تكسف الشمس ثم وصفها بالتغير وحؤول الحال فجعلها كالشجرة التي اصفر ورقها ويبس من ثمرها واعور ماؤها والاعورار ذهاب الماء فلاة عوراء لا ماء بها ومن رواه واغورار من مائها بالغين المعجمة جعله من غار الماء أي ذهب ومنه قوله تعالى أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا ومتجهمة لاهلها كالحة في وجوههم ثم قال ثمرها الفتنة أي نتيجتها وما يتولد عنها وطعامها الجيفة يعني أكل الجاهلية الميتة أو يكون على وجه الاستعارة أي أكلها خبيث ويروى الخيفة أي الخوف ثم جعل الخوف والسيف شعارها ودثارها فالشعار ما يلي الجسد والدثار فوق الشعار وهذا من بديع الكلام ومن جيد الصناعة لانه لما كان الخوف يتقدم السيف والسيف يتلوه جعل الخوف شعارا لانه الاقرب الى الجسد وجعل الدثار تاليا له ثم قال واذكروا تيك كلمة اشارة الى المؤنثة الغائبة فيمكن أن يعني بها الدنيا التي تقدم ذكرها وقد جعل آباءهم واخوانهم مرتهنين بها ومحاسبين عليها والارتهان الاحتباس ويمكن أن يعني بها الامانة التي عرضت على الانسان فحملها والمراد بالامانة الطاعة والعبادة وفعل الواجب وتجنب القبيح وقال تيك ولم يجرد ذكرها كما قال تعالى الم ذلك الكتاب ولم يجرد ذكره لان الاشارة الى مثل هذا أعظم وأهيب وأشد روعة في صدر المخاطب من التصريح قوله ولا خلت فيما بينكم وبينهم الاحقاب أي لم يطل العهد والاحقاب المدد المتطاولة والقرون الامم من الناس وقوله من يوم كنتم يروى بفتح الميم من يوم على انه مبني اذ هو مضاف الى الفعل المبني ويروى بجرها بالاضافة على اختلاف القوانين في علم العربية ثم اختلفت الرواية في قوله والله ما أسمعكم فروى بالكاف وروى أسمعهم وكذلك اختلفت الرواية في قوله وما أسماعكم اليوم بدون أسماعكم بالامس فروى هكذا وروى بدون أسماعهم فمن رواه بهاء الغيبة في الموضعين فالكلام منتظم لا يحتاج الى تأويل ومن رواه بكاف الخطاب قال انه خاطب به من صحب النبي صلى الله عليه وآله وشاهده وسمع خطابه لان أصحاب علي عليه السلام كانوا فريقين صحابة وتابعين ويعضد الرواية الاولى سياق الكلام وقوله ولا شقت لهم الابصار الا وقد أعطيتم مثلها وأصفيتم به منحتموه من الصفي وهو ما يصطفيه الرئيس من المغنم لنفسه قبل القسمة يقال صفي وصفية وخلاصة هذا الكلام أن جميع ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله قاله لاصحابه فقد قلت مثله لكم فأطاع أولئك وعصيتم أنتم وحالكم مساوية لحالهم قلت لو أن مجيبا منهم يجيبه لامكن أن يقول له المخاطبون وان كانوا نوعا واحدا متساويا الا أن المخاطب مختلف الحال وذلك لانك وان كنت ابن عمه في النسب بل أخاه ولحمه ودمه وفضائلك مشتقة من فضائله وأنت قبس من نوره وثانيه على الحقيقة ولا ثالث لكما الا أنك لم تدرك القبول الذي رزقه ولا انفعلت نفوس الناس لك حسب انفعالها له وتلك خاصية النبوة التي امتاز بها عنك فانه كان لا يسمع أحد كلامه الا أحبه ومال اليه ولذلك كانت قريش تسمي المسلمين قبل الهجرة الصباة ويقولون نخاف أن يصبوا لوليد بن المغيرة الى دين محمد صلى الله عليه وآله ولئن صبا الوليد وهو ريحانة قريش لتصبون قريش بأجمعها وقالوا فيه ما كلامه الا السحر وانه ليفعل بالالباب فوق ما تفعل الخمر ونهوا صبيانهم عن الجلوس اليه لئلا يستميلهم بكلامه وشمائله وكان اذا صلى في الحجر وجهر يجعلون أصابعهم في آذانهم خوفا أن يسحرهم ويستميلهم بقراءته وبوعظه وتذكيره هذا هو معنى قوله تعالى جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم ومعنى قوله واذا ذكرت

ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا لانهم كانوا يهربون اذا سمعوه يتلوا القرآن خوفا أن يغير عقائدهم في أصنامهم ولهذا أسلم أكثر الناس بمجرد سماع كلامه ورؤيته ومشاهدة رواته ومنظره وماذاقوه من حلاوة لفظه وسرى كلامه في آذانهم وملك قلوبهم وعقولهم حتى بذلوا المهج في نصرته وهذا من أعظم معجزاته عليه السلام وهو القبول الذي منحه الله تعالى والطاعة التي جعلها في قلوب الناس له وذلك على الحقيقة سر النبوة الذي تفرد به صلوات الله عليه فكيف يروم أمير المؤمنين من الناس أن يكونوا معه كما كان آباؤهم واخوانهم مع النبي صلى الله عليه وآله مع اختلاف حال الرئيسين وتساوي الاثرين كما يعتبر في تحققه تساوي حال المحلين يعتبر في حقيقته أيضا تساوي حال العلتين ثم نعود الى التفسير قال ولقد نزلت بكم البلية أي المحنة العظيمة يعني فتنة معاوية وبني أمية وقال جائلا خطامها لان الناقة اذا اضطرب زمامها استصعبت على راكبها ويسمى الزمام خطاما لكونه في مقدم الانف والخطم من كل دابة مقدم أنفها وفمها وانما جعلها رخوا بطانها لتكون أصعب على راكبها لانه اذا استرخى البطان كان الراكب في معرض السقوط عنها والبطان القتب هو الحزام الذي يجعل تحت بطن البعير ثم نهاهم عن الاغترار بالدنيا ومتاعها وقال انها ظل ممدود الى أجل معدود وانما جعلها كالظل لانه ساكن في رأي العين وهو متحرك في الحقيقة لا يزال يتقلص كما قال تعالى ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وهو أشبه شيء بأحوال الدنيا وقال بعض الحكماء أهل الدنيا كركب يسير بهم وهم نيام

(الاصل) ﴿ ومن خطبة له عليه السلام ﴾

الحَمْدُ لِلّهِ المَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ • والخَالِقِ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ • الَّذِي لَمْ يَزَلْ قَائِماً دَائِماً إذْ لاَ سَمَاءٌ ذَاتُ ابْرَاجٍ • وَلاَ حُجُبٌ ذَاتُ أرْتَاجٍ • وَلاَ لَيْلٌ دَاجٍ وَلاَ بَحْرٌ سَاجٍ وَلاَ جَبَلٌ ذُو فِجَاجٍ وَلاَ فَجٌّ ذُو اعْوِجَاجٍ وَلاَ أرْضٌ ذَاتُ مِهَادٍ وَلاَ خَلْقٌ ذُو اعْتِمَادٍ • وَذَلِكَ مُبْتَدِعُ الخَلْقِ وَوَارِثُهُ • وَإِلَهُ الخَلْقِ وَرَازِقُهُ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ دَائِبَانِ فِي مَرْضَاتِهِ • يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ • وَيُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ

(الشرح) الروية الفكرة وأصلها الهمز رأوت في الامر وقد جاء مثلها كلمات يسيرة شاذة نحو البرية من برأ أي خلق والذرية من ذرأ أي خلق أيضا والدربة وهي ما يستتر به الصائد أصله من درأت أي دفعت وفلان يرى أصله برأت وصف الله تعالى بانه يعرف من غير أن تتعلق الابصار بذاته ويخلق من غير تفكر وتروي وفيما يخلقه لم يزل قائما القائم والقيوم بمعنى وهو الثابت الذي لا يزول ويعبر عنه في الاصطلاح النظري بالواجب الوجود وقد يفسر القائم على معنى قولهم فلان قائم بأمر كذا أي وال وممسك له أن يضطرب ثم قال هو موصوف بانه قائم دائم من قبل أن يخلق العالم وهذا يؤكد التفسير الاول لانه اذا لم يكن العالم مخلوقا بعد لم يصدق عليه انه قائم بأمره الا بالقوة لا بالفعل كما يصدق عليه انه سميع بصير في الازل أي اذا وجدت المسموعات والمبصرات سمعها وأبصرها ولو سمي قبل خلق الكلام متكلما على هذا التفسير لم استبعده وان كان أصحابنا يأبونه والابراج الاركان في اللغة العربية فان قلت فهل يطابق هذا التفسير ما يعتقده أصحاب الهيئة وكثير من الحكماء والمتكلمين ان السماء كرة لا زاوية فيها ولا اضلاع قلت نعم لا منافاة بين القولين لان الفلك وان كان كرة لكن فيه من المتممات ما يجري مجرى أركان الحصن أو السور فصح اطلاق لفظة الابراج عليه والمتممات أجسام في حشو الفلك تخف في موضع وتثخن في موضع والناس كلهم أثبتوها فان قلت فهل يجوز أن يحمل لفظ الابراج على ما يعتقده المنجمون وأهل الهيئة وكثير من الحكماء والمتكلمين من كون الفلك مقسوما باثني عشر قسما كل قسم منها يسمى برجا قلت لا مانع من ذلك لان هذا المسمى كان معلوما متصورا قبل نزول

القرآن وكان أهل الاصطلاح قد وضعوا هذا اللفظ بازائه فجاز أن ينزل القرآن بموجبه قال تعالى والسماء ذات البروج وأخذها علي عليه السلام منه فقال اذ لا سماء ذات أبراج وارتفع سماء لانه مبتدأ وخبره محذوف وتقديره في الوجود ثم قال ولا حجب ذات ارتاج والارتاج مصدر ارتج أي أغلق أي ذات اغلاق ومن رواه ذات رتاج على فعال فالرتاج الباب المغلق ويبعد رواية من رواه ذات ارتاج لان فعالا قل أن يجمع على أفعال ويعني بالحجب ذات الارتاج حجب النور المضروبة بين عرشه العظيم وبين ملائكته ويجوز أن يريد بالحجب السموات أنفسها لانها حجبت الشياطين عن أن تعلم ما الملائكة فيه والليل الداجي المظلم والبحر الساجي الساكن والفجاج جمع فج وهو الطريق الواسع بين جبلين والمهاد الفراش قوله ولا خلق ذو اعتماد أي ولا مخلوق يسعى برجلين فيعتمد عليهما أو يطير بجناحيه فيعتمد عليهما ونحو ذلك والاعتماد هنا البطش والتصرف مبتدع الخلق مخرجه من العدم المحض كقوله تعالى بديع السموات والارض ودائبان تثنية دائب وهو الجاد المجتهد المتعب دأب في عمله أي جد وتعب دأبا ودؤبا فهو دئب ودأبته أنا وسمي الشمس والقمر دائبين لتعاقبهما على حال واحدة دائما لا يفتران ولا يسكنان وروي دائبين بالنصب على الحال ويكون خبر المبتدأ يبليان وهذه من الالفاظ القرآنية

(الاصل) قَسَمَ أرْزَاقَهُمْ وأحْصَى آثَارَهُمْ وَأعْمَالَهُمْ وعَدَدَ أنْفَاسِهِمْ وخَائِنَةَ أعْيُنِهِمْ • وما تُخْفِي صُدُورُهُمْ مِنَ الضَّمِيرِ • ومُسْتَقَرَّهُمْ وَمُسْتَوْدَعَهُمْ مِنَ الأرْحَامِ والظُّهُورِ • إلَى أنْ تَتَنَاهَى بِهِمُ الغَايَاتُ

(الشرح) آثارهم يمكن أن يعني به آثار وطئهم في الارض ايذانا بأنه تعالى عالم بكل معلوم كما آذن قوله سبحانه وما تسقط من ورقة الا يعلمها بذلك ويمكن أن يعني به حركاتهم وتصرفاتهم وروي وعدد انفاسهم على الاضافة وخائنة الاعين ما يومى به مسارقة خفية ومستقرهم أي في الارحام ومستودعهم أي في الاصلاب وقد فسر ذلك فتكون من متعلقة بمستودعهم ومستقرهم على ارادة تكررها ويمكن أن يقال أراد مستقرهم ومأواهم على ظهر الارض ومستودعهم في بطنها بعد الموت وتكون من ههنا بمعنى منذ أي منذ زمان كونهم في الارحام والظهور الى أن تتناهى بهم الغايات أي الى أن يحشروا في القيمة وعلى التأويل الاول يكون تناهي الغايات بهم عبارة عن كونهم احياء في الدنيا

(الاصل) هُوَ الَّذِي اشْتَدَّتْ نِقْمَتُهُ عَلَى أعْدَائِهِ فِي سَعَةِ رَحْمَتِهِ وَاتَّسَعَتْ رَحْمَتُهُ لِأوْلِيَائِهِ فِي شِدَّةِ نِقْمَتِهِ • قَاهِرُ مَنْ عَازَّهُ • وَمُدَمِّرُ مَنْ شَاقَّهُ وَمُذِلُّ مَنْ نَاوَاهُ وَغَالِبُ مَنْ عَادَاهُ • مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ • وَمَنْ سَألَهُ أعْطَاهُ وَمَنْ أقْرَضَهُ قَضَاهُ • وَمَنْ شَكَرَهُ جَزَاهُ • عِبَادَ اللّهِ زِنُوا أنْفُسَكُمْ مِنْ قَبْلِ أنْ تُوزَنُوا • وَحَاسِبُوهَا مِنْ قَبْلِ أنْ تُحَاسَبُوا • وَتَنَفَّسُوا قَبْلَ ضِيقِ الخِنَاقِ • وانْقَادُوا قَبْلَ عُنْفِ السِّيَاقِ • واعْلَمُوا أنَّهُ مَنْ لَمْ يُعَنْ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى يَكُونَ لَهُ مِنْهَا وَاعِظٌ وَزَاجِرٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا لاَ وَاعِظٌ وَلاَ زَاجِرٌ

(الشرح) يجوز نقمة ونقمة مثل كلمة وكلمة ولبنة ولبنة ومعنى الكلام أنه مع كونه واسع الرحمة في نفس الامر وأنه أرحم الراحمين فانه شديد النقمة على أعدائه ومع كونه عظيم النقمة في نفس الامر وكونه شديد العقاب فانه واسع الرحمة لاوليائه وعازه أي غالبه وعزه أي غلبه ومنه وعزني في الخطاب وفي المثل من عز بز أي من غلب سلب والمدمر

المهالك دمر ودمر عليه بمعنى أى أهلكه وشاقه عاداه قيل ان أصله من الشق وهو النصف لان المعادى يأخذ فى شق والمعادى فى شق يقابله وناواه أى عاداه واللفظة مهموزة وانما لينها لاجل القرينة للسجعة وأصلها ناوأت الرجل مناوأة ونواء ويقال فى المثل اذا ناوأت الرجل فاصبر قوله زنوا أنفسكم قبل أن توزنوا من الكلام الفصيح النادر اللطيف يقول اعتبروا أعمالكم وأنتم مختارون قادرون على استدراك الفارط قبل أن يكون هذا الاعتبار فعل غيركم وأنتم لا تقدرون على استدراك الفارط ومثله قوله وحاسبوها من قبل أن تحاسبوا ثم قال وتنفسوا قبل ضيق الخناق أى انتهزوا الفرصة واعملوا قبل أن يفوتكم الامر ويجد بكم الرحيل ويقع الندم قال الشاعر

اختم وطينك رطب ان قدرت به * قد أمكن الختم أفواما فما ختموا

ثم قال وانقادوا قبل عنف السياق هو العنف بالضم وهو ضد الرفق يقال عنف عليه وعنف به أيضا والعنيف الذى لا رفق له بركوب الخيل والجمع عنف واعتنفت الامر أى أخذته بعنف يقول انقادوا أنتم من أنفسكم قبل أن تقادوا وتساقوا بغير اختياركم سوقا عنيفا ثم قال من لم يعنه الله على نفسه حتى يجعل له منها واعظا وزاجرا لم ينفعه الزجر والوعظ من غيرها أخذ هذا المعنى شاعر فقال

وأقصرت عما تعهدين وزاجر * من النفس خير من عتاب العواذل

فان قلت أليس فى هذا الكلام اشعار ما بالجبر قلت انه لا خلاف بين أصحابنا فى ان الله تعالى ألطافا يفعلها بعباده فيقربهم من الواجب ويبعدهم من القبيح ومن لم يعلم الله تعالى من حاله أنه لا لطف له لان كل ما يعرض لطفا له فانه لا يؤثر فى حاله ولا يزداد به الا اصرارا على القبيح والباطل فهو الذى عناه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله من لم يعن على نفسه لانه ما قبل المعونة ولا انقاد الى مقتضاها وقد روى واعلموا انه من لم يعن على نفسه بكسر العين أى من لم يعن الواعظين له والمنذرين على نفسه ولم يكن معهم الباعليها وقاهرا لها لم ينتفع بالوعظ والزجر لان هوى نفسه يغلب وعظ كل واعظ وزجر كل زاجر

(الاصل) ﴿ ومن خطبة له عليه السلام ﴾

تُعرَف بخطبة الاشباح وهى من جلائل خطبه عليه السلام روى مَسعَدَةُ بنُ صدَقَةَ عن الصادقِ جعفرِ بنِ محمدٍ عليهما السلامُ أنه قال خطب أميرُ المؤمنينَ بهذه الخطبةِ على منبرِ الكوفةِ وذلك أن رجلا أتاه فقال يا أميرِ المؤمنين صِفْ لنا ربَّنا مثل ما نراه عيانًا لنزداد له حبًّا وبه معرفة فغضِبَ ونادَى الصلاة جامعةً فاجتمع إليه الناسُ حتى غص المسجدُ بأهلِهِ فصعدَ المنبرَ وهو مغضَبٌ متغيرُ اللونِ فحمدَ الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال

الحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى لاَ يَفِرُهُ المَنْعُ وَالجُمُودُ * وَلاَ يُكْدِيهِ الإِعْطاءُ وَالجُودُ إِذْ كُلُّ مُعْطٍ مُنْتَقِصٌ سِوَاهُ * وَكُلُّ مانِعٍ مَذْمُومٌ ما خَلاَهُ * وَهُوَ المَنَّانُ بِفَوَائِدِ النِّعَمِ * وعوائِدِ المَزِيدِ وَالقِسَمِ عِيالُهُ الخَلاَئِقُ ضَمِنَ أَرْزَاقَهُمْ وقَدَّرَ أَقْوَاتَهُمْ وَنَهَجَ سَبِيلَ الرَّاغِبِينَ إِلَيْهِ * والطَّالِبِينَ ما لَدَيْهِ * وَلَيْسَ بِمَا سُئِلَ بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَا لَمْ يُسْأَلْ * الأَوَّلُ الَّذِى لَمْ يَكُنْ

لَهُ قَبْلٌ فَيَكُونَ شَىْءٌ قَبْلَهُ * وَالآخِرُ الَّذِى لَيْسَ لَهُ بَعْدٌ فَيَكُونَ شَىْءٌ بَعْدَهُ * والرَّادِعُ أَنَاسِيَّ الأَبْصارِ عَنْ أَنْ تَنالَهُ أَوْ تُدْرِكَهُ * ما اخْتَلَفَ عَلَيْهِ دَهْرٌ فَيَخْتَلِفَ مِنْهُ الحالُ * وَلاَ كانَ فِي مَكانٍ فَيَجُوزَ عَلَيْهِ الانْتِقالُ

(الشرح) الاشباح الاشخاص والمراد بهم ههنا الملائكة لان الخطبة تتضمن ذكر الملائكة وقوله الصلاة جامعة منصوب بفعل مقدر أى أحضروا الصلاة وأقيموا الصلاة وجامعة منصوب على الحال من الصلاة وغص المسجد بفتح الغين أى امتلأ والمسجد غاص بأهله ويقال رجل مغضب بفتح الضاد أى قد أغضب أى فعل به ما يوجب غضبه ويفره المنع يزيد فى ماله والموفور التام ووفرت الشئ وفرا ووفر الشئ نفسه وفورا يتعدى ولا يتعدى وفى أمثالهم يوفر ويحمد هو من قولك وفرته عرضه ووفرته ماله وقوله ولا يكديه الاعطاء أى لا يفقره ولا ينفد خزائنه يقال كدت الارض تكدو فهى كادية اذا أبطأ نباتها وقل خيرها فهذا لازم فاذا عديته أتيت بالهمزة فقلت أكديت الارض أى جعلتها كادية ويقول أكدى الرجل اذا قل خيره وقوله تعالى وأعطى قليلا وأكدى أى قطع القليل يقول انه سبحانه قادر على المقدورات وليس كالملوك من البشر الذين اذا أعطوا انقصت خزائنهم وان منعوا ازدادت وقد شرح ذلك وقال اذ كل معط منتقص أى منقوص ويجىء انتقص لازما ومتعديا تقول انتقص الشئ نفسه وانتقصت الشئ أى نقصته وكذلك نقص يجىء لازما ومتعديا ثم قال وكل مانع مذموم غيره وذلك لانه تعالى انما يمنع من تقتضى الحكمة والمصلحة منعه وليس كما يمنع البشر وسأل رجل على بن موسى الرضا عن الجواد فقال ان لكلامك وجهين فان كنت تسأل عن المخلوق فان الجواد هو الذى يؤدى ما افترض الله عليه والبخيل هو الذى يبخل بما افترض الله عليه وان تعنى الخالق فهو الجواد ان أعطى وهو الجواد ان منع لانه ان أعطى عبدا أعطاه ما ليس له وان منعه منعه ما ليس له قوله وليس بما سأل باجود منه بما لم يسأل فيه معنى لطيف وذاك لان هذا المعنى مما يختص بالبشر لانهم يتحركون بالسؤال وتهزهم الطلبات فيكونون بما سألهم السائل أجود منهم بما لم يسألهم اياه وأما البارى سبحانه فان جوده ليس على هذا المنهاج لان جوده عام فى جميع الاحوال ثم ذكران وجوده تعالى ليس بزمانى فلا يطلق عليه البعدية والقبلية كما يطلق على الزمانيات وانما لم يكن وجوده زمانيا لانه لا يقبل الحركة والزمان من لواحق الحركة وانما لم تطلق عليه البعدية والقبلية اذا لم يكن زمانيا لان قولنا فى الشئ انه بعد الشئ الفلانى أى الموجود فى زمان حضر بعد تقضى زمان ذلك الشئ الفلانى وقولنا فى الشئ انه قبل الشئ الفلانى انه موجود فى زمان حضر ولم يحضر زمان ذلك الشئ الفلانى بعد فما ليس فى الزمان ليس يصدق عليه القبل والبعد الزمانيان فيكون تقدير الكلام على هذا الاول الذى لا يصدق عليه القبلية الزمانية ليمكن أن يكون شئ ما قبله والآخر الذى لا يصدق عليه البعدية الزمانية ليمكن أن يكون شئ ما بعده وقد يحمل الكلام على وجه آخر أقرب متنا ولا من هذا الوجه وهو أن يكون أراد الذى لم يكن محدثا أى موجودا قد سبقه عدم فيقال انه مسبوق بشئ من الاشياء اما المؤثر فيه أو الزمان المقدم عليه وانه ليس بذات يمكن فناؤها وعدمها فيما لا يزال فيقال انه ينقضى وينصرم ويكون بعده شئ من الاشياء اما الزمان أو غيره والوجه الاول أدق وألطف ويؤكد كونه مرادا قوله عقيبه ما اختلف عليه دهر فيختلف منه الحال وذلك لان واجب الوجود أعلى من الدهر والزمان فنسبة ذاته الى الدهر والزمان بجملته وتفصيل أجزائه نسبة متحدة فان قلت اذا لم يكن قبل الاشياء بالزمان ولا بعدها بالزمان فهو معها بالزمان لانه لا يبقى بعد نفى القبلية والبعدية الا المعية قلت انما يلزم ذلك فيما وجوده زمانى وأما ما ليس زمانيا لا يلزم من نفى القبلية والبعدية اثبات المعية كما انه ما لم يكن وجوده مكانيا لم يلزم من نفى كونه فوق العالم أو تحت العالم بالمكان أن يكون مع العالم بالمكان ثم قال الرادع أناسى الابصار عن أن تناله أو تدركه الاناسى جمع انسان وهو المثال الذى يرى فى السواد وهذا اللفظ بظاهره يشعر بمذهب الاشعرية وهو قولهم ان الله

تعالى خلق فى الابصار مانعا عن ادراكه الا أن الادلة العقلية من جانبنا اقتضت تأويل هذا اللفظ كما تأول شيوخنا قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فقالوا الى جنة ربها فنقول تقديره الرادع أنا مى الابصار ان تنال أنوار جلالته فان قلت أتثبتون له تعالى أنوارا يمكن أن تدركها الابصار وهل هذا الا القول بالتجسيم قلت كلا لا تجسيم فى ذلك فكما ان له عرشا وكرسيا وليس بجسم فكذلك له أنوار عظيمة فوق العرش وليس بجسم فكيف تنكر الانوار وقد نطق الكتاب العزيز بها فى غير موضع كقوله وأشرقت الارض بنور ربها وكقوله مثل نوره كمشكاة فيها مصباح

(الاصل) وَلَوْ ذَهَبَ ما تَنَفَّسَتْ عَنْهُ مَعادِنُ الجِبالِ * وَضَحِكَتْ عَنْهُ أَصْدافُ البِحارِ * مِنْ فِلِزِّ اللُّجَيْنِ وَالعِقْيانِ * وَنُثارَةِ الدُّرِّ وَحَصِيدِ المَرْجانِ * ما أَثَّرَ ذَلِكَ فى جُودِهِ * وَلا أَنْفَدَ سَعَةَ ما عِنْدَهُ * وَلَكانَ عِنْدَهُ مِنْ ذَخائِرِ الإِنْعامِ * ما لا تُنْفِدُهُ مَطالِبُ الأَنامِ * لِأَنَّهُ الجَوادُ الذِى لا يَغِيضُهُ سُؤالُ السَّائِلِينَ * وَلا يُبْخِلُهُ إِلْحاحُ المُلِحِّينَ

(الشرح) هذا الكلام من تتمة الكلام الاول وهو قوله لا يفره المنع والجمود ولا يكديه الاعطاء والجود وتنفست عنه المعادن استعارة كانها لما أخرجته وولدته كانت كالحيوان يتنفس فيخرج من صدره ورئته الهواء وضحكت عنه الاصداف أى تفتحت عنه وانشقت يقال للطلع حين ينشق الضحك بفتح الضاد وانما سمى الضاحك ضاحكا لانه يفتح فاه والفلز اسم أجسام الذائبة كالذهب والفضة والرصاص ونحوها واللجين اسم الفضة جاء مصغرا كالكميت والثريا والعقيان الذهب الخالص ويقال هو ماينبت نباتا وليس مما يحصل من الحجارة ونثارة الدر ما تناثر منه كالسقاطة والنخالة وتأتى فعالة تارة للجيد المختار وتارة للساقط المتروك فالاول نحو الخلاصة والثانى نحو القلامة وحصيد المرجان كانه أراد المتبدد منه كما يتبدد الحب المحصود ويجوز أن يعنى به الصلب المحكم من قولهم شئ مستحصد أى مستحصف مستحكم يعنى انه ليس برخو ولا هش ويروى وحصباء المرجان والحصباء الحصى وأرض حصبة ومحصبة بالفتح ذات حصباء والمرجان صغار اللؤلؤ وقد قيل انه هذا الحجر واستعمله بعض المتأخرين فقال

ادمى لها المرجان صفحة خده * وبكى عليها اللؤلؤ المكنون

وتنفده تفنيه نفد الشئ أى فنى وأنفدته أنا ومطالب الانام جمع مطلب وهو المصدر من طلبت الشئ طلبا ومطلبا ويغيضه بفتح حرف المضارعة ينقصه ويقال غاض الماء فهذا لازم وغاض الله الماء فهذا متعد وجاء أغاض الله الماء والالحاح مصدر ألح على الامر أى أقام عليه دائما من ألح السحاب اذا دام مطره وألح البعير حرن كما تقول خلأت الناقة وروى ولا يبخله بالتخفيف يقول أبخلت زيدا أى صادفته بخيلا وأجبنته وجدته جبانا وفى هذا الفصل من حسن الاستعارة وبديع الصنعة مالا خفاء به

(الاصل) فَانْظُرْ أَيُّها السَّائِلُ فَما دَلَّكَ القُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فائْتَمَّ بِهِ * وَاسْتَضِئْ بِنُورِ هِدايَتِهِ * وَما كَلَّفَكَ الشَّيْطانُ عِلْمَهُ * مِمَّا لَيْسَ فى الكِتابِ عَلَيْكَ فَرْضُهُ * وَلا فى سُنَّةِ النَّبِىِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَئِمَّةِ الهُدَى أَثَرُهُ * فَكِلْ عِلْمَهُ إِلَى اللهِ سُبْحانَهُ * فَإِنَّ ذَلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ اللهِ عَلَيْكَ * وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فى العِلْمِ هُمُ الذِينَ أَغْناهُمْ عَنِ اقْتِحامِ السُّدَدِ المَضْرُوبَةِ دُونَ الغُيُوبِ * الإِقْرارُ بِجُمْلَةِ ما جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الغَيْبِ المَحْجُوبِ *

فَمَدَحَ اللهُ اعْتِرافَهُمْ بِالعَجْزِ عَنْ تَناوُلِ ما لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْماً * وَسَمَّى تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فِيما لَمْ يُكَلِّفْهُمُ البَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخاً * فاقْتَصِرْ عَلَى ذَلِكَ وَلا تُقَدِّرْ عَظَمَةَ اللهِ سُبْحانَهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ فَتَكُونَ مِنَ الهالِكِينَ

(الشرح) تقول ائتم فلان بفلان أى جعله اماما واقتدى به فكل علمه من وكله الى كذا وكلا ووكولا وهذا الامر موكول الى رأيك والاقتحام الهجوم والدخول مغالبة والسدد المضروبة جمع سدة وهى الرتاج واعلم ان هذا الفصل يمكن أن تتعلق به الحشوية المانعون من تأويل الآيات الواردة فى الصفات القائلين بالجمود على الظواهر ويمكن أيضا أن يتعلق به من نفى النظر وحرمه أصلا ونحن قبل أن نحققه ونتكلم فيه نبدأ بتفسير قوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم فنقول ان من الناس من وقف على قوله الا الله ومنهم من لم يقف على ذلك وهذا القول أقوى من الاول لانه اذا كان لا يعلم تأويل المتشابه الا الله لم يكن فى انزاله ومخاطبة المكلفين به فائدة بل يكون كخطاب العربى بالزنجية ومعلوم ان ذلك عيب قبيح فان قلت فما الذى يكون موضع يقولون من الاعراب قلت يمكن أن يكون نصبا على انه حال من الراسخين ويمكن أن يكون كلاما مستأنفا أى هؤلاء العالمون بالتأويل يقولون آمنا به وقد روى عن ابن عباس انه تأول آية فقال قائل من الصحابة وما يعلم تأويله الا الله فقال ابن عباس والراسخون فى العلم وأنا من جملة الراسخين ثم نعود الى تفسير كلام أمير المؤمنين عليه السلام فنقول انه انما غضب وتغير وجهه لقول السائل صف لنا ربنا مثل ما نراه عيانا واذا هذا المعنى ينصرف وصيته له بما أوصاه به من اتباع ما جاء فى القرآن والسنة وذلك لان العلم الحاصل من رؤية الشئ عيانا علم لا يمكن أن يتعلق مثله بالله سبحانه لان ذاته تعالى لا يمكن أن نعلم من حيث هى هى كما نعلم المحسوسات ألا ترى انا اذا علمنا أنه صانع العالم وانه قادر عالم حى سميع بصير مريد وانه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض وعلمنا جميع الامور السلبية والايجابية المتعلقة به فانما علمنا سلوبا واضافات ولا شك ان ماهية الموصوف مغايرة لماهية الصفات والذوات المحسوسة بخلاف ذلك لانا اذا رأينا السواد فقد علمنا نفس حقيقة السواد لا صفة من صفات السواد وأيضا فانا لو قدرنا ان العلم بوجوده وصفاته السلبية والايجابية يستلزم العلم بذاته من حيث هى هى لم يكن عالما بذاته علما جزئيا لانه يمكن أن يصدق هذا العلم على كثيرين على سبيل البدل واذا ثبت أنه يستحيل أن يصدق على كثيرين على سبيل البدل ثبت أنه يستحيل أن يصدق على كثيرين على سبيل الجمع والعلم بالمحسوس يستحيل أن يصدق على كثيرين لا على سبيل الجمع ولا على سبيل البدل فقد بان أنه يستحيل أن يعلم الله تعالى كما يعلم الشئ المرئى عيانا فامير المؤمنين عليه السلام أنكر هذا السؤال كما أنكره الله تعالى على بنى اسرائيل لما طلبوا الرؤية قال تعالى واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة ثم قال للسائل بعد غضبه واستحالة لونه وظهور أثر الانكار عليه ما دلك القرآن عليه من صفته فخذ به فان لم تجده فى الكتاب فاطلبه من السنة ومن مذاهب أئمة الحق فان لم تجد ذلك فاعلم ان الشيطان حينئذ قد كلفك علم ما لم يكلفك الله علمه وهذا حق لان الكتاب والسنة قد نطقا بصفات الله من كونه عالما قادرا حيا مريدا سميعا بصيرا ونطقا أيضا بتنزيهه عن سمات الحدوث كالجسمية والحلول والجهة وما استلزم الجهة كالرؤية فلا انكار على من طلب فى مدارك العقول وجوها تعضد ما جاء به القرآن والسنة وتوفق بين بعض الآيات وبعض وتحمل أحد اللفظين على الآخر اذا تناقضا فى الظاهر صيانة لكلام الحكيم عن التهافت والتعارض وأما ما لم يأت الكتاب والسنة فيه بشئ فهو الذى حرم وحظر على المكلفين الفكر فيه كالكلام فى الماهية التى يذهب ضرار المتكلم اليها وكاثبات صفات زائدة على الصفات المعقولة لذات البارى سبحانه وهى على قسمين أحدهما ما لم يرد فيه نص كاثبات طائفة تعرف بالماتريدية صفة سموها التكوين زائدة على القدرة والارادة والثانى ما ورد فيه لفظ فاخطأ بعض أهل النظر فاثبت لاجل ذلك اللفظة صفة غير معقولة للبارى

سبحانه نحو قول الاشعري بين ان اليدين صفة من صفات الله والاستواء على العرش صفة من صفات الله وان وجه الله صفة من صفاته أيضا ثم قال ان الراسخون في العلم الذين غنوا بالاقرار بما عرفوه عن الولوج والتقحم فيما لم يعرفوه وهؤلاء هم أصحابنا المعتزلة لا شبهة في ذلك ألا ترى انهم يعللون أفعال الله تعالى بالحكم والمصالح فاذا ضاق عليهم الامر في تفصيل بعض المصالح في بعض المواضع قالوا نعلم على الجملة ان لهذا وجه حكمة ومصلحة وان كنا لا نعرف تفصيل تلك المصلحة كما يقولون في تكليف من يعلم الله تعالى منه انه يكفر وكما يقولون في اختصاص الحال التي حدث فيها العالم بحدوثه دون ما قبلها وما بعدها وقد تأول القطب الراوندي كلام أمير المؤمنين في هذا الفصل فقال انما أنكر على من يقول لم تعبد الله المكلفين باقامة خمس صلوات وهلا كانت ستا أو اربعا ولم جعل الظهر أربع ركعات والصبح ركعتين وهلا عكس الحال وهذا التأويل غير صحيح لأنه عليه السلام انما أخرج هذا الكلام مخرج المنكر على من سأله أن يصف له الباري سبحانه ولم يكن السائل قد سأل عن العلة في أعداد الصلاة وكمية أجزاء العبادات ثم انه عليه السلام قد صرح في غضون الكلام بذلك فقال فانظر أيها السائل فما دلك القرآن عليه من صفته فائتم به وما يدلك عليه فليس عليك أن تخوض فيه وهذا الكلام تصريح بان البحث انما هو في النظر العقلي في فن الكلام فلا يجوز أن يحمل على ما هو بمعزل عنه واعلم انا نتساهل في ألفاظ المتكلمين فنوردها بعباراتهم كقولهم في المحسوسات والاصوات المحسات لانه لفظ المفعول من أحس الرباعي لكنا لما رأينا العدول عن ألفاظهم اذا خضنا في مباحثهم مستهجنا عبرنا بعباراتهم على علمنا ان العربية لا تسوغها

(الاصل) هُوَ القَادِرُ الذِي إِذَا ارْتَمَتِ الأَوْهامُ لِتُدْرِكَ مُنْقَطَعَ قُدْرَتِهِ * وَحاوَلَ الفِكْرُ المُبَرَّأُ مِنْ خَطَرَاتِ الوَسَاوِسِ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ فِى عَمِيقاتِ غُيُوبِ مَلَكُوتِهِ * وَتَوَلَّهَتِ القُلُوبُ اِلَيْهِ * لِتَجْرِيَ فى كَيْفِيَّةِ صِفاتِهِ * وَغَمَضَتْ مَدَاخِلُ العُقُولِ فى حَيْثُ لاَ تَبْلُغُهُ الصِّفاتُ لِتَناوُلِ عِلْمِ ذَاتِهِ * رَدَعَها فَهِىَ تَجُوبُ مَهاوِيَ سُدَفِ الغُيُوبِ * مُتَخَلِّصَةً اِلَيْهِ سُبْحانَهُ فَرَجَعَتْ اِذْ جُبِهَتْ مُعْتَرِفَةً بِانَّهُ لاَ يُنالُ بِجَوْرِ الاِعْتِسافِ كُنْهُ مَعْرِفَتِهِ * وَلاَ تَخْطُرُ بِبالِ أُولِى الرَّوِيَّاتِ خاطِرَةٌ مِنْ تَقْدِيرِ جَلاَلِ عِزَّتِهِ

(الشرح) ارتمت الاوهام أي ترامت يقال ارتمى القوم بالنبل أي تراموا فشبه جولان الاوهام والافكار وتعارضها بالترامي وخطر الوساوس بتسكين الطاء مصدر خطر له خاطر أي عرض في قلبه وروى من خطرات الوساوس وتولهت القلوب اليه اشتد عشقها حتى أصابها الوله وهو الحيرة وقوله لتجري في كيفية صفاته أي لتصادف مجرى ومسلكا في ذلك وغمضت مداخل العقول أي غمض دخولها ودق في الانظار العميقة التي لا تبلغ الصفات كنهها لدقتها وغموضها طالبة ان تنال معرفته تعالى ولفظة ذات لفظة قد طال فيها كلام كثير من أهل العربية فانكر قوم اطلاقها على الله تعالى واضافتها اليه اما اطلاقها فلانها لفظة تأنيث والباري سبحانه منزه عن الاسماء والصفات المؤنثة وأما اضافتها فلانها عين الشيء والشيء لا يضاف الى نفسه وأجاز آخرون اطلاقها في الباري تعالى واضافتها اليه أما استعمالها فلوجهين أحدهما انها قد جاءت في الشعر القديم قال خبيب الصحابي عند صلبه

وذلك في ذات الاله وان يشأ * يبارك على أوصال شلو ممزع

ويروى ممزع وقال النابغة

محبتهم ذات الاله ودينهم * قديم فما يخشون غير العواقب

والوجه

والوجه الثاني انها لفظة اصطلاحية فجاز استعمالها لا على انها مؤنث ذو بل تستعمل ارتجالا في مسماها الذي عبر عنه بها أرباب النظر الالهي كما استعملوا لفظ الجوهر والعرض وغيرهما في غير ما كان أهل العربية واللغة يستعملونها فيه وأما منعهم اضافتها اليه تعالى وانه لا يقال ذاته لان الشيء لا يضاف الى نفسه فباطل بقولهم أخذته نفسه وأخذته عينه فانه بالاتفاق جائز وفيه اضافة الشيء الى نفسه ثم نعود الى التفسير قوله عليه السلام ردعها أي كفها وتجوب أي تقطع والمهاوي المهالك الواحدة مهواة بالفتح وهي ما بين جبلين أو حائطين ونحو ذلك والسدف جمع سدفة وهي القطعة من الليل المظلم وجبهت أي ردت وأصله من جبهته أي صككت جبهته والجور العدول عن الطريق والاعتساف قطع المسافة على غير جادة معلومة وخلاصة هذا الفصل ان العقول اذا حاولت أن تدرك متى ينقطع اقتداره على المقدورات نكصت عن ذلك لانه قادر ابدا دائما على ما لا يتناهى واذا حاول الفكر الذي قد صفا وخلا من الوساوس والعوائق أن يدرك مغيبات علمه تعالى كل وحسر ورجع ناكصا أيضا واذا اشتد عشق النفوس له وتولهت نحوه لتسلك مسلكا تقف منه على كيفية صفاته عجزت عن ذلك واذا تغلغلت العقول وغمضت مداخلها في دقائق العلوم النظرية الالهية التي لا توصف لدقتها طالبة ان تعلم حقيقة ذاته تعالى انقطعت وأعيت وردها سبحانه وتعالى وهي تجول وتقطع ظلمات الغيب لتخلص اليه فارتدت حيث جبهها وردعها مقرة معترفة بان ادراكه ومعرفته لا تنال باعتساف المسافات التي بينها وبينه وان أرباب الافكار والرويات يتعذر عليهم أن يخطر لهم خاطر يطابق ما في الخارج من تقدير جلال عزته ولا بد من أخذ هذا القيد في الكلام لان أرباب الانظار لا بد أن تخطر لهم الخواطر في تقدير جلال عزته ولكن تلك الخواطر لا تكون مطابقة لما في الخارج لانها خواطر مستندها الوهم لا العقل الصريح وذلك لان الوهم قد ألف الحسيات والمحسوسات فهو يعقل خواطر بحسب ما ألفه من ذلك وجلال واجب الوجود أعلى وأعظم من أن يتطرق الوهم نحوه لانه بريء من المحسوسات سبحانه وأما العقل الصريح فلا يدرك خصوصية ذاته لما تقدم واعلم ان قوله تعالى فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير فيه اشارة الى هذا المعنى وكذلك قوله يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه

(الاصل) الَّذِى ابْتَدَعَ الخَلْقَ على غَيْرِ مِثالٍ امْتَثَلَهُ * وَلاَ مِقْدَارٍ احْتَذَى عَلَيْهِ مِنْ خالِقٍ مَعْبُودٍ كانَ قَبْلَهُ * وَأَرَانا مِنْ مَلَكُوتِ قُدْرَتِهِ * وَعَجائِبِ ما نَطَقَتْ بِهِ آثارُ حِكْمَتِهِ * وَاعْتِرَافِ الحَاجَةِ مِنَ الخَلْقِ إِلَى أَنْ يُقِيمَها بِمِساكِ قُوَّتِهِ ما دَلَّنا بِاضْطِرَارِ قِيامِ الحُجَّةِ لَهُ على مَعْرِفَتِهِ * وَظَهَرَتْ فِي البَدَائِعِ الَّتِى أَحْدَثَها آثارُ صَنْعَتِهِ وَأَعْلاَمُ حِكْمَتِهِ * فَصارَ كُلُّ ما خَلَقَ حُجَّةً لَهُ وَدَلِيلاً عَلَيْهِ وَاِنْ كانَ خَلْقاً صامِتاً فَحُجَّتُهُ بِالتَّدْبِيرِ ناطِقَةٌ * وَدَلاَلَتُهُ على المُبْدِعِ قائِمَةٌ

(الشرح) المساك بكسر الميم ما يمسك ويعصم به وقوله ابتدع الخلق على غير مثال امتثله يحتمل وجهين أحدهما أن يريد بامتثله مثله كما تقول صنعت واصطنعت بمعنى فيكون التقدير انه لم يمثل لنفسه مثالا قبل شروعه في خلق العالم ثم احتذى ذلك المثال وركب العالم على حسب ترتيبه كالصانع الذي يصوغ حلقة من رصاص مثالا ثم يصوغ حلقة من ذهب عليها أو كالبناء يقدر ويفرض رسوما وتقديرات في الارض وخطوطا ثم يبني بحسبها والوجه الثاني انه يريد بامتثله احتذاه وتقبله واتبعه والاصل فيه امتثال الامر في القول فنقل الى احتذاء الترتيب العقلي فيكون التقدير انه لم يمثل له فاعل آخر قبله مثالا اتبعه واحتذاه وفعل نظيره كما يفعل التلميذ في الصياغة والنجارة شيأ قد مثل له أستاذه صورته

وهيئته * واعلم ان هذا أحد الاسئلة التى يذكرها أصحابنا فى باب كونه عالما لانهم لما استدلوا على كونه تعالى عالما بطريق احكام العالم واتقانه سألوا أنفسهم فقالوا لم لا يجوز أن يكون القديم سبحانه أحدث العالم محتذيا لمثال مثله وهيئة اقتضاها والمحتذى لا يجب كونه عالما بما يفعله ألا ترى ان من لا يحسن الكتابة قد يحتذى خطا مخصوصا فيكتب قريبا منه وكذلك من يطبع الشمع بالخاتم ثم يطبع فيه مثال الخاتم فهو فعل الطابع ولا يجب كونه عالما وأجاب أصحابنا عن ذلك فقالوا ان أول فعل محكم وقع منه ثم احتذى عليه يكفى فى ثبوت كونه عالما وأيضا فان المحتذى ليست العالمية مسلوبة عنه بل موصوف بها ألا ترى انه متصور صورة ما يحتذ يه ثم يوقع الفعل مشابها له فالمحتذى عالم فى الجملة ولكن علمه يحدث شيأ فشيأ فأما معنى الفصل فظاهر يقول عليه السلام انه ابتدع الخلق على غير مثال قدمه لنفسه ولا قدم له غيره ليحتذى عليه وأرانا من عجائب صنعته ومن اعتراف الموجودات كلها بأنها فقيرة محتاجة الى أن يمسكها بقوته ما دلنا على معرفته ضرورة وفى هذا اشارة الى أن كل ممكن مفتقر الى المؤثر ولما كانت الموجودات كلها غيره سبحانه ممكنة لم تكن غنية عنه سبحانه بل كانت فقيرة اليه لانه لولاه ما بقيت فهو سبحانه غنى عن كل شئ ولا شئ من الاشياء مطلقا يغنى عنه سبحانه وهذه من خصوصية الالهية وأجل ما تدركه العقول من الانظار المتعلقة بها فان قلت فى هذا الكلام اشعار بمذهب شيخكم أبى عثمان فى ان معرفته تعالى ضرورية قلت يكاد أن يكون الكلام مشعرا بذلك الا أنه غير دال عليه لانه لم يقل ما دلنا على معرفته باضطرار ولكن قال ما دلنا باضطرار قيام الحجة له على معرفته فالاضطرار راجع الى قيام الحجة لا الى المعرفة ثم قال عليه السلام وظهرت آثار صنعته ودلائل حكمته فى مخلوقاته فكانت وهى صامتة فى الصورة ناطقة فى المعنى بوجوده وربوبيته سبحانه والى هذا المعنى نظر الشاعر فقال

فواعجبا كيف يعصى الاله * أم كيف يجحده الجاحد

وفى كل شئ له آية * تدل على انه واحد

وقالوا فى تفسير قوله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه عبارة عن هذا المعنى

(الاصل) فَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِتَبَايُنِ أَعْضَاءِ خَلْقِكَ وَتَلَاحُمِ حِقَاقِ مَفَاصِلِهِمُ الْمُحْتَجِبَةِ لِتَدْبِيرِ حِكْمَتِكَ * لَمْ يَعْقِدْ غَيْبَ ضَمِيرِهِ عَلَى مَعْرِفَتِكَ * وَلَمْ يُبَاشِرْ قَلْبَهُ الْيَقِينُ بِأَنَّهُ لَا نِدَّ لَكَ * وَكَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ تَبَرُّأَ التَّابِعِينَ عَنِ الْمَتْبُوعِينَ إِذْ يَقُولُونَ تَاللهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * كَذَبَ الْعَادِلُونَ بِكَ * إِذْ شَبَّهُوكَ بِأَصْنَامِهِمْ وَنَحَلُوكَ حِلْيَةَ الْمَخْلُوقِينَ بِأَوْهَامِهِمْ * وَجَزَّؤُوكَ تَجْزِئَةَ الْمُجَسَّمَاتِ بِخَوَاطِرِهِمْ * وَقَدَّرُوكَ عَلَى الْخِلْقَةِ الْمُخْتَلِفَةِ الْقُوَى بِقَرَائِحِ عُقُولِهِمْ * وَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ سَاوَاكَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ * وَالْعَادِلُ بِكَ كَافِرٌ بِمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ مُحْكَمَاتُ آيَاتِكَ وَنَطَقَتْ عَنْهُ شَوَاهِدُ حُجَجِ بَيِّنَاتِكَ * وَأَنَّكَ أَنْتَ اللهُ الَّذِي لَمْ تَتَنَاهَ فِي الْعُقُولِ فَتَكُونَ فِي مَهَبِّ فِكْرِهَا مُكَيَّفًا * وَلَا فِي رَوِيَّاتِ خَوَاطِرِهَا مَحْدُودًا مُصَرَّفًا

(الشرح) حقاق المفاصل جمع حقة وجاء فى جمعها حقاق وحقق وحق ولما قال بتباين أعضاء خلقك وتلاحم حقاق مفاصلهم فأوقع التلاحم فى مقابلة التباين صناعة وبديعا وروى المحتجة فمن قال المحتجة أراد انها بما فيها من لطيف الصنعة كالمحتجة المستدلة على التدبير الحكمى من لدنه سبحانه ومن قال المحتجبة أراد المستترة لان تركيبها الباطن

خفى محجوب والند المثل والعادلون بك الذين جعلوا لك عديلا ونظيرا ونحلوك أعطوك وهى النحلة وروى لم يعقد على ما لم يسم فاعله وغيب ضميره بالرفع والقرائح جمع قريحة وهى القوة التى تستنبط بها المعقولات وأصله من قريحة البئر وهو أول مائها ومعنى هذا الفصل انه عليه السلام شهد بان المجسم كافر وانه لا يعرف الله وان من شبه الله بالمخلوقين ذوى الاعضاء المتباينة والمفاصل المتلاحمة لم يعرفه ولم يباشر قلبه اليقين فانه لا ند له ولا مثل ثم أكد ذلك بآيات من كتاب الله تعالى وهى قوله تعالى فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس أجمعون قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين حكى سبحانه حكاية قول الكفار فى النار وهم التابعون للذين أغووهم من الشياطين وهم المتبوعون لقد كنا ضالين اذ سويناكم بالله تعالى وجعلنا كم مثله ووجه الحجة انه تعالى حكى ذلك حكاية منكر على من زعم ان شيأ من الاشياء يجوز تسويته بالبارى سبحانه فلو كان البارى سبحانه جسما مصورا لكان مشابها لسائر الاجسام المصورة فلم يكن لانكاره على من سواه بالمخلوقات معنى ثم زاد عليه السلام فى تأكيد هذا المعنى فقال كذب العادلون بك المثبتون لك نظيرا وشبيها يعنى المشبهة والمجسمة اذ قالوا انك على صورة آدم فشبهوك بالاصنام التى كانت الجاهلية تعبدها وأعطوك حلية المخلوقين لما اقتضت أوهامهم ذلك من حيث لم يألفوا أن يكون القادر الفاعل العالم الا جسما وجعلوك مركبا ومتجزئا كما تتجزأ الاجسام وقدروك على هذه الخلقة يعنى خلقة البشر المختلفة القوى لانها مركبة من عناصر مختلفة الطبائع ثم كرر الشهادة فقال أشهد ان من ساواك بغيرك وأثبت انك جوهر أو جسم فهو عادل بك والعادل بك كافر وقالت تلك الخارجية للحجاج أشهد انك قاسط عادل فلم يفهم أهل الشام حوله ما قالت حتى فسره لهم قال عليه السلام فمن يذهب الى هذا المذهب فهو كافر بالكتاب وبما دلت عليه حجج العقول ثم قال وانك أنت الله أى وأشهد أنك أنت الله الذى لم تحط العقول بك كاحاطتها بالاشياء المتناهية فتكون ذا كيفية وقوله فى مهب فكرها استعارة حسنة ثم قال ولا فى رويات خواطرها أى فى أفكارها محدودا ذا حد مصرفا أى قابلا للحركة والتغيير وقد استدل بعض المتكلمين على نفى كون البارى سبحانه جسما بما هو مأخوذ من هذا الكلام فقال لو جاز أن يكون البارى جسما لجاز أن يكون القمر هو اله العالم لكن لا يجوز أن يكون القمر اله العالم فلا يجوز أن يكون البارى جسما بيان الملازمة انه لو جاز أن يكون البارى سبحانه جسما لما كان بين الالهية وبين الجسمية منافاة عقلية واذا لم يكن بينهما منافاة عقلية أمكن اجتماعهما واذا أمكن اجتماعهما جاز أن يكون القمر هو اله العالم لانه لا مانع من كونه اله العالم الا كونه جسما يجوز عليه الحركة والافول ونقصان ضوئه تارة وامتلاؤه أخرى فاذا لم يكن ذلك منافيا للالهية جاز أن يكون القمر اله العالم وبيان الثانى اجماع المسلمين على كفر من أجاز كون القمر اله العالم واذا ثبتت الملازمة وثبتت المقدمة الثانية فقد تمت الدلالة

(الاصل) (ومنها) قَدَّرَ مَا خَلَقَ فَأَحْكَمَ تَقْدِيرَهُ * وَدَبَّرَهُ فَأَلْطَفَ تَدْبِيرَهُ وَوَجَّهَهُ لِوِجْهَتِهِ فَلَمْ يَتَعَدَّ حُدُودَ مَنْزِلَتِهِ * وَلَمْ يَقْصُرْ دُونَ الِانْتِهَاءِ إِلَى غَايَتِهِ * وَلَمْ يَسْتَصْعِبْ إِذْ أُمِرَ بِالْمُضِيِّ عَلَى إِرَادَتِهِ * فَكَيْفَ وَإِنَّمَا صَدَرَتِ الْأُمُورُ عَنْ مَشِيئَتِهِ * الْمُنْشِئُ أَصْنَافَ الْأَشْيَاءِ بِلَا رَوِيَّةِ فِكْرٍ آلَ إِلَيْهَا * وَلَا قَرِيحَةِ غَرِيزَةٍ أَضْمَرَ عَلَيْهَا * وَلَا تَجْرِبَةٍ أَفَادَهَا مِنْ حَوَادِثِ الدُّهُورِ * وَلَا شَرِيكٍ أَعَانَهُ عَلَى ابْتِدَاعِ عَجَائِبِ الْأُمُورِ * فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ وَأَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ * وَأَجَابَ إِلَى دَعْوَتِهِ * لَمْ يَعْتَرِضْ دُونَهُ رَيْثُ الْمُبْطِئِ * وَلَا أَنَاةُ الْمُتَلَكِّئِ * فَأَقَامَ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَوَدَهَا * وَنَهَجَ حُدُودَهَا وَلَاءَمَ بِقُدْرَتِهِ بَيْنَ مُتَضَادِّهَا *

وَوَصَلَ أَسْبَابَ قَرَائِنِها وَفَرَّقَها أَجْناساً مُخْتَلِفات * فى الْحُدُودِ وَالْأَقْدَارِ وَالْغَرَائِزِ وَالْهَيْئَاتِ * بَدَايا خَلَائِقَ أَحْكَمَ صُنْعَها * وَفَطَرَها على ما أَرَادَ وَابْتَدَعَها

(الشرح) الوجهة بالكسر الجهة التى يتوجه نحوها قال تعالى ولكل وجهة هو موليها والريث البطء والمتلكئ المتأخر والاود الاعوجاج والمدد الطريق ولاءم بين كذا وكذا أى جمع والقرائن هنا الانفس واحدتها قرونة وقرينة يقال سمحت قرينته وقرونته أى أطاعته نفسه وذلت وتابعته على الامر وبدايا ههنا جمع بدية وهى الحالة العجيبة أبدأ الرجل اذا جاء بالامر البدىء أى المعجب والبدية أيضا الحالة المبتدأة المبتكرة ومنه قولهم فعله بادى بدىء على وزن فعيل أى أول كل شئ ويمكن أن يحمل كلامه أيضا على هذا الوجه وأما خلائق فيجوز أن يكون أضاف بدايا اليها ويجوز أن لا يكون اضافه اليها بل جعلها بدلا من أجناسا ويروى برايا جمع برية يقول عليه السلام انه تعالى قدر الاشياء التى خلقها فجعلها محكمة على حسب ما قدر وألطف تدبيرها أى جعله لطيفا وأمضى الامور الى غاياتها وحدودها المقدرة لها فهيأ الصقرة للاصطياد والخيل للركوب والطراد والسيف للقطع والقلم للكتابة والفلك للدوران ونحو ذلك وفى هذا اشارة الى قول النبى صلى الله عليه وآله كل ميسر لما خلق له فلم تتعد هذه المخلوقات حدود منزلتها التى جعلت غايتها ولا قصرت دون الانتهاء اليها يقول لم تقف على الغاية ولا تجاوزتها ثم قال ولا استصعبت وامتنعت اذا أمرها بالمضى الى تلك الغاية بمقتضى الارادة الالهية وهذا كله من باب المجاز كقوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين وخلاصة ذلك الابانة عن نفوذ ارادته ومشيئته ثم علل نفى الاستصعاب فقال وكيف يستصعب وانما صدرت عن مشيئته يقول اذا كانت مشيئته هى المقتضية لوجود هذه المخلوقات فكيف يستصعب عليه بلوغها الى غاياتها التى جعلت لاجلها وأصل وجودها انما هو مشيئته فاذا كان أصل وجودها بمشيئته فكيف يستصعب عليه توجيهها الوجهة بها وهو فرع من فروع وجودها وتابع له ثم أعاد معانى القول الاول فقال انه انشأ الاشياء بغير روية ولا فكرة ولا غريزة أضمر عليها خلق ما خلق عليها ولا تجربة أفادها أى استفادها من حوادث مرت عليه من قبل كما تكسب التجارب علوما لم تكن ولا بمساعدة شريك أعانه عليها فتم خلقه بأمره اشارة الى قوله ولم تستصعب اذا أمر بالمضى فلما أثبت هناك كونها أمرت أعاد لفظ الامر ههنا والكل مجاز ومعناه نفوذ ارادته وانه اذا شاء أمرا استحال أن لا يقع وهذا المجاز هو المجاز المستعمل فى قوله تعالى انما قولنا الشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون تعبيرا بهذا اللفظ عن سرعة مواتاة الامور له وانقيادها تحت قدرته ثم قال ليس كالواحد منا يعترض دون مراده ريث وبطء وتأخير والتواء ثم قال وأقام الاعوج وأوضح الطريق وجمع بين الامور المتضادة ألا ترى انه جمع فى بدن الحيوانات والنبات بين الكيفيات المتباينة المتنافرة من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ووصل أسباب أنفسها بتعديل أمزجتها لان اعتدال المزاج أو القرب من الاعتدال سبب بقاء الروح وفرقها أجناسا مختلفات الحدود والاقدار والخلق والاخلاق والاشكال أمورا عجيبة بديعة مبتكرة الصنعة غير محتذ بها حذو صانع سابق بل مخلوقة على غير مثال قد أحكم سبحانه صنعها وخلقها على موجب ما أراد وأخرجها من العدم المحض الى الوجود وهو معنى الابتداع فان الخلق فى الاصطلاح النظرى على قسمين أحدهما صورة تخلق فى مادة والثانى ما لا مادة له بل يكون وجود الثانى من الاول فقط من غير توسط المادة فالاول يسمى التكوين والثانى يسمى الابداع ومرتبة الابداع أعلى من مرتبة التكوين

(الاصل) (ومنها في صفةِ السماء) وَنَظَمَ بِلاَ تَعْلِيقٍ رَهَوَاتِ فُرَجِها * وَلاَحَمَ صُدُوعَ انْفِرَاجِها * وَوَشَّجَ بَيْنَها وَبَيْنَ أَزْوَاجِها * وَذَلَّلَ لِلْهابِطِينَ بِأَمْرِهِ وَالصَّاعِدِينَ بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ حُزُونَةَ مِعْرَاجِها * وَنَادَاها بَعْدَ إِذْ هِيَ دُخَانٌ فَالْتَحَمَتْ عُرَى أَشْرَاجِها *

وَفَتَقَ بَعْدَ الْإِرْتِتَاقِ صَوَامِتَ أَبْوَابِها * وَأَقَامَ رَصَداً مِنَ الشُّهُبِ الثَّوَاقِبِ على نِقَابِها * وَأَمْسَكَها مِنْ أَنْ تَمُورَ فِي خَرْقِ الْهَوَاءِ بِأَيْدِهِ * وَأَمَرَها أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِهِ * وَجَعَلَ شَمْسَها آيَةً مُبْصِرَةً لِنَهارِها * وَقَمَرَها آيَةً مَمْحُوَّةً مِنْ لَيْلِها * فَأَجْرَاهُما فِي مَنَاقِلِ مَجْرَاهُما * وَقَدَّرَ سَيْرَهُما فِي مَدَارِجِ دَرَجِهِما * لِيُمَيِّزَ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ بِهِما * وَلِيُعْلَمَ عَدَدُ السِّنِينَ وَالْحِسابِ بِمَقادِيرِهِما * ثُمَّ عَلَّقَ فِي جَوِّها فَلَكَها * وَنَاطَ بِها زِينَتَها مِنْ خَفِيَّاتِ دَرَارِيِّها وَمَصَابِيحِ كَوَاكِبِها وَرَمَى مُسْتَرِقِي السَّمْعِ بِثَوَاقِبِ شُهُبِها * وَأَجْرَاها على إِذْلَالِ تَسْخِيرِها * مِنْ ثَبَاتِ ثَابِتِها وَمَسِيرِ سَائِرِها * وَهُبُوطِها وَصُعُودِها * وَنُحُوسِها وَسُعُودِها

(الشرح) الرهوات جمع رهوة وهى المكان المرتفع والمنخفض أيضا يجتمع فيه ماء المطر وهو من الاضداد والفرج جمع فرجة وهى المكان الخالى ولاحم الصق والصدع الشق ووشج بالتشديد أى شبك ووشجت العروق والاغصان بالتخفيف اشتبكت وبينها رحم واشجة أى مشتبكة وأزواجها اقرانها وأشباهها قال تعالى وكنتم أزواجا ثلاثة أى أصنافا ثلاثة والحزونة ضد السهولة واشراجها جمع شرج وهو عرى العيبة وأشرجت العيبة أى اقفلت اشراجها وتسمى مجرة السماء شرجا تشبيها بشرج العيبة وأشراج الوادى ما انفسح منه واتسع والارتتاق الارتتاج والنقاب جمع نقب وهو الطريق فى الجبل وتمور تتحرك وتذهب وتجىء قال تعالى يوم تمور السماء مورا والايد القوة وناط بها علق والدرارى الكواكب المضيئة نسبت الى الدر لبياضها واحدها درى ويجوز كسر الدال مثل بحر لجى ولجى والثواقب المضيئات ويقول افعل ما أمرتك على اذلاله أى على وجهه ودعه فى اذلاله أى على حاله وأمور الله جارية على اذلالها أى على مجاريها وطرقها يقول عليه السلام كانت السماء أول ما خلقت غير منتظمة الاجزاء بل بعضها أرفع وبعضها أخفض فنظمها سبحانه فجعلها بسيطا واحدا انظما اقتضته القدرة الالهية من غير تعليق أى لا كما ينظم الانسان ثوبا مع ثوب أو عقدا مع عقد بالتعليق والخياطة والصق تلك الفروج والشقوق فجعلها جسما متصلا وسطحا أملس لا تتوات فيه ولا فرج ولا صدوع بل جعل كل جزء منها ملتصقا بمثله وذلل للملائكة الهابطين بأمره والصاعدين بأعمال خلقه لانهم الكتبة الحافظون لها حزونة العروج اليها وهو الصعود ثم قال وناداها بعد اذ هى روى باضافة بعد الى اذ وروى بضم بعد أى ناداها بعد ذلك اذ هى دخان والاول أحسن وأصوب لانها على الضم تكون دخانا بعد نظمه رهوات فروجها وملاحمة صدوعها والحال تقتضى ان دخانها قبل ذلك لا بعده فان قلت ما هذا النداء قلت هو قوله ائتيا طوعا أو كرها فهو أمر فى اللفظ ونداء فى المعنى وهو على الحقيقة كناية عن سرعة الابداع ثم قال وفتق بعد الارتتاق صوامت أبوابها هذا صريح فى أن للسماء أبوابا وكذلك قوله على نقابها وهو مطابق لقوله سبحانه وتعالى لا تفتح لهم أبواب السماء والقرآن العظيم وكلام هذا الامام المعظم أولى بالاتباع من كلام الفلاسفة الذين أحالوا الخرق على الفلك وأما اقامة الرصد من الشهب الثواقب فهو نص القرآن العزيز انا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا والقول باحراق الشهب للشياطين اتباعا لنص الكتاب أولى من قول الفلاسفة الذين أحالوا الانقضاض على الكواكب ثم قال وأمسكها على الحركة بقوته وأمرها بالوقوف فاستسلمت ووقفت ثم ذكر الشمس والقمر بذكره مأخوذ من قول الله تعالى وجعلنا الليل والنهار

آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة ثم ذكر الحكم في جريان الشمس والقمر في مجراهما بذكره مأخوذ من قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها وقوله والقمر قدرناه منازل وقوله ولتعلموا عدد السنين والحساب ثم قال ثم علق في جوها فلكها وهذا يقتضي ان الفلك غير السماء وهو خلاف قول الجمهور وقد قال به قائلون ويمكن أن نفسر ذلك اذا أردنا موافقة قول الجمهور بانه أراد بالفلك دائرة معدل النهار فانها الدائرة العظمى في الفلك الاعظم وهي في الاصطلاح النظري تسمى فلكا ثم ذكر انه زين السماء الدنيا بالكواكب وانها رجوم لمسترق السمع وهو مأخوذ من قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملأ الاعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب ثم شرح حال الكواكب فقال من ثبات ثابتها يعني الكواكب التي في كرة البروج ومسير سائرها يعني الخمسة والنيرين لانها سائرة دائما ثم قال وصعودها وهبوطها وذلك ان للكواكب السيارة صعودا في الاوج وهبوطا في الحضيض فالاول هو البعد الابعد عن المركز والثاني البعد الاقرب فان قلت ما باله عليه السلام قال ونحوسها وسعودها وهو القائل لمن أشار عليه ان لا تحارب في يوم مخصوص المنجم كالكاهن والكاهن كالساحر والساحر كالكافر والكافر في النار قلت انه عليه السلام انما أنكر في ذلك القول على من يزعم ان النجوم مؤثرة في الامور الجزئية كالذين يحكمون لارباب المواليد وعليهم وكمن يحكم في حرب أو سلم أو سفر أو مقام بانه للسعد أو النحس وانه لم ينكر على من قال ان النجوم تؤثر سعودا ونحوسا في الامور الكلية نحو ان تقتضي حرا أو بردا أو تدل على مرض عام أو قحط عام أو مطر دائم ونحو ذلك من الامور التي لا تخص انسانا بعينه وقد قدمنا في ذلك الفصل ما يدل على تصويب هذا الرأي وافساد ما عداه

(الاصل) (وَمنها في صفةِ الملائكةِ) ثُمَّ خَلَقَ سُبحانَهُ لإسكانِ سمواتِه * وعِمارةِ الصفيحِ الأعلى من ملكوتِه خلقاً بديعاً من ملائكتِه * وملأ بهم فُروجَ فِجاجِها * وحشى بهم فُتوقَ أجوائِها * وبينَ فجواتِ تلكَ الفُروجِ زَجلُ المُسبِّحينَ منهم في حظائرِ القُدسِ وسُتُراتِ الحُجبِ وسُرادقاتِ المجدِ ووراءَ ذلكَ الرَّجيجِ الذي تستكُّ منهُ الأسماعُ سُبُحاتُ نورٍ تردعُ الأبصارَ عن بلوغِها فتقفُ خاسئةً على حدودِها * وأنشأهم على صُوَرٍ مختلفاتٍ وأقدارٍ متفاوتاتٍ أولي أجنحةٍ تُسبِّحُ جلالَ عزَّتِهِ لا ينتحلونَ ما ظهرَ في الخلقِ من صُنعِهِ * ولا يدَّعونَ أنَّهم يخلُقونَ شيئاً معهُ مما انفردَ بهِ * بل عبادٌ مُكرَمونَ لا يسبِقونَهُ بالقولِ وهم بأمرِهِ يعملونَ جعلهمُ اللهُ فيما هنالكَ أهلَ الأمانةِ على وحيِهِ * وحمَّلهم إلى المُرسلينَ ودائعَ أمرِهِ ونهيِهِ * وعصمهم من ريبِ الشُّبهاتِ فما منهم زائغٌ عن سبيلِ مرضاتِهِ وأمدَّهم بفوائدِ المعونةِ * وأشعرَ قلوبَهم تواضعَ إخباتِ السكينةِ * وفتحَ لهم أبواباً ذُللاً إلى تماجيدِهِ * ونصبَ لهم مناراً واضحةً على أعلامِ توحيدِهِ * لم تُثقِلهم مُوصِراتُ الآثامِ * ولم ترتحِلهم عُقَبُ الليالي والأيامِ * ولم ترمِ

الشُّكوكُ بنوازِعِها عزيمةَ إيمانِهم * ولم تعترِكِ الظُّنونُ على معاقِدِ يقينِهم * ولا قدحت قادحةُ الإحَنِ فيما بينهم * ولا سلبتهمُ الحيرةُ ما لاقَ من معرفتِهِ بضمائرِهم * وما سكنَ من عظمتِهِ وهيبةِ جلالِهِ في أثناءِ صُدورِهم * ولم تطمعْ فيهمُ الوساوسُ فتقترعَ برَينِها على فِكرِهم * ومنهم من هو في خلقِ الغمامِ الدُّلَّحِ * وفي عِظَمِ الجبالِ الشُّمَّخِ وفي قترةِ الظلامِ الأيهمِ * ومنهم من قد خرقت أقدامُهم تخومَ الأرضِ السُّفلى فهي كراياتٍ بيضٍ قد نفذت في مخارقِ الهواءِ * وتحتها ريحٌ هفّافةٌ تحبسُها على حيثُ انتهت من الحدودِ المتناهيةِ * قد استفرغتهم أشغالُ عبادتِهِ * ووصلت حقائقُ الإيمانِ بينهم وبين معرفتِهِ * وقطعهمُ الإيقانُ بهِ إلى الولهِ إليهِ * ولم تجاوزْ رغباتُهم ما عندَهُ إلى ما عندَ غيرِهِ * قد ذاقوا حلاوةَ معرفتِهِ * وشرِبوا بالكأسِ الرَّويَّةِ من محبتِهِ * وتمكَّنت من سُويداءِ قلوبِهم وشيجةُ خيفتِهِ * فحنَوا بطولِ الطاعةِ اعتدالَ ظُهورِهم * ولم يُنفِدْ طولُ الرغبةِ إليهِ مادَّةَ تضرُّعِهم * ولا أطلقَ عنهم عظيمُ الزُّلفةِ رِبقَ خشوعِهم * ولم يتولَّهمُ الإعجابُ فيستكثروا ما سلفَ منهم * ولا تركت لهمُ استكانةُ الإجلالِ نصيباً في تعظيمِ حسناتِهم * ولم تجرِ الفتراتُ فيهم على طولِ دُؤوبِهم * ولم تغِضْ رغباتُهم فيخالفوا عن رجاءِ ربِّهم * ولم تجِفَّ لطولِ المناجاةِ أسلاتُ ألسنتِهم * ولا ملكتهمُ الأشغالُ فتنقطعَ بهمسِ الجُؤارِ إليهِ أصواتُهم * ولم تختلفْ في مقاوِمِ الطاعةِ مناكبُهم * ولم يثنوا إلى راحةِ التقصيرِ في أمرِهِ رقابَهم * ولا تعدو على عزيمةِ جِدِّهم بلادةُ الغفلاتِ * ولا تنتضِلُ في هِمَمِهم خدائعُ الشهواتِ * قد اتخذوا ذا العرشِ ذخيرةً ليومِ فاقتِهم * ويمَّموهُ عندَ انقطاعِ الخلقِ إلى المخلوقينَ برغبتِهم * لا يقطعونَ أمدَ غايةِ عبادتِهِ * ولا يرجِعُ بهمُ الاستهتارُ بلزومِ طاعتِهِ * إلا إلى موادَّ من قلوبِهم غيرِ منقطعةٍ من رجائِهِ ومخافتِهِ * لم تنقطعْ أسبابُ الشفقةِ منهم فينوا في جِدِّهم * ولم تأسِرْهمُ الأطماعُ فيؤثِروا وشيكَ السعيِ على اجتهادِهم * ولم يستعظِموا ما مضى من أعمالِهم * ولو استعظموا ذلكَ لنسخَ الرجاءُ منهم شفقاتِ وجلِهم * ولم يختلفوا في

رَبِّهِمْ بِاسْتِحْوَاذِ الشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ * وَلَمْ يُفَرِّقْهُمْ سُوءُ التَّقَاطُعِ * وَلاَ تَوَلاَّهُمْ غِلُّ التَّحَاسُدِ * وَلاَ تَشَعَّبَتْهُمْ مَصَارِفُ الرِّيَبِ وَلاَ اقْتَسَمَتْهُمْ أَخْيَافُ الْهِمَمِ * فَهُمْ أُسَرَاءُ إِيمَانٍ لَمْ يَفُكَّهُمْ مِنْ رِبْقَتِهِ زَيْغٌ وَلاَ عُدُولٌ * وَلاَ وَنًى وَلاَ فُتُورٌ * وَلَيْسَ فِى أَطْبَاقِ السَّمَاءِ مَوْضِعُ إِهَابٍ إِلاَّ وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ * أَوْ سَاعٍ حَافِدٌ * يَزْدَادُونَ عَلَى طُولِ الطَّاعَةِ بِرَبِّهِمْ عِلْماً * وَتَزْدَادُ عِزَّةُ رَبِّهِمْ فِى قُلُوبِهِمْ عِظَماً

(الشرح) هذا موضع المثل اذا جاء نهر الله بطل نهر معقل اذا جاء هذا الكلام الربانى واللفظ القدسى بطلت فصاحة العرب وكانت نسبة الفصيح من كلامها اليه نسبة التراب الى النضار الخالص ولو فرضنا ان العرب تقدر على الالفاظ الفصيحة المناسبة أو المقاربة لهذه الالفاظ من أين لهم المادة التى عبرت هذه الالفاظ عنها ومن أين تعرف الجاهلية بل الصحابة المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وآله هذه المعانى الغامضة السمائية ليتهيأ لها التعبير عنها أما الجاهلية فانهم انما كانت تظهر فصاحتهم فى صفة بعير أو فرس أو حمار وحش أو ثور فلاة أو صفة جبال أو فلوات ونحو ذلك وأما الصحابة فالمذكورون منهم بفصاحة انما كان منتهى فصاحة أحدهم كلمات لا تتجاوز السطرين أو الثلاثة اما فى موعظة تتضمن ذكر الموت أو ذم الدنيا أو ما يتعلق بحرب وقتال من ترغيب أو ترهيب فاما الكلام فى الملائكة وصفاتها وصورها وعباداتها وتسبيحها ومعرفتها بخالقها وحبها له ووطها اليه وما جرى مجرى ذلك مما تضمنه هذا الفصل على طوله فانه لم يكن معروفا عندهم على هذا التفصيل نعم ربما علموه جملة غير مقسمة هذا التقسيم ولا مرتبة هذا الترتيب بما سمعوه من ذكر الملائكة فى القرآن العظيم وأما من عنده علم من هذه المادة كعبد الله بن سلام وأمية ابن أبى الصلت وغيرهم فلم تكن لهم هذه العبارة ولا قدروا على هذه الفصاحة فثبت ان هذه الامور الدقيقة فى مثل هذه العبارة الفصيحة لم تحصل الا لعلى وحده وأقسم ان هذا الكلام اذا تأمله اللبيب اقشعر جلده ورجف قلبه واستشعر عظمة الله العظيم فى روعه وجلده وهام نحوه وغلب الوجد عليه وكاد أن يخرج من مسكه شوقا وان يفارق هيكله صبابة ووجدا ثم نعود الى التفسير فنقول الصفيح الاعلى سطح الفلك الاعظم ويقال لوجه كل شئ عريض صفيح وصفحة والفروج الاماكن الخالية والفجاج جمع فج والفج الطريق الواسع بين جبلين أو حائطين وأجوائها جمع جو وهو ما اتسع من الاودية ويقال لما بين السماء والارض جو ويروى أجوابها جمع جوبة وهى الفرجة فى السحاب وغيره ويروى أجوازها جمع جوز وهو وسط الشئ والفجوات جمع فجوة وهى الفرجة بين الشيئين تقول منه تفاجى الشئ اذا صار له فجوة ومنه الفجاء وهو تباعد ما بين عرقوبى البعير والزجل الصوت وحظائر القدس لفظة وردت فى كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وأصل الحظيرة ما يعمل شبه البيت للابل من الشجر ليقيها البرد فسمى عليه السلام تلك المواطن الشريفة المقدسة العالية التى فوق الفلك حظائر القدس والقدس بتسكين الدال وضمها الطهر والتقديس التطهير وتقدس تطهر والارض المقدسة المطهرة وبيت المقدس أيضا والنسبة اليه مقدسى ومقدسى والسترات جمع سترة والرجيج الزلزلة والاضطراب ومنه ارتج البحر وتستك الاسماع تنسد قال النابغة

ونبئت خير الناس انك لمتنى * وتلك التى تستك منها المسامع

وسبحات النور بضم السين والباء عبارة عن جلاله الله تعالى وعظمته وتردع الابصار تكفها وخاسئة أى سادرة ومنه ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير وخسأ بصره خسأ وخسوا أى سدر وقوله على حدودها أى تقف حيث تنتهى قوتها لان قوتها متناهية فاذا بلغت حدها وقفت وقوله أولى أجنحة من الالفاظ القرآنية وقوله لا ينتحلون ما ظهر فى الخلق من صنعه أى لا يدعون الالهية لانفسهم وان كان قوم من البشر يدعونها لهم وقوله لا يدعون أنهم يخلقون شيأ

معه مما انفرد به فيه اشارة الى مذهب أصحابنا فى أن افعال العباد مخلوقة لهم لان فائدة هذا القيد وهو قوله انفرد به انما تظهر بذلك وأما الآيات المقدسة فالرواية المشهورة مكرمون وقرئ مكرمون بالتشديد وقرئ لا يسبقونه بالضم والمشهور القراءة بالكسر والمعنى انهم يتبعون قوله ولا يقولون شيأ حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله وأراد أن يقول لا يسبقونه بقولهم فحذف الضمير المضاف اليه وأناب اللام منابه ثم قال وهم بأمره يعملون أى كما ان قولهم تابع لقوله فعملهم أيضا كذلك فرع على أمره لا يعملون عملا مالم يؤمروا به وجاء فى الخبر المرفوع عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه رأى جبرائيل ليلة المعراج ساقطا كالحلس من خشية الله والحلس الكساء الخفيف والزائغ العادل عن الطريق والاخبات التذلل والاستكانة وأبوا بأذللا أى سهلة وطية ومنه راية ذلول وتمجيده الثناء عليه بالمجد والموصرات المثقلات والاصر الثقل ويقول ارتحلت البعير أى ركبته والعقبة النوبة والجمع عقب ومعنى قوله ولم يرتحلهم عقب الليالى والايام أى لم تؤثر فيهم نوبات الليالى والايام وكرورها كما يؤثر ارتحال الانسان البعير فى ظهره ونوازع شهواتها النازعة المحركة وروى نوازغها بالغين المعجمة من نزغ بينهم أى أفسد ولم تعترك الظنون أى لم تزدحم الظنون على يقينهم الذى عقدوه والاحن جمع احنة وهى الحقد يقول لم تقدم قوادح الحقد فى ضمائرهم وما لاق أى ما التصق وأثناء صدورهم جمع ثنى وهى التضاعف والرين الدنس والغلبة قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم وتقترع من الاقتراع بالسهام بان يتناوب كل من الوساوس عليها ويروى فيفترع بالفاء أى تعلو يقال افترعه أى علاه والغمام جمع غمامة وهى السحابة والدلح الثقال جاء يدلح بحمله أى جاء مثقلا به والجبال الشمخ العالية الشاهقة وقوله فى قترة الظلام أى سواده والابهم الذى لا يهتدى فيه ومنه فلاة يهماء والتخوم بضم التاء جمع تخم وهى منتهى الارض أو القرية مثل فلس وفلوس ويروى تخوم بفتح التاء على انها واحد والجمع تخم مثل صبور وصبر وريح هفافة أى ساكنة طيبة يقول كان أقدامهم التى وقبت الهواء الى حضيض الارض رايات بيض تحتها ريح ساكنة ليست مضطربة فتموج تلك الرايات بل هى ساكنة تحبسها حيث انتهت وجاء فى الخبران لاسرافيل جناحين أحدهما فى أقصى المشرق والآخر فى أقصى المغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل أحيانا لعظمة الله حتى يعود مثل الوضع وهو العصفور ثم قال اشغال عبادته تعالى قد استفرغتهم أى جعلتهم فارغين الامنها ويروى ووسلت حقائق الايمان بالسين المشددة يقال وسل فلان الى ربه وسيلة والوسيلة ما يتقرب به والجمع وسيل ووسائل ويقال وسلت اليه وتوسلت اليه بمعنى وسويداوات القلوب جمع سويداء وهى حبة القلب والوشيجة فى الاصل عرق الشجرة وهى هنا استعارة وحنيت ضلعى أى عوجتها والربق جمع ربقة وهى الحبل قوله ولم يتولهم الاعجاب أى لم يستول عليهم والدؤوب الجد والاجتهاد والاسلات جمع أسلة وهى طرف اللسان ومستدقه والجؤار الصوت المرتفع والهمس الصوت الخفى يقول ليست لهم اشغال خارجة عن العبادة فيكون لاجلها أصواتهم المرتفعة خافية ساكنة ولا تعدو من عدا عليه اذا قهره وظلمه وهو ههنا استعارة ولا تنتضل الخدائع فى هممهم استعارة أيضا من النضال وهو المراماة بالسهام وذو العرش هو الله تعالى وهذه لفظة قرآنية قال سبحانه اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا يعنى لابتغوا الى الله تعالى سبيلا وقال تعالى ذو العرش المجيد فعال لما يريد والاستهتار مصدر استهتر فلان بكذا أى لازمه وأولع به وقوله فينوا أى فيضعفوا ونى ينى والجد الاجتهاد والانكماش ثم قال انهم لا يستعظمون عبادتهم ولو ان أحدا منهم استعظم عبادته لاذهب خوفه رجاءه الذى يتولد من استعظام تلك العبادة يصفهم بعظم التقوى والاستحواذ الغلبة والغل الحقد وتشعبتهم تقسمتهم وفرقتهم ومنه قيل للمنية شعوب أى مفرقة واخياف الهمم أى الهمم المختلفة وأصله من الخيف وهو كحل احدى العينين وزرق الاخرى ومنه المثل الناس اخياف أى مختلفون والاهاب الجلد والحافد المسرع ومنه الدعاء اللهم اليك نسعى ونحفد واعلم انه عليه السلام انما كرر وأكد صفاتهم بما وصفهم به ليكون ذلك مثالا يحتذى عليه أهل العرفان من البشر فان أعلى درجات البشران يتشبه بالملك وخلاصة ذلك أمور منها العبادة الدائمة ومنها ان لا يدعى أحد لنفسه الحول والقوة بل لا حول ولا قوة ومنها أن يكون متواضعا ذا سكينة ووقار ومنها أن يكون ذا يقين لا تقدح فيه الشكوك والشبهات ومنها أن لا يكون فى صدره احنة

على أحد من الناس ومنها شدة التعظيم والهيبة لخالق الخلق تبارك اسمه ومنها ان تستفرغه اشغال العبادة له عن غيرها من الاشغال ومنها أن لا تتجاوز رغباته عما عند الله تعالى الى ما عند غيره سبحانه ومنها أن يعقد ضميره وقلبه على محبة الله تعالى ويشرب بالكاس الروية من حبه ومنها عظم التقوى بحيث يأمن كل شئ عدا الله ولا يهاب أحدا الا الله ومنها الخشوع والخضوع والاخبات والذل لجلال عزته سبحانه ومنها أن لا يستكثر الطاعة والعمل وان جل وعظم ومنها عظم الرجاء الواقع فى مقابلة عظم الخوف فان الله تعالى يحب أن يرجى كما يحب أن يخاف واعلم أنه يجب أن يعلم أبحاث متعددة تتعلق بالملائكة ويقصد فيها قصد حكاية المذهب خاصة ونكل الاحتجاج والنظر الى ما هو مذكور فى كتبنا الكلامية البحث الاول فى وجود الملائكة قال قوم من الباطنية السبيل الى اثبات الملائكة هو الحس والمشاهدة وذلك ان الملائكة عندهم أهل الباطن وقالت الفلاسفة هى العقول المفارقة وهى جواهر مجردة عن المادة لا تعلق لها بالاجسام تدبيرا واحترزوا بذلك عن النفوس لانها جواهر مفارقة الا أنها تدبر الابدان وزعموا انهم أثبتوا نظرا وقال أصحابنا المتكلمون الطريق الى اثبات الملائكة الخبر الصادق المدلول على صدقه وفى المتكلمين من زعم انه أثبت الملائكة بطريق نظرى وهو انه لما وجد خلقا من طين وجب فى العقل أن يكون فى المخلوقات خلق من الهواء وخلق من النار فالمخلوق من الهواء هو الملك والمخلوق من النار هو الشيطان البحث الثانى فى بنية الملائكة وهيئة تركيبهم قال أصحابنا المتكلمون ان الملائكة أجسام لطاف وليسوا من لحم ودم وعظام كما خلق البشر من هذه الاشياء وقال أبو حفص المعوّد القريقى من أصحابنا ان الملائكة من أجسام من لحم وعظم وانه لا فرق بينهم وبين البشر وانما لم يروا لبعد المسافة بيننا وبينهم وقد تبعه على هذا القول جماعة من معتزلة ماوراء النهر وهى مقالة ضعيفة لان القرآن يشهد بخلافه فى قوله ورسلنا لديهم يكتبون وقوله اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد فلو كانوا أجساما كثيفة كاجسامنا لرأيناهم • البحث الثالث فى تكليف الملائكة حكى عن قوم من الحشوية انهم يقولون ان الملائكة مضطرون الى جميع أفعالهم وليسوا مكلفين وقال جمهور أهل النظر انهم مكلفون وحكى عن أبى اسحق النظام أنه قال ان قوما من المعتزلة قالوا انهم جبلوا على الطاعة لمخالفة خلقهم خلقة المكلفين وانهم قالوا لو كانوا مكلفين لم يؤمن أن يعصوا فيما أمروا به وقد قال تعالى لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وقال قوم ان أكثر الملائكة مكلفون وان فيهم من ليس بمكلف بل هو مسخر للملائكة المكلفين كما ان فى الحيوانات ما هو غير مكلف بل هو مسخر للبشر ومخلوق لمصالحهم قالوا ولا تنكر أن يكون الملائكة الذين ذكرنا انهم غلاظ الاجسام وعظم الخلق والتركيب بحيث تبلغ أقدامهم الى قرار الارض قد جعلوا عمد السموات والارض فهم يحملونها بمنزلة الاساطين التى تحمل السقوف العالية ولم يرشحوا لامر من الامور سوى ذلك • البحث الرابع فيما يجوز من الملائكة وما لا يجوز قال شيخنا أبو القاسم حكى أبو الحسن الخياط عن قدماء المعتزلة أنه لا يجوز أن يعصى أحد من الملائكة ولم يذكر عنهم علة فى ذلك وقال قوم انهم لا يعصون ولا يجوز أن يعصوا لانهم غير مطيق على الشهوة والغضب فلا داعى لهم الى المعصية والفاعل لا يفعل الابداع الى الفعل وقال قوم انهم لا يعصون لانهم يشاهدون من عجائب صنع الله وآثار هيبته ما يبهرهم عن فعل المعصية والقصد اليها وكذلك قال تعالى وهم من خشيته مشفقون وقال قوم انما لم يجز أن يعصوا لان الله تعالى أخبر عنهم انهم لا يعصون ولا ينكر مع ذلك أن يكون منهم من يتغير حاله ويتبدل بها حالة أخرى ويعصى على ما ورد من خبر الملكين ببابل وخبر ابليس وانما يسلب عنهم المعصية ما داموا على حالهم التى هى عليها وقال شيوخنا أصحاب أبى هشم رحمه الله تعالى ان المعصية تجوز عليهم كما تجوز علينا الا أن الله تعالى علم ان لهم ألطافا يمتنعون معها من القبيح لفعلها فامتنعوا من فعل القبيح اختيارا فكانت حالهم كحال الانبياء من البشر يقدرون على المعصية ولا يفعلونها اختيارا من أنفسهم باعتبار الالطاف المفعولة لهم ولو كان لابليس أو فرعون أو نمرود ألطاف يعلم الله تعالى اذا فعلها فعلوا الواجب وامتنعوا من فعل القبيح لفعلها بهم ولكانوا معصومين كالانبياء والملائكة لكنه تعالى علم انهم لا يؤمنون ولو فعل مهما فعل فلا لهم لطف فى المعلوم وهذا عندهم حكم عام لجميع المكلفين من الانس والجن والملائكة

البحث الخامس فى ان أى القبيلين أفضل الملائكة أو الانبياء قال أصحابنا نوع الملائكة أفضل من نوع البشر والملائكة المقربون أفضل من نوع الانبياء وليس كل ملك عنده الاطلاق أفضل من محمد صلى الله عليه وآله بل بعض المقربين أفضل منه وهو عليه السلام أفضل من ملائكة أخرى غير الاولين والمراد بالافضل أكثر ثوابا وكذلك القول فى موسى وعيسى وغيرهما من الانبياء والذى يحكيه قوم من أرباب المقالات ان المعتزلة قالوا ان أدنى ملك فى السماء أفضل من محمد صلى الله عليه وآله ليس بصحيح عنهم وقال أهل الحديث والاشعرية ان الانبياء أفضل من الملائكة وقال الشيعة الانبياء أفضل من الملائكة والائمة أفضل من الملائكة وقال قوم منهم ومن الحشوية ان المؤمنين أفضل من الملائكة • البحث السادس فى قدم الملائكة وحدوثهم أما الفلاسفة القائلون بانهم العقول المفارقة فانهم يذهبون الى قدم الملائكة وقال غيرهم من أهل الملل انهم محدثون وقال قوم من متأخرى الحكماء ان نفوس البشر اذا فارقت الابدان بالموت بقيت قائمة بانفسها غير مدبرة لشئ من الابدان فان كانت خيرة صالحة فهى الملائكة وان كانت شريرة رديئة الجوهر فهى الشياطين فالملائكة عند هؤلاء محدثون وعندهم أن هذه النفوس تساعد نفوسا أخرى متعلقة بتدبير الابدان اما على الخير أو على الشر فما ينسب فى الكتب الالهية ان اغواء الشياطين للناس واضلالهم فالمراد به تلك النفوس الشريرة وما ينسب فيها الى اعانة الملائكة لهم على الخير والصلاح فالمراد به تلك النفوس الخيرة • البحث السابع فى ابليس أهو من الملائكة أو ليس منها قال شيخنا أبو عثمان وجماعة من أصحابنا انه من الملائكة ولذلك استثناه الله تعالى فقال فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس وقال قوم انه كان من الملائكة بدلالة هذه الآية لكن الله مسخه حيث خالف الامر فهو بعد المسخ خارج عن الملائكة وقد كان قبل ذلك ملكا قالوا ومعنى قوله كان من الجن أى من خزان الجنة وروى ذلك عن ابن عباس قالوا ويحتمل معناه انه صار من الجن فيكون كان بمعنى صار كقوله تعالى كيف نكلم من كان فى المهد صبيا أى من صار لانها لو كانت كان على حقيقتها لوجب أن لا يكلم بعضهم بعضا لانهم كانوا صبيانا فى المهود قالوا ومعنى صيره ورتبه من الجن صير ورتبه ضالا كما ان الجن ضالون لان الكفار بعضهم من بعض كما قال تعالى والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض وقال معظم أصحابنا ان ابليس ليس من الملائكة ولا كان منها وانما استثناه الله تعالى منهم لانه كان مأمورا بالسجود معهم فهو مستثنى من عموم المأمورين بالسجود لا من خصوص الملائكة • البحث الثامن فى هاروت وماروت هل هما من الملائكة أم لا قال جمهور أصحابنا انهما من الملائكة وان القرآن العظيم قد صرح بذلك فى قوله وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وان الذى أنزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله تعالى للناس فمن تعلمه منهم وعمل به كان كافرا ومن تجنبه أو تعلمه لا ليعمل به ولكن ليتوقاه كان مؤمنا قالوا وما كان هذان الملكان يعلمان أحدا حتى ينبهاه وينهياه وينصحاه ويقولا له انما نحن فتنة أى ابتلاء واختبار من الله فلا تكفر ولا تتعلمه معتقدا انه حق وحكى عن الحسن البصرى ان هاروت وماروت علجان أقلفان من أهل بابل كانا يعلمان الناس السحر وقرأ الحسن على الملكين ببابل بكسر اللام وقال قوم كانا من الملائكة فعصيا الله تعالى بالحيف فى الحكومة وقد كان استقضاهما فى الارض وركب فيهما الشهوة والغضب على نحو ما ركب فى البشر امتحانا لهما لانهما قد كانا عيرا البشر بالمعصية فلما عصيا حبسهما الله تعالى وعاقبهما بعذاب معجل وألهمهما كلاما اذا تكلما به سكن بعض ما بهما من الالم وان السحرة يستمعون ذلك الكلام فيحفظونه ويفرقون به بين المرء وزوجه فانهما يتقدمان الى من يحضرهما عندما يتكلمان بالزجر عن العمل بذلك الكلام ويقولان انما نحن فتنة فلا تكفر وهما لم يكفرا ولا دعيا الى السحر وان عذابهما سيقطع وقد جاء فى الاخبار ما يوافق هذا وقال قوم من الحشوية انهما شربا الخمر وقتلا النفس وزنيا بامرأة اسمها باهيد فمسخت وهى الزهرة التى فى السماء

(الاصل) (ومِنْها) في صِفَةِ الأَرْضِ ودَحْوِها على المَاء • كَبَسَ الأَرْضَ

على مَوْرِ أمواجٍ مُسْتَفْحِلَةٍ وَلُجَجِ بِحارٍ زاخرةٍ * تَلْتَطِمُ أَوَاذِيُّ أمواجها * وتَصْطَفِقُ مُتَقاذِفاتُ أثباجها * وتَرْغُو زَبَدًا كالفُحُولِ عِنْدَ هِياجها * فَخَضَعَ جِماحُ الماءِ المُتَلاطِمِ لِثِقَلِ حَمْلِها * وَسَكَنَ هَيْجُ ارْتِمائِهِ إذْ وَطِئَتْهُ بِكَلْكَلِها * وَذَلَّ مُسْتَخْذِيًا إذْ تَمَعَّكَتْ عَلَيْهِ بِكَوَاهِلِها * فَأَصْبَحَ بَعْدَ اصْطِخابِ أمواجِهِ ساجِيًا مَقْهُورًا * وَفي حَكَمَةِ الذُّلِّ مُنْقادًا أسيرًا * وَسَكَنَتِ الأرْضُ مَدْحُوَّةً في لُجَّةِ تَيَّارِهِ * وَرَدَّتْ مِنْ نَخْوَةِ بَأْوِهِ وَاعْتِلائِهِ * وَشُمُوخِ أَنْفِهِ وَسُمُوِّ غُلَوَائِهِ * وَكَعَمَتْهُ على كِظَّةِ جِرْيَتِهِ * فَهَمَدَ بَعْدَ نَزَقاتِهِ * وَلَبَدَ بَعْدَ زَيَفانِ وَثَباتِهِ * فَلَمَّا سَكَنَ هَيْجُ الماءِ مِنْ تَحْتِ أَكْنافِها * وَحَمَلَ شَوَاهِقَ الجِبالِ الشُّمَّخِ البُذَّخِ على أكتافِها * فَجَّرَ يَنابِيعَ العُيُونِ مِنْ عَرانِينِ أُنُوفِها * وَفَرَّقَها في سُهُوبِ بِيدِها وأخاديدِها * وَعَدَّلَ حَرَكاتِها بالرَّاسِياتِ مِنْ جَلامِيدِها * وذَوَاتِ الشَّناخِيبِ الشُّمِّ مِنْ صَياخِيدِها * فَسَكَنَتْ مِنَ المَيَدانِ لِرُسُوبِ الجِبالِ في قِطَعِ أَدِيمِها * وَتَغَلْغُلِها مُتَسَرِّبَةً في جَوْباتِ خَياشِيمِها * وَرُكُوبِها أَعْناقَ سُهُولِ الأَرَضِينَ وَجَراثِيمِها * وَفَسَحَ بَيْنَ الجَوِّ وَبَيْنَها * وَأَعَدَّ الهَواءَ مُتَنَسَّمًا لِساكِنِها * وَأَخْرَجَ إِلَيْها أَهْلَها على تَمامِ مَرافِقِها * ثُمَّ لَمْ يَدَعْ جُرُزَ الأَرْضِ الَّتي تَقْصُرُ مِياهُ العُيُونِ عَنْ رَوابِيها * ولا تَجِدُ جَداوِلُ الأَنْهارِ ذَرِيعَةً إلى بُلُوغِها * حَتَّى أَنْشَأَ لَها ناشِئَةَ سَحابٍ تُحْيِي مَواتَها * وَتَسْتَخْرِجُ نَباتَها * أَلَّفَ غَمامَها بَعْدَ افْتِراقِ لُمَعِهِ * وَتَبايُنِ قَزَعِهِ * حَتَّى إذا تَمَخَّضَتْ لُجَّةُ المُزْنِ فيهِ * وَالْتَمَعَ بَرْقُهُ في كُفَفِهِ * وَلَمْ يَنَمْ وَمِيضُهُ في كَنَهْوَرِ رَبابِهِ * وَمُتَراكِمِ سَحابِهِ * أَرْسَلَهُ سَحًّا مُتَدارِكًا * قَدْ أَسَفَّ هَيْدَبُهُ تَمْرِيهِ الجَنُوبُ دِرَرَ أَهاضِيبِهِ * وَدُفَعَ شَآبِيبِهِ * فَلَمَّا أَلْقَتِ السَّحابُ بَرْكَ بِوانَيْها * وَبَعاعَ ما اسْتَقَلَّتْ بِهِ مِنَ العِبْءِ المَحْمُولِ عَلَيْها * أَخْرَجَ بِهِ مِنْ هَوامِدِ الأَرْضِ النَّباتَ * وَمِنْ زُعْرِ الجِبالِ الأَعْشابَ * فَهِيَ تَبْهَجُ بِزِينَةِ رِياضِها * وَتَزْدَهِي بِما أُلْبِسَتْهُ مِنْ رَيْطِ أَزاهِيرِها * وَحِلْيَةِ ما سُمِّطَتْ بِهِ مِنْ ناضِرِ أَنْوارِها * وجَعَلَ ذلِكَ بَلاغًا لِلأَنامِ * ورِزْقًا لِلأَنْعامِ * وَخَرَقَ الفِجاجَ في آفاقِها * وَأَقامَ المَنارَ لِلسَّالِكِينَ على جَوادِّ طُرُقِها

(الشرح) كبس الارض أى أدخلها فى الماء بقوة واعتماد شديد ويقال اضرب من التمر الكبيس لانه يكبس حتى يتراص والمور مصدر مار أى ذهب وجاء ومستفحلة هائجة هيجان الفحول واستفحل الامر تفاقم واشتد وزاخرة زخر الماء أى امتد جدا وارتفع والاواذى جمع آذى وهو الموج وتصطفق يضرب بعضها بعضا والاثباج ههنا أعالى الامواج وأصل الثبج ما بين الكاهل الى الظهر فنقل الى هذا الموضع استعارة وترغو تصوت صوت البعير والرغاء صوت ذوات الخف وفى المثل كفى برغائها مناديا أى ان رغاء بعير المضيف يقوم مقام ندائه للضيافة والقرى وزبدا على هذا منصوب بفعل مقدر تقديره وترغو قاذفة زبدا والزبد ما يظهر فوق السيل يقال قد أزبد البحر والسيل وبحر مزبد اى مالح يقذف بالزبد والفحول عند هياجها فحول الابل اذا هاجت للضراب وجماح الماء صعوده وغليانه وأصله من جماح الفرس وهو ان يعتز فارسه ويغلبه والجموح من الرجال الذى يركب هواه فلا يمكن رده وخضع ذل وهيج الماء اضطرابه هاج هيجا وهياجا وهيجانا واهتاج وتهيج كله بمعنى أى ثار وهاجه غيره يتعدى ولا يتعدى وارتمائه يعنى تقاذفه وتلاطمه يقال ارتمى القوم بالسهام وبالحجارة ارتماء وكلكلها صدرها وجاء كلكل وكلكال وربما جاء فى ضرورة الشعر مشددا قال

كان مهواها على الكلكل * موضع كفى راهب مصلى

والمستخذى الخاضع وقد يهمز وقيل لاعرابى فى مجلس أبى زيد كيف تقول استخذأت ليتعرف منه الهمزة فقال العرب لا تستخذئ وهمزه وأ كثر ما يستعمل ملينا وأصله من خذا الشئ يخذو خذوا اى استرخى ويجوز خذى بكسر الذال واذن خذواء بينة الخذا أى مسترخية وتمعكت تمرغت مستعار من تمعك الدابة فى الارض وقالوا معكت الاديم أى دلكته وكواهلها جمع كاهل وهو ما بين الكتفين ويسمى الحارك واصطخاب أمواجه افتعال من الصخب وهو الصياح والجلبة يقال صخب الرجل فهو صخاب وصخبان واصطخب افتعل منه قال * ان الضفادع فى الغدران تصطخب * والساجى الساكن والحكمة ما أحاط من اللجام بحنك الدابة وكانت العرب تتخذها من القد والابق لان الزينة لم تكن قصدهم قال زهير * القائد الخيل منكوبا دوابرها * قد أحكمت حكمات القد والابقا * واستعار الحكمة ههنا فجعل للذل حكمة ينقاد الماء بها ويذل اليها ومدحوة مبسوطة قال تعالى والارض بعد ذلك دحاها ويجوز أن تكون مدحوة ههنا بمعنى مقذوفة مرمية يقال دحوت الحصاة أى قذفتها ويقال للاعب الجوز ادح وأبعد المدا والتيار أعظم الموج ولجته أعمقه والبأو الكبر والفخر تقول بأوت على القوم أبأى بأوا قال حاتم

فما زادنا بأوا على ذى قرابة * غنانا ولا أزرى بأحسابنا الفقر

وهذا الكلام استعارة يقال كسرت الارض سورة الماء الجامح كما يكسر سورة بأو الرجل المتكبر المفتخر والاعتلاء التيه والتكبر والشموخ العلو مصدر شمخ بانفه أى تكبر والجبال الشوامخ الشاهقة والسمو العلو وغلوائه أى غلوه وتجاوزه الحد وكعمته أى شدت فمه لما هاج من الكعام وهو شئ يجعل فى فم البعير وبعير مكعوم والكظة الجهد والثقل الذى يعترى الانسان عند الامتلاء من الطعام يقول كعمت الارض الماء حال كونه مكظوظا لشدة امتلائه وكثرته وازدحام أمواجه فهمد أى سكن همدت النار تهمد بالضم همودا أى طفئت وذهبت ألبتة والخمود دون الهمود والنزقات الخفة والطيش نزق الرجل بالكسر ينزق نزقا والنزقات الدفعات من ذلك ولبد الشئ بالارض يلبد بالضم لبودا أى لصق بها ساكنا والزيفان التبختر فى المشى زاف البعير يزيف والزيافة من النوق المختالة ويروى ولبد بعد زفيان وثباته والزفيان شدة هبوب الريح يقال زفته الريح زفيانا أى طردته وناقة زفيان سريعة وقوس زفيان سريعة الارسال للسهم وأكنافها جوانبها وكنفا الطائر جناحاه ويقال صلاء مكنف أى أحيط به من جوانبه وتكنفه القوم واكتنفوه أحاطوا به والجبال الشواهق العالية ومثله البذخ والعرنين أول الانف تحت مجتمع الحاجبين والينابيع جمع ينبوع وهو ما انفجر من الارض عن الماء والسهوب جمع سهب وهو الفلاة والبيد جمع بيداء وهى الفلاة أيضا

والاخاديد جمع أخدود وهو الشق في الارض قال تعالى قتل أصحاب الاخدود والراسيات الثقال والشناخيب رؤس الجبال والشم العالية والجلاميد الصخور واحدها جلمود والصياخيد جمع صيخود وهي الصخرة الصلبة والميدان التحرك والاضطراب وماد الرجل يميد أي تبختر ورسوب الجبال نزولها رسب الشئ في الماء أي سفل فيه وسيف رسوب ينزل في العظام وقوله في قطع أديمها جمع قطعة يريد في اجزائها وابعاضها ويروى في قطع أديمها بضم القاف وفتح الطاء جمع قطعة وهي القطعة المقروبة من الارض وحكى ان أعرابيا وثب من أي قطعة ٧ ويروى في قطع أديمها بسكون الطاء والقطع طنفسة الرحل فنقل ذلك الى هذا الموضع استعارة كانه جعل الارض ناقة وجعل لها قطعا وجعل الجبال ثابتة في ذلك القطع وأديم الارض وجهها وظاهرها وتغلغل الماء في الشجر دخوله وتخلله في أصوله وعروقه متسربة أي داخلة تسرب الثعلب أي دخل السرب وجوبات جمع جوبة وهي الفرجة في جبل أو غيره وخياشيمها جمع خيشوم وهو أقصى الانف وتقول خشمت الرجل خشما أي كسرت خيشومه وجراثيمها جمع جرثومة وهي أصل الشجر وفسح أوسع ومتنسما يعني موضع النسيم والارض الجرز التي لانبات فيها لانقطاع المطر عنها وهذه من الالفاظ القرآنية والروابي التلاع وما علا من الارض والجداول الانهار الصغار جمع جدول والذريعة الوصلة وناشية سحاب ما يبتدئ ظهوره والموات بفتح الميم القفر من الارض واللمع جمع لمعة وهي القطعة من السحاب أو غيره وتباين قزعة القزع قطع من السحاب رقيقة واحدها قزعة قال الشاعر ٭ كان رعاله قزع الجهام ٭ وفي الحديث كانهم قزع الخريف وتباينها افتراقها وتمخضت تحركت بقوة يقال تمخض اللبن اذا تحرك في الممخضة وتمخض الولد تحرك في بطن الحامل والهاء في فيه ترجع الى المزن أي تحركت لجة المزن في المزن نفسه أي تحرك من السحاب وسطه وثبجه والتمع البرق ولمع أي اتضأ وكففه جمع كفة والكفة كالدارة تكون في السحاب وكان الاصمعي يقول كل ما استطال فهو كفة بالضم نحو كفة الثوب وهي حاشيته وكفة الرجل والجمع كفاف وكل ما استدار فهو كفة بالكسر نحو كفة الميزان وكفة الصائد وهي حبالته والجمع كفف ويقال أيضا كفة الميزان بالفتح والوميض الضياء واللمعان وقوله لم ينم أي لم يفتر ولم ينقطع فاستعار له لفظة النوم والكنهور العظيم من السحاب والرباب الغمام الابيض ويقال انه السحاب الذي تراه كانه دون السحاب وقد يكون أبيض وقد يكون أسود وهو جمع والواحدة ربابة وبه سميت المرأة الرباب والمتراكم الذي قد ركب بعضه بعضا والميم بدل من الباء وسحا صبا وسحابة سحوح وتسحسح الماء سال ومطر سحساح أي يسح شديدا ومتداركا يلحق بعضه بعضا من غير انقطاع واسف دنا من الارض وهيدبه ماتهدب منه أي تدلى كما يتدلى هدب العين على أشفارها وتمرى الجنوب وهو بمعنى يحلب ويستدر ويروى تمر به الجنوب على أن يعدى الفعل الى المفعولين كما تقول حلبت الناقة لبنا ويروى تمترى الجنوب وهو بمعنى تمرى من مريت الفرس وامتريته اذا استخرجت بالسوط ما عنده من الجرى وانما خص الجنوب بذلك لانها الريح التي يكون عليها المطر والدرر جمع درة وهي كثرة اللبن وسيلانه وصبه والاهاضيب جمع هضاب والهضاب جمع هضب وهي حلبات القطر بعد القطر والدفع جمع دفعة بالضم وهي كالدفقة من المطر بالضم أيضا والشآبيب جمع شؤبوب وهي رشة قوية من المطر تنزل دفعه بشدة والبرك الصدر وبوانيها تثنية بوان على فعال بكسر الفاء وهو عمود الخيمة والجمع بون بالضم قال الشاعر

أصبر من ذي ضاغط عركرك ٭ ألقى بواني ذروه للمبرك

ومن روى بوانيها أراد لواصقها من قولك قوس بانية اذا التصقت بالوتر والرواية الاولى أصح وبعاع السحاب ثقله بالمطر قال امرؤ القيس

وألقى بصحراء الغبيط بعاعه ٭ نزول اليماني بالعياب المثقل

والعبء الثقل واستقلت ارتفعت ونهضت وهوامد الارض هي الارضون التي لانبات بها وزعر الجبال جمع أزعر والمراد به قلة العشب والخلا الكلا وأصله من الزعر وهو قلة الشعر في الرأس قال

من

من يك ذا لمة يرجلها ٭ فانني غير ضائري زعري

وقد زعر الرجل يزعر قل شعره ويبهج يسر ويفرح تقول بهجني أمر كذا بالفتح وأبهجني معا أي سرني ومن رواه بضم الهاء أراد يحسن ويملح من البهجة وهي الحسن يقال بهج الرجل بالضم بهاجة فهو بهيج أي حسن قال الله تعالى من كل زوج بهيج وتقول قد أبهجت الارض بالهمزة أي بهج نباتها وحسن وتزدهي أي تتكبر وهي اللغة التي حكاها ابن دريد قال تقول زها الرجل يزهو زهوا أي تكبر وعلى هذه اللغة تقول ازدهى الرجل يزدهي كما تقول من علا اعتلى يعتلي ومن رمى ارتمى يرتمي وأما من رواها وتزدهي ٭ البسته على ما لم يسم فاعله فهي اللغة المشهورة تقول زهي فلان علينا وللعرب أحرف تتكلم بها على سبيل المفعول به وان كانت بمعنى الفاعل كقولهم عني بالامر وتنجت الناقة فتقول على هذه اللغة فلان يزدهي بكذا والريط جمع ريطة وهي الملاءة غير ذات لفقين والازاهير النور ذوالالوان وسمطت به علق عليها السموط جمع سمط وهو العقد ومن رواه شمطت بالشين المعجمة أراد ما خالط سواد الرياض من النور الابيض كالاقحوان ونحوه فصارت الرياض كالشعر الاشمط والناضر ذو النضارة وهي الحسن والطراوة وبلاغا للانام أي كفاية والآفاق النواحي والمنار الاعلام وينبغي أن نتكلم في هذا الموضع في فصول

﴿الفصل الاول﴾ في كيفية ابتداء خلق الارض ظاهر كلام أمير المؤمنين عليه السلام ان الماء خلق قبل الارض وقد ذكرنا فيما تقدم انه قول لبعض الحكماء وانه موافق لما في التوراة الا أن في كلامه عليه السلام في هذا الموضع اشكالا وذلك ان لقائل أن يقول كلامه يشعر بان هيجان الماء وغليانه وموجه سكن بوضع الارض عليه وهذا خلاف ما يشاهد وخلاف ما يقتضيه العقل لان الماء الساكن اذا جعل فيه جسم ثقيل اضطرب وتموج وصعد علوا فكيف الماء المتموج يسكن بطرح الجسم الثقيل فيه والجواب ان الماء اذا كان تموجه من قبل ريح هائجة جاز أن يسكن هيجانه بجسم يحول بينه وبين تلك الريح ولذلك اذا جعلنا في الاناء ماء وروحناه بمروحة تموجه فانه يتحرك فان جعلنا على سطح الماء جسما يملأ حافات الاناء وروحناه بالمروحة فان الماء لا يتحرك لان ذلك الجسم قد حال بين الهواء المجتلب بالمروحة وبين سطح الماء فمن الجائز أن يكون الماء الاول هائجا لاجل ريح محركة له فاذا وضعت الارض عليه حال بين سطح الماء وبين تلك الريح وقد مر في كلام أمير المؤمنين في الخطبة الاولى ذكر هذه الريح فقال ريح اعتقم مهبها وأدام مربها وأعصف مجراها وأبعد منشاها فامرها بتصفيق الماء الزخار واثارة موج البحار فمخضته مخض السقاء وعصفت به عصفها بالفضاء

﴿الفصل الثاني﴾ في بيان قوله عليه السلام فلما سكن هيج الماء من تحت أكنافها وحمل شواهق الجبال البذخ على أكنافها فجر ينابيع العيون فيها وعدل حركاتها بالراسيات من جلاميدها وذلك لان العامل في لما يجب أن يكون أمرا مباينا لما أضيفت اليه مثاله لما قام زيد قام عمرو فقام الثانية هي العاملة في لما فيجوز أن تكون أمرا مباينا لما أضيف لما اليه وهو قيام زيد وههنا قد قال عليه السلام لما حمل الله تعالى شواهق الجبال على الارض عدل حركات الارض بالجبال ومعلوم ان أحد الامرين هو الآخر والجواب انه ليس أحد الامرين هو الآخر بعينه بل الثاني معلول الاول وموجب عنه لان الاول هو حمل الجبال عليها والثاني تعديل حركاتها بالجبال المحمول عليها فكانه قال حمل عليها الجبال فاقتضى ذلك الحمل تعديل حركاتها ومعلوم ان هذا الكلام منتظم

﴿الفصل الثالث﴾ في قوله ان الجبال هي المسكنة للارض فنقول ان هذا القول يخالف قول الحكماء لان سكون الارض عند الحكماء لم يكن لذلك بل لانها تطلب المركز وهي حاصلة في حيزها الطبيعي لكنا وان كان ذلك مخالفا لقول الحكماء فانا نعتقده دينا ومذهبا ونعدل عن قول الحكماء لان اتباع قوله عليه السلام أولى من اتباع أقوالهم

﴿الفصل الرابع﴾ في ذكر نظائر لما وصف به المطر والسحاب فمن ذلك ما رواه عبد الرحمن ابن أخي الاصمعي عن عمه قال سئل أعرابي عن مطر فقال استقل سد مع انتشار الطفل فتصاوا حزأل ثم اكفهرت أرجاؤه واحمومت أرجاؤه وابذعرت فوارقه وتضاحكت بوارقه واستطار وادقه وارسعت جوبه وارتعن هيدبه وحشكت أخلافه واستقلت

أردافه وانتشرت أكنافه فالرعد يرتجس والبرق يختلس والماء ينبجس فأترع الغدر وأنبت الوجر وخلط الاوعال بالآجال وقرن الصيران بالرئال فللاودية هدير وللشراج خرير وللتلاع زفير وحط النبع والعتم من القلل الشم الى القيعان الصحم فلم يبق في القلل الاممعصم مجرجم أوداحض محرجم وذلك من فضل رب العالمين على عباده المذنبين قلت السد السحاب الذي يسد الافق واصل الجبل والطفل اختلاط الظلام وانتشاره حال غروب الشمس وشصا ارتفع وعلا واخزأل انتصب واكفهرت أرجاؤه غلظت نواحيه وجوانبه وتراكمت واحومت اسودت مع مخالطة حمرة وأرجاؤه أوساطه واذعرت تفرقت والفوارق قطع من السحاب تتفرق عنه مثل فرق الابل وهي النوق اذا أرادت الولادة فارقت الابل و بعدت عنها حيث لاترى وتضاحكت بوارقه لمعت واستطار انتشر والوادق ذو الودق وهو مطر كار وأرسعت جوبه أي تلاءمت فرجه والتحمت وارتعن استرخى وهيدبه ماتدلى منه وحسكت أخلافه امتلأت ضروعه وأردافه ماتخره وأكنافه نواحيه ويرتجس يصوت والرجس الصوت ويختلس يستلب البصر وينبجس ينصب فأترع الغدر ماؤها جمع غدير وأنبت الوجر حفرها جمع وجار وهي بيت الضبع والآجال جمع أجل وهو قطيع البقر والصيران مثله جمع صوار والرئال جمع رأل وهو فرخ النعام والهدير الصوت والشراج جمع شرج وهو مسيل الماء الى الحرة وخرير الماء صوته وزفير التلاع ان تزفر بالماء لفرط امتلائها والنبع شجر والعتم شجر آخر وكلاهما لاينبت الافي رؤس الجبال والشم العالية والصحم السود التي تضرب الى الصفرة والمعصم المعتصم الملتجي والمجرجم المتقبض والداحض الزالق الواقع والمحرجم المصروع * ومن ذلك مارواه أبو حاتم عن الاصمعي قال سألت أعرابيا من بني عامر بن صعصعة عن مطر أصاب بلادهم فقال نشأ عارضا فطلع ناهضا ثم ابتسم وامضا فاعتن في الاقطار فأشجاها وامتد في الآفاق فغطاها ثم ارتجس فهمهم ثم دوى فأظلم فأرك ودث و بغش وطش ثم قطقط فأفرط ثم ديم فأغمط ثم ركد فأثجم ثم وبل فسجم وجاد فأنعم فغمس الربا وأفرط الزبى سبعا تباعا مايريد انقشاعا حتى اذا ارتوت الحزون وتضحضحت المتون ساقه ربك الى حيث يشاء كما جلبه من حيث شاء قلت العارض سحاب يعترض في الافق واعتن اعترض وأشجاها ملأها فكان كالشجي في حلقها وارتجس صوت والهمهمة صوت الرعد ودوى أحدث دويا فأظلم أعدم الضوء من الارض بتكاثفه فأرك أي مطر ركا والرك المطر الضعيف وكذلك الدث والبغش والطش وفوق ذلك القطقط والديم صار ديمة وهي المطر أياما لايقلع وأغمط أي دام وأثجم أقام وو بل جاء بالوابل وهو المطر العظيم وسجم صب وأنعم بالغ وغمس غوص في الماء وأفرط الزبى ملأها جمع زبية وهي حفيرة تحفر للوحوش في مكان مرتفع والحزون جمع حزن وهو ماغلظ من الارض والمتون جمع متن وهو الصلب من الارض وتضحضحت صار فوقها ضحضاح من الماء وهو الرقيق * ومن ذلك مارواه أبو حاتم أيضا عن الاصمعي قال سألت أعرابيا عن مطر أصابهم بعد جدب فقال ارتاح لنا ربك بعد مااستولى اليأس على الظنون وخامر القلوب القنوط فانشأ نوء الجبهة قزعة كالقرض من قبل العين فاجزألت عند ترجل النهار لاذميم السرار حتى اذا نهضت في الافق طالعة أمر مسخرها الجنوب فتبسمت لها فانتشرت أحضانها واحومت أركانها و بسق غيابها واكفهرت رحاها وانبجبت كلاها وذمرت أخراها أولاها ثم استطارت عقائقها وارتجبت بوارقها وتعقعقت صواعقها ثم ارتعبت جوانبها وتداعت سواكبها ودرت حوالبها فكانت للارض طبقا شج فهضب وعم فاحسب فعل القيعان وضحضح الغيطان وجرح الاضراح واترع الشراح فالحمد لله الذي جعل كفاء اساءتنا احسانا وجزاء ظلمنا غفرانا قلت نوء الجبهة محمود عندهم للمطر والقزعة القطعة الصغيرة من السحاب والقرض الترس والعين ماعن يمين قبلة العراق وترجل النهار انبساط الشمس والاذميم أحد ليالي السرار والاحضان النواحي واحومت اسودت و بسق علا والعنان مايعترض من السحاب في الافق وانبجبت انفتقت وذمرت حضت والعقائق البرق وارتجبت اهتزت وارتعدت وطبقا أي غطت الارض وهضب جاء بالمطر دفعة فدفعة واحسب كفى وعل القيعان سقاها مرة بعد أخرى والغيطان جمع غائط وهو ماسفل من الارض وجرح الاضراح هدم الاجواف وأترع الشراح ملأ المسيلات * ومن ذلك مارواه ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه الاصمعي قال سمعت أعرابيا من بني

عامر يصف مطرا قال أنشأ عند العصر بنوء الغفر عارضا حكا وامضا فكلا ولاما كان حتى شجيت به أقطار الهواء واحتجبت به السماء ثم أطرق فاكفهر وتراكم فادلهم و بسق فازلأم ثم حدت به الريح نخر والبرق مرتعج والرعد مبتوج والجرح مبتعج فانجم ثلاثا متحيرا هثها ثاأخلافه حاسكة ودفعه متواسكة وسوامه متعاركة ثم ودع منجما وأقلع متهما محمود البلاء مترع النهاء مشكور النعماء بطول ذي الكبرياء قلت العصر العشي والغفر من نجوم الاسد والحي الداني من الارض وقوله كلا ولاأي في زمان قصير جدا وشجيت به الاقطار صار كالشجي لها وازلأم انتصب والمرتعج المتدارك والمبتوج العالي الصوت والجرح السحاب أول ماينشأ ويتبعج يتشقق وأثجم دام متحيرا أي كأنه قد تحير لاوجه له يقصده والهثهاث المداخل وأخلافه حاسكة أي ضروعة ممتلئة ودفعه متواسكة أي مسرعة وسوامه متعاركة شبه قطع السحاب بسوام الابل ومنجما مقلعا ومتهما يسير نحو تهامة

﴿الفصل الخامس﴾ في بيان أنه عليه السلام امام أرباب صناعة البديع وذلك لان هذا الفن لايوجد منه في كلام غيره ممن تقدمه الاالفاظ يسيرة غير مقصودة ولكنها واقعة بالاتفاق كما وقع التجنيس في القرآن العزيز اتفاقا غير مقصود وذلك نحو قوله يا أسفا على يوسف وكما وقعت المقابلة أيضا غير مقصودة في قوله والسماء رفعها ووضع الميزان على انها ليست مقابلة في المعنى بل من اللفظ خاصة ولما تأمل العلماء شعر امرئ القيس ووجدوا فيه من الاستعارة بيتا أو بيتين نحو قوله يصف الليل

فقلت له لما تمطى بصلبه * وأردف اعجازا وناء بكلكل

وقوله

وان يك قد ساءتك مني خليقة * فسلي ثيابي من ثيابك تنسل

ولم ينشدوا مثل ذلك في أشعار الجاهلية حكموا له بأنه امام الشعراء ورئيسهم وهذا الفصل من كلام أمير المؤمنين عليه السلام قد اشتمل من الاستعارة العجيبة وغيرها من أبواب البديع على مالو كان موجودا في ديوان شاعر مكثر أو مترسل مكثر لكان مستحق التقديم بذلك ألا تراه كيف وصف الامواج بأنها مستفحلة وانها ترغو رغاء فحول الابل ثم جعل الماء جماحا ثم وصفه بالخضوع وجعل للارض كلكلا وجعلها واطئة للماء به و وصف الماء بالذل والاستخذاء ولما جعل الارض متمعكة عليه كما يتمعك الحمار أو الفرس وجعل لها كواهل وجعل للذل حكمة وجعل الماء في حكمة الذل منقادا أسيرا وساجيا مقهورا وجعل الماء قد كان ذا نخوة و بأو واعتلاء فردته الارض خاضعا مسكينا وطأطأت من شموخ أنفه وسمو غلوائه وجعلها كاعمة له وجعل الماء ذا كظة بامتلائه كما تعتري الكظة المستكثر من الاكل ثم جعله هامدا بعد ان كانت له نزقات ولابدا بعد ان كانت له وثبات ثم جعل للارض أكتافا وعرانين وأنوفا وخياشيم ثم نفى النوم عن وميض البرق وجعل الجنوب مارية درر السحاب ثم جعل للسحاب صدرا و بوانا ثم جعل الارض مبتهجة مسرورة من دهاة وجعل لها ريطا من لباس الزهو وسموطا تحلى بها فيالله وللعجب من قوم زعموا ان الكلام انما يفضل بعضه بعضا لاشتماله على أمثال هذه الصنعة فاذا وجدوا في مائة ورقة كلمتين أو ثلاثا منها أقاموا القيامة ونفخوا في الصور وملؤا الصحف بالاستحسان لذلك والاستظراف ثم يمرون على هذا الكلام المشحون كله بهذه الصنعة على ألطف وجه وأرصع وجه وأرشق عبارة وأدق معنى وأحسن مقصد ثم يحملهم الهوى والعصبية على السكوت عن تفضيله اذا أجملوا وأحسنوا ولم يتعصبوا لتفضيل غيره عليه على انه لاعجب فانه كلام علي عليه السلام وحظ الكلام حظ المتكلم وأشبه امرأ بعض بزه وهذا آخر الجزء السادس من الأجزاء العشرين من شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد المعتزلي على ماجزاه

﴿تم الجزء السادس من شرح نهج البلاغة﴾

الجزء السابع

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الواحد العدل

(الاصل) فَلَمَّا مَهَدَ أَرْضَهُ وَأَنْفَذَ أَمْرَهُ اخْتَارَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خِيرَةً مِنْ خَلْقِهِ وَجَعَلَهُ أَوَّلَ جِبِلَّتِهِ وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ وَأَرْغَدَ فِيهَا أُكُلَهُ * وَأَوْعَزَ إِلَيْهِ فِيمَا نَهَاهُ عَنْهُ * وَأَعْلَمَهُ أَنَّ فِي الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ التَّعَرُّضَ لِمَعْصِيَتِهِ * وَالْمُخَاطَرَةَ بِمَنْزِلَتِهِ * فَأَقْدَمَ عَلَى مَا نَهَاهُ عَنْهُ مُوَافَاةً لِسَابِقِ عِلْمِهِ * فَأَهْبَطَهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ لِيَعْمُرَ أَرْضَهُ بِنَسْلِهِ * وَلِيُقِيمَ الْحُجَّةَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ * وَلَمْ يُخْلِهِمْ بَعْدَ أَنْ قَبَضَهُ مِمَّا يُؤَكِّدُ عَلَيْهِمْ حُجَّةَ رُبُوبِيَّتِهِ * وَيَصِلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ * بَلْ تَعَاهَدَهُمْ بِالْحُجَجِ عَلَى أَلْسُنِ الْخِيَرَةِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ * وَمُتَحَمِّلِي وَدَائِعِ رِسَالَاتِهِ قَرْنًا فَقَرْنًا حَتَّى تَمَّتْ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله حُجَّتُهُ * وَبَلَغَ الْمَقْطَعَ عُذْرُهُ وَنُذُرُهُ

(الشرح) مهد أرضه سواها وأصلحها ومنه المهاد وهو الفراش ومهدت الفراش بالتخفيف مهدا أي بسطته ووطأته وقوله خيرة من خلقه على فعلة مثل عنبة الاسم من قولك اختاره الله يقال محمد خيرة الله من خلقه ويجوز خيرة الله بالتسكين والاختيار الاصطفاء والجبلة الخلق ومنه قوله تعالى واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين ويجوز الجبلة بالضم وقرأ به الحسن البصري وقرئ قوله سبحانه ولقد أضل منكم جبلا كثيرا على وجوه فقرأ أهل المدينة جبلا بالكسر والتشديد وقرأ أبو عمرو جبلا كثيرا مثل قفل وقرأ الكسائي جبلا كثيرا بضم الباء مثل حلم وقرأ عيسى بن عمر جبلا بكسر الجيم وقرأ الحسن وابن أبي اسحق جبلا بالضم والتشديد قوله وأرغد فيها أكله أي جعل أكله وهو المأكول رغدا أي واسعا طيبا قال سبحانه فكلا منها رغدا حيث شئتما وتقرأ رغدا ورغدا بكسر الغين وضمها وأرغد القوم أخصبوا وصار وافي رغد من العيش قوله وأوعز اليه فيما نهاه عنه أي تقدم اليه بالانذار ويجوز وعز اليه بالتشديد توعيزا ويجوز التخفيف أيضا وعز اليه وعزا والواو في وأعلمه عاطفة على وأوعز لا على نهاه قوله موافاة لسابق علمه لا يجوز أن ينتصب لانه مفعول له وذلك لان المفعول له يكون عذرا وعلة للفعل ولا يجوز أن يكون اقدام آدم على الشجرة لاجل الموافاة للعلم الالهي السابق ولا يستحسن ذلك على مذاهبنا بل يجب أن ينتصب موافاة على المصدرية المحضة كانه قال فوافى بالمعصية موافاة وطابق بها سابق العلم مطابقة قوله فاهبطه بعد التوبة قد اختلف الناس في ذلك فقال قوم

بل أهبطه قبل التوبة ثم تاب عليه وهو في الارض وقال قوم تاب قبل الهبوط وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام ويدل عليه قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم قلنا اهبطوا منها جميعا فاخبر عن انه أهبطهم بعد تلقي الكلمات والتوبة وقال تعالى في موضع آخر وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين فبين أن اعترافهما بالمعصية واستغفارهما كان قبل أمرهما بالهبوط وقال في موضع آخر وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى قال اهبطا منها جميعا فجعل الاهباط بعد الاجتباء والتوبة واحتج الاولون بقوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فأزلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه قالوا فاخبر سبحانه عن أمره لهم بالهبوط عقيب ازلال الشيطان لهما ثم عقب الهبوط بفاء التعقيب في قوله فتلقى آدم من ربه كلمات فدل على ان التوبة بعد الهبوط ويمكن أن يجاب عن هذا فيقال انه تعالى لم يقل فقلنا اهبطوا بالفاء بل قال وقلنا اهبطوا بالواو والواو لا تقتضي الترتيب ولو كان عوضها فاء لكانت صريحة في أن الاهباط كان عقيب الزلة فاما الواو فلا يدل على ذلك بل يجوز أن تكون التوبة قبل الاهباط ويخبر عن الاهباط بالواو قبل أن يخبر عن التوبة قوله عليه السلام وليقيم الحجة على عباده أي اذا كان أبوهم أخرج من الجنة بخطيئة واحدة فاخلق بها أن لا يدخلها ذو خطايا جمة وهذا يؤكد مذهب أصحابنا في الوعيد ثم أخبر عليه السلام ان الباري سبحانه ما أخلى عباده بعد قبض آدم وتوفيه مما يؤكد عليهم حجج الربوبية بل أرسل اليهم الرسل قرنا فقرنا بفتح القاف وهو أهل الزمان الواحد قال الشاعر

اذا ما مضى القرن الذي أنت فيهم * وخلفت في قرن فانت غريب

وتعاهدهم بالحجج أي جدد العهد عندهم بها ويروى بل تعهدهم بالتشديد والتعهد التحفظ بالشيء تعهدت فلانا وتعهدت ضيعتي وهو أفصح من تعاهدت لان التفاعل انما يكون من اثنين وتقول فلان يتعهده صرع * قوله وبلغ المقطع عذره ونذره مقطع الشيء حيث ينقطع ولا يبقى خلفه شيء منه أي لم يزل يبعث الانبياء واحدا بعد واحد حتى بعث محمدا صلى الله عليه وآله فتمت به حجته على الخلق أجمعين وبلغ الامر مقطعه أي لم يبق بعده رسول ينتظر وانتهت عذر الله تعالى ونذره فعذره ما بين للمكلفين من الاعذار في عقوبته لهم ان عصوه ونذره ما أنذرهم به من الحوادث ومن أنذرهم على لسانه من الرسل * واعلم أن المتكلمين اختلفوا في عصمة الانبياء ونحن نذكر ههنا طرفا من حكاية المذاهب في هذه المسئلة على سبيل الاقتصاص ونقل الآراء لا على سبيل الحجاج ونخص قصة آدم عليه السلام والشجرة بنوع من النظر اذ كانت هذه القصة مذكورة في كلام أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الفصل فنقول اختلف الناس في المعصوم من هو فقال قوم المعصوم هو الذي لا يمكنه الاتيان بالمعاصي وهؤلاء هم الاقلون من العلماء أهل النظر واختلفوا في عدم التمكن كيف هو فقال قوم منهم المعصوم هو المختص في نفسه أو بدنه أو فيهما بخاصية تقتضي امتناع اقدامه على المعاصي وقال قوم منهم بل المعصوم مساو في الخواص النفسية والبدنية لغيره المعصوم وانما العصمة هي القدرة على الطاعة أو عدم القدرة على المعصية وهذا قول الاشعري نفسه وان كان كثير من أصحابه قد خالفه فيه وقال الاكثرون من أهل النظر المعصوم مختار متمكن من المعصية والطاعة وفسروا العصمة بتفسيرين أحدهما انها أمور يفعلها الله تعالى بالمكلف فتقتضي أن لا يفعل المعصية اقتضاء غير بالغ الى حد الايجاب وفسروا هذه الامور فقالوا انها أربعة أشياء أولها أن يكون لنفس الانسان ملكة مانعة من الفجور داعية الى العفة وثانيها العلم بمثالب المعصية ومناقب الطاعة وثالثها تأكيد ذلك العلم بالوحي والبيان من الله تعالى ورابعها انه متى صدر عنه خطأ من باب النسيان والسهو لم يترك مهملا بل يعاقب وينبه ويضيق عليه العذر قالوا فاذا اجتمعت هذه الامور الاربعة كان الشخص معصوما عن المعاصي لا محالة لان العفة اذا انضاف اليها العلم بما في الطاعة من السعادة وما في المعصية من الشقاوة ثم أكد ذلك تتابع

الوحي اليه وترادفه وتظاهر البيان عنده وتمم ذلك خوفه من العتاب على القدر القليل حصل من اجتماع هذه الامور حقيقة العصمة وقال أصحابنا العصمة لطف يمتنع المكلف عند فعله من القبيح اختيارا وقد يكون ذلك اللطف خارجا عن الامور الاربعة المعدودة مثل أن يعلم الله تعالى أنه ان أنشأ سحابا أو أهب ريحا أو حرك جسما فان زيدا يمتنع عن قبيح مخصوص اختيارا فانه تعالى يجب عليه فعل ذلك ويكون هذا اللطف عصمة لزيد وان كان الاطلاق المشتهر في العصمة انما هو لمجموع الطاف يمتنع المكلف بها عن القبيح مدة زمان تكليفه وينبغي أن يقع الكلام بعد هذه المقدمة في ثلاثة فصول

﴿الفصل الاول﴾ في حال الانبياء قبل البعثة ومن الذي يجوز أن يرسله الله تعالى الى العباد فالذي عليه أصحابنا المعتزلة رحمهم الله أنه يجب أن ينزه النبي قبل البعثة عما كان فيه تنفير عن الحق الذي يدعو اليه وعما فيه غضاضة وعيب فالاول نحو أن يكون كافرا أو فاسقا وذلك لانا نجد التائب العائد الى الصلاح بعد ان عهد الناس منه السخف والمجون والفسق لا يقع أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر عند الناس موقعهما ممن لم يعهدوه الا على السداد والصلاح والثاني نحو أن يكون حجاما أو حائكا أو محترفا بحرفة يقذرها الناس ويستخفون بصاحبها الا أن يكون المبعوث اليهم على خلاف ما هو المعهود الآن بان لا يكون من تعاطى ذلك مستهانا به عندهم ووافق أصحابنا في هذا القول جمهور المتكلمين وقال قوم من الخوارج يجوز أن يبعث الله تعالى من كان كافرا قبل الرسالة وهو قول ابن فورك من الاشعرية لكنه زعم أن هذا الجائز لم يقع وقال قوم من الحشوية قد كان محمد صلى الله عليه وآله كافرا قبل البعثة واحتجوا بقوله تعالى ووجدك ضالا فهدى وقال برغوث المتكلم وهو أحد النجارية لم يكن النبي صلى الله عليه وآله مؤمنا بالله قبل أن يبعثه لانه تعالى قال له ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان وروي عن السدي في قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك قال وزره الشرك فانه كان على دين قومه أربعين سنة وقال بعض الكرامية في قوله تعالى حكاية عن ابراهيم صلى الله عليه وآله قال أسامت انه أسلم يومئذ ولم يكن من قبل ذلك مسلما ومثل ذلك قال اليمان بن رباب متكلم الخوارج وحكى كثير من أرباب المقالات عن شيخنا أبي الهذيل وأبي على جواز أن يبعث الله تعالى من قد ارتكب كبيرة قبل البعثة ولم أجد في كتب أصحابنا حكاية هذا المذهب عن الشيخ أبي الهذيل ووجدته عن أبي على ذكره أبو محمد بن متويه في كتاب الكفاية فقال منع أهل العدل كلهم من تجويز بعثة من كان فاسقا قبل النبوة الا ما وجد في بعض كلام الشيخ أبي على رحمه الله تعالى من ثبوت فصل بين البعثة وقبلها فاجاز أن يكون قبل البعثة مرتكبا الكبيرة ثم يتوب فيبعثه الله تعالى حينئذ وهو مذهب محكي عن عبد الله بن العباس الرامهرمزي ثم قال الشيخ أبو محمد رحمه الله تعالى والصحيح من قول أبي على رحمه الله تعالى مثل ما نختاره من التسوية بين حال البعثة وقبلها في المنع من جواز ذلك وقال قوم من الاشعرية ومن أهل الظاهر وأرباب الحديث ان ذلك جائز واقع واستدلوا باحوال اخوة يوسف ومنع المانعون من ذلك من ثبوت نبوة اخوة يوسف ثم هؤلاء المجوزون منهم من جوز عليهم فعل الكبائر مطلقا ومنهم من جوز ذلك على سبيل الندرة ثم يتوبون عنه ويشتهر حالهم بين الخلق بالصلاح فاما لو فرضنا اصرارهم على الكبائر بحيث يصيرون مشهورين بالفسق والمعاصي فان ذلك لا يجوز لانه يفوت الغرض من ارسالهم ونبوتهم على هذا التقدير وقالت الامامية لا يجوز أن يبعث الله تعالى نبيا قد وقع منه قبيح قبل النبوة لا صغيرا ولا كبيرا لا عمدا ولا خطأ ولا على سبيل التأويل والشبهة وهذا المذهب مما تفردوا به فان أصحابنا وغيرهم من المانعين للكبائر قبل النبوة لم يمنعوا وقوع الصغائر منهم اذا لم تكن مسخفة منفرة واطردت الامامية هذا القول في الأئمة فجعلت حكمهم في ذلك حكم الانبياء في وجوب العصمة المطلقة لهم قبل النبوة وبعدها

﴿الفصل الثاني﴾ في عصمة الانبياء في زمن النبوة عن الذنوب في أفعالهم وتروكهم عدا ما يتعلق بتبليغ الوحي والفتوى في الاحكام جوز قوم من الحشوية عليهم هذه الكبائر وهم أنبياء كالزنا واللواط وغيرهما وفيهم من جوز ذلك بشرط الاستسرار دون الاعلان وفيهم من جوز ذلك على الاحوال كلها ومنع أصحابنا المعتزلة من وقوع الكبائر

منهم

منهم عليهم السلام أصلا ومنعوا أيضا من وقوع الصغائر المسخفة منهم وجوزوا وقوع الصغائر التي ليست بمسخفة منهم ثم اختلفوا فمنهم من جوز على النبي الاقدام على المعصية الصغيرة غير المسخفة عمدا وهو قول شيخنا أبي هاشم رحمه الله تعالى فانه أجاز ذلك وقال انه لا يقدم عليه السلام على ذلك الا على خوف ووجل ولا يتجرأ على الله سبحانه ومنهم من منع من تعمد اتيان الصغيرة وقال انهم لا يقدمون على الذنوب التي يعلمونها ذنوبا بل على سبيل التأويل ودخول الشبهة وهذا قول أبي على رحمه الله تعالى وحكي عن أبي اسحق النظام وجعفر بن مبشر أن ذنوبهم لا تكون الا على سبيل السهو والنسيان وانهم مؤاخذون بذلك وان كان موضوعا عن أممهم لان معرفتهم أقوى ودلائلهم أكثر وأخطارهم أعظم ويتهيأ لهم من التحفظ ما لا يتهيأ لغيرهم وقالت الامامية لا يجوز عليهم الكبائر ولا الصغائر لا عمدا ولا خطأ ولا سهوا ولا على سبيل التأويل والشبهة وكذلك قولهم في الأئمة والخلاف بيننا وبينهم في الانبياء يكاد يكون ساقطا لان أصحابنا انما يجوزون عليهم الصغائر لانه لا عقاب عليها وانما تقتضي نقصان الثواب المستحق على قاعدتهم في مسئلة الاحباط فقد اعترف اذا أصحابنا بانه لا يقع من الانبياء ما يستحقون به ذما ولا عقابا والامامية انما تنفي عن الانبياء الصغائر والكبائر من حيث كان كل شئ منها يستحق فاعله به الذم والعقاب لان الاحباط باطل عندهم فاذا كان استحقاق الذم والعقاب يجب أن ينفى عن الانبياء وجب أن ينفى عنهم سائر الذنوب فقد صار الخلاف اذا متعلقا بمسئلة الاحباط وصارت هذه المسئلة فرعا من فروعها واعلم أن القول بجواز الصغائر على الانبياء بالتأويل والشبهة على ما ذهب اليه شيخنا أبو على رحمه الله تعالى انما اقتضاه تفسيره لآية آدم والشجرة وتكلفه اخراجها عن تعمد آدم للعصيان فقال ان آدم نهي عن نوع تلك الشجرة لا عن عينها بقوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة وأراد سبحانه نوعها المطلق فظن آدم انه أراد خصوصية تلك الشجرة بعينها وقد كان أشير اليها فلم يأكل منها بعينها ولكنه أكل من شجرة أخرى من نوعها فاخطأ في التأويل وأصحاب شيخنا أبي هاشم لا يرضون هذا المذهب ويقولون ان الاشكال باق بحاله لان آدم أخل بالنظر على هذا القول في أن المنهي عنه هل هو عين الشجرة أو نوعها مع أنه قد كان مدلولا على ذلك لانه لو لم يكن مدلولا على ذلك لكان تكليف الامتناع عن التناول تكليف ما لا يطاق واذا دل على ذلك وجب عليه النظر ولا وجه يجب النظر لاجله الا الخوف من تركه واذا لم يكن بد من كونه خائفا فهو عالم اذا بوجوب هذا التأمل والنظر فاذا أخل به فقد وقعت منه المعصية مع علمه وكما لا يرضى أصحاب شيخنا أبي هاشم هذا المذهب فكذلك لا يرتضون مذهب النظام وجعفر بن مبشر وذلك لان القول بان الانبياء يؤاخذون على ما يفعلونه سهوا متناقض لان السهو يزيل التكليف ويخرج الفعل من كونه ذنبا مؤاخذا به ولهذا لا يصح مؤاخذة المجنون والنائم والسهو في كونه مؤثرا في رفع التكليف جار مجرى فقد القدر والآلات والادلة فلو جاز أن يخالف حال الانبياء حال غيرهم في صحة تكليفهم مع السهو جاز أن يخالف حالهم حال غيرهم في صحة التكليف مع فقد القدر والآلات وذلك باطل واعلم ان الشريف المرتضى رحمه الله تعالى قد تكلم في كتابه المسمى بتنزيه الانبياء والائمة على هذه الآية وانتصر لمذهب الامامية فيها وحاول صرفها عن ظاهرها وتأول اللفظ بتأويل مستكره غير صحيح وأنا أحكي كلامه ههنا وأتكلم عليه نصرة لاصحابنا ونصرة أيضا لامير المؤمنين عليه السلام فانه قد صرح في هذا الفصل بوقوع الذنب من آدم عليه السلام ألا ترى الى قوله والمخاطرة بمنزلته وهل تكون هذه اللفظة الا في الذنب وكذلك سياقه الفصل من أوله الى آخره اذا تأمله المنصف واطرح الهوى والتعصب ثم انا نذكر السيد الشريف المرتضى رحمه الله تعالى قال رحمه الله تعالى أما قوله تعالى وعصى آدم ربه فان المعصية مخالفة للامر والامر من الحكيم تعالى قد يكون بالواجب وبالندب معا فلا يمتنع على هذا أن يكون آدم مندوبا الى ترك التناول من الشجرة فيكون بمواقعتها تاركا فضلا ونفلا وغير فاعل قبيحا وليس يمتنع أن يسمى تارك النفل عاصيا كما يسمى بذلك تارك الواجب فان تسمية من خالف ما أمر به سواء كان واجبا أو نفلا بانه عاص ظاهر ولهذا يقولون أمرت فلانا بكذا وكذا من الخير فعصاني وخالفني وان لم يكن ما أمر به واجبا ويقال له الكلام على هذا التأويل من وجوه أولها ان ألفاظ الشرع يجب أن تحمل على

حقائقها اللغوية مالم يكن لها حقائق شرعية فاذا كان لها حقائق شرعية وجب أن تحمل على عرف الشرع واصطلاحه كالصلاة والحج والنفاق والكفر ونحو ذلك من الالفاظ الشرعية وهكذا قال السيد المرتضى رحمه الله تعالى في كتابه في أصول الفقه المعروف بالذريعة في باب كون الامر للوجوب وهو الحق الذي لامندوحة عنه واذا كان لفظ العصيان في الاصطلاح الشرعي موضوعا لمخالفة الامر الايجابي لم يجز العدول عنه وحمله على مخالفة الندب ومعلوم ان لفظ العصيان في العرف الشرعي لايطلق الا على مخالفة الامر المقتضي للوجوب فالقول بجواز حملها على مخالفة الامر الندبي قول تبطله وتدفعه تلك القاعدة المقررة التي ثبتت بالاتفاق وبالدليل على انا قبل أن نجيب بهذا الوجه نمنع أصلا انه يجوز أن يقال لتارك النفل انه عاص لا في أصل اللغة ولا في العرف ولا في الشرع وذلك لان حقيقة النفل هو ما يقال فيه للمكلف الاولى أن تفعل هذا ولك أن لا تفعله ومعلوم ان تارك مثل ذلك لايطلق عليه انه عاص ويبين ذلك ان لفظ العصيان في اللغة موضوع للامتناع ولذلك سميت العصا عصا لانه يمتنع بها ومنه قولهم قد شق العصا أي خرج عن الربقة المانعة من الاختلاف والتفرق وتارك الندب لايمتنع من أمر لان الامر الندبي لا يقتضي شيأ اقتضاء اللزوم بل معناه ان فعلت فهو أولى ويجوز أن لاتفعل فأي امتناع حدث اذا خولف أمر الندب يسمى المخالف له عاصيا ويبين ذلك أيضا ان لفظ عاص اسم ذم فلا يجوز اطلاقه على تارك الندب كما لا يسمى فاسقا وان كان الفسق في أصل اللغة للخروج ثم يسأل المرتضى رحمه الله تعالى عما سأل عنه نفسه فيقال له كيف يجوز أن يكون ترك الندب معصية أوليس هذا يوجب أن يوصف الانبياء بانهم عصاة في كل حال وانهم لا ينفكون عن المعصية لانهم لايكادون ينفكون من ترك الندب وقد أجاب رحمه الله تعالى عن هذا فقال وصف تارك الندب بانه عاص توسع وتجوز والمجاز لايقاس عليه ولايعدى عن موضعه ولو قيل انه حقيقة في فاعل القبيح وتارك الاولى والافضل لم يجز اطلاقه في الانبياء الامع التقييد لان استعماله قد كثر في فاعل القبائح فاطلاقه عن التقييد موهم لكنا نقول ان أردت بوصفهم بانهم عصاة انهم فعلوا القبيح فلا يجوز ذلك وان أردت انهم تركوا مالو فعلوه لاستحقوا الثواب ولكان أولى فهم كذلك يقال له ليس هذا من باب القياس على المجاز الذي اختلف فيه أرباب أصول الفقه لان من قال اذا ترك زيد الندب فانه يسمى عاصيا يلزمه أن يقول ان عمرا اذا ترك الندب يسمى عاصيا وليس هذا قياسا كما ان من قال لزيد البليد هذا حمار قال لعمرو البليد هذا حمار والقياس على المجاز الذي اختلف الاصوليون في جوازه خارج عن هذا الموضع ومثال المسئلة الاصولية المختلف فيها واخفض لهما جناح الذل هل يجوز أن يقال طأطئ لهما عنق الذل وأما قوله لو سلمنا انه حقيقة في تارك الندب لم يجز اطلاقه في حق الانبياء لانه يوهم العصيان بل يجب أن يقيد نقول لكن البارى سبحانه أطلقه ولم يقيده في قوله وعصى آدم فيلزمك أن يكون تعالى موهما وفاعلا للقبيح لان ايهام القبيح قبيح فان قال الدلالة العقلية على استحالة المعاصي على الانبياء تؤمن من ايهام قيل له وتلك الدلالة بعينها تؤمن من الايهام في قول القائل الانبياء عصاة فهلا أجزت اطلاق ذلك وثانيها انه تعالى قال فغوى والغي الضلال قال المرتضى رحمه الله تعالى معنى غوى ههنا خاب لانه يعلم انه لو فعل ماندب اليه من ترك التناول من الشجرة لاستحق الثواب العظيم فاذا خالف الامر ولم يصر الى ماندب اليه فقد خاب لامحالة من حيث لم يصر الى الثواب الذي كان يستحقه بالامتناع ولا شبهة في ان لفظ غوى يحتمل الخيبة قال الشاعر

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره ❊ ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

يقال له ألست القائل في مصنفاتك الكلامية ان المندوبات انما ندب اليها لانها كالمسهلات والميسرات لفعل الواجبات العقلية وانها ليست ألطافا في واجب عقلي وان ثوابها يسير جدا بالاضافة الى ثواب الواجب فاذا كان آدم عليه السلام ما أخل بشئ من الواجبات ولا فعل شيأ من المقبحات فقد استحق من الثواب العظيم ما يستحقر ثواب المندوبات بالاضافة اليه ومثل هذا لا يقال فيه لمن ترك المندوب انه قد خاب ألا ترى ان من اكتسب مائة ألف قنطار من المال وترك بعد ذلك درهما واحدا كان يمكنه اكتسابه فلم يكتسبه لا يقال انه خاب وثالثها ان ظاهر القرآن يخالف ماذكره لانه تعالى أخبر ان آدم منهي عن أكل الشجرة بقوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين

وقوله

وقوله ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وهذا يوجب انه قد عصى بان فعل منهيا عنه والشريف المرتضى رحمه الله تعالى يقول انه عصى بان ترك مأمورا به قال المرتضى رحمه الله تعالى مجيبا عن هذا ان الامر والنهي ليس يختصان عندنا بصيغة ليس فيها احتمال واشتراك وقد يؤمر عندنا بلفظ النهي وينهى بلفظ الامر وانما يكون النهي نهيا بكراهة المنهي عنه فاذا قال تعالى لاتقربا هذه الشجرة ولم يكره قربها لم يكن في الحقيقة ناهيا كما انه تعالى قال اعملوا ماشئتم واذا حللتم فاصطادوا ولم يرد ذلك لم يكن آمرا به واذا كان قد صحب قوله لاتقربا هذه الشجرة ارادة ترك التناول وجب أن يكون هذا القول أمرا وانما سماه منهيا وسمى أمره له بانه نهي من حيث كان فيه معنى النهي لان في النهي ترغيبا في الامتناع من الفعل وتزهيدا في الفعل نفسه ولما كان الامر ترغيبا في فعل المأمور وتزهيدا في تركه جاز أن يسمى نهيا وقد يتداخل هذان الوضعان في الشاهد فيقول أحدنا قد أمرت فلانا أن يلقى الامير وانما يريد انه نهاه عن لقائه ويقول نهيتك عن هجر زيد وانما معناه أمرتك بمواصلته . يقال له هذا خلاف الظاهر فلا يجوز المصير اليه الا بدلالة قاطعة تصرف اللفظ عن ظاهره ويكفي أصحاب أبي هاشم في نصرة قولهم التمسك بالظاهر واعلم ان بعض أصحابنا تأول هذه الآية وقال ان ذلك وقع من آدم عليه السلام قبل نبوته لانه لو كان نبيا قبل اخراجه من الجنة لكان اما أن يكون مرسلا الى نفسه وهو باطل أو الى حواء وقد كان الخطاب يأتيها بغير واسطة لقوله تعالى ولا تقربا أو الى الملائكة وهذا باطل لان الملائكة رسل الله بدليل قوله جاعل الملائكة رسلا والرسول لايحتاج الى رسول آخر أو يكون رسولا وليس هناك من يرسل اليه وهذا محال فثبت ان هذه الواقعة وقعت له عليه السلام قبل نبوته وارساله (الفصل الثالث) في خطئهم في التبليغ والفتاوى قال أصحابنا ان الانبياء معصومون من كل خطأ يتعلق بالاداء والتبليغ فلا يجوز عليهم الكذب ولا التغيير ولا التبديل ولا الكتمان ولا تأخير البيان عن وقت الحاجة ولا الغلط فيما يؤدونه عن الله تعالى ولا السهو فيه ولا الالغاز ولا التعمية لان كل ذلك اما أن ينقض دلالة المعجز على صدقه أو يؤدي الى تكليف مالا يطاق وقال قوم من الكرامية والحشوية يجوز عليهم الخطأ في أقوالهم كما جاز في أفعالهم قالوا وقد أخطأ رسول الله صلى الله عليه وآله في التبليغ حيث قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى وقال قوم منهم يجوز الغلط على الانبياء فيما لم تكن الحجة فيه مجرد خبرهم لانه لا يكون في ذلك ابطال حجة الله على خلقه كما وقع من النبي صلى الله عليه وآله في هذه الصورة فان قوله ذلك ليس رافعا لحجة العقل في ان الاصنام لا يجوز تعظيمها ولا ترجى شفاعتها فاما ما كان السبيل اليه مجرد السمع فلو أمكن الغلط فيه لبطلت الحجة باخبارهم وقال قوم منهم ان الانبياء يجوز أن يخطؤا في أقوالهم وأفعالهم اذا لم تجر تلك الافعال مجرى بيان الوحي كبيانه عليه السلام لنا الصلاة ولا يجوز عليه الخطأ في حال البيان وان كان يجوز عليه ذلك في غير حال البيان كما روى من خبر ذي اليدين حين سها النبي صلى الله عليه وآله في الصلاة وكذلك ما يكون منه من تبليغ وحي فانه لايجوز عليه أن يخطئ فيه لانه حجة الله على عباده فاما في أقواله الخارجة عن التبليغ يجوز أن يخطئ كما روى عنه صلى الله عليه وآله في نهيه لاهل المدينة عن تأبير النخل فاما أصحابنا المعتزلة فانهم اختلفوا في الخبر المروي عنه عليه الصلاة والسلام في سورة النجم فمنهم من دفع الخبر أصلا ولم يقبله وطعن في رواته ومنهم من اعترف بكونه قرآنا منزلا وهم فريقان أحدهما القائلون بانه كان وصفا للملائكة فلما ظن المشركون انه وصف آلهتهم رفع ونهي عن تلاوته وثانيهما القائلون انه خارج على وجه الاستفهام بمعنى الانكار فتوهم سامعوه انه بمعنى التحقيق فنسخه الله تعالى ونهي عن تلاوته ومنهم من قال ليس بقرآن منزل بل هو كلام تكلم به رسول الله صلى الله عليه وآله من قبل نفسه على طريق الانكار والهزء بقريش فظنوا انه يريد التحقيق فنسخه الله بان بين خطأ ظنهم وهذا معنى قوله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته قالوا فالقاء الشيطان ههنا هو القاء الشبهة في قلوب المشركين وانما أضافه الى أمنيته وهي تلاوته القرآن لان بغرور الشيطان ووسوسته أضاف المشركون الى تلاوته عليه السلام ما لم يرده بها وأنكر أصحابنا الاخبار الواردة التي تقتضي الطعن على الرسول صلى الله عليه وآله قالوا وكيف يجوز أن تصدق هذه الاخبار الآحاد على من قد قال الله تعالى له كذلك لنثبت به

فؤادك وقال له سنقرئك فلا تنسى وقال عنه ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين واما خبر ذي اليدين وخبر تأبير النخل فقد تكلمنا عليهما في كتبنا المصنفة في أصول الفقه

(الاصل) وقَدَّرَ الأَرْزاقَ فكَثَّرَها وقَلَّلَها * وقَسَّمَها على الضِّيقِ والسَّعَةِ * فعَدَلَ فيها لِيَبْتَلِيَ مَنْ أرادَ بمَيْسُورِها ومَعْسُورِها * ولِيَخْتَبِرَ بذلكَ الشُّكْرَ والصَّبْرَ مِنْ غَنِيِّها وفَقِيرِها * ثُمَّ قَرَنَ بِسَعَتِها عَقابِيلَ فاقَتِها * وبِسَلامَتِها طَوارِقَ آفاتِها * وبِفُرَجِ أفْراحِها غُصَصَ أتْراحِها * وخَلَقَ الآجالَ فأطالَها وقَصَّرَها * وقَدَّمَها وأخَّرَها * ووَصَلَ بالمَوْتِ أسْبابَها * وجَعَلَهُ خالِجاً لأشْطانِها * وقاطِعاً لِمَرائِرِ أقْرانِها

(الشرح) الضيق والضيق لغتان فاما المصدر من ضاق فالضيق بالكسر لا غير وعدل فيها من التعديل وهو التقويم وروى فعدل بالتخفيف من العدل نقيض الظلم والميسور والمعسور مصدران وقال سيبويه هما صفتان ولا يجيء عنده المصدر على وزن مفعول البتة ويتأول قولهم دعه الى ميسوره ويقول كانه قال دعه الى أمر يوسر فيه وكذلك يتأول المعقول أيضا فيقول كانه عقل له شيء أي حبس وأيد وسدد ومعنى قوله عليه السلام ليبتلى من أراد بميسورها ومعسورها هو معنى قول النبي صلى الله عليه وآله ان اعطاء هذا المال فتنة وامساكه فتنة والعقابيل في الاصل الحلا وهو قروح صغار تخرج بالشفة من بقايا المرض والفاقة الفقر وطوارق الآفات متجددات المصائب وأصل الطروق ما يأتي ليلا والاتراح الغموم الواحد ترح وترحه تتريحا أي حزنه وخالجا جاذبا واخلج الجذب خلجه يخلجه بالكسر واختلجه ومنه الخليج الحبل لانه يجتذب به وسمي خليج البحر خليجا لانه يجذب من معظم البحر والاشطان الحبال واحدها شطن وشطنت الفرس أشطنه اذا شددته بالشطن والقرائن الحبال جمع قرن وهو من شواذ الجموع قال الشاعر

أبلغ خليفتنا ان كنت لاقيه * انى لدى الباب كالمشدود في قرن

ومرائر القرائن جمع مريرة وهو ما لطف وطال منها واشتد فتله وهذا الكلام من باب الاستعارة

(الاصل) عالِمُ السِّرِّ مِنْ ضَمائِرِ المُضْمِرِينَ ونَجْوَى المُتَخافِتِينَ * وخَواطِرِ رَجْمِ الظُّنُونِ وعُقَدِ عَزِيماتِ اليَقِينِ * ومَسارِقِ إيماضِ الجُفُونِ * وما ضَمِنَتْهُ أكْنانُ القُلُوبِ وغَياباتُ الغُيُوبِ * وما أصْغَتْ لاسْتِراقِهِ مَصائِخُ الأسْماعِ ومَصائِفُ الذَّرِّ ومَشاتِي الهَوامِّ ورَجْعِ الحَنِينِ مِنَ المُولَهاتِ وهَمْسِ الأقْدامِ * ومُتَفَسَّخِ الثَّمَرَةِ مِنْ وَلائِجِ غُلُفِ الأكْمامِ * ومُنْقَمَعِ الوُحُوشِ مِنْ غِيرانِ الجِبالِ وأوْدِيَتِها * ومُخْتَبَأِ البَعُوضِ بَيْنَ سُوقِ الأشْجارِ وألْحِيَتِها * ومَغْرَزِ الأوْراقِ مِنَ الأفْنانِ ومَحَطِّ الأمْشاجِ مِنْ مَسارِبِ الأصْلابِ ونَاشِئَةِ الغُيُومِ ومُتَلاحِمِها * ودُرُورِ قَطْرِ السَّحابِ في مُتَراكِمِها * وما تَسْفِي الأعاصِيرُ بِذُيُولِها * وتَعْفُو الأمْطارُ بِسُيُولِها * وعَوْمِ نَباتِ الأرْضِ في كُثْبانِ

الرِّمالِ * ومُسْتَقَرِّ ذَواتِ الأجْنِحَةِ بِذُرَى شَناخِيبِ الجِبالِ * وتَغْرِيدِ ذَواتِ المَنْطِقِ في دَياجِيرِ الأوْكارِ * وما أوْعَبَتْهُ الأصْدافُ وحَضَنَتْ عَلَيْهِ أمْواجُ البِحارِ * وما غَشِيَتْهُ سُدْفَةُ لَيْلٍ أوْ ذَرَّ عَلَيْهِ شارِقُ نَهارٍ * وما اعْتَقَبَتْ عَلَيْهِ أطْباقُ الدَّياجِيرِ * وسُبُحاتُ النُّورِ * وأثَرِ كُلِّ خَطْوَةٍ * وحِسِّ كُلِّ حَرَكَةٍ * ورَجْعِ كُلِّ كَلِمَةٍ * وتَحْرِيكِ كُلِّ شَفَةٍ ومُسْتَقَرِّ كُلِّ نَسَمَةٍ ومِثْقالِ كُلِّ ذَرَّةٍ * وهَماهِمِ كُلِّ نَفْسٍ هامَّةٍ * وما عَلَيْها مِنْ ثَمَرِ شَجَرَةٍ أوْ ساقِطِ وَرَقَةٍ أوْ قَرارَةِ نُطْفَةٍ * أوْ نُقاعَةِ دَمٍ ومُضْغَةٍ * أوْ ناشِئَةِ خَلْقٍ وسُلالَةٍ * لَمْ يَلْحَقْهُ في ذلِكَ كُلْفَةٌ * ولا اعْتَرَضَتْهُ في حِفْظِ ما ابْتَدَعَ مِنْ خَلْقِهِ عارِضَةٌ * ولا اعْتَوَرَتْهُ في تَنْفِيذِ الأُمُورِ وتَدابِيرِ المَخْلُوقِينَ مَلالَةٌ ولا فَتْرَةٌ * بَلْ نَفَذَهُمْ عِلْمُهُ * وأحْصاهُمْ عَدُّهُ * ووَسِعَهُمْ عَدْلُهُ * وغَمَرَهُمْ فَضْلُهُ * مَعَ تَقْصِيرِهِمْ عَنْ كُنْهِ ما هُوَ أهْلُهُ

(الشرح) لو سمع النضر بن كنانة هذا الكلام لقال لقائله ما قاله علي بن العباس بن جريج لاسمعيل بن بلبل

قالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم * كلا ولكن لعمري منه شيبان
وكم أب قد علا بابن ذرى شرف * كما علا برسول الله عدنان

اذ كان يفخر به على عدنان وقحطان بل كان يقر به عين أبيه ابراهيم خليل الرحمن ويقول له انه لم يعف ما شيدت من معالم التوحيد بل أخرج الله تعالى لك من ظهري ولدا ابتدع من علوم التوحيد في جاهلية العرب مالم تبتدعه أنت في جاهلية النبط بل لو سمع هذا الكلام أرسطوطاليس القائل بأنه تعالى لا يعلم الجزئيات لخشع قلبه ووقف شعره واضطرب فكره ألا ترى ما عليه من الرواء والمهابة والعظمة والفخامة والمتانة والجزالة مع ما قد أشرب من الحلاوة والطلاوة واللطف والسلاسة لا أرى كلاما يشبه هذا الا أن يكون كلام الخالق سبحانه فان هذا الكلام نبعة من تلك الشجرة وجدول من ذلك البحر وجذوة من تلك النار وكانه شرح قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين ثم نعود الى التفسير فنقول النجوى المسارة تقول انتجى القوم وتناجوا أي تساروا وانتجيت زيدا اذا خصصته بمناجاتك ومنه الحديث أنه صلى الله عليه وآله أطال النجوى مع علي عليه السلام فقال قوم لقد أطال اليوم نجوى ابن عمه فبلغه ذلك فقال اني ما انتجيته ولكن الله انتجاه ويقال للسر نفسه النجو يقال نجوته نجوا أي ساررته وكذلك ناجيته مناجاة وسمي ذلك الامر المخصوص نجوى لانه يستسر به فاما قوله تعالى واذ هم نجوى فجعلهم هم النجوى وانما النجوى فعلهم فانما هو كقولك قوم رضى وانما الرضى فعلهم ويقال للذي تساره النجي على فعيل وجمعه أنجية قال الشاعر

* اني اذا ما القوم كانوا أنجية *

وقد يكون النجي جماعة مثل الصديق قال الله تعالى خلصوا نجيا وقال الفراء قد يكون النجي والنجوى اسما ومصدرا والمتخافتين الذين يسرون المنطق وهي المخافتة والتخافت والخفت قال الشاعر

أخاطب جهرا اذ لهن تخافت * وشتان بين الجهر والمنطق الخفت

ورجم الظنون القول بالظن قال سبحانه رجما بالغيب ومنه الحديث المرجم بالتشديد وهو الذي لا يدرى أحق هو أم باطل ويقال صار رجما أي لا يوقف على حقيقة أمره وعقد عزيمات اليقين العزائم التي يعقد القلب عليها وتطمئن النفس اليها ومسارق ايماض الجفون ما تسترقه الابصار حين تومض يقال أومض البصر والبرق ايماضا اذا لمع لمعا

خفيفاو يجوز ومض بغير همز يمض ومضا ووميضا وومضانا وا كنان القلوب غلفها والكن السترة والجمع اكنان قال
تعالى جعل لكم من الجبال أكنانا ويروى أكنة القلوب وهي الاغطية أيضا قال تعالى وجعلنا على قلوبهم أكنة
والواحد كنان قال عمر بن أبي ربيعة * تحت عين كناننا * ظل برد مرحل * ويعني بالذي ضمنته أكنان
القلوب الضمائر وغيابات الغيوب جمع غيابة وهي قعر البئر في الاصل ثم نقلت الى كل غامض خفي مثل غيابة وقد روى
غبابات بالباء وأصغت تسمعت ومالت نحوه ولاستراقه لاستماعه في خفية قال تعالى الا من استرق السمع ومصائخ الاسماع
خروقها التي يصيخ بها أي يتسمع ومصائف الذر المواضع التي يصيف الذر فيها أي يقيم الصيف يقال صاف بالمكان
واصطاف بمعنى والموضع مصيف ومصطاف والذر جمع ذرة وهي أصغر النمل ومشاتي الهوام المواضع التي تشتو الهوام بها
يقال شتوت بموضع كذا وتشتيت أي أقمت به الشتاء والهوام جمع هامة ولا يقع هذا الاسم الا على المخوف من الاحناش
ورجع الحنين ترجيعه وترديده والموطهات النوق والنساء اللواتي حيل بينهن و بين أولادهن وهمس الاقدام صوت
وطئها خفيا جدا قال تعالى فلا تسمع الا همسا ومنه قول الراجز * فهن يمشين بنا هميسا * والاسد الهموس الخفي
الوطء ومنفسح الثمرة أي موضع سعتها من الاكمام وقد روى متفسخ بالخاء المعجمة وتشديد السين وبتاء بعد الميم
مصدرا من تفسخت الثمرة اذا انقطعت والولائج المواضع الساترة والواحدة وليجة وهو كالكهف يستتر فيه المارة من
مطر أو غيره و يقال أيضا في جمعه ولج وأولاج ومنقمع الوحوش موضع تقمعها واستتارها وسمي قمعة بن الياس بن مضر
بذلك لانه انقمع في بيته كما زعموا وغيران الجبال جمع غار وهو كالكهف في الجبل والمغار مثل الغار والمغارة مثله ومختبأ
البعوض موضع اختبائها واستتارها وسوق الاشجار جمع ساق وألحيتها جمع لحاء وهو القشر ومغرز الاوراق موضع
غرزها فيها والافنان جمع فنن وهو الغصن والامشاج ماء الرجل يختلط بماء المرأة ودمها جمع مشيج كيتيم وأيتام ومحطها
اما مصدر او مكان ومسارب الاصلاب المواضع التي ينسرب المني فيها من الصلب أي يسيل وناشئة الغيوم أول ما ينشأ
منها وهو النشء أيضا وناشئة الليل في قوله تعالى ان ناشئة الليل هي أشد وطأ أول ساعاته و يقال هي ما ينشأ في الليل من
الطاعات ومتلاحمها ما يلتصق منها بعضها ببعض و يلتحم ودرور قطر السحاب مصدر من در يدر أي سال وناقة درور
أي كثيرة اللبن وسحاب درور أي كثيرة المطر و يقال ان لهذا السحاب لدرة أي صبا والجمع درور ومتراكمها المجتمع
المتكاثف منها ركمت الشيء أركمه بالضم جمعته وألقيت بعضه على بعض ورمل ركام وسحاب ركام أي مجتمع والاعاصير
جمع اعصار وهي ريح تثير الغبار فيرتفع الى السماء كالعمود وقال تعالى فأصابها اعصار فيه نار وتسفي من سفت الريح
التراب سفيا اذا أذرته فهو سفي وذيولها هنا يريد به اطرافها وما الاحف الارض منها وما تعفو الامطار أي ما تدرس
عفت الريح المنزل أي درسته وعفا المنزل نفسه يعفو درس يتعدى ولا يتعدى و بنات الارض الهوام والحشرات التي
تكون في الرمال وعومها فيها سباحتها و يقال لسير السفينة وسير الابل أيضا عوم عمت في الماء بضم أوله أعوم وكثبان
الرمال جمع كثيب وهو ما انصب من الرمل واجتمع في مكان واحد فصار تلا وكثبت الشيء أكثبه كثبا اذا جمعته
وانكثب الرمل اجتمع وشناخيب الجبال رؤسها واحدها شنخوب وذراها أعاليها جمع ذروة وذروة بالكسر والضم
والتغريد التطريب بالغناء والتغرد مثله وكذلك الغرد بفتحهما و يقال غرد الطائر فهو غرد اذا طرب بصوته وذوات
المنطق ههنا الاطيار وسمي صوتها منطقا وان كان لا يطلق الا على ألفاظ البشر مجازا ودياجير جمع ديجور وهو الظلام
والاوكار جمع وكر وهو عش الطائر ويجمع أيضا على وكور ووكر الطائر يكر وكرا أي دخل وكره وقوله وما أودعته
الاصداف أي من اللؤلؤ وحضنت عليه أمواج البحار أي ماضمته كما تحضن الانثى من الطير بيضها وهو ما يكون في لجة
اما من سمك أو خشب أو ما يحمله البحر من العنبر كالجاجم بين الامواج وغير ذلك وسدفة الليل ظلمته وجاء بالفتح
وقيل السدفة اختلاط الضوء والظلمة معا كوقت ما بين طلوع الفجر الى الاسفار وغشيته غطته وذر عليه شارق نهار
أي ما طلعت عليه الشمس وذرت الشمس تذر بالضم ذرورا طلعت وذر البقل اذا طلع من الارض وشرقت الشمس
طلعت وأشرقت بالهمزة اذا أضاءت وصفت واعتقبت تعاقبت واطباق الدياجير اطباق الظلم واطباقها جمع طبقة أي

أغطيتها أطبقت الشيء أي غطيته وجعلته مطبقا وقد تطبق هو ومنه قولهم لو تطبقت السماء على الارض لما فعلت كذا
وسبحات النور عطف على اطباق الدياجير أي يعلم سبحانه ما تعاقب عليه الظلام والضياء وسبحات ههنا ليس يعني به
ما يعني بقوله سبحان وجه ربنا لانه هناك بمعنى ما يسبح عليه النور أي يجري من سبح الفرس وهو جريه و يقال فرس
سابح والخطوة ما بين القدمين بالضم وخطوت خطوة بالفتح لانه المصدر ورجع كل كلمة ما ترجع به من الكلام الى
نفسك وترددها في فكرك والنسمة الانسان نفسه وجمعها نسم ومثقال كل ذرة أي وزن كل ذرة ومما يخطئ فيه العامة
قولهم للدينار مثقال وانما المثقال وزن كل شيء قال تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وهماهم كل نفس هامة الهماهم جمع
همهمة وهي ترديد الصوت في الصدر وحمار همهيم يهمهم في صوته وهمهمت المرأة في رأس الصبي وذلك اذا نومته
بصوت ترققه له والنفس الهامة ذات الهمة التي تعزم على الامر قوله وما عليها أي ما على الارض فجاء بالضمير ولم يسبق
ذكر صاحبه اعتمادا على فهم المخاطب كما قال تعالى كل من عليها فان وقرارة النطفة ما يستقر فيه الماء من الاماكن
قال الشاعر أنتم قرارة كل معدن سوءة * ولكل سائلة تسيل قرار
والنطفة الماء نفسه ومنه قوله عليه السلام في الخوارج ان مصارعهم لدون النطفة أي لا يعبرون النهر و يجوز أن يريد
بالنطفة المني و يقويه ما ذكره بعده من المضغة والنقاعة نقرة يجتمع فيها الدم ومثلها أنقوعة و يقال لوقبة الثريد أنقوعة
والمضغة قطعة اللحم والسلالة في الاصل ما استل من الشيء وسميت النطفة سلالة الانسان لانها استلت منه وكذلك الولد
والكلفة المشقة واعتورته مثل درته ونفذهم علمه تشبيه بنفوذ السهم وعدى الفعل بنفسه وان كان معدى في الاصل
بحرف الجر كقولك اخترت الرجال زيدا أي من الرجال كأنه جعل علمه تعالى خارقا لهم ونافذا فيهم و يروى وأحصاهم
عدة بالتضعيف

(الاصل) اللَّهُمَّ أَنْتَ أَهْلُ الْوَصْفِ الْجَمِيلِ وَالتَّعْدَادِ الْكَثِيرِ * إِنْ تُؤَمَّلْ فَخَيْرُ مَأْمُولٍ وَإِنْ تُرْجَ فَأَكْرَمُ مَرْجُوٍّ * اللَّهُمَّ فَقَدْ بَسَطْتَ لِي فِيمَا لَا أَمْدَحُ بِهِ غَيْرَكَ وَلَا أُثْنِي بِهِ عَلَى أَحَدٍ سِوَاكَ وَلَا أُوَجِّهُهُ إِلَى مَعَادِنِ الْخَيْبَةِ وَمَوَاضِعِ الرِّيبَةِ * وَعَدَلْتَ بِلِسَانِي عَنْ مَدَائِحِ الْآدَمِيِّينَ وَالثَّنَاءِ عَلَى الْمَرْبُوبِينَ الْمَخْلُوقِينَ اللَّهُمَّ وَلِكُلِّ مُثْنٍ عَلَى مَنْ أَثْنَى عَلَيْهِ مَثُوبَةٌ * مِنْ جَزَاءٍ أَوْ عَارِفَةٌ مِنْ عَطَاءٍ وَقَدْ رَجَوْتُكَ دَلِيلاً عَلَى ذَخَائِرِ الرَّحْمَةِ وَكُنُوزِ الْمَغْفِرَةِ اللَّهُمَّ وَهَذَا مَقَامُ مَنْ أَفْرَدَكَ بِالتَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ لَكَ وَلَمْ يَرَ مُسْتَحِقّاً لِهَذِهِ الْمَحَامِدِ وَالْمَمَادِحِ غَيْرَكَ وَبِي فَاقَةٌ إِلَيْكَ لَا يَجْبُرُ مَسْكَنَتَهَا إِلَّا فَضْلُكَ وَلَا يَنْعَشُ مِنْ خَلَّتِهَا إِلَّا مَنُّكَ وَجُودُكَ * فَهَبْ لَنَا فِي هَذَا الْمَقَامِ رِضَاكَ وَأَغْنِنَا عَنْ مَدِّ الْأَيْدِي إِلَى سِوَاكَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

(الشرح) التعداد مصدر وخير خبر مبتدأ محذوف تقديره فانت خير مأمول ومعنى قوله قد بسطت لي أي قد أنطقتني
لسانا وفصاحة وسعة منطق فلا أمدح غيرك ولا أحمد سواك و يعني بمعادن الخيبة البشر لان مادحهم ومؤملهم يخيب
في الاكثر وجعلهم مواضع الريبة لانهم لا يوثق بهم في حال ومعنى قوله عليه السلام وقد رجوتك دليلا على ذخائر
الرحمة وكنوز المغفرة أنه راج منه أن يدله على الاعمال التي ترضيه سبحانه و يستوجب بها منه الرحمة والمغفرة وكأنه
جعل تلك الاعمال التي يرجو أن يدل عليها ذخائر للرحمة وكنوزا والفاقة الفقر وكذلك المسكنة و ينعش بالفتح

يرفع والماضي نعش ومنه النعش لارتفاعه والمن العطاء والنعمة والمنان من أسماء الله سبحانه

(الاصل) ﴿ ومن كلام له عليه السلام ﴾

لما أراده الناس على البيعة بعد قتل عثمان رضى الله عنه

دَعُونِي وَالْتَمِسُوا غَيْرِي فإنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أمْرًا لَهُ وُجُوهٌ وَأَلْوَانٌ لاَ تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ وَلاَ تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ وَإِنَّ الآفاقَ قَدْ أغامَتْ والمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ واعلَمُوا أنّي إنْ أجبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ ما أعْلَمُ ولَمْ أصْغَ إلَى قَوْلِ القائِلِ وعَتْبِ العاتِبِ ۝ وإنْ تَرَكْتُمُونِي فَأنا كَأحَدِكُمْ وَلَعَلّي أسْمَعُكُمْ وَأطْوَعُكُمْ لِمَنْ وَلَّيْتُمُوهُ أمْرَكُمْ وأنا لَكُمْ وَزِيرًا خَيْرٌ لَكُمْ مِنّي أمِيرًا

(الشرح) في أكثر النسخ لما أراده الناس على البيعة ووجدت في بعضها أداره الناس على البيعة فمن روى الاول جعل على متعلقة بمحذوف وتقديره موافقا ومن روى الثاني جعلها كلمة متعلقة بالفعل الظاهر نفسه وهو أداره تقول أدرت فلانا على كذا وداورت فلانا على كذا أي عالجته ولا تقوم له القلوب أي لا تصبر وأغامت الآفاق غطاها الغيم أغامت وغامت وأغيمت وتغيمت كله بمعنى والمحجة الطريق وتنكرت جهلت فلم تعرف ووزيرا وأميرا منصوبان على الحال وهذا الكلام يحمله أصحابنا على ظاهره ويقولون انه عليه السلام لم يكن منصوصا عليه بالامامة من جهة الرسول صلى الله عليه وآله وان كان أولى الناس بها وأحقهم بمنزلتها لانه لو كان منصوصا عليه بالامامة من جهة الرسول عليه الصلاة والسلام لما جاز له أن يقول دعوني والتمسوا غيري ولا ان يقول ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم ولا ان يقول وأنا لكم وزيرا خير مني لكم أميرا وتحمله الامامية على وجه آخر فيقولون ان الذين أرادوه على البيعة هم كانوا العاقدين بيعة الخلفاء من قبل وقد كان عثمان منعهم أو منع كثيرا منهم عن حقه من العطاء لان بني أمية استأصلوا الاموال في أيام عثمان فلما قتل قالوا لعلي عليه السلام نبايعك على أن تسير فينا سيرة أبي بكر وعمر لانهما كانا لا يستأثران بالمال لا نفسهما ولا لاهلهما فطلبوا من علي عليه السلام البيعة على أن يقسم عليهم بيوت الاموال قسمة أبي بكر وعمر فاستعفاهم وسألهم أن يطلبوا غيره ممن يسير بسيرتهما وقال لهم كلاما تحته رمز وهو قوله انا مستقبلون أمرا له وجوه وألوان لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول وان الآفاق قد أغامت والمحجة قد تنكرت قالوا وهذا كلام له باطن وغور عميق معناه الاخبار عن غيب يعلمه هو ويجهلونه وهو الانذار بحرب المسلمين بعضهم لبعض واختلاف الكلمة وظهور الفتنة ومعنى قوله له وجوه وألوان أنه موضع شبهة وتأويل فمن قائل يقول أصاب علي ومن قائل يقول أخطأ وكذلك القول في تصويب محاربيه من أهل الجمل وصفين والنهروان وتخطئتهم فان المذاهب فيه وفيهم تشعبت وتفرقت جدا ومعنى قوله الآفاق قد أغامت والمحجة قد تنكرت أن الشبهة قد استولت على العقول والقلوب وجهل أكثر الناس محجة الحق أين هي فانا لكم وزيرا عن رسول الله صلى الله عليه وآله أفتي فيكم بشريعته وأحكامه خير لكم مني أميرا محجورا عليه مدبرا بتدبيركم فاني أعلم أنه لا قدرة لي أن أسير فيكم بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله في أصحابه مستقلا بالتدبير لفساد أحوالكم وتعذر صلاحكم وقد حمل بعضهم كلامه على محمل آخر فقال هذا كلام متبرم شاك من أصحابه يقول لهم دعوني والتمسوا غيري على طريق الضجر منهم والتبرم بهم والتسخط لافعالهم لانهم كانوا عدلوا عنه من قبل واختاروا عليه فلما طلبوه بعد أجابهم جواب المتسخط العاتب وحمل قوم منهم الكلام على وجه آخر فقالوا انه أخرجه مخرج التهكم والسخرية أي أنا لكم وزيرا خير مني لكم أميرا فيما تعتقدونه

كما

كما قال سبحانه ذق انك أنت العزيز الكريم أي تزعم لنفسك ذلك وتعتقده ۝ واعلم أن ما ذكروه ليس ببعيد أن يحمل الكلام عليه لو كان الدليل قد دل على ذلك فأما اذا لم يدل عليه دليل فلا يجوز صرف اللفظ عن ظاهره ونحن نتمسك بالظاهر الا أن تقوم دلالة على مذهبهم تصدنا عن حمل اللفظ على ظاهره ولو جاز أن تصرف الالفاظ عن ظواهرها لغير دليل قاهر يصدف ويصد عنها لم يبق وثوق بكلام الله عز وجل وبكلام رسوله عليه السلام وقد ذكرنا فيما تقدم كيفية الحال التي كانت بعد قتل عثمان والبيعة العلوية كيف وقعت ونحن نذكر ههنا في هذه القصة ما ذكره شيخنا أبو جعفر الاسكافي في كتابه الذي نقض فيه كتاب العثمانية لشيخنا أبي عثمان فان الذي ذكره لم نورده نحن فيما تقدم قال أبو جعفر لما اجتمعت الصحابة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله بعد قتل عثمان للنظر في أمر الامامة أشار أبو الهيثم ابن التيهان ورفاعة بن رافع ومالك بن العجلان وأبو أيوب الانصاري وعمار بن ياسر بعلي عليه السلام وذكروا فضله وسابقته وجهاده وقرابته فاجابهم الناس اليه فقام كل واحد منهم خطيبا يذكر فضل علي عليه السلام فمنهم من فضله على أهل عصره خاصة ومنهم من فضله على المسلمين كلهم كافة ثم بويع وصعد المنبر في اليوم الثاني من يوم البيعة وهو يوم السبت لاحدى عشرة ليلة بقين من ذي الحجة فحمد الله وأثنى عليه وذكر محمدا فصلى عليه ثم ذكر نعمة الله على أهل الاسلام ثم ذكر الدنيا فزهدهم فيها وذكر الآخرة فرغبهم اليها ثم قال أما بعد فانه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله استخلف الناس أبا بكر ثم استخلف أبو بكر عمر فعمل بطريقه ثم جعلها شورى بين ستة فأفضى الامر منهم الى عثمان فعمل ما أنكرتم فعرفتم ثم حصر وقتل ثم جئتموني طائعين فطلبتم الي وانما أنا رجل منكم لي ما لكم وعلي ما عليكم وقد فتح الله الباب بينكم وبين أهل القبلة وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ولا يحمل هذا الامر الا أهل الصبر والبصر والعلم بمواقع الامر واني حاملكم على منهج نبيكم صلى الله عليه وآله ومنفذ فيكم ما أمرت به ان استقمتم لي وبالله المستعان ألا ان موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بعد وفاته كموضعي منه أيام حياته فامضوا لما تؤمرون به وقفوا عند ما تنهون عنه ولا تعجلوا في أمر حتى نبينه لكم فان لنا عن كل أمر تنكرونه عذرا ألا وان الله عالم من فوق سمائه وعرشه اني كنت كارها للولاية على أمة محمد حتى اجتمع رأيكم على ذلك لاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول أيما وال ولي الامر من بعدي أقيم على حد الصراط ونشرت الملائكة صحيفته فان كان عادلا أنجاه الله بعدله وان كان جائرا انتفض به الصراط حتى تتزايل مفاصله ثم يهوي الى النار فيكون أول ما يتقيها به أنفه وحر وجهه ولكني لما اجتمع رأيكم لم يسعني تركم ثم التفت عليه السلام يمينا وشمالا فقال ألا لا يقولن رجال منكم غدا قد غمرتهم الدنيا فاتخذوا العقار وفجروا الانهار وركبوا الخيول الفارهة واتخذوا الوصائف الرقيقة فصار ذلك عليهم عارا وشنارا اذا ما منعتهم ما كانوا يخوضون فيه وأصرتهم الى حقوقهم التي يعلمون فينقمون ذلك ويستنكرون ويقولون حرمنا ابن أبي طالب حقوقنا ألا وأيما رجل من المهاجرين والانصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يرى ان الفضل له على من سواه لصحبته فان الفضل النير غدا عند الله وثوابه وأجره على الله وأيما رجل استجاب لله وللرسول فصدق ملتنا ودخل في ديننا واستقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الاسلام وحدوده فأنتم عباد الله والمال مال الله يقسم بينكم بالسوية لا فضل فيه لاحد على أحد وللمتقين عند الله غدا أحسن الجزاء وأفضل الثواب لم يجعل الله الدنيا للمتقين أجرا ولا ثوابا وما عند الله خير للابرار واذا كان غدا ان شاء الله فاغدوا علينا فان عندنا مالا نقسمه فيكم ولا يتخلفن أحد منكم عربي ولا عجمي كان من أهل العطاء أو لم يكن الا حضر اذا كان مسلما حرا أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ثم نزل قال شيخنا أبو جعفر وكان هذا أول ما أنكروه من كلامه عليه السلام وأورثهم الضغن عليه وكرهوا اعطاءه وقسمه بالسوية فلما كان من الغد غدا وغدا الناس لقبض المال فقال لعبيد الله بن أبي رافع كاتبه ابدأ بالمهاجرين فنادهم وأعط كل رجل ممن حضر ثلاثة دنانير ثم ثن بالانصار فافعل معهم مثل ذلك ومن يحضر من الناس كلهم الاحمر والاسود فاصنع به مثل ذلك فقال سهل بن حنيف يا أمير المؤمنين هذا غلامي بالامس وقد أعتقته اليوم فقال نعطيه كما نعطيك فأعطى كل واحد منهما ثلاثة دنانير ولم يفضل أحدا على أحد وتخلف عن هذا القسم يومئذ طلحة والزبير

وعبد الله بن عمر وسعيد بن العاص ومروان بن الحكم ورجال من قريش وغيرها قال وسمع عبيد الله بن أبي رافع عبد الله بن الزبير يقول لابيه وطلحة ومروان وسعيد ماخفي علينا أمس من كلام علي مايريد فقال سعيد بن العاص والتفت الى زيد بن ثابت اياك اعني واسمعي ياجارة فقال عبيد الله بن أبي رافع لسعيد وعبد الله بن الزبير ان الله يقول في كتابه ولكن أكثرهم للحق كارهون ثم ان عبيد الله بن أبي رافع أخبر عليا عليه السلام بذلك فقال والله ان بقيت وسلمت لهم لاقيمنهم على المحجة البيضاء والطريق الواضح قاتل الله ابن العاص لقد عرف من كلامي ونظري اليه أمس اني أريده وأصحابه ممن هلك فيمن هلك قال فبينا الناس في المسجد بعد الصبح اذ طلع الزبير وطلحة فجلسا ناحية عن علي عليه السلام ثم طلع مروان وسعيد وعبد الله بن الزبير فجلسوا اليهما ثم جاء قوم من قريش فانضموا اليهم فتحدثوا نجيا ساعة ثم قام الوليد بن عقبة بن أبي معيط فجاء الى علي عليه السلام فقال ياأبا الحسن انك قد وترتنا جميعا أما أنا فقتلت أبي يوم بدر صبرا وخذلت أخي يوم الدار بالامس وأما سعيد فقتلت أباه يوم بدر في الحرب وكان ثور قريش وأما مروان فسخفت أباه عند عثمان اذ ضمه اليه ونحن اخوتك ونظراؤك من بني عبد مناف ونحن نبايعك اليوم على أن تضع عنا ما أصبناه من المال في أيام عثمان وان تقتل قتلته وانا ان خفناك تركناك فالتحقنا بالشام فقال أما ماذكرتم من وتري اياكم فالحق وتركم وأما وضعي عنكم ما أصبتم فليس لي أن أضع حق الله عنكم ولا عن غيركم وأما قتلي قتلة عثمان فلو لزمني قتلهم اليوم لقتلتهم أمس ولكن لكم علي ان خفتموني أن أؤمنكم وان خفتكم ان أسيركم فقام الوليد الى أصحابه فحدثهم وافترقوا على اظهار العداوة واشاعة الخلاف فلما ظهر ذلك من أمرهم قال عمار بن ياسر لاصحابه قوموا بنا الى هؤلاء النفر من اخوانكم فانه قد بلغنا عنهم ورأينا منهم مانكره من الخلاف والطعن على امامهم وقد دخل أهل الجفاء بينهم وبين الزبير والاعسر العاق يعني طلحة فقام أبو الهيثم وعمار وأبو أيوب وسهل بن حنيف وجماعة معهم فدخلوا على علي عليه السلام فقالوا ياأمير المؤمنين انظر في أمرك وعاتب قومك هذا الحي من قريش فانهم قد نقضوا عهدك وأخلفوا وعدك وقد دعونا في السر الى رفضك هداك الله لرشدك وذاك لانهم كرهوا الأسوة وفقدوا الاثرة ولما آسيت بينهم وبين الاعاجم أنكروا واستشاروا عدوك وعظموه وأظهروا الطلب بدم عثمان فرقة للجماعة وتألفا لاهل الضلالة فرأيك فخرج علي عليه السلام فدخل المسجد وصعد المنبر مرتديا بطاق مؤتزرا ببرد قطري متقلدا سيفا متوكئا على قوس فقال أما بعد فانا نحمد الله ربنا والهنا وولينا وولي النعم علينا الذي أصبحت نعمه علينا ظاهرة وباطنة امتنانا منه بغير حول منا ولا قوة ليبلونا أنشكر أم نكفر فمن شكر زاده ومن كفر عذبه فأفضل الناس عند الله منزلة وأقربهم من الله وسيلة أطوعهم لامره وأعملهم بطاعته وأتبعهم لسنة رسوله وأحياهم لكتابه ليس لاحد عندنا فضل الا بطاعة الله وطاعة الرسول هذا كتاب الله بين أظهرنا وعهد رسول الله وسيرته فينا لايجهل ذلك الا جاهل عاند عن الحق منكر قال الله تعالى ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ثم صاح باعلى صوته أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان توليتم فان الله لايحب الكافرين ثم قال يامعشر المهاجرين والانصار أتمنون على الله ورسوله باسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين ثم قال أنا أبو الحسن وكان يقولها اذا غضب ثم قال ألا ان هذه الدنيا التي أصبحتم تمنونها وترغبون فيها وأصبحت تغضبكم وترضيكم ليست بداركم ولا منزلكم الذي خلقتم له فلا تغرنكم فقد حذرتموها واستتموا نعم الله عليكم بالصبر لانفسكم على طاعة الله والذل لحكمه جل ثناؤه فأما هذا الفيء فليس لاحد على أحد فيه أثرة وقد فرغ الله من قسمته فهو مال الله وأنتم عباد الله المسلمون وهذا كتاب الله به أقررنا وله أسلمنا وعهد نبينا بين أظهرنا فمن لم يرض به فليتول كيف شاء فان العامل بطاعة الله والحاكم بحكم الله لاوحشة عليه ثم نزل عن المنبر فصلى ركعتين ثم بعث بعمار بن ياسر وعبد الرحمن بن حسل القرشي الى طلحة والزبير وهما في ناحية المسجد فأتياهما فدعواهما فقاما حتى جلسا اليه عليه السلام فقال لهما انشدكما الله هل جئتماني طائعين للبيعة ودعوتماني اليها وأنا كاره لها قالا نعم فقال غير مجبرين ولا مقسورين فأسلمتما لي بيعتكما وأعطيتماني عهدكما قالا نعم قال فما دعاكما بعد الى

ما أرى قالا أعطيناك بيعتنا على أن لاتقضي الامور ولا تقطعها دوننا وان تستشيرنا في كل أمر ولا تستبد بذلك علينا ولنا من الفضل على غيرنا ماقد علمت فأنت تقسم القسم وتقطع الامر وتمضي الحكم بغير مشاورتنا ولا علمنا فقال لقد نقمتما يسيرا وأرجأتما كثيرا فاستغفرا الله يغفر لكما ألا تخبراني أدفعتكما عن حق وجب لكما فظلمتكما اياه قالا معاذ الله قال فهل استأثرت من هذا المال لنفسي بشيء قالا معاذ الله قال أفوقع حكم أو حق لاحد من المسلمين فجهلته أو ضعفت عنه قالا معاذ الله قال فما الذي كرهتما من أمري حتى رأيتما خلافي قالا خلافك عمر بن الخطاب في القسم انك جعلت حقنا في القسم كحق غيرنا وسويت بيننا وبين من لايماثلنا فيما أفاء الله تعالى علينا باسيافنا ورماحنا وأوجفنا عليه بخيلنا ورجلنا وظهرت عليه دعوتنا وأخذناه قسرا قهرا ممن لايرى الاسلام الا كرها فقال فأما ماذكرتماه من الاستشارة بكما فوالله ما كانت لي في الولاية رغبة ولكنكم دعوتموني اليها وجعلتموني عليها فخفت ان أردكم فتختلف الامة فلما أفضت الي نظرت في كتاب الله وسنة رسوله فأمضيت مادلاني عليه واتبعته ولم أحتج الى آرائكما فيه ولا رأي غيركما ولو وقع حكم ليس في كتاب الله بيانه ولا في السنة برهانه واحتيج الى المشاورة فيه لشاورتكما فيه وأما القسم والاسوة فان ذلك أمر لم أحكم فيه بادئ بدء فقد وجدت أنا وأنتما رسول الله صلى الله عليه وآله يحكم بذلك وكتاب الله ناطق به وهو الكتاب الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وأما قولكما جعلت فيئنا وما أفاءته سيوفنا ورماحنا سواء بيننا وبين غيرنا فقديما سبق الى الاسلام قوم ونصروه بسيوفهم ورماحهم فلم يفضلهم رسول الله صلى الله عليه وآله في القسم ولا آثرهم بالسبق والله سبحانه موف السابق والمجاهد يوم القيامة أعمالهم وليس لكما والله عندي ولا لغيركما الا هذا أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم الى الحق وألهمنا واياكم الصبر ثم قال رحم الله امرأ رأى حقا فأعان عليه ورأى جورا فرده وكان عونا للحق على من خالفه قال شيخنا أبو جعفر وقد روي انهما قالا له وقت البيعة نبايعك على انا شركاؤك في هذا الامر فقال لهما لا ولكنكما شريكاي في الفيء لا أستأثر عليكما ولا على عبد حبشي مجدع بدرهم فما دونه لا أنا ولا ولداي هذان فان أبيتما الا لفظ الشركة فأنتما عونان لي عند العجز والفاقة لا عند القوة والاستقامة قال أبو جعفر فاشترطا مالا يجوز في عقد الامامة وشرط عليه السلام لهما مايجب في الدين والشريعة قال رحمه الله تعالى وقد روي أيضا أن الزبير قال في ملأ من الناس هذا جزاؤنا من علي قمنا له في أمر عثمان حتى قتل فلما بلغ بنا ماأراد جعل فوقنا من كنا فوقه وقال طلحة ما اللوم الا علينا كنا معه من أهل الشورى ثلاثة فكرهه أحدنا يعني سعدا وبايعناه فأعطيناه مافي أيدينا ومنعنا مافي يده فأصبحنا قد أخطأنا اليوم مارجوناه أمس ولا نرجو غدا ما أخطأنا اليوم فان قلت فان أبا بكر قسم بالسواء كما قسمه أمير المؤمنين عليه السلام ولم ينكروا ذلك كما أنكروه أيام أمير المؤمنين عليه السلام فما الفرق بين الحالتين قلت ان أبا بكر قسم محتذيا بالقسم رسول الله صلى الله عليه وآله فلما ولي عمر الخلافة وفضل قوما على قوم ألفوا ذلك ونسوا تلك القسمة الاولى وطالت أيام عمر وأشربت قلوبهم حب المال وكثرة العطاء وأما الذين اهتضموا فقنعوا ومرنوا على القناعة ولم يخطر لاحد من الفريقين له ان هذه الحال تنتقض أو تتغير بوجه ما فلما ولي عثمان أجرى الامر على ما كان عمر يجريه فازداد وثوق القوم بذلك ومن ألف أمرا شق عليه فراقه وتغيير العادة فيه فلما ولي أمير المؤمنين عليه السلام أراد أن يرد الامر الى ما كان في أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وأبي بكر وقد نسي ذلك ورفض وتخلل بين الزمانين اثنتان وعشرون سنة فشق ذلك عليهم وأنكروه وأكبروه حتى حدث ماحدث من نقض البيعة ومفارقة الطاعة ولله أمر هو بالغه

(الاصل) ﴿ ومن خطبة له عليه السلام ﴾

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ أَيُّهَا النَّاسُ * فَإِنِّي فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ * وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِئَ

عَلَيْها أحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أنْ ماجَ غَيْهَبُها * وَاشْتَدَّ كَلَبُها * فاسْأَلُونِي قَبْلَ أنْ تَفْقِدُونِي * فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ فِيما بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ السَّاعَةِ وَلاَ عَنْ فِئَةٍ تَهْدِي مِائَةً وَتُضِلُّ مِائَةً إلاَّ أنْبَأْتُكُمْ بِناعِقِها * وقائِدِها وسائِقِها ومُناخِ رِكابِها وَمَحَطِّ رِحالِها * وَمَنْ يُقْتَلُ مِنْ أهْلِها قَتْلاً ومَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتاً * ولَوْ قَدْ فَقَدْتُمُونِي وَنَزَلَتْ بِكُمْ كَرائِهُ الأُمُورِ * وَحَوازِبُ الخُطُوبِ * لأَطْرَقَ كَثِيرٌ مِنَ السَّائِلِينَ وَفَشِلَ كَثِيرٌ مِنَ المَسْئُولِينَ وَذَلِكَ إذَا قَلَصَتْ حَرْبُكُمْ * وَشَمَّرَتْ عَنْ ساقٍ وَكَانَتِ الدُّنْيا عَلَيْكُمْ ضِيقاً تَسْتَطِيلُونَ مَعَهُ أيَّامَ البَلاَءِ عَلَيْكُمْ حَتَّى يَفْتَحَ اللهُ لِبَقِيَّةِ الأَبْرارِ مِنْكُمْ * إنَّ الفِتَنَ إذَا أقْبَلَتْ شَبَّهَتْ * وَإذَا أدْبَرَتْ نَبَّهَتْ * يُنْكَرْنَ مُقْبِلاتٍ وَيُعْرَفْنَ مُدْبِراتٍ * يَحُمْنَ حَوْمَ الرِّياحِ يُصِبْنَ بَلَداً * وَيُخْطِئْنَ بَلَداً * ألاَ وَإنَّ أخْوَفَ الفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ فإنَّها فِتْنَةٌ عَمْياءُ مُظْلِمَةٌ عَمَّتْ خُطَّتُها * وَخَصَّتْ بَلِيَّتُها وَأصابَ البَلاءُ مَنْ أبْصَرَ فِيها * وَأخْطَأَ البَلاءُ مَنْ عَمِيَ عَنْها * وَأيْمُ اللهِ لَتَجِدُنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أرْبابَ سُوءٍ بَعْدِي كالنَّابِ الضَّرُوسِ * تَعْذِمُ بِفِيها وَتَخْبِطُ بِيَدِها * وَتَزْبِنُ بِرِجْلِها وَتَمْنَعُ دَرَّها * لاَ يَزالُونَ بِكُمْ حَتَّى لاَ يَتْرُكُوا مِنْكُمْ إلاَّ نافِعاً لَهُمْ أوْ غَيْرَ ضائِرٍ بِهِمْ وَلاَ يَزالُ بَلاَؤُهُمْ عَنْكُمْ حَتَّى لاَ يَكُونَ انْتِصارُ أحَدِكُمْ مِنْهُمْ إلاَّ كانْتِصارِ العَبْدِ مِنْ رَبِّهِ والصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَصْحِبِهِ * تَرِدُ عَلَيْكُمْ فِتْنَتُهُمْ شَوْهاءَ مَخْشِيَّةً * وَقِطَعاً جاهِلِيَّةً * لَيْسَ فِيها مَنارُ هُدًى وَلاَ عَلَمٌ يُرَى * نَحْنُ أهْلَ البَيْتِ مِنْها بِمَنْجاةٍ * وَلَسْنا فِيها بِدُعاةٍ * ثُمَّ يُفَرِّجُها اللهُ عَنْكُمْ كَتَفْرِيجِ الأَدِيمِ * بِمَنْ يَسُومُهُمْ خَسْفاً * وَيَسُوقُهُمْ عُنْفاً * وَيَسْقِيهِمْ بِكَأْسٍ مُصَبَّرَةٍ لاَ يُعْطِيهِمْ إلاَّ السَّيْفَ * ولاَ يُحْلِسُهُمْ إلاَّ الخَوْفَ * فَعِنْدَ ذَلِكَ تَوَدُّ قُرَيْشٌ بالدُّنْيا وَما فِيها لَوْ يَرَوْنَنِي مَقاماً وَاحِداً وَلَوْ قَدْرَ جَزْرِ جَزُورٍ لِأَقْبَلَ مِنْهُمْ ما أطْلُبُ اليَوْمَ بَعْضَهُ فَلاَ يُعْطُونَنِيهِ

(الشرح) فقأت عينه أي بخقتها وتفقأت السحابة عن مائها تشققت وتفقأ الدمل والقرح ومعنى فقئه عليه السلام عين الفتنة اقدامه عليها حتى أطفأ نارها كأنه جعل للفتنة عينا محدقة يهابها الناس فأقدم هو عليها ففقأ عينها فسكنت بعد حركتها وهيجانها وهذا من باب الاستعارة وانما قال ولم يكن ليجترئ عليها أحد غيري لان الناس كلهم كانوا يهابون قتال أهل القبلة ولا يعلمون كيف يقاتلونهم هل يتبعون موليهم أم لا وهل يجهزون على جريحهم أم لا وهل يقسمون فيأهم أم لا وكانوا يستعظمون قتال من يؤذن كأذاننا ويصلي كصلاتنا واستعظموا أيضا حرب عائشة وحرب

طلحة والزبير لمكانهم في الاسلام وتوقف جماعتهم عن الدخول في تلك الحرب كالاحنف بن قيس وغيره فلولا ان عليا اجترأ على سل السيف فيهما ما أقدم أحد عليها حتى الحسن عليه السلام ابنه أشار عليه ان لا يبرح عرصة المدينة ونهاه عن المسير الى البصرة حتى قال له منكرا عليه انكاره ولا تزال تحن حنين الامة وقد روى ابن هلال صاحب كتاب الغارات انه كلم أباه في قتال أهل البصرة بكلام أغضبه فرماه ببيضة حديد عقرت ساقه فعولج منها شهرين والغيهب الظلمة والجمع غياهب * وانما قال بعد ما ماج غيهبها لانه أراد بعد ما عم ضلالها فشمل فكنى عن الضلال بالغيهب وكنى عن العموم والشمول بالتموج لان الظلمة اذا تموجت شملت أماكن كثيرة غير الاماكن التي تشملها لو كانت ساكنة واشتد كلبها أي شرها وأذاها ويقال للقحط الشديد كلب وكذلك للقر الشديد ثم قال عليه السلام سلوني قبل أن تفقدوني روى صاحب كتاب الاستيعاب وهو أبو عمر محمد بن عبد البر عن جماعة من الرواة والمحدثين قالوا لم يقل أحد من الصحابة رضي الله عنهم سلوني الا علي بن أبي طالب وروى شيخنا أبو جعفر الاسكافي في كتاب نقض العثمانية عن علي بن الجعد عن ابن شبرمة قال ليس لاحد من الناس أن يقول على المنبر سلوني الا علي بن أبي طالب عليه السلام والفئة الطائفة والهاء عوض من الياء التي نقصت من وسطه وأصله فيء مثال فيع لانه من فاء ويجمع على فئات مثل شيات وهبات ولدات وناعقها الداعي اليها من نعيق الراعي بغنمه وهو صوته نعق ينعق بالكسر نعيقا ونعاقا أي صاح بها وزجرها قال الاخطل

فانعق بضأنك يا جرير فانما * منتك نفسك في الخلاء ضلالا

فأما الغراب فيقال نعق بالغين المعجمة ينغق بالكسر أيضا وحكى ابن كيسان نعق الغراب أيضا بعين غير معجمة والركاب الابل واحدتها راحلة ولا واحد لها من لفظها وجمعها ركب مثل كتاب وكتب ويقال زيت ركابي لانه يحمل من الشام عليها والمناخ بضم الميم ومحط بفتحها يجوز أن يكونا مصدرين وان يكونا مكانين أما كون المناخ مصدرا فلانه كالمقام الذي بمعنى الاقامة وأما كون المحط مصدرا فلانه كالمرد في قوله سبحانه وان مردنا الى الله وأما كونهما موضعين فلان المناخ من أنخت الجمل لا من ناخ الجمل لانه لم يأت والفعل اذا جاوز الثلاثة فالموضع منه يأتي مضموم الميم لانه مشبه ببنات الاربعة نحو دحرج وهذا مدحرجنا ومن قال هذا مقام بني فلان أي موضع مقامهم جعله كما جعلناه نحن من أقام يقيم لا من قام يقوم وأما المحط فانه كالمقتل موضع القتل يقال مقتل الرجل بين فكيه ويقال للاعضاء التي اذا أصيب الانسان فيها هلك مقاتل ووجه المماثلة كونهما مضمومي العين واعلم انه عليه السلام قد أقسم في هذا الفصل بالله الذي نفسه بيده انهم لا يسألونه عن أمر يحدث بينهم وبين القيامة الا أخبرهم به وانه ما صح من طائفة من الناس يهتدي بها مائة وتضل بها مائة الا وهو مخبر لهم ان سألوه برعاتها وقائدها وسائقها ومواضع نزول ركابها وخيولها ومن يقتل منها قتلا ومن يموت منها موتا وهذه الدعوى ليست منه عليه السلام ادعاء الربوبية ولا ادعاء النبوة ولكنه كان يقول ان رسول الله صلى الله عليه وآله أخبره بذلك ولقد امتحنا اخباره فوجدناه موافقا فاستدللنا بذلك على صدق الدعوى المذكورة كاخباره عن الضربة التي يضرب في رأسه فتخضب لحيته واخباره عن قتل الحسين ابنه عليهما السلام وما قاله في كربلا حيث مر بها واخباره بملك معاوية الامر من بعده واخباره عن الحجاج وعن يوسف ابن عمر وما أخبر به من أمر الخوارج بالنهروان وما قدمه الى أصحابه من اخباره بقتل من يقتل منهم وصلب من يصلب واخباره بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين واخباره بعدة الجيش الوارد اليه من الكوفة لما شخص عليه السلام الى البصرة لحرب أهلها واخباره عن عبد الله بن الزبير وقوله فيه خب ضب يروم أمرا ولا يدركه ينصب حبالة الدين لاصطياد الدنيا وهو بعد مصلوب قريش وكاخباره عن هلاك البصرة بالغرق وهلاكها تارة أخرى بالزنج وهو الذي صحفه قوم فقالوا بالريح وكاخباره عن ظهور الرايات السود من خراسان وتنصيصه على قوم من أهلها يعرفون ببني رزيق بتقديم المهملة وهم آل مصعب الذين منهم طاهر بن الحسين وولده واسحق بن ابراهيم وكانوا هم وسلفهم دعاة الدولة العباسية وكاخباره عن الائمة الذين ظهروا من ولده بطبرستان كالناصر والداعي وغيرهما في قوله عليه السلام وان لآل محمد بالطالقان لكنزا سيظهره الله اذا شاء دعاؤه حق يقوم باذن الله فيدعو الى دين الله وكاخباره عن مقتل

النفس الزكية بالمدينة وقوله انه يقتل عند أحجار الزيت وكقوله عن أخيه ابراهيم المقتول بباب حمزة يقتل بعد ان يظهر و يقهر بعد ان يقهر وقوله فيه أيضا يأتيه سهم غرب يكون فيه منيته فيابؤسا للرامى شلت يده ووهن عضده وكاخباره عن قتلى وج وقوله فيهم هم خير أهل الارض وكاخباره عن المملكة العلوية بالغرب وتصريحه بذكر كتامة وهم الذين نصروا أبا عبد الله الداعى المعلم وكقوله وهو يشير الى أبى عبد الله المهدى وهو أولهم ثم يظهر صاحب القيروان الغض البض ذو النسب المحض المنتخب من سلالة ذى البداء المسجى بالرداء وكان عبيد الله المهدى أبيض مترفا مشربا بحمرة رخص البدن تار الاطراف وذو البداء اسمعيل بن جعفر بن محمد عليهما السلام وهو المسجى بالرداء لان أباه أبا عبد الله جعفرا سجاه بردائه لما مات وأدخل اليه وجوه الشيعة يشاهدونه ليعلموا موته وتزول عنهم الشبهة في أمره وكاخباره عن بنى بويه وقوله فيهم ويخرج من ديلمان بنو الصياد اشارة اليهم وكان أبوهم صياد السمك يصيد منه بيده ما يتقوت هو وعياله بثمنه فاخرج الله تعالى من ولده لصلبه ملوكا ثلاثة ونشر ذريتهم حتى ضربت الامثال بملكهم وكقوله عليه السلام فيهم ثم يستشرى أمرهم حتى يملكوا الزوراء ويخلعوا الخلفاء فقال له قائل فكم مدتهم يا أمير المؤمنين فقال مائة أو تزيد قليلا وكقوله فيهم والمترف بن الاجذم يقتله ابن عمه على دجلة وهو اشارة الى عز الدولة بختيار بن معز الدولة أبى الحسين وكان معز الدولة أقطع اليد قطعت يده للنكوص في الحرب وكان ابنه عز الدولة بختيار مترفا صاحب لهو وطرب وقتله عضد الدولة فنا خسرو ابن عمه بقصر الجص على دجلة في الحرب وسلبه ملكه فاما خلعهم للخلفاء فان معز الدولة خلع المستكفى ورتب عوضه المطيع وبهاء الدولة أبا نصر بن عضد الدولة خلع الطائع ورتب عوضه القادر وكانت مدة ملكهم كما أخبر به عليه السلام وكاخباره عليه السلام لعبد الله بن العباس رحمه الله تعالى عن انتقال الامر الى أولاده فان على بن عبد الله لما ولد أخرجه أبوه عبد الله الى على عليه السلام فاخذه وتفل في فيه وحنكه بتمرة قد لاكها ودفعه اليه وقال خذ اليك أبا الاملاك هكذا الرواية الصحيحة وهى التى ذكرها أبو العباس المبرد في الكتاب الكامل وليست الرواية التى يذكر فيها العدد بصحيحة ولا منقوله من كتاب معتمد عليه وكم له من الاخبار عن الغيوب الجارية هذا المجرى مما لو أردنا استقصاءه لكسرنا له كراديس كثيرة وكتب السير تشتمل عليها مشروحة فان قلت لماذا غلا الناس في أمير المؤمنين عليه السلام فادعوا فيه الالهية لاخباره عن الغيوب التى شاهدوا صدقها عيانا ولم يغلوا في رسول الله صلى الله عليه وآله فيدعوا له الالهية واخباره عن الغيوب الصادقة قد سمعوها وعلموها يقينا وهو كان أولى بذلك لانه الاصل المتبوع ومعجزاته أعظم واخباره عن الغيوب أكثر قلت ان الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وآله وشاهدوا معجزاته وسمعوا اخباره عن الغيوب الصادقة عيانا كانوا أشد آراء وأعظم أحلاما وأوفر عقولا من تلك الطائفة الضعيفة العقول السخيفة الاحلام الذين رأوا أمير المؤمنين عليه السلام في آخر أيامه كعبد الله بن سبأ وأصحابه فانهم كانوا من ركاكة البصائر وضعفها على حال مشهورة فلا عجب عن مثلهم أن تستخفهم المعجزات فيعتقدوا في صاحبها ان الجوهر الالهى قد حله لاعتقادهم أنه لا يصح من البشر هذا الا بالحلول وقد قيل ان جماعة من هؤلاء كانوا من نسل النصارى واليهود وقد كانوا سمعوا من آبائهم وسلفهم القول بالحلول في أنبيائهم ورؤسائهم فاعتقدوا فيه عليه السلام مثل ذلك ويجوز أن يكون أصل هذه المقالة من قوم ملحدين أرادوا ادخال الالحاد في دين الاسلام فذهبوا الى ذلك ولو كانوا في أيام رسول الله صلى الله عليه وآله لقالوا فيه مثل هذه المقالة ضلالا لاهل الاسلام وقصد الايقاع الشبهة في قلوبهم ولم يكن في الصحابة مثل هؤلاء ولكن قد كان فيهم منافقون وزنادقة ولم يهتدوا الى هذه الفتنة ولا خطر لهم مثل هذه المكيدة ومما ينقدح لى في الفرق بين هؤلاء القوم وبين العرب الذين عاصروا رسول الله صلى الله عليه وآله ان هؤلاء من العراق وساكنى الكوفة وطينة العراق مازالت تنبت أرباب الاهواء وأصحاب النحل العجيبة والمذاهب البديعة وأهل هذا الاقليم أهل بصر وتدقيق ونظر وبحث عن الآراء والعقائد وشبه معترضة في المذاهب وقد كان منهم في أيام الاكاسرة مثل مانى وديصان ومزدك وغيرهم وليست طينة الحجاز هذه الطينة ولا أذهان أهل الحجاز هذه الاذهان والغالب على أهل الحجاز الجفاء والعجرفية وخشونة الطبع ومن

سكن المدن منهم كأهل مكة والمدينة والطائف فطباعهم قريبة من طباع أهل البادية بالمجاورة ولم يكن فيهم من قبل حكيم ولا فيلسوف ولا صاحب نظر وجدل ولا موقع شبهة ولا مبتدع نحلة ولهذا نجد مقالة الغلاة طارئة وناشئة من حيث سكن على عليه السلام بالعراق والكوفة لا في أيام مقامه بالمدينة وهى أكثر عمره فهذا ما لاح لى من الفرق بين الرجلين في المعنى المقدم ذكره فان قلت لماذا قال عن فئة تهدى مائة وما فائدة التقييد بهذا العدد قلت لان ما دون المائة حقير تافه لا يعتد به ليذكر ويخبر عنه فكأنه قال مائة فصاعدا قوله عليه السلام كرائه الامور جمع كريهة وهى الشدة في الحرب وحوازب الخطوب جمع حازب وحزبه الامر أى دهمه وفشل جبن فان قلت أما فشل المسؤل فمعلوم فما الوجه في اطراق السائل قلت لشدة الامر وصعوبته حتى ان السائل ليبهت ويدهش فيطرق ولا يستطيع السؤال قوله عليه السلام اذا قلصت حربكم يروى بالتشديد وبالتخفيف ويروى عن حربكم فمن رواه مشددا أراد انضمت واجتمعت وذلك لانه يكون أشد لها وأصعب من أن تتفرق في مواطن متباعدة ألا ترى ان الجيوش اذا اجتمعت كلها واصطدم الفيلقان كان الامر أصعب وأفظع من أن تكون كل كتيبة من تلك الجيوش تحارب كتيبة أخرى في بلاد متفرقة متباعدة وذلك لان اصطدام الفيلقين بأجمعهما هو الاستئصال الذى لا شواء له ولا بقيا بعده ومن رواها بالتخفيف أراد كثرت وتزايدت من قولهم قلصت البئر أى ارتفع ماؤها الى رأسها أو دونه وهو ماء قالص وقليص ومن روى اذا قلصت عن حربكم أراد اذا قلصت كرائه الامور وحوازب الخطوب عن حربكم أى انكشفت عنها والمضارع من قلص يقلص بالكسر قوله وشمرت عن ساق استعارة وكناية يقال للجاد في أمره قد شمر عن ساق وذلك لان سبوغ الذيل معثرة ويمكن أن يجرى اللفظ على حقيقته وذلك ان قوله تعالى يوم يكشف عن ساق فسروه فقالوا الساق الشدة فيكون قد أراد بقوله وشمرت عن ساق أى كشفت عن شدة ومشقة ثم قال تستطيلون أيام البلاء وذلك لان أيام البؤس طويلة قال الشاعر

فأيام الهموم مقصصات ⁂ وأيام السرور تطير طيرا

وقال أبو تمام

ثم انبرت أيام هجر أردفت ⁂ نحوى أسى فكأنها أعوام

قوله عليه السلام ان الفتن اذا أقبلت شبهت معناه ان الفتن عند اقبالها وابتداء حدوثها يلتبس أمرها ولا يعلم الحق منها من الباطل الى أن تنقضى وتدبر فحينئذ ينكشف حالها ويعلم ما كان مشتبها منها ثم أكد عليه السلام هذا المعنى بقوله ينكرن مقبلات ويعرفن مدبرات ومثال ذلك فتنة الجمل وفتنة الخوارج كان كثير من الناس فيها في مبدأ الامر متوقفين واشتبه عليهم الحال ولم يعلموا موضع الحق الى ان انقضت الفتنة ووضعت الحرب أوزارها وبان لهم صاحب الضلالة من صاحب الهداية ثم وصف الفتن فقال انها تحوم حوم الرياح يصبن بلدا ويخطئن بلدا حام الطائر وغيره حول الشئ يحوم حوما وحومانا أى دار ثم ذكر ان أخوف ما يخاف عليهم فتنة بنى أمية ومعنى قوله عمت خطتها وخصت بليتها أنها عمت الناس كافة من حيث كانت رئاسة شاملة لكل أحد ولكن حظ أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم من بليتها أعظم ونصيبهم فيها أوفر ومعنى قوله وأصاب البلاء من أبصر فيها وأخطأ البلاء من عمى عنها أن العالم بارتكابهم المنكر مأثوم اذا لم ينكر والجاهل بذلك لا اثم عليه اذا لم ينههم عن المنكر لان من لا يعلم المنكر منكرا لا يلزمه انكاره ولا يعنى بالمنكر ههنا ما كان منكرا من الاعتقادات ولا ما يتعلق بالامامة بل الزنا وشرب الخمر ونحوهما من الافعال القبيحة فان قلت أى فرق بين الامرين قلت لان تلك يلحق الاثم من لا يعلمها اذا كان متمكنا من العلم بها وهذه لا يجب انكارها الا مع العلم بها ومن لا يعلمها لا يلحقه الاثم اذا كان متمكنا من العلم بها فافترق الموضعان ثم أقسم عليه السلام فقال وايم الله وأصله وايمن الله واختلف النحويون في هذه الكلمة فعند الاكثرين منهم ان ألفها ألف وصل وان ايمن اسم وضع للقسم هكذا بالف وصل وبضم الميم والنون قالوا ولم يأت في الاسماء ألف وصل مفتوحة غيرها وتدخل عليها اللام لتأكيد الابتداء فتقول ليمن الله فتذهب الالف قال الشاعر

فقال فريق القوم لما نشدتهم ⁂ نعم وفريق ليمن الله ما ندرى

وهـذا الاسم مرفوع بالابتداء وخبره محذوف والتقدير ليمين الله قسمي فاذا خاطبت قلت ليمنك وفي حديث عروة بن الزبير ليمنك لئن كنت ابتليت لقد عافيت ولئن كنت أخذت لقد أبقيت وتحذف نونه فيصير ايم الله بالف وصل مفتوحة وقد تكسر وربما حذفوا الياء فقالوا أم الله وربما أبقوا الميم وحدها مضمومة فقالوا م الله وقد يكسرونها لما صارت حرفا شبهوها بالباء وربما قالوا من الله بضم الميم والنون ومن الله بكسرهما ومن الله بفتحهما وذهب أبو عبيد وابن كيسان وابن درستويه الى ان أيمن جمع يمين والالف همزة قطع وانما خففت وطرحت في الوصل لكثرة الاستعمال قالوا وكانت العرب تحلف باليمين فيقول يمين الله لا أفعل قال امرؤ القيس

فقلت يمين الله أبرح قاعدا * ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

قالوا واليمين تجمع على أيمن قال زهير

فيجمع أيمن منا ومنكم * بمقسمة تمور بها الدماء

ثم حلفوا به فقالوا أيمن الله ثم كثر في كلامهم وخف على ألسنتهم حتى حذفوا منه النون كما حذفوا في قولهم لم يكن فقالوا لم يك فاقسم عليه السلام لاصحابه انهم سيجدون بني أمية بعده لهم أرباب سوء وصدق صلوات الله عليه فيما قال فانهم ساموهم سوء العذاب قتلا وصلبا وحبسا وتشريدا في البلاد ثم شبه بني أمية بالناب الضروس والناب الناقة المسنة والجمع نيب يقول لا أفعله ما حنت النيب والضروس السيئة الخلق تعض حالبها وتقدم بفيها تكدم والقدم الاكل بجفاء وفرس قدوم يعض باسنانه والزبن الدفع زبنت الناقة تزبن اذا ضربت بثفناتها عند الحلب تدفع الحالب عنها والدر اللبن وفي المثل لا در دره الاصل لبنه ثم قيل لكل خير وناقة درور أي كثيرة اللبن ثم قال لا يزالون بكم قتلا وافناء لكم حتى لا يتركوا منكم الا من ينفعهم ابقاؤه أو لا يضرهم ولا ينفعهم قال حتى يكون انتصار أحدكم منهم كانتصار العبد من مولاه أي لا انتصار لكم منهم لان العبد لا ينتصر من مولاه أبدا وقد جاء في كلامه عليه السلام في غير هذا الموضع تتمة هذا المعنى ان حضر أطاعه وان غاب سبه أي ثلبه وشتمه وهذه امارة الذل كما قال أبو الطيب

أبدو فيسجد من بالسوء يذكرني * ولا أعاتبه صفحا واهوانا

وهكذا كنت في أهلي وفي وطني * ان النفيس نفيس أينما كانا

قال عليه السلام والصاحب من مستصحبه أي والتابع من متبوعه والشوه جمع شوهاء وهي القبيحة الوجه شاهت الوجوه تشوه شوها قبحت وشوهه الله فهو مشوه وهي شوهاء ولا يقال للذكر أشوه ومخشية مخوفة وقطعا جاهلية شبهها بقطع السحاب لتراكمها على الناس وجعلها جاهلية لانها كافعال الجاهلية الذين لم يكن لهم دين يردعهم ويروى شوهاء وقطعاء أي نكراء كالمقطوعة اليد قوله نحن أهل البيت منها بمنجاة أي بمعزل والنجاة والنجوة المكان المرتفع الذي تظن أنه نجاك ولا يعلوه السيل ولسنا فيها بدعاة أي لسنا من أنصار تلك الدعوة وأهل البيت منصوب على الاختصاص كقولهم نحن معشر العرب نفعل كذا ونحن آل فلان كرماء قوله كتفريج الاديم الأديم الجلد وجمعه أدم مثل أفيق وأفق ويجمع أيضا على آدمة كرغيف وأرغفة ووجه التشبيه أن الجلد ينكشف عما تحته فوعدهم عليه السلام بان الله تعالى يكشف تلك الغماء كانكشاف الجلد عن اللحم ويسومهم خسفا ويوليهم ذلا والعنف بالضم ضد الرفق وكأس مصبرة ممزوجة بالصبر لهذا المر ويجوز أن يكون مصبرة مملوءة الى أصبارها وهي جوانبها وفي المثل أخذها باصبارها أي تامة الواحد صبر بالضم ويحلسهم يلبسهم أحلست البعير ألبسته الحلس وهو كساء رقيق يكون تحت البرذعة يقال له حلس وحلس مثل شبه وشبه والجزور من الابل يقع على الذكر والانثى وجزرها ذبحها وهذا الكلام اخبار عن ظهور المسودة وانقراض ملك بني أمية ووقع الامر بموجب اخباره صلوات الله عليه حتى لقد صدق قوله لقد تود قريش الكلام الى آخره فان أرباب السيرة كلهم نقلوا ان مروان بن محمد قال يوم الزاب لما شاهد عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس بازائه في صف خراسان لوددت أن علي بن أبي طالب تحت هذه الراية بدلا من هذا الفتى والقصة طويلة وهي مشهورة وهذه الخطبة ذكرها جماعة من أصحاب السيرة وهي متداولة منقولة مستفيضة خطب بها علي عليه

السلام بعد انقضاء أمر النهروان وفيها ألفاظ لم يوردها الرضي رحمه الله من ذلك قوله عليه السلام ولم يكن ليجترئ عليها غيري ولولم أك فيكم ما قوتل أصحاب الجمل والنهروان وايم الله لولا أن تتكلوا فتدعوا العمل لحدثتكم بما قضى الله عز وجل على لسان نبيكم صلى الله عليه وآله لمن قاتلهم مبصرا ضلالتهم عارفا للهدى الذي نحن عليه سلوني قبل أن تفقدوني فاني ميت عن قريب أو مقتول بل قتلا ما ينتظر أشقاها أن يخضب هذه بدم وضرب بيده الى لحيته ومنها في ذكر بني أمية يظهر أهل باطلها على أهل حقها حتى تملأ الارض عدوانا وظلما وبدعا الى أن يضع الله عز وجل جبروتها ويكسر عمدها وينزع أوتادها ألا وانكم مدركوها فانصروا قوما كانوا أصحاب رايات بدر وحنين تؤجروا ولا تمالؤا عليهم عدوهم فتصرعكم البلية وتحل بكم النقمة ومنها الا مثل انتصار العبد من مولاه اذا رآه أطاعه وان توارى عنه شتمه وايم الله لو فرقوكم تحت كل حجر لجمعكم الله لشر يوم لهم ومنها فانظروا أهل بيت نبيكم فان لبدوا فالبدوا وان استنصروكم فانصروهم فليفرجن الله الفتنة برجل منا أهل البيت بابي ابن خيرة الاماء لا يعطيهم الا السيف هرجا هرجا موضوعا على عاتقه ثمانية أشهر حتى تقول قريش لو كان هذا من ولد فاطمة لرحمنا يغريه الله ببني أمية حتى يجعلهم حطاما ورفاتا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا فان قيل لماذا قال ولولم أك فيكم لما قوتل أهل الجمل وأهل النهروان ولم يذكر صفين قيل لان الشبهة كانت في أهل الجمل وأهل النهروان ظاهرة الالتباس لان الزبير وطلحة موعودان بالجنة وعائشة موعودة أن تكون زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله في الآخرة كما هي زوجته في الدنيا وحال طلحة والزبير في السبق والجهاد والهجرة معلومة وحال عائشة في محبة الرسول صلى الله عليه وآله لها وثنائه عليها ونزول القرآن فيها معلومة وأما أهل النهروان فكانوا أهل قرآن وعبادة واجتهاد وعزوف عن الدنيا واقبال على أمور الآخرة وهم كانوا قراء أهل العراق وزهادها وأما معاوية فكان فاسقا مشهورا بقلة الدين والانحراف عن الاسلام وكذلك ناصره ومظاهره على أمره عمرو بن العاص ومن اتبعهما من طغام أهل الشام واجلافهم وجهال الاعراب فلم يكن أمرهم خافيا في جواز محاربتهم واستحلال قتالهم بخلاف حال من تقدم ذكره فان قيل ومن هذا الرجل الموعود به الذي قال عليه السلام عنه بأبي ابن خيرة الاماء قيل أما الامامية فيزعمون انه امامهم الثاني عشر وانه ابن أمة اسمها نرجس وأما أصحابنا فيزعمون انه فاطمي يولد في مستقبل الزمان لام ولد وليس بموجود الآن فان قيل فمن يكون من بني أمية في ذلك الوقت موجودا حتى يقول عليه السلام في أمرهم ما قال من انتقام هذا الرجل منهم حتى يودوا لو ان عليا عليه السلام كان المتولي لامرهم عوضا عنه قيل أما الامامية فيقولون بالرجعة ويزعمون انه سيعاد قوم باعيانهم من بني أمية وغيرهم اذا ظهر امامهم المنتظر وانه يقطع أيدي أقوام وأرجلهم ويسمل عيون بعضهم ويصلب قوما آخرين وينتقم من أعداء آل محمد عليه السلام المتقدمين والمتأخرين وأما أصحابنا فيزعمون انه سيخلق الله تعالى في آخر الزمان رجلا من ولد فاطمة عليها السلام ليس موجودا الآن وانه يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا وظلما وينتقم من الظالمين وينكل بهم أشد النكال وانه لام ولد كما قد ورد في هذا الاثر وفي غيره من الآثار وان اسمه محمد كاسم رسول الله صلى الله عليه وآله وانه انما يظهر بعد ان يستولي على كثير من الاسلام ملك من أعقاب بني أمية وهو السفياني الموعود به في الخبر الصحيح من ولد أبي سفيان بن حرب بن أمية وان الامام الفاطمي يقتله ويقتل أشياعه من بني أمية وغيرهم وحينئذ ينزل المسيح عليه السلام من السماء وتبدو اشراط الساعة وتظهر دابة الارض ويبطل التكليف ويتحقق قيام الاجساد عند نفخ الصور كما نطق به الكتاب العزيز فان قيل فانكم قلتم فيما تقدم ان الوعد انما هو بالسفاح وبعمه عبد الله بن علي والمسودة وما قلتموه الآن مخالف لذلك قيل ان ذلك التفسير هو تفسير ما ذكره الرضي رحمه الله تعالى من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة وهذا التفسير هو تفسير الزيادة التي لم يذكرها الرضي وهي قوله بأبي ابن خيرة الاماء وقوله لو كان هذا من ولد فاطمة لرحمنا فلا مناقضة بين التفسيرين

(الاصل) ﴿ ومن خطبة له عليه السلام ﴾

فَتَبَارَكَ اللهُ الَّذِي لاَ يَبْلُغُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ * ولاَ يَنالُهُ حَدْسُ الْفِطَنِ * الأَوَّلُ الَّذِي لاَ غايَةَ لَهُ فَيَنْتَهِي * ولاَ آخِرَ لَهُ فَيَنْقَضِي

(الشرح) البركة كثرة الخير وزيادته وتبارك الله منه وبركت أى دعوت بالبركة وطعام بريك أى مبارك ويقال بارك الله لزيد وفى زيد وعلى زيد وبارك الله زيدا يتعدى بنفسه ومنه قوله تعالى أن بورك من فى النار ويحتمل تبارك الله معنيين أحدهما أن يراد تبارك خيره وزادت نعمته واحسانه وهذا دعاء وثانيهما ان يراد به تزايد وتعالى فى ذاته وصفاته عن أن يقاس به غيره وهذا أجيد قوله عليه السلام لا يبلغه بعد الهمم أى بعد الافكار والانظار عبر عنها بالهمم لمشابهتها اياها وحدس الفطن ظنها وتخمينها احدست أحدس بالكسر ويسأل عن قوله لا غاية له فينتهي ولا آخر له فينقضي فيقال انما تدخل الفاء فيما اذا كان الثانى غير الاول وكقولهم ما تأتينا فتحدثنا وليس الثانى ههنا غير الاول لان الانقضاء هو الآخرية بعينها فكانه قال لا آخر له فيكون له آخر وهذا لغو وكذلك القول فى اللفظة الاولى وينبغى أن يقال فى الجواب ان المراد لا آخر له بالامكان والقوة فينقضي بالفعل فيما لا يزال ولا هو أيضا ممكن الوجود فيما مضى فيلزم أن يكون وجوده مسبوقا بالعدم وهو معنى قوله فينتهي بل هو واجب الوجود فى حالين فيما مضى وفى المستقبل وهذان مفهومان متغايران وهما العدم وامكان العدم فاندفع الاشكال

(الاصل) (منها فى وصف الانبياء) فَاسْتَوْدَعَهُمْ فِي أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ وأَقَرَّهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ تَنَاسَخَتْهُمْ كَرَائِمُ الأَصْلاَبِ إِلَى مُطَهَّرَاتِ الأَرْحَامِ كُلَّمَا مَضَى مِنْهُمْ سَلَفٌ * قَامَ مِنْهُمْ بِدِينِ اللهِ خَلَفٌ * حَتَّى أَفْضَتْ كَرَامَةُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنْبِتاً * وأَعَزِّ الأَرُومَاتِ مَغْرِساً * مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءَهُ * وَانْتَخَبَ مِنْهَا أُمَنَاءَهُ * عِتْرَتُهُ خَيْرُ الْعِتَرِ * وأُسْرَتُهُ خَيْرُ الأُسَرِ * وشَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ * نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ * وَبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ * لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ * وثَمَرٌ لاَ يُنَالُ * فَهُوَ إِمَامُ مَنِ اتَّقَى وَبَصِيرَةُ مَنِ اهْتَدَى * سِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْءُهُ وشِهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ * وزَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُهُ * سِيرَتُهُ الْقَصْدُ * وسُنَّتُهُ الرُّشْدُ * وكَلاَمُهُ الْفَصْلُ * وحُكْمُهُ الْعَدْلُ * أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ * وهَفْوَةٍ عَنِ الْعَمَلِ * وغَبَاوَةٍ مِنَ الأُمَمِ

(الشرح) تناسختهم أى تناقلتهم والتناسخ فى الميراث ان يموت ورثة بعد ورثة وأصل الميراث قائم لم يقسم كان ذلك تناقل من واحد الى آخر ومنه نسخت الكتاب وانتسخته واستنسخته أى نقلت ما فيه ويروى تناسلتهم والسلف المتقدمون والخلف الباقون ويقال خلف صدق بالتحريك وخلف سوء بالتسكين وأفضت كرامة الله الى محمد صلى الله عليه وآله أى انتهت والارومات جمع أرومة وهى الاصل ويقال أروم بغير هاء وصدع شق وانتخب اصطفى والاسرة رهط الرجل وقوله نبتت فى حرم يجوز أن يعنى به مكة ويجوز أن يعنى به المنعة والعز وبسقت طالت ومعنى قوله وثمر لا ينال ليس على ان يريد به ان ثمرها لا ينتفع به لان ذلك ليس بمدح بل يريد به ان ثمرها لا ينال قهرا ولا يجنى غصبا ويجوز ان

يريد بثمرها نفسه عليه السلام ومن يجرى مجراه من أهل البيت عليهم السلام لانهم ثمرة تلك الشجرة ولا ينال أى لا ينال مساعيهم ومآثرهم ولا يباريهم أحد وقد روى فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وآله فى فضل قريش وبنى هاشم الكثير المستفيض نحو قوله عليه السلام قدموا قريشا ولا تقدموها وقوله الأئمة من قريش وقوله ان الله اصطفى من العرب معدا واصطفى من معد بنى النضر بن كنانة واصطفى هاشما من بنى النضر واصطفانى من بنى هاشم وقوله ان جبرائيل عليه السلام قال لى يا محمد قد طفت الارض شرقا وغربا فلم أجد فيها أكرم منك ولا بيتا أكرم من بنى هاشم وقوله نقلنا من الاصلاب الطاهرة الى الارحام الزكية وقوله عليه السلام ان الله تعالى لم يمسنى بسفاح فى أرومتى منذ اسمعيل بن ابراهيم الى عبد الله بن عبد المطلب وقوله صلى الله عليه وآله سادة أهل محشر سادة أهل الدنيا أنا وعلى وحسن وحسين وحمزة وجعفر وقوله وقد سمع رجلا ينشد

يا أيها الرجل المحوّل رحله * هلا نزلت بآل عبد الدار

أهكذا قال يا أبا بكر منكرا لما سمع فقال أبو بكر لا يا رسول الله انه لم يقل هكذا ولكنه قال

يا أيها الرجل المحوّل رحله * هلا نزلت بآل عبد مناف

عمرو العلى هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف

فسر صلى الله عليه وآله بذلك وقوله أذل الله من أذل قريشا قالها ثلاثا وكقوله

أنا النبى لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

وكقوله الناس تبع لقريش برهم لبرهم وفاجرهم لفاجرهم وكقوله أنا ابن الاكرمين وقوله لبنى هاشم والله لا يبغضكم أحد الا أكبه الله على منخريه فى النار وقوله ما بال رجال يزعمون ان قرابتى غير نافعة بلى انها النافعة وانه لا يبغض أحد أهلى الا حرمه الله الجنة والاخبار الواردة فى فضائل قريش وبنى هاشم وشرفهم كثيرة جدا ولا نرى الاطالة ههنا باستقصائها وسطع الصبح يسطع سطوعا أى ارتفع والسطيع الصبح والزند العود تقدح به النار وهو الاعلى والزندة السفلى فيها ثقب وهى الانثى فاذا اجتمعا قيل زندان ولم يقل زندتان تغليبا للتذكير والجمع زناد وأزند وأزناد والقصد الاعتدال وكلامه الفصل أى الفاصل والفارق بين الحق والباطل وهو مصدر بمعنى الفاعل كقولك رجل عدل أى عادل والهفوة الزلة هفا يهفو والغباوة الجهل وقلة الفطنة يقال غبيت عن الشئ وغبيت الشئ أيضا أغبى غباوة اذا لم يفطن له وغبى على الشئ كذلك اذا لم تعرفه وفلان غبى على فعيل أى قليل الفطنة

(الاصل) اعْمَلُوا رَحِمَكُمُ اللهُ عَلَى أَعْلاَمٍ بَيِّنَةٍ * فَالطَّرِيقُ نَهْجٌ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وأَنْتُمْ فِي دَارِ مُسْتَعْتَبٍ عَلَى مَهَلٍ وفَرَاغٍ والصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ * والأَقْلاَمُ جَارِيَةٌ * والأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ * والأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ * والتَّوْبَةُ مَسْمُوعَةٌ والأَعْمَالُ مَقْبُولَةٌ

(الشرح) الطريق يذكر ويؤنث يقال هذا الطريق الاعظم وهذه الطريق العظمى والجمع أطرقة وأطرق واعلام بينة أى منار واضح ونهج أى واضح ودار السلام الجنة ويروى والطريق نهج بالواو وواو الحال وأنتم فى دار مستعتب أى فى دار يمكنكم فيها استرضاء الخالق سبحانه واستعتابه ثم شرح ذلك فقال أنتم ممهلون متفرغون وصحف أعمالكم لم تطو بعد واقلام الحفظة عليكم لم تجف بعد وأبدانكم صحيحة وألسنتكم ما اعتقلت كما تعتقل ألسنة المحتضر بن عند الموت وتوبتكم مسموعة وأعمالكم مقبولة لانكم فى دار التكليف لم تخرجوا منها

(الاصل) ﴿ ومن خطبة له عليه السلام ﴾

بَعَثَهُ والنَّاسُ ضُلاَّلٌ فِي حَيْرَةٍ * وحَاطِبُونَ فِي فِتْنَةٍ * قَدِ اسْتَهْوَتْهُمُ الأَهْوَاءُ وَاسْتَزَلَّتْهُمُ

الْكِبْرِيَاءُ * وَاسْتَخَفَّتْهُمُ الْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلَاءُ * حَيَارَى فِي زِلْزَالٍ مِنَ الْأَمْرِ * وَبَلَاءٍ مِنَ الْجَهْلِ * فَبَالَغَ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي النَّصِيحَةِ * وَمَضَى عَلَى الطَّرِيقَةِ * وَدَعَا إِلَى الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ

(الشرح) حاطبون في فتنة جمع حاطب وهو الذي يجمع الحطب ويقال لمن يجمع بين الصواب والخطأ أو يتكلم بالغث والسمين حاطب ليل لانه لا يبصر ما يجمع في حبله ويروى خابطون واستهوتهم الاهواء دعتهم الى نفسها واستزلتهم الكبرياء جعلتهم ذوي زلل وخطأ واستخفتهم الجاهلية جعلتهم ذوي خفة وطيش وخرق والزلزال بالفتح الاسم وبالكسر المصدر والزلازل الشدائد ومثله في الكسر عند الاسمية والفتح عند المصدر القلقال

(الاصل) ﴿ ومن خطبة له عليه السلام ﴾

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَوَّلِ فَلَا شَيْءَ قَبْلَهُ * وَالْآخِرِ فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ * وَالظَّاهِرِ فَلَا شَيْءَ فَوْقَهُ * وَالْبَاطِنِ فَلَا شَيْءَ دُونَهُ

(الشرح) تقدير الكلام والظاهر فلا شيء أجلى منه والباطن فلا شيء أخفى منه فلما كان الجلاء يستلزم العلو والفوقية والخفاء يستلزم الانخفاض والتحتية عبر عنهما بما يلازمهما وقد تقدم الكلام في معنى الاول والآخر والظاهر والباطن وذهب أكثر المتكلمين الى أن الله تعالى يعدم اجزاء العالم ثم يعيدها وذهب قوم منهم على ان الاعادة انما هي جمع الاجزاء بعد تفريقها لا غير واحتج الاولون بقوله تعالى هو الاول والآخر قالوا لما كان أولا بمعنى انه الموجود ولا موجود معه وجب أن يكون آخرا بمعنى انه سيؤول الامر الى عدم كل شيء الا ذاته تعالى كما كان أولا والبحث المستقصى في هذا الباب مشروح في كتبنا الكلامية

(الاصل) (وَمِنْهَا فِي ذِكْرِ الرَّسُولِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مُسْتَقَرُّهُ خَيْرُ مُسْتَقَرٍّ * وَمَنْبِتُهُ أَشْرَفُ مَنْبِتٍ * فِي مَعَادِنِ الْكَرَامَةِ * وَمَمَاهِدِ السَّلَامَةِ * قَدْ صُرِفَتْ نَحْوَهُ أَفْئِدَةُ الْأَبْرَارِ * وَثُنِيَتْ إِلَيْهِ أَزِمَّةُ الْأَبْصَارِ * دَفَنَ اللهُ بِهِ الضَّغَائِنَ * وَأَطْفَأَ بِهِ الثَّوَائِرَ * أَلَّفَ بِهِ إِخْوَانًا * وَفَرَّقَ بِهِ أَقْرَانًا * وَأَعَزَّ بِهِ الذِّلَّةَ * وَأَذَلَّ بِهِ الْعِزَّةَ * كَلَامُهُ بَيَانٌ * وَصَمْتُهُ لِسَانٌ

(الشرح) المهاد الفراش ولما قال في معادن وهي جمع معدن قال بحكم القرينة والازدواج ومماهد وان لم يكن الواحد منها ممهدا كما قالوا الغدايا والعشايا ومأجورات ومأزورات ونحو ذلك ويعني بالسلامة ههنا البراءة من العيوب أي في نسب طاهر غير مأبون ولا معيب ثم قال قد صرفت نحوه أي نحو الرسول صلى الله عليه وآله ولم يقل من صرفها بل جعله فعلا لم يسم فاعله فان شئت قلت الصارف لها هو الله تعالى لا بالجبر كما يقوله الاشعرية بل بالتوفيق واللطف كما يقوله أصحابنا وان شئت قلت صرفها أربابها والضغائن جمع ضغينة وهي الحقد ضغنت على فلان بالكسر ضغنا والضغن الاسم كالضغينة وقد تضاغنوا واضطغنوا انطووا على الاحقاد ودفنها كتمها وأخفاها وألف به اخوانا لان الاسلام قد ألف بين المتباعدين وفرق بين المتقاربين وقال تعالى فأصبحتم بنعمته اخوانا قطع ما بين حمزة وأبي لهب مع تقاربهما وألف بين علي عليه السلام وعمار مع تباعدهما قوله عليه السلام وصمته لسان لا يعني باللسان ههنا

الجارحة نفسها بل الكلام الصادر عنها كقول الاعشى * اني أتتني لسان لا أسر بها * قالوا في تفسيره أراد الكلمة وجمعه على هذا ألسن لانه مؤنث كقولك ذراع وأذرع فاما جمع لسان للجارحة فالسنة لانه مذكر كقولك حمار وأحمرة يقول عليه السلام ان كلام الرسول صلى الله عليه وآله بيان والبيان اخراج الشيء من حيز الخفاء الى حيز الوضوح وصمته صلى الله عليه وآله كلام وقول مفيد أي ان صمته لا يخلو من فائدة فكأنه كلام وهذا من باب التشبيه المحذوف الاداة كقولهم يده بحر ووجهه بدر

(الاصل) ﴿ ومن كلام له عليه السلام ﴾

وَلَئِنْ أَمْهَلَ اللهُ الظَّالِمَ فَلَنْ يَفُوتَ أَخْذُهُ وَهُوَ لَهُ بِالْمِرْصَادِ عَلَى مَجَازِ طَرِيقِهِ * وَبِمَوْضِعِ الشَّجَا مِنْ مَسَاغِ رِيقِهِ * أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَظْهَرَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ عَلَيْكُمْ لَيْسَ لِأَنَّهُمْ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لِإِسْرَاعِهِمْ إِلَى بَاطِلِهِمْ وَإِبْطَائِكُمْ عَنْ حَقِّي * وَلَقَدْ أَصْبَحَتِ الْأُمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِهَا * وَأَصْبَحْتُ أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِي * اسْتَنْفَرْتُكُمْ لِلْجِهَادِ فَلَمْ تَنْفِرُوا * وَأَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَسْمَعُوا * وَدَعَوْتُكُمْ سِرًّا وَجَهْرًا فَلَمْ تَسْتَجِيبُوا * وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا * شُهُودٌ كَغُيَّابٍ * وَعَبِيدٌ كَأَرْبَابٍ * أَتْلُو عَلَيْكُمُ الْحِكَمَ فَتَنْفِرُونَ مِنْهَا * وَأَعِظُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ الْبَالِغَةِ فَتَتَفَرَّقُونَ عَنْهَا * وَأَحُثُّكُمْ عَلَى جِهَادِ أَهْلِ الْبَغْيِ فَمَا آتِي عَلَى آخِرِ قَوْلِي حَتَّى أَرَاكُمْ مُتَفَرِّقِينَ أَيَادِيَ سَبَا * تَرْجِعُونَ إِلَى مَجَالِسِكُمْ وَتَتَخَادَعُونَ عَنْ مَوَاعِظِكُمْ * أُقَوِّمُكُمْ غُدْوَةً وَتَرْجِعُونَ إِلَيَّ عَشِيَّةً كَظَهْرِ الْحَنِيَّةِ عَجَزَ الْمُقَوِّمُ وَأَعْضَلَ الْمُقَوَّمُ أَيُّهَا الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ * الْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ الْمُبْتَلَى بِهِمْ أُمَرَاؤُهُمْ صَاحِبُكُمْ يُطِيعُ اللهَ وَأَنْتُمْ تَعْصُونَهُ وَصَاحِبُ أَهْلِ الشَّامِ يَعْصِي اللهَ وَهُمْ يُطِيعُونَهُ لَوَدِدْتُ وَاللهِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ صَارَفَنِي بِكُمْ صَرْفَ الدِّينَارِ بِالدِّرْهَمِ فَأَخَذَ مِنِّي عَشَرَةً مِنْكُمْ وَأَعْطَانِي رَجُلًا مِنْهُمْ يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ مُنِيتُ مِنْكُمْ بِثَلَاثٍ وَاثْنَتَيْنِ صُمٌّ ذَوُو أَسْمَاعٍ * وَبُكْمٌ ذَوُو كَلَامٍ * وَعُمْيٌ ذَوُو أَبْصَارٍ * لَا أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ * وَلَا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ الْبَلَاءِ * تَرِبَتْ أَيْدِيكُمْ يَا أَشْبَاهَ الْإِبِلِ غَابَ عَنْهَا رُعَاتُهَا كُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ تَفَرَّقَتْ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ * وَاللهِ لَكَأَنِّي بِكُمْ فِيمَا إِخَالُكُمْ أَنْ لَوْ حَمِسَ الْوَغَى وَحَمِيَ الضِّرَابُ قَدِ انْفَرَجْتُمْ عَنِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ انْفِرَاجَ الْمَرْأَةِ عَنْ قُبُلِهَا * وَإِنِّي لَعَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي * وَمِنْهَاجٍ مِنْ نَبِيِّي * وَإِنِّي لَعَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ أَلْقُطُهُ لَقْطًا

(الشرح) أمهله أخره وأخذه فاعل والمفعول محذوف تقديره فلن يفوته والمرصاد الطريق وهي من ألفاظ الكتاب العزيز ومجاز طريقه مسلكه وموضع جوازه والشجا ماينشب في الحلق من عظم أو غيره وموضع الشجا هو الحلق نفسه وساغ ريقه موضع الاساغة أسغت الشراب أوصلته الى المعدة ويجوز سغت الشراب أسوغه وأسيغه وساغ الشراب نفسه يسوغ سوغا أي سهل مدخله في الحلق يتعدى ولا يتعدى وهذا الكلام من باب التوسع والمجاز لان الله تعالى لايجوز عليه الحصول في الجهات ولكنه كقوله تعالى وهو معكم أينما كنتم وقوله ونحن أقرب اليه من حبل الوريد ثم أقسم عليه السلام أن أهل الشام لابد أن يظهروا على أهل العراق وان ذلك ليس لانهم على الحق وأهل العراق على الباطل بل لانهم أطوع لأميرهم ومدار النصرة في الحرب انما هو على طاعة الجيش وانتظام أمره لا على اعتقاد الحق فانه ليس يغني في الحرب أن يكون الجيش محقا في العقيدة اذا كان مختلف الآراء غير مطيع لامر المدبر له ولهذا نجد أهل الشرك كثيرا ما ينتصرون على أهل التوحيد ثم ذكر عليه السلام نكتة لطيفة في هذا المعنى فقال العادة ان الرعية تخاف ظلم الوالي وأنا أخاف ظلم رعيتي ومن تأمل أحواله عليه السلام في خلافته علم انه كان كالمحجور عليه لا يتمكن من بلوغ ما في نفسه وذلك لان العارفين بحقيقة حاله كانوا قليلين وكان السواد الاعظم لا يعتقدون فيه الامر الذي يجب اعتقاده فيه ويرون تفضيل من تقدمه من الخلفاء عليه ويظنون ان الافضلية انما هي بالخلافة ويقلد أخلافهم أسلافهم ويقولون لولا ان الاوائل علموا فضل المتقدمين عليه لما قدموهم ولا يرونه الا بعين التبعية لمن سبقه وانه كان رعية لهم وأكثرهم انما يحارب معه بالحمية وبنخوة العربية لا بالدين والعقيدة وكان عليه السلام مدفوعا الى مداراتهم ومقاربتهم ولم يكن قادرا على اظهار ما عنده ألا ترى الى كتابه الى قضاته في الامصار وقوله فاقضوا كما كنتم تقضون حتى تكون للناس جماعة وأموت كما مات أصحابي وهذا الكلام لا يحتاج الى تفسير ومعناه واضح وهو انه قال لهم اتبعوا عادتكم الآن بعاجل الحال في الاحكام والقضايا التي كنتم تقضون بها الى أن يكون للناس جماعة أي الى أن تسفر هذه الامور والخطوب عن الاجتماع وزوال الفرقة وسكون الفتنة وحينئذ أعرفكم ما عندي في هذه القضايا والاحكام التي قد استمررتم عليها ثم قال أو أموت كما مات أصحابي فمن قائل يقول عنى بأصحابه الخلفاء المتقدمين ومن قائل يقول عنى بأصحابه شيعته كسلمان وأبي ذر والمقداد وعمار ونحوهم ألا ترى الى قوله على المنبر في أمهات الاولاد كان رأيي ورأى عمر أن لا يبعن وأنا أرى الآن بيعهن فقام عليه عبيدة السلماني فقال له رأيك مع الجماعة أحب الينا من رأيك وحدك فما أعاد عليه حرفا فهل يدل هذا على القوة والقهر أم على الضعف في السلطان والرخاوة فهل كانت المصلحة والحكمة تقتضي في ذلك الوقت غير السكوت والامساك ألا ترى انه كان يقرأ في صلاة الصبح وخلفه جماعة من أصحابه فقرأ واحد منهم رافعا صوته معارضا قراءة أمير المؤمنين عليه السلام ان الحكم الا لله يقضي بالحق وهو خير الفاصلين فلم يضطرب عليه السلام ولم يقطع صلاته ولم يلتفت وراءه ولكنه قرأ معارضا له على البديهة فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون وهذا صبر عظيم وأناة عجيبة وتوفيق بين وبهذا ونحوه استدل أصحابنا المتكلمون على حسن سياسته وصحة تدبيره لان من مني بهذه الرعية المختلفة الاهواء وهذا الجيش العاصي له المتمرد عليه ثم كسر بهم الاعداء وقتل بهم الرؤساء فليس يبلغ أحد في حسن السياسة وصحة التدبير مبلغه ولا يقدر أحد قدره وقد قال بعض المتكلمين من أصحابنا ان سياسة علي عليه السلام اذا تأملها المنصف متدبرا لها بالاضافة الى أحواله التي دفع اليها مع أصحابه جرت مجرى المعجزات لصعوبة الامر وتعذره فان أصحابه كانوا فرقتين احداهما يذهب الى أن عثمان قتل مظلوما وتتولاه وتبرأ من أعدائه والاخرى وهم جمهور أصحاب الحرب وأهل الغناء والبأس يعتقدون ان عثمان قتل لاحداث أوجبت عليه القتل وقد كان منهم من يصرح بتكفيره وكل من هاتين الفرقتين يزعم ان عليا عليه السلام موافق لها على رأيها وتطالبه في كل وقت بان يبدي مذهبه في عثمان وتسأله أن يجيب بجواب واضح في أمره وكان عليه السلام يعلم انه متى وافق احدى الطائفتين باينته الاخرى وأسلمته وتولت عنه وخذلته فأخذ عليه السلام يعتمد في جوابه ويستعمل في كلامه ما يظن به كل واحدة من الفرقتين انه يوافق رأيها ويماثل اعتقادها فتارة يقول الله قتله وأنا

٥٥٥

معه فتذهب الطائفة الموالية لعثمان الى انه أراد ان الله أماته وسيميتني كما أماته وتذهب الطائفة الاخرى الى انه أراد انه قتل عثمان مع قتل الله له أيضا وكذلك قوله تارة أخرى ما أمرت به ولا نهيت عنه وقوله لو أمرت به لكنت قاتلا ولو نهيت عنه لكنت ناصرا وأشياء من هذا الجنس مذكورة مروية عنه فلم يزل على هذه الوتيرة حتى قبض عليه السلام وكل من الطائفتين موالية له معتقدة ان رأيه في عثمان كرأيها فلو لم يكن له من السياسة الا هذا القدر مع كثرة خوض الناس حينئذ في أمر عثمان والحاجة الى ذكره في كل مقام لكفاه في الدلالة على انه أعرف الناس بها وأحذقهم فيها وأعلمهم بوجوه مخارج الكلام وتدبير أحوال الرجال ثم نعود الى الشرح قوله عليه السلام ونصحت لكم هو الافصح وعليه ورد لفظ القرآن وقول العامة نصحتك ليس بالافصح قوله وعبيدا كأرباب يصفهم بالكبر والتيه فان قلت كيف قال عنهم انهم عبيد وكانوا عربا أصلية قلت يريد ان أخلاقهم كأخلاق العبيد من الغدر والخلاف ودناءة الانفس وفيهم مع ذلك كبر السادات والارباب وتيههم فقد جمعوا خصال السوء كلها وأيادي سبأ مثل يضرب للمتفرقين وأصله قوله تعالى عن أهل سبأ ومزقناهم كل ممزق وسبأ مهموز وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ويقال ذهبوا أيدي سبا وأيادي سبا الياء ساكنة وكذلك الالف وهكذا نقل المثل أي ذهبوا متفرقين وهما اسمان جعلا واحدا مثل معدي كرب قوله تتداعون عن مواعظكم أي تمسكون عن الاتعاظ والانزجار وتقلعون عن ذلك من قولهم كان فلان يعطي ثم خدع أي امسك واقلع ويجوز أن يريد تتلونون وتختلفون في قبول الموعظة من قولهم خلق فلان خلق خادع أي متلون وسوق خادعة أي مختلفة متلونة ولا يجوز أن يريد باللفظة المعنى المشهور منها لانه انما يقال فلان يتخادع لفلان اذا كان يريه انه منخدع له وليس بمنخدع في الحقيقة وهذا لا يطابق معنى الكلام والحنية القوس وقوله كظهر الحنية يريد اعوجاجهم كما ان ظهر القوس معوج وأعضل المقوم أي أعضل داؤه أي أعيا ويروى أيها الشاهدة أبدانهم بحذف الموصوف ثم اقسم أنه يود ان معاوية صارفه بهم فاعطاه من أهل الشام واحدا وأخذ منه عشرة صرف الدينار بالدراهم أخذ هذا اللفظ عبد الله بن الزبير لما وفد اليه أهل البصرة وفيهم الاحنف فتكلم منهم أبو حاضر الاسدي وكان خطيبا جميلا فقال له عبد الله بن الزبير اسكت فوالله لوددت ان لي بكل عشرة من أهل العراق واحدا من أهل الشام صرف الدينار بالدراهم فقال يا أمير المؤمنين ان لنا ولك مثلا أفتأذن في ذكره قال نعم قال مثلنا ومثلك ومثل أهل الشام قول الاعشى

علقتها عرضا وعلقت رجلا * غيري وعلق أخرى غيرها الرجل

أحبك أهل العراق وأحببت أهل الشام وأحب أهل الشام عبد الملك فما تصنع ثم ذكر عليه السلام أنه مني أي ابتلي منهم بثلاث واثنتين انما لم يقل بخمس لان الثلاث ايجابية والاثنتين سلبية فاحب أن يفرق بين الاثبات والنفي ويروى لا احرار صدق عند اللقاء جمع صادق ولا اخوان ثقة عند البلاء أي موثوق بهم تربت أيديكم كلمة يدعى على الانسان بها أي لا أصبتم خيرا وأصل ترب اصابة التراب فكأنه يدعو عليه بان يفتقر حتى يلتصق بالتراب قوله فما الكم أي فما أظنكم والافصح كسر الالف وهو السماع وبنو أسد يفتحونها وهو القياس قوله ألو أصله ان لو ثم أدغمت النون في الالف فصارت كلمة واحدة وحمس الوغى بكسر الميم اشتد وعظم فهو حمس وأحمس بين الحمس والحماسة والوغى في الاصل الاصوات والجلبة وسميت الحرب نفسها وغى لما فيها من ذلك وقوله انفراج المرأة عن قبلها أي وقت الولادة قوله ألقطه لقطا يريد ان الضلال غالب على الهدى وأنه التقط طريق الهدى من بين طريق الضلال لقطا من ههنا وههنا كما يسلك الانسان طريقا دقيقة قد اكتنفها الشوك والعوسج من جانبيها كليهما فهو يلتقط النهج التقاطا

(الاصل) إِنْظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَالْزَمُوا سَمْتَهُمْ * وَاتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدًى * وَلَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدًى * فَإِنْ لَبَدُوا فَالْبُدُوا * وَإِنْ نَهَضُوا

فانهَضُوا * ولاَ تَسبقُوهُمْ فَتَضِلُّوا * ولاَ تَتأَخَّرُوا عَنهُمْ فَتَهلَكُوا * لَقَدْ رَأَيتُ أَصحابَ مُحَمَّدٍ صلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ فَما أَرَى أَحَدًا يُشبِهُهُمْ مِنكُمْ * لَقَدْ كانُوا يُصبِحُونَ شُعثًا غُبرًا * وَقَدْ باتُوا سُجَّدًا وَقِيامًا يُراوِحُونَ بَينَ جِباهِهِمْ وخُدُودِهِمْ وَيَقِفُونَ على مِثلِ الجَمرِ مِنْ ذِكرِ مَعادِهِمْ * كَأَنَّ بَينَ أَعيُنِهِمْ رُكَبَ المِعزَى * مِنْ طُولِ سُجُودِهِمْ إِذا ذُكِرَ اللهُ هَمَلَتْ أَعيُنُهُمْ حَتَّى تَبُلَّ جُيُوبَهُمْ * ومادُوا كَما يَمِيدُ الشَّجَرُ يَومَ الرِّيحِ العاصِفِ خَوفًا مِنَ العِقابِ وَرَجاءً لِلثَّوابِ

(الشرح) السمت الطريق ولبد الشيء بالارض يلبد بالضم لبودا التصق بها ويصبحون شعثا غبرا من قشف العبادة وقيام الليل وصوم النهار وهجر الملاذ فيراوحون بين جباههم وخدودهم تارة يسجدون على الجباه وتارة يضعون خدودهم على الارض بعد الصلاة تذللا وخضوعا والمراوحة بين العمل أن يعمل هذا مرة وهذا مرة ويراوح بين رجليه اذا قام على هذه تارة وعلى هذه أخرى ويقال معزى لهذا الجنس من الغنم ومعز ومعيز وأمعوز ومعز بالتسكين وواحد المعز ماعز كصحب وصاحب والانثى ماعزة والجمع مواعز وهملت أعينهم سالت يهمل ويهمل ويروى حتى تبل جباههم أي يبل موضع السجود فتبتل الجبهة بملاقاته ومادوا تحركوا واضطربوا اما خوفا من العقاب كما يتحرك الرجل ويضطرب أو رجاء للثواب كما يتحرك النشوان من الطرب وكما يتحرك الجذل المسرور من الفرح

(الاصل) ﴿ومن كلام له عليه السلام﴾

وَاللهِ لاَ يَزالُونَ حَتَّى لاَ يَدَعُوا لِلهِ مُحَرَّمًا إِلاَّ استَحَلُّوهُ * ولاَ عَقدًا إِلاَّ حَلُّوهُ * وحَتَّى لاَ يَبقَى بَيتُ مَدَرٍ ولاَ وَبَرٍ إِلاَّ دَخَلَهُ ظُلمُهُمْ * وَنَبا بِهِ سُوءُ رَعيِهِمْ * وَحَتَّى يَقُومَ الباكِيانِ يَبكِيانِ باكٍ يَبكِي لِدِينِهِ وَباكٍ يَبكِي لِدُنياهُ * وحَتَّى تَكُونَ نُصرَةُ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ كَنُصرَةِ العَبدِ مِنْ سَيِّدِهِ * إِذا شَهِدَ أَطاعَهُ * وَإِذا غابَ اغتابَهُ * وَحَتَّى يَكُونَ أَعظَمُكُمْ فِيها غَناءً أَحسَنَكُمْ بِاللهِ ظَنًّا * فَإِنْ أَتاكُمُ اللهُ بِعافِيَةٍ فاقبَلُوا * وَإِنِ ابتُلِيتُمْ فاصبِرُوا * فَإِنَّ العاقِبَةَ لِلمُتَّقِينَ

(الشرح) تقدير الكلام لا يزالون ظالمين فحذف الخبر وهو مراد وسدت حتى وما بعدها مسد الخبر ولا يصح ما ذهب اليه بعض المفسرين من أن زال بمعنى تحرك وانتقل فلا تكون محتاجة الى خبر بل تكون تامة في نفسها لان تلك مستقبلها يزول بالواو وههنا بالالف لا يزالون فهي الناقصة التي لم تأت تامة قط ومثلها في انها لا تزال ناقصة ظل وما فتئ وليس والمحرم ما لا يحل اتيانه وكذلك المحرمة بفتح الراء وضمها وبيوت المدر هي البيوت المبنية في القرى وبيوت الوبر ما يتخذ في البادية من وبر الابل والوبر لها كالصوف للضأن وكالشعر للمعز وقد وبر البعير بالكسر فهو وبر وأوبر اذا كثر وبره ونبا به منزله اذا ضره ولم يوافقه وكذلك نبا به فراشه فالفعل لازم فاذا أردت تعديته بالهمزة قلت قد أنبى فلان على منزلي أي جعله نابيا وان عديته بحرف الجر قلت قد نبا بمنزلي فلان أي أنباه علي وهو في هذا الموضع معدى بحرف الجر وسوء رعيهم أي سوء ورعهم أي تقواهم والورع بكسر الراء الرجل التقي وورع يرع بالكسر

فيهما ورعا ورعة ويروى سوء رعيهم أي سوء سياستهم وامرتهم ونصرة أحدكم من أحدهم أي انتصاره منه وانتقامه فهو مصدر مضاف الى الفاعل وقد تقدم شرح هذا المعنى وقد حمل قوم هذا المصدر على الاضافة الى المفعول وكذلك نصرة العبد وتقدير الكلام حتى يكون نصرة أحد هؤلاء الولاة لاحدكم كنصرة سيد العبد السيء الطريقة اياه ومن في الموضعين مضافة الى محذوف تقديره من جانب أحدهم ومن جانب سيده وهذا ضعيف لما فيه من الفصل بين العبد وبين قوله اذا شهد أطاعه وهو الكلام الذي اذا استمر المعنى جعل حالا من العبد بقوله من سيده والضمير في قوله فيها يرجع الى غير مذكور لفظا ولكنه كالمذكور يعني الفتنة أي حتى يكون أعظمكم في الفتنة غناء ويروى برفع أعظمكم ونصب أحسنكم والاول أليق وهذا الكلام كله اشارة الى بني أمية

(الاصل) ﴿ومن خطبة له عليه السلام﴾

نَحمَدُهُ على ما كانَ * وَنَستَعِينُهُ مِنْ أَمرِنا على ما يَكُونُ * وَنَسأَلُهُ المُعافاةَ في الأَديانِ كَما نَسأَلُهُ المُعافاةَ في الأَبدانِ عِبادَ اللهِ أُوصِيكُمْ بِالرَّفضِ لِهَذِهِ الدُّنيا التّارِكَةِ لَكُمْ وإِنْ لَمْ تُحِبُّوا تَركَها * وَالمُبلِيَةِ لِأَجسامِكُمْ وإِنْ كُنتُمْ تُحِبُّونَ تَجدِيدَها فَإِنَّما مَثَلُكُمْ وَمَثَلُها كَسَفرٍ سَلَكُوا سَبِيلاً فَكَأَنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوهُ * وَأَمُّوا عَلَمًا فَكَأَنَّهُمْ قَدْ بَلَغُوهُ * وَكَمْ عَسَى المُجرِي إِلَى الغايَةِ أَنْ يَجرِيَ إِلَيها حَتَّى يَبلُغَها * وما عَسَى أَنْ يَكُونَ بَقاءُ مَنْ لَهُ يَومٌ لاَ يَعدُوهُ * وطالِبٌ حَثِيثٌ مِنَ المَوتِ يَحدُوهُ ومُزعِجٌ في الدُّنيا عَنِ الدُّنيا حَتَّى يُفارِقَها * فَلاَ تَنافَسُوا في عِزِّ الدُّنيا وَفَخرِها * ولاَ تَعجَبُوا بِزِينَتِها وَنَعِيمِها * وَلاَ تَجزَعُوا مِنْ ضَرّائِها وَبُؤسِها * فَإِنَّ عِزَّها وفَخرَها إِلَى انقِطاعٍ * وإِنَّ زِينَتَها وَنَعِيمَها إِلى زَوالٍ وَضَرّاءَها وَبُؤسَها إِلَى نَفادٍ * وَكُلُّ مُدَّةٍ فِيها إِلَى انتِهاءٍ * وَكُلُّ حَيٍّ فِيها إِلَى فَناءٍ * أَوَلَيسَ لَكُمْ في آثارِ الأَوَّلِينَ مُزدَجَرٌ * وَفي آبائِكُمُ الأَوَّلِينَ تَبصِرَةٌ وَمُعتَبَرٌ إِنْ كُنتُمْ تَعقِلُونَ * أَوَلَمْ تَرَوا إِلَى الماضِينَ مِنكُمْ لاَ يَرجِعُونَ * وإِلَى الخَلَفِ الباقِينَ لاَ يَبقَونَ * أَوَلَستُمْ تَرَونَ أَهلَ الدُّنيا يُمسُونَ ويُصبِحُونَ على أَحوالٍ شَتَّى * فَمَيِّتٌ يُبكَى وَآخَرُ يُعَزَّى * وَصَرِيعٌ مُبتَلًى * وَعائِدٌ يَعُودُ * وآخَرُ بِنَفسِهِ يَجُودُ * وَطالِبٌ لِلدُّنيا وَالمَوتُ يَطلُبُهُ * وَغافِلٌ وَلَيسَ بِمَغفُولٍ عَنهُ وعلى أَثَرِ الماضِي ما يَمضِي الباقِي أَلاَ فاذكُرُوا هاذِمَ اللَّذّاتِ * وَمُنَغِّصَ الشَّهَواتِ * وَقاطِعَ الأُمنِيّاتِ * عِندَ المُساوَرَةِ لِلأَعمالِ القَبِيحَةِ * وَاستَعِينُوا اللهَ على أَداءِ واجِبِ حَقِّهِ * وما لاَ يُحصَى مِنْ أَعدادِ نِعَمِهِ وَإِحسانِهِ

(الشرح) لما كان الماضى معلوما جعل الحمد بازائه لان المجهول لا يحمد عليه ولما كان المستقبل غير معلوم جعل الاستعانة بازائه لان الماضى لا يستعان عليه ولقد ظرف وأبدع عليه السلام فى قوله ونسأله المعافاة فى الاديان كما نسأله المعافاة فى الابدان وذلك ان للاديان سقما وطبا وشفاء كما ان للابدان سقما وطبا وشفاء قال محمود الوراق

واذا مرضت من الذنوب فداوها ✽ بالذكر ان الذكر خير دواء

والسقم فى الابدان ليس بضائر ✽ والسقم فى الاديان شر بلاء

وقيل لاعرابى ما تشتكى قال ذنوبى قيل فما تشتهى قال الجنة قيل أفلا ندعو لك طبيبا قال الطبيب أمرضنى سمعت عفيرة بنت الوليد البصرية العابدة رجلا يقول ما أشد العمى على من كان بصيرا فقالت عبد الله غفلت عن مرض الذنوب واهتممت بمرض الاجساد عمى القلوب عن الله أشد من عمى العين عن الدنيا وددت ان الله وهب لى كنه محبته ولم يبق منى جارحة الا تبلها قيل لحسان بن أبى سنان فى مرضه ما مرضك قال مرض لا يفهمه الاطباء قيل وما هو قال مرض الذنوب فقيل كيف تجدك الآن قال بخير ان نجوت من النار قيل فما تشتهى قال ليلة طويلة بعيدة ما بين الطرفين أحييها بذكر الله ابن شبرمة عجبت ممن يحتمى من الطعام مخافة الداء كيف لا يحتمى من الذنوب مخافة النار قوله عليه السلام الدنيا التاركة لكم وان لم تحبوا تركها معنى حسن ومنه قول أبى الطيب

كل دمع يسيل منها عليها ✽ وبفك اليدين عنها تخلى

والرفض الترك وابل رفض متروكة ترعى حيث شاءت وقوم سفر أى مسافرون وأموا قصدوا والعلم الجبل أو المنار فى الطريق يهتدى به وكان فى هذه المواضع كهى فى قوله كانك بالدنيا لم تكن وكانك بالآخرة لم تزل ما أقرب ذلك وأسرعه وتقدير الكلام ههنا كانهم فى حال كونهم غير قاطعين له قاطعون له وكانهم فى حال كونهم غير بالغين له بالغون له لانه لما قرب زمان احدى الحالتين من زمان الاخرى شبهوا وهم فى الحال الاولى بهم أنفسهم وهم على الحال الثانية قوله عليه السلام وكم عسى المجرى أجرى فلان فرسه الى الغاية اذا أرسلها ثم نقل ذلك الى كل من يقصد بكلامه معنى أو بفعله غرضا فقيل فلان يجرى بقوله الى كذا أو يجرى بحركته الفلانية الى كذا أى يقصد وينتهى بارادته واغراضه ولا يعدوه ولا يتجاوزه والحثيث السريع ويحدوه يسوقه والمنافسة المحاسدة ونفست عليه بكذا أى ضننت والبؤس الشدة والنفاد الفناء وما فى قوله على أثر الماضى ما يمضى الباقى اما زائدة أو مصدرية وقد أخذ هذا اللفظ الوليد بن يزيد ابن عبد الملك يوم مات مسلمة بن عبد الملك قيل لما مات مسلمة بن عبد الملك واجتمع بنو أمية ورؤساء العرب ينظرون جنازته خرج الوليد بن يزيد على الناس وهو نشوان ثمل يجر مطرف خز وهو يندب مسلمة ومواليه حوله فوقف على هشام فقال يا أمير المؤمنين ان عقبى من بقى لحوق من مضى وقد أقفر بعد مسلمة الصيد لمن رمى واختل الثغر فوهى وارتج الطود فهوى وعلى أثر من سلف ما يمضى من خلف فتزودوا فان خير الزاد التقوى قوله عليه السلام عند مساورة الاعمال القبيحة العامل فى عند قوله اذكروا أى ليكن ذكركم الموت وقت مساورتكم والمساورة المواثبة وسار اليه يسور سورا وثب قال الاخطل يصف خمرا له

لما أتوها بمصباح ومبزلهم ✽ سارت اليهم سؤر الابجل الضارى

أى كوثوب العرق الذى قد فصد أو قطع فلا يكاد ينقطع دمه ويقال ان لغضبه لسورة وهو سوار أى وثاب معربد

(الاصل) ﴿ومن خطبة له عليه السلام﴾

الْحَمْدُ لِلّٰهِ النَّاشِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلَهُ ✽ وَالْبَاسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ ✽ نَحْمَدُهُ فِى جَمِيعِ أُمُورِهِ ✽ وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهِ ✽ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ✽ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ✽ أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعًا ✽ وَبِذِكْرِهِ نَاطِقًا ✽ فَأَدَّى أَمِينًا ✽ وَمَضَى رَشِيدًا ✽

وَخَلَّفَ فِينَا رَايَةَ الْحَقِّ مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ ✽ وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ ✽ وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ ✽ دَلِيلُهَا مَكِيثُ الْكَلَامِ ✽ بَطِيءُ الْقِيَامِ ✽ سَرِيعٌ إِذَا قَامَ ✽ فَإِذَا أَنْتُمْ أَلَنْتُمْ لَهُ رِقَابَكُمْ ✽ وَأَشَرْتُمْ إِلَيْهِ بِأَصَابِعِكُمْ ✽ جَاءَهُ الْمَوْتُ فَذَهَبَ بِهِ ✽ فَلَبِثْتُمْ بَعْدَهُ مَا شَاءَ اللّٰهُ ✽ حَتَّى يُطْلِعَ اللّٰهُ لَكُمْ مَنْ يَجْمَعُكُمْ وَيَضُمُّ نَشْرَكُمْ ✽ فَلَا تَطْمَعُوا فِى غَيْرِ مُقْبِلٍ ✽ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ مُدْبِرٍ ✽ فَإِنَّ الْمُدْبِرَ عَسَى أَنْ تَزِلَّ بِهِ إِحْدَى قَائِمَتَيْهِ وَتَثْبُتَ الْأُخْرَى فَتَرْجِعَا حَتَّى تَثْبُتَا جَمِيعًا ✽ أَلَا إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ فَكَأَنَّكُمْ قَدْ تَكَامَلَتْ مِنَ اللّٰهِ فِيكُمُ الصَّنَائِعُ وَأَرَاكُمْ مَا كُنْتُمْ تَأْمُلُونَ

(الشرح) يده ههنا نعمته يقال لفلان عندى يد أى نعمة واحسان قال الشاعر

فان ترجع الايام بينى وبينها ✽ فان لها عندى يدا لا أضيعها

وصادعا أى مظهرا أو مجاهرا للمشركين قال تعالى فاصدع بما تؤمر وراية الحق الثقلان المخلفان بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وهما الكتاب والعترة ومرق خرج أى فارق الحق ومرق السهم عن الرمية خرج من جانبها الآخر وبه سميت الخوارج مارقة وزهقت نفسه بالفتح زهوقا أى خرجت قال تعالى وتزهق أنفسهم وهم كافرون وزهقت الناقة اذا سبقت وتقدمت امام الركاب وزهق الباطل اضمحل يقول عليه السلام من خالفها متقدما لها أو متأخرا عنها فقد خرج عن الحق ومن لازمها فقد أصاب الحق ثم قال دليلها مكيث الكلام يعنى نفسه عليه السلام لانه المشار اليه من العترة وأعلم الناس بالكتاب ومكيث الكلام بطيئه ورجل مكيث أى رزين والمكث اللبث والانتظار مكث ومكث بالفتح والضم والاسم المكث والمكثة بالضم وكسرها يعنى انه ذو أناة وتؤدة ثم أكد ذلك بقوله بطىء القيام ثم قال سريع اذا قام أى هو متأن متثبت فى أحواله فاذا نهض جد وبالغ وهذا المعنى كثير جدا قال أبو الطيب

وما قلت للبدر أنت اللجين ✽ ولا قلت للشمس أنت الذهب

فيقلق منه البعيد الاناة ✽ ويغضب منه البطىء الغضب

يعنى سيف الدولة ومن أمثالهم يريك الهوينا والامور تطير يضرب لمن ظاهره الاناة وباطنه ابرام الامور وتنفيذها والحاضرون لا يشعرون ويقولون ان هو كذلك وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب ووقع ذو الرياستين الى عامل له ان أسرع النار التهابا أسرعها خمودا فتأن فى أمرك ويقال ان آدم عليه السلام أوصى ولده عند موته فقال كل عمل تريدون أن تعملوه فتوقفوا فيه ساعة فانى لو توقفت لم يصبنى ما أصابنى وبعض الاعراب يوصى ولده اياكم والعجلة فان أبى كان يكنيها أم الندم وكان يقال من ورد عجلا صدر خجلا وقال ابن هانئ المغربى

وكل أناة فى المواطن سؤدد ✽ ولا كاناة من قدير محكم

ومن يتبين ان للصفح موضعا ✽ من السيف يصفح عن كثير ويحلم

وما الرأى الا بعد طول تثبت ✽ ولا الحزم الا بعد طول تلوم

وقوله عليه السلام بطىء القيام سريع اذا قام فيه شبه من قول الشنفرى

مسبل فى الحى أحوى رفل ✽ واذا يغزو فسمع أزل

ومن أمثالهم فى مدح الاناة وذم العجلة أخطأ مستعجل أو كاد وأصاب متثبت أو كاد ومنها وقد يكون مع المستعجل الزلل ومنها رب عجلة تهب ريثا وقال البحترى

حليم اذا القوم استخفت حلومهم * وقور اذا ما حادث الدهر أجلبا

قال الاحنف لرجل سبه فافرط ياهذا انك منذ اليوم تحدو بجمل ثقال وقال الشاعر

أحلامنا تزن الجبال رجاحة * وتخالنا جنا اذا ما نجهل

فاما قوله عليه السلام مكيث الكلام فان قلة الكلام من صفات المدح وكثرته من صفات الذم قالت جارية ابن السماك له ما أحسن كلامك لولا انك تكثر ترداده فقال اردده حتى يفهمه من لم يفهمه قالت فالى أن يفهمه من لم يفهمه قد مله من فهمه بعث عبد العزيز بن مروان بن الحكم الى ابن أخيه الوليد بن عبد الملك قطيفة حمراء وكتب اليه أما بعد فقد بعثت اليك بقطيفة حمراء حمراء حمراء فكتب اليه الوليد أما بعد فقد وصلت القطيفة وأنت ياعم أحمق أحمق أحمق وقال المعتضد لاحمد بن الطيب السرخسي طول لسانك دليل على قصر عقلك . قيل للعتابي ما البلاغة قال كل من أفهمك حاجته من غير اعادة ولا خلسة ولا استعانة فهو بليغ قيل له ما الاستعانة قال ألا ترى الرجل اذا حدث قال ياهناه واستمع الى وافهم وألست تفهم هذا كله عى وفساد . دخل على المأموم جماعة من بنى العباس فاستنطقهم فوجدهم لكثرة يسار وهيئة ومن تكلم منهم أكثر وهذر فكانت حاله أخس من حال الساكتين فقال ما أبين الخلة فى هؤلاء لا خلة الايدى بل خلة الالسنة والاحلام . وسئل على عليه السلام عن اللسان فقال معيار أطاشه الجهل وأرجحه العقل سمع خالد ابن صفوان مكثارا يتكلم فقال له ياهذا ليست البلاغة بخفة اللسان ولا بكثرة الهذيان ولكنها اصابة المعنى والقصد الى الحجة قال أبو سفيان بن حرب لعبد الله بن الزبعرى مالك لا تسهب فى شعرك قال حسبك من الشعر غرة لائحة أو وصمة فاضحة وفى خطبة كتاب البيان والتبيين لشيخنا أبى عثمان ونعوذ بك من شر السلاطة والهذر كما نعوذ بك من العى والحصر قال أحيحة بن الجلاح

والصمت أجمل بالفتى * مالم يكن عى يشينه

والقول ذو خطل اذا * مالم يكن لب يعينه

وقال الشاعر يرثى رجلا

لقد وارى المقابر من شريك * كثير تحلم وقليل عاب

صموتا فى المجالس غير عى * جديرا حين ينطق بالصواب

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يكره التشادق والاطالة والهذر وقال اياك والتشادق وقال صلى الله عليه وآله أبغضكم الى الثرثارون المتفيهقون وروى عمر بن عبيد رحمه الله تعالى عن النبى صلى الله عليه وآله انا معاشر الانبياء بكاؤن قليلوا الكلام رجل بكى على فعيل قال وكانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله وقيل للخليل وقد اجتمع بابن المقفع كيف رأيته فقال لسانه أرجح من عقله وقيل لابن المقفع كيف رأيت الخليل قال عقله أرجح من لسانه فكان عاقبتهما ان عاش الخليل مصونا مكرما وقتل ابن المقفع تلك القتلة وسأل حفص بن سالم عمر بن عبيد عن البلاغة فقال ما بلغك الجنة وباعدك عن النار وبصرك مواقع رشدك وعواقب غيك قال ليس عن هذا أسأل فقال كانوا يخافون من فتنة القول ومن سقطات الكلام ولا يخافون من فتنة السكوت وسقطات الصمت قال أبو عثمان الجاحظ وكان عمر بن عبيد رحمه الله تعالى لا يكاد يتكلم فان تكلم لم يكد يطيل وكان يقول لا خير فى المتكلم اذا كان كلامه لمن شهده دون نفسه واذا أطال المتكلم الكلام عرضت له أسباب التكلف ولا خير فى شئ يأتيك بالتكلف وقال بعض الشعراء

واذا خطبت على الرجال فلا تكن * خطل الكلام تقوله مختالا

واعلم بان من السكوت لبابة * ومن التكلف ما يكون خبالا

وكان يقال لسان العاقل من وراء قلبه فاذا أراد الكلام تفكر فان كان له قال وان كان عليه سكت وقلب الجاهل من وراء لسانه فان هم بالكلام تكلم به وقال سعد بن أبى وقاص لعمر وابنه حين نطق مع القوم فبذهم وقد كان غضب عليه فكلموه فى الرضا عنه هذا الذى أغضبنى عليه سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يكون قوم يأكلون الدنيا

بالسنتهم كما تلحس الارض البقر بالسنتها وقال معاوية لعمرو بن العاص فى أبى موسى قد ضم اليك رجل طويل اللسان قصير الرأى فأجد الحز وطبق المفصل ولا تلقه برأيك كله وكان يقال لو كان الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب وكان يقال مقتل الرجل بين فكيه وقيل بين لحييه وكان يقال ما شئ باحق بسجن من لسان وقالوا اللسان سبع عقور وأخذ أبو بكر بطرف لسانه وقال هذا الذى أوردنى الموارد لما أنكح ضرار بن عمرو ابنته من معبد بن زرارة أوصاها حين أخرجها اليه فقال أمسكى عليك الفضلين قالت وما هما قال فضل الغلمة وفضل الكلام وسأل اعرابى كان يجالس الشعبى عن طول صمته فقال أسمع فاعلم واسكت فاسلم وقال النبى صلى الله عليه وآله وهل يكب الناس فى النار على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم وتكلم رجل فى مجلس النبى صلى الله عليه وآله فخطل فى كلامه فقال عليه السلام ما أعطى العبد شرا من ذلاقة لسان قال عمر بن عبد العزيز يوم بويع بالخلافة لخالد بن عبد الله القسرى وقد أنشده متمثلا

واذا الدر زان حسن نحور * كان للدر حسن نحرك زينا

ان صاحبكم أعطى مقولا وحرم معقولا وقيل لاياس بن عمر ادع لنا فقال اللهم ارحمنا وعافنا وارزقنا فقالوا ازدنا يا أبا عبد الرحمن فقال أعوذ بالله من الاسهاب وكان القباع وهو الحرث بن عبد الله بن أبى ربيعة بن المغيرة المخزومى مسهابا سريع الحديث كثيره فقال فيه أبو الاسود الدؤلى

أمير المؤمنين جزيت خيرا * أرحنا من قباع بنى المغيرة

بلوناه ولمناه فاعيا * علينا ما يمر لنا مريره

على ان الفتى نكح أكول * ومسهاب مذاهبه كثيرة

وقال أبو العتاهية

كل امرئ فى نفسه * أعلى وأشرف من قرينه والصمت أجمل بالفتى * من منطق فى غير حينه

وقال الشاعر واياك اياك المراء فانه * الى الشر دعاء وللشر جالب

وكان يقال العجلة قيد الكلام أطال خطيب بين يدى الاسكندر فزبره وقال ليس حسن الخطبة على حسب طاقة الخاطب ولكن على حسب طاقة السامع أى . محمد الباقر عليه السلام انى لاكره يكون مقدار لسان الرجل فاضلا على مقدار علمه كما أكره أن يكون مقدار علمه فاضلا على مقدار عقله . أطال ربيعة الرأى الكلام وعنده أعرابى فلما فرغ من كلامه قال للاعرابى ما تعدون العى والفهاهة فيكم قال ما كنت فيه أصلحك الله منذ اليوم ومن كلام أمير المؤمنين عليه السلام اذا تم العقل نقص الكلام . واصل بن عطاء لان يقول الله لى يوم القيامة هلا قلت أحب الى من أن يقول لى لم قلت لانى اذا قلت طالبنى بالبرهان واذا سكت لم يطالبنى بشئ نزل النعمان بن المنذر برابية فقال له رجل من أصحابه أبيت اللعن لو ذبح رجل على رأس هذه الرابية الى أين كان يبلغ دمه فقال النعمان المذبوح والله أنت ولانظرن الى أين يبلغ دمك فذبحه فقال رجل رب كلمة تقول دعنى . أعرابى رب منطق صدع جمعا ورب سكوت شعب صدعا قالت امرأة لبعلها مالك اذا خرجت انطلقت وتحدثت واذا دخلت قعدت وسكت قال لانى أدق عن جليلك وتجلين عن دقيق النخعى كانوا يتعلمون السكوت كما يتعلمون الكلام على بن هشام

لعمرك ان الحلم زين لاهله * وما الحلم الا عادة وتحلم

اذا لم يكن صمت الفتى من بلادة * وعى فان الصمت أهدى وأسلم

وهيب بن الورد ان الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها فى الصمت والعاشر العزلة عن الناس مكث الربيع بن خثيم عشرين سنة لا يتكلم الى أن قتل الحسين عليه السلام فسمعت منه كلمة واحدة قال لما بلغه ذلك أوقد فعلوها ثم قال اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ثم عاد الى السكوت حتى مات الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب

زعم ابن سلمى ان حلمي ضرنى * ماضر قبلى أهله الحلم
انا أناس من سجيتهم * صدق الحديث ورأيهم حتم
لبسوا الحياء فان نظرت حسبتهم * سقموا ولم يمسسهم سقم
انى وجدت العدم أكبره * عدم العقول وذلك العدم
والمرء أكثر عيبه ضررا * خطل اللسان وصمته حكم

جاء في الحديث المرفوع عن النبي صلى الله عليه وآله اذا رأيتم المؤمن صموتا فادنوا منه فانه يلقى الحكمة. سفيان بن عيينة من حرم العلم فليصمت فان حرمهما فالموت خير له وكان يقال اذا طلبت صلاح قلبك فاستعن عليه بحفظ لسانك واعلم أن هذه الخطبة خطب بها أمير المؤمنين عليه السلام في الجمعة الثالثة من خلافته وكنى فيها عن حال نفسه وأعلمهم فيها انهم سيفارقونه ويفقدونه بعد اجتماعهم عليه وطاعتهم له وهكذا وقع الامر فانه نقل أن أهل العراق لم يكونوا أشد اجتماعا عليه من الشهر الذي قتل فيه عليه السلام وجاء في الاخبار أنه عقد للحسن ابنه عليه السلام على عشرة آلاف ولابي أيوب الانصاري على عشرة آلاف ولفلان وفلان حتى اجتمع له مائة ألف سيف وأخرج مقدمته أمامه يريد الشام فضربه اللعين ابن ملجم وكان من أمره ما كان وانفضت تلك الجموع وكانت كالغنم فقدت راعيها ومعنى قوله ألتتم له رقابكم أطعتموه ومعنى أشرتم اليه باصابعكم أعظمتموه وأجللتموه كالملك الذي يشار اليه بالاصبع ولا يخاطب باللسان ثم أخبرهم انهم يلبثون بعده ماشاء الله ولم يحدد ذلك بوقت معين ثم يطلع الله لهم من يجمعهم ويضمهم يعني من أهل البيت عليه السلام وهذا اشارة الى المهدي الذي يظهر في آخر الوقت وعند أصحابنا انه غير موجود الآن وسيوجد وعند الامامية أنه موجود الآن قوله عليه السلام فلا تطمعوا في غير مقبل ولا تيأسوا من مدبر ظاهر هذا الكلام متناقض وتأويله أنه نهاهم عن ان يطمعوا في صلاح أمورهم على يد رئيس غير مستأنف الرئاسة وهو معنى مقبل أي قادم تقول سوف أفعل كذا في الشهر المقبل وفي السنة المقبلة أي القادمة يقول كل الرئاسات التي تشاهدونها فلا تطمعوا في صلاح أموركم بشيء منها وانما تنصلح أموركم على يد رئيس يقدم عليكم مستأنف الرئاسة خامل الذكر ليس أبوه بخليفة ولا كان هو ولا أبوه مشهورين بينكم برئاسة بل يتبع ويعلو أمره ولم يكن قبل معروفا هو ولا أهله الادنون وهذه صفة المهدي الموعود به ومعنى قوله ولا تيأسوا من مدبر أي واذا مات هذا المهدي وخلفه بنوه بعده فاضطرب أمر أحدهم فلا تيأسوا وتتشككوا وتقولوا لعلنا أخطأنا في اتباع هؤلاء فان المضطرب الامر منا ستثبت دعائمه وتنتظم أموره واذا زلت احدى رجليه ثبتت الاخرى فثبتت الاولى أيضا ويروى فلا تطمعوا في عين مقبل أي لا تحاربوا أحدا منا ولا تيأسوا من اقبال من يدبر أمره منا ثم ذكر عليه السلام انهم كنجوم السماء كلما خوى نجم طلع نجم خوى مال للمغيب ثم وعدهم بقرب الفرج فقال ان تكامل صنائع الله عندكم ورؤية ما تأملونه أمر قد قرب وقته وكأنكم به وقد حضر وكان وهذا على نمط المواعيد الالهية بقيام الساعة فان الكتب المنزلة كلها صرحت بقربها وان كانت بعيدة عندنا الان البعيد في معلوم الله قريب وقد قال سبحانه انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا

(الاصل) ﴿ ومن خطبة له عليه السلام ﴾

(وهي من الخطب التي تشتمل على ذكر الملاحم)

الحَمْدُ لِلّهِ الأَوَّلِ قَبْلَ كُلِّ أَوَّلٍ * وَالآخِرِ بَعْدَ كُلِّ آخِرٍ * وَبِأَوَّلِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لاَ أَوَّلَ لَهُ * وَبِآخِرِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لاَ آخِرَ لَهُ

(الشرح) يقول الباري تعالى موجود قبل كل شيء يشير العقل اليه ويفرضه أول الموجودات وكذلك هو موجود بعد كل شيء يشير العقل اليه ويفرضه آخر ما يبقى من جميع الموجودات فان الباري سبحانه بالاعتبار الاول يكون أولا

قبل كل ما يفرض أولا وبالاعتبار الثاني يكون آخرا بعد كل ما يفرض آخرا فاما قوله باوليته وجب ان لا أول له الى آخر الكلام فيمكن أن يفسر على وجهين أحدهما أنه تعالى لما فرضناه أولا مطلقا تبع هذا الفرض أن يكون قديما أزليا وهو المعنى بقوله وجب ان لا أول له وانما تبعه ذلك لانه لو لم يكن أزليا لكان محدثا فكان له محدث والمحدث متقدم على المحدث لكنا فرضناه أولا مطلقا أي لا يتقدم عليه شيء فيلزم المحال والخلف وهكذا القول في آخريته لانا اذا فرضناه آخرا مطلقا تبع هذا الفرض أن يكون مستحيل العدم وهو المعنى بقوله وجب أن لا آخر له وانما تبعه ذلك لانه لو لم يستحل عدمه لصح عدمه ولكن كل صحيح وممكن فليفرض وقوعه لانه لا يلزم من فرض وقوعه محال مع فرضنا اياه صحيحا وممكنا لكن فرض تحقق عدمه محال لانه لو عدم لما عدم بعد استمرار الوجود به الا بضد لكن الضد المعدم يبقى بعد تحقق عدم الضد المعدوم لاستحالة أن يعدمه ويعدم معه في وقت واحد لانه لو كان وقت عدم الطارئ هو وقت عدم الضد المطر وعليه لامتنع عدم الضد المطر وعليه لان حال عدمه الذي هو الاثر المتجدد تكون العلة الموجبة للاثر معدومة والمعدوم يستحيل أن يكون مؤثرا ألبتة فثبت ان الضد الطارئ لا بد أن يبقى بعد عدم المطر وعليه ولو وقتا واحدا لكن بقاؤه بعده ولو وقتا واحدا يناقض فرضنا كون المطر وعليه آخرا مطلقا لان الضد الطارئ قد بقي بعده فيلزم من الخلف والمحال ما لزم في المسئلة الاولى والتفسير الثاني أن لا تكون الضمائر الاربعة راجعة الى الباري سبحانه بل يكون منها ضميران راجعان الى غيره ويكون تقدير الكلام باولية الاول الذي فرضنا كون الباري سابقا عليه علمنا أن الباري لا أول له وبآخرية الآخر الذي فرضنا ان الباري متأخر عنه علمنا أن الباري لا آخر له وانما علمنا ذلك لانه لو كان سبحانه أولا لاول الموجودات وله مع ذلك أول لزم التسلسل واثبات محدثين ومحدثين الى غير نهاية وهذا محال ولو كان سبحانه آخر الآخر الموجودات وله مع ذلك آخر لزم التسلسل واثبات اضداد تعدم ويعدمها غيرها الى غير نهاية وهذا أيضا محال

(الاصل) وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ الاَّ اللّهُ شَهَادَةً يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الإِعْلاَنَ * وَالقَلْبُ اللِّسَانَ أَيُّهَا النَّاسُ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي * وَلاَ يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ عِصْيَانِي * وَلاَ تَتَرَامَوْا بِالأَبْصَارِ عِنْدَ مَا تَسْمَعُونَهُ مِنِّي * فَوَالَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ * وَبَرَأَ النَّسَمَةَ * إِنَّ الَّذِي أُنَبِّئُكُمْ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ * وَاللّهِ مَا كَذَبَ المُبَلِّغُ وَلاَ جَهِلَ السَّامِعُ * لَكَأَنِّي أَنْظُرُ الَى ضِلِّيلٍ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ * وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ * فَإِذَا فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ * وَاشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ * وَثَقُلَتْ فِي الأَرْضِ وَطْأَتُهُ * عَضَّتِ الفِتْنَةُ أَبْنَاءَهَا بِأَنْيَابِهَا * وَمَاجَتِ الحَرْبُ بِأَمْوَاجِهَا * وَبَدَا مِنَ الأَيَّامِ كُلُوحُهَا * وَمِنَ اللَّيَالِي كُدُوحُهَا * فَإِذَا أَيْنَعَ زَرْعُهُ وَقَامَ عَلَى يَنْعِهِ * وَهَدَرَتْ شَقَاشِقُهُ * وَبَرَقَتْ بَوَارِقُهُ * عُقِدَتْ رَايَاتُ الفِتَنِ المُعْضِلَةِ * وَأَقْبَلْنَ كَاللَّيْلِ المُظْلِمِ * وَالبَحْرِ المُلْتَطِمِ * هَذَا وَكَمْ يَخْرِقُ الكُوفَةَ مِنْ قَاصِفٍ * وَيَمُرُّ عَلَيْهَا مِنْ عَاصِفٍ * وَعَنْ قَلِيلٍ تَلْتَفُّ القُرُونُ بِالقُرُونِ * وَيُحْصَدُ القَائِمُ وَيُحْطَمُ المَحْصُودُ

(الشرح) في الكلام محذوف وتقديره لا يجرمنكم شقاقي على ان تكذبوني والمفعول فضلة وحذفه كثير نحو

قوله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر بحذف العائد الى الموصول ومنها قوله سبحانه لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم أى من رحمه ولا بد من تقدير العائد الى الموصول وقد قرئ قوله وما عملته أيديهم وما عملت أيديهم بحذف المفعول لا يجرمنكم لا يحملنكم وقيل لا يكسبنكم وهو من الالفاظ القرآنية ولا يستهوينكم أى لا يستهيمنكم يجعلكم هائمين ولا تتراموا بالابصار أى لا يلحظ بعضكم بعضا فعل المنكر المكذب ثم اقسم بالذى فلق الحبة وبرأ النسمة فلق الحبة من البر أى شقها وأخرج منها الورق الاخضر قال تعالى ان الله فالق الحب والنوى وبرأ النسمة أى خلق الانسان وهذا القسم لا يزال أمير المؤمنين يقسم به وهو من مبتكراته ومبتدعاته والمبلغ والسامع هو نفسه عليه السلام يقول ما كذبت على الرسول تعمدا ولا جهلت ما قاله فانقل عنه غلطا والضليل الكثير الضلال كالشريب والفسيق ونحوهما وهذا كناية عن عبد الملك بن مروان لان هذه الصفات والأمارات فيه أتم منها فى غيره لانه قام بالشام حين دعا الى نفسه وهو معنى نعيقه وفحصت راياته بالكوفة تارة حين شخص بنفسه الى العراق وقتل مصعبا وتارة لما استخلف الامراء على الكوفة كبشر بن مروان أخيه وغيره حتى انتهى الامر الى الحجاج وهو زمان اشتداد شكيمة عبد الملك وثقل وطأته وحينئذ صعب الامر جدا وتفاقمت الفتن مع الخوارج وعبد الرحمن بن الاشعث فلما كمل أمر عبد الملك وهو معنى أينع زرعه هلك وعقدت رايات الفتن المعضلة من بعده كحروب أولاده مع بنى المهلب وكحروبهم مع زيد بن على عليه السلام وكالفتن الكائنة بالكوفة أيام يوسف بن عمر وخالد القسرى وعمر بن هبيرة وغيرهم وما جرى فيها من الظلم واستئصال الاموال وذهاب النفوس وقد قيل انه كنى عن معاوية وما حدث فى أيامه من الفتن وما حدث بعده من فتنة يزيد وعبيد الله بن زياد وواقعة الحسين عليه السلام والاول أرجح لان معاوية فى أيام أمير المؤمنين عليه السلام كان قد نعق بالشام ودعاهم الى نفسه والكلام يدل على انسان ينعق فيما بعد ألا تراه يقول لكأنى أنظر الى ضليل قد نعق بالشام ثم نعود الى تفسير الالفاظ والغريب النعيق صوت الراعى بغنمه وفحص براياته من قولهم ماله مفحص قطاة أى مجثمها كانهم جعلوا ضواحى الكوفة مفحصا ومجثما لراياتهم وكوفان اسم الكوفة والكوفة فى الاصل اسم الرملة الحمراء وبها سميت الكوفة وضواحيها نواحيها القريبة منها البارزة عنها يريد رستاقها وفغرت فاغرته فتح فاه وهذا من باب الاستعارة أى اذا فتك فتح فاه وقتل كما يفتح الاسد فاه عند الافتراس والتأنيث للفتنة والشكيمة فى الاصل حديدة معترضة فى اللجام فى فم الدابة ثم قالوا فلان شديد الشكيمة اذا كان شديد المراس شديد النفس عسر الانقياد وثقلت وطأته عظم جوره وظلمه وكلوح الايام عبوسها والكدوح الآثار من الجراحات والقروح الواحد الكدح أى الخدش والمراد من قوله الايام ثم قال ومن الليالى ان هذه الفتنة مستمرة الزمان كله لان الزمان ليس الا النهار والليل وأينع الزرع أدرك ونضج وهو الينع والينع بالفتح والضم مثل النضج والنضح ويجوز ينع الزرع بغير همز ينع ينوعا ولم تسقط الياء فى المضارع لانها تقوت باختها وزرع ينيع ويانع مثل نضيج وناضج وقد روى أيضا هذا الموضع بحذف الهمز قوله عليه السلام وقام على ينعه الاحسن أن يكون ينع ههنا جمع يانع كصاحب وصحب ذكر ذلك ابن كيسان ويجوز أن يكون أراد المصدر أى وقام على صفة وحالة هى نضجه وادراكه وهدرت شقاشقه قد مر تفسيره فى الشقشقية وبرقت بوارقه سيوفه ورماحه والمعضلة العسرة العلاج داء معضل ويخرق الكوفة يقطعها والقاصف الريح القوية تتكسر كل ما تمر عليه وتقصفه ثم وعد عليه السلام بظهور دولة أخرى فقال وعن قليل تلتف القرون بالقرون وهذا كناية عن الدولة العباسية التى ظهرت على دولة بنى أمية والقرون الاجيال من الناس واحدها قرن بالفتح ويحصد القائم ويحطم المحصود كناية عن قتل الامراء من بنى أمية فى الحرب ثم قتل المأسورين منهم صبرا فحصد القائم قتل المحاربة وحطم الحصيد القتل صبرا وهكذا وقعت الحال مع عبد الله بن على وأبى العباس السفاح

(الاصل) ﴿ ومن خطبة له عليه السلام تجرى هذا المجرى ﴾

وَذَلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ اللهُ فِيهِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ لِنِقَاشِ الْحِسَابِ وَجَزَاءِ الأَعْمالِ خُضُوعاً

قِياماً قَدْ أَلْجَمَهُمُ الْعَرَقُ * وَرَجَفَتْ بِهِمُ الأَرْضُ * فَأَحْسَنُهُمْ حالاً مَنْ وَجَدَ لِقَدَمَيْهِ مَوْضِعاً * وَلِنَفْسِهِ مُتَّسَعاً

(الشرح) هذا شرح حال يوم القيامة والنقاش مصدر ناقش أى استقصى فى الحساب وفى الحديث من نوقش الحساب عذب وألجمهم العرق سال منهم حتى بلغ الى موضع اللجام من الدابة وهو الفم ورجفت بهم تحركت واضطربت رجف يرجف بالضم والرجفة الزلزلة والرجاف من أسماء البحر سمى بذلك لاضطرابه ثم وصف الزحام الشديد الذى يكون هناك فقال أحسن الناس حالا هناك من وجد لقدميه موضعا ومن وجد مكانا يسعه

(الاصل) (وَمِنها) فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ * لاَ تَقُومُ لَها قائِمَةٌ * وَلاَ تُرَدُّ لَها رَايَةٌ * تَأْتِيكُمْ مَزْمُومَةً مَرْحُولَةً يَحْفِزُها قائِدُها * وَيُجْهِدُها رَاكِبُها * أَهْلُها قَوْمٌ شَدِيدٌ كَلَبُهُمْ * قَلِيلٌ سَلَبُهُمْ * يُجاهِدُهُمْ فِي اللهِ قَوْمٌ أَذِلَّةٌ عِنْدَ الْمُتَكَبِّرِينَ * فِي الأَرْضِ مَجْهُولُونَ * وَفِي السَّماءِ مَعْرُوفُونَ * فَوَيْلٌ لَكِ يا بَصْرَةُ عِنْدَ ذَلِكِ مِنْ جَيْشٍ مِنْ نِقَمِ اللهِ لاَ رَهَجَ لَهُ وَلاَ حِسٌّ وَسَيُبْتَلَى أَهْلُكِ بِالْمَوْتِ الأَحْمَرِ وَالْجُوعِ الأَغْبَرِ

(الشرح) قطع الليل جمع قطع وهو الظلمة قال تعالى فاسر باهلك بقطع من الليل قوله لا تقوم لها قائمة أى لا تنهض بحربها فئة ناهضة أو لا تقوم لتلك الفتن قائمة من قوائم الخيل يعنى لا سبيل الى قتال أهلها ولا يقوم لها قلعة قائمة أو بنية قائمة بل تنهدم قوله ولا يرد لها راية أى لا تنهزم ولا تفر لانها اذا فرت فقد ردت على أعقابها قوله مزمومة مرحولة أى تامة الادوات كاملة الآلات كالناقة التى عليها رحلها وزمامها فقد استعدت لان تركب يحفزها يدفعها ويجهدها يحمل عليها فى السير فوق طاقتها جهدت دابتى بالفتح ويجوز أجهدت والمراد ان أرباب تلك الفتن يجتهدون ويجدون فى اضرام نارها رجالا وفرسانا فالرجل كنى عنهم بالقائد والفرسان كنى عنهم بالراكب والكلب الشدة من البرد وغيره ومثله الكلبة وقد كلب الشتاء وكلب القحط وكلب العدو والكلب أيضا الشر دفعت عنك كلب فلان أى شره وأذاه قوله قليل سلبهم أى همهم القتل لا السلب كما قال أبو تمام

ان الاسود أسود الغاب همتها * يوم الكريهة فى المسلوب لا السلب

ثم ذكر عليه السلام ان هؤلاء أرباب الفتن يجاهدهم قوم أذلة كما قال الله تعالى أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وذلك من صفات المؤمنين ثم قال هم مجهولون عند أهل الارض لخمولهم قبل هذا الجهاد ولكنهم معروفون عند أهل السماء وهذا انذار بملحمة تجرى فى آخر الزمان وقد أخبر النبى صلى الله عليه وآله بنحو ذلك وقد فسر هذا الفصل قوم وقالوا انه أشار به الى الملائكة لانهم مجهولون فى الارض معروفون فى السماء واعتذروا عن لفظة قوم فقالوا يجوز أن يقال فى الملائكة قوم كما قيل فى الجن قوم قال سبحانه فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين الا ان لفظ أذلة عند المتكبرين يبعد هذا التفسير ثم أخبر بهلاك البصرة بجيش من نقم الله لا رهج له ولا حس الرهج الغبار وكنى بهذا الجيش عن جدب وطاعون يصيب أهلها حتى يبيدهم والموت الاحمر كناية عن الوباء والجوع الاغبر كناية عن المحل وسمى الموت الاحمر لشدته ومنه الحديث كنا اذا احمر البأس اتقينا برسول الله ووصف الجوع بانه أغبر لان الجائع يرى الآفاق كان عليها غبرة وظلاما وفسر قوم هذا الكلام بواقعة صاحب الزنج وهو بعيد لان جيشه كان ذا حس ورهج ولانه أنذر البصرة بهذا الجيش عند حدوث تلك الفتن ألا تراه قال فويل لك يا بصرة عند ذلك ولم يكن قبل خروج صاحب الزنج فتن شديدة على الصفات التى ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام

(الاصل) ﴿ ومن خطبة له عليه السلام ﴾

أُنظُرُوا الى الدُّنيا نَظَرَ الزّاهِدِينَ فِيها * الصّادِفِينَ عَنْها * فإنَّها وَاللهِ عمّا قَلِيلٍ تُزِيلُ الثّاوِيَ السّاكِنَ * وَتَفجَعُ المُترَفَ الآمِنَ * لا يَرجِعُ ما تَوَلّى مِنها فَأَدبَرَ * وَلا يُدرَى ما هُوَ آتٍ مِنها فَيُنتَظَرَ * سُرُورُها مَشُوبٌ بِالحُزنِ * وَجَلَدُ الرِّجالِ فِيها الى الضَّعفِ وَالوَهَنِ * فَلا يَغُرَّنَّكُم كَثرَةُ ما يُعجِبُكُم فِيها * لِقِلَّةِ ما يَصحَبُكُم مِنها رَحِمَ اللهُ امرَأً تَفَكَّرَ فاعتَبَرَ * وَاعتَبَرَ فَأَبصَرَ * فَكَأَنَّ ما هُوَ كائِنٌ مِنَ الدُّنيا عَن قَلِيلٍ لَم يَكُن * وكَأَنَّ ما هُوَ كائِنٌ مِنَ الآخِرَةِ عَمّا قَلِيلٍ لَم يَزَل * وكُلُّ مَعدُودٍ مُنقَضٍ * وكُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ وكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ دانٍ

(الشرح) الصادفين عنها أى المعرضين وامرأة صدوف التى تعرض وجهها عليك ثم تصدف عنك وعما قليل عن قليل وما زائدة والثاوى المقيم ثوى يثوى ثواء وثويا مثل مضى يمضى مضاء ومضيا ويجوز ثويت بالبصرة وثويت البصرة وجاء أثويت بالمكان لغة فى ثويت قال الاعشى

أثوى وقصر ليله ليزودا * فمضت واخلف من قتيلة موعدا

والمترف الذى قد أترفته النعمة أى أطغته يقول عليه السلام لا يعود على الناس ما أدبر وتولى عنهم من أحوالهم الماضية كالشباب والقوة ولا يعلم حال المستقبل من صحة أو مرض أو حياة أو موت لينتظر وينظر الى هذا المعنى قول الشاعر

وأضيع العمر لا الماضى انتفعت به * ولا حصلت على علم من الباقى

ومشوب مخلوط شبته أشوبه فهو مشوب وجاء مشيب فى قول الشاعر * وماء قدور فى القصاع مشيب * فبناه على شيب لم يسم فاعله وفى المثل هو يشوب ويروب يضرب لمن يخلط فى القول أو العمل والجلد الصلابة والقوة والوهن الضعف نفسه وانما عطف للتأكيد كقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقوله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب ثم نهى عن الاغترار بكثرة العجب من الدنيا وعلل حسن هذا النهى أو قبح الاغترار بما نشاهده عيانا من قلة ما يصحب مفارقيها منها وقال الشاعر

فما تزود مما كان يجمعه * الا حنوطا غداة البين فى خرق

وغير نفحة اعواد شببن له * وقل ذلك من زاد لمنطلق

ثم جعل التفكر علة الاعتبار وجعل الاعتبار علة الابصار وهذا حق لان الفكر يوجب الاتعاظ والاتعاظ يوجب الكشف والمشاهدة بالبصيرة التى نورها الاتعاظ ثم ذكران ما هو كائن وموجود من الدنيا سيصير عن قليل أى بعد زمان قصير معدوما والزمان القصير ههنا انقضاء الاجل وحضور الموت ثم قال ان الذى هو كائن وموجود من الآخرة سيصير عن قليل أى بعد زمان قصير أيضا كأنه لم يزل والزمان القصير ههنا هو حضور القيامة وهى وان كانت تأتى بعد زمان طويل الا ان الميت لا يحس بطوله ولا فرق بين ألف ألف سنة عنده اذا عاد حيا وبين يوم واحد لان الشعور بالبطء فى الزمان مشروط بالعلم بالحركة ويدل على ذلك حال النائم ثم قال كل معدود منقض وهذا تنبيه بطريق الاستدلال النظرى على ان الدنيا زائلة ومتصرمة وقد استدل المتكلمون بهذا على ان حركات الفلك يستحيل أن لا يكون لها أول فقالوا لانها داخلة تحت العدد وكل معدود يستحيل أن يكون غير متناه والكلام فى هذا مذكور فى كتبنا العقلية ثم ذكر ان كل ما يتوقع لابد أن يأتى وكل ما سيأتى فهو قريب وكأنه قد أتى وهذا مثل قول قس بن ساعدة الايادى مالى أرى

الناس يذهبون ثم لا يرجعون أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا هناك فناموا أقسم قس قسما ان فى السماء لخبرا وان فى الارض لعبرا سقف مرفوع ومهاد موضوع ونجوم تمور وبحار لا تغور اسمعوا أيها الناس وعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت

(الاصل) (منها) العالِمُ مَن عَرَفَ قَدرَهُ * وكَفَى بِالمَرءِ جَهلاً أَن لا يَعرِفَ قَدرَهُ * وَإِنَّ مِن أَبغَضِ الرِّجالِ إِلَى اللهِ تَعالَى لَعَبداً وَكَلَهُ اللهُ إِلَى نَفسِهِ * جائِراً عَن قَصدِ السَّبِيلِ * سائِراً بِغَيرِ دَلِيلٍ * إِن دُعِيَ إِلى حَرثِ الدُّنيا عَمِلَ * وَإِن دُعِيَ إِلى حَرثِ الآخِرَةِ كَسِلَ كَأَنَّ ما عَمِلَ لَهُ واجِبٌ عَلَيهِ * وَكَأَنَّ ما وَنَى فِيهِ ساقِطٌ عَنهُ

(الشرح) قوله عليه السلام العالم من عرف قدره من الامثال المشهورة عنه عليه السلام وقد قال الناس بعده فى ذلك فأكثروا نحو قولهم اذا جهلت قدر نفسك فأنت لقدر غيرك أجهل ونحو قولهم من لم يعرف قدر نفسه فالناس أعذر منه اذا لم يعرفوه ونحو قول الشاعر أبى الطيب

ومن جهلت نفسه قدره * رأى غيره منه ما لا يرى

ثم عبر عن هذا المعنى بعبارة أخرى فصارت مثلا أيضا وهى قوله كفى بالمرء جهلا أن لا يعرف قدره ومن الكلام المروى عن أبى عبد الله الصادق عليه السلام مرفوعا ما هلك امرؤ عرف قدره رواه أبو العباس المبرد عنه فى الكامل قال ثم قال أبو عبد الله عليه السلام وما اخال رجلا يرفع نفسه فوق قدرها الا من خلل فى عقله وروى صاحب الكامل أيضا عن أبى جعفر الباقر عليه السلام قال لما حضرت الوفاة على بن الحسين عليه السلام أبى ضمنى الى صدره ثم قال يا بنى أوصيك بما أوصانى به أبى يوم قتل وبما ذكر لى ان أباه عليا عليه السلام أوصاه به يا بنى عليك بذل نفسك فانه لا يسر أباك بذل نفسه حمر النعم وكان يقال من عرف قدره استراح وفى الحديث المرفوع ما رفع امرؤ نفسه فى الدنيا درجة الا حطه الله تعالى فى الآخرة درجات وكان يقال من رضى عن نفسه كثر الساخطون عليه ثم ذكر عليه السلام ان من أبغض البشر الى الله عبدا وكله الله الى نفسه أى لم يمده بمعونته وألطافه لعلمه انه لا ينجع ذلك فيه وانه لا ينجذب الى الخير والطاعة ولا يؤثر شيء ما فى تحريك دواعيه اليها فيكله الله حينئذ الى نفسه والجائر العادل عن السمت ولما كان هذا الشقى خابطا فيما يعتقده ويذهب اليه مستندا الى الجهل وفساد النظر جعله كالسائر بغير دليل والحرث ههنا كل ما يفعل ليثمر فائدة فحرث الدنيا كالتجارة والزراعة وحرث الآخرة فعل الطاعات واجتناب المقبحات والمعاصى وسمى حرثا على جهة المجاز تشبيها بحرث الارض وهو من الالفاظ القرآنية وكسل الرجل بكسر السين يكسل أى يتثاقل عن الامور فهو كسلان وقوم كسالى وكسالى بالفتح والضم قال عليه السلام حتى كأن ما عمله من أمور الدنيا هو الواجب عليه لحرصه وجده فيه وكأن ما ونى عنه أى فتر فيه من أمور الآخرة ساقط عنه وغير واجب عليه لاهماله وتقصيره فيه

(الاصل) (مِنها) وذَلِكَ زَمانٌ لا يَنجُو فِيهِ إِلّا كُلُّ مُؤمِنٍ نُوَمَةٍ * إِن شَهِدَ لَم يُعرَف وَإِن غابَ لَم يُفتَقَد أُولئِكَ مَصابِيحُ الهُدَى وَأَعلامُ السُّرَى * لَيسُوا بِالمَسايِيحِ وَلا المَذايِيعِ البُذُرِ أُولئِكَ يَفتَحُ اللهُ لَهُم أَبوابَ رَحمَتِهِ * وَيَكشِفُ عَنهُم ضَرّاءَ نِقمَتِهِ أَيُّها النّاسُ سَيَأتِي عَلَيكُم زَمانٌ يُكفَأُ فِيهِ الإِسلامُ كَما يُكفَأُ الإِناءُ بِما فِيهِ * أَيُّها النّاسُ إِنَّ اللهَ قَد أَعاذَكُم مِن أَن يَجُورَ عَلَيكُم وَلَم يُعِذكُم مِن أَن يَبتَلِيَكُم * وَقَد قالَ جَلَّ

مِنْ قائلٍ (إنَّ في ذَلِكَ لآياتٍ وَإنْ كُنّا لَمُبْتَلِينَ) (قال الرضى رحمه الله تعالى) أمّا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلامُ (كُلُّ مُؤْمِنٍ نُوَمَةٍ) فَإنَّما أرادَ بِهِ الخامِلَ الذِّكْرِ القَلِيلَ الشَّرِّ وَالمَساييحُ جَمْعُ مِسْياحٍ وَهُوَ الَّذِي يَسِيحُ بَيْنَ النّاسِ بِالفَسادِ وَالنَّمائِمِ * وَالمَذاييعُ جَمْعُ مِذْياعٍ * وَهُوَ الَّذِي إذا سَمِعَ لِغَيْرِهِ بِفاحِشَةٍ أذاعَها وَنَوَّهَ بِها وَالبُذُرُ جَمْعُ بَذُورٍ وَهُوَ الَّذِي يَكْثُرُ سَفَهُهُ وَيَلْغُو مَنْطِقُهُ

(الشرح) شهد حضر وكفأت الاناء أي قلبته وكببته وقال ابن الاعرابي يجوز أكفأته أيضا والبذر جمع بذور مثل صبور وصبر وهو الذي يذيع الاسرار وليس كما قال الرضى رحمه الله تعالى فقد يكون الانسان بذورا وان لم يكثر سفهه ولم يلغ منطقه بان يكون علنة مذياعا من غير سفه ولا لغو والضراء الشدة ومثلها البأساء وهما اسمان مؤنثان من غير تذكير وأجاز الفراء أن يجمع على آضر وأبؤس كما يجمع النعماء على أنعم * واعلم انه قد جاء في التواضع وهضم النفس شئ كثير ومن ذلك الحديث المرفوع من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر على الله وضعه الله ويقال ان الله تعالى قال لموسى انما كلمتك لان في أخلاقك خلقا أحبه وهو التواضع ورأى محمد بن واسع ابنه يمشي الخيلاء فناداه فقال ويلك أتمشي هذه المشية وأبوك أبوك وأمك أمك أما أمك فامة ابتعتها بمائتي درهم وأما أبوك فلا كثر الله في الناس مثله ومثل قوله عليه السلام كل مؤمن نومة ان شهد لم يعرف وان غاب لم يفتقد قول رسول الله صلى الله عليه وآله رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لابر قسمه وقال عمر لابنه عبد الله التمس الرفعة بالتواضع والشرف بالدين والعفو عن الله بالعفو عن الناس واياك والخيلاء فتضع من نفسك ولا تحقرن أحدا فانك لا تدري لعل من تزدريه عيناك أقرب الى الله وسيلة منك وقال الاحنف عجبت لمن جرى في مجرى البول مرتين من فرجين كيف يتكبر * وقد جاء في كلام رسول الله صلى الله عليه وآله ما يناسب كلام أمير المؤمنين عليه السلام هذا ان الله يحب الاخفياء الاتقياء الابرياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة وأما افشاء السر واذاعته فقد ورد فيه أيضا ما يكثر ولو لم يرد فيه الا قوله سبحانه ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم لكفى وفي الحديث المرفوع من أكل باخيه أكلة أطعمه الله مثلها من نار جهنم قيل في تفسيره هو أن يسعى باخيه ويجر نفعا بسعايته * الجنيد ستر ما عاينت أحسن من اشاعة ما ظننت * عبد الرحمن بن عوف من سمع بفاحشة فافشاها فهو كالذي أتاها قال رجل لعمرو بن عبيد ان عليا الاسواري لم يزل منذ اليوم يذكرك بسوء ويقول الضال فقال عمرو يا هذا ما رعيت حق مجالسة الرجل حين نقلت الينا حديثه ولا وفيتني حقي حين أبلغتني عن أخي ما أكرهه اعلم ان الموت يعمنا والبعث يحشرنا والقيامة تجمعنا والله يحكم بيننا وكان يقال من نم اليك نم عليك وقالوا في السعاة يكفيك ان الصدق محمود الا منهم وان أصدقهم أخبثهم وشى واش برجل الى الاسكندر فقال له أتحب أن أقبل منك ما قلت فيه على ان أقبل منه ما قال فيك قال لا قال فكف عن الشر يكف عنك * قال رجل لفيلسوف عابك فلان بكذا قال لقيتني لقحتك بما لم يلقني به لحيائه * عاب مصعب بن الزبير الاحنف عن شئ بلغه عنه فانكره فقال أخبرني بذلك الثقة فقال كلا أيها الامير ان الثقة لا ينم * عرض بعض عمال الفضل بن سهل عليه رقعة ساع في طي كتاب كتبه اليه فوقع الفضل قبول السعاية شر من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على قبيح كمن أجازه وعمل به فاطرد هذا الساعي عن عملك واقصه عن بابك فانه لو لم يكن في سعايته كاذبا لكان في صدقه لئيما اذ لم يرع الحرمة ولم يستر العورة والسلام * صالح بن عبد القدوس

من يخبرك بشتم عن أخ * فهو الشاتم لا من شتمك

ذاك شئ لم يواجهك به * انما اللوم على من أعلمك

كيف لم ينصرك ان كان أخا * ذا حفاظ عند من قد ظلمك

طريح بن اسمعيل الثقفي

ان يعلموا الخير يخفوه وان علموا * شرا أذاعوا وان لم يعلموا كذبوا

ومعنى قوله عليه السلام وان غاب لم يفتقد أي لا يقال ما صنع فلان ولا أين هو أي هو خامل الذكر لا يعرف وقوله أولئك يفتح الله بهم أبواب الرحمة ويكشف بهم ضراء النقمة وروى أولئك يفتح الله بهم أبواب رحمته ويكشف بهم ضراء نقمته أي ببركاتهم يكون الخير ويندفع الشر ثم ذكر عليه السلام انه سيأتي على الناس زمان تنقلب فيه الامور الدينية الى اضدادها ونقائضها وقد شهدنا ذلك عيانا ثم أخبر عليه السلام ان الله لا يجور على العباد لانه تعالى عادل ولا يظلم ولكنه يبتلي عباده أي يختبرهم ثم تلا قوله تعالى ان في ذلك لآيات وان كنا لمبتلين والمراد انه تعالى اذا فسد الناس لا يلجئهم الى الصلاح لكن يتركهم واختيارهم امتحانا لهم فمن أحسن أثيب ومن أساء عوقب

(الاصل) ﴿ومن خطبة له عليه السلام﴾

أمّا بَعْدُ فَإنَّ اللهَ سُبْحانَهُ وَتَعالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَيْسَ أحَدٌ مِنَ العَرَبِ يَقْرَأُ كِتابًا * وَلا يَدَّعِي نُبُوَّةً وَلا وَحْيًا فَقاتَلَ بِمَنْ أطاعَهُ مَنْ عَصاهُ يَسُوقُهُمْ إلَى مَنْجاتِهِمْ وَيُبادِرُ بِهِمُ السّاعَةَ أنْ تَنْزِلَ بِهِمْ يَحْسَرُ الحَسِيرُ * وَيَقِفُ الكَسِيرُ * فَيُقِيمُ عَلَيْهِ حَتَّى يُلْحِقَهُ غايَتَهُ * إلّا هالِكًا لا خَيْرَ فِيهِ * حَتَّى أراهُمْ مَنْجاتَهُمْ وَبَوَّأهُمْ مَحَلَّتَهُمْ * فاسْتَدارَتْ رَحاهُمْ * وَاسْتَقامَتْ قَناتُهُمْ * وَايْمُ اللهِ لَقَدْ كُنْتُ مِنْ ساقَتِها حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذافِيرِها * وَاسْتَوْسَقَتْ فِي قِيادِها * ما ضَعُفْتُ وَلا جَبُنْتُ * وَلا خُنْتُ وَلا وَهَنْتُ * وَايْمُ اللهِ لأَبْقُرَنَّ الباطِلَ حَتَّى أُخْرِجَ الحَقَّ مِنْ خاصِرَتِهِ (قال الرضي رحمه الله تعالى) وقد تقدم مختار هذه الخطبة الا أنني وجدتها في هذه الرواية على خلاف ما سبق من زيادة ونقصان فأوجبت الحال اثباتها ثانية

(الشرح) لقائل أن يقول ألم يكن في العرب نبي قبل محمد وهو خالد بن سنان العبسي وأيضا فقد كان فيها هود وصالح وشعيب ونجيب هذا القائل بان مراده عليه السلام انه لم يكن في زمان محمد صلى الله عليه وآله وما قاربه من ادعى النبوة فاما هود وصالح وشعيب فكانوا في دهر قديم جدا وأما خالد بن سنان فلم يكن يقرأ كتابا ولا يدعي شريعة وانما كانت نبوة مشابهة لنبوة جماعة من أنبياء بني اسرائيل الذين لم يكن لهم كتب ولا شرائع وانما ينهون عن الشرك ويأمرون بالتوحيد ومنجاتهم نجاتهم نجوت من كذا نجاء ممدود ونجا مقصور ومنجاة على مفعلة ومنه قولهم الصدق منجاة قوله عليه السلام ويبادر بهم الساعة كانه كان يخاف ان تسبقه القيامة فهو مبادرها بهدايتهم وارشادهم قبل أن تقوم وهم على ضلالهم والحسير المعيا حسر البعير بالفتح يحسر بالكسر حسورا واستحسر مثله وحسرته أنا يتعدى ولا يتعدى حسرا فهو حسير ويجوز أحسرته بالهمزة والجمع حسرى مثل قتيل وقتلى ومنه

حسير البصر أي كل يحسر قال تعالى ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير وهذا الكلام من باب الاستعارة والمجاز
يقول عليه السلام كان النبي صلى الله عليه وآله لحرصه على الاسلام واشفاقه على المسلمين ورأفته بهم يلاحظ حال من
تزلزل اعتقاده أو عرضت له شبهة أو حدث عنده ريب ولا يزال يوضح له ويرشده حتى يزيل ما خامر سره من وساوس
الشيطان ويلحقه بالخلصين من المؤمنين ولم يكن ليقصر في مراعاة أحد من المكلفين في هذا المعنى الا من كان يعلم
انه لا خير فيه أصلا لعناده واصراره على الباطل ومكابرته للحق ومعنى قوله حتى يلحقه غايته حتى يوصله الى الغاية التي
هي الغرض بالتكليف يعني اعتقاد الحق وسكون النفس الى الاسلام وهو أيضا معنى قوله وبوأهم محلتهم ومعنى قوله
فاستدارت رحاهم انتظم أمرهم لان الرحا انما تدور اذا تكاملت أدواتها وآلاتها كلها وهو أيضا معنى قوله واستقامت
قناتهم وكل هذا من باب الاستعارة ثم أقسم أنه عليه السلام كان من ساقتها الساقة جمع سائق كقادة جمع قائد وحاكة
جمع حائك وهذا الضمير المؤنث يرجع الى غير مذكور لفظا والمراد الجاهلية كأنها جعلها مثل كتيبة مصادمة لكتيبة
الاسلام وجعل نفسه من الحاملين عليها بسيفه حتى فرت وأدبرت واتبعها يسوقها سوقا وهي مولية بين يديه حتى أدبرت
بحذافيرها أي كلها من آخرها ثم أتى بضمير آخر الى غير مذكور لفظا وهو قوله واستوسقت في قيادها يعني الملة الاسلامية
أو الدعوة أو ما يجري هذا المجرى واستوسقت اجتمعت يقول لما ولت تلك الدعوة الجاهلية استوسقت هذه في قيادها
كما تستوسق الابل المقودة الى أعطانها ويجوز أن يعود هذا الضمير الثاني الى المذكور الاول وهو الجاهلية أي ولت
بحذافيرها واجتمعت كلها تحت ذل المقادة ثم أقسم انه ما ضعف يومئذ ولا وهن ولا جبن ولا خان وليبقرن الباطل الآن
حتى يخرج الحق من خاصرته كأنه جعل الباطل كالشيء المشتمل على الحق غالبا عليه ومحيطا به فاذا بقر ظهر الحق
الكامن فيه وقد تقدم منا شرح ذلك

(الاصل) ﴿ومن خطبة له عليه السلام﴾

حَتَّى بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ شَهِيدًا وَبَشِيرًا وَنَذِيرًا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ طِفْلاً وَأَنْجَبَهَا
كَهْلاً وَأَطْهَرَ الْمُطَهَّرِينَ شِيمَةً وَأَجْوَدَ الْمُسْتَمْطَرِينَ دِيمَةً * فَمَا احْلَوْلَتْ لَكُمُ الدُّنْيَا فِي لَذَّتِهَا
وَلاَ تَمَكَّنْتُمْ مِنْ رَضَاعِ أَخْلاَفِهَا * إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا صَادَفْتُمُوهَا جَائِلاً خِطَامُهَا * قَلِقًا
وَضِينُهَا قَدْ صَارَ حَرَامُهَا عِنْدَ أَقْوَامٍ بِمَنْزِلَةِ السِّدْرِ الْمَخْضُودِ * وَحَلاَلُهَا بَعِيدًا غَيْرَ مَوْجُودٍ
وَصَادَفْتُمُوهَا وَاللهِ ظِلاًّ مَمْدُودًا إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ * فَالأَرْضُ لَكُمْ شَاغِرَةٌ * وَأَيْدِيكُمْ
فِيهَا مَبْسُوطَةٌ * وَأَيْدِي الْقَادَةِ عَنْكُمْ مَكْفُوفَةٌ * وَسُيُوفُكُمْ عَلَيْهِمْ مُسَلَّطَةٌ * وَسُيُوفُهُمْ
عَنْكُمْ مَقْبُوضَةٌ أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ دَمٍ ثَائِرًا * وَلِكُلِّ حَقٍّ طَالِبًا * وَإِنَّ الثَّائِرَ فِي دِمَائِنَا
كَالْحَاكِمِ فِي حَقِّ نَفْسِهِ * وَهُوَ اللهُ الَّذِي لاَ يُعْجِزُهُ مَنْ طَلَبَ * وَلاَ يَفُوتُهُ مَنْ هَرَبَ *
فَأُقْسِمُ بِاللهِ يَا بَنِي أُمَيَّةَ عَمَّا قَلِيلٍ لَتَعْرِفُنَّهَا فِي أَيْدِي غَيْرِكُمْ وَفِي دَارِ عَدُوِّكُمْ

(الشرح) معنى كون النبي صلى الله عليه وآله شهيدا انه يشهد على الامة بما فعلته من طاعة وعصيان وأنجبها أكرمها
ورجل نجيب أي كريم بين النجابة والنجبة مثل الهمزة ويقال هو نجبة القوم أي النجيب منهم وأنجب الرجل أي
ولد ولدا نجيبا وامرأة منجبة ومنجاب تلد النجباء ونسوة مناجيب والشيمة الخلق والديمة مطر يدوم والمستمطرون
المستجدون والمستماحون واحلولت حلت وقد عداه حميد بن ثور في قوله

فلما

فلما أتى عامان بعد انفصاله * عن الضرع واحلولى دماثا يرودها

ولم يجئ افعوعل متعديا الا هذا الحرف وحرف آخر وهو اعرورى الفرس والرضاع بفتح الراء رضع الصبي أمه
بكسر الضاد يرضعها رضاعا مثل سمع يسمع سماعا وأهل نجد يقولون رضع بالفتح يرضع بالكسر مثل ضرب يضرب
ضربا وقال الاصمعي أخبرني عيسى بن عمر انه سمع العرب تنشد هذا البيت

وذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها * أفاويق حتى ما يدر لها ثعل

بكسر الضاد والاخلاف للناقة بمنزلة الاطباء للكلبة واحدها خلف بالكسر وهو حلمة الضرع والخطام زمام الناقة
خطمت البعير زممته وناقة مخطومة ونوق مخطمة والوضين للهودج بمنزلة البطان للقتب والتصدير للرحل والحزام للسرج
وهو سيور تنسج مضاعفة بعضها على بعض يشد بها الهودج منه الى بطن البعير والجمع وضن والمخضود الذي خضد شوكه
أي قطع وشاغرة خالية شغر المكان أي خلا وبلدة شاغرة برجلها اذا لم تمتنع من غارة أحد والثائر طالب الثأر لا يبقى على
شيء حتى يدرك ثأره يقول عليه السلام مخاطبا لمن في عصره من بقايا الصحابة ولغيرهم من التابعين الذين لم يدركوا
عصر رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله بعث محمدا وهو أكرم الناس شيمة وأنداهم يدا وخيرهم طفلا وأنجبهم كهلا
فصانه الله تعالى في أيام حياته عن أن يفتح عليه الدنيا وأكرمه عن ذلك فلم تفتح عليكم البلاد ولا درت عليكم الاموال
ولا أقبلت الدنيا نحوكم وما دانت الدولة لكم الا بعده فتمكنتم من أكلها والتمتع بها كما يتمكن الحالب من احتلاب الناقة
فيحلبها وحلت لذاتها لكم واستطبتم العيشة ووجدتموها حلوة خضرة ثم ذكر انهم صادفوها يعني الدنيا وقد صعبت
على من يليها ولا بد حق كما تستصعب الناقة على راكبها اذا كانت جائلة الخطام ليس زمامها بممكن راكبها من نفسه قلقة
الوضين لا يثبت هودجها تحت الراكب حرامها سهل التناول على من يريده كالسدر الذي خضد عنه شوكه فصار ناعما
أملس وحلالها غير موجود لغلبة الحرام عليه وكونه صار مغمورا مستهلكا بالنسبة اليه وهذا اشارة الى ما كان يقوله
دائما من استبداد الخلفاء قبله دونه بالامر وانه كان الاولى والاحق فان قلت اذا كانت الدنيا قلقة الوضين جائلة
الخطام فهي صعبة الركوب وهذا اضد قوله حرامها بمنزلة السدر المخضود لانه من الامثال المضروبة للسهولة قلت فحوى
كلامه ان الدنيا جمحت به عليه السلام فالقته عن ظهرها بعد ان كان راكبا لها أو كالراكب لها لاستحقاقه ركوبها
وانها صارت بعده كالناقة التي خلعت زمامها أو أجالته فلا يتمكن راكبها من قبضه واسترخى وضينها لشدة ما كان صدر
عنها من النفار والتقحم حتى أذرت راكبها فصارت على حال لا يركبها الا من هو موصوف بركوب غير طبيعي لانه ركب
ما لا ينبغي أن يركب فالذين ولوا أمرها ولوه على غير الوجه كما أن راكب هذه الناقة يركبها على غير الوجه ولهذا لم يقل
فصار حرامها بمنزلة السدر المخضود بل قال عند أقوام تخصص وهذا الكلام كله محمول عند أصحابنا على التألم من كون
المتقدمين تركوا الافضل كما قدمناه في أول الكتاب ثم ذكر عليه السلام ان الدنيا فانية وانها ظل ممدود الى أجل معدود
ثم ذكر ان الارض بهؤلاء السكان فيها صورة خالية من معنى كما قال الشاعر

ما أكثر الناس لا بل ما أقلهم * الله يعلم اني لم أقل فندا
اني لأفتح عيني ثم أغمضها * على كثير ولكن لا أرى أحدا

ثم أعاد الشكوى والتألم فقال أيديكم في الدنيا مبسوطة وأيدي مستحقي الرئاسة ومستوجبي الامرة مكفوفة وسيوفكم
مسلطة على أهل البيت الذين هم القادة والرؤساء وسيوفهم مقبوضة عنكم وكأنه كان يرمز الى ما سيقع من قتل
الحسين عليه السلام وأهله وكأنه يشاهد ذلك عيانا ويخطب عليه ويتكلم على الخاطر الذي سنح له والامر الذي كان
أخبر به ثم قال ان لكل دم ثائرا يطلب القود والثائر بدمائنا ليس الا الله وحده الذي لا يعجزه مطلوب ولا يفوته هارب
ومعنى قوله عليه السلام كالحاكم في حق نفسه انه تعالى لا يقصر في طلب دمائنا كالحاكم الذي يحكم لنفسه فيكون هو
القاضي وهو الخصم فانه اذا كان كذلك يكون مبالغا جدا في استيفاء حقوقه ثم أقسم وخاطب بني أمية وصرح
بذكرهم انهم ليعرفن الدنيا عن قليل في أيدي غيرهم وفي دورهم وان الملك سينتزعه منهم أعداؤهم ووقع الامر

بموجب اخباره عليه السلام فان الامر بقي في أيدي بني أمية قريبا من تسعين سنة ثم عاد الى البيت الهاشمي وانتقم الله تعالى منهم على أيدي أشد الناس عداوة لهم سار عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس في جمع عظيم للقاء مروان بن محمد بن مروان وهو آخر خلفاء الامويين فالتقيا بالزاب من أرض الموصل ومروان في جموع عظيمة وأعداد كثيرة فهزم مروان واستولى عبد الله بن علي على عسكره وقتل من أصحابه خلقا عظيما وفر مروان هاربا حتى أتى الشام وعبد الله يتبعه فصار الى مصر فاتبعه عبد الله بجنوده فقتله ببوصير الاشمونين من صعيد مصر وقتل خواصه وبطانته كلها وقد كان عبد الله قتل من بني أمية على نهر أبي قطرس من بلاد فلسطين قريبا من ثمانين رجلا قتلهم مثلة واحتذى أخوه داود بن علي بالحجاز فعله فقتل منهم قريبا من هذه العدة بانواع المثل وكان مع مروان حين قتل ابناه عبد الله وعبيد الله وكانا وليي عهده فهربا في خواصهما الى اسوان من صعيد مصر ثم صارا الى بلاد النوبة ونالهم جهد شديد وضر عظيم فهلك عبد الله بن مروان في جماعة ممن كان معه قتلا وعطشا وضرا وشاهد من بقي منهم أنواع الشدائد وضروب المكاره ووقع عبيد الله في عدة ممن نجا معه في أرض البجة وقطعوا البحر الى ساحل جدة وتنقل فيمن نجا معه من أهله ومواليه في البلاد مستترين راضين أن يعيشوا سوقة بعد ان كانوا ملوكا فظفر بعبيد الله أيام السفاح فحبس فلم يزل في السجن بقية أيام السفاح وأيام المنصور وأيام المهدي وأيام الهادي و بعض أيام الرشيد وأخرجه الرشيد وهو شيخ ضرير فسأله عن خبره فقال يا أمير المؤمنين حبست غلاما بصيرا وأخرجت شيخا ضريرا فقيل انه هلك في أيام الرشيد وقيل عاش الى أن أدرك خلافة الامين . شهد يوم الزاب مع مروان في احدى الروايتين ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك المخلوع الذي خطب له بالخلافة بعد أخيه يزيد بن الوليد بن عبد الملك فقتل فيمن قتل وفي الرواية الثانية ان ابراهيم قتله مروان الحمار قبل ذلك . ولما انهزم مروان يوم الزاب مضى نحو الموصل فمنعه أهلها من الدخول وسودوا فأتى حران وكانت داره ومقامه وكان أهل حران حين أزيل لعن أمير المؤمنين عن المنابر في أيام الجمع امتنعوا من ازالته وقالوا الا صلاة الا بلعن أبي تراب فاتبعه عبد الله بن علي بجنوده فلما شارفه خرج مروان عن حران هاربا بين يديه وعبر الفرات ونزل عبد الله بن علي على حران فهدم قصر مروان بها وكان قد أنفق على بنائه عشرة آلاف ألف درهم واحتوى على خزائن مروان وأمواله فسار مروان باهله وعترته من بني أمية وخواصه حتى نزل بنهر أبي قطرس وسار عبد الله بن علي حتى نزل دمشق فحاصرها وعليها من قبل مروان الوليد بن معاوية بن عبد الملك بن مروان في خمسين ألف مقاتل فألقى الله تعالى بينهم العصبية في فضل نزار على اليمن وفضل اليمن على نزار فقتل الوليد وقيل بل قتل في حرب عبد الله بن علي وملك عبد الله دمشق فأتى يزيد بن معاوية بن عبد الملك بن مروان وعبد الجبار ابن يزيد بن عبد الملك بن مروان فحملهما مأسورين الى أبي العباس السفاح فقتلهما وصلبهما بالحيرة وقتل عبد الله بن علي بدمشق خلقا كثيرا من أصحاب مروان وموالي بني أمية واتباعهم ونزل عبد الله على نهر أبي قطرس فقتل من بني أمية هناك بضعا وثمانين رجلا وذلك في ذي القعدة من سنة ١٣٢ اثنين وثلاثين ومائة وفي قتلى نهر أبي قطرس وقتل الزاب يقول أبو عدي عبد الله بن عمرو العبلي وكان أموي الرأي

تقول امامة لما رأت * نشوزي عن المضجع الاملس
وقلة نومي على مضجعي * لدى هجعة الاعين النعس
أبي ما عراك فقلت الهمو * م عرن أباك فلا تبلسي
عرن أباك فحبسنه * من الذل في شر ما محبس
لفقد الاحبة اذ نالها * سهام من الحدث المبلس
رمتها المنون بلا نكل * ولا طائشات ولا نكس
باسهمها المتلفات النفو * س متى ما تصب مهجة تخلس
فصرعتهم بنواحي البلاد * فلقى بارض ولم يرمس

تقي أصيب وأثوابه * من العيب والعار لم تدنس
وآخر قد رس في حفرة * وآخر طار فلم يحسس
أفاض المدامع قتلى كرا * وقتلى بكثوة لم ترمس
وقتلى بوج وباللابتين * من يثرب خير ما أنفس
وبالزابيين نفوس ثوت * وقتلى بنهر أبي فطرس
أولئك قومي أناخت بهم * نوائب من زمن متعس
اذا ركبوا زينوا الموكبين * وان جلسوا زينة المجلس
وان عن ذكرهم لم ينم * أبوك وأوحش في المأنس
فذاك الذي غالني فاعلمي * ولا تسألي بامرئ متعس
فهم أضرعوني لريب الزمان * وهم ألصقوا الخد بالمعطس

وروى أبو الفرج الاصفهاني في كتاب الاغاني قال نظر عبد الله بن علي في الحرب الى فتى عليه ابهة الشرف وهو يحارب مستقتلا فناداه يا فتى لك الامان ولو كنت مروان بن محمد قال الا أكنه فلست بدونه فقال ولك الامان ولو كنت من كنت فاطرق ثم أنشد

أذل الحياة وكره الممات * وكلا أراه طعاما وبيلا
وان لم يكن غير احداهما * فسيرا الى الموت سيرا جميلا

ثم قاتل حتى قتل فاذا هو ابن مسلمة بن عبد الملك وروى أبو الفرج أيضا عن محمد بن خلف بن وكيع قال دخل سديف مولى آل أبي لهب على أبي العباس بالحيرة وأبو العباس جالس على سريره وبنو هاشم دونه على الكراسي و بنو أمية حوله على وسائد قد ثنيت لهم وكانوا في أيام دولتهم يجلسونهم والخليفة منهم على الاسرة ويجلس بنو هاشم على الكراسي فدخل الحاجب فقال يا أمير المؤمنين بالباب رجل حجازي أسود راكب على نجيب متلثم يستأذن ولا يخبر باسمه ويحلف لا يحسر اللثام عن وجهه حتى يرى أمير المؤمنين فقال هذا سديف مولانا أدخله فدخل فلما نظر الى أبي العباس و بنو أمية حوله حسر اللثام عن وجهه ثم أنشد

أصبح الملك ثابت الاساس * بالبهاليل من بني العباس
بالصدور المقدمين قديما * والبحور القماقم الرواسي
يا امام المطهرين من الذم * ويا راس منتهى كل راس
أنت مهدي هاشم وفتاها * كم أناس رجوك بعد أناس
لا يقتلن عبد شمس عثارا * واقطعن كل رقلة وغراس
أنزلوها بحيث أنزلها الله * بدار الهوان والاتعاس
خوفها أظهر التودد منها * وبها منكم كحز المواسي
أقصهم أيها الخليفة واحسم * عنك بالسيف شأفة الارجاس
واذكرن مصرع الحسين وزيد * وقتيلا بجانب المهراس
والقتيل الذي بحران أمسى * ثاويا بين غربة وتناس
لقد ساءني وساء سوائي * قربهم من نمارق وكراسي
نعم كلب الهراش مولاك شبل * لو نجا من حبائل الافلاس

قال فتغير لون أبي العباس وأخذه رمع ورعدة فالتفت بعض ولد سليمان بن عبد الملك الى آخر فيهم كان الى جانبه فقال قتلنا والله العبد فاقبل أبو العباس عليهم فقال يا بني الزواني لا أرى قتلا كم من أهلي قد سلفوا وأنتم أحياء تتلذذون في الدنيا

خذوهم فاخذتهم الخراسانية بالكافر كوبات ٧ فاهمدوا الا ما كان من عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز فانه استجار بداود بن علي وقال ان أبي لم يكن كآبائهم وقد علمت صنيعته اليكم فاجاره واستوهبه من السفاح وقال له قد علمت صنيع أبيه الينا فوهبه له وقال لا يريني وجهه وليكن بحيث تأمنه وكتب الى عماله في الآفاق بقتل بني أمية فاما أبو العباس المبرد فانه روى في الكامل هذا الشعر على غير هذا الوجه ولم ينسبه الى سديف بل الى شبل مولى بني هاشم قال أبو العباس دخل شبل بن عبد الله مولى بني هاشم على عبد الله بن علي وقد أجلس ثمانين من بني أمية على سمط الطعام فانشده

أصبح الملك ثابت الاساس * بالبهاليل من بني العباس
طلبوا وتر هاشم وشفوها * بعد ميل من الزمان وياس
لا يقتلن عبد شمس عثارا * واقطعن كل رقلة وأواسي
ذلها أظهر التودد منها * وبها منكم كحز المواسي
ولقد غاظني وغاظ سوائي * قربها من نمارق وكراسي
أنزلوها بحيث أنزلها الله * بدار الهوان والاتعاس
واذكروا مصرع الحسين وزيد * وقتيلا بجانب المهراس
والقتيل الذي بحران أضحى * ثاويا بين غربة وتناسي
نعم شبل الهراش مولاك شبل * لو نجا من حبائل الافلاس

فامر بهم عبد الله فشدخوا بالعمد وبسطت السمط عليهم وجلس عليها ودعا بالطعام وانه ليسمع أنين بعضهم حتى ماتوا جميعا وقال لشبل لولا انك خلطت شعرك بالمسئلة لاغنمتك أموالهم وعقدت لك على جميع موالي بني هاشم قال أبو العباس الرقلة النخلة الطويلة والاواسي جمع أسية وهي أصل البناء كالاساس وقتيل المهراس حمزة عليه السلام والمهراس ماء باحد وقتيل حران ابراهيم الامام قال أبو العباس فاما سديف فانه لم يقم هذا المقام وانما قام مقاما آخر دخل على أبي العباس السفاح وعنده سليمان بن هشام بن عبد الملك وقد أعطاه يده فقبلها وأدناه فاقبل على السفاح وقال له

لا يغرنك ما ترى من رجال * ان تحت الضلوع داء دويا
فضع السيف وارفع السوط حتى * لا ترى فوق ظهرها أمويا

فقال سليمان مالي ولك أيها الشيخ قتلتني قتلك الله فقام أبو العباس فدخل واذا المنديل قد ألقي في عنق سليمان ثم جر فقتل فاما سليمان بن يزيد بن عبد الملك بن مروان فقتل بالبلقاء وحمل رأسه الى عبد الله بن علي وذكر صاحب مروج الذهب انه أرسل عبد الله أخاه صالح بن علي ومعه عامر بن اسمعيل أحد الشيعة الخراسانية الى مصر فلحقوا مروان ببوصير فقتلوه وقتلوا كل من كان معه من أهله وبطانته وهجموا على الكنيسة التي فيها بناته ونساؤه فوجدوا خادما بيده سيف مشهور يسابقهم على الدخول فاخذوه وسألوه عن أمره فقال ان أمير المؤمنين أمرني ان هو قتل ان أقتل بناته ونساءه كلهن قبل أن تصلوا اليهن فارادوا قتله فقال لا تقتلوني فانكم ان قتلتموني فقد تم ميراث رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا وما هو فاخرجهم من القرية الى كثبان من الرمل فقال اكشفوا ههنا فاذا البردة والقضيب وقعب مخضب قد دفنها مروان ضنا بها ان تصير الى بني هاشم فوجه به عامر بن اسمعيل الى صالح بن علي فوجه به صالح الى أخيه عبد الله فوجه به عبد الله الى أبي العباس وتداوله خلفاء بني العباس من بعده وأدخل بنات مروان وحرمه ونساؤه على صالح بن علي فتكلمت ابنة مروان الكبرى فقالت يا عم أمير المؤمنين حفظ الله لك من أمرك ما تحب حفظه وأسعدك في أحوالك كلها وعمك بخواص نعمه وشملك بالعافية في الدنيا والآخرة نحن بناتك وبنات أخيك وابن عمك فليسعنا من عدلكم ما وسعنا من جوركم قال اذا لا نستبقي منكم أحدا لانكم قد قتلتم ابراهيم الامام وزيد بن علي ويحيى بن زيد ومسلم بن عقيل وقتلتم خير أهل الارض حسينا واخوته وبنيه وأهل بيته وسقتم نساءه سبايا كما يساق ذراري الروم على الاقتاب الى الشام فقالت يا عم أمير المؤمنين فليسعنا عفوكم اذا قال أما هذا فنعم وان

أحببت زوجتك من ابني الفضل بن صالح قالت يا عم أمير المؤمنين وأي ساعة عرس ترى بل تلحقنا بحران فحملهن الى حران كان عبد الرحمن بن حبيب بن مسلمة الفهري عامل افريقية لمروان فلما حدثت الحادثة هرب عبد الله والعاص ابنا الوليد بن يزيد بن عبد الملك اليه فاعتصما به فخاف على نفسه منهما ورأى ميل الناس اليهما فقتلهما وكان عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك يريد أن يقصده ويلتجئ اليه فلما علم ما جرى لابني الوليد بن يزيد خاف منه فقطع المجاز بين افريقية والاندلس وركب البحر حتى حصل بالاندلس فالامراء الذين ولوها كانوا من ولده ثم زال أمرهم ودولتهم على أيدي بني هاشم أيضا وهم بنو حمود الحسنيون من ولد ادريس بن الحسن عليه السلام لما قتل عامر بن اسمعيل مروان ببوصير واحتوى على عسكره دخل الى الكنيسة التي كان فيها فقعد على فراشه وأكل من طعامه فقالت له ابنة مروان الكبرى وتعرف بام مروان يا عامر ان دهرا أنزل مروان عن فرشه حتى أقعدك عليها تأكل من طعامه ليلة قتله محتويا على أمره حاكما في ملكه وحرمه وأهله لقادر أن يغير ذلك فانهى هذا الكلام الى أبي العباس السفاح فاستهجن ما فعله عامر بن اسمعيل وكتب اليه أما كان لك في أدب الله ما يزجرك ان تقعد في مثل تلك الساعة على مهاد مروان وتأكل من طعامه أما والله لولا ان أمير المؤمنين أنزل ما فعلته على غير اعتقاد منك ولا نهم على طعام لمسك من غضبه وأليم أدبه ما يكون لك زاجرا ولغيرك واعظا فاذا أتاك كتاب أمير المؤمنين فتقرب الى الله بصدقة تطفئ بها غضبه وصلاة تظهر فيها الخشوع والاستكانة له وصم ثلاثة أيام وتب الى الله من جميع ما يسخطه ويغضبه ومر جميع أصحابك ان يصوموا مثل صيامك . لما أتي أبو العباس برأس مروان سجد فاطال ثم رفع رأسه وقال الحمد لله الذي لم يبق ثارنا قبلك وقبل رهطك الحمد لله الذي أظفرنا بك وأظهرنا عليك ما أبالي متى طرقني الموت وقد قتلت بالحسين عليه السلام ألفا من بني أمية وأحرقت شلو هشام بابن عمي زيد بن علي كما أحرقوا شلوه وتمثل

لو يشربون دمي لم يرو شاربهم * ولا دماؤهم جمعا ترويني

ثم حول وجهه الى القبلة فسجد ثانية ثم جلس فتمثل

أبى قومنا أن ينصفونا فانصفت * قواطع في ايماننا تقطر الدما
اذا خالطت هام الرجال تركتها * كبيض نعام في الثرى قد تحطما

ثم قال أما مروان فقتلناه باخي ابراهيم وقتلنا سائر بني أمية بحسين ومن قتل معه وبعده من بني عمنا أبي طالب وروى المسعودي في كتاب مروج الذهب عن الهيثم بن عدي قال حدثني عمرو بن هانئ الطائي قال خرجت مع عبد الله بن علي لنبش قبور بني أمية في أيام أبي العباس السفاح فانتهينا الى قبر هشام بن عبد الملك فاستخرجناه صحيحا ما فقدنا منه الا عرنين أنفه فضربه عبد الله بن علي ثمانين سوطا ثم أحرقه واستخرجنا سليمان بن عبد الملك من أرض دابق فلم نجد منه شيأ الا صلبه ورأسه وأضلاعه فاحرقناه وفعلنا مثل ذلك بغيرهما من بني أمية وكانت قبورهم بقنسرين ثم انتهينا الى دمشق فاستخرجنا الوليد بن عبد الملك فما وجدنا في قبره قليلا ولا كثيرا واحتفرنا عن عبد الملك فما وجدنا الا شؤن رأسه ثم احتفرنا عن يزيد بن معاوية فلم نجد منه الا عظما واحدا ووجدنا من موضع نحره الى قدمه خطا واحدا أسود كانما خط بالرماد في طول لحده وتتبعنا قبورهم في جميع البلدان فاحرقنا ما وجدنا فيها منهم قلت قرأت هذا الخبر على النقيب أبي جعفر يحيى بن أبي زيد العلوي بن عبد الله في سنة خمس وستمائة وقلت له أما احراق هشام باحراق زيد فمفهوم فما معنى جلده ثمانين سوطا فقال رحمه الله تعالى أظن عبد الله بن علي ذهب في ذلك الى حد القذف لانه يقال انه قال لزيد يا ابن الزانية لما سب أخاه محمدا الباقر عليه السلام فسبه زيد وقال له سماه رسول الله صلى الله عليه وآله الباقر وتسميه أنت البقرة لشد ما اختلفتما ولتخالفنه في الآخرة كما خالفته في الدنيا فيرد الجنة وترد النار وهذا استنباط لطيف قال مروان لكاتبه عبد الحميد بن يحيى حين أيقن بزوال ملكه قد احتجت الى أن تصير مع عدوي وتظهر الغدر بي فان اعجابهم ببلاغتك وحاجتهم الى كتابتك تدعوهم الى اصطناعك وتقريبك فان استطعت أن تنفعني في حياتي والا فلن تعجز عن حفظ حرمي بعد وفاتي فقال عبد الحميد ان الذي أشرت به هو أنفع

الامر بن لى وأقبحهما بى وماعندى الا الصبر معك حتى يفتح الله لك أو أقتل بين يديك ثم أنشد

أسروفاء ثم أظهر غدرة ✽ فمن لى بعذر يوسع الناس ظاهره

فثبت على حاله ولم يصر الى بنى هاشم حتى قتل مروان ثم قتل هو بعده صبرا وقال اسمعيل بن عبد الله القسرى دعانى مروان وقد انتهت به الهزيمة الى حران فقال يا أباهاشم وما كان يكنينى قبلها قد ترى ماجاء من الامر وأنت الموثوق به ولاعطر بعد عروس ما الرأى عندك فقلت يا أمير المؤمنين علام أجمعت قال أرتحل بموالى ومن تبعنى حتى آتى الدرب وأميل الى بعض مدن الروم فأنزلها وأكاتب ملك الروم واستوثق منه فقد فعل ذلك جماعة من ملوك الاعاجم وليس هذا عارا على الملوك فلا يزال يأتينى من الاصحاب الخائف والهارب والطامع فيكثر من معى ولاأزال على ذلك حتى يكشف الله أمرى وينصرنى على عدوى فلما رأيت ماأجمع عليه من ذلك وكان الرأى ورأيت آثاره فى قومه من نزار وعصبيته على قومى من قحطان غششته فقلت أعيذك بالله يا أمير المؤمنين من هذا الرأى أن تحكم أهل الشرك فى بناتك وحرمك وهم الروم لاوفاء لهم ولا يدرى ماتأتى به الايام وان حدث عليك حدث من أرض النصرانية ولايحدث الله عليك الاخيرا ضاع من بعدك ولكن اقطع الفرات واستفز الشام جندا جندا فانك فى كنف وعدة ولك فى كل جند صنائع وأصحاب الى أن تأتى مصر فهى أكثر أرض الله مالا وخيلا ورجالا والشام أمامك وافريقية خلفك فان رأيت ماتحب انصرفت الى الشام وان كانت الاخرى مضيت الى افريقية فقال صدقت واستخير الله فقطع الفرات والله ماقطعه معه من قيس الا رجلان ابن حديد السلمى وكان أخاه من الرضاعة والكوثر بن الاسود الغنوى وغدر به سائر النزارية مع تعصبه لهم فلما اجتاز ببلاد قنسرين وخناصرة أوقعوا بساقته ووثب به أهل حمص وصار الى دمشق فوثب به الحارث بن عبد الرحمن الحرشى ثم العقيلى ثم أتى الاردن فوثب به هاشم بن عمرو التميمى ثم مر بفلسطين فوثب به أهلها وعلم مروان أن اسمعيل بن عبد الله قد غشه فى الرأى ولم يمحضه النصيحة وانه فرط فى مشورته اياه اذشاور رجلا من قحطان موتورا شانئاله وان الرأى كان الاول الذى هم به من قطع الدرب والنزول ببعض مدن الروم ومكاتبته ملكها والله أمر هو بالغه. لما نزل مروان بالزاب جرد من رجاله ممن اختاره من أهل الشام والجزيرة وغيرها مائة ألف فارس على مائة ألف قارح ثم نظر اليهم وقال انها العدة ولا تنفع العدة اذا انقضت المدة. لما أشرف عبد الله ابن على يوم الزاب فى المسودة وفى أوائلهم البنود السود تحملها الرجال على الجمال البخت وقد جعل لها بدلا من القنا خشب الصفصاف والغرب قال مروان لمن قرب منه أماترون رماحهم كأنها النخل غلظا أماترون اعلامهم فوق هذه الابل كأنها قطع الغمام السود فبينما هو ينظر اليها يتعجب اذ طارت قطعة عظيمة من الغربان السود فنزلت على أول عسكر عبد الله بن على واتصل سوادها بسواد تلك الرايات والبنود ومروان ينظر فازداد تعجبه وقال أماترون الى السواد قد اتصل بالسواد حتى صار الكل كالسحب السود المتكاثفة ثم أقبل على رجل الى جنبه فقال ألا تعرفنى من صاحب جيشهم فقال عبد الله بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب قال ويحك أمن ولد العباس هو قال نعم قال والله لوددت ان على بن أبى طالب عليه السلام مكانه فى هذا الصف قال يا أمير المؤمنين أتقول هذا لعلى مع شجاعته التى ملأ الدنيا ذكرها قال ويحك ان عليا مع شجاعته صاحب دين وان الدين غير الملك وانا نروى عن قديمنا انه لاشئ لعلى ولا لولده فى هذا ثم قال من هو من ولد العباس فانى لاأثبت شخصه قال هو الرجل الذى كان يخاصم بين يديك عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر فقال أذكرنى صورته وحليته قال هو الرجل الاقنى الحديد الفصل المعروق الوجه الخفيف اللحية الفصيح اللسان الذى قلت لما سمعت كلامه يومئذ يرزق الله البيان من يشاء فقال وانه لهو قال نعم فقال انا لله وانا اليه راجعون أتعلم لم صيرت الامر بعدى لولدى عبد الله وابنى محمد أكبر سنا منه قال لا قال ان آباءنا أخبرونا ان الامر صائر بعدى الى رجل اسمه عبد الله فوليته دونه ثم بعث مروان بعد ان حدث صاحبه بهذا الحديث الى عبد الله بن على سرا فقال يا ابن عم ان هذا الامر صائر اليك فاتق الله واحفظنى فى حرمى فبعث اليه عبد الله ان الحق لنا فى دمك وان الحق علينا فى حرمك قلت ان مروان ظن ان الخلافة تكون لعبد الله بن على لان اسمه عبد الله ولم يعلم انها تكون

لآخر اسمه عبد الله وهو أبو العباس السفاح كان العلاء بن رافع سبط ذى الكلاع الحميرى مؤانسا لسليمان بن هشام ابن عبد الملك لايكاد يفارقه وكان أمر المسودة بخراسان قد ظهر ودنوا من العراق واشتد ارجاف الناس ونطق العدو بما أحب فى بنى أمية وأوليائهم قال العلاء فانى لمع سليمان وهو يشرب تجاه رصافة أبيه وذلك فى آخر أيام يزيد الناقص وعنده الحكم الاودى وهو يغنيه بشعر العرجى

ان الحبيب تروحت أجماله ✽ أصلا فدمعك دائم اسباله

فاقن الحياة فقد بكيت بعولة ✽ لوكان ينفع باكيا اعواله

ياحبذا تلك الحمول وحبذا ✽ شخص هناك وحبذا أجماله

فأجاد ماشاء وشرب سليمان بن هشام بالرطل وشرب بنادمه حتى توسدنا أيدينا فلم أنتبه الا بتحريك سليمان اياى فقمت مسرعا وقلت ماشأن الامير فقال على رسلك رأيت كأنى فى مسجد دمشق وكأن رجلا على يده خنجر وعلى رأسه تاج أرى بصيص مافيه من الجوهر وهو رافع صوته بهذا الشعر

أبنى أمية قد دنا تشتيتكم ✽ وذهاب ملككم وليس براجع

وينال صفوته عدو جادح ✽ كاسالكم بسمام موت ناقع

فقلت أعيذ الامير بالله من وساوس الشيطان الرجيم هذا من أضغاث الاحلام ومما يقتضيه ويجلبه الفكر وسماع الاراجيف فقال الامر كما قلت لك ثم وجم ساعة وقال يا حميرى بعيد ما يأتى به الزمان قريب قال العلاء فوالله ما اجتمعنا على شراب بعد ذلك اليوم. سئل بعض شيوخ بنى أمية عقيب زوال الملك عنهم ما كان سبب زوال ملككم فقال جار عمالنا على رعيتنا فتمنوا الراحة منا وتحومل على أهل خراجنا فجلوا عنا وخربت ضياعنا فخربت بيوت أموالنا ووثقنا بوزرائنا فآثروا مرافقهم على منافعنا وأمضوا أمورا دوننا أخفوا علمها عنا وتأخر عطاء جندنا فزالت طاعتهم لنا واستدعاهم عدونا فظافروه على حربنا وطلبنا أعداءنا فعجزنا عنهم لقلة أنصارنا وكان استتار الاخبار عنا من أوكد أسباب زوال ملكنا. كان سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة المخزومى أحد وزراء مروان وسماره فلما ظهر أمر أبى العباس السفاح انحاز الى بنى هاشم ومت اليهم بأم هانئ بنت أبى طالب وكانت تحت هبيرة بن أبى وهب فأتت منه بجعدة فصار من خواص السفاح وبطانته فجلس السفاح يوما وأمر باحضار رأس مروان وهو بالحيرة يومئذ ثم قال للحاضرين أيكم يعرف هذا فقال سعيد أنا أعرفه هذا رأس أبى عبد الملك مروان بن محمد بن مروان خليفتنا بالامس رحمه الله تعالى قال سعيد فحدقت الى الشيعة ورمتنى بابصارها فقال لى أبو العباس فى أى سنة كان مولده قلت سنة ست وسبعين فقام وقد تغير لونه غضبا على وتفرق الناس من المجلس وتحدثوا به فقلت زلة والله لاتستقال ولا ينساها القوم أبدا فأتيت منزلى فلم أزل باقى يومى أعهد وأوصى فلما كان الليل اغتسلت وتهيأت للصلاة وكان أبو العباس اذا هم بأمر بعث فيه ليلا فلم أزل ساهرا حتى أصبحت وركبت بغلتى وأفكرت فيمن أقصد فى أمرى فلم أجد أحدا أولى من سليمان بن مجالد مولى بنى زهرة وكانت له من أبى العباس منزلة عظيمة وكان من شيعة القوم فأتيته فقلت له أذكرنى أمير المؤمنين البارحة قال نعم جرى ذكرك فقال هو ابن أختنا وفى لصاحبه ونحن لو أوليناه خيرا لكان لنا أشكر فشكرت لسليمان بن مجالد ما أخبرنى به وجزيته خيرا وانصرفت فلم أزل من أبى العباس على ما كنت عليه لاأرى منه الا خيرا ونما ذلك المجلس الى عبد الله ابن على والى أبى جعفر المنصور فأما عبد الله بن على فكتب الى أبى العباس يغريه بى ويعاتبه على الامساك عنى ويقول له انه ليس مثل هذا مما يحتمل وكتب اليه أبو جعفر يعذر لى وضرب الدهر ضربة فأتى ذات يوم عند أبى العباس فنهض ونهضت فقال لى على رسلك يا ابن هبيرة فجلست فرفع الستر ودخل وثبت فى مجلسه قليلا ثم خرج فى ثوبى وشى ورداء وجبة فما رأيت والله أحسن منه ولا مما عليه قط فقال لى يا ابن هبيرة انى ذاكر لك أمرا فلا يخرجن من رأسك الى أحد من الناس قلت نعم قال قد علمت ما جعلنا من هذا الامر وولاية العهد لمن قتل مروان وانما قتله عمى عبد الله بجيشه وأصحابه ونفسه وتدبيره وأنا شديد الفكر فى أمر أخى أبى جعفر فى فضله وعلمه وسنه وايثاره لهذا الامر كيف أخرجه

عنه فقلت أصلح الله أمير المؤمنين اني أحدثك حديثا تعتبر به وتستغني بسماعه عن مشاورتي قال هاته قلت كنا مع مسلمة بن عبد الملك عام الخليج بالقسطنطينية اذ ورد علينا كتاب عمر بن عبد العزيز ينعى سليمان ومصير الامر اليه فدخلت اليه فرمى الكتاب الى فقرأته واسترجعت واندفع يبكي وأطال فقلت أصلح الله الامير وأطال بقاءه ان البكاء على الامر الفائت عجز والموت منهل لا بد من ورده فقال ويحك اني لست أبكي على أخي لكني أبكي لخروج الامر عن ولد أبي الى ولد عمي فقال أبو العباس حسبك فقد فهمت عنك ثم قال اذا شئت فانهض فلما نهضت لم أمض بعيدا حتى قال لي يا ابن هبيرة فالتفت اليه فقال أما انك قد كافأت أحدهما وأخذت بثارك من الآخر قال سعيد فوالله ما أدري من أي الامرين أعجب من فطنته أم من ذكره لما كان . ساير عبد الله بن علي في آخر أيام بني أمية عبد الله بن حسن بن حسن ومعهما داود ابن علي فقال داود لعبد الله بن الحسن لم لا تأمر ابنيك بالظهور فقال عبد الله بن حسن لم يأن لهما بعد فالتفت اليه عبد الله ابن علي فقال أظنك ترى ان ابنيك قاتلا مروان فقال عبد الله بن حسن انه ذلك قال هيهات ثم تمثل

سيكفيك الجعالة مستميت ۞ خفيف الحاذ من فتيان جرم

أنا والله أقتل مروان وأسلبه ملكه لا أنت ولا ولداك وقد روى ابو الفرج الاصفهاني في كتاب الاغاني رواية أخرى في سبب قتل السفاح لمن كان أمنه من بني أمية قال حدث الزبير بن بكار عن عمه ان السفاح أنشد يوما قصيدة مدح بها وعنده قوم من بني أمية كان آمنهم على أنفسهم فاقبل على بعضهم فقال أين هذا مما مدحتم به فقال هيهات لا يقولن والله أحد فيكم مثل قول ابن قيس الرقيات فينا

ما نقموا من بني أمية الا ۞ انهم يحلمون ان غضبوا

وانهم معدن الملوك فما ۞ تصلح الا عليهم العرب

فقال له يا ماص كذا من أمه وان الخلافة لفي نفسك بعد خذوهم فأخذوا وقتلوا وروى أبو الفرج أيضا ان أبا العباس دعا بالغداء حين قتلوا وأمر ببسط فبسطت عليهم وجلس فوقها يأكل وهم يضطربون تحته فلما فرغ من الاكل قال ما أعلم اني أكلت أكلة قط كانت أطيب ولا أهنأ في نفسي من هذه فلما فرغ من الاكل قال جروا بارجلهم وألقوهم في الطريق ليلعنهم الناس أمواتا كما لعنوهم أحياء قال فلقد رأينا الكلاب تجر بارجلهم وعليهم سراويلات الوشي حتى أنتنوا ثم حفرت لهم بئر فالقوا فيها قال أبو الفرج وروى عمر بن شبة قال حدثني محمد بن معن الغفاري عن معبد الانباري عن أبيه قال لما أقبل داود بن علي من مكة أقبل معه بنو حسن جميعا وفيهم عبد الله بن حسن بن حسن وأخوه حسن بن الحسن ومعهم محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان وهو أخو عبد الله بن الحسن لامه فعمل داود مجلسا ببعض الطريق جلس فيه هو والهاشميون كلهم وجلس الامويون تحتهم فجاء ابن هرمة فانشده قصيدة يقول فيها

فلا عفا الله عن مروان مظلمة ۞ ولا أمية بئس المجلس النادي

كانوا كعاد فامسى الله أهلكهم ۞ بمثل ما أهلك الغاوين من عاد

فلن يكذبني من هاشم أحد ۞ فيما أقول ولو أكثرت تعدادي

قال فنبذ داود نحو عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد بن العاص ضحكة كالكشرة فلما قاموا قال عبد الله بن الحسن لاخيه الحسن بن الحسن أما رأيت ضحك داود الى ابن عنبسة الحمد لله الذي صرفها عن أخي يعني العثماني قال فما هو الا ان قدم المدينة حتى قتل ابن عنبسة قال أبو الفرج وحدثني محمد بن معن قال حدثني محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان قال استحلف أخي عبد الله بن الحسن داود بن علي وقد حج معه سنة اثنتين وثلاثين ومائة بطلاق امرأته مليكة بنت داود بن الحسن أن لا يقتل أخويه محمدا والقاسم ابني عبد الله بن عمرو بن عثمان قال فكنت أختلف اليه آمنا وهو يقتل بني أمية وكان يكره أن يراني أهل خراسان ولا يستطيع الى سبيلا ليمينه فاستدناني يوما فدنوت منه فقال ما أكثر الغفلة وأقل الحزمة فاخبرت بها أخي عبد الله بن الحسن فقال يا ابن أم تغيب عن الرجل وأقل عنه فتغيبت حتى مات قلت الان ذلك الدين الذي لم يقضه داود قضاه أبو جعفر المنصور وروى أبو الفرج في الكتاب المذكور ان سديفا أنشد أبا العباس

وعنده

وعنده رجال من بني أمية فقال

يا ابن عم النبي أنت ضياء ۞ استبنا بك اليقين الجليا

جرد السيف وارفع العفو حتى ۞ لا ترى فوق ظهرها أمويا

قطن البغض في القديم وأضحى ۞ ثابتا في قلوبهم مطويا

وهي طويلة فقال أبو العباس يا سديف خلق الانسان من عجل ثم أنشد أبو العباس متمثلا

أحيا الضغائن آباء لنا سلفوا ۞ فلن تبيد وللآباء أبناء

ثم أمر بمن عنده فقتلوا وروى أبو الفرج أيضا عن علي بن محمد بن سليمان النوفلي عن أبيه عن عمومته انهم حضروا سليمان بن علي بالبصرة وقد حضر جماعة من بني أمية عنده عليهم الثياب الموشاة المرتفعة قال أحد الرواة المذكورين فكأني أنظر الى أحدهم وقد اسود شيب في عارضيه من الغالية فامر بهم فقتلوا وجروا بارجلهم فالقوا على الطريق وان عليهم لسراويلات الوشي والكلاب تجر بارجلهم . وروى أبو الفرج أيضا عن طارق بن المبارك عن أبيه قال جاءني رسول عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان قال يقول لك قد جاءت هذه الدولة وأنا حديث السن كثير العيال منتشر الاموال فما أكون في قبيلة الا شهر أمري وعرفت وقد عزمت على أن أخرج من الاستتار وأفدي حرمي بنفسي وأنا سائر الى باب الامير سليمان بن علي فصر الى فوافيته فاذا عليه طيلسان أبيض مطبق وسراويل وشي مسدول فقلت يا سبحان الله ما تصنع الحداثة باهلها أبهذا اللباس تلقى هؤلاء القوم لما تريد لقاءهم فقال لا والله ولكن ليس عندي ثوب الا أشهر مما ترى فاعطيته طيلساني وأخذت طيلسانه ولويت سراويله الى ركبتيه فدخل الى سليمان ثم خرج مسرورا فقلت له حدثني ما جرى بينك وبين الامير قال دخلت عليه ولم يرني قط فقلت أصلح الله الامير لفظتني البلاد اليك ودلني فضلك عليك اما قتلتني واما أمنتني فقال ومن أنت حتى أعرفك فانتسبت له فقال مرحبا بك اقعد فتكلم سالما آمنا ثم أقبل علي فقال ما حاجتك يا ابن أخي فقلت ان الحرم اللواتي أنت أقرب الناس اليهن معنا وأولى الناس بهن بعدنا قد خفن لخوفنا ومن خاف خيف عليه فوالله ما أجابني الا بدموعه على خديه ثم قال يا ابن أخي يحقن الله دمك ويحفظك في حرمك ويوفر عليك مالك فوالله لو أمكنني ذلك في جميع قومك لفعلت فكن متواريا كظاهر وآمنا كخائف ولتأتني رقاعك قال فوالله لقد كنت أكتب اليه كما يكتب الرجل الى أبيه وعمه قال فلما فرغ من الحديث رددت عليه طيلسانه فقال مهلا فان ثيابنا اذا فارقتنا لم ترجع الينا وروى أبو الفرج الاصفهاني قال أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن عمر بن شبة قال قال سديف لابي العباس يحضه على بني أمية ويذكر من قتل مروان وبنو أمية من أهله

كيف بالعفو عنهم وقديما ۞ قتلوكم وهتكوا الحرمات

أين زيد وأين يحيى بن زيد ۞ يا لها من مصيبة وترات

والامام الذي أصيب بحرا ۞ ن امام الهدى ورأس الثقات

قتلوا آل أحمد لا عفا الذ ۞ نب لمروان غافر السيآت

قال أبو الفرج وأخبرني علي بن سليمان الاخفش قال أنشدني محمد بن يزيد المبرد لرجل من شيعة بني العباس يحضهم على بني أمية

اياكم أن تلينوا لاعتذارهم ۞ فليس ذلك الا الخوف والطمع

لو أنهم أمنوا أبدوا عداوتهم ۞ لكنهم قمعوا بالذل فانقمعوا

أليس في ألف شهر قد مضت لهم ۞ سقيتم جرعا من بعدها جرع

حتى اذا ما انقضت أيام مدتهم ۞ متوا اليكم بالارحام التي قطعوا

هيهات لا بد أن يسقوا بكأسهم ۞ ريا وان يحصدوا الزرع الذي زرعوا

انا واخواننا الانصار شيعتكم ۞ اذا تفرقت الاهواء والشيع

قال أبو الفرج وروى ابن المعتز في قصة سديف مثل ما ذكرناه من قبل الا انه قال فيها فلما أنشده ذلك التفت اليه أبو

الغمر سليمان بن هشام فقال ياماص بظر أمه أتواجهنا بمثل هذا ونحن سروات الناس فغضب أبو العباس وكان سليمان ابن هشام صديقه قديما وحديثا يقضى حوائجه فى أيامهم ويبره فلم يلتفت الى ذلك وصاح بالخراسانية فقتلوهم جميعا الا سليمان بن هشام فاقبل عليه أبو العباس فقال ياأبا الغمر ماأرى لك فى الحياة بعد هؤلاء خيرا قال لا والله قال فاقتلوه وكان الى جنبه فقتل وصلبوا فى بستانه حتى تأذى جلساؤه بريحهم فكلموه فى ذلك فقال والله ان ريحهم عندى لألذ وأطيب من ريح المسك والعنبر غيظا عليهم قال أبو الفرج وكان أبو سعيد مولى فائد من مواليهم يعد فى موالى عثمان ابن عفان واسم أبى سعيد ابراهيم وهو من شعرائهم الذين رثوهم وبكوا على دولتهم وأيامهم فمن شعره بعد زوال أمرهم

بكيت وماذا يرد البكاء * وقل البكاء لقتلى كراء
أصيبوا معا فتولوا معا * كذلك كانوا معا فى رخاء
بكت لهم الارض من بعدهم * وناحت عليهم نجوم السماء
وكانوا ضياء فلما انقضى * الزمان بقومى تولى الضياء

ومن شعره فيهم

أثر الدهر فى رجالى فقلوا * بعد جمع فراح عظمى مهيضا
ماتذكرتهم فتملك عينى * فيض دمع وحق لى أن تفيضا

ومن شعره فيهم

أولئك قومى بعد عز وثروة * تداعوا فالا تذرف العين أكمد
كانهم لاناس للموت غيرهم * وان كان فيهم منصفا غير معتدى

وقال أبو الفرج ركب المأمون بدمشق يتصيد حتى بلغ جبل الثلج فوقف فى بعض الطريق على بركة عظيمة فى جوانبها أربع سروات لم ير أحسن منها فنزل هناك وجعل ينظر الى آثار بنى أمية ويعجب منها ويذكرهم ثم دعا بطبق عليه طعام فأكل وأمر علوية فغنى

أولئك قومى بعد عز ومنعة * تفانوا فالا تذرف العين تكمد

وكان علوية من موالى بنى أمية فغضب المأمون وقال يا ابن الفاعلة ألم يكن لك وقت تبكى فيه على قومك الا هذا الوقت قال كيف لا أبكى عليهم ومولاكم زرياب كان فى أيام دولتهم يركب معهم فى مائة غلام وأنا مولاهم معكم أموت جوعا فقام المأمون فركب وانصرف الناس وغضب على علوية عشرين يوما وكلم فيه فرضى عنه ووصله بعشرين ألف درهم * لما ضرب عبد الله بن على أعناق بنى أمية قال له قائل من أصحابه هذا والله جهد البلاء فقال عبد الله كلا ماهذا وشرطة حجام الا سواء انما جهد البلاء فقر مدقع بعد غنى موسع * خطب سليمان بن على لما قتل بنى أمية بالبصرة فقال ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون قضاء فصل وقول مبرم فالحمد لله الذى صدق عبده وأنجز موعده وبعدا للقوم الظالمين الذين اتخذوا الكعبة غرضا والدين هزوا والفىء ارثا والقرآن عضين لقد حاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وكاين ترى لهم من بئر معطلة وقصر مشيد ذلك بما قدمت أيديهم وما ربك بظلام للعبيد أمهلهم حتى اضطهدوا العترة ونبذوا السنة واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد ثم أخذهم فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ضرب الوليد بن عبد الملك على بن عبد الله بن العباس بالسياط وشهره بين الناس يدار به على بعير ووجهه مما يلى ذنب البعير وصائح يصيح أمامه هذا على بن عبد الله الكذاب فقال له قائل وهو على تلك الحال ماالذى نسبوك اليه من الكذب ياأبا محمد قال بلغهم قولى ان هذا الامر سيكون فى ولدى والله ليكونن فيهم حتى يملكه عبيدهم الصغار العيون العراض الوجوه الذين كان وجوههم المجان المطرقة وروى ان على بن عبد الله دخل على هشام ومعه ابنا ابنه الخليفتان أبو العباس وأبو جعفر فكلمه فيما أراد ثم ولى فقال هشام ان هذا الشيخ قد خوف واهتر يقول ان هذا الامر سينتقل الى ولده فسمع على بن عبد الله كلامه فالتفت اليه وقال اى والله ليكونن ذلك وليملكن هذان وقد روى أبو العباس المبرد فى كتاب الكامل هذا الحديث فقال دخل على بن عبد الله بن العباس على سليمان ابن عبد الملك فيما رواه محمد بن شجاع الثلجى ومعه ابنا ابنه الخليفتان بعد أبو العباس وأبو جعفر فاوسع له على سريره

وبره وسأله عن حاجته فقال ثلاثون ألف درهم على دين فامر بقضائها قال واستوص بابنى هذين خيرا ففعل فشكره على بن عبد الله وقال وصلتك رحم فلما ولى قال سليمان لاصحابه ان هذا الشيخ قد اختل وأسن وخلط وصار يقول ان هذا الامر سينتقل الى ولده فسمع ذلك على بن عبد الله فالتفت اليه وقال اى والله ليكونن ذلك وليملكن هذان قال أبو العباس المبرد وفى هذه الرواية غلط لان الخليفة فى ذلك الوقت لم يكن سليمان وانما ينبغى أن يكون دخل على هشام لان محمد بن على بن عبد الله بن العباس كان يحاول التزويج فى بنى الحارث بن كعب ولم يكن سليمان بن عبد الملك يأذن له فلما قام عمر بن عبد العزيز جاءه فقال انى أردت ان أتزوج ابنة خالى من بنى الحارث بن كعب أفتأذن لى فقال عمر ابن عبد العزيز تزوج يرحمك الله من أحببت فتزوجها فاولدها أبا العباس السفاح وعمر بن عبد العزيز بعد سليمان وأبو العباس ينبغى أن لا يكون تهيأ لمثله أن يدخل على خليفة حتى يترعرع ولا يتم مثل هذا الا فى أيام هشام بن عبد الملك قال أبو العباس المبرد وقد جاءت الرواية أن أمير المؤمنين عليا عليه السلام لما ولد لعبد الله بن العباس مولود فقده وقت صلاة الظهر فقال مابال ابن العباس لم يحضر قالوا ولد له ولد ذكر ياأمير المؤمنين قال فامضوا بنا اليه فأتاه فقال له شكرت الواهب وبورك لك فى الموهوب ماسميته فقال ياأمير المؤمنين أو يجوز لى أن أسميه حتى تسميه فقال أخرجه الى فاخرجه فاخذه فحنكه ودعا له ثم رده اليه وقال خذ اليك أبا الاملاك قد سميته عليا وكنيته أبا الحسن قال فلما قدم معاوية خليفة قال لعبد الله بن العباس لا أجمع لك بين الاسم والكنية قد كنيته أبا محمد فجرت عليه . قلت سألت النقيب أبا جعفر يحيى بن محمد بن أبى زيد رحمه الله تعالى فقلت له من أى طريق عرف بنو أمية ان الامر سينتقل عنهم وانه سيليه بنو هاشم وأول من يلى منهم يكون اسمه عبد الله ولم منعوهم عن مناكحة بنى الحرث بن كعب لعلمهم ان أول من يلى الامر من بنى هاشم تكون أمه حارثية وبأى طريق عرف بنو هاشم ان الامر سيصير اليهم ويملكه عبيد أولادهم حتى عرفوا صاحب الامر منهم بعينه كما قد جاء فى هذا الخبر فقال أصل هذا كله محمد بن الحنفية ثم ابنه عبد الله المكنى أبا هاشم قلت له أفكان محمد بن الحنفية مخصوصا من أمير المؤمنين عليه السلام بعلم يستأثر به على أخويه حسن وحسين عليهما السلام قال لا ولكنهما كتما وأذاع ثم قال قد صحت الرواية عندنا عن أسلافنا وعن غيرهم من أرباب الحديث ان عليا عليه السلام لما قبض أتى محمد ابنه أخويه حسنا وحسينا عليهما السلام فقال لهما أعطيانى ميراثى من أبى فقالا له قد علمت ان أباك لم يترك صفراء ولا بيضاء فقال قد علمت ذلك وليس ميراث المال أطلب انما أطلب ميراث العلم قال أبو جعفر رحمه الله تعالى فروى أبان بن عثمان عمن يروى له ذلك عن جعفر بن محمد عليه السلام قال فدفعا اليه صحيفة لو أطلعاه على أكثر منها لهلك فيها ذكر دولة بنى العباس قال أبو جعفر وقد روى أبو الحسن على بن محمد النوفلى قال حدثنى عيسى بن على بن عبد الله بن العباس قال لما أردنا الهرب من مروان بن محمد لما قبض على ابراهيم الامام جعلنا نسخة الصحيفة التى دفعها أبو هاشم محمد بن الحنفية الى محمد بن على بن عبد الله بن العباس وهى التى كان آباؤنا يسمونها صحيفة الدولة فى صندوق من نحاس صغير ثم دفناه تحت زيتونات بالشراة لم يكن بالشراة من الزيتون غيرهن فلما أفضى السلطان الينا وملكنا الامر أرسلنا الى ذلك الموضع فبحث وحفر فلم يوجد فيه شئ فامرنا بحفر جريب من الارض فى ذلك الموضع حتى بلغ الحفر الماء ولم نجد شيأ قال أبو جعفر وقد كان محمد بن الحنفية صرح بالامر لعبد الله بن العباس وعرفه تفصيله ولم يكن أمير المؤمنين عليه السلام قد فصل لعبد الله بن العباس الامر وانما أخبره به مجملا كقوله فى هذا الخبر خذ اليك أبا الاملاك ونحو ذلك مما كان يعرض له به ولكن الذى كشف القناع وأبرز المستور عليه هو محمد بن الحنفية وكذلك أيضا ما وصل الى بنى أمية من علم هذا الامر فانه وصل من جهة محمد بن الحنفية وأطلعهم على السر الذى علمه ولكن لم يكشف لهم كشفه لبنى العباس فان كشفه الامر لبنى العباس كان أكمل قال أبو جعفر فاما أبو هاشم فانه قد كان أفضى بالامر الى محمد بن على بن عبد الله بن العباس وأطلعه عليه وأوضحه له فلما حضرته الوفاة عقيب انصرافه من عند الوليد بن عبد الملك مر بالشراة وهو مريض ومحمد بن على بها فدفع اليه كتبه وجعله وصيه وأمر الشيعة بالاختلاف اليه قال أبو جعفر وحضر وفاة أبى هاشم ثلاثة نفر من بنى هاشم محمد بن على

هذا ومعاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب وعبد الله بن الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب فلما مات خرج محمد بن على ومعاوية بن عبد الله بن جعفر من عنده وكل واحد منهما يدعى وصايته فاما عبد الله بن الحرث فلم يقل شيأ قال أبو جعفر رحمه الله تعالى وصدق محمد بن على أنه اليه أوصى أبو هاشم واليه دفع كتاب الدولة وكذب معاوية ابن عبد الله بن جعفر لكنه قرأ الكتاب فوجد لهم فيه ذكرا يسيرا فادعى الوصية بذلك فمات وخرج ابنه عبد الله بن معاوية يدعى وصاية أبيه ويدعى لابيه وصاية أبى هاشم ويظهر الانكار على بنى أمية وكان له فى ذلك شيعة يقولون بامامته سرا حتى قتل . دخلت احدى نساء بنى أمية على سليمان بن على وهو يقتل بنى أمية بالبصرة فقالت أيها الامير ان العدل ليمل من الاكثار منه والاسراف فيه فكيف لا تمل أنت من الجور وقطيعة الرحم فاطرق ثم قال لها

سننتم علينا القتل لا تنكرونه ٭ فذوقوا كما ذقنا على سالف الدهر

ثم قال يا أمة الله أول راض سنة من يسيرها ألم تحاربوا عليا وتدفعوا حقه ألم تسموا حسنا وتنقضوا شرطه ألم تقتلوا حسينا وتسيروا رأسه ألم تقتلوا زيدا وتصلبوا جسده ألم تقتلوا يحيى وتمثلوا به ألم تلعنوا عليا على منابركم ألم تضربوا أبانا على بن عبد الله بسياطكم ألم تخنقوا الامام بجراب النورة فى حبسكم ثم قال ألك حاجة قالت قبض عمالك أموالى فامر برد أموالها عليها . لما سار مروان الى الزاب حفر خندقا فسار اليه أبو عون عبد الله بن يزيد الازدى وكان قحطبة بن شبيب قد وجهه وأمده أبو سلمة الخلال بامداد كثيرة فكان بازاء مروان ثم ان أبا العباس السفاح قال لاهله وهو بالكوفة حينئذ من يسير الى مروان من أهل بيتى وله ولاية العهد ان قتله فقال عبد الله عمه أنا قال سر على بركة الله فسار فقدم على أبى عون فتحول له أبو عون عن سرادقه وخلاه له بما فيه ثم سأل عبد الله عن مخاضة فى الزاب فدل عليها فامر قائدا من قواده فعبرها فى خمسة آلاف فانتهى الى عسكر مروان فقاتلهم حتى أمسوا وتحاجزوا ورجع القائد باصحابه فعبر المخاضة الى عسكر عبد الله بن على وأصبح مروان فعقد جسرا وعبر بالجيش كله الى عبد الله بن على فكان ابنه عبد الله بن مروان فى مقدمته وعلى الميمنة الوليد بن معاوية بن عبد الملك بن مروان وعلى الميسرة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن مروان وعبى عبد الله بن على جيشه وتراءى الجمعان فقال مروان لعبد العزيز بن عمر انظر فان زالت الشمس اليوم ولم يقاتلونا كنا نحن الذين ندفعها الى عيسى بن مريم وان قاتلونا قبل الزوال فانا لله وانا اليه راجعون ثم أرسل الى عبد الله بن على يسأله الكف عن القتال نهار ذلك اليوم فقال عبد الله كذب ابن زربى انما يريد المدافعة الى الزوال لا والله لا تزول الشمس حتى أوطئه الخيل ان شاء الله ثم حرك أصحابه للقتال فنادى مروان فى أهل الشام لا تبدؤهم بالحرب فلم يسمع الوليد بن معاوية منه وحمل على ميسرة عبد الله بن على فغضب مروان وشتمه فلم يسمع له واضطرمت الحرب فامر عبد الله الرماة أن ينزلوا ونادى الارض الارض فنزل الناس ورمت الرماة وأشرعت الرماح وجثوا على الركب فاشتد القتال فقال مروان لقضاعة انزلوا قالوا حتى تنزل كندة فقال لكندة انزلوا فقالوا حتى ينزل السكاسك فقال لبنى سليم انزلوا فقالوا حتى ينزل عامر فقال لتميم احملوا فقالوا حتى تحمل بنو أسد فقال لهوازن احملوا قالوا حتى يحمل غطفان فقال لصاحب شرطته احمل ويلك قال ما كنت لاجعل نفسى غرضا قال أما والله لاسوأنك قال وددت ان أمير المؤمنين يقدر على ذلك فانهزم عسكر مروان وانهزم مروان معهم وقطع الجسر فكان من هلك غرقا أكثر ممن هلك تحت السيف واحتوى عبد الله بن على على عسكر مروان بما فيه وكتب الى أبى العباس بخبر الواقعة . كان مروان سديد الرأى ميمون النقيبة حازما فلما ظهرت المسودة ولقيهم كان ما يدبر أمرا الا كان فيه خلل ولقد وقف يوم الزاب وأمر بالاموال فاخرجت وقال للناس اصبروا وقاتلوا وهذه الاموال لكم فجعل ناس يصيبون من ذلك المال ويشتغلون به عن الحرب فقال لابنه عبد الله سر فى أصحابك فامنع من يتعرض لاخذ المال فمال عبد الله برايته ومعه أصحابه فتنادى الناس الهزيمة الهزيمة فانهزموا وركب أصحاب عبد الله بن على أكتافهم . لما قتل مروان ببوصير قال الحسن بن قحطبة أخرجوا الى احدى بنات مروان فاخرجوها اليه وهى ترعد قال لا بأس عليك قالت وأى بأس أعظم من اخراجك اياى حاسرة ولم أر رجلا قبلك قط فاجلسها ووضع رأس مروان فى حجرها فصرخت واضطربت

فقيل له ما أردت بهذا قال فعلت بهم فعلهم بزيد بن على لما قتلوه جعلوا رأسه فى حجر زينب بنت على بن الحسين عليه السلام . دخلت زوجة مروان بن محمد وهى عجوز كبيرة على الخيزران فى خلافة المهدى وعندها زينب بنت سليمان بن على فقالت لها زينب الحمد لله الذى أزال نعمتك وصيرك عبرة أتذكرين يا عدوة الله حين أتاك نساؤنا يسألنك ان تكلمى صاحبك فى أمر ابراهيم بن محمد فلقيتهن ذلك اللقاء وأخرجتهن ذلك الاخراج فضحكت وقالت أى بنت عمى وأى شىء أعجبك من حسن صنيع الله بى عقيب ذلك حتى أردت ان تتأسى بى فيه ثم ولت خارجة . بويع أبو العباس السفاح بالخلافة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلون من شهر ربيع الاول سنة اثنتين وثلاثين ومائة فصعد المنبر بالكوفة فخطب فقال الحمد لله الذى اصطفى الاسلام لنفسه وكرمه وشرفه وعظمه واختاره لنا وأيده بنا وجعلنا أهله وكهفه وحصنه والقوام به والذابين عنه والناصرين له وخصنا برحم رسول الله صلى الله عليه وآله وأنبتنا من شجرته واشتقنا من نبعته وأنزل بذلك كتابا يتلى فقال سبحانه قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله قام بالامر أصحابه وأمرهم شورى بينهم فعدلوا وخرجوا خماصا ثم وثب بنو حرب وبنو مروان فابتزوها وتداولوها واستأثروا بها وظلموا أهلها فاملى الله لهم حينا فلما آسفوه انتقم منهم بايدينا ورد علينا حقنا فانا السفاح المبيح والثائر المبير وكان موعوكا فاشتدت عليه الوعكة فجلس على المنبر ولم يستطع الكلام فقام عمه داود بن على وكان بين يديه فقال يا أهل العراق انا والله ما خرجنا لنحفر نهرا ولا لنكنز لجينا ولا عقيانا وانما أخرجتنا الأنفة من ابتزاز الظالمين حقنا ولقد كانت أموركم تتصل بنا فترمضنا ونحن على فرشنا لكم ذمة الله وذمة رسوله وذمة العباس ان نحكم فيكم بما أنزل الله ونعمل فيكم بكتاب الله ونسير فيكم بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله واعلموا أن هذا الامر ليس بخارج عنا حتى نسلمه الى عيسى بن مريم يا أهل الكوفة انه لم يخطب على منبركم هذا خليفة حق الا على بن أبى طالب وأمير المؤمنين هذا فاحمدوا الله الذى رد اليكم أموركم ثم نزل وقد روى حديث خطبة داود بن على برواية أخرى وهى الاشهر قالوا لما صعد أبو العباس منبر الكوفة حصر فلم يتكلم فقام داود بن على وكان تحت منبره حتى قام بين يديه تحته بمرقاة فاستقبل الناس وقال أيها الناس ان أمير المؤمنين يكره أن يتقدم قوله فعله ولأثر الفعال أجدى عليكم من تشقيق المقال وحسبكم كتاب الله ممثلا فيكم وابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله خليفة عليكم أقسم بالله قسما برا ما قام هذا المقام أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أحق به من على بن أبى طالب وأمير المؤمنين هذا فليهمس هامسكم ولينطق ناطقكم ثم نزل ومن خطب داود التى خطب بها بعد قتل مروان شكرا شكرا أظن عدو الله أن لن يظفر به أرخى له فى زمامه حتى عثر فى فضل خطامه فالآن عاد الحق الى نصابه وطلعت الشمس من مطلعها وأخذ القوس باريها وصار الامر الى النزعة ورجع الحق الى مستقره أهل بيت نبيكم أهل الرأفة والرحمة . وخطب عيسى بن على بن عبد الله بن العباس لما قتل مروان فقال الحمد لله الذى لا يفوته من طلب ولا يعجزه من هرب خدعت والله الاشقر نفسه اذ ظن ان الله يمهله ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون فحتى متى والى متى أما والله لقد كرهتهم العيدان التى افترعوها وأمسكت السماء درها والارض ريعها وقحل الضرع وجفر الفنيق وأسمل جلباب الدين وأبطلت الحدود وأهدرت الدماء وكان ربك بالمرصاد فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها وملكنا الله أمركم عباد الله لينظر كيف تعملون فالشكر الشكر فانه من دواعى المزيد أعاذنا الله واياكم من مضلات الاهواء وبغتات الفتن فانما نحن به وله . لما أمعن داود بن على فى قتل بنى أمية بالحجاز قال له عبد الله بن حسن عليه السلام يا ابن عمى اذا أفرطت فى قتل أكفائك فمن تباهى بسلطانك وما يكفيك منهم أن يروك غاديا ورائحا فيما يسرك ويسوءهم . كان داود بن على يمثل ببنى أمية يسمل العيون ويبقر البطون ويجدع الانوف ويصطلم الآذان وكان عبد الله بن على بنهر أبى فطرس يصلبهم منكسين ويسقيهم النورة والصبر والرماد والخل ويقطع الايدى والارجل وكان سليمان بن على بالبصرة يضرب الاعناق . خطب السفاح فى الجمعة الثانية بالكوفة فقال يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود والله لا أعدكم شيأ ولا أتوعدكم الا وفيت بالوعد والوعيد ولاعملن اللين حتى لا تنفع الا الشدة ولا غمدن السيف الا فى اقامة حد أو بلوغ حق ولاعطينكم حتى أرى العطية ضياعا ان أهل بيت اللعنة

والشجرة الملعونة فى القرآن كانوا لكم أعداء لا يرجعون معكم من حالة الا الى ماهو أشد منها ولا يلى عليكم منهم وآل الا تمنيتم من كان قبله وان كان لا خير فى جميعهم منعوكم الصلاة فى أوقاتها وطالبوكم باداثها فى غير وقتها وأخذوا المدبر بالمقبل والجار بالجار وسلطوا شراركم على خياركم فقد محق الله جورهم وأزهق باطلهم باهل بيت نبيكم فما نؤخر لكم عطاء ولا نضيع لاحد منكم حقا ولا نجهزكم فى بعث ولا نخاطر بكم فى قتال ولا نبذلكم دون أنفسنا والله على مانقول وكيل بالوفاء والاجتهاد وعليكم بالسمع والطاعة ثم نزل • كان يقال لو ذهبت دولة بنى أمية على يد غير مروان بن محمد لقيل لو كان لها مروان لما ذهبت • كان يقال ان دولة بنى أمية آخرها خليفة أمه أمة فلذلك كانوا لا يعهدون الى بنى الاماء منهم ولو عهدوا الى ابن أمة لكان مسلمة بن عبد الملك أولاهم بها وكان انقراض أمرهم على يد مروان وأمه أمة كانت لمصعب ابن الزبير وهبها من ابراهيم بن الاشتر فاصابها محمد بن مروان يوم قتل ابن الاشتر فاخذها من ثقله فقيل انها كانت حاملا بمروان فولدته على فراش محمد بن مروان ولذلك كان أهل خراسان ينادونه فى الحرب بابن الاشتر • قيل أيضا انها كانت حاملا به من مصعب بن الزبير وانه لم تطل مدتها عند ابراهيم بن الاشتر حتى قتل فوضعت حملها على فراش محمد بن مروان ولذلك كانت المسودة تصيح به فى الحرب يا ابن مصعب ثم يقولون يا ابن الاشتر فيقول ما أبالى أى الفحلين غلب على • لما بويع أبو العباس جاءه ابن عياش المنتوف فقبل يده وبايعه وقال الحمد لله الذى أبدلنا بحمار الجزيرة وابن أمة النخع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وابن عبد المطلب • لما صعد السفاح منبر الكوفة يوم بيعته وخطب الناس قام اليه السيد الحميرى فانشده

دونكموها يا بنى هاشم * فجددوا من آيها الطامسا
دونكموها لا علا كعب من * أمسى عليكم ملكها نافسا
دونكموها فالبسوا تاجها * لا تعدموا منكم له لابسا
خلافة الله وسلطانه * وعنصر كان لكم دارسا
قد ساسها من قبلكم ساسة * لم يتركوا رطبا ولا يابسا
لو خير المنبر فرسانه * ما اختار الا منكم فارسا
والملك لو شوور فى سائس * لما ارتضى غيركم سائسا
لم يبق عبد الله بالشام من * آل أبى العاص امرأ عاطسا
فلست من ان تملكوها الى * هبوط عيسى منكم آيسا

قال داود بن على لاسمعيل بن عمرو بن سعيد بن العاص بعد قتله من قتل من بنى أمية هل علمت مافعلت باصحابك قال نعم كانوا يدا فقطعتها وعضدا ففتت فيها ومرة فنقضتها وجناحا فحصصتها قال انى لخليق أن ألحقك فيهم قال انى اذا لسعيد لما استوثق الامر لابى العباس السفاح وفد اليه عشرة من أمراء الشام فحلفوا له بالله وبطلاق نسائهم وبايمان البيعة بانهم لا يعلمون الى أن قتل مروان ان لرسول الله صلى الله عليه وآله أهلا ولا قرابة الا بنى أمية وروى أبو الحسن المدائنى قال حدثنى رجل قال كنت بالشام فجعلت لا أسمع أحدا يسمى أحدا أو يناديه ياعلى أو ياحسن أو ياحسين وانما أسمع معاوية والوليد ويزيد حتى مررت برجل فاستسقيته ماء فجعل ينادى ياعلى ياحسن ياحسين فقلت ياهذا ان أهل الشام لا يسمون بهذه الاسماء قال صدقت انهم يسمون أبناءهم باسماء الخلفاء فاذا لعن أحدهم ولده أو شتمه فقد لعن اسم بعض الخلفاء وأنا سميت أولادى باسماء أعداء الله فاذا شتمت أحدهم أو لعنته فانما ألعن أعداء الله كانت أم ابراهيم بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس أموية من ولد عثمان بن عفان قال ابراهيم فدخلت على جدى عيسى بن موسى مع أبى موسى فقال لى جدى أتحب بنى أمية فقال له موسى أبى نعم انهم أخواله فقال والله لو رأيت جدك على بن عبد الله بن العباس يضرب بالسياط ما أحببتهم ولو رأيت ابراهيم بن محمد يكره على ادخال رأسه فى جراب النورة لما أحببتهم وسأحدثك حديثا ان شاء الله أن ينفعك به نفعك لما وجه سليمان بن عبد الملك ابنه

أيوب بن سليمان الى الطائف وجه معه جماعة فكنت أنا ومحمد بن على بن عبد الله جدى معهم وأنا حينئذ حديث السن وكان مع أيوب مؤدب له يؤدبه فدخلنا عليه يوما أنا وجدى وذلك المؤدب يضربه فلما رآنا الغلام أقبل على مؤدبه فضربه فنظر بعضنا الى بعض وقلنا ماله قاتله الله حين رآنا كره أن نشمت به ثم التفت أيوب الينا فقال ألا أخبركم يا بنى هاشم باعقلكم وأعقلنا أعقلنا من نشأ منا يبغضكم وأعقلكم من نشأ منكم يبغضنا وعلامة ذلك انكم لم تسموا بمروان ولا الوليد ولا عبد الملك ولم نسم نحن بعلى ولا بحسن ولا بحسين • لما انتهى عامر بن اسمعيل وكان صالح بن على قد أنفذه لطلب مروان الى بوصير مصر هرب مروان بين يديه فى نفر يسير من أهله وأصحابه ولم يكن قد تخلف معه كثير عدد فانتهوا فى غبش الصبح الى قنطرة هناك على نهر عميق ليس للخيل عبور الا على تلك القنطرة وعامر بن اسمعيل من ورائهم فصادف مروان على تلك القنطرة بغالا قد استقبلته تعبر القنطرة وعليها زقاق عسل فحبسته عن العبور حتى أدركه عامر بن اسمعيل ورهقه فلوى مروان دابته اليهم وحارب فقتل فلما بلغ صالح بن على ذلك قال ان لله جنودا من عسل • لما نقف رأس مروان ونفض مخه قطع لسانه وألقى مع لحم عنقه فجاء كلب فاخذ اللسان فقال قائل ان من عبر الدنيا ان رأينا لسان مروان فى فم كلب • خطب أبو مسلم بالمدينة فى السنة التى حج فيها فى خلافة السفاح فقال الحمد لله الذى حمد نفسه واختار الاسلام دينا لعباده ثم أوحى الى محمد رسول الله صلى الله عليه وآله من ذلك ما أوحى واختاره من خلقه نفسه من أنفسهم وبيته من بيوتهم ثم أنزل عليه فى كتابه الناطق الذى حفظه بعلمه وأشهد ملائكته على حقه قوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ثم جعل الحق بعد محمد صلى الله عليه وآله فى أهل بيته فصبر من صبر منهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله على اللأواء والشدة وأغضى على الاستبداد والاثرة ثم ان قوما من أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله جاهدوا على ملة نبيه وسنته بعد عصر من الزمان من عمل بطاعة الشيطان وعداوة الرحمن بين ظهرانى قوم آثروا العاجل على الآجل والفانى على الباقى ان رتق جور فتقوه أو فتق حق رتقوه أهل خمور وماخور وطنابير ومزامير ان ذكروا لم يذكروا أو قوموا الى الحق أدبروا وجعلوا الصدقات فى الشبهات والمغانم فى المحارم والفىء فى الغى هكذا كان زمانهم وبه كان يعمل سلطانهم وزعموا ان غير آل محمد أولى بالامر منهم فلم وبم أيها الناس ألكم الفضل بالصحابة دون ذوى القرابة الشركاء فى النسب والورثة فى السلب مع ضربهم على الدين جاهلكم واطعامهم فى الجدب جائعكم والله ما اخترتم من حيث اختار الله لنفسه ساعة قط ومازلتم بعد نبيه تختارون تيميا مرة وعدويا مرة وأمويا مرة وأسديا مرة وسفيانيا مرة ومروانيا مرة حتى جاءكم من لا تعرفون اسمه ولا بيته يضربكم بسيفه فاعطيتموها عنوة وأنتم صاغرون ألا ان آل محمد أئمة الهدى ومنار سبيل التقى القادة الذادة السادة بنو عم رسول الله ومنزل جبريل بالتنزيل كم قصم الله بهم من جبار طاغ وفاسق باغ شيد الله بهم الهدى وجلى بهم العمى لم يسمع بمثل العباس وكيف لا تخضع له الامم لواجب حق الحرمة أبو رسول الله بعد أبيه واحدى يديه وجلدة بين عينيه أمينه يوم العقبة وناصره بمكة ورسوله الى أهلها وحاميه يوم حنين عند ملتقى الفئتين لا يخالف له رسما ولا يعصى له حكما الشافع يوم نيق العقاب الى رسول الله صلى الله عليه وآله فى الاحزاب ها ان فى هذا أيها الناس لعبرة لاولى الابصار فلت الاسدى عبد الله بن الزبير ومن لا يعرفون اسمه ولا بيته يعنى نفسه لانه لم يكن معلوم النسب وقد اختلف فيه هل هو مولى أم عربى ويوم العقبة يوم مبايعة الانصار السبعين لرسول الله صلى الله عليه وآله بمكة ويوم نيق العقاب يوم فتح مكة شفع العباس ذلك اليوم فى أبى سفيان وفى أهل مكة فعفا النبى صلى الله عليه وآله عنهم • اجتمع عند المنصور أيام خلافته جماعة من ولد أبيه منهم عيسى بن موسى والعباس بن محمد وغيرهما فتذاكروا خلفاء بنى أمية والسبب الذى به سلبوا عزهم فقال المنصور كان عبد الملك جبارا لا يبالى ماصنع وكان الوليد لحانا مجنونا وكان سليمان همته بطنه وفرجه وكان عمر أعور بين عميان وكان هشام رجل القوم ولم يزل بنو أمية ضابطين لما مهد لهم من السلطان يحوطونه ويصونونه ويحفظونه ويحرسون ماوهب الله لهم منه مع تسنمهم معالى الامور ورفضهم أدانيها حتى أفضى أمرهم الى احداث مترفين من أبنائهم فغمطوا النعمة ولم يشكروا العافية وأساؤا الرعاية فابتدأت النقمة منهم باستدراج الله

اياهم آمنين مكره مطرحين صيانة الخلافة مستخفين بحق الرياسة ضعيفين عن رسوم السياسة فسلبهم الله العزة وألبسهم الذلة وأزال عنهم النعمة • سأل المنصور ليلة عن عبد الله بن مروان بن محمد فقال له الربيع انه فى سجن أمير المؤمنين حيا فقال المنصور قد كان بلغنى كلام خاطبه به ملك النوبة لما قدم دياره وأنا أحب أن أسمعه من فيه فليؤمر باحضاره فاحضر فلما دخل خاطب المنصور بالخلافة فامره المنصور بالجلوس فجلس وللقيد فى رجليه خشخشة قال أحب أن تسمعنى كلاما قاله لك ملك النوبة حيث غشيت بلاده قال نعم قدمت الى بلد النوبة فاقمت أياما فاتصل خبرنا بالملك فارسل الينا فرشا وبسطا وطعاما كثيرا وأفرد لنا منازل واسعة ثم جاءنى ومعه خمسون من أصحابه بايديهم الحراب فقمت اليه فاستقبلته وتنحيت له عن صدر المجلس فلم يجلس فيه وقعد على الارض فقلت له ما منعك من القعود على الفرش قال انى ملك وحق الملك أن يتواضع لله ولعظمته اذا رأى نعمة متجددة عنده ولما رأيت تجدد نعمة الله عندى بقصدكم بلادى واستجارتكم بى بعد عزكم وملككم قابلت هذه النعمة بما ترى من الخضوع والتواضع ثم سكت وسكت فلبثنا ماشاء الله لا يتكلم ولا أتكلم وأصحابه قيام بالحراب على رأسه ثم قال لى لماذا شربتم الخمر وهى محرمة عليكم فى كتابكم فقلت اجترأ على ذلك عبيدنا بجهلهم قال فلم وطئتم الزروع بدوابكم والفساد محرم عليكم فى كتابكم ودينكم قلت فعل ذلك اتباعنا وعمالنا جهلا منهم قال فلم لبستم الحرير والديباج والذهب وهو محرم عليكم فى كتابكم ودينكم قلت استعنا فى أعمالنا بقوم من أبناء العجم كتاب دخلوا فى ديننا فلبسوا ذلك اتباعا لسنة سلفهم على كره منا فاطرق مليا الى الارض يقلب يده وينكت الارض ثم قال عبيدنا وأتباعنا وعمالنا وكتابنا ما الامر كما ذكرت ولكنكم قوم استحللتم ما حرم الله عليكم وركبتم ما عنه نهيتم وظلمتم فيما ملكتم فسلبكم الله العز وألبسكم الذل وان له سبحانه فيكم لنقمة لم تبلغ غايتها بعد وأنا خائف أن يحل بكم العذاب وأنتم بارضى فينالنى معكم والضيافة ثلاث فاطلبوا ما احتجتم اليه وارتحلوا عن أرضى فاخذنا منه ما تزودنا به وارتحلنا عن بلده فعجب المنصور لذلك وأمر باعادته الى الحبس • وقد جاءنا فى بعض الروايات ان السفاح لما أراد أن يقتل القوم الذين انضموا اليه من بنى أمية جلس يوما على سرير بهاشمية الكوفة وجاء بنو أمية وغيرهم من بنى هاشم والقواد والكتاب فاجلسهم فى دار تتصل بداره وبينه وبينهم ستر مسدول ثم أخرج اليهم أبا الجهم ابن عطية وبيده كتاب ملصق فنادى بحيث يسمعون أين رسول الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام فلم يتكلم أحد فدخل ثم خرج ثانية فنادى أين رسول زيد بن على بن الحسين فلم يجبه أحد فدخل ثم خرج ثالثة فنادى أين رسول يحيى بن زيد بن على فلم يرد أحد عليه فدخل ثم خرج رابعة فنادى أين رسول ابراهيم بن محمد الامام والقوم ينظر بعضهم الى بعض وقد أيقنوا بالشر ثم دخل وخرج فقال لهم ان أمير المؤمنين يقول لكم هؤلاء أهلى ولحمى فماذا صنعتم بهم ردوهم الى أو فاقيدونى من أنفسكم فلم ينطقوا بحرف وخرجت الخراسانية بالاعمدة فشدخوهم عن آخرهم قلت وهذا المعنى مأخوذ من قول الفضل بن عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب لما قتل زيد بن على عليه السلام فى سنة اثنتين وعشرين ومائة فى خلافة هشام بن عبد الملك وذلك ان هشاما كتب الى عامله بالبصرة وهو القاسم بن محمد الثقفى ان يشخص كل من بالعراق من بنى هاشم الى المدينة خوفا من خروجهم وكتب الى عامل المدينة ان يحبس قوما منهم وان يعرضهم فى كل أسبوع مرة ويقيم لهم الكفلاء على ان لا يخرجوا منها فقال الفضل ابن عبد الرحمن من قصيدة له طويلة

كلما أحدثوا بارض نقيقا • ضمنونا السجون أو سيرونا

أشخصونا الى المدينة أسرى • لا كفاهم ربى الذى يحذرونا

خلفوا أحمد المطهر فينا • بالذى لا يحب واستضعفونا

قتلونا بغير ذنب اليهم • قاتل الله أمة قتلونا •

ما رعوا حقنا ولا حفظوا • فينا وصاة الاله بالاقربينا

جعلونا أدنى عدو اليهم • فهم فى دمائنا يسبحونا

أنكروا حقنا وجاروا علينا • وعلى غير احنة أبغضونا

غير أن النبى منا وانا • لم نزل فى صلاتهم راغبينا

ان دعونا الى الهدى لم يجيبو • نا وكانوا عن الهدى ناكبينا

أوامرنا بالعرف لم يسمعوا • منا وردوا نصيحة الناصحينا

ولقد ما ارد نصح ذوى الرأ • ى فلم يتبعهم الجاهلونا

فعسى الله أن يديل أناسا • من أناس فيصبحوا ظاهرينا

فتقر العيون من قوم سوء • قد أخافوا وقتلوا المؤمنينا

ليت شعرى هل ترجعن بى الخيل عليها الكماة مستلئمينا

من بنى هاشم ومن كل حى • ينصرون الاسلام مستنصرينا

فى أناس آباؤهم نصروا الد • ين وكانوا لربهم ناصرينا

تحكم المرهفات فى الهام منهم • بأكف المعاشر الثائرينا

أين قتلى منا بغيتم عليهم • ثم قتلتموهم ظالمينا

ارجعوا هاشما وردوا أبا • اليقظان وابن البديل فى آخرينا

وارجعوا ذا الشهادتين وقتلى • أنتم فى قتالهم فاجرونا

ثم ردوا حجرا وأصحاب حجر • يوم أنتم فى قتلهم معتدونا

ثم ردوا أبا عمير وردوا • لى رشيدا وميثما والذينا

قتلوا بالطف يوم حسين • من بنى هاشم وردوا حسينا

أين عمرو وأين بشر وقتلى • معهم بالعراء ما يدفنونا

ارجعوا عامرا وردوا زهيرا • ثم عثمان فارجعوا عازمينا

وارجعوا الحر وابن قين • وقوما قتلوا حين جاوزوا صفينا

وارجعوا هاينا وردوا الينا • مسلما والرواع فى آخرينا

• ثم ردوا زيدا الينا وردوا • كل من قد قتلتم أجعينا

لن تردوهم الينا ولسنا • منكم غير ذلكم قابلينا

(الاصل) أَلاَ وَإِنَّ أَبْصَرَ الأَبْصارِ ما نَفَذَ فِي الخَيْرِ طَرْفُهُ • أَلاَ إِنَّ أَسْمَعَ الأَسْماعِ ما وَعَى التَّذْكِيرَ وَقَبِلَهُ • أَيُّها النَّاسُ اسْتَصْبِحُوا مِنْ شُعْلَةِ مِصْباحٍ وَاعِظٍ مُتَّعِظٍ • وَامْتاحُوا مِنْ صَفْيِ عَيْنٍ قَدْ رُوِّقَتْ مِنَ الْكَدَرِ • عِبادَ اللهِ لاَ تَرْكَنُوا إِلَى جَهالَتِكُمْ وَلاَ تَنْقادُوا إِلَى أَهْوائِكُمْ • فَإِنَّ النَّازِلَ بِهذَا الْمَنْزِلِ نازِلٌ بِشَفا جُرُفٍ هارٍ يَنْقُلُ الرَّدَى عَلى ظَهْرِهِ مِنْ مَوْضِعٍ الَى مَوْضِعٍ • لِرَأْيٍ يُحْدِثُهُ بَعْدَ رَأْيٍ يُرِيدُ أَنْ يُلْصِقَ ما لاَ يَلْتَصِقُ وَيُقَرِّبَ ما لاَ يَتَقارَبُ • فَاللهَ اللهَ أَنْ تَشْكُوا إِلَى مَنْ لاَ يُشْكِي شَجْوَكُمْ • وَلاَ يَنْقُضُ بِرَأْيِهِ ما قَدْ أَبْرَمَ لَكُمْ • إِنَّهُ لَيْسَ عَلى الإِمامِ إِلاَّ ما حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ • الإِبْلاغُ فِي

الْمَوْعِظَةِ وَالاجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِ * وَالاحْيَاءُ لِلسُّنَّةِ وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَى مُسْتَحِقِّيهَا وَإِصْدَارُ السُّهْمَانِ عَلَى أَهْلِهَا * فَبَادِرُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِ تَصْوِيحِ نَبْتِهِ * وَمِنْ قَبْلِ أَنْ تَشْغَلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ مُسْتَثَارِ الْعِلْمِ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ * وَانْهَوْا غَيْرَكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَنَاهَوْا عَنْهُ * فَإِنَّمَا أُمِرْتُمْ بِالنَّهْيِ بَعْدَ التَّنَاهِي

(الشرح) هار الجرف يهور هورا وهؤ رافهو هائر وقالوا هار خفضوه في موضع الرفع كقاض وأرادوا هائر وهو مقلوب من الثلاثي الى الرباعي كما قلبوا شائك السلاح الى شاكي السلاح وهورته فتهور وانهار أي انهدم وأشكيت زيدا أزلت شكايته والشجو الهم والحزن وصوح النبت أي جف أعلاه قال

ولكن البلاد اذا اقشعرت * وصوح نبتها رعى الهشيم

يقول عليه السلام أشد العيون ادرا كا ما نفذ طرفها في الخير وأشد الاسماع ادرا كا ما حفظ الموعظة وقبلها ثم أمر الناس أن يستصبحوا أي يسرجوا مصابيحهم من شعلة سراج متعظ في نفسه واعظ لغيره وروى بالاضافة من شعلة مصباح واعظ باضافة مصباح الى واعظ وانما جعله متعظا واعظا لان من لم يتعظ في نفسه فبعيد ان يتعظ به غيره وذلك لان القبول لا يحصل منه والانفس تكون نافرة عنه ويكون داخلا في حيز قوله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وفي قول الشاعر * لا تنه عن خلق وتأتي مثله * وعنى بهذا المصباح نفسه عليه السلام ثم أمرهم أن يمتاحوا من عين صافية قد انتفى عنها الكدر كما يروق الشراب بالراووق فيزول عنه كدره والامتياح نزول البئر وملء الدلاء منها ويكنى بهذا أيضا عن نفسه عليه السلام ثم نهاهم عن الانقياد لاهوائهم والميل الى جهالتهم وقال ان من يكون كذلك فانه على جانب جرف مستهدم ولفظة هار من الالفاظ القرآنية ثم قال ومن يكون كذلك فهو أيضا ينقل الهلاك على ظهره من موضع الى موضع ليحدث رأيا فاسدا بعد رأى فاسد أي هو ساع في ضلال يروم ان يحتج لما لا سبيل الى اثباته وينصر مذهبا لا انتصار له ثم نهاهم وحذرهم أن يشكوا الى من لا يزيل شكايتهم ومن لا رأى له في الدين ولا بصيرة لينقض ما قد أبرمه الشيطان في صدورهم لاغوائهم وروى الى من لا يشكى شجوكم ومن ينقض برأيه ما قد أبرم لكم وهذه الرواية أليق أي لا تشكوا الى من لا يدفع عنكم ما تشكون منه وانما ينقض برأيه الفاسد ما قد أبرمه الحق والشرع لكم ثم ذكر انه ليس على الامام الا ما قد أوضحه من الامور الخمسة ثم أمرهم بمبادرة أخذ العلم من أهله يعني نفسه عليه السلام قبل أن يموت فيذهب العلم وتصويح النبت كناية عن ذلك ثم قال وقبل ان تشغلوا بالفتن وما يحدث عليكم من خطوب الدنيا عن استثارة العلم من معدنه واستنباطه من قرارته ثم أمرهم بالنهي عن المنكر وأن يتناهوا عنه قبل أن ينهوا عنه وقال انما النهي بعد التناهي وفي هذا الموضع اشكال وذلك ان لقائل أن يقول النهي عن المنكر واجب على العدل والفاسق فكيف قال انما أمرتم بالنهي بعد التناهي وقد روى ان الحسن البصري قال للشعبي هلا نهيت عن كذا فقال يا أبا سعيد اني أكره أن أقول ما لا أفعل قال الحسن غفر الله لك وأينا يقول ما يفعل ود الشيطان لو ظفر منكم بهذه فلم يأمر أحد بمعروف ولم ينه عن منكر والجواب انه عليه السلام لم يرد ان وجود النهي عن المنكر مشروط بانتهاء ذلك الناهي عن المنكر وانما أراد اني لم آمركم بالنهي عن المنكر الا بعد ان أمرتكم بالانتهاء عن المنكر فالترتيب انما هو في أمره عليه السلام لهم بالحالتين المذكورتين لا في نهيهم وتناهيهم فان قلت فلماذا قدم أمرهم بالانتهاء على أمرهم بالنهي قلت لان اصلاح المرء نفسه أهم من الاعتناء باصلاحه لغيره

(الاصل) *(ومن خطبة له عليه السلام)*

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَعَ الإِسْلَامَ فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ وَأَعَزَّ أَرْكَانَهُ عَلَى مَنْ غَالَبَهُ فَجَعَلَهُ أَمْنًا لِمَنْ عَلِقَهُ * وَسِلْمًا لِمَنْ دَخَلَهُ * وَبُرْهَانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ * وَشَاهِدًا لِمَنْ خَاصَمَ عَنْهُ * وَنُورًا لِمَنِ اسْتَضَاءَ بِهِ وَفَهْمًا لِمَنْ عَقَلَ وَلُبًّا لِمَنْ تَدَبَّرَ * وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ وَتَبْصِرَةً لِمَنْ عَزَمَ * وَعِبْرَةً لِمَنِ اتَّعَظَ * وَنَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ * وَثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ * وَرَاحَةً لِمَنْ فَوَّضَ * وَجُنَّةً لِمَنْ صَبَرَ * فَهُوَ أَبْلَجُ الْمَنَاهِجِ * وَأَوْضَحُ الْوَلَائِجِ * مُشْرِفُ الْمَنَارِ * مُشْرِقُ الْجَوَادِّ * مُضِيءُ الْمَصَابِيحِ * كَرِيمُ الْمِضْمَارِ * رَفِيعُ الْغَايَةِ * جَامِعُ الْحَلْبَةِ * مُتَنَافِسُ السُّبْقَةِ * شَرِيفُ الْفُرْسَانِ التَّصْدِيقُ مِنْهَاجُهُ وَالصَّالِحَاتُ مَنَارُهُ وَالْمَوْتُ غَايَتُهُ * وَالدُّنْيَا مِضْمَارُهُ * وَالْقِيَامَةُ حَلْبَتُهُ * وَالْجَنَّةُ سُبْقَتُهُ

(الشرح) هذا باب من الخطابة شريف وذلك لانه ناط بكل واحدة من اللفظات لفظة تناسبها وتلائمها ولو نيطت بغيرها لما انطبقت عليها ولا استقرت في قرارها ألا تراه قال أمنا لمن علقه فالامن مرتب على الاعتلاق وكذلك في سائر الفقر كالسلم المرتب على الدخول والبرهان المرتب على الكلام والشاهد المرتب على الخصام والنور المرتب على الاستضاءة الى آخرها ألا ترى انه لو قال وبرهانا لمن دخله ونورا لمن خاصم عنه وشاهدا لمن استضاء به لكان قد قرن باللفظة ما لا يناسبها فكان قد خرج عن قانون الخطابة ودخل في عيب ظاهر وتوسم تفرس والولائج جمع وليجة وهو المدخل الى الوادي وغيره والجنة الترس وأبلج المناهج معروف الطريق والحلبة الخيل المجموعة للمسابقة والمضمار موضع تضمير الخيل أو زمان تضميرها والغاية الراية المنصوبة وهو ههنا خرقة تجعل على قصبة وتنصب في آخر المدى الذي تنتهي اليه المسابقة كأنه عليه السلام جعل الاسلام كخيل السباق التي مضمارها كريم وغايتها رفيعة عالية وحلبتها جامعة حاوية وسبقتها متنافس فيها وفرسانها أشراف ثم وصفها بصفات أخرى فقال التصديق طريقه والصالحات أعلامه والموت غايته أي ان الدنيا سجن المؤمن وبالموت يخلص عن ذلك السجن ويحظى بالسعادة الابدية قال والدنيا مضماره كأن الانسان يجري الى غاية هي الموت وانما جعلها مضمار الاسلام لان المسلم يقطع دنياه لا للدنيا بل لآخرته فالدنيا له كالمضمار للفرس الى الغاية المعينة قال والقيامة حلبته أي ذات حلبته فحذف المضاف كقوله تعالى هم درجات عند الله أي ذوو درجات ثم قال والجنة سبقته أي جزاء سبقته فحذف أيضا

(الاصل) مِنْهَا فِي ذِكْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) حَتَّى أَوْرَى قَبَسًا لِقَابِسٍ * وَأَنَارَ عَلَمًا لِحَابِسٍ * فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ وَبَعِيثُكَ نِعْمَةً * وَرَسُولُكَ بِالْحَقِّ رَحْمَةً اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَهُ مَقْسَمًا مِنْ عَدْلِكَ * وَاجْزِهِ مُضَعَّفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ اللَّهُمَّ وَأَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ نُزُلَهُ * وَشَرِّفْ عِنْدَكَ مَنْزِلَتَهُ وَآتِهِ الْوَسِيلَةَ * وَأَعْطِهِ السَّنَاءَ وَالْفَضِيلَةَ * وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ غَيْرَ خَزَايَا * وَلَا نَادِمِينَ وَلَا نَاكِبِينَ * وَلَا نَاكِثِينَ * وَلَا ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ وَلَا مَفْتُونِينَ (قَالَ الرَّضِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى)

(وَقَدْ مَضَى هَذَا الْكَلَامُ فِيمَا تَقَدَّمَ إِلاَّ أَنَّنَا كَرَّرْنَاهُ هَهُنَا لِمَا فِي الرِّوَايَتَيْنِ مِنَ الإِخْتِلَافِ)

(الشرح) قبسا منصوب بالمفعولية أى أورى رسول الله صلى الله عليه وآله قبسا والقبس شعلة من النار والقابس طالب الاستصباح منها والكلام مجاز والمراد الهداية فى الدين وعلما منصوب أيضا بالمفعولية أى وأنار رسول الله صلى الله عليه وآله علما الحابس أى نصب لمن قد حبس ناقته ضلالا فهو يخبط لا يدرى كيف يهتدى المنهج علما يهتدى به فان قلت فهل يجوز أن ينصب قبسا وعلما على أن يكون كل واحد منهما حالا أى حتى أورى رسول الله فى حال كونه قبسا وأنار فى حال كونه علما قلت لم يسمع أورى الزند وانما المسموع ورى وورى ولم يجىء أورى الامتعديا وورى زيد زنده فان حمل ههنا على التعدى احتيج الى حذف المفعول ويصير تقديره حتى أورى رسول الله الزند حال كونه قبسا فيكون فيه نوع تكلف واستهجان والبعيث المبعوث ومقسما أصيبا وان جعلته مصدرا جاز والنزل طعام الضيف والوسيلة ما يتقرب به وقد فسر قولهم فى دعاء الأذان اللهم آته الوسيلة بأنها درجة رفيعة فى الجنة والسناء بالمد الشرف وزمرته جماعته وخزايا جمع خزيان وهو الخجل المستحيى مثل سكران وسكارى وحيران وحيارى وغيران وغيارى وناكبين أى عادلين عن الطريق وناكثين أى ناقضين للعهد قلت سألت النقيب أبا جعفر رحمه الله وكان منصفا بعيدا عن الهوى والعصبية عن هذا الموضع فقلت له وقد وقفت على كلام الصحابة وخطبهم فلم أر فيهم من يعظم رسول الله صلى الله عليه وآله تعظيم هذا الرجل ولا يدعو كدعائه فانا قد وقفنا من نهج البلاغة ومن غيره على فصول كثيرة مناسبة لهذا الفصل تدل على اجلال عظيم وتبجيل شديد منه لرسول الله صلى الله عليه وآله فقال ومن أين لغيره من الصحابة كلام مدون يتعلم منه كيفية ذكرهم للنبى صلى الله عليه وآله وهل وجد لهم الا كلمات مبتدرة لا طائل تحتها ثم قال ان عليا عليه السلام كان قوى الايمان برسول الله صلى الله عليه وآله والتصديق له ثابت اليقين قاطعا بالامر متحققا له وكان مع ذلك يحب رسول الله صلى الله عليه وآله لنسبته منه وتربيته له واختصاصه به من دون أصحابه وبعد فشرفه له لانهما نفس واحدة فى جسمين الاب واحد والدار واحدة والاخلاق متناسبة فاذا عظمه فقد عظم نفسه واذا دعا اليه فقد دعا الى نفسه ولقد كان يود ان تطبق دعوة الاسلام مشارق الارض ومغاربها لان جمال ذلك لاحق به وعائد عليه فكيف لا يعظمه ويبجله ويجتهد فى اعلاء كلمته فقلت له قد كنت اليوم أنا وجعفر بن مكى الشاعر نتجاذب هذا الحديث فقال جعفر لم ينصر رسول الله صلى الله عليه وآله أحد نصرة أبى طالب وبنيه له أما أبو طالب فكفله ورباه ثم حماه من قريش عند اظهار الدعوة بعد اصفاقهم واطباقهم على قتله وأما ابنه جعفر فهاجر بجماعة من المسلمين الى أرض الحبشة فنشر دعوته بها وأما على فانه أقام عماد الملة بالمدينة ثم لم يمن أحد من القتل والهوان والتشريد بما منى به بنو أبى طالب أما جعفر فقتل يوم مؤتة وأما على فقتل بالكوفة بعد ان شرب نقيع الحنظل وتمنى الموت ولو تأخر قتل ابن ملجم له لمات أسفا وكمدا ثم قتل ابناه بالسم والسيف وقتل بنوه الباقون مع أخيهم بالطف وحملت نساؤهم على الاقتاب سبايا الى الشام ولقيت ذريتهم وأخلافهم بعد ذلك من القتل والصلب والتشريد فى البلاد والهوان والحبس والضرب مالا يحيط الوصف بكنهه فاى خير أصاب هذا البيت من نصرته ومحبته وتعظيمه بالقول والفعل فقال رحمه الله وأصاب فيما قال فهلا قلت يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين ثم قال وهلا قلت له فقد نصرته الانصار وبذلت مهجها دونه وقتلت بين يديه فى مواطن كثيرة وخصوصا يوم أحد ثم اهتضموا بعده واستؤثر عليهم ولقوا من المشاق والشدائد ما يطول شرحه ولو لم يكن الا يوم الحرة فانه اليوم الذى لم يكن فى العرب مثله ولا أصيب قوم قط بمثل ما أصيب به الانصار ذلك اليوم ثم قال ان الله تعالى زوى الدنيا عن صالحى عباده وأهل الاخلاص له لانه لم يرها ثمنا لعبادتهم ولا كفؤا لاخلاصهم وأرجأ جزاءهم الى دار أخرى غير هذه الدار فى مثلها يتنافس المتنافسون

(الاصل) (مِنْهَا فِي خِطَابِ أَصْحَابِهِ) وَقَدْ بَلَغْتُمْ مِنْ كَرَامَةِ اللهِ تَعَالَى لَكُمْ مَنْزِلَةً تُكْرَمُ بِهَا إِمَاؤُكُمْ وَتُوصَلُ بِهَا جِيرَانُكُمْ وَيُعَظِّمُكُمْ مَنْ لاَ فَضْلَ لَكُمْ عَلَيْهِ وَلاَ يَدَ لَكُمْ عِنْدَهُ * وَيَهَابُكُمْ مَنْ لاَ يَخَافُ لَكُمْ سَطْوَةً وَلاَ لَكُمْ عَلَيْهِ إِمْرَةٌ وَقَدْ تَرَوْنَ عُهُودَ اللهِ مَنْقُوضَةً فَلاَ تَغْضَبُونَ وَأَنْتُمْ لِنَقْضِ ذِمَمِ آبَائِكُمْ تَأْنَفُونَ * وَكَانَتْ أُمُورُ اللهِ عَلَيْكُمْ تَرِدُ وَعَنْكُمْ تَصْدُرُ وَإِلَيْكُمْ تَرْجِعُ * فَمَكَّنْتُمُ الظَّلَمَةَ مِنْ مَنْزِلَتِكُمْ وَأَلْقَيْتُمْ إِلَيْهِمْ أَزِمَّتَكُمْ * وَأَسْلَمْتُمْ أُمُورَ اللهِ فِي أَيْدِيهِمْ يَعْمَلُونَ بِالشُّبُهَاتِ وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ * وَايْمُ اللهِ لَوْ فَرَّقُوكُمْ تَحْتَ كُلِّ كَوْكَبٍ لَجَمَعَكُمُ اللهُ لِشَرِّ يَوْمٍ لَهُمْ

(الشرح) هذا خطاب لاصحابه الذين أسلموا مدنهم ونواحيهم الى جيوش معاوية التى كان يغير بها على أطراف أعمال على عليه السلام كالانبار وغيرها مما تقدم ذكرنا له قال لهم ان الله أكرمكم بالاسلام بعد ان كنتم مجوسا أو عباد أصنام وبلغتم من كرامته اياكم بالاسلام منزلة عظيمة أكرم بها اماؤكم وعبيدكم ومن كان مظنة المهنة والذلة ووصل بها جيرانكم أى من التجأ اليكم من معاهد أو ذمى فان الله تعالى حفظ لهم زمام المجاورة لكم حتى عصم دماءهم وأموالهم وصرتم الى حال يعظمكم بها من لا فضل لكم عليه ولا نعمة لكم عنده كالروم والحبشة فانهم عظموا مسلمى العرب لتقمصهم لباس الاسلام والدين ولزومهم ناموسه واظهارهم شعاره ويهابكم من لا يخاف لكم سطوة ولا لكم عليه امرة كالملوك الذين فى أقاصى البلاد نحو الهند والصين وأمثالها وذلك لانهم هابوا دولة الاسلام وان لم يخافوا سطوة سيفها الا انه شاع وذاع انهم قوم صالحون اذا دعوا الله استجاب لهم وانهم يقهرون الامم بالنصر السماوى وبالملائكة لا بسيوفهم ولا بايديهم قيل ان العرب لما عبرت دجلة الى القصر الابيض الشرقى بالمدائن عبرتها فى أيام مدها وهى كالبحر الزاخر على خيولها وبايديها رماحها ولا دروع عليها ولا بيض فهربت الفرس بعد رمى شديد منها للعرب بالسهام وهم يقدمون ويحملون ولا تهولهم السهام فقال فلاح نبطى بيده مسحاته وهو يفتح الماء الى زرعه لاسوار من الاساورة معروف بالباس وجودة الرماية ويلكم أمثلكم فى سلاحكم يهرب من هؤلاء القوم الحاسرين ولذعه باللوم والتعنيف فقال له أقم مسحاتك فاقامها فرماها فخرق الحديد حتى عبر النصل الى جانبها الآخر ثم قال انظر الآن ثم رمى بعض العرب المارين عليه عشرين سهما لم يصبه ولا فرسه منها بسهم واحد وانه لقريب منه غير بعيد ولقد كان بعض السهام يسقط بين يدى الاسوار فقال له بالفارسية أعلمت ان القوم مصنوع لهم قال نعم ثم قال عليه السلام أما لكم لا تغضبون وأنتم ترون عهود الله منقوضة وان من العجب ان يغضب الانسان ويأنف من نقض عهد أبيه ولا يغضب ولا يأنف لنقض عهود الهه وخالقه ثم قال لهم كانت الاحكام الشرعية اليكم ترد منى ومن تعليمى اياكم وتثقيفى لكم ثم تصدر عنكم الى من تعلمونه اياها من اتباعكم وتلامذتكم ثم يرجع اليكم بأن يتعلمها بنوكم واخوتكم من هؤلاء الاتباع والتلامذة ففررتم من الزحف لما أغارت جيوش الشام عليكم وأسلمتم منازلكم وبيوتكم وبلادكم الى اعدائكم ومكنتم الظلمة من منزلتكم حتى حكموا فى دين الله بأهوائهم وعملوا بالشبهة لا بالحجة واتبعوا شهواتهم وما آرب أنفسهم ثم أقسم بالله ان أهل الشام لو فرقوكم تحت كل كوكب ليجمعنكم الله ليوم وهو شر يوم لهم وكنى بذلك عن ظهور المسودة وانتقامها من أهل الشام وبنى امية وكانت المسودة المنتقمة منهم عراقية وخراسانية

(الاصل) ﴿ومن كلام له عليه السلام فى بعض أيام صفين﴾

وَقَدْ رَأَيْتُ جَوْلَتَكُمْ وَانْحِيَازَكُمْ عَنْ صُفُوفِكُمْ * تَحُوزُكُمُ الْجُفَاةُ الطَّغَامُ * وَأَعْرَابُ أَهْلِ الشَّامِ وَأَنْتُمْ لَهَامِيمُ الْعَرَبِ * وَيَآفِيخُ الشَّرَفِ * وَالْأَنْفُ الْمُقَدَّمُ وَالسَّنَامُ الْأَعْظَمُ * وَلَقَدْ شَفَى وَحَاوِحَ صَدْرِي * أَنْ رَأَيْتُكُمْ بِأَخَرَةٍ * تَحُوزُونَهُمْ كَمَا حَازُوكُمْ * وَتُزِيلُونَهُمْ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ كَمَا أَزَالُوكُمْ حَسًّا بِالنِّصَالِ * وَشَجْرًا بِالرِّمَاحِ * تَرْكَبُ أُولَاهُمْ أُخْرَاهُمْ كَالْإِبِلِ الْهِيمِ الْمَطْرُودَةِ * تُرْمَى عَنْ حِيَاضِهَا وَتُذَادُ عَنْ مَوَارِدِهَا

(الشرح) جولتكم هزيمتكم فاجمل فى اللفظ وكنى عن اللفظ المنفر عادلا عنه الى لفظ لا تنفير فيه كما قال تعالى كانا يأكلان الطعام قالوا هو كناية عن اتيان الغائط واجمال فى اللفظ وكذلك قوله وانحيازكم عن صفوفكم كناية عن الهرب أيضا وهو من قوله تعالى الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة وهذا باب من أبواب البيان لطيف وهو حسن التوصل بايراد كلام غير مزعج عوضا عن لفظ يتضمن جبها وتقريعا وتحوزكم تعدل بكم عن مراكزكم والجفاة جمع جاف وهو الفدم الغليظ والطغام الاوغاد واللهاميم جمع لهموم وهو الجواد من الناس والخيل قال الشاعر

لا تحسبن بياضا فىَّ منقصة * ان اللهاميم فى اقرابها بلق

واليآفيخ جمع يافوخ وهو معظم الشئ يقول قد ذهب يافوخ الليل أى أكثره ويجوز ان يريد به اليافوخ وهو أعلى الرأس وجمعه يآفيخ أيضا وانف الرجل ضربت يافوخه وهذا اليق لانه ذكر بعده الانف والسنام فحمل اليافوخ على العضو اذا أشبه والوحاوح الحرق والحزازات ولقيته بأخرة على فعلة أى أخيرا والحس القتل قال الله تعالى اذ تحسونهم باذنه وشجرت زيدا بالرمح طعنته والتانيث فى اولاهم واخراهم للكتائب والهيم العطاش وتذاد تطرد وتمنع وقد روى الطغاة عوض الطغام وروى حشأ بالهمز من حشأت الرجل أى اصبت حشاه وروى بالنضال بالضاد المعجمة وهو المناضلة والمراماة وقد ذكرنا نحن هذا الكلام فيما اقتصصناه من اخبار صفين فيما تقدم من هذا الكتاب

(الاصل) ﴿ ومن خطبة له عليه السلام ﴾

وهى من خطب الملاحم

الْحَمْدُ لِلّٰهِ الْمُتَجَلِّي لِخَلْقِهِ بِخَلْقِهِ وَالظَّاهِرِ لِقُلُوبِهِمْ بِحُجَّتِهِ خَلَقَ الْخَلْقَ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ إِذْ كَانَتِ الرَّوِيَّاتُ لَا تَلِيقُ إِلَّا بِذَوِي الضَّمَائِرِ وَلَيْسَ بِذِي ضَمِيرٍ فِي نَفْسِهِ * خَرَقَ عِلْمُهُ بَاطِنَ غَيْبِ السُّتُرَاتِ * وَأَحَاطَ بِغُمُوضِ عَقَائِدِ السَّرِيرَاتِ

(الشرح) الملاحم جمع ملحمة وهى الوقعة العظيمة فى الحرب ولما كانت دلائل اثبات الصانع ظاهرة ظهور الشمس وصفه عليه السلام بكونه ظهر وتجلى لخلقه ودلهم عليه بخلقه اياهم وايجاده لهم ثم أكد ذلك بقوله والظاهر لقلوبهم بحجته ولم يقل لعيونهم لانه غير مرئى ولكنه ظاهر للقلوب بما أودعها من الحجج الدالة عليه ثم نفى عنه الروية والفكر والتمثيل بين خاطرين ليعمل على احدهما لان ذلك انما يكون لارباب الضمائر والقلوب أولى النوازع المختلفة والبواعث المتضادة ثم وصفه بان علمه محيط بالظاهر والباطن والماضى والمستقبل فقال ان علمه خرق باطن الغيوب المستورة واحاط بالغامض من عقائد السرائر

(الاصل) (منها) فِي ذِكْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ اخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ الْأَنْبِيَاءِ

وَمِشْكَاةِ الضِّيَاءِ * وَذُؤَابَةِ الْعَلْيَاءِ * وَسُرَّةِ الْبَطْحَاءِ * وَمَصَابِيحِ الظُّلْمَةِ وَيَنَابِيعِ الْحِكْمَةِ

(الشرح) شجرة الانبياء أولاد ابراهيم عليه السلام لان أكثر الانبياء منهم والمشكاة كوة غير نافذة يجعل فيها المصباح والذؤابة طائفة من شعر الرأس وسرة البطحاء وسطها وبنو كعب بن لؤى يفخرون على بنى عامر بن لؤى بانهم سكنوا البطاح وسكنت عامر بالجبال المحيطة بمكة وسكن معها بنو فهر بن مالك رهط أبى عبيدة بن الجراح وغيره قال الشاعر

فحللت منها بالبطاح * وحل غيرك بالظواهر

وقال طريح بن اسماعيل

أنت ابن مسلنطح البطاح * ولم تطعف عليك الحنى والولج

وقال بعض الطالبيين

وانا ابن معتلج البطاح اذا غدا * غيرى وراح على متون ظواهر

يفتر عنى ركنها وحطيمها * كالجفن يفتح عن سواد الناظر

كجبال شرافى ومثل سهولها * خلقى ومثل ظبائهن مجاورى

(الاصل) (منها) طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطِبِّهِ قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ وَأَحْمَى مَوَاسِمَهُ * يَضَعُ ذَلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ مِنْ قُلُوبٍ عُمْيٍ وَآذَانٍ صُمٍّ * وَأَلْسِنَةٍ بُكْمٍ * مُتَتَبِّعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ وَمَوَاطِنَ الْحَيْرَةِ

(الشرح) انما قال دوار بطبه لان الطبيب الدوار أكثر تجربة أو يكون عنى به انه يدور على من يعالجه لان الصالحين يدورون على مرضى القلوب فيعالجونهم ويقال ان المسيح رؤى خارجا من بيت مومسة فقيل له يا سيدنا أمثلك يكون ههنا فقال انما يأتى الطبيب المرضى والمراهم الادوية المركبة للجراحات والقروح والمواسم حدائد يوسم بها الخيل وغيرها ثم ذكر انه انما يعالج بذلك من يحتاج اليه وهم أولو القلوب العمى والآذان الصم والالسنة البكم أى الخرس وهذا تقسيم صحيح حاصر لان الضلال ومخالفة الحق يكون بثلاثة أمور اما بجهل القلب أو بعدم سماع المواعظ والحجج أو بالامساك عن شهادة التوحيد وتلاوة الذكر فهذه أصول الضلال وأما أفعال المعاصى ففروع عليها وصحة التقسيم باب من أبواب علم البيان ومنه قوله سبحانه ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات وهذه قسمة صحيحة لأن المكلفين اما كافر أو مؤمن أو ذو المنزلة بين المنزلتين هكذا قسم أصحابنا الآية على مذهبهم فى الوعيد وغيرهم يقول العباد اما عاص ظالم لنفسه أو مطيع مبادر الى الخير او مقتصد بينهما ومن التقسيم أيضا قوله وكنتم ازواجا ثلاثة فاصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون ومثل ذلك قوله تعالى هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا لان الناس عند رؤية البرق بين خائف وطامع ووقف سائل على مجلس الحسن البصرى فقال رحم الله عبدا أعطى من سعة أو واسى من كفاف أو آثر من قلة فقال الحسن لم يترك لاحد عذرا ومن التقسيمات الفاسدة فى الشعر قول البحترى

ذاك وادى الاراك فاحبس قليلا * مقصرا فى ملامة أو مطيلا

قف مشوقا أو مسعدا أو حزينا * أو معينا أو عاذرا أو عذولا

فالتقسيم فى البيت الاول صحيح وفى الثانى غير صحيح لان المشوق يكون حزينا والمسعد يكون معينا فكذلك يكون عاذرا ويكون مشوقا ويكون حزينا وقد وقع المتنبى فى مثل ذلك فقال

فالخرفان الناس فيك ثلاثة * مستعظم أو حاسد أو جاهل

فان المستعظم يكون حاسدا والحاسد يكون مستعظما ومن الابيات التى ليس تقسيمها بصحيح ما ورد فى شعر الحماسة

وأنت امرؤ اما ائتمنتك خاليا * فخنت واما قلت قولا بلا علم

فانت من الامر الذى قد أتيته * بمنزلة بين الخيانة والاثم

وذلك لان الخيانة أخص من الاثم والاثم شامل لها لانه اعم منها فقد دخل أحد القسمين فى الآخر ويمكن ان يعتذر له فيقال عنى بالاثم الكذب نفسه وكذلك هو المعنى أيضا بقوله قولا بلا علم كانه قال له اما أن أكون أفشيت سرى اليك فخنتنى أولم افش فكذبت على فانت فيما أتيت بين ان تكون خائنا أوكاذبا ومما جاء من ذلك فى النثر قول بعضهم من جريح مضرج بدمائه أوهارب لايلتفت الى ورائه وذلك ان الجريح قد يكون هاربا والهارب قد يكون جريحا وقد أجاد البحترى لما قسم هذا المعنى وقال

غادرتهم أيدى المنية صبحا * للقنا بين ركع وسجود

فهم فرقتان بين قتيل * قبضت نفسه بحد الحديد

أواسير غداله السجن لحدا * فهو حى فى حالة الملحود

فرقة للسيوف ينفذفيها * الحكم قسرا وفرقة للقيود

ومن ذلك قول بعض الاعراب النعم ثلاث نعمة فى حال كونها ونعمة ترجى مستقبلة ونعمة تأتى غير محتسبة فابقى الله عليك ما أنت فيه وحقق ظنك فيما ترتجيه وتفضل عليك بما لم تحتسبه وذلك انه أغفل النعمة الماضية وأيضا فان النعمة التى تأتى غير محتسبة داخلة فى قسم النعمة المستقبلة وقد صحح القسمة أبو تمام فقال

جمعت لنا فرق الامانى منكم * بابر من روح الحياة وأوصل

كالمزن من ماضى الرباب ومقبل * متنظر ومخيم متهلل

فصنيعة فى يومها وصنيعة * قد احوات وصنيعة لم تحول

فان قلت فان ما عنيت به فساد التقسيم على البحترى والمتنبى يلزمك مثله فيما شرحته لان الاعمى القلب قد يكون ابكم اللسان اصم السمع قلت ان الشاعرين ذكرا التقسيم بأو وأمير المؤمنين عليه السلام قسم بالواو والواو للجمع فغير منكر ان تجتمع الاقسام لواحد وان تعطى معنى الانفراد فقط فافترق الموضعان

(الاصل) لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِأَضْوَاءِ الْحِكْمَةِ * وَلَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ الْعُلُومِ الثَّاقِبَةِ فَهُمْ فِى ذَلِكَ كَالأَنْعَامِ السَّائِمَةِ وَالصُّخُورِ الْقَاسِيَةِ قَدِ انْجَابَتِ السَّرَائِرُ لِأَهْلِ الْبَصَائِرِ * وَوَضَحَتْ مَحَجَّةُ الْحَقِّ لِخَابِطِهَا وَأَسْفَرَتِ السَّاعَةُ عَنْ وَجْهِهَا * وَظَهَرَتِ الْعَلَامَةُ لِمُتَوَسِّمِهَا * مَالِى أَرَاكُمْ أَشْبَاحاً بِلَا أَرْوَاحٍ * وَأَرْوَاحاً بِلَا أَشْبَاحٍ * وَنُسَّاكاً بِلَا صَلَاحٍ * وَتُجَّاراً بِلَا أَرْبَاحٍ وَأَيْقَاظاً نُوَّماً * وَشُهُوداً غُيَّباً * وَنَاظِرَةً عَمْيَاءَ وَسَامِعَةً صَمَّاءَ وَنَاطِقَةً بَكْمَاءَ

(الشرح) انجابت انكشفت والمحجة الطريق والخابط السائر على غير سبيل واضحة واسفرت الساعة اضاءت واشرقت وعن متعلقة بمحذوف وتقديره كاشفة عن وجهها والمتوسم المتفرس اشباحا بلا أرواح أى أشخاصا لا ارواح لها ولا عقول وارواحا بلا اشباح يمكن ان يريد به الخفة والطيش تشبيها بروح بلا جسد ويمكن ان يعنى به نقصهم لان الروح غير ذات الجسد ناقصة عن الاعمال والتحريك اللذين كانا من فعلها حيث كانت تدبر الجسد ونساكا بلا صلاح نسبهم الى النفاق وتجارا بلا ارباح نسبهم الى الرياء وايقاع الاعمال على غير وجهها ثم وصفهم بالامور المتضادة ظاهرا وهى مجتمعة فى الحقيقة فقال ايقاظا نوما لانهم أولو يقظة وهم غفول عن الحق كالنيام وكذلك باقيها قال تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور

(الاصل)

(الاصل) رَايَةُ ضَلَالَةٍ قَدْ قَامَتْ عَلَى قُطْبِهَا * وَتَفَرَّقَتْ بِشُعَبِهَا * تَكِيلُكُمْ بِصَاعِهَا * وَتَخْبِطُكُمْ بِبَاعِهَا * قَائِدُهَا خَارِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ * قَائِمٌ عَلَى الضِّلَّةِ * فَلَا يَبْقَى يَوْمَئِذٍ مِنْكُمْ إِلَّا ثُفَالَةٌ كَثُفَالَةِ الْقِدْرِ * أَوْ نُفَاضَةٌ كَنُفَاضَةِ الْعِكْمِ * تَعْرُكُكُمْ عَرْكَ الْأَدِيمِ * وَتَدُوسُكُمْ دَوْسَ الْحَصِيدِ * وَتَسْتَخْلِصُ الْمُؤْمِنَ مِنْ بَيْنِكُمْ اسْتِخْلَاصَ الطَّيْرِ الْحَبَّةَ الْبَطِينَةَ * مِنْ بَيْنِ هَزِيلِ الْحَبِّ

(الشرح) هذا كلام منقطع عما قبله لان الشريف الرضى رحمه الله كان يلتقط الفصول التى فى الطبقة العليا من الفصاحة من كلام أمير المؤمنين عليه السلام فيذكرها ويتخطى ما قبلها وما بعدها وهو عليه السلام يذكر ههنا ما يحدث فى آخر الزمان من الفتن كظهور السفيانى وغيره والقطب فى قوله عليه السلام قامت على قطبها الرئيس الذى عليه يدور أمر الجيش والشعب القبيلة العظيمة وليس التفرق للراية نفسها بل لنصارها وأصحابها فحذف المضاف ومعنى تفرقهم انهم يدعون الى تلك الدعوة المخصوصة فى بلاد متفرقة أى تفرق ذلك الجمع العظيم فى الاقطار داعين الى امر واحد ويروى بشعبها جمع شعبة وتقدير تكيلكم بصاعها تكيل لكم فحذف اللام كما فى قوله تعالى واذا كالوهم أووزنوهم أى كالوا لهم أووزنوا لهم والمعنى تحملكم على دينها ودعوتها وتعاملكم بما يعامل به من استجاب لها ويجوز ان يريد بقوله تكيلكم بصاعها يقهركم اربابها على الدخول فى أمرهم ويتلاعبون بكم ويرفعونكم ويضعونكم كما يفعل كيال البر به اذا كاله بصاعه وتخبطكم بباعها تظلمكم وتعسفكم قائدها ليس على ملة الاسلام بل مقيم على الضلالة يقال ضلالك وانه ليلومنى ضلة اذا لم يوفق للرشاد فى عذله والثفالة ما ثقل فى القدر من الطبيخ والنفاضة ما سقط من الشئ المنفوض والعكم العدل والعكم أيضا نمط تجعل فيه المرأة ذخيرتها وعركت الشئ دلكته بقوة والحصيد الزرع المحصود ومعنى استخلاص الفتنة المؤمن انها تخصه بنكايتها واذاها كما قيل المؤمن ملقى والكافر موقى وفى الخبر المرفوع آفات الدنيا أسرع الى المؤمن من النار فى يبيس العرفج

(الاصل) أَيْنَ تَذْهَبُ بِكُمُ الْمَذَاهِبُ * وَتَتِيهُ بِكُمُ الْغَيَاهِبُ * وَتَخْدَعُكُمُ الْكَوَاذِبُ وَمِنْ أَيْنَ تُؤْتَوْنَ وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ * فَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ وَلِكُلِّ غَيْبَةٍ إِيَابٌ * فَاسْتَمِعُوا مِنْ رَبَّانِيِّكُمْ * وَأَحْضِرُوهُ قُلُوبَكُمْ * وَاسْتَيْقِظُوا انْ هَتَفَ بِكُمْ * وَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ * وَلْيَجْمَعْ شَمْلَهُ * وَلْيُحْضِرْ ذِهْنَهُ * فَلَقَدْ فَلَقَ لَكُمُ الْأَمْرَ فَلْقَ الْخَرَزَةِ * وَقَرَفَهُ قَرْفَ الصَّمْغَةِ

(الشرح) الغياهب الظلمات الواحد غيهب وتتيه بكم تجعلكم تائهين عدى الفعل اللازم بحرف الجر كما تقول فى ذهب ذهبت به والتائه المتحير والكواذب ههنا الامانى فحذف الموصوف وأبقى الصفة كقوله * ألا يكفى كان من أرمى البشر * أى يكفى غلام هذه صفته وقوله ولكل أجل كتاب أظنه منقطعا أيضا عن الاول مثل الفصل الذى تقدم وقد كان قبله ما ينطبق عليه ويلتئم معه لا محالة ويمكن على بعد أن يكون متصلا بما هو مذكور ههنا وقوله ولكل غيبة اياب قد قال عبيد بن الابرص واستثنى من العموم الموت فقال

وكل ذى غيبة يؤوب * وغائب الموت لا يؤوب

وهو رأى زنادقة العرب فاما أمير المؤمنين وهو ثانى صاحب الشريعة التى جاءت بعود الموتى فانه لا يستثنى ويحقق عبيدا فى استثنائه والربانى الذى أمرهم بالاستماع منه انما يعنى به نفسه عليه السلام ويقال رجل ربانى أى متأله عارف

بالرب سبحانه وفي وصف الحسن لامير المؤمنين عليه السلام كان والله ربانى هذه الامة وذا فضلها وذا قرابتها وذا سابقتها ثم قال وأحضروه قلوبكم أى اجعلوا قلوبكم حاضرة عنده أى لا تقنعوا لانفسكم بحضور الاجساد وغيبة القلوب فانكم لا تنتفعون بذلك وهتف بكم صاح والرائد الذى يتقدم المنتجعين لينظر لهم الماء والكلاء وفي المثل الرائد لا يكذب أهله وقوله وليجمع شمله أى وليجمع عزائمه وأفكاره لينظر فقد فلق هذا الرائد بانى لكم الامر أى شق ما كان مبهما وفتح ما كان مغلقا كما تفلق الخرزة فيعرف باطنها وقرفه أى قشره كما تقشر الصمغة عن عود الشجرة وتقلع

(الاصل) فَعِنْدَ ذَلِكَ أَخَذَ الْبَاطِلُ مَآخِذَهُ ٭ ورَكِبَ الْجَهْلُ مَرَاكِبَهُ ٭ وعَظُمَتِ الطَّاغِيَةُ ٭ وقَلَّتِ الدَّاعِيَةُ ٭ وصالَ الدَّهْرُ صِيالَ السَّبُعِ الْعَقُورِ ٭ وهَدَرَ فَنِيقُ الْبَاطِلِ بَعْدَ كُظُومٍ وتَوَاخَى النَّاسُ على الْفُجُورِ ٭ وتَهَاجَرُوا على الدِّينِ وتَحَابُّوا على الْكَذِبِ وتَبَاغَضُوا على الصِّدْقِ ٭ فإِذَا كانَ ذَلِكَ كانَ الْوَلَدُ غَيْظاً ٭ والْمَطَرُ قَيْظاً ٭ وتَفِيضُ اللِّئامُ فَيْضاً ٭ وتَغِيضُ الْكِرَامُ غَيْضاً ٭ وكانَ أَهْلُ ذَلِكَ الزَّمانِ ذِئاباً ٭ وسَلَاطِينُهُ سِبَاعاً ٭ وأَوْسَاطُهُ أُكَّالاً وفُقَرَاؤُهُ أَمْوَاتاً ٭ وغارَ الصِّدْقُ وفاضَ الْكَذِبُ ٭ واسْتُعْمِلَتِ الْمَوَدَّةُ بِاللِّسانِ وتَشاجَرَ النَّاسُ بِالْقُلُوبِ وصارَ الْفُسُوقُ نَسَباً والْعَفافُ عَجَباً ولُبِسَ الإِسْلامُ لُبْسَ الْفَرْوِ مَقْلُوباً

(الشرح) تقول أخذ الباطل مآخذه كما تقول عمل عمله أى قوى سلطانه وقهر ومثله ركب الجهل مراكبه وعظمت الطاغية أى الطغيان فاعلة بمعنى المصدر كقوله تعالى ليس لوقعتها كاذبة أى تكذيب ويجوز أن تكون الطاغية ههنا صفة فاعل محذوف أى عظمت الفئة الطاغية وقلت الداعية مثله أى الفرقة الداعية وصال حمل ووثب صولا وصولة يقال رب قول أشد من صول والصيال والمصاولة هى المواثبة صايله صيالا وصيالة والفحلان يتصاولان أى يتواثبان والفنيق فحل الابل وهدر ردد صوته فى حنجرته وابل هوادر وكذلك هدّر بالتشديد تهديرا وفى المثل هو كالمهدر فى العنة يضرب للرجل يصيح ويجلب وليس وراء ذلك شئ كالبعير الذى يحبس فى العنة وهى الحظيرة ويمنع من الضراب وهو يهدر وقال الوليد بن عقبة لمعاوية

قطعت الدهر كالسدم المعنى ٭ تهدر فى دمشق ولا تريم

والكظوم الامساك والسكوت كظم البعير يكظم كظوما اذا أمسك عن الجرة وهو كاظم وابل كظوم لا تجتر وقوم كظم ساكتون وتواخى الناس صاروا اخوة والاصل تآخى الناس فابدلت الهمزة واوا كما آزرته أى أعنته ووازرته يقول اصطلحوا على الفجور وتهاجروا على الدين أى تعادوا وتقاطعوا فان قلت فان من شعار الصالحين أن يهجروا فى الدين ويعادوا فيه قلت لم يذهب أمير المؤمنين حيث ظننت وانما أراد أن صاحب الدين مهجور عندهم لانه صاحب دين وصاحب الفجور جار عندهم مجرى الاخ فى الحنو عليه والحب له لانه صاحب فجور ثم قال كان الولد غيظا أى لكثرة عقوق الابناء للآباء وصار المطر قيظا يقال انه من علامات الساعة وأوساطه أكالا أى طعاما يقال ما ذقت أكالا وفى هذا الموضع اشكال لانه لم ينقل هذا الحرف الا فى الجحد خاصة كقولهم بها صافر فالاجود الرواية الاخرى وهى آكالا بمد الهمزة على أفعال جمع أكل وهو ما أكل كقفل وأقفال وقد روى أكالا بضم الهمزة على فعال وقالوا انه جمع أكل لما كول كعرق وعراق وظئر وظؤار الا أنه شاذ عن القياس ووزن واحدهما مخالف لوزن واحد أكال لو

كان جمعا يقول صار أوساط الناس طعمة للولاة وأصحاب السلاطين وكالفريسة للاسد وغار الماء سفل لنقصه وفاض سال وتشاجر الناس تنازعوا وهى المشاجرة وشجر بين القوم اذا اختلف الامر بينهم واشتجروا ومثل تشاجروا وصار الفسوق نسبا يصير الفاسق صديقا حتى يكون ذلك كالنسب بينهم وحتى يعجب الناس من العفاف لقلته وعدمه ولبس الاسلام لبس الفرو للعرب عادة بذلك وهى أن تجعل الخمل الى الجسد وتظهر الجلد والمراد انعكاس الاحكام الاسلامية فى ذلك الزمان

(الاصل) ٭(ومن خطبة له عليه السلام)٭

كُلُّ شَيْءٍ خاشِعٌ لَهُ وَكُلُّ شَيْءٍ قائِمٌ بِهِ ٭ غِنَى كُلِّ فَقِيرٍ وعِزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ وقُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ ومَفْزَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ ٭ مَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نُطْقَهُ ٭ ومَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ ٭ ومَنْ عاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ ٭ وَمَنْ ماتَ فإِلَيْهِ مُنْقَلَبُهُ ٭ لَمْ تَرَكَ الْعُيُونُ فَتُخْبِرَ عَنْكَ بَلْ كُنْتَ قَبْلَ الْوَاصِفِينَ مِنْ خَلْقِكَ ٭ لَمْ تَخْلُقِ الْخَلْقَ لِوَحْشَةٍ ٭ وَلَا اسْتَعْمَلْتَهُمْ لِمَنْفَعَةٍ ٭ وَلَا يَسْبِقُكَ مَنْ طَلَبْتَ ٭ وَلَا يُفْلِتُكَ مَنْ أَخَذْتَ ٭ وَلَا يَنْقُصُ سُلْطانَكَ مَنْ عَصاكَ ٭ ولا يَزِيدُ في مُلْكِكَ مَنْ أَطاعَكَ ٭ ولا يَرُدُّ أَمْرَكَ مَنْ سَخِطَ قَضاءَكَ ٭ وَلَا يَسْتَغْنِي عَنْكَ مَنْ تَوَلَّى عَنْ أَمْرِكَ ٭ كُلُّ سِرٍّ عِنْدَكَ عَلَانِيَةٌ ٭ وَكُلُّ غَيْبٍ عِنْدَكَ شَهادَةٌ ٭ أَنْتَ الأَبَدُ فَلَا أَمَدَ لَكَ وَأَنْتَ الْمُنْتَهَى فَلَا مَحِيصَ عَنْكَ وَأَنْتَ الْمَوْعِدُ فَلَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ بِيَدِكَ ناصِيَةُ كُلِّ دابَّةٍ وَإِلَيْكَ مَصِيرُ كُلِّ نَسَمَةٍ سُبْحانَكَ ما أَعْظَمَ شَأْنَكَ سُبْحانَكَ ما أَعْظَمَ ما نَرَى مِنْ خَلْقِكَ وَما أَصْغَرَ عَظِيمَةً في جَنْبِ قُدْرَتِكَ وَما أَهْوَلَ ما نَرَى مِنْ مَلَكُوتِكَ وَما أَحْقَرَ ذَلِكَ فِيما غابَ عَنَّا مِنْ سُلْطانِكَ وَما أَسْبَغَ نِعَمَكَ في الدُّنْيا وَما أَصْغَرَها في نِعَمِ الآخِرَةِ

(الشرح) قال كل شئ خاضع لعظمة الله سبحانه وكل شئ قائم به وهذه هى صفته الخاصة أعنى كونه غنيا عن كل شئ ولا شئ من الاشياء يغنى عنه أصلا ثم قال غنى كل فقير وعز كل ذليل وقوة كل ضعيف ومفزع كل ملهوف وجاء فى الاثر من اعتز بغير عزة الله ذل ومن تكبر بغير الله قل وكان يقال ليس فقيرا من استغنى بالله وقال الحسن واعجبا للوط نبى الله قال لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد أتراه أراد ركنا أشد وأقوى من الله واستدل العلماء على ثبوت الصانع سبحانه بما دل عليه فحوى قوله عليه السلام ومفزع كل ملهوف وذلك ان النفوس ببداءتها تفزع عند الشدائد والخطوب الطارقة الى الالتجاء الى خالقها وبارئها ألا ترى راكب السفينة عند تلاطم الامواج كيف يجأرون اليه سبحانه اضطرارا لا اختيارا فدل ذلك على ان العلم به مركوز فى النفس قال سبحانه واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه ثم قال عليه السلام من تكلم سمع نطقه ومن سكت علم سره يعنى انه يعلم ما ظهر وما بطن ثم قال ومن عاش فعليه رزقه ومن مات فاليه منقلبه أى هو مدبر الدنيا والآخرة والحاكم فيهما ثم انتقل عن الغيبة الى الخطاب فقال لم ترك العيون واعلم ان باب الانتقال من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة باب كبير من أبواب علم البيان وأكثر ما يقع ذلك اذا اشتدت عناية المتكلم بذلك المعنى المنتقل اليه كقوله سبحانه الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين فاخبر عن غائب ثم

انتقل الى خطاب الحاضر فقال اياك نعبدو اياك نستعين قالوا لان منزلة الحمد دون منزلة العبادة فانك تحمد نظيرك ولا تعبده فجعل الحمد للغائب وجعل العبادة لحاضر يخاطب بالكاف لان كاف الخطاب أشد تصريحا به سبحانه من الاخبار بلفظ الغيبة قالوا ولما انتهى الى آخر السورة قال صراط الذين أنعمت عليهم فاسند النعمة الى مخاطب حاضر وقال فى الغضب غير المغضوب عليهم فاسنده الى فاعل غير مسمى ولا معين وهو أحسن من أن يكون قال لم تغضب عليهم وفى النعمة الذين أنعم عليهم ومن هذا الباب قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا فاخبر بقالوا عن غائبين ثم قال لقد جئتم شيأ ادا فاتى بلفظ الخطاب استعظاما للامر كالمنكر على قوم حاضرين عنده ومن الانتقال عن الخطاب الى الغيبة قوله تعالى هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف الآية وفائدة ذلك أنه صرف الكلام من خطاب الحاضرين الى اخبار قوم آخرين بحالهم كانه يعدد على أولئك ذنوبهم ويشرح لهؤلاء بغيهم وعنادهم الحق ويقبح عندهم ما فعلوه ويقول ألا تعجبون من حالهم كيف دعونا فلما رحمناهم واستجبنا دعاءهم عادوا الى بغيهم وهذه الفائدة لو كانت الآية كلها على صيغة خطاب الحاضر مفقودة قال عليه السلام ما رأتك العيون فتخبر عنك كما يخبر الانسان عما شاهده بل أنت أزلى قديم موجود قبل الواصفين لك فان قلت فاى منافاة بين هذين الامرين أليس من الممكن أن يكون سبحانه قبل الواصفين له ومع ذلك يدرك بالابصار اذا خلق خلقه ثم يصفونه رأى عين قلت بل ههنا منافاة ظاهرة وذلك لانه اذا كان قديما لم يكن جسما ولا عرضا وما ليس بجسم ولا عرض تستحيل رؤيته فيستحيل أن يخبر عنه على سبيل المشاهدة ثم ذكر عليه السلام انه لم يخلق الخلق لاستيحاشه وتفرده ولا استعملهم بالعبادة لنفعه وقد تقدم شرح هذا ثم قال لا تطلب أحدا فيسبقك أى يفوتك ولا يفلتك من أخذته فان قلت أى فائدة فى قوله ولا يفلتك من أخذت لان عدم الافلات هو الاخذ فكانه قال لا يفلتك من لم يفلتك قلت المراد أن من أخذت لا يستطيع أن يفات كما يستطيع المأخوذون مع ملوك الدنيا أن يفلتوا بحيلة من الحيل فان قلت أفلت فعل لازم فمابالها عداه قلت تقدير الكلام لا يفلت منك فحذف حرف الجر كما قالوا استجبتك أى استجبت لك قال * فلم يستجبه عند ذاك مجيب * وقالوا استغفرت الله الذنوب أى من الذنوب وقال الشاعر

استغفر الله ذنبا لست محصيه * رب العباد اليه الوجه والعمل

قوله عليه السلام ولا يرد أمرك من سخط قضاءك ولا يستغنى عنك من تولى عن أمرك تحته سر عظيم وهو قول أصحابنا فى جواب قول المجبرة لو وقع منا ما لا يريده لاقتضى ذلك نقصه انه لا نقص فى ذلك لانه لا يريد الطاعات منا ارادة قهر والجاء ولو أرادها ارادة قهر لوقعت وغلبت ارادته ارادتنا ولكنه تعالى أراد منا أن نفعل نحن الطاعة اختيارا فلا يدل عدم وقوعها منا على نقصه وضعفه كما لا يدل بالاتفاق بيننا وبينكم عدم وقوع ما أمر به على ضعفه ونقصه ثم قال عليه السلام كل سر عندك علانية أى لا يختلف الحال عليه فى الاحاطة بالجهر والسر لانه عالم لذاته ونسبة ذاته الى كل الامور واحدة ثم قال أنت الابد فلا أمد لك هذا كلام علوى شريف لا يفهمه الا الراسخون فى العلم وفيه شمة من قول النبى صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فان الدهر هو الله وفى مناجاة الحكماء لمحة منه أيضا وهو قولهم أنت الازل السرمد وأنت الابد الذى لا ينفد بل قولهم أنت الابد الذى لا ينفد هو قوله أنت الابد فلا أمد لك بعينه ونحن نشرحه ههنا على موضوع هذا الكتاب فانه كتاب أدب لا كتاب نظر فنقول ان له فى العربية محملين أحدهما ان المراد به أنت ذو الابد كما قالوا رجل خال أى ذو خال والخال الخيلاء ورجل داء أى به داء ورجل مال أى ذو مال والمحمل الثانى أنه لما كان الازل والابد لا ينفكان عن وجوده سبحانه جعله عليه السلام كانه أحدهما بعينه كقولهم أنت الطلاق لما أراد المبالغة فى البينونة جعلها كانها الطلاق نفسه ومثله قول الشاعر * فان المعدى رحله فركوب * وقال أبو الفتح فى الدمشقيات استدل أبو على على صرف منى للموضع المخصوص بانه مصدر منى يمنى قال فقلت له اتستدل بهذا على انه مذكر لان المصدر الى التذكير فقال نعم فقلت له فما تنكر أن لا يكون فيه دلالة عليه لانه لا ينكر أن يكون مذكرا سمى به البقعة المؤنثة فلا

ينصرف كامرأة سميتها بحجر وجبل وشبع ومعى فقال انما ذهبت الى ذلك لانه جعل كانه المصدر بعينه لكثرة ما يعانى فيه ذلك فقلت الآن نعم ومن هذا الباب قوله * فانما هى اقبال وادبار * وقوله * رهن من الاخلاف قبلك والمطل * وقوله فلا منجى منك الا اليك قد أخذه الفرزدق فقال لمعاوية

اليك فررت منك ومن زياد * ولم أحسب دمى لكما حلالا

ثم استعظم واستهول خلقه الذى يراه وملكوته الذى يشاهده واستصغر واستحقر ذلك بالاضافة الى قدرته تعالى والى ما غاب عنا من سلطانه ثم تعجب من سبوغ نعمه تعالى فى الدنيا واستصغر ذلك بالنسبة الى نعم الآخرة وهذا حق لانه لا نسبة للمتناهى الى غير المتناهى

(الاصل) (منها) مِنْ مَلَائِكَةٍ أَسْكَنْتَهُمْ سَمَوَاتِكَ وَرَفَعْتَهُمْ عَنْ أَرْضِكَ هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ وَأَخْوَفُهُمْ لَكَ وَأَقْرَبُهُمْ مِنْكَ لَمْ يَسْكُنُوا الْأَصْلَابَ * وَلَمْ يُضَمَّنُوا الْأَرْحَامَ وَلَمْ يُخْلَقُوا مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * وَلَمْ يَتَشَعَّبْهُمْ رَيْبُ الْمَنُونِ * وَإِنَّهُمْ عَلَى مَكَانِهِمْ مِنْكَ وَمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَكَ وَاسْتِجْمَاعِ أَهْوَائِهِمْ فِيكَ وَكَثْرَةِ طَاعَتِهِمْ لَكَ وَقِلَّةِ غَفْلَتِهِمْ عَنْ أَمْرِكَ لَوْ عَايَنُوا كُنْهَ مَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ مِنْكَ لَحَقَّرُوا أَعْمَالَهُمْ وَلَزَرَوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ * وَلَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ وَلَمْ يُطِيعُوكَ حَقَّ طَاعَتِكَ * سُبْحَانَكَ خَالِقًا وَمَعْبُودًا بِحُسْنِ بَلَائِكَ عِنْدَ خَلْقِكَ * خَلَقْتَ دَارًا وَجَعَلْتَ فِيهَا مَأْدُبَةً * مَشْرَبًا وَمَطْعَمًا وَأَزْوَاجًا وَخَدَمًا وَقُصُورًا وَأَنْهَارًا وَزُرُوعًا وَثِمَارًا ثُمَّ أَرْسَلْتَ دَاعِيًا يَدْعُو إِلَيْهَا فَلَا الدَّاعِيَ أَجَابُوا وَلَا فِيمَا رَغَّبْتَ إِلَيْهِ رَغِبُوا وَلَا إِلَى مَا شَوَّقْتَ إِلَيْهِ اشْتَاقُوا أَقْبَلُوا عَلَى جِيفَةٍ قَدِ افْتَضَحُوا بِأَكْلِهَا وَاصْطَلَحُوا عَلَى حُبِّهَا وَمَنْ عَشِقَ شَيْئًا أَعْشَى بَصَرَهُ * وَأَمْرَضَ قَلْبَهُ فَهُوَ يَنْظُرُ بِعَيْنٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ * وَيَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرِ سَمِيعَةٍ * قَدْ خَرَقَتِ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ وَأَمَاتَتِ الدُّنْيَا قَلْبَهُ وَوَلِهَتْ عَلَيْهَا نَفْسُهُ فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا وَلِمَنْ فِي يَدَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا حَيْثُمَا زَالَتْ زَالَ إِلَيْهَا وَحَيْثُمَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَ عَلَيْهَا لَا يَنْزَجِرُ مِنَ اللهِ بِزَاجِرٍ وَلَا يَتَّعِظُ مِنْهُ بِوَاعِظٍ وَهُوَ يَرَى الْمَأْخُوذِينَ عَلَى الْغِرَّةِ * حَيْثُ لَا إِقَالَةَ لَهُمْ وَلَا رَجْعَةَ كَيْفَ نَزَلَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَجْهَلُونَ * وَجَاءَهُمْ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا مَا كَانُوا يَأْمَنُونَ * وَقَدِمُوا مِنَ الْآخِرَةِ عَلَى مَا كَانُوا يُوعَدُونَ فَغَيْرُ مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِمْ * اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ وَحَسْرَةُ الْفَوْتِ فَفَتَرَتْ لَهَا أَطْرَافُهُمْ وَتَغَيَّرَتْ لَهَا أَلْوَانُهُمْ ثُمَّ ازْدَادَ الْمَوْتُ فِيهِمْ وُلُوجًا * فَحِيلَ بَيْنَ أَحَدِهِمْ وَبَيْنَ مَنْطِقِهِ وَإِنَّهُ لَبَيْنَ أَهْلِهِ يَنْظُرُ بِبَصَرِهِ وَيَسْمَعُ بِأُذُنِهِ عَلَى صِحَّةٍ مِنْ عَقْلِهِ وَبَقَاءٍ مِنْ لُبِّهِ يُفَكِّرُ فِيمَ أَفْنَى عُمُرَهُ وَفِيمَ أَذْهَبَ دَهْرَهُ وَيَتَذَكَّرُ أَمْوَالًا جَمَعَهَا أَغْمَضَ

فِي مَطَالِبِهَا * وَأَخَذَهَا مِنْ مُصَرَّحَاتِهَا وَمُشْتَبِهَاتِهَا * قَدْ لَزِمَتْهُ تَبِعَاتُ جَمْعِهَا * وَأَشْرَفَ عَلَى فِرَاقِهَا تَبْقَى لِمَنْ وَرَاءَهُ يُنَعَّمُونَ فِيهَا وَيَتَمَتَّعُونَ بِهَا فَيَكُونُ المَهْنَأُ لِغَيْرِهِ * وَالعِبْءُ عَلَى ظَهْرِهِ * وَالمَرْءُ قَدْ غَلِقَتْ رُهُونُهُ بِهَا * فَهُوَ يَعَضُّ يَدَهُ نَدَامَةً عَلَى مَا أَصْحَرَ لَهُ عِنْدَ المَوْتِ مِنْ أَمْرِهِ * وَيَزْهَدُ فِيمَا كَانَ يَرْغَبُ فِيهِ أَيَّامَ عُمْرِهِ * وَيَتَمَنَّى أَنَّ الَّذِي كَانَ يَغْبِطُهُ بِهَا وَيَحْسُدُهُ عَلَيْهَا قَدْ حَازَهَا دُونَهُ فَلَمْ يَزَلِ المَوْتُ يُبَالِغُ فِي جَسَدِهِ حَتَّى خَالَطَ لِسَانُهُ سَمْعَهُ * فَصَارَ بَيْنَ أَهْلِهِ لَا يَنْطِقُ بِلِسَانِهِ وَلَا يَسْمَعُ بِسَمْعِهِ يُرَدِّدُ طَرْفَهُ بِالنَّظَرِ فِي وُجُوهِهِمْ يَرَى حَرَكَاتِ أَلْسِنَتِهِمْ وَلَا يَسْمَعُ رَجْعَ كَلَامِهِمْ ثُمَّ ازْدَادَ المَوْتُ الْتِيَاطًا * فَقُبِضَ بَصَرُهُ كَمَا قُبِضَ سَمْعُهُ وَخَرَجَتِ الرُّوحُ مِنْ جَسَدِهِ فَصَارَ جِيفَةً بَيْنَ أَهْلِهِ قَدْ أَوْحَشُوا مِنْ جَانِبِهِ وَتَبَاعَدُوا مِنْ قُرْبِهِ * لَا يُسْعِدُ بَاكِيًا وَلَا يُجِيبُ دَاعِيًا ثُمَّ حَمَلُوهُ إِلَى مَخَطٍّ فِي الأَرْضِ فَأَسْلَمُوهُ فِيهِ إِلَى عَمَلِهِ وَانْقَطَعُوا عَنْ زَوْرَتِهِ * حَتَّى إِذَا بَلَغَ الكِتَابُ أَجَلَهُ وَالأَمْرُ مَقَادِيرَهُ وَأُلْحِقَ آخِرُ الخَلْقِ بِأَوَّلِهِ وَجَاءَ مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا يُرِيدُهُ مِنْ تَجْدِيدِ خَلْقِهِ * أَمَادَ السَّمَاءَ وَفَطَرَهَا * وَأَرَجَّ الأَرْضَ وَأَرْجَفَهَا * وَقَلَعَ جِبَالَهَا وَنَسَفَهَا * وَدَكَّ بَعْضُهَا بَعْضًا مِنْ هَيْبَةِ جَلَالَتِهِ * وَمَخُوفِ سَطْوَتِهِ * وَأَخْرَجَ مَنْ فِيهَا فَجَدَّدَهُمْ بَعْدَ إِخْلَاقِهِمْ * وَجَمَعَهُمْ بَعْدَ تَفَرُّقِهِمْ * ثُمَّ مَيَّزَهُمْ لِمَا يُرِيدُهُ مِنْ مَسْأَلَتِهِمْ عَنْ خَفَايَا الأَعْمَالِ وَخَبَايَا الأَفْعَالِ * وَجَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ أَنْعَمَ عَلَى هَؤُلَاءِ وَانْتَقَمَ مِنْ هَؤُلَاءِ * فَأَمَّا أَهْلُ الطَّاعَةِ فَأَثَابَهُمْ بِجِوَارِهِ * وَخَلَّدَهُمْ فِي دَارِهِ * حَيْثُ لَا يَظْعَنُ النُّزَّالُ وَلَا تَتَغَيَّرُ بِهِمُ الحَالُ * وَلَا تَنُوبُهُمُ الأَفْزَاعُ * وَلَا تَنَالُهُمُ الأَسْقَامُ * وَلَا تَعْرِضُ لَهُمُ الأَخْطَارُ وَلَا تُشْخِصُهُمُ الأَسْفَارُ * وَأَمَّا أَهْلُ المَعْصِيَةِ فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ وَغَلَّ الأَيْدِيَ إِلَى الأَعْنَاقِ وَقَرَنَ النَّوَاصِيَ بِالأَقْدَامِ * وَأَلْبَسَهُمْ سَرَابِيلَ القَطِرَانِ * وَمُقَطَّعَاتِ النِّيرَانِ * فِي عَذَابٍ قَدِ اشْتَدَّ حَرُّهُ وَبَابٍ قَدْ أُطْبِقَ عَلَى أَهْلِهِ فِي نَارٍ لَهَا كَلَبٌ وَلَجَبٌ * وَجَلَبٌ وَلَهَبٌ سَاطِعٌ وَقَصِيفٌ هَائِلٌ * لَا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا * وَلَا يُفَادَى أَسِيرُهَا وَلَا تُفْصَمُ كُبُولُهَا * لَا مُدَّةَ لِلدَّارِ فَتَفْنَى وَلَا أَجَلَ لِلْقَوْمِ فَيُقْضَى

(الشرح) هذا موضع المثل فى كل شجرة نار واستمجد المرخ والعفار الخطب الوعظية الحسان كثيرة ولكن هذا
حديث يا كل الاحاديث محاسن أصناف المغنين جة * وماقصبات السبق الالمعبد
من أراد أن يتعلم الفصاحة والبلاغة ويعرف فضل الكلام بعضه على بعض فليتأمل هذه الخطبة فان نسبتها الى كل فصيح من الكلام عدا كلام الله ورسوله نسبة الكواكب المنيرة الفلكية الى الحجارة المظلمة الارضية ثم لينظر الناظر الى ما عليها

من البهاء والجلالة والرواء والديباجة وما يحدثه من الروعة والرهبة والمخافة والخشية حتى لو تليت على زنديق ملحد مصمم على اعتقاد نفى البعث والنشور لهدت قواه وأرعبت قلبه وأضعفت على نفسه وزلزلت اعتقاده فجزى الله قائلها عن الاسلام أفضل ما جزى به وليا من أوليائه فما أبلغ نصرته له تارة بيده وسيفه وتارة بلسانه ونطقه وتارة بقلبه وفكره ان قيل جهاد وحرب فهو سيد المجاهدين والمحاربين وان قيل وعظ وتذكير فهو أبلغ الواعظين والمذكرين وان قيل فقه وتفسير فهو رئيس الفقهاء والمفسرين وان قيل عدل وتوحيد فهو امام أهل العدل والموحدين

وليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم فى واحد

ثم نعود الى الشرح فنقول قوله عليه السلام أسكنتهم سمواتك لا يقتضى ان جميع الملائكة فى السموات فانه قد ثبت ان الكرام الكاتبين فى الارض وانما لم يقتض ذلك لان قوله من ملائكة ليس من صيغ العموم فانه نكرة فى سياق الاثبات وقد قيل أيضا ان ملائكة الارض تعرج الى السماء ومسكنها بها ويتناوبون على أهل الارض قوله هم أعلم خلقك بك ليس يعنى به انهم يعلمون من ماهيته تعالى ما لا يعلمه البشر أما على قول المتكلمين فلان ذاته تعالى معلومة للبشر والعلم لا يقبل الاشد والاضعف وأما على قول الحكماء فلان ذاته تعالى غير معلومة للبشر ولا للملائكة ويستحيل أن تكون معلومة لاحد منهم فلم يبق وجه يحمل عليه قوله عليه السلام هم أعلم خلقك بك الا انهم يعلمون من تفاصيل مخلوقاته وتدبيراته ما لا يعلمه غيرهم كما يقال وزير الملك أعلم بالملك من الرعية ليس المراد انه أعلم بذاته وماهيته بل بافعاله وتدبيره ومراده وغرضه قوله وأخوفهم لك لان قوتى الشهوة والغضب مرفوعتان عنهم وهما منبع الشر وبهما يقع الطمع والاقدام على المعاصى وأيضا فان منهم من يشاهد الجنة والنار عيانا فيكون أخوف لانه ليس الخبر كالعيان قوله وأقربهم منك لا يريد القرب المكانى لانه تعالى منزه عن المكان والجهة بل المراد كثرة الثواب وزيادة التعظيم والتبجيل وهذا يدل على صحة مذهب أصحابنا فى ان الملائكة أفضل من الانبياء ثم نبه على مزية لهم تقتضى أفضلية جنسهم على جنس البشر بمعنى الاشرفية لا بمعنى زيادة الثواب وهو قوله لم يسكنوا الاصلاب ولم يضمنوا الارحام ولم يخلقوا من ماء مهين ولم يتشعبهم ريب المنون وهذه خصائص أربع (فالاولى) انهم لم يسكنوا الاصلاب والبشر سكنوا الاصلاب ولا شبهة ان ما ارتفع عن مخالطة الصورة اللحمية والدموية أشرف مما خالطها ومازجها (والثانية) انهم لم يضمنوا الارحام ولا شبهة ان من لم يخرج من ذلك الموضع المستقذر أشرف ممن خرج منه وكان أحمد بن سهل بن هاشم بن الوليد بن كامكار بن يزدجرد بن شهريار يفخر على أبناء الملوك بانه لم يخرج من بضع امرأة لان أمه ماتت وهى حامل به فشق بطنها عنه وأخرج قال أبو الريحان البيرونى فى كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية عن هذا الرجل انه كان يتيه على الناس واذا شتم أحدا قال ابن البضع قال أبو الريحان وأول من اتفق له ذلك الملك المعروف باغسطس ملك الروم وهو أول من سمى قيصر لان تفسير قيصر بلغتهم شق عنه وأيامه تاريخ كما أن أيام الاسكندر تاريخ لعظمه وجلالته عندهم (والثالثة) انهم لم يخلقوا من ماء مهين وقد نص القرآن العزيز على انه مهين وكفى ذلك فى تحقيره وضعته فهم لا محالة أشرف ممن خلق منه لا سيما وقد ذهب كثير من العلماء الى نجاسته (والرابعة) انهم لا يتشعبهم المنية ولا ريب ان من لا تتطرق اليه الاسقام والامراض ولا يموت أشرف ممن هو فى كل ساعة ولحظة بعرض سقام وبصدد موت وحمام واعلم ان مسئلة تفضيل الملائكة على الانبياء لها صورتان احداهما ان أفضل بمعنى كونهم أكثر ثوابا والأخرى كونهم أفضل بمعنى أشرف كما تقول ان الفلك أفضل من الارض أى ان الجوهر الذى منه جسمية الفلك أشرف من الجوهر الذى منه جسمية الارض وهذه المزايا الاربع دالة على تفضيل الملائكة بهذا الاعتبار الثانى قوله عليه السلام يتشعبهم ريب المنون أى يتقسمهم والشعب التفريق ومنه قيل للمنية شعوب لانها تفرق الجماعات وريب المنون حوادث الدهر وأصل الريب ما رابك الانسان أى جاءه بما يكره والمنون الدهر نفسه والمنون أيضا المنية لانها تمن المدة أى تقطعها والمن القطع ومنه قوله تعالى لهم أجر غير ممنون وقال لبيد * غبسا كواسب لا يمن طعامها * ثم ذكر انهم على كثرة عبادتهم واخلاصهم لو عاينوا كنه ما خفى عليهم من البارى تعالى لحقروا أعمالهم وزروا على أنفسهم أى عابوها تقول زريت على فلان أى عبته

وأزريت بفلان أي قصرت به فان قلت ماهذا السكنه الذي خفي عن الملائكة حتى قال لوعاينوه لحقروا عبادتهم ولعلموا انهم قد قصروا فيها قلت ان علوم الملائكة بالباري تعالى نظرية كعلوم البشر والعلوم النظرية دون العلوم الضرورية في الجلاء والوضوح فامير المؤمنين عليه السلام يقول لو كانت علومهم بك وبصفاتك الاثباتية والسلبية والاضافية ضرورية عوض علومهم هذه المتحققة الآن التي هي نظرية لانكشف لهم ماليس الآن على حد ذلك الكشف والوضوح ولا شبهة ان العبادة والخدمة على قدر المعرفة بالمعبود فكلما كان العابد به أعرف كانت عبادته له أعظم ولا شبهة ان العظيم عند الاعظم حقير فان قلت فما معنى قوله واستجماع أهوائهم فيك وهل للملائكة هوى وهل تستعمل الاهواء الا في الباطل قلت الهوى الحب وميل النفس وقد يكون في باطل وحق وانما يحمل على أحدهما بالقرينة والاهواء تستعمل فيهما ومعنى استجماع أهوائهم فيه ان دواعيهم الى طاعته وخدمته لاتنازعها الصوارف وكانت مجتمعة مائلة الى شق واحد فان قلت الباء في قوله بحسن بلائك بماذا يتعلق قلت الباء ههنا للتعليل بمعنى اللام كقوله تعالى ذلك بانهم كانت تأتيهم رسلهم أي لانهم فتكون متعلقة بما في سبحانك من معنى الفعل أي أسبحك لحسن بلائك ويجوز أن يتعلق بمعبود أي يعبد لذلك ثم قال خلقت دارا يعني الجنة والمأدبة والمأدبة بفتح الدال وضمها الطعام الذي يدعى الانسان اليه أدب زيد القوم يأدبهم بالكسر أي دعاهم الى طعامه والآدب الداعي الى طعامه قال طرفة

نحن في المشتاة ندعو الجفلى ۞ لاترى الآدب فينا ينتقر

وفي هذا الكلام دلالة على ان الجنة الآن مخلوقة وهو مذهب أكثر أصحابنا ومعنى قوله وزروعا أي وغروسا من الشجر يقال زرعت الشجر كما يقال زرعت البر والشعير ويجوز أن يقال الزروع جمع زرع وهو الانبات يقال زرعه الله أي أنبته ومنه قوله تعالى أفرأيتم ماتحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ولو قال قائل ان في الجنة زروعا من البر والقطنية لم يبعد قوله ثم أرسلت داعيا يعني الانبياء وأقبلوا على جيفة يعني الدنيا ومن كلام الحسن رضي الله عنه انما يتهارشون على جيفة والى قوله ومن عشق شيئا أعشى بصره نظر الشاعر فقال

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ۞ كما ان عين السخط تبدي المساويا

وقيل لحكيم مابال الناس لايرون عيب أنفسهم كما يرون عيب غيرهم قال ان الانسان عاشق لنفسه والعاشق لايرى عيوب المعشوق قد خرقت الشهوات عقله أي أفسدته كما تخرق الثوب فيفسد والى قوله فهو عبد لها ولمن في يديه شيء منها نظر ابن دريد فقال

عبيد ذي المال وان لم يطمعوا ۞ من ماله في نغبة تشفي الصدا

وهم لمن أملق أعداء وان ۞ شاركهم فيما أفاد وحوى

والى قوله حيثما زالت زال اليها وحيثما أقبلت أقبل عليها نظر الشاعر فقال

ماالناس الامع الدنيا وصاحبها ۞ فكيفما انقلبت يوما به انقلبوا

يعظمون أخا الدنيا فان وثبت ۞ يوما عليه بما لايشتهي وثبوا

والغرة الاغترار والغفلة والغار الغافل وقد اغتررت بالرجل واغتره زيد أي أتاه على غرة منه ويجوز أن يعني بقوله المأخوذين على الغرة الحداثة والشبيبة يقول كان ذلك في غرارتي وغرتي أي في حداثتي وصباي قوله سكرة الموت وحسرة الفوت اي الحسرة على مافاتهم من الدنيا ولذتها والحسرة على مافاتهم من التوبة والندم واستدراك فارط المعاصي والولوج الدخول ولج يلج قوله وبقاء من لبه أي لبه باق لم يعدم ويروى ونقاء بالنون والنقاء النظافة أي لبه غير مغمور اغمض في مطالبها أي تساهل في دينه في اكتسابه اياها أي كان يفتي نفسه بتأويلات ضعيفة في استحلال تلك المطالب والمكاسب فذاك هو الاغماض قال تعالى ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه ويمكن أن يحمل على وجه آخر وهو انه قد كان يحتال بحيل غامضة دقيقة في تلك المطالب حتى حصلها واكتسبها قوله عليه السلام وأخذها من مصرحاتها ومشتبهاتها أي من وجوه مباحة وذوات شبهة وهذا يؤكد المحمل الاول في أغمض والتبعات الآثام . الواحدة تبعة ومثلها التباعة قال ۞ لم يحذروا من ربهم ۞ سوء العواقب واتباعة ۞ والمهنأ المصدر من هنيء الطعام وهنوء بالكسر والضم مثل فقه وفقه فان كسرت قلت هنأ وان ضممت قلت يهنؤ والمصدر هناءة ومهنأ أي صار هنيأ وهنأني الطعام يهنأني

ويهنئني ولا نظير له في المهموز هنأ وهناء وهنئت الطعام أي تهنأت به ومنه قوله تعالى وكلوه هنيئا مريئا والعبء الحمل والجمع أعباء وغلق الرهن أي استحقه المرتهن وذلك اذا لم يفتكك في الوقت المشروط قال زهير

وفارقتك برهن لافكاك له ۞ يوم الوداع فامسى الرهن قد غلقا

فان قلت فما معنى قوله عليه السلام قد غلقت رهونه بها في هذا الموضع قلت لما كان قد شارف الرحيل وأشفى على الفراق صارت تلك الاموال التي جمعها مستحقة لغيره ولم يبق له فيها تصرف وأشبهت الرهن الذي غلق على صاحبه فخرج عن كونه مستحقا له وصار مستحقا لغيره وهو المرتهن وأصحر انكشف وأصله الخروج الى الصحراء والبروز من المكمن رجع كلامهم مايتراجعونه بينهم من الكلام ازداد الموت التياطا به أي التصاقا قد أوحشوا أي جعلوا متوحشين والمتوحش المهموم الفزع ويروى أوحشوا من جانبه أي خلوا منه وأقفروا تقول قد أوحش المنزل من أهله أي أقفر وخلا الى مخط في الارض أي الى خط سماه مخطا أوخطا لدقته يعني اللحد ويروى الى محط بالحاء المهملة وهو المنزل وحط القوم أي نزلوا وألحق آخر الخلق باوله أي تساوى الكل في شمول الموت والفناء لهم فالتحق الآخر بالاول أماد السماء حركها ويروى أمار والمور ان الحركة وفطرها شقها وأرج الارض زلزلها تقول أرجت الارض وأرجها الله ويجوز رجها وقد روي ورج الارض بغير همزة وهو الاصح وعليه ورد القرآن كلا اذا رجت الارض رجا وأرجها جعلها راجفة أي مرتعدة متزلزلة رجفت الارض ترجف والرجفان الاضطراب الشديد وسمي البحر رجافا لاضطرابه قال الشاعر ۞ حتى تغيب الشمس في الرجاف ۞ ونسفها قلعها من أصولها ودك بعضها بعضا صدمه ودقه حتى يكسره ويسويه بالارض ومنه قوله سبحانه وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة ثم ميزهم أي فصل بينهم فجعلهم فريقين سعداء واشقياء ومنه قوله تعالى وامتازوا اليوم أيها المجرمون أي انفصلوا من أهل الطاعة يظعن يرحل تنوبهم الافزاع تعاودهم وتعرض لهم الاخطار جمع خطر وهو مايشرف به على الهلكة وتشخصهم الاسفار تخرجهم من منزل الى منزل شخص الرجل وأشخصه غيره وغل الايدي جعلها في الاغلال جمع غل بالضم وهو القيد والقطران الهناء قطرت البعير أي طليته بالقطران قال ۞ كما قطر المهنوءة الرجل الطالي ۞ وبعير مقطور وهذا من الالفاظ القرآنية قال الله تعالى سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار والمعنى ان النار الى القطران سريعة جدا ومقطعات النيران أي ثياب من النيران قد قطعت وفصلت لهم وقيل المقطعات قصار الثياب والكلب الشدة والجلب واللجب الصوت والقصيف الصوت الشديد لايفصم كبولها لايكسر قيودها الواحد كبل ثم ذكر أن عذابهم سرمدي وأنه لانهاية له نعوذ بالله من عذاب ساعة واحدة فكيف من العذاب الابدي ونحن نذكر في هذا الموضع فصولا من خطب الخطيب الفاضل عبد الرحيم بن نباتة رحمه الله وهو الفائز بقصبات السبق بين الخطباء وللناس غرام عظيم بخطبه وكلامه ليتأمل الناظر كلام أمير المؤمنين عليه السلام في خطبه ومواعظه وكلام هذا الخطيب المتأخر الذي قد وقع الاجماع على خطابته وحسنها وان مواعظه هي الغاية التي ليس بعدها غاية ۞ فمن ذلك قوله أيها الناس تجهزوا فقد ضرب فيكم بوق الرحيل وابرزوا فقد قربت لكم نوق التحويل ودعوا التمسك بخدع الاباطيل والركون الى التسويف والتعليل فقد سمعتم ما كرر الله عليكم من قصص أبناء القرى وما وعظكم به من مصارع من سلف من الورى مما لايعترض لذوي البصائر فيه شك ولامرا وأنتم معرضون عنه اعراضكم عما يختلق ويفترى حتى كأن ماتعلمون منه أضغاث أحلام الكرى وأيدي المنايا قد قصمت من أعماركم أوثق العرى وهجمت بكم على هول مطلع كريه القرى فالقهقرى رحمكم الله عن حبائل العطب القهقرى واقطعوا مفاوز الهلكات بمواصلة السرى وقفوا على أجداث المتزايلين من شناخيب الذرى المتجلين بوازع أم حبوكرى المشغولين بما عليهم من الوث جرى واكشفوا عن الوجوه المنعمة اطباق الثرى تجدوا ماأبقى منها عبرة لمن يرى فرحم الله امرأ رحم نفسه فبكاها وجعل منها اليها مشتكاها قبل أن تلاقي به خطاطيف المنون وتصدق فيه أراجيف الظنون وتشرق عليه بمائها مقل العيون ويلحق بمن دثر من القرون قبل أن يبدو على المناكب محمولا ويغدو الى محل المصائب منقولا ويكون عن الواجب مسؤولا وبالقدوم على الطالب الغالب مشغولا هناك يرفع الحجاب ويوضع الكتاب وتقطع الاسباب

وتذهب الاحساب ويمنع الاعتاب ويجمع من حق عليه العقاب ومن وجب له الثواب فيضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب فلينظر المنصف هذا الكلام وما عليه من أثر التوليد أولا بالنسبة الى ذلك الكلام العربى المحض ثم لينظر فيما عليه من الكسل والرخاوة والفتور والبلادة حتى كان ذلك الكلام عامر بن الطفيل مستلئما شكته راكبا جواده وهذا الكلام الدلال المدينى المخنث آخذا زمره متأبطا دفه والمح مافى بوق الرحيل من السفسفة واللفظ العامى الغث واعلم أنهم كلهم عابوا على أبى الطيب قوله

فان كان بعض الناس سيفا لدولة ٭ ففى الناس بوقات لها وطبول

وقالوا لا يدخل لفظة بوق فى كلام يفلح أبدا والمح ما على قوله القهقرى القهقرى متكررة من الهجنة وأهجن منها أم حبوكرى وأين هذا اللفظ الحوشى الذى تفوح منه روائح الشيح والقيصوم وكأنه اعرابى قح قد قدم من نجد لا يفهم محاورة أهل الحضر ولا أهل الحضر يفهمون حواره من هذه الخطبة اللينة الالفاظ التى تكاد أن تنثنى من لينها وتتساقط من ضعفها ثم المح هذه الفقر والسجعات التى أولها القرى ثم المراثم يفترى ثم الكرى الى قوله عبرة لمن يرى هل ترى تحت هذا الكلام معنى لطيفا أو مقصدا رشيقا أوهل تجد اللفظ نفسه لفظا جزلا فصيحا أو عذبا معسولا وانما هى الفاظ قد ضم بعضها الى بعض والطائل تحتها قليل جدا وتأمل لفظة مراقاتها ممدودة فى اللغة فان كان قصرها فقد ركب ضرورة مستهجنة وان أراد جمع مرية فقد خرج عن الصناعة لانه يكون قد عطف الجمع على المفرد فيصير مثل قول القائل ما أخذت منه دينارا ولا دراهم فى انه ليس بالمستحسن فى فن البيان ٭ ومن ذلك قوله أيها الناس حصحص الحق فما من الحق مناص وأشخص الخلق فما لاحد من الخلق خلاص وأنتم على ما يباعدكم من الله حراص ولكم على موارد الهلكة اغتصاص وفيكم عن مقاصد البركة انتكاص كأن ليس أمامكم جزاء ولا قصاص ولجوارح الموت فى وحش نفوسكم اقتناص ليس بها عليها تأب ولا اعتياص فليتأمل أهل المعرفة بعلم الفصاحة والبيان هذا الكلام بعين الانصاف يعلموا ان سطرا واحدا من كلام نهج البلاغة يساوى ألف سطر منه بل يزيد ويربى على ذلك فان هذا الكلام ملزق عليه آثار كلفة وهجنة ظاهرة يعرفها العامى فضلا عن العالم ٭ ومن هذه الخطبة فاهجروا رحمكم الله وثير المراقد وادخروا طيب المكتسب تخلصوا من انتقاد الناقد واغتنموا فسحة المهل قبل انسداد المقاصد واقتحموا سبل الآخرة على قلة المرافق والمساعد فهل يجد متصفح الكلام لهذا الفصل عذوبة أو معنى يمدح الكلام لاجله وهل هو الا ألفاظ مضموم بعضها الى بعض ليس لها حاصل كما قيل فى شعر ذى الرمة ٭ بعر ظباء ونقط عروس ٭ ومن ذلك قوله فيا له من واقع فى كرب الحشارج مضارع لسكرات الموت معالج حتى درج على تلك المدارج وقدم بصحيفته على ذى المعارج وغير خاف ما فى هذا الكلام من التكلف ومن ذلك قوله ٭ فكأنكم بمنادى الرحيل قد نادى فى أهل الاقامة فاقتحموا بالصغار محجة القيامة يتلو الاوائل منهم الاواخر ويتبع الاكابر منهم الاصاغر ويلتحق الغوامر من ديارهم بالغوامر حتى تبتلع جميعهم الحفر والمقابر فان هذا الكلام ركيك جدا لو له خطيب من خطباء قرى السواد لم يستحسن منه بل ترك واسترذل ولعل عائبا يعيب علينا فيقول شرعتم فى المقايسة والموازنة بين كلام أمير المؤمنين عليه السلام و بين كلام ابن نباتة وهل هذا الا بمنزلة قول من يقول السيف أمضى من العصا وفى هذه غضاضة على السيف فنقول انه قد اشتملت كتب المتكلمين على المقايسة بين كلام الله تعالى و بين كلام البشر ليبينوا فضل القرآن وزيادة فصاحته على فصاحة كلام العرب نحو مقايستهم بين قوله تعالى ولكم فى القصاص حياة و بين قول القائل القتل أنفى للقتل ونحو مقايستهم بين قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين و بين قول الشاعر

فان عرضوا بالشر فاصفح تكرما ٭ وان كفوا عنك الحديث فلا تسل

ونحو ايرادهم كلام مسيلمة وأحمد بن سليمان المعرى وعبد الله بن المقفع فصلا فصلا والموازنة والمقايسة بين ذلك و بين القرآن المجيد وايضاح انه لا يبلغ ذلك الى درجة القرآن العزيز فى الفصاحة ولا يقاربها فليس بمنكر منا ان نذكر كلام ابن نباتة فى معرض ايرادنا كلام أمير المؤمنين عليه السلام لنظهر فضيلة كلامه عليه السلام بالنسبة الى

هذا

هذا الخطيب الفاضل الذى قد اتفق الناس على أنه أوحد عصره فى فنه واعلم انا لا ننكر فضل ابن نباتة وحسن أكثر خطبه ولكن قوما من أهل العصبية والعناد يزعمون ان كلامه يساوى كلام أمير المؤمنين عليه السلام و يماثله وقد ناظر بعضهم فى ذلك فاحببت أن أبين للناس فى هذا الكتاب انه لا نسبة لكلامه الى كلام أمير المؤمنين عليه السلام وانه بمنزلة شعر الابله وابن المعلم بالاضافة الى زهير والنابغة واعلم ان معرفة الفصيح والافصح والرشيق والارشق والحلو والاحلى والعالى والاعلى من الكلام أمر لا يدرك الا بالذوق ولا يمكن اقامة الدلالة المنطقية عليه وهو بمنزلة جاريتين احداهما بيضاء مشربة حمرة دقيقة الشفتين نقية الثغر كحلاء العينين أسيلة الخد دقيقة الانف معتدلة القامة والاخرى دونها فى هذه الصفات والمحاسن لكنها أحلى فى العيون والقلوب منها وأليق وأصلح ولا يدرى لاى سبب كان ذلك ولكنه بالذوق والمشاهدة يعرف ولا يمكن تعليله وهكذا الكلام نعم يبقى الفرق بين الموضعين ان حسن الوجوه وملاحتها وتفضيل بعضها على بعض يدركه كل من له عين صحيحة وأما الكلام فلا يعرفه الا أهل الذوق وليس كل من اشتغل بالنحو واللغة أو بالفقه كان من أهل الذوق وممن يصلح لانتقاد الكلام وانما أهل الذوق هم الذين اشتغلوا بعلم البيان وراضوا أنفسهم بالرسائل والخطب والكتابة والشعر وصارت لهم بذلك دربة وملكة تامة فالى أولئك ينبغى أن ترجع فى معرفة الكلام وفضل بعضه على بعض ان كنت عادما لذلك من نفسك

(الاصل) (منها فى ذِكرِ النبىِّ صلى اللهُ عليهِ وَآلهِ) قَدْ حقَرَ الدُّنيا وَصغَّرَها وَأهْوَنَ بِها وَهوَّنَها وَعلِمَ أنَّ اللهَ زَوَاها عَنْهُ اخْتِيارًا ٭ وَبَسَطَها لِغَيْرِهِ احْتِقارًا ٭ فَأعْرَضَ عَنِ الدُّنْيا بِقَلْبِهِ وَأماتَ ذِكْرَها عَنْ نَفْسِهِ وَأحَبَّ أنْ تَغِيبَ زِينَتُها عَنْ عَيْنِهِ لِكَيْلا يَتَّخِذَ مِنْها رِياشًا ٭ أوْ يَرْجُوَ فِيها مَقامًا ٭ بَلَّغَ عَنْ رَبِّهِ مُعْذِرًا ٭ وَنَصَحَ لِأُمَّتِهِ مُنْذِرًا وَدَعا إِلَى الجَنَّةِ مُبَشِّرًا وَخَوَّفَ مِنَ النَّارِ مُحَذِّرًا

(الشرح) فعل مشدد للتكثير قتلت أكثر من قتلت فيقتضى قوله عليه السلام قد حقر الدنيا زيادة تحقير النبى صلى الله عليه وآله لها وذلك أبلغ فى الثناء عليه وتقريظه قوله وصغرها أى وصغرها عند غيره ليكون قوله وأهون بها وهونها مطابقا له أى أهون هو بها وهونها عند غيره وزواها قبضها قال عليه الصلاة والسلام زويت لى الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وقوله اختيارا أى قبض الدنيا عنه باختيار ورضى من النبى صلى الله عليه وآله بذلك وعلم بما فيه من رفعة قدره ومنزلته فى الآخرة والرياش والريش بمعنى وهو اللباس الفاخر كالحرم والحرام واللبس واللباس وقرئ ريشا ورياشا ولباس التقوى ذلك خير ويقال الريش والرياش المال والخصب والمعاش وارتاش فلان حسنت حاله ومعذرا أى مبالغا أعذر فلان فى الامر أى بالغ فيه

(الاصل) نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ وَمَحَطُّ الرِّسالَةِ وَمُخْتَلَفُ المَلائِكَةِ ٭ وَمَعادِنُ العِلْمِ وَيَنابِيعُ الحِكَمِ ناصِرُنا وَمُحِبُّنا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ وَعَدُوُّنا وَمُبْغِضُنا يَنْتَظِرُ السَّطْوَةَ

(الشرح) هذا الكلام غير ملتصق بالاول كل الالتصاق وهو من النمط الذى ذكرناه مرارا لان الرضى رحمه الله يقتضب فصولا من خطبة طويلة فيوردها ايرادا واحدا وبعضها منقطع عن البعض قوله عليه الصلاة والسلام نحن شجرة النبوة كأنه جعل النبوة كثمرة أخرجتها شجرة بنى هاشم ومحط الرسالة منزلها ومختلف الملائكة موضع اختلافها فى صعودها ونزولها فالى هذا المعنى نظر بعض الطالبيين فقال يفتخر على بنى عم له ليسوا بفاطميين

هل كان يقتعد البراق أبوكم * أم كان جبريل عليه ينزل
أم هل يقول له الاله مشافها * بالوحي قم يا أيها المزمل

وقال آخر يمدح قوما فاطميين   ويطرقه بالوحي وهنا وأنتم * ضجيعان بين يدي جبريل

يعني حسنا عليه السلام وحسينا عليه السلام واعلم انه ان أراد بقوله نحن مختلف الملائكة جماعة من جملتها رسول الله صلى الله عليه وآله فلا ريب في صحة القضية وصدقها وان أراد بها نفسه وابنيه فهي أيضا صحيحة ولكن مدلوله مستنبط فقد جاء في الاخبار الصحيحة أنه قال يا جبريل انه مني وأنا منه فقال جبريل وأنا منكما وروى أبو أيوب الانصاري مرفوعا لقد صلت الملائكة علي وعلى علي سبع سنين لم تصل على ثالث لنا وذلك قبل أن يظهر أمر الاسلام ويتسامع الناس به وفي خطبة الحسن بن علي عليه السلام لما قبض أبوه لقد فارقكم في هذه الليلة رجل لم يسبقه الاولون ولا يدركه الآخرون كان يبعثه رسول الله صلى الله عليه وآله للحرب وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وجاء في الحديث انه سمع يوم أحد صوت من الهواء من جهة السماء يقول لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي وان رسول الله صلى الله عليه وآله قال هذا صوت جبريل عليه السلام فاما قوله ومعادن العلم وينابيع الحكم يعني الحكمة أو الحكم الشرعي فانه وان عنى بها نفسه وذريته فان الامر فيها ظاهر جدا قال رسول الله صلى الله عليه وآله أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأت الباب وقال أقضاكم علي والقضاء أمر يستلزم علوما كثيرة وجاء في الخبر انه بعثه الى اليمن قاضيا فقال يا رسول الله انهم كهول وذوو أسنان وأنا فتى وربما لم أصب فيما أحكم به بينهم فقال له اذهب فان الله سيثبت قلبك ويهدي لسانك وجاء في تفسير قوله تعالى وتعيها أذن واعية سألت الله أن يجعلها أذنك ففعل وجاء في تفسير قوله تعالى أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله انها أنزلت في علي عليه السلام وما خص به من العلم وجاء في تفسير قوله تعالى أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ان الشاهد علي عليه السلام وروى المحدثون أنه قال لفاطمة زوجتك أقدمهم سلما وأعظمهم حلما وأعلمهم علما وروى المحدثون أيضا عنه عليه السلام أنه قال من أراد أن ينظر الى نوح في عزمه وموسى في علمه وعيسى في ورعه فلينظر الى علي بن أبي طالب عليه السلام وبالجملة فحاله في العلم حال رفيعة جدا لم يلحقه أحد فيها ولا قاربه وحق له أن يصف نفسه بانه معادن العلم وينابيع الحكم فلا أحد أحق به منها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فان قلت كيف قال عدونا ومبغضنا ينتظر السطوة ونحن نشاهد أعداءه ومبغضيه لا ينتظرونها قلت لما كانت منتظرة لهم ومعلوما يقينا حلولها بهم صاروا كالمنتظرين لها وأيضا فانهم ينتظرون الموت لا محالة الذي كل انسان ينتظره ولما كان الموت مقدمة العقاب وطريقا اليه جعل انتظاره انتظارا ما يكون بعده

(الاصل)   ﴿ ومن خطبة له عليه السلام ﴾

إنَّ أفْضَلَ ما تَوَسَّلَ بِهِ المُتَوَسِّلُونَ إلى اللهِ سُبْحانَهُ وَتَعالَى الإيمانُ بِهِ وَبِرَسُولِهِ وَالجِهادُ في سَبِيلِهِ فإنَّهُ ذِرْوَةُ الإسْلامِ * وَكَلِمَةُ الإخْلاصِ فإنَّها الفِطْرَةُ * وَإقامُ الصَّلاةِ * فإنَّها المِلَّةُ وَإيتاءُ الزَّكاةِ فإنَّها فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضانَ فإنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ العِقابِ * وَحَجُّ البَيْتِ وَاعْتِمارُهُ * فإنَّهُما يَنْفِيانِ الفَقْرَ وَيَرْحَضانِ الذَّنْبَ * وَصِلَةُ الرَّحِمِ فإنَّها مَثْراةٌ في المالِ وَمَنْسَأةٌ في الأجَلِ * وَصَدَقَةُ السِّرِّ فإنَّها تُكَفِّرُ الخَطِيئَةَ وَصَدَقَةُ العَلانِيَةِ فإنَّها تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ وَصَنائِعُ المَعْرُوفِ فإنَّها تَقِي مَصارِعَ الهَوانِ   أفِيضُوا في ذِكْرِ اللهِ فإنَّهُ أحْسَنُ

الذكر

الذِّكْرِ وَارْغَبُوا فِيما وَعَدَ المُتَّقِينَ فإنَّ وَعْدَهُ أصْدَقُ الوَعْدِ وَاقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ فإنَّهُ أفْضَلُ الهَدْيِ وَاسْتَنُّوا بِسُنَّتِهِ فإنَّها أهْدَى السُّنَنِ وَتَعَلَّمُوا القُرْآنَ فإنَّهُ أحْسَنُ الحَدِيثِ وَتَفَقَّهُوا فِيهِ فإنَّهُ رَبِيعُ القُلُوبِ وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فإنَّهُ شِفاءُ الصُّدُورِ وَأحْسِنُوا تِلاوَتَهُ فإنَّهُ أنْفَعُ القَصَصِ وَإنَّ العالِمَ العامِلَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ كالجاهِلِ الحائِرِ الَّذِي لا يَسْتَفِيقُ مِنْ جَهْلِهِ بَلِ الحُجَّةُ عَلَيْهِ أعْظَمُ وَالحَسْرَةُ لَهُ ألْزَمُ وَهُوَ عِنْدَ اللهِ ألْوَمُ

(الشرح) ذكر عليه السلام ثمانية أشياء كل منها واجب أولها الايمان بالله وبرسوله ويعني بالايمان ههنا مجرد التصديق بالقلب مع قطع النظر عما عدا ذلك من التلفظ بالشهادة ومن الاعمال الواجبة وترك القبائح وقد ذهب الى أن ماهية الايمان هو مجرد التصديق القلبي جماعة من المتكلمين وهو وان لم يكن مذهب أصحابنا فان لهم أن يقولوا ان أمير المؤمنين عليه السلام جاء بهذا اللفظ على أصل الوضع اللغوي لان الايمان في أصل اللغة هو التصديق قال سبحانه وتعالى وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين أي لست بمصدق لنا الا ان كنا صادقين ولا ان كنا كاذبين ومجيئه عليه السلام به على أصل الوضع اللغوي لا يبطل مذهبنا في مسمى الايمان لانا نذهب الى أن الشرع استجد لهذه اللفظة مسمى ثانيا كما ذهب اليه في الصلاة والزكاة وغيرهما فلا منافاة اذا بين مذهبنا وبين ما أطلقه عليه الصلاة والسلام وثانيها الجهاد في سبيل الله وانما قدمه على التلفظ بكلمتي الشهادة لانه من باب دفع الضرر عن النفس ودفع الضرر عن النفس مقدم على سائر الاعمال المتعلقة بالجوارح والتلفظ بكلمتي الشهادة من عمل الجوارح وانما أخره عن الايمان لان الايمان من أفعال القلوب فهو خارج عما يتقدم عليه ودفع الضرر من الافعال المختصة بالجوارح وأيضا فان الايمان أصل الجهاد كانه ما لم يعلم الانسان على ماذا يجاهد لا يجاهد وانما جعله ذروة الاسلام أي أعلاه لانه ما لم تتحصن دار الاسلام بالجهاد لا يتمكن المسلمون من القيام بوظائف الاسلام فكان اذا من الاسلام بمنزلة الرأس من البدن وثالثها كلمة الاخلاص يعني شهادة أن لا اله الا الله وشهادة أن محمدا رسول الله قال فانها الفطرة يعني هي التي فطر الناس عليها والاصل الكلمة الاولى لانها التوحيد وعليها فطر البشر كلهم والكلمة الثانية تبع لها فاجريت مجراها وانما أخرت هذه الخصلة عن الجهاد لان الجهاد هو كان السبب في اظهار الناس لها ونطقهم بها فصار كالاصل بالنسبة اليها ورابعها اقام الصلاة أي اداؤها والاصل وأقام اقواما فحذفوا عين الفعل وتارة يعوضون عن العين المفتوحة هاء فيقولون اقامة قال فانها الملة وهذا مثل قول النبي صلى الله عليه وآله الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين وخامسها ايتاء الزكاة وانما أخرها عن الصلاة لان الصلاة آكد افتراضا منها وانما قال في الزكاة فانها فريضة واجبة لان الفريضة لفظ يطلق على الجزء المعين المقدر في السائمة باعتبار غير الاعتبار الذي يطلق به على صلاة الظهر لفظ الفريضة والاعتبار الاول من القطع والثاني من الوجوب وقال فانها فريضة واجبة مثل أن يقول فانها شيء مقتطع من المال موصوف بالوجوب وسادسها صوم شهر رمضان وهو أضعف وجوبا من الزكاة وجعله جنة من العقاب أي سترة وسابعها الحج والعمرة وهما دون فريضة الصوم وقال انهما ينفيان الفقر ويرحضان الذنب أي يغسلانه رحضت الثوب وثوب رحيض وهذا الكلام يدل على وجوب العمرة وقد ذهب اليه كثير من الفقهاء العلماء وثامنها صلة الرحم وهي واجبة وقطيعة الرحم محرمة قال فانها مثراة في المال أي تثريه وتكثره ومنساة في الاجل أي تنساه وتؤخره ويقال نسأ الله في أجلك ويجوز انساه بالهمزة فان قلت فما الحجة على تقديم وجوب الصلاة ثم الزكاة ثم الصوم ثم الحج قلت أما الصلاة فلان تاركها يقتل وان لم يجحد وجوبها وغيرها ليس كذلك وانما قدمت الزكاة على الصوم لان الله تعالى قرنها بالصلاة في كثير من الكتاب العزيز ولم يذكر صوم شهر رمضان الا في موضع واحد وكثرة تأكيد الشيء وذكره دليل على انه

أهم وانما قدم الصوم على الحج لانه يتكرر وجوبه والحج لا يجب فى العمر الا مرة واحدة فدل على أنه اهم عند الشارع من الحج ثم قال عليه السلام وصدقة السر فخرج من الواجبات الى النوافل قال فانها تكفر الخطيئة والتكفير هو اسقاط عقاب مستحق بثواب أزيد منه أو توبة وأصله فى اللغة الستر والتغطية ومنه الكافر لانه يغطى الحق وسمى البحر كافرا لتغطيته ما تحته وسمى الفلاح كافرا لانه يغطى الحب فى الارض المحروثة ثم قال وصدقة العلانية فانها تدفع ميتة السوء كالغرق والهدم وغيرها قال وصنائع المعروف فانها تقى مصارع الهوان كاسر الروم للمسلم أو كاخذ الظلمة لغير المستحق للاخذ ثم شرع فى وصايا أخر عددها واهدى السيرة وفى الحديث واهدوا هدى عمار يقال هدى فلان هدى فلان أى سار سيرته وسمى القرآن حديثا اتباعا لقول الله تعالى نزل أحسن الحديث كتابا متشابها واستدل أصحابنا بالآية على انه محدث لانه لا فرق بين حديث ومحدث فى اللغة فان قالوا انما أراد أحسن الكلام قلنا لعمرى انه كذلك ولكنه لا يطلق على الكلام القديم لفظة حديث لانه انما سمى الكلام والمحاورة والمخاطبة حديثا لانه أمر يتجدد حالا فحالا والقديم ليس كذلك ثم قال تفقهوا فيه فانه ربيع القلوب من هذا أخذ ابن عباس قوله اذا قرأت الم حم وقعت فى روضات دمثات ثم قال فانه شفاء الصدور وهذا من الالفاظ القرآنية ثم سماه قصصا اتباعا لما ورد فى القرآن من قوله نحن نقص عليك أحسن القصص ثم ذكر ان العالم الذى لا يعمل بعلمه كالجاهل الحائر الذى لا يستفيق من جهله ثم قال بل الحجة عليه أعظم لانه يعلم الحق ولا يعمل به فالحجة عليه أعظم من الحجة على الجاهل وان كانا جميعا محجوجين أما أحدهما فيعلمه وأما الاخر فبتمكنه من أن يعلم ثم قال والحسرة عليه الزم لانه عند الموت وبعد الموت يتاسف ان لا يكون عمل بما علم والجاهل لا يتاسف ذلك الاسف ثم قال وهو عند الله ألوم أى أحق أن يلام لان المتمكن عالم بالقوة وهذا عالم بالفعل فاستحقاقه اللوم والعقاب أشد

(الاصل) ﴿ ومن خطبة له عليه السلام ﴾

أما بعد فانى أحذركم الدنيا فانها حلوة خضرة حفت بالشهوات وتحببت بالعاجلة وراقت بالقليل وتحلت بالآمال وتزينت بالغرور لا تدوم حبرتها * ولا تؤمن فجعتها غرارة ضرارة حائلة زائلة * نافدة بائدة * أكالة غوالة * لا تعدو إذا تناهت إلى أمنية أهل الرغبة فيها والرضاء بها * أن تكون كما قال الله تعالى (كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شىء مقتدرا) لم يكن امرؤ منها فى حبرة إلا أعقبته بعدها عبرة * ولم يلق من سرائها بطنا * الا منحته من ضرائها ظهرا ولم تطله فيها ديمة رخاء * إلا هتنت عليه مزنة بلاء وحري إذا أصبحت له منتصرة أن تمسى له متنكرة وإن جانب منها اعذوذب واحلولى أمر منها جانب فأوبى * لا ينال امرؤ من غضارتها رغبا * إلا أرهقته من نوائبها تعبا * ولا يمسي منها في جناح أمن إلا أصبح على قوادم خوف * غرارة غرور ما فيها فانية فان من عليها * لا خير في شيء من أزوادها إلا التقوى * من أقل منها استكثر مما

بؤمنه

يؤمنه ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه * وزال عما قليل عنه * كم من واثق بها قد فجعته * وذى طمأنينة قد صرعته وذى أبهة قد جعلته حقيرا * وذى نخوة قد ردته ذليلا * سلطانها دول * وعيشها رنق * وعذبها أجاج * وحلوها صبر * وغذاؤها سمام * وأسبابها رمام * حيها بعرض موت وصحيحها بعرض سقم * ملكها مسلوب * وعزيزها مغلوب * وموفورها منكوب * وجارها محروب * ألستم في مساكن من كان قبلكم أطول أعمارا وأبقى آثارا وأبعد آمالا وأعد عديدا وأكثف جنودا تعبدوا للدنيا أى تعبد وآثروها أى إيثار ثم ظعنوا عنها بغير زاد مبلغ ولا ظهر قاطع * فهل بلغكم أن الدنيا سخت لهم نفسا بفدية * أو أعانتهم بمعونة أو أحسنت لهم صحبة بل أرهقتهم بالقوادح * وأوهنتهم بالقوارع وضعضعتهم بالنوائب * وعفرتهم للمناخر * ووطئتهم بالمناسم * وأعانت عليهم ريب المنون فقد رأيتم تنكرها لمن دان لها * وآثرها وأخلد اليها * حين ظعنوا عنها لفراق الأبد * وهل زودتهم إلا السغب * أو أحلتهم الا الضنك * أو نورت لهم إلا الظلمة * أو أعقبتهم الا الندامة * أفهذه تؤثرون أم اليها تطمئنون أم عليها تحرصون فبئست الدار لمن لم يتهمها ولم يكن فيها على وجل منها فاعلموا وأنتم تعلمون بأنكم تاركوها وظاعنون عنها واتعظوا فيها بالذين قالوا (من أشد منا قوة) حملوا الى قبورهم فلا يدعون ركبانا * وأنزلوا الأجداث * فلا يدعون ضيفانا وجعل لهم من الصفيح أجنان * ومن التراب أكفان * ومن الرفات جيران * فهم جيرة لا يجيبون داعيا ولا يمنعون ضيما ولا يبالون مندبة * إن جيدوا لم يفرحوا * وان قحطوا لم يقنطوا * جميع وهم آحاد * وجيرة وهم أبعاد * متدانون لا يتزاورون * وقريبون لا يتقاربون * حلماء قد ذهبت أضغانهم * وجهلاء قد ماتت أحقادهم * لا يخشى فجعهم ولا يرجى دفعهم * استبدلوا بظهر الأرض بطنا * وبالسعة ضيقا * وبالأهل غربة * وبالنور ظلمة * فجاؤها كما فارقوها * حفاة عراة * قد ظعنوا عنها بأعمالهم إلى الحياة الدائمة * والدار الباقية كما قال سبحانه وتعالى (كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا

عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ)

(الشرح) خضرة أي ناضرة وهذه اللفظة من الالفاظ النبوية قال النبي صلى الله عليه وآله ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون وحفت بالشهوات كأن الشهوات مستديرة حولها كما يحف الهودج بالثياب وحفوا حوله يحفون حفاً أطافوا به قال الله تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش قوله وتحببت بالعاجلة أي تحببت الى الناس بكونها لذة عاجلة والنفوس مغرمة مولعة بحب العاجل فحذف الجار والمجرور القائم مقام المفعول قوله وراقت بالقليل أي أعجبت أهلها وانما أعجبتهم بأمر قليل ليس بدائم قوله وتحلت بالآمال من الحلية أي تزينت عند أهلها بما يؤملون منها قوله وتزينت بالغرور أي تزينت عند الناس بغرور لا حقيقة له والحبرة السرور وحائلة متغيرة ونافدة فانية وبائدة منقضية وأكالة قتالة وغوالة مهلكة والغول ما غال أي أهلك ومنه المثل الغضب غول الحلم ثم قال انها اذا تناهت الى أمنية ذوي الرغبات فيها لا تتجاوز أن تكون كما وصفها الله تعالى به وهو قوله واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً فاختلط أي فالتف بنبات الارض وتكاثف به أي بسبب ذلك الماء وبنزوله عليه ويجوز أن يكون تقديره فاختلط بنبات الارض لانه لما غذاه وأنماه فقد صار مختلطاً به ولما كان كل واحد من المختلطين مشاركاً لصاحبه في مسمى الاختلاط جاز فاختلط به نبات الارض كما يجوز فاختلط هو بنبات الارض والهشيم ما تهشم وتحطم الواحدة هشيمة وتذروه الرياح تطيره وكان الله على ما يشاء من الانشاء والافناء مقتدراً قوله لم يلق من سرائها بطناً الا منحته من ضرائها ظهراً انما خص السراء بالبطن والضراء بالظهر لان الملاقي لك بالبطن ملاق بالوجه فهو مقبل عليك والمعطيك ظهره مدبر عنك وقيل لان الترس بطنه اليك وظهره الى عدوك وقيل لان المشي في بطون الاودية أسهل من السير على الظراب والآكام وطله السحاب يطله اذا أمطره مطراً قليلاً يقول اذا أعطت قليلاً من الخير أعقبت ذلك بكثير من الشر لان الهتان الكثير المطر المطبق هتن يهتن بالكسر هتناً وهتوناً وتهتاناً قوله وحري أي جدير وخليق يقال بالحري أن يكون هذا الامر كذا وهذا الامر محراة لذلك أي مقمنة مثل محجاة وما أحراه مثل ما أحجاه وأحر به مثل أحج به ويقول هو حرى أن يفعل ذلك بالفتح أي جدير وقمين لا يثنى ولا يجمع قال الشاعر

وهن حرى أن لا يثبنك نقرة * وأنت حرى بالنار حين تثيب

فاذا قلت هو حر بكسر الراء وحري بتشديدها على فعيل ثنيت وجمعت فقلت هما حريان وحريان وحرون مثل عمون واحراء أيضاً وفي المشدد حريون وأحرياء وهي حرية وحرية وهن حريات وحريات وحرايا فان قلت فهلا قال وحرية اذا أصبحت لانه يخبر عن الدنيا قلت أراد شأنها فذكر أي وشأنها خليق أن يفعل كذا واعذوذب صار عذباً واحلولى صار حلواً ومن ههنا أخذ الشاعر قوله

الا انما الدنيا غضارة أيكة * اذا اخضر منها جانب جف جانب

فلا تكتحل عيناك منها بعبرة * على ذاهب منها فانك ذاهب

وارتفع جانب المذكور بعد ان لانه فاعل فعل مقدر يفسره الظاهر أي وان اعذوذب جانب منها لان ان تقتضي الفعل وتطلبه فهي كاذا في قوله تعالى اذا السماء انشقت وأمر الشيء اذا صار مراً وأوبى صار وبياً ولين الهمزة لاجل السجع والرغب مصدر رغبت في الامر رغبة ورغباً أي أردته يقول لا ينال الانسان منها ارادته الا أرهقته تعباً يقال أرهقه اثماً أي حمله وكلفه فان قلت لم خص الامن بالجناح والخوف بالقوادم قلت لان القوادم مقاديم الريش والراكب عليها بعرض خطر عظيم وسقوط قريب والجناح يستر ويقي البرد والاذى قال أبو نواس

تغطيت من دهري بظل جناحه * فصرت أرى دهري وليس يراني

فلو تسأل الايام ما اسمي لما درت * وأين مكاني ما عرفن مكاني

والهاء

والهاء في جناحه ترجع الى الممدوح بهذا الشعر وتوبقه تهلكه والابهة الكبر والرنق بفتح النون مصدر رنق الماء أي تكدر وبالكسر الكدر وقد روي ههنا بالفتح والكسر فالكسر ظاهر والفتح على تقدير حذف المضاف أي ذو رنق وماء اجاج قد جمع المرارة والملوحة أج الماء يؤج اجاجاً والصبر بكسر الباء هذا النبات المر نفسه ثم سمي كل مر صبراً والسمام جمع سم لهذا القاتل يقال سم وسم بالفتح والضم والجمع سمام وسموم ورمام بالية واسبابها حبالها وموفورها ذو الوفر والثروة منها والمحروب المسلوب أي لا تحمي جاراً ولا تمنعه ثم أخذ قوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال فقال ألستم في مساكن من كان قبلكم أطول أعماراً نصب أطول بانه خبر كان وقد دلنا الكتاب الصادق على انهم كانوا أطول أعماراً بقوله فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاماً وثبت بالعيان انهم أبقى آثاراً فان من آثارهم الاهرام والايوان ومنارة الاسكندرية وغير ذلك وأما بعد الآمال فمترتب على طول الاعمار فكلما كانت أطول كانت الآمال أبعد وان عني به علو الهمم فلا ريب أنهم كانوا أعلى همماً من أهل هذا الزمان وقد كان فيهم من ملك معمورة الارض كلها وكذلك القول في اعد عديداً وأكثف جنوداً والعديد العدد والكثير وأعد منهم أي أكثر قوله ولا ظهر قاطع أي قاطع لمسافة الطريق والفوادح المثقلات فدحه الدين أثقله ويروى بالقوادح بالقاف وهي آفة تظهر في الشجر وصدوع تظهر في الاسنان وأوهقتهم جعلتهم في الوهق بفتح الهاء وهو حبل كالطول ويجوز التسكين مثل نهر ونهر والقوارع المحن والدواهي وسميت القيامة قارعة في الكتاب العزيز من هذا المعنى وضعضعتهم أذلتهم قال أبو ذؤيب * اني لريب الدهر لا أتضعضع * وضعضعت البناء هدمته وعفرتهم للمناخر ألصقت أنوفهم بالعفر وهو التراب والمناسم جمع منسم بكسر السين وهو خف البعير ودان لها أطاعها ودان لها أيضاً ذل وأخلد اليها مال قال تعالى ولكنه أخلد الى الارض والسغب الجوع يقول انما زودتهم الجوع وهذا مثل كما قال * ومدحته فاجازني الحرمانا * ومعنى قوله أو نورت لهم الا الظلمة أي بالظلمة وهذا كقوله * هل زودتهم الا السغب * وهو من باب اقامة الضد مقام الضد أي لم تسمح لهم بالنور بل بالظلمة والضنك الضيق ثم قال فبئست الدار وحذف الضمير العائد اليها وتقديره هي كما قال تعالى نعم العبد وتقديره هو ومن لم يتهمها من لم يسوء ظنا بها والصفيح الحجارة والاجنان القبور الواحد جنن والجنون المقبور ومنه قول الاعرابية * لله درك من مجنون في جنن * والاكنان جمع كن وهو الستر قال تعالى وجعل لكم من الجبال اكناناً والرفات العظام البالية والمندبة الندب على الميت لا يبالون بذلك لا يكترثون به وجيد وامطروا وقحطوا انقطع المطر عنهم فأصابهم القحط وهو الجدب والى معنى قوله عليه السلام فهم جيرة لا يجيبون داعياً ولا يمنعون ضيماً جميع وهم آحاد وجيرة وهم ابعاد متدانون لا يتزاورون وقريبون لا يتقاربون نظر البحتري فقال

تناءيت من مجفوة لم تؤنب * ومهجورة في هجرها لم تعتب

ونازحة والدار منها قريبة * وما قرب ثاو في التراب مغيب

وقد قال الشعراء والخطباء في هذا المعنى كثيراً فمن ذلك قول الرضي أبي الحسن رحمه الله في مرثيته لابي اسحق الصابي

أعزز علي بأن نزلت بمنزل * متشابه الامجاد بالاوغاد

في عصبة جنبوا الى آجالهم * والدهر يعجلهم عن الارواد

ضربوا بمدرجة الفناء قبابهم * من غير أطناب ولا أوتاد

ركب أناخوا لا يرجى منهم * قصد لاتهام ولا انجاد

كرهوا النزول فأنزلتهم وقعة * للدهر نازلة بكل مقاد

فتهافتوا عن رحل كل مذلل * وتطاوحوا عن سرج كل جواد

بادون في صور الجميع وانهم * متفردون تفرد الآحاد

فقوله بادون في صور الجميع البيت هو قوله عليه السلام جميع وهم آحاد بعينه وقال الرضي رحمه الله تعالى أيضاً

متوسدين على الخدود كأنما * كرعوا على ظمأ من الصهباء

صور ضننت على العيون بحسنها ۞ أمسيت أوقرها من البوغاء
ونواظر كحل التراب جفونها ۞ قد كنت أحرصها من الاقذاء
قربت ضرائحهم على زوارها ۞ ونأوا عن الطلاب أى تناء

قوله قربت ضرائحهم البيت هو معنى قوله عليه السلام وجيرة وهم ابعاد بعينه ومن هذا المعنى قول بعض الاعراب

لكل أناس معمر فى ديارهم ۞ فهم ينقصون والقبور تزيد
فكاين ترى من دار حى قد أخربت ۞ وقبر بأكناف التراب جديد
هم جيرة الاحياء أما مزارهم ۞ فدان وأما الملتقى فبعيد

ومن كلام ابن نباتة وحيدا على كثرة الجيران بعيدا على قرب المكان ومنه قوله أسير وحشة الانفراد فقير الى اليسير من الزاد جار من لا يجير وضيف من لا يبرحاوا ولا يرون ركبانا وانزلوا ولا يدعون ضيفانا واجتمعوا ولا يستمون جيرانا واحتشدوا ولا يعدون أعوانا وهذا كلام أمير المؤمنين عليه السلام بعينه المذكور فى هذه الخطبة وقد أخذه مصالتة ومنه قوله طحنتهم طحن الحصيد وغيبتهم تحت الصعيد فبطون الارض لهم أوطان وهم فى خرابها قطان عمروا فاخربوا واقربوا فاغتربوا واصطحبوا وما اصطحبوا ومنه قوله غيبا كاشهاد عصبا كآحاد همودا فى ظلم الألحاد الى يوم التناد واعلم ان هذه الخطبة ذكرها شيخنا أبو عثمان الجاحظ فى كتاب البيان والتبيين ورواها لقطرى بن الفجاءة والناس يروونها لأمير المؤمنين عليه السلام وقد رأيتها فى كتاب الموثق لأبى عبيد الله المرزبانى مروية لأمير المؤمنين عليه السلام وهى بكلام أمير المؤمنين أشبه وليس يبعد عندى أن يكون قطرى قد خطب بها بعد ان أخذها عن بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام فان الخوارج كانوا أصحابه وأنصاره وقد لقى قطرى أكثرهم

(الاصل) ۞(ومن خطبة له عليه السلام)۞

يذكر فيها ملك الموت عليه الصلاة والسلام وتوفيته الأنفس

هَلْ يُحَسُّ بِهِ اذَا دَخَلَ مَنْزِلاً أَمْ هَلْ تَرَاهُ اذَا تَوَفَّى أَحَدًا بَلْ كَيْفَ يَتَوَفَّى الْجَنِينَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ۞ أَيَلِجُ عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا ۞ أَمِ الرُّوحُ أَجَابَتْهُ بِاذْنِ رَبِّهَا أَمْ هُوَ سَاكِنٌ مَعَهُ فِى أَحْشَائِهَا ۞ كَيْفَ يَصِفُ إِلَهَهُ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ

(الشرح) أما مذهب جمهور أصحابنا وهم النافون للنفس الناطقة فعندهم ان الروح جسم لطيف بخارى يتكون من ألطف أجزاء الأغذية ينفذ فى العروق الضوارب والحياة عرض قائم بالروح وحال فيها فللدماغ روح دماغية وحياة حالة فيها وكذلك للقلب وكذلك للكبد وعندهم ان لملك الموت أعوانا تقبض الارواح بحكم النيابة عنه لولا ذلك لتعذر عليه وهو جسم أن يقبض روحين فى وقت واحد فى المشرق والمغرب لان الجسم الواحد لا يكون فى مكانين فى وقت واحد قال أصحابنا ولا يبعد أن يكون الحفظة الكاتبون هم القابضون للارواح عند انقضاء الاجل قالوا وكيفية القبض ولوج الملك من الفم الى القلب لانه جسم لطيف هوائى لا يتعذر عليه النفوذ فى المخارق الضيقة فيخالط الروح التى هى كالشبيهة به لانها جسم لطيف بخارى ثم يخرج من حيث دخل وهى معه وانما يكون ذلك فى الوقت الذى يأذن الله تعالى له فيه وهو حضور الاجل فالزموا على ذلك أن يغوص الملك فى الماء مع الغريق ليقبض روحه تحت الماء فالتزموا ذلك وقالوا ليس بمستحيل أن يتخلل الملك الماء فى مسام الماء فان فيه مسام ومنافذ وفى كل جسم على قاعدتهم فى اثبات الماء فى الاجسام قالوا ولو فرضنا انه لا مسام فيه لم يبعد أن يلجه الملك فيوسع لنفسه مكانا كما يلجه الحجر والسمك وغيرهما وكالريح الشديدة التى تقرع ظاهر البحر فتقعره وتحفره وقوة الملك أشد من قوة الريح ثم نعود

الى

الى الشرح فنقول الملك أصله مألك بالهمز ووزنه مفعل والميم زائدة لانه من الالوكة والألوك وهى الرسالة ثم قلبت الكلمة وقدمت اللام فقيل ملأك قال الشاعر

فلست لانسى ولكن لملأك ۞ تنزل من جو السماء يصوب

ثم تركت همزته لكثرة الاستعمال فقيل ملك فلما جمع ردت الهمزة اليه فقالوا ملائكة وملائك قال أمية بن أبى الصلت

فكان برقع والملائك حولها ۞ سدرتوا كله القوائم أجرب

والتوفى الاماتة وقبض الارواح قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتقسيم الذى قسمه فى وفاة الجنين حاصر لانه مع فرضنا اياه جسما يقبض الارواح التى فى الاجسام اما أن يكون مع الجنين فى جوف أمه فيقبض روحه عند حضور أجله أو خارجا عنها والقسم الثانى ينقسم قسمين احدهما أن يلج جوف أمه لقبض روحه فيقبضها والثانى أن يقبضها من غير حاجة الى الولوج الى جوفها وذلك بأن تطيعه الروح وتكون مسخرة اذا أراد قبضها امتدت اليه فقبضها وهذه القسمة لا يمكن الزيادة عليها ولو قسمها واضع المنطق لما زاد ثم خرج الى أمر آخر أعظم وأشرف مما ابتدأ به فقال كيف يصف الهه من يعجز عن وصف مخلوق مثله والى هذا الغرض كان يترامى واياه كان يقصد وانما مهد حديث الملك والجنين توطئة لهذا المعنى الشريف والسر الدقيق وهذا الفن تسميه أرباب علم البيان التخلص وأكثر ما يقع فى الشعر كقول أبى نواس

تقول الفتى من بيتها خف مركبى ۞ عزيز علينا أن نراك تسير
أما دون مصر للغنى متطلب ۞ بلى ان أسباب الغنى لكثير
فقلت لها واستعجلتها بوادر ۞ جرت فجرى فى جريهن عبير
ذرينى أكثر حاسديك برحلة ۞ الى بلدة فيها الخصيب أمير

ومن ذلك قول أبى تمام

تقول فى قومس صحبى وقد أخذت ۞ منا السرى بيد المهرية القود
أمطلع الشمس تبغى ان تؤم بنا ۞ فقلت كلا ولكن مطلع الجود

ومنه قول البحترى

هل الشباب ملم بى فراجعة ۞ أيامه لى فى اعقاب أيامى
لو انه نائل غمر يجاد به ۞ اذن تطلبته عند ابن بسطام

ومنه قول المتنبى وهو يتغزل باعرابية يصف بخلها وجبنها وقلة مطعمها وهذه كلها من الصفات الممدوحة فى النساء خاصة

فى مقلتى رشأ تديرهما ۞ بدوية فتنت بها الحلل
يشكو المطاعم طول هجرتها ۞ وصدودها ومن الذى تصل
ما أسأرت فى القعب من لبن ۞ تركته وهو المسك والعسل
قالت ألا تصحو فقلت لها ۞ اعلمتنى ان الهوى ثمل
لو ان فنا خسر صبحكم ۞ وبرزت وحدك عاقه الغزل
وتفرقت عنكم كتائبه ۞ ان الملاح خوادع قتل
ما كنت فاعلة وضيفكم ۞ ملك الملوك وشأنك البخل
أتمنعين قرى فتفتضحى ۞ أم تبذلين له الذى يسل
بل لا يحل بحيث حل به ۞ بخل ولا جور ولا وجل

وهذا من لطيف التخلص ورشيقه والتخلص مذهب الشعراء والمتأخرون يستعملونه كثيرا ويتفاخرون فيه ويتفاضلون فأما التخلص فى الكلام المنثور فلا يكاد يظهر لمتصفح الرسالة أو الخطبة الا بعد تأمل شديد وقد وردت منه مواضع فى القرآن العزيز فمن أبينها وأظهرها انه تعالى ذكر فى سورة الاعراف الأمم الخالية والانبياء الماضين

من لدن آدم عليه الصلاة والسلام الى ان انتهى الى قصة موسى فقال في آخرها بعد ان شرحها وأوضحها واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة انا هدنا اليك قال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه اولئك هم المفلحون وهذا من التخلصات اللطيفة المستحسنة واعلم ان من أنواع علم البيان نوعا يسمى الاستطراد وقد يسمى الالتفات وهو من جنس التخلص وشبيه به الا ان الاستطراد هو أن تخرج بعد ان تمهد ما تريد ان تمهده الى الامر الذى تروم ذكره فتذكره وكأنك غير قاصد لذكره بالذات بل قد حصل ووقع ذكره بالعرض عن غير قصد ثم تدعه وتتركه وتعود الى الامر الذى كنت في تمهيده كالمقبل عليه وكالملغى عما استطردت بذكره فمن ذلك قول البحترى وهو يصف فرسا

وأغر في الزمن البهيم محجل * قد رحت منه على أغر محجل

كالهيكل المبنى الا أنه * في الحسن جاء كصورة في هيكل

وافى الضلوع يشد عقد حزامه * يوم اللقاء على معم مخول

اخواله للرستمين بفارس * وجدوده للتبعين بموكل

يهوى كما هوت العقاب وقد رأت * صيدا وينتصب انتصاب الاجدل

متوجس برقيقتين كأنما * تريان من ورق عليه مكال

ما ان يعاف قذى ولو أوردته * يوما خلائق حمدويه الاحول

ذنب كما سحب الرشاء يذب عن * عرف وعرف كالقناع المسبل

جذلان ينفض عذره في غرة * يقق تسيل حجولها في جندل

كالرائح النشوان أكثر مشيه * عرض على السنن البعيد الاطول

ذهب الاعالى حيث تذهب مقلة * فيه بناظرها حديد الاسفل

هزج الصهيل كان في نغماته * نبرات معبد في الثقيل الاول

ملك القلوب فان بدا أعطينه * نظر المحب الى الحبيب المقبل

ألا تراه كيف استطرد بذكر حمدويه الاحول الكاتب وكأنه لم يقصد ذلك ولا أراده وانما جر اليه القافية ثم ترك ذكره وعاد الى وصف الفرس ولو أقسم انسان انه ما بنى القصيدة منذ افتتحها الا على ذكره ولذلك أتى بها على روى اللام لكان صادقا فهذا هو الاستطراد ومن الفرق بينه وبين التخلص انك في التخلص متى شرعت في ذكر الممدوح أو المهجو تركت ما كنت فيه من قبل بالكلية وأقبلت على ما تخلصت اليه من المديح والهجاء بيتا بعد بيت حتى تنقضى القصيدة وفي الاستطراد تمر على ذكر الامر الذى استطردت به مرورا كالبرق الخاطف ثم تتركه وتنساه وتعود الى ما كنت فيه كأنك لم تقصد قصد ذاك وانما عرض عروضا واذا فهمت الفرق فاعلم ان الآيات التى تلوناها اذا حققت وأمعنت النظر رأيتها من باب الاستطراد لا من باب التخلص وذلك لانه تعالى قال بعد قوله واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا أمما وأوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم

وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون فعاد الى ما كان فيه أولا ثم مر في هذه القصة وفي أحوال موسى وبنى اسرائيل حتى قارب الفراغ من السورة ومن لطيف التخلص الذى يكاد يكون استطرادا لولا انه أفسده بالخروج الى المدح قول أبى تمام في قصيدته التى يمدح بها محمد بن الهيثم التى أولها

اسقى طلولهم اجش هزيم * وغدت عليهم نضرة ونعيم

ظلمتك ظالمة البرى ظلوم * والظلم من ذى قدرة مذموم

زعمت هواك عفا الغداة كما * عفت منها طلول باللوى ورسوم

لا والذى هو عالم ان النوى * صبر وان أبا الحسين كريم

ما حلت عما تعهدين ولا غدت * نفسى على الف سواك تحوم

فلو أتم متغزلا لكان مستطردا لا محالة لكنه نقض الاستطراد وغمس يده في المدح فقال بعد هذا البيت

لمحمد بن الهيثم بن شبابة * مجد الى جنب السماك مقيم

ملك اذا نسب الندى من ملتقى * طرفيه فهو أخ له وحميم

ومضى على ذلك الى آخرها ومن الاستطراد أن يحتال الشاعر لذكر ما يروم ذكره بوصف أمر ليس من غرضه ويدمج الغرض الاصلى في ضمن ذلك وفي غضونه وأحسن ما يكون ذلك اذا صرح بأنه قد استطرد ونص في شعره على ذلك كما قال أبو اسحق الصابى في أبيات كتبها الى أبى القاسم عبد العزيز بن يوسف كاتب عضد الدولة كتبها اليه الى شيراز وأبو اسحق في بغداد وكانت أخبار فتوح عضد الدولة بفارس وكرمان وما والاها متواصلة مترادفة الى العراق وكتب عبد العزيز واصلة بها الى عز الدولة بختيار والصابى يجيب عنها

يا راكب الجسرة العيرانة الاجد * يطوى المهامه من سهل الى جلد

أبلغ أبا قاسم نفسى الفداء له * مقالة من أخ للحق معتمد

في كل يوم لكم فتح يشاد به * بين الأنام بذكر السيد العضد

وما لنا مثله لكننا أبدا * نجيبكم بجواب الحاسد الكمد

فأنت أكتب منى في الفتوح وما * تجرى مجيبا الى شأوى ولا أمد

وما ذممت ابتدائى في مكاتبة * ولا جوابكم في القرب والبعد

لكننى رمت انى على ملك * مستطرد بمديح فيه مطرد

ولقد ظرف وملح أبو اسحق في هذه الابيات ومتى خلا أو عرى عن الظرف والملاحة ولقد كان ظرفا ولباقة كله وليس من الاستطراد ما زعم ابن الاثير الموصلى في كتابه المسمى بالمثل السائر انه استطراد وهو قول بعض شعراء الموصل يمدح قرواش بن المقلد وقد أمره أن يعبث بهجاء وزيره سليمان بن فهد وحاجبه أبى جابر ومغنيه المعروف بالبرقعيدى في ليلة من ليالى الشتاء وأراد بذلك الدعابة والولع بهم وهم في مجلس في شراب وأنس فقال وأحسن فيما قال

وليل كوجه البرقعيدى ظلمة * وبرد اغانيه وطول قرونه

سريت ونومى فيه نوم مشرد * كعقل سليمان بن فهد ودينه

على أولق فيه التفات كأنه * أبو جابر في خبطه وجنونه

الى أن بدا ضوء الصباح كأنه * سنا وجه قرواش وضوء جبينه

وذلك لأن الشاعر قصد الى هجاء كل واحد منهم ووضع الأبيات لذلك وأمره قرواش رئيسهم وأميرهم بذلك فهجاهم ومدحه ولم يستطرد وهذه الابيات تشبيهات كلها مقصود بها الهجاء لم يأت بالعرض في الشعر كما يأتى الاستطراد وهذا اغلاط من مصنف الكتاب

(الاصل) ﴿ ومن خطبة له عليه السلام ﴾

وَأُحَذِّرُكُمُ الدُّنيا فانَّها مَنْزِلُ قُلْعَةٍ * وَلَيْسَتْ بِدارِ نُجْعَةٍ * وقَدْ تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِها وَغَرَّتْ بِزِينَتِها دارٌ هانَتْ على رَبِّها فَخَلَطَ حَلالَها بِحَرامِها وخَيْرَها بِشَرِّها وَحَياتَها بِمَوْتِها وحُلْوَها بِمُرِّها لَمْ يُصْفِها اللهُ تَعالَى لِأَوْلِيائِهِ وَلَمْ يَضِنَّ بها على أَعْدائِهِ خَيْرُها زَهِيدٌ * وَشَرُّها عَتِيدٌ * وَجَمْعُها يَنْفَدُ وَمُلْكُها يُسْلَبُ * وعامِرُها يَخْرَبُ فَما خَيْرُ دارٍ تُنْقَضُ نَقْضَ الْبِناءِ وَعُمُرٍ يَفْنَى فِيها فَناءَ الزّادِ وَمُدَّةٍ تَنْقَطِعُ انْقِطاعَ السَّيْرِ * اجْعَلُوا ما افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلَبِكُمْ * وَاسْأَلُوهُ مِنْ أَداءِ حَقِّهِ ما سَأَلَكُمْ وَأَسْمِعُوا دَعْوَةَ الْمَوْتِ آذانَكُمْ قَبْلَ أَنْ يُدْعَى بِكُمْ * إِنَّ الزّاهِدِينَ فِي الدُّنيا تَبْكِي قُلُوبُهُمْ وَإِنْ ضَحِكُوا وَيَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وَإِنْ فَرِحُوا وَيَكْثُرُ مَقْتُهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَإِنِ اغْتَبَطُوا بِما رُزِقُوا * قَدْ غابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ الْآجالِ وَحَضَرَتْكُمْ كَواذِبُ الْآمالِ * فَصارَتِ الدُّنيا أَمْلَكَ بِكُمْ مِنَ الْآخِرَةِ وَالْعاجِلَةُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ الْآجِلَةِ وَإِنَّما أَنْتُمْ إِخْوانٌ على دِينِ اللهِ ما فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلَّا خُبْثُ السَّرائِرِ وَسُوءُ الضَّمائِرِ * فَلا تَوازَرُونَ وَلا تَناصَحُونَ وَلا تَباذَلُونَ وَلا تَوادُّونَ ما بالُكُمْ تَفْرَحُونَ بِالْيَسِيرِ مِنَ الدُّنيا تُدْرِكُونَهُ ولا يَحْزُنُكُمُ الْكَثِيرُ مِنَ الْآخِرَةِ تُحْرَمُونَهُ وَيُقْلِقُكُمُ الْيَسِيرُ مِنَ الدُّنيا يَفُوتُكُمْ حَتّى يَتَبَيَّنَ ذلِكَ فِي وُجُوهِكُمْ وَقِلَّةِ صَبْرِكُمْ عَمّا زُوِيَ مِنْها عَنْكُمْ * كَأَنَّها دارُ مُقامِكُمْ وَكَأَنَّ مَتاعَها باقٍ عَلَيْكُمْ وَما يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَسْتَقْبِلَ أَخاهُ بِما يَخافُ مِنْ عَيْبِهِ إِلَّا مَخافَةَ أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ بِمِثْلِهِ * قَدْ تَصافَيْتُمْ على رَفْضِ الْآجِلِ * وَحُبِّ الْعاجِلِ وَصارَ دِينُ أَحَدِكُمْ لُعْقَةً على لِسانِهِ * صَنِيعُ مَنْ فَرَغَ مِنْ عَمَلِهِ وَأَحْرَزَ رِضا سَيِّدِهِ

(الشرح) قوله عليه السلام فانها منزل قلعة بضم القاف وسكون اللام أى ليست بمستوطنة ويقال هذا المجلس قلعة اذا كان صاحبه يحتاج الى أن يقوم مرة بعد مرة ويقال هم على قلعة أى على رحلة ومن هذا الباب قولهم فلان قلعة اذا كان ينقلع عن سرجه ولا يثبت فى البطش والصراع والقلعة أيضا المال العارية وفى الحديث بئس المال القلعة والنجعة طلب الكلا فى موضعه وفلان ينتجع الكلا والمنتجع المنزل فى طلب الكلا ومنه انتجعت فلانا اذا أتيته تطلب معروفه ثم وصف هوان الدنيا على الله تعالى فقال من هوانها انه خلط حلالها بحرامها الكلام مراده تفضيل الدار الآتية على هذه الحاضرة فان تلك صفو كلها وخير كلها وهذه مشوبة والكدر والشر فيها أغلب من الصفو والخير ومن كلام بعض الصالحين من هوان الدنيا على الله انه لا يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها وروى ولم يضن بها على أعدائه والرواية

المشهورة عن أعدائه وكلاهما مستعمل والزهيد القليل والعتيد الحاضر والسير سير المسافر ثم أمرهم بان يجعلوا الفرائض الواجبة عليهم من جملة مطالوباتهم وان يسألوا الله من الاعانة والتوفيق على القيام بحقوقه الواجبة كما سألهم أى كما ألزمهم وافترض عليهم فسمى ذلك سؤالا لاجل المقابلة بين اللفظين كما قال سبحانه وجزاء سيئة سيئة مثلها وكما قال النبى صلى الله عليه وآله فان الله لا يمل حتى تملوا وكما قال الشاعر

ألا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ثم أمرهم أن يسمعوا أنفسهم دعوة الموت قبل أن يحضر الموت فيحل بهم ومثل قوله تبكى قلوبهم وان ضحكوا قول الشاعر وان لم يكن هذا المقصد بعينه قصد

كم فاقة مستورة بمروءة * وضرورة قد غطيت بتجمل
ومن ابتسام تحته قلب شج * قد خامرته لوعة ما تنجلى

والمقت البغض واغتبطوا افرحوا وقوله املك بكم مثل أولى بكم وقوله والعاجلة اذهب بكم من الآجلة اى ذهبت العاجلة بكم واستولت عليكم أكثر مما ذهبت بكم الآخرة واستولت عليكم ثم ذكر ان الناس كلهم مخلوقون على فطرة واحدة وهى دين الله وتوحيده وانما اختلفوا وتفرقوا باعتبار أمر خارجى عن ذلك وهو خبث سرائرهم وسوء ضمائرهم فصاروا الى حال لا يتوازرون أى لا يتعاونون والاصل الهمزآزرته ثم تقلب الهمزة واوا وأصل قوله فلا توازرون فلا تتوازرون فحذفت احدى التاءين كقوله تعالى مالكم لا تناصرون أى لا تتناصرون والتبادل أن يجود بعضهم على بعض بماله ويبذله ومثل قوله عليه السلام ما بالكم تفرحون بكذا ولا تحزنون لكذا ويقلقكم اليسير يفوتكم من هذا قول الرضى رحمه الله

نقص الجديدين من عمرى يزيد على * ما ينقصان على الايام من مالى
دهر توثر فى جسمى نوائبه * فما اهتمامى ان أودى بسربالى

والضمير فى يخاف راجع الى الاخ لا الى المستقبل له أى ما يخافه الاخ من مواجهته بعينه قوله وصار دين أحدكم لعقة على لسانه أخذه الفرزدق فقال للحسين بن على عليه السلام وقد لقيه قادما الى العراق وسأله عن الناس أما قلوبهم فمعك وأما سيوفهم فعليك والدين لعقة على ألسنتهم فاذا امتحصوا قل الديانون واللفظة مجاز واصل اللعقة شئ قليل يؤخذ بالملعقة من الاناء يصف دينهم بالنزارة والقلة كتلك اللعقة ولم يقنع بان جعله لعقة حتى جعله على ألسنتهم فقط أى ليس فى قلوبهم

(الاصل) ﴿ ومن خطبة له عليه السلام ﴾

الْحَمْدُ لِلّهِ الْواصِلِ الْحَمْدَ بِالنِّعَمِ وَالنِّعَمَ بِالشُّكْرِ * نَحْمَدُهُ على آلائِهِ كَما نَحْمَدُهُ على بَلائِهِ وَنَسْتَعِينُهُ على هذِهِ النُّفُوسِ الْبِطاءِ عَمّا أُمِرَتْ بِهِ * السِّراعِ إِلَى ما نُهِيَتْ عَنْهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ مِمّا أَحاطَ بِهِ عِلْمُهُ وَأَحْصاهُ كِتابُهُ عِلْمٌ غَيْرُ قاصِرٍ وَكِتابٌ غَيْرُ مُغادِرٍ * وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيمانَ مَنْ عايَنَ الْغُيُوبَ وَوَقَفَ على الْمَوْعُودِ إِيماناً نَفَى إِخْلاصُهُ الشِّرْكَ * وَيَقِينُهُ الشَّكَّ وَنَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ الا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ شَهادَتَيْنِ تُصْعِدانِ الْقَوْلَ وَتَرْفَعانِ الْعَمَلَ لا يَخِفُّ مِيزانٌ تُوضَعانِ فِيهِ وَلا يَثْقُلُ مِيزانٌ تُرْفَعانِ مِنْهُ أُوصِيكُمْ عِبادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ الَّتِي هِيَ الزّادُ وَبِها الْمَعادُ زادٌ مُبْلِغٌ وَمَعادٌ مُنْجِحٌ دَعا إِلَيْها أَسْمَعُ داعٍ وَوَعاها خَيْرُ واعٍ * فَأَسْمَعَ داعِيها وَفازَ واعِيها عِبادَ اللهِ إِنَّ تَقْوَى

اللهِ حَمَتْ أَوْلِيَاءَ اللهِ مَحَارِمَهُ * وَأَلْزَمَتْ قُلُوبَهُمْ مَخَافَتَهُ حَتَّى أَسْهَرَتْ لَيَالِيَهُمْ وَأَظْمَأَتْ هَوَاجِرَهُمْ * فَأَخَذُوا الرَّاحَةَ بِالنَّصَبِ * وَالرِّيَّ بِالظَّمَأِ وَاسْتَقْرَبُوا الأَجَلَ فَبَادَرُوا الْعَمَلَ وَكَذَّبُوا الأَمَلَ فَلاَحَظُوا الأَجَلَ * ثُمَّ إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ وَعَنَاءٍ وَغِيَرٍ وَعِبَرٍ فَمِنَ الْفَنَاءِ أَنَّ الدَّهْرَ مُوتِرٌ قَوْسَهُ * لاَ تُخْطِئُ سِهَامُهُ وَلاَ تُؤْسَى جِرَاحُهُ * يَرْمِي الْحَيَّ بِالْمَوْتِ وَالصَّحِيحَ بِالسَّقَمِ وَالنَّاجِيَ بِالْعَطَبِ آكِلٌ لاَ يَشْبَعُ وَشَارِبٌ لاَ يَنْقَعُ * وَمِنَ الْعَنَاءِ أَنَّ الْمَرْءَ يَجْمَعُ مَالاَ يَأْكُلُ وَيَبْنِي مَالاَ يَسْكُنُ * ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى اللهِ تَعَالَى لاَ مَالاً حَمَلَ وَلاَ بِنَاءً نَقَلَ * وَمِنْ غِيَرِهَا أَنَّكَ تَرَى الْمَرْحُومَ مَغْبُوطاً وَالْمَغْبُوطَ مَرْحُوماً لَيْسَ ذَلِكَ إِلاَّ نَعِيماً زَلَّ * وَبُؤْساً نَزَلَ وَمِنْ عِبَرِهَا أَنَّ الْمَرْءَ يُشْرِفُ عَلَى أَمَلِهِ فَيَقْتَطِعُهُ حُضُورُ أَجَلِهِ فَلاَ أَمَلٌ يُدْرَكُ وَلاَ مُؤَمَّلٌ يُتْرَكُ فَسُبْحَانَ اللهِ مَا أَعَزَّ سُرُورَهَا وَأَظْمَأَ رِيَّهَا وَأَضْحَى فَيْئَهَا * لاَ جَاءٍ يُرَدُّ * وَلاَ مَاضٍ يَرْتَدُّ فَسُبْحَانَ اللهِ مَا أَقْرَبَ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ لِلَحَاقِهِ بِهِ وَأَبْعَدَ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ لاِنْقِطَاعِهِ عَنْهُ إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِشَرٍّ مِنَ الشَّرِّ إِلاَّ عِقَابُهُ وَلَيْسَ شَيْءٌ بِخَيْرٍ مِنَ الْخَيْرِ إِلاَّ ثَوَابُهُ وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا سَمَاعُهُ أَعْظَمُ مِنْ عِيَانِهِ وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الآخِرَةِ عِيَانُهُ أَعْظَمُ مِنْ سَمَاعِهِ فَلْيَكْفِكُمْ مِنَ الْعِيَانِ السَّمَاعُ وَمِنَ الْغَيْبِ الْخَبَرُ وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا نَقَصَ مِنَ الدُّنْيَا وَزَادَ فِي الآخِرَةِ خَيْرٌ مِمَّا نَقَصَ مِنَ الآخِرَةِ وَزَادَ فِي الدُّنْيَا فَكَمْ مِنْ مَنْقُوصٍ رَابِحٍ وَمَزِيدٍ خَاسِرٍ * إِنَّ الَّذِي أُمِرْتُمْ بِهِ أَوْسَعُ مِنَ الَّذِي نُهِيتُمْ عَنْهُ وَمَا أُحِلَّ لَكُمْ أَكْثَرُ مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ فَذَرُوا مَا قَلَّ لِمَا كَثُرَ وَمَا ضَاقَ لِمَا اتَّسَعَ قَدْ تَكَفَّلَ لَكُمْ بِالرِّزْقِ وَأُمِرْتُمْ بِالْعَمَلِ * فَلاَ يَكُونَنَّ الْمَضْمُونُ لَكُمْ طَلَبُهُ أَوْلَى بِكُمْ مِنَ الْمَفْرُوضِ عَلَيْكُمْ عَمَلُهُ مَعَ أَنَّهُ وَاللهِ لَقَدِ اعْتَرَضَ الشَّكُّ وَدَخَلَ الْيَقِينُ * حَتَّى كَأَنَّ الَّذِي ضُمِنَ لَكُمْ قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ وَكَأَنَّ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْكُمْ قَدْ وُضِعَ عَنْكُمْ فَبَادِرُوا الْعَمَلَ وَخَافُوا بَغْتَةَ الأَجَلِ فَإِنَّهُ لاَ يُرْجَى مِنْ رَجْعَةِ الْعُمُرِ مَا يُرْجَى مِنْ رَجْعَةِ الرِّزْقِ * مَا فَاتَ الْيَوْمَ مِنَ الرِّزْقِ رُجِيَ غَداً زِيَادَتُهُ وَمَا فَاتَ أَمْسِ مِنَ الْعُمُرِ لَمْ يُرْجَ الْيَوْمَ رَجْعَتُهُ * الرَّجَاءُ مَعَ الْجَائِي وَالْيَأْسُ مَعَ الْمَاضِي فَاتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ

(الشرح)

(الشرح) لقائل أن يقول أما كونه واصل الحمد له من عباده بالنعم منه عليهم فمعلوم فكيف قال انه يصل النعم المذكورة بالشكر والشكر من أفعال العباد وليس من أفعاله ليكون واصلا للنعم به وجواب هذا القائل هو انه لما وفق العباد للشكر بعد ان جعل وجوبه في عقولهم مقررا وبعد ان أقدرهم عليه صار كأنه الفاعل له فأضافه الى نفسه توسعا كما يقال أقام الامير الحد وقتل الوالي اللص فأما حمده سبحانه على البلاء كحمده على الآلاء فقد تقدم القول فيه ومن الكلام المشهور سبحان من لا يحمد على المكروه سواه والسر فيه انه تعالى انما يفعل المكروه بنا لمصالحنا فاذا حمدناه عليه فانما حمدناه على نعمة أنعم بها وان كانت في الظاهر بلية وألما فان قلت فقد كان الاحسن في البيان أن يقول نحمده على بلائه كما نحمده على آلائه قلت انما عكس لانه جاء باللفظين في معرض ذكر النعم والشكر عليها فاستهجن أن يلقبها بلفظة الحمد على البلاء للمنافرة التي تكون بينهما فقال نحمده على هذه الآلاء التي أشرنا اليها التي هي آلاء في الحقيقة وهذا ترتيب صحيح منتظم ثم سأل الله أن يعينه على النفس البطيئة عن المأمور به السريعة الى المنهى عنه ومن دعاء بعض الصالحين اللهم اني أشكو اليك عدوا بين جنبي قد غلب علي وفسر قوم من أهل الطريقة والحقيقة قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة قالوا أراد مجاهدة النفوس ومن كلام رسول الله صلى الله عليه وآله أبت الانفس الا حب المال والشرف وان حبهما لأذهب بدين أحدكم من ذئبين ضاريين باتا في زريبة غنم الى الصباح فماذا يبقيان منها ثم شرع في استغفار الله سبحانه من كل ذنب وعبر عن ذلك بقوله مما أحاط به علمه وأحصاه كتابه لانه تعالى عالم بكل شيء ومحيط بكل شيء وقد أوضح ذلك بقوله علم غير قاصر وكتاب غير مغادر أي غير مبق شيئا لا يحصيه قال تعالى مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ثم قال ونؤمن به ايمان من عاين وشاهد وذلك لان ايمان العيان أخلص وأوثق من ايمان الخبر فانه ليس الخبر كالعيان وهذا اشارة الى ايمان العارفين الذين هو عليه والسلام سيدهم ورئيسهم ولذلك قال لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وقوله تصعدان القول اشارة الى قوله تعالى اليه تصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وروى تسعدان القول بالسين أي هما شهادتان بالقلب تصعدان الشهادة باللسان وتسعدانها ثم ذكر انهما شهادتان لا تخف ميزان هما فيه ولا يثقل ميزان رفعا عنه أما انه لا يثقل ميزان رفعا عنه فهذا لا كلام فيه وانما الشأن في القضية الاولى لان ظاهر هذا القول يشعر بمذهب المرجئة الخلص وهم أصحاب مقاتل بن سليمان القائلون انه لا يضر مع الشهادتين معصية أصلا وانه لا يدخل النار من في قلبه ذرة من الايمان ولهم على ذلك احتجاج قد ذكرناه في كتبنا الكلامية فنقول في تأويل ذلك انه لم يحكم بهذا على مجرد الشهادتين وانما حكم بهذا على شهادتين مقيدتين قد وصفهما بانهما يصعدان القول ويرفعان العمل وتانك الشهادتان المقيدتان بذلك القيد انما هما الشهادتان اللتان يقارنهما فعل الواجب وتجنب القبيح لانه ان لم يقارنهما ذلك لم يرفعا العمل واذا كان حكمه عليه السلام بعدم خفة ميزان هما فيه انما هو على شهادتين مقيدتين لا مطلقتين فقد بطل قول من يجعل هذا الكلام حجة للمرجئة ثم أخذ في الوصاة بالتقوى وقال انها الزاد في الدنيا الذي يزود منه لسفر الآخرة وبها المعاذ مصدر من عذت بكذا أي لجأت اليه واعتصمت به ثم وصفهما أعني الزاد والمعاد فقال زاد مبلغ أي يبلغك المقصد والغاية التي تسافر اليها ومعاذ منجح أي يصادف عنده النجاح دعا اليها أسمع داع يعني الباري سبحانه لانه أشد الاحياء اسماعا لما يدعوهم اليه وبناء أفعل ههنا من الرباعي كما جاء ما أعطاه للمال وما أولاه للمعروف وأنت أكرم لي من زيد أي أشد اكراما وهذا المكان أقفر من غيره أي أشد اقفارا وفي المثل أفلس من ابن المذلق وروى دعا اليها أحسن داع أي أحسن داع دعاء لا بد من تقدير هذا المميز لانه تعالى لا توصف ذاته بالحسن وانما يوصف بالحسن أفعاله ووعاها خير واع أي من وعاها عنه تعالى وعقلها وأجاب تلك الدعوة فهو خير واع وقيل عنى بقوله أسمع داع رسول الله صلى الله عليه وآله وعنى بقوله خير واع نفسه لانه أنزل فيه وتعيها أذن واعية والاول أظهر ثم قال فأسمع داعيها أي لم يبق أحدا من المكلفين الا وقد أسمعه تلك الدعوة وفاز واعيها أفلح من فهمها وأجاب اليها لابد من تقدير هذا والا فأي فوز يحصل لمن فهم ولم

يجب والتقوى خشية الله سبحانه ومراقبته في السر والعلن والخشية أصل الطاعات واليها وقعت الاشارة بقوله تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم وقوله سبحانه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب قوله حتى أسهرت لياليهم واظمأت هواجرهم من قول العرب نهاره صائم وليله قائم نقلوا الفعل الى الظرف وهو من باب الاتساع الذي يجرون فيه الظرف مجرى المفعول به فيقولون الذي سرته يوم الجمعة أي سرت فيه وقال ✽ ويوم شهدناه سليما وعامرا ✽ أي شهدنا فيه سليما وقد اتسعوا فاضافوا الى الظرف فقالوا ✽ ياسارق الليلة أهل الدار ✽ وقال تعالى بل مكر الليل والنهار فاخرجوهما بالاضافة عن الظرفية قوله عليه السلام فاخذوا الراحة بالنصب يروى فاستبدلوا الراحة والنصب التعب واستقربوا الاجل رأوه قريبا فان قلت لماذا كرر لفظة الاجل وفي تكرارها مخالفة لفن البيان قلت انه استعملها في الموضعين بمعنيين مختلفين فقوله استقربوا الاجل يعني المدة وقوله فلاحظوا الاجل يعني الموت نفسه ويروى موتر وموتر بالتشديد ولا تومى جراحه لا تطب ولا تصلح أسوت الجرح أي أصلحته ولا ينقع لا يروى شرب حتى نقع أي شفى غليله وماء ناقع وهو كالناجع وما رأيت شربة أنقع منها والى قوله عليه السلام يجمع مالا يأكل ويبني مالا يسكن نظر الشاعر فقال أموالنا لذوي الميراث نجمعها ✽ ودورنا لخراب الدور نبنيها

وقال آخر

ألم تر حوشبا أمسى يبني ✽ بناء نفعه لبني نقيله

يؤمل ان يعمر عمر نوح ✽ وأمر الله يطرق كل ليلة

قوله ومن غيرها أنك ترى المرحوم مغبوطا والمغبوط مرحوما أي يصير الفقير غنيا والغني فقيرا وقد فسره قوم فقالوا أراد انك ترى من هو في باطن الامر مرحوم مغبوطا وترى من هو في باطن الامر مغبوط مرحوما أي تحسب ذاك وتخيله وهذا التأويل غير صحيح لان قوله بعد ليس ذلك الا نعيما زل وبؤسا نزل يكذبه ويصدق التفسير الاول وأضحى فيها من أضحى الرجل اذا برز للشمس ثم قال لا جاء يرد ولا ماض يرتد أي يسترد ويسترجع أخذه أبو العتاهية فقال

فلا أنا راجع ما قد مضى لي ✽ وما أنا دافع ما سوف يأتي

والى قوله ما أقرب الحي من الميت للحاقه به وما أبعد الميت من الحي لانقطاعه عنه نظر الشاعر فقال

يابعيدا عني وليس بعيدا ✽ من لحاقي به سريع قريب

صرت بين الورى غريبا كما ✽ انك تحت الثرى وحيد غريب

فان قلت ما وجه تقسيمه عليه السلام الامور التي عددها الى الفناء والعناء والغير والعبر قلت لقد أصاب الثغرة وطبق المفصل ألا تراه ذكر في الفناء رمى الدهر الانسان عن قوس الردى وفي العناء جمع مالا يأكل وبنى مالا يسكن وفي الغير الفقر بعد الغناء والغناء بعد الفقر وفي العبر اقتطاع الاجل الامل فقد ناط بكل لفظة ما يناسبها وقد نظر بعض الشعراء الى قوله عليه السلام ليس شيء بشر من الشر الا عقابه وليس شيء بخير من الخير الا ثوابه فقال

خير البضائع للانسان مكرمة ✽ تنمي وتزكو اذا بارت بضائعه

فالخير خير وخير منه فاعله ✽ والشر شر وشر منه صانعه

الا ان امير المؤمنين عليه السلام استثنى العقاب والثواب والشاعر جعل مكانهما فاعل الخير والشر ثم ذكر أن كل شيء من أمور الدنيا المرغبة والمرهبة سماعه أعظم من عيانه والآخرة بالعكس وهذا حق اما القضية الاولى فظاهرة وقد قال القائل

أهتز عند تمني وصلها طربا ✽ ورب أمنية أحلى من الظفر

ولهذا يحرص الواحد منا على الامر فاذا بلغه برد وفتر ولم يجده كما كان يظن في اللذة ويوصف لنا البلد البعيد عنا بالخصب والامن والعدل وسماح أهله وحسن نسائه وظرف رجاله فاذا سافرنا اليه لم نجده كما وصف بل ربما وجدنا القليل من ذلك ويوصف لنا الانسان الفاضل بالعلم بفنون من الآداب والحكم ويبالغ الواصفون في ذلك فاذا اختبرناه وجدناه دون ما وصف وكذلك قد يخاف الانسان حبسا أو ضربا أو نحوهما فاذا وقع فيهما هان ما كان يتخوفه ووجد الامر دون ذلك وكذلك القتل والموت فان ما يستعظمه الناس منهما دون أمرهما في الحقيقة وقد قال أبو الطيب وهو حكيم

الشعراء كل ما لم يكن من الصعب في الانفس سهل فيها اذا هو كانا ويقال في المثل لج الخوف تأمن وأما أحوال الآخرة فلا ريب ان الامر فيها بالضد من ذلك لان الذي يتصوره الناس من الجنة انها اشجار وانهار ومأكول ومشروب وجماع وأمرها في الحقيقة أعظم من هذا وأشرف لان ملاذها الروحانية المقارنة لهذه الملاذ المضادة لها أعظم من هذه الملاذ بطبقات عظيمة وكذلك أكثر الناس يتوهمون أن عذاب النار يكون أياما وينقضي كما يذهب اليه المرجئة أو انه لا عذاب بالنار لمسلم أصلا كما هو قول الخلص من المرجئة أو ان أهل النار يألفون عذابها فلا يستضرون به اذا تطاول الامد عليهم وأمر العذاب اصعب مما يظنون خصوصا على مذاهبنا في الوعيد ولو لم يكن الا آلام النفوس باستشعارها سخط الله تعالى عليها فان ذلك أعظم من ملاقاة جرم النار لبدن الحي وفي هذا الموضع أبحاث شريفة دقيقة ليس هذا الكتاب موضوعا لها ثم أمرهم بان يكتفوا من عيان الآخرة وغيبها بالسماع والخبر لانه لا سبيل ونحن في هذه الدار الى أكثر من ذلك والى قوله ما نقص من الدنيا وزاد في الآخرة خير مما نقص من الآخرة وزاد في الدنيا نظر أبو الطيب فقال الا انه أخرجه في مخرج آخر

بلادما اشتهيت رأيت فيها ✽ فليس يفوتها الا الكرام

فهلا كان نقص الاهل فيها ✽ وكان لاهلها منها التمام

ثم قال فكم من منقوص في دنياه وهو رابح في آخرته وكم من مزيد في دنياه وهو خاسر في آخرته ثم قال ان الذي أمرتم به أوسع من الذي نهيتم عنه وما أحل لكم أكثر مما حرم عليكم الجملة الاولى هي الجملة الثانية بعينها وانما أتى بالثانية تأكيدا للاولى وايضاحا ولان فن الخطابة والكتابة هكذا هو ويتنظم كلتا الجملتين معنى واحد وهو أن فيما أحل الله غنى عما حرم بل الحلال أوسع ألا ترى أن المباح من المآكل والمشارب أكثر عددا وأجناسا من المحرمات فان المحرم ليس الا الكلب والخنزير واشياء قليلة غيرهما والمحرم من المشروب الخمر ونحوها من المسكر وما عدا ذلك حلال أكله وشربه وكذلك القول في النكاح والتسري فانهما طريقان مهيعان الى قضاء الوطر والسفاح طريق واحد والطريقان أكثر من الطريق الواحد فان قلت فكيف قال ان الذي أمرتم به فسمى المباح مأمورا به قلت قد سمى كثير من الاصوليين المباح مأمورا به وذلك لاشتراكه مع المأمور به في انه لا حرج في فعله فاطلق عليه اسمه وأيضا فانه لما كان كثير من الامور التي عددناها مندوبا أطلق عليه لفظ الامر لان المندوب مامور به وذلك كالنكاح والتسري وأكل اللحوم التي هي سبب قوة البدن وشرب ما يصلح المزاج من الاشربة التي لا حرج في استعمالها وقال بعض العقلاء لبنيه يابني انه ليس شيء من اللذة ناله أهل الخسارة بخسارتهم الا ناله أهل المروءة والصيانة بمروءتهم وصيانتهم فاستتروا بستر الله ودخل انسان على علي بن موسى الرضا عليه السلام وعليه ثياب مرتفعة القيمة فقال يا ابن رسول الله أتلبس مثل هذا فقال له من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ثم أمر بالعمل والعبادة ونهى عن الحرص على طلب الرزق فقال انكم أمرتم بالاول وضمن لكم الثاني فلا تجعلوا المضمون حصوله لكم هو المخصوص بالحرص والاجتهاد بل ينبغي أن يكون الحرص والاجتهاد فيما أمرتم بعمله وهو العبادة وقد يتوهم قوم أنه ارتفع طلبه بالمضمون كقولك المضروب أخوه وهذا غلط لانه لم يضمن طلبه وانما ضمن حصوله ولكنه ارتفع لانه مبتدأ وخبره اولى وهذا المبتدأ والخبر في موضع نصب لانه خبر يكون أو ارتفع لانه بدل من المضمون وهذا أحسن واولى من الوجه الاول وهو بدل الاشتمال ثم ذكر ان رجعة العمر غير مرجوة ورجعة الرزق مرجوة أوضح ذلك بان الانسان قد يذهب منه اليوم درهم فيستعيضه أي يكتسب عوضه في الغد دينارا واما أمس نفسه فيستحيل ان يعود ولا مثله لان الغد بعد الغد محسوب من عمره وليس عوضا من الامس الذاهب وهذا الكلام يقتضي ان العمر مقدور وان المكاسب والارزاق انما هي بالاجتهاد وليست محصورة مقدرة وهذا يناقض في الظاهر ما تقدم من قوله ان الرزق مضمون فلا تحرصوا عليه فاحتاج الكلام الى تأويل وهو ان العمر هو الظرف الذي يوقع المكلف فيه الاعمال الموجبة له السعادة العظمى والمخلصة له من الشقاوة العظمى وليس له ظرف يوقعها فيه الا هو خاصة فكل جزء منه اذا فات من غير عمل لما بعد الموت فقد فات على الانسان بفواته ما لا سبيل له الى استدراكه بعينه

ولا اغترام مثله لان المثل الذى له انما هو زمان آخر وليس ذلك في مقدور الانسان والزمان المستقبل الذى يعيش فيه الانسان لم يكتسبه هو ليفسب اليه فيقال انه حصله عوضا عما انقضى وذهب من عمره وانما هو فعل غيره ومع ذلك فهو معدوم ومهيأ الافعال من العبادة توقع فيه كما كان الجزء الماضى معد الافعال توقع فيه فليس احدهما عوضا عن الآخر ولا قائما مقامه وأما المنافع الدنيوية كالمآكل والمشارب والاموال فان الانسان اذا فاته شئ منها قدر على ارتجاعه بعينه ان كانت عينه باقية وما لا تبقى عينه يقدر على اكتساب مثله والرزق وان كان مضمونا من الله الا ان للحركة فيه نصيبا اما ان تكون شرطا أو ان يكون هو بذاته من أثر قدرة الانسان كحركته واعتماده وسائر أفعاله ويكون الامر بالتوكل والنهى عن الاجتهاد فى طلب الرزق على هذا القول انما هو نهى عن الحرص والجشع والتهالك فى الطلب فان ذلك قبيح يدل على دناءة الهمة وسقوطها ثم هذه الاغراض الدنيوية اذا حصلت أمثالها بعد ذهابها قامت مقام الذاهب لان الامر الذى يراد الذاهب له يمكن حصوله بهذا المكتسب وليس كذلك الزمان الذاهب من العمر لان العبادات والاعمال التى كان أمس متعينا لها لا يمكن حصولها اليوم على حد حصولها أمس فافترق البابان باب الاعمال وباب الارزاق وقوله الرجاء مع الجائى واليأس مع الماضى كلام يجرى مجرى المثل وهو تأكيد للمعنى الاول وجعل الجائى مرجوا لانه لا يعلم غيبه قال الشاعر

ما مضى فات والمقدر غيب ✻ ولك الساعة التى أنت فيها

وقوله حق تقاته أى حق تقيته أى خوفه اتقى يتقى تقية وتقاة ووزنها فعلة وأصلها الياء ومثلها اتخم تخمة واتهم تهمة

(الاصل) ﴿ ومن خطبة له عليه السلام في الاستسقاء ﴾

اللَّهُمَّ قَدِ انْصاحَتْ جِبالُنا ✻ وَاغْبَرَّتْ أَرْضُنا وَهامَتْ دَوابُّنا وَتَحَيَّرَتْ فِي مَرابِضِها وَعَجَّتْ عَجِيجَ الثَّكالَى على أَوْلادِها وَمَلَّتِ التَّرَدُّدَ فى مَراتِعِها وَالْحَنِينَ إِلَى مَوارِدِها ✻ اللَّهُمَّ فارْحَمْ أَنِينَ الآنَّةِ وَحَنِينَ الْحانَّةِ اللَّهُمَّ فارْحَمْ حَيْرَتَها فِي مَذاهِبِها وَأَنِينَها فِي مَوالِجِها ✻ اللَّهُمَّ خَرَجْنا إِلَيْكَ حِينَ اعْتَكَرَتْ عَلَيْنا حَدابِيرُ السِّنِينَ وَأَخْلَفَتْنا مَخايِلُ الْجُودِ ✻ فَكُنْتَ الرَّجاءَ لِلْمُبْتَئِسِ ✻ وَالْبَلاغَ لِلْمُلْتَمِسِ ✻ نَدْعُوكَ حِينَ قَنِطَ الأَنامُ وَمُنِعَ الْغَمامُ وَهَلَكَ السَّوامُ ✻ أَلاَّ تُؤاخِذَنا بِأَعْمالِنا وَلا تَأْخُذَنا بِذُنُوبِنا وَانْشُرْ عَلَيْنا رَحْمَتَكَ بِالسَّحابِ الْمُنْبَعِقِ ✻ وَالرَّبِيعِ الْمُغْدِقِ ✻ وَالنَّباتِ الْمُونِقِ ✻ سَحًّا وابِلاً ✻ تُحْيِي بِهِ ما قَدْ ماتَ وَتَرُدُّ بِهِ ما قَدْ فاتَ اللَّهُمَّ سُقْيا مِنْكَ مُحْيِيَةً مُرْوِيَةً تامَّةً عامَّةً طَيِّبَةً مُبارَكَةً هَنِيئَةً مَرِيئَةً مَرِيعَةً ✻ زاكِيًا نَبْتُها ✻ ثامِرًا فَرْعُها ناضِرًا وَرَقُها تُنْعِشُ بِها الضَّعِيفَ مِنْ عِبادِكَ وَتُحْيِي بِها الْمَيِّتَ مِنْ بِلادِكَ ✻ اللَّهُمَّ سُقْيا مِنْكَ تُعْشِبُ بِها نِجادُنا ✻ وَتَجْرِي بِها وِهادُنا وَيُخْصِبُ بِها جَنابُنا ✻ وَتُقْبِلُ بِها ثِمارُنا وَتَعِيشُ بِها مَواشِينا وَتَنْدَى بِها أَقاصِينا ✻ وَتَسْتَعِينُ بِها ضَواحِينا ✻ مِنْ بَرَكاتِكَ الْواسِعَةِ وَعَطاياكَ الْجَزِيلَةِ على بَرِيَّتِكَ الْمُرْمِلَةِ ✻ وَوَحْشِكَ

الْمُهْمَلَةِ وَأَنْزِلْ عَلَيْنا سَماءً مُخْضِلَةً ✻ مِدْرارًا هاطِلَةً يُدافِعُ الْوَدْقُ مِنْها الْوَدْقَ ✻ وَيَحْفِزُ الْقَطْرُ مِنْها الْقَطْرَ ✻ غَيْرَ خُلَّبٍ بَرْقُها ✻ وَلا جَهامٍ عارِضُها ✻ وَلا قَزَعٍ رَبابُها ✻ وَلا شَفَّانٍ ذِهابُها ✻ حَتَّى يُخْصِبَ لإِمْراعِها الْمُجْدِبُونَ وَيَحْيا بِبَرَكَتِها الْمُسْنِتُونَ ✻ فَإِنَّكَ تُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ ما قَنَطُوا وَتَنْشُرُ رَحْمَتَكَ وَأَنْتَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ (قالَ الشَّرِيفُ الرضي رَحِمَهُ اللهُ تعالى) (قوله عليه السَّلامُ) (انْصاحَتْ جِبالُنا) أَيْ تَشَقَّقَتْ مِنَ الْمُحُولِ يُقالُ انْصاحَ الثَّوْبُ إِذَا انْشَقَّ وَيُقالُ أَيْضًا انْصاحَ النَّبْتُ وَصاحَ وَصَوَّحَ إِذَا جَفَّ وَيَبِسَ كُلُّهُ بِمَعْنًى وَقَوْلُهُ (وَهامَتْ دَوابُّنا) أَيْ عَطِشَتْ وَالْهُيامُ الْعَطَشُ (وَقَوْلُهُ حَدابِيرُ السِّنِينَ) جَمْعُ حِدْبارٍ وَهِيَ النَّاقَةُ الَّتِي أَنْضاها السَّيْرُ فَشَبَّهَ بِها السَّنَةَ الَّتِي فَشا فِيها الْجَدْبُ قالَ ذُو الرُّمَّةِ

حَدابِيرُ ما تَنْفَكُّ الاَّ مُناخَةً ✻ على الْخَسْفِ أَوْ نَرْمِي بِها بَلَدًا قَفْرًا

(وَقَوْلُهُ وَلا قَزَعٌ رَبابُها) الْقَزَعُ الْقِطَعُ الصِّغارُ الْمُتَفَرِّقَةُ مِنَ السَّحابِ ✻ وَقَوْلُهُ (وَلا شَفَّانٌ ذِهابُها) فَإِنَّ تَقْدِيرَهُ وَلا ذاتُ شَفَّانٍ ذِهابُها وَالشَّفَّانُ الرِّيحُ الْبارِدَةُ وَالذِّهابُ الأَمْطارُ اللَّيِّنَةُ فَحَذَفَ ذاتُ لِعِلْمِ السَّامِعِ بِهِ

(الشرح) يجوز أن يريد بقوله وهامت دوابها معنى غير ما فسره الشريف الرضى رحمه الله به وهو ندودها وذهابها على وجوهها لشدة المحل يقول هام على وجهه يهيم هيما وهيمانا والمرابض مبارك الغنم وهى لها كالمواطن للابل واحدها مربض بكسر الباء مثل مجلس وعجت صرخت ويحتمل الضمير فى أولادها أن يرجع الى الثكالى أى كعجيج الثكالى على أولادهن ويحتمل أن يرجع الى الدواب أى وعجت على اولادها كعجيج الثكالى وانما وصفها بالتحير فى مرابضها لانها لشدة المحل تتحير فى مباركها ولا تدرى ماذا تصنع ان نهضت لترعى لم تجد رعيا وان أقامت كانت الى انقطاع المادة أقرب قوله وملت التردد فى مراتعها والحنين الى مواردها وذلك لانها كثرت من التردد فى الاماكن التى كانت تعهد مراتعها فيها فلم تجد مرتعا فملت الترداد اليها وكذلك ملت الحنين الى الغدران والموارد التى كانت تعتادها للشرب فانها حنت اليها مفارقة لها حتى ضجرت ويئست فملت مما لا فائدة لها فيه والآنة والحانة الشاة والناقة ويقال ماله حانة ولا آنة وأصل الانين صوت المريض وشكواه من الوصب يقال أن يئن انينا وانانا وتأنانا والموالج المداخل وانما ابتدأ عليه السلام بذكر الانعام وما اصابها من الجدب اقتفاء بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله ولعادة العرب أما سنة رسول الله صلى الله عليه وآله فانه قال لولا البهائم الرتع والصبيان الرضع والشيوخ الركع لصب عليكم العذاب صبا وقد ذهب كثير من الفقهاء الى استحباب اخراج البهائم فى صلاة الاستسقاء وتقدير دعائه عليه السلام اللهم ان كنت حرمتنا الغيث لسوء أعمالنا فارحم هذه الحيوانات التى لا ذنب لها ولا تؤاخذها بذنوبنا واما عادة العرب فانهم كانوا اذا أصابهم المحل استسقوا بالبهائم ودعوا الله بها واسترحموه لها ومنهم من كان يجعل فى اذناب البقر السلع والعشر ويصعد بها فى الجبال والتلاع العالية وكانوا يسقون بذلك وقال الشاعر ✻ أجاعل أنت بيقورا مسلعة ✻ ذريعة لك بين الله والمطر ✻ فاعتكرت ردف بعضها بعضا وأصل عكر عطف والعكرة الكرة وفى الحديث قال له قوم يا رسول الله نحن الفرارون

فقال بل أنتم العكارون ان شاء الله والبيت الذي ذكره الرضي رحمه الله لذي الرمة لا أعرفه الا حراجيج وهكذا رأيته بخط ابن الخشاب رحمه الله والحرجوج الناقة الضامرة في طول وفيه مسئلة نحوية وهي أنه كيف نقض النفي من ماانفك وهو غير جائز كما لا يجوز ما زال زيد الا قائما وجوابها ان تنفك ههنا تامة أي ما تنفصل ومناخة منصوب على الحال قوله واخلفتنا مخايل الجود أي كلما شمنا برقا واختلنا سحابا أخلفنا ولم يمطر والجود المطر الغزير وروى مخايل الجود بالضم والمبتئس ذو البؤس والبلاغ للملتمس أي الكفاية للطالب وتقول قنط فلان بالفتح يقنط ويقنط بالكسر والضم فهو قانط وفيه لغة أخرى قنط بالكسر يقنط قنطا مثل تعب يتعب تعبا وقناطة أيضا فهو قنط وقرئ ولا تكن من القنطين وانما قال ومنع الغمام فبنى الفعل للمفعول به لانه كره أن يضيف المنع الى الله تعالى وهو منبع النعم فاقتضى حسن الادب انه لم يسم الفاعل وروى منع الغمام أي ومنع الغمام القطر فحذف المفعول والسوام المال الراعي فان قلت ما الفرق بين تؤاخذنا وبين تأخذنا قلت المؤاخذة دون الأخذ لان الاخذ الاستئصال والمؤاخذة عقوبة وان قلت والسحاب المنبعق المتبعج بالمطر ومثله المتبعق ومثله البعاق والربيع المغدق الكثير والنبات المونق المعجب وانتصب سحا على المصدر والوابل المطر الشديد ثم قال يحيا به ما قد مات أي يكاد يتلف بها من الزرع وترد به ما قد فات أي يستدرك به الناس ما فاتهم من الزرع والحرث والسقيا مؤنثة وهي الاسم من سقى والمريعة الخصيبة وثامرا فرعها ذو ثمر كما قالوا لابن وتامر ذو لبن وتمر وتنعش ترفع والنجاد جمع نجد وهو ما ارتفع من الارض والوهاد جمع وهد وهو المطمئن منها وروى نجادنا بالنصب على انه مفعول قوله وتندى بها اقاصينا أي الاباعد منا وينتدى بها يتفع نديت بكذا أي انتفعت والضواحي النواحي القريبة من المدينة العظمى والمرملة الفقيرة أرمل افتقر ونفد زاده ووحشك المهملة التي لا راعي لها ولا صاحب ولا مشفق وسماء مخضلة تخضل النبت أي تبله وروى مخضلة أي ذات نبات وزروع مخضلة يقال اخضل النبت اخضلالا أي ابتل وانما أنث السماء وهو المطر وهو مذكر لانه اراد الامطار والودق المطر ويحفز يدفع بشدة واذا دفع القطر القطر كان أعظم واغزر له وبرق خلب لا مطر معه وسحاب جهام لا ماء فيه والمجدبون اهل الجدب والمسنتون الذين اصابتهم السنة وهي المحل والقحط الشديد • واعلم ان صلاة الاستسقاء جماعة عند أكثر الفقهاء سنة وقال أبو حنيفة لا صلاة للاستسقاء قال أصحابه يعني ليست سنة في جماعة وانما يجوز أن يصلي الناس وحدانا قالوا وانما الاستسقاء هو الدعاء والاستغفار وقال باقي الفقهاء كالشافعي وأبي يوسف ومحمد وغيرهم بخلاف ذلك قالوا وقد روى ان رسول الله صلى الله عليه وآله صلى بالناس جماعة في الاستسقاء فصلى ركعتين جهر بالقراءة فيهما وحول رداءه ورفع يديه واستسقى قالوا والسنة ان يكون في المصلى واذا أراد الامام الخروج لذلك وعظ الناس وأمرهم بالخروج من المظالم والتوبة من المعاصي لان ذلك يمنع القطر قالوا وقد روى عن عبد الله بن مسعود انه قال اذا بخس المكيال حبس القطر وقال مجاهد في قوله تعالى ويلعنهم اللاعنون قال دواب الارض تلعنهم يقولون منعنا القطر بخطاياهم قالوا ويأمر الامام الناس بصوم ثلاثة أيام قبل الخروج ثم يخرج في اليوم الرابع وهم صيام ويأمرهم بالصدقة ويستسقي بالصالحين من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله كما فعل عمر ويحضر معه أهل الصلاح والخير ويستسقي بالشيوخ والصبيان واختلفوا في اخراج البهائم فمنهم من استحب ذلك ومنهم من كرهه ويكره اخراج أهل الذمة فان حضروا من عند أنفسهم لم يمنعوا والغسل والسواك في صلاة الاستسقاء عندهم مسنونان ولا يستحب فيها التطيب لان الحال لا يقتضيه وينبغي أن يكون الخروج بتواضع وخشوع واخبات كما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله للاستسقاء قالوا ولا يؤذن لهذه الصلاة ولا يقام وانما ينادى لها الصلاة جامعة وهي ركعتان كصلاة العيد يكبر في الاولى سبع تكبيرات وفي الثانية خمس تكبيرات قالوا ويخطب بعد الصلاة خطبتين ويكون دعاء الاستسقاء في الخطبة الاولى قالوا فيقول اللهم اسقنا غيثا مغيثا هنيئا مريئا مريعا غدقا مجللا طبقا سحا دائما اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين اللهم ان بالعباد والبلاد من اللأواء والضنك والجهد ما لا نشكوه الا اليك اللهم أنبت لنا الزرع وأدر لنا الضرع واسقنا من بركات السماء اللهم اكشف عنا الجهد

والجوع والعري واكشف عنا ما لا يكشفه عنا غيرك اللهم انا نستغفرك انك كنت غفارا فأرسل السماء علينا مدرارا قالوا ويستحب أن يستقبل القبلة في أثناء الخطبة الثانية ويحول رداءه فيجعل ما على الايمن على الايسر وما على الايسر على الايمن تفاؤلا بتحول الحال وكذا روى ان رسول الله صلى الله عليه وآله فعل ويستحب للناس أن يحولوا أرديتهم مثله ويتركوها كما هي ولا يعيدوها الى حالها الاولى الا اذا رجعوا الى منازلهم ويستحب أن يدعوا في الخطبة الثانية سرا فيجمع بين الجهر والسر كما قال سبحانه وتعالى اني أعلنت لهم وأسررت لهم اسرارا وكقوله تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول قالوا ويستحب رفع اليد في هذا الدعاء وان يكثروا من الاستغفار لقوله تعالى استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا فان صلوا واستسقوا فلم يسقوا عادوا من الغد وصلوا واستسقوا وان سقوا قبل الصلاة صلوا شكرا وطلبا للزيادة قالوا ويستحب أن يقفوا تحت المطر حتى يصيبهم وان يحسروا له عن رؤسهم وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وآله حسر عن رأسه حتى أصابه مطر الاستسقاء ويستحب اذا سال الوادي أن يغتسلوا فيه ويتوضؤا منه وقد استحب قوم من الفقهاء أن يخرج الناس للاستسقاء حفاة حاسرين والاكثرون على خلاف ذلك • فاما مذهب الشيعة في هذه المسئلة فان يستقبل الامام القبلة بعد صلاة الركعتين فيكبر الله مائة تكبيرة ويرفع بها صوته ويكبر من حضر معه ثم يلتفت عن يمينه فيسبح الله مائة تسبيحة يرفع بها صوته ويسبح معه من حضر ثم يلتفت عن يساره فيهلل الله مائة مرة يرفع بها صوته ويقول معه من حضر مثل ذلك ثم يستقبل الناس بوجهه فيحمد الله مائة مرة يرفع بها صوته ويقول معه من حضر مثل ذلك ثم يخطب بهذه الخطبة المروية عن أمير المؤمنين عليه السلام في الاستسقاء فان لم يتمكن منها اقتصر على الدعاء وجاء في الاخبار الصحيحة حديث رؤيا رقيقة في الجاهلية وهي رقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم بن عبد مناف قالت رقيقة تتابعت على قريش سنون أمحلت الضرع وأرقت العظم فبينا أنا راقدة اللهم أو مهومة اذا أنا بهاتف صيت يصرخ بصوت صحل يا معشر قريش ان هذا النبي المبعوث فيكم قد أظلتكم أيامه وهذا ابان نجومه فحيهلا بالحصب والحيا الا فانظروا رجلا منكم عظاما جساما أبيض بضا أوطف الاهداب سهل الخدين أشم العرنين له سنة تهدي اليه ألا فليخلص هو وولده وليدلف اليه من كل بطن رجل ألا فليشنوا عليهم من الماء وليمسوا من الطيب وليطوفوا بالبيت سبعا وليكن فيهم الطيب الطاهر فليستسق الرجل وليؤمن القوم ألا فغثتم اذا ما شئتم قالت فاصبحت علم الله مذعورة قد قف جلدي ووله عقلي فاقتصصت رؤياي على الناس فذهبت في شعاب مكة فو الحرمة والحرم ان بقي أبطحي الا وقال هذا شيبة الحمد فتتامت رجال قريش وانقض اليه من كل بطن رجل فشنوا عليهم ماء ومسوا طيبا واستلموا واطوفوا ثم ارتقوا أبا قبيس وطفق القوم يدفون حول عبد المطلب ما ان يدرك سعيهم مهله حتى استقروا بذروة الجبل واستكفوا جانبيه فقام فاعتضد ابن ابنه محمدا صلى الله عليه وآله فرفعه على عاتقه وهو يومئذ غلام قد أيفع أو كرب ثم قال اللهم ساد الخلة وكاشف الكربة أنت عالم غير معلم ومسؤل غير مبخل وهذه عبداؤك واماؤك بعذرات حرمك يشكون اليك سنتهم التي اذهبت الخف والظلف فاسمعن اللهم وأمطرن علينا غيثا مغدقا مريعا سحا طبقا دارا قالت فورب الكعبة ما راموا حتى انفجرت السماء بمائها واكتظ الوادي بثجيجه وانصرف الناس يقولون لعبد المطلب هنيئا لك سيد البطحاء وفي رواية أبي عبيدة معمر بن المثنى قال فسمعنا شيخان قريش وجلتها عبد الله بن جدعان وحرب بن أمية وهشام بن المغيرة يقولون لعبد المطلب هنيئا لك أبا البطحاء وفي ذلك قال شاعر من قريش وقد روى هذا الشعر لرقيقة

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا • وقد فقدنا الحيا واجلوذ المطر

فجاد بالماء وسمى له سبل • سحا فعاشت به الانعام والشجر

وفي الحديث من رواية أنس بن مالك أصاب أهل المدينة قحط على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله فقام اليه رجل وهو يخطب يوم جمعة فقال يا رسول الله هلك الشاء هلك الزرع ادع الله لنا أن يسقينا فمد عليه السلام يده

ودعوا استسقى وان السماء كمثل الزجاجة فهاجت ريح ثم أنشأت سحابا ثم اجتمع ثم أرسلت عزاليها فخرجنا نخوض الماء حتى أتينا منازلنا ودام القطر فقام اليه ذلك الرجل في اليوم الثالث فقال يارسول الله تهدمت البيوت ادع الله أن يحبسه عنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله ثم رفع يده وقال اللهم حوالينا ولا علينا قال أنس فوالذى بعث محمدا بالحق لقد نظرت الى السحاب وانه لقد انجاب حول المدينة كالاكليل وفى حديث عائشة انه عليه السلام استسقى حين بدا قرن الشمس فقعد على المنبر وحمد الله وكبره ثم قال انكم شكوتم جدب دياركم وقد أمركم الله أن تدعوه ووعدكم أن يستجيب لكم فادعوه ثم رفع صوته فقال اللهم انك أنت الغنى ونحن الفقراء فانزل علينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين اللهم اجعل ما تنزله علينا قوة لنا وبلاغا الى حين برحمتك ياأرحم الراحمين فانشأ الله سحابا فرعدت وبرقت ثم أمطرت فلم يأت عليه السلام منزله حتى سالت السيول فلما رأى سرعتهم الى الكن ضحك حتى بدت نواجذه وقال أشهد أنى عبد الله ورسوله وان الله على كل شئ قدير ومن دعائه عليه السلام فى الاستسقاء وقد رواه الفقهاء وغيرهم اللهم اسقنا وأغثنا اللهم اسقنا غيثا مغيثا وحيا ربيعا طبقا غدقا مغدقا مونقا عاما هنيئا مريئا مريعا مربعا وابلا سابلا مسبلا مجللا دارا نافعا غير ضار عاجلا غير رائث تحيى به العباد وتغيث به البلاد وتجعله بلاغا للحاضر منا والباد اللهم أنزل علينا فى أرضنا زينتها وأنزل علينا فى أرضنا سكنها اللهم أنزل علينا ماء طهورا فاحى به بلدة ميتا واسقه مما خلقت أنعاما وأناسى كثيرا وروى عبد الله بن مسعود أن عمر بن الخطاب خرج يستسقى بالعباس فقال اللهم انا نتقرب اليك بعم نبيك وبقية آبائه وكبر رجاله فانك قلت وقولك الحق وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة الآية فحفظتهما لصلاح أبيهما فاحفظ اللهم نبيك فى عمه فقد دلونا به اليك مستشفعين ومستغفرين ثم أقبل على الناس فقال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا قال ابن مسعود رأيت العباس يومئذ وقد طال عمره وعيناه تنضحان وسبابته تجول على صدره وهو يقول اللهم أنت الراعى فلا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعة فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الشكوى وأنت تعلم السر وأخفى اللهم اغثهم بغياثك من قبل أن يقنطوا فيهلكوا انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون قال فنشأت طريرة من سحاب وقال الناس ترون ترون ثم تلاءمت واستتمت ومشت فيها ريح ثم هدرت ودرت فوالله ما برحوا حتى اعتلقوا الاحذية وقلصوا المآزر وطفق الناس يلوذون بالعباس يمسحون أركانه ويقولون هنيئا لك ساقى الحرمين

(الاصل) ﴿ومن خطبة له عليه السلام﴾

أَرْسَلَهُ دَاعِياً الَى الحَقِّ وَشاهِدًا على الخَلْقِ فَبَلَّغَ رِسالاَتِ رَبِّهِ غَيْرَ وَانٍ وَلاَ مُقَصِّرٍ ﴿ وَجاهَدَ فِي اللهِ أَعْدَاءَهُ غَيْرَ وَاهِنٍ وَلاَ مُعَذِّرٍ ﴿ إمامُ مَنِ اتَّقَي وَبَصَرُ مَنِ اهْتَدَى

(الشرح) قوله وشاهدا على الخلق أى يشهد على القوم الذين بعث اليهم ويشهد لهم فيشهد على العاصى بالعصيان والخلاف ويشهد للمطيع بالاطاعة والاسلام وهذا من قوله سبحانه وتعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ومن قوله تعالى وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فان قلت اذا كان الله تعالى عالما بكل شئ ومالكا لكل أحد فاى حاجة الى الشهادة قلت ليس بمنكر أن يكون فى ذلك مصلحة للمكلفين فى اديانهم من حيث انه قد تقرر فى عقول الناس أن من يقوم عليه شاهد بامر منكر قد فعله فانه يخزى ويخجل وتنقطع حجته فاذا طرق أسماعهم أن الانبياء تشهد عليهم والملائكة الحافظين تكتب أعمالهم كانوا عن مواقعة القبيح أبعد والوانى الفاتر الكال والواهن الضعيف والمعذر الذى يعتذر عن تقصيره بغير عذر قال تعالى وجاء المعذرون من الاعراب

(الاصل) (منها) وَلَوْ تَعْلَمُونَ ما أَعْلَمُ مِمَّا طُوِيَ عَنْكُمْ غَيْبُهُ إِذًا لخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ ﴿ تَبْكُونَ على أَعْمالِكُمْ وَتَلْتَدِمُونَ على أَنْفُسِكُمْ ﴿ وَلَتَرَكْتُمْ أَمْوَالَكُمْ لاَ حارِسَ

لَها وَلاَ خالِفَ علَيْها ﴿ وَلَهَمَّتْ كُلَّ امْرِئٍ مِنْكُمْ نَفْسُهُ ﴿ لا يَلْتَفِتُ إِلَى غَيْرِها وَلَكِنَّكُمْ نَسِيتُمْ ماذُكِّرْتُمْ وَأَمِنْتُمْ ماحُذِّرْتُمْ فَتاهَ عَنْكُمْ رَأْيُكُمْ وَتَشَتَّتَ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ وَلَوَدِدْتُ أَنَّ اللهَ فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَلْحَقَنِي بِمَنْ هُوَ أَحَقُّ بِي مِنْكُمْ ﴿ قَوْمٌ وَاللهِ مَيامِينُ الرَّأْيِ ﴿ مَرَاجِيحُ الحِلْمِ مَقاوِيلُ بِالحَقِّ مَتارِيكُ لِلْبَغْيِ ﴿ مَضَوْا قُدُماً على الطَّرِيقَةِ ﴿ وَأَوْجَفُوا على المَحَجَّةِ ﴿ فَظَفِرُوا بِالعُقْبَى الدَّائِمَةِ وَالكَرَامَةِ البارِدَةِ ﴿ أَما وَاللهِ لَيُسَلَّطَنَّ عَلَيْكُمْ غُلامُ ثَقِيفٍ الذَّيَّالُ المَيَّالُ ﴿ يَأْكُلُ خَضِرَتَكُمْ وَيُذِيبُ شَحْمَتَكُمْ إِيهٍ أَبَا وَذَحَةَ (قالَ الرضي رَحِمَهُ اللهُ تعالى) الوَذَحَةُ الخُنْفُساءُ وَهَذَا القَوْلُ يُومِئُ بِهِ إِلَى الحَجَّاجِ وَلَهُ مَعَ الوَذَحَةِ حَدِيثٌ لَيْسَ هذَا مَوْضِعَ ذِكْرِهِ)

(الشرح) الصعيد التراب ويقال وجه الارض والجمع صعد وصعدات كطريق وطرق وطرقات والالتدام ضرب النساء صدورهن فى النياحة ولا خالف عليها الا مستخلف قوله ولهمت كل امرئ منكم نفسه أى أذابته وأنحلته هممت الشحم أى أذبته ويروى ولأهمت كل امرئ وهو أصح من الرواية الاولى أهمنى الامر أى أحزننى وتاه عن فلان رأيه أى عزب وضل ثم ذكر انه يود ويتمنى أن يفرق الله بينه وبينهم ويلحقه بالنبى صلى الله عليه وآله وبالصالحين من أصحابه كحمزة وجعفر عليهما السلام وأمثالهما ممن كان أمير المؤمنين يثنى عليه ويحمد طريقته من الصحابة فمضوا قدما أى متقدمين غير معرجين ولا مرتدين وأوجفوا أسرعوا ويقال غنيمة باردة وكرامة باردة أى لم تؤخذ بحرب ولا عنف وذلك لان المكتسب بالحرب حار فى المعنى لما يلاقى ويعانى فى حصوله من المشقة وغلام ثقيف المشار اليه هو الحجاج ابن يوسف والذيال التائه وأصله من ذال أى تبختر وجر ذيله على الارض والميال الجائر الظالم ويأكل خضرتكم يستأصل أموالكم ويذيب شحمتكم مثله وكلتا اللفظتين استعارة ثم قال له كالمخاطب لانسان حاضر بين يديه ايه أبا وذحة ايه كلمة يستزاد بها من الفعل تقديره زد وهات أيضا ما عندك وضدها ايها أى كف وأمسك قال الرضى رحمه الله والوذحة الخنفساء ولم أسمع هذا من شيخ من أهل الآداب ولا وجدته فى كتاب من كتب اللغة ولا أدرى من أين نقل الرضى رحمه الله ذلك ثم ان المفسرين بعد الرضى رحمه الله قالوا فى قصة هذه الخنفساء وجوها منها ان الحجاج رأى خنفساء تدب الى مصلاه فطردها فعادت ثم طردها فعادت فاخذها بيده وحذف بها فقرصته فرصا ورمت يده منه ورما كان فيه حتفه قالوا وذلك لأن الله تعالى قتله باهون مخلوقاته كما قتل نمرود بن كنعان بالبقة التى دخلت فى أنفه فكان فيها هلاكه ومنها ان الحجاج كان اذا رأى خنفساء تدب قريبة منه يأمر غلمانه بابعادها ويقول هذه وذحة من وذح الشيطان تشبيها لها بالبعرة قالوا وكان مغرى بهذا القول والوذح ما يتعلق بأذناب الشاة من أبعارها فيجف ومنها ان الحجاج قال وقد رأى خنفساوات مجتمعات واعجبا لمن يقول ان الله خلق هذه قيل فمن خلقها أيها الامير قال الشيطان ان ربكم لاعظم شانا أن يخلق هذه الوذح قالوا فجمعها على فعل كبدنة وبدن فنقل قوله هذا الى الفقهاء فى عصره فأكفروه ومنها ان الحجاج كان مثفارا وكان يمسك الخنفساء حية ليشفى بحركتها فى الموضع حكاكه قالوا ولا يكون صاحب هذا الداء الا شانئا مبغضا لاهل البيت قالوا ولسنا نقول كل مبغض فيه هذا الداء وانما قلنا كل من فيه هذا الداء فهو مبغض قالوا وقد روى أبو عمر الزاهد ولم يكن من رجال الشيعة فى اماليه وأحاديثه عن السيارى عن أبى خزيمة الكاتب قال ما فتشنا أحدا فيه هذا الداء الا وجدناه ناصبيا قال أبو عمر وأخبرنى العطافى من رجاله قالوا

سئل جعفر بن محمد عليه السلام عن هذا الصنف من الناس فقال رحم منكوسة تؤتى ولا تأتى وما كانت هذه الخصلة فى ولى لله تعالى قط ولا تكون أبدا وانما تكون فى الكفار والفساق والناصب للطاهر بن وكان أبو جهل عمرو ابن هشام المخزومى من القوم وكان أشد الناس عداوة لرسول الله صلى الله عليه وآله قالوا ولذلك قال له عتبة بن ربيعة يوم بدر يامصفر استه فهذا مجموع ماذكره المفسرون وماسمعته من أفواه الناس فى هذا الموضع ويغلب على ظنى انه أراد معنى آخر وذلك ان عادة العرب ان تكنى الانسان اذا أرادت تعظيمه بما هو مظنة التعظيم كقولهم أبو الهول وأبو المقدام وأبو المغوار فاذا أرادت تحقيره والغض منه كنته بما يستحقر ويستهان به كقولهم فى كنية يزيد بن معاوية أبو زنة يعنون القرد وكقولهم فى كنية سعيد بن حفص البخارى المحدث أبو الفار وكقولهم للطفيلى أبو لقمة وكقولهم لعبد الملك أبو الذبان لبخره وكقول ابن بسام لبعض الرؤساء

فأنت لعمرى أبو جعفر * ولكننا نحذف الفاء منه

وقال أيضا لئيم درن الثوب * نظيف القعب والقدر أبو النتن أبو الدفر * أبو البعر أبو الجعر

فلما كان أمير المؤمنين عليه السلام يعلم من حال الحجاج نجاسته بالمعاصى والذنوب التى لو شوهدت بالبصر لكانت بمنزلة البعر الملتصق بشعر الشاة كناه أبو وذحة ويمكن أيضا أن يكنيه بذلك لدمامته فى نفسه وحقارة منظره وتشويه خلقته فانه كان قصيرا دميما نحيفا أخفش العينين معوج الساقين قصير الساعدين مجدور الوجه أصلع الرأس فكناه بأحقر الاشياء وهو البعرة وقد روى قوم هذه اللفظة بصيغة أخرى فقالوا ابة أباودجة قالوا واحدة الاوداج كناه بذلك لانه كان قتالا يقطع الاوداج بالسيف ورواه قوم أباوحرة وهى دويبة تشبه الحرباء قصيرة الظهر شبهه بها وهذا وماقبله ضعيف وماذكرناه نحن اقرب الى الصواب

(الاصل) *(ومن كلام له عليه السلام)*

فَلاَ أَمْوَالَ بَذَلْتُمُوهَا لِلَّذِي رَزَقَهَا وَلاَ أَنْفُسَ خَاطَرْتُمْ بِهَا لِلَّذِي خَلَقَهَا تَكْرُمُونَ بِاللهِ عَلَى عِبَادِهِ * وَلاَ تُكْرِمُونَ اللهَ فِي عِبَادِهِ * فَاعْتَبِرُوا بِنُزُولِكُمْ مَنَازِلَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَانْقِطَاعِكُمْ عَنْ أَوْصَلِ اخْوَانِكُمْ

(الشرح) انتصاب الاموال بفعل مقدر دل عليه بذلتموها وكذلك انفس يقول لم تبذلوا أموالكم فى رضا من رزقكم اياها ولم تخاطروا بانفسكم فى رضا الخالق لها والاولى بكم ان تبذلوا المال فى رضا رازقه والنفس فى رضا خالقها لانه ليس أحد أحق منه بالمال والنفس وبذلهما فى رضاه ثم قال من العجب انكم تطلبون من عباد الله ان يكرموكم ويطيعوكم لاجل الله وانتمائكم الى طاعته ثم انكم لا تكرمون الله ولا تطيعونه فى نفع عباده والاحسان اليهم ومحصول هذا القول كيف تسيمون الناس ان يطيعوكم لاجل الله ثم انكم أنتم لا تطيعون الله الذى تكلفون الناس ان يطيعوكم لاجله ثم أمرهم باعتبارهم بنزولهم منازل من كان قبلهم وهذا مأخوذ من قوله تعالى وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال وروى عن أصل اخوانكم وذلك بموت الاب فانه ينقطع أصل الاخ الواشج بينه وبين أخيه والرواية الاولى أظهر

(الاصل) ﴿ ومن كلام له عليه السلام ﴾

أَنْتُمُ الأَنْصَارُ عَلَى الْحَقِّ وَالإِخْوَانُ فِي الدِّينِ وَالْجُنَنُ يَوْمَ الْبَأْسِ * وَالْبِطَانَةُ دُونَ النَّاسِ * بِكُمْ أَضْرِبُ الْمُدْبِرَ * وَأَرْجُو طَاعَةَ الْمُقْبِلِ فَأَعِينُونِي بِمُنَاصَحَةٍ خَلِيَّةٍ مِنَ الْغِشِّ

سَلِيمَةٍ مِنَ الرَّيْبِ فَوَاللهِ إِنِّي لأَوْلَى النَّاسِ بِالنَّاسِ

(الشرح) الجنن جمع جنة وهى ماتستر به وبطانة الرجل خواصه وخاصته الذين لا يطوى عنهم سره فان قلت اما ضربه بهم المدبر فمعلوم يعنى الحرب فما معنى قوله عليه السلام وارجو طاعة المقبل قلت لان من ينضوى اليه من المخالفين اذا رأى ما عليه شيعته وبطانته من الاخلاق الحميدة والسيرة الحسنة أطاعه بقلبه باطنا بعد ان كان انضوى اليه ظاهرا واعلم ان هذا الكلام قاله أمير المؤمنين عليه السلام للانصار بعد فراغه من حرب الجمل وقد ذكره المدائنى والواقدى فى كتابيهما

(الاصل) *(ومن كلام له عليه السلام)*

وقد جمع الناس وحضهم على الجهاد فسكتوا مليا

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ مَا بَالُكُمْ أَمُخْرَسُونَ أَنْتُمْ (فَقَالَ قَوْمٌ مِنْهُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ سِرْتَ سِرْنَا مَعَكَ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ) مَا بَالُكُمْ لاَ سُدِّدْتُمْ لِرُشْدٍ * وَلاَ هُدِيتُمْ لِقَصْدٍ أَفِي مِثْلِ هَذَا يَنْبَغِي أَنْ أَخْرُجَ وَإِنَّمَا يَخْرُجُ فِي مِثْلِ هَذَا رَجُلٌ مِمَّنْ أَرْضَاهُ مِنْ شُجْعَانِكُمْ وَذَوِي بَأْسِكُمْ وَلاَ يَنْبَغِي لِي أَنْ أَدَعَ الْجُنْدَ وَالْمِصْرَ وَبَيْتَ الْمَالِ وَجِبَايَةَ الأَرْضِ وَالْقَضَاءَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالنَّظَرَ فِي حُقُوقِ الْمُطَالِبِينَ ثُمَّ أَخْرُجَ فِي كَتِيبَةٍ أَتْبَعُ أُخْرَى أَتَقَلْقَلُ تَقَلْقُلَ الْقِدْحِ فِي الْجَفِيرِ الْفَارِغِ * وَإِنَّمَا أَنَا قُطْبُ الرَّحَى تَدُورُ عَلَيَّ وَأَنَا بِمَكَانِي فَإِذَا فَارَقْتُهُ اسْتَحَارَ مَدَارُهَا *وَاضْطَرَبَ ثِفَالُهَا *هَذَا لَعَمْرُ اللهِ الرَّأْيُ السُّوءُ وَاللهِ لَوْلاَ رَجَائِي الشَّهَادَةَ عِنْدَ لِقَائِي الْعَدُوَّ* وَلَوْ قَدْ حُمَّ لِي لِقَاؤُهُ لَقَرَّبْتُ رِكَابِي * ثُمَّ شَخَصْتُ عَنْكُمْ فَلاَ أَطْلُبُكُمْ مَا اخْتَلَفَ جَنُوبٌ وَشَمَالٌ طَعَّانِينَ عَيَّابِينَ حَيَّادِينَ رَوَّاغِينَ اِنَّهُ لاَ غَنَاءَ فِي كَثْرَةِ عَدَدِكُمْ * مَعَ قِلَّةِ اجْتِمَاعِ قُلُوبِكُمْ لَقَدْ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ الَّتِي لاَ يَهْلِكُ عَلَيْهَا إِلاَّ هَالِكٌ * مَنِ اسْتَقَامَ فَإِلَى الْجَنَّةِ وَمَنْ زَلَّ فَإِلَى النَّارِ

(الشرح) سكتوا مليا أى ساعة طويلة ومضى ملى من النهار كذلك قال الله تعالى واهجرنى مليا وأقمت عند فلان ملاوة من الدهر بالحركات الثلاث أى حينا وبرهة وكذلك أقمت ملوة وملوة وملوة بالحركات الثلاث وقوله أمخرسون أنتم اسم المفعول من اخرسه الله وخرس الرجل والخرس المصدر والكتيبة قطعة من الجيش والتقلقل الحركة فى اضطراب والقدح السهم والجفير الكنانة وقيل وعاء للسهام أوسع من الكنانة واستحار مدارها اضطرب والمدار ههنا مصدر والثفال بكسر الثاء جلد يبسط ويوضع الرحا فوقه فيطحن باليد ليسقط عليه الدقيق وحم أى قدر والركاب الابل وشخصت عنكم خرجت ثم وصفهم بعيب الناس والطعن فيهم وانهم يحيدون عن الحق عن الحرب أى ينحرفون ويروغون كما يروغ الثعلب ثم قال انه لا غناء عندكم وان اجتمعتم بالابدان مع تفرق القلوب والغناء بالفتح والمد النفع وانتصب طعانين على الحال من الضمير المنصوب فى اطلبكم وهذا كلام قاله أمير المؤمنين عليه السلام فى بعض غارات

أهل الشام على اطراف اعماله بالعراق بعد انقضاء امر صفين والنهروان وقد ذكرناسببه وواقعته فيما تقدم فان قلت كيف قال الطريق الواضح فذكره ثم قال لايهلك فيها فأنثه قلت لان الطريق يذكر ويؤنث تقول الطريق الاعظم والطريق العظمى فاستعمل اللغتين معا

(الاصل) ﴿ ومن كلام له عليه السلام ﴾

تَاللهِ لَقَدْ عُلِّمْتُ تَبْلِيغَ الرِّسَالاَتِ وَإِتْمَامَ الْعِدَاتِ * وَتَمَامَ الْكَلِمَاتِ وَعِنْدَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ أَبْوَابُ الْحُكْمِ وَضِيَاءُ الْأَمْرِ أَلاَ وَإِنَّ شَرَائِعَ الدِّينِ وَاحِدَةٌ وَسُبُلُهُ قَاصِدَةٌ * مَنْ أَخَذَ بِهَا لَحِقَ وَغَنِمَ وَمَنْ وَقَفَ عَنْهَا ضَلَّ وَنَدِمَ * إِعْمَلُوا لِيَوْمٍ تُذْخَرُ لَهُ الذَّخَائِرُ وَتُبْلَى فِيهِ السَّرَائِرُ وَمَنْ لاَ يَنْفَعُهُ حَاضِرُ لُبِّهِ فَعَازِبُهُ عَنْهُ أَعْجَزُ * وَغَائِبُهُ أَعْوَزُ * وَاتَّقُوا نَارًا حَرُّهَا شَدِيدٌ * وَقَعْرُهَا بَعِيدٌ وَحِلْيَتُهَا حَدِيدٌ وَشَرَابُهَا صَدِيدٌ * أَلاَ وَإِنَّ اللِّسَانَ الصَّالِحَ يَجْعَلُهُ اللهُ تَعَالَى لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْمَالِ يُورِثُهُ مَنْ لاَ يَحْمَدُهُ

(الشرح) رواه قوم لقد علمت بالتخفيف وفتح العين والرواية الاولى أحسن فتبليغ الرسالات تبليغ الشرائع بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله الى المكلفين وفيه اشارة الى قوله تعالى يبلغون رسالات الله ويخشونه ولايخشون أحدا الاالله والى قول النبي صلى الله عليه وآله فى قصة براءة لايؤدى عنى الاأنا ورجل منى واتمام العدات انجازها وفيه اشارة الى قوله تعالى من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه والى قول النبي صلى الله عليه وآله فى حقه عليه السلام قاضى دينى ومنجز موعدى وتمام الكلمات تأويل القرآن وفيه اشارة الى قوله تعالى وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا والى قول النبي صلى الله عليه وآله فى حقه عليه السلام اللهم اهد قلبه وثبت لسانه وخلاصة هذا انه أقسم بالله انه قد علم او علم على اختلاف الروايتين اداء الشرائع الى المكلفين والحكم بينهم بما انزله الله وعلم مواعيد رسول الله التى وعد بها فمنها ماهو وعد لواحد من الناس بامر نحو أن يقول له سأعطيك كذا ومنها ماهو وعد بامر يحدث كاخبار الملاحم والامور المتجددة وعلم تمام كلمات الله تعالى أى تأويلها وبيانها الذى يتم به لان فى كلامه تعالى المجمل الذى لايستغنى عن متمم ومبين يوضحه ثم كشف الغطاء واوضح المراد فقال وعندنا أهل البيت أبواب الحكم يعنى الشرعيات والفتاوى وضياء الامر يعنى العقليات والعقائد وهذا مقام عظيم لايجسر احد من المخلوقين يدعيه سواه عليه السلام ولو أقدم أحد على ادعائه غيره لكذب وكذبه الناس وأهل البيت منصوب على الاختصاص وسبله قاصدة أى قريبة سهلة يقال بيننا وبين الماء ليلة قاصدة ورافهة أى هينة المسير لاتعب فيها ولا بطء وتبلى فيه السرائر أى تختبر ثم قال من لا ينفعه لبه الحاضر وعقله الموجود فهو بعدم الانتفاع بما هو غير حاضر ولا موجود من العقل عنده أولى وأحرى أى من لم يكن له من نفسه ومن ذاته وازع وزاجر عن القبيح فبعيد أن ينزجر وان يرتدع بعقل غيره وموعظة غيره له كما قيل وزاجر من النفس خير من عتاب العواذل ثم ذكر النار فحذر منها وقوله حليتها حديد يعنى القيود والاغلال ثم ذكر ان الذكر الطيب يخلفه الانسان بين الناس خير له من مال يجمعه ويورثه من لايحمده وجاء فى الاثر ان أمير المؤمنين عليه السلام جاءه مخبر فاخبره ان مالا له قد انفجرت فيه عين خوارة يبشره بذلك فقال بشر الوارث بشر الوارث يكررها ثم وقف ذلك المال على الفقراء وكتب به كتابا فى تلك الساعة

(الاصل) ﴿ ومن خطبة له عليه السلام ﴾

وَقَدْ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ نَهَيْتَنَا عَنِ الْحُكُومَةِ ثُمَّ أَمَرْتَنَا بِهَا فَلَمْ نَدْرِ أَيُّ الْأَمْرَيْنِ أَرْشَدُ فَصَفَقَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ إِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى ثُمَّ قَالَ

هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْعُقْدَةَ * أَمَا وَاللهِ لَوْ أَنِّي حِينَ أَمَرْتُكُمْ بِمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الْمَكْرُوهِ الَّذِي يَجْعَلُ اللهُ فِيهِ خَيْرًا فَإِنِ اسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتُكُمْ وَإِنِ اعْوَجَجْتُمْ قَوَّمْتُكُمْ وَإِنْ أَبَيْتُمْ تَدَارَكْتُكُمْ لَكَانَتِ الْوُثْقَى وَلَكِنْ بِمَنْ وَإِلَى مَنْ * أُرِيدُ أَنْ أُدَاوِيَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ دَائِي كَنَاقِشِ الشَّوْكَةِ بِالشَّوْكَةِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ضَلْعَهَا مَعَهَا * اللَّهُمَّ قَدْ مَلَّتْ أَطِبَّاءُ هَذَا الدَّاءِ الدَّوِيِّ * وَكَلَّتِ النَّزَعَةُ بِأَشْطَانِ الرَّكِيِّ * أَيْنَ الْقَوْمُ الَّذِينَ دُعُوا إِلَى الْإِسْلاَمِ فَقَبِلُوهُ وَقَرَؤُا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ وَهِيجُوا إِلَى الْجِهَادِ فَوَلِهُوا وَلَهَ اللِّقَاحِ إِلَى أَوْلاَدِهَا * وَسَلَبُوا السُّيُوفَ أَغْمَادَهَا * وَأَخَذُوا بِأَطْرَافِ الْأَرْضِ زَحْفًا زَحْفًا وَصَفًّا صَفًّا بَعْضٌ هَلَكَ وَبَعْضٌ نَجَا لاَ يُبَشَّرُونَ بِالْأَحْيَاءِ * وَلاَ يُعَزَّوْنَ عَنِ الْمَوْتَى مُرْهُ الْعُيُونِ مِنَ الْبُكَاءِ * خُمْصُ الْبُطُونِ مِنَ الصِّيَامِ ذُبُلُ الشِّفَاهِ مِنَ الدُّعَاءِ * صُفْرُ الْأَلْوَانِ مِنَ السَّهَرِ عَلَى وُجُوهِهِمْ غَبَرَةُ الْخَاشِعِينَ أُولَئِكَ إِخْوَانِي الذَّاهِبُونَ * فَحَقَّ لَنَا أَنْ نَظْمَأَ إِلَيْهِمْ وَنَعَضَّ الْأَيْدِيَ عَلَى فِرَاقِهِمْ * إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ * وَيُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً وَيُعْطِيَكُمْ بِالْجَمَاعَةِ الْفُرْقَةَ وَبِالْفُرْقَةِ الْفِتْنَةَ * فَاصْدِفُوا عَنْ نَزَغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ * وَاقْبَلُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاهَا إِلَيْكُمْ وَاعْقِلُوهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ

(الشرح) هذه شبهة من شبهات الخوارج ومعناها انك نهيت عن الحكومة أولا ثم أمرت بها ثانيا فان كانت قبيحة كنت بنهيك عنها مصيبا وبامرك بها مخطئا وان كانت حسنة كنت بنهيك عنها مخطئا وبامرك بها مصيبا فلابد من خطئك على كل حال وجوابها ان للامام أن يعمل بموجب مايغلب على ظنه من المصلحة فهو عليه السلام لما نهاهم عنها كان نهيه عنها مصلحة حينئذ ولما أمرهم بها كانت المصلحة فى ظنه قد تغيرت فامرهم على حسب ماتبدل وتغير فى ظنه كالطبيب الذى ينهى المريض اليوم عن أمر ويامره بمثله غدا وقوله هذا جزاء من ترك العقدة يعنى الرأى الوثيق وفى هذا الكلام اعتراف بانه بان له وظهر فيما بعد ان الرأى الاصلح كان الاصرار والثبات على الحرب وان ذلك وان كان مكروها فان الله تعالى كان يجعل الخيرة فيه كما قال سبحانه فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ثم قال كنت أحملكم على الحرب وترك الالتفات الى مكيدة معاوية وعمرو من رفع المصاحف فان استقمتم لى اهتديتم بى وان لم تستقيموا فذلك ينقسم الى قسمين أحدهما أن تعوجوا أى يقع منكم بعض الالتواء ويسير من العصيان كفتور الهمة وقلة الجد فى الحرب والثانى التأبى والامتناع المطلق من الحرب فان كان الاول قومتكم بالتأديب والارشاد وارهاق

الهمم والعزائم بالتبصير والوعظ والتحريض والتشجيع وان كان الثانى تداركت الامر معكم امابالاستنجاد بغيركم من قبائل العرب وأهل خراسان والحجاز فكلهم كانوا شيعته وقائلين بامامته أو بغ[illegible] آراه فى ذلك الوقت من المصلحة التى تحكم بها الحال الحاضرة قال لوفعلت ذلك لكانت هى العقدة الوثقى أى الرأى الاصوب الاحزم فان قلت أفتقولون انه اخطأ فى العدول عن هذا الرأى قلت لا نقول انه اخطأ بمعنى الاثم لانه انما فعل ماتغلب على ظنه انه المصلحة وليس الواجب عليه الاذلك ولكنه ترك الرأى الاصوب كما قال الحسن هلا مضيت قدما لا أبالك ولا يلحق الاثم من غلب على ظنه فى حكم السياسة أمر فاعتمده ثم بان له ان الاصوب كان خلافه وقد قيل ان قوله

لقد عثرت عثرة لاتنجبر ❊ سوف أكيس بعدها واستمر ❊ وأجمع الرأى الشتيت المنتشر

اشارة الى هذا المعنى وقيل فيه غير ذلك مما قدمناذ كره قبل وقال شيخنا أبو عثمان الجاحظ رضى الله عنه من عرفه عرف انه غير ملوم فى الانقياد معهم الى التحكيم فانه مل من القتل وتجريد السيف ليلا ونهارا حتى ملت الدماء من اراقته لها وملت الخيل من تقحمه الاهوال بها وضجر من دوام تلك الخطوب الجليلة والأرزاء العظيمة واستلاب الانفس وتطاير الايدى والأرجل بين يديه وأكلت الحرب أصحابه وأعداءه وعطلت السواعد وخدرت الايدى التى سلمت من وقائع السيوف بها ولوأن أهل الشام لم يستعفوا من الحرب ويستقيلوا من المقارعة والمصادمة لأدت الحال الى قعود الفيلقين معا ولزومهم الارض والقائهم السلاح فان الحال أفضت بعظمها وهولها الى مايعجز اللسان عن وصفه واعلم انه عليه السلام لما قال هذا القول استدركه بكلام آخر حذرا ان يثبت على نفسه الخطأ فى الرأى فقال لقد كان هذا رأيا لو كان لى من يطيعنى فيه ويعمل بموجبه وأستعين به على فعله ولكن بمن كنت أعمل ذلك والى من أخلد فى فعله أما الحاضرون لنصرى فانتم وحالكم معلومة فى الخلاف والشقاق والعصيان وأما الغائبون من شيعتى كاهل البلاد النائية فالى أن يصلوا قد بلغ العدو غرضه منى ولم يبق من أخلد اليه فى اصلاح الامر وابرام هذا الرأى الذى كان صوابا لواعتمد الا ان أستعين ببعضكم على بعض فاكون كناقش الشوكة بالشوكة وهذا مثل مشهور لاتنقش الشوكة بالشوكة فان ضلعها لها والضلع الميل يقول لاتستخرج الشوكة الناشبة فى رجلك بشوكة مثلها فان احداهما فى القوة والضعف كالاخرى فكما ان الاولى انكسرت لما وطئتها فدخلت فى لحمك فالثانية اذا حاولت استخراج الاولى بها تنكسر وتلج فى لحمك ثم قال اللهم ان هذا الداء الدوى قد ملت أطباؤه والدوى الشديد كما تقول ليل أليل وكلت النزعة جمع نازع وهو الذى يستقى الماء والاشطان جمع شطن وهو الحبل والركى الآبار جمع ركية وتجمع أيضا على ركايا ثم قال أين القوم هذا كلام متأسف على أولئك متحسر على فقدهم والوله شدة الحب حتى يذهب العقل وله الرجل واللقاح بكسر اللام الابل والواحدة لقوح وهى الحلوب مثل قلاص وقلوص قوله وأخذوا باطراف الارض أى أخذوا على الناس باطراف الارض أى حصروهم يقال لمن استولى على غيره وضيق عليه قد أخذ عليه باطراف الارض قال الفرزدق

أخذنا باطراف السماء عليكم ❊ لنا قمراها والنجوم الطوالع

وزحفا زحفا منصوب على المصدر المحذوف الفعل أى يزحفون زحفا والكلمة الثانية تأكيد للاولى وكذلك قوله وصفا صفا ثم ذكر ان بعض هؤلاء المتأسف عليهم هلك وبعض نجا وهذا ينحى قوله تعالى فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ثم ذكر ان هؤلاء قوم وقذتهم العبادة وانقطعوا عن الناس وتجردوا عن العلائق الدنيوية فاذا ولد لاحدهم مولود لم يبشر به واذا مات له ميت لم يعز عنه ومرهت عين فلان بكسر الراء اذا فسدت لترك الكحل لكن أمير المؤمنين عليه السلام جعل مره عيون هؤلاء من البكاء من خوف خالقهم سبحانه وذكران بطونهم خماص من الصوم وشفاههم ذابلة من الدعاء ووجوههم مصفرة من السهر لانهم يقومون الليل وعلى وجوههم غبرة الخشوع ثم قال أولئك اخوانى الذاهبون فان قلت من هؤلاء الذين يشير عليه السلام اليهم قلت هم قوم كانوا فى نأناة الاسلام وفى زمان ضعفه وخموله أرباب زهد وعبادة وجهاد شديد فى سبيل الله كمصعب بن عمير من بنى عبد الدار وكسعد بن معاذ من الاوس

وكجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحة وغيرهم ممن استشهد من الصالحين أرباب الدين والعبادة والشجاعة فى يوم أحد وفى غيره من الايام فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكعمار وأبى ذر والمقداد وسلمان وخباب وجماعة من أصحاب الصفة وفقراء المسلمين أرباب العبادة الذين قد جمعوا بين الزهد والشجاعة وقد جاء فى الاخبار الصحيحة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الجنة لتشتاق الى أربعة على وعمار وأبى ذر والمقداد وجاء فى الاخبار الصحيحة أيضا أن جماعة من أصحاب الصفة مر بهم أبو سفيان بن حرب بعد اسلامه فعضوا أيديهم عليه وقالوا واأسفاه كيف لم تأخذ السيوف مأخذها من عنق عدو الله وكان معه أبو بكر فقال لهم أتقولون هذا لسيد البطحاء فرفع قوله الى رسول الله صلى الله عليه وآله فانكره وقال لابى بكر انظر لا تكون أغضبتهم فتكون قد اغضبت ربك فجاء أبو بكر اليهم وترضاهم وسألهم أن يستغفروا له فقالوا غفر الله لك قوله خق لنا يقال حق له أن يفعل كذا وهو حقيق به وهو محقوق به أى خليق له والجمع أحقاء ومحقوقون ويسنى يسهل وصدف عن الامر يصدف أى انصرف عنه ونزغات الشيطان ماينزغ به بالفتح أى يفسد ويغرى ونفثاته ماينفث به وينفث بالضم والكسر أى يخيل ويسحر واعقلوها على أنفسكم أى اربطوها والزموها

(الاصل) (وَمِنْ كلاَمٍ لهُ عليهِ السلاَمُ)

قالَهُ لِلْخَوَارِجِ وَقَدْ خَرَجَ إِلَى مُعَسْكَرِهِمْ وَهُمْ مُقِيمُونَ على إِنْكارِ الحُكُومَةِ فقَالَ عليْهِ السلامُ

(أَكُلُّكُمْ شَهِدَ مَعَنَا صِفِّينَ) فَقَالُوا مِنَّا مَنْ شَهِدَ وَمِنَّا مَنْ لَمْ يَشْهَدْ قالَ فامْتَازُوا فِرْقَتَيْنِ فَلْيَكُنْ مَنْ شَهِدَ صِفِّينَ فِرْقَةً وَمَنْ لَمْ يَشْهَدْها فِرْقَةً حَتَّى أُكَلِّمَ كُلاًّ مِنْكُمْ بِكَلاَمِهِ وَنَادَى النَّاسَ فَقَالَ أَمْسِكُوا عَنِ الْكَلاَمِ وَأَنْصِتُوا لِقَوْلِى وَأَقْبِلُوا بِأَفْئِدَتِكُمْ إِلَيَّ فَمَنْ نَشَدْنَاهُ شَهَادَةً فَلْيَقُلْ بِعِلْمِهِ فِيها ثُمَّ كَلَّمَهُمْ عَلَيْهِ السَّلاَمُ بِكَلاَمٍ طَوِيلٍ مِنْ جُمْلَتِهِ أَنْ قالَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ

أَلَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِهِمُ الْمَصَاحِفَ حِيلَةً وَغِيلَةً وَمَكْرًا وَخَدِيعَةً إِخْوَانُنَا وَأَهْلُ دَعْوَتِنَا اسْتَقَالُونَا وَاسْتَرَاحُوا إِلَى كِتَابِ اللهِ سُبْحَانَهُ فَالرَّأْيُ الْقَبُولُ مِنْهُمْ وَالتَّنْفِيسُ عَنْهُمْ فَقُلْتُ لَكُمْ هَذَا أَمْرٌ ظَاهِرُهُ إِيمَانٌ وَبَاطِنُهُ عُدْوَانٌ وَأَوَّلُهُ رَحْمَةٌ وَآخِرُهُ نَدَامَةٌ فَأَقِيمُوا على شَأْنِكُمْ وَالْزَمُوا طَرِيقَتَكُمْ وَعَضُّوا على الْجِهَادِ بِنَوَاجِذِكُمْ وَلاَ تَلْتَفِتُوا الَى نَاعِقٍ نَعَقَ إِنْ أُجِيبَ أَضَلَّ وَإِنْ تُرِكَ ذَلَّ وَقَدْ كانَتْ هَذِهِ الْفَعْلَةُ وَقَدْ رَأَيْتُكُمْ أَعْطَيْتُمُوها ❊ وَاللهِ لَئِنْ أَبَيْتُها ما وَجَبَتْ عَلَيَّ فَرِيضَتُها وَلاَ حَمَّلَنِى اللهُ ذَنْبَها وَوَاللهِ إِنْ جِئْتُها إِنِّى لَلْمُحِقُّ الَّذِى يُتَّبَعُ وَانَّ الْكِتابَ لَمَعِى ما فارَقْتُهُ مُذْ صَحِبْتُهُ فَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وَآلِهِ وَإِنَّ الْقَتْلَ لَيَدُورُ على الآباءِ والأَبْناءِ وَالإِخْوَانِ وَالْقَرَاباتِ فَما نَزْدَادُ على كُلِّ مُصِيبَةٍ وَشِدَّةٍ إِلاَّ إِيمَاناً وَمُضِيًّا

عَلى الحَقِّ وَتَسليماً للأمْرِ وَصَبْراً على مَضَضِ الجِرَاحِ وَلكِنَّا انَّما أصْبَحنا نُقاتِلُ اخْوَانَنا في الإسْلامِ على مادَخَلَ فِيهِ مِنَ الزَّيْغِ والاعْوِجاجِ وَالشُّبْهَةِ وَالتَّأْوِيلِ فاذَا طَمِعْنا في خَصْلَةٍ يَلُمُّ اللهُ بها شَعْثَنَا وَنَتَدَانَى بِها إلى البَقِيَّةِ فِيما بَيْنَنا رَغِبنا فِيها وَأمْسَكنا عمَّا سِوَاها

(الشرح) هذا الكلام يتلو بعضه بعضا ولكنه ثلاثة فصول لا يلتصق أحدها بالآخر وهذه عادة الرضى تراه ينتخب من جملة الخطبة الطويلة كلمات فصيحة يوردها على سبيل التتالى وليست متتالية حين تكلم بها صاحبها وسنقطع كل فصل منها عن صاحبه اذا مررنا على متنها قوله الى معسكرهم الكاف مفتوحة ولا يجوز كسرها وهو موضع العسكر ومحطه وشهد صفين حضرها قال تعالى فمن شهد منكم الشهر قوله فامتازوا أى انفردوا قال الله تعالى وامتازوا اليوم أيها المجرمون قوله حتى أكلم كلا منكم بكلامه أى بالكلام الذى يليق به والغيلة الخداع والناعق المصوت قوله ان أجيب ضل وان ترك ذل هو آخر الفصل الاول وقوله ضل أى ازداد ضلالا لانه قد ضل قبل ان يجاب فأما قوله فلقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله فهو من كلام آخر وهو قائم بنفسه الى قوله ● وصبرا على مضض الجراح ● فهذا آخر الفصل الثانى فاما قوله ● لكنا انما أصبحنا ● فهو كلام ثالث غير منوط بالاولين ولا ملتصق بهما وهو فى الظاهر مخالف ومناقض للفصل الاول لان الفصل الاول فيه انكار الاجابة الى التحكيم وهذا يتضمن تصويبها وظاهر الحال انه بعد كلام طويل وقد قال الرضى رحمه الله فى أول الفصل انه من جملة كلام طويل وانه لما ذكر التحكيم قال ما كان يقوله دائما وهو أنى انما حكمت على ان نعمل فى هذه الواقعة بحكم الكتاب وان كنت أحارب قوما أدخلوا فى الاسلام زيغا وأحدثوا به اعوجاجا فلما دعونى الى تحكيم الكتاب أمسكت عن قتالهم وأبقيت عليهم لانى طمعت فى أمر يلم الله به شعث المسلمين ويتقاربون بطريقة الى البقية وهى الابقاء والكف فان قلت انه قد قال نقاتل اخواننا من المسلمين وأنتم لا تطلقون على أهل الشام المحاربين له لفظة المسلمين قلت انا وان كنا نذهب الى ان صاحب الكبيرة لا يسمى مؤمنا ولا مسلما فانا نجيز أن يطلق عليه هذا اللفظ اذا قصد به تمييزه عن أهل الذمة وعابدى الاصنام فيطلق مع قرينة حال أو لفظ يخرجه عن أن يكون مقصودا به التعظيم والثناء والمدح فان لفظة مسلم ومؤمن تستعمل فى أكثر الاحوال كذلك وأمير المؤمنين عليه السلام لم يقصد بذلك الا تمييزهم من كفار العرب وغيرهم من أهل الشرك ولم يقصد مدحهم بذلك فلم ينكر مع هذا القصد اطلاق لفظ المسلمين عليهم

(الاصل) ﴿ ومن كلامٍ له عليه السلام ﴾

قاله لاصحابه في ساعة الحرب

وَأيُّ امْرِىءٍ مِنْكُمْ أحَسَّ مِنْ نَفْسِهِ رِباطَةَ جاشٍ عِنْدَ اللِّقاءِ ● وَرَأى مِنْ أحَدٍ مِنْ إخْوانِهِ فَشَلاً فَلْيَذُبَّ عَنْ أخِيهِ بِفَضْلِ نَجْدَتِهِ الَّتِي فُضِّلَ بِها عَلَيْهِ كَما يَذُبُّ عَنْ نَفْسِهِ فَلَوْ شاءَ اللهُ لَجَعَلَهُ مِثْلَهُ ● إنَّ المَوْتَ طالِبٌ حَثِيثٌ لاَ يَفُوتُهُ المُقِيمُ وَلاَ يُعْجِزُهُ الهارِبُ ● إنَّ أكْرَمَ المَوتِ القَتْلُ ● وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ أبِي طالِبٍ بِيَدِهِ لألْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مِيتَةٍ على الفِراشِ في غَيْرِ طاعَةِ اللهِ

(الشرح) أحس علم ووجد ورباطة جاش أى شدة قلب والماضى ربط كانه يربط نفسه عن الفرار والمروى رباطة

بالكسر ولا أعرفه نقلا وانما القياس لا يأباه مثل عمر عمارة وخلب خلابة والفشل الجبن وذب الرجل عن صاحبه أى أكثر الذب وهو الدفع والمنع والنجدة الشجاعة والحثيث السريع وفى بعض الروايات فليذب عن صاحبه بالادغام وفى بعضها فليذبب بفك الادغام والميتة بالكسر هيئة الميت كالجلسة والركبة هيئة الجالس والراكب يقال مات فلان ميتة حسنة والمروى فى نهج البلاغة بالكسر فى أكثر الروايات وقد روى من موتة وهو الاليق يعنى المرة الواحدة ليقع فى مقابلة الالف واعلم انه عليه السلام اقسم ان القتل أهون من الموت حتف الانف وذلك على مقتضى ما منحه الله تعالى به من الشجاعة الخارقة لعادة البشر وهو عليه السلام يحاول أن يحض أصحابه ويحرضهم ليجعل طباعهم مناسبة لطباعه واقدامهم على الحرب مماثلا لاقدامه على عادة الامراء فى تحريض جندهم وعسكرهم وهيهات انما هو كما قال أبو الطيب

يكلف سيف الدولة الجيش همه ● وقد عجزت عنه الجيوش الخضارم
ويطلب عند الناس ما عند نفسه ● وذلك ما لا تدعيه الضراغم

ليست النفوس كلها من جوهر واحد ولا الطباع والامزجة كلها من نوع واحد وهذه خاصية توجد لمن يصطفيه الله تعالى من عباده فى الاوقات المتطاولة والدهور المتباعدة وما اتصل بنا نحن من بعد الطوفان فان التواريخ من قبل الطوفان مجهولة عندنا ان أحدا أعطى من الشجاعة والاقدام ما أعطيه هذا الرجل من جميع فرق العالم على اختلافها من الترك والفرس والعرب والروم وغيرهم والمعلوم من حاله انه كان يؤثر الحرب على السلم والموت على الحياة والموت الذى كان يطلبه ويؤثره انما هو القتل بالسيف لا الموت على الفراش كما قال الشاعر

لو لم يمت بين أطراف الرماح اذا ● لمات اذ لم يمت من شدة الحزن

وكما قال الآخر

يستعذبون مناياهم كأنهم ● لا ييأسون من الدنيا اذا قتلوا

فان قلت فما قولك فيما اقسم عليه هل ألف ضربة بالسيف أهون ألما على المقتول من موتة واحدة على الفراش بالحقيقة أم هذا قول قاله على سبيل المبالغة والتجوز ترغيبا لاصحابه الجهاد قلت الحالف يحلف على أحد أمرين أحدهما أن يحلف على ظنه واعتقاده نحو أن يحلف أن زيدا فى الدار أنا حالف ومقسم على انى أظن أن زيدا فى الدار أو انى اعتقد كون زيد فى الدار والثانى أن يحلف لا على ظنه بل يحلف على نفس الامر فى الخارج فان حملنا قسم أمير المؤمنين عليه السلام على المحمل الاول فقد اندفع السؤال لانه عليه السلام قد كان يعتقد ذلك فحلف انه يعتقد وانه يظن ذلك وهذا لا كلام فيه وان حملناه على الثانى فالامر فى الحقيقة يختلف لان المقتول بسيف صارم معجل للزهوق لا يجد من الالم وقت الضربة ما يجده الميت دون النزع من المد والكف نعم قد يجد المقتول قبل الضربة ألم التوقع لها وليس كلامنا فى ذلك بل فى ألم الضربة نفسها وألف سيف صارم مثل سيف واحد اذا فرضنا سرعة الزهوق وأما فى غير هذه الصورة نحو أن يكون السيف كالا ويتكرر الضربات به والحياة باقية بعد وقايسنا بينه وبين ميت يموت حتف أنفه موتا سريعا اما بوقوف القوة الغاذية كما يموت الشيوخ أو باسهال ذريع تسقط معه القوة ويبقى العقل والذهن الى وقت الموت فان الموت ههنا أهون وأقل ألما فالواجب ان يحمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام اما على جهة التحريض فيكون قد بالغ كعادة العرب والخطباء فى المبالغات المجازية واما أن يكون أقسم على انه يعتقد ذلك وهو صادق فيما قسم لانه هكذا كان يعتقد بناء على ما هو مركوز فى طبعه من محبة القتال وكراهية الموت على الفراش وقد روى انه قيل لابى مسلم الخراسانى ان فى بعض الكتب المنزلة من قتل بالسيف فبالسيف يقتل فقال القتل أحب الى من اختلاف الاطباء والنظر فى الماء ومقاساة الدواء والداء فذكر ذلك للمنصور بعد قتل أبى مسلم فقال قد أبلغناه محبته

(الاصل) ﴿ ومن كلام له عليه السلام ﴾

وَكأنِّي أنظُرُ الَيكُمْ تَكِشُّونَ كَشِيشَ الضِّبابِ ● لاَ تَأخُذُونَ حَقّاً وَلاَ تَمْنَعُونَ ضَيماً

قَدْ خَلَّيْتُمْ وَالطَّرِيقَ * فَالنَّجَاةُ لِلْمُقْتَحِمِ وَالْهَلَكَةُ لِلْمُتَلَوِّمِ

(الشرح) الكشيش الصوت يشوبه خور مثل الخشخشة وكشيش الافعى صوتها من جلدها لا من فمها وقد كشت تكش قال الراجز كشيش أفعى أجمعت لعض * وهى تحك بعضها ببعض

يقرع عليه السلام أصحابه بالجبن والفشل و يقول لهم لكأنى أنظر اليكم وأصواتكم غمغمة بينكم من الهلع الذى قد اعتراكم فهى أشبه شئ باصوات الضباب المجتمعة ثم أكد وصف جبنهم حقا وخوفهم فقال لا تأخذون ولا تمنعون ضيما وهذه غاية ما يكون من الذل ثم ترك هذا الكلام وابتدأ فقال قد خليتم وطريق النجاة عند الحرب ودللتم عليها وهى أن تقتحموا وتلحجوا ولا تهنوا فانكم متى فعلتم ذلك نجوتم ومتى تلومتم وتثبطتم وأحجمتم هلكتم ومن هذا المعنى قول الشاعر تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد * لنفسى حياة مثل ان أتقدما

وقال قطرى بن الفجاءة

لا يركنن أحد الى الاحجام * يوم الوغى متخوفا لحمام *

فلقد أرانى للرماح دريئة * من عن يمينى تارة وأمامى

حتى خضبت بما تحدر من دمى * أكناف سرجى أو عنان لجامى

ثم انصرفت وقد أصبت ولم أصب * جذع البصيرة قارح الاقدام

وكتب أبو بكر الى خالد بن الوليد واعلم ان عليك عيونا من الله ترعاك وتراك فاذا لقيت العدو فاحرص على الموت توهب لك الحياة ولا تغسل الشهداء من دمائهم فان دم الشهيد نور له يوم القيامة وقال أبو الطيب

يقتل العاجز الجبان وقد * يعجز عن قطع بخنق المولود

ويوقى الفتى المخش وقد * خوض فى ماء لبة الصنديد

ولهذا المعنى الذى أشار اليه عليه السلام سبب معقول وهو ان المقدم على خصمه يرتاع له خصمه وتنخذل عنه نفسه فتكون النجاة والظفر للمقدم وأما المتلوم عن خصمه المحجم المتهيب له فان نفس خصمه تقوى عليه و يزداد طمعه فيه فيكون الظفر له ويكون العطب والهلاك للمتلوم الهائب

﴿تم الجزء السابع من شرح نهج البلاغة ويليه الجزء الثامن﴾

الجزء الثامن

بسم الله الرحمن الرحيم

(الاصل) (وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ)

في حث أصحابه على القتال

فَقَدِّمُوا الدَّارِعَ وَأَخِّرُوا الْحَاسِرَ وَعَضُّوا عَلَى الْأَضْرَاسِ فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ

والتووا

* وَالْتَوُوا فِي أَطْرَافِ الرِّمَاحِ * فَإِنَّهُ أَمْوَرُ لِلْأَسِنَّةِ وَغُضُّوا الْأَبْصَارَ فَإِنَّهُ أَرْبَطُ لِلْجَأْشِ وَأَسْكَنُ لِلْقُلُوبِ وَأَمِيتُوا الْأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ وَرَايَتَكُمْ فَلَا تُمِيلُوهَا وَلَا تُخِلُّوهَا وَلَا تَجْعَلُوهَا إِلَّا بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ وَالْمَانِعِينَ الذِّمَارَ مِنْكُمْ * فَإِنَّ الصَّابِرِينَ عَلَى نُزُولِ الْحَقَائِقِ هُمُ الَّذِينَ يَحُفُّونَ بِرَايَاتِهِمْ وَيَكْتَنِفُونَهَا حِفَافَيْهَا وَوَرَاءَهَا وَأَمَامَهَا لَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْهَا فَيُسْلِمُوهَا وَلَا يَتَقَدَّمُونَ عَلَيْهَا فَيُفْرِدُوهَا

(الشرح) الدارع لابس الدرع والحاسر الذى لا درع عليه ولا مغفر أمرهم عليه السلام بتقديم المستلئم على غير المستلئم لان سورة الحرب وشدتها تلقى وتصادف الاول فالاول فالواجب أن يكون أول القوم مستلئما وأن يعضوا على الاضراس وقد تقدم شرح هذا وقلنا انه يجوز ان يريد أمرهم بالحنق والجد ويجوز أن يريد ان العض على الاضراس يشد شؤون الدماغ ورباطاته فلا يبلغ السيف منه مبلغه لو صادفه رخوا وأمرهم بأن يلتووا اذا طعنوا لانهم اذا فعلوا ذلك فبالحرى أن يمور السنان أى يتحرك عن موضع الطعنة فيخرج زالقا واذا لم يلتووا لم يمر السنان ولم يتحرك عن موضعه فيخرق وينفذ فيقتل وأمرهم بغض الابصار فى الحرب فانه أربط للجأش أى أثبت للقلب لان الغاض بصره فى الحرب أحرى أن لا يدهش ولا يرتاع لهول ما ينظر وأمرهم باماتة الاصوات واخفائها فانه أطرد للفشل وهو الجبن والخوف وذلك لان الجبان يرعد ويبرق والشجاع صامت وأمرهم بحفظ رايتهم أن لا يميلوها فانها اذا مالت انكسر العسكر لانهم انما ينظرون اليها وأن لا يخلوها من محام عنها وأن لا يجعلوها بايدى الجبناء وذوى الهلع منهم كى لا يخيموا و يجبنوا عن امساكها والذمار ما وراء الرجل مما يحق عليه أن يحميه وسمى ذمارا لانه يجب على أهله التذمر له أى الغضب والحقائق جمع حاقة وهى الامر الصعب الشديد ومنه قول الله تعالى الحاقة ما الحاقة يعنى الساعة ويكتنفونها يحيطون بها وحفافيها جانباها ومنه قول طرفة

كأن جناحى مضرحى تكنفا * حفافيه شكا فى العسيب بمسرد

(الاصل) أَجْزَأَ امْرُؤٌ قِرْنَهُ * وَآسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ وَلَمْ يَكِلْ قِرْنَهُ إِلَى أَخِيهِ فَيَجْتَمِعَ عَلَيْهِ قِرْنُهُ وَقِرْنُ أَخِيهِ وَايْمُ اللهِ لَئِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ سَيْفِ الْعَاجِلَةِ لَا تَسْلَمُوا مِنْ سَيْفِ الْآخِرَةِ وَأَنْتُمْ لَهَامِيمُ الْعَرَبِ * وَالسَّنَامُ الْأَعْظَمُ إِنَّ فِي الْفِرَارِ مَوْجِدَةَ اللهِ * وَالذُّلَّ اللَّازِمَ وَالْعَارَ الْبَاقِيَ وَإِنَّ الْفَارَّ لَغَيْرُ مَزِيدٍ فِي عُمُرِهِ وَلَا مَحْجُوزٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ يَوْمِهِ * الرَّائِحُ إِلَى اللهِ كَالظَّمْآنِ يَرِدُ الْمَاءَ الْجَنَّةُ تَحْتَ أَطْرَافِ الْعَوَالِي * الْيَوْمَ تُبْلَى الْأَخْبَارُ * وَاللهِ لَأَنَا أَشْوَقُ إِلَى لِقَائِهِمْ مِنْهُمْ إِلَى دِيَارِهِمْ اللَّهُمَّ فَإِنْ رَدُّوا الْحَقَّ فَافْضُضْ جَمَاعَتَهُمْ وَشَتِّتْ كَلِمَتَهُمْ وَأَبْسِلْهُمْ بِخَطَايَاهُمْ

(الشرح) من الناس من يجعل هذه الصيغة وهى صيغة الاخبار بالفعل الماضى فى قوله أجزأ امرؤ قرنه فى معنى الامر كأنه قال ليجز كل امرئ قرنه لانه اذا جاز الامر بصيغة الاخبار فى المستقبل جاز الامر بصيغة الماضى وقد جاز

الاول نحو قوله تعالى والوالدات يرضعن أولادهن فوجب أن يجوز الثانى ومن الناس من قال معنى ذلك هلا اجزأ امرؤ قرنه فيكون تحضيضا محذوف الصيغة للعلم بها واجزأ بالهمزة أى كفى وقرنك مقارنك فى القتال أو نحوه وآسى أخاه بنفسه مؤاساة بالهمز أى جعله اسوة نفسه فيه ويجوز واسيت زيدا بالواو وهى لغة ضعيفة ولم يكل قرنه الى أخيه أى لم يدع قرنه ينضم الى قرن أخيه فيصيرا معا فى مقاومة الاخ المذكور وذلك قبيح محرم مثله زيد وعمرو مسلمان ولهما قرنان كافران فى الحرب لا يجوز لزيد ان ينكل عن قرنه فيجتمع قرنه وقرن عمرو على عمرو ثم أقسم عليه السلام انهم ان سلموا من الألم النازل بهم لو قتلوا بالسيف فى الدنيا فانهم لم يسلموا من عقاب الله تعالى فى الآخرة على فرارهم وتخاذلهم وسمى ذلك سيفا على وجه الاستعارة وصناعة الكلام لانه قد ذكر سيف الدنيا فجعل ذلك فى مقابلته واللهاميم السادات الاجواد من الناس والجياد من الخيل الواحد لهموم والسنام الاعظم يريد شرفهم وعلو أنسابهم لان السنام أعلى أعضاء البعير وموجدة الله غضبه وسخطه ويروى والذل اللازم بالذال المعجمة وهو بمعنى اللازم أيضا لذمت المكان بالكسر أى لزمته ثم ذكر أن الفرار لا يزيد فى العمر وقال الراجز

قد علمت حسناء دعجاء المقل ۞ ان الفرار لا يزيد فى الاجل

ثم قال لهم ايكم يروح الى الله فيكون كالظمآن يرد الماء ثم قال الجنة تحت أطراف العوالى وهذا من قول رسول الله صلى الله عليه وآله الجنة تحت ظلال السيوف وسمع بعض الانصار رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم أحد الجنة تحت ظلال السيوف وفى يده تميرات يلوكها فقال بخ بخ ليس بينى وبين الجنة الا هذه التميرات ثم قذفها من يده وكسر جفن سيفه وحمل على قريش فقاتل حتى قتل ثم قال اليوم تبلى الاخبار هذا من قول الله تعالى ونبلو أخباركم أى نختبر أفعالكم ثم دعا على أهل الشام ان ردوا الحق بأن يفض الله جماعتهم أى يهزمهم ويشتت أى يفرق كلمتهم وان يسلمهم بخطاياهم أى يسلمهم لاجل خطاياهم التى اقترفوها ولا ينصرهم أبسلت فلانا اذا أسلمته الى الهلكة فهو مبسل قال تعالى ان تبسل نفس أى تسلم وقال اولئك الذين أبسلوا بما كسبوا أى أسلموا للهلاك لاجل ما كسبوه من الاثم وهذه الالفاظ كلها لا يتلو بعضها بعضا وانما هى منتزعة من كلام طويل انتزعها الرضى رحمه الله واطرح ما عداها

(الاصل) إِنَّهُمْ لَنْ يَزُولُوا عَنْ مَوَاقِفِهِمْ دُونَ طَعْنٍ دِرَاكٍ ۞ يَخْرُجُ مِنْهُ النَّسِيمُ وَضَرْبٍ يَفْلِقُ الْهَامَ وَيُطِيحُ الْعِظَامَ وَيُنْدِرُ السَّوَاعِدَ وَالْأَقْدَامَ ۞ وَحَتَّى يُرْمَوْا بِالْمَنَاسِرِ تَتْبَعُهَا الْمَنَاسِرُ ۞ وَيُرْجَمُوا بِالْكَتَائِبِ تَقْفُوهَا الْحَلَائِبُ ۞ وَحَتَّى يُجَرَّ بِبِلَادِهِمُ الْخَمِيسُ يَتْلُوهُ الْخَمِيسُ وَحَتَّى تَدْعَقَ الْخُيُولُ فِي نَوَاحِرِ أَرْضِهِمْ ۞ وَبِأَعْنَانِ مَسَارِبِهِمْ وَمَسَارِحِهِمْ (قَالَ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ رحمه الله تعالى) ۞ (أَقُولُ الدَّعْقُ الدَّقُّ أَيْ تَدُقُّ الْخُيُولُ بِحَوَافِرِهَا أَرْضَهُمْ وَنَوَاحِرُ أَرْضِهِمْ مُتَقَابِلَاتُهَا وَيُقَالُ مَنَازِلُ بَنِي فُلَانٍ تَتَنَاحَرُ أَيْ تَتَقَابَلُ)

(الشرح) طعن دراك أى متتابع يتلو بعضه بعضا ويخرج منه النسيم أى لسعته ومن هذا النحو قول الشاعر

طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائر ۞ لها نفذ لولا الشعاع أضاءها
ملكت بها كفى فأنهرت فتقها ۞ يرى قائم من دونها ما وراءها

فهذا وصف الطعنة بانها لاتساعها يرى الانسان المقابل لها ببصره ماوراءها وانه لولا شعاع الدم وهو ما تفرق منه لبان منها الضوء وأمير المؤمنين عليه السلام أراد من أصحابه طعنات يخرج النسيم وهو الريح اللينة منهن وفلقت الشئ أفلقه بكسر اللام فلقا أى شققته ويطيح العظام يسقطها طاح الشئ أى سقط أو هلك أو تاه فى الارض وأطاحه

غيره وطوحه ويندر السواعد يسقطها أيضا ندر الشئ يندر ندرا أى سقط ومنه النوادر واندره غيره والساعد من الكوع الى المرفق وهو الذراع والمناسر جمع منسر وهو قطعة من الجيش تكون امام الجيش الاعظم بكسر السين وفتح الميم ويجوز منسر بكسر الميم وفتح السين وقيل انها اللغة الفصحاء ويرجموا أى يغزوا بالكتائب جمع كتيبة وهى طائفة من الجيش تقفوها الحلائب أى تتبعها طوائف لنصرها والمحاماة عنها يقال قد أحلبوا اذا جاؤا من كل أوب للنصرة ورجل محلب أى ناصر وحالبت الرجل اذا نصرته وأعنته وقال الشاعر

ألهفا بقرى سحبل حين أحلبت ۞ علينا الولايا والعدو المباسل

أى أعانت ونصرت والخميس الجيش والدعق قد فسره الرضى رحمه الله ويجوز أن يفسر بامر آخر وهو الهيج والتنفير دعق القوم يدعقهم دعقا أى هاج منهم ونفرهم ونواحر ارضهم قد فسره رحمه الله أيضا ويمكن أن يفسر بامر آخر وهو أن يراد به أقصى أرضهم وآخرها من قولهم لآخر ليلة فى الشهر ناحرة وأعنان مساربهم ومسارحهم جوانبها والمسارب ما يسرب فيه المال الراعى والمسارح مايسرح فيه والفرق بين سرح وسرب أن السروح انما يكون فى أول النهار وليس ذلك بشرط فى السروب ۞ واعلم أن هذا الكلام قاله أمير المؤمنين عليه السلام لاصحابه فى صفين يحرضهم به وقد ذكرنا من حديث صفين فيما تقدم أكثره ونحن نذكر ههنا تتمة القصة ليكون من وقف على ما تقدم وعلى هذا المذكور هنا قد وقف على قصة صفين باسرها اتفق الناس كلهم ان عمارا رضى الله عنه أصيب مع على عليه السلام بصفين وقال كثير منهم بل الاكثر ان أويسا القرنى أصيب أيضا مع على عليه السلام بصفين وذكر ذلك نصر بن مزاحم فى كتاب صفين رواه عن حفص بن عمران البرجمى عن عطاء بن السائب عن أبى البخترى وقد قال رسول الله صلى عليه وآله فى أويس ما قال وقال الناس كلهم ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال ان الجنة لتشتاق الى عمار وروا عنه صلى الله عليه وآله أن عمارا جاء يستأذن عليه فقال ائذنوا له مرحبا بالطيب المطيب وروى سلمة بن كهيل عن مجاهد ان النبى صلى الله عليه وآله رأى عمارا وهو يحمل أحجار المسجد فقال مالهم ولعمار يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار وروى الناس كافة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال له تقتلك الفئة الباغية وروى نصر بن مزاحم فى كتاب صفين عن عمرو بن شمر عن مالك بن أعين عن زيد بن وهب الجهنى أن عمار بن ياسر نادى فى صفين يوما قبل مقتله بيوم أو يومين أين من يبغى رضوان الله عز وجل ولا يؤب الى مال ولا ولد فاتته عصابة من الناس فقال أيها الناس اقصدوا بنا قصد هؤلاء القوم ودفع على عليه السلام الراية الى هاشم بن عتبة بن أبى وقاص وكان عليه ذلك اليوم درعان فقال له على عليه السلام كهيئة المازح أبا هاشم أما تخشى على نفسك أن تكون أعور جبانا قال ستعلم يا أمير المؤمنين والله لألفن بين جماجم العرب لف رجل ينوى الآخرة فأخذ رمحا فهزه فانكسر ثم أخذ آخر فوجده جاسيا فألقاه ثم دعا برمح لين فشد به اللواء قال نصر وحدثنا عمرو قال لما دفع على عليه السلام الراية الى هاشم بن عتبة قال له رجل من أصحابه من بكر بن وائل أقدم هاشم يكررها ثم قال ما لك قد انتفخ سحرك أعورا وجبنا قال من هذا قالوا فلان قال أهلها وخيرها اذا رأيتنى قد صرعت فخذها ثم قال لاصحابه شدوا شسوع نعالكم وشدوا أزركم فاذا رأيتمونى قد هززت الراية ثلاثا فاعلموا أن أحدا منكم لا يسبقنى الى الحملة ثم نظر الى عسكر معاوية فرأى جمعا عظيما فقال من اولئك قيل أصحاب ذى الكلاع ثم نظر فرأى جندا فقال من أولئك قيل قريش وقوم من أهل المدينة فقال قومى لا حاجة لى فى قتالهم من عند هذه القبة البيضاء قيل معاوية وجنده قال فانى أرى دونهم أسودة قيل عمرو بن العاص وابناه ومواليه فأخذ الراية فهزها فقال رجل من أصحابه البث قليلا ولا تعجل فقال هاشم

قد أكثرا لومى وما أقلا ۞ انى شريت النفس لن اعتلا
أعور يبغى أهله محلا ۞ قد عالج الحياة حتى ملا
لا بد أن يفل أو يفلا ۞ أشلهم بذى الكعوب شلا

مع ابن عم أحمد المعلى * أول من صدقه وصلى

قال نصر وحدثنا عبد العزيز بن سياه عن حبيب بن أبى ثابت قال لما تناول هاشم الراية جعل عمار بن ياسر يحرضه على الحرب ويقرعه بالرمح ويقول أقدم يا أعور

* لا خير فى أعور لا يأتى الفزع * فيستحيى من عمار ويتقدم ويركز الراية فاذا ركزها عاوده عمار بالقول فيتقدم أيضا فقال عمرو بن العاص انى لأرى لصاحب الراية السوداء عملا لئن دام على هذا لتفنين العرب اليوم فاقتتلوا قتالا شديدا وعمار ينادى صبرا والله ان الجنة تحت ظلال البيض فكان بازاء هاشم وعمار أبو الاعور السلمى ولم يزل عمار بهاشم ينخسه وهو يزحف بالراية حتى اشتد القتال وعظم والتقى الزحفان واقتتلا قتالا لم يسمع السامعون بمثله وكثرت القتلى فى الفريقين جميعا وروى نصر عن عمرو بن شمر قال حدثنى من أثق به من أهل العراق قال لما التقينا بالقوم فى ذلك اليوم وجدناهم خمسة صفوف فقتلنا صفا ثم صفا ثم خلصنا الى الرابع ما على الارض شامى ولا عراقى يولى دبره وأبو الاعور يقول

اذا ما فررنا كان أسوا فرارنا * صدود الخدود وازورار المناكب

صدود الخدود والقنا متشاجر * ولا تبرح الاقدام عند التضارب

قال نصر والتقت فى هذا اليوم همدان العراق بعك الشام فقال قائلهم

همدان همدان وعك عك * ستعلم اليوم من الأرك

وكانت على عك الدروع وليس عليهم رايات فقالت همدان خدموا القوم أى اضربوا سوقهم فقالت عك بركا كبرك الكمل فبركوا كما يبرك الجمل ثم رموا بالحجر وقالوا لا فرحتى يفر الحكر قال نصر واقتتل الناس من لدن اعتدال النهار الى صلاة المغرب ما كان صلاة القوم الا التكبير عند مواقيت الصلاة ثم ان أهل العراق كشفوا ميمنة أهل الشام فطاروا فى سواد الليل وكشف أهل الشام ميسرة أهل العراق فاختلطوا فى سواد الليل وتبدلت الرايات بعضها ببعض فلما أصبح الناس وجد أهل الشام لواءهم وليس حوله الا الف رجل فاقتلعوه وركزوه من وراء موضعه الاول وأحاطوا به ووجد أهل العراق لواءهم مركوزا وليس حوله الا ربيعة وعلى عليه السلام بينها وهم محيطون به وهو لا يعلم من هم ويظنهم غيرهم فلما أذن مؤذن على عليه السلام الفجر قال على عليه السلام مرحبا بالقائلين عدلا وبالصلاة مرحبا وأهلا ثم وقف وصلى الفجر فلما انفتل أبصر وجوها ليست بوجوه أصحابه بالامس واذا مكانه الذى هو فيه ما بين الميسرة الى القلب فقال من القوم قالوا ربيعة وانك يا أمير المؤمنين لعندنا منذ الليلة فقال فخر طويل لك يا ربيعة ثم قال لهاشم بن عتبة خذ اللواء فوالله ما رأيت مثل هذه الليلة فخرج هاشم باللواء حتى ركزه فى القلب قال نصر حدثنا عمرو ابن شمر عن الشعبى قال عبى معاوية تلك الليلة أربعة آلاف وثلثمائة من فارس وراجل معلمين بالخضرة وأمرهم أن يأتوا عليا عليه السلام من ورائه ففطنت لهم همدان فواجهوهم وصمدوا اليهم فباتوا تلك الليلة يتحارسون وعلى عليه السلام قد أفضى به ذهابه ومجيئه الى رايات ربيعة فوقف بينها وهو لا يعلم ويظن أنه فى عسكر الاشعث فلما أصبح لم ير الأشعث ولا أصحابه ورأى سعيد بن قيس الهمدانى على مركزه فجاء الى سعيد رجل من ربيعة يقال له زفر فقال ألست القائل بالامس لئن لم تنته ربيعة لتكونن ربيعة ربيعة وهمدان همدان فما أغنت همدان البارحة فنظر اليه على عليه السلام نظر منكر ونادى منادى على عليه السلام ان اتعدوا للقتال واغدوا عليه وانهدوا الى عدوكم فكلهم تحرك الا ربيعة لم تتحرك فبعث اليهم على عليه السلام ان انهدوا الى عدوكم فأبوا فبعث اليهم أبا ثروان فقال ان أمير المؤمنين عليه السلام يقرئكم السلام ويقول لكم يا معشر ربيعة ما لكم لا تنهدون الى عدوكم وقد نهد الناس قالوا كيف تنهد وهذه الخيل من وراء ظهرنا قل لأمير المؤمنين فليأمر همدان أو غيرها بمناجزتهم لننهد فرجع أبو ثروان الى على عليه السلام فاخبره فبعث اليهم الاشتر فقال يا معشر ربيعة ما منعكم أن تنهدوا وقد نهد الناس وكان جهير الصوت وأنتم أصحاب كذا وأصحاب كذا فجعل يعدد أيامهم فقالوا لسنا نفعل حتى ننظر ما تصنع هذه الخيل التى خلف ظهورنا وهى أربعة آلاف قل لأمير المؤمنين

فليبعث

فليبعث اليهم من يكفيه أمرهم وراية ربيعة يومئذ مع الحصين بن المنذر فقال لهم الاشتر فان أمير المؤمنين يقول لكم اكفونيها انكم لو بعثتم اليهم طائفة منكم لتركوكم فى هذه الفلاة وفروا كاليعافير فوجهت حينئذ ربيعة اليهم تيم الله والنمر بن قاسط وعنزة قالوا فمشينا اليهم مستلئمين مقنعين فى الحديد وكان عامة قتال صفين مشيا قال فلما أتيناهم هربوا وانتشروا انتشار الجراد فذكرت قوله وفروا كاليعافير ثم رجعنا الى أصحابنا وقد نشب القتال بينهم وبين أهل الشام وقد اقتطع أهل الشام طائفة من أهل العراق بعضها من ربيعة فأحاطوا بها فلم نصل اليها حتى حملنا على أهل الشام فعلوناهم بالاسياف حتى انفرجوا لنا فأفضينا الى أصحابنا فاستنقذناهم وعرفناهم تحت النقع بسيماهم وعلامتهم وكانت علامة أهل العراق بصفين الصوف الابيض قد جعلوه فى رؤسهم وعلى أكتافهم وشعارهم يا الله يا الله يا أحد يا صمد يا رب محمد يا رحمن يا رحيم وكانت علامة أهل الشام خرقا صفراء قد جعلوها على رؤسهم وأكتافهم وشعارهم نحن عباد الله حقا حقا يا لثارات عثمان قال نصر فاجتلدوا بالسيوف وعمد الحديد فلم يتحاجزوا حتى حجز بينهم الليل وما يرى رجل من هؤلاء ومن هؤلاء موليا قال نصر حدثنا عمر بن سعد قال كانوا عربا يعرف بعضهم بعضا فى الجاهلية وانهم لحديثو عهد بها فالتقوا فى الاسلام وفيهم بقايا تلك الحمية وعند بعضهم بصيرة الدين والاسلام فتضاربوا واستحيوا من الفرار حتى كادت الحرب تبيدهم وكانوا اذا تحاجزوا دخل هؤلاء عسكر هؤلاء فيستخرجون قتلاهم فيدفنونهم قال نصر فحدثنا عمر بن سعد قال فبينا على عليه السلام واقفا بين جماعة من همدان وحمير وغيرهم من أفناء قحطان اذ نادى رجل من أهل الشام من دل على أبى نوح الحميرى فقيل له قد وجدته فاذا تريد قال فحسر عن لثامه فاذا هو ذو الكلاع الحميرى ومعه جماعة من أهله ورهطه فقال لابى نوح سر معى قال الى اين قال الى ان تخرج عن الصف قال وما شأنك قال ان لى اليك لحاجة فقال أبو نوح معاذ الله ان أسير اليك الا فى كتيبة قال ذو الكلاع بلى فسر فلك ذمة الله وذمة رسوله وذمة ذى الكلاع حتى ترجع الى خيلك فانما اريد ان أسألك عن أمر فيكم تماريتم فيه فسار أبو نوح وسار ذو الكلاع فقال له انما دعوتك أحدثك حديثا حدثناه عمرو بن العاص قديما فى خلافة عمر بن الخطاب ثم أذكرناه الآن به فاعاده انه يزعم انه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله قال يلتقى أهل الشام وأهل العراق وفى احدى الكتيبتين الحق وامام الهدى ومعه عمار بن ياسر فقال أبو نوح نعم والله انه لفينا قال نشدتك الله أجاد هو على قتالنا قال أبو نوح نعم ورب الكعبة لهو أشد على قتالكم منى ولوددت انكم خلق واحد فذبحته وبدأت بك قبلهم أنت وابن عمى قال ذو الكلاع ويلك علام تمنى ذلك منا فوالله ما قطعتك فيما بينى وبينك قط وان رحمك لقريبة وما يسرنى ان أقتلك قال أبو نوح ان الله قطع بالاسلام ارحاما قريبة ووصل به ارحاما متباعدة وانى قاتلك وأصحابك لانا على الحق وأنتم على الباطل قال ذو الكلاع فهل تستطيع ان تأتى معى صف أهل الشام فانا لك جار منهم حتى تلقى عمرو بن العاص فتخبره بحال عمار وجده فى قتالنا لعله أن يكون صلح بين هذين الجندين قلت واعجباه من قوم يعتريهم الشك فى أمرهم لمكان عمار ولا يعتريهم الشك لمكان على عليه السلام ويستدلون على أن الحق مع أهل العراق بكون عمار بين أظهرهم ولا يعبؤن بمكان على عليه السلام ويحذرون من قول النبى صلى الله عليه وآله تقتلك الفئة الباغية ويرتاعون لذلك ولا يرتاعون لقوله صلى الله عليه وآله فى على عليه السلام اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ولا لقوله لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق وهذا يدلك على أن عليا عليه السلام اجتهدت قريش كلها من مبدأ الامر فى اخمال ذكره وستر فضائله وتغطية خصائصه حتى محى فضله ومرتبته من صدور الناس كافة الا قليلا منهم قال نصر فقال له أبو نوح انك رجل غادر وأنت فى قوم غدر وان لم ترد الغدر أغدروك وانى أن أموت أحب الى من ان ادخل مع معاوية فقال ذو الكلاع انا جار لك من ذلك ان لا تقتل ولا تسلب ولا تكره على بيعة ولا تحبس عن جندك وانما هى كلمة تبلغها عمرو بن العاص لعل الله أن يصلح بذلك بين هذين الجندين ويضع عنهم الحرب والقتال فقال أبو نوح انى اخاف غدراتك وغدرات أصحابك قال ذو الكلاع انا لك بما قلت زعيم قال أبو نوح اللهم انك ترى ما اعطانى ذو الكلاع وأنت تعلم ما فى نفسى فاعصمنى

واختر لى وانصرنى وادفع عنى ثم سار مع ذى الكلاع حتى أتى عمرو بن العاص وهو عند معاوية وحوله الناس وعبد الله
ابن عمرو يحرض الناس على الحرب فلما وقفا على القوم قال ذو الكلاع لعمرو يا أبا عبد الله هل لك فى رجل ناصح لبيب
مشفق يخبرك عن عمار بن ياسر فلا يكذبك قال ومن هو قال هو ابن عمى هذا وهو من أهل الكوفة فقال عمرو أرى
عليك سيما أبى تراب فقال أبو نوح على سيما محمد وأصحابه وعليك سيما أبى جهل وسيما فرعون فقام أبو الاعور فسل
سيفه وقال لا أرى هذا الكذاب اللئيم يسبنا بين أظهرنا وعليه سيما أبى تراب فقال ذو الكلاع أقسم بالله لئن بسطت
يدك اليه لاحطمن أنفك بالسيف ابن عمى وجارى عقدت له ذمتى وجئت به اليكم ليخبركم عما تماريتم فيه فقال له
عمرو بن العاص يا أبا نوح أذكرك بالله الا ما صدقتنا ولم تكذبنا أفيكم عمار بن ياسر قال أبو نوح ما أنا بمخبرك حتى
تخبرنى لم تسأل عنه ومعنا من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله عدة غيره وكلهم جاد على قتالكم فقال عمرو سمعت رسول
الله صلى الله عليه وآله يقول ان عمارا تقتله الفئة الباغية وانه ليس لعمار أن يفارق الحق ولن تأكل النار من عمار شيأ
فقال أبو نوح لا اله الا الله والله أكبر والله انه لفينا جاد على قتالكم فقال عمرو والله الذى لا اله الا هو انه لجاد على قتالنا
قال نعم والله الذى لا اله الا هو ولقد حدثنى يوم الجمل انا سنظهر على أهل البصرة ولقد قال لى أمس انكم لو ضربتمونا
حتى تبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا انا على الحق وانكم على الباطل ولكانت قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار قال
عمرو فهل تستطيع ان تجمع بينى وبينه قال نعم فركب عمرو بن العاص وابناه وعتبة بن أبى سفيان وذو الكلاع وأبو
الاعور السلمى وحوشب والوليد بن عقبة وانطلقوا وسار أبو نوح ومعه شرحبيل بن ذى الكلاع يحميه حتى انتهى
الى أصحابه فذهب أبو نوح الى عمار فوجده قاعدا مع أصحاب له منهم الاشتر وهاشم وابنا بديل وخالد بن معمر وعبد الله
ابن حجل وعبد الله بن العباس فقال لهم أبو نوح انه دعانى ذو الكلاع وهو ذو رحم فقال أخبرنى عن عمار بن ياسر أفيكم
هو فقلت لم تسأل فقال أخبرنى عمرو بن العاص فى امرة عمر بن الخطاب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول
يلتقى أهل الشام وأهل العراق وعمار مع أهل الحق وتقتله الفئة الباغية فقلت نعم ان عمارا فينا فسألنى أجاد هو على قتالنا
فقلت نعم والله انه لاجد منى فى ذلك ولوددت انكم خلق واحد فذبحته وبدأت بك يا ذا الكلاع فضحك عمار وقال
أيسرك ذلك قال نعم ثم قال أبو نوح أخبرنى الساعة عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول تقتل
عمارا الفئة الباغية قال عمار أقررته بذلك قال نعم لقد قررته بذلك فأقر فقال عمار صدق وليضرنه ما سمع ولا ينفعه
قال أبو نوح فانه يريد أن يلقاك فقال عمار لاصحابه اركبوا فركبوا وساروا قال فبعثنا اليهم فارسا من عبد القيس يسمى
عوف بن بشر فذهب حتى اذا كان قريبا منهم نادى أين عمرو بن العاص قالوا ههنا فأخبره بمكان عمار وخيله قال عمرو
قل له فليسر الينا قال عوف انه يخاف غدراتك وفجراتك قال عمرو ما أجرأك على وأنت على هذه الحال قال عوف
جرأنى عليك بصرى فيك وفى أصحابك وان شئت نابذتك الآن على سواء فقال عمرو انك لسفيه وانى باعث اليك رجلا
من أصحابى يوافقك قال ابعث من شئت فلست بالمستوحش وانك لا تبعث الا شقيا فرجع عمرو وأنفذ اليه أبا الاعور فلما
تواقفا تعارفا فقال عوف انى لاعرف الجسد وأنكر القلب وانى لا أراك مؤمنا ولا أراك الا من أهل النار قال أبو الاعور
يا هذا لقد أعطيت لسانا يكبك الله به على وجهك فى النار قال عوف كلا والله انى لا تكلم بالحق وتتكلم بالباطل وانى
أدعوك الى الهدى وأقاتلك على الضلال وأفر من النار وأنت بنعمة الله ضال تنطق بالكذب وتقاتل على ضلالة وتشترى
العقاب بالمغفرة والضلالة بالهدى انظر الى وجوهنا ووجوهكم وسيمانا وسيماكم واسمع دعوتنا ودعوتكم فليس أحد منا الا
وهو أولى بالحق وبمحمد وأقرب اليه منكم فقال أبو الاعور لقد أكثرت الكلام وذهب النهار ويحك ادع أصحابك وأدعو
أصحابى وليأت أصحابك فى قلة ان شاؤا أو كثرة فانى أجيء من أصحابى بعدتهم فسار عمار فى اثنى عشر فارسا حتى اذا
كانوا بالمنصف سار عمرو بن العاص فى اثنى عشر فارسا حتى اختلفت أعناق الخيل خيل عمار وخيل عمرو ونزل القوم
واحتبوا بحمائل سيوفهم فتشهد عمرو بن العاص فقال له عمار اسكت فلقد تركتها وأنا أحق بها منك فان شئت كانت

خصومة فيدفع حقنا باطلك وان شئت كانت خطبة فنحن أعلم بفصل الخطاب منك وان شئت أخبرتك بكلمة تفصل
بيننا وبينك وتكفرك قبل القيام وتشهد بها على نفسك ولا تستطيع أن تكذبنى فيها فقال عمرو يا أبا اليقظان ليس لهذا
جئت انما جئت لانى رأيتك أطوع أهل هذا العسكر فيهم أذكرك الله الا كففت سلاحهم وحقنت دماءهم وحرصت
على ذلك فعلام تقاتلوننا أولسنا نعبد الها واحدا ونصلى الى قبلتكم وندعو دعوتكم ونقرأ كتابكم ونؤمن بنبيكم فقال
عمار الحمد لله الذى أخرجها من فيك انها لى ولاصحابى القبلة والدين وعبادة الرحمن والنبى والكتاب من دونك ودون
أصحابك الحمد لله الذى قررك لنا بذلك وجعلك ضالا مضلا أعمى وسأخبرك على ما أقاتلك عليه وأصحابك ان رسول
الله صلى الله عليه وآله أمرنى ان أقاتل الناكثين فقد فعلت وأمرنى ان أقاتل القاسطين وأنتم هم وأما المارقون
فلا أدرى أدركهم أو لا أيها الابتر ألست تعلم ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من
والاه وعاد من عاداه فأنا مولى الله ورسوله وعلى مولاى بعدهما قال عمرو لم تشتمنى يا أبا اليقظان ولست أشتمك قال عمار
وبم تشتمنى أتستطيع أن تقول انى عصيت الله ورسوله يوما قط قال عمرو ان فيك لمساب سوى ذلك قال عمار ان الكريم
من أكرمه الله وضيعا كنت فرفعنى الله ومملوكا فأعتقنى الله وضعيفا فقوانى الله وفقيرا فأغنانى الله قال عمرو فما ترى
فى قتل عثمان قال فتح لكم باب كل سوء قال عمرو فعلى قتله قال عمار بل الله رب على قتله وعلى معه قال عمرو فكنت
فيمن قتله قال كنت مع من قتله وأنا اليوم أقاتل معهم قال عمرو فلم قتلتموه قال عمار انه أراد ان يغير ديننا فقتلناه فقال
عمرو ألا تسمعون قد اعترف بقتل امامكم فقال عمار قد قالها فرعون قبلك لقومه ألا تسمعون فقام أهل الشام ولهم
زجل فركبوا خيولهم ورجعوا وقام عمار وأصحابه فركبوا خيولهم ورجعوا وبلغ معاوية ما كان بينهم فقال هلكت
العرب ان حركتهم خفة العبد الاسود يعنى عمارا قال نصر فحدثنا عمرو بن شمر قال فخرجت الخيول الى القتال
واصطفت بعضها لبعض وتزاحف الناس وعلى عمار درع بيضاء وهو يقول أيها الناس الرواح الى الجنة فقاتل القوم قتالا
شديدا لم يسمع السامعون بمثله وكثرت القتلى حتى ان كان الرجل ليشد طنب فسطاطه بيد الرجل أو برجله وحكى
الاشعث بعد ذلك قال لقد رأيت أخبية صفين وأروقتها وما فيها خباء ولا رواق ولا فسطاط الا مربوطا بيد انسان أو برجله
قال نصر وجعل أبو السماك الاسدى يأخذ اداوة من ماء وشفرة حديدة فيطوف فى القتلى فاذا رأى رجلا جريحا وبه رمق
أقعده فيقول له من أمير المؤمنين فاذا قال على غسل الدم عنه وسقاه من الماء وان سكت وجأه بالسكين حتى يموت
ولا يسقيه قال نصر وحدثنا عمرو بن شمر عن جابر قال سمعت الشعبى يقول قال الاحنف بن قيس والله انى الى جانب
عمار بن ياسر فتقدمنا حتى دنونا من هاشم بن عتبة فقال له عمار احمل فداك أبى وأمى فقال له هاشم يرحمك الله يا أبا
اليقظان انك رجل تأخذك خفة فى الحرب وانى انما أزحف باللواء زحفا أرجو أن أنال بذلك حاجتى وان خففت لم آمن
من الهلكة وقد كان قال معاوية لعمرو ويحك ان اللواء اليوم مع هاشم بن عتبة وقد كان من قبل يرقل به ارقالا وان
زحف به اليوم زحفا انه لليوم الاطول على أهل الشام فان زحف فى عنق من أصحابه انى لاطمع ان تقتطع فلم يزل به عمار
حتى حمل فبصر به معاوية فوجه اليه حماة أصحابه ومن يزن بالبأس والنجدة منهم فى ناحية وكان فى ذلك الجمع عبد الله
ابن عمرو بن العاص ومعه يومئذ سيفان قد تقلد باحدهما وهو يضرب بالآخر فأطافت به خيول على عليه السلام وجعل
عمرو يقول يا الله يا رحمن ابنى ابنى فيقول معاوية اصبر فلا بأس عليه فقال عمرو لو كان يزيد بن معاوية أصبرت فلم يزل حماة
أهل الشام تذب عن عبد الله حتى نجا هاربا على فرسه قال نصر وحدثنا عمر بن سعد قال وفى هذا اليوم قتل عمار بن
ياسر رضى الله عنه أصيب فى المعركة وقد كان قال حين نظر الى راية عمرو بن العاص والله انها لراية قد قاتلتها ثلاث عركات
وما هذه بأرشدهن ثم قال

نحن ضربناكم على تأويله * كما ضربناكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله * و يذهل الخليل عن خليله
* أو يرجع الحق الى سبيله *

ثم استسقى وقد اشتد عطشه فأتته امرأة طويلة اليدين ماأدرى أعس معها أم اداوة فيها ضياح من لبن فقال حين شرب الجنة تحت الاسنه ٭ اليوم ألقى الاحبه ٭ محمدا وحزبه ٭ والله لوضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا انا على الحق وانهم على الباطل ثم حمل وحمل عليه ابن حوى السكسكى وأبو العادية فاما أبو العادية فطعنه وأما ابن حوى فاحتز رأسه وقد كان ذوالكلاع يسمع عمرو بن العاص يقول ان النبى صلى الله عليه وآله يقول لعمار تقتلك الفئة الباغية وآخر شربك ضياح من لبن فقال ذوالكلاع لعمرو ويحك ماهذا قال عمرو انه سيرجع الينا ويفارق أباتراب وذلك قبل ان يصاب عمار فلما أصيب عمار فى هذا اليوم أصيب ذوالكلاع فقال عمرو لمعاوية والله ماأدرى بقتل أيهما أنا أشد فرحا والله لو بقى ذوالكلاع حتى يقتل عمار لمال بعامة قومه الى على عليه السلام ولأفسد علينا أمرنا قال نصر وحدثنا عمر بن سعد قال كان لايزال رجل يجىء فيقول لمعاوية وعمرو أنا قتلت عمارا فيقول له عمرو فما سمعته يقول فيخلط حتى أقبل ابن حوى فقال أنا قتلته فقال عمرو فما كان آخر منطقه قال سمعته يقول اليوم ألقى الاحبه ٭ محمدا وحزبه فقال صدقت أنت صاحبه أما والله ماظفرت يداك ولقد أسخطت ربك قال نصر حدثنا عمرو بن شمر قال حدثنى اسمعيل السدى عن عبد خير الهمدانى قال نظرت الى عمار بن ياسر يوما من أيام صفين فرمى رمية فأغمى عليه فلم يصل الظهر ولا العصر ولا المغرب ولا العشاء ولا الفجر ثم أفاق فقضاهن جميعا يبدأ بأول شىء فاته ثم بالتى تليها قال نصر وحدثنا عمرو ابن شمر عن السدى عن أبى حريث قال أقبل غلام لعمار بن ياسر اسمه راشد اليه يوم قتل بشربة من لبن فقال عمار أما انى سمعت خليلى رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ان آخر زادك من الدنيا شربة لبن قال نصر وروى عمرو بن شمر عن السدى ان رجلين بصفين اختصما فى سلب عمار وفى قتله فأتيا عبدالله بن عمرو بن العاص فقال ويحكما اخرجا عنى فان رسول الله صلى الله عليه وآله قال مالقريش ولعمار يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار قاتله وسالبه فى النار قال السدى فبلغنى ان معاوية قال لما سمع ذلك انما قتله من أخرجه يخدع بذلك طغام أهل الشام قال نصر وحدثنا عمرو عن جابر عن أبى الزبير قال أتى حذيفة بن اليمان رهط من جهينة فقالوا له ياأبا عبدالله ان رسول الله صلى الله عليه وآله استجار من ان تصطلم أمته فأجير من ذلك واستجار من أن يذيق أمته بعضها بأس بعض فمنع من ذلك فقال حذيفة انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ان ابن سمية لم يخير بين أمرين قط الا اختار أرشدهما يعنى عمارا فالزموا سمته قال نصر وحدثنا عمرو بن شمر قال حمل عمار ذلك اليوم على صف أهل الشام وهو يرتجز

كلا ورب البيت لاأبرح أجى ٭ حتى أموت أوأرى ماأشتهى
لاأفتأ الدهر أحامى عن على ٭ صهر الرسول ذى الامانات الوفى
ينصرنا رب السموات العلى ٭ ويقطع الهام بحد المشرفى
يمنحنا النصر على من يبتغى ٭ ظلما علينا جاهدا مايأتلى

قال فضرب أهل الشام حتى اضطرهم الى الفرار ٭ قال نصر وقد كان عبدالله بن سويد الحميرى من آل ذى الكلاع قال لذى الكلاع ماحديث سمعته من ابن العاص فى عمار فأخبره فلما قتل عمار خرج عبدالله ليلا يمشى فأصبح فى عسكر على عليه السلام وكان عبدالله من عباد أهل زمانه وكاد أهل الشام ان يضطربوا لولا ان معاوية قال لهم ان عليا قتل عمارا لانه أخرجه الى الفتنة ثم أرسل معاوية الى عمرو لقد أفسدت على أهل الشام أكل ماسمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله تقوله فقال عمرو قلتها ولست أعلم الغيب ولاأدرى أن صفين تكون قلتها وعمار يومئذ لك ولى وقد رويت أنت فيه مثل مارويت فغضب معاوية وتنمر لعمرو وعزم على منعه خيره فقال عمرو لابنه وأصحابه لاخير فى جوار معاوية ان تجلت هذه الحرب عنه لأفارقنه وكان عمرو حمى الانف قال

تعاتبنى أن قلت شيأ سمعته ٭ وقد قلت لوأنصفتنى مثله قبلى
أنعلك فيما قلت نعل ثبيتة ٭ وتزلق بى فى مثل ماقلته نعلى
وما كان لى علم بصفين انها ٭ تكون وعمار يحث على قتلى

ولو كان لى بالغيب علم كتمتها ٭ وكابدت أقواما مراجلهم تغلى
أبى الله الا أن صدرك واغر ٭ على بلا ذنب جنيت ولاذحل
سوى اننى والراقصات عشية ٭ بنصرك مدخول الهوى ذاهل العقل
فلا وضعت عندى حصان قناعها ٭ ولا حملت وجناء ذعلبة رحلى
ولا زلت أدعى فى لؤى بن غالب ٭ قليلا غنائى لاأمر ولا أحلى
ان الله أرخى من خناقك مرة ٭ ونلت الذى رجيت ان لم أذر أهلى
واترك لك الشام التى ضاق رحبها ٭ عليك ولم يهنك بها العيش من أجلى

فأجابه معاوية

الآن لما ألقت الحرب بركها ٭ وقام بنا الامر الجليل على رجل
غمزت قناتى بعد ستين حجة ٭ تباعا كأنى لاأمر ولاأحلى
أتيت بأمر فيه للشام فتنة ٭ وفى دون ماأظهرته زلة النعل
فقلت لك القول الذى ليس ضائرا ٭ ولوضر لم يضررك حملك لى ثقلى
تعاتبنى فى كل يوم وليلة ٭ كأن الذى أبليك ليس كما أبلى
فياقبح الله العتاب وأهله ٭ ألم تر ماأصبحت فيه من الشغل
فدع ذا ولكن هل لك اليوم حيلة ٭ تردبها قوما مراجلهم تغلى
دعاهم على فاستجابوا لدعوة ٭ أحب اليهم من ثرى المال والاهل
اذا قلت هابوا حومة الموت أرقلوا ٭ الى الموت ارقال الهلوك الى الفحل

قال فلما أتى عمرا شعر معاوية أتاه فأعتبه وصار أمرهما واحدا قال نصر ثم ان عليا عليه السلام دعا فى هذا اليوم هاشم ابن عتبة ومعه لواؤه فقال له ياهاشم لاجهدن حتى تتقى فقال هاشم اذا لاأرجع اليك أبدا فقال على عليه السلام ان بازائك ذا الكلاع وعنده الموت الاحمر فتقدم هاشم فلما أقبل قال معاوية من هذا المقبل فقيل هاشم المرقال فقال أعور بنى زهرة قاتله الله فأقبل هاشم وهو يقول

أعور يبغى نفسه خلاصا ٭ مثل الفنيق لابسا دلاصا
لادية يخشى ولاقصاصا ٭ كل امرىء وان نجى وحاصا
٭ ليس يرى من يومه مناصا ٭

فحمل صاحب لواء ذى الكلاع وهو رجل من عذرة فقال

ياأعور العين ومابى من عور ٭ أثبت فانى لست من فرعى مضر
نحن اليمانون ومافينا خور ٭ كيف ترى وقع غلام من عذر
ينعى ابن عفان ويلحى من غدر ٭ سيان عندى من سعى ومن أمر

فاختلفا طعنتين فطعنه هاشم فقتله وكثرت القتلى حول هاشم وحمل ذوالكلاع واختلط الناس واجتلدوا فقتل هاشم وذوالكلاع جميعا وأخذ عبدالله بن هاشم اللواء وارتجز فقال

ياهاشم بن عتبة بن مالك ٭ اعزز بشيخ من قريش هالك
تخبطه الخيلان بالسنابك ٭ فى أسود من نقعهن حالك
ابشر بحور العين فى الارائك ٭ والروح والريحان عند ذلك

قال نصر وحدثنا عمر بن سعد عن الشعبى قال أخذ عبدالله بن هاشم بن عتبة راية أبيه ثم قال أيها الناس ان هاشما كان عبدا من عباد الله الذى قدر أرزاقهم وكتب آثارهم وأحصى أعمالهم وقضى آجالهم فدعاه الله ربه فاستجاب له وسلم لامره وجاهد فى طاعة ابن عم رسوله أول من آمن به وأفقههم فى دين الله الشديد على أعداء الله المستحلين حرم الله الذين

عملوا فى البلاد بالجور والفساد واستحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله وزين لهم الاثم والعدوان فحق عليكم جهاد من خالف الله وعطل حدوده وأبعد أولياءه جودوا بمهجكم فى طاعة الله فى هذه الدنيا تصيبوا الآخرة والمنزل الاعلى والابد الذى لا يفنى فوالله لولم يكن ثواب ولا عقاب ولا جنة ولا نار لكان القتال مع على أفضل من القتال مع معاوية فكيف وأنتم ترجون ماترجون قال نصر وحدثنا عمرو بن شمر قال لما انقضى أمر صفين وسلم الحسن عليه السلام الامر الى معاوية ووفدت عليه الوفود أشخص عبد الله بن هاشم اليه أسيرا فلما مثل بين يديه وعنده عمرو بن العاص قال يا أمير المؤمنين هذا المختال ابن المرقال فدونك الضب المضب المغتر المفتون فاقتله فان العصا من العصية وانما تلد الحية حيية وجزاء السيئة سيئة مثلها فقال عبد الله ان تقتلنى فما أنا باول رجل خذله قومه وأسلمه يومه فقال عمرو يا أمير المؤمنين أمكنى منه أشخب أوداجه على أثباجه فقال عبد الله فهلا كانت هذه الشجاعة منك يا ابن العاص فى أيام صفين ونحن ندعوك الى النزال وقد ابتلت أقدام الرجال من نقيع الجريال وقد تضايقت بك المسالك وأشرفت منها على المهالك وايم الله لولا مكانك منه لرميتك باحد من وقع الاشافى فانك لا تزال تكثر فى هوسك وتخبط فى دهشك وتنشب فى مرسك فامر معاوية به الى الحبس فكتب عمرو الى معاوية

أمرتك أمرا حازما فعصيتنى * وكان من التوفيق قتل ابن هاشم
وكان أبوه يا معاوية الذى * رماك على حرب بحز الغلاصم
فقتلنا حتى جرت من دمائنا * بصفين أمثال البحور الخضارم
وهذا ابنه والمرء يشبه أصله * ستقرع ان أبقيته سن نادم

فبعث معاوية بالشعر الى عبد الله بن هاشم بالسجن فكتب فى جوابه من السجن

معاوى ان المرء عمرا أبت له * ضغينة صدر ودها غير سالم
يرى لك قتلى يا ابن حرب وانما * يرى مايرى عمرو ملوك الاعاجم
على انهم لا يقتلون أسيرهم * اذا كان فيه منعة للمسالم
وقد كان منا يوم صفين نفرة * عليك جناها هاشم وابن هاشم
قضى الله فيها ماقضى ثمت انقضى * وما ان مضى الا كاضغاث حالم
فان تعف عنى تعف عن ذى قرابة * وان ترقتلى تستحل محارمى

هذه رواية نصر بن مزاحم وروى أبو عبيد الله محمد بن موسى بن عبيد الله المرزبانى ان معاوية لما تم له الامر بعد وفاة على عليه السلام بعث زيادا على البصرة ونادى منادى معاوية أمن الاسود والاحمر بامان الله الا عبد الله بن هاشم بن عتبة فمكث معاوية يطلبه أشد الطلب ولا يعرف له خبرا حتى قدم عليه رجل من أهل البصرة فقال له أنا أدلك على عبد الله بن هاشم بن عتبة اكتب الى زياد فانه عند فلانة المخزومية فدعا كاتبه فكتب من معاوية بن أبى سفيان أمير المؤمنين الى زياد بن أبى سفيان أما بعد فاذا أتاك كتابى هذا فاعمد الى حى بنى مخزوم ففتشه دارا دارا حتى تأتى الى دار فلانة المخزومية فاستخرج عبد الله بن هاشم المرقال منها فاحلق رأسه وألبسه جبة شعر وقيده وغل يده الى عنقه واحمله على قتب بعير بغير وطاء ولا غطاء وانفذ به الى قال المرزبانى فاما الزبير بن بكار فانه قال ان معاوية قال لزياد لما بعثه الى البصرة ان عبد الله بن المرقال فى بنى ناجية بالبصرة عند امرأة منهم يقال لها فلانة وأنا أعزم عليك الا حطت رحلك ببابها ثم اقتحمت الدار واستخرجته منها وحملته الى فلما دخل زياد الى البصرة سأل عن بنى ناجية وعن منزل المرأة فاقتحم الدار واستخرج عبد الله منها فانفذه الى معاوية فوصل اليه يوم الجمعة وقد لاقى نصبا كثيرا ومن الهجير ماغير جسمه وكان معاوية يأمر بطعام فيتخذ فى كل جمعة لاشراف قريش ولاشراف الشام ووفود العراق فلم يشعر معاوية الا وعبد الله بين يديه وقد ذبل وسهم وجهه فعرفه ولم يعرفه عمرو بن العاص فقال معاوية يا أبا عبد الله أتعرف هذا الفتى قال لا قال هذا ابن الذى كان يقول فى صفين

أعور يبغى أهله محلا * قد عالج الحياة حتى ملا * لا بد أن يفل أو يفلا

قال عمرو وانه لهو دونك الضب المضب فاشخب أوداجه ولا ترجعه الى أهل العراق فانهم أهل فتنة ونفاق وله مع ذلك هوى يرديه وبطانة تغويه فوالذى نفسى بيده لئن أفلت من حبائلك ليجهزن اليك جيشا تكثر صواهله لشر يوم لك فقال عبد الله وهو فى القيد يا ابن الابتر هلا كانت هذه الحماسة عندك يوم صفين ونحن ندعوك الى البراز وتلوذ بشمائل الخيل كالامة السوداء والنعجة القوداء أما انه ان قتلنى قتل رجلا كريم المخبرة حميد المقدرة ليس بالجبس المنكوس ولا الثلب المركوس فقال عمرو دع كيت وكيت فقد وقعت بين لحيى لهزم فروس للاعداء يسعطك اسعاط الكودن الملجم قال عبد الله أكثرا كثارك فانى أعلمك بطرا فى الرخاء جبانا فى اللقاء هيابة عند كفاح الاعداء ترى ان تقى مهجتك بان تبدى سوأتك أنسيت صفين وأنت تدعى الى النزال فتحيد عن القتال خوفا ان يغمرك رجال لهم أبدان شداد وأسنة حداد ينهبون السرح ويذلون العزيز قال عمرو لقد علم معاوية أنى شهدت تلك المواطن فكنت فيها كمدرة الشوك ولقد رأيت أباك فى بعض تلك المواطن تخفق أحشاؤه وتنق امعاؤه قال أما والله لو لقيك أبى فى ذلك المقام لارتعدت منه فرائصك ولم تسلم منه مهجتك ولكنه قاتل غيرك فقتل دونك فقال معاوية ألا تسكت لا ام لك فقال يا ابن هند أتقول لى هذا والله لئن شئت لاعرقن جبينك ولاقيمنك وبين عينيك وسم يلين له أخدعاك أبا كثر من الموت تخوفنى فقال معاوية أو تكف يا ابن أخى وأمر به الى السجن فقال عمرو وذكر الابيات فقال عبد الله وذكر الابيات أيضا وزاد فاطرق معاوية طويلا حتى ظن انه لن يتكلم ثم قال

أرى العفو عن عليا قريش وسيلة * الى الله فى اليوم العبوس القماطر
ولست أرى قتلى فتى ذا قرابة * له نسب فى حى كعب وعامر
بل العفو عنه بعدما خاب قدحه * وزلت به احدى الجدود العواثر
وكان أبوه يوم صفين محنقا * علينا فاردته رماح بحابر

ثم قال له تراك فاعلا ماقال عمرو من الخروج علينا قال لا تسل عن عقيدات الضمائر لاسيما اذا أرادت جهادا فى طاعة الله قال اذن يقتلك الله كما قتل أباك قال ومن لى بالشهادة قال فاحسن معاوية جائزته وأخذ عليه موثقا ان لا يساكنه بالشام فيفسد عليه أهله قال نصر وحدثنا عمرو بن شمر عن السدى عن عبد خير الهمدانى قال قال هاشم بن عتبة يوم مقتله أيها الناس انى رجل ضخم فلا يهولنكم مسقطى اذا سقطت فانه لا يفرغ منى أقل من نحر جزور حتى يفرغ الجزار من جزرها ثم حمل فصرع فمر عليه رجل وهو صريع بين القتلى فناداه اقرأ على أمير المؤمنين السلام وقل له بركات الله ورحمته عليك يا أمير المؤمنين أنشدك الله الا أصبحت وقد ربطت مقاود خيلك بارجل القتلى فان الدبرة تصبح غدا لمن غلب على القتلى فاخبر الرجل عليا عليه السلام بما قاله فسار فى الليل بكتائبه حتى جعل القتلى خلف ظهره فاصبح والدبرة له على أهل الشام قال نصر وحدثنا عمرو بن شمر عن السدى عن عبد خير قال قاتل هاشم الحرث بن المنذر التنوخى حمل عليه بعد ان أعيا وكل وقتل بيده فطعنه بالرمح فشق بطنه فسقط وبعث اليه على عليه السلام وهو لا يعلم اقدم بلوائك فقال للرسول انظر الى بطنى فاذا هو قد انشق فجاء على عليه السلام حتى وقف عليه وحوله عصابة من أسلم قد صرعوا معه وقوم من القراء فجزع عليه وقال

جزى الله خيرا عصبة أسلمية * صباح الوجوه صرعوا حول هاشم
يزيد وسعدان وبشر ومعبد * وسفيان وابنا معبد ذى المكارم
وعروة لا يبعد ثناه وذكره * اذا اخترطت يوما خفاف الصوارم

قال نصر وحدثنا عمر بن سعد عن الشعبى عن أبى سلمة ان هاشم بن عتبة استصرخ الناس عند المساء ألا من كان له الى الله حاجة ومن كان يريد الآخرة فليقبل فاقبل اليه ناس كثير شد بهم على أهل الشام مرارا ليس من وجه يحمل عليه الا صبر له فقاتل قتالا شديدا ثم قال لاصحابه لا يهولنكم ماترون من صبرهم فوالله ماترون منهم الا حمية العرب وصبرها

تحت راياتها وعند مراكزها وانهم لعلى الضلال وانكم لعلى الحق ياقوم اصبروا وصابروا واجتمعوا وامشوا بنا الى عدونا على تؤدة رويدا واذكروا الله ولا يسلمن رجل أخاه ولا تكثروا الالتفات واصمدوا صمدهم وجالدوهم محتسبين حتى يحكم الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين قال أبو سلمة فبيناهو وعصابة من القراء يجالدون أهل الشام اذ طلع عليهم فتى شاب وهو يقول

أنا ابن أرباب ملوك غسان * والدائن اليوم بدين عثمان

أنبأنا قراؤنا بما كان * أن عليا قتل ابن عفان

ثم شد لا ينثني حتى يضرب بسيفه ثم جعل يلعن عليا ويشتمه ويسهب في ذمه فقال له هاشم بن عتبة ياهذا ان الكلام بعده الخصام وان لعنك سيد الابرار بعده عقاب النار فاتق الله فانك راجع الى ربك فيسألك عن هذا الموقف وعن هذا المقال قال الفتى اذا سألني ربي قلت قاتلت أهل العراق لان صاحبهم لا يصلي كما ذكر لي وانهم لا يصلون وصاحبهم قتل خليفتنا وهم آزروه على قتله فقال له هاشم يابني وما أنت وعثمان انما قتله أصحاب محمد الذين هم أولى بالنظر في أمور المسلمين وان صاحبنا كان أبعد القوم عن دمه واما قولك انه لا يصلي فهو أول من صلى مع رسول الله وأول من آمن به واما قولك ان أصحابه لا يصلون فكل من ترى معه قراء الكتاب لا ينامون الليل تهجدا فاتق الله واخش عقابه ولا يغررك من نفسك الاشقياء الضالون فقال الفتى ياعبد الله لقد دخل قلبي وجل من كلامك واني لاظنك صادقا صالحا وأظنني مخطئا آثما فهل لي من توبة قال نعم ارجع الى ربك وتب اليه فانه يقبل التوبة ويعفو عن السيئات ويحب التوابين ويحب المتطهرين فرجع الفتى الى صفه منكسرا نادما فقال له قوم من أهل الشام خدعك العراقي قال لا ولكن نصحني العراقي قال نصر وفي قتل هاشم وعمار تقول امرأة من أهل الشام

لا تعدموا قوما أذاقوا ابن ياسر * شعوبا ولم يعطوكم بالخزائم

فنحن قتلنا اليثربي ابن محصن * خطيبكم وابني بديل وهاشم

قال نصر اما اليثربي فهو عمرو بن محصن الانصاري وقد رثاه النجاشي شاعر أهل العراق فقال

لنعم فتى الحيين عمرو بن محصن * اذا صارخ الحي المصبح ثوبا

اذا الخيل جالت بينها قصد القنا * يثرن عجاجا ساطعا متنصبا

لقد فجع الانصار طرا بسيد * أخي ثقة في الصالحات مجربا

فيارب خير قد أفدت وجفنة * ملأت وقرن قد تركت مسلبا

ويارب خصم قد رددت بغيظه * فآب ذليلا بعد ان كان مغضبا

وراية مجد قد حملت وغزوة * شهدت اذا النكس الجبان تهيبا

حويطا على جل العشيرة ماجدا * وما كنت في الانصار نكسا مؤنبا

طويل عماد المجد رحبا فناؤه * خصيبا اذا ما رائد الحي اجدبا

عظيم رماد النار لم تك فاحشا * ولا فشلا يوم النزال مغلبا

وكنت ربيعا ينفع الناس سيبه * وسيفا جرازا باتك الحد مقضبا

فمن يك مسرورا بقتل ابن محصن * فعاش شقيا ثم مات معذبا

وغودر منكبا لفيه ووجهه * يعالج رمحا ذا سنان وثعلبا

فان يقتلوا الحر الكريم ابن محصن * فنحن قتلنا ذا الكلاع وحوشبا

وان يقتلوا ابني بديل وهاشما * فنحن تركنا منكم القرن اعضبا

ونحن تركنا حميرا في صفوفكم * لدى الحرب صرعى كالنخيل مشذبا

وافلتنا تحت الاسنة مرثد * وكان قديما في الفرار مدربا

ونحن تركنا عند مختلف القنا * اخاكم عبيد الله لحما ملحبا

بصفين لما ارفض عنه رجالكم * ووجه ابن عتاب تركناه ملغبا

وطلحة من بعد الزبير ولم ندع * لضبة في الهيجا عريفا ومنكبا

ونحن احطنا بالبعير وأهله * ونحن سقيناكم سماما مقشبا

قال نصر وكان ابن محصن من أعلام أصحاب علي عليه السلام قتل في المعركة وجزع علي عليه السلام لقتله قال وفي قتل هاشم بن عتبة يقول أبو الطفيل عامر بن واثلة الكناني وهو من الصحابة وقيل انه آخر من بقي من صحب رسول الله صلى الله عليه وآله وشهد مع علي صفين وكان من مخلصي الشيعة

ياهاشم الخير جزيت الجنة * قاتلت في الله عدو السنة

والتارك الحق وأهل الظنة * اعظم بما فزت به من منه

صيرني الدهر كأني شنه * وسوف تعلو حول قبري رنه

* من زوجة وحوبة وكنه *

قال نصر والحوبة القرابة يقال لي في بني فلان حوبة أي قربى قال نصر وقال رجل من عذرة من أهل الشام

لقد رأيت أمورا كلها عجب * وما رأيت كأيام بصفينا

لما غدوا وغدونا كلنا حنق * كما رأيت الجمال الجلة الجونا

خيل تجول وأخرى في أعنتها * وآخرون على غيظ يرامونا

ثم ابتذلنا سيوفا في جماجمهم * وما نساقيهم من ذاك يجزونا

كأنها في أكف القوم لامعة * سلاسل البرق يجدعن العرانينا

ثم انصرفنا كأشلاء مقطعة * وكلهم عند قتلاهم يصلونا

قال نصر وقال رجل لعدي بن حاتم الطائي وكان من جلة أصحاب علي عليه السلام ياأبا طريف ألم أسمعك تقول يوم الدار والله لا تحبق فيها عناق حولية وقد رأيت ما كان فيها قال وقد كان فقئت عين عدي وقتل بنوه فقال أما والله لقد حبقت في قتله العناق والتيس الاعظم قال نصر وحدثنا عمرو بن شمر قال بعث علي عليه السلام خيلا ليحبسوا عن معاوية مادته فبعث معاوية الضحاك بن قيس الفهري في خيل الى تلك الخيل فأزالوها وجاءت عيون علي عليه السلام فأخبروه بما كان فقال لاصحابه ماترون فيما ههنا فقال بعضهم نرى كذا وقال بعضهم نرى كذا فلما زاد الاختلاف قال علي عليه السلام اغدوا الى القتال فغادوهم القتال فانهزمت صفوف الشام من بين يديه ذلك اليوم حتى فر عتبة بن أبي سفيان عشرين فرسخا عن موضع المعركة فقال النجاشي فيه من قصيدة أولها

لقد أمعنت ياعتب الفرارا * واورثك الوغى خزيا وعارا

فلا يحمد خصاك سوى طمر * اذا أجريته انهمر انهمارا

وقال كعب بن جعيل وهو شاعر أهل الشام بعد رفع المصاحف يذكر أيام صفين ويحرض معاوية

معاوي لا تنهض بغير وثيقة * فانك بعد اليوم بالذل عارف

تركتم عبيد الله بالقاع مسندا * يمج نجيعا والعروق نوازف

الا انما تبكي العيون لفارس * بصفين اجلت خيله وهو واقف

ينوء وتعلوه شآبيب من دم * كما لاح في جيب القميص الكفائف

تبدل من اسماء اسياف وائل * وأي فتى لو أخطأته المتالف

الا ان شر الناس في الناس كلهم * بنو اسد اني بما قلت عارف

وفرت تميم سعدها وربابها * وخالفت الجعراء فيمن تخالف

وقد صبرت حول ابن عم محمد * على الموت شهباء المناكب شارف

فابرحوا حتى رأى الله صبرهم * وحتى أتيحت بالاكف المصاحف

وقد تقدم ذكر هذه الابيات بزيادة على ماذكرناه الآن قال نصر وهجا كعب بن جعيل عتبة بن أبى سفيان وعيره بالفرار وكان كعب من شيعة معاوية لكنه هجا عتبة تحريضا له فهجاه عتبة جوابا فقال له

سميت كعبا بشر العظام * وكان أبوك يسمى الجعل
وان مكانك من وائل * مكان القراد من است الجمل

قال نصر ثم كانت بين الفريقين الوقعة المعروفة بوقعة الخميس حدثنا بها عمر بن سعد عن سليمان الاعمش عن ابراهيم النخعى قال حدثنا القعقاع بن الابرد الطهوى قال والله انى لواقف قريبا من على عليه السلام بصفين يوم وقعة الخميس وقد التقت مذحج وكانوا فى ميمنة على عليه السلام بعك ولخم وجذام والاشعريين وكانوا مستبصرين فى قتال على عليه السلام فلقد والله رأيت ذلك اليوم من قتالهم وسمعت من وقع السيوف على الرؤس وخبط الخيول بحوافرها فى الارض وفى القتلى ما الجبال تهد ولا الصواعق تصعق باعظم من هؤلاء فى الصدور من تلك الاصوات ونظرت الى على عليه السلام وهو قائم فدنوت منه فاسمعه يقول لاحول ولاقوة الا بالله اللهم اليك الشكوى وأنت المستعان ثم نهض حين قام قائم الظهيرة وهو يقول ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين وحمل على الناس بنفسه وسيفه مجرد بيده فلا والله ما حجز بين الناس ذلك اليوم الا الله رب العالمين فى قريب من ثلث الليل الاول وقتلت يومئذ اعلام العرب وكان فى رأس على عليه السلام ثلاث ضربات وفى وجهه ضربتان قال نصر وقد قيل ان عليا عليه السلام لم يخرج قط وقتل فى هذا اليوم خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين وقتل من أهل الشام عبد الله بن ذى الكلاع الحميرى فقال معقل ابن نهيك بن يساف الانصارى

يالهف نفسى ومن يشفى حزازتها * اذ أفلت الفاسق الضليل منطلقا
وأفلت الخيل عمرو وهى شاحبة * تحت العجاج تحث الركض والعنقا
وافت منية عبد الله اذ لحقت * قب الخيول به عجزا بمن لحقا
وانساب مروان فى الظلماء مستترا * تحت الدجا كلما خاف الردى ارقا

وقال مالك الاشتر

نحن قتلنا حوشبا * لما غدا قد أعلما
وذا الكلاع قبله * ومعبدا اذ أقدما
ان تقتلوا منا أبا الـ * يقظان شيخا مسلما
فقد قتلنا منكم * سبعين كهلا مجرما
اضحوا بصفين وقد * لاقوا نكالا مؤثما

وقالت ضبيعة بنت خزيمة بن ثابت ذى الشهادتين ترثى أباها رحمه الله

عين جودى على خزيمة بالدمـ * ـع قتيل الاحزاب يوم الفرات
قتلوا ذا الشهادتين عتوا * أدرك الله منهم بالترات
قتلوه فى فتية غير عزل * يسرعون الركوب فى الدعوات
نصروا السيد الموفق ذا العدل * ودانوا بذاك حتى الممات
لعن الله معشرا قتلوه * ورماهم بالخزى والآفات

قال نصر وحدثنا عمر بن سعد عن الاعمش قال كتب معاوية الى أبى أيوب خالد بن زيد الانصارى صاحب منزل رسول الله صلى الله عليه وآله فكان سيدا معظما من سادات الانصار وكان من شيعة على عليه السلام كتابا وكتب الى زياد بن سمية وكان عاملا لعلى عليه السلام على بعض فارس كتابا ثانيا فاما كتابه الى أبى أيوب فكان سطرا واحدا حاجيتك لاتنسى الشيباء أبا عذرها ولاقاتل بكرها فلم يدر أبو أيوب ماهو فأتى به عليا عليه السلام فقال يا أمير المؤمنين ان معاوية كهف المنافقين كتب الى بكتاب لاأدرى ماهو قال على عليه السلام فاين الكتاب فدفعه اليه فقرأه وقال نعم هذا مثل ضربه لك يقول لاتنسى الشيباء ابا عذرها والشيباء المرأة البكر ليلة

اقتضاضها

اقتضاضها لاتنسى بعلها الذى افترعها ابدا ولاتنسى قاتل بكرها وهو أول ولدها كذلك لاانسى انا قتل عثمان وأما الكتاب الذى كتبه الى زياد فانه كان وعيدا وتهددا فقال زياد ويلى على معاوية كهف المنافقين وبقية الاحزاب يتهددنى ويتوعدنى وبينى وبينه ابن عم محمد معه سبعون الفا سيوفهم على عواتقهم يطيعونه فى جميع ما يأمرهم به لايلتفت رجل وراءه حتى يموت أما والله لوظفر ثم خلص الى ليجدنى أحمر ضرابا بالسيف قال نصر أحمر أى مولى فلما ادعاه معاوية عاد عربيا منافيا قال نصر وروى عمرو بن شمر ان معاوية كتب فى أسفل كتابه الى أبى أيوب

أبلغ لديك ابا أيوب مألكة * انا وقومك مثل الذئب والنقد
اما قتلتم أمير المؤمنين فلا * ترجوا الهوادة منا آخر الابد
ان الذى نلتموه ظالمين له * أبقت حزازته صدعا على كبدى
انى حلفت يمينا غير كاذبة * لقد قتلتم اماما غير ذى أود
لاتحسبوا أننى أنسى مصيبته * وفى البلاد من الانصار من أحد
قد أبدل الله منكم خير ذى كلع * واليحصبيين أهل الخوف والجند
ان العراق لنا فقع بقرقرة * أو شحمة بزها شاو ولم يكد
والشام ينزلها الابرار بلدتها * أمن وبيضتها عريسة الاسد

فلما قرئ الكتاب على على عليه السلام قال لشد ما شحذكم معاوية يامعشر الانصار اجيبوا الرجل فقال أبو أيوب يا أمير المؤمنين انى ما شاء ان أقول شيأ من الشعر يعيا به الرجال الاقلته فقال فأنت اذا أنت فكتب أبو أيوب الى معاوية أما بعد فانك كتبت لاتنسى الشيباء أبا عذرها ولاقاتل بكرها فضربتها مثلا بقتل عثمان ومانحن وقتل عثمان ان الذى تربص بعثمان وثبط يزيد بن اسد وأهل الشام عن نصرته لانت وان الذين قتلوه لغير الانصار وكتب فى آخر كتابه

لاتوعدنا ابن حرب اننا نفر * لانبتغى ود ذى البغضاء من أحد
واسعوا جميعا بنى الاحزاب كلكم * لسنا نريد رضاكم آخر الابد
نحن الذين ضربنا الناس كلهم * حتى استقاموا وكانوا بينى الاود
والعام قصرك منا ان ثبت لنا * ضرب يزيل بين الروح والجسد
أما على فانا لانفارقه * مارفرف الآل فى الدوية الجرد
اما تبدلت منا بعد نصرتنا * دين الرسول اناسا ساكنى الجند
لايعرفون أضل الله سعيهم * الا اتباعكم ياراعى النقد
فقد بغى الحق هضما شر ذى كلع * واليحصبيون طرا بيضة البلد

قال فلما أتى معاوية كتاب أبى أيوب كسره قال نصر وحدثنا عمرو بن شمر قال حدثنى مجالد عن الشعبى عن زياد بن النضر الحارثى قال شهدت مع على عليه السلام صفين فاقتتلنا مرة ثلاثة أيام وثلاثة ليال حتى تكسرت الرماح ونفدت السهام ثم صرنا الى المسايفة فاجتلدنا بها الى نصف الليل حتى صرنا نحن وأهل الشام فى اليوم الثالث يعانق بعضنا بعضا ولقد قاتلت ليلتئذ بجميع السلاح فلم يبق شئ من السلاح الاقاتلت به حتى تحاثينا بالتراب وتكادمنا بالافواه حتى صرنا قياما ينظر بعضنا الى بعض مايستطيع أحد من الفريقين ان ينهض الى صاحبه ولايقاتل فلما كان نصف الليل من الليلة الثالثة انحاز معاوية وخيله من الصف وغلب على عليه السلام على القتلى فلما أصبح أقبل على أصحابه يدفنهم وقد قتل كثير منهم وقتل من أصحاب معاوية أكثر وقتل فيهم تلك الليلة شهر بن ابرهة قال نصر وحدثنا عمرو عن جابر عن تميم قال والله انى لمع على عليه السلام اذ أتاه علقمة بن زهير الانصارى فقال يا أمير المؤمنين ان عمرو بن العاص يرتجز فى الصف بشعر أفاسمعكه قال نعم قال انه يقول

اذا تخازرت ومابى من خزر * ثم كسرت العين من غير عور

الفيتني ألوى بعيد المستمر ٭ ذا صولة في المصمئلات الكبر
أحمل ماحملت من خير وشر ٭ كالحية الصماء في أصل الحجر

فقال علي اللهم العنه فان رسولك لعنه قال علقمة وانه ياأمير المؤمنين يرتجز برجز آخر فانشدك قال قل فقال

أنا الغلام القرشي المؤتمن ٭ الماجد الابلج ليث كالشطن
ترضى بي الشام الى أرض عدن ٭ ياقادة الكوفة ياأهل الفتن
أضربكم ولاأرى أباحسن ٭ كفى بهذا حزنا من الحزن

فضحك علي عليه السلام وقال انه لكاذب وانه بمكاني لعالم كما قال العربي ٭ غير الوهي ترقعين وأنت مبصرة ٭ ويحكم اروني مكانه لله أبوكم وخلاكم ذم وقال محمد بن عمرو بن العاص

لو شهدت جمل مقامي ومشهدي ٭ بصفين يوما شاب منها الذوائب
غداة غدا أهل العراق كأنهم ٭ من البحر موج لجه متراكب
وجئناهم نمشي صفوفا كأننا ٭ سحاب خريف صفقته الجنائب
فطارت الينا بالرماح كماتهم ٭ وطرنا اليهم والسيوف قواضب
فدارت رحانا واستدارت رحاهم ٭ سراة نهار ماتولى المناكب
اذاقلت يوما قد ونوا برزت لنا ٭ كتائب منهم وارجحنت كتائب
وقالوا نرى من رأينا ان تبايعوا ٭ عليا فقلنا بل نرى ان نضارب
فابنا وقد أردوا سراة رجالنا ٭ وليس لما لاقوا سوى الله حاسب
فلم أر يوما كان أكثر باكيا ٭ ولاعارضا منهم كبيا يكالب
كان تلالى البيض فينا وفيهم ٭ تلألؤ برق في تهامة ثاقب

وقال النجاشي يذكر عليا عليه السلام وجده في الامر

انى اخال عليا غير مرتدع ٭ حتى يقام حقوق الله والحرم
أماترى النقع معصوبا بلمته ٭ كأنه الصقر في عرنينه شمم
غضبان يحرق نابيه على حنق ٭ كما يغيظ الفنيق المصعب القطم
حتى يزيل ابن حرب عن امارته ٭ كما تنكب تيس الحلة الحلم

قال نصر وحدثنا عمر بن سعد عن الشعبي قال بلغ النجاشي ان معاوية تهدده فقال

ياأيها الرجل المبدي عداوته ٭ روى لنفسك ان الامر يؤتمر
لاتحسبني كأقوام ملكتهم ٭ طوع الاعنة لما ترشح الغدر
وماعلمت بما أضمرت من حنق ٭ حتى أتتني به الركبان والنذر
اذانفست على الامجاد مجدهم ٭ فابسط يديك فان الخير مبتدر
واعلم بان علي الخير من نفر ٭ شم العرانين لايعلوهم بشر
لايجحد الحاسد الغضبان فضلهم ٭ مادام بالحزن من صمائها حجر
نعم الفتى أنت الا ان بينكما ٭ كما تفاضل ضوء الشمس والقمر
ولااخالك الالست منتهيا ٭ حتى يمسك من أظفاره ظفر
لاتحمدن امرأ حتى تجربه ٭ ولاتذمن من لم يبله الخبر
انى امرؤ قلما أثني على أحد ٭ حتى أرى بعض ما يأتي وما يذر
وان طوى معشر عني عداوتهم ٭ في الصدر أو كان في أبصارهم خزر

احمت

أجمت عزما جواميزي بقافية ٭ لايبرح الدهر منها فيهم أثر

قال فلما بلغ معاوية هذا الشعر قال ما أراه الا قد قارب قال نصر وحدثنا عمر بن سعد عن محمد بن اسحق ان عبد الله بن جعفر بن أبي طالب كان يحمل على الخيل يوما فجاءه رجل فقال هل من فرس ياابن ذي الجناحين قال تلك الخيل فخذ أيها شئت فلما ولى قال ابن جعفر ان تصب أفضل الخيل تقتل فما عتم ان أخذ أفضل الخيل فركبه ثم حمل على فارس قد كان دعاه الى البراز فقتله الشامي وحمل غلامان آخران من أهل العراق حتى انتهيا الى سرادق معاوية فقتلا عنده وأقبلت الكتائب بعضها نحو بعض فاقتتلت قياما في الركب لايسمع السامع الا وقع السيوف على البيض والدرق وقال عمرو بن العاص

أجئتم الينا تسفكون دماءنا ٭ ومارمتم وعر من الامر أعسر
لعمري لمافيه يكون حجاجنا ٭ الى الله أدهى لو عقلتم وأنكر
تعاورتم ضربا بكل مهند ٭ اذا شد وردان تقدم قنبر
كتائبكم طورا تشد وتارة ٭ كتائبنا فيها القنا والسنور
اذا ما التقوا يوما تدارك بينهم ٭ طعان وموت في المعارك أحمر

وقال رجل من كلب مع معاوية يهجو أهل العراق ويوبخهم

لقد ضلت معاشر من نزار ٭ اذا انقادوا لمثل أبي تراب
وانهم وبيعتهم عليا ٭ كواشمة التغضن بالخضاب
تزين من سفاهتها يديها ٭ وتحسر باليدين عن النقاب
فاياكم وداهية نؤدا ٭ تسير اليكم تحت العقاب
اذا سار واسمعت لحافتيهم ٭ دويا مثل تصفيق السحاب
يجيبون الصريخ اذا دعاهم ٭ وقد طعن الفوارس بالحراب
عليهم كل سابغة دلاص ٭ وأبيض صارم مثل الشهاب

وقال أبو حية بن غزية الانصاري وهو الذي عقر الجمل يوم البصرة واسمه عمرو

سائل حليلة معبد عن بعلها ٭ وحليلة اللخمي وابن كلاع
واسأل عبيد الله عن فرساننا ٭ لما ثوى متجندلا بالقاع
واسأل معاوية المولي هاربا ٭ والخيل تمعج وهي جد سراع
ماذا يخبرك المخبر منهم ٭ عنهم وعنا عند كل وقاع
ان يصدقوك يخبروك بأننا ٭ أهل الندى قدما مجيبو الداعي
ان يصدقوك يخبروك باننا ٭ نحمي الحقيقة كل يوم مصاع
ندعو الى التقوى ونرعى أهلها ٭ برعاية المأمون لا المضياع
ونسن للاعداء كل مثقف ٭ لدن وكل مشطب قطاع

وقال عدي بن حاتم الطائي

أقول لما ان رأيت المعمعه ٭ واجتمع الجندان وسط البلقعه
هذا علي والهدى حقا معه ٭ يارب فاحفظه ولاتضيعه
فانه يخشاك رب فارفعه ٭ ومن أراد عيبه فضعضعه
٭ أو كاده بالبغي منك فاقمعه ٭

وقال النعمان بن عجلان الانصاري

سائل بصفين عنا عند غدوتنا * أم كيف كنا الى العلياء نبتدر
وسل غداة لقينا الازد قاطبة * يوم البصيرة لما استجمعت مضر
لولا الاله وعفو من أبي حسن * عنهم ومازال منه العفو ينتظر
لما تداعت لهم بالمصر داعية * الا الكلاب والا الشاء والحمر
كم مقعص قد تركناه بمقفرة * تعوى السباع عليه وهو منعفر
ماان يؤوب ولا ترجوه اسرته * الى القيامة حتى ينفخ الصور

قال عمرو بن الحمق الخزاعي

تقول عرسي لما ان رأت أرقي * ماذا يهيجك من أصحاب صفينا
ألست في عصبة يهدي الاله بهم * لا يظلمون ولا بغيا يريدونا
فقلت اني على ما كان من رشد * أخشى عواقب أمر سوف يأتينا
ادالة القوم في أمر يراد بنا * فاقنى الحياء وكفى ما تقولينا

وقال حجر بن عدي الكندي

يا ربنا سلم لنا عليا * سلم لنا المهذب التقيا
المؤمن المسترشد الرضيا * واجعله هادي أمة مهديا
واحفظه رب حفظك النبيا * لا خطل الرأي ولا بغيا
فانه كان لنا وليا * ثم ارتضيه بعده وصيا

قال نصر وحدثنا عمر بن سعد عن الشعبي قال قال الاحنف بن قيس في صفين لاصحابه هلكت العرب قالوا له وان غلبنا يا أبا بحر قال نعم قالوا وان غلبنا قال نعم قالوا والله ما جعلت لنا مخرجا فقال الاحنف انا ان غلبناهم لم نترك بالشام رئيسا الا ضربنا عنقه وان غلبونا لم يعرج بعدها رئيس عن معصية الله أبدا قال نصر وحدثنا عمر بن سعد عن الشعبي قال ذكر معاوية يوما صفين بعد عام الجماعة وتسليم الحسن عليه السلام الامر اليه فقال للوليد بن عقبة أي بني عمك كان أفضل يوم صفين عند وقدان الحرب واستشاطة لظاها حين قاتلت الرجال على الاحساب قال كلهم قد وصل كنفيها عند انتشار وقعتها حتى ابتلت اثباج الرجال من الجريال بكل لدن عال و بكل عضب فصال فقال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد أما والله لقد رأيتنا يوما من الايام وقد غشينا ثعبان في مثل الطود الارعن قد أثار قسطلا حال بيننا و بين الافق وهو على أدهم سائل الغرة يعني عليا عليه السلام يضرب بسيفه غرائب الابل كاشرا عن نابه كشر المخدر الحرب فقال معاوية نعم انه كان يقاتل عن ترة له وعليه قال نصر وحدثنا عمر بن سعد عن الشعبي قال أرسل على عليه السلام الى معاوية ان ابرز الي واعف الفريقين من القتال فأينا قتل صاحبه كان الامر له فقال عمرو لقد أنصفك الرجل فقال معاوية انا أبارز الشجاع الاخرق أظنك يا عمرو طمعت فيها فلما لم يجب قال علي عليه السلام وانفسا أيطاع معاوية وأعصى ما قاتلت أمة قط أهل بيت نبيها وهي مقرة بنبيها غير هذه الامة ثم ان عليا عليه السلام أمر الناس أن يحملوا على أهل الشام فحملوا فنقضوا صفوف الشام فقال عمرو على من هذا الرهج الساطع قالوا على ابنيك عبد الله ومحمد فقال عمرو يا وردان قدم لوائي فارسل اليه معاوية انه ليس على ابنيك بأس فلا تنقض الصف والزم موقفك فقال عمرو هيهات هيهات الليث يحمي شبليه ما خيره بعد ابنيه ثم تقدم باللواء فأدركه رسول معاوية انه ليس على ابنيك بأس فلا تحملن فقال قل له انك لم تلدهما واني أنا ولدتهما و بلغ مقدم الصفوف فقال له الناس مكانك انه لا بأس على ابنيك انهما في مكان حريز فقال أسمعوني أصواتهما حتى أعلم أحيان هما أم قتيلان ونادى يا وردان قدم لواءك قيد قوس فقدم لواءه فأرسل علي عليه السلام الى أهل الكوفة ان احملوا والى أهل البصرة ان احملوا فحمل الناس من كل جانب فاقتتلوا قتالا شديدا وخرج رجل من أهل الشام فقال من يبارز فبرز اليه رجل من

أهل العراق فاقتتلا ساعة وضرب العراقي الشامي على رجله فاسقط قدمه فقاتل ولم يسقط الى الارض فضرب به العراقي أخرى فاسقط يده فرمى الشامي سيفه الى أهل الشام وقال دونكم سيفي هذا فاستعينوا به على قتال عدوكم فاشتراه معاوية من أوليائه بعشرة آلاف درهم قال نصر وحدثنا مالك الجهني عن زيد بن وهب ان عليا عليه السلام مر على جماعة من أهل الشام بصفين منهم الوليد بن عقبة وهم يشتمونه و يقصبونه فأخبر بذلك فوقف على ناس من أصحابه وقال انهدوا اليهم وعليكم السكينة والوقار وسيما الصالحين أقرب بقوم من الجهل قائدهم ومؤدبهم معاوية وابن النابغة وأبو الاعور وابن أبي معيط شارب الحرام والمحدود في الاسلام يقصبونني و يشتمونني وقبل اليوم ما قاتلوني وشتموني وأنا اذ ذاك أدعوهم الى الاسلام وهم يدعونني الى عبادة الاصنام فالحمد لله ولا اله الا الله لقديما عاداني الفاسقون ان هذا لهو الخطب الجليل ان فساقا كانوا عندنا غير مرضيين وعلى الاسلام وأهله متخوفين أصبحوا وقد خدعوا شطر هذه الامة وأشربوا قلوبهم حب الفتنة واستمالوا أهواءهم بالافك والبهتان ونصبوا لنا الحرب وجدوا في اطفاء نور الله والله متم نوره ولو كره الكافرون اللهم فانهم قد ردوا الحق فافضض جمعهم وشتت كلمتهم وأبلسهم بخطاياهم فانه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت قال نصر وكان علي عليه السلام اذا أراد الحملة هلل وكبر ثم قال

من أي يومي من الموت أفر * أيوم لم يقدر أو يوم قدر

فجعل معاوية لواءه الاعظم مع عبد الرحمن بن خالد بن الوليد فأمر علي عليه السلام جارية بن قدامة السعدي أن يلقاه بأصحابه وأقبل عمرو بن العاص بعده في خيل ومعه لواء ثان فتقدم حتى خالط صفوف العراق فقال علي عليه السلام لابنه محمد امش نحو هذا اللواء رويدا حتى اذا أشرعت الرماح في صدورهم فأمسك يداك حتى يأتيك أمري ففعل وقد كان أعد علي عليه السلام مثلهم مع الاشتر فلما أشرع محمد الرماح في صدور القوم أمر علي عليه السلام الاشتر أن يحمل فحمل فأزالهم عن مواقفهم وأصاب منهم رجالا واقتتل الناس قتالا شديدا فما صلى من أراد الصلاة الا ايماء فقال النجاشي في ذلك اليوم يذكر الاشتر

ولما رأينا اللواء العقاب * يقحمه الشانئ الاخزر
كليث العرين خلال العجا * ج واقبل في خيله الابتر
دعونا له الكبش كبش العرا * ق وقد أضمر الفشل العسكر
فرد اللواء على عقبه * وفاز بحظوتها الاشتر
كما كان يفعل في مثلها * اذا ناب معصوصب منكر
فان يدفع الله عن نفسه * فحظ العراق به الاوفر
اذا الاشتر الخير خلى العرا * ق فقد ذهب العرف والمنكر
وتلك العراق ومن عرفت * كفقع تضمنه القرقر

قال نصر وحدثنا محمد بن عتبة الكندي قال حدثني شيخ من حضرموت شهد مع علي عليه السلام صفين قال كان منا رجل يعرف بهانئ بن فهد وكان شجاعا فخرج رجل من أهل الشام يدعو الى البراز فلم يخرج اليه أحد فقال هانئ سبحان الله ما يمنعكم أن يخرج منكم رجل الى هذا فوالله لولا اني موعوك واني أجد ضعفا شديدا لخرجت اليه فما رد أحد عليه فقام وشد عليه سلاحه ليخرج فقال له أصحابه يا سبحان الله أنت موعوك وعكة شديدة فكيف تخرج قال والله لاخرجن ولو قتلني فخرج فلما رآه عرفه واذا الرجل من قومه من حضرموت يقال له يعمر بن أسد الحضرمي فقال يا هانئ ارجع فانه ان يخرج الي رجل غيرك أحب الي فاني لا أحب قتلك قال هانئ سبحان الله ارجع وقد خرجت لا والله لأقاتلن اليوم حتى أقتل ولا أبالي قتلتني أنت أو غيرك ثم مشى نحوه وقال اللهم في سبيلك ونصرا لابن عم رسولك واختلفا ضربتين فقتله هانئ وشد أصحاب يعمر بن أسد على هانئ فشد أصحاب هانئ عليهم فاقتتلوا وانفرجوا عن اثنين وثلاثين قتيلا ثم ان عليا عليه السلام أرسل الى جميع العسكر ان احملوا فحمل الناس كلهم على

رايانهم كل منهم يحمل على من بازائه فتجالدوا بالسيوف وعمد الحديد لا يسمع الاصوت ضرب الهامات كوقع المطارق على السنادين ومرت الصلوات كلها فلم يصل أحد الا تكبيرا عند مواقيت الصلاة حتى تفانوا ورق الناس وخرج رجل من بين الصفين لا يعلم من هو فقال أيها الناس أخرج فيكم المحلقون فقيل لا فقال انهم سيخرجون ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر لهم حمة كحمة الحيات ثم غاب الرجل فلم يعلم من هو قال نصر وحدثنا عمرو بن شمر عن السدى قال اختلط أمر الناس تلك الليلة وزال أهل الرايات عن مراكزهم وتفرق أصحاب على عليه السلام عنه فأتى ربيعة ليلا فكان فيهم وتعاظم الامر جدا وأقبل عدى بن حاتم يطلب عليا عليه السلام فى موضعه الذى تركه فيه فلم يجده فطاف يطلبه فأصابه بين رماح ربيعة فقال يا أمير المؤمنين أما اذ كنت حيا فالأمر أهون ما مشيت اليك الا على قتيل وما أبقت هذه الوقعة لهم عميدا فقاتل حتى يفتح الله عليك فان فى الناس بقية بعد وأقبل الاشعث يلهث جزعا فلما رأى عليا عليه السلام هلل فكبر وقال يا أمير المؤمنين خيل كخيل ورجال كرجال ولنا الفضل عليهم الى ساعتنا هذه فعد الى مكانك الذى كنت فيه فان الناس انما يظنونك حيث تركوك وأرسل سعيد بن قيس الهمدانى الى على عليه السلام انا مشتغلون بأمر نامع القوم وفينا فضل فان أردت أن نمد أحدا أمددناه فأقبل على عليه السلام على ربيعة فقال أنتم درعى ورمحى قال فربيعة تفخر بهذا الكلام الى اليوم فقال عدى بن حاتم يا أمير المؤمنين ان قوما أنست بهم وكنت فى هذه الجولة فيهم لعظيم حقهم والله انهم لصبر عند الموت أشداء عند القتال فدعا على عليه السلام بفرس رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان يقال له المرتجز فركبه ثم تقدم امام الصفوف ثم قال بل البغلة بل البغلة فقدمت له بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت شهباء فركبها ثم تعصب بعمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت سوداء ثم نادى أيها الناس من يشر نفسه الله يربح ان هذا اليوم له ما بعده ان عدوكم قد مسه القرح كما مسكم فانتدبوا لنصرة دين الله فانتدب له ما بين عشرة آلاف الى اثنى عشر ألفا قد وضعوا سيوفهم على عواتقهم فشد بهم على أهل الشام وهو يقول

دبوا دبيب النمل لا تفوتوا ۞ وأصبحوا فى حربكم وبيتوا
حتى تنالوا الثار أو تموتوا ۞ أولا فانى طالما عصيت
قد قلتموا لو جئتنا فجيت ۞ ليس لكم ما شئتم وشيت
۞ بل ما يريد المحيي المميت ۞

وتبعه عدى بن حاتم بلوائه وهو يقول

أبعد عمار وبعد هاشم ۞ وابن بديل فارس الملاحم
نرجو البقاء ضل حلم الحالم ۞ لقد عضضنا أمس بالاباهم
فاليوم لا نقرع سن نادم ۞ ليس امرؤ من حتفه بسالم

وحمل وحمل الاشتر بعدهما فى أهل العراق كافة فلم يبق لاهل الشام صف الا انتقض وأهمد أهل العراق ما أتوا عليه وأفضى الامر الى مضرب معاوية وعلى عليه السلام يضرب الناس بسيفه قدما قدما وهو يقول

أضربهم ولا أرى معاوية ۞ الاخزر العين العظيم الحاوية
۞ هوت به فى النار أم هاوية ۞

فدعا معاوية بفرسه لينجو عليه فلما وضع رجله فى الركاب توقف وتلوم قليلا ثم أنشد قول عمرو بن الاطنابه

أبت لى عفتى وأبى بلائى ۞ وأخذى الحمد بالثمن الربيح
واقدامى على المكروه نفسى ۞ وضربى هامة البطل المشيح
وقولى كلما جشأت وجاشت ۞ مكانك تحمدى أو تستريحى
لأدفع عن مآثر صالحات ۞ وأحمى بعد عن عرض صحيح

بذى شطب كلون الملح صاف ۞ ونفس ما تقر على القبيح

ثم قال يا عمرو بن العاص اليوم صبر وغدا فخر قال صدقت انك وما أنت فيه كقول القائل

ما علتى وأنا جلد نابل ۞ والقوس فيها وتر عنابل
يزل عن صفحتها المقابل ۞ الموت حق والحياة باطل

فثنى معاوية رجله من الركاب ونزل واستصرخ بعك والاشعريين فوقفوا دونه وجالدوا عنه حتى كره كل من الفريقين صاحبه وتحاجز الناس قال نصر جاء رجل الى معاوية بعد انقضاء صفين وخلوص الامر له فقال يا أمير المؤمنين ان لى عليك حقا قال وما هو قال حق عظيم قال ويحك ما هو قال أتذكر يوما قدمت فرسك لتفر وقد غشيك أبو تراب والاشتر فلما أردت أن تستوثبه وأنت على ظهره أمسكت بعنانك وقلت لك أين تذهب انه للؤم بك ان تسمح العرب بنفوسها لك شهرين ولا تسمح لها بنفسك ساعة وأنت ابن ستين وكم عسى أن تعيش فى الدنيا بعد هذه السن اذا نجوت فتلومت فى نفسك ساعة ثم أنشدت شعرا لا أحفظه ثم نزلت فقال ويحك فانك لأنت هو والله ما أخلى هذا المحل الا أنت وأمر له بثلاثين ألف درهم قال نصر وحدثنا عمرو بن شمر عن النخعى عن ابن عباس قال تعرض عمرو بن العاص لعلى عليه السلام يوما من أيام صفين وظن انه يطمع منه فى غرة فيصيبه فحمل عليه على عليه السلام فلما كاد أن يخالطه أذرى نفسه عن فرسه ورفع ثوبه وشغر برجله فبدت عورته فصرف عليه السلام وجهه عنه وقام معفرا بالتراب هاربا على رجليه معتصما بصفوفه فقال أهل العراق يا أمير المؤمنين أفلت الرجل فقال أتدرون من هو قالوا لا قال فانه عمرو بن العاص تلقانى بسوأته فصرفت وجهى عنه ورجع عمرو الى معاوية فقال ما صنعت يا أبا عبد الله فقال لقينى على فصرعنى قال احمد الله وعورتك والله انى لأظنك لو عرفته ما أقحمت عليه وقال معاوية فى ذلك

ألا لله من هفوات عمرو ۞ يعاتبنى على تركى برازى
فقد لاقى أبا حسن عليا ۞ فآب الوائلى مآب خازى
فلو لم يبد عورته لطارت ۞ بمهجته قوادم أى بازى
فان تكن المنية أخطأته ۞ فقد غنى بها أهل الحجاز

فغضب عمرو وقال ما أشد تغبيطك أبا تراب فى أمرى هل أنا الا رجل لقيه ابن عمه فصرعه أفترى السماء قاطرة لذلك دما قال لا ولكنها معقبة لك خزيا قال نصر وحدثنا عمر بن سعد قال لما اشتد الامر وعظم على أهل الشام قال معاوية لأخيه عتبة بن أبى سفيان الق الاشعث فانه ان رضى رضيت العامة وكان عتبة فصيحا فخرج فنادى الاشعث فقال الاشعث سلوا من هو المنادى قالوا عتبة بن أبى سفيان قال غلام مترف ولا بد من لقائه فخرج اليه فقال ما عندك يا عتبة فقال أيها الرجل ان معاوية لو كان لاقيا رجلا غير على للقيك انك رأس أهل العراق وسيد أهل اليمن وقد سلف من عثمان اليك ما سلف من الصهر والعمل ولست كأصحابك أما الاشتر فقتل عثمان وأما عدى فحرض عليه وأما سعيد بن قيس فقلد عليا ديته وأما شريح وزجر بن قيس فلا يعرفان غير الهوى وانك حاميت عن أهل العراق تكرما وحاربت أهل الشام حمية وقد بلغنا منك وبلغت منا ما أردت وانا لا ندعوك الى ترك على ونصرة معاوية ولكنا ندعوك الى البقية التى فيها صلاحك وصلاحنا فتكلم الاشعث فقال يا عتبة أما قولك ان معاوية لا يلقى الا عليا فلو لقينى والله لما عظم عنى ولا صغرت عنه وان أحب أن أجمع بينه وبين على فعلت وأما قولك انى رأس أهل العراق وسيد أهل اليمن فان الرأس المتبع والسيد المطاع هو على بن أبى طالب وأما ما سلف من عثمان الى فوالله ما زادنى صهره شرفا ولا عمله عزا وأما عيبك أصحابى فانه لا يقربك منى ولا يباعدنى عنهم وأما محاماتى عن أهل العراق فمن نزل بيتا حماه وأما البقية فلستم بأحوج اليها منا وسترى رأينا فيها فلما عادت عتبة الى معاوية وأبلغه قوله قال له لا تلقه بعدها فان الرجل عظيم عند نفسه وان كان قد جنح للسلم وشاع فى أهل العراق ما قاله عتبة للاشعث وما رده الاشعث عليه فقال النجاشى يمدحه

يا ابن قيس وحارث ويزيد * أنت والله رأس أهل العراق
أنت والله حية تنفث السم قليل منها غناء الراقى *
أنت كالشمس والرجال نجوم * لايرى ضوءها مع الاشراق
قد حميت العراق بالاسل السمر وبالبيض كالبروق الرقاق
وسعرت القتال فى الشام * بالبيض المواضى وبالرماح الدقاق
لاترى غير أذرع وأكف * ورؤس بهامها أفلاق
كلما قلت قد تصرمت الهيجاء * سقيتهم بكاس دهاق
قد قضيت الذى عليك من الحق * وسارت به القلاص المناق
أنت حلو لمن تقرب بالود * وللشانئين مر المذاق
بئسما ظنه ابن هند ومن مثلك * فى الناس عند ضيق الخناق

قال نصر فقال معاوية لما يئس من جهة الاشعث لعمرو بن العاص ان رأس الناس بعد على هو عبد الله بن العباس فلو كتبت اليه كتابا لعلك ترققه ولعله لو قال شيأ لم يخرج على منه وقد أكلتنا الحرب ولا أرانا نصل الى العراق الا بهلاك أهل الشام فقال عمرو ان ابن عباس لايخدع ولو طمعت فيه لطمعت فى على قال معاوية على ذلك فاكتب فكتب عمرو اليه أما بعد فان الذى نحن فيه وأنتم ليس باول أمر قاده البلاء وأنت رأس هذا الجمع بعد على فانظر فيما بقى ودع ما مضى فوالله ما أبقت هذه الحرب لنا ولا لكم حياة ولا صبرا فاعلم أن الشام لاتهلك الا بهلاك العراق وأن العراق لاتهلك الا بهلاك الشام فما خيرنا بعد هلاك أعدادنا منكم وما خيركم بعد هلاك أعدادكم منا ولسنا نقول ليت الحرب عادت ولكنا نقول ليتها لم تكن وان فينا من يكره اللقاء كما ان فيكم من يكرهه وانما هو أمير مطاع وأمور مطيع أو مؤتمن مشاور وهو أنت فاما الاشتر الغليظ الطبع القاسى القلب فليس باهل أن يدعى فى الشورى ولا فى خواص أهل النجوى وكتب فى أسفل الكتاب

طال البلاء وما يرجى له آسى * بعد الاله سوى رفق ابن عباس
قولا له قول من يرجو مودته * لاتنس حظك ان الخاسر الناسى
انظر فدى لك نفسى قبل قاصمة * للظهر ليس لها راق ولا آسى
ان العراق وأهل الشام ان يجدوا * طعم الحياة مع المستغلق القاسى
يا ابن الذى زمزم سقيا الحجيج له * أعظم بذلك من فخر على الناس
انى أرى الخير فى سلم الشآم لكم * والله يعلم ما بالسلم من باس
فيها التقى وأمور ليس يجهلها * الا الجهول وما نوكى كاكياس

فلما وصل الكتاب الى ابن عباس عرضه على أمير المؤمنين عليه السلام فضحك وقال قاتل الله ابن العاص ما أغراه بك يا عبد الله أجبه وليرد عليه شعره الفضل بن العباس فانه شاعر فكتب ابن عباس الى عمرو أما بعد فانى لا أعلم أحدا من العرب أقل حياء منك انه مال بك معاوية الى الهوى فبعته دينك بالثمن اليسير ثم خبطت الناس فى عشوة طمعا فى الدنيا فاعظمتها اعظام أهل الدنيا ثم تزعم انك تتنزه عنها تنزه أهل الورع فان كنت صادقا فارجع الى بيتك ودع الطمع فى مصر والركون الى الدنيا الفانية واعلم أن هذه الحرب ما معاوية فيها كعلى بدأها على بالحق وانتهى فيها الى العذر وبدأها معاوية بالبغى وانتهى فيها الى السرف وليس أهل العراق فيها كاهل الشام بايع أهل العراق عليا وهو خير منهم وبايع أهل الشام معاوية وهم خير منه ولست أنا وأنت فيها سواء أردت الله وأردت مصر وقد عرفت الشئ الذى باعدك منى ولا أعرف الشئ الذى قربك من معاوية فان ترد شرا لا نسبقك به وان ترد خيرا لا تسبقنا اليه والسلام ثم دعا أخاه الفضل فقال يا ابن أم أجب عمرا فقال الفضل

يا عمرو حسبك من مكر ووسواس * فاذهب فليس لداء الجهل من آسى
الا تواتر طعن فى نحوركم * يشجى النفوس ويشفى نخوة الراس
أما على فان الله فضله * بفضل ذى شرف عال على الناس
ان تعقلوا الحرب نعقلها مخيسة * أو تبعثوها فانا غير انكاس
قتلى العراق بقتلى الشام ذاهبة * هذا بهذا وما بالحق من باس

ثم عرض الشعر والكتاب على على عليه السلام فقال لا أراه يجيبك بعدها أبدا بشئ ان كان يعقل وان عاد عدت عليه فلما انتهى الكتاب الى عمرو بن العاص عرضه على معاوية فقال ان قلب ابن عباس وقلب على قلب واحد وكلاهما ولد عبد المطلب وان كان قد خشن فلقد لان وان كان قد تعظم وعظم صاحبه فلقد قارب وجنح الى السلم قال نصر وقال معاوية لاكتبن الى ابن عباس كتابا استعرض فيه عقله وأنظر ما فى نفسه فكتب اليه أما بعد فانكم معشر بنى هاشم لستم الى أحد أسرع بالمساءة منكم الى أنصار ابن عفان حتى انكم قتلتم طلحة والزبير لطلبهما دمه واستعظامهما ما نيل منه فان كان ذلك منافسة لبنى أمية فى السلطان فقد وليها عدى وتيم فلم تنافسوهم وأظهرتم لهم الطاعة وقد وقع من الامر ماترى وأكلت هذه الحروب بعضها بعضا حتى استوينا فيها فما يطمعكم فينا يطمعنا فيكم وما يؤيسنا منكم يؤيسكم منا ولقد رجونا غير ما كان وخشينا دون ما وقع ولست ملاقينا اليوم باحد من حد أمس ولا غدا باحد من حد اليوم وقد قنعنا بما فى أيدينا من ملك الشام فاقنعوا بما فى أيديكم من ملك العراق وأبقوا على قريش فانما بقى من رجالها ستة رجلان بالشام ورجلان بالعراق ورجلان بالحجاز فاما اللذان بالشام فانا وعمرو وأما اللذان بالعراق فانت وعلى وأما اللذان بالحجاز فسعد وابن عمر فاثنان من الستة ناصبان لك واثنان واقفان فيك وأنت رأس هذا الجمع ولو بايع لك الناس بعد عثمان كنا اليك أسرع منا الى على فلما وصل الكتاب الى ابن عباس أسخطه وقال حتى متى يخطب ابن هند الى عقلى وحتى متى اجمجم على ما فى نفسى فكتب اليه أما بعد أتانى كتابك وقرأته فاما ما ذكرت من سرعتنا اليك بالمساءة الى أنصار ابن عفان وكراهتنا السلطان بنى أمية فلعمرى لقد أدركت فى عثمان حاجتك حين استنصرك فلم تنصره حتى صرت الى ما صرت اليه وبينى وبينك فى ذلك ابن عمك وأخو عثمان وهو الوليد بن عقبة وأما طلحة والزبير فانهما أجلبا عليه وضيقا خناقه ثم خرجا ينقضان البيعة ويطلبان الملك فقاتلناهما على النكث كما قاتلناك على البغى وأما قولك انه لم يبق من قريش غير ستة فما أكثر رجالها وأحسن بقيتها وقد قاتلك من خيارها من قاتلك ولم يخذلنا الا من خذلك وأما اغراؤك ايانا بعدى وتيم فان أبا بكر وعمر خير من عثمان كما ان عثمان خير منك وقد بقى لك منا ما ينسيك ما قبله وتخاف ما بعده وأما قولك لو بايع الناس لى لاستقاموا فقد بايع الناس عليا وهو خير منى فلم يستقيموا له وما أنت وذكر الخلافة يا معاوية وانما أنت طليق وابن طليق والخلافة للمهاجرين الاولين وليس الطلقاء منها فى شئ والسلام فلما وصل الكتاب الى معاوية قال هذا عملى بنفسى لا أكتب والله اليه كتابا سنة كاملة وقال

دعوت ابن عباس الى جل حظه * وكان امرأ أهدى اليه رسائلى
فاخلف ظنى والحوادث جمة * وما زاد ان أغلى على مراجلى
فقل لابن عباس أراك مخوفا * بجهلك حلمى اننى غير غافل
فابرق وأرعد ما استطعت فاننى * اليك بما يشجيك سبط الانامل

قال نصر وحدثنا عمر بن سعد قال عقد معاوية يوما من أيام صفين الرياسة على اليمن من قريش قصد بذلك اكرامهم ورفع منازلهم منهم عبيد الله بن عمر بن الخطاب ومحمد وعتبة ابنا أبى سفيان وبسر بن أبى ارطاة وعبد الرحمن بن خالد ابن الوليد وذلك فى الوقعات الاولى من صفين فغم ذلك أهل اليمن وأرادوا أن لايتأمر عليهم أحد الا منهم فقام اليه رجل من كندة يقال له عبد الله بن الحارث السكونى فقال أيها الامير انى قد قلت شيئا فاسمعه وضعه منى على النصيحة قال هات فانشده

معاوى أحييت فينا الاحن * وأحدثت بالشام مالم يكن

عقــدت لبسر وأصحابه ٭ وما الناس حولك الا اليمن
فلا تخلطن بنا غــيرنا ٭ كما شيب بالماء صفو اللبن
والا فدعنا عــلى حالنا ٭ فانا وانا اذا لم نهن ٭
ستعلم ان جاش بحر العراق ٭ وأبدى نواجذه فى الفتن
وشــد عــلى باصحابه ٭ ونفسك اذ ذاك عند الذقن
فانا شــعارك دون الدثار ٭ وانا الرماح وانا الجــنن
وانا السيوف وانا الحتوف ٭ وانا الدروع وانا المجــن

قال فكبالها معاوية ونظر الى وجوه أهـل اليمن فقال أعن رضا كم يقول ماقاله قالوا لا مرحبا بما قال انما الامر اليك فاصنع ما أحببت فقال معاوية انما خلطت بكم أهل ثقتى ومن كان لى فهو لكم ومن كان لكم فهو لى فرضى القوم وسكتوا فلما بلغ أهل الكوفة مقال عبد الله بن الحارث لمعاوية قام الاعور الشنى الى على عليه السلام فقال يا أمير المؤمنين انا لا نقول لك كما قال صاحب أهل الشام لمعاوية ولكن نقول زاد الله فى سرورك وهداك ونظرت بنور الله فقدمت رجالا وأخرجت رجالا عليك أن تقول وعلينا أن نفعل أنت الامام فان هلكت فهذان من بعدك يعنى حسنا وحسينا عليهما السلام وقد قلت شيأ فاسمعه قال هات فانشده

أباحسن أنت شمس النهار ٭ وهذان فى الحادثات القمر
وأنت وهذان حتى الممات ٭ بمنزلة السمع بعد البصر
وأنتم أناس لكم سورة ٭ تقصر عنها أكف البشر
يخبرنا الناس عن فضلكم ٭ وفضلكم اليوم فوق الخبر
عقدت لقوم أولى نجدة ٭ من أهل الحياء وأهل الخطر
مساميح بالموت عند اللقاء ٭ منا واخــواننا من مضر
ومن حى ذى يمن جــلة ٭ يقيمون فى النائبات الصعر
فكل يسرك فى قومــه ٭ ومن قال لا فبفيه الحجــر
ونحن الفوارس يوم الزبير ٭ وطلحة اذ قيل أودى غدر
ضربناهم قبل نصف النهار ٭ الى الليل حتى قضينا الوطر
ولم يأخذ الضرب الا الرؤس ٭ ولم يأخذ الطعن الا الثغر
فنحن أولئك فى أمسنا ٭ ونحن كذلك فيما غــبر

قال فلم يبق أحد من الرؤساء الا وأهدى الى الشنى قال نصر وحدثنا عمر بن سعد قال لما تعاظمت الامور على معاوية قبل قتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب دعا عمرو بن العاص وبسر بن أبى ارطاة وعبيد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد فقال لهم انه قد غمنى مقام رجال من أصحاب على منهم سعيد بن قيس الهمدانى فى قومه والاشتر فى قومه والمرقال وعدى بن حاتم وقيس بن سعد فى الانصار وقد علمتم أن يمانيتكم وقتكم بانفسها أياما كثيرة حتى لقد استحييت لكم وأنتم عدتهم من قريش وأنا أحب أن يعلم الناس أنكم أهل غناء وقد عبأت لكل رجل منهم رجلا منكم فاجعلوا ذلك الى قالوا ذاك اليك قال فانا أكفيكم غدا سعيد بن قيس وقومه وأنت يا عمرو للمرقال أعور بنى زهرة وأنت يا بسر لقيس بن سعيد وأنت يا عبيد الله للاشتر وأنت يا عبد الرحمن لاعور طيء يعنى عدى بن حاتم وقد جعلتها نوائب فى خمسة أيام لكل رجل منكم يوم فكونوا على أعنة الخيل قالوا نعم فاصبح معاوية فى غده فلم يدع فارسا الا حشده ثم قصد لهمدان بنفسه وارتجز فقال

ان نمنع الحرمة بعد العام ٭ بين قتيل وجريح دامى

سأملك العــراق بالشآم ٭ أنعى ابن عفان مدى الايام

فطعن فى أعراض الخيل مليا ثم ان همــدان تنادت بشــعارها واقحم سعيد بن قيس فرسه على معاوية واشتد القتال حتى حجز بينهم الليل فهمدان تذكر ان سعيدا كاد يقتضيه الا أنه فاته ركضا وقال سعيد فى ذلك

يالهف نفسى فاتنى معاوية ٭ فوق طمر كالعقاب هاوية ٭ والراقصات لا يعود ثانية

قال نصر وانصرف معاوية ذلك اليوم ولم يصنع شيأ وغدا عمرو بن العاص فى اليوم الثانى فى حماة الخيل فقصد المرقال ومع المرقال لواء على عليه السلام الاعظم فى حماة الناس فارتجز عمرو فقال

لأعيش ان لم ألق يوما هاشما ٭ ذاك الذى جشمنى المجاشما
ذاك الذى يشتم عرضى ظالما ٭ ذاك الذى ان ينج منى سالما
٭ يكن شجى حتى الممات لازما ٭

فطعن فى أعراض الخيل مزبدا وحمل المرقال عليه وارتجز فقال

لأعيش ان لم ألق يوما عمرا ٭ ذاك الذى أحدث فينا الغدرا
أو يبــدل الله بأمر أمرا ٭ لا تجزعى يا نفس صبرا صبرا
ضربا هذاذيك وطعنا شزرا ٭ ياليت ما تجنى يكون القبرا

فطاعن عمرا حتى رجع وانصرف الفريقان بعد شدة القتال ولم يسر معاوية ذلك وغدا بسر بن أبى ارطاة فى اليوم الثالث فى حماة الخيل فلقى قيس بن سعد بن عبادة فى كماة الانصار فاشتدت الحرب بينهما وبرز قيس كانه فنيق مقرم وهو يقول

أنا ابن ســعد زانه عباده ٭ والخزرجيون كماة ساده
ليس فرارى فى الوغى بعاده ٭ ان الفــرار للفتى قلاده
يارب أنت لقنى الشهاده ٭ فالقتل خير من عناق غاده
٭ حتى متى تثنى لى الوساده ٭

وطاعن خيل بسر وبرز بسر فارتجز وقال

أنا ابن أرطاة العظيم القدر ٭ مردد فى غالب وفهــر
ليس الفرار من طباع بسر ٭ ان أرجع اليوم بغــير وتر
وقد قضيت فى العدو أمرى ٭ ياليت شعرى كم بقى من عمرى

ويطعن بسر قيسا ويضربه قيس بالسيف فرده على عقبه ورجع القوم جميعا ولقيس الفضل وتقدم عبيد الله بن عمر بن الخطاب فى اليوم الرابع لم يترك فارسا مذكورا الا وجمعه واستكثر ما استطاع فقال له معاوية انك اليوم تلقى أفعى أهل العراق فارفق واتئد فلقيه الاشتر امام الخيل مزبدا وكان الاشتر اذا أراد القتال أزبد وهو يقول

يارب قيض لى سيوف الكفرة ٭ واجعل وفاتى باكف الفجره
فالقتل خير من ثياب الحبره ٭ لا تعدل الدنيا جميعا وبره
٭ ولا بعوضا فى ثواب البرره ٭

وشد على الخيل خيل الشام فردها فاستحى عبيد الله وبرز امام الخيل وكان فارسا شجاعا وقال

أبغى ابن عفان وأرجو أربى ٭ ذاك الذى يخرجنى من ذنبى
ذاك الذى يكشف عنى كربى ٭ ان ابن عفان عظيم الخطب
يأبى له حبى بكل قلبى ٭ الا طعانى دونه وضربى
٭ حسبى الذى أنويه حسبى حسبى ٭

فحمل عليه الاشتر وطعنه واشتد الامر وانصرف القوم وللاشتر الفضل فغم ذلك معاوية وغدا عبد الرحمن بن خالد فى

اليوم الخامس وكان رجاء معاوية ان ينال حاجته ففقواه بالخيل والسلاح وكان معاوية بعده ولدا فالقيه عدى بن حاتم فى كماة مذحج وقضاعة فبرز عبد الرحمن امام الخيل وقال

قل لعدى ذهب الوعيد ۞ أنا ابن سيف الله لا مزيد
وخالد يزينه الوليد ۞ ذاك الذى قيل له الوحيد

ثم حمل فطعن الناس فقصده عدى بن حاتم وسدد اليه الرمح وقال

أرجو الهى وأخاف ذنبى ۞ ولست أرجو غير عفو ربى
يا ابن الوليد بغضكم فى قلبى ۞ كالهضب بل فوق قنان الهضب

فلما كاد ان يخالطه بالرمح توارى عبد الرحمن فى العجاج واستتر باسنة أصحابه واختلط القوم ثم تحاجزوا ورجع عبد الرحمن مقهورا وانكسر معاوية وبلغ أيمن بن خريم مالقى معاوية وأصحابه فشمت بهم وكان ناسكا من أنسك أهل الشام وكان معتزلا للحرب فى ناحية عنها فقال

معاوى ان الامر لله وحده ۞ وانك لا تستطيع ضرا ولا نفعا
عبأت رجالا من قريش لعصبة ۞ يمانية لا تستطيع لها دفعا
فكيف رأيت الامر اذ جد جده ۞ لقد زادك الامر الذى جئته جدعا
تعبى لقيس أو عدى بن حاتم ۞ والاشتر يا للناس أغمارك الجذعا
وتجعل للمرقال عمرا وانه ۞ لليث لقى من دون غابته ضبعا
وان سعيدا اذ برزت لرمحه ۞ لفارس همدان الذى يشعب الصدعا
ملىء بضرب الدارعين بسيفه ۞ اذا الخيل ابدت من سنا بكها نقعا
رجعت فلم تظفر بشئ تريده ۞ سوى أفرس أعيت وابت بها ظلعا
فدعهم فلا والله لا تستطيعهم ۞ مجاهرة فاعمل لقهرهم خدعا

قال وان معاوية أظهر لعمرو شماتة وجعل يقرعه ويوبخه وقال لقد أنصفتكم اذ لقيت سعيد بن قيس فى همدان وفررتم وانك لجبان يا عمرو فغضب عمرو وقال فهلا برزت الى على اذ دعاك ان كنت شجاعا كما تزعم وقال

تسير الى ابن ذى يزن سعيد ۞ وتترك فى العجاجة من دعاكا
فهل لك فى أبى حسن على ۞ لعل الله يمكن من قفاكا
دعاك الى البراز فلم تجبه ۞ ولو نازلته تربت يداكا
وكنت أصم اذ ناداك عنها ۞ وكان سكوته عنها مناكا
فآب الكبش قد طحنت رحاه ۞ بنجدته وما طحنت رحاكا
فما انصفت صحبك يا ابن هند ۞ أتفرقه وتغضب من كفاكا
فلا والله ما اضمرت خيرا ۞ ولا اظهرت لى الاهواكا

قال وان القرشيين استحيوا مما صنعوا وشمتت بهم اليمانية من أهل الشام فقال معاوية يا معشر قريش والله لقد قربكم لقاء القوم الى الفتح ولكن لامر ولامر الله وما تستحيون انما لقيتم كباش العراق فقتلتم منهم وقتلوا منكم وما لكم على من حجة لقد عبأت نفسى لسيدهم وشجاعهم سعيد بن قيس فانقطعوا عن معاوية أياما فقال معاوية

لعمرى لقد انصفت والنصف عادتى ۞ وعاين طعنا فى العجاج المعاين
ولولا رجائى ان تؤبوا بنهزة ۞ وان تغسلوا عارا وعته الكنائن
لناديت للهيجا رجالا سواكم ۞ ولكنما يحمى الملوك البطائن

اتدرون من لاقيتم فل جيشكم ۞ لقيتم ليوثا أصحرتها العرائن
لقيتم صناديد العراق ومن بهم ۞ اذا جاشت الهيجاء تحمى الظعائن
وما كان منكم فارس دون فارس ۞ ولكنه ما قدر الله كائن

فلما سمع القوم ما قاله معاوية أتوه فاعتذروا اليه واستقاموا اليه على ما يحب قال نصر وحدثنا عمرو بن شمر قال لما اشتد القتال وعظم الخطب أرسل معاوية الى عمرو بن العاص ان قدم عكا والاشعريين الى من بازائهم فبعث عمرو اليه ان بازاء عك همدان فبعث اليه معاوية ان قدم عكا فاتاهم عمرو فقال يا معشر عك ان عليا قد عرف أنكم حى أهل الشام فعبأ لكم حى أهل العراق همدان فاصبروا وهبوا الى جماجمكم ساعة من النهار فقد بلغ الحق مقطعه فقال ابن مسروق العكى أمهلنى حتى آتى معاوية فاتاه فقال يا معاوية اجعل لنا فريضة ألفى رجل فى ألفين ألفين ومن هلك فابن عمه مكانه لنقر اليوم عينك فقال لك ذلك فرجع ابن مسروق الى أصحابه فاخبرهم الخبر فقالت عك نحن لهمدان ثم تقدمت عك ونادى سعيد بن قيس يا همدان أن تقدموا فشدت همدان على عك رجالة فأخذت السيوف رجل عك فنادى ابن مسروق يا لعك بركا كبرك الكمل ۞ فبركوا تحت الجحف فشجرتهم همدان بالرماح وتقدم شيخ من همدان وهو يقول

بالبكيل لحمها وحاشد ۞ نفسى فداكم طاعنوا وجالدوا
حتى تخر منكم القماحد ۞ وأرجل يتبعها سواعد
۞ بذاك أوصى جدكم والوالد ۞

وقام رجل من عك فارتجز فقال

تدعون همدان وندعو عكا ۞ بكوا الرجال يا لعك بكا
ان خدم القوم فبركا بركا ۞ لا تدخلوا اليوم عليكم شكا
۞ قد محك القوم فزيدوا محكا ۞

قال فالتقى القوم جميعا بالرماح وصاروا الى السيوف وتجالدوا حتى أدركهم الليل فقالت همدان يا معشر عك نحن نقسم بالله اننا لا ننصرف حتى تنصرفوا وقالت عك مثل همدان فأرسل معاوية الى عك أن أبروا قسم اخوتكم وهلموا فانصرفت عك فلما انصرفت انصرفت همدان فقال عمرو يا معاوية والله لقد لقيت أسدا أسد الم أر والله كهذا اليوم قط لو أن معك حيا كعك أو مع على حى كهمدان لكان الفناء وقال عمرو فى ذلك

ان عكا وحاشدا وبكيلا ۞ كاسود الضراء لاقت اسودا
وجثا القوم بالقنا وتساقوا ۞ بظباة السيوف موتا عتيدا
ازورار المناكب العاب بالشم ۞ وضرب المسومين الخدودا
ليس يدرون ما الفرار ولو ۞ كان فرار لكان ذاك سديدا
يعلم الله ما رأيت من القوم ۞ ازورارا ولا رأيت صدودا
غير ضرب فوق الطلى على الهام ۞ وقرع الحديد يعلو الحديدا
ولقد قال قائل خدموا السوق ۞ فخرت هناك عك قعودا
كبراك الجمال اثقلها الحمل ۞ فما تستقل الاوئيدا

قال ولما اشترطت عك والاشعريون على معاوية ما اشترطوا من الفريضة والعطاء فأعطاهم لم يبق من أهل العراق أحد فى قلبه مرض الا طمع فى معاوية وشخص ببصره اليه حتى فشا ذلك فى الناس وبلغ عليا عليه السلام فساءه قال نصر وجاء عدى بن حاتم يلتمس عليا عليه السلام ما يطأ الا على قتيل أو قدم أو ساعد فوجده تحت رايات بكر بن وائل فقال يا أمير المؤمنين ألا نقوم حتى نقاتل الى ان نموت فقال له على عليه السلام ادن فدنا حتى وضع اذنه عند انفه فقال ويحك ان عامة من معى اليوم يعصينى وان معاوية فيمن يطيعه ولا يعصيه قال نصر وجاء المنذر بن أبى حمضة الوادعى وكان شاعر همدان وفارسها عليا عليه السلام فقال يا أمير المؤمنين ان عكا والاشعريين طلبوا الى معاوية الفرائض والعطاء فأعطاهم

فباعوا الدين بالدنيا فانا قد رضينا بالآخرة من الدنيا وبالعراق من الشام وبك من معاوية والله لآخرتنا خير من دنياهم ولعراقنا خير من شامهم ولامامنا أهدى من امامهم فاستفتحنا بالحرب وثق منا بالنصر واحملنا على الموت وانشده

ان عكا سألوا الفرائض والاشـــعر سالوا جوايزا لبنيـــه
تركوا الدين للعطاء وللـــفرض فكانوا بذاك شر البرية
وسألنا حسن الثواب من الله ۞ وصبرا عـلى الجهاد ونيه
فلكل ماساله ونواه ۞ كلنا نحسب الخلاف خطيه
ولأهل العراق أحسن فى العرب ۞ اذا ماتدانت السمهريه
ولأهـل العراق أحـل للثقـــل اذا عمت البـلاد بليه
ليس منا مـن لم يكن لك فى الله ۞ وليا ياذا الولا والوصـــيه

فقال على عليه السلام حسبك الله يرحمك الله واثنى عليه وعلى قومه خيرا وانتهى شعره الى معاوية فقال والله لأستميلن بالدنيا ثقات على ولاقسمن فيهم الاموال حتى تغلب دنياى آخرته قال نصر فلما أصبح الناس غدوا على مصافهم وأصبح معاوية يدور فى احياء اليمن وقال عبوا الى كل فارس مذكور فيكم أتقوى به على هـذا الحى من همدان فخرجت خيل عظيمة فلما رآها على عليه السلام وعرف أنها عيون الرجال فنادى يا لهمدان فأجابه سعيد بن قيس فقال له على عليه السلام احـمل فحمل حتى خالط الخيل بالخيل واشتد القتال وحطمتهم همدان حتى ألحقتهم بمعاوية فقال معاوية مالقيت من همدان وجزع جزعا شديدا وأسرع القتل فى فرسان الشام وجمع على عليه السلام همدان فقال لهم يامعشر همدان أنتم درعى ورمحى ومجنى ياهمـدان مانصرتم الا الله ولا أجبتم غيره فقال سـعيد بن قيس أجبنا الله وأجبناك ونصرنا رسول الله فى قبره وقاتلنا معك من ليس مثلك فارمنا حيث شئت قال نصر وفى هذا اليوم قال على عليه السـلام

لو كنت بوابا على باب جنة ۞ لقلت لهمدان ادخلى بسلام

فقال على عليه السلام لصاحب لواء همدان اكفنى اهل حمص فانى لم ألق من أحد مالقيت منهم فتقدم وتقدمت همدان وشدوا شدة واحدة على أهـل حمص فضربوهم ضربا شديدا متـداركا بالسيوف وعمـد الحديد حتى الجاؤهم الى قبة معاوية وارتجز من همدان رجل عداده فى أرحب فقال

قـد قتـل الله رجال حمص ۞ غروا بقول كذب وحرص
حرصا عـلى المال وأى حرص ۞ قد نكص القوم وأى نكص
۞ عن طاعة الله وفحوى النص ۞

قال نصر فحـدثنا عمر بن سـعد قال لما ردت خيول معاوية اسـف فجرد سيفه وحـمل فى كتائب أصحابه فحملت عليه فوارس همـدان ففاز منها ركضا وانكسرت كتائبه ورجعت همدان الى مراكزها فقال حجر بن قحطان الهمدانى يخاطب سعيد بن قيس

ألا يا ابن قيس قرت العين اذ رأت ۞ فوارس همدان بن زيد بن مالك
عـلى عارفات للقاء عوابس ۞ طوال الهوادى مشرفات الحوارك
معـودة للطعن فى ثغراتها ۞ يجلن فيحطمن الحصى بالسنابك
عباها عـلى لابن هند وخيـله ۞ فـلو لم يفتها كان أول هالك
وكانت له فى يومه عنـد ظنه ۞ وفى كل يوم كاسف الشمس حالك
وكانت بحمـد الله فى كل كربة ۞ حصونا وعز الارجال الصعالك
فقـل لامير المؤمنـين ان ادعنا ۞ متى شئت انا عرضـة للمهالك
ونحن حطمنا السمر فى حى حمير ۞ وكندة والحى الخفاف السكاسك
وعك ولخم شائلين سياطهم ۞ حـذار العوالى كالاماء العوارك

قال

قال نصر وحدثنا عمر بن سعد عن رجاله ان معاوية دعا يوما بصفين مروان بن الحكم فقال له ان الاشتر قد غمنى واقلقنى فاخرج بهـذه الخيل فى يحصب والـكلاعيين فالقه فقال مروان ادع لها عمرا فانه شعارك دون دثارك قال فانت نفسى دون وريدى قال لو كنت كذلك الحقتنى به فى العطاء أو الحقته بى فى الحرمان ولكنك أعطيته مافى يدك ومنيته مافى يد غيرك فان غلبت طاب له المقام وان غلبت خف عليـه الحرب فقال معاوية سيغنى الله عنك قال أما الى اليوم فلم يغن فدعا معاوية عمرا فامره بالخروج الى الاشتر فقال أما انى لا اقول لك ماقال مروان قال وكيف تقوله وقد قدمتك وأخرته وادخلتك وأخرجته قال أما والله ان كنت فعلت لقد قدمتنى كافيا وادخلتنى ناصحا وقد أكثر القوم عليك فى أمر مصر وان كان لا يرضيهم الا رجوعك فيما وثقت لى به منها فارجع فيه ثم قام فخرج فى تلك الخيل فلقيه الاشتر امام القوم وقد علم انه سيلقاه وهو يرتجز ويقول

ياليت شعرى كيف لى بعمرو ۞ ذاك الذى أوجبت فيه نذرى
ذاك الذى اطلبه بوترى ۞ ذاك الذى فيه شفاء صـدرى
من بابى يوما بكل عمرى ۞ يعـلى به عنـد اللقاء قدرى
أجعـــله فيـه طعام النسر ۞ أولا فربى عاذرى بعـذرى

فلما سمع عمرو هذا الرجز فشل وجبن واستحى أن يرجع وأقبل نحو الصوت وقال

ياليت شعرى كيف لى بمالك ۞ كم جاهل جبيته وحارك
وفارس قتلتـــه وفاتك ۞ ومقدم آب بوجه حالك
۞ مازلت دهرى عرضة المهالك ۞

فغشيه الاشتر بالرمح فراغ عمرو عنـه فلم يصنع الرمح شيأ ولوى عمرو عنان فرسه وجعـل يده على وجهه وجعل يرجع راكضا نحو عسكره فنادى غلام من يحصب يا عمرو عليك العفا ماهبت الصبا يا آل حمير هاتوا اللواء فاخذه وتقدم وكان غلاما حدثا فقال

ان يكن عمرو وقد عـلاه الاشـتر ۞ باسـمر فيـه سنان ازهر
فـذاك والله لعـمرى مفخر ۞ ياعمرو تكفيـك الطعان حمير
واليحصبى بالطعان أمهـــر ۞ دون اللواء اليوم موت أحمر

فنادى الاشتر ابنه ابراهيم خذ اللواء فغلام لغلام وتقدم فاخذ ابراهيم اللواء وتقدم وقال

يا أيها السائل عنى لاترع ۞ أقدم فانى من عرانين النخع
كيف ترى طعن العراق الجذع ۞ أطيرفى يوم الوغى ولاافع
ماساءكم سر وماضر نفع ۞ اعددت ذا اليوم لهول المطلع

وحمل على الحميرى فالتقاه الحميرى بلوائه ورمحه فلم يبرحا يطعن كل واحد منهما صاحبه حتى سـقط الحميرى قتيلا وشمت مروان بعمرو وغضب القحطانيون على معاوية وقالوا تولى علينا من لا يقاتل معنا ول رجلا منا والا فلا حاجة لنا فيك وقال شاعرهم

معاوى اماتدعنا العظيمة ۞ يلبس من نكرانها الغرض بالحقب
فول علينا من يحوط ذمارنا ۞ من الحميريين الملوك عـلى العرب
ولا تأمرنا بالتى لا نريدها ۞ ولا تجعلنا بالهوى موضع الذنب
ولا تغضبنا والحوادث جمة ۞ عليك فيفشو اليوم فى يحصب الغضب
فان لنا حقا عظيما وطاعـة ۞ وحبا دخيـلا فى المشاش وفى العصب

فقال لهم معاوية والله لا أولى عليكم بعد هذا اليوم الا رجلا منكم قال نصر وحدثنا عمر بن سعد قال لما أسرع أهل العراق فى أهل الشام قال لهم معاوية هذا يوم تمحيص وان لهذا اليوم مابعده وقد أسرعتم فى القوم كما أسرعوا فيكم فاصبروا وموتوا كراما وحرض على عليه السلام أصحابه فقام اليـه الاصبغ بن نباتة وقال يا أمير المؤمنين قدمنى فى البقية من الناس فانك

لا تفقد لى اليوم صبرا ولا نصرا أما أهل الشام فقد أصبنا منهم وأما نحن ففينا بعض البقية ائذن لى فاتقدم فقال له تقدم على اسم الله والبركة فتقدم وأخذ الراية ومضى بها وهو يقول

ان الرجاء بالقنوط يدفع * حتى متى يرجو البقاء الاصبغ
اما ترى أحداث دهر تتبع * فادبغ هواك والاديم يدبغ
والرفق فيما قد تريد ابلغ * اليوم شغل وغدا لا يفرغ

فارجع الى على عليه السلام حتى خضب سيفه دما ورمحه وكان شيخا ناسكا عابدا وكان اذا لقى القوم بعضهم بعضا يغمد سيفه وكان من ذخائر على عليه السلام ممن قد بايعه على الموت وكان على عليه السلام يضن به عن الحرب والقتال قال نصر وحدثنا عمرو بن شمر عن جابر قال نادى الاشتر يوما أصحابه فقال أما من رجل يشرى نفسه لله فخرج اثال بن حجل بن عامر المذحجى فنادى بين العسكرين هل من مبارز فدعا معاوية وهو لا يعرفه أباه حجل بن عامر المذحجى فقال دونك الرجل قال وكانا مستبصرين فى رأيهما فبرز كل واحد منهما الى صاحبه فبدره الشيخ بطعنة وطعنه الغلام وانتسبا فاذا هو ابنه فنزلا فاعتنق كل واحد منهما صاحبه وبكيا فقال له الاب يا بنى هلم الى الدنيا فقال له الغلام يا أبى هلم الى الآخرة ثم قال يا أبت والله لو كان من رأيى الانصراف الى أهل الشام لوجب عليك ان يكون من رأيك لى أن تنهانى واسوأتاه فماذا أقول لعلى وللمؤمنين الصالحين كن على ما أنت عليه وانا على ما أنا عليه فانصرف حجل الى صف الشام وانصرف ابنه اثال الى أهل العراق فخبر كل واحد منهما أصحابه وقال فى ذلك حجل

ان حجل بن عامر واثالا * أصبحا يضربان فى الامثال
أقبل الفارس المدجج فى النقع * اثال يدعو يريد نزالى
دون أهل العراق يخطر كالفحل على ظهر هيكل ذيال
فدعانى له ابن هند * وما زال قليلا فى صحبه أمثالى
فتناولته ببادرة الرمح * واهوى باسمر عسال
فاطعنا وذاك من حدث الدهر عظيم فتى بشيخ بجال
شاجرا بالقناة صدر ابيه * وعزيز على طعن اثال
لا ابالى حين اعترضت اثالا * واثال كذاك ليس يبالى
فافترقنا على السلامة والنفس يقيها مؤخر الآجال
لا يرانا على الهدى ونراه * على من هدانا سبيل ضلال

فلما انتهى شعره الى أهل العراق قال اثال ابنه مجيباله

ان طعنى وسط العجاجة حجلا * لم يكن فى الذى نويت عقوقا
كنت ارجو به الثواب من الله * وكونى مع النبى رفيقا
لم أزل انصر العراق على الشام * ارانى بفعل ذاك حقيقا
قال أهل العراق اذ عظم الخطب * ونق المبارزون نقيقا
من فتى يسلك الطريق الى الله * فكنت الذى سلكت الطريقا
حاسر الرأس لا اريد سوى الموت * أرى الاعظم الجليل دقيقا
فاذا فارس يقحم فى الرو * ع خدبا مثل السحوق عتيقا
فبدانى حجل ببادرة الطعن وما كنت قبلها مسبوقا
فتلقيته بعالية الرمح * كلانا يطاول العيوقا
أحمد الله ذا الجلالة والقد * رة حمدا يزيدنى توفيقا

اذ كففت السنان عنه ولم اد * ن قتيلا أبى ولا تفروقا
قلت للشيخ لست اكفر نعما * ك لطيف الغذاء والتفنيقا
غير انى أخاف ان تدخل النا * ر ولا تعصنى وكن لى رفيقا
وكذا قال لى فغرب تغريبا * وشرقت راجعا تشريقا

قال نصر وحدثنا عمرو بن شمر بالاسناد المذكور ان معاوية دعا النعمان بن بشير بن سعد الانصارى ومسلمة بن مخلد الانصارى ولم يكن معه من الانصار غيرهما فقال يا هذان لقد غمنى ما لقيت من الاوس والخزرج واضعى سيوفهم على عواتقهم يدعون الى النزال حتى لقد جبنوا أصحابى الشجاع منهم والجبان وحتى والله ما أسأل عن فارس من أهل الشام الا قيل قتله الانصار أما والله لالقينهم بحدى وحديدى ولاعبين لكل فارس منهم فارسا ينشب فى حلقه ولارمينهم باعدادهم من قريش رجال لم يغذهم التمر والطفيشل يقولون نحن الانصار قد والله آووا ونصروا ولكن أفسدوا حقهم بباطلهم فغضب النعمان وقال يا معاوية لا تلومن الانصار فى حب الحرب والسرعة نحوها فانهم كذلك كانوا فى الجاهلية وأما دعاؤهم الى النزال فقد رأيتهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله يفعلون ذلك كثيرا وأما لقاؤك اياهم فى أعدادهم من قريش فقد علمت ما لقيت قريش منهم قديما فان أحببت ان ترى فيهم مثل ذلك آنفا فافعل وأما التمر والطفيشل فان التمر كان لنا فلما ان ذقتموه شاركتمونا فيه وأما الطفيشل فكان لليهود فلما أكلناه غلبناهم عليه كما غلبت قريش على السخينة ثم تكلم مسلمة بن مخلد فقال يا معاوية ان الانصار لا تعاب أحسابها ولا نجداتها وأما غمهم اياك فقد والله غمونا ولو رضينا ما فارقونا ولا فارقنا جماعتهم وان فى ذلك ما فيه من مباينة العشيرة ولكنا حملنا ذلك لك ورجونا منك عوضه وأما التمر والطفيشل فانهما يجران عليك السخينة والخرنوب قال وانتهى هذا الكلام الى الانصار فجمع قيس بن سعد الانصار ثم قام فيهم خطيبا فقال ان معاوية قال ما بلغكم وأجابه عنكم صاحباكم ولعمرى ان غظتم معاوية اليوم لقد غظتموه أمس وان وترتموه فى الاسلام فلقد وترتموه فى الشرك وما لكم اليه من ذنب أعظم من نصر هذا الدين جدوا اليوم جدا تنسونه به ما كان أمس وجدوا غدا جدا تنسونه به ما كان اليوم فانتم مع هذا اللواء الذى كان يقاتل عن يمينه جبريل وعن يساره ميكائيل والقوم مع لواء أبى جهل والاحزاب فاما التمر فانا لم نغرسه ولكن غلبنا عليه من غرسه وأما الطفيشل فلو كان طعامنا لسمينا به كما سميت قريش سخينة ثم قال سعد فى ذلك شعرا

يا ابن هند دع التوثب فى الحر * ب اذا نحن بالجياد سرينا
نحن من قد علمت فادن اذا * شئت بمن شئت فى العجاج الينا
ان تشأ فارس له فارس منا و * ان شئت باللفيف التقينا
أى هذين ما أردت فخذه * ليس منا وليس منك الهوينا
ثم لا ننسلخ العجاجة حتى * تنجلى حربنا لنا أو علينا
ليت ما تطلب الغداة أتانا * أنعم الله بالشهادة عينا *

فلما أتى شعره وكلامه معاوية دعا عمرو بن العاص فقال ما ترى فى شتم الانصار قال أرى أن توعدهم ولا تشتمهم ماعسى أن تقول لهم اذا أردت ذمهم فذم أبدانهم ولا تذم أحسابهم فقال ان قيس بن سعد يقوم على كل يوم خطيبا وأظنه والله يفنينا غدا ان لم يحبسه عنا حابس الفيل فما الرأى قال الصبر والتوكل وأرسل الى رؤس الانصار مع على فعاتبهم ومرهم أن يعاتبوه فارسل معاوية الى أبى مسعود والبراء بن عازب وخزيمة بن ثابت والحجاج بن غزية وأبى أيوب فعاتبهم فمشوا الى قيس بن سعد وقالوا له ان معاوية لا يحب الشتم فكف عن شتمه فقال ان مثلى لا يشتم ولكنى لا أكف عن حربه حتى ألقى الله قال وتحركت الخيل غدوة فظن قيس ان فيها معاوية فحمل على رجل يشبهه فضربه بالسيف فاذا هو ليس به ثم حمل على آخر يشبهه أيضا فقنعه بالسيف فلما تحاجز الفريقان شتمه معاوية شتما قبيحا وشتم الانصار

فغضب النعمان ومسلمة فارضاهما بعد ان همّا أن ينصرفا الى قومهما ثم ان معاوية سأل النعمان أن يخرج الى قيس فيعاتبه ويسأله السلم فخرج النعمان فوقف بين الصفين ونادى ياقيس بن سعد أنا النعمان بن بشير فخرج اليه وقال هيه يانعمان ماحاجتك قال ياقيس انه قد أنصفكم من دعاكم الى مارضي لنفسه يامعشر الانصار انكم أخطأتم في خذل عثمان يوم الدار وقتلتم أنصاره يوم الجمل واقحمتم خيولكم على أهل الشام بصفين فلو كنتم اذ خذلتم عثمان خذلتم عليا لكانت واحدة بواحدة ولكنكم لم ترضوا أن تكونوا كالناس حتى أعلمتم في الحرب ودعوتم الى البراز ثم لم ينزل بعلي خطب قط الا هونتم عليه المصيبة ووعدتموه الظفر وقد أخذت الحرب مناومنكم ماقد رأيتم فاتقوا الله في البقية فضحك قيس وقال ما كنت أظنك يانعمان محتويا على هذه المقالة انه لاينصح أخاه من غش نفسه وأنت الغاش الضال المضل أماذكرك عثمان فان كانت الاخبار تكفيك فخذمني واحدة قتل عثمان من لست خيرا منه وخذله من هو خير منك وأما أصحاب الجمل فقاتلناهم على النكث وأما معاوية فوالله لواجتمعت عليه العرب قاطبة لقاتلته الانصار وأما قولك انالسنا كالناس فنحن في هذه الحرب كما كنا مع رسول الله نتقي السيوف بوجوهنا والرماح بنحورنا حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ولكن انظر يانعمان هل ترى مع معاوية الا طليقا أواعرابيا أويمانيا مستدرجا بغرور انظر أين المهاجرون والانصار والتابعون لهم باحسان الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ثم انظر هل ترى مع معاوية أنصاريا غيرك وغير صويحبك ولستما والله ببدريين ولا عقبيين ولا أحديين ولا لكما سابقة في الاسلام ولا آية في القرآن ولعمري لئن شغبت علينا لقد شغب علينا أبوك قال نصر وحدثنا عمر بن سعد عن مالك بن أعين عن زيد بن وهب قال كان فارس أهل الشام الذي لاينازع عوف بن مجزأة المرادي المكنى أبا احمر وكان فارس أهل الكوفة العكبر بن جدير الاسدي فقام العكبر الى علي عليه السلام وكان منطيقا فقال ياأمير المؤمنين ان في أيدينا عهدا من الله لانحتاج فيه الى الناس قد ظننا بأهل الشام والصبر وظنوا بنا فصبرنا وصبروا وقد عجبت من صبر أهل الدنيا خصمهم ثم قرأت آية من كتاب الله فعلمت انهم مفتونون الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين فقال له علي عليه السلام خيرا وخرج الناس الى مصافهم وخرج عوف بن مجزأة المرادي نادرا من الناس وكذا كان يصنع وقد كان قتل نفرا من أهل العراق مبارزة فنادى ياأهل العراق هل من رجل عصاه سيفه يبارزني ولا أغركم من نفسي أنا عوف بن مجزأة فنادى الناس بالعكبر فخرج اليه منقطعا عن أصحابه ليبارزه فقال عوف

بالشام أمن ليس فيه خوف ٭ بالشام عدل ليس فيه حيف

بالشام جود ليس فيه سوف ٭ أنا ابن مجزأة واسمي عوف

هل من عراق عصاه سيف ٭ يبرز لي وكيف لي وكيف

فقال له العكبر

الشام محل والعراق ممطر ٭ بها السام طاهر مطهر

والشام فيها أعور ومعور ٭ أنا العراق واسمي عكبر

ابن جدير وأبوه المنذر ٭ ادن فاني في البراز قسور

فاطعنا فصرعه العكبر وقتله ومعاوية على التل في وجوه قريش ونفر قليل من الناس فوجه العكبر فرسه فملأ فروجه ركضا ويضربه بالسوط مسرعا نحو التل فنظر معاوية اليه فقال هذا الرجل مغلوب على عقله أومستأمن فاسألوه فاتاه رجل وهو في جوفرسه فناداه فلم يجبه ومضى مبادرا حتى انتهى الى معاوية فجعل يطعن في أعراض الخيل ورجا أن ينفرد بمعاوية فيقتله فاستقبله رجال قتل منهم قوما وحال الباقون بينه وبين معاوية بسيوفهم ورماحهم فلما لم يصل اليه قال أولى لك يابن هند أنا الغلام الاسدي ورجع الى صف العراق ولم يكلم فقال له علي عليه السلام مادعاك الى ماصنعت لاتلق نفسك الى التهلكة قال ياأمير المؤمنين أردت غرة ابن هند فحيل بيني وبينه وكان العكبر شاعرا فقال

قتلت المرادي الذي كان باغيا ٭ ينادي وقد ثار العجاج نزال

يقول أنا عوف بن مجزاة والمنى ٭ لقاء ابن مجزاة يوم قتال

فقلت له لما علا القوم صوته ٭ منيت بمشبوخ اليدين طوال

فاوجرته في ملتقى الحرب صعدة ٭ ملات بها رعبا صدور رجال

فغادرته يكبو صريعا لوجهه ٭ ينوء مرارا في مكر مجال

وقدمت مهري راكضا نحو صفهم ٭ اصرفه في جريه بشمالي

أريد به التل الذي فوق رأسه ٭ معاوية الجاني لكل خبال

فقام رجال دونه بسيوفهم ٭ وقام رجال دونه بعوالي

فلونلته نلت التي ليس بعدها ٭ وفزت بذكر صالح وفعالي

ولومت في نيل المنى ألف موتة ٭ لقلت اذا مامت لست أبالي

قال فانكسر أهل الشام لقتل عوف المرادي ونذر معاوية دم العكبر فقال العكبر يد الله فوق يده فاين الله جل جلاله ودفاعه عن المؤمنين قال نصر وروى عمر بن سعد عن الحرث بن حصين عن أبي الكنود قال جزع أهل الشام على قتلاهم جزعا شديدا وقال معاوية بن خديج قبح الله ملكا يملكه المرء بعد حوشب وذي الكلاع والله لوظفرنا باهل الدنيا بعد قتلهما بغير مؤنة ما كان ظفرا وقال يزيد بن أسد لمعاوية لاخير في أمر لايشبه آخره أوله لايدمى جريح ولا يبكى قتيل حتى تنجلي هذه الفتنة فان يكن الامر لك أدميت وبكيت على قرار وان يكن لغيرك فما أصبت به أعظم فقال معاوية ياأهل الشام ماجعلكم أحق بالجزع على قتلاكم من أهل العراق على قتلاهم والله ماذو الكلاع فيكم باعظم من عمار بن ياسر فيهم ولا حوشب فيكم باعظم من هاشم فيهم وما عبيد الله بن عمر فيكم باعظم من ابن بديل فيهم وما الرجال الا أشباه وما التمحيص الا من عند الله فابشروا فان الله قد قتل من القوم ثلاثة قتل عمارا وكان فتاهم وقتل هاشما وكان جمرتهم وقتل ابن بديل وهو الذي فعل الافاعيل وبقي الاشتر والاشعث وعدي بن حاتم فاما الاشعث فانما حمى عنه مصره وأما الاشتر وعدي فغضبا والله قاتلهما غدا ان شاء الله تعالى فقال معاوية بن خديج ان يكن الرجال عندك أشباها فليست عندنا كذلك وغضب وقال شاعر اليمن يرثي ذا الكلاع وحوشبا

معاوي قد نلنا ونيلت سراتنا ٭ وجدع أحياء الكلاع ويحصب

فذوكلع لايبعد الله داره ٭ وكل يمان قد أصيب بحوشب

هما ماهما كانا معاوي عصمة ٭ متى قلت كانا عصمة لا أكذب

ولوقبلت في هالك بذل فدية ٭ فديتهما بالنفس والام والاب

وروى نصر عن عمر بن سعد عن عبيد الرحمن بن كعب قال لما قتل عبد الله بن بديل يوم صفين مر به الاسود بن طهمان الخزاعي وهو بآخر رمق فقال له عز علي والله مصرعك أما والله لوشهدتك لآسيتك ولدافعت عنك ولو رأيت الذي أشعرك لاحببت ان لا أزايله ولا يزايلني حتى أقتله أو يلحقني بك ثم نزل اليه فقال رحمك الله ياعبدالله ان كان جارك ليأمن بوائقك وان كنت لمن الذاكرين الله كثيرا وصني رحمك الله قال أوصيك بتقوى الله وان تناصح أمير المؤمنين وتقاتل معه حتى يظهر الحق أوتلحق بالله وأبلغ أمير المؤمنين عني السلام وقل له قاتل على المعركة حتى تجعلها خلف ظهرك فانه من أصبح والمعركة خلف ظهره كان الغالب ثم لم يلبث ان مات فاقبل أبو الاسود الى علي عليه السلام فاخبره فقال رحمه الله جاهد معنا عدونا في الحياة ونصح لنا في الوفاة قال نصر وقد روى نحو هذا عن عبد الرحمن بن كلدة حدثني محمد ابن اسحق عن عبدالله بن أبي بحر عن عبد الرحمن بن حاطب قال خرجت التمس أخي سويدا في قتلى صفين فاذا رجل صريع في القتلى قد أخذ بثوبي فالتفت فاذا هو عبد الرحمن بن كلدة فقلت انا لله وانا اليه راجعون هل لك في الماء ومعي اداوة فقال لاحاجة لي فيه قد أنفذ في السلاح وخرقني فلست أقدر على الشراب هل أنت مبلغ عني أمير المؤمنين رسالة أرسلك بها قلت نعم قال اذا رأيته فاقرأ عليه السلام وقل له ياأمير المؤمنين احمل جرحاك الى عسكرك حتى تجعلهم من

وراء ظهرك فان الغلبة لمن فعل ذلك ثم لم أبرح حتى مات فخرجت حتى أتيت أمير المؤمنين عليه السلام فقلت له ان عبد الرحمن بن كلدة يقرأ عليك السلام قال وأين هو قلت وجدته وقد أنفذه السلاح وخرقه فلم يستطع شرب الماء ولم أبرح حتى مات فاسترجع عليه السلام فقلت قد أرسلني اليك برسالة قال وما هي قلت انه يقول احل جرحاك الى عسكرك واجعلهم وراء ظهرك فان الغلبة لمن فعل ذلك فقال صدق فنادى مناديه في العسكر ان احلوا جرحاكم من بين القتلى الى معسكركم ففعلوا قال نصر وحدثني عمرو بن شمر عن جابر عن عامر عن صعصعة بن صوحان ان أبرهة بن الصباح الحميري قام بصفين فقال ويحكم يا معشر أهل اليمن اني لاظن الله قد اذن بفنائكم ويحكم خلوا بين الرجلين فليقتتلا فايهما قتل صاحبه ملنا معه جميعا وكان ابرهة من رؤساء أصحاب معاوية فبلغ قوله عليا عليه السلام فقال صدق ابرهة والله ما سمعت بخطبة منذ وردت الشام أنا بها أشد سرورا مني بهذه الخطبة قال وبلغ معاوية كلام ابرهة فتأخر آخر الصفوف وقال لمن حوله اني لاظن ابرهة مصابا في عقله فاقبل أهل الشام يقولون والله ان ابرهة لاكملنا دينا وعقلا ورأيا وبأسا ولكن الامير كره مبارزة علي وسمع ما دار من الكلام أبو داود عروة بن داود العامري وكان من فرسان معاوية فقال ان كان معاوية كره مبارزة أبي حسن فانا أبارزه ثم خرج بين الصفين فنادى أنا أبو داود فابرز الي يا أبا حسن فتقدم علي عليه السلام نحوه فناداه الناس ارجع يا أمير المؤمنين عن هذا الكلب فليس لك بخطر فقال والله ما معاوية اليوم باغيظ لي منه دعوني واياه ثم حمل عليه فضربه فقطعه قطعتين سقطت احداهما يمنة والاخرى شامية فارتج العسكران لهول الضربة وصرخ ابن عم لابي داود واسوء صباحاه وقبح الله البقاء بعد أبي داود وحمل على علي عليه السلام فطعنه فضرب الرمح فبراه ثم قنعه ضربة فالحقه بابي داود ومعاوية واقف على التل يبصر ويشاهد فقال تباً لهذه الرجال وقبحا أما فيهم من يقتل هذا امبارزة أو غيلة أو في اختلاط الفياق وثوران النقع فقال الوليد بن عقبة ابرز اليه أنت فانك أولى الناس بمبارزته فقال والله لقد دعاني الى البراز حتى لقد استحييت من قريش واني والله لا أبرز اليه ما جعل العسكر بين يدي الرئيس الا وقاية له فقال عتبة بن أبي سفيان الهواعن هذا كانكم لم تسمعوا نداءه فقد علمتم انه قتل حريثا وفضح عمرا ولا أرى أحدا يتحكك به الا قتله فقال معاوية لبسر بن أرطاة أتقوم لمبارزته فقال ما أحد أحق بها منك أما اذ بيتموه فانا له قال معاوية انك ستلقاه غدا في أول الخيل وكان عند بسر ابن عم له قدم من الحجاز يخطب ابنته فاتى بسرا فقال له اني سمعت أنك وعدت من نفسك أن تبارز عليا أما تعلم ان الوالي من بعد معاوية عتبة ثم بعده محمد أخوه وكل من هؤلاء قرن على فما يدعوك الى ما أرى قال الحياء خرج مني كلام فانا استحيي ان أرجع عنه فضحك الغلام وقال

تنازله يا بسر ان كنت مثله * والا فان الليث للشاء آكل
كانك يا بسر بن أرطاة جاهل * بآثاره في الحرب أو متجاهل
معاوية الوالي وصنواه بعده * وليس سواء مستعار وثا كل
أولاك هم أولى به منك انه * علي فلا تقربه أمك هابل
متى تلقه فالموت في رأس رمحه * وفي سيفه شغل لنفسك شاغل
وما بعده في آخر الخيل عاطف * ولا قبله في أول الخيل حامل

فقال بسر هل هو الا الموت لابد من لقاء الله فغدا علي عليه السلام منقطعا من خيله ويده في يد الاشتر وهما يتسايران رويدا يطلبان التل ليقفا عليه اذ برز له بسر مقنعا في الحديد لا يعرف فناداه ابرز الي أبا حسن فانحدر اليه على تؤدة غير مكترث به حتى اذا قاربه طعنه وهو دارع فالقاه الى الارض ومنع الدرع السنان أن يصل اليه فاتقاه بسر بعورته وقصد أن يكشفها يستدفع بأسه فانصرف عنه عليه السلام مستدبرا له فعرفه الاشتر حين سقط فقال يا أمير المؤمنين هذا بسر بن أرطاة هذا عدو الله وعدوك فقال دعه عليه لعنة الله أبعد أن فعلها فحمل ابن عم بسر من أهل الشام شاب على علي عليه السلام وقال

أرديت بسرا والغلام ثائره * أرديت شيخا غاب عنه ناصره * وكلنا حام لبسر واتره

فلم يلتفت اليه علي عليه السلام وتلقاه الاشتر فقال

له في كل يوم رجل شيخ شاغره * وعورة وسط العجاج ظاهره
تبرزها طعنة كف واتره * عمرو وبسر منيا بالفاقرة

فطعنه الاشتر فكسر صلبه وقام بسر من طعنة علي عليه السلام موليا وفرت خيله وناداه علي عليه السلام يا بسر معاوية كان أحق بها منك فرجع بسر الى معاوية فقال له معاوية ارفع طرفك فقد أدال الله عمرا منك وقال الشاعر في ذلك

أفي كل يوم فارس تندبونه * له عورة تحت العجاجة باديه
يكف بها عنه علي سنانه * ويضحك منها في الخلاء معاويه
بدت أمس من عمرو فقنع رأسه * وعورة بسر مثلها حذو حاذيه
فقولا لعمرو وابن أرطاة ابصرا * سبيلكما لا تلقيا الليث ثانيه
ولا تحمدا الا الحيا وخصاكما * هما كانتا للنفس والله واقيه
فلولاهما لم تنجوا من سنانه * وتلك بما فيها عن العود ناهيه
متى تلقيا الخيل المغيرة صبحة * وفيها علي فاتركا الخيل ناحيه
وكونا بعيدا حيث لا تبلغ القنا * ونار الوغى ان التجارب كافيه
وان كان منه بعد للنفس حاجة * فعودا الى ما شئتما هي ماهيه

قال فكان بسر بعد ذلك اليوم اذا لقي الخيل التي فيها علي يتنحى ناحية وتحامى فرسان الشام بعدها عليا عليه السلام قال نصر وحدثنا عمر بن سعد عن الاجلح بن عبد الله الكندي عن أبي جحيفة قال جمع معاوية كل قرشي بالشام وقال لهم العجب يا معشر قريش انه ليس لاحد منكم في هذه الحرب فعال يطول بها لسانه ما عدا عمرا فما بالكم أين حمية قريش فغضب الوليد بن عقبة وقال أي فعال تريد والله ما نعرف في أكفائنا من قريش العراق من يغني غناءنا باللسان ولا باليد فقال معاوية بلى ان أولئك وقوا عليا بانفسهم قال الوليد كلا بل وقاهم علي بنفسه قال ويحكم أما فيكم من يقوم لقرنه منهم مبارزة ومفاخرة فقال مروان أما البراز فان عليا لا يأذن لحسن ولا لحسين ولا لمحمد بنيه فيه ولا لابن عباس واخوته ويصلي بالحرب دونهم فلأيهم نبارز وأما المفاخرة فبماذا نفاخرهم بالاسلام أم بالجاهلية فان كان بالاسلام فالفخر لهم بالنبوة وان كان بالجاهلية فالملك فيه لليمن فان قلنا قريش قالوا لنا عبد المطلب فقال عتبة بن أبي سفيان الهوا عن هذا فاني لاق بالغداة جعدة بن هبيرة فقال معاوية بخ بخ قومه بنو مخزوم وأمه أم هانئ بنت أبي طالب كفؤ كريم وكثر العتاب والخصام بين القوم حتى أغلظوا لمروان وأغلظ لهم فقال مروان أما والله لولا ما كان مني الى علي عليه السلام في أيام عثمان ومشهدي بالبصرة لكان لي في علي رأي يكفي امرأ ذا حسب ودين ولكن ولعل ونابذ معاوية الوليد بن عقبة فاغلظ له الوليد فقال معاوية انك انما تجترئ على من نسبك من عثمان ولقد ضربك الحد وعزلك عن الكوفة ثم انهم ما أمسوا حتى اصطلحوا وأرضاهم معاوية من نفسه ووصلهم باموال جليلة وبعث معاوية الى عتبة فقال ما أنت صانع في جعدة قال ألقاه اليوم وأقاتله غدا وكان لجعدة في قريش شرف عظيم وكان له لسان وكان من أحب الناس الى علي عليه السلام فغدا عليه عتبة فنادى أيا جعدة أيا جعدة فاستأذن عليا عليه السلام في الخروج اليه فاذن له واجتمع الناس فقال عتبة يا جعدة والله ما أخرجك علينا الا حب خالك وعمك عامل البحرين وانا والله ما نزعم أن معاوية أحق بالخلافة من علي لولا أمره في عثمان ولكن معاوية أحق بالشام لرضا أهلها به فاعفوا لنا عنها فوالله ما بالشام رجل به طرف الا وهو أجد من معاوية في القتال وليس بالعراق رجل له مثل جد علي في الحرب ونحن أطوع لصاحبنا منكم لصاحبكم وما أقبح بعلي ان يكون في قلوب المسلمين أولى الناس بالناس حتى اذا أصاب سلطانا أفنى العرب فقال جعدة أما حبي لخالي فلو كان لك خال مثله لنسيت أباك وأما ابن أبي سلمة فلم يصب أعظم من قدره والجهاد أحب الي من العمل وأما فضل علي على معاوية فهذا ما لا يختلف فيه اثنان وأما رضاكم اليوم بالشام فقد رضيتم بها أمس فلم

تقبل وأما قولك ليس بالشام أحد الا وهو أجد من معاوية وليس بالعراق لرجل مثل جد علي فهكذا ينبغي ان يكون مضى بعلي يقينه وقصر بمعاوية شكه وقصد أهل الحق خير من جهد أهل الباطل وأما قولك نحن أطوع لمعاوية منكم لعلي فوالله ما نسأله ان سكت ولا نرد عليه ان قال وأما قتل العرب فان الله كتب القتل والقتال فمن قتله الحق فالى الله فغضب عتبة وفحش على جعدة فلم يجبه وأعرض عنه فلما انصرف عنه جمع خيله فلم يستبق شيأ وجل أصحابه السكون والأزد والصدف وتهيأ جعدة بما استطاع والتقوا فصبر القوم جميعا وباشر جعدة يومئذ القتال بنفسه وجزع عتبة فأسلم خيله وأسرع هاربا الى معاوية فقال له فضحك جعدة وهزمتك لا تغسل رأسك منها ابدا فقال والله لقد اعذرت ولكن الله أبى الله ان يديلنا منهم فما أصنع وحظي جعدة بعدها عند علي عليه السلام وقال النجاشي فيما كان من فحش عتبة على جعدة

ان شتم الكريم يا عتب خطب * فاعلمنه من الخطوب عظيم

* أمه أم هانئ وأبوه * من معد ومن لؤي صميم

ذاك منها هبيرة بن أبي وهب * أقرت بفضله مخزوم

كان في حربكم يعد بألف * حين يلقى بها القروم القروم

وابنه جعدة الخليفة منه * هكذا تنبت الفروع الاروم

كل شيء تريده فهو فيه * حسب ثاقب ودين قويم

وخطيب اذا تمعرت الاو * جه يشجى به الالد الخصيم

وحليم اذا الحبال جللها * الجهل وخفت من الرجال الحلوم

وشكيم الحروب قد علم النا * س اذا حل في الحروب الشكيم

وصحيح الاديم من نغل العيب * اذا كان لا يصح الاديم

حامل للعظيم في طلب الحمـد * اذا عظم الصغير اللئيم

ما عسى ان تقول للذهب الاحمر عيبا هيهات منك النجوم

كل هذا بحمد ربك فيه * وسوى ذاك كان وهو فطيم

وقال الاعور الشني في ذلك يخاطب عتبة بن سفيان

مازلت تظهر في عطفيك ابهة * لا يرفع الطرف منك التيه والصلف

لا تحسب القوم الافقع قرقرة * أو شحمة بزها شاو لها نطف

حتى لقيت ابن مخزوم وأي فتى * أحيا مآثر آباء له سلفوا

ان كان رهط أبي وهب جحاجحة * في الاولين فهذا منهم خلف

اشجاك جعدة اذ نادى فوارسه * حاموا عن الدين والدنيا فما وقفوا

هلا عطفت على قوم بمصرعة * فيها السكون وفيها الازد والصدف

قال نصر وحدثنا عمر بن سعد عن الشعبي قال كان رجل من أهل الشام يقال له الاصبغ بن ضرار الازدي من مسالح معاوية وطلائعه فندب له علي عليه السلام الاشتر فاخذه أسيرا من غير قتال فجاء به ليلا فشده وثاقا والقاه عند أصحابه ينتظر به الصباح وكان الاصبغ شاعرا مفوها فايقن بالقتل ونام أصحابه فرفع صوته فأسمع الاشتر وقال

ألا ليت هذا الليل أصبح سرمدا * على الناس لا يأتيهم بنهار

يكون كذا حتى القيامة انني * أحاذر في الاصباح يوم بواري

فياليل أطبق ان في الليل راحة * وفي الصبح قتلي أو فكاك أساري

ولو كنت تحت الارض ستين واديا * لما رد عني ما أخاف حذاري

فيانفس مهلا ان للموت غاية * فصبرا على ما ناب يا ابن ضرار

أأخشى ولي في القوم رحم قريبة * أبى الله ان أخشى ومالك جاري

ولو أنه كان الاسير ببلدة * أطاع بها شمرت ذيل ازاري

ولو كنت جار الاشعث الخير فكني * وقل من الامر المخوف فراري

وجار سعيد أو عدي بن حاتم * وجار شريح الخير قر قراري

وجار المرادي الكريم وهانئ * وزحر بن قيس ما كرهت نهاري

ولو انني كنت الاسير لبعضهم * دعوت فتى منهم ففك أساري

أولئك قومي لا عدمت حياتهم * وعفوهم عني وستر عواري

قال فغدا به الاشتر الى علي عليه السلام فقال يا أمير المؤمنين ان هذا رجل من مسالح معاوية أصبته أمس وبات عندنا الليل فحركنا بشعره وله رحم فان كان فيه القتل فاقتله وان ساغ لك العفو عنه فهبه لنا فقال هو لك يا مالك واذا أصبت منهم أسيرا فلا تقتله فان أسير أهل القبلة لا يقتل فرجع به الاشتر الى منزله وخلى سبيله

(الاصل) *(ومن كلام له عليه السلام)*

في الخوارج لما أنكروا تحكيم الرجال ويذم فيه أصحابه في التحكيم فقالَ

إنَّا لَمْ نُحَكِّمِ الرِّجالَ وَإنَّما حَكَّمْنا القُرْآنَ هذَا القُرْآنُ إنَّما هُوَ خَطٌّ مَسْتُورٌ بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ * لاَ يَنْطِقُ بِلِسانٍ وَلاَ بُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمانٍ وَانَّما يَنْطِقُ عَنْهُ الرِّجالُ وَلَمَّا دَعانا القَوْمُ إلَى أنْ نُحَكِّمَ بَيْنَنا القُرْآنَ لَمْ نَكُنِ الفَرِيقَ المُتَوَلِّيَ عَنْ كِتابِ اللهِ سُبْحانَهُ وتَعالَى وَقَدْ قالَ اللهُ تَعالَى عَزَّ مِنْ قائِلٍ (فَانْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إلَى اللهِ والرَّسُولِ) فَرَدُّهُ إلَى اللهِ أنْ نَحْكُمَ بِكتابِهِ وَرَدُّهُ إلَى الرَّسُولِ أنْ نَأْخُذَ بِسُنَّتِهِ فاذَا حُكِمَ بِالصِّدْقِ فِي كِتابِ اللهِ فَنَحْنُ أحَقُّ النَّاسِ بِهِ وَإنْ حُكِمَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَنَحْنُ أحَقُّ النَّاسِ وأوْلاَهُمْ بِها وَأمَّا قَوْلُكُمْ لِمَ جَعَلْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ أجَلاً فِي التَّحْكِيمِ فَانَّما فَعَلْتُ ذَلِكَ لِيَتَبَيَّنَ الجَاهِلُ وَيَتَثَبَّتَ العالِمُ وَلَعَلَّ اللهَ أنْ يُصْلِحَ فِي هذِهِ الهُدْنَةِ أمْرَ هذِهِ الامَّةِ وَلاَ تُؤْخَذُ بِأكْظامِها * فَتَعْجَلَ عَنْ تَبَيُّنِ الحَقِّ وَتَنْقادَ لأوَّلِ الغَيِّ انَّ أفْضَلَ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْ كانَ العَمَلُ بِالحَقِّ أحَبَّ الَيْهِ وَإنْ نَقَصَهُ وَكَرَثَهُ * مِنَ الباطِلِ وَانْ جَرَّ الَيْهِ فائِدَةً وَزَادَهُ * فَأيْنَ يُتاهُ بِكُمْ * ومِنْ أيْنَ أُتِيتُمْ * إسْتَعِدُّوا لِلْمَسِيرِ الَى قَوْمٍ حَيارَى عَنِ الحَقِّ لاَ يُبْصِرُونَهُ وَمُوزَعِينَ بِالجَوْرِ لاَ يَعْدِلُونَ بِهِ * جُفاةٍ عَنِ الكِتابِ نُكُبٍ عَنِ الطَّرِيقِ ما أنْتُمْ بِوَثِيقَةٍ يُعْلَقُ بِها * وَلاَ زَوافِرِ عِزٍّ يُعْتَصَمُ إلَيْها لَبِئْسَ حُشَّاشُ نارِ الحَرْبِ أنْتُمْ * أُفٍّ لَكُمْ لَقَدْ لَقِيتُ مِنْكُمْ بَرْحاً * يَوْماً أُنادِيكُمْ وَيَوْماً أُناجِيكُمْ فَلاَ أحْرارُ صِدْقٍ عِنْدَ النِّداءِ

﴿ ولاَ إِخوَانُ ثِقةٍ عِندَ النَّجاء

(الشرح) دفتا المصحف جانباه اللذان يكنفانه وكان الناس يعملونهما قديما من خشب ويعملونهما الآن من جلد يقول عليه السلام لا اعتراض على في التحكيم وقول الخوارج حكمت الرجال دعوى غير صحيحة وانما حكمت القرآن ولكن القرآن لا ينطق بنفسه ولا بد له ممن يترجم عنه والترجمان بفتح التاء وضم الجيم هو مفسر اللغة بلسان آخر ويجوز ضم التاء لضمة الجيم قال الراجز ٭ كالترجمان لقي الانباطا ٭ ثم قال لما دعينا الى تحكيم الكتاب لم نكن القوم الذين قال الله تعالى في حقهم واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم تولوا الا قليلا منهم وهم معرضون بل أجبنا الى ذلك وعملنا بقول الله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول وقال معنى ذلك ان نحكم بالكتاب والسنة فاذا عمل الناس بالحق في هذه الواقعة واطرحوا الهوى والعصبية كنا أحق بتدبير الامة وبولاية الخلافة من المنازع لنا عليها فان قلت انه عليه السلام لم يقل هكذا وانما قال اذا حكم بالصدق في كتاب الله فنحن أولى به واذا حكم بالسنة فنحن أحق بها قلت انه رفع نفسه عليه السلام أن يصرح بذكر الخلافة فكنى عنها وقال نحن اذا حكم الكتاب والسنة أولى بالكتاب والسنة ويلزم من كونه أولى بالكتاب والسنة من جميع الناس ان يكون أولى بالخلافة من جميع الناس فدل على ما كنى عنه بالامر المستلزم له فان قلت اذا كان الرجال الذين يترجمون القرآن ويفسرونه وقد كلفوا ان يحكموا في واقعة أهل العراق وأهل الشام بما يدلهم القرآن عليه يجوز ان يختلفوا في تفسير القرآن وتأويله فيدعي صاحب أهل العراق من تفسيره ما يستدل به على مراده ويدعي وكيل أهل الشام ما يقابل ذلك ويناقضه بطريق الشبهة التي تمسكوا بها من دم عثمان ومن كون الاجماع لم يحصل على بيعة أمير المؤمنين عليه السلام احتاج الحكمان حينئذ الى ان يحكم بينهما حكمان آخران والقول فيهما كالقول في الاول الى ما لا نهاية له وانما كان يكون التحكيم قاطعا للشغب لو كان القرآن ينص بالصريح الذي لا تأويل فيه اما على أمير المؤمنين عليه السلام واما على معاوية ولا نص صريح فيه بل الذي فيه يحتمل التأويل والتجاذب فالذي يفيد التحكيم والحال هذه لا محالة جدعا قلت لو تأمل الحكمان الكتاب حق التأمل لوجدا فيه النص الصريح على صحة خلافة أمير المؤمنين عليه السلام لان فيه النص الصريح على ان الاجماع حجة ومعاوية لم يكن مخالفا في هذه المقدمة ولا أهل الشام واذا كان الاجماع حجة فقد وقع الاجماع لما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله على ان اختيار خمسة من صلحاء المسلمين لواحد منهم وبيعته توجب لزوم طاعته وصحة خلافته وقد بايع أمير المؤمنين عليه السلام خمسة من صلحاء الصحابة بل خمسون فوجب ان تصح خلافته واذا صحت خلافته نفذت أحكامه ولم يجب عليه ان يقيد بعثمان الا ان حضر أولياؤه عنده طالبين له مبايعين ملتزمين لاحكامه ثم بعد ذلك يطلبون القصاص من أقوام باعيانهم يدعون عليهم دم المقتول فقد ثبت ان الكتاب لو تؤمل حق التأمل لكان الحق مع أهل العراق ولم يكن لاهل الشام من الشبهة ما يقدح في استنباطهم المذكور ثم قال عليه السلام فاما ضربي للاجل في التحكيم فانما فعلته لان الاناة والتثبت من الامور المحمودة أما الجاهل فيعلم فيه ما جهله وأما العالم فيثبت فيه على ما علمه فرجوت ان يصلح الله في ذلك الاجل أمر هذه الامة المفتونة ولا تؤخذ بأكظامها جمع كظم وهو مخرج النفس يقول كرهت ان أعجل القوم عن التبين والاهتداء فيكون ارهاقي لهم وتركي التنفيس عن خناقهم وعدولي عن ضرب الاجل بيني وبينهم ادعى الى استفسادهم وأحرى ان يركبوا غيهم وضلالهم ولا يقلعوا عن القبيح الصادر عنهم ثم قال أفضل الناس من آثر الحق وان كرثه أي اشتد عليه وبلغ منه المشقة ويجوز كرثه بالالف على الباطل وان انتفع به وأورثه زيادة ثم قال فاين يتاه بكم أي أين تذهبون في التيه يعني في الحيرة وروى فانى يتاه بكم ومن أين اتيتم أي كيف دخل عليكم الشيطان أو الشبهة من أي المداخل دخل اللبس عليكم ثم أمرهم بالاستعداد للمسير الى حرب أهل الشام وذكر انهم موزعون بالجور أي ملهمون قال تعالى رب أوزعني ان اشكر نعمتك أي الهمني أوزعته بكذا وهو موزع به والاسم والمصدر جميعا الوزع بالفتح واستوزعت الله تعالى شكره فاوزعني أي استلهمته فالهمني ولا يعدلون عنه لا يعدلونه الى غيره وروى

لا يعدلون به أي لا يعدلون بالجور شيأ آخر أي لا يرضون الا بالظلم والجور ولا يختارون عليهما غيرهما قوله جفاة عن الكتاب جمع جاف وهو النابي عن الشيء أي قد نبوا عن الكتاب لا يلائمهم ولا يناسبونه تقول جفا السرج عن ظهر الفرس اذا نبا وارتفع واجفيته انا ويجوز ان يريد انهم اعراب جفاة أي اجلاف لا افهام لهم قوله نكب عن الطريق أي عادلون جمع ناكب نكب ينكب عن السبيل بضم الكاف نكوبا قوله وما أنتم بوثيقة أي بذي وثيقة فحذف المضاف والوثيقة الثقة يقال قد أخذت في امر فلان بالوثيقة أي بالثقة والثقة مصدر والزوافر العشيرة والانصار ويقال هم زافرتهم عند السلطان للذين يقومون بأمرهم عنده وقوله يعتصم اليها أي يلجأ اليها أي بها فاناب الى مناب الباء كقول طرفة

وان تلتقي الحي الجميع تلاقني ٭ الى ذروة البيت الرفيع المصمد

وحشاش النار ما تحش به أي توقد قال الشاعر

أفي ان أحش الحرب فيمن يحشها ٭ الام وفي أن لا اقر المخازيا

وروى حشاش بالفتح كالشباع وهو الحطب الذي يلقى في النار قبل الجزل وروى حشاش بضم الحاء وتشديد الشين جمع حاش وهو الموقد للنار قوله أف لكم من الالفاظ القرآنية وفيها لغات أف بالكسر وبالضم وبالفتح وأف منونا بالثلاث أيضا ويقال افا وتفا وهو اتباع له وأفة وتفة والمعنى استقذار المعنى بالتأفيف قوله لقد لقيت منكم برحا أي شدة يقال لقيت منهم برحا بارحا أي شدة واذى قال الشاعر

أجدك هذا عمرك الله كلما ٭ دعاك الهوى برح لعينك بارح

ويروي ترحا أي حزنا ثم ذكر انه يناديهم جهارا طورا ويناجيهم سرا طورا فلا يجدهم احرارا عند ندائه أي لا ينصرون ولا يجيبون ولا يجدهم ثقاتا وذوي أمانة عند المناجاة أي لا يكتمون السر والنجاء المناجاة مصدر ناجيته نجاء مثل ضاربته ضرابا وصارعته صراعا

(الاصل) ٭(ومن كلام له عليه السلام)٭

لما عوتب على التسوية في العطاء وتصييره الناسَ اسوةً في العطاء

من غيرِ تفضيل أُولى السابقات والشرف

أَتأمُرُونِّي أنْ أَطلُبَ النَّصرَ بالجَورِ فيمَنْ وُلِّيتُ عليهِ واللهِ لا أطُورُ بهِ ما سمَرَ سَمِيرٌ ٭ وما أمَّ نجمٌ في السَّماءِ نجماً ٭ ولَوْ كانَ المالُ لِي لَسوَّيتُ بَينَهُمْ فَكيفَ وَانَّما المالُ مالُ اللهِ ثُمَّ قالَ عليهِ السلامُ ألا وَإنَّ إعطاءَ المالِ في غَيرِ حقِّهِ تَبذيرٌ وإسرافٌ وهُوَ يَرفَعُ صاحِبَهُ في الدُّنيا وَيَضَعُهُ في الآخِرَةِ وَيُكرِمُهُ في النَّاسِ وَيُهِينُهُ عِندَ اللهِ وَلَمْ يَضَعْ امرُؤٌ مالَهُ في غيرِ حقِّهِ وَعندَ غيرِ أهلِهِ إلاَّ حَرَمَهُ اللهُ شُكرَهُمْ وَكانَ لِغَيرِهِ وِدُّهُمْ فانْ زَلَّتْ بِهِ النَّعلُ يَوماً فاحتاجَ إلى مَعُونَتِهِمْ فَشَرُّ خَلِيلٍ ٭ وَألأَمُ خَدِينٍ

(الشرح) أصل تأمروني تأمرونني بنونين فاسكن الاولى وأدغم قال تعالى أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ولا أطور به لا أقربه ولا تطر حرانا أي لا تقرب ما حولنا وأصله من طوار الدار وهو ما كان ممتدا معها من الفناء وقوله ما سمر سمير يعني الدهر أي ما أقام الدهر وما بقي والاشهر في المثل ما سمر ابنا سمير قالوا السمير الدهر وابناه الليل والنهار وقيل ابنا سمير الليل والنهار لانه يسمر فيهما ويقولون لا أفعله السمر والقمر أي ما دام الناس يسمرون في ليلة

قرا ولا أفعله سمير الليالي أي أبدا قال الشنفري هنالك لا أرجو حياة تسرني * سمير الليالي مبسلا بالجرائر قوله وما أم نجم في السماء نجما أي قصدا وتقدم لان النجوم تتبع بعضها بعضا فلا بد فيها من تقدم وتأخر فلا يزال النجم يقصد نجما غيره ولا يزال النجم يتقدم نجما غيره والخذ بن الصديق يقول عليه السلام كيف تأمروني أن أطلب النصر من الله بأن أجور على قوم وليت عليهم يعني الذين لا سوابق لهم ولا شرف وكان عمر ينقصهم في العطاء عن غيرهم ثم قال عليه السلام لو كان المال لي وأنا أفرقه بينهم لسويت فكيف وانما هو مال الله وفيئه ثم ذكر ان اعطاء المال في غير حقه تبذير واسراف وقد نهى الله عنه وانه يرفع صاحبه عند الناس ويضعه عند الله وانه لم يسلك أحد هذا المسلك الا حرمه الله ودّ الذين يتحبب اليهم بالمال ولو احتاج اليهم يوما ما عند عثرة يعثرها لم يجدهم * واعلم ان هذه مسئلة فقهية ورأي علي عليه السلام وأبي بكر فيها واحد وهو التسوية بين المسلمين في قسمة الفيء والصدقات والى هذا ذهب الشافعي رحمه الله وأما عمر فانه لما ولي الخلافة فضل بعض الناس على بعض ففضل السابقين على غيرهم وفضل المهاجرين من قريش على غيرهم من المهاجرين وفضل المهاجرين كافة على الانصار كافة وفضل العرب على العجم وفضل الصريح على المولى وقد كان أشار على أبي بكر أيام خلافته بذلك فلم يقبل وقال ان الله لم يفضل أحدا على أحد ولكنه قال انما الصدقات للفقراء والمساكين ولم يخص قوما دون قوم فلما أفضت اليه الخلافة عمل بما كان أشار به أولا وقد ذهب كثير من فقهاء المسلمين الى قوله والمسئلة محل اجتهاد وللامام أن يعمل بما يؤديه اليه اجتهاده وان كان اتباع علي عليه السلام عندنا أولى لا سيما اذا عضده موافقة أبي بكر على المسئلة وان صح الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وآله سوّى فقد صارت المسئلة منصوصا عليها لان فعله عليه السلام كقوله

(الاصل) ﴿ومن كلام له عليه السلام﴾

فان أبيتم أن تزعموا إلا أني أخطأت وضللت فلم تضللون عامة أمة محمد صلى الله عليه وآله بضلالي وتأخذونهم بخطئي وتكفرونهم بذنوبي سيوفكم على عواتقكم تضعونها مواضع البرء والسقم وتخلطون من أذنب بمن لم يذنب وقد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وآله رجم الزاني المحصن ثم صلى عليه ثم ورثه أهله وقتل القاتل وورث ميراثه أهله وقطع وجلد الزاني غير المحصن ثم قسم عليهما من الفيء ونكحا المسلمات فأخذهم رسول الله صلى الله عليه وآله بذنوبهم وأقام حق الله فيهم ولم يمنعهم سهمهم من الاسلام ولم يخرج أسماءهم من بين أهله * ثم أنتم شرار الناس ومن رمى به الشيطان مراميه وضرب به تيهه * وسيهلك في صنفان محب مفرط يذهب به الحب إلى غير الحق ومبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحق وخير الناس في حالا النمط الأوسط فالزموه والزموا السواد الأعظم فإن يد الله على الجماعة وإياكم والفرقة فان الشاذ من الناس للشيطان كما أن الشاذ من الغنم للذئب ألا من دعا إلى هذا الشعار فاقتلوه ولو كان تحت عمامتي هذه فانما حكم الحكمان ليحييا ما أحيا القرآن ويميتا ما أمات القرآن وإحياؤه

الإجتماع عليه وإماتته الافتراق عنه فإن جرنا القرآن إليهم اتبعناهم وإن جرهم إلينا اتبعونا فلم آت لا أبا لكم بجرا * ولا ختلتكم عن أمركم * ولا لبسته عليكم إنما اجتمع رأي ملئكم على اختيار رجلين أخذنا عليهما أن لا يتعديا القرآن فتاها عنه وتركا الحق وهما يبصرانه وكان الجور هواهما فمضيا عليه وقد سبق استثناؤنا عليهما في الحكومة بالعدل والصمد للحق سوء رأيهما * وجور حكمهما

(الشرح) ليس لقائل أن يقول له عليه السلام معتذرا عن الخوارج انهم انما ضللوا عامة أمة محمد صلى الله عليه وآله وحكموا بخطاياهم وكفرهم وقتلهم بالسيف لانهم وافقوك في تصويب التحكيم وهو عندهم كفر فلم يأخذوهم بذنبك كما قلت لهم وذلك لان أمير المؤمنين عليه السلام ما قال هذه المقالة الا لمن رأى منهم استعراض العامة وقتل الاطفال حتى البهائم فقد كان منهم قوم فعلوا ذلك وقد سبق منا شرح أفعالهم ووقائعهم بالناس وقالوا ان الدار دار كفر لا يجوز الكف عن أحد من أهلها فهؤلاء هم الذين وجه أمير المؤمنين عليه السلام اليهم خطابه وانكاره دون غيرهم من فرق الخوارج * واعلم ان الخوارج كلها تذهب الى تكفير أهل الكبائر ولذلك أكفروا عليا عليه السلام ومن اتبعه على تصويب التحكيم وهذا الاحتجاج الذي احتج به عليهم لازم وصحيح لانه لو كان صاحب الكبيرة كافرا لما صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله ولا ورثه من المسلم ولا مكنه من نكاح المسلمات ولا قسم عليه من الفيء ولأخرجه عن لفظ الاسلام وقد احتجت الخوارج لمذهبها بوجوه منها قوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين قالوا فجعل تارك الحج كافرا والجواب ان هذه الآية مجملة لانه تعالى لم يبين ومن كفر بماذا فيحتمل أن يريد تارك الحج ويحتمل أن يريد تارك اعتقاد وجوبه على من استطاع اليه سبيلا فلا بد من الرجوع الى دلالة والظاهر انه أراد لزوم الكفر لمن كفر باعتقاد كون الحج غير واجب ألا تراه في أول الآية قال ولله على الناس حج البيت فأنبأ عن اللزوم ثم قال ومن كفر بلزوم ذلك ونحن نقول ان من لم يقل لله على الناس حج البيت فهو كافر ومنها قوله تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون قالوا والفاسق لفسقه واصراره عليه آيس من روح الله فكان كافرا والجواب انا لا نسلم أن الفاسق آيس من روح الله مع تجويزه تلافي أمره بالتوبة والاقلاع وانما يكون اليأس مع القطع وليس هذه صفة الفاسق فأما الكافر الذي يجحد الثواب والعقاب فانه آيس من روح الله لانه لا يخطر له التوبة والاقلاع ويقطع على حسن معتقده ومنها قوله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون وكل مرتكب للذنوب فقد حكم بغير ما أنزل الله والجواب ان هذا مقصور على اليهود لان ذكرهم هو المقدم في الآية قال سبحانه وتعالى سماعون للكذب أكالون للسحت ثم قال عقيب قوله هم الكافرون وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم فدل على أنها مقصورة على اليهود ومنها قوله تعالى فأنذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى قالوا وقد اتفقنا مع المعتزلة على ان الفاسق يصلى النار فوجب أن يسمى كافرا والجواب ان قوله تعالى نارا نكرة في سياق الاثبات فلا تعم وانما تعم النكرة في سياق النفي نحو قولك ما في الدار من رجل وغير ممتنع أن يكون في الآخرة نار مخصوصة لا يصلاها الا الذين كذبوا وتولوا ويكون للفساق نار أخرى غيرها ومنها قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين قالوا والفاسق تحيط به جهنم فوجب أن يكون كافرا والجواب انه لم يقل سبحانه وان جهنم لا تحيط الا بالكافرين وليس يلزم من كونها محيطة بقوم أن لا تحيط بقوم سواهم ومنها قوله سبحانه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قالوا والفاسق لا يجوز أن يكون ممن ابيضت وجوههم فوجب أن يكون ممن اسودت ووجب أن يسمى كافرا لقوله

بما كنتم تكفرون والجواب ان هذه القسمة ليست متقابلة فيجوز أن يكون المكلفون ثلاثة أقسام بيض الوجوه وسود الوجوه وصنف آخر ثالث بين اللونين وهم الفساق ومنها قوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة قالوا والفاسق على وجهه غبرة فوجب أن يكون من الكفرة و الفجرة والجواب انه يجوز أن يكون الفساق قسما ثالثا لا غبرة على وجوههم ولا هي مسفرة ضاحكة بل على ما كانت عليه في دار الدنيا ومنها قوله تعالى ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور قالوا والفاسق لا بد أن يجازى فوجب أن يكون كفورا والجواب ان المراد بذلك وهل نجازي بعقاب الاستئصال الا الكفور لان الآية وردت في قصة أهل سبأ لكونهم استؤصلوا بالعقوبة ومنها أنه تعالى قال ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين وقال في آية أخرى انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون فجعل الغاوي الذي يتبعه مشركا والجواب انا لا نسلم ان لفظة انما تفيد الحصر وأيضا فانه عطف قوله والذين هم به مشركون على قوله الذين يتولونه فوجب أن يثبت التغاير بين الفريقين وهذا مذهبنا لان الذين يتولونه هم الفساق والذين هم به مشركون هم الكفار ومنها قوله تعالى وأما الذين فسقوا فمأواهم النار الى قوله تعالى وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون فجعل الفاسق مكذبا والجواب ان المراد به الذين فسقوا عن الدين أي خرجوا عنه بكفرهم ولا شبهة ان من كان فسقه من هذا الوجه فهو كافر مكذب ولا يلزم منه ان كل فاسق على الاطلاق فهو مكذب وكافر ومنها قوله تعالى ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون قالوا فأثبت الظالم جاحدا وهذه صفة الكفار والجواب ان المكلف قد يكون ظالما بالسرقة والزنا وان كان عارفا بالله تعالى واذا جاز اثبات ظالم ليس بكافر ولا جاحد بآيات الله تعالى جاز اثبات فاسق ليس بكافر ومنها قوله تعالى ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون والجواب ان هذه الآية تدل على ان الكافر فاسق ولا تدل على ان الفاسق كافر ومنها قوله تعالى فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون فنص سبحانه على أن من تخف موازينه يكون مكذبا والفاسق تخف موازينه فكان مكذبا وكل مكذب كافر والجواب ان ذلك لا يمنع من قسم ثالث وهم الذين لا تخف موازينهم ولا تثقل وهم الفساق ولا يلزم من كون كل من خفت موازينه يدخل النار أن لا يدخل النار الا من خفت موازينه ومنها قوله تعالى هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن وهذا يقتضي أن من لا يكون مؤمنا فهو كافر والفاسق ليس بمؤمن فوجب أن يكون كافرا والجواب ان من ههنا للتبعيض وليس في ذكر التبعيض نفي الثالث كما ان قوله فمنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع لا ينفي وجود دابة تمشي على أكثر من أربع كبعض الحشرات * ثم نعود الى الشرح قوله عليه السلام ومن رمى به الشيطان مراميه أي أضله كأنه رمى به مرمى بعيدا فضل عن الطريق ولم يهتد اليها قوله وضرب به تيهه أي حيره وجعله تائها ثم قال عليه السلام يهلك في رجلان فأحدهما من أفرط حبه له واعتقاده فيه حتى ادعى له الحلول كما ادعت النصارى ذلك في المسيح عليه السلام والثاني من أفرط بغضه له حتى حارب أو لعنه أو برئ منه أو أبغضه هذه المراتب الاربع والبغض أدناها وهو موبق مهلك وفي الخبر الصحيح المتفق عليه أنه لا يحبه الا مؤمن ولا يبغضه الا منافق وحسبك بهذا الخبر ففيه وحده كفاية فأما الغلاة فيه فهالكون كما هلك الغلاة في عيسى عليه السلام وقد روى المحدثون أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال له عليه السلام فيك مثل من عيسى بن مريم أبغضته اليهود فبهتت أمه وأحبته النصارى فرفعته فوق قدره وقد كان أمير المؤمنين عثر على قوم من أصحابه خرجوا من حد محبته باستحواذ الشيطان عليهم الى أن كفروا بربهم وجحدوا ما جاء به نبيهم فاتخذوه ربا وادعوه الاها وقالوا له أنت خالقنا ورازقنا فاستتابهم واستأنى وتوعدهم فأقاموا على قولهم فحفر لهم حفرا دخن عليهم فيها طمعا في رجوعهم فأبوا فحرقهم وقال

ألا ترون قد حفرت حفرا * اني اذا رأيت أمرا منكرا * أوقدت ناري ودعوت قنبرا

وروى أبو العباس أحمد بن عبيد الله بن عمار الثقفي عن محمد بن سليمان بن حبيب المصيصي المعروف بنوبخت وروى

ايضا

أيضا عن علي بن محمد النوفلي عن مشيخته أن عليا عليه السلام مر بقوم وهم يأكلون في شهر رمضان نهارا فقال أسفر أم مرضى قالوا ولا واحدة منهما قال فمن أهل الكتاب أنتم فتعصمكم الذمة والجزية قالوا لا قال فما بال الاكل في نهار رمضان فقاموا اليه فقالوا أنت أنت يومئون الى ربوبيته فنزل عليه السلام عن فرسه فألصق خده بالارض وقال ويلكم انما أنا عبد من عبيد الله فاتقوا الله وارجعوا الى الاسلام فأبوا فدعاهم مرارا فأقاموا على كفرهم فنهض اليهم وقال شدوهم وثاقا وعلي بالفعلة والنار والحطب ثم أمر بحفر بئرين فحفرتا فجعل احداهما سربا والاخرى مكشوفة وألقى الحطب في المكشوفة وفتح بينهما فتحا وألقى النار في الحطب فدخن عليهم وجعل يهتف بهم ويناشدهم ليرجعوا الى الاسلام فأبوا فأمر بالحطب والنار فألقي عليهم فأحرقوا فقال الشاعر

لترم بي المنية حيث شاءت * اذا لم ترمني في الحفرتين

اذا ما حشتا حطبا بنار * فذاك الموت نقدا غير دين

قال فلم يبرح عليه السلام حتى صاروا حمما ثم استترت هذه المقالة سنة أو نحوها ثم ظهر عبد الله بن سبأ وكان يهوديا يتستر بالاسلام بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام فأظهرها واتبعه قوم فسموا السبائية وقالوا ان عليا عليه السلام لم يمت وانه في السماء والرعد صوته والبرق صوته واذا سمعوا صوت الرعد قالوا السلام عليك يا أمير المؤمنين وقالوا في رسول الله صلى الله عليه وآله أغلظ قول وافتروا عليه أعظم فرية فقالوا كتم تسعة أعشار الوحي فنعى عليهم قولهم الحسن بن علي بن محمد بن الحنفية رضي الله عنه في رسالته التي يذكر فيها الارجاء رواها عنه سليمان بن أبي شيخ عن الهيثم بن معاوية عن عبد العزيز بن أبان عن عبد الواحد بن أيمن المكي قال شهدت الحسن بن علي بن محمد بن الحنفية يملي هذه الرسالة فذكرها وقال فيها ومن قول هذه السبائية هدينا لوحي ضل عنه الناس وعلم خفي عنهم وزعموا ان رسول الله صلى الله عليه وآله كتم تسعة أعشار الوحي ولو كتم صلى الله عليه وآله شيئا مما أنزل الله عليه لكتم شأن امرأة زيد وقوله تعالى تبتغي مرضات أزواجك ثم ظهر المغيرة بن سعيد مولى بجيلة فأراد أن يحدث لنفسه مقالة يستهوي بها قوما وينال بها ما يريد الظفر به من الدنيا فغلا في علي عليه السلام وقال لو شاء علي لاحيا عادا وثمود وقرونا بين ذلك كثيرا وروى علي بن محمد النوفلي قال جاء المغيرة بن سعيد فاستأذن على أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين وقال له أخبر الناس اني أعلم الغيب وأنا أطعمك العراق فزجره أبو جعفر زجرا شديدا وأسمعه ما كره فانصرف عنه فأتى أبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية رحمه الله فقال له مثل ذلك وكان أبو هاشم أيدا فوثب عليه فضربه ضربا شديدا أشفى به على الموت فتعالج حتى برئ ثم أتى محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن رحمه الله وكان محمد سكيتا فقال له كما قال للرجلين فسكت محمد فلم يجبه فخرج وقد طمع فيه بسكوته وقال أشهد أن هذا هو المهدي الذي بشر به رسول الله صلى الله عليه وآله وانه قائم أهل البيت وادعى أن علي بن الحسين عليه السلام أوصى الى محمد ابن عبد الله بن الحسن ثم قدم المغيرة الكوفة وكان مشعبذا فدعا الناس الى قوله واستهواهم واستغواهم فاتبعه خلق كثير وادعى على محمد بن عبد الله انه أذن له في خنق الناس واسقائهم السموم وبث أصحابه في الاسفار يفعلون ذلك بالناس فقال له بعض أصحابه انا نخنق من لا نعرف فقال لا عليكم ان كان من أصحابكم عجلتموه الى الجنة وان كان من عدوكم عجلتموه الى النار ولهذا السبب كان المنصور يسمي محمد بن عبد الله الخناق وينحله ما ادعاه عليه المغيرة ثم تفاقم أمر الغلاة بعد المغيرة وأمعنوا في الغلو فادعوا حلول الذات الالهية المقدسة في قوم من سلالة أمير المؤمنين عليه السلام وقالوا بالتناسخ وجحدوا البعث والنشور وأسقطوا الثواب والعقاب وقال قوم منهم ان الثواب والعقاب انما هو ملاذ هذه الدنيا ومشاقها وتولدت من هذه المذاهب القديمة التي قال بها سلفهم مذاهب أفحش منها قال بها خلفهم حتى صاروا الى المقالة المعروفة بالنصيرية وهي التي أحدثها محمد بن نصير النميري وكان من أصحاب الحسن العسكري عليه السلام والمقالة المعروفة بالاسحاقية وهي التي أحدثها اسحاق بن زيد بن الحرث وكان من أصحاب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب كان يقول بالاباحة واسقاط التكاليف ويثبت لعلي عليه السلام شركة مع رسول الله

صلى الله عليه وآله فى النبوة على وجه غير هذا الظاهر الذى يعرفه الناس وكان محمد بن نصير من أصحاب الحسن ابن على بن محمد بن الرضا فلما مات ادعى وكالة لابن الحسن الذى تقول الامامية بامامته ففضحه الله تعالى بما أظهره من الالحاد والغلو والقول بتناسخ الارواح ثم ادعى أنه رسول الله ونبى من قبل الله تعالى وأنه أرسله على بن محمد بن الرضا وجحد امامة الحسن العسكرى وامامة ابنه وادعى بعد ذلك الربوبية وقال باباحة المحارم وللغلاة أقوال كثيرة طويلة عريضة وقد رأيت انا جماعة منهم وسمعت أقوالهم ولم أر فيهم محصلا ولا من يستحق أن يخاطب وسوف أستقصى ذكر فرق الغلاة وأقوالهم فى الكتاب الذى كنت متشاغلا بجمعه وقطعنى عنه اهتمامى بهذا الشرح وهو الكتاب المسمى بمقالات الشيعة ان شاء الله تعالى قوله عليه السلام والزموا السواد الاعظم وهو الجماعة وقد جاء فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله هذه اللفظة التى ذكرها عليه السلام وهى يد الله على الجماعة ولا يبالى بشذوذ من شذ وجاء فى معناها كثير نحو قوله عليه السلام الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد وقوله لا تجتمع أمتى على خطأ وقوله سألت الله أن لا تجتمع أمتى على خطأ فأعطانيها وقوله ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وقوله لا تجتمع أمتى على ضلالة وسألت ربى أن لا تجتمع أمتى على ضلالة فأعطانيها ولم يكن الله ليجمع أمتى على ضلال ولا خطأ وقوله عليه السلام عليكم بالسواد الاعظم وقوله من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام عن عنقه وقوله من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية وقوله من سره بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة والاخبار فى هذا المعنى كثيرة جدا ثم قال عليه السلام من دعا الى هذا الشعار فاقتلوه يعنى شعار الخوارج وكان شعارهم انهم يحلقون وسط رؤسهم ويبقى الشعر مستديرا حوله كالا كليل قال ولو كان تحت عمامتى هذه أى لو اعتصم واحتمى بأعظم الاشياء حرمة فلا تكفوا عن قتله ثم ذكر انه انما حكم الحكمان ليحييا ما أحياه القرآن أى ليجتمعا على ما شهد القرآن باستصوابه واستصلاحه ويميتا ما أماته القرآن أى ليفترقا ويصدا وينكلا عما كرهه القرآن وشهد بضلاله والبجر بضم الباء الشر العظيم قال الراجز ﴿ أرمى عليها وهى شئ بجر ﴾ أى داهية ولا ختلتكم أى خدعتكم ختله وخاتله أى خدعه والتخاتل التخادع ولا لبسته عليكم أى جعلته مشتبها ملتبسا لبست عليهم الامر ألبسه بالكسر والملا الجماعة من الناس والصمد القصد قال سبق شرطنا سوء رأيهما لانا اشترطنا عليهما فى كتاب الحكومة ما لا ضرة علينا مع تأمله فيما فعلاه من اتباع الهوى وترك النصيحة للمسلمين

(الاصل) ﴿ ومن كلام له عليه السلام ﴾

فيما يخبر به عن الملاحم بالبصرة

يا أحنفُ كأنّى بهِ وَقَدْ سارَ بالجَيْشِ الّذِى لاَ يَكُونُ لَهُ غُبارٌ وَلاَ لَجَبٌ ﴿ وَلاَ قَعْقَعَةُ لُجُمٍ وَلاَ حَمْحَمَةُ خَيْلٍ ﴿ يُثِيرُونَ الأَرْضَ بأقْدَامِهِمْ كأَنّها أقْدامُ النَّعامِ (قال الشريف الرضى أبو الحسن رحمه الله تعالى يُومِئُ بذَلِكَ إلَى صاحِبِ الزّنجِ ثُمَّ قالَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ) وَيْلٌ لِسِكَكِكُمُ العامِرَةِ ﴿ وَالدُّورِ المُزَخْرَفَةِ الّتِى لَهاأَجْنِحَةٌ كأَجْنِحَةِ النُّسُورِ ﴿ وَخَرَاطِيمُ كَخَرَاطِيمِ الفِيلَةِ مِنْ أُولَئِكَ الّذِينَ لاَ يُنْدَبُ قَتِيلُهُمْ ﴿ وَلاَ يُفْقَدُ غائِبُهُمْ أنا كَابُّ الدُّنْيا لِوَجْهِها وقادِرُها بِقَدْرِها وَناظِرُها بِعَيْنِها

(الشرح) اللجب الصوت والدور المزخرفة المزينة المموهة بالزخرف وهو الذهب وأجنحة الدور التى شبهها بأجنحة النسور رواشنها والخراطيم ميازيبها وقوله لا يندب قتيلهم ليس يريد به من يقتلونه بل القتيل منهم وذلك لأن أكثر

الزنج الذين أشار اليهم كانوا عبيد الدهاقين بالبصرة وبناتها ولم يكونوا ذوى زوجات وأولاد بل كانوا على هيئة الشطار عزابا فلا نادبة لهم وقوله ولا يفقد غائبهم يريد به كثرتهم وانهم كلما قتل منهم قتيل سد مسده غيره فلا يظهر أثر فقده وقوله انا كاب الدنيا لوجهها مثل الكلمات المحكية عن عيسى عليه السلام انا الذى كببت الدنيا على وجهها ليس لى زوجة تموت ولا بيت يخرب وسادى الحجر وفراشى المدر وسراجى القمر ﴿ فأما صاحب الزنج هذا فانه ظهر فى فرات البصرة فى سنة خمس وخمسين ومائتين رجل زعم انه على بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن على بن الحسين ابن على بن أبى طالب عليه السلام فتبعه الزنج الذين كانوا يكسحون السباخ فى البصرة وأكثر الناس يقدحون فى نسبه وخصوصا الطالبيين وجمهور النسابين اتفقوا على انه من عبد القيس وانه على بن محمد بن عبد الرحيم وأمه أسدية من أسد بن خزيمة جدها محمد بن حكيم الاسدى من أهل الكوفة أحد الخارجين مع زيد بن على بن الحسين عليه السلام على هشام بن عبد الملك فلما قتل زيد هرب فلحق بالرى وجاء الى القرية التى يقال لها ورزنين فأقام بها مدة وبهذه القرية ولد على بن محمد صاحب الزنج وبها منشؤه وكان أبو أبيه المسمى عبد الرحيم رجلا من عبد القيس كان مولده بالطالقان فقدم العراق واشترى جارية سندية فأولدها محمدا أباه وكان على هذا متصلا بجماعة من حاشية السلطان وخول بنى العباس منهم غانم الشطرنجى وسعيد الصغير وبشير خادم المنتصر وكان منهم معاشه ومن قوم من كتاب الدولة يمدحهم ويستمنحهم بشعره ويعلم الصبيان الخط والنحو والنجوم وكان حسن الشعر مطبوعا عليه فصيح اللهجة بعيد الهمة تسمو نفسه الى معالى الامور ولا يجد اليها سبيلا ومن شعره القصيدة المشهورة التى أولها

رأيت المقام على الاقتصاد ﴿ قنوعا به ذلة فى العباد

ومن جملتها

اذا النار ضاق بها زندها ﴿ ففسحتها فى فراق الزناد

اذا صارم قر فى غمده ﴿ حوى غيره السبق يوم الجلاد

ومن الشعر المنسوب اليه

وانا لتصبح أسيافنا ﴿ اذا ما انتضين ليوم سفوك

منابرهن بطون الاكف ﴿ وأغمادهن رؤس الملوك

ومن شعره فى الغزل

ولما تبينت المنازل بالحمى ﴿ ولم أقض منها حاجة المتورد

زفرت اليها زفرة لو حشوتها ﴿ سرابيل أبدان الحديد المسرد

لرقت حواشيها وظلت متونها ﴿ تلين كما لانت لداود فى اليد

ومن شعره أيضا

واذا تنازعنى أقول لها قرى ﴿ موت يريحك أو صعود المنبر

ما قد قضى سيكون فاصطبرى له ﴿ ولك الأمان من الذى لم يقدر

وقد ذكر المسعودى فى كتابه المسمى مروج الذهب ان أفعال على بن محمد صاحب الزنج تدل على أنه لم يكن طالبيا وتصدق ما رمى به من دعوته فى النسب لان ظاهر حاله كان ذهابه الى مذهب الازارقة فى قتل النساء والاطفال والشيخ الفانى والمريض وقد روى أنه خطب مرة فقال فى أول خطبته لا اله الا الله والله أكبر الله أكبر لا حكم الا لله وكان يرى الذنوب كلها شركا ومن الناس من يطعن فى دينه ويرميه بالزندقة والالحاد وهذا هو الظاهر من أمره لانه كان متشاغلا فى بدايته بالتنجيم والسحر والاصطرلابات وذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى أن على بن محمد شخص من سامراء وكان يعلم الصبيان بها ويمدح الكتاب ويستميح الناس فى سنة تسع وأربعين ومائتين الى البحرين فادعى بها انه على بن محمد بن الفضل بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن على بن أبى طالب عليه السلام ودعا الناس بهجر الى طاعته فاتبعه جماعة كثيرة من أهلها واتبعه جماعة أخرى فكانت بسببه بين الذين اتبعوه والذين أبوه عصبية قتل فيها بينهم جماعة فانتقل عنهم لما حدث ذلك الى الاحساء وضوى الى حى من بنى تميم ثم من بنى سعد يقال لهم بنو الشماس فكان بينهم مقامه وقد كان أهل البحرين أحلوه من أنفسهم محل النبى صلى الله عليه وآله فيما ذكر حتى جبى له الخراج هنالك

ونفذ حكمه فيهم وقاتلوا أسباب السلطان لاجله ووتر منهم جماعة كثيرة فتنكروا له فتحول عنهم الى البادية ولما انتقل الى البادية صحبه جماعة من أهل البحرين منهم رجل كيال من أهل الاحساء يقال له يحيى بن محمد الازرق مولى بنى دارم ويحيى بن أبى ثعلب وكان تاجرا من أهل هجر وبعض موالى بنى حنظلة أسود يقال له سليمان بن جامع وكان قائد جيشه حيث كان بالبحرين ثم تنقل فى البادية من حى الى حى فذكر عنه انه كان يقول أوتيت فى تلك الايام آيات من آيات امامتى منها انى لقيت سورا من القرآن لم أكن أحفظها فجرى بها لسانى فى ساعة واحدة منها سبحان والكهف وصاد ومنها أنى ألقيت نفسى على فراشى وجعلت أفكر فى الموضع الذى أقصد له وأجعل مقامى به اذ نبت البادية بى وضقت ذرعا بسوء طاعة أهلها فأظلتنى سحابة فبرقت ورعدت فاتصل صوت الرعد منها بسمعى فخوطبت فقيل لى أقصد البصرة فقلت لاصحابى وهم يكتنفوننى انى أمرت بصوت من هذه الرعدة بالمصير الى البصرة وذكر عنه انه عند مصيره الى البادية أوهم أهلها انه يحيى بن عمر أبو الحسن المقتول بناحية الكوفة فى أيام المستعين فاختدع بذلك قوما منهم حتى اجتمع عليه منهم جماعة فزحف بهم الى موضع من البحرين يقال له الردم فكانت بينه وبين أهله وقعة عظيمة كانت الدبرة فيها عليه وعلى أصحابه قتلوا فيها قتلا ذريعا فتفرقت عنه العرب وكرهته وتجنبت صحبته فلما تفرقت العرب عنه ونبت به البادية شخص عنها الى البصرة فنزل بها فى بنى ضبيعة فاتبعه بها جماعة منهم على بن أبان المعروف بالمهلبى من ولد المهلب بن أبى صفرة وأخواه محمد والخليل وغيرهم وكان قدومه البصرة فى سنة أربع وخمسين ومائتين وعامل السلطان بها يومئذ محمد بن رجاء ووافق ذلك فتنة أهل البصرة بالبلالية والسعدية فطمع فى احدى الفرقتين أن تميل اليه فأرسل أربعة من أصحابه يدعون اليه وهم محمد بن مسلم القصاب الهجرى وبريش القريعى وعلى الضراب والحسين الصيدنانى وهم الذين كانوا صحبوه بالبحرين فلم يستجب لهم أحد من أهل البلد وثار عليهم الجند فتفرقوا وخرج على بن محمد من البصرة هاربا وطلبه ابن رجاء فلم يقدر عليه وأخبر ابن رجاء بميل جماعة من أهل البصرة اليه فأخذهم فحبسهم وحبس معهم زوجة على بن محمد وابنه الاكبر وجارية له كانت حاملا ومضى على بن محمد لوجهه يريد بغداد ومعه قوم من خاصته منهم محمد بن سلم ويحيى بن محمد وسليمان بن جامع وبريش القريعى فلما صاروا بالبطيحة نذر بهم بعض موالى الباهليين كان يلى أمر البطيحة فأخذهم وحملهم الى محمد بن أبى عون وهو عامل السلطان بواسط فاحتال لابن أبى عون حتى تخلص هو وأصحابه من يده ثم صار الى بغداد فأقام بها سنة وانتسب فى هذه السنة الى محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد وكان يزعم أنه ظهر له أيام مقامه ببغداد فى هذه السنة آيات وعرف ما فى ضمائر أصحابه وما يفعله كل واحد منهم وانه سأل ربه أن يعلمه حقيقة أمور كانت فى نفسه فرأى كتابا يكتب له على حائط ولا يرى شخص كاتبه قال أبو جعفر واستمال ببغداد جماعة منهم جعفر بن محمد الصوحانى من ولد زيد بن صوحان العبدى ومحمد بن القاسم وغلامين لبنى خاقان وهما مشرق ورفيق فسمى مشرقا حمزة وكناه أبا أحمد وسمى رفيقا جعفرا وكناه أبا الفضل فلما انقضى عامه ذلك ببغداد عزل محمد بن رجاء عن البصرة فوثب رؤساء الفتنة بها من البلالية والسعدية ففتحوا المحابس وأطلقوا من كان فيها فتخلص أهله وولده فيمن تخلص فلما بلغه ذلك شخص عن بغداد فكان رجوعه الى البصرة فى شهر رمضان من سنة خمس وخمسين ومائتين ومعه على بن أبان المهلبى وقد كان لحق به وهو بمدينة السلام ومشرق ورفيق وأربعة أخر من خواصه وهم يحيى بن محمد ومحمد بن سلم وسليمان بن جامع وأبو يعقوب المعروف بجربان فساروا جميعا حتى نزلوا بالموضع المعروف ببرنخل من أرض البصرة فى قصر هناك يعرف بقصر القرشى على نهر يعرف بعمود ابن المنجم كان لبنى موسى بن المنجم احتفروه وأظهر أنه وكيل لولد الواثق فى بيع ما يملكونه هناك من السباخ قال أبو جعفر فذكر عن ريحان بن صالح أحد غلمان الشورجيين الزنوج وهو أول من صحبه منهم قال كنت موكلا بغلمان مولاى أنقل الدقيق اليهم فمررت به وهو مقيم بقصر القرشى يظهر الوكالة لأولاد الواثق فأخذنى أصحابه وصاروا بى اليه وأمرونى بالتسليم عليه بالامرة ففعلت ذلك فسألنى عن الموضع الذى جئت منه فأخبرته انى أقبلت من البصرة فقال هل سمعت لنا بالبصرة خبرا قلت لا قال فخبر البلالية والسعدية

قلت

قلت لم أسمع لهم خبرا فسألنى عن غلمان الشورجيين وما يجرى لكل غلام منهم من الدقيق والسويق والتمر وعمن يعمل فى الشورج من الاحرار والعبيد فأعلمته ذلك فدعانى الى ما هو عليه فأجبته فقال لى احتل فيمن قدرت عليه من الغلمان فاقبل بهم الى ووعدنى أن يقودنى على من آتيه به منهم وان يحسن لى واستحلفنى أن لا أعلم أحدا بموضعه وان أرجع اليه فخلى سبيلى فأتيت بالدقيق الذى معى الى غلمان مولاى وأخبرتهم خبره وأخذت له البيعة عليهم ووعدتهم عنه بالاحسان والغنى ورجعت اليه من غد ذلك اليوم ووافاه دقيق غلام الخاقانية وقد كان وجهه الى البصرة يدعو اليه غلمان الشورج ووافى اليه صاحب له آخر يعرف بشبل بن سالم قد كان دعا اليه قوما منهم أيضا وأحضر معه حريرة كان أمره بابتياعها ليتخذها لواء فكتب فيها بالحمرة ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله الآية وكتب اسمه واسم أبيه عليها وعلقها فى رأس مدرى وخرج وقت السحر من ليلة السبت لليلتين بقيتا من شهر رمضان فلما صار الى مؤخر القصر الذى كان فيه لقيه غلمان رجل من الشورجيين يعرف بالعطار فأمر بأخذ وكيلهم فأخذ وكتف واستضم غلمانه الى غلمانه وكانوا خمسين غلاما ثم صار الى الموضع المعروف بالسبانى فاتبعه الغلمان الذين كانوا فيه وهم خمسمائة غلام فيهم الغلام المعروف بأبى حديد وأمر بأخذ وكيلهم وكتفه ثم مضى الى الموضع المعروف بالسيرافى فاتبعه من كان فيه من غلمان وهم مائة وخمسون غلاما منهم زريق وأبو الخنجر ثم صار الى الموضع المعروف بسبخة ابن عطاء فأخذ طريفا وصبيحا الاعسر وراشدا المغربى وراشدا القرمطى وكل هؤلاء من وجوه الزنج وأعيانهم الذين صاروا قوادا وأمراء فى جيوشه وأخذ معهم ثمانين غلاما ثم أتى الى الموضع المعروف بغلام سهل الطحان فاستضاف من كان به من الغلمان ثم لم يزل يفعل مثل ذلك فى يومه حتى اجتمع اليه بشر كثير من الزنج ثم قام فيهم آخر الليل خطيبا فمناهم ووعدهم أن يقودهم ويرئسهم ويملكهم الاموال والضياع وحلف لهم بالايمان الغليظة أن لا يغدر بهم ولا يخذلهم ولا يدع شيئا من الاحسان الا أتى اليهم ثم دعا وكلاءهم فقال قد أردت ضرب أعناقكم لما كنتم تأتون الى هؤلاء الغلمان الذين استضعفتموهم وقهرتموهم وفعلتم ما حرم الله عليكم أن تفعلوه بهم وكلفتموهم ما لا يطيقونه فكلمنى أصحابى فيكم فرأيت اطلاقكم فقالوا له أصلحك الله ان هؤلاء الغلمان أباق وانهم سيهربون منك فلا يبقون عليك ولا علينا فخذ من مواليهم مالا وأطلقهم فأمر الغلمان فأحضروا شطوبا ثم بطح كل قوم وكيلهم فضرب كل رجل منهم خمسمائة شطبة ثم أطلقهم فمضوا نحو البصرة ومضى رجل منهم حتى عبر دجيل الاهواز فأنذر الشورجيين ليحفظوا غلمانهم وكان هناك خمسة عشر ألف غلام زنجى ثم سار وعبر دجيلا وسار الى نهر ميمون بأصحابه واجتمع اليه السودان من كل جهة فلما كان يوم الفطر جمعهم وخطب خطبة ذكر فيها ما كانوا عليه من سوء الحال وان الله تعالى قد استنقذهم من ذلك وانه يريد أن يرفع أقدارهم ويملكهم العبيد والاموال والمنازل ويبلغ بهم أعلى الامور ثم حلف لهم على ذلك فلما فرغ من خطبته أمر الذين فهموا عنه قوله أن يفهموه من لا فهم له من عجمهم ليطيب بذلك أنفسهم ففعلوا ذلك قال أبو جعفر فلما كان فى اليوم الثالث من شوال وافاه الحميرى أحد عمال السلطان بتلك النواحى فى عدد كثير فخرج اليه صاحب الزنج فى أصحابه فطرده وهزم أصحابه حتى صاروا فى بطن دجلة واستأمن الى صاحب الزنج رجل من رؤساء السودان يعرف بأبى صالح القصير فى ثلثمائة من الزنج فلما كثر من اجتمع اليه من الزنج قود قواده وقال لهم من أتى منكم برجل من السودان فهو مضموم اليه قال أبو جعفر وانتهى اليه أن قوما من أعوان السلطان هناك منهم خليفة بن أبى عون على الابلة ومنهم الحميرى قد أقبلوا نحوه فأمر أصحابه بالاستعداد لهم فاجتمعوا للحرب وليس فى عسكره يومئذ الا ثلاثة أسياف سيفه وسيف على بن ابان وسيف محمد بن سلم ولحقه القوم ونادى الزنج فبدر مفرج النوبى والمكنى بأبى صالح وريحان بن صالح وفتح الحجام وقد كان فتح حينئذ يأكل وبين يديه طبق فلما نهض تناول ذلك الطبق وتقدم أمام أصحابه فلقيه رجل من عسكر أصحاب السلطان فلما رآه فتح حمل عليه وحذفه بالطبق الذى كان فى يده فرمى الرجل سلاحه وولى هاربا وانهزم القوم كلهم وكانوا أربعة آلاف فذهبوا على وجوههم وقتل من قتل منهم ومات بعضهم عطشا وأسر كثير منهم فأتى بهم صاحب الزنج فأمر بضرب

أعناقهم فضربت وحملت الرؤس على بغل كان أخذها من السورجيين كانت تنقل السورج قال أبو جعفر ومر في طريقه بالقرية المعروفة بالمحمدية فخرج منها رجل من موالى الهاشميين فحمل على بعض السودان فقتله ودخل القرية فقال له أصحابه ائذن لنا في انتهاب القرية وطلب قاتل صاحبنا فقال لا سبيل الى ذلك دون أن نعرف ما عند أهلها وهل فعل القاتل ما فعل عن رأيهم ونسائلهم أن يدفعوه الينا فان فعلوا والا حل لنا قتالهم وعجل المسير من القرية فتركها وسار قال أبو جعفر ثم مر على القرية المعروفة بالكرخ فأتاه كبراؤها وأقاموا له الانزال وبات ليلته تلك عندهم فلما أصبح أهدى له رجل من أهل القرية المسماة جبي فرسا كميتا فلم يجد سرجا ولا لجاما فركبه بحبل وشنقه بحبل ليف قلت هذا تصديق قول أمير المؤمنين عليه السلام كانه به قد سار في الجيش الذى ليس له غبار ولا لجب ولا قعقعة لجم ولا حمحمة خيل يثيرون الارض باقدامهم كانها أقدام النعام قال أبو جعفر وأول مال صار اليه مائتا دينار وألف درهم لمنازل القرية المعروفة بالجعفرية أحضر بعض رؤسائها وسأله عن المال فجحد فأمر بضرب عنقه فلما خاف أحضر له هذا القدر وأحضر له ثلاثة براذين كميتا وأشقر وأشهب فدفع أحدها الى محمد بن سلم والآخر الى يحيى بن محمد والآخر الى مشرق غلام الخاقانية ووجدوا في دار لبعض الهاشميين سلاحا فانتهبوه فصار ذلك اليوم بايدى بعض الزنج سيوف وآلات وأتراس قال أبو جعفر ثم كانت بينه وبين من يليه من أعوان السلطان كالحميرى ورميس وعقيل وغيرهم وقعات كان الظفر فيها كلها له وكان يأمر بقتل الاسرى ويجمع الرؤس معه وينقلها من منزل الى منزل وينصبها أمامه اذا نزل وأوقع الهيبة والرهبة في صدور الناس بكثرة القتلى وقلة العفو وعلى الخصوص المأسورين فانه كان يضرب أعناقهم ولا يستبقى منهم أحدا قال أبو جعفر ثم كان له مع أهل البصرة وقعة بعد ذلك سار يريدها في ستة آلاف زنجى فاتبعه أهل الناحية المعروفة بالجعفرية ليحاربوه فعكر عليهم فقتل منهم مقتلة عظيمة أكثر من خمسمائة رجل فلما فرغ منهم صمد نحو البصرة واجتمع أهلها ومن بها من الجند وحاربوه حربا شديدا فكانت الدائرة عليه وانهزم أصحابه ووقع كثير منهم في النهرين المعروفين بنهر كثير ونهر سلطان وجعل يهتف بهم ويردهم ولا يرجعون وغرق من أعيان جنده وقواده جماعة منهم أبو الجون ومبارك البحرانى وعطاء البربرى وسلام الشامى فلحقه قوم من جند البصرة وهو على قنطرة نهر كثير فرجع اليهم بنفسه وسيفه في يده فرجعوا عنه حتى صاروا الى الارض وهو يومئذ في دراعة وعمامة ونعل وسيف وفي يده اليسرى ترس ونزل عن القنطرة فصعدها البصريون يطلبونه فرجع اليهم فقتل منهم رجلا بيده على خمس مراق من القنطرة وجعل يهتف باصحابه ويعرفهم مكانه ولم يكن بقى معه في ذلك الموضع من أصحابه الا أبو الشول ومفلح ورفيق ومشرق غلاما الخاقانية وضل أصحابه عنه وانحلت عمامته فبقى على رأسه كور منها أو كوران فجعل يسحبها من ورائه ويعجله المشى عن رفعها وأسرع غلاما الخاقانية في الانصراف وقصر عنهما فغابا عنه واتبعه رجلان من أهل البصرة بسيفهما فرجع اليهما فانصرفا عنه وخرج الى الموضع الذى فيه مجمع أصحابه وقد كانوا تحيروا فلما رأوه سكنوا قال أبو جعفر ثم سأل عن رجاله واذا قد هرب كثير منهم ونظر فاذا هو من جميع أصحابه في مقدار خمسمائة رجل فأمر بالنفخ في البوق الذى كانوا يجتمعون لصوته فنفخ فيه فلم يرجع اليه أحد قال وانتهب أهل البصرة سفنا كانت معه وظفروا بمتاع من متاعه وكتب من كتبه واصطرلاب كان معه ثم تلاحق به جماعة ممن كان هرب فاصبح واذا معه ألف رجل فارسل محمد بن سلم وسليمان بن جامع ويحيى بن محمد الى أهل البصرة يعظهم ويعلمهم انه لم يخرج الا غضبا لله وللدين ونهيا عن المنكر فعبر محمد بن سلم حتى توسط اهل البصرة وجعل يكلمهم ويخاطبهم فرأوا منه غرة فوثبوا عليه فقتلوه ورجع سليمان ويحيى الى صاحب الزنج فاخبراه فأمرهما بطى ذلك عن أصحابه حتى يكون هو الذى يخبرهم فلما صلى بهم العصر نعى اليهم محمد بن سلم وقال لهم انكم تقتلون به في غد عشرة آلاف من أهل البصرة قال أبو جعفر وكانت الوقعة التى كانت الدبرة عليه فيها يوم الاحد لثلاث عشرة ليلة خلون من ذى القعدة سنة خمس وخمسين ومائتين فلما كان يوم الاثنين جمع له أهل البصرة وحشدوا لما رأوا من ظهورهم عليه يوم الاحد وانتدب لذلك رجل من أهل البصرة يعرف بحماد الساجى وكان من غزاة البحر في الشذا وله علم بركوبها والحرب فيها فجمع المطوعة ورماة الاهداف

وأهل المسجد الجامع ومن خف معه من حزبى البلالية والسعدية ومن غير هذه الاصناف من الهاشميين والقرشيين ومن يحب النظر ومشاهدة الحرب من سائر أصناف الناس فشحن ثلاثة مراكب من الشذا بالرماة وجعل الناس يزدحمون في الشذا حرصا على حضور ذلك المشهد ومضى جمهور الناس رجالة منهم من معه سلاح ومنهم من لا سلاح معه بل نظارة فدخلت السفن النهر المعروف بام حبيب بعد زوال الشمس من ذلك اليوم في المد ومرت الرجالة والنظارة على شاطئ النهر قد سدوا ما ينفذ فيه البصر كثرة وتكاثفا فوجه صاحب الزنج صاحبه زريقا وأبا الليث الاصبهانى فجعلهم كمينا من الجانب الشرقى من نهر سلطان وكان مقيما بموضع منه ووجه صاحبيه شبلا وحسينا الحمامى فجعلهما كمينا في غربيه ومع كل من الكمينين جماعة وأمر على بن أبان المهلبى ان يتلقى القوم فيمن بقى معه من جمعه وأمره أن يستتر هو وأصحابه بتراسهم ولا يثوروا اليهم منهم ثائر حتى يوافيهم القوم ويخالطوهم باسيافهم فاذا فعلوا ذلك ثاروا اليهم وتقدم الى الكمينين اذا جاوزهما الجمع وأحسا بثورة أصحابهم اليهم أن يخرجا من جنبى النهر ويصيحا بالناس وكان يقول لاصحابه بعد ذلك لما أقبل الى جمع البصرة وعاينته رأيت أمرا هائلا راعنى وملأ صدرى رهبة وجزعا ففزعت الى الدعاء وليس معى من أصحابى الا نفر يسير منهم مصلح وليس منا أحد الا وقد خيل اليه مصرعه فجعل مصلح يعجبنى من كثرة ذلك الجمع وجعلت أومئ اليه أى اسكت فلما قرب القوم منى قلت اللهم ان هذه ساعة العسرة فاعنى فرأيت طيورا بيضا أقبلت فتلقت ذلك الجمع فلم أستتم دعائى حتى بصرت بسميرية من سفنهم قد انقلبت بمن فيها فغرقوا ثم تلتها الشذا فغرقت واحدة بعد واحدة وثار أصحابى الى القوم وخرج الكمينان من جنبى النهر وصاحوا وخبطوا الناس فغرقت طائفة وقتلت طائفة وهربت طائفة نحو الشط طمعا في النجاة فادركها السيف فمن ثبت قتل ومن رجع الى الماء غرق حتى أبيد أكثر ذلك الجمع ولم ينج منهم الا الشريد وكثر المفقودون بالبصرة وعلا العويل من نسائهم قال أبو جعفر وهذا يوم الشذا الذى ذكره الناس في أشعارهم وعظموا ما فيه من القتل فكان ممن قتل من بنى هاشم جماعة من ولد جعفر بن سليمان وانصرف صاحب الزنج وجمع الرؤس وملا بها سفنا وأخرجها من النهر المعروف بام حبيب في الجزر وأطلقها فوافت البصرة فوقفت في مشرعة تعرف بمشرعة القياد فجعل الناس يأتون تلك الرؤس فيأخذ رأس كل رجل أولياؤه وقوى صاحب الزنج بعد هذا اليوم وسكن الرعب قلوب أهل البصرة منه وأمسكوا عن حربه وكتب الى السلطان بخبره فوجه جعلان التركى مددا لاهل البصرة في جيش ذوى عدة وأسلحة قال أبو جعفر وقال أصحاب على بن محمد له اذا قد قتلنا مقاتلة أهل البصرة ولم يبق فيها الا ضعفاؤهم ومن لا حراك به فأذن لنا في تقحمها فهاهم وهجن آراءهم وقال بل نبعد عنها فقد رعبناهم وأخفناهم ولنقتحمها وقتا آخر وانصرف باصحابه الى سبخة في آخر أنهار البصرة تعرف بسبخة أبى قرة قريبة من النهر المعروف بالحاجز فاقام هناك وأمر أصحابه باتخاذ الاكواخ وهذه السبخة متوسطة النخل والقرى والعمارات وبث أصحابه يمينا وشمالا يعيثون ويغيرون على القرى ويقتلون الاكرة وينهبون أموالهم ويسرقون مواشيهم وجاءه شخص من أهل الكتاب من اليهود يعرف بماروية فقبل يده وسجد له وسأله عن مسائل كثيرة فاجابه عنها فزعم اليهودى أنه يجد صفته في التوراة وأنه يرى القتال معه وسأله عن علامات في يده وجسده ذكر انها مذكورة في الكتب فاقام معه قال أبو جعفر ولما صار جعلان التركى الى البصرة بعسكره أقام ستة أشهر يحارب صاحب الزنج فاذا التقوا لم يكن بينهم الا الرمى بالحجارة والنشاب ولم يجد جعلان الى لقائه سبيلا لضيق الموضع بما فيه من النخل والدغل عن مجال الخيل ولان صاحب الزنج قد كان خندق على نفسه وأصحابه ثم ان صاحب الزنج بيت جعلان فقتل جماعة من أصحابه وريع الباقون روعا شديدا فانصرف جعلان الى البصرة ووجه اليه مقاتلة السعدية والبلالية في جمع كثيف فواقعهم صاحب الزنج فقهرهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وانصرفوا مفلولين ورجع جعلان باصحابه الى البصرة فاقام بها معتصما بجدرانها وظهر عجزه للسلطان فصرف عن حرب الزنج وأمر سعيد الحاجب بالشخوص الى البصرة لحربهم قال أبو جعفر واتفق لصاحب الزنج من السعادة أن أربعة وعشرين مركبا من مراكب البحر كانت اجتمعت تريد البصرة وانتهى الى أصحابها خبر الزنج وقطعهم السبل وفيها أموال عظيمة للتجار فاجتمعت

آراؤهم على ان شدوا المراكب بعضها الى بعض حتى صارت كالجزيرة يتصل أولها بآخرها وسارت فى دجلة فكان صاحب الزنج يقول نهضت ليلة الى الصلاة وأخذت فى الدعاء والتضرع فخوطبت بان قيل لى قد أظلك فتح عظيم فالتفت فلم ألبث ان طلعت المراكب فنهض أصحابى اليها فى شذاتها فلم يلبثوا ان حووها وقتلوا مقاتلتها وسبوا ما فيها من الرقيق وغنموا منها أموالا لا تحصى ولا يعرف قدرها فأنهبت ذلك أصحابى ثلاثة أيام وأمرت بما بقى منها فحيز لى قال أبو جعفر ثم دخل الزنج الابلة فى شهر رجب من سنة ست وخمسين ومائتين وذلك ان جعلان لما تنحى الى البصرة ألح صاحب الزنج بالسرايا على أهل الابلة فجعل يحاربهم من ناحية شط عثمان بالرجالة وبما خف له من السفن من ناحية دجلة وجعلت سراياه تضرب الى ناحية نهر معقل فذكر عن صاحب الزنج انه قال مثلت بين عبادان والابلة فملت الى التوجه الى عبادان فندبت الرجال الى ذلك فخوطبت وقيل لى ان أقرب عدو دارا وأولاه أن لا يتشاغل عنه بغيره أهل الابلة فرددت بالجيش الذى كنت سيرته نحو عبادان الى الابلة ولم يزالوا يحاربون أهلها الى ان اقتحموها وأضرموها نارا وكانت مبنية بالساج بناء متكاثفا فاسرعت فيها النار ونشأت ريح عاصف فاطارت شرر ذلك الحريق الى ان انتهى الى شط عثمان وقتل بالابلة خلق كثير وحويت الاسلاب والاموال على أن الذى أحرق منها كان أكثر مما انتهب واستسلم أهل عبادان بعدها لصاحب الزنج فان قلوبهم ضعفت وخافوه على أنفسهم وحرمهم فاعطوا بايديهم وسلموا اليه بلدهم فدخلها أصحابه فأخذوا من كان فيها من العبيد وحملوا ما كان فيها من السلاح ففرقه على أصحابه وصانعه أهلها بمال كف به عنهم قال أبو جعفر ثم دخل الزنج بعد عبادان الى الاهواز ولم يثبت لهم أهلها فاحرقوا ما فيها وقتلوا ونهبوا وأخربوا وكان بالاهواز ابراهيم بن محمد المدبر الكاتب اليه خراجها وضياعها فاسروه بعد ان ضربوه ضربة على وجهه وحووا كل ما كان يملكه من مال وأثاث ورقيق وكراع واشتد خوف أهل البصرة وانتقل كثير من أهلها عنها وتفرقوا فى بلاد شتى وكثرت الاراجيف من عوامها قال أبو جعفر فلما دخلت سنة سبع وسبعين أنفذ السلطان بغراج التركى على حرب البصرة وسعيد بن صالح الحاجب للقاء صاحب الزنج وأمر بغراج بامداده بالرجال فلما صار سعيد الى نهر معقل وجد هناك جيشا لصاحب الزنج فى النهر المعروف بالمرغاب فاوقع بهم سعيد فهزمهم واستنقذ ما فى أيديهم من النساء والنهب وأصابت سعيدا فى تلك الوقعة جراحات منها جراحة فى فيه ثم بلغه أن جيشا لصاحب الزنج فى الموضع المعروف بالفرات فتوجه اليه فهزمه واستأمن اليه بعض قواد صاحب الزنج حتى لقد كانت المرأة من سكان ذلك الموضع تجد الزنجى مستترا بتلك الادغال فتقبض عليه حتى تأتى به عسكر سعيد ما به عنها امتناع ثم قصد سعيد حرب صاحب الزنج فعبر اليه الى غربى دجلة فاوقع به وقعات متتالية كلها يكون الظفر فيها لسعيد الى ان تهيأ لصاحب الزنج عليه ان وجه الى يحيى بن محمد البحرانى صاحبه وهو اذ ذاك مقيم بنهر معقل فى جيش من الزنج فامره بتوجيه ألف رجل من أصحابه عليهم سليمان بن جامع وأبو الليث القائدان ويأمرهما بقصد عسكر سعيد ليلا حتى يوقعا به وقت طلوع الفجر من ليلة عينها لهم ففعلا ذلك وصارا الى عسكر سعيد فى ذلك الوقت فصادفا منه غرة وغفلة فاوقعا به وبأصحابه وقت طلوع الفجر فقتل منهم مقتلة عظيمة وأصبح سعيد وقد ضعف أمره واتصل بالسلطان خبره فأمره بالانصراف الى باب السلطان وتسليم الجيش الذى معه الى منصور بن جعفر الخياط وكان اليه يومئذ حرب الاهواز وكوتب بحرب صاحب الزنج وان يصمد له فكانت بينهم وقعة كان الظفر فيها للزنج فقتل من أصحاب منصور خلق كثير عظيم وحمل من الرؤس خمسمائة رأس الى عسكر يحيى بن محمد البحرانى القائد فنصبت على نهر معقل قال أبو جعفر ثم كانت بين الزنج وبين أصحاب السلطان بالاهواز وقعات كثيرة تولاها على بن ابان المهلبى فقتل شاهين بن بسطام وكان من أكابر أصحاب السلطان وهزم ابراهيم بن سيما وكان أيضا من الامراء المشهورين واستولى الزنج على عسكره قال أبو جعفر ثم كانت الواقعة العظمى بالبصرة فى هذه السنة وذلك ان صاحب الزنج قطع الميرة عنهم فأضر ذلك بهم وألح بجيوشه وزنوجه عليهم بالحرب صباحا ومساء فلما كان فى شوال من هذه السنة أزمع على جمع أصحابه للهجوم على البصرة والجد فى خرابها وذلك لعلمه بضعف أهلها وتفرقهم واضرار

الحصار بهم وخراب ما حولها من القرى وكان قد نظر فى حساب النجوم ووقف على انكساف القمر الليلة الرابعة عشرة من هذا الشهر فذكر محمد بن الحسن بن سهل انه قال سمعته يقول اجتهدت فى الدعاء على أهل البصرة وابتهلت الى الله تعالى فى تعجيل خرابها فخوطبت وقيل لى انما البصرة خبزة تأكلها من جوانبها فاذا انكسر نصف الرغيف خربت البصرة فأولت انكسار نصف الرغيف بانكساف نصف القمر المتوقع فى هذه الليالى وما أخلق أمر أهل البصرة ان يكون بعده قال فكان يحدث بهذا حتى أفاض فيه أصحابه وكثر ترداده فى أسماعهم واجالتهم اياه بينهم ثم ندب محمد بن يزيد الدارمى وهو أحد من كان صحبه بالبحرين للخروج الى الاعراب واستنفار من قدر عليه منهم فأتاه منهم بخلق كثير ووجه الى البصرة سليمان بن موسى الشعرانى فأمره بتطرق البصرة والايقاع بأهلها وتقدم الى سليمان بتمرين الاعراب على ذلك فلما وقع الكسوف أنهض اليها على بن أبان وضم اليه جيشا من الزنج وطائفة من الاعراب وأمره باتيان البصرة مما يلى بنى سعد وكتب الى يحيى بن محمد البحرانى فى اتيانها مما يلى نهر عدى وضم باقى الاعراب اليه فكان أول من واقع أهل البصرة على بن ابان وبغراج التركى يومئذ بالبصرة فى جماعة من الجند فأقام يقاتلهم يومين وأقبل يحيى بن محمد مما يلى قصر أنس قاصدا نحو الجسر فدخل على بن ابان البلد وقت صلاة الجمعة لثلاث عشرة بقين من شوال فأقبل يقتل الناس ويحرق المنازل والاسواق بالنار فتلقاه بغراج وابراهيم بن محمد بن اسمعيل بن جعفر بن سليمان الهاشمى المعروف ببريه وكان وجيها مقدما مطاعا فى جمع عظيم فرداه فرجع فأقام ليلة ثلاث ثم غاداهم وقد تفرق جند البصرة فلم يكن فى وجهه أحد يدافعه وانحاز بغراج بمن معه وهرب ابراهيم بن محمد الهاشمى المعروف ببريه فوضع على بن ابان السيف فى الناس وجاء اليه ابراهيم بن محمد المهلبى وهو ابن عمه فاستأمنه لاهل البصرة فحضر أهل البصرة قاطبة فأمنهم ونادى مناديه من أراد الامان فليحضر دار ابراهيم بن محمد المهلبى فحضر أهل البصرة قاطبة حتى ملؤا الازقة فلما رأى اجتماعهم انتهز الفرصة فأمر بأخذ السكك والطرق عليهم وغدر بهم وأمر الزنوج بوضع السيف فيهم فقتل كل من شهد ذلك المشهد ثم انصرف آخر نهار يومه ذلك فأقام بقصر عيسى بن جعفر بالخريبة وروى أبو جعفر قال حدثنى محمد ابن الحسن بن سهل قال حدثنى محمد بن سمعان قال كنت يومئذ بالبصرة فمضيت مبادرا الى منزلى لاتحصن به وهو فى سكة المربد فلقيت أهل البصرة هاربين يدعون بالويل والثبور وفى آخرهم القاسم بن جعفر بن سليمان الهاشمى على بغل متقلدا سيفا يصيح بالناس ويحكم تسلمون بلدكم وحرمكم هذا عدوكم قد دخل البلد فلم يلووا عليه ولم يسمعوا منه فمضى هاربا ودخلت أنا منزلى وأغلقت بابى وأشرفت فرأيت الاعراب ورجالة الزنج يقدمهم رجل على حصان كميت بيده رمح وعليه عذبة صفراء فسألت بعد ذلك عنه فقيل لى انه على بن ابان قال ونادى منادى على بن ابان من كان من آل المهلب فليدخل دار ابراهيم بن يحيى المهلبى فدخلت جماعة قليلة وأغلق الباب دونهم ثم قيل للزنج دونكم الناس فاقتلوهم ولا تبقوا منهم أحدا وخرج اليهم أبو الليث الاصفهانى أحد قواد الزنج فقال للزنج كيلوا وهى العلامة التى كانوا يعرفونها فيمن يؤمرون بقتله فأخذ الناس السيف قال فوالله انى لاسمع تشهدهم وضجيجهم وهم يقتلون وقد ارتفعت أصواتهم بالتشهد حتى سمعت بالطفاوة وهو على بعد من الموضع الذى كانوا فيه قال ثم انتشر الزنج فى سكك البصرة وشوارعها يقتلون من وجدوا ودخل على بن ابان يومئذ المسجد فأحرقه وبلغ الى الكلا فأحرقه الى الجسر وأخذت النار كل ما مرت به من انسان وبهيمة وأثاث ومتاع ثم الحوا بالغدو والرواح على من وجدوه يسوقونهم الى يحيى بن محمد البحرانى وهو نازل ببعض سكك البصرة فمن كان ذا مال قرره حتى يستخرج ماله ثم يقتله ومن كان مختلا قتله معجلا قال أبو جعفر وقد كان على بن أبان كف بعض الكف عن العيث بناحية بنى سعد وراقب قوما من المهلبيين واتباعهم فانتهى ذلك الى على بن محمد صاحب الزنج فصرفه عن البصرة وأقر يحيى بن محمد البحرانى بها لموافقته على رأيه فى الاثخان فى القتل ووقوع ذلك بمحبته وكتب الى يحيى بن محمد يأمره باظهار الكف ليسكن الناس ويظهر المستخفى ومن قد عرف باليسار والثروة فاذا ظهر فليؤخذوا بالدلالة على ما دفنوه وما أخفوه من أموالهم ففعل يحيى بن محمد ذلك وكان لا يخلو فى اليوم من الايام من جماعة يؤتى بهم فمن عرف منهم باليسار استنزف ما عنده ثم قتله ومن ظهرت له خلته عاجله بالقتل حتى لم يدع أحدا ظهر له

الاقتله قال أبو جعفر وحدثنى محمد بن الحسن قال لما انتهى الى على بن محمد عظيم ما فعل أصحابه بالبصرة سمعته يقول دعوت على أهل البصرة فى غداة اليوم الذى دخل فيه أصحابى اليها واجتهدت فى الدعاء وسجدت وجعلت أدعو فى سجودى فرفعت الى البصرة فرأيتها ورأيت أصحابى يقاتلون فيها ورأيت بين السماء والارض رجلا واقفا فى صورة جعفر المعلوف المتولى كان للاستخراج فى ديوان الخراج بسامرا وهو قائم قد خفض يده اليسرى ورفع يده اليمنى يريد قلب البصرة فعلمت ان الملائكة تولت اخرابها دون أصحابى ولو كان أصحابى تولوا ذلك مابلغوا هذا الامر العظيم الذى يحكى عنها ولكن الله تعالى نصرنى بالملائكة وايدنى فى حروبى وثبت بهم من ضعف قلبه من أصحابى قال أبو جعفر وانتسب صاحب الزنج فى هذه الايام الى محمد بن محمد بن زيد بن على بن الحسين بعد انتسابه الذى كان الى أحمد بن عيسى ابن زيد وذلك لانه بعد اخرابه البصرة جاءه اليه جماعة من العلوية الذين كانوا بالبصرة وأتاه فيمن أتاه منهم قوم من ولد أحمد بن عيسى بن زيد فى جماعة من نسائهم وحرمهم فلما خافهم ترك الانتساب الى أحمد بن عيسى وانتسب الى محمد بن محمد بن زيد قال أبو جعفر فحدثنى محمد بن الحسن بن سهل قال كنت حاضرا عنده وقد حضر جماعة من النوفليين فقال له القاسم بن اسحق النوفلى انه انتهى الينا أن الامير من ولد أحمد بن عيسى بن زيد فقال لست من ولد عيسى أنا من ولد يحيى بن زيد قال محمد بن الحسن فانتقل من أحمد بن عيسى بن زيد الى محمد بن محمد بن زيد ثم انتقل من محمد الى يحيى بن زيد وهو كاذب لان الاجماع واقع على ان يحيى بن زيد مات ولم يعقب ولم يولد له الا بنت واحدة ماتت وهى ترضع فهذا ماذكره أبو جعفر الطبرى فى التاريخ الكبير وذكر على بن الحسن المسعودى فى مروج الذهب ان هذه الوقعة بالبصرة هلك فيها من أهلها ثلثمائة ألف انسان وان على بن أبان المهلبى بعد فراغه من الوقعة نصب منبرا فى الموضع المعروف ببنى يشكر صلى فيه يوم الجمعة وخطب لعلى بن محمد صاحب الزنج وترحم بعد ذلك على أبى بكر وعمر ولم يذكر عثمان ولا عليا عليه السلام فى خطبته ولعن أبا موسى الاشعرى وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبى سفيان قال وهذا يؤكد ما ذكرناه وحكيناه من رأيه وانه كان يذهب الى قول الازارقة قال واستخفى من سلم من أهل البصرة فى آبار الدور فكانوا يظهرون ليلا فيطلبون الكلاب فيذبحونها ويأكلونها والفار والسنانير فافنوها حتى لم يقدروا على شئ منها فصاروا اذا مات الواحد منهم أكلوه فكان يراعى بعضهم موت بعض ومن قدر على صاحبه قتله وأكله وعدموا مع ذلك الماء وذكر عن امرأة منهم أنها حضرت امرأة قد احتضرت وعندها أختها وقد احتوشوها ينتظرون أن تموت فيأكلوا لحمها قالت المرأة فما ماتت حسنا حتى ابتدرناها فقطعنا لحمها فأكلناه ولقد حضرت أختها ونحن على شريعة عيسى بن حرب وهى تبكى ومعها رأس الميت فقال لها قائل ويحك مالك تبكين فقالت اجتمع هؤلاء على أختى فما تركوها تموت حسنا حتى قطعوها وظلمونى فلم يعطونى من لحمها شيئا الا الرأس واذا هى تبكى شاكية من ظلمهم لها فى أختها قال وكان مثل هذا وأكثر منه وأضعافه وبلغ من أمر عسكره أنه ينادى فيه على المرأة من ولد الحسن والحسين والعباس وغيرهم من أشراف قريش فكانت الجارية تباع منهم بدرهمين وبثلاثة دراهم وينادى عليها بنسبها هذه ابنة فلان بن فلان وأخذ كل زنجى منهم العشر والثلاثين يطؤهن الزنج ويخدمن النساء الزنجيات كما تخدم الوصائف ولقد استغاثت الى صاحب الزنج امرأة من ولد الحسن بن على عليه السلام وكانت عند بعض الزنج وسألته أن يعتقها مما هى فيه أو ينقلها من عنده الى غيره فقال لها هو مولاك وهو أولى بك قال أبو جعفر وأشخص السلطان لحرب صاحب الزنج محمدا المعروف بالمولد فى جيش كثيف فجاء حتى نزل الابلة وكتب صاحب الزنج الى يحيى بن محمد البحرانى يأمره بالمصير اليه فصار اليه بزنوجه وأقام على محاربته عشرة أيام ثم فتر المولد عن الحرب وكتب على بن محمد الى يحيى يأمره أن يبيته فبيته فهزمه ودخل الزنج عسكره فغنموا ما فيه وكتب يحيى الى صاحب الزنج يخبره فأمره باتباعه فاتبعه الى الحوانيت ثم انصرف عنه فمر بالجامدة واوقع باهلها وانتهب كل ما كان فى تلك القرى وسفك ما قدر على سفكه من الدماء ثم عاد الى نهر معقل قال أبو جعفر واتصلت الاخبار بسامرا وبغداد وبالقواد والموالى وأهل الحضرة بما جرى على أهل البصرة فقامت عليهم القيامة وعلم المعتمد انه لا يرتق هذا الفتق الا بأخيه أبى أحمد طلحة بن المتوكل وكان منصورا مؤيدا عارفا

بالحرب

بالحرب وقيادة الجيوش وهو الذى أخذ بغداد للمعتز وكسر جيوش المستعين وخلعه من الخلافة ولم يكن لبنى العباس فى هذا الباب مثله ومثل ابنه أبى العباس فعقد له المعتمد على ديار مصر وقنسرين والعواصم وجلس له مستهل شهر ربيع الآخر من سنة سبع وخمسين فخلع عليه وعلى مفلح وشخصا نحو البصرة لحرب على بن محمد واصلاح ما أفسده من الاعمال وركب المعتمد ركوبا ظاهرا يشيع أخاه أبا أحمد الى القرية المعروفة ببركوارا وعاد قال أبو جعفر وأما صاحب الزنج فانه بعد هزيمة محمد المولد أنفذ على بن أبان المهلبى الى حرب منصور بن جعفر والى الاهواز فكانت بينهما حروب كثيرة فى أيام متفرقة حتى كان آخرها اليوم الذى انهزم فيه أصحاب منصور وتفرقوا عنه وأدركت منصورا طائفة من الزنج فلم يزل يكر عليهم حتى انقصف رمحه ونفدت سهامه ولم يبق معه سلاح وانتهى الى نهر يعرف بنهر ابن مروان فصاح بحصان كانت تحته ليعبر فوثب فقصر فانغمس فى الماء وقيل ان الحصان لم يقصر فى الوثبة ولكن رجلا من الزنج سبقه الى النهر فالقى نفسه فيه لعلمه انه لا محيص لمنصور عن النهر فلما وثب الفرس تلقاه الاسود فنكص فغاص الفرس ومنصور ثم أطلع منصور رأسه فنزل اليه غلام من السودان من عرفاء مصلح يقال له ابزون فاحتز رأسه وأخذ سلبه فولى بازجوخ التركى صاحب حرب خورستان ما كان مع منصور من العمل اصفجور التركى وقال أبو جعفر وأما أبو أحمد فانه شخص عن سامرا فى جيش لم يسمع السامعون بمثله كثرة وعدة قال وقد عاينت أنا ذلك الجيش وأنا يومئذ ببغداد بباب الطاق فسمعت جماعة من مشايخ أهل بغداد يقولون قد رأينا جيوشا كثيرة للخلفاء فما رأينا مثل هذا الجيش أحسن عدة وأكمل عتادا وسلاحا وأكثر عددا وجمعا واتبع ذلك الجيش من متسوقة أهل بغداد خلق كثير قال أبو جعفر فحدثنى محمد بن الحسن بن سهل ان يحيى بن محمد البحرانى كان مقيما بنهر معقل قبل موافاة أبى أحمد فاستأذن صاحب الزنج فى المصير الى نهر العباس فكره ذلك وخاف ان يوافيه جيش من قبل السلطان وأصحابه متفرقون فألح عليه يحيى حتى اذن له فخرج واتبعه أكثر أهل عسكر صاحب الزنج وكان على بن أبان مقيما بجبى فى جمع كثير من الزنج والبصرة قد صارت مغنما لاهل عسكر صاحب الزنج يغادونها ويراوحونها النقل مما نالته أيديهم منها الى منازلهم فليس بعسكر على بن محمد يومئذ من أصحابه الا القليل فهو على ذلك من حاله حتى وافى أبو أحمد فى الجيش ومعه مفلح فورد جيش عظيم لم يرد على الزنج مثله فلما وصل الى نهر معقل انصرف من كان هناك من الزنج فالتحقوا بصاحبهم مرعوبين فراعه ذلك ودعا بريئسين منهما فسألهما عن السبب الذى له تركا موضعهما فأخبراه بما عاينا من عظم أمر الجيش الوارد وكثرة عدد أهله واحكام عدتهم وان الذى عايناه من ذلك لم يكن فى قوتهما الوقوف له فى العدة التى كانا فيها فسألهما هل علما من يقود هذا الجيش فقالا قد اجتهدنا فى علم ذلك فلم نجد من يصدقنا عنه فوجه صاحب الزنج طلائعه فى سميريات ليعرف الخبر فرجعت طلائعه اليه بتعظيم أمر الجيش وتفخيمه ولم يقف أحد منهم على من يقوده فزاد ذلك فى جزعه وارتياعه فأمر بالارسال الى على بن أبان يعلمه خبر الجيش الوارد ويأمره بالمصير اليه فيمن معه ووافى جيش أبى أحمد فأناخ بازاء صاحب الزنج فلما كان اليوم الذى كانت فيه الوقعة خرج على بن محمد يطوف فى عسكره ماشيا ويتأمل الحال فيمن هو من حزبه ومن هو بازائه على حربه وقد كانت السماء مطرت ذلك اليوم مطرا خفيفا والارض ثربة تزل عنها الاقدام فطوف ساعة من أول النهار ورجع فدعا بدواة وقرطاس ليكتب كتابا الى على بن أبان يعلمه ما قد أظله من الجيش ويأمره بتقديم من قدر على تقديمه من الرجال فانه لفى ذلك اذ أتاه أبو دلف القائد أحد قواد الزنج فقال له ان القوم قد غشوك ورهقوك وانهزم الزنج من بين أيديهم وليس فى وجوههم من يردهم فانظر لنفسك فانهم قد انتهوا اليك فصاح به وانتهره وقال اعزب عنى فانك كاذب فيما حكيت انما ذلك جزع داخل قلبك لكثرة من رأيت من الجمع فانخلع قلبك فلست تدرى ما تقول فخرج أبو دلف من بين يديه وأقبل يكتب وقال لجعفر بن ابراهيم السجان ناد فى الزنج وحركهم للخروج الى موضع الحرب فقال له انهم قد خرجوا وقد ظفروا بسميريتين من سفن أصحاب السلطان فأمره بالرجوع لتحريك الرجالة وكان من القضاء والقدر أن أصيب مفلح وهو القائد الجليل المرشح لقيادة الجيش بعد أبى أحمد بسهم غرب لا يدرى من رماه فمات لوقته ووقعت الهزيمة على أصحاب أبى أحمد وقوى الزنج على حربهم فقتلوا منهم جمعا كثيرا ووافى على بن محمد زنجه بالرؤس قابضين

عليها بأسنانهم حتى ألقوها بين يديه فكثرت الرؤس يومئذ حتى ملأت الفضاء وجعل الزنج يقتسمون لحوم القتلى ويتهادونها بينهم وأتي بأسير من الجيش فسأله عن رأس العسكر فذكر أبا أحمد ومفلحا فارتاع لذكر أبي أحمد وكان اذا راعه أمر كذب به وقال ليس في الجيش الا مفلح لاني لست أسمع الذكر الا له ولو كان في الجيش من ذكره هذا الاسير لكان صوته أبعد ولما كان مفلح الا تابعا له ومضافا اليه قال أبو جعفر وقد كان قبل ان يصيب السهم مفلحا انهزم الزنج لما خرج عليهم جيش أبي أحمد وجزعوا جزعا شديدا ولجؤا الى النهر المعروف بنهر أبي الخصيب ولا جسر يومئذ عليه فغرق منهم خلق كثير ولم يلبث صاحب الزنج الا يسيرا حتى وافاه علي بن أبان في أصحابه فوافاه وقد استغنى عنه بهزيمة الجيش السلطاني وتحيز أبو أحمد بالجيش الى الابلة ليجمع ما فرقت الهزيمة منه ويجدد الاستعداد للحرب ثم صار الى نهر أبي الاسد فاقام به قال أبو جعفر فحدثني محمد بن الحسن قال فكان صاحب الزنج لا يدري كيف قتل مفلح فلما لم ير أحدا ينتحل رميه ادعى انه كان الرامي له قال فسمعته يقول سقط بين يدي سهم من السماء فأتاني به راح خادمي فدفعه الى فرميت به فأصاب مفلحا فقتله قال محمد وكذب في ذلك لاني كنت حاضرا معه ذلك المشهد ما زال عن فرسه حتى أتاه خبر الهزيمة قال أبو جعفر ثم ان الله تعالى أصاب صاحب الزنج بمصيبة تعادل فرحه وسروره بقتل مفلح عقيب قتل مفلح وذلك ان قائده الجليل يحيى بن محمد البحراني أسر وقتل وصورة ذلك ان صاحب الزنج كان قد كتب الى يحيى بن محمد يعلمه ورود هذا الجيش عليه ويأمره بالقدوم والتحرز في منصرفه من ان يلقاه احد منهم وقد كان يحيى غنم سفنا فيها متاع وأموال لتجار الاهواز جليلة وحامى عنها أصحاب أصفجور التركي فلم يغن وهزمهم يحيى ومضى الزنج بالسفن المذكورة متوجهين نحو معسكر صاحب الزنج على سمت البطيحة المعروفة بسبخة السحناة وهي طريقة متعسفة وعرة فيها مشاق متعبة وانما سلكها يحيى وأصحابه وتركوا الطريق الواضح للتحاسد الذي كان بين يحيى بن محمد وعلي بن أبان فان أصحاب يحيى اشاروا عليه أن لا يسلك الطريق التي يعرفها علي أصحاب علي بن أبان فاصغى الى مشورتهم فشرعوا له الطريق المؤدي الى البطيحة المذكورة فسلكها وهذه البطيحة ينتهي السائر فيها الى نهر أبي الاسد وقد كان أبو أحمد انحاز اليه لان أهل القرى والسواد كانوا يعرفونه خبر يحيى بن محمد البحراني وشدة بأسه وكثرة جمعه وانه ربما خرج من البطيحة الى نهر أبي الاسد فعسكر به ومنع أبا أحمد الميرة وحال بينه وبين من يأتيه من الاعراب وغيرهم فسبقه أبو أحمد الى نهر أبي الاسد وسار يحيى حتى اذا قرب من نهر أبي الاسد وافته طلائعه فاخبرته بالجيش وعظمت أمره وخوفته منه فرجع من الطريق الذي كان سلكه بمشقة شديدة نالته ونالت أصحابه وأصابهم مرض لترددهم في تلك البطيحة وجعل يحيى على مقدمته سليمان بن جامع وسار حتى وقف على قنطرة فورج نهر العباس في موضع ضيق تشتد فيه جرية الماء وهو مشرف ينظر أصحابه الزنج كيف يجرون تلك السفن التي فيها الغنائم فمنها ما يغرق ومنها ما يسلم قال أبو جعفر فحدثني محمد بن سمعان قال كنت في تلك الحال واقفا مع يحيى على القنطرة وقد أقبل على متعجبا من شدة جرية الماء وشدة ما يلقى أصحابه ممن تلقيه بالسفن فقال أرأيت لو هجم علينا عدو في هذه الحال من كان يكون أسوأ حالا منا فوالله ما انقضى كلامه حتى وافى كاشهم التركي في جيش قد انفذه معه أبو أحمد عند رجوعه من الابلة الى نهر أبي الاسد يتلقى به يحيى فوقعت الصيحة واضطربت الزنج فنهضت متشوفا للنظر فاذا الاعلام الحمر قد أقبلت في الجانب الغربي من نهر العباس ويحيى به فلما رآها الزنج القوا انفسهم جملة في الماء فعبروا الى الجانب الشرقي وخلا الموضع الذي فيه يحيى فلم يبق معه الا بضعة عشر رجلا منهم فنهض عند ذلك فاخذ درقته وسيفه واحتزم بمنديل ثم يلقي القوم في النفر الذين تخلفوا معه فرشقهم أصحاب كاشهم التركي بالسهام حتى كثر فيهم الجراح وجرح يحيى باسهم ثلاثة في عضده اليمنى وساقه اليسرى فلما رآه أصحابه جريحا تفرقوا عنه ولم يعرف فيقصد له فرجع حتى دخل بعض تلك السفن وعبر به الى الجانب الشرقي من النهر وذلك وقت الضحى وانقلته الجراحات التي أصابته فلما رأت الزنج شدة ما نزل به اشتد جزعهم وضعفت قلوبهم فتركوا القتال وكانت همتهم النجاة بانفسهم وحاز أصحاب السلطان تلك الغنائم التي كانت في السفن الجانب في الغربي من النهر وانقض الزنج بالجانب الشرقي عن يحيى فجعلوا يتسللون بقية نهارهم بعد قتل ذريع فيهم وأسر كثير فلما أمسوا

واسدف الليل طاروا على وجوههم فلما رأى يحيى تفرق أصحابه ركب سميرية كانت هناك وأقعد معه فيها متطببا يقال له عباد وطمع في الخلاص الى عسكر صاحب الزنج فسار حتى قرب من فوهة النهر فابصر سميريات وشذاءات لاصحاب السلطان في فوهة النهر فخاف أن تعترض سميريته وجزع من المرور بها فعبر به الملاح الى الجانب الغربي من النهر فالقاه وطبيبه على الارض في زرع هناك فخرج يمشي وهو مثقل حتى أتى نفسه في بعض تلك المواضع فاقام هناك ليلته تلك فلما أصبح نزفه الدم ونهض عباد الطبيب فجعل يمشي متشوفا ان يرى انسانا فرأى بعض أصحاب السلطان فاشار لهم الى موضع يحيى فجاؤا حتى وقفوا عليه فاخذوه وانتهى خبره الى صاحب الزنج فجزع عليه جزعا شديدا وعظم عليه توجعه ثم حمل يحيى الى أبي أحمد فحمله أبو أحمد الى المعتمد فادخل الى سامرا راكب جمل والناس مجتمعون ينظرونه ثم أمر المعتمد ببناء دكة عالية بحضرة مجرى الحلبة فبنيت ورفع للناس عليها حتى أبصره الخلائق كافة ثم ضرب بين يدي المعتمد وقد جلس له مائتي سوط بثمارها ثم قطعت يداه ورجلاه من خلاف ثم ذبح وأحرق قال أبو جعفر فحدثني محمد بن الحسن قال لما قتل يحيى البحراني فانتهى خبره الى صاحب الزنج قال لاصحابه لما عظم علي قتله واشتد اهتمامي به خوطبت فقيل لي قتله خير لك انه كان شرها ثم أقبل على جماعة أنا فيهم فقال من شرهه انا غنمنا غنيمة من بعض ما كنا نغنمه وكان فيها عقدان فوقعا في يد يحيى فاخفى عني أعظمهما خطرا وعرض علي أخسهما ثم استوهبنيه فوهبته له فرفع الى العقد الذي اخفاه حتى رأيته فدعوته فقلت احضر لي العقد الذي أخفيته فأتاني بالعقد الذي وهبته له وجحد ان يكون أخذ غيره فرفع الى العقد ثانية فجعلت أصفه له وأنا أراه وهو لا يراه فبهت وذهب فأتاني ثم استوهبنيه فوهبته له وامرته بالاستغفار قال أبو جعفر وذكر محمد بن الحسن ان محمد بن سمعان حدثه ان صاحب الزنج قال في بعض أيامه لقد عرضت على النبوة فأبيتها فقيل له ولم ذاك قال ان لها اعباء خفت ان لا أطيق حملها قال أبو جعفر فاما الامير أبو أحمد فانه لما صار الى نهر أبي الاسد وأقام به كثرت العلل فيمن معه من جنده وغيرهم وفشا فيهم الموت فلم يزل مقيما هنالك حتى ابل من نجا منهم من علته ثم انصرف راجعا الى باذاورد فعسكر به وامر بتجديد الآلات واصلاح الشذاءات والسميريات واعطاء الجند أرزاقهم وشحن السفن بقواده ومواليه وغلمانه ونهض نحو عسكر الناجم وأمر جماعة من قواده بقصد مواضع سماها لهم من نهر أبي الخصيب وغيره وأمر الباقين بملازمته والمحاربة معه في الموضع الذي يكون فيه وهم الاقلون وعرف الزنج تفرق أصحاب أبي أحمد عنه فكثروا في جهته واستعرت الحرب بينه وبينهم وكثرت القتلى والجراح بين الفريقين وأحرق أصحاب أبي أحمد قصورا ومنازل كان الزنج ابتنوها واستنقذوا من نساء أهل البصرة جمعا كثيرا ثم صرف الزنج سورتهم وشدة حملتهم الى الموضع الذي به أبو أحمد فجاءه منهم جمع لا يقاوم بمثل العدة اليسيرة التي كان فيها فرأى ان الحزم في محاجزتهم فامر أصحابه بالرجوع الى سفنهم على تؤدة وتمهل ففعلوا وبقيت طائفة من جنده ولجوا تلك الادغال والمضايق فخرج عليهم كمين للزنج فاوقعوا بهم فحاموا عن أنفسهم وقتلوا عددا كثيرا من الزنج الى ان قتلوا باجمعهم وحملت رؤسهم الى الناجم فزاد ذلك في قوته وعتوه وعجبه بنفسه وانصرف أبو أحمد بالجيش الى الباذاورد وأقام يعبي أصحابه للرجوع الى الزنج فوقعت نار في طرف من اطراف عسكره وذلك في أيام عصوف الرياح فاحترق العسكر ورحل أبو أحمد منصرفا وذلك في شعبان من هذه السنة الى واسط فاقام بها الى ربيع الاول ثم انصرف عنها الى سامرا وذلك ان المعتمد كاتبه واستقدمه لحرب يعقوب بن الليث الصفار أمير خراسان فاستخلف على حرب الناجم محمدا المولد وأما الناجم فانه لم يعلم خبر الحريق الذي وقع في عسكر أبي أحمد حتى ورد عليه رجلان من أهل عبادان فاخبراه فاظهر ان ذلك من صنع الله تعالى له ونصره على اعدائه وانه دعا الله على أبي أحمد وجيشه فنزلت نار من السماء فاحرقتهم وعاد الى العبث واشتد طغيانه وعتوه وانهض علي بن أبان المهلبي وضم اليه أكثر الجيش وجعل على مقدمته سليمان بن جامع وأضاف اليه الجيش الذي كان مع يحيى بن محمد البحراني وسليمان بن موسى الشعراني وأمرهم بان يقصدوا الاهواز وبها حينئذ صفجور التركي ومعه نيزك القائد فالتقى العسكران بصحراء تعرف بدشت ميسان واقتتلوا فظهرت الزنج وقتل نيزك في كثير من أصحابه وغرق صفجور التركي واسر كثير من قواد السلطان منهم الحسن بن هرثمة المعروف بالشاري والحسن بن جعفر

وكتب على بن أبان بالخبر الى الناجم وحمل اليه أعلاما ورؤسا كثيرة وأسرى ودخل على بن أبان الاهواز وأقام بها بزنوجه يعيث وينهب القرى والسواد الى ان ندب المعتمد على الله موسى بن بغا لحربه فشخص عن سامرا فى ذى القعدة من هذه السنة وشيعه المعتمد بنفسه الى خلف الحائطين وخلع عليه هنالك فقدم أمامه عبد الرحمن بن مفلح الى الاهواز واسحق بن كنداج الى البصرة وابراهيم بن سيما الى الباذاورد قال أبو جعفر فلما ورد عبد الرحمن بن مفلح على الاهواز أناخ بقنطرة اربق عشرة أيام ثم مضى الى على بن أبان المهلبى فواقعه فهزمه على بن أبان فانصرف فاستعد ثم عاد لمحاربته فاوقع به وقعة عظيمة وقتل من الزنج قتلا ذريعا وأسر أسرى كثيرة وانهزم على بن أبان ومن معه من الزنج حتى أتوا الموضع المعروف ببيان فاراد الناجم ردهم فلم يرجعوا للذعر الذى خالط قلوبهم فلما رأى ذلك أذن لهم فى دخول عسكره فدخلوا جميعا فاقاموا معه بالمدينة التى كان بناها ووافى عبد الرحمن بن مفلح حصن مهدى ليعسكر به فوجه اليه الناجم على بن أبان فواقعه فلم يقدر عليه ومضى على بن أبان الى قريب من الباذاورد وهناك ابرهيم بن سيما فواقعه ابراهيم فهزمه على بن أبان فعاوده فهزمه ابراهيم فمضى فى الليل وسلك الادغال والآجام حتى وافى نهر يحيى فانتهى خبره الى عبد الرحمن بن مفلح فوجه اليه طاشتم التركى فى جمع من الموالى فلم يصل الى على بن أبان ومن معه لوعورة الموضع الذى كانوا فيه وامتناعه بالقصب والحلافى فاضرمه عليهم نارا فخرجوا منه هاربين واسر منهم اسرى وانصرف الى عبد الرحمن بن مفلح بالاسرى والظفر ومضى على بن أبان فاقام باصحابه فى الموضع المسمى بسوحا وانتهى الخبر بذلك الى عبد الرحمن بن مفلح فسار الى العمود فاقام به وصار على بن أبان الى نهر السدرة وكتب الى الناجم يستمده ويسأله التوجيه اليه بالشذا فوجه اليه ثلاث عشرة شذاة فيها جمع كثير من أصحابه فسار على بن أبان ومن معه فى الشذا ووافى عبد الرحمن بمن معه فلم يكن بينهما قتال وتواقف الجيشان يومهما ذلك فلما كان الليل انتخب على بن أبان من أصحابه جماعة يثق بجلدهم وصبرهم ومضى معهم ومعه سليمان بن موسى المعروف بالشعرانى وترك سائر عسكره مكانه ليخفى أمره فصار من وراء عبد الرحمن ثم بيته وعسكره فنال منه ومن أصحابه نيلا ما وانحاز عبد الرحمن وترك اربع شذوات من شذواته فغنمها على بن أبان وانصرف ومضى عبد الرحمن لوجهه حتى وافى دولاب فاقام بها واعد رجالا من رجاله وولى عليهم طاشتم التركى وانفذهم الى على بن أبان فوافقه وهو فى الموضع المعروف ببيتات أذرفا فاوقعوا به وقعة انهزم منها الى نهر السدرة وكتب طاشتم الى عبد الرحمن بانهزامه عنه فاقبل عبد الرحمن بجيشه حتى وافى العمود فاقام به واستعد أصحابه للحرب وهيأ شذواته وولى عليها طاشتم وسار الى فوهة نهر السدرة فواقع على بن ابان وقعة عظيمة فانهزم منها على بن ابان وأخذ منه عشر شذوات ورجع على بن ابان الى الناجم مفلولا مهزوما وسار عبد الرحمن من فوره فعسكر ببيان فكان عبد الرحمن بن مفلح وابراهيم بن سيما يتناوبان المسير الى عسكر الناجم فيوقعان به ويخيفان من فيه واسحق بن كنداجيق يومئذ بالبصرة وقد قطع الميرة عن عسكر الناجم فكان الناجم يجمع أصحابه فى اليوم الذى يخاف فيه موافاة عبد الرحمن بن مفلح وابراهيم بن سيما حتى ينقضى الحرب ثم يصرف فريقا منهم الى ناحية البصرة فيواقع بهم اسحق بن كنداجيق فاقاموا على هذه الحال بضعة عشر شهرا الى ان صرف موسى بن بغا عن حرب الزنج قال أبو جعفر وسبب ذلك ان المعتمد رد أمر فارس والاهواز والبصرة وغيرها من النواحى والاقطار الى أخيه أبى أحمد بعد فراغه من حرب يعقوب بن الليث الصفار وهزيمته له فاستخلف أبو أحمد على حرب صاحب الزنج مسرورا البلخى وصرف موسى بن بغا عن ذلك واتفق ان ابن واصل حارب عبد الرحمن بن مفلح فاسره وقتله وقتل طاشتم التركى أيضا وذلك بناحية رامهرمز فاستخلف مسرور البلخى على حرب الزنج اباالساج وولى الاهواز فكانت بينه وبين على بن ابان المهلبى وقعة بناحية دولاب قتل فيها عبد الرحمن صهر أبى الساج وانحاز أبو الساج الى عسكر مكرم ودخل الزنج الاهواز فقتلوا أهلها وسبوا وأحرقوا قال أبو جعفر ثم وجه صاحب الزنج جيوشه بعد هزيمة أبى الساج الى ناحية البطيحة والحوانيت ودشت ميسان قال وذلك لان واسطا خلت من أكثر الجند فى وقعة أبى أحمد ويعقوب بن الليث التى كانت عند دير العاقول فطمع الزنج فيها فتوجه اليها سليمان بن جامع فى عسكر من الزنج واردفه الناجم بجيش آخر مع أحمد بن

مهدى

مهدى فى سميريات فيها رماة من أصحابه انفذه الى نهر المراة وأنفذ عسكرا آخر فيه سليمان بن موسى فامره ان يعسكر بالنهر المعروف باليهودى فكانت بين هؤلاء وبين من تخلف بهذه الاعمال من عساكر السلطان حروب شديدة وكانت سجالا لهم وعليهم حتى ملكوا البطيحة والحوانيت وشارفوا واسطا وبها يومئذ محمد المولد من قبل السلطان فكانت بينه وبين سليمان بن جامع حروب كثيرة يطول شرحها وتعدادها وأمده الناجم بالخليل بن ابان أخى على بن أبان المهلبى فى ألف وخمسمائة فارس ومعه أبو عبد الله الزنجى المعروف بالمذرب أحد قوادهم المشهورين فقوى سليمان بهم وأوقع بمحمد المولد فهزمه ودخل واسطا فى ذى الحجة سنة أربع وستين ومائتين بزنوجه وقواده فقتل منها خلقا كثيرا ونهبها وأحرق دورها وأسواقها وأخرب كثيرا من منازل أهلها وثبت للمحاماة عنها قائد كان بها من جانب محمد بن المولد يقال له اذكجوز البخارى فحامى يومه ذلك الى العصر ثم قتل وكان الذى يقود الخيل يومئذ فى عسكر سليمان بن جامع الخليل ابن أبان وعبد الله المعروف بالمذرب وكان أحمد بن مهدى الجبائى فى السميريات وكان مهربار الزنجى فى الشذات وكان سليمان بن موسى الشعرانى وأخواه فى ميمنته وميسرته وكان سليمان بن جامع وهو الامير على الجماعة فى قواده السودان ورجالته منهم وكان الجميع يدا واحدة فلما قضوا اوطارهم من نهب واسط وقتل أهلها خرجوا باجمعهم عنها فمضوا الى جنبلا وأقاموا هناك يعيثون ويخربون وفى أوائل سنة خمس وستين دخلوا الى النعمانية وجرجرايا وجبل فنهبوا وأخربوا وقتلوا وأحرقوا وهرب منهم أهل السواد فدخلوا الى بغداد قال أبو جعفر فاما على بن أبان المهلبى فانه استولى على معظم أعمال الاهواز وعاث هناك وأخرب وأحرق وكانت بينه وبين عمال السلطان وقواده مثل أحمد بن ليثويه ومحمد بن عبد الله الكردى وتكين البخارى ومطر بن جامع وأغرتمش التركى وغيرهم وبينه وبين عمال يعقوب بن الليث الصفار مثل خضر بن العنبر وغيره حروب عظيمة ووقعات كثيرة وكانت سجالا تارة له وتارة عليه وهو فى أكثرها المستظهر عليهم وكثرت أموال الزنج والغنائم التى حووها من البلاد والنواحى وعظم أمرهم وأهم الناس شأنهم وعظم على المعتمد وأخيه أبى أحمد خطبهم واقتسموا الدنيا فكان على بن محمد الناجم صاحب الزنج وامامهم مقيما بنهر أبى الخصيب قد بنى مدينة عظيمة سماها المختارة وحصنها بالخنادق واجتمع اليه فيها من الناس ما لا ينتهى العد والحصر اليه رغبة ورهبة وصارت مدينة تضاهى سامرا وبغداد وتزيد عليهما وامراؤه وقواده بالبصرة وأعمالها يجبون الخراج على عادة السلطان لما كانت البصرة فى يده وكان على بن أبان المهلبى وهو أكبر أمرائه وقواده قد استولى على الاهواز وأعمالها ودوخ بلادها كرامهرمز وتستر وغيرهما ودان له الناس وجبا الخراج وملك أموالا لا تحصى وكان سليمان بن جامع وسليمان بن موسى الشعرانى ومعهما أحمد بن مهدى الجبائى فى الاعمال الواسطية قد ملكوها وبنوا بها المدن الحصينة وفازوا باموالها وارتفاعها وجبوا خراجها ورتبوا عمالهم وقوادهم فيها الى ان دخلت سنة سبع وستين ومائتين وقد عظم الخطب وجل وخيف على ملك بنى العباس أن يذهب وينقرض فلم يجد أبو أحمد الموفق وهو طلحة ابن المتوكل على الله بدا من التوجه بنفسه ومباشرته هذا الامر الجليل برأيه وتدبيره وحضوره معارك الحرب فندب أمامه ابنه أبا العباس وركب أبو أحمد الى بستان الهادى ببغداد وعرض أصحاب أبى العباس وذلك فى شهر ربيع الآخر من هذه السنة فكانوا عشرة آلاف فرسانا ورجالة فى أحسن زى وأجمل هيئة وأكمل عدة ومعهم الشذات والسميريات والمعابر برسم الرجالة كل ذلك قد أحكمت صنعته فركب أبو العباس من بستان الهادى وركب أبو أحمد مشيعا له حتى نزل القرية المعروفة بالفرك ثم عاد وأقام أبو العباس بالفرك أياما حتى تكامل عدده وتلاحق به أصحابه ثم رحل الى المدائن فاقام بها أياما ثم دخل الى دير العاقول فورد عليه كتاب نصير المعروف بابى حمزة وهو من جلة أصحابه وكان صاحب الشذا والسميريات وقد كان قدمه على مقدمته بدجلة يعلمه فيه ان سليمان بن جامع قد وافى لما علم بشخوص أبى العباس والجبائى تقدمه فى خيلهما ورجالهما وسفنهما حتى نزلا الجزيرة التى بحضرة بردودا فوق واسط باربعة فراسخ وان سليمان بن موسى الشعرانى قد وافى نهر أبان بعسكره عسكر البر وعسكر الماء فرحل أبو العباس لما قرأ هذا الكتاب حتى وافى جرجرايا ثم منها الى فم الصلح ثم ركب الظهر وسار حتى وافى الصلح ووجه طلائعه ليتعرف الخبر فأتاه منهم من

أخبره بموافاة القوم وان أولهم قريبا من الصلح وآخرهم ببستان موسى بن بغا أسفل واسط فلما عرف ذلك عدل عن سنن الطريق ولقي أصحابه أوائل القوم فتطاردوا لهم عن وصية أوصاهم أبو العباس بها حتى طمع الزنج فيهم واغتروا وأمعنوا في اتباعهم وجعلوا يصيحون بهم اطلبوا أميرا للحرب فان أميركم مشغول بالصيد فلما قربوا من أبي العباس بالصلح خرج اليهم فيمن معه من الخيل والرجل وأمر فصيح بأبي حمزة يا نصير الى أين تتأخر عن هؤلاء الكلاب ارجع اليهم فرجع نصير بشذاءاته وسميرياته وفيها الرجال وركب أبو العباس في سميرية ومعه محمد بن شعيب وحفت أصحابه بالزنج من جميع جهاتهم فانهزموا ومنح الله أبا العباس وأصحابه أكتافهم يقتلونهم ويطردونهم الى أن وافوا قرية عبد الله وهي على ستة فراسخ من الموضع الذي لقوهم فيه وأخذوا منهم خمس شذوات وعشر سميريات واستأمن منهم قوم وأسر منهم أسرى وغرق من سفنهم كثير فكان هذا اليوم أول الفتح على أبي العباس قال أبو جعفر فلما انقضى هذا اليوم أشار على أبي العباس قواده وأولياؤه أن يجعل معسكره بالموضع الذي كان انتهى اليه اشفاقا عليه من مقاربة القوم فأبى الا نزول واسط بنفسه ولما انهزم سليمان بن جامع ومن معه وضرب الله وجوههم انهزم سليمان بن موسى الشعراني عن نهر ابان حتى وافى سوق الخميس ولحق سليمان بن جامع بنهر الامير وقد كان القوم حين لقوا أبا العباس أجالوا الرأى بينهم فقالوا هذا فتى حدث لم تطل ممارسته الحرب وتدربه بها والرأى أن نرميه بحدنا كله ونجتهد في أول لقية نلقاه في ازالته فلعل ذلك أن يروعه فيكون سببا لانصرافه عنا ففعلوا ذلك وحشدوا واجتهدوا فأوقع الله تعالى بهم بأسه ونقمته ولم يتم لهم ما قدروه وركب أبو العباس من غد يوم الوقعة حتى دخل واسط في أحسن زى وكان ذلك يوم جمعة فأقام حتى صلى بها صلاة الجمعة واستأمن اليه خلق كثير من أتباع الزنج وأصحابهم ثم انحدر الى العمر وهو على فرسخ واحد من واسط فاتخذه معسكرا وقد كان أبو حمزة نصير وغيره أشاروا عليه أن يجعل معسكره فوق واسط حذرا عليه من الزنج فامتنع وقال لست نازلا الا العمر وأمر أبا حمزة أن ينزل فوهة بردودا فوق واسط وأعرض أبو العباس عن مشاورة أصحابه واستماع شيء من آرائهم واستبد برأى نفسه فنزل العمر وأخذ في بناء الشذوات والسميريات وجعل يراوح الزنج القتال ويغاديهم وقد رتب خاصة غلمانه ومواليه في سميريات فجعل في كل سميرية أميرا منهم ثم ان سليمان استعد وحشد وفرق أصحابه فجعلهم في ثلاثة أوجه فرقة أتت من نهر ابان وفرقة من برتمرتا وفرقة من بردودا فلقيهم أبو العباس فلم يلبثوا ان انهزموا فلحقت طائفة منهم بسوق الخميس وطائفة بمازروان وطائفة ببرتمرتا وسلك آخرون نهر الماذيان واعتصم قوم منهم ببردودا وتبعهم أصحاب أبي العباس وجعل أبو العباس قصده القوم الذين سلكوا نهر الماذيان فلم يرجع عنهم حتى وافى بهم برمساور ثم انصرف فجعل يقف على القرى والمسالك ويسأل عنها ويتعرفها ومعه الادلاء وأرباب الخبرة حتى عرف جميع تلك الارض ومنافذها وما ينتهي اليه من البطائح والآجام وغيرها وعاد الى معسكره بالعمر فأقام به أياما مريحا نفسه وأصحابه ثم أتاه مخبر فأخبره ان الزنج قد اجتمعوا واستعدوا لكبس عسكره وانهم على اتيانه من ثلاثة أوجه وانهم قالوا ان أبا العباس غلام يغرر بنفسه وقد أجمع رأيهم على تكمين الكمناء والمصير اليه من الجهات الثلاث فحذر أبو العباس من ذلك واستعد له وأقبلوا اليه وقد كمنوا زهاء عشرة آلاف في برتمرتا ونحوه من العدة في بردودا وتقدم منها عشرون سميرية الى عسكر أبي العباس على أن يخرج اليهم فيهربوا بعد مناوشة يسيرة فيجروا أبا العباس وأصحابه الى أن يجاوزوا الكمناء ثم يخرج الكمين عليهم من ورائهم فمنع أبو العباس أصحابه من اتباعهم لما واقعوهم وأظهروا الكسرة والعود فعلموا أن كيدهم لم ينفذ فيه وخرج حينئذ سليمان والجبائي في الشذا والسميريات العظيمة وقد كان أبو العباس أحسن تعبية أصحابه فأمر أبا حمزة نصيرا أن يخرج اليهم في الشذا والسميريات المرتبة لخرج اليهم ونزل أبو العباس في شذاة من شذوات قد كان سماها الغزال واختار لها جدافين وأخذ معه محمد بن شعيب الاشتيام واختار من خاصة أصحابه وغلمانه جماعة دفع اليهم الرماح وأمر الخيالة بالمسير بازائه على شاطئ النهر وقال لهم لا تدعوا المسير ما أمكنكم الى أن تقطعكم الانهار ونشبت الحرب بين الفريقين فكانت معركة القتال من حد قرية الرمل الى الرصافة حتى اذن الله في هزيمة الزنج فانهزموا وحاز أصحاب أبي العباس منهم أربع عشرة شذاة وأفلت سليمان

والجبائي

والجبائي في ذلك اليوم بعد ان أشفيا على الهلاك راجلين وأخذت دوابهما ومضى جيش الزنج بأجمعه لا يلتفت أحد منهم حتى وافوا نهيثا وأسلموا ما كان معهم من أثاث وآلة ورجع أبو العباس فأقام بمعسكره بالعمر وأصلح ما كان أخذ منهم من الشذاة والسفن ورتب الرجال فيها وأقام الزنج بعد ذلك عشرين يوما لا يظهر منهم أحد قال أبو جعفر ثم ان الجبائي صار بعد ذلك يجيء في الطلائع كل ثلاثة أيام وينصرف وحفر في طريق عسكر أبي العباس آبارا وصير فيها سفافيد حديد وغشاها بالبوارى وأخفى مواضعها وجعلها على سنن مسير الخيل ليتهور فيها المجتازون بها وجعل يوافي طرف العسكر متعرضا به لتخرج الخيل طالبة له فجاء يوما وطلبته الخيل كما كانت تطلبه فتقطر فرس رجل من قواد الفراغنة في بعض تلك الآبار فوقف أصحاب أبي العباس بما ناله من ذلك على ما كان دبره الجبائي فحذروا ذلك وتنكبوا سلوك تلك الطريق قال أبو جعفر وألح الزنج في مغاداة العسكر في كل يوم بالحرب وعسكروا بنهر الامير في جمع كثير وكتب سليمان الى الناجم يسأله امداده بسميريات لكل واحدة منهن أربعون مجدافا فوافاه من ذلك في مقدار عشرين يوما أربعون سميرية فيها الرجال والسيوف والتراس والرماح فكانت لابي العباس معهم وقعات عظيمة وفي أكثرها يكون الظفر لاصحابه والخذلان على الزنج ولج أبو العباس في دخول الانهار والمضايق حتى انتهى الى مدينة سليمان بن موسى الشعراني بنهر الخميس التي بناها وسماها المنيعة وخاطر أبو العباس بنفسه مرارا وسلم بعد ان شارف العطب واستأمن اليه جماعة من قواد الزنج فآمنهم وخلع عليهم وضمهم الى عسكره وقتل من قواد الزنج جماعة وتمادت الايام بينه وبينهم واتصل بأبي أحمد الموفق ان سليمان بن موسى الشعراني والجبائي ومن بالاعمال الواسطية من قواد صاحب الزنج كاتبوا صاحبهم وسألوه امدادهم بعلي بن أبان المهلبي وهو المقيم حينئذ بأعمال الاهواز والمستولي عليها وكان علي بن أبان قائد القواد وأمير الامراء فيهم فكتب الناجم الى علي بن أبان يأمره بالمصير بجميع من معه الى ناحية سليمان بن جامع ليجتمعا على حرب أبي العباس فصح عزم أبي أحمد على الشخوص الى واسط وحضور الحرب بنفسه فخرج عن بغداد في صفر من هذه السنة وعسكر بالفرك وأقام بها أياما حتى تلاحق به عسكره ومن أراد المسير معه وقد أعد آلة الماء ورحل من الفرك الى المدائن ثم الى دير العاقول ثم الى جرجرايا ثم قنى ثم جبل ثم الصلح حتى نزل على فرسخ من واسط وتلقاه ابنه أبو العباس في جريدة خيل فيها وجوه قواده فسأله أبوه عن خبرهم فوصف له حسن بلائهم ونصحهم فخلع أبو أحمد على أبي العباس ثم على القواد الذين كانوا معه وانصرف أبو العباس الى معسكره بالعمر فبات به فلما كان صبيحة الغد رحل أبو أحمد منحدرا في الماء وتلقاه ابنه أبو العباس في آلات الماء بجميع العسكر في هيئة الحرب على الوضع الذي كانوا يحاربون الزنج عليه فاستحسن أبو أحمد هيئتهم وسر بذلك وسار أبو أحمد حتى نزل بازاء القرية المعروفة بقرية عبد الله ووضع العطاء فأعطى الجيش كله أرزاقهم وقدم ابنه أبا العباس امامه في السفن وسار وراءه فتلقاه أبو العباس برؤس وأسرى من أصحاب الشعراني كان لقيهم فأمر أبو أحمد بالاسرى فضربت أعناقهم ورحل يريد المدينة التي بناها الشعراني وسماها المنيعة بسوق الخميس وانما بدأ أبو أحمد بحرب الشعراني قبل حرب سليمان بن جامع لان الشعراني كان وراءه فخاف ان بدأ بابن جامع أن يأتيه الشعراني من ورائه فيشغله عمن هو امامه فلما قرب من المدينة خرج اليه الزنج فحاربوه حربا ضعيفة وانهزموا فعلا أصحاب أبي العباس السور ووضعوا السيف فيمن لقيهم وتفرق الزنج ودخل أبو العباس المدينة فقتلوا وأسروا وحووا ما كان فيها وأفلت الشعراني هاربا ومعه خواصه فاتبعهم أصحاب أبي العباس حتى وافوا بهم البطائح فغرق منهم خلق كثير ولجأ الباقون الى الآجام وانصرف الناس وقد استنقذ من المسلمات اللواتي كن بأيدي الزنج في هذه المدينة خاصة خمسة آلاف امرأة سوى من ظفر به من الزنجيات فأمر أبو أحمد بحمل النساء اللواتي سباهن الزنج الى واسط وان يدفعن الى أوليائهن وبات أبو أحمد بحيال المدينة ثم باكرها واذن للناس في نهب ما فيها من أمتعة الزنج فدخلت ونهب كل ما كان بها وأمر بهدم سورها وطم خندقها واحراق ما كان بقي منها وظفر في تلك القرى التي كانت في يد الشعراني بما لا يحصى من الارز والحنطة والشعير وقد كان الشعراني استولى على ذلك كله وقتل أصحابه فأمر أبو أحمد ببيعه وصرف ثمنه في اعطيات مواليه وغلمانه وجنده وأما الشعراني فانه التحق هو وأخوه بالمذار وكتب

الى الناجم يعرفه ذلك وانه معتصم بالمزاد قال أبو جعفر فحدثني محمد بن الحسن بن سهل قال حدثني محمد بن هشام الكرنبائي المعروف بأبي واثلة قال كنت بين يدي الناجم ذلك اليوم وهو يتحدث اذ ورد عليه كتاب سليمان بخبر الواقعة وما نزل به وانهزامه الى المزاد فما كان الا ان فض الكتاب ووقعت عينه على ذكر الهزيمة حتى انحل وكاء بطنه فنهض لحاجته ثم عاد فلما استوى به مجلسه أخذ الكتاب وتأمله فوقعت عينه على الموضع الذي أنهضه أولا فنهض لحاجته حتى فعل ذلك مرارا فلم أشك في عظم المصيبة وكرهت ان أسأله فلما طال الامر تجاسرت فقلت أليس هذا كتاب سليمان ابن موسى قال بلى ورد بقاصمة الظهر ذكر ان الذين أناخوا عليه أوقعوا به وقعة لم تبق منه ولم تذر فكتب كتابه هذا وهو بالمزاد ولم يسلم بشيء غير نفسه قال فأكبرت ذلك والله يعلم ما أخفي من السرور الذي وصل الى قلبي قال وصبر علي بن محمد على مكروه ما وصل اليه وجعل يظهر الجلد وكتب الى سليمان بن جامع يحذره مثل الذي نزل بالشعراني ويأمره بالتيقظ في أمره وحفظ ما قبله قال أبو جعفر ثم لم يكن لأبي أحمد بعد ذلك هم الا في طلب سليمان بن جامع فأتته طلائعه فأخبرته انه بالحوانيت فقدم أمامه ابنه أبا العباس في عشرة آلاف فانتهى الى الحوانيت فلم يجد سليمان ابن جامع بها ولكن ألفى هناك من قواد السودان المشتهرين بالبأس والنجدة القائدين المعروف أحدهما بشبل والآخر بأبي الندى وهما من قدماء أصحاب الناجم الذين كان قودهم في بدء مخرجه وكان سليمان قد خلف هذين القائدين بالحوانيت لحفظ غلات كثيرة كانوا قد أخذوها هناك فحاربهما أبو العباس فقتل من رجالهما وجرح بالسهام خلقا كثيرا وكانوا أجلد رجال سليمان بن جامع ونخبتهم الذين يعتمد عليهم ودامت الحرب بين أبي العباس و بينهم ذلك اليوم الى ان حجز الليل بين الفريقين ورمى ابو العباس في ذلك اليوم كركيا طائرا فوقع بين الزنج والسهم فيه فقالوا هذا سهم أبي العباس وأصابهم منه ذعر واستأمن في هذا اليوم بعضهم الى أبي العباس فسأله عن الموضع الذي فيه سليمان بن جامع فأخبره انه مقيم بمدينته التي بناها بطهيثا فانصرف أبو العباس حينئذ الى أبيه بحقيقة مقام سليمان وأن معه هنالك جميع أصحابه الا شبلا وأبا الندى فانهما بالحوانيت لحفظ الغلات التي حووها فأمر حينئذ أبو أحمد أصحابه بالتوجه الى طهيثا ووضع العطاء فأعطى عسكره وشخص مصاعدا الى بردودا ليخرج منها الى طهيثا اذ كان لا سبيل له اليها الا بذلك فظن عسكره انه هارب وكادوا ينفضون لولا انهم عرفوا حقيقة الحال فانتهى الى القرية المعروفة بالخوذبة وعقد جسرا على النهر المعروف بمهروذ وعبر عليه الخيل وسار الى ان صار بينه وبين مدينة سليمان التي سماها المنصورة بطهيثا ميلان فأقام هنالك بعسكره ومطرت السماء مطرا جودا واشتد البرد أيام مقامه هنالك فشغل بالمطر والبرد عن الحرب فلم يحارب فلما فتر ركب في نفر من قواده ومواليه لارتياد موضع لمجال الخيل فانتهى الى قريب من سور تلك المدينة فتلقاه منهم خلق كثير وخرج عليه كمناء من مواضع شتى ونشبت الحرب واشتدت فترجل جماعة من الفرسان ودافعوا حتى خرجوا عن المضايق التي كانوا أوغلوها وأسر من غلمان أبي أحمد غلام يقال له وصيف العلمدار وعدة من قواد زيرك وقتل في هذا اليوم أحمد بن مهدي الجبائي أحد القواد العظماء من الزنج رماه أبو العباس بسهم فأصاب أحد منخريه حتى خالط دماغه فخر صريعا وحمل من المعركة وهو حي فسأل أن يحمل الى الناجم فحمل من هناك الى نهر أبي الخصيب الى مدينة الناجم التي سماها المختارة فوضع بين يديه وهو على ما به فعظمت المصيبة عليه به اذ كان من أعظم أصحابه غناء وأشدهم تصبرا لاطاعته فمكث الجبائي يعالج هنالك أياما ثم هلك فاشتد جزع الناجم عليه وصار اليه فولي غسله وتكفينه والصلاة عليه والوقوف على قبره الى ان دفن ثم أقبل على أصحابه فوعظهم ثم ذكر موت الجبائي وكانت وفاته في ليلة ذات رعود وبروق فقال فيما ذكر عنه لقد سمعت وقت قبض روحه زجل الملائكة بالدعاء له والترحم عليه وانصرف من دفنه منكسرا عليه الكآبة قال أبو جعفر فلما انصرف أبو أحمد ذلك اليوم من الوقعة غاداهم بكرة الغد وعبا أصحابه كتائب فرسانا ورجالة وأمر بالشذا والسميريات ان يسار بها معه في النهر الذي يشق مدينة طهيثا وهو النهر المعروف بنهر المنذر وسار نحو الزنج حتى انتهى الى سور المدينة فرتب قواد غلمانه في المواضع التي يخاف خروج الزنج عليه منها وقدم الرجالة امام الفرسان ونزل فصلى أربع ركعات وابتهل الى الله تعالى في النصر والدعاء للمسلمين

ثم

ثم دعا بسلاحه فلبسه وأمر ابنه أبا العباس ان يتقدم الى السور ويحض الغلمان على الحرب ففعل وقد كان سليمان بن جامع أعد امام سور المدينة التي سماها المنصورة خندقا فلما انتهى الغلمان اليه تهيبوا عبوره وأحجموا عنه فحرضهم قوادهم وترجلوا معهم فاقتحموه متجاسرين عليه فعبروه وانتهوا الى الزنج وهم مشرفون من سور مدينتهم فوضعوا السلاح فيهم وعبرت شرذمة من الفرسان الخندق خوضا فلما رأى الزنج خبر هؤلاء الذين لقوهم وجراءتهم عليهم ولوا منهزمين واتبعهم أصحاب أبي أحمد ودخلوا المدينة من جوانبها وكان الزنج قد حصنوها بخمس خنادق وجعلوا امام كل خندق منها سورا يمتنعون به فجعلوا يقفون عند كل سور وخندق انتهوا اليه وأصحاب أبي أحمد يكشفونهم في كل موقف وقفوه ودخلت الشذا والسميريات مدينتهم مشحونة بالغلمان المقاتلة من النهر الذي يشقها بعد انهزامهم فأغرقت كل ما مرت به لهم من شذاة وسميرية واتبعوا من تجافى النهر منهم يقتلون ويأسرون حتى أجلوهم عن المدينة وعما يتصل بها وكان ذلك زهاء فرسخ فحوى أبو أحمد ذلك كله وأفلت سليمان بن جامع في نفر من أصحابه واستحر القتل فيهم والاسر واستنقذ من نساء أهل واسط وصبيانهم وما اتصل بذلك من القرى ونواحي الكوفة زهاء عشرة آلاف فأمر أبو أحمد بحياطتهم والانفاق عليهم وحملوا الى واسط فدفعوا الى أهليهم واحتوى أبو أحمد على كل ما كان في تلك المدينة من الذخائر والاموال والاطعمة والمواشي فكان شيأ جليل القدر فأمر ببيع الغلات وغيرها من العروض وصرفه في أعطيات عسكره ومواليه وأسر من نساء سليمان وأولاده عدة واستنقذ يومئذ وصيف العلمدار ومن كان أسره الزنج معه فأخرجوا من الحبس وقد كان الزنج أعجلهم الامر عن قتله وقتلهم وأقام أبو أحمد بطهيثا سبعة عشر يوما وأمر بهدم سور المدينة وطم خنادقها ففعل ذلك وأمر بتتبع من لجأ منهم الى الآجام وجعل لكل من أتاه برجل منهم جعلا فسارع الناس الى طلبهم فكان اذا أتي بالواحد منهم خلع عليه وأحسن اليه وضمه الى قواد غلمانه لما دبر من استمالتهم وصرفهم عن طاعة صاحبهم وندب نصيرا صاحب الماء في شذا وسميريات لطلب سليمان بن جامع والهاربين معه من الزنج وغيرهم وأمره بالجد في اتباعهم حتى يجاوز البطائح وحتى يلج دجلة المعروفة بالعوراء وتقدم اليه في فتح السكور التي كان سليمان احدثها ليقطع بها الشذاء عن دجلة فيما بينه وبين النهر المعروف بأبي الخصيب وتقدم الى زيرك في المقام بطهيثا في جمع كثير من العسكر ليتراجع اليها الذين كان سليمان أجلاهم عنها من أهلها فلما أحكم ما أراد احكامه تراجع بعسكره مزمعا على التوجه الى الاهواز ليصلحها وقد كان قدم امامه ابنه أبا العباس وقد تقدم ذكر علي بن أبان المهلبي وكونه استولى على معظم كور الاهواز ودوخ جيوش السلطان هناك وأوقع بهم وغلب على معظم تلك النواحي والاعمال فلما تراجع أبو أحمد وافى بردودا فأقام بها أياما وأمر باعداد ما يحتاج اليه للمسير على الظهر الى الاهواز وقدم امامه من يصلح الطرق والمنازل ويعد فيها الميرة للجيوش التي معه ووافاه قبل ان يرحل عن واسط زيرك منصرفا عن طهيثا بعد ان تراجع الى النواحي التي كان بها الزنج أهلها وخلفهم آمنين فأمره أبو أحمد بالاستعداد والانحدار في الشذا والسميريات في نخبة عسكره وانجادهم فيصير بهم الى دجلة العوراء فتجتمع يده ويد نصير صاحب الماء على نقض دجلة واتباع المنهزمين من الزنج والايقاع بهم وكل من لقوا من أصحاب سليمان الى ان ينتهي بهم المسير الى مدينة الناجم بنهر أبي الخصيب فان رأوا موضع حرب حاربوه في مدينته وكتبوا بما يكون منهم الى أبي أحمد ليرد عليهم من أمره ما يعملون بحسبه واستخلف أبو أحمد علي بن خلف من عسكره بواسط ابنه هرون وأزمع على الشخوص في خف من رجاله وأصحابه ففعل ذلك بعد ان تقدم الى ابنه هرون في ان يحدر الجيش الذي خلفه معه في السفن الى مستقره بدجلة اذا وافاه كتابه بذلك وارتحل شاخصا من واسط الى الاهواز وكورها فنزل باذبين الى الطيب الى قرقوب الى وادي السوس وقد كان عقد له عليه جسر فأقام به من أول النهار الى وقت الظهر حتى عبر عسكره أجمع ثم سار حتى وافى السوس فنزلها وقد كان أمر مسرورا البلخي وهو عامله على الاهواز بالقدوم عليه فوافاه في جيشه وقواده من غد اليوم الذي نزل فيه السوس فخلع عليه وعليهم وأقام بالسوس ثلاثا وكان ممن أسر من الزنج بطهيثا أحمد بن موسى بن سعيد البصري المعروف بالقلوص وكان قائدا جليلا عندهم وأحد عدد الناجم ومن قدماء أصحابه أسر بعد ان أثخن جراحات كانت فيها منيته فأمر أبو أحمد باحتزاز رأسه

ونصبه على جسر واسط قال أبو جعفر واتصل بالناجم خبر هذه الوقعة بطهيثا وعلم ما نيل من أصحابه فانتقض عليه تدبيره
وضلت حيلته فحمله الهلع الى ان كتب الى على بن أبان المهلبي وهو يومئذ مقيم بالاهواز فى زهاء ثلاثين ألفا يأمره بترك
كل ما كان قبله من الميرة والأثاث والاقبال اليه بجميع جيوشه فوصل الكتاب الى المهلبي وقد اتاه الخبر باقدام أبي أحمد
الى الاهواز وكورها فهو لذلك طائر العقل فقرأ الكتاب وهو يحفزه فيه حفزا بالمصير اليه فترك جميع ما كان قبله
واستخلف عليه محمد بن يحيى بن سعيد الكرنبائي فلما شخص المهلبي عنه لم يثبت ولم يقم لما عنده من الوجل وترادف
الاخبار بوصول أبي أحمد اليه فاخلى ما استخلف عليه وتبع المهلبي و بالاهواز يومئذ ونواحيها من أصناف
الحبوب والتمر والمواشي شيء عظيم فخرجوا عن ذلك كله وكتب الناجم أيضا الى بهبوذ بن عبد الوهاب القائد واليه يومئذ
الاعمال التي بين الاهواز وفارس يأمره بالقدوم عليه بعسكره فترك بهبوذ ما كان قبله من الطعام والتمر والمواشي
فكان ذلك شيأ عظيما فحوى جميع ذلك أبو أحمد فكان قوة له على الناجم وضعفا للناجم ولما رحل المهلبي عن الاهواز
بث أصحابه فى القرى التي بينه و بين مدينة الناجم فانتهبوها وأجلوا عنها أهلها وكانوا فى سلمهم وتخلف خلق كثير ممن
كان مع المهلبي من الفرسان والرجالة عن اللحاق به وأقاموا بنواحي الاهواز وكتبوا يسألون أبا أحمد الامان لما انتهى
عنه اليهم من عفوه عمن ظفر به من أصحاب الناجم وكان الذى دعا الناجم الى أمر المهلبي و بهبوذ بسرعة المصير اليه
خوفه موافاة أبي أحمد بجيوشه اليه على الحالة التي الزنج عليها من الوجل وشدة الرعب مع انقطاع المهلبي و بهبوذ فيمن
كان معهما عنه ولم يكن الامر كما قدر فان أبا أحمد انما كان قاصدا الى الاهواز فلو أقام المهلبي بالاهواز و بهبوذ
بمكانه فى جيوشهما لكان أقرب الى دفاع جيش أبي أحمد عن الاهواز واحفظ للاموال والغلات التي تركت
بعد ان كانت اليد قابضة عليها قال أبو جعفر وأقام أبو أحمد حتى أحرز الاموال التي كان المهلبي و بهبوذ خلفاها وهما
تركوها وفتحت الكور التي كان الناجم احدثها فى دجلة وأصلحت له طرقه ومسالكه ورحل أبو أحمد عن
السوس الى جندى سابور فاقام بها ثلاثا وقد كانت الاعلاف ضاقت على أهل العسكر فوجه فى طلبها وحملها ورحل عن
جندى سابور الى تستر فاقام بها لجباية الاموال من كور الاهواز وانفذ الى كل كورة قائدا ليروج بذلك حمل المال
ووجه أحمد بن أبي الاصبغ الى محمد بن عبد الله الكردي صاحب رام هرمز وما يليها من القلاع والاعمال وقد كان مالأ
المهلبي وحمل الى الناجم أموالا كثيرة وأمره بايناسه واعلامه ما عليه رأيه فى العفو عنه والتغمد لزلاته وان يتقدم اليه فى
حمل الاموال والمسير الى سوق الاهواز بجميع من معه من الموالي والغلمان والجند ليعرضهم و يأمر باعطائهم الارزاق
و ينهضهم معه لحرب الناجم ففعل وأحضرهم وعرضوا رجلا رجلا واعطوا ثم رحل الى عسكر مكرم فجعله منزله أياما ثم
رحل منه فوافى الاهواز وهو يرى انه قد تقدمه اليها من الميرة ما يحمل عساكره فلم يكن كذلك وغلظ الامر فى ذلك
اليوم واضطرب الناس اضطرابا شديدا فاقام ثلاثة أيام ينتظر ورود الميرة فلم ترد فساءت أحوال الناس وكاد ذلك يفرق
جماعتهم فبحث عن السبب المؤخر لورودها فوجد الزنج قد كانوا قطعوا قنطرة قديمة أعجمية كانت بين سوق الاهواز
ورام هرمز يقال لها قنطرة اربق فامتنع التجار ومن كان يحمل الميرة من الورود لقطع تلك القنطرة فركب أبو أحمد
اليها وهي على فرسخين من سوق الاهواز فجمع من كان فى العسكر من السودان وأخذهم بنقل الصخر والحجارة
لاصلاح هذه القنطرة و بذل لهم من اموال الرعية فلم يرم حتى اصلحت فى يومه ذلك وردت الى ما كانت عليه فسلكها
الناس ووافت القوافل بالميرة فحيي أهل العسكر وحسنت أحوالهم وأمر بجمع السفن لعقد الجسر على دجيل الاهواز
فجمعت من جميع الكور وأقام بالاهواز أياما حتى أصلح أصحابه أمورهم وما احتاجوا اليه من آلاتهم وحسنت أحوال
دوابهم وذهب عنها ما كان بها من الضر بتأخر الاعلاف ووافت كتب القوم الذين تخلفوا عن المهلبي واقاموا بعده بسوق
الاهواز يسألون أبا أحمد الامان فامنهم فاتاه منهم نحو ألف رجل فاحسن اليهم وضمهم الى قواد غلمانه وأجرى لهم
الارزاق وعقد الجسر على دجيل الاهواز ورحل بعد ان قدم جيوشه امامه وعبر دجيلا فاقام بالموضع المعروف بقصر
المامون ثلاثا وقد كان قدم ابنه أبا العباس الى نهر المبارك من فرات البصرة وكتب الى ابنه هرون بالانحدار اليه

ليجتمع

ليجتمع العساكر هناك ورحل أبو أحمد عن قصر المامون الى قورح العباس ووافاه أحمد بن أبي الاصبغ هنالك بهدايا
محمد بن عبد الله الكردي صاحب رام هرمز من دواب ومال ثم رحل عن القورح فنزل الجعفرية ولم يكن
بها ماء وقد كان انفذ اليها وهو بعد فى القورح من حفر آبارها فاقام بها يوما وليلة وألفى بها ميرا مجموعة فاتسع الجند بها
وتزودوا منها ثم رحل الى المنزل المعروف بالبشير فالفى فيه غديرا من ماء المطر فاقام به يوما وليلة ورحل الى المبارك وكان
منزلا بعيد المسافة فتلقاه ابناه أبو العباس وهرون فى طريقه وسلما عليه وسارا بسيره حتى ورد بهم المبارك وذلك يوم
السبت للنصف من رجب سنة سبع وستين قال أبو جعفر فاما نصير وزيرك فقد كانا اجتمعا بدجلة العوراء وانحدرا حتى
وافيا الابلة بسفنهما وشذاهما فاستأمن اليهما رجل من أصحاب الناجم فاعلمهما انه قد انفذ عددا كثيرا من
السميريات والزواريق مشحونة بالزنج يرأسهم قائد من قواده يقال له محمد بن ابرهيم ويكنى أبا عيسى قال أبو جعفر
ومحمد بن ابراهيم هذا رجل من أهل البصرة جاء به الى الناجم صاحب شرطته المعروف بيسار واستصلحه لكتابته
فكان يكتب له حتى مات وقد كانت ارتفعت حال أحمد بن مهدى الجبائي عند الناجم وولاه أكثر أعماله فضم محمد بن
ابراهيم هذا اليه فكان كاتبه فلما قتل الجبائي فى وقعة سليمان الشعراني طمع محمد بن ابراهيم هذا فى مرتبته وان يحله
الناجم محله فنبذ القلم والدواة ولبس آلة الحرب وتجرد للقتال فانهضه الناجم فى هذا الجيش وأمره بالاعتراض فى دجلة
لمدافعة من يردها من الجيوش فكان يدخلها احيانا واحيانا يأتي بالجمع الذى معه الى النهر المعروف بنهر يزيد وكان
معه فى ذلك الجيش من قواد الزنج شبل بن سالم وعمرو المعروف بغلام بوى واخلاط من السودان وغيرهم فاستأمن
رجل منهم كان فى ذلك الجيش الى زيرك ونصير وأخبرهما خبره وأعلمهما انه على القصد لسواد عسكر نصير وكان نصير
يومئذ معسكرا بنهر المراة وانهم على ان يسلكوا الانهار المعترضة على نهر معقل وبثق شيرين حتى يوافوا الشرطة
ويخرجوا من وراء العسكر فيكبوا على من فيه فرجع نصير عند وصول هذا الخبر اليه من الابلة مبارزا الى عسكره
وسار زيرك قاصدا بثق شيرين معارضا لمحمد بن ابراهيم فلقيه فى الطريق فوهب الله له العلو عليه بعد صبر
من الزنج له ومجاهدة شديدة فانهزموا ولجؤا الى النهر الذى فيه كمينهم وهو نهر يزيد فدل زيرك عليهم
فتوغلت اليهم سميرياته فقتل منهم طائفة وأسر طائفة فكان محمد بن ابراهيم فيمن أسر وعمرو وغلام بوى
وأخذ ما كان معهم من السميريات وهي نحو ثلاثين سميرية وأفلت شبل بن سالم فى الذين نجوا معه فلحق بعسكر
الناجم وخرج زيرك فى بثق شيرين سالما ظافرا ومعه الاسارى ورؤس القتلى مع ما حوى من السميريات والسفن
وانصرف من دجلة العوراء الى واسط وكتب الى أبي أحمد بالفتح وعظم الجزع على كل من كان بدجلة وكورها
من اتباع الناجم فاستامن الى نصير صاحب الماء وهو مقيم حينئذ بنهر المراة زهاء ألفي رجل من الزنج واتباعهم فكتب
الى أبي أحمد بخبرهم فامره بقبولهم واقرارهم على الامان واجراء الارزاق عليهم وخلطهم باصحابه ومناهضة العدو
بهم ثم كتب الى نصير يأمره بالاقبال اليه الى نهر المبارك فوافاه هنالك وقد كان أبو العباس عند منصرفه الى نهر
المبارك انحدر الى عسكر الناجم فى الشذا فأوقع بهم فى مدينته بنهر أبي الخصيب فكانت الحرب بينهما من أول
النهار الى آخر وقت الظهر واستامن اليه قائد جليل من قواد الناجم من المضمومين كانوا الى سليمان بن جامع يقال
له منتاب ومعه جماعة من أصحابه فكان ذلك مما كسر من الناجم وانصرف أبو العباس بالظفر وخلع على منتاب
الزنجي ووصله وحمله فلما التقى أباه أخبره خبره وذكر اليه خروجه اليه فى الامان فامر أبو أحمد له بخلع وصلة وحملان وكان
منتاب أول من استأمن من جلة قواد الناجم قال أبو جعفر ولما نزل أبو أحمد نهر المبارك كان أول ما عمل
به فى أمر الناجم ان كتب اليه كتابا يدعوه فيه الى التوبة والانابة الى الله تعالى مما ارتكب من سفك الدماء وانتهاك
المحارم واخراب البلدان والامصار واستحلال الفروج والاموال وانتحال ما لم يجعله الله له أهلا من النبوة والامامة
ويعلمه ان التوبة له مبسوطة والامان له موجود فان نزع عما هو عليه من الامور التي يسخطها الله تعالى ودخل
فى جماعة المسلمين محا ذلك ما سلف من عظيم جرائمه وكان له به الحظ الجزيل فى دنياه وآخرته وأنفذ ذلك اليه

مع رسول فالتمس الرسول ايصاله اليه فامتنع الزنج من قبول الكتاب ومن ايصاله الى صاحبهم فألقى الرسول الكتاب اليهم القاء فأخذوه وأتوا به صاحبهم فقرأه ولم يجب عنه بشئ ورجع الرسول الى أبي أحمد فأخبره فأقام خمسة أيام متشاغلا بعرض السفن وترتيب القواد والموالى والغلمان فيها وتخير الرماة وانتخابهم للمسير بهم ثم سار في اليوم السادس في أصحابه ومعه ابنه أبو العباس الى مدينة الناجم التي سماها المختارة من نهر أبي الخصيب فأشرف عليها وتأملها فرأى منعتها وحصانتها بالسور والخنادق المحيطة بها وغرر الطريق المؤدى اليها وما قد أعد من المجانيق والعرادات والقسى الناوكية وسائر الآلات على سورها فرأى ما لم ير مثله ممن تقدم من منازعى السلطان ورأى من كثرة عدد مقاتلتهم واجتماعهم ما استغلظ أمره ولما عاين الزنج أبا أحمد وأصحابه ارتفعت أصواتهم بما ارتجت له الارض فأمر أبو أحمد عند ذلك ابنه أبا العباس بالتقدم الى سور المدينة ورشق من عليه بالسهام ففعل ودنا حتى ألصق شذواته بمسناة قصر الناجم وانحاز الزنج بأسرهم الى الموضع الذى دنت منه الشذا وتحاشدوا وتتابعت سهامهم وحجارة منجنيقاتهم وعراداتهم ومقاليعهم ورمى عوامهم بالحجارة عن أيديهم حتى ما يقع طرف ناظر على موضع الا رأى فيه سهما أو حجرا وثبت أبو العباس فرأى الناجم وأشياعه من جهدهم واجتهادهم وصبرهم ما لا عهد لهم بمثله من أحد ممن حاربهم وحينئذ أمر أبو أحمد ابنه أبا العباس بالرجوع بمن معه الى مواقفهم ليروحوا عن أنفسهم ويداووا جروحهم ففعلوا ذلك واستأمن في هذا الحال الى أبي أحمد مقاتلان من مقاتلة السميريات من الزنج فأتياه بسميريتهما وما فيهما من الملاحين والآلات فأمر لهما بخلع ديباج ومناطق محلاة بالذهب ووصلهما بمال وأمر للملاحين بخلع من الحرير الاحمر والاخضر الذى حسن موقعه منهم وعمهم جميعا بصلاته وأمر بادنائهم من الموضع الذى يراهم فيه نظراؤهم فكان ذلك من أنجع المكايد التي كيد بها صاحب الزنج فلما رأى الباقون ما صار اليه أصحابهم من العفو عنهم والاحسان اليهم رغبوا في الامان وتنافسوا فيه فابتدر منهم جمع كثير مسرعين نحوه راغبين فيما شرع لهم منه فأمر أبو أحمد لهم بمثل ما أمر به لأصحابهم فلما رأى الناجم ركون أصحاب السميريات الى الأمان ورغبتهم فيه أمر برد من كان منهم في دجلة الى نهر أبي الخصيب ووكل بفوهة النهر من يمنعهم الخروج وأمر باظهار شذواته الخاصة وندب لها بهبود بن عبد الوهاب وهو من أشد كماته بأسا وأكثرهم عددا وعدة فانتدب بهبود لذلك وخرج في جمع كثيف من الزنج فكانت بينه وبين أبي حمزة نصير صاحب الماء وبين أبي العباس بن أبي أحمد وقعات شديدة في كلها يظهر عليه أصحاب السلطان ثم يعود فيرتاش ويحتشد فيخرج فيواقعهم حتى صدقوه الحرب وهزموه وألجؤه الى فناء قصر الناجم واصابته طعنتان وجرح بالسهام وأوهنت أعضاءه الحجارة وأولجوه نهر أبي الخصيب وقد أشفى على الموت وقتل قائد جليل معه من قواد الزنج ذو بأس ونجدة وتقدم في الحرب يقال له عميرة واستأمن الى أبي أحمد جماعة أخرى فوصلهم وحباهم وخلع عليهم وركب أبو أحمد في جميع جيشه وهو يومئذ في خمسين ألف رجل والناجم في ثلثمائة ألف رجل كلهم يقاتل ويدافع فمن ضارب بسيف وطاعن برمح ورام بقوس وقاذف بمقلاع ورام بعرادة ومنجنيق وأضعفهم أمر الرماة بالحجارة عن أيديهم وهم النظارة المكثرون للسواد والمعينون بالنعير والصياح والنساء تشركهم في ذلك أيضا فأقام أبو أحمد بازاء عسكر الناجم الى أن أضحى وامر فنودى الأمان مبسوط للناس أسودهم وأحمرهم الا لعدو الله الداعى على بن محمد وأمر بسهام فعلقت فيها رقاع مكتوب فيها من الأمان مثل الذى نودى به ووعد الناس فيها الاحسان ورمى بها الى عسكر الناجم فمالت اليه قلوب خلق كثير من أولئك ممن لم يكن له بصيرة في اتباع الناجم فأتاه في ذلك اليوم جمع كثير من الشذا والسميريات فوصلهم وحباهم وقدم عليه قائدان من قواده وكلاهما من مواليه ببغداد أحدهما بكتمر والآخر بغرافى جمع من أصحابهما فكان ورودهما زيادة في قوته ثم رحل في غد هذا اليوم بجميع جيشه فنزل متاخما المدينة الناجم في موضع كان تخيره للنزول فاوطن هذا الموضع وجعله معسكرا له وأقام به ورتب قواده ورؤساء أصحابه مراتبهم فجعل نصيرا صاحب الماء في أول العسكر وجعل زيرك التركى في موضع آخر وعلى بن جهشار حاجبه في موضع آخر وراشدا مولاه في مواليه وغلمانه الاتراك والخزر والروم والديالمة والطبرية والمغاربة والزنج

والفراغنة والعجم والاكراد محيطا هو وأصحابه بمضارب أبي أحمد وفساطيطه وسرادقاته وجعل صاعد بن مخلد وزيره وكاتبه في جيش آخر من الموالى والغلمان فوق عسكر راشد وأنزل مسرورا البلخى القائد صاحب الاهواز في جيش آخر على جانب من جوانب عسكره وأنزل الفضل ومحمدا ابنى موسى بن بغا في جانب آخر بجيش آخر وتلاهما القائد المعروف بموسى ولجوافى جيشه وأصحابه وجعل بغراج التركى على ساقته في جيش كثيف بعدة عظيمة وعدد جم ورأى أبو أحمد من حال الناجم وحصانة موضعه وكثرة جمعه ما علم معه انه لا بد له من الصبر عليه وطول الايام في محاصرته وتفريق جوعه وبذل الامان لهم والاحسان الى من أناب منهم والغلظة على من أقام على غيه منهم واحتاج الى الاستكثار من الشذا وما يحارب به في الماء وشرع في بناء مدينة مماثلة لمدينة الناجم وأمر بانفاذ الرسل في حمل الآلات والصناع من البر والبحر وانفاذ الميرة والازواد والاقوات وايرادها الى عسكره بالمدينة التي شرع فيها وسماها الموفقية وكتب الى عماله بالنواحى في حمل الاموال الى بيت ماله في هذه المدينة وأن لا يحمل الى بيت المال بالحضرة درهم واحد وأنفذ رسلا الى سيراف وجنابة في بناء الشذا والاستكثار منها لحاجته الى أن يبثها ويفرقها في المواضع التي يقطع بها الميرة عن الناجم وأصحابه وأمر بالكتاب الى عماله في انفاذ كل من يصلح للاثبات والعرض في الدواوين من الجند والمقاتلة وأقام ينتظر ذلك شهرا أو نحوه فوردت الميرة متتابعة يتلو بعضها بعضا ووردت الآلات والصناع وبنيت المدينة وجهز التجار صنوف التجارات في الامتعة وحملوها اليها واتخذت بها الاسواق وكثر بها التجار والمجهزون من كل بلد ووردت اليها مراكب من البحر وقد كانت انقطعت لقطع الناجم وأصحابه سبلها قبل ذلك بأكثر من عشر سنين وبنى أبو أحمد في هذه المدينة المسجد الجامع وصلى بالناس فيه واتخذ دور الضرب فضرب بها الدنانير والدراهم فجمعت هذه المدينة جميع المرافق وسيق اليها صنوف المنافع حتى كان ساكنوها لا يفقدون فيها شيئا مما يوجد في الامصار العظيمة القديمة وحملت الاموال ودر العطاء على الناس في أوقاته فاتسعوا وحسنت أحوالهم ورغب الناس جميعا في المصير الى هذه والمقام بها قال أبو جعفر وأمر الناجم بهبود بن عبد الوهاب فعبر والناس غارون في سميريات الى طرف عسكر أبي حمزة صاحب الماء فأوقع به وقتل جماعة من أصحابه وأسر جماعة وأحرق أكواخا كانت لهم وأرسل ابراهيم بن جعفر الهمدانى وهو من جلة قواد الناجم في أربعة آلاف زنجى ومحمد بن أبان المكنى أبا الحسين أخا على بن أبان المهلبى في ثلاثة آلاف والقائد المعروف بالدور في ألف وخمسمائة ليغيروا على أطراف عسكر أبي أحمد ويوقعوا بهم فندب لهم أبو العباس فنهد اليهم في جمع كثيف من أصحابه وكانت بينه وبينهم حروب كان الاستظهار فيها كلها له واستأمن اليه جماعة منهم فخلع عليهم وأمر أن يوقفوا بازاء مدينة الناجم ليعاينهم أصحابه وأقام أبو أحمد يكايد الناجم ويبذل الاموال لاصحابه تارة ويواقعهم ويحاربهم تارة ويقطع الميرة عنهم فسرى بهبود الزنجى في الاجلاد المنتخبين من رجاله ليلة من الليالى وقد تأدى اليه خبر قيروان ورد للتجار فيه صنوف التجارات والامتعة والميرة فكمن في النخل فلما ورد القيروان خرج الى أهله وهم غارون فقتل منهم وأسر وأخذ ما شاء أن يأخذ من الاموال وقد كان أبو أحمد علم بورود ذلك القيروان وأنفذ قائدا من قواده لبذرقته في جمع خفيف فلم يكن لذلك القائد ببهبود طاقة فانصرف عنه منهزما فلما انتهى الى أبي أحمد ذلك غلظ عليه ما نال الناس في أموالهم وتجاراتهم فأمر بتعويضهم وأخلف عليهم مثل الذى ذهب منهم ورتب على فوهة النهر المعروف بنهر بيان وهو الذى دخل القيروان فيه جيشا قويا لحراسته قال أبو جعفر ثم أنفذ الناجم جيشا عليه القائد المعروف بصندل الزنجى وكان صندل هذا فيما ذكر يكشف وجوه الحرائر المسلمات ورؤسهن ويقلبهن تقليب الاماء فان امتنعت منهن امرأة لطم وجهها ودفعها الى بعض علوج الزنج يواقعها ثم يخرجها بعد ذلك الى سوق الرقيق فيبيعها بأوكس الثمن فيسر الله تعالى قتله في وقعة جرت بينه وبين أبي العباس أسر وأحضر بين يدى أبي أحمد فشده كتافا ورماه بالسهام حتى هلك قال أبو جعفر ثم ندب الناجم جيشا آخر وامره أن يغير على طرف من أطراف عسكر أبي أحمد وهم غارون فاستأمن من ذلك الجيش زنجى مذكور يقال له مهذب كان من فرسان الزنج وشجعانهم فأتى به الى أبي أحمد وقت افطاره فأعلمه انه جاء راغبا في الطاعة والامان وان الزنج على

العبور فى ساعتهم تلك الى عسكره للبيات وان المندوبين لذلك أنجادهم وابطالهم فأمر أبو أحمد أبا العباس ابنه أن ينهض اليهم فى قواد عينهم له فنهضوا فلما أحس ذلك الجيش بأنهم قد نذروا بهم وعرفوا استئمان صاحبهم رجعوا الى مدينتهم قال أبو جعفر ثم ان الناجم ندب أجل قواده وأكبرهم قدرا عنده وهو على بن أبان المهلبى وانتخب له أهل البأس والجلد وأمره أن يبيت عسكر أبى أحمد فعبر فى زهاء خمسة آلاف رجل أكثرهم الزنج وفيهم نحو مائتى قائد من المذكورين بهم وعظمائهم فعبر ليلا الى شرقى دجلة وعزموا على أن يفترقوا قسمين أحدهما خلف عسكر أبى أحمد والثانى أمامه ويغير الذين أمامه على أصحاب أبى أحمد فاذا ثاروا اليهم واستعرت الحرب أكب أولئك الذين من وراء العسكر على من يليهم وهم مشاغيل بحرب من بازائهم وقدر الناجم وعلى بن أبان أن يتهيأ لهما من ذلك ما أحبا فاستأمن منهم الى أبى أحمد غلام كان معهم من الملاحين ليلا فأخبره خبرهم وما اجتمعت عليه آراؤهم فأمر ابنه أبا العباس والغلمان والقواد بالحذر والاحتياط والجد وفرقهم فى الجهتين المذكورتين فلما رأى الزنج أن تدبيرهم قد انتقض وانه قد فطن لهم ونذر بهم كروا راجعين فى الطريق الذى أقبلوا فيه طالبين التخلص فسبقهم أبو العباس وزيرك الى فوهة النهر ليمنعوهم من عبوره وأرسل أبو احمد غلامه الاسود الزنجى الذى يقال له ثابت وكان له قيادة على السودان الذين بعسكر الموفق فأمره أن يعترضهم ويقف لهم فى طريقهم بأصحابه فأدركهم وهو فى خمسمائة راجل فواقعهم وشد عضده أبو العباس وزيرك بمن معهما فقتل من الزنج أصحاب الناجم خلق كثير وأسر منهم كثير وأفلت الباقون فلحقوا بمدينتهم وانصرف أبو العباس بالفتح وقد علق رؤس الزنج فى الشذا وصلب الاسارى احياء فيها فاعترضوا بهم مدينتهم ليرهبوا بهم أصحابهم فلما رأوهم رعبوا وانكسروا واتصل بأبى أحمد ان الناجم موه على أصحابه وأوهمهم ان الرؤس المرفوعة مثل مثلها لهم أبو أحمد ليراعوا وان الاسارى المصلبين من المستأمنة فأمر أبو أحمد عند ذلك بجمع الرؤس والمسير بها الى ازاء قصر الناجم والقذف بها فى منجنيق منصوب فى سفينة الى عسكره ففعل ذلك فلما سقطت الرؤس فى مدينتهم عرف أولياء القتلى رؤس أصحابهم فظهر بكاؤهم وصراخهم قال أبو جعفر وكانت لهم وقعات كثيرة بعد هذه فى أكثرها ينهزم الزنج ويظفر بهم وطلب وجوههم الأمان فكان ممن استأمن محمد بن الحارث القائد واليه كان حفظ النهر المعروف بمنكى والسور الذى يلى عسكر أبى أحمد كان خروجه ليلا مع عدة من أصحابه فوصله أبو أحمد بصلات كثيرة وخلع عليه وحمله على عدة دواب بحليتها وآلاتها وأسنى له الرزق وكان محمد هذا حاول اخراج زوجته معه وهى احدى بنات عمه فعجزت المرأة عن اللحاق به فأخذها الزنج فردوها الى الناجم فحبسها مدة ثم أمر باخراجها والنداء عليها فى السوق فبيعت وممن استأمن القائد المعروف بأحمد البرذعى كان من أشجع رجالهم وكان يكون أبدا مع المهلبى وكان ممن استأمن مريد القائد وبرنكويه وبيلويه فخلعت عليهم الخلع ووصلوا بالصلات الكثيرة وحملوا على الخيول المحلاة وأحسن الى كل من جاء معهم من أصحابهم قال أبو جعفر فضاقت الميرة على الناجم وأصحابه فندب شبلا القائد وأبا الندى وهما من رؤساء قواده وقدماء أصحابه الذين يعتمد عليهم ويثق بمناصحتهم وأمرهما بالخروج فى عشرة آلاف من الزنج وغيرهم والقصد الى نهر الدير ونهر المرأة ونهر أبى الاسد والخروج من هذه الانهار الى البطيحة والغارة على المسلمين وأهل القرى وقطع الطرقات وأخذ جميع ما يقدرون عليه من الطعام والميرة وحمله الى مدينته وقطعه عن الوصول الى عسكر أبى أحمد فندب أبو أحمد لقصدهم مولاه زيرك فى جيش كثيف بعضه فى الماء وبعضه على الظهر فواقعهم فى الموضع المعروف بنهر عمر فكانت بينه وبينهم حرب شديدة أسفرت عن انكسارهم وخذلان الله لهم فأخذ منهم أربعمائة سفينة وأسرى كثيرين وأقبل بها وبهم وبالرؤس الى عسكر أبى أحمد قال أبو جعفر وندب أبو احمد ابنه أبا العباس لقصد مدينة الناجم والعلو عليها فقصدها من النهر المعروف بالغربى وقد أعد الناجم به على بن أبان المهلبى فاستعرت الحرب بين الفريقين فأمد الناجم عليا بسليمان بن جامع فى جمع كثير من قواد الزنج واتصلت الحرب واستأمن كثير من قواد الزنج الى أبى العباس وامتدت الحرب الى بعد العصر ثم انصرف أبو العباس فاجتاز فى منصرفه بمدينة الناجم وقد انتهى الى الموضع المعروف بنهر الاتراك فرأى فى ذلك النهر قلة من

الزنج الذين يحرسونه فطمع فيهم فقصد نحوهم وصعد جماعة من أصحابه سور المدينة وعليه فريق من الزنج فقتلوا من أصابوا هناك ونذر الناجم بهم فأنجدهم بقواد من قواده فأرسل أبو العباس الى أبيه يستمده فوافى من عسكر أبى أحمد من خف من الغلمان فقوى بهم عسكر أبى العباس وقد كان سليمان بن جامع لما رأى ان أبا العباس قد أوغل فى نهر الاتراك صعد فى جمع كثير من الزنج ثم استدبر أصحاب أبى العباس وهم متشاغلون بحرب من بازائهم على سور المدينة فخرج عليهم من ورائهم وخفقت طبولهم فانكشف أصحاب أبى العباس وحملت الزنج عليهم من امامهم فأصيب فى هذه الوقعة جماعة من غلمان أبى أحمد وقواده وصار فى أيدى الزنج عدة أعلام ومطارد وحامى أبو العباس عن نفسه حتى انصرف سالما فأطمعت هذه الوقعة الزنج واتباعهم وشدت قلوبهم فأجمع أبو أحمد على العبور بجيشه أجمع وأمر بالاستعداد والتأهب فلما تهيأ له ذلك عبر فى آخر ذى الحجة من سنة سبع وستين فى أكثف جمع وأكمل عدة وفرق قواده على أقطار مدينة الناجم وقصد هو بنفسه ركنا من أركانها وقد كان الناجم حصنه بابنه الذى يقال له أنكلانى وكنفه بعلى بن أبان وسليمان بن جامع وابراهيم بن جعفر الهمدانى وحفه بالمجانيق والعرادات والقسى الناوكية وأعد فيه الناشبة وجمع فيه أكثر جيشه فلما التقى الجمعان أمر أبو أحمد غلمانه الناشبة والرامحة والسودان بالدنو من هذا الركن وبينه وبينهم النهر المعروف بنهر الاتراك وهو نهر عريض غزير الماء فلما انتهوا اليه أحجموا عنه فصيح بهم وحرضوا على العبور فعبروه سباحة والزنج ترميهم بالمجانيق والعرادات والمقاليع والحجارة عن الايدى والسهام عن قسى اليد وقسى الرجل وصنوف الآلات التى يرمى عنها فصبروا على جميع ذلك حتى جاوزوا النهر وانتهوا الى السور ولم يكن لحقهم من الفعلة من كان أعد لهدمه فتولى الغلمان تشعيث السور بما كان معهم من السلاح ويسر الله تعالى ذلك وسهلوا لأنفسهم السبيل الى علوه وحضرهم بعض السلاليم التى كانت اتخذت لذلك فعلوا الركن ونصبوا عليه علما عليه مكتوب الموفق بالله وأكبت عليهم الزنج فحاربوا أشد حرب وقتل من قواد أبى أحمد القائد المعروف بثابت الاسود رمى بسهم فى بطنه فمات وكان من جلة القواد وأحرق أصحاب الموفق ما على ذلك الركن من المنجنيقات والعرادات وقصد أبو العباس بأصحابه جهة أخرى من جهات المدينة ليدخلها من النهر المعروف بمنكى فعارضه على بن أبان فى جمع من الزنج فظهر أبو العباس عليه وهزمه وقتل قوما من أصحابه وأفلت على بن أبان المهلبى راجعا وانتهى أبو العباس الى نهر منكى وهو يرى ان المدخل من ذلك الموضع سهل فوصل الى الخندق فوجده عريضا منيعا فحمل أصحابه أن يعبروه فعبروه وعبرته الرجالة سباحة ووافوا السور فثلموا منه ثلمة واتسع لهم دخولها فدخلوا فاتى أولهم سليمان بن جامع وقد أقبل للمدافعة عن تلك الناحية فحاربوه وكشفوه وانتهوا الى النهر المعروف بابن سمعان وهو نهر يشق بالمدينة وصارت الدار المعروفة بدار ابن سمعان فى أيديهم فأحرقوا ما كان فيها وهدموها فوقفت الزنج على نهر ابن سمعان ووقفوا طويلا ودافعوا مدافعة شديدة وشد بعض موالى الموفق على على بن أبان فأدبر عنه هاربا فقبض على مئزره فخلى على المئزر ونبذه الى الغلام ونجا بعد أن أشرف على الهلكة وحمل أصحاب أبى احمد على الزنج فكشفوهم عن نهر ابن سمعان حتى وافوا بهم طرف المدينة وركب الناجم بنفسه فى جمع من خواصه فتلقاه أصحاب الموفق فعرفوه وحملوا عليه وكشفوا من كان معه حتى أفرد وقرب منه بعض الرجالة حتى ضرب وجه فرسه بترسه وكان ذلك وقت غروب الشمس وحجز الليل بينهم وبينه وأظلم وهبت ريح شمال عاصف وقوى الجزر فلصق أكثر سفن الموفق بالطين وحرض الناجم أصحابه فثاب منهم جمع كثير فشدوا على سفن الموفق فنالوا منها نيلا وقتلوا نفرا وصمد بهبود الزنجى لمسرور البلخى بنهر الغربى فأوقع به وقتل جماعة من أصحابه وأسر أسرى وصار فى يده دواب من دوابهم فكسر ذلك من نشاط أصحاب الموفق وقد كان هرب فى هذا اليوم كثير من قواد صاحب الزنج وتفرقوا على وجوههم نحو نهر الامير وعبادان وغيرهما وكان ممن هرب ذلك اليوم منهم أخو سليمان بن موسى الشعرانى ومحمد وعيسى فمضيا يؤمان البادية حتى انتهى اليهما رجوع أصحاب الموفق وما نيل منهم فرجعا وهرب جماعة من العرب الذين كانوا فى عسكر الناجم وصاروا الى البصرة وبعثوا يطلبون الامان من أبى أحمد فأمنهم ووجه اليهم

السفن وحملهم الى الموفقية وخلع عليهم وأجرى لهم الارزاق والانزال وكان ممن رغب فى الامان من قواد الناجم القائد المعروف بريحان بن صالح المغربى وكانت له رئاسة وقيادة وكان يتولى حجبة انكلاى ابن الناجم فكتب ريحان يطلب الامان لنفسه ولجماعة من أصحابه فأجيب الى ذلك وأنفذ اليه عدد كثير من الشذا والسميريات والمعابر مع زيرك القائد صاحب مقدمة أبى العباس فسلك نهر اليهودى الى آخره فالفى به ريحان القائد ومن كان معه من أصحابه وقد كان الموعد تقدم منه فى موافاة ذلك الموضع فسار زيرك به وبهم الى دار الموفق فأمر لريحان بخلع جليلة وحمل على عدة أفراس بآلتها وحليتها وأجيز بجائزة سنية وخلع على أصحابه وأجيزوا على اقدارهم ومراتبهم وضم ريحان الى أبى العباس وأمر بحمله وحمل أصحابه والمصير بهم الى ازاء دار الناجم فوقفوا هنالك فى الشذا عليهم والخلع الملونة بصنوف الالوان والذهب حتى عاينوهم مشاهدة فاستأمن فى هذا اليوم من أصحاب ريحان الذين كانوا تخلفوا عنه ومن غيرهم جماعة فالحقوا فى البر والاحسان باصحابهم ثم استأمن جعفر بن ابراهيم المعروف بالسجان فى أول يوم من سنة ثمان وستين ومائتين وكان أحد ثقات الناجم ففعل به من الخلع والاحسان مافعل بريحان وحمل فى سميرية حتى وقف بازاء قصر الناجم حتى يراه أصحابه وكلمهم وأخبرهم انهم فى غرور من صاحبهم وأعلمهم ماوقف عليه من كذبه وفجوره فاستأمن فى هذا اليوم خلق كثير من قواد الزنج وغيرهم وتتابع الناس فى طلب الامان وأقام أبو أحمد يجم أصحابه ويداوى جراحهم ولا يحارب ولا يعبر الى الزنج الى شهر ربيع الآخر ثم عبر جيشه فى هذا الشهر المذكور مرتبا على ما استصلحه من تفريقه فى جهات مختلفة وأمرهم بهدم سور المدينة وتقدم اليهم أن يقتصروا على الهدم ولا يدخلوا المدينة ووكل بكل ناحية من النواحى التى وجه اليها قواده سفنا فيها الرماة وأمرهم أن يحموا بالسهام من يهدم السور من الفعلة فثلمت فى هذا اليوم من السور ثلم كثيرة واقتحم أصحاب أبى أحمد المدينة من جميع تلك الثلم وهزموا من كان عليها من الزنج وأوغلوا فى طلبهم واختلفت بهم طرق المدينة وتفرقت بهم السكك والفجاج وانتهوا الى أبعد من المواضع التى كانوا وصلوا اليها فى المرة قبلها فتراجعت اليهم الزنج وخرج عليهم كمناؤهم من نواح يهتدون اليها ولا يعرفها جيش أبى أحمد فتحير جيش أبى أحمد فقتل منهم خلق كثير وأصاب الزنج منهم أسلحة واسلابا وأقام ثلاثون ديلميا من أصحاب أبى أحمد يدافعون عن الناس ويحمونهم حتى خلص الى السفن من خلص وقتلت الديلمة عن آخرها وعظم على الناس ما أصابهم فى هذا اليوم وانصرف أبو أحمد الى مدينته الموفقية فجمع قواده وعذلهم على ما كان منهم من مخالفة أمره والافساد عليه فى رأيه وتدبيره وتواعدهم بأغلظ العقوبة ان عادوا لمثل ذلك وأمر باحصاء المقتولين من أصحابه فأتى بأسمائهم فاقر ما كان جاريا لهم على أولادهم وأهاليهم فحسن موقع ذلك وزاد فى صحة نيات أصحابه لما رأوا من حياطته خلف من أصيب فى طاعته قال أبو جعفر وشرع أبو أحمد فى قطع الميرة عن مدينة الناجم من جميع الجهات وقد كان يجلب اليهم من السمك الشئ العظيم من مواضع كثيرة فمنع ذلك عنهم وقتل القوم الذين كانوا يجلبونه وأخذت عليهم الطرق وانسد عليهم كل مسلك كان لهم وأضر بهم الحصار وأضعف أبدانهم وطالت المدة فكان الاسير منهم يؤسر والمستأمن يستأمن فيسأل عن عهده بالخبز فيقول منذ سنة أو سنتين واحتاج من كان منهم مقيما فى مدينة الناجم الى الحيلة لقوته فتفرقوا فى الانهار النائية عن عسكرهم طلبا للقوت وكثرت الاسارى منهم فى عسكر أبى أحمد لانه كان يلتقطهم بأصحابه يوما فيوما فأمر بعرضهم لما رأى كثرتهم فمن كان منهم ذا قوة وجلد ونهوض بالسلاح من عليه وأحسن اليه وخلطه بغلمانه السودان وعرفهم مالهم عنده من البر والاحسان ومن كان منهم ضعيفا لا حراك به أو شيخا فانيا لا يطيق حمل السلاح أو مجروحا جراحة قد أزمنته أمر بأن يكسى ثوبين ويوصل بدراهم ويزود ويحمل الى عسكر الناجم فيلقى هناك بعد أن يوصى بوصف ما عاين من احسان أبى أحمد الى كل من يصير اليه وان ذلك رأيه فى جميع من يأتيه مستأمنا أو يأسره فتهيأ له بذلك ما أراد من استمالة الزنج حتى استشعروا الميل الى ناحيته والدخول فى سلمه وطاعته قال أبو جعفر ثم كانت الوقعة التى قتل فيها بهبود الزنجى القائد وجرح أبو العباس وذلك أن بهبودا كان أكثر أصحاب الناجم غارات وأشدهم تعرضا لقطع السبل وأخذ الاموال وكان قد جمع

من ذلك لنفسه مالا جليلا وكان كثير الخروج فى السميريات الخفاف فيخترق بها الانهار المؤدية الى دجلة فاذا صادف سفينة لاصحاب أبى أحمد أخذها واستولى على أهلها وأدخلها النهر الذى خرج منه فان تبعه تابع حتى توغل فى طلبه خرج عليه من ذلك النهر قوم من أصحابه قد أعدهم لذلك فاقتطعوه وأوقعوا به فوقع التحرز حينئذ منه والاستعداد لغاراته فركب شذاة وشبهها بشذوات أبى أحمد ونصب عليها علما مثل أعلامه وسار بها ومعه كثير من الزنج فأوقع بكثير من أصحاب أبى أحمد وقتل وأسر فندب له أبو أحمد ابنه أبا العباس فى جمع كثيف فكانت بينهما وقعة شديدة ورمى فيها أبو العباس بسهم فأصابه وأصابت بهبود طعنة فى بطنه من يد غلام من بعض سميريات أبى العباس فهوى الى الماء فابتدره أصحابه فحملوه ورجعوا به الى عسكر الناجم فلم يصلوا به الا وهو ميت فعظمت الفجيعة به على الناجم وأوليائه واشتد عليه جزعهم وخفى موته على أبى أحمد حتى استأمن اليه رجل من الملاحين فأخبره بذلك فسر وأمر باحضار الغلام الذى طعنه فوصله وكساه وطوقه وزاد فى رزقه وأمر لجميع من كان فى تلك السميرية بصلات وخلع وعولج أبو العباس من جرحه مدة حتى برأ وأقام أبو أحمد فى مدينته الموفقية ممسكا عن حرب الزنج محاصرا لهم بسد الانهار وسكرها واعتراض من يخرج منهم لجلب الميرة ومنتظرا برء ولده حتى كمل بعد شهور كثيرة وانقضت سنة ثمان وستين ونقل اسحق ابن كنداجيق عن البصرة وأعمالها فولى الموصل والجزيرة وديار ربيعة وديار مضر ودخلت سنة تسع وستين وأبو أحمد مقيم على الحصار فلما أمن على أبى العباس وركب على عادته عاود النهوض الى حرب الناجم قال أبو جعفر وقد كان بهبود لما هلك طمع الناجم فى أمواله لكثرتها ووفورها وصح عنده أنه ترك مائتى ألف دينار عينا ومن الجواهر وغيرها بمثل ذلك فطلب المال المذكور بكل حيلة وحبس أولياء بهبود وقرابته وأصحابه وضربهم بالسياط وأثار دورا من دوره وهدم أبنية من ابنيته طمعا فى أن يجد فى شئ منها دفينا فلم يجد من ذلك شيأ فكان فعله هذا أحد ما أفسد قلوب أصحابه عليه ودعاهم الى الهرب منه والزهد فى صحبته فاستأمن منهم الى أبى أحمد خلق كثير فوصلهم وخلع عليهم ورأى أن يعبر دجلة من الجانب الشرقى الى الجانب الغربى فيجعل لنفسه هناك معسكرا ويبنى به مدينة أخرى ويضيق خناق الناجم ويتمكن من مغاداته ومراوحته بالحرب فقد كانت الريح العاصف تحول بينه وبين عبور دجلة فى كثير من الايام بالجيش فأمر بقطع النخل المقارب لمدينة الناجم لذلك واصلاح موضع يتخذه معسكرا وان يحف بالخنادق ويحصر بالسور أيا من بيات الزنج وجعل على قواده نوائب لذلك ومعهم الفعلة والرجال فقابل الناجم ذلك بأن جعل على بن أبان المهلبى وسليمان بن جامع وابراهيم بن جعفر الهمدانى نوبا للحرب والمدافعة عن ذلك وكان انكلاى ابن الناجم ربما حضر فى نوبة أيضا وضم اليه سليمان بن موسى الشعرانى وقد كان صار اليه من المذار بعد الوقعة التى انهزم فيها وعلم الناجم أن أبا أحمد اذا جاوره صعب أمره وقرب على من يريد اللحاق به من الزنج المسافة مع ما يدخل قلوب أصحابه بمجاورته من الرعب والرهبة وفى ذلك انتقاض تدبيره وفساد جميع أموره فكانت الحرب بين قواد أبى أحمد وقواد الناجم متصلة على اصلاح هذا الموضع ومدافعة الزنج عنه واتفق ان عصفت الرياح يوما وجماعة من قواد أبى أحمد بالجانب الغربى للعمل الذى يريدونه فانتهز الناجم الفرصة فى امتناع العبور بدجلة لعصف الريح فرماهم بجميع جيشه وكاثرهم برجله فلم تجد الشذوات التى مع قواد أبى أحمد سبيلا الى الوقوف بحيث كانت واقفة به لحمل الرياح اياها على الحجارة وخوف أصحابها عليها من التكسر ولم يجدوا سبيلا الى العبور فى دجلة لشدة الريح واضطراب الامواج فأوقعت الزنج بهم فقتلوهم عن آخرهم وأفلت منهم نفر فعبروا الى الموفقية فاشتد جزع أبى أحمد وأصحابه لما نالهم ولما تهيأ للزنج عليهم وعظم بذلك اهتمامهم وتعقب أبو أحمد الرأى فرأى ان نزوله ومقامه بالجانب الغربى بجوار مدينة الناجم خطأ وانه لا يؤمن منه حيلة وانتهاز فرصة فيوقع بالعسكر بياتا أو يجد مساغا الى ما يكون له قوة لكثرة الادغال فى ذلك الموضع وصعوبة المسالك وان الزنج على التوغل فى تلك المواضع الوعرة الموحشة أقدر وهو عليهم أسهل من أصحابه فانصرف عن رأيه فى نزول الجانب الغربى وصرف همه وقصده الى هدم سور مدينة الناجم وتوسعة الطريق والمسالك لاصحابه فى دخولها فندب القواد لذلك وندب الناجم قواده للمدافعة عنها وطال

الامد وتمادت الايام فلما رأى أبو أحمد تحاشد الزنج وتعاونهم على المنع من هدم السور أزمع على مباشرة ذلك بنفسه وحضوره اياه ليستدعي بذلك جد أصحابه واجتهادهم ويزيد في عنايتهم وهممهم فحضر بنفسه واتصلت الحرب وغلظت على الفريقين وكثر القتل والجراح في الحزبين وأقام أبو أحمد أياما كثيرة يغاديهم الحرب ويراوحهم فكانوا لا يفترون يوما من الايام وصعب على أصحاب أبي أحمد ما كانوا يرومونه واشتدت حماية الزنج عن مدينتهم وباشر الناجم الحرب بنفسه ومعه نخبة أصحابه وأبطالهم والموطنون أنفسهم على الصبر معه فحاموا جهدهم حتى لقد كانوا يقفون الموقف فيصيب أحدا منهم السهم أو الطعنة أو الضربة فيسقط فيجذبه الذي الى جانبه فينحيه ويقف موقفه اشفاقا من أن يخلو موقف رجل منهم فيدخل الخلل عليهم واتفق في بعض الايام شدة ضباب ستر بعض الناس عن بعض فما يكاد الرجل يبصر صاحبه وظهر أصحاب أبي أحمد ولاحت تباشير الفتح ودخل الجند الى المدينة وولجوها وملكوا مواضع منها وأنهم لعلى ذلك حتى وصل سهم من سهام الزنج الى أبي أحمد رماه به رومي كان مع الناجم يقال له قرطاس فأصابه في صدره وذلك لخمس بقين من جمادى الاولى سنة تسع وستين ومائتين فستر أبو أحمد وخواصه ما ناله من ذلك عن الناس وانصرف الى الموفقية آخر نهار يومه هذا فعولج في ليلته تلك وشدت الجراحة وغدا على الحرب على ما ناله من ألمها ليشد بذلك قلوب أصحابه من أن يدخلها وهن أو ضعف فزاد في قوة علته بما حمل على نفسه من الحركة فغلظت وعظم أمرها حتى خيف عليه العطب واحتاج الى علاج نفسه بأعظم ما يعالج به الجراح واضطرب لذلك العسكر والجند والرعية وخافوا قوة الزنج عليهم حتى خرج عن الموفقية جماعة من التجار كانوا مقيمين بها لما وصل الى قلوبهم من الرهبة قال أبو جعفر وحدثت على أبي أحمد في حال صعوبة علته حادثة في سلطانه وأمور متعلقة بما بينه وبين أخيه المعتمد فأشار عليه مشيرون من أصحابه وثقاته بالرحلة عن معسكره الى بغداد وأن يخلف من يقوم مقامه فأبى ذلك وحاذر أن يكون فيه تلافي ما قد فرق من شمل صاحب الزنج فأقام على صعوبة علته وغلظ الامر الحادث في سلطانه وصبر الى أن عوفي فظهر لقواده وخاصته وقد كان أطال الاحتجاب عنهم فقويت بروئيته منتهم وأقام متماثلا ودعا نفسه الى شعبان من هذه السنة فلما أبل وقوي على الركوب والنهوض نهض وعاود ما كان مواظبا عليه من الحرب وجعل الناجم لما صح عنده الخبر بما أصاب أبا أحمد يعد أصحابه العدات ويمنيهم الاماني واشتدت شوكتهم وقويت آمالهم فلما اتصل به ظهور أبي أحمد جعل يحلف للزنج على منبره ان ذلك باطل لا أصل له وان الذي رأوه في الشذا مثال موه وشبه عليهم قلت الحادث الذي حدث على أبي أحمد من جهة سلطانه ان أخاه المعتمد وهو الخليفة يومئذ فارق دار ملكه ومستقر خلافته مغاضبا له متجنيا عليه زاعما انه مستبد بأموال المملكة وجباياتها مضطهد له مستأثر عليه فكاتب ابن طولون صاحب مصر وسأله أن يأذن له في اللحاق به فأجابه ابن طولون الى ذلك فخرج من سامرا في جماعة من قواده ومواليه قاصدا مصر وكان أبو أحمد هو الخليفة في المعنى وانما المعتمد صورة خالية من معاني الخلافة لا أمر له ولا نهي ولا حل ولا عقد وأبو أحمد هو الذي يرتب الوزراء والكتاب ويقود القواد ويقطع الاقطاع ولا يراجع المعتمد في شيء من الامور أصلا فاتصل به خبر المعتمد في شخوصه عن سامرا وقصده ابن طولون فكاتب اسحق بن كنداجيق وهو يومئذ على الموصل والجزيرة فأمره أن يعترض المعتمد ويقبض عليه وعلى القواد والموالي الذين معه ويعيدهم الى سامرا وكتب لاسحق باقطاعه ضياع أولئك القواد والموالي بأجمعهم فاعترضهم اسحق وقد قربوا من الرقة فأخذهم وقبض عليهم وقيدهم بالقيود الثقيلة ودخل على المعتمد فعنفه وهجنه وعذله في شخوصه عن دار ملكه وملك آبائه ومفارقة أخيه على الحال التي هو بها وحرب من يحاول قتله وقتل أهل بيته وزوال ملكهم ثم حملهم في قيودهم حتى وافى بهم سامرا فأقر المعتمد على خلافته ومنعه عن الخروج وأرسل أبو أحمد ابنه هارون وكاتبه صاعد بن مخلد من الموفقية الى سامرا بالخلع على ابن كنداجيق خلعا جليلة وقلد بسيفين من ذهب ولقب ذا السيفين وهو أول من قلد بسيفين ثم خلع عليه بعد ذلك بيوم قباء ديباج أسود ووشاحين مرصعين بالجوهر الثمين وتوج بتاج من ذهب مرصع بنفيس الجوهر وقلد سيفا من ذهب مرصع بالجواهر العظيمة وشيعه الى منزله هارون وصاعد وقعدا على طعامه كل

ذلك مكافأة له عن صنيعه في أمر المعتمد فليعجب المتعجب من همة الموفق أبي أحمد وقوة نفسه وشدة شكيمته أن يكون بازاء ذلك العدو يقتل من أصحابه كل وقت من يقتل ثم يصاب ولده بسهم ويصاب هو بسهم آخر في صدره يشارف منه على الموت ويحدث من أخيه وهو الخليفة ما يحدث ولا تنكسر نفسه ولا يهي عزمه ولا تضعف قوته ويحق ما سمي المنصور الثاني ولولا قيامه في حرب الزنج لانقرض ملك أهل بيته ولكن الله تعالى ثبته لما يريده من بقاء هذه الدولة قال أبو جعفر ثم جد الموفق في تخريب السور واحراق المدينة وجد الناجم في اعداد المقاتلة والمحاطة عن سوره ومدينته فكانت بين الفريقين حروب عظيمة تجل عن الوصف ورمى الناجم سفن الموفق المقاربة لسور مدينته بالرصاص المذاب والمجانيق والعرادات وأمر أبو أحمد باعداد أظلة من خشب والباسها جلود الجواميس وتغطية ذلك بالخيوش المطلية بصنوف العقاقير والادوية التي تمنع النار من الاحراق ففعل ذلك وحورب صاحب الزنج من تحتها فلم تعمل ناره ورصاصه المذاب فيها شيئا واستأمن الى أبي أحمد محمد بن سمعان كاتب الناجم ووزيره في شعبان من هذه السنة فهد باستئمانه أركان الناجم وأضعف قوته وانتدب أبو العباس لقصد دار محمد بن يحيى الكرنبائي وكانت بازاء دار الناجم وشرع في الحيلة في احراقها وأحرق الموفق كثيرا من الرواشن المطلة على سور المدينة وشعثها وعلا غلمان أبي أحمد على دار الناجم وولجوها وانتهبوها وأضرموا النار فيها وفعل أبو العباس بدار الكرنبائي مثل ذلك وجرح انكلاني ابن الناجم في بطنه جراحة شديدة أشفى منها على التلف واتفق مع هذا الظفر العظيم ان غرق أبو حمزة نصير صاحب جيش الماء عند ازدحام الشذوات وانكباب الزنج على الحرب فصعب ذلك على أبي أحمد وقوي بغرقه أمر الزنج وانصرف أبو أحمد آخر نهار هذا اليوم وعرضت له علة أقام فيها بقية شعبان وشهر رمضان وأياما من شوال ممسكا عن حرب الزنج الى أن استبل من علته قال أبو جعفر فلما أحرقت دار الناجم ودور أصحابه وشارف أن يؤخذ وعرضت لأبي أحمد هذه العلة فأمسك فيها عن الحرب انتقل الناجم من مدينته التي بناها بغربي نهر أبي الخصيب الى شرقيه الى منزل وعر لا يخلص اليه أحد لاشتباك القصب والادغال والاحطاب فيه وعليه خنادق من أنهار قاطعة معترضة فقطن هناك في خواصه ومن تخلف معه من جلد أصحابه وثقاته ومن بقي في نصرته من الزنج وهم حدود عشرين ألف مقاتل وانقطعت الميرة عنهم وبان للناس ضعف أمرهم فتأخر الجلب الذي كان يصل اليهم فبلغ الرطل من خبز البر عندهم عشرة دراهم فأكلوا الشعير ثم أكلوا أصناف الحبوب ثم لم يزل الامر كذلك الى ان كانوا يتبعون الناس فاذا خلا أحد منهم بصبي أو امرأة أو رجل ذبحوه وأكلوه ثم صار قوي الزنج يعدو على ضعيفهم فاذا خلا به ذبحه وأكل لحمه ثم ذبحوا أولادهم فأكلوا لحومهم وكان الناجم لا يعاقب أحدا ممن فعل شيأ من ذلك الا بالحبس واذا تطاول حبسه أطلقه ولما أبل الموفق من علته وعلم انتقال الناجم الى شرقي نهر أبي الخصيب واعتصامه به أعمل فكره في تخريب الجانب الشرقي عليه كما فعل بالجانب الغربي ليتمكن من قتله أو أسره فكانت له آثار عظيمة من قطع الادغال والدحال وسد الانهار وطم الخنادق وتوسيع المسالك واحراق الاسوار المبنية وادخال الشذا وفيها المقاتلة الى حريم الناجم وفي كل ذلك يدافع الزنج عن أنفسهم بحرب شديدة وقتال عظيم تذهب فيها النفوس وتراق فيها الدماء وكان الظفر في ذلك كله لأبي أحمد وأمر الزنج يزداد ضعفا وطالت الايام على ذلك الى ان استأمن سليمان بن موسى الشعراني وهو من عظمائهم وقد تقدم ذكره فوجه يطلب الامان من أبي أحمد فمنعه ذلك لما كان سلف منه من العيث وسفك الدماء بنواحي واسط ثم اتصل بأبي أحمد ان جماعة من رؤساء الزنج قد استوحشوا لمنعه الشعراني من الامان فأجاب الى اعطائه الامان استصلاحا بذلك غيره من رؤساء الزنج وأمر بتوجيه الشذا الى موضع وقع الميعاد عليه فخرج سليمان الشعراني وأخوه وجماعة من قواده فنزلوا الشذا فصاروا الى أبي العباس فحملهم الى أبي أحمد فخلع على سليمان ومن معه وحمله على عدة أفراس بسروجها وآلتها وأنزل له ولاصحابه أنزالا سنية ووصله بمال جليل ووصل أصحابه وضمه وضمهم الى أبي العباس وأمر باظهاره واظهارهم في الشذا لاصحاب الناجم ليزدادوا ثقة بأمانه فلم تبرح الشذا ذلك اليوم من موضعها حتى استأمن جمع كثير من قواد الزنج فوصلوا وألحقوا بأخوانهم في الحباء والبر والخلع والجوائز فلما استأمن الشعراني

اختل ما كان الناجم قد ضبطه به من مؤخر عسكره وقد كان جعله على مؤخر نهر أبى الخصيب فوهى أمره وضعف وقلد
ما كان سليمان يتولاه القائد المعروف بشبل بن سالم وهو من قوادهم المشهورين فلم يمس أبو أحمد حتى وافاه رسول
شبل بن سالم يطلب الامان ويسأل أن يوقف له شذوات عند دار ابن سمعان ليكون قصده فى الليل اليها ومعه من يثق
به من أصحابه فأجيب الى سؤاله ووافى آخر الليل ومعه عياله وولده وجماعة من قواده فصاروا الى أبى أحمد فوصله بصلة
جليلة وخلع عليه خلعا كثيرة وحمله على عدة أفراس بسروجها وآلتها ووصل أصحابه وخلع عليهم وأحسن اليهم
وأرسله فى الشذوات فوقفوا بحيث يراهم الناجم وأصحابه نهارا فعظم ذلك عليه وعلى أوليائه وأخلص شبل فى مناصحة
أبى أحمد فسأل أن يضم اليه عسكرا يبيت به عسكر الناجم ويسلك اليه من مسالك يعرفها هو ولا يعرفها أصحاب
أبى أحمد ففعل وكبس عسكر الناجم سحرا فأوقع بهم وهم غارون فقتل منهم مقتلة عظيمة وأسر جماعة من قواد الزنج
وانصرف بهم الى الموفق وذعر الزنج من شبل وما فعله فامتنعوا من النوم وخافوا خوفا شديدا فكانوا يتحارسون بعد
ذلك فى كل ليلة ولا تزال النفرة تقع فى عسكرهم لما استشعروا من الخوف ووصل الى قلوبهم من الوحشة حتى لقد كان
ضجيجهم وتحارسهم يسمع بالموفقية وصح عزم الموفق على العبور لمحاربة الناجم فى الجانب الشرقى من نهر أبى
الخصيب فجلس مجلسا عاما وأمر باحضار قواد المستأمنة ووجوه فرسانهم ورجالتهم من الزنج والبيضان فأدخلوا اليه
فخاطبهم وعرفهم ما كانوا عليه من الضلالة والجهل وانتهاك المحارم وما كان صاحبهم زينه لهم من معاصى الله
سبحانه وان ذلك قد كان أحل له دماءهم وانه قد غفر الزلة وعفا عن العفو وبذل الامان وعاد على من لجأ اليه بالفضل
والاحسان فأجزل الصلات وأسنى الارزاق وألحقهم بالاولياء وأهل الطاعة وان ما كان منه من ذلك يوجب عليهم
حقه وطاعته وانهم لن يأتوا بشىء يتعرضون به لطاعة ربهم والاستدعاء لرضا سلطانهم أولى بهم من الجد فى مجاهدة
الناجم وأصحابه وانهم من الخبرة بمسالك عسكر الناجم ومضايق طرق مدينته والمعاقل التى أعدها للحرب على ما ليس
عليه غيرهم فهم أحرى أن يمحضوه نصحهم ويجتهدوا فى الولوج الى الناجم والتوغل اليه فى حصونه حتى يمكنهم الله منه
ومن أشياعه فاذا فعلوا ذلك فلهم الاحسان والمزيد ومن قصر منهم استدعى من سلطانه اسقاط حاله وتصغير منزلته
ووضع مرتبته فارتفعت أصواتهم جميعا بالدعاء للموفق والاقرار باحسانه وبما هم عليه من صحة الضمائر من السمع
والطاعة والجد فى مجاهدة عدوه وبذل دمائهم ومهجهم فى كل ما يقربهم منه وان ما دعاهم اليه قد قوى منهم ودلهم
على ثقته بهم واحلاله اياهم محل أوليائه وسألوه أن يفردهم ناحية ولا يخلطهم بعسكره ليظهر من حسن جهادهم بين
يديه وخلوص نياتهم فى الحرب ونكايتهم فى العدو ما يعرف به طاعتهم واقلاعهم عما كانوا عليه من جهلهم فأجابهم
الى ذلك وعرفهم حسن ما ظهر له من طاعتهم فخرجوا من عنده مبتهجين بما أجيبوا به من حسن القول وجميل الوعد
قال أبو جعفر ثم استعد أبو أحمد ورتب جيشه ودخل الى عسكر الناجم بشرقى نهر أبى الخصيب فى خمسين ألف مقاتل
من البر والبحر فرسانا ورجالة يكبرون ويهللون ويقرؤن القرآن ولهم ضجيج وأصوات هائلة فرأى الناجم منهم
ما هاله وتلقاهم بنفسه وجيشه وذلك فى ذى القعدة سنة تسع وستين ومائتين واشتبكت الحرب وكثر القتل والجراح
وحامى الزنج عن صاحبهم وأنفسهم أشد محاماة واستماتوا وصبر أصحاب أبى أحمد وصدقوا القتال فمن الله عليهم بالنصر
وانهزم الزنج وقتل منهم خلق عظيم وأسر منهم أسرى كثيرة فضرب أبو أحمد أعناق الاسارى فى المعركة وقصد بنفسه
دار الناجم فوافاها وقد لجأ الناجم اليها ومعه أنجاد أصحابه للمدافعة عنه فلما لم يغنوا شيأ أسلموها وتفرقوا عنها
ودخلها غلمان الموفق وبها بقايا ما كان سلم له من مال وأثاث فأخذوه وانتهبوه وأخذوا حرمه وولده الذكور والاناث
وتخلص الناجم بنفسه ومضى هاربا نحو دار على بن أبان المهلبى لا يلوى على أهل ولا ولد ولا مال وأحرقت داره وحمل أولاده
ونساؤه الى الموفقية فى التوكيل وقصد أصحاب أبى أحمد دار المهلبى وقد لجأ اليها الناجم وأكثر الزنج وتشاغل أصحاب
أبى أحمد بنهب الاموال من دور الزنج فاغتنم الناجم تشاغلهم بالنهب فأمر قواده بانتهاز الفرصة والاكباب عليهم
فخرجوا عليهم من عدة مواضع وخرج عليهم كمناء قد كانوا كمنوهم لهم فكشفوهم واتبعوهم حتى وافوا بهم

نهر

نهر أبى الخصيب فقتلوا من فرسانهم ورجالتهم جماعة وارتجعوا بعض ما كانوا أخذوه من المال والمتاع ثم تراجع
الناس ودامت الحرب الى وقت العصر فرأى أبو أحمد عند ذلك أن يصرف أصحابه فأمرهم بالرجوع فرجعوا على
هدو وسكون كى لا يكون هزيمة حتى دخلوا سفنهم وأحجم الزنج عن اتباعهم وعاد أبو أحمد بالجيش الى مراكزهم قال
أبو جعفر ووافى الى أبى أحمد فى هذا الشهر كاتبه صاعد بن مخلد من سامرا فى عشرة آلاف ووافى اليه لؤلؤ صاحب ابن
طولون وكان اليه أمر الرقة وديار مضر فى عشرة آلاف من نخبة الفرسان وأنجادهم فأمر أبو أحمد لؤلؤا أن يخرج فى
عسكره فيحارب الزنج فخرج بهم ومعه من أصحاب أبى أحمد من يدله على الطرق والمضايق فكانت بين لؤلؤ وبين الزنج
حرب شديدة فى ذى الحجة من هذه السنة استظهر فيها لؤلؤ عليهم وبان من نجدته وشجاعته واقدام أصحابه وصبرهم على
ألم الجراح وثبات قلوبهم ما سر أبا أحمد وملأ قلبه قال أبو جعفر فلما دخلت سنة سبعين ومائتين تتابعت الامداد الى أبى أحمد
من سائر الجهات فوصل اليه أحمد بن دينار فى جمع عظيم من المطوعة من كور الاهواز ونواحيها وقدم بعده من أهل
البحرين جمع كثير من المطوعة زهاء ألفى رجل يقودهم رجل من عبد القيس وورد بعد ذلك زهاء ألف رجل من فارس
ورئيسهم شيخ من المطوعة يكنى أبا سلمة وكان أبو أحمد يجلس لكل من يرد ويخلع عليهم ويقيم لاصحابه الانزال الكثيرة ويصلهم
بالصلات فعظم جيشه جدا وامتلأت بهم الارض وصح عزمه على لقاء الناجم بجميع عسكره فرتب جيوشه وقسمهم
على القواد وأمر كل واحد من القواد أن يقصد جهة من جهات معسكر الناجم عينها له وركب بنفسه وركب جيشه وتوغلوا
فى مسالك شرقى نهر أبى الخصيب ولقيهم الزنج وقد حشدوا واستقبلوا فكانت بينهم وقعة شديدة منحهم الله تعالى فيها أكتاف
الزنج فولوا منهزمين فاتبعهم أصحاب أبى أحمد يقتلون ويأسرون فقتل منهم كثير وغرق كثير وحوى أصحاب أبى أحمد
معسكر الناجم ومدينته وظفروا بعيال على بن أبان المهلبى وداره وأمواله فاحتووا عليها وعبروا أهله وأولاده الى الموفقية
مع كلابهم ومضى الناجم ومعه المهلبى وابنه انكلاى وسليمان بن جامع والهمدانى وجماعة من أكابر القواد عامدين
الى موضع كان الناجم قد أعده لنفسه ملجأ اذا غلب على مدينته وداره فى النهر المعروف بالسفيانى فتقدم أبو أحمد ومعه
لؤلؤ قاصدين هذا النهر لان أبا أحمد دل عليه فأوغل فى الدخول وفقده أصحابه فظنوا أنه رجع فرجعوا كلهم وعبروا
دجلة فى الشذا ظانين أنه عبر راجعا وانتهى أبو أحمد ومعه لؤلؤ قاصدين هذا النهر فاقتحمه لؤلؤ بفرسه وعبر أصحاب
لؤلؤ خلفه ووقف أبو أحمد فى جماعة من أصحابه عند النهر ومضى الناجم هاربا ولؤلؤ يتبعه فى أصحابه حتى انتهى الى
النهر المعروف بالقريرى فوصل اليه لؤلؤ وأصحابه فأوقعوا به وبمن معه فكشفوهم فولوا هاربين حتى عبروا النهر
المذكور ولؤلؤ وأصحابه يطردونهم من ورائهم حتى ألجؤهم الى نهر آخر فعبروه واعتصموا بدحال وراءه فولجوها
وأشرف لؤلؤ وأصحابه عليها فأرسل اليه الموفق ينهاه عن اقتحامها ويشكر سعيه ويأمره بالانصراف فانفرد لؤلؤ
هذا اليوم وأصحابه بهذا الفعل دون أصحاب الموفق فانصرف لؤلؤ محمود الفعل فحمله الموفق معه فى شذاته وجدد له
من البر والكرامة ورفع المنزلة لما كان منه فى أمر الناجم حسبما كان مستحقا له ولهذا نادى أهل بغداد لما أدخل
اليهم رأس الناجم بين يدى أبى العباس ما شئتم قولوا كان الفتح للؤلؤ قال أبو جعفر فجمع الموفق فى غد هذا اليوم
قواده وهو حنق عليهم لانصرافهم عنه وافرادهم اياه وكان لؤلؤ وأصحابه تولوا طلب الناجم دونهم فعنفهم وعذلهم
ووبخهم على ما كان منهم وعجزهم وأغلظ لهم فاعتذروا اليه بما توهموه من انصرافه وانهم لم يعلموا انه قد لج وأوغل فى
طلب الناجم وانهم لو علموا ذلك لاسرعوا نحوه ثم تحالفوا بين يديه وتعاقدوا أن لا يبرحوا فى غد موضعهم اذا توجهوا
نحو الزنج حتى يظفرهم الله تعالى به فان أعياهم ذلك أقاموا حيث انتهى بهم النهار فى أى موضع كان حتى يحكم الله بينهم
وبينه وسألوا الموفق أن يرد السفن الى الموفقية بحيث لا يطمع طامع من العسكر فى الالتجاء اليها والعبور فيها فقبل
أبو أحمد عذرهم وجزاهم الخير عن تنصلهم ووعدهم بالاحسان وأمرهم بالتأهب للعبور ثم عبر بهم على ترتيب ونظام قد
أحكمه وقرره وذلك فى يوم السبت لليلتين خلتا من صفر من سنة سبعين ومائتين وقد كان الناجم عاد من تلك الانهار
الى معسكره بعد انصراف الجيش عنه فأقام به وأمل أن تتطاول به وبهم الايام وتندفع عنه المناجزة فلقيه فى هذا اليوم

سرعان العسكر وهم مغيظون محنقون من التقريع والتوبيخ اللاحقين بهم بالامس فاوقعوا به وباصحابه وقعة شديدة أزالوهم عن مواقفهم فتفرقوا لا يلوى بعضهم على بعض واتبعهم الجيش يقتلون ويأسرون من لحقوا منهم وانقطع الناجم فى جماعة من كماته من قواد الزنج منهم المهلبى وفارقه ابنه انكلانى وسليمان بن جامع فكانا فى أول الامر مجتمعين ثم افترقا فى الهزيمة فصادف سليمان بن جامع قوم من قواد الموفق فحاربوه وهو فى جمع كثيف من الزنج فقتل جماعة من كماته وظفر به فاسر وحمل الى الموفق بغير عهد ولا عقد فاستبشر الناس بأسر سليمان وكثر التكبير والضجيج وايقنوا بالفتح اذ كان أكثر أصحابه غناء واسر بعده ابراهيم بن جعفر الهمدانى وكان من عظماء قواده وأكابر امراء جيوشه واسر نادر الاسود المعروف بالحفار وهو من قدماء قواد الناجم فأمر الموفق بتقييدهم بالحديد وتصييرهم فى شذاة لابى العباس ومعهم الرجال بالسلاح وجد الموفق فى طلب الناجم وأمعن فى نهر أبى الخصيب حتى انتهى الى آخره فبينا هو كذلك اذ أتاه البشير بقتل الناجم فلم يصدق فوافاه بشير آخر ومعه كف زعم انها كفه فقوى الخبر عنده بعض القوة فلم يلبث أن أتاه غلام من غلمان لؤلؤ يركض ومعه رأس الناجم فوضعه بين يديه فعرضه الموفق على من كان حاضرا تلك الحال معه من قواد المستأمنة فعرفوه وشهدوا انه رأس صاحبهم فخر ساجدا وسجد ابنه أبو العباس وسجد القواد كلهم شكرا لله تعالى ورفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير وأمر برفع الرأس على قناة ونصبه بين يديه فرآه الناس وارتفعت الاصوات والضجيج قال أبو جعفر وقد قيل انه لما أحيط بالناجم لم يبق معه من رؤساء أصحابه الا المهلبى فلما علما انهما مقتولان افترقا فوقف الناجم حتى وصل اليه هذا الغلام ومعه جماعة من غلمان لؤلؤ فمانع عن نفسه بسيفه حتى عجز عن الممانعة فاحاطوا به وضربوه بسيوفهم حتى سقط ونزل هذا الغلام فاحتز رأسه وأما المهلبى فانه قصد النهر المعروف بنهر الامير فقذف بنفسه يروم النجاة وقبل ذلك كان ابن الناجم وهو المعروف بانكلانى فارق أباه ومضى يؤم النهر المعروف بالدينارى متحصنا فيه بالادغال والآجام فلم يظفر بهما ذلك اليوم ودل الموفق عليهما بعد ذلك وقيل له ان معهما جمعا من الزنج وجماعة من جلة قوادهم فأرسل غلمانه فى طلبهما وأمرهم بالتضييق عليهما فلما أحاطت الغلمان أيقنوا بهم وان لا ملجأ لهم أعطوا بأيديهم فظفر بهم الغلمان وحملوهم الى الموفق فقتل منهم جماعة وأمر بالاستيثاق من المهلبى وانكلانى بالحديد والرجال الموكلين بهما قال أبو جعفر وانصرف فى هذا اليوم وهو يوم السبت لليلتين خلتا من صفر أبو أحمد من نهر أبى الخصيب ورأس الناجم منصوب بين يديه على قناة فى شذاة يخترق به فى النهر والناس من جانبى النهر ينظرون اليه حتى وافى دجلة فخرج اليها والرأس بين يديه وسليمان بن جامع والهمدانى مصلوبان أحياء فى شذاتين عن جانبيه حتى وافى قصره بالموفقية هذه رواية أبى جعفر وأكثر الناس عليها وذكر المسعودى فى كتاب مروج الذهب ان الناجم ارتث وحمل الى أبى أحمد وهو حى فسلمه الى ابنه أبى العباس وأمر بتعذيبه فجعله كردناجا على النار وجلده ينتفخ ويتفرقع حتى هلك والرواية الاولى هى الصحيحة والذى جعل كردناجا هو قرطاس الذى رمى أبا أحمد بالسهم ذكر ذلك التنوخى فى شواذ المحاضرة قال كان الزنج يصيحون لما رمى أبو أحمد بالسهم وتأخر لعلاج جراحته عن الحرب ملحوه ملحوه أى قدمات وأنتم تكتمون موته فاجعلوه كاللحم المكسود قال وكان قرطاس الرامى لابى أحمد يصيح بابى العباس فى الحرب اذا أخذتنى فاجعلنى كردناجا يهزأ به قال فلما ظفر به أدخل فى دبره سيخا من حديد فاخرجه من فيه وجعله على النار كردناجا قال أبو جعفر ثم تتابع مجىء الزنج الى أبى أحمد فى الامان فحضر منهم فى ثلاثة أيام نحو سبعة آلاف زنجى لما عرفوا قتل صاحبهم ورأى أبو أحمد بذل الامان لهم كى لا يبقى منهم بقية يخاف معرتها فى الاسلام وأهله وانقطعت منهم قطعة نحو ألف زنجى مالت نحو البرفات أكثرها عطشا وظفر الاعراب بمن سلم منهم فاسترقوهم وأقام الموفق بالموفقية بعد قتل الناجم مدة ليزداد الناس بمقامه انسا وأمانا ويتراجع أهل البلاد اليها فقد كان الناجم أجلاهم عنها وقدم ابنه أبا العباس الى بغداد ومعه رأس الناجم فدخلها يوم السبت لاثنتى عشرة ليلة بقين من جمادى الاولى من هذه السنة ورأس الناجم بين يديه على قناة والناس مجتمعون يشاهدونه وقد روى غير أبى جعفر وذكره الأبى فى مجموعه المسمى نثر الدر عن العلاء بن صاعد بن مخلد قال لما حمل رأس صاحب الزنج

ودخل به المعتضد الى بغداد دخل فى جيش لم ير مثله واشتق أسواق بغداد والرأس بين يديه فلما صرنا بباب الطاق صاح قوم من درب من تلك الدروب رحم الله معاوية وزاد حتى علت أصوات العامة بذلك فتغير وجه المعتضد وقال ألا تسمع يا أبا عيسى ما أعجب هذا وما الذى اقتضى ذكر معاوية فى هذا الوقت والله لقد بلغ أبى الى الموت وما أفلت أنا الا بعد مشارفته ولقينا كل جهد وبلاء حتى أنجينا هؤلاء الكلاب من عدوهم وحصنا حرمهم وأولادهم فتركوا أن يترحموا على العباس وعبد الله ابنه ومن ولد من الخلفاء وتركوا الترحم على على بن أبى طالب وحمزة وجعفر والحسن والحسين والله لا برحت أو أوثر فى تأديب هؤلاء أثرا لا يعاودون بعده هذا الفعل مثله ثم أمر بجمع النفاطين ليحرق الناحية فقلت له أيها الامير أطال الله بقاك ان هذا اليوم من أشرف أيام الاسلام فلا تفسده بجهل عامة لا خلاق لهم ولم أزل أداريه وأرفق به حتى سار فاما الذى يرويه الناس من أن صاحب الزنج ملك سواد بغداد ونزل بالمداين وان الموفق أرسل اليه من بغداد عسكرا وأصحبهم دنان النبيذ وأمرهم أن ينهزموا من بين يدى الزنج عند اللقاء ويتركوا اخبيتهم وأثقالهم لينتهبها الزنج وانهم فعلوا ذلك فظفر الزنج فيما ظفروا به من أمتعتهم بتلك الدنان وكانت كثيرة جدا فشربوا تلك الليلة وسكروا وباتوا على غرة فكبسهم الموفق وبيتهم ليلا وهم سكارى فاصاب منهم ما أراد فباطل موضوع لا أصل له والذى بيتهم وهم سكارى فنال منهم نيلا نكيرا البخارى وكان على الاهواز بيت أصحاب على بن أبان فى سنة خمس وستين ومائتين وقد أتاه الخبر بانهم تلك الليلة قد عمل النبيذ فيهم والصحيح انه لم يتجاوز نهبهم ودخولهم البلاد النعمانية هكذا رواه الناس كلهم قال أبو جعفر فاما على بن أبان وانكلانى بن الناجم ومن أسر معهما فانهم حملوا الى بغداد فى الحديد والقد فجعلوا بيد محمد بن عبد الله بن طاهر ومعهم غلام للموفق يقال له فتح السعيدى فكانوا كذلك الى شوال من سنة اثنين وسبعين ومائتين فكانت للزنج حركة بواسط وصاحوا انكلانى يا منصور وكان الموفق يومئذ بواسط فكتب الى محمد ابن عبد الله والى فتح السعيدى يأمرهما بتوجيه رؤس الزنج الذين فى الاسر اليه فدخل فتح السعيدى اليهم فجعل يخرج الاول فالاول فيذبحه على البالوعة كما تذبح الشاة وكانوا خمسة انكلانى ابن الناجم وعلى بن أبان المهلبى وسليمان بن جامع وابراهيم بن جعفر الهمدانى ونادر الاسود وقلع رأس البالوعة وطرحت فيها أبدانهم وسد رأسها ووجه برؤسهم الى الموفق فنصبها بواسط وانقطعت حركة الزنج ويئس منهم ثم كتب الموفق الى محمد بن عبد الله بن طاهر فى جثث هؤلاء الخمسة يأمر بصلبهم بحضرة الجسر فاخرجوا من البالوعة وقد انتفخوا وتغيرت روائحهم وتقشرت جلودهم فصلب اثنان منهم على جانب الجسر الشرقى وثلاثة على الجانب الغربى وذاك لسبع بقين من شوال من هذه السنة وركب محمد بن عبد الله بن طاهر وهو أمير بغداد يومئذ بنفسه حتى صلبوا بحضرته وقد قال الشعراء فى وقائع الزنج فاكثروا كالبحترى وابن الرومى وغيرهما فمن أراد ذلك فليأخذه من مظانه

(الاصل) (مِنْها في وَصْفِ الأَتْرَاكِ) كَأَنِّي أَرَاهُمْ قَوْماً كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ المِجَانُّ المُطْرَقَةُ • يَلْبَسُونَ السَّرَقَ وَالدِّيباجَ • ويَعْتَقِبُونَ الخَيْلَ العِتاقَ • وَيَكُونُ هُنَاكَ اسْتِحْرَارُ قَتْلٍ حَتَّى يَمْشِيَ المَجْرُوحُ على المَقْتُولِ ويَكُونُ المُفْلِتُ أَقَلَّ مِنَ المَأْسُورِ (فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحابِهِ لَقَدْ أُعْطِيتَ يا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ عِلْمَ الغَيْبِ فَضَحِكَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وقالَ لِلرَّجُلِ وَ كانَ كَلْبِيّاً) يا أَخا كَلْبٍ لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْبٍ وَانَّما هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ وَانَّما عِلْمُ الغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ وما عَدَّدَهُ اللهُ سُبْحانَهُ بِقَوْلِهِ (انَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) الآيَةَ فَيَعْلَمُ اللهُ سُبْحانَهُ

ما في الأَرحامِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَقَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ وَسَخِيٍّ أَوْ بَخِيلٍ وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ وَمَنْ يَكُونُ فِي النَّارِ حَطَباً أَوْ فِي الجِنَانِ لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقاً فَهَذَا عِلْمُ الغَيْبِ الَّذِي لاَ يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلاَّ اللهُ وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ اللهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَعَلَّمَنِيهِ وَدَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي وَتَضْطَمَّ عَلَيْهِ جَوَانِحِي

(الشرح) المجان جمع مجن بكسر الميم وهو الترس وانما سمي مجنا لانه يستتر به والجنة السترة والجمع جنن يقال استجن بجنة أي استتر بسترة والمطرقة بسكون الطاء التي قد أطرق بعضها الى بعض أي ضمت طبقاتها فجعل بعضها يتلو بعضا يقال لجاءت الابل مطاريق أي يتلو بعضها بعضا والنعل المطرقة المخصوفة وأطرقت بالجلد والعصب أي ألبست وترس مطرق وطراق النعل ما أطرقت وخرزت به وريش طراق اذا كان بعضه فوق بعض وطارق الرجل بين الثوبين اذا لبس أحدهما على الآخر وكل هذا يرجع الى مفهوم واحد وهو مظاهرة الشيء بعضه بعضا ويروى المجان المطرقة بتشديد الراء أي كالترسة المتخذة من حديد مطرق بالمطرقة والسرق شقق الحرير وقيل لا تسمى سرقا لا اذا كانت بيضا الواحدة سرقة ويعتقبون الخيل أي يجنبونها لينتقلوا من غيرها اليها واستحرار القتل شدته استحر وحر بمعنى قال ابن الزبعرى

حيث ألقت بقباء بركها * واستحر القتل في عبد الاشل

والمفلت الهارب يقول عليه السلام ان الامور المستقبلة على قسمين أحدهما ما انفرد الله تعالى بعلمه ولم يطلع عليه أحدا من خلقه وهي الامور الخمسة المعدودة في الآية المذكورة ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت والقسم الثاني ما يعلمه الله بعض البشر باعلام الله تعالى اياه وهو ما عدا هذه الخمسة والاخبار بملحمة الاتراك من جملة ذلك وتضطم عليه جوانحي تفتعل من الضم وهو الجمع أي يجتمع عليه جوانح صدري ويروى جوارحي وقد روى ان انسانا قال لموسى بن جعفر عليه السلام اني رأيت الليلة في منامي اني سألتك كم بقي من عمري فرفعت يدك اليمنى وفتحت أصابعها في وجهي مشيرا الي فلم أعلم خمس سنين أم خمسة أشهر أم خمسة أيام فقال ولا واحدة منهن بل ذاك اشارة الى الغيوب الخمسة التي استأثر الله تعالى بها في قوله ان الله عنده علم الساعة الآية فان قلت لم ضحك عليه السلام لما قال له الرجل لقد أوتيت علم الغيب وهل هذا الازهو في النفس وعجب بالحال قلت قد روى أن رسول الله صلى الله عليه وآله ضحك في مناسب هذه الحال لما استسقى فسقى وأسرف درور المطر فقام اليه الناس فسألوه أن يسأل الله تعالى أن يحبسه عنهم فدعا وأشار بيده الى السحاب فانجاب حول المدينة كالاكليل وهو عليه السلام يخطب على المنبر فضحك حتى بدت نواجذه وقال أشهد أني رسول الله صلى الله عليه وآله وسر هذا الامر أن النبي أو الولي اذا تحدث عنده نعمة الله سبحانه أو عرف الناس وجاهته عند الله فلا بد أن يسر بذلك وقد يحدث الضحك من السرور وليس ذلك بمذموم اذا خلا من التيه والعجب وكان محض السرور والابتهاج وقد قال تعالى في صفة أوليائه فرحين بما آتاهم الله من فضله فان قلت فان من جملة الخمسة وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وقد أعلم الله تعالى نبيه بامور يكسبها في غده نحو قوله ستفتح مكة وأعلم نبيه ووصيه عليه السلام بما يكسبه في غده نحو قوله له ستقتل بعدي الناكثين الخبر قلت المراد بالآية انه لا تدري نفس جميع ما تكسبه في مستقبل زمانها وذلك لا ينفي جواز أن يعلم الانسان بعض ما يكسبه في مستقبل زمانه واعلم ان هذا الغيب الذي أخبر عليه السلام عنه قد رأيناه نحن عيانا ووقع في زماننا وكان الناس ينتظرونه من اول الاسلام حتى ساقه القضاء والقدر الى عصرنا وهم التتار الذين خرجوا من أقاصي المشرق حتى وردت خيلهم العراق والشام وفعلوا بملوك الخطا وقفجاق وبلاد ما وراء النهر وبخراسان وما والاها من بلاد العجم ما لم تحتو التواريخ منذ خلق الله تعالى آدم الى عصرنا هذا على مثله فان بابك الخرمي لم تكن نكايته وان طالت مدته نحو عشرين

سنة

سنة الا في أقليم واحد وهو اذربيجان وهؤلاء دوخوا المشرق كله وتعدت نكايتهم الى بلاد ارمينية والى الشام ووردت خيلهم الى العراق وبخت نصر الذي قتل اليهود انما أخرب بيت المقدس وقتل من كان بالشام من بني اسرائيل وأي نسبة بين من كان بالبيت المقدس من بني اسرائيل الى البلاد والامصار التي أخربها هؤلاء والى الناس الذين قتلوهم من المسلمين وغيرهم ونحن نذكر طرفا من اخبارهم وابتداء ظهورهم على سبيل الاختصار فنقول انا على كثرة اشتغالنا بالتواريخ وبالكتب المتضمنة أصناف الامم لم نجد ذكر هذه الامة أصلا ولكنا وجدنا ذكر أصناف الترك من القفجاق والتمك والبرلو والتغرية واليمنية والروس والخطا والغرغر والتركمان ولم يمر بنا في كتاب ذكر هذه الامة سوى كتاب واحد وهو كتاب مروج الذهب للمسعودي فانه ذكرهم هكذا بهذا اللفظ التتر والناس اليوم يقولون التتار بالف وهذه الامة كانت في أقاصي بلاد المشرق في جبال طمغاج من حدود الصين وبينهم وبين بلاد الاسلام التي ماوراء النهر ما يزيد على مسيرة ستة أشهر وقد كان خوارزمشاه وهو محمد بن تكش استولى على بلاد ماوراء النهر وقتل ملوكها من الخطا الذين كانوا ببخارى وسمرقند وبلاد تركستان نحو كاشغر وبلاساغون وافناهم وكانوا حجابا بينه وبين هذه الامة وشحن هذه البلاد بقواده وجنوده وكان في ذلك غالطا لان ملوك الخطا كانوا وقاية له ومجنا من هؤلاء فلما افناهم صار هو المتولي لحرب هؤلاء أو سلمهم فاساء قواده وامراؤه الذين بتركستان السيرة معهم وسدوا طرق التجارة عنهم فانتدبت منهم طائفة نحو عشرين ألفا مجتمعة كل بيت منها له رئيس مفرد فهم متساندون وخرجوا الى بلاد تركستان فاوقعوا بقواد خوارزمشاه وعماله هناك وملكوا البلاد وتراجع من بقي من عسكر خوارزمشاه وسلم من سيف التتار الى خوارزمشاه فاغضى على ذلك ورأى ان سعة ملكه تمنعه عن مباشرة حربهم بنفسه وان غيره من قواده لا يقوم مقامه في ذلك وترك لهم بلاد تركستان واستقر الامر على ان تركستان لهم وما عداها من بلاد ماوراء النهر كسمرقند وبخارى وغيرهما لخوارزمشاه فمكثوا كذلك نحو أربع سنين ثم ان المعروف بجنكزخان والناس يلفظون به بالراء وذكر لي جماعة من أهل المعرفة باحوال التتر انه جنكز بالزاي المعجمة عن له رأي في النهوض الى بلاد تركستان وذلك ان جنكزخان هذا هو رئيس التتار الاقصين في المشرق وابن رئيسهم وما زال سلفه رؤساء تلك الجهة وكان شجاعا عاقلا موفقا منصورا في الحرب وانما عن له هذا الرأي لانه رأى ان طائفة من التتار لا ملك لهم وانما يقوم بكل فرقة منهم مدبر لها من أنفسها قد نهضت فملكت بلاد تركستان على جلالتها فاغار من ذلك وأراد الرياسة العامة لنفسه وأحب الملك وطمع في البلاد فنهض بمن معه من أقاصي الصين حتى صار الى حدود أعمال تركستان فحاربه التتار الذين هناك ومنعوه عن تطرق البلاد فلم يكن لهم به طاقة وهزمهم وقتل كثيرا منهم وملك بلاد تركستان باجمعها وصار كالمجاور لبلاد خوارزمشاه وان كان بينهما مسافة بعيدة وصار بينه وبين خوارزمشاه سلم ومهادنة الا انها مهادنة على دخن فمكثت الحال على ذلك يسيرا ثم فسدت بما كان يصل الى خوارزمشاه على ألسنة التجار من الاخبار وان جنكزخان على عزم النهوض الى سمرقند وما يليها وانه في التأهب والاستعداد فلو داراه لكان أولى له لكنه شرع فسد طرق التجار القاصدين اليهم فتعذرت عليهم الكسوات ومنع عنهم الميرة والاقوات التي تجلب وتحمل من أعمال ماوراء النهر الى تركستان فلو اقتنع بذلك لكان قريبا لكنه أنهى اليه نائبه بالمدينة المعروفة باوتران وهي آخر ولايته مما وراء النهر ان جنكزخان قد سير جماعة من تجار التتار ومعهم شيء عظيم من الفضة الى سمرقند ليشتروا له ولاهله وبني عمه كسوة وثيابا وغير ذلك فبعث اليه خوارزمشاه يأمره بقتل اولئك التجار وأخذ ما معهم من الفضة وانفاذها اليه فقتلهم وسير اليه الفضة وكان ذلك شيأ كثيرا جدا ففرقه خوارزمشاه على تجار سمرقند وبخارى وأخذ ثمنه منهم لنفسه ثم علم انه قد أخطأ فارسل الى نائبه باوتران يأمره ان ينفذ جواسيس من عنده اليهم ليخبروه بعدتهم فمضت الجواسيس وسلكت مفاوز وجبالا كثيرة وعادوا اليه بعد مدة فاخبروه بكثرة عددهم وانهم لا يبلغهم الاحصاء ولا يدركهم وانهم من أصبر الناس على القتال لا يعرفون الفرار ويعملون ما يحتاجون اليه من السلاح بايديهم وان خيلهم لا تحتاج الى الشعير بل تأكل نبات الارض وعروق المراعي وأن عندهم من الخيل والبقر ما لا يحصى وانهم يأكلون الميتة والكلاب

والخناز بروهم أصبر خلق الله على الجوع والعطش والشقاء وثيابهم من أخشن الثياب مسا ومنهم من يلبس جلود الكلاب والدواب الميتة وانهم أشبه شئ بالوحش والسباع فانهى ذلك كله الى خوارزمشاه فندم على قتل أصحابهم وعلى خرق الحجاب بينه وبينهم وأخذه الهم وغلب عليه الفكر والوجل فاحضر الشهاب الخيوفى وهو فقيه فاضل كبير المحل عنده لا يخالف مايشير به فقال له قد حدث أمر عظيم لابد من الفكر فيه واجالة الرأى فيما نفعل وذلك انه قد تحرك الينا خصم من الترك فى عدد لا يحصى فقال له عساكرك كثيرة وتكاتب الاطراف وتجمع الجنود ويكون من ذلك نفير عام فانه يجب على المسلمين كافة مساعدتك بالاموال والرجال ثم تذهب بجميع العساكر الى جانب سيحون وهو نهر كبير يفصل بين بلاد الترك وبين بلاد خوارزمشاه فتكون هناك فاذا جاء العدو وقد سار مسافة بعيدة لقيناه ونحن جامون مستريحون وقد مسه وعساكره النصب واللغوب فجمع خوارزمشاه امراءه ومن عنده من أرباب المشورة فاستشارهم فقالوا لا بل الرأى ان نتركهم ليعبروا سيحون الينا ويسلكوا هذه الجبال والمضايق فانهم جاهلون بطرقها ونحن عارفون بها فنظهر عليهم ونهلكهم عن آخرهم فكانوا على ذلك حتى وصل رسول من جنكزخان ومعه جماعة يتهدد خوارزمشاه ويقول تقتل أصحابى وتجارى وتأخذ مالى منهم استعد للحرب فانى واصل اليك بجمع لاقبل لك به فلما أدى هذه الرسالة الى خوارزمشاه أمر بقتل الرسول فقتل وحلق لحى الجماعة الذين كانوا معه وأعادهم الى صاحبهم جنكزخان ليخبروه بما فعل بالرسول ويقولون له ان خوارزمشاه يقول لك انى سائر اليك ولا حاجة لك ان تسير الى فلو كنت فى آخر الدنيا لطلبتك حتى أقتلك وأفعل بك وبأصحابك مافعلت برسلك وتجهز خوارزمشاه وسار بعد نفوذ الرسول مبادرا ليسبق خبره ويكبس التتار على غرة فقطع مسيرة أربعة أشهر فى شهر واحد ووصل الى بيوتهم وخركاواتهم فلم ير فيها الا النساء والصبيان والاثقال فاوقع بهم وغنم الجميع وسبى النساء والذرية وكان سبب غيبوبة التتار عن بيوتهم انهم ساروا الى محاربة ملك من ملوك الترك يقال له كشلوخان فقاتلوه فهزموه وغنموا أمواله وعادوا فلقيهم الخبر فى طريقهم بما فعل خوارزمشاه بمخلفيهم فاغذوا السير فادركوه وهو على الخروج من بيوتهم بعد فراغه من الغنيمة فواقعوه وتصافوا للحرب ثلاثة أيام بلياليها لا يفترون نهارا ولا ليلا فقتل من الفريقين مالا يعد ولم ينهزم منهم احد أما المسلمون فصبروا حمية للدين وعلموا انهم ان انهزموا لم يبق للاسلام باقية ثم انهم لا ينجون بل يؤخذون ويؤسرون لبعدهم عن بلاد يمتنعون بها وأما التتار فصبروا لاستنقاذ أموالهم وأهلهم واشتد الخطب بين الطائفتين حتى ان أحدهم كان ينزل عن فرسه ويقاتل قرنه راجلا مضاربة بالسكاكين وجرى الدم على الارض حتى كانت الخيل تزلق فيه لكثرته ولم يحضر جنكزخان بنفسه هذه الوقعة وانما كان فيها قاآن ولده فاحصى من قتل من المسلمين فكانوا عشرين ألفا ولم يحص عدة من قتل من التتار فلما جاءت الليلة الرابعة افترقوا فنزل بعضهم مقابل بعض فلما أظلم الليل أوقد التتار نيرانهم وتركوها بحالها وساروا راجعين الى جنكزخان ملكهم وأما المسلمون فرجعوا ومعهم محمد خوارزمشاه فلم يزالوا سائرين حتى وافوا بخارى وعلم خوارزمشاه انه لا طاقة له بجنكزخان لان طائفة من عسكره لم يلقوا خوارزمشاه بجميع عساكره بهم فكيف اذا احتشدوا وجاؤا من بكرة أبيهم وملكهم جنكزخان بينهم فاستعد للحصار وأرسل الى سمرقند يأمر قواده المقيمين بها بالاستعداد للحصار وجمع الذخائر للامتناع والمقام من وراء الاسوار وجعل فى بخارى عشرين ألف فارس يحمونها وفى سمرقند خمسين ألفا وتقدم اليهم بحفظ البلاد حتى يعبر هو الى خوارزم وخراسان فيجمع العساكر ويستنجد بالمسلمين والغزاة المطوعة ويعود اليهم ثم رحل الى خراسان فعبر جيحون وكانت هذه الوقعة فى سنة ست عشرة وستمائة فنزل بالقرب من بلخ فعسكر هناك واستنفر الناس وأما التتار فانهم رحلوا بعد ان استعدوا يطلبون بلاد ماوراء النهر فوصلوا الى بخارى بعد خمسة أشهر من رحيل خوارزمشاه عنها وحصروها فقاتلوا العسكر المرابط بها ثلاث أيام قتالا متتابعا فلم يكن للعسكر الخوارزمى بهم قوة ففتحوا أبواب المدينة ليلا وخرجوا بأجمعهم عائدين الى خراسان فاصبح أهل بخارا وليس عندهم من العسكر أحد

أصلا فضعفت نفوسهم فارسلوا قاضى بخارى ليطلب الامان للرعية فأعطاه التتار الامان وقد كان بقى فى قلعة بخارى خاصة طائفة من عسكر خوارزمشاه معتصمون بها فلما رأى أهل بخارى بذلهم للامان فتحوا أبواب المدينة وذلك فى رابع ذى الحجة من سنة ست عشرة وستمائة فدخل التتار بخارى ولم يتعرضوا لاحد من الرعية بل قالوا لهم كل مالخوارزمشاه عندكم من وديعة أو ذخيرة أخرجوه الينا وساعدونا على قتال من بالقلعة ولا بأس عليكم وأظهروا فيهم العدل وحسن السيرة ودخل جنكزخان بنفسه الى البلد وأحاط بالقلعة ونادى مناديه فى البلد ان لا يتخلف احد ومن تخلف قتل فحضر الناس بأسرهم فأمرهم بطم الخندق فطموه بالاخشاب والاحطاب والتراب ثم زحفوا نحو القلعة وكان عدة من بها من الجند الخوارزمية اربعمائة انسان فبذلوا جهدهم ومنعوا القلعة عشرة أيام الى ان وصل النقابون الى سور القلعة فنقبوه ودخلوا القلعة فقتلوا كل من بها من الجند وغيرهم فلما فرغوا منها أمر جنكزخان ان يكتب له وجوه البلد ورؤساؤهم ففعل ذلك فلما عرضوا عليه أمر باحضارهم فاحضروا فقال لهم أريد منكم الفضة النقرة التى باعها اياكم خوارزمشاه فانها لى ومن أصحابى أخذت فكان كل من عنده شئ منها يحضره فلما فرغ من ذلك أمرهم بالخروج عن البلد بانفسهم خاصة فخرجوا مجردين عن أموالهم ليس مع كل واحد منهم الا ثيابه التى على جسده فامر بقتلهم فقتلوا عن آخرهم وأمر حينئذ بنهب البلد فنهب كل من فيه وسبيت النساء والاطفال وعذبوا الناس بانواع العذاب فى طلب المال ثم رحلوا عنه نحو سمرقند وقد تحققوا عجز خوارزمشاه عنهم واستصحبوا معهم من سلم من أهل بخارى أسارى مشاة على أقبح صورة وكل من اعيا وعجز عن المشى قتلوه فلما قاربوا سمرقند قدموا الخيالة وتركوا الرجالة والاسارى والاثقال وراءهم حتى يتلاحقوا بهم شيأ فشيأ ليرعبوا قلوب أهل البلد فلما رأى أهل سمرقند سوادهم استعظموهم فلما كان اليوم الثانى وصل الاسارى والرجالة والاثقال ومع كل عشرة من الاسارى علم فظن أهل البلدان الجميع عسكر مقاتلة فاحاطوا بسمرقند وفيها خمسون ألفا من الخوارزمية ومالا يحصى كثرة من عوام البلد فجبن العسكر الخوارزمى عن الخروج اليهم وخرجت العامة بالسلاح فاطمعهم التتار فى أنفسهم وقهقروا عنهم وقد كمنوا لهم كمناء فلما جاوزوا الكمين خرج عليهم من ورائهم وشد عليهم من ورائهم جمهور التتار فقتلوهم عن آخرهم فلما رأى من تخلف بالبلد ذلك ضعفت قلوبهم وخيلت للجند الخوارزمى أنفسهم انهم ان استأمنوا الى التتار ابقوا عليهم للمشاكلة فى جنسية التركية فخرجوا بأموالهم وأهليهم اليهم مستأمنين فأخذوا أسلحتهم وخيلهم ثم وضعوا السيف فيهم فقتلوهم كلهم ثم نادوا فى البلد برئت الذمة ممن لم يخرج ومن خرج فهو آمن فخرج الناس اليهم باجمعهم فاحتاطوا عليهم ووضعوا فيهم السيف وعذبوا الاغنياء منهم واستصفوا أموالهم ودخلوا سمرقند فأخربوها ونقضوا دورها وكانت هذه الوقعة فى المحرم سنة سبع عشرة وستمائة وكان خوارزمشاه مقيما بمنزله الاول كلما اجتمع له جيش سيره الى سمرقند فيرجع ولا يقدم على الوصول اليها فلما قضوا وطرا من سمرقند سير جنكزخان عشرين ألف فارس وقال لهم اطلبوا خوارزمشاه اين كان ولو تعلق بالسماء حتى تدركوه وتأخذوه وهذه الطائفة تسميها التتار المغربة لانها سارت نحو غرب خراسان وهم الذين أوغلوا فى البلاد ومقدمهم جرماغون نسيب جنكزخان وحكى ان جنكزخان كان قد أمر على هذا الجيش ابن عم له شديد الاختصاص به يقال له منكلى نوين وأمره بالجد وسرعة المسير فلما ودعه عطف منكلى نوين هذا فدخل الى خركاة فيها امرأة له كان يهواها ليودعها فاتصل ذلك بجنكزخان فصرفه فى تلك الساعة عن امارة الجيش وقال من يثنى عزمه امرأة لا يصلح لقيادة الجيوش ورتب مكانه جرماغون فساروا وقصدوا من جيحون موضعا يسمى بنج آب خمس مياه وهو يمنع العبور فلم يجدوا به سفنا فعملوا من الخشب مثل الاحواض الكبار ولبسوه جلود البقر ووضعوا فيه اسلحتهم واقحموا خيولهم الماء وأمسكوا باذنابها وتلك الاحواض مشدودة اليها فكان الفرس يجذب الرجل والرجل يجذب الحوض فعبروا كلهم ذلك الماء دفعة واحدة فلم يشعر خوارزمشاه بهم الا وهم معه على أرض واحدة وكان جيشه قد ملئ رعبا منهم فلم يقدروا على الثبات فتفرقوا أيدى سبا وطلب كل فريق منهم جهة ورحل خوارزمشاه فى نفر من خواصه لا يلوى على شئ وقصد نيسابور فلما دخلها اجتمع عليه بعض عسكره فلم يستقر

حتى وصل جرماغون اليه وكان لا يتعرض فى مسيره بنهب ولا قتل بل يطوى المنازل طيا يطلب خوارزم شاه ولا يمهله
ليجمع عسكرا فلما عرف قرب التتار منه هرب من نيسابور الى مازندران فدخلها ورحل جرماغون خلفه ولم يعرج
على نيسابور بل قصد مازندران فخرج خوارزم شاه عنها فكان كلما رحل عن منزل نزله التتار حتى وصل الى بحر
طبرستان فنزل هو وأصحابه فى سفن ووصل التتار فلما عرفوا نزوله البحر رجعوا وأيسوا منه وهؤلاء الذين ملكوا
عراق العجم واذربيجان فاقاموا بناحية تبريز الى يومنا هذا ثم اختلف فى أمر خوارزم شاه فقوم يحكون انه أقام بقلعة له
فى بحر طبرستان منيعة فتوفى بها وقوم يحكون انه غرق فى البحر وقوم يحكون انه غرق ونجا عريانا فصعد الى قرية
من قرى طبرستان فعرفه أهلها فجاؤا وقبلوا الارض بين يديه وأعلموا عاملهم به فجاء اليه وخدمه فقال له خوارزم شاه
احملنى فى مركب الى الهند فحمله الى شمس الدين ايلتمش ملك الهند وهو نسيبه من جهة زوجته والدة منكبونى بن
خوارزم شاه الملك جلال الدين فانها هندية من أهل بيت الملك فيقال انه وصل الى ايلتمش وقد تغير عقله مما اعتراه من
خوف التتار أولا مر سلطه الله تعالى عليه فكان يهذى بالتتار بكرة وعشية وكل وقت وكل ساعة ويقول هو ذا هم قد
خرجوا من هذا الباب قد هجموا من هذه الدرجة ويرعد ويحول لونه ويختل كلامه وحركاته وحكى لى فقيه خراسانى
وصل الى بغداد يعرف بالبرهان قال كان أخى معه وكان ممن يثق خوارزم شاه به ويختصه قال لهج خوارزم شاه لما تغير عقله
بكلمة كان يقولها قرا تتر كلدى يكررها وتفسيرها التتر السود قد جاؤا وفى التتر صنف سود يشبهون الزنج لهم سيوف
عريضة جدا على غير صورة هذه السيوف يأكلون لحوم الناس فكان خوارزم شاه قد أهتر وأغرى بذكرهم وحدثنى
البرهان قال رقى به شمس الدين ايلتمش الى قلعة من قلاع الهند حصينة عالية شاهقة لا يعلوها الغيم أبدا وانما تمطر السحب
من تحتها وقال له هذه القلعة لك وذخائرها أموالك فكن فيها وادعا آمنا الى أن يستقيم طالعك فالملوك ما زالوا هكذا يدبر
طالعهم ثم يقبل فقال له لا أقدر على الثبات فيها والمقام بها الآن التتر سوف يطلبونى ويقدمون الى ههنا ولو شاؤا لوضعوا
سروج خيلهم واحدا على واحد تحت القلعة فبلغت الى ذروتها وصعدوا عليها فأخذونى قبضا باليد فعلم ايلتمش أن عقله
قد تغير وان الله تعالى قد بدل بأسه من نعمة فقال فما الذى تريد قال أريد أن تحملنى فى البحر المعروف ببحر المعبر الى
كرمان فحمله فى نفر يسير من مماليكه الى كرمان ثم خرج منها الى أطراف بلاد فارس فمات هناك فى قرية من قرى فارس
وأخفى موته لئلا يقصده التتر وتطلب جثته وجملة الامر ان حاله مشتبهة ملتبسة لم يتحقق على يقين وبقى الناس بعد هلاكه
نحو سبع سنين ينتظرونه ويذهب كثير منهم الى انه حى مستتر الى أن ثبت عند الناس كافة انه هلك فاما جرماغون فانه
لما يئس من الظفر بخوارزم شاه عاد من ساحل البحر الى مازندران فملكها فى أسرع وقت مع حصانتها وصعوبة
الدخول اليها وامتناع قلاعها فانها لم تزل ممتنعة على قديم الوقت حتى ان المسلمين لما ملكوا البلاد الا كاسرة من العراق
الى أقصى خراسان بقيت أعمال مازندران بحالها تؤدى الخراج ولا يقدر المسلمون على دخولها الى أيام سليمان بن
عبد الملك ولما ملكت التتار مازندران قتلوا فيها ونهبوا وسلبوا ثم سلكوا نحو الرى فصادفوا فى الطريق والدة خوارزم
شاه ونساءه ومعهن أموال بيت خوارزم شاه وذخائرهم التى ما لا يسمع بمثلها من الاعلاق النفيسة وهن قاصدات نحو
الرى ليعتصمن ببعض القلاع المنيعة فاستولى التتار عليهن وعلى ما معهن بأسره وسيروه كله الى جنكزخان بسمرقند
وصمدوا وصمد الرى وقد كان اتصل بهم أن محمدا خوارزم شاه قصدها كما يتسامع الناس بالاراجيف الصحيحة والباطلة
فوصلوها على حين غفلة من أهلها فلم يشعر بهم عسكر الرى الا وقد ملكوها ونهبوها وسبوا الحرم واسترقوا الغلمان
وفعلوا كل قبيح منكر فيها ولم يقيموا بها ومضوا مسرعين فى طلب خوارزم شاه فنهبوا فى طريقهم ما مروا به من المدن
والقرى وأحرقوا وخربوا وقتلوا الذكران والاناث ولم يبقوا على شئ وقصدوا نحو همدان فخرج اليهم رئيسها ومعه
أموال جليلة قد جمعها من أهل همدان عينا وعروضا وخيلا وطلب منهم الامان لاهل البلد فأمنوهم ولم يعرضوا لهم
وساروا الى زنجان واستباحوها والى قزوين فاعتصم أهلها منهم بقصبة مدينتهم فدخلوها بالسيف عنوة وقاتلهم أهلها
قتالا شديدا بالسكاكين وهم معتادون بقتال السكين من حروبهم مع الاسماعيلية فقتل من الفريقين ما لا يحصى

و يقال

و يقال ان القتلى بلغت أربعين ألفا من أهل قزوين خاصة ثم هجم على التتار البرد الشديد والثلج المتراكم فساروا الى
اذربيجان فنهبوا القرى وقتلوا من وقف بين أيديهم وأخربوا وأحرقوا حتى وصلوا الى تبريز وبها صاحب اذربيجان
أزبك بن البهلوان بن ايلدكز فلم يخرج اليهم ولا حدث نفسه بقتالهم لاشتغاله بما كان عليه من اللهو وادمان الشرب
ليلا ونهارا فارسل اليهم وصالحهم على مال وثياب ودواب وحمل الجميع اليهم فساروا من عنده يطلبون ساحل البحر
لانه مشتى صالح لهم والمراعى به كثيرة فوصلوا الى موقان وهى المنزل الذى نزلته الخرمية فى أيام المعتصم وقد ذكره
الطائيان فى أشعارهما فى غير موضع والناس اليوم يقولون بالغين المعجمة عوض القاف وقد كانوا تطرقوا فى طريقهم
بعض أعمال الكرج فخرج اليهم منهم عشرة آلاف مقاتل فحاربوهم وهزموهم وقتلوا أكثرهم فلما استقروا
بموقان راسلت الكرج أزبك بن البهلوان فى الاتفاق على حربهم وراسلوا موسى بن أيوب المعروف بالاشرف وكان
صاحب خلاط وارمينية بمثل ذلك وظنوا انهم يصبرون الى أيام الربيع وانحسار الثلوج فلم يصبروا وساروا من موقان فى
صميم الشتاء نحو بلاد الكرج فخرجت اليهم الكرج واقتتلوا اقتتالا شديدا فلم يثبتوا للتتار وانهزموا أقبح هزيمة وقتل
منهم من لا يحصى فكانت هذه الوقعة فى ذى الحجة من سنة سبع عشرة وستمائة ثم توجهوا الى المراغة فى أول سنة ثمانى
عشرة فملكوها فى صفر وكانت لامرأة من بقايا ملوك المراغة تدبرها هى ووزراؤها فنصبوا عليها المجانيق وقدموا
أسارى المسلمين بين أيديهم وهذه عادتهم يتترسون بهم فى الحروب فيصيبهم حدها ويسلمون هم من مضرتها فملكوها
عنوة ووضعوا السيف فى أهلها ونهبوا ما يصلح لهم وأحرقوا ما لا يصلح لهم وخذل الناس عنهم حتى كان الواحد منهم يقتل بيده
مائة انسان والسيوف فى أيديهم لا يقدر أحد منهم أن يحرك يده بسيفه نحو ذلك التترى خذلانا صب على الناس وأمر
سماوى اقتضاه ثم عادوا الى همدان فطالبوا أهلها بمثل المال الذى بذلوه لهم فى الدفعة الاولى فلم يكن فى الناس فضل
لذلك لانه كان عظيما جدا فقام الى رئيس همدان جماعة من أهلها وأسمعوه كلاما غليظا فقالوا أفقرتنا أولا وتريد أن
تستأصلنا دفعة ثانية ثم لا بد للتتار أن يقتلونا فدعنا نجاهدهم بالسيف ونموت كراما ثم وثبوا على شحنة كان للتتار بهمدان
فقتلوه واعتصموا بالبلد فحصرهم التتار فيه فقلت عليهم الميرة وعدمت الاقوات وأضر ذلك باهل همدان ولم ينل التتار
مضرة من عدم القوت لانهم لا يأكلون الا اللحم والخيل معهم كثيرة ومعهم غنم عظيمة يسوقونها حيث شاؤا وخيلهم
لا تأكل الشعير ولا تأكل الا نبات الارض تحفر بحوافرها الارض عن العروق فتأكلها فاضطر رئيس همدان
وأهلها الى الخروج اليهم فخرجوا والتحمت الحرب بينهم أياما وفقد رئيس همدان هرب فى سرب قد كان أعده الى
موضع اعتصم به ظاهر البلد ولم يعلم حقيقة حاله فتحير أهل همدان بعد فقده ودخلوا المدينة واجتمعت كلمتهم على
القتال فى قصبة البلد الى أن يموتوا وكان التتار قد عزموا على الرحيل عنهم لكثرة من قتل منهم فلما لم يروا أحدا يخرج
اليهم من البلد طمعوا واستدلوا على ضعف أهله فقصدوهم وقاتلوهم وذلك فى شهر رجب من سنة ثمان عشرة وستمائة
ودخلوا المدينة بالسيف وقاتلهم الناس فى الدروب وبطل السلاح للازدحام واقتتلوا بالسكاكين فقتل من الفريقين
ما لا يحصى وظهر التتار على المسلمين فأفنوهم قتلا ولم يسلم منهم الا من كان له نفق فى الارض يستخفى فيه ثم ألقوا النار
فى البلد فأحرقوها ورحلوا الى مدينة اردبيل وأعمال اذربيجان فملكوا اردبيل وقتلوا فيها فأكثروا ثم ساروا الى
تبريز وكان بها شمس الدين عثمان الطغرائى قد جمع كلمة أهلها بعد مفارقة صاحب اذربيجان أزبك بن البهلوان للبلاد
خوفا من التتار ومقامه بنقجوان فقوى الطغرائى نفوس الناس على الامتناع وحذرهم عاقبة التخاذل وحصن البلد
فلما وصل التتار ورأوا اجتماع كلمة المسلمين وحصانة البلد طلبوا منهم مالا وثيابا فاستقر الامر بينهم على شئ معلوم
فسيروه اليهم فلما أخذوه رحلوا الى بيلقان فقاتلهم أهلها فملكها التتار فى شهر رمضان من هذه السنة ووضعوا فيهم
السيف حتى أفنوهم أجمعين ثم ساروا الى مدينة كنجة وهى أم بلاد اران وأهلها ذوو شجاعة وبأس وجلد لمقاومتهم
الكرج وتدربهم بالحرب فلم يقدر التتار عليهم وأرسلوا اليهم يطلبون مالا وثيابا فأرسلوه اليهم فساروا عنهم فقصدوا
الكرج وقد أعدوا لهم فلما صافوهم هرب الكرج وأخذهم السيف فلم يسلم الا الشريد ونهبت بلادهم وأخربت ولم

يوغل التتار فى بلاد الكرج لكثرة مضايقها ودربندها فقصدوا دربند شروان فحصروا مدينة شماخى وصعدوا
سورها فى السلالم وملكوا البلد بعد حرب شديد وقتلوا فيه فأكثروا فلما فرغوا أرادوا عبور الدربند فلم يقدموا
عليه فأرسلوا الى شروان شاه ملك الدربند فطالبوه بانفاذ رسول يسعى بينه وبينهم فى الصلح فأرسل اليهم عشرة من
ثقاته فلما وصلوا اليهم جمعوهم ثم قتلوا واحدا منهم بحضور الباقين وقالوا للتسعة ان أنتم عرفتمونا طريقا نعبر فيه فلكم
الامان والا قتلناكم كما قتلنا صاحبكم فقالوا لهم لا طريق فى هذا الدربند ولكن نعرفكم موضعا هو أسهل المواضع
لعبور الخيل وساروا بين أيديهم اليه فعبروا الدربند وتركوه وراء ظهورهم وساروا فى تلك البلاد وهى مملوءة من طوائف
مختلفة منهم اللان واللكز وأصناف من الترك فنهبوها وقتلوا الكثير من ساكنيها ورحلوا الى اللان وهم أمم
كثيرة وقد وصلهم خبرهم وجمعوا وحذروا وانضاف اليهم جموع من قفجاق فقاتلوهم فلم يظفر أحد العسكرين بالآخر
فأرسل التتار الى قفجاق أنتم اخواننا وجنسنا واحد واللان ليسوا من جنسكم لتنصروهم ولا دينهم دينكم ونحن
نعاهدكم ان لا نعرض لكم ونحمل اليكم من المال والثياب ما يستقر بيننا وبينكم على أن تنصرفوا الى بلادكم فاستقر
الامر بينهم على مال وثياب حملها التتار اليهم وفارقت قفجاق اللان فأوقع التتار باللان فقتلوهم ونهبوا أموالهم
وسبوا نساءهم فلما فرغوا منهم ساروا الى بلاد قفجاق وهم آمنون متفرقون لما استقر بينهم وبين التتار من الصلح فلم
يشعروا بهم الا وقد طرقوهم ودخلوا بلادهم فأوقعوا بهم الاول فالاول وأخذوا منهم أضعاف ما حملوا اليهم وسمع ما كان
بعيد الدار من قفجاق بما جرى ففروا من غير قتال فأبعدوا فبعضهم بالغياض وبعضهم بالجبال وبعضهم لحقوا ببلاد
الروس وأقام التتار فى بلاد قفجاق وهى أرض كثيرة المراعى فى الشتاء وفيها أماكن حارة وفيها أيضا أماكن باردة فى
الصيف كثيرة المراعى وهى غياض على ساحل البحر ثم سارت طائفة منهم الى بلاد الروس وهى بلاد كثيرة عظيمة وأهلها
نصارى وذلك فى سنة عشرين وستمائة فاجتمع الروس وقفجاق على منعهم عن البلاد فلما قاربهم التتار وعرفوا
اجتماعهم رجعوا القهقرى ايهاما للروس ان ذلك عن خوف وحذر فجدوا فى اتباعهم ولم يزل التتار راجعين وأولئك
يقفون آثارهم اثنى عشر يوما ثم رجعت التتار على الروس وقفجاق فأثخنوا فيهم قتلا وأسرا ولم يسلم منهم الا القليل ومن
سلم نزل فى المراكب وخرج فى البحر الى الساحل الشامى وغرق بعض المراكب وهذه الوقائع كلها تولاها التتر المغربة الذين
قائدهم جرماغون فأما ملكهم الاكبر جنكزخان فانه كان فى هذه المدة بسمرقند ما وراء النهر فقسم أصحابه أقساما
فبعث قسما منهم الى فرغانة وأعمالها فملكوها وبعث قسما آخر الى ترمذ وما يليها فملكوها وبعث قسما آخر الى بلخ وما
يليها من أعمال خراسان فأما بلخ فانهم أمنوا أهلها ولم يتعرضوا لها بنهب ولا قتل وجعلوا فيها شحنة وكذلك فارياب
وكثير من المدن الا انهم أخذوا أهلها يقاتلون بهم من يمتنع عليهم حتى وصلوا الى الطالقان وهى عدة بلاد وفيها قلعة
حصينة وبها رجال أنجاد فأقاموا على حصارها شهورا فلم يفتحوها فأرسلوا الى جنكزخان يعرفونه عجزهم عنها فسار
بنفسه وعبر جيحون ومعه من الخلائق ما لا يحصى فنزل على هذه القلعة وبنى حولها شبه قلعة أخرى من طين وتراب
وخشب وحطب ونصب عليها المنجنيقات ورمى القلعة بها فلما رأى أهلها ذلك فتحوها وخرجوا وحملوا حملة واحدة
فقتل منهم من قتل وسلم من سلم وخرج السالمون فسلكوا تلك الجبال والشعاب ناجين بأنفسهم ودخل التتار القلعة
فنهبوا الاموال والامتعة وسبوا النساء والاطفال ثم سير جنكزخان جيشا عظيما مع أحد أولاده الى مدينة مرو وبها
مائتا ألف من المسلمين فكانت بين التتار وبينهم حروب عظيمة شديدة صبر فيها المسلمون ثم انهزموا ودخلوا البلد
وأغلقوا أبوابه فحاصره التتار حصارا طويلا ثم أمنوا مقدم البلد فلما خرج اليهم فى الامان خلع عليه ابن جنكزخان
وأكرمه وعاهده أن لا يتعرض لأحد من أهل مرو ففتح الناس الابواب فلما تمكنوا منهم استعرضوهم بالسيف عن
آخرهم فلم يبقوا منهم باقية بعد ان استصفوا أرباب الاموال عقيب عذاب شديد عذبوهم به ثم ساروا الى نيسابور ففعلوا
بها ما فعلوا بمرو من القتل والاستئصال ثم عمدوا الى طوس فنهبوها وقتلوا أهلها وأخربوا المشهد الذى به على بن موسى الرضا
عليه السلام والرشيد هرون بن المهدى وساروا الى هراة فحصروها ثم أمنوا أهلها فلما فتحوها قتلوا بعضهم وجعلوا على

الباقين شحنة فلما بعدوا وثب أهل هراة على الشحنة فقتلوه فعاد عليهم عسكر من التتار فاستعرضوهم بالسيف فقتلوهم
عن آخرهم ثم عادوا الى طالقان وبها ملكهم الاكبر جنكزخان فسير طائفة منهم الى خوارزم وجعل فيها مقدم أصحابه
وكبراءهم لان خوارزم حينئذ كانت مدينة الملك وبها عسكر كثير من الخوارزمية وعوام البلد معروفون بالبأس
والشجاعة فساروا ووصلوا اليها فالتقى الفئتان واقتتلوا أشد قتال سمع به ودخل المسلمون البلد وحصرهم التتار خمسة
أشهر وأرسل التتار الى جنكزخان يطلبون المدد فأمدهم بجيش من جيوشه فلما وصل قويت منتهم به وزحفوا الى
البلد زحفا متتابعا فملكوا طرفا منه وولجوا المدينة فقاتلهم المسلمون داخل البلد فلم يكن لهم به طاقة فملكوه وقتلوا كل
من فيه فلما فرغوا منه وقضوا وطرهم من القتل والنهب فتحوا السكر الذى يمنع ماء جيحون عن خوارزم فدخل الماء
البلد فغرق كله وانهدمت الابنية فبقى بحرا ولم يسلم من أهل خوارزم أحد البتة فان غيره من البلاد كان يسلم نفر يسير من
أهلها وأما خوارزم فمن وقف للسيف قتل ومن استخفى غرقه الماء أو أهلكه الهدم فأصبحت خوارزم يبابا فلما فرغ
التتر من هذه البلاد سيروا جيشا الى غزنة وبها حينئذ جلال الدين منكبرى بن محمد خوارزم شاه مالكها وقد اجتمع
اليه من سلم من عسكر أبيه وغيرهم فكانوا نحو ستين ألفا وكان الجيش الذى سار اليهم من التتار اثنى عشر ألفا فالتقوا
فى حدود غزنة واقتتلوا قتالا شديدا ثلاثة أيام ثم أنزل الله النصر على المسلمين فانهزم التتر وقتلهم المسلمون كيف شاؤا
وتحيز الناجون منهم الى الطالقان وبها جنكزخان وأرسل جلال الدين اليه رسولا يطلب منه أن يعين موضعا للحرب
فاتفقوا على أن يكون الحرب بكابل فأرسل جنكزخان اليها جيشا وسار جلال الدين اليها بنفسه وتصافوا هناك فكان الظفر
للمسلمين وهرب التتار فالتجؤا الى الطالقان وجنكزخان مقيم بها أيضا وغنم المسلمون منهم غنائم عظيمة فجرت بينهم
فتنة عظيمة فى الغنائم وذلك لان أميرا من أمرائهم اسمه بغراق كان قد ابلى فى حرب التتر هذه جرت بينه وبين أمير
يعرف بملك خان نسيب خوارزم شاه مقاولة أفضت الى أن قتل أخ لبغراق فغضب وفارق جلال الدين فى ثلاثين ألفا
فتبعه جلال الدين واسترضاه واستعطفه فلم يرجع فضعف جانب جلال الدين بذلك فبينما هو كذلك وصله الخبر ان
جنكزخان قد سار اليه من الطالقان بنفسه وجيوشه فعجز عن مقاومته وعلم انه لا طاقة له به فسار نحو بلاد الهند وعبر
نهر السند وترك غزنة شاغرة كالفريسة للاسد فوصل اليها جنكزخان فملكها وقتل أهلها وسبى نساءها وأخرب
القصور وتركها كأمس الغابر ثم كانت لهم بعد ملك غزنة واستباحتها وقائع كثيرة مع ملوك الروم بنى قلج أرسلان
لم يوغلوا فيها فى البلاد وانما كانوا يتطرقونها وينهبون ما تاخمهم منها وأذعن لهم ملوك فارس وكرمان والتيز ومكران
بالطاعة وحملوا اليهم الاتاوة ولم يبق فى البلاد الناطقة باللسان الاعجمى بلد الا حكم فيه سيفهم أو كتابهم فأكثر البلاد
قتلوا أهلها وسبق السيف فيهم العذل والباقى أدى الاتاوة اليهم رغما وأعطى الطاعة صاغرا ورجع جنكزخان الى
ما وراء النهر وتوفى هناك وقام بعده ابنه قاآن مقامه وثبت جرماغون فى مكانه باذربيجان ولم يبق لهم الا أصبهان فانهم
نزلوا عليها مرارا فى سنة سبع وعشرين وستمائة وحاربهم أهلها وقتل من الفريقين مقتلة عظيمة ولم يبلغوا منها غرضا
حتى اختلف أهل أصبهان فى سنة ثلاث وثلاثين وستمائة وهم طائفتان حنفية وشافعية وبينهم حروب متصلة وعصبية
ظاهرة فخرج قوم من أصحاب الشافعى الى من يجاورهم ويتاخمهم من ممالك التتار فقالوا لهم اقصدوا البلد حتى نسلمه
اليكم فنقل ذلك الى قاآن بن جنكزخان بعد وفاة أبيه والملك يومئذ منوط بتدبيره فأرسل جيوشا من المدينة المستجدة
التى بنوها وسموها قراحرم فعبرت جيحون مغربة وانضم اليها قوم ممن أرسله جرماغون على هيئة المدد لهم فنزلوا
على اصفهان فى سنة ثلاث وثلاثين المذكورة وحصروها فاختلف سيفا الشافعية والحنفية فى المدينة حتى قتل كثير
منهم وفتحت أبواب المدينة فتحها الشافعية على عهد بينهم وبين التتار ان يقتلوا الحنفية ويعفوا عن الشافعية فلما
دخلوا البلد بدؤا بالشافعية فقتلوهم قتلا ذريعا ولم يقفوا مع العهد الذى عهدوه لهم ثم قتلوا الحنفية ثم قتلوا سائر الناس
وسبوا النساء وشقوا بطون الحبالى ونهبوا الاموال وصادروا الاغنياء ثم أضرموا النار فأحرقوا اصبهان حتى صارت
تلولا من الرماد فلما لم يبق لهم بلد من بلاد العجم الا وقد دوخوه صمدوا نحو أربل فى سنة أربع وثلاثين وستمائة وقد كانوا

طرقوها مرارا وتحيفوا بعض نواحيها ولم يوغلوا فيها والامير المرتب بها يومئذ باتكين الرومي ثم نزل عليها في ذي القعدة من هذه السنة منهم نحو ثلاثين ألف فارس أرسلهم جرماغون ومقدمهم مقدم كبير من رؤسائهم يعرف بجكتاي فغاداها القتال وراوحها وبها عسكر جم من عساكر الاسلام فقتل من الفريقين خلق كثير واستظهر التتار ودخلوا المدينة وهرب الناس الى القلعة فاعتصموا بها وحصرهم التتار وطال الحصار حتى هلك الناس في القلعة عطشا وطلب باتكين منهم ان يصالحوه عن المسلمين بمال يؤديه اليهم فاظهروا الاجابة فلما أرسل اليهم ماتقرر بينهم وبينه أخذوا المال وغدروا به وحملوا على القلعة بعد ذلك حملات عظيمة وزحفوا اليها زحفا متتابعا وعلقوا عليها المنجنيقات الكثيرة وسير المستنصر بالله الخليفة جيوشه مع مملوكه وخادم حضرته وأخص مماليكه به شرف الدين اقبال الشرابي فساروا الى تكريت فلما عرف التتر شخوصهم رحلوا عن اربل بعد ان قتلوا منها مالا يحصى وأخربوها وتركوها كجوف حمار وعادوا الى تبريز وبها مقام جرماغون وقد جعلها دار ملكه فلما رحلوا عن اربل عاد العسكر البغدادي الى بغداد وكانت للتتار بعد ذلك نهضات وسرايا كثيرة الى بلاد الشام قتلوا ونهبوا وسبوا فيها حتى انتهت خيولهم الى حلب فاوقعوا بها وصانعهم عنها أهلها وسلطانها ثم عمدوا الى بلاد كيخسرو صاحب الروم وذلك بعد ان هلك جرماغون وقام عوضه المعروف ببابا يسيجو وكان قد جمع لهم ملك الروم قضه وقضيضه وجيشه ولفيفه واستكثر من الاكراد العتمرية ومن عساكر الشام وجند حلب فيقال انه اجتمع مائة ألف فارس وراجل فلقيه التتار في عشرين ألفا فجرت بينه وبينهم حروب شديدة قتلوا فيها مقدمته وكانت المقدمة كلها أو أكثرها من رجال حلب وهم انجاد ابطال فقتلوا عن آخرهم وانكسر العسكر الرومي وهرب صاحب الروم حتى انتهى الى قلعة له على البحر تعرف بانطاكية فاعتصم بها وتمزقت جموعه وقتل منهم عدد لا يحصى ودخلت التتار الى المدينة المعروفة بقيسارية ففعلوا فيها أفاعيل منكرة من القتل والنهب والتحريق وكذلك بالمدينة المعروفة بسيواس وغيرها من كبار المدن الرومية وبخع لهم صاحب الروم بالطاعة وأرسل اليهم يسألهم قبول المال والمصانعة فضربوا عليه ضريبة يؤديها اليهم كل سنة ورجعوا عن بلاده وأقاموا على جملة السكون والموادعة للبلاد الاسلامية كلها الى ان دخلت سنة ثلاث وأربعين وستمائة فاتفق أن بعض امراء بغداد وهو سليمان بن برجم وهو مقدم الطائفة المعروفة بالايواء وهي من التركمان قتل شحنة من شحنهم في بعض قلاع الجبل يعرف بخليل بن بدر فاثار قتله ان سار من تبريز عشرة آلاف غلام منهم يطوون المنازل ويسبقون خبرهم ومقدمهم المعروف بجكتاي الصغير فلم يشعر الناس ببغداد الا وهم على البلد وذلك في شهر ربيع الآخر من هذه السنة في فصل الخريف وقد كان الخليفة المستعصم بالله أخرج عسكره الى ظاهر سور بغداد على سبيل الاحتياط وكان التتر قد بلغهم ذلك الا ان جواسيسهم غرتهم وأوقعت في اذهانهم انه ليس خارج السور الا خيم مضروبة وفساطيط مضروبة لا رجال تحتها وانكم متى أشرفتم عليهم ملكتم سوادهم وثقلهم ويكون قصارى أمر قوم قليلين تحتها أن ينهزموا الى البلد ويعتصموا بجدرانه فاقبلت التتر على هذا الظن وسارت على هذا الوهم فلما قاربوا من بغداد وشارفوا الوصول الى المعسكر أخرج المستعصم بالله الخليفة مملوكه وقائد جيوشه شرف الدين اقبال الشرابي الى ظاهر السور وكان خروجه في ذلك اليوم من لطف الله تعالى بالمسلمين فان التتار لو وصلوا وهو بعد لم يخرج لاضطرب العسكر لانهم كانوا يكونون بغير قائد ولا زعيم بل كل واحد منهم أمير نفسه وآراؤهم مختلفة لا يجمعهم رأي واحد ولا يحكم عليهم حاكم واحد فكانوا في مظنة الاختلاف والتفرق والاضطراب والتشتت فكان خروج شرف الدين اقبال الشرابي في اليوم السادس عشر من هذا الشهر المذكور ووصلت التتر الى سور البلد في اليوم السابع عشر فوقفوا بازاء عساكر بغداد صفا واحدا وترتب العسكر البغدادي ترتيبا منتظما ورأى التتر من كثرتهم وجودة سلاحهم وعددهم وخيولهم مالم يكونوا يظنونه ولا يحسبونه وانكشف ذلك الوهم الذي أوهمهم جواسيسهم عن الفساد والبطلان وكان مدبر أمر الدولة والوزارة في هذا الوقت هو الوزير مؤيد الدين محمد بن أحمد بن العلقمي ولم يحضر الحرب بل كان ملازما ديوان الخلافة بالحضرة لكنه كان يمد العسكر الاسلامي من آرائه وتدبيراته بما ينتهون اليه ويقفون عنده فحملت التتار على عسكر بغداد حملات متتابعة ظنوا ان واحدة منها تهزمهم لانهم قد اعتادوا انه لا يقف عسكر من العساكر بين أيديهم وان الرعب

والخوف

والخوف منهم يكفي ويغني عن مباشرتهم الحرب بأنفسهم فثبت لهم عسكر بغداد أحسن ثبوت ورشقوهم بالسهام ورشقت التتار أيضا بسهامها وأنزل الله سكينته على عسكر بغداد وأنزل بعد السكينة نصره فمازال العسكر البغدادي يظهر عليه أمارات القوة ويظهر على التتار أمارات الضعف والخذلان الى ان حجز الليل بين الفريقين ولم يصطدم الفيلقان وانما كانت مناوشات وحملات خفيفة لا تقتضي الاتصال والممازجة ورشق بالنشاب شديد فلما أظلم الليل أوقد التتار نيرانا عظيمة وأوهموا انهم مقيمون عندها وارتحلوا في الليل راجعين الى جهة بلادهم فأصبح العسكر البغدادي فلم ير منهم عينا ولا أثرا وما زالوا يطوون المنازل ويقطعون القرى عائدين حتى دخلوا الدربند ولحقوا ببلادهم وكان ماجرى من دلائل النبوة لان الرسول صلى الله عليه وآله وعد هذه الملة بالظهور والبقاء الى يوم القيامة ولو حدث على بغداد منهم حادثة كما جرى على غيرها من البلاد لانقرضت ملة الاسلام ولم يبق لها باقية والى ان بلغنا من هذا الشرح الى هذا الموضع لم يذعر العراق منهم ذاعر بعد تلك النوبة التي قدمنا ذكرها قلت وقد لاح لي من فحوى كلام أمير المؤمنين عليه السلام انه لا بأس على بغداد والعراق منهم وان الله تعالى يكفي هذه المملكة شرهم ويردعنها كيدهم وذلك من قوله عليه السلام ويكون هناك استحرار قتل فأتى بالكاف وهي اذا وقعت عقيب الاشارة أفادت البعد تقول للقريب هنا وللبعيد هناك وهذا منصوص عليه في العربية ولو كان لهم استحرار قتل في العراق لما قال هناك بل كان يقول هنا لانه عليه السلام خطب بهذه الخطبة في البصرة ومعلوم ان البصرة وبغداد شيء واحد وبلد واحد لانهما جميعا من أقليم العراق وملكهما ملك واحد فليلمح هذا الموضع فانه لطيف وكتبت الى مؤيد الدين الوزير عقيب هذه الوقعة التي نصر فيها الاسلام ورجع التتر مخذولين ناكصين على أعقابهم أبياتا أنسب اليه فيها الفتح وأشير الى أنه هو الذي قام بذلك وان لم يكن حاضرا له بنفسه واعتذر اليه عن الاغباب بمدحه فقد كانت الشواغل والقواطع تصد عن الانتصاب لذلك شعرا

أبقى لنا الله الوزير وحاطه * بكتائب من نصره ومقانب
وامتد وارف ظله لنزيله * وصفت متون غديره للشارب
يا كالئ الاسلام اذ نزلت به * فرغاء تشهق بالنجيع السالب
في خطة بهماء ديمومية * لا يهتدي فيها السليك اللاحب
لا يمتطي سلساتها هوبة الابساس حلس لا تدر لعاصب
فرجت غمرتها بقلب ثابت * في حملة ذعرى ورأي ثاقب
ماغبت ذاك اليوم عن تدبيرها * كم حاضر يعصى بسيف الغائب
عمر الذي فتح العراق وانما * سعد حسام في يمين الضارب
اثني عليك ثناء غير موارب * وأجيد فيك المدح غير مراقب
وانا الذي يهواك حبا صادقا * متقادما ورب حب كاذب
حبا ملأت به شعاب جوانحي * يفعا وها أناذو عذار شائب
ان القريض وان أغب متيم * بكم ورب مجانب كمواظب
ولقد بخالصك القصي وربما * يمنى بود ماذق متقارب
سدت مسالكه هموم جمعت * بالفكر حتى لا يبض لحالب
ومن العناء مغالب في حظه * يبغي مغالبة القضاء الغالب

وهي طويلة وانما ذكرنا منها ما اقتضته الحال

(الاصل) ﴿ ومن كلام له عليه السلام ﴾

في ذكر المكاييل والموازين

عِبادَ اللهِ إنَّكُمْ وَما تأْمُلُونَ مِنْ هذهِ الدُّنيا أثْوِياءُ مُؤَجَّلُونَ * ومَدِينُونَ مُقْتَضَوْنَ أجَلٌ مَنْقُوصٌ وعَمَلٌ محفُوظٌ فرُبَّ دائِبٍ مُضَيَّعٌ * ورُبَّ كادِحٍ خاسِرٌ وقدْ أصبحتُمْ في زَمَنٍ لا يَزْدادُ الخَيْرُ فيهِ الاَّ إدْبارًا وَالشَّرُّ فيهِ الاَّ إقبالاً وَالشَّيْطانُ في هَلاكِ النَّاسِ الاَّ طَمَعًا فَهَذا أوانٌ قَوِيَتْ عُدَّتُهُ * وعَمَّتْ مَكِيدَتُهُ وَأمْكَنَتْ فَرِيسَتُهُ * إضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ فَهَلْ تُبْصِرُ الاَّ فَقِيرًا يُكابِدُ فَقْرًا أوْ غَنِيًّا بَدَّلَ نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا أوْ بَخِيلاً اتَّخَذَ البُخْلَ بحَقِّ اللهِ وَفْرًا أوْ مُتَمَرِّدًا كَأنَّ بِأُذُنِهِ عَنْ سَمْعِ المَوَاعِظِ وَقْرًا أيْنَ أخْيارُكُمْ وَصُلَحاؤُكُمْ * وَأحْرارُكُمْ وَسُمَحاؤُكُمْ * وَأيْنَ المُتَوَرِّعُونَ في مَكاسِبِهِمْ * وَالمُتَنَزِّهُونَ في مَذاهِبِهِمْ * ألَيْسَ قَدْ ظَعَنُوا جَمِيعًا عَنْ هَذِهِ الدُّنْيا الدَّنِيَّةِ * وَالعاجِلَةِ المُنَغِّصَةِ * وَهَلْ خُلِقْتُمْ إلاَّ في حُثالَةٍ * لا تَلْتَقِي بِذَمِّهِمُ الشَّفَتانِ استِصْغارًا لِقَدْرِهِمْ * وذَهابًا عَنْ ذِكْرِهِمْ * فإنَّا لِلّهِ وَإنَّا إلَيْهِ رَاجِعُونَ * ظَهَرَ الفَسادُ فَلاَ مُنْكِرٌ مُغَيِّرٌ * وَلاَ زاجِرٌ مُزْدَجِرٌ * أفَبِهَذا تُرِيدُونَ أنْ تُجاوِرُوا اللهَ في دارِ قُدْسِهِ * وَتَكُونُوا أعَزَّ أوْلِيائِهِ عِنْدَهُ هَيْهاتَ لا يُخْدَعُ اللهُ عَنْ جَنَّتِهِ * وَلا تُنالُ مَرْضاتُهُ إلاَّ بِطاعَتِهِ * لَعَنَ اللهُ الآمِرِينَ بِالمَعْرُوفِ التَّارِكِينَ لَهُ * وَالنَّاهِينَ عَنِ المُنْكَرِ العامِلِينَ بِهِ

(الشرح) أثوياء جمع ثوى وهو الضيف كقوى وأقوياء ومؤجلون مؤخرون الى أجل أى وقت معلوم ومدينون مقرضون دنت الرجل أقرضته فهو مدين ومديون ودنت أيضا اذا استقرضت وصار على دين فانا دائن وأنشد

ندين ويقضى الله عنا وقد نرى * مصارع قوم لا يدينون ضيعا

ومقتضون جمع مقتضى أى طالب باداء الدين كمرتضون جمع مرتضى ومصطفون جمع مصطفى وقوله أجل منقوص أى عمر وقد جاء عنهم أطال الله أجلك أى عمرك وبقاءك والدائب المجتهد ذو الجد والتعب والكادح الساعى ومثل قوله فرب دائب مضيع ورب كادح خاسر قول الشاعر

اذا لم يكن عون من الله للفتى * فأكثر ما يجنى عليه اجتهاده

ومثله

اذا لم يكن عون من الله للفتى * اتته الرزايا من وجوه الفوائد

وهو كثير والاصل فيه قوله تعالى وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية ويروى فرب دائب مضيع بغير تشديد وقوله وأمكنت فريسته أى وأمكنته فحذف المفعول وقوله فاضرب بطرفك لفظة فصيحة وقد أخذها الشاعر فقال

* فاضرب بطرفك حيث شئت فلن ترى * الا بخيلا والوفر المال الكثير أى بخل ولم يؤد حق الله سبحانه فكثر ماله والوقر بفتح الواو الثقل فى الاذن وروى المنغصة بفتح الغين والحثالة الساقط الردىء من كل شئ وقوله لا تلتقى بذمهم الشفتان أى يأنف الانسان أن يذمهم لانه لا بد فى الذم من اطباق احدى الشفتين على الاخرى وكذلك فى كل الكلام

وذهابا

وذهابا عن ذكرهم أى ترفعا يقال فلان يذهب بنفسه عن كذا أى يرفعها ولا زاجر مزدجر أى ليس فى الناس من يزجر عن القبيح وينزجر هو عنه ودار القدس هى الجنة ولا يخدع الله عنها لانه لا يخفى عليه خافية ولا يجوز عليه النفاق والتمويه ثم لعن للآمر بالمعروف ولا يفعله والناهى عن المنكر ويرتكبه وهذا من قوله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ولست أرى فى هذه الخطبة ذكرا للموازين والمكاييل التى أشار اليها الرضى رحمه الله اللهم الا أن يكون قوله عليه السلام وأين المتورعون فى مكاسبهم أو قوله ظهر الفساد ودلالتهما على الموازين والمكاييل بعيدة واعلم ان هذه الخطبة قد اشتملت على كلام فصيح وموعظة بالغة من ذكر الدنيا وذكر أهلها ونحن نذكر كلمات وردت عن الحكماء والصالحين تناسبها على عادتنا فى ايراد الاشباه والنظائر قال بعض الصالحين ما أدرى كيف أعجب من الدنيا أمن حسن منظرها وقبح مخبرها أم من ذم الناس لها وتناحرهم عليها قيل لبعضهم كيف أصبحت قال آسفا على أمسى كارها ليومى متهما لغدى قيل لاعرابى كيف ترى الدهر قال خدوعا خلوبا وثوبا غلوبا قيل لصوفى لم تركت الدنيا قال لانى منعت صفوها وامتنعت من كدرها وقيل لآخر لم تركت الدنيا قال لانى عدمت الوسيلة اليها الا بعشقها وأعشق ما أكون لها أغدر ما تكون بى وأنشد لبشر الحافى

قرير العين لا ولد يموت * ولا حذر يبادر ما يفوت
رخى البال ليس له عيال * خلى من حزنت ومن دهيت
قضى وطر الصبا وأفاد علما * فغايته التفرد والسكوت
وأكبر همه مما عليه * تناجى من ترى خلق وقوت

قال أبو حيان سمعت ابن القصاب الصوفى يقول اسمع واسكت وانظر واعجب قال ابن المعتز

مل سقامى عوده * وخان دمعى مسعده
وضاع من ليلى غده * طوبى لعين تجده
قلت من الدهر يده * يفنى ويبقى أبده
والموت ضار أسده * وقاتل من يلده

ومن الشعر القديم المختلف فى قائله

قصر الجديد الى بلى * والوصل فى الدنيا انقطاعه
أى اجتماع لم يعد * بتفرق منها اجتماعه
أم أى شعب ذى التئام * لم يبدده انصداعه
أم أى منتفع بشئ * ثم تم له انتفاعه
يا بؤس للدهر الذى * ما زال مختلفا طباعه
قد قيل فى مثل خلا * يكفيك من شر سماعه

قيل لصوفى كيف ترى الدنيا قال وما الدنيا لا أعرف لها وجودا قيل له فأين قلبك قال عند ربى قيل فأين ربك قال وأين ليس هو قال ابن عائشة كان يقال مجالسة أهل الديانة تجلو عن القلوب صدأ الذنوب ومجالسة ذوى المروآت تدل على مكارم الاخلاق ومجالسة العلماء تزكى النفوس ومن كلام بعض الحكماء الفصحاء كن لنفسك نصيحا واستقبل توبة نصوحا وازهد فى دار رسمها نافع وطائرها واقع وارغب فى دار طالبها منجح وصاحبها مفلح ومتى حققت وآثرت الصدق بان لك انهما لا يجتمعان وانهما كالضدين لا يصطلحان فجرد همك فى تحصيل الباقية فان الاخرى أنت فان عنها وهى فانية عنك وقد عرفت آثارها فى أصحابها ورفقائها وصنعها بطلابها وعشاقها معرفة عيان فأى حجة تبقى لك وأى حجة لا تثبت عليك ومن كلام هذا الحكيم فاناقد أصبحنا فى دار رابحها خاسر ونائلها قاصر وعزيزها ذليل وصحيحها عليل والداخل اليها مخرج والمطمئن فيها مزعج والذائق من شرابها سكران والواثق بسرابها ظمآن ظاهرها غرور وباطنها شرور وطالبها مكدود وعاشقها مجهود وتاركها محمود والعاقل من قلاها وسلا عنها والظريف من عافها وأنف منها

والسعيد من غمض بصره عن زهرتها وصرفه عن نضرتها وابس لها فضيلة الادلالتها على نفسها واشارتها الى نقصها ولعمرى انها الفضيلة لو صادفت قلبا عقولا الا سانا قؤولا وعملا مقبولا لا لفظا منقولا فالى الله الشكوى من هوى مطاع وعمر مضاع فبيده الداء والدواء والمرض والشفاء قال أبو حوزة أتينا بكر بن عبد الله المزنى نعوده فدخلنا عليه وقد قام لحاجته فجلسنا ننتظره فاقبل الينا يتهادى بين رجلين فلما نظر الينا سلم علينا ثم قال رحم الله عبدا أعطى قوة فعمل بها فى طاعة الله أو قصر به ضعف فكف عن محارم الله وقال بكر بن عبد الله مثل الرجل فى الدنيا مثل رجل له ثلاثة خلان قال له أحدهم أنا خازنك خذ منى ماشئت فاعمل به ماشئت وقال الآخر أنا معك أحملك وأضعك فاذا مت تركتك وقال الآخر أنا أصحبك أبدا حياتك وموتك فاما الاول فماله وأما الثانى فعشيرته وأما الثالث فعمله قيل للزهرى من الزاهد فى الدنيا قال من لم يمنع الحلال شكره ومن لم يمنع الحرام صبره وقال سفيان الثورى ماعبد الله بمثل العقل ولا يكون الرجل عاقلا حتى تكون فيه عشر خصال يكون الكبر منه مأمونا والخير منه مأمولا يقتدى بمن قبله ويكون اماما لمن بعده وحتى يكون الذل فى طاعة الله أحب اليه من العز فى معصية الله وحتى يكون الفقر فى الحلال أحب اليه من الغنى فى الحرام وحتى يكون عيشه القوت وحتى يستقل الكثير من عمله ويستكثر القليل من عمل غيره وحتى لا يتبرم بطلب الحوائج قبله والعاشرة وما العاشرة بها شاد مجده وعلا ذكره ان يخرج من بيته فلا يستقبله أحد من الناس الارأى أنه دونه قال يونس بن حبيب كان عندنا بالبصرة جندى عابد فأحب الغزو فلما خرج شيعته فقلت أوصنى فقال أوصيك بتقوى الله وأوصيك بالقرآن فانه نور الليل المظلم وهدى النهار المشرق فاعمل به على ما كان من جهد وفاقة فان عرض بلاء فقدم مالك دون نفسك فان تجاوز البلاء فقدم مالك ونفسك دون دينك واعلم ان المحروب من حرب دينه والمسلوب من سلب يقينه انه لاغنى مع النار ولا فقر مع الجنة وان جهنم لا يفك أسيرها ولا يستغنى فقيرها ابن المبارك كان فيما مضى جبار يقتل الناس على أكل لحوم الخنازير فلم يزل الامر يترقى حتى بلغ الى عابد مشهور فاراده على أكلها وهدده بالقتل فشق ذلك على الناس فقال له صاحب شرطته انى ذابح لك غدا جديا فاذا دعاك هذا الجبار لتأكل فكل فانما هو جدى فلما دعاه ليأكل أبى أن يأكل فقال أخرجوه واضربوا عنقه فقال له الشرطى مامنعك ان تأكل من لحم جدى قال انى رجل منظور الى وانى كرهت ان يتأسى بى الناس فى معاصى الله فقدمه فقتله سفيان الثورى كان رجل يبكى كثيرا فقال له أهله لو قتلت قتيلا ثم أتيت وليه فرآك تبكى هذا البكاء لعفا عنك فقال قد قتلت نفسى فلعل وليها يعفو عنى وكان أيوب السختيانى كثير البكاء وكان يغالط الناس عن بكائه يبكى مرة فيأخذ أنفه ويقول الزكمة ربما عرضت لى ويبكى مرة فاذا استبان من حوله بكاءه قال ان الشيخ اذا كبر مج ومن كلام أبى حيان التوحيدى فى البصائر ما أقول فى عالم الساكن فيه وجل والصاحى بين أهله ثمل والمقيم على ذنوبه خجل والراحل عنه مع تماديه عجل وان دارا هذه من آفاتها وصروفها المحقوقة بهجرانها وتركها والصدوف عنها خاصة ولا سبيل لنا كنها الى دار القرار الا بالزهد فيها والرضا بالطفيف منها كبلغة الثاوى وزاد المنطلق

(الاصل) ﴿ ومن كلام له عليه السلام ﴾

لأبي ذر رحمه الله لما أخرج الى الربذة

يا أبا ذَرّ إِنَّكَ غَضِبْتَ لِلّهِ فارْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَهُ ، إِنَّ القَوْمَ خافُوكَ على دُنْياهُمْ وَخِفْتَهُمْ على دِينِكَ فاتْرُكْ في أَيْدِيهِمْ ماخافُوكَ عَلَيْهِ وَاهْرَبْ مِنْهُمْ بِمَا خِفْتَهُمْ عَلَيْهِ ، فَما أَحْوَجَهُمْ إِلَى ما مَنَعْتَهُمْ ، وَما أَغْناكَ عَمّا مَنَعُوكَ ، وَسَتَعْلَمُ مَنِ الرّابِحُ غَدًا ، وَالأَكْثَرُ حَسَدًا ،

ولو

وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ والأَرَضِينَ كانَتا على عَبْدٍ رَتْقًا ثُمَّ اتَّقَى اللهَ لَجَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْهُما مَخْرَجًا ، لا يُؤْنِسَنَّكَ إلاَّ الحَقُّ ، وَلا يُوحِشَنَّكَ إلاَّ الباطِلُ ، فَلَوْ قَبِلْتَ دُنْياهُمْ لأَحَبُّوكَ ، وَلَوْ قَرَضْتَ مِنْها لأَمَّنُوكَ

(الشرح) واقعة أبى ذر رحمه الله واخراجه الى الربذة أحد الاحداث التى نقمت على عثمان وقد روى هذا الكلام أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهرى فى كتاب السقيفة عن عبد الرزاق عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس قال لما أخرج أبو ذر الى الربذة أمر عثمان فنودى فى الناس ان لا يكلم أحد أبا ذر ولا يشيعه وأمر مروان بن الحكم ان يخرج به فخرج به وتحاماه الناس الا على بن أبى طالب عليه السلام وعقيلا أخاه وحسنا وحسينا عليهما السلام وعمارا فانهم خرجوا معه يشيعونه فجعل الحسن عليه السلام يكلم أبا ذر فقال له مروان ايها يا حسن ألا تعلم ان أمير المؤمنين قد نهى عن كلام هذا الرجل فان كنت لا تعلم فاعلم ذلك فحمل على عليه السلام على مروان فضرب بالسوط بين أذنى راحلته وقال تنح نحاك الله الى النار فرجع مروان مغضبا الى عثمان فأخبره الخبر فتلظى على على عليه السلام ووقف أبو ذر فودعه القوم ومعه ذكوان مولى أم هانىء بنت أبى طالب قال ذكوان فحفظت كلام القوم وكان حافظا فقال على عليه السلام يا أبا ذر انك غضبت لله ان القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك فامتحنوك بالقلى ونفوك الى الفلا والله لو كانت السموات والارض على عبد رتقا ثم اتقى الله لجعل له منها مخرجا يا أبا ذر لا يؤنسنك الا الحق ولا يوحشنك الا الباطل ثم قال لاصحابه ودعوا عمكم وقال لعقيل ودع أخاك فتكلم عقيل فقال ما عسى ان نقول يا أبا ذر وأنت تعلم انا نحبك وأنت تحبنا فاتق الله فان التقوى نجاة واصبر فان الصبر كرم واعلم ان استثقالك الصبر من الجزع واستبطاءك العافية من اليأس فدع اليأس والجزع ثم تكلم الحسن فقال يا عماه لولا انه لا ينبغى للمودع ان يسكت وللمشيع ان ينصرف لقصر الكلام وان طال الاسف وقد أتى القوم اليك ما ترى فضع عنك الدنيا بتذكر فراغها وشدة ما اشتد منها برجاء ما بعدها واصبر حتى تلقى نبيك صلى الله عليه وآله وهو عنك راض ثم تكلم الحسين عليه السلام فقال يا عماه ان الله تعالى قادر ان يغير ما قد ترى والله كل يوم هو فى شأن وقد منعك القوم دنياهم ومنعتهم دينك فما اغناك عما منعوك وأحوجهم الى ما منعتهم فاسأل الله الصبر والنصر واستعذ به من الجشع والجزع فان الصبر من الدين والكرم وان الجشع لا يقدم رزقا والجزع لا يؤخر أجلا ثم تكلم عمار رحمه الله مغضبا فقال لا آنس الله من أوحشك ولا آمن من اخافك أما والله لو أردت دنياهم لامنوك ولو رضيت اعمالهم لاحبوك وما منع الناس ان يقولوا بقولك الا الرضا بالدنيا والجزع من الموت ومالوا الى ما سلطان جماعتهم عليه والملك لمن غلب فوهبوا لهم دينهم ومنحهم القوم دنياهم فخسروا الدنيا والآخرة ألا ذلك هو الخسران المبين فبكى أبو ذر رحمه الله وكان شيخا كبيرا وقال رحمكم الله يا أهل بيت الرحمة اذا رأيتكم ذكرت بكم رسول الله صلى الله عليه وآله مالى بالمدينة سكن ولا شجن غيركم انى ثقلت على عثمان بالحجاز كما ثقلت على معاوية بالشام وكره ان اجاور اخاه وابن خاله بالمصرين فافسد الناس عليهما فسيرنى الى بلد ليس لى به ناصر ولا دافع الا الله والله ما أريد الا الله صاحبا وما أخشى مع الله وحشة ورجع القوم الى المدينة فجاء على عليه السلام الى عثمان فقال له ما حملك على رد رسولى وتصغير أمرى فقال على عليه السلام أما رسولك فاراد أن يرد وجهى فرددته وأما أمرك فلم أصغره قال أما بلغك نهيى عن كلام أبى ذر قال أو كلما أمرت بأمر معصية أطعناك فيه قال عثمان أقد مروان من نفسك قال مم ذا قال من شتمه وجذب راحلته قال أما راحلته فراحلتى بها وأما شتمه اياى فوالله لا يشتمنى شتمة الا شتمتك مثلها لا أكذب عليك فغضب عثمان وقال لم لا يشتمك كأنك خير منه قال على اى والله ومنك ثم قام فخرج فارسل عثمان الى وجوه المهاجرين والانصار والى بنى أمية يشكو اليهم عليا عليه السلام فقال القوم أنت الوالى عليه واصلاحه أجل قال وددت ذاك فأتوا عليا عليه السلام فقالوا لو اعتذرت الى مروان وأتيته فقال كلا

أمامروان فلا آتيه ولا أعتذر منه ولكن ان أحب عثمان أتيته فرجعوا الى عثمان فاخبروه فارسل عثمان اليه فاتاه
ومعه بنو هاشم فتكلم علي عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال اما ما وجدت علي فيه من كلام أبي ذر ووداعه فوالله
ما أردت مساءتك ولا الخلاف عليك ولكن أردت به قضاء حقه وأما مروان فانه اعترض يريد ردي عن قضاء حق
الله عز وجل فرددته رد مثلي مثله وأما ما كان مني اليك فانك أغضبتني فاخرج الغضب مني مالم أرده فتكلم عثمان فحمد
الله وأثنى عليه ثم قال أما ما كان منك الي فقد وهبته لك وأما ما كان منك الى مروان فقد عفا الله عنك وأما ما حلفت
عليه فأنت البر الصادق فادن يدك فأخذ يده فضمها الى صدره فلما نهض قالت قريش و بنو أمية لمروان أأنت رجل
جبهك علي وضرب راحلتك وقد تفانت وائل في ضرع ناقة وذبيان وعبس في لطمة فرس والاوس والخزرج في
نسعة أفتحمل لعلي عليه السلام ما أتاه اليك فقال مروان والله لو أردت ذلك لما قدرت عليه ❊ واعلم ان الذي عليه
أكثر أرباب السيرة وعلماء الاخبار والنقل ان عثمان نفى أبا ذر أولا الى الشام ثم استقدمه الى المدينة لما شكى منه معاوية
ثم نفاه من المدينة الى الربذة لما عمل بالمدينة نظير ما كان يعمل بالشام أصل هذه الواقعة ان عثمان لما أعطى
مروان بن الحكم وغيره بيوت الاموال واختص زيد بن ثابت بشيء منها جعل أبو ذر يقول بين الناس وفي الطرقات
والشوارع بشر الكافرين بعذاب أليم و يرفع بذلك صوته و يتلو قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا
ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم فرفع ذلك الى عثمان مرارا وهو ساكت ثم انه أرسل اليه مولى من مواليه
ان انته عما بلغني عنك فقال أبو ذر أينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله تعالى وعيب من ترك أمر الله تعالى فوالله
لان أرضي الله بسخط عثمان أحب الي وخير لي من ان أسخط الله برضا عثمان فاغضب عثمان ذلك وأحفظه فتصابر
وتماسك الى ان قال عثمان يوما والناس حوله أيجوز للامام ان يأخذ من المال شيأ قرضا فاذا أيسر قضى فقال كعب
الاحبار لا بأس بذلك فقال أبو ذر يا ابن اليهوديين أتعلمنا ديننا فقال عثمان قد كثر أذاك لي وتولعك بأصحابي الحق بالشام
فأخرجه اليها فكان أبو ذر ينكر على معاوية أشياء يفعلها فبعث اليه معاوية يوما ثلثمائة دينار فقال أبو ذر لرسوله ان كانت
من عطائي الذي حرمتمونيه عامي هذا أقبلها وان كانت صلة فلا حاجة لي فيها وردها عليه ثم بنى معاوية الخضراء بدمشق
فقال أبو ذر يا معاوية ان كانت هذه من مال الله فهي الخيانة وان كانت من مالك فهي الاسراف وكان أبو ذر يقول
بالشام والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها والله ما هي في كتاب الله ولا سنة نبيه صلى الله عليه وسلم والله اني لارى حقا يطفأ
و باطلا يحيا وصادقا مكذبا واثرة بغير تقى وصالحا مستأثرا عليه فقال حبيب بن مسلمة الفهري لمعاوية ان أبا ذر لمفسد
عليكم الشام فتدارك أهله ان كان لك فيه حاجة وروى شيخنا أبو عثمان الجاحظ في كتاب السفيانية عن جلام بن
جندل الغفاري قال كنت غلاما لمعاوية على قنسرين والعواصم في خلافة عثمان فجئت اليه يوما أسأله عن حال عملي
اذ سمعت صارخا على باب داره يقول أتتكم القطار بحمل النار اللهم العن الآمرين بالمعروف التاركين له اللهم العن
الناهين عن المنكر المرتكبين له فازبار معاوية وتغير لونه وقال يا جلام أتعرف الصارخ فقلت اللهم لا قال من عذيري من
جندب بن جنادة يأتينا كل يوم فيصرخ على باب قصرنا بما سمعت ثم قال ادخلوه علي فجيء بأبي ذر بين قوم يقودونه
حتى وقف بين يديه فقال له معاوية يا عدو الله وعدو رسوله تأتينا في كل يوم فتصنع ما تصنع أما اني لو كنت قاتل رجل من
أصحاب محمد من غير اذن أمير المؤمنين عثمان لقتلتك ولكني استأذن فيك قال جلام وكنت أحب ان أرى أبا ذر لانه
رجل من قومي فالتفت اليه فاذا رجل أسمر ضرب من الرجال خفيف العارضين في ظهره حناء فاقبل على معاوية
وقال ما أنا بعدو لله ولا لرسوله بل أنت وأبوك عدوان لله ولرسوله أظهرتما الاسلام وابطنتما الكفر ولقد لعنك رسول الله
صلى الله عليه وآله ودعا عليك مرات ان لا تشبع سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول اذا ولى الامة الاعين الواسع
البلعوم الذي يأكل ولا يشبع فلتأخذ الامة حذرها منه فقال معاوية ما أنا ذاك الرجل قال أبو ذر بل أنت ذلك الرجل
أخبرني بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسمعته يقول وقد مررت به اللهم العنه ولا تشبعه الا بالتراب وسمعته صلى الله
عليه وآله يقول أست معاوية في النار فضحك معاوية وأمر بحبسه وكتب الى عثمان فيه فكتب عثمان الى معاوية ان

احمل جندبا الي على أغلظ مركب وأوعره فوجه به مع من سار به الليل والنهار وحمله على شارف ليس عليها الا قتب حتى
قدم به المدينة وقد سقط لحم فخذيه من الجهد فلما قدم بعث اليه عثمان الحق بأي أرض شئت قال بمكة قال لا قال بيت
المقدس قال لا قال باحد المصرين قال لا ولكني مسيرك الى ربذة فسيره اليها فلم يزل بها حتى مات وفي رواية الواقدي ان
أبا ذر لما دخل على عثمان قال له

لا أنعم الله بقين عينا ❊ نعم ولا لقاه يوما زينا ❊ تحية السخط اذا التقينا

فقال أبو ذر ما عرفت اسمي قينا قط وفي رواية أخرى لا أنعم الله بك عينا يا جنيدب فقال أبو ذر أنا جندب وسماني رسول
الله صلى الله عليه وآله عبد الله فاخترت اسم رسول الله صلى الله عليه وآله الذي سماني به على اسمي فقال له عثمان
أنت الذي تزعم انا نقول يد الله مغلولة وان الله فقير ونحن اغنياء فقال أبو ذر لو كنتم لا تقولون هذا لانفقتم مال الله على
عباده ولكني أشهد اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول اذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلا جعلوا مال الله
دولا وعباده خولا ودينه دخلا فقال عثمان لمن حضر أسمعتموها من رسول الله قالوا لا قال عثمان ويلك يا أبا ذر أتكذب
على رسول الله فقال أبو ذر لمن حضر اما تدرون اني صدقت قالوا لا والله ما ندري فقال عثمان ادعوا الي عليا فلما جاء قال
عثمان لابي ذر اقصص عليه حديثك في بني أبي العاص فاعاده فقال عثمان لعلي عليه السلام أسمعت هذا من رسول الله
صلى الله عليه وآله قال لا وقد صدق أبو ذر فقال كيف عرفت صدقه قال لاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول
ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر فقال من حضر اما هذا فسمعناه كلنا من رسول الله
فقال أبو ذر احدثكم اني سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله فتتهموني ما كنت أظن اني أعيش حتى
أسمع هذا من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وروى الواقدي في خبر آخر باسناده عن صهبان مولى الاسلميين قال
رأيت أبا ذر يوم دخل به على عثمان فقال له أنت الذي فعلت وفعلت فقال أبو ذر نصحتك فاستغششتني ونصحت
صاحبك فاستغشني قال عثمان كذبت ولكنك تريد الفتنة وتحبها قد انغلت الشام علينا فقال له أبو ذر اتبع سنة صاحبيك
لا يكن لاحد عليك كلام فقال عثمان مالك وذلك لا أم لك قال أبو ذر والله ما وجدت لي عذرا الا الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر فغضب عثمان وقال أشيروا علي في هذا الشيخ الكذاب اما ان أضربه أو أحبسه أو أقتله فانه قد فرق
جماعة المسلمين أو انفيه من أرض الاسلام فتكلم علي عليه السلام وكان حاضرا فقال أشير عليك بما قال مؤمن آل
فرعون فان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب فاجابه
عثمان بجواب غليظ وأجابه علي عليه السلام بمثله ولم نذكر الجوابين تذمما منهما قال الواقدي ثم ان عثمان حظر على
الناس أن يقاعدوا أبا ذر ويكلموه فمكث كذلك أياما ثم أتي به فوقف بين يديه فقال أبو ذر ويحك يا عثمان أما رأيت
رسول الله صلى الله عليه وآله ورأيت أبا بكر وعمر هل هديك كهديهم أما انك لتبطش بي بطش جبار فقال عثمان أخرج
عنا من بلادنا فقال أبو ذر ما أبغض الي جوارك قال فالى أين أخرج قال حيث شئت قال أخرج الى الشام أرض الجهاد قال
انما جلبتك من الشام لما قد أفسدتها أفاردك اليها قال أفأخرج الى العراق قال لا انك ان تخرج اليها تقدم على قوم
اولي شقة وطعن على الائمة والولاة قال أفأخرج الى مصر قال لا قال فالى أين أخرج قال الى البادية قال أبو ذر أصير بعد
الهجرة أعرابيا قال نعم قال أبو ذر فاخرج الى بادية نجد قال عثمان بل الى الشرق الابعد أقصى فاقصى امض على وجهك
هذا فلا تعدون الربذة فخرج اليها وروى الواقدي أيضا عن مالك بن أبي الرجال عن موسى بن ميسرة ان أبا الاسود
الدؤلي قال كنت احب لقاء أبي ذر لاسأله عن سبب خروجه الى الربذة فجئته فقلت له ألا تخبرني أخرجت من المدينة طائعا أم
أخرجت كرها فقال كنت في ثغر من ثغور المسلمين أغنى عنهم فاخرجت الى المدينة فقلت دار هجرتي وأصحابي فاخرجت
من المدينة الى ما ترى ثم قال بينا أنا ذات ليلة نائم في المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله اذ مر بي عليه السلام
فضربني برجله وقال لا أراك نائما في المسجد فقلت بأبي أنت وأمي غلبتني عيني فنمت فيه قال فكيف تصنع اذا أخرجوك
منه قلت اذا الحق بالشام فانها أرض مقدسة وأرض الجهاد قال فكيف تصنع اذا أخرجت منها قلت أرجع الى المسجد

قال فكيف تصنع اذا أخرجوك منه قلت آخذ سيفي فاضربهم به فقال ألا أدلك على خير من ذلك انق معهم حيث ساقوك وتسمع وتطيع فسمعت وأطعت وأنا أسمع وأطيع والله ليلقين الله عثمان وهو آثم في جنبي واعلم أن أصحابنا رحمهم الله قد رووا اخبارا كثيرة معناها أنه أخرج الى الربذة باختياره وحكى قاضي القضاة رحمه الله في المغني عن شيخنا أبي على رحمه الله ان الناس اختلفوا في أمر أبي ذر وان الرواية وردت بانه قيل له أعثمان انزلك الربذة فقال لا بل انا اخترت لنفسي ذلك وروى أبو علي أيضا ان معاوية كتب يشكوه وهو بالشام فكتب اليه عثمان ان صر الى المدينة فلما صار اليه قال له ما أخرجك الى الشام قال اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول اذا بلغت عمارة المدينة موضع كذا فاخرج منها فلذلك خرجت فقال أي البلاد أحب اليك بعد الشام قال الربذة فقال صر اليها وروى الشيخ أبو علي أيضا عن زيد بن وهب قال قلت لابي ذر وهو بالربذة ما أنزلك هذا المنزل قال أخبرك اني كنت بالشام فذكرت قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فقال لي معاوية هذه نزلت في أهل الكتاب فقلت فيهم وفينا فكتب معاوية الى عثمان في ذلك فكتب الي ان اقدم فقدمت عليه فانثال الناس الي كأنهم لم يعرفوني فشكوت ذلك الى عثمان فخيرني وقال انزل حيث شئت فنزلت الربذة ونحن نقول هذه الاخبار وان كانت قد رويت لكنها ليست في الاشتهار والكثرة كتلك الاخبار والوجه ان يقال في الاعتذار عن عثمان وحسن الظن بفعله انه خاف الفتنة واختلاف كلمة المسلمين فغلب على ظنه ان اخراج أبي ذر الى الربذة احسم للشغب وأقطع لاطماع من يشرئب الى شق العصا فاخرجه مراعاة للمصلحة ومثل ذلك يجوز للامام هكذا يقول أصحابنا المعتزلة وهو الاليق بمكارم الاخلاق فقد قال الشاعر

اذا ما أتت من صاحب لك زلة ٭ فكن أنت محتالا لزلته عذرا

وانما يتأول أصحابنا لمن يحتمل حاله التأويل كعثمان فاما من لم يحتمل حاله التأويل وان كانت له صحبة سالفة كمعاوية وأضرابه فانهم لا يتأولون لهم اذا كانت أفعالهم وأحوالهم لا وجه لتأويلها ولا تقبل العلاج والاصلاح

(الاصل) ﴿ ومن كلام له عليه السلام ﴾

أَيَّتُهَا النُّفُوسُ الْمُخْتَلِفَةُ ٭ وَالْقُلُوبُ الْمُتَشَتِّتَةُ ٭ الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ ٭ وَالْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ ٭ أَظْأَرُكُمْ عَلَى الْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَنْفِرُونَ عَنْهُ نُفُورَ الْمِعْزَى مِنْ وَعْوَعَةِ الْأَسَدِ ٭ هَيْهَاتَ أَنْ أَطْلَعَ بِكُمْ سِرَارَ الْعَدْلِ ٭ أَوْ أُقِيمَ اعْوِجَاجَ الْحَقِّ ٭ اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ ٭ وَلَا الْتِمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ ٭ وَلَكِنْ لِنَرِدَ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ ٭ وَنُظْهِرَ الْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ ٭ فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ ٭ وَتُقَامَ الْمُعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِكَ ٭ اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَنَابَ ٭ وَسَمِعَ وَأَجَابَ ٭ لَمْ يَسْبِقْنِي إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالصَّلَاةِ ٭ وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْوَالِي عَلَى الْفُرُوجِ وَالدِّمَاءِ وَالْمَغَانِمِ وَالْأَحْكَامِ وَإِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ الْبَخِيلُ ٭ فَتَكُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ ٭ وَلَا الْجَاهِلُ فَيُضِلَّهُمْ بِجَهْلِهِ ٭ وَلَا الْجَافِي فَيَقْطَعَهُمْ بِجَفَائِهِ ٭ وَلَا الْخَائِفُ لِلدُّوَلِ فَيَتَّخِذَ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ ٭ وَلَا الْمُرْتَشِي فِي الْحُكْمِ فَيَذْهَبَ بِالْحُقُوقِ وَيَقِفَ بِهَا دُونَ

المقاطع

الْمَقَاطِعِ ٭ وَلَا الْمُعَطِّلُ لِلسُّنَّةِ فَيُهْلِكَ الْأُمَّةَ

(الشرح) أظأركم أعطفكم ظأرت الناقة ظأرا وهي ناقة مظؤورة اذا عطفتها على ولد غيرها وفي المثل الطعن يظأره أي يعطفه على الصلح وظأرت الناقة أيضا اذا عطفت على البو يتعدى ولا يتعدى فهي ظؤور والوعوعة الصوت والوعواع مثله وقوله هيهات ان أطلع بكم سرار العدل يفسره الناس بمعنى هيهات ان أطلعكم مضيئين ومنورين لسرار العدل والسرار آخر ليلة في الشهر وتكون مظلمة ويمكن عندي ان يفسر على وجه آخر وهو أن يكون السرار ههنا بمعنى السرر وهي خطوط مضيئة في الجبهة وقد نص أهل اللغة على أنه يجوز فيها سرر وسرار وقالوا ويجمع سرار على أسرة مثل حمار وأحمرة قال عنترة بزجاجة صفراء ذات أسرة ٭ قرنت بازهر في الشمال مفدم يصف الكاس ويقول ان فيها خطوطا بيضا وهي زجاج أصفر ويقولون برقت أسرة وجهه وأسارير وجهه فيكون معنى كلامه عليه السلام هيهات ان تلمع بكم لوامع العدل وتنجلي أوضاحه ويبرق وجهه ويمكن فيه أيضا وجه آخر وهو أن ينصب سرار ههنا على الظرفية ويكون التقدير هيهات ان أطلع بكم الحق زمان استسرار العدل واستخفائه فيكون قد حذف المفعول وحذفه كثير ثم ذكر ان الحروب التي كانت منه لم تكن طلبا للملك ولا منافسة على الدنيا ولكن لتقام حدود الله على وجهها ويجري أمر الشريعة والرعية على ما كان يجري عليه أيام النبوة ثم ذكر انه سبق المسلمين كلهم الى التوحيد والمعرفة ولم يسبقه بالصلاة أحد الا رسول الله صلى الله عليه وآله وهكذا روى جمهور المحدثين وقد تقدم ذكر ذلك فان قلت أي وجه لادخال هذا الكلام في غضون مقصده في هذه الخطبة فانها مبنية على ذم أصحابه وتقرير قاعدة الامامة وانه لا يجوز ان يليها الفاسق وانه لا بد للامام من صفات مخصوصة عددها عليه السلام وكل هذا لا تعلق لسبقه الى الاسلام قلت بل الكلام متعلق بعضه ببعض من وجهين أحدهما أنه لما قال اللهم انك تعلم أني ما سللت السيف طلبا للملك اراد أن يؤكد هذا القول في نفوس السامعين فقال انا أول من أسلم ولم يكن الاسلام حينئذ معروفا أصلا ومن يكون اسلامه هكذا لا يكون قد قصد باسلامه الا وجه الله تعالى والقربة اليه فمن يكون هذه حاله في مبدأ أمره كيف يخطر ببال عاقل انه يطلب الدنيا وحطامها ويجرد عليها السيف في آخر عمره ووقت انقضاء مدة عمره والوجه الثاني انه اذا كان أول السابقين وجب أن يكون أقرب المقربين لانه تعالى قال والسابقون السابقون أولئك المقربون الا ترى انه اذا قال الملك العالمون العاملون هم المختصون بنا وجب أن يكون أعلمهم اشدهم به اختصاصا واذا كان عليه السلام أقرب المقربين وجب ان ينتفي عنه الموانع الستة التي جعل كل واحد منها صادا عن الامامة وقاطعا عن استحقاقها وهي البخل والجهل والجفاء أي الغلظة والعصبية في دولته أي تقديم قوم على قوم والارتشاء في الحكم والتعطيل للسنة واذا انتفت عنه هذه الموانع الستة تعين أن يكون هو الامام لان شروط الامامة موجودة فيه بالاتفاق فاذا كانت موانعها عنه منتفية ولم يحصل لغيره اجتماع الشروط وارتفاع الموانع وجب أن يكون هو الامام لانه لا يجوز خلو العصر من امام سواء كانت هذه القضية عقلية أو سمعية فان قلت أفتراه عنى بهذا قوما باعيانهم قلت الامامية تزعم انه رمز في الجفاء والعصبية لقوم دون قوم الى عمر ورمز بالجهل الى من كان قبله ورمز بتعطيل السنة الى عثمان ومعاوية وأما نحن فنقول انه عليه السلام لم يعن ذلك وانما قال قولا كليا غير مخصوص وهذا هو اللائق بشرفه عليه السلام وقول الامامية دعوى لا دليل عليها ولا يعدم كل أحد ان يستنبط من كل كلام ما يوافق غرضه وان غمض ولا يجوز أن تبنى العقائد على مثل هذه الاستنباطات الدقيقة والنهمة الهمة الشديدة بالامر قد نهم بكذا بالضم فهو منهوم أي مولع به حريص عليه يقول اذا كان الامام بخيلا كان حرصه وجشعه على أموال رعيته ومن رواها نهمته بالتحريك فهي افراط الشهوة في الطعام والماضي نهم بالكسر قوله عليه السلام فيقطعهم بجفائه أي يقطعهم عن حاجاتهم لغلظته عليهم لان الوالي اذا كان غليظا جافيا اتعب الرعية وقطعهم عن مراجعته في حاجاتهم خوفا من بادرته ومعرته قوله ولا الحائف للدول أي الظالم لها والجائر عليها والدول جمع دولة بالضم وهي اسم المال المتداول به يقال هذا الفيء دولة بينهم أي يتداولونه والمعنى انه يجب أن يكون الامام يقسم بالسوية ولا يخص

قوما دون قوم على وجه العصبية لقبيلة دون قبيلة أو لانسان من المسلمين دون غيره فيتخذ بذلك بطانة قوله فيقف بها دون المقاطع جمع مقطع وهو ماينتهى الحق اليه أى لا تصل الحقوق الى أربابها لاجل ما أخذ من الرشوة عليها فان قلت فاباله قال فى المانع السادس فيهلك الامة وكل واحد من الموانع قبله يفضى الى هلاك الامة قلت كل واحد من الموانع الخمسة يفضى الى هلاك بعض الامة وأما من يعطل السنة أصلا فانه لا محالة مهلك للامة كلها لانه اذا عطل السنة مطلقا عادت الجاهلية الجهلاء كما كانت وقد روى ولا الخائف الدول بالخاء المعجمة ونصب الدول أى من يخاف دول الايام وتقلبات الدهر فيتخذ قوما دون قوم ظهريا وهذا معنى لا بأس به

(الاصل) ﴿ ومن خطبة له عليه السلام ﴾

نَحْمَدُهُ على ما أَخَذَ وَأَعطَى ۞ وَعلى ما أَبْلَى وَابْتَلَى ۞ البَاطِنُ لِكُلِّ خَفِيَّةٍ ۞ وَالحَاضِرُ لِكُلِّ سَرِيرَةٍ ۞ العَالِمُ بِمَا تُكِنُّ الصُّدُورُ ۞ وَما تَخُونُ العُيُونُ ۞ ونَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ ۞ وَأَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَجِيبُهُ وَبَعِيثُهُ ۞ شَهَادَةً يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الإِعْلاَنَ ۞ وَالقَلْبُ اللِّسَانَ

(الشرح) على ما أبلى أى ما أعطى يقال قد أبلاه الله بلاء حسنا أى أعطاه قال زهير

جزى الله بالاحسان مافعلا بكم ۞ وابلاهما خير البلاء الذى يبلو

وأما قوله وابتلى فالابتلاء أنزل مضرة بالانسان على سبيل الاختبار كالمرض والفقر والمصيبة وقد يكون الابتلاء بمعنى الاختبار فى الخير الا انه أكثر ما يستعمل فى الشر والباطن العالم يقال بطنت الامر أى خبرته وتكن الصدور تستر وما تخون العيون ماتسترق من اللحظات والرمزات على غير الوجه الشرعى والنجيب المنتجب والبعيث المبعوث

(الاصل) (منها) فَإِنَّهُ وَاللهِ الجِدُّ لاَ اللَّعِبُ ۞ وَالحَقُّ لاَ الكَذِبُ ۞ وَما هُوَ الاَّ المَوْتُ أَسْمَعَ دَاعِيهِ ۞ وَأَعْجَلَ حادِيهِ ۞ فَلاَ يَغُرَّنَّكَ سَوَادُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ ۞ وَقَدْ رَأَيْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِمَّنْ جَمَعَ المَالَ وَحَذِرَ الإِقْلاَلَ ۞ وَأَمِنَ العَوَاقِبَ طُولَ أَمَلٍ وَاسْتِبْعادَ أَجَلٍ ۞ كَيْفَ نَزَلَ بِهِ المَوْتُ فَأَزْعَجَهُ عَنْ وَطَنِهِ ۞ وَأَخَذَهُ مِنْ مَأْمَنِهِ مَحْمُولاً على أَعْوَادِ المَنَايَا يَتَعاطَى بِهِ الرِّجالُ الرِّجالَ ۞ حَمْلاً على المَنَاكِبِ وَإِمْسَاكًا بِالأَنامِلِ ۞ أَما رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَأْمُلُونَ بَعِيدًا وَيَبْنُونَ مَشِيدًا وَيَجْمَعُونَ كَثِيرًا ۞ كَيْفَ أَصْبَحَتْ بُيُوتُهُمْ قُبُورًا ۞ وَما جَمَعُوا بُورًا ۞ وَصارَتْ أَمْوَالُهُمْ لِلْوَارِثِينَ ۞ وَأَزْوَاجُهُمْ لِقَوْمٍ آخَرِينَ ۞ لاَ فِي حَسَنَةٍ يَزِيدُونَ ۞ وَلاَ مِنْ سَيِّئَةٍ يَسْتَعْتِبُونَ ۞ فَمَنْ أَشْعَرَ التَّقْوَى قَلْبَهُ بَرَزَ مَهَلُهُ وَفَازَ عَمَلُهُ ۞ فَاهْتَبِلُوا هَبَلَهَا ۞ وَاعْمَلُوا لِلْجَنَّةِ عَمَلَهَا ۞ فَإِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تُخْلَقْ لَكُمْ دَارَ مُقَامٍ بَلْ خُلِقَتْ لَكُمْ مَجازًا لِتَزَوَّدُوا مِنْهَا الأَعْمالَ الَى دَارِ القَرَارِ ۞ فَكُونُوا مِنْهَا على أَوْفازٍ ۞

وَقَرِّبُوا الظُّهُورَ لِلزِّيَالِ

(الشرح) قوله عليه السلام فانه والله الجد الضمير للامر والشان الذى خاض معهم فى ذكره ووعظهم بنزوله ثم أوضحه بعد اجماله فقال انه الموت الذى دعا فاسمع وحدا فاعجل وسواد الناس عامتهم ومن ههنا اما بمعنى الباء أى لا يغرنك الناس بنفسك وصحتك وشبابك فتستبعد الموت اغترارا بذلك فتكون متعلقة بالظاهر واما ان تكون متعلقة بمحذوف تقديره متمكنا من نفسك وراكنا اليها والاقلال الفقر وطول الامل منصوب على انه مفعول له فان قلت المفعول له ينبغى أن يكون الفعل علة فى المصدر وههنا ليس الامن علة طول الامل بل طول الامل علة الامن قلت كما يجوز أن يكون طول الامل علة الامن يجوز أن يكون الامن علة طول الامل الا ترى ان الانسان قد يأمن المصائب فيطول أمله فى البقاء ووجوه المكاسب لاجل ما عنده من الامن و يجوز ان ينصب طول الامل على البدل من المفعول المنصوب برأيت وهو من و يكون التقدير قد رأيت طول أمل من كان وهذا بدل الاشتمال وقد حذف منه الضمير العائد كما حذف من قوله تعالى قتل أصحاب الاخدود النار واعواد المنايا النعش و يتعاطى به الرجال يتداولونه تارة على اكتاف هؤلاء وتارة على اكتاف هؤلاء وقد فسر ذلك بقوله حملا على المناكب وامساكا بالانامل والمشيد المبنى بالشيد وهو الجص والبور الفاسد الهالك وقوم بور أى هلكى قال سبحانه وكنتم قوما بورا وهو جمع واحده بائر كحائل وحول و يستعتبون ههنا يفسر بتفسيرين على اختلاف الروايتين فمن رواه بالضم على فعل مالم يسم فاعله فمعناه لا يعاتبون على فعل سيئة صدرت منهم أيام حياتهم أى لا يعاتبهم الناس أو لا يستطيعون وهم موتى ان يسيئوا الى أحد اساءة يعاتبون عليها ومن رواه يستعتبون بفتح حرف المضارعة فهو من استعتب فلان أى طلب ان يعتب أى يرضى تقول استعتبته فاعتبنى أى استرضيته فارضانى وأشعر فلان التقوى قلبه جعله كالشعار له أى يلازمه ملازمة شعار الجسد و برز مهله و يروى بالرفع و بالنصب فمن رواه بالرفع جعله فاعل برز أى من فاق شوطه برز الرجل على أقرانه أى فاقهم والمهل شوط الفرس ومن رواه بالنصب جعل برز بمعنى ابرز أى اظهر وابان فنصب حينئذ على المفعولية واهتبلت غرة زيد أى اغتنمتها والهبال الصياد الذى يهتبل الصيد أى يغتره وذئب هبل أى محتال وهبلها منصوب على المصدر كانه من هبل مثل غضب غضبا أى اغتنموا وانتهزوا الفرصة الانتهاز الذى يصلح لهذه الحال أى ليكن هذا الاهتبال بجد وهمة عظيمة فان هذه الحال حال عظيمة لا يليق بها الا الاجتهاد العظيم وكذا قوله واعملوا للجنة عملها أى العمل الذى يصلح ان يكون ثمرته الجنة ودار مقام أى دار اقامة والمجاز الطريق يجاز عليه الى المقصد والاوفاز جمع وفز بسكون الفاء وهو العجلة والظهور الركاب جمع ظهر و بنو فلان مظهرون أى لهم ظهور ينقلون عليها الاثقال كما يقال منجبون اذا كانوا أصحاب نجائب والزيال المفارقة زايله مزايلة وزيالا أى فارقه

(الاصل) ۞(ومن كلام له عليه السلام)۞

وَانْقَادَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ بِأَزِمَّتِهَا وَقَذَفَتْ إِلَيْهِ السَّمَوَاتُ وَالأَرَضُونَ مَقَالِيدَهَا ۞ وَسَجَدَتْ لَهُ بِالغُدُوِّ وَالآصالِ الأَشْجارُ النَّاضِرَةُ وَقَدَحَتْ لَهُ مِنْ قُضْبانِهَا النِّيرَانَ المُضِيئَةَ وَآتَتْ أُكُلَهَا بِكَلِمَاتِهِ الثِّمَارُ اليَانِعَةُ

(الشرح) الضمير فى له يرجع الى الله تعالى وقد كان تقدم ذكره سبحانه فى أول الخطبة وان لم يذكره الرضى رحمه الله ومعنى انقياد الدنيا والآخرة له نفوذ حكمه فيهما وشياع قدرته وعمومها وأزمتها لفظة مستعارة من انقياد الابل بأزمتها مع قائدها والمقاليد المفاتيح ومعنى سجود الاشجار الناضرة له تصرفها حسب ارادته وكونها مسخرة له محكوما عليها بنفوذ قدرته فيها فجعل عليه السلام ذلك خضوعا منها لمشيئته واستعار لها ما هو أدل على خضوع الانسان من جميع

أفعاله وهو السجود ومنه قوله تعالى ألم تر ان الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير قوله وقدحت له من قضبانها بالضم جمع قضيب وهو الغصن والمعنى انه بقدرته أخرج من الشجر الاخضر نارا او النار ضد هذا الجسم المخصوص وهذا هو قوله تعالى الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون بعينه وأتت أكلها أعطت ما يؤكل منها وهو أيضا من الالفاظ القرآنية واليانعة الناضجة وبكلماته أى بقدرته ومشيئته وهذه اللفظة من الالفاظ المنقولة على أحد الاقسام الاربعة المذكورة فى كتبنا فى أصول الفقه وهو استعمال لفظة متعارفة فى اللغة العربية فى معنى لم يستعملها أهل اللغة فيه كنقل لفظة الصلاة الذى هو فى أصل اللغة للدعاء الى هيئات وأوضاع مخصوصة ولم تستعمل العرب تلك اللفظة فيها ولا يصح قول من قال المراد بذلك قوله كن لانه تعالى لا يجوز أن يخاطب المعدوم وقوله تعالى انما أمرنا الشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون من باب التوسع والاستعارة المملوء منهما القرآن والمراد سرعة المؤاتاة وعجلة الايجاد وانه اذا أراد من أفعاله أمرا كان

(الاصل) (منها) وَكِتابُ اللّهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ ناطِقٌ لا يَعْيا لِسانُهُ وَبَيْتٌ لا تُهْدَمُ أَرْكانُهُ وَعِزٌّ لا تُهْزَمُ أَعْوانُهُ

(الشرح) يقال هو نازل بين أظهرهم وبين ظهريهم وبين ظهرانيهم بفتح النون أى نازل بينهم فان قلت لماذا قالت العرب بين أظهرهم ولم تقل بين صدورهم قلت أرادت بذلك الاشعار بشدة المحاماة عنه والمراماة من دونه لان النزيل اذا حامى القوم عنه استقبلوا شبا الاسنة وأطراف السيوف عنه بصدورهم وكان هو محروسا مصونا عن مباشرة ذلك وراء ظهورهم ولا يعيا لسانه لا يكل عييت بالمنطق فانا عيى على فعيل ويجوز عيى الرجل فى منطقه بالتشديد فهو عيى على فعل

(الاصل) (منها) أَرْسَلَهُ عَلى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ وَتَنازُعٍ مِنَ الأَلْسُنِ فَقَفّى بِهِ الرُّسُلَ وَخَتَمَ بِهِ الْوَحْيَ فَجاهَدَ فِي اللّهِ الْمُدْبِرِينَ عَنْهُ وَالْعادِلِينَ بِهِ

(الشرح) الضمير فى أرسله راجع الى النبى صلى الله عليه وآله وهو مذكور فى كلام لم يحكه جامع الكتاب والفترة زمان انقطاع الوحى والتنازع من الالسن ان قوما فى الجاهلية كانوا يعبدون الصنم وقوما يعبدون الشمس وقوما يعبدون الشيطان وقوما يعبدون المسيح فكل طائفة تجادل مخالفيها بألسنتها لتقودها الى معتقدها وقفى به الرسل اتبعها به قال سبحانه ثم قفينا على آثارهم برسلنا ومنه الكلام المقفى وسميت قوافى الشعر لان بعضها يتبع بعضا والعادلين به الجاعلين له عديلا أى مثلا وهو من الالفاظ القرآنية أيضا قال الله تعالى بربهم يعدلون

(الاصل) (منها) وَإِنَّما الدُّنْيا مُنْتَهى بَصَرِ الأَعْمى * لا يُبْصِرُ مِمّا وَراءَها شَيْئاً وَالْبَصِيرُ يَنْفُذُها بَصَرُهُ وَيَعْلَمُ أَنَّ الدّارَ وَراءَها فَالْبَصِيرُ مِنْها شاخِصٌ وَالأَعْمى إِلَيْها شاخِصٌ وَالْبَصِيرُ مِنْها مُتَزَوِّدٌ وَالأَعْمى لَها مُتَزَوِّدٌ

(الشرح) شبه الدنيا وما بعدها بما يتصوره الاعمى من الظلمة التى يتخيلها وكأنها محسوسة له وليست بمحسوسة على الحقيقة وانما هى عدم الضوء كمن يطلع فى جب ضيق فيتخيل ظلاما فانه لم ير شيأ ولكن لما عدم الضوء فلم ينفذ البصر تخيل انه يرى الظلمة فأما من يرى المبصرات فى الضياء فان بصره ينفذ فيشاهد المحسوسات يقينا وهذه حال الدنيا والآخرة أهل الدنيا منتهى بصرهم دنياهم ويظنون انهم يبصرون شيأ وليسوا بمبصرين على الحقيقة ولا حواسهم نافذة فى شئ وأهل الآخرة قد نفذت أبصارهم فرأوا الآخرة ولم يقف احساسهم على الدنيا خاصة فأولئك هم

أصحاب الابصار على الحقيقة وهذا معنى شريف من معانى أصحاب الطريقة والحقيقة واليه الاشارة بقوله سبحانه ألهم أعين لا يبصرون بها فاما قوله فالبصير منها شاخص والاعمى اليها شاخص فمن مستحسن التجنيس وهذا هو الذى يسميه أرباب الصناعة الجناس التام فالشاخص الاول الراحل والشاخص الثانى من شخص بصره بالفتح اذا فتح عينه نحو الشئ مقابلا له وجعل لا يطرف واعلم ان الجناس على سبعة أضرب أولها الجناس التام كهذا اللفظ وحده ان يتساوى حروف ألفاظ الكلمتين فى تركيبها وفى وزنها قالوا ولم يرد فى القرآن العزيز منه الا موضع واحد وهو قوله ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة وعندى ان هذا ليس بتجنيس أصلا وقد ذكرته فى كتابى المسمى بالفلك الدائر على المثل السائر وقلت ان الساعة فى الموضعين بمعنى واحد والتجنيس ان يتفق اللفظ ويختلف المعنى ولا يكون أحدهما حقيقة والآخر مجازا بل يكونان حقيقتين وان زمان القيامة وان طال لكنه عند الله فى حكم الساعة الواحدة لان قدرته لا يعجزها أمر ولا يطول عندها زمان فيكون اطلاق لفظ الساعة على أحد الموضعين حقيقة وعلى الآخر مجازا وذلك يخرج الكلام عن حد التجنيس كما لو قلت ركبت حمارا ولقيت حمارا وأردت بالثانى البليد وأيضا فلم لا يجوز أن يكون أراد بقوله ويوم تقوم الساعة الاولى خاصة من زمان البعث فيكون لفظ الساعة مستعملا فى الموضعين حقيقة بمعنى واحد فيخرج عن التجنيس وعن مشابهة التجنيس بالكلية قالوا وورد فى السنة من التجنيس التام خبر واحد وهو قوله صلى الله عليه وآله لقوم من الصحابة كانوا يتنازعون جرير بن عبد الله البجلى فى زمام ناقته خلوا بين جرير والجرير فالجرير الثانى الحبل وجاء من ذلك فى الشعر لابى تمام قوله

فاصبحت غرر الاسلام مشرقة * بالنصر تضحك عن أيامك الغرر

فالغرر الاولى مستعارة من غرة الوجه والغرة الثانية من غرة الشئ وهى أكرمه وكذلك قوله

من القوم جعد أبيض الوجه والندى * وليس بنان يجتدى منه أجعد

فالجعد الاول السيد والثانى ضد السبط وهو من صفات البخيل وكذلك قوله

بكل فتى ضرب يعرض للقنا * محيا محلى حلية الطعن والضرب

فالضرب الاول الرجل الخفيف والثانى مصدر ضرب وكذلك قوله

عداك حر الثغور المستضامة عن * برد الثغور وعن سلسالها الحصب

فاحدهما جمع ثغر وهو ما يتاخم العدو من بلاد الحرب والثانى للاسنان ومن هذه القصيدة

كم أحرزت قضب الهندى مصلتة * تهتز من قضب تهتز فى كثب

بيض اذا انتضيت من حجبها رجعت * أحق بالبيض أبدانا من الحجب

وقد أكثر الناس فى استحسان هذا التجنيس وأطنبوا وعندى انه ليس بتجنيس اصلا لان تسمية السيوف قضبا وتسمية الاغصان قضبا كله بمعنى واحد وهو القطع فلا تجنيس اذا وكذلك البيض للسيوف والبيض للنساء كله بمعنى البياض فبطل معنى التجنيس واظننى ذكرت هذا أيضا فى كتاب الفلك الدائر قالوا ومن هذا القسم قوله أيضا

اذا الخيل جابت قسطل الخيل صدعوا * صدور العوالى فى صدور الكتائب

وهذا عندى أيضا ليس بتجنيس لان الصدور فى الموضعين بمعنى واحد وهو جزء الشئ المتقدم البارز عن سائره فاما قوله أيضا

عامى وعام العيس بين وديقة * مسجورة وتنوفة صيخود

حتى أغادر كل يوم بالفلا * للطير عيدا من بنات العيد

فانه من التجنيس التام لا شبهة فى ذلك لاختلاف المعنى فالعيد الاول هو اليوم المعروف من الاعياد والعيد الثانى فحل من فحول الابل ونحو هذا قول أبى نواس

عباس عباس اذا احتدم الوغى * والفضل فضل والربيع ربيع

وقول البحترى

اذا العين راحت وهى عين على الهوى * فليس بسر ما تسر الاضالع

فالعين الثانية الجاسوس والاولى العين المبصرة وللعزى المتأخر قصيدة أكثر من التجنيس التام فيها أولها

لوزار ناطيف ذات الخال أحيانا * ونحن فى حفر الاجداث أحيانا

وقال فى أثنائها تقول أنت امرؤ جاف مغالطة * فقلت لاهومت أجفان أجفانا

وقال فى مديحها لم يبق غيرك انسان يلاذ به * فلا برحت لعين الدهر انسانا

وقد ذكر الغانمى فى كتابه من صناعة الشعر باباسماه رد الاعجاز على الصدور ذكر انه خارج عن باب التجنيس قال مثل قول الشاعر

ونشرى بجميل الصنع ذكراطيب النشر * ونفرى بسيوف الهند من أسرف فى النفر

* ونجرى فى شرا الجد على شاكلة النجر *

وهذا من التجنيس وليس بخارج عنه ولكنه تجنيس مخصوص وهو الاتيان به فى طرفى البيت وعد ابن الاثير الموصلى فى كتابه من التجنيس قول الشاعر فى الشيب

يابياضا أذرى دموعى حتى * عاد منها سواد عينى بياضا

وكذلك قول البحترى وأغر فى الزمن البهيم محجل * قد رحت منه على أغر محجر

وهذا عندى ليس بتجنيس لاتفاق المعنى والعجب منه انه بعد ايراده هذا أنكر على من قال ان قول أبى تمام

أظن الدمع فى خدى سيبقى * رسوما من بكائى فى الرسوم

من التجنيس وقال أى تجنيس ههنا والمعنى متفق ولو أمعن النظر لرأى هذا مثل البيتين السابقين قالوا فاما الاجناس الستة الباقية فانها خارجة عن التجنيس التام ومشبهة به فمنها أن تكون الحروف متساوية فى تركيبها مختلفة فى وزنها فمن ذلك قول النبى صلى الله عليه وآله اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى وقول بعضهم لن تنالوا غرر المعالى الا بركوب الغرر واهتبال الغرر وقول البحترى

وفر الخائن المغرور يرجو * أمانا أى ساعة ما أمان

يهاب الالتفات وقد تصدى * للحظة طرفه طرف السنان

وقال آخر قد ذبت بين حشاشة وذماء * ما بين حر هوى وحر هواء

ومنها أن تكون الالفاظ متساوية فى الوزن مختلفة فى التركيب بحرف واحد لاغير فان زاد على ذلك خرج من باب التجنيس وذلك نحو قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وكذلك قوله سبحانه وهم ينهون عنه و ينأون عنه وقوله تعالى ذلكم بما كنتم تفرحون فى الارض بغير الحق و بما كنتم تمرحون ونحو هذا ما ورد عن النبى صلى الله عليه وآله من قوله الخير معقود بنواصى الخيل الى يوم القيامة وقال بعضهم لاتنال المكارم الا بالمكاره وقال أبو تمام

يمدون من أيد عواص عواصم * تصول باسياف قواض قواضب

وقال البحترى من كل ساجى الطرف أغيد أجيد * ومهفهف الكشحين أحوى أحور

وقال أيضا شواجر أرماح تقطع بينهم * شواجن أرحام ملوم قطوعها

وهذا البيت حسن الصنعة لانه قد جمع بين التجنيس الناقص و بين المقلوب وهو ارماح وارحام ومنها أن تكون الالفاظ مختلفة فى الوزن والتركيب بحرف واحد كقوله تعالى والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق وكقوله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وكقول النبى صلى الله عليه وآله المسلم من سلم الناس من لسانه و يده وقول بعضهم الصديق لايحاسب والعدو لايحتسب له هكذا ذكر ابن الاثير هذه الامثلة قال ومن هذا القسم قول أبى تمام

أيام تدمى عينه تلك الدمى * حسنا وتقمر لبه الاقمار

بيض فهن اذا رمقن سوافرا * صور وهن اذا رمقن صوار

وكذلك قوله أيضا بدر اطاعت فيك بادرة النوى * ظلما وشمس أولعت بشماس

وقوله أيضا جهلوا فلم يستكثروا من طاعة * معروفة بعمارة الاعمار

وقوله أيضا ان الرماح اذا غرسن بمشهد * فجنى العوالى فى ذراه معالى

وقوله أيضا اذا أحسن الاقوام ان يتطاولوا * بلا نعمة أحسنت ان تتطولا

وقوله أيضا شد ما استنزلتك عن دمعك * الاظعان حتى استهل صوت الغزال

أى ربع يكذب الدهر عنه * وهو ملقى على طريق الليالى

بين خال اخنت عليه وحول * فهو نضو الاوحال والاحوال

أى حسن فى الذاهبين تولى * وجمال على ظهور الجمال

ودلال مخيم فى ذرى الخيم * وحجل مقصر فى الحجال

فالبيت الثالث والخامس هما المقصود بالتمثيل ومن ذلك قول على بن جبلة

وكم لك من يوم رفعت عماده * بذات جفون أو بذات جفان

وكقول البحترى نسيم الروض فى ريح شمال * وصوب المزن فى راح شمول

وكقوله أيضا جدير بان تنشق عن ضوء وجهه * ضبابة نقع تحتها الموت ناقع

واعلم ان هذه الامثلة لهذا القسم ذكرها ابن الاثير فى كتابه وهو عندى مستدرك لانه حد هذا القسم بما يختلف تركيبه يعنى حروفه الاصلية و يختلف أيضا وزنه و يكون اختلاف تركيبه بحرف واحد هكذا قال فى تحديده لهذا القسم وليس بقمر والاقمار مختلفين بحرف واحد وكذلك عمارة الاعمار وكذلك العوالى والمعالى وأما قوله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فخارج عن هذا بالكلية لان جميع أمثلة هذا القسم يختلف فيه الكلمات بالحروف الزائدة وهذه الآية اختلاف كلمتها بحروف أصلية فليست من التجنيس الذى نحن بصدده بل هى من باب تجنيس التصحيف كقول البحترى

ولم يكن المعتز بالله اذ سرى * ليعجزوا المعتز بالله طالبه

ثم قال ابن الاثير فى هذا القسم أيضا ومن ذلك قول محمد بن وهيب الحميرى

قسمت صروف الدهر بأساونائلا * فمالك موتور وسيفك واتر

وهذا أيضا عندى مستدرك لان اللفظتين كلاهما من الوتر و يرجعان الى أصل واحد الا ان أحد اللفظين مفعول والآخر فاعل وليس أحد يقول ان شاعرا لوقال فى شعره ضارب ومضروب لكان قد جانس * ومنها القسم المكنى بالمعكوس وهو على ضربين عكس لفظ وعكس حرف فالاول كقولهم عادات السادات سادات العادات وكقولهم شيم الاحرار أحرار الشيم ومن ذلك قول الاضبط بن قريع

قد يجمع المال غير آكله * ويأكل المال غير من جمعه

ويقطع الثوب غير لابسه * ويلبس الثوب غير من قطعه

ومثله قول المتنبى فلا مجد فى الدنيا لمن قل ماله * ولا مال فى الدنيا لمن قل مجده

ومثله قول الرضى رحمه الله من أبيات يذم فيها الزمان

أسف بمن يطير الى المعالى * وطار بمن يسف الى الدنايا

ومثله قول آخر ان الليالى للانام مناهل * تطوى وتنشر بينها الاعمار

فقصارهن مع الهموم طويلة * وطوالهن مع السرور قصار

ولبعض شعراء الاندلس يذكر غلامه

غيرتنا يد الزمان * فقد شبت والتحى فاستحال الضحى دجى * واستحال الدجى ضحى

و يسمى هذه الضرب التبديل وقد مثله قدامة بن جعفر الكاتب بقولهم اشكر لمن أنعم عليك وأنعم على من

شكرك ومثله قول النبي صلى الله عليه وآله جار الدار أحق بدار الجار قالوا ومنه قوله تعالى يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ولا أراه منه بل هو من باب الموازنة ومثلوه أيضا بقول أمير المؤمنين عليه السلام أما بعد فان الانسان يسره درك مالم يكن ليفوته ويسوءه فوت مالم يكن ليدركه وبقول أبي تمام لابي العميثل وأبي سعيد الضرير فانهما قالا له لما امتدح عبد الله بن طاهر بقصيدة وفي افتتاحها تكلف وتعجرف لم لا تقول ما يفهم فقال لهما لم لا تفهمان ما يقال والضرب الثاني من هذا القسم عكس الحروف وهو كقول بعضهم وقد أهدى لصديق له كرسيا

أهديت شيأ يقل لولا ٭ احدوثة الفال والتبرك
كرسي تفاولت فيه لما ٭ رأيت مقلوبه يسرك

وكقول الآخر

كيف السرور باقبال وآخره ٭ اذا تأملته مقلوب اقبال

أى لا بقاء وكقول الآخر

جاذبتها والريح تجذب عقربا ٭ من فوق خد مثل قلب العقرب
وطفقت الثم ثغرها فتمنعت ٭ وتحجبت عني بقلب العقرب

يريد برقعا ومنها النوع المسمى المجنب وهو ان يجمع بين كلمتين احداهما كالجنيبة التابعة للاخرى مثل قول بعضهم

أبا الفياض لا تحسب باني ٭ لفقري من حلى الاشعار عاري
فلي طبع كسلسال معين ٭ زلال من ذرى الاحجار جاري

وهذا في التحقيق هو الباب المسمى لزوم ما لا يلزم وليس من باب التجنيس ومنها المقلوب وهو ما يتساوى وزنه وتركيبه الا ان حروفه تتقدم وتتأخر مثل قول أبي تمام

بيض الصفائح لا سود الصحائف ٭ في متونهن جلاء الشك والريب

وقد ورد مثل ذلك في المنثور نحو ما روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه يقال يوم القيامة لصاحب القرآن اقرأ وارق وقد تكلمت في كتابي المسمى بالعبقري الحسان على أقسام الصناعة البديعية نثرا ونظما وبينت ان كثيرا منها يتداخل ويقوم البعض من ذلك مقام بعض فليلمح من هناك

(الاصل) (منها) وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيسَ مِنْ شَيْءٍ إلاَّ وَيكَادُ صاحِبُهُ يَشْبَعُ مِنْهُ وَيمَلُّهُ إلاَّ الحَيَاةُ فَانَّهُ لاَيَجِدُ في المَوْتِ رَاحَةً ٭ وَإنَّما ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الحِكْمَةِ الَّتِي هِيَ حَياةٌ لِلقَلْبِ المَيِّتِ وَبَصَرٌ لِلعَيْنِ العَمْياءِ وَسَمْعٌ لِلاُذُنِ الصَّمَّاءِ وَرِيٌّ لِلظَّمْآنِ وَفِيها الغِنَى كُلُّهُ وَالسَّلاَمَةُ ٭ كِتابُ اللهِ تُبْصِرُونَ بِهِ وَتَنْطِقُونَ بِهِ وَتَسْمَعُونَ بِهِ وَيَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ على بَعْضٍ وَلاَ يَخْتَلِفُ في اللهِ وَلاَ يُخالِفُ بِصاحِبِهِ عَنِ اللهِ ٭ قَدِ اصْطَلَحْتُمْ على الغِلِّ فيما بَيْنَكُمْ ٭ وَنَبَتَ المَرْعَى على دِمَنِكُمْ وَتَصافَيْتُمْ على حُبِّ الآمالِ ٭ وَتَعادَيْتُمْ في كَسْبِ الاَمْوَالِ ٭ لَقَدِ اسْتَهامَ بِكُمُ الخَبِيثُ ٭ وَتاهَ بِكُمُ الغُرُورُ وَاللهُ المُسْتَعانُ على نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ

(الشرح) هذا الفصل ليس بمنتظم من أوله الى آخره بل هو فصول متفرقة التقطها الرضي من خطبة طويلة على عادته في التقاط ما يستفصحه من كلامه عليه السلام وان كان كل كلامه فصيحا ولكن كل واحد له هوى ومحبة لشئ مخصوص وضروب الناس عشاق ضروبا فأما قوله كل شئ يمل الا الحياة فهو معنى قد طرقه الناس قديما وحديثا قال أبو الطيب

ولذيذ الحياة أنفس في النفس ٭ وأشهى من أن يمل وأحلى

واذا الشيخ قال أف فما مل ٭ حياة ولكن الضعف ملا

وقال أيضا

أرى كلنا يبغي الحياة لنفسه ٭ حريصا عليها مستهاما بها صبا
فحب الجبان النفس أورده البقا ٭ وحب الشجاع النفس أورده الحربا

وقال أبو العلاء

فما رغبة في الموت كدر مسيرها ٭ الى الورد خمسا ثم تشربن من أجن
يصادفن صقرا كل يوم وليلة ٭ ويلقين شرا من مخالبه الحجن
ولا قلقات الليل بانت كأنها ٭ من الاين والادلاج بعض القنا اللدن
ضربن مليعا بالسنابك أربعا ٭ الى الماء لا يقدرن منه على معن
وخوف الردى آوى الى الكهف أهله ٭ وكلف نوحا وابنه عمل السفن
وما استعذبته روح موسى وآدم ٭ وقد وعدا من بعده جنتي عدن

ولي من قصيدة أخاطب رجلين فرا في حرب

عذرتكما ان الحمام لمبغض ٭ وان بقاء النفس للنفس محبوب
ويكره طعم الموت والموت طالب ٭ فكيف يلذ الموت والموت مطلوب

وقال أبو الطيب أيضا

طيب هذا النسيم أوقر في الانفس ان الحمام مر المذاق
والاسى قبل فرقة الروح عجز ٭ والاسى لا يكون بعد الفراق

البحتري

ما أطيب الايام الا انها ٭ يا صاحبي اذا مضت لم ترجع

وقال آخر

أوفى يصفق بالجناح مغلسا ٭ ويصيح من طرب الى الندمان
يا طيب لذة هذه دنياكم ٭ لو انها بقيت على الانسان

وقال آخر

أرى الناس يهوون البقاء سفاهة ٭ وذلك شئ ما اليه سبيل
ومن يأمن الايام أما بلاؤها ٭ فجم وأما خيرها فقليل

وقال محمد بن وهيب الحميري ونحن بنو الدنيا خلقنا لغيرها ٭ وما كنت منه فهو شئ محبب ٭ وهذا مأخوذ من قول أمير المؤمنين عليه السلام وقد قيل له ما أكثر حب الناس للدنيا فقال هم أبناؤها أيلام الانسان في حب أمه وقال آخر

يا موت ما أجفاك من نازل ٭ تنزل بالمرء على رغمه
تستلب العذراء من خدرها ٭ وتأخذ الواحد من أمه

أبو الطيب

وهي معشوقة على الغدر لا تحفظ عهدا ولا تتمم وصلا
كل دمع يسيل منها عليها ٭ وبفك اليدين عنها تخلى
شيم الغانيات فيها فلا أدري ٭ لذا أنث اسمها الناس أم لا

فان قلت كيف يقول انه لا يجد في الموت راحة وأين هذا من قول رسول الله صلى الله عليه وآله الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ومن قوله عليه السلام والله ما أرجو الراحة الا بعد الموت وماذا يعمل بالصالحين الذين آثروا فراق هذه العاجلة واختاروا الآخرة وهو عليه السلام سيدهم وأميرهم قلت لا منافاة فان الصالحين انما طلبوا أيضا الحياة المستمرة بعد الموت ورسول الله صلى الله عليه وآله انما قال ان الدنيا سجن المؤمن لان الموت غير مطلوب للمؤمن لذاته انما يطلبه للحياة المتعقبة له وكذلك قوله عليه السلام والله ما أرجو الراحة الا بعد الموت تصريح بان الراحة في الحياة التي تتعقب الموت وهي حياة الأبد فلا منافاة اذا بين هذه الوجوه وبين ما قاله عليه السلام لانه ما نفى الا الراحة في الموت نفسه لا في الحياة الحاصلة بعده فان قلت فقد نطرأ على الانسان حالة يستصعبها فيود الموت لنفسه ولا يفكر فيما يتعقبه من الحياة التي تشير اليها ولا يخطر بباله قلت ذاك شاذ نادر فلا يلتفت اليه وانما الحكم للاعم الاغلب وأيضا فان

ذاك لا يلتذ بالموت وانما يتخلص به من الألم وأمير المؤمنين قال ما من شئ من الملذات الا وهو مملول الا الحياة وبين اللذ والتخلص من الألم فرق واضح فلا يكون نقضا على كلامه فان قلت قد ذكرت ماقيل فى حب الحياة وكراهية الموت فهل قيل فى عكس ذلك ونقيضه شئ قلت نعم فمن ذلك قول أبى الطيب

كفى بك داء ان ترى الموت شافيا ❊ وحسب المنايا ان يكن أمانيا

تمنيتها لما تمنيت ان ترى ❊ صديقا فاعيا أو عدوا مداجيا

وقال آخر

قد قلت اذ مدحوا الحياة فأسرفوا ❊ فى الموت ألف فضيلة لا تعرف

منها أمان لقائه بلقائه ❊ وفراق كل معاشر لا ينصف

وقيل لاعرابى وقد احتضر انك ميت قال الى أين يذهب بى قيل الى الله قال ما أكره أن أذهب الى من لم أر الخير الا منه

ابراهيم بن مهدى

وانى وان قدمت قبلى لعالم ❊ بأنى وان أبطأت عنك قريب

وان صباحا نلتقى فى مسائه ❊ صباح الى قلبى الغداة حبيب

وقال بعض السلف ما من مؤمن الا والموت خير له من الحياة لانه ان كان محسنا فالله تعالى يقول وما عند الله خير وأبقى للذين اتقوا وان كان مسيئا فالله تعالى يقول ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما وقال ميمون بن مهران بت ليلة عند عمر بن عبد العزيز فرأيته يبكى ويكثر من تمنى الموت فقلت له انك أحييت سننا وأمت بدعا وفى بقائك خير للمسلمين فما بالك تتمنى الموت فقال ألا أكون كالعبد الصالح حين أقر الله له عينه وجمع له أمره قال رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الاحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولىى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين وقالت الفلاسفة لا يستكمل الانسان حد الانسانية الا بالموت لان الانسان هو الحى الناطق الميت وقال بعضهم الصالح اذا مات استراح والطالح اذا مات استريح منه وقال الشاعر

جزى الله عنا الموت خيرا فانه ❊ أبر بنا من كل بر وأرأف

يعجل تخليص النفوس من الاذى ❊ ويدنى من الدار التى هى أشرف

وقال آخر

من كان يرجو أن يعيش فاننى ❊ أصبحت أرجو أن أموت لاعتقا

فى الموت ألف فضيلة لو أنها ❊ عرفت لكان سبيله أن يعشقا

وقال أبو العلاء

جسمى ونفسى لما استجمعا صنعا ❊ شرا الى مجل الواحد الصمد

فالجسم يعذل فيه النفس مجتهدا ❊ وتلك تزعم ان الظالم الجسد

اذا هما بعد طول الصحبة افترقا ❊ فان ذاك لاحداث الزمان يد

وقال أبو العتاهية

المرء يأمل أن يعيش ❊ وطول عمر قد يضره تفنى بشاشته ❊ ويبقى بعد حلو العيش مره

وتخونه الايام حتى ❊ لا يرى شيئا يسره كم شامت بى ان هلكت ❊ وقائل لله دره

وقال ابن المعتز

ألست ترى يا صاح ما أعجب الدهرا ❊ فذما له لكن للخالق الشكرا

لقد حبب الموت البقاء الذى أرى ❊ فيا حسدا منى لمن يسكن القبرا

فأما قوله عليه السلام وانما ذلك بمنزلة الحكمة الى قوله وفيها الغنى كله والسلامة ففصل آخر غير ملتئم بما قبله وهو اشارة الى كلام من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله رواه لهم ثم حضهم على التمسك به والانتفاع بمواعظه وقال انه بمنزلة الحكمة التى هى حياة القلوب ونور الابصار وسمع الاذان الصم ورى الاكباد الحرى وفيها الغنى كله والسلامة والحكمة المشبه كلام الرسول صلى الله عليه وآله بها هى المذكورة فى قوله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وفى قوله ولقد آتينا لقمان الحكمة وفى قوله وآتيناه الحكم صبيا وهى عبارة عن المعرفة بالله تعالى وبما فى مبدعاته من الاحكام الدالة على علمه كتركيب الأفلاك ووضع العناصر مواضعها ولطائف صنعة الانسان وغيره من الحيوان

وكيفية

وكيفية انشاء النبات والمعادن وما فى العالم من القوى المختلفة والتأثيرات المتنوعة الراجع ذلك كله الى حكمة الصانع وقدرته وعلمه تبارك اسمه فأما قوله وكتاب الله الى قوله ولا يخالف بصاحبه عن الله ففصل آخر مقطوع عما قبله ومتصل بما لم يذكره جامع نهج البلاغة فان قلت ما معنى قوله ولا يختلف فى الله ولا يخالف بصاحبه عن الله وهل بين هاتين الجملتين فرق قلت نعم أما قوله ولا يختلف فى الله فهو انه لا يختلف فى الدلالة على الله وصفاته أى لا يتناقض أى ليس فى القرآن آيات مختلفة يدل بعضها على انه يعلم كل المعلومات مثلا وتدل الأخرى على انه لا يعلم كل المعلومات أو يدل بعضها على انه لا يرى و بعضها على انه يرى وليس وجودنا للآيات المتشابهة بقادح فى هذا القول لان آيات الجبر والتشبيه لا تدل وانما توهم ونحن انما نفينا أن يكون فيه ما يدل على الشئ ونقيضه وأما قوله ولا يخالف بصاحبه عن الله فهو انه لا يأخذ بالانسان المعتمد عليه الى غير الله أى لا يهديه الا الى جناب الحق سبحانه ولا يعرج به الى جناب الشيطان يقال خالفت بفلان عن فلان اذا أخذت به غير نحوه وسلكت به غير جهته فأما قوله قد اصطلحتم على الغل الى آخر الفصل فكلام مقطوع أيضا عما قبله والغل الحقد والدمن جمع دمنة وهى الحقد أيضا وقد دمنت قلوبهم بالكسر أى ضغنت ونبت المرعى عليها أى دامت وطال الزمان عليها حتى صارت بمنزلة الارض الجامدة الثابتة التى تنبت النبات ويجوز أن يريد بالدمن ههنا جمع دمن وهو البعر المجتمع كالمزبلة أو جمع دمنة وهى آثار الناس وما سودوا من الارض يقال قد دمن الفناء الماء وقد دمن القوم الارض فشبه ما فى قلوبهم من الغل والحقد والضغائن بالمزبلة المجتمعة من البعر وغيره من سقاطة الديار التى قد طال مكثها حتى نبت عليها المرعى قال الشاعر

وقد تنبت المرعى على دمن الثرى ❊ وتبقى حزازات النفوس كما هيا

قوله عليه السلام لقد استهام بكم الخبيث يعنى الشيطان واستهام بكم جعلكم هائمين أى استهامكم فعداه بحرف الجر كما تقول فى استنفرت القوم الى الحرب استنفرت بهم أى جعلتهم نافرين ويمكن أن يكون بمعنى الطلب والاستدعاء كقولك استعلمت منه حال كذا أى استدعيت منه أن يعلمنى واستمنحت فلانا أى طلبت واستدعيت أن يعطينى فيكون قوله واستهام بكم الخبيث أى استدعى منكم أن تهيموا وتقعوا فى التيه والضلال والحيرة يعنى قوله وتاه بكم الغرور هو الشيطان أيضا قال سبحانه وغركم بالله الغرور وتاه بكم جعلكم تائهين حائرين ثم سأل الله أن يعينه على نفسه وعليهم ومن كلام بعض الصالحين اللهم انصرنى على أقرب الاعداء الى دارا وأدناهم منى جوارا وهى نفسى

❊(ومن كلام له عليه السلام)❊

❊(وقد شاوره عمر بن الخطاب فى الخروج الى غزو الروم بنفسه)❊

وَقَدْ تَوَكَّلَ ٱللّٰهُ لِأَهْلِ هٰذَا الدِّينِ بِاعْزَازِ ٱلْحَوْزَةِ ❊ وَسَتْرِ الْعَوْرَةِ ❊ وَالَّذِى نَصَرَهُمْ وَهُمْ قَلِيلٌ لَا يَنْتَصِرُونَ ❊ وَمَنَعَهُمْ وَهُمْ قَلِيلٌ لَا يَمْتَنِعُونَ ❊ حَىٌّ لَا يَمُوتُ إِنَّكَ مَتَى تَسِرْ إِلَى هٰذَا ٱلْعَدُوِّ بِنَفْسِكَ فَتَلْقَهُمْ فَتُنْكَبْ لَا تَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ كَانِفَةٌ دُونَ أَقْصَى بِلَادِهِمْ ❊ لَيْسَ بَعْدَكَ مَرْجِعٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ ❊ فَابْعَثْ إِلَيْهِمْ رَجُلًا مِحْرَبًا ❊ وَاحْفِزْ مَعَهُ أَهْلَ ٱلْبَلَاءِ وَالنَّصِيحَةِ ❊ فَإِنْ أَظْهَرَ ٱللّٰهُ فَذَاكَ مَا تُحِبُّ ❊ وَإِنْ تَكُنِ ٱلْأُخْرَى كُنْتَ رِدْأً لِلنَّاسِ وَمَثَابَةً لِلْمُسْلِمِينَ

(الشرح) توكل لهم صار وكيلا ويروى وقد تكفل أى صار كفيلا والحوزة الناحية وحوزة الملك بيضته يقول انما

نصرهم فى الابتداء على ضعفهم هو الله تعالى وهو حى لا يموت فأجدر به أن ينصرهم ثانيا كما نصرهم أولا وقوله فتنكب مجزوم لانه عطف على تسر وكهفة أى وكهف يلجأ اليه و يروى كانفة أى جهة عاصمة من قولك كنفت الابل جعلت لها كنيفا من الشجر تستتر به وتعتصم ورجل محرب أى صاحب حروب وحفزت الرجل أحفزه دفعته من خلفه وسقته سوقا شديدا وكنت ردأ أى عونا قال سبحانه فأرسله معى ردأ يصدقنى ومثابة أى مرجعا ومنه قوله تعالى مثابة للناس وأمنا أشار عليه السلام أن لا يشخص بنفسه حذرا أن يصاب فيذهب المسلمون كلهم لذهاب الرأس بل يبعث أميرا من جانبه على الناس و يقيم هو بالمدينة فان هزموا كان مرجعهم اليه فان قلت فما بال رسول الله صلى الله عليه وآله كان يشاهد الحروب بنفسه و يباشرها بشخصه قلت ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان موعودا بالنصر وآمنا على نفسه بالوعد الالهى فى قوله سبحانه والله يعصمك من الناس وليس عمر كذلك فان قلت فما بال أمير المؤمنين عليه السلام شهد حرب الجمل وصفين والنهروان بنفسه فهلا بعث أميرا محربا وأقام بالمدينة ردأ ومثابة قلت عن هذا جوابان أحدهما انه كان عالما من جهة النبى صلى الله عليه وآله انه لا يقتل فى هذه الحروب و يشهد لذلك الخبر المتفق عليه بين الناس كافة تقاتل بعدى الناكثين والقاسطين والمارقين وثانيهما يجوز أن يكون غلب على ظنه ان غيره لا يقوم مقامه فى حرب هذه الفرق الخارجة عليه ولم يجد أميرا محربا من أهل البلاء والنصيحة لانه عليه السلام هكذا قال لعمر واعتبر هذه القيود والشروط فمن كان من أصحابه عليه السلام محربا لم يكن من أهل النصيحة له ومن كان من أهل النصيحة له لم يكن محربا فدفعته الضرورة الى مباشرة الحرب بنفسه ❊ واعلم ان هذه الغزاة هى غزاة فلسطين التى فتح فيها بيت المقدس وقد ذكرها أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى التاريخ وقال ان عليا عليه السلام هو كان المستخلف على المدينة لما شخص عمر الى الشام وان عليا عليه السلام قال له لا تخرج بنفسك انك تريد عدوا كلبا فقال عمر انى أبادر بجهاد العدو موت العباس بن عبد المطلب انكم لو فقدتم العباس لانتقض بكم الشر كما ينتقض الحبل فمات العباس لست سنين خلت من امارة عثمان وانتقض بالناس الشر قال أبو جعفر وقد كان الروم عرفوا من كتبهم ان صاحب فتح مدينة ايليا وهى بيت المقدس رجل اسمه على ثلاثة أحرف فكان من حضر من أمراء المسلمين يسألون عن اسمه فيعلمون انه ليس بصاحبهم فلما طال عليهم الامر فى حرب الروم استمدوا عمر وقالوا ان لم تحضر بنفسك لم يفتح علينا فكتب اليهم أن يلتقوه برأس الجابية ليوم سماه لهم فلقوه وهو راكب حمارا وكان أول من لقيه يزيد بن أبى سفيان ثم أبو عبيدة بن الجراح ثم خالد بن الوليد على الخيول وعليهم الديباج والحرير فنزل عمر عن حماره وأخذ الحجارة ورماهم بها وقال سرعان ما لفتم عن رأيكم اياى تستقبلون فى هذا الزى وانما شبعتم منذ سنتين سرع ما نزت بكم البطنة والله لو فعلتموها على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم فقالوا يا أمير المؤمنين انما هى يلامقة وتحتها السلاح فقال فنعم اذا قال أبو جعفر فلما علم الروم مقدم عمر نفسه سألوه الصلح فصالحهم وكتب لهم كتابا على أن يؤدوا الجزية ثم سار الى بيت المقدس فقصر فرسه عن المشى فأتى ببرذون فركبه فهزه وهملج تحته فنزل عنه وضرب وجهه بردائه وقال قبح الله من علمك هذا ردوا على فرسى فردوه فركبه وسار حتى انتهى الى بيت المقدس قال ولم يركب برذونا قبله ولا بعده وقال أعوذ بالله من الخيلاء قال أبو جعفر ولقيه معاوية وعليه ثياب ديباج وحوله جماعة من الغلمان والخول فدنا منه فقبل يده فقال ما هذا يا ابن هند وانك لعلى هذه الحال مترف صاحب لبوس وتنعم وقد بلغنى ان ذوى الحاجات يقفون ببابك فقال يا أمير المؤمنين أما اللباس فانا ببلاد عدو ونحب أن يرى أثر نعمة الله علينا وأما الحجاب فانا نخاف من البذلة جرأة الرعية فقال ما سألتك عن شئ الا تركتنى منه فى أضيق من الرواجب ان كنت صادقا فانه رأى لبيب وان كنت كاذبا فانها خدعة أريب وقد روى الناس كلام معاوية لعمر على وجه آخر قيل لما قدم عمر الشام قدمها وهو راكب حمار قريب من الارض ومعه عبد الرحمن بن عوف راكب حمار قريب أيضا فتلقاهما معاوية فى كوكبة حسناء فثنى وركه ونزل وسلم بالخلافة فلم يرد عليه فقال له عبد الرحمن أحصرت الفتى يا أمير المؤمنين فلو كلمته قال انك لصاحب الجيش الذى أرى قال نعم قال مع شدة احتجابك ووقوف ذوى الحاجات ببابك قال أجل

قال

قال لم ويحك قال لأنا ببلاد عدو وكثير فيها جواسيسهم فان لم تتخذ العدة والعدد استخف بنا وهجم على عوراتنا وأنا بعد عاملك فان استنقصتنى نقصت وان استزدتنى زدت وان استوقفتنى وقفت فقال ان كنت كاذبا انه لرأى أريب وان كنت صادقا انه لتدبير لبيب ما سألتك عن شئ قط الا تركتنى منه فى أضيق من رواجب الضرس لا آمرك ولا أنهاك فلما انصرف قال عبد الرحمن لقد أحسن الفتى فى اصدار ما أوردت عليه فقال لحسن ايراده واصداره جشمناه ما جشمناه قال أبو جعفر شخص عمر من المدينة الى الشام أربع مرات ودخلها مرة راكب فرس ومرة راكب بعير ومرة راكب بغل ومرة راكب حمار وكان لا يعرف وربما استخبره الواحد أين أمير المؤمنين فيسكت أو يقول سل الناس وكان يدخل الشام وعليه سحق فرو مقلوب واذا احضر الناس طعامه رأوا أخشن الطعام قال أبو جعفر وقدم الشام فى احدى هذه المرات الاربع فصادف الطاعون بها فاشيا فاستشار الناس فكل أشار عليه بالرجوع وأن لا يدخلها الا أبا عبيدة بن الجراح فانه قال أتفر من قدر الله قال نعم أفر من قدر الله بقدر الله الى قدر الله لو غيرك قالها يا أبا عبيدة فما لبث أن جاء عبد الرحمن بن عوف فروى لهم عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال اذا كنتم ببلاد الطاعون فلا تخرجوا منها واذا قدمتم الى بلاد الطاعون فلا تدخلوها فحمد الله على موافقة الخبر لما كان فى نفسه وما أشار به الناس وانصرف راجعا الى المدينة ومات أبو عبيدة فى ذلك الطاعون وهو الطاعون المعروف بطاعون عمواس وكان فى سنة سبع عشرة من الهجرة

(الاصل) ❊(ومن كلام له عليه السلام)❊

وقد وقع بينه وبين عثمان مشاجرة فقال المغيرة بن الاخنس لعثمان أنا اكفيكه

فقال أمير المؤمنين عليه السلام للمغيرة

يا ابْنَ اللَّعِينِ الأَبْتَرِ ❊ وَالشَّجَرَةِ الَّتِى لاَ أَصْلَ لَهَا وَلاَ فَرْعَ ❊ أَنْتَ تَكْفِينِى فَوَاللهِ ما أَعَزَّ اللهُ مَنْ انتَ نَاصِرُهُ ❊ وَلاَ قامَ مَنْ أَنْتَ مُنْهِضُهُ ❊ أُخْرُجْ عَنَّا أَبْعَدَ اللهُ نَوْأَكَ ثُمَّ ابْلُغْ جَهْدَكَ فَلاَ أَبْقَى اللهُ عَلَيْكَ إنْ أَبْقَيْتَ

(الشرح) هو المغيرة بن الاخنس بن شريق بن عمرو بن وهب بن علاج بن أبى سلمة الثقفى حليف بنى زهرة وانما قال له أمير المؤمنين عليه السلام يا ابن اللعين لان الاخنس بن شريق كان من أكابر المنافقين ذكره أصحاب الحديث كلهم فى المؤلفة قلوبهم الذين أسلموا يوم الفتح بألسنتهم دون قلوبهم وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله مائة من الابل من غنائم حنين يتألف بها قلبه وابنه أبو الحكم بن الاخنس قتله أمير المؤمنين عليه السلام يوم أحد كافرا فى الحرب وهو أخو المغيرة هذا والحقد الذى فى قلب المغيرة عليه من هذه الجهة وانما قال له يا ابن الابتر لان من كان عقبه ضالا خبيثا فهو كمن لا عقب له بل من لا عقب له خير منه و يروى ولا اقام من أنت منهضه بالهمزة و يروى أبعد الله نوأك من أنواء النجوم التى كانت العرب تنسب المطر اليها وكانوا اذا دعوا على انسان قالوا أبعد الله نوأك أى خيرك والجهد بالفتح الغاية و يقال قد جهد فلان جهده بالفتح لا يجوز غير ذلك أى انتهى الى غايته وقد روى ان رسول الله صلى الله عليه وآله لعن ثقيفا وروى أنه عليه السلام قال لولا عروة بن مسعود للعنت ثقيفا وروى الحسن البصرى ان رسول الله صلى الله عليه وآله لعن ثلاث بيوت بيتان من مكة وهما بنو أمية وبنو المغيرة وبيت من الطائف وهم ثقيف وفى الخبر المشهور المرفوع وقد ذكر ثقيفا بئست القبيلة يخرج منها كذاب ومبير فكان كما قال صلى الله عليه وآله الكذاب المختار والمبير الحجاج ❊ واعلم ان هذا الكلام لم يكن بحضرة عثمان ولكن عوانة روى عن اسمعيل بن أبى خالد عن الشعبى أن عثمان لما كثرت

شكايته من علي عليه السلام أقبل لايدخل اليه من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أحد الاشكى اليه عليا فقال له زيد بن ثابت الانصاري وكان من شيعته وخاصته أفلا أمشي اليه فأخبره بموجدتك فيما يأتي اليك قال بلى فأتاه زيد ومعه المغيرة بن الاخنس بن شريق الثقفي وعداده في بني زهرة وأمه عمة عثمان بن عفان في جماعة فدخلوا عليه فحمد زيد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان الله قدم لك سلفا صالحا في الاسلام وجعلك من الرسول بالمكان الذي أنت به فأنت للخير كل الخير أهل وأمير المؤمنين عثمان ابن عمك ووالي هذه الامة فله عليك حقان حق الولاية وحق القرابة وقد شكا الينا ان عليا يعرض لي ويرد أمري علي وقد مشينا اليك نصيحة لك وكراهية أن يقع بينك وبين ابن عمك أمر نكرهه لكما قال فحمد علي عليه السلام الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال أما بعد فوالله ما أحب الاعتراض ولا الرد عليه الا أن يأبى حقا لله لايسعني أن أقول فيه الا بالحق ووالله لا كفن عنه ماوسعني الكف فقال المغيرة بن الاخنس وكان رجلا وقاحا وكان من شيعة عثمان وخلصائه انك والله لتكفن عنه أو لتكفن فانه أقدر عليك منك عليه وانما أرسل هؤلاء القوم من المسلمين اعزازا لتكون له الحجة عندهم عليك فقال له علي عليه السلام يا ابن اللعين الابتر والشجرة التي لا أصل لها ولا فرع أنت تكفني فوالله ما أعز الله امرأ أنت ناصره أخرج أبعد الله نواك ثم اجهد جهدك فلا أبقى الله عليك ولا على أصحابك ان أبقيتم فقال له زيد انا والله ماجئناك لنكون عليك شهودا ولا ليكون ممشانا اليك حجة ولكن مشينا فيما بينكما التماس الاجر أن يصلح الله ذات بينكما ويجمع كلمتكما ثم دعا له ولعثمان وقام فقاموا معه وهذا الخبر يدل على ان اللفظة أنت تكفني وليست كما ذكره الرضي رحمه الله أنت تكفيني لكن الرضي طبق هذه اللفظة على ماقبلها وهو قوله أنا أكفيكه ولاشبهة انها رواية أخرى وانما قال له والشجرة التي لا أصل لها ولا فرع لان ثقيفا في نسبها طعن فقال قوم من النسابين انهم من هوازن وهو القول الذي تزعمه الثقفيون قالوا هو ثقيف واسمه قسي بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر وعلى هذا القول جمهور الناس ويزعم آخرون ان ثقيفا من اياد بن نزار بن معد بن عدنان وان النخع أخوه لابيه وأمه ثم افترقا فصار أحدهما في عداد هوازن والآخر في عداد مذحج بن مالك بن زيد بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقد روى أبو العباس المبرد في الكامل لاخت الاشتر مالك بن الحرث النخعي تبكيه

أبعد الاشتر النخعي نرجو * مكاثرة ونقطع بطن وادي
ونصحب مذحجا باخاء صدق * وان ننسب فنحن ذرى اياد
ثقيف عمنا وأبو أبينا * واخوتنا نزار أولو السداد

قال أبو العباس وهجا يحيى بن نوفل وكان هجاء خبيث اللسان العريان بن الهيثم بن الاسود النخعي وقد كان العريان تزوج امرأة اسمها زباد مبني على الكسر والزاي مفتوحة بعدها باء منقوطة بواحدة وهي من ولد هاني بن قبيصة الشيباني وكانت قبله تحت الوليد بن عبد الملك بن مروان فطلقها فأنكحها اياه أخ لها يقال له زياد فقال يحيى بن نوفل

أعريان مايدري امرؤ سيل عنكم * أمن مذحج تدعون أم من اياد
فان قلتم من مذحج ان مذحجا * لبيض الوجوه غير جد جعاد
وأنتم صغار الهام حول كأنما * وجوهكم مطلية بمداد
وان قلتم الحي اليمانون أصلنا * وناصرنا في كل يوم جلاد
فأطول بأير من معد ونزوة * نزت باياد خلف دار مراد
ضللتم كما ضلت ثقيف فمالكم * ولا لهم بين القبائل هادي
لعمر بني شيبان اذ ينكحونه * زباد لقد ماقصروا بزباد
أبعد وليد انكحوا عبد مذحج * كمثرته غير اخلاف جواد
وانكحها الا في كفاء ولاغنى * زياد أضل الله سعي زياد

قال أبو العباس وكان المغيرة بن شعبة وهو والي الكوفة صار الى دير هند بنت النعمان بن المنذر وهي فيه عمياء مترهبة فاستأذن عليها فقيل لها أمير هذه المدرة بالباب قالت قولوا له من ولد جبلة بن الايهم أنت قال لا قالت أفمن ولد المنذر ابن ماء السماء أنت قال لا قالت فمن هو قال أنا المغيرة بن شعبة الثقفي قالت فما حاجته قال جئت خاطبا قالت لو كنت جئتني لجمال أو مال لاطلبتك ولكنك أردت أن تتشرف بي في محافل العرب فتقول نكحت ابنة النعمان بن المنذر والافأي خير في اجتماع أعور وعمياء فبعث اليها كيف كان أمركم قالت سأختصر لك الجواب أمسينا وليس في الارض عربي الا وهو يرهبنا ويرغب الينا وأصبحنا وليس في الارض عربي الا ونحن نرهبه ونرغب اليه قال فما كان أبوك يقول في ثقيف قالت أذكر وقد اختصم اليه رجلان منهم أحدهما ينتهي الى اياد والآخر الى هوازن فقضى للايادي وقال

ان ثقيفا لم يكن هوازنا * ولم يناسب عامرا ومازنا

فقال المغيرة أما نحن فمن بكر بن هوازن فليقل أبوك ماشاء ثم انصرف وقال قوم آخرون ان ثقيفا من بقايا ثمود من العرب القديمة التي بادت وانقرضت قال أبو العباس وقد قال الحجاج على المنبر يزعمون أنا من بقايا ثمود فقد كذبهم الله بقوله وثمود فما أبقى وقال مرة أخرى ولئن كنا من بقايا ثمود لما نجا مع صالح الا خيارهم وقال الحجاج يوما لابي العسوس الطائي أي أقدم أنزول ثقيف الطائف أم نزول طيء الجبلين فقال له أبو العسوس ان كانت ثقيف من بكر بن هوازن فنزول طي الجبلين قبلها وان كانت من بقايا ثمود فهي أقدم فقال الحجاج يا أبا العسوس اتقني فاني سريع الخطفة للاحمق المتهور فقال أبو العسوس قال أبو العباس وكان اعرابيا قحا الا انه لطيف الطبع وكان الحجاج يمازحه

يؤدبني الحجاج تأديب أهله * فلو كنت من أولاد يوسف ماعدا
واني لاخشى ضربة ثقفية * يقد بها من عصاه المقلدا
على انني مما أحاذر آمن * اذا قيل يوما قد عصى المرء واعتدى

وقتل المغيرة بن الاخنس مع عثمان يوم الدار وقد ذكرنا مقتله فيما تقدم

﴿تم الجزء الثامن من شرح نهج البلاغة ويليه الجزء التاسع﴾

الجزء التاسع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد العدل واعلم ان هذا الكتاب يستدعي منا ان نذكر اطرافا مما شجر بين أمير المؤمنين عليه السلام وعثمان أيام خلافته اذ كان هذا الكلام الذي شرحناه من ذلك النمط والشيء يذكر بنظيره وعادتنا في هذا الشرح ان نذكر الشيء مع ماينا سبه ويقتضي ذكره وقال أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب أخبار السقيفة حدثني محمد ابن منصور الرمادي عن عبد الرزاق عن معمر عن زياد بن جبل عن أبي كعب الحارثي وهو ذو الاداوة قال أبو بكر أحمد ابن عبد العزيز وانما سمي ذا الاداوة لانه قال اني خرجت في طلب ابل ضوال فتزودت لبنا في اداوة ثم قلت في نفسي ما انصفت ربي فأين الوضوء فارقت اللبن وملأتها ماء فقلت هذا وضوء وشراب وطفقت ابغي ابلي فلما اردت الوضوء

اصطبت من الاداواة ماء فتوضأت ثم اردت الشرب فلما اصابتها اذا اللبن فشربت فمكثت بذلك ثلاثا فقالت له اسماء البحرانية يا أبا كعب أحقينا كان ام حليبا قال انك لبطالة كان يعصم من الجوع و يروى من الظمأ اما انى حدثت بهذا نفرا من قومى منهم على بن الحارث سيد بنى قنان فلم يصدقنى وقال ما أظن الذى تقول كما قلت فقلت الله اعلم بذلك ورجعت الى منزلى فبت ليلتى تلك فاذا به صلاة الصبح على بابى فخرجت اليه فقلت رحمك الله لم تعنيت الا أرسلت الى فآتيك فانى لاحق بذلك منك قال ما نمت الليلة الا انانى آت فقال أنت الذى تكذب من يحدث بما أنعم الله عليه قال أبو كعب ثم خرجت حتى أتيت المدينة فاتيت عثمان بن عفان وهو الخليفة يومئذ فسألته عن شئ من أمر دينى وقلت يا أمير المؤمنين انى رجل من أهل اليمن من بنى الحرث بن كعب وانى أريد ان أسألك عن أشياء فامر حاجبك ان لا يحجبنى فقال يا وثاب اذا جاءك هذا الحارثى فأذن له قال فكنت اذا جئت فقرعت الباب قال من ذا فقلت الحارثى فيقول أدخل فدخلت يوما فاذا عثمان جالس وحوله نفر سكوت لا يتكلمون كأن على رؤسهم الطير فسلمت ثم جلست فلم أسأله عن شئ لما رأيت من حالهم وحاله فبينا أنا كذلك اذ جاء نفر فقالوا انه أبى أن يجئ قال فغضب وقال أبى أن يجئ اذهبوا فجيئوا به فان أبى فجروه جرا قال فمكثت قليلا فجاؤا ومعهم رجل آدم طوال أصلع فى مقدم رأسه شعرات وفى قفاه شعرات فقلت من هذا قالوا عمار بن ياسر فقال له عثمان أنت الذى تأتيك رسلنا فتأبى ان تجئ فقال فكلمه بشئ لم أدر ما هو ثم خرج فما زالوا ينفضون من عنده حتى ما بقى غيرى فقام فقلت والله لا أسأل عن هذا الامر احدا أقول حدثنى فلان حتى أدرى ما يصنع فتبعته حتى دخل المسجد فاذا عمار جالس الى سارية وحوله نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يبكون فقال عثمان يا وثاب على بالشرط فجاؤا فقال فرقوا بين هؤلاء ففرقوا بينهم ثم أقيمت الصلاة فتقدم عثمان فصلى بهم فلما كبر قالت امرأة من حجرتها يا أيها الناس ثم تكلمت وذكرت رسول الله صلى الله عليه وآله وما بعثه الله به ثم قالت تركتم أمر الله وخالفتم عهده ونحو هذا ثم صمتت وتكلمت امرأة أخرى بمثل ذلك فاذا هما عائشة وحفصة قال فسلم عثمان ثم أقبل على الناس وقال ان هاتين لفتانتان يحل لى سبهما وأنا بأصلهما عالم فقال له سعد بن أبى وقاص أتقول هذا لحبائب رسول الله صلى الله عليه وآله فقال وفيم أنت وما ههنا ثم أقبل نحو سعد عامدا ليضربه فانسل سعد فخرج من المسجد فاتبعه عثمان فلقى عليا عليه السلام بباب المسجد فقال له عليه السلام أين تريد قال أريد هذا الذى كذا وكذا يعنى سعدا يشتمه فقال له على عليه السلام أيها الرجل دع عنك هذا قال فلم يزل بينهما كلام حتى غضبا فقال عثمان ألست الذى خلفك رسول الله صلى الله عليه وآله يوم تبوك فقال على ألست الفار عن رسول الله صلى الله عليه وآله يوم أحد قال ثم حجز الناس بينهما قال ثم خرجت من المدينة حتى انتهيت الى الكوفة فوجدت أهلها أيضا وقع بينهم شر ونشبوا فى الفتنة وردوا سعيد بن العاص فلم يدعوه يدخل اليهم فلما رأيت ذلك رجعت حتى أتيت بلاد قومى * وروى الزبير بن بكار فى كتاب الموفقيات عن عمه عن عيسى بن داود عن رجاله قال قال ابن عباس رحمه الله لما بنى عثمان داره بالمدينة أكثر الناس عليه فى ذلك فبلغه فخطبنا فى يوم جمعة ثم صلى بنا ثم عاد الى المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال أما بعد فان النعمة اذا حدثت حدث لها حساد حسبها واعداء قدرها وان الله لم يحدث لنا نعما ليحدث لها حساد عليها ومنافسون فيها ولكنه قد كان من بناء منزلنا هذا ما كان ارادة جمع المال فيه وضم القاصية اليه فاتانا عن اناس منكم انهم يقولون أخذ فيئنا وأنفق شيئنا واستأثر بأموالنا يمشون خمرا وينطقون سرا كأنا غيب عنهم وكأنهم يهابون مواجهتنا معرفة منهم بدحوض حجتهم فاذا غابوا عنا يروح بعضهم الى بعض يذكرنا وقد وجدوا على ذلك اعوانا من نظرائهم ومؤازرين من شبهائهم فبعدا بعدا ورغما رغما ثم انشد بيتين كأنه يومى فيهما الى على عليه السلام

توقد بنار أينما كنت واشتعل * فلست ترى مما تعالج شافيا
تشط فيقضى الامر دونك أهله * وشيكا ولا تدعى اذا كنت نائيا

مالى ولفيئكم وأخذ مالكم ألست من أكثر قريش مالا وأظهرهم من الله نعمة ألم أكن على ذلك قبل الاسلام و بعده وهبونى بنيت منزلا من بيت المال أليس هولى ولكم ألم أقم أموركم وانى من وراء حاجاتكم فما تفقدون من حقوقكم

شيئا فلم لا اصنع فى الفضل ما أحببت فلم كنت اماما اذا ألا وان من أعجب العجب انه بلغنى عنكم انكم تقولون لنفعلن به ولنفعلن فبمن تفعلون لله آباؤكم أبنقد البقاع أم بفقع القاع ألست أحراكم ان دعا أن يجاب وأقمنكم ان أمر ان يطاع لهفى على بقائى فيكم بعد أصحابى وحياتى فيكم بعد أترابى يا ليتنى تقدمت قبل هذا لكنى لا أحب خلاف ما أحبه الله لى عز وجل اذا شئتم فان الصادق المصدق محمدا صلى الله عليه وآله قد حدثنى بما هو كائن من امرى وأمركم وهذا بدء ذلك وأوله فكيف الهرب مما حتم وقدر أما انه عليه السلام قد بشرنى فى آخر حديثه بالجنة دونكم اذا شئتم فلا أفلح من ندم قال ثم هم بالنزول فبصر على بن أبى طالب عليه السلام ومعه عمار بن ياسر رضى الله عنه وناس من أهل هواه يتناجون فقال ايها ايها اسرارا لا اجهارا أما والذى نفسى بيده ما أحنق على جرة ولا أوتى على ضعف مرة ولولا النظر لى ولكم والرفق بى وبكم لعاجلتكم فقد اغتررتم وأقلتم من أنفسكم ثم رفع يديه يدعو و يقول اللهم قد تعلم حبى للعافية فالبسنيها وايثارى للسلامة فآتنيها قال فتفرق القوم عن على عليه السلام وقام عدى بن الخيار فقال أتم الله عليك يا أمير المؤمنين النعمة وزادك فى الكرامة والله لان تحسد أفضل من ان تحسد ولان تنافس أجل من ان تنافس أنت والله فى حسبنا الصميم ومنصبنا الكريم ان دعوت أجبت وان أمرت أطعت فقل نفعل وادع نجب جعلت الخيرة والشورى الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ليختاروا لهم ولغيرهم وانهم ليرون مكانك ويعرفون مكان غيرك فاختاروك منيبين طائعين غير مكرهين ولا مجبرين ما غيرت ولا فارقت ولا بدلت ولا خالفت فعلام يقدمون عليك وهذا رأيهم فيك أنت والله كما قال الاول

اذهب اليك فما للحسود * طلابك تحت العثار
حكمت فما جرت فى خلة * فحكمك بالحق بادى المنار

فان يسبعوك فسرا وقد جهرت بسيفك كل الجهار قال ونزل عثمان فأتى منزله وأتاه الناس وفيهم ابن عباس فلما أخذوا مجالسهم أقبل على ابن عباس فقال مالى ولكم يا ابن عباس ما أغراكم بى وأولعكم بتعقب أمرى أتنقمون على أمر العامة أتيت من وراء حقوقهم أم أمركم فقد جعلتهم يتمنون منزلتكم لا والله لكن الحسد والبغى وتثوير الشر واحياء الفتن والله لقد ألقى النبى صلى الله عليه وآله الى ذلك وأخبرنى به عن أهله واحدا واحدا والله ما كذبت ولا أنا بمكذوب فقال ابن عباس على رسلك يا أمير المؤمنين فوالله ما عهدتك جهرا بسرك ولا مظهرا ما فى نفسك فما الذى هيجك وثورك انا لم يولعنا بك أمر ولم نتعقب أمرك بشئ أتيت بالكذب وتسوق عليك بالباطل والله ما نقمنا عليك لنا ولا للعامة قد أوتيت من وراء حقوقنا وحقوقهم وقضيت ما لزمك لنا ولهم فاما الحسد والبغى وتثوير الفتن واحياء الشر فمتى رضيت به عترة النبى وأهل بيته وكيف وهم منه واليه على دين الله يثورون الشر أم على الله يحيون الفتن كلا ليس البغى ولا الحسد من طباعهم فاتئد يا أمير المؤمنين وأبصر أمرك وأمسك عليك فان حالتك الاولى خير من حالتك الاخرى لعمرى ان كنت لأثيرا عند رسول الله وان كان ليفضى اليك بسره ما يطويه عن غيرك ولا كذبت ولا أنت بمكذوب أخسئ الشيطان عنك ولا يركبك واغلب غضبك ولا يغلبك فما دعاك الى هذا الامر الذى كان منك قال دعانى اليه ابن عمك على بن أبى طالب فقال ابن عباس وعسى أن يكذب مبلغك قال عثمان انه ثقة قال ابن عباس انه ليس بثقة من بلغ وأغرى قال عثمان يا ابن عباس آلله انك ما تعلم من على ما شكوت منه قال اللهم لا الا أن يقول كما يقول الناس وينقم كما ينقمون فمن اغراك به وأولعك بذكره دونهم فقال عثمان انما آفتى من أعظم الداء الذى ينصب نفسه لرأس الامر وهو على ابن عمك وهذا والله كله من نكده وشؤمه قال ابن عباس مهلا استثن يا أمير المؤمنين قل ان شاء الله فقال ان شاء الله ثم قال انى انشدك يا ابن عباس الاسلام والرحم فقد والله غلبت وابتليت بكم والله لوددت ان هذا الامر كان صار اليكم دونى فحملتموه عنى وكنت احد أعوانكم عليه اذا والله لوجدتمونى لكم خيرا مما وجدتكم لى ولقد علمت ان الامر لكم ولكن قومكم دفعوكم عنه واختزلوه دونكم فوالله ما أدرى أرفعوه عنكم أم رفعوكم عنه قال ابن عباس مهلا يا أمير المؤمنين فانا ننشدك الله والاسلام والرحم مثل ما نشدتنا أن تطمع فينا وفيك عدوا وتشمت بنا وبك حسودا ان أمرك اليك ما كان قولا فاذا صار فعلا فليس اليك ولا فى يديك وانا والله لنخالفن ان خولفنا ولننازعن ان نوزعنا وما تمنيك ان يكون الأمر صار الينا دونك الا أن يقول قائل منا ما يقوله الناس و يعيب كما عابوا فاما صرف قومنا عنا

الامر فعن حسد قد والله عرفته و بغى قد والله علمته فالله بيننا و بين قومنا وأما قولك انك لا تدرى أرفعوه عنا أم رفعونا عنه فلعمرى انك لتعرف انه لو صار الينا هذا الامر ما ازددنا به فضلا الى فضلنا ولا قدرا الى قدرنا وانا لاهل الفضل وأهل القدر وما فضل فاضل الا بفضلنا ولا سبق سابق الا بسبقنا ولولا هدينا ما اهتدى احد ولا أبصروا من عمى ولا قصدوا من خور فقال عثمان حتى متى يا ابن عباس يأتيني عنكم ما يأتيني هبوني كنت بعيدا اما كان لى من الحق عليكم ان أراقب وان اناظر بلى ورب الكعبة ولكن الفرقة سهلت لكم القول فى وتقدمت بكم الى الاسراع الى والله المستعان قال ابن عباس مهلا حتى ألقى عليا ثم أحمل اليك على قدر ما أرى قال عثمان افعل فقد فعلت وطالما طلبت فلا أطلب ولا أجاب ولا أعتب قال ابن عباس فخرجت فلقيت عليا واذا به من الغضب والتلظى أضعاف ما بعثمان فاردت تسكينه فامتنع فاتيت منزلى واغلقت بابى واعتزلتهما فبلغ ذلك عثمان فارسل الى فاتيته وقد هدأ غضبه فنظر الى ثم ضحك وقال يا ابن عباس ما ابطأ بك عنا ان تركك العود الينا دليل على ما رأيت عند صاحبك وعرفت من حاله فالله بيننا و بينه خذ بنا فى غير ذلك قال ابن عباس فكان عثمان بعد ذلك اذا أتاه عن على شئ فاردت التكذيب عنه يقول ولا يوم الجمعة حين ابطأت عنا وتركت العود الينا فلا أدرى كيف أرد عليه وروى الزبير بن بكار أيضا فى الموفقيات عن ابن عباس رحمه الله قال خرجت من منزلى سحرا اسابق الى المسجد وأطلب الفضيلة فسمعت خلفى حسا وكلاما فتسمعته فاذا حس عثمان وهو يدعو ولا يرى ان احدا يسمعه و يقول اللهم قد تعلم نيتى فاعنى عليهم وتعلم الذين ابتليت بهم من ذوى رحمى وقرابتى فاصلحنى لهم وأصلحهم لى قال فقصرت من خطوتى وأسرع فى مشيته فالتقينا فسلم فرددت عليه فقال انى خرجت ليلتنا هذه أطلب الفضل والمسابقة الى المسجد فقلت انه أخرجنى ما أخرجك فقال والله لئن سابقت الى الخير انك لمن سابقين مباركين وانى لاحبكم واتقرب الى الله بحبكم فقلت يرحمك الله يا أمير المؤمنين انا لنحبك ونعرف سابقتك وسنك وقرابتك وصهرك قال يا ابن عباس فمالى ولابن عمك وابن خالى قلت أى بنى عمومتى و بنى أخوالك قال اللهم غفرا اتسأل مسألة الجاهل قلت ان بنى عمومتى من بنى خؤلتك كثير فايهم تعنى قال أعنى عليا لا غيره فقلت لا والله يا أمير المؤمنين ما أعلم منه الا خيرا ولا أعرف له الا حسنا قال والله بالحرى ان يستر دونك ما يظهره لغيرك ويقبض عنك ما ينبسط به الى سواك قال ورمينا بعمار بن ياسر فسلم فرددت عليه سلامه ثم قال من معك قلت أمير المؤمنين عثمان قال نعم وسلم بكنيته ولم يسلم عليه بالخلافة فرد عليه ثم قال عمار ما الذى كنتم فيه فقد سمعت ذروا منه قلت هو ما سمعت فقال عمار رب مظلوم غافل وظالم متجاهل قال عثمان أما انك من شنائنا واتباعهم وايم الله ان اليد عليك لمنبسطة وان السبيل اليك لسهلة ولولا ايثار العافية ولم الشعث لزجرتك زجرة تكفى ما مضى وتمنع ما بقى فقال عمار والله ما اعتذر من حبى عليا وما اليد بمنبسطة ولا السبيل بسهلة انى لازم حجة ومقيم على سنة وأما ايثارك العافية ولم الشعث فلازم لك ذلك وأما زجرى فامسك عنه فقد كفاك معلمى تعليمى فقال عثمان أما والله انك ما علمت من اعوان الشر الحاضين عليه الخذلة عند الخير والمثبطين عنه فقال عمار مهلا يا عثمان فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يصفنى بغير ذلك قال عثمان ومتى قال يوم دخلت عليه منصرفه عن الجمعة وليس عنده غيرك وقد ألقى ثيابه وقعد فى فضله فقبلت صدره ونحره وجبهته فقال يا عمار انك لتحبنا وانا لنحبك وانك من الاعوان على الخير المثبطين عن الشر فقال عثمان أجل ولكنك غيرت و بدلت قال فرفع عمار يده يدعو وقال أمن يا ابن عباس اللهم من غير فغير به ثلاث مرات قال ودخلنا المسجد فاهوى عمار الى مصلاه ومضيت مع عثمان الى القبلة فدخل المحراب وقال تلبث على اذا انصرفنا فلما رآنى عمار وحدى أتانى فقال أما رأيت ما بلغ بى آنفا قلت أما والله لقد أصعبت به وأصعب بك وان له لسنه وفضله وقرابته قال ان له لذلك ولكن لا حق لمن لا حق عليه وانصرف وصلى عثمان وانصرفت معه يتوكأ على فقال هل سمعت ما قال عمار قلت نعم فسرنى ذلك وساءنى أما مساءته اياى فما بلغ بك وأما مسرته لى فحلمك واحتمالك فقال ان عليا فارقنى منذ أيام على المقاربة وان عمارا آتيه فقائل له وقائل فابدره اليه فانك أوثق عنده منه وأصدق قولا فالق الامر اليه على وجهه فقلت نعم وانصرفت أريد عليا عليه السلام فى المسجد فاذا هو خارج منه فلما رآنى تفجع لى من فوت الصلاة وقال ما أدركتها قلت بلى

ولكنى خرجت مع أمير المؤمنين ثم اقتصصت عليه القصة فقال أما والله يا ابن عباس انه ليقرف قرحة ليحورن عليه ألمها فقلت ان له سنه وسابقته وقرابته وصهره قال ان ذلك له ولكن لا حق لمن لا حق عليه قال ثم رهقنا عمار فبش به على وتبسم فى وجهه وسأله فقال عمار يا ابن عباس هل ألقيت اليه ما كنا فيه قلت نعم قال أما والله اذا لقد قلت بلسان عثمان ونطقت بهواه قلت ما عدوت الحق جهدى ولا ذلك من فعلى وانك لتعلم أى الحظين أحب الى وأى الحقين أوجب على قال فظن على ان عند عمار غير ما ألقيت اليه فاخذ بيده وترك يدى فعلمت انه يكره مكانى فتخلفت عنهما وانشعب بنا الطريق فسلكاه ولم يدعنى فانطلقت الى منزلى فاذا رسول عثمان يدعونى فاتيته فاجد ببابه مروان وسعيد ابن العاص فى رجال من بنى أمية فاذن لى وألطفنى وقربنى وأدنى مجلسى ثم قال ما صنعت فاخبرته بالخبر على وجهه وما قال الرجل وقلت له وكتمته قوله انه ليقرف قرحة ليحورن عليه ألمها ابقاء عليه واجلالا له وذكرت مجئ عمار وبش على له وظن على أن قبله غير ما ألقيت عليه وسلوكهما حيث سلكا قال وفعلا قلت نعم فاستقبل القبلة ثم قال اللهم رب السموات والارض عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم أصلح لى عليا وأصلحنى له أمن يا ابن عباس فأمنت ثم تحدثنا طويلا وفارقته وأتيت منزلى وروى الزبير بن بكار أيضا فى الكتاب المذكور عن عبد الله بن عباس قال ما سمعت من أبى شيأ قط فى أمر عثمان يلومه فيه ولا يعذره ولا سألته عن شئ من ذلك مخافة ان أهجم منه على ما لا يوافقه فانا عنده ليلة ونحن نتعشى اذ قيل هذا أمير المؤمنين عثمان بالباب فقال ائذنوا له فدخل فاوسع له على فراشه وأصاب من العشاء معه فلما رفع قام من كان هناك وثبت انا فحمد عثمان الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد يا خال فانى قد جئتك استعذرك من ابن أخيك على سبنى وشهر أمرى وقطع رحمى وطعن فى دينى وانى أعوذ بالله منكم يا بنى عبد المطلب ان كان لكم حق تزعمون انكم غلبتم عليه فقد تركتموه فى يدى من فعل ذلك بكم وانا أقرب اليكم رحما منه وما لمت منكم احدا الا عليا ولقد دعيت ان أبسط عليه فتركته لله والرحم وانا أخاف ان لا يتركنى فلا أتركه قال ابن عباس فحمد أبى الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد يا ابن أختى فان كنت لا تحمد عليا لنفسك فانى لا أحمدك لعلى وما على وحده قال فيك بل غيره فلو انك اتهمت نفسك للناس اتهم الناس أنفسهم لك ولو انك نزلت مما رقيت وارتقوا مما نزلوا فاخذت منهم وأخذوا منك ما كان بذلك بأس قال عثمان فذلك اليك يا خال وأنت بينى و بينهم قال أفاذكر لهم ذلك عنك قال نعم وانصرف فما لبثنا أن قيل هذا أمير المؤمنين قد رجع بالباب قال أبى ائذنوا له فدخل فقام قائما ولم يجلس وقال لا تعجل يا خال حتى أوذنك فنظرنا فاذا مروان بن الحكم كان جالسا بالباب ينتظره حتى خرج فهو الذى ثناه عن رأيه الاول فاقبل على أبى وقال يا بنى ما الى هذا من أمر شئ ثم قال يا بنى أملك عليك لسانك حتى ترى ما لا بد منه ثم رفع يديه فقال اللهم أسبق بى ما لا خير لى فى ادراكه فما مرت جمعة حتى مات رحمه الله وروى أبو العباس المبرد فى الكامل عن قنبر مولى على عليه السلام قال دخلت مع على على عثمان فاحبا الخلوة فاومأ الى على عليه السلام بالتنحى فتنحيت غير بعيد فجعل عثمان يعاتبه وعلى مطرق فاقبل عليه عثمان وقال مالك لا تقول قال ان قلت لم أقل الا ما تكره وليس لك عندى الا ما تحب قال أبو العباس تأويل ذلك ان قلت اعتددت عليك بمثل ما اعتددت به على فلذعك عتابى وعقدى أن لا افعل وان كنت عاتبا الا ما تحب وعندى فيه تأويل آخر وهو انى ان قلت واعتذرت فاى شئ حسنته من الاعذار لم يكن ذلك عندك مصدقا ولم يكن الا مكروها غير مقبول والله تعالى يعلم انه ليس لك عندى فى باطنى وما أطوى عليه جوانحى الا ما تحب وان كنت لا تقبل المعاذير التى أذكرها بل تكرهها وتنبو نفسك عنها وروى الواقدى فى كتاب الشورى عن ابن عباس رحمه الله قال شهدت عتاب عثمان لعلى عليه السلام يوما فقال له فى بعض ما قاله نشدتك الله ان تفتح للفرقة بابا فلعهدى بك وأنت تطيع عتيقا وابن الخطاب طاعتك لرسول الله صلى الله عليه وآله ولست بدون واحد منهما وانا أمس بك رحما وأقرب اليك صهرا فان كنت تزعم ان هذا الامر جعله رسول الله صلى الله عليه وآله لك فقد رأيناك حين توفى نازعت ثم أقررت فان كانا لم يركبا من الامر جدا فكيف أذعنت لهما بالبيعة وبخعت بالطاعة وان كانا أحسنا فيما وليا ولم أقصر عنهما فى دينى وحسبى وقرابتى فكن لى كما كنت لهما فقال على عليه السلام أما الفرقة فمعاذ الله ان أفتح لها بابا وأسهل

الهاً سبيلا ولكني انهاك عما ينهاك الله ورسوله عنه وأهديك الى رشدك وأما عتيق وابن الخطاب فان كانا أخذا ما
جعله رسول الله صلى الله عليه وآله لي فانت أعلم بذلك والمسلمون ومالي ولهذا الامر وقد تركته منذ حين فاما ان
لا يكون حقي بل المسلمون فيه شرع فقد أصاب السهم الثغرة واما أن يكون حقي دونهم فقد تركته لهم طبت به نفسا
ونفضت يدي عنه استصلاحا وأما التسوية بينك وبينهما فلست كاحدهما انهما وليا هذا الامر فظلفا أنفسهما
وأهلهما عنه وعمت فيه وقومك عوم السابح في اللجة فارجع الى الله أبا عمرو وانظر هل بقي من عمرك الا كظم الحمار
فحتى متى والى متى ألا تنهى سفهاء بني أمية عن أعراض المسلمين وأبشارهم وأموالهم والله لو ظلم عامل من عمالك حيث
تغرب الشمس لكان اثمه مشتركا بينه وبينك قال ابن عباس فقال عثمان لك العتبى وافعل واعزل من عمالي كل
من تكرهه ويكرهه المسلمون ثم افترقا فصده مروان بن الحكم عن ذلك وقال يجترئ عليك الناس فلا تعزل احدا منهم
وروى الزبير بن بكار أيضا في كتابه عن رجال أسند بعضهم عن بعض عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال أرسل الي
عثمان في الهاجرة فتقنعت بثوبي وأتيته فدخلت عليه وهو على سريره وفي يده قضيب وبين يديه مال دثر صبرتان من ورق
وذهب فقال دونك خذ من هذا حتى تملأ بطنك فقد أحرقتني فقلت وصلتك رحم ان كان هذا المال ورثته أو أعطاكه
معط أو اكتسبته من تجارة كنت أحد رجلين اما آخذ وأشكر أو أوفر وأجهد وان كان من مال الله وفيه حق
المسلمين واليتيم وابن السبيل فوالله مالك ان تعطينيه ولا لي ان آخذه فقال أبيت والله الا ما أبيت ثم قام الي بالقضيب
فضربني والله ما أرد يده حتى قضى حاجته فتقنعت بثوبي ورجعت الى منزلي وقلت الله بيني وبينك ان كنت أمرتك
بمعروف ونهيتك عن منكر وروى الزبير بن بكار عن الزهري قال لما أتي عمر بجوهر كسرى وضع في المسجد فطلعت عليه
الشمس فصار كالجمر فقال لخازن بيت المال ويحك أرحني من هذا واقسمه بين المسلمين فان نفسي تحدثني انه سيكون
في هذا بلاء وفتنة بين الناس فقال يا أمير المؤمنين ان قسمته بين المسلمين لم يسعهم وليس أحد يشتريه لان ثمنه عظيم
ولكن ندعه الى قابل فعسى الله ان يفتح على المسلمين بمال فيشتريه منهم من يشتريه قال ارفعه فادخله بيت المال وقتل
عمر وهو بحاله فأخذه عثمان لما ولي الخلافة فحلى به بناته قال الزبير فقال الزهري كل قد أحسن عمر حين حرم نفسه وأقاربه
وعثمان حين وصل أقاربه قال الزبير وحدثنا محمد بن حرب قال حدثنا سفيان بن عيينة عن اسمعيل بن أبي خالد قال
جاء رجل الى علي عليه السلام يستشفع به الى عثمان فقال حمال الخطايا لا والله لا أعود اليه ابدا فآيسه منه وروى الزبير
أيضا عن سداد بن عثمان قال سمعت عوف بن مالك في أيام عمر يقول يا طاعون خذني فقلنا له لم تقول هذا وقد سمعت
رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ان المؤمن لا يزيده طول العمر الا خيرا قال اني أخاف ستا خلافة بني أمية وامارة
السفهاء من احداثهم والرشوة في الحكم وسفك الدم الحرام وكثرة الشرط ونشأ ينشأ يتخذون القرآن مزامير
وروى الزبير عن أبي غسان عن عمر بن زياد عن الاسود بن قيس عن عبيد بن حارثة قال سمعت عثمان وهو يخطب
فاكب الناس حوله فقال اجلسوا يا اعداء الله فصاح به طلحة انهم ليسوا باعداء الله لكنهم عباده وقد قرؤا كتابه
وروى الزبير عن سفيان بن عيينة عن اسرائيل عن الحسن قال شهدت المسجد يوم جمعة فخرج عثمان فقام رجل فقال
أنشد كتاب الله فقال عثمان اجلس أما لكتاب الله ناشد غيرك فجلس ثم قام آخر فقال مثل مقالته فقال اجلس فأبى ان
يجلس فبعث الى الشرط ليجلسوه فقام الناس فحالوا بينهم وبينه قال ثم تراموا بالبطحاء حتى يقول القائل ما أكاد أرى
أديم السماء من البطحاء فنزل عثمان فدخل داره ولم يصل الجمعة وروى الزبير أيضا في الموفقيات عن ابن عباس رحمه الله
قال صليت العصر يوما ثم خرجت فاذا انا بعثمان بن عفان في أيام خلافته في بعض أزقة المدينة وحده فأتيته اجلالا
وتوقيرا لمكانه فقال لي هل رأيت عليا قلت خلفته في المسجد فان لم يكن الآن فيه فهو في منزله قال اما منزله فليس فيه فابغه
لنا في المسجد فتوجهنا الى المسجد واذا علي عليه السلام يخرج منه قال ابن عباس وقد كنت أمس ذلك اليوم عند علي
فذكر عثمان وتجرمه عليه وقال اما والله يا ابن عباس ان من دوائه لقطع كلامه وترك لقائه فقلت له يرحمك الله كيف لك
بهذا فان تركته ثم أرسل اليك فما أنت صانع قال اعتل واعتل فمن يقسرني قال لا أحد قال ابن عباس فلما تراءينا له وهو

خارج

خارج من المسجد ظهر منه من التفلت والطلب للانصراف ما استبان لعثمان فنظر الى عثمان وقال يا ابن عباس اما ترى
ابن خالنا يكره لقاءنا فقلت ولم وحقك ألزم وهو بالفضل أعلم فلما تقاربا رماه عثمان بالسلام فرد عليه فقال عثمان ان
تدخل فاياك أردنا وان تمض فاياك طلبنا فقال علي أي ذلك أحببت قال تدخل فدخلا وأخذ عثمان بيده فاهوى به الى
القبلة فقصر عنها وجلس قبالتها فجلس عثمان الى جانبه فنكصت عنهما فدعواني جميعا فأتيتهما فحمد عثمان الله وأثنى
عليه وصلى على رسوله ثم قال أما بعد يا ابني خالي وابني عمي فاذ جمعتكما في النداء فاستجمعكما في الشكاية على رضائي
عن أحدكما ووجدي على الآخر اني استعذركما من أنفسكما وأسألكما فيئتكما واستوهبكما رجعتكما فوالله لو غالبني
الناس ما انتصرت الا بكما ولو تهضموني ما تعززت الا بعزكما ولقد طال هذا الامر بيننا حتى تخوفت ان يجوز قدره
ويعظم الخطر فيه ولقد هاجني العدو عليكما وأغراني بكما فمنعني الله والرحم مما أراد وقد خلونا في مسجد رسول الله صلى
الله عليه وآله والى جانب قبره وقد أحببت ان تظهرا لي رأيكما في وما تنطويان لي عليه وتصدقا فان الصدق أنجى وأسلم
وأستغفر الله لي ولكما قال ابن عباس فاطرق علي عليه السلام واطرقت معه طويلا اما انا فاجللته ان اتكلم قبله واما
هو فاراد ان أجيب عني وعنه ثم قلت له أتتكلم أم أتكلم انا عنك قال بل تكلم عني وعنك فحمدت الله وأثنيت عليه
وصليت على رسوله ثم قلت أما بعد يا ابن عمنا وعمتنا فقد سمعنا كلامك لنا وخلطك في الشكاية بيننا على رضاك زعمت
عن احدنا ووجدك على الآخر وسنفعل في ذلك فنذمك ونحمدك اقتداء منك بفعلك فينا فانا نذم مثل تهمتك ايانا
على ما اتهمتنا عليه بلا ثقة الا ظنا ونحمد منك غير ذلك من مخالفتك عشيرتك ثم نستعذرك من نفسك استعذارك ايانا
من أنفسنا ونستوهبك فيئتك استيهابك ايانا فيئتنا ونسألك رجعتك مسألتك ايانا رجعتنا فانا معا ايما حمدت وذممت منا
كمثلك في أمر نفسك ليس بيننا فرق ولا اختلاف بل كلانا شريك صاحبه في رأيه وقوله فوالله ما تعلمنا غير معذرين
فيما بيننا وبينك ولا تعرفنا غير قانتين عليك ولا تجدنا غير راجعين اليك فنحن نسألك من نفسك مثل ما سألتنا من
أنفسنا وأما قولك لو غالبني الناس ما انتصرت الا بكما أو تهضموني ما تعززت الا بعزكما فاين بنا وبك عن ذلك ونحن
وأنت كما قال أخو كنانة

بدا بحتر ما رام نال وان يرم * نخض دونه غمرا من الغر رائمه
لنا ولهم منا ومنهم على العدى * مراتب عز مصعدات سلالمه

وأما قولك في هيج العدو اياك علينا واغرائه لك بنا فوالله ما أتاك العدو من ذلك شيأ الا وقد أتانا باعظم منه
فمنعنا مما أراد ما منعك من مراقبة الله والرحم وما أبقيت أنت ونحن الا على أدياننا واعراضنا ومروآتنا ولقد
لعمري طال بنا وبك هذا الامر حتى تخوفنا منه على أنفسنا وراقبنا منه ما راقبت وأما مساءلتك ايانا عن رأينا
فيك وما ننطوي عليه لك فانا نخبرك ان ذلك الى ما تحب لا يعلم واحد منا من صاحبه الا ذلك ولا يقبل منه غيره وكلانا ضامن
على صاحبه ذلك وكفيل به وقد برأت احدنا وزكيته وانطقت الآخر واسكته وليس السقيم منا مما كرهت بانطق من
البري فيما ذكرت ولا البري منا مما سخطت باظهر من السقيم فيما وصفت فاما جمعتنا في الرضا واما جمعتنا في السخط
لنجازيك بمثل ما تفعل بنا في ذلك مكايلة الصاع بالصاع فقد اعلمناك رأينا واظهرنا لك ذات أنفسنا وصدقناك
والصدق كما ذكرت أنجى وأسلم فاجب الى ما دعوت اليه واجلل عن النقض والغدر مسجد رسول الله صلى الله عليه
وآله وموضع قبره واصدق تنج وتسلم ونستغفر الله لنا ولك قال ابن عباس فنظر الي علي عليه السلام نظر هيبة وقال دعه
حتى يبلغ رضاه فيما هو فيه فوالله لو ظهرت له قلوبنا وبدت له سرائرنا حتى رآها بعينه كما يسمع الخبر عنها باذنه ما زال متجرما
منتقما والله ما أنا ملقى على وضمة واني لمانع ما وراء ظهري وان هذا الكلام لمخالفة منه وسوء عشرة فقال عثمان مهلا
أبا حسن فوالله انك لتعلم ان رسول الله صلى الله عليه وآله وصفني بغير ذلك يوم يقول وأنت عنده ان من أصحابي
لقوما سالمين لهم وان عثمان لمنهم انه لاحسنهم بهم ظنا وانصحهم لهم حبا فقال علي عليه السلام فصدق قوله صلى الله عليه
وآله بفعلك وخالف ما أنت الآن عليه فقد قيل لك ما سمعت وهو كاف ان قبلت قال عثمان تثق يا أبا الحسن قال نعم أثق
ولا أظنك فاعلا قال عثمان قد وثقت وأنت ممن لا يخفر صاحبه ولا يكذب لقيله قال ابن عباس فاخذت بايديهما حتى

تصافحا وتصالحا وتمازحا ونهضت عنهما فتشاورا وتآمرا وتذاكرا ثم افترقا فوالله ما مرت ثالثة حتى لقيني كل واحد منهما يذكر من صاحبه ما لا تبرك عليه الابل فعلمت أن لا سبيل الى صلحهما بعدها وروى أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب اخبار السقيفة عن محمد بن قيس الاسدي عن المعروف بن سويد قال كنت بالمدينة أيام بويع عثمان فرأيت رجلا في المسجد جالسا وهو يصفق باحدى يديه على الاخرى والناس حوله ويقول واعجبا من قريش واستئثارهم بهذا الامر على أهل هذا البيت معدن الفضل ونجوم الارض ونور البلاد والله ان فيهم لرجلا ما رأيت رجلا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أولى منه بالحق ولا أقضى بالعدل ولا آمر بالمعروف ولا أنهى عن المنكر فسألت عنه فقيل هذا المقداد فتقدمت اليه وقلت أصلحك الله من الرجل الذي تذكر فقال ابن عم نبيك رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب قال فلبثت ما شاء الله ثم اني لقيت أبا ذر رحمه الله فحدثته ما قال المقداد فقال صدق قلت فما يمنعكم أن تجعلوا هذا الامر فيهم قال أبى ذلك قومهم قلت فما يمنعكم أن تعينوهم قال مه لا تقل هذا اياكم والفرقة والاختلاف قال فسكت عنه ثم كان من الامر بعد ما كان وذكر شيخنا أبو عثمان الجاحظ في الكتاب الذي أورد فيه المعاذير عن احداث عثمان ان عليا اشتكى فعاده عثمان من شكايته فقال علي عليه السلام وعائدة تعود لغير ود * تود لو ان ذا دنف يموت فقال عثمان والله ما أدري أحياتك أحب الي أم موتك ان مت هاضني فقدك وان حييت فتنتني حياتك لا أعدم ما بقيت طاعنا يتخذك ذريعة يلجأ اليها فقال علي عليه السلام ما الذي جعلني ذريعة للطاعنين العائبين انما سوء ظنك بي أحلني من قلبك هذا المحل فان كنت تخاف جانبي فلك علي عهد الله وميثاقه أن لا بأس عليك مني أبدا ما بل بحر صوفة واني لك لراع واني منك لمحام ولكن لا ينفعني ذلك عندك وأما قولك ان فقدي يهيضك فكلا ان تهاض لفقدي ما بقي لك الوليد ومروان فقام عثمان فخرج وقد روي ان عثمان هو الذي أنشد هذا البيت وقد كان اشتكى فعاده علي عليه السلام فقال عثمان

وعائدة تعود بغير نصح * تود لو ان ذا دنف يموت

وروى أبو سعد الآبي في كتابه عن ابن عباس قال وقع بين عثمان وعلي عليه السلام كلام فقال عثمان ما أصنع ان كانت قريش لا تحبكم وقد قتلتم منهم يوم بدر سبعين كأن وجوههم شنوف الذهب تصرع آنفهم قبل شفاههم وروى المذكور أيضا ان عثمان لما نقم الناس عليه ما نقموا قام متوكئا على مروان فخطب الناس فقال ان لكل أمة آفة ولكل نعمة عاهة وان آفة هذه الامة وعاهة هذه النعمة قوم عيابون طعانون يظهرون لكم ما تحبون ويسرون ما تكرهون طغام مثل النعام يتبعون أول ناعق ولقد نقموا علي ما نقموا على عمر مثله فقمعهم ووقمهم واني لاقرب ناصرا وأعز نفرا فما لي لا أفعل في فضول الاموال ما أشاء وروى المذكور أيضا ان عليا عليه السلام اشتكى فعاده عثمان فقال ما أراك أصبحت الا ثقيلا قال أجل قال والله ما أدري أموتك أحب الي أم حياتك اني لاحب موتك وأكره أن أعيش بعدك فلو شئت جعلت لنا من نفسك مخرجا اما صديقا مسالما واما عدوا معاندا وانك لكما قال أخو اياد

جرت لما بيننا حبل الشموس * فلا يأسا مبينا نرى منها ولا طمعا

فقال علي عليه السلام ليس لك عندي ما تخافه وان أجبتك لم أجبك الا بما تكرهه وكتب عثمان الى علي عليه السلام حين أحيط به أما بعد فقد جاوز الماء الزبى وبلغ الحزام الطبيين وتجاوز الامر في قدره وطمع في من لا يدفع عن نفسه فان كنت مأكولا فكن خير آكل * والا فأدركني ولما أمزق وروى الزبير خبر العيادة على وجه آخر قال مرض علي عليه السلام فعاده عثمان ومعه مروان بن الحكم فجعل عثمان يسأل عليا عن حاله وعلي ساكت لا يجيبه فقال عثمان لقد أصبحت يا أبا الحسن مني بمنزلة الولد العاق لابيه ان عاش عقه وان مات فجعه فلو جعلت لنا من أمرك فرجا اما عدوا أو صديقا ولم تجعلنا بين السماء والماء أما والله لانا خير لك من فلان وفلان وان قتلت لا تجد مثلي فقال مروان أما والله لا يرام ما وراءنا حتى تتواصل سيوفنا وتقطع أرحامنا فالتفت اليه عثمان وقال اسكت لا سكت وما يدخلك فيما بيننا وروى شيخنا أبو عثمان الجاحظ عن زيد بن أرقم قال سمعت عثمان وهو يقول لعلي عليه السلام

أنكرت

أنكرت علي استعمال معاوية وأنت تعلم ان عمر استعمله قال علي عليه السلام نشدتك الله ألا تعلم ان معاوية كان أطوع لعمر من يرفأ غلامه ان عمر كان اذا استعمل عاملا وطئ على صماخه وان القوم ركبوك وغلبوك واستبدوا بالامر دونك فسكت عثمان قلت حدثني جعفر بن مكي الحاجب رحمه الله قال سألت محمد بن سليمان حاجب الحجاب وقد رأيت أنا محمدا هذا وكانت لي به معرفة غير مستحكمة وكان ظريفا أديبا وقد اشتغل بالرياضيات من الفلسفة ولم يكن يتعصب لمذهب بعينه قال جعفر سألته عما عنده في أمر علي وعثمان فقال هذه عداوة قديمة النسب بين عبد شمس وبين بني هاشم وقد كان حرب بن أمية نافر عبد المطلب بن هاشم وكان أبو سفيان يحسد محمدا صلى الله عليه وآله وحاربه ولم تزل الثنتان متباغضتين وان جمعتهما المنافية ثم ان رسول الله صلى الله عليه وآله زوج عليا بابنته وزوج عثمان بابنته الاخرى وكان اختصاص رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة أكثر من اختصاصه للبنت الاخرى وللثانية التي تزوجها عثمان بعد وفاة الاولى واختصاصه أيضا لعلي وزيادة قربه منه وامتزاجه به واستخلاصه اياه لنفسه أكثر وأعظم من اختصاصه لعثمان فنفس عثمان ذلك عليه فتباعد ما بين قلبيهما وزاد في التباعد ما عساه يكون بين الاختين من مباغضة أو مشاجرة أو كلام ينقل من احداهما الى الاخرى فيتكدر قلبها على أختها ويكون ذلك التكدير سببا لتكدير ما بين البعلين أيضا كما نشاهده في عصرنا وفي غيره من الاعصار وقد قيل ما قطع من الاخوين كالزوجتين ثم اتفق ان عليا عليه السلام قتل جماعة كثيرة من بني عبد شمس في حروب رسول الله صلى الله عليه وآله فتأكد الشنآن واذا استوحش الانسان من صاحبه استوحش صاحبه منه ثم مات رسول الله صلى الله عليه وآله فصبا الى علي جماعة يسيرة لم يكن عثمان منهم ولا حضر في دار فاطمة مع من حضر من المتخلفين عن البيعة وكانت في نفس علي عليه السلام أمور من الخلافة لم يمكنه اظهارها في أيام أبي بكر وعمر لقوة عمر وشدته وانبساط يده ولسانه فلما قتل عمر وجعل الامر شورى بين الستة وعدل عبد الرحمن بها عن علي الى عثمان لم يملك علي نفسه فأظهر ما كان كامنا وأبدى ما كان مستورا ولم يزل الامر يتزايد بينهما حتى شرف وتفاقم ومع ذلك فلم يكن علي عليه السلام لينكر من أمره الا منكرا ولا ينهاه الا عما تقتضي الشريعة نهيه عنه وكان عثمان مستضعفا في نفسه رخوا قليل الحزم واهي العقدة وسلم عنانه الى مروان يصرفه كيف شاء فالخلافة له في المعنى ولعثمان في الاسم فلما انتقض على عثمان أمره استصرخ عليا ولاذ به وألقى زمام أمره اليه فدافع عنه حيث لا ينفع الدفاع وذب عنه حين لا يغني الذب فقد كان الامر فسد فسادا لا يرجى صلاحه قال جعفر فقلت له أتقول ان عليا وجد من خلافة عثمان أعظم مما وجد من خلافة أبي بكر وعمر فقال كيف يكون ذلك وهو فرع لهما ولولاهما لم يصل الى الخلافة ولا كان عثمان ممن يطمع فيها من قبل ولا يخطر له ببال ولكن هاهنا أمر يقتضي في عثمان زيادة المنافسة وهو اجتماعهما في النسب وكونهما من بني عبد مناف والانسان ينافس ابن عمه الادنى أكثر من منافسة الابعد ويهون عليه من الابعد ما لا يهون عليه من الاقرب قال جعفر فقلت له أفتقول لو ان عثمان خلع ولم يقتل أكان الامر يستقيم لعلي عليه السلام اذا بويع بعد خلعه فقال لا وكيف يتوهم ذلك بل يكون انتقاض الامور عليه وعثمان حي مخلوع أكثر من انتقاضها عليه بعد قتله لانه موجود يرجى ويتوقع عوده فان كان محبوسا عظم البلاء والخطب وهتف الناس باسمه في كل يوم بل في كل ساعة وان كان مخلى سربه وممكنا من نفسه وغير محول بينه وبين اختياره لجأ الى بعض الاطراف وذكر أنه مظلوم غصبت خلافته وقهر على خلع نفسه فكان اجتماع الناس عليه أعظم والفتنة به أشد وأغلظ قال جعفر فقلت له فما تقول في هذا الاختلاف الواقع في أمر الامامة من مبدأ الحال وما الذي تظنه أصله ومنبعه فقال لا أعلم لهذا أصلا الا أمرين أحدهما ان رسول الله صلى الله عليه وآله أهمل أمر الامامة فلم يصرح فيه بأحد بعينه وانما كان هناك رمز وايماء وكناية وتعريض لو أراد صاحبه أن يحتج به وقت الاختلاف وحال المنازعة لم يقم منه صورة حجة تغني ولا دلالة تحسب وتكفي ولذلك لم يحتج علي عليه السلام يوم السقيفة بما ورد فيه لانه لم يكن نصا جليا يقطع العذر ويوجب الحجة وعادة الملوك اذا تمهد ملكهم وأرادوا العقد لولد من أولادهم أو ثقة من ثقاتهم أن يصرحوا بذكره ويخطبوا باسمه على أعناق المنابر وبين فواصل الخطب ويكتبوا

بذلك الى الآفاق البعيدة عنهم والاقطار النائية منهم ومن كان منهم ذا سرير وحصون ومدن كثيرة ضرب اسمه على صفحات الدنانير والدراهم مع اسم ذلك الملك بحيث تزول الشبهة في أمره ويسقط الارتياب بحاله فليس أمر الخلافة بهين ولا صغير ليترك حتى يصير في مظنة الاشتباه واللبس ولعله كان لرسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك عذر لا نعلمه نحن اما خشية من فساد الامر وارجاف المنافقين وقولهم انها ليست بنبوة وانما هي ملك أوصى به من بعده لذريته وسلالته ولما لم يكن أحد من تلك الذرية في تلك الحال صالحا للقيام بالامر لصغر السن جعله لابيهم ليكون في الحقيقة لزوجته التي هي ابنته ولاولاده منها من بعده واما ما تقوله المعتزلة وغيرهم من أهل العدل ان الله تعالى علم أن المكلفين يكونون على ترك الامر مهملا غير معين أقرب الى فعل الواجب وتجنب القبيح قال ولعل رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكن يعلم في مرضه انه يموت في ذلك المرض وكان يرجو البقاء فيمهد للامامة قاعدة واضحة ومما يدل على ذلك انه لما نوزع في احضار الدواة والكتف ليكتب لهم ما لا يضلون بعده غضب وقال أخرجوا عني لم يجمعهم بعد الغضب ثانية ويعرفهم رشدهم ويهديهم الى مصالحهم بل ارجأ الامر ارجاء من يرتقب الافاقة وينتظر العافية قال فبتلك الاقوال المجمجمة والكنايات المحتملة والرموز المشتبهة مثل حديث خصف النعل ومنزلة هرون من موسى ومن كنت مولاه وهذا يعسوب الدين ولا فتى الا على وأحب خلقك اليك وما يجري هذا المجرى مما لا يفصل الامر ويقطع العذر ويسكت الخصم ويفحم المنازع وثبت الانصار فادعتها ووثب بنو هاشم فادعوها وقال أبو بكر بايعوا عمر أو أبا عبيدة وقال العباس لعلي امدد يدك لأبايعك وقال قوم ممن رعف به الدهر فيما بعد ولم يكن موجودا حينئذ ان الأمر كان للعباس لانه العم الوارث وان أبا بكر وعمر ظلماه وغصباه حقه فهذا أحدهما وأما السبب الثاني للاختلاف فهو جعل عمر الامر شورى في الستة ولم ينص على واحد بعينه اما منهم أو من غيرهم فبقي في نفس كل واحد منهم انه قد رشح للخلافة وأهل للملك والسلطنة فلم يزل ذلك في نفوسهم وأذهانهم مصورا بين أعينهم مرتسما في خيالاتهم منازعة اليه نفوسهم طامحة نحوه عيونهم حتى كان من الشقاق بين علي وعثمان ما كان وحتى أفضى الأمر الى قتل عثمان وكان أعظم الأسباب في قتله طلحة وكان لا يشك ان الأمر له من بعده لوجوه منها سابقته ومنها انه ابن عم لأبي بكر وكان لأبي بكر في نفوس أهل ذلك العصر منزلة عظيمة أعظم منها الآن ومنها انه كان سمحا جوادا وقد كان نازع عمر في حياة أبي بكر وأحب أن يفوض أبو بكر الأمر اليه من بعده فما زال يفتل في الذروة والغارب في أمر عثمان وينكر له القلوب ويكدر عليه النفوس ويغري أهل المدينة والأعراب وأهل الأمصار به وساعده الزبير وكان أيضا يرجو الأمر لنفسه ولم يكن رجاؤهما الأمر بدون رجاء علي بل رجاؤهما كان أقوى لان عليا دحضه الاولان وأسقطاه وكسرا ناموسه بين الناس فصار نسيا منسيا ومات الاكثر ممن يعرف خصائصه التي كانت في أيام النبوة وفضله ونشأ قوم لا يعرفونه ولا يرونه الا رجلا من عرض المسلمين ولم يبق له مما يمت به الا انه ابن عم الرسول وزوج ابنته وأبو سبطيه ونسي ما وراء ذلك كله واتفق له من بغض قريش وانحرافها ما لم يتفق لاحد وكانت قريش بمقدار ذلك البغض تحب طلحة والزبير لان الاسباب الموجبة لبغضهم له لم تكن موجودة فيهما وكانا يتألفان قريشا في أواخر أيام عثمان ويعدانهم بالعطاء والافضال وهما عند أنفسهما وعند الناس خليفتان بالقوة لا بالفعل لان عمر نص عليهما وارتضاهما للخلافة وعمر متبع القول ومرضي الفعال موفق مؤيد مطاع نافذ الحكم في حياته وبعد وفاته فلما قتل عثمان أرادها طلحة وحرص عليها فلولا الاشتر وقوم معه من شجعان العرب جعلوها في علي لم تصل اليه أبدا فلما فاتت طلحة والزبير فتقا ذلك الفتق العظيم على علي وأخرجا أم المؤمنين معهما وقصدا العراق وأثارا الفتنة وكان من حرب الجمل ما قد علم وعرف ثم كانت حرب الجمل مقدمة وتمهيدا لحرب صفين فان معاوية لم يكن ليفعل ما فعل لولا طمعه بما جرى في البصرة ثم أوهم أهل الشام ان عليا قد فسق بمحاربة أم المؤمنين ومحاربة المسلمين وانه قتل طلحة والزبير وهما من أهل الجنة ومن يقتل مؤمنا من أهل الجنة فهو من أهل النار فهل كان الفساد المتولد في صفين الا فرعا للفساد الكائن يوم الجمل ثم نشأ من فساد صفين وضلال معاوية كل ما جرى من الفساد والقبيح في أيام بني أمية ونشأت فتنة ابن الزبير فرعا من فروع يوم

الدار لان عبد الله كان يقول ان عثمان لما أيقن بالقتل نص علي بالخلافة ولي بذلك شهود منهم مروان بن الحكم أفلا ترى كيف تسلسلت هذه الأمور فرعا على أصل وغصنا من شجرة وجذوة من ضرام هكذا يدور بعضه على بعض وكله من الشورى في الستة قال وأعجب من ذلك قول عمر وقد قيل له انك استعملت يزيد بن أبي سفيان وسعيد بن العاص ومعاوية وفلانا وفلانا من المؤلفة قلوبهم من الطلقاء وأبناء الطلقاء وتركت ان تستعمل عليا والعباس والزبير وطلحة فقال اما علي فأنبه من ذلك وأما هؤلاء النفر من قريش فاني أخاف أن ينتشروا في البلاد فيكثروا فيها الفساد فمن يخاف من تأميرهم لئلا يطمعوا في الملك ويدعيه كل واحد منهم لنفسه كيف لم يخف من جعلهم ستة متساوين في الشورى مرشحين للخلافة وهل شيء أقرب الى الفساد من هذا وقد روي ان الرشيد رأى يوما محمدا وعبد الله ابنيه يلعبان ويضحكان فسر بذلك فلما غابا عن عينه بكى فقال له الفضل بن الربيع ما يبكيك يا أمير المؤمنين وهذا مقام جذل لا مقام حزن فقال أما رأيت لعبهما ومودة بينهما أما والله ليتبدلن ذلك بغضا وشنفا وليختلسن كل واحد منهما نفس صاحبه عن قريب فان الملك عقيم وكان الرشيد قد عقد الامر لهما على ترتيب هذا بعد هذا فكيف من لم يرتبوا في الخلافة بل جعلوا فيها كأسنان المشط فقلت انا لجعفر هذا كله تحكيه عن محمد بن سليمان فما تقول أنت فقال

اذا قالت حذام فصدقوها ✽ فان القول ما قالت حذام

(الاصل) ✽(ومن كلام له عليه السلام)✽

لَمْ تَكُنْ بَيْعَتُكُمْ إِيَّايَ فَلْتَةً وَلَيْسَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ وَاحِدًا ✽ إِنِّي أُرِيدُكُمْ لِلّٰهِ وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَنِي لِأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَعِينُونِي عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَايْمُ اللّٰهِ لَأُنْصِفَنَّ الْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ وَلَأَقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ ✽ حَتَّى أُورِدَهُ مَنْهَلَ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ كَارِهًا

(الشرح) الفلتة الامر يقع عن غير تدبر ولا روية وفي الكلام تعريض ببيعة أبي بكر وقد تقدم لنا في معنى قول عمر كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها كلام والخزامة حلقة من شعر تجعل في أنف البعير ويجعل الزمام فيها وأعينوني على أنفسكم خذوها بالعدل واقمعوها عن اتباع الهوى واردعوها بعقولكم عن المسالك التي ترديها وتوبقها فانكم اذا فعلتم ذلك أعنتموني عليها لاني أعظكم وآمركم بالمعروف وأنهاكم عن المنكر فاذا كبحتم أنفسكم بلجام العقل الداعي الى ما أدعو اليه فقد أعنتموني عليها فان قلت ما معنى قوله أريدكم لله وتريدونني لانفسكم قلت لانه لا يريد من طاعتهم له الا نصرة دين الله والقيام بحدوده وحقوقه ولا يريدهم لحظ نفسه وأما هم فانهم يريدونه لحظوظ أنفسهم من العطاء والتقريب والاسباب الموصلة الى منافع الدنيا وهذا الخطاب منه عليه السلام لجمهور أصحابه فأما الخواص منهم فانهم كانوا يريدونه للامر الذي يريده لهم من اقامة شرائع الدين واحياء معالمه

(الاصل) ✽(وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ)✽

في شأن طلحة والزبير

وَاللّٰهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَرًا وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نَصَفًا ✽ وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقًّا هُمْ تَرَكُوهُ وَدَمًا هُمْ سَفَكُوهُ فَإِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ نَصِيبَهُمْ مِنْهُ وَإِنْ كَانُوا وَلُوهُ دُونِي فَمَا الطَّلِبَةُ إِلَّا قِبَلَهُمْ ✽ وَإِنَّ أَوَّلَ عَدْلِهِمْ لَلْحُكْمُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَإِنَّ مَعِي لَبَصِيرَتِي مَا لَبَسْتُ

وَلَا لُبِسَ عَلَيَّ وَإِنَّهَا لَلْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ فِيهَا الْحَمَا وَالْحُمَةُ ٭ وَالشُّبْهَةُ الْمُغْدِفَةُ ٭ وَإِنَّ الْأَمْرَ لَوَاضِحٌ وَقَدْ زَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ نِصَابِهِ ٭ وَانْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ شَغْبِهِ ٭ وَايْمُ اللهِ لَأُفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضاً أَنَا مَاتِحُهُ لَا يَصْدُرُونَ عَنْهُ بِرِيٍّ وَلَا يَعُبُّونَ بَعْدَهُ فِي حَسْيٍ

(الشرح) النصف الانصاف قال الفرزدق

ولكن نصفا لو سببت وسبني ٭ بنو عبد شمس من قريش وهاشم

وهو على حذف المضاف أي ذا نصف أي حكما منصفا عادلا يحكم بيني و بينهم والطلبة بكسر اللام ماطلبته من شيء ولبست على فلان الامر ولبس عليه الامر كلاهما بالتخفيف والحمأ الطين الاسود قال سبحانه من صلصال من حمأ مسنون وحمة العقرب سمها أي في هذه الفئة الباغية الضلال والفساد والضرر واذا أرادت العرب أن تعبر عن الضلال والفساد قالت الحما مثله الحمأة بالتاء ومن أمثالهم ثاطة مدت بماء يضرب للرجل يشتد موقه وجهله والثاطة الحمأة واذا أصابها الماء ازدادت فسادا ورطوبة و يروى فيها الحما بألف مقصورة وهو كناية عن الزبير لان كل ما كان بسبب الرجل فهم الاحماء واحدهم حما مثل قفا واقفاء وما كان بسبب المرأة فهم الاخاتن فأما الاصهار فيجمع الجهتين جميعا وكان الزبير ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وآله وقد كان النبي صلى الله عليه وآله أعلم عليا بأن فئة من المسلمين تبغي عليه أيام خلافته فيها بعض زوجاته و بعض احمائه فكنى علي عليه السلام عن الزوجة بالحمة وهي سم العقرب و يروى والحمأ يضرب مثلا لغير الطيب ولغير الصافي وظهر ان الحما الذي أخبر النبي صلى الله عليه وآله بخروجه مع هؤلاء البغاة هو الزبير ابن عمته وفي الحما أربع لغات حما مثل قفا وحمو مثل أبو وحم مثل أب وحمء مثل كمء وحموء مثل أب قوله عليه السلام والشبهة المغدفة أي الخفية وأصله المرأة تغدف وجهها بقناعها أي تستره وروى المغدفة بكسر الدال من أغدف الليل أي أظلم وزاح الباطل أي بعد وذهب وازاحه غيره وعن نصابه عن مركزه ومقره ومنه قول بعض المحدثين قد رجع الحق الى نصابه ٭ وأنت من دون الورى أولى به والشغب بالتسكين تهييج الشر شغب الحقد بالفتح شغبا وقد جاء بالتحريك في لغة ضعيفة وماضيها شغب بالكسر ولافرطن لهم حوضا أي لأملأن يقال أفرطت المزادة أي ملأتها وغدير مفرط أي ملآن والماتح بنقطتين من فوق المستقي من فوق و بالياء مالئ الدلاء من تحت والعب الشرب بلا مص كما تشرب الدابة وفي الحديث الكباد من العب والحسي ماء كامن في رمل يحفر عنه فيستخرج وجمعه احساء بقول عليه السلام والله ما أنكروا على أمرا هو منكر في الحقيقة وانما أنكروا ما الحجة عليهم فيه لا لهم وحملهم على ذلك الحسد وحب الاستئثار بالدنيا والتفضيل في العطاء وغير ذلك مما لم يكن أمير المؤمنين عليه السلام يراه ولا يستجيزه في الدين قال ولا جعلوا بيني و بينهم نصفا يعني وسيطا يحكم و ينصف بل خرجوا عن الطاعة بغتة وانهم ليطلبون حقا تركوه أي يظهرون أنهم يطلبون حقا بخروجهم الى البصرة وقد تركوا الحق بالمدينة قال ودما هم سفكوه يعني دم عثمان وكان طلحة من أشد الناس تحريضا عليه وكان الزبير دونه في ذلك روى ان عثمان قال ويلي على ابن الحضرمية يعني طلحة أعطيته كذا وكذا بهارا ذهبا وهو يروم دمي يحرض على نفسي اللهم لا تمتعه به ولقه عواقب بغيه وروى الناس الذين صنفوا في واقعة الدار ان طلحة كان يوم قتل عثمان مقنعا بثوب قد استتر به عن أعين الناس يرمي الدار بالسهام ورووا أيضا انه لما امتنع على الذين حصروه الدخول من باب الدار حملهم طلحة الى دار لبعض الانصار فأصعدهم الى سطحها وتسوروا منها على عثمان داره فقتلوه ورووا أيضا ان الزبير كان يقول اقتلوه فقد بدل دينكم فقالوا ان ابنك يحامي عنه بالباب فقال ما أكره أن يقتل عثمان ولو بدئ بابني ان عثمان لجيفة على الصراط غدا وقال مروان بن الحكم يوم الجمل والله لا أترك ثاري وأنا أراه ولأقتلن طلحة بعثمان فانه قتله ثم رماه بسهم فأصاب مابضه فنزف الدم حتى مات ثم قال عليه السلام ان كنت شريكهم في دم عثمان فان لهم نصيبهم منه فلا يجوز لهم أن يطالبوا بدمه وهم شركاء فيه وان كانوا ولوه دوني فهم

المطلوبون اذن به لا غيرهم وانما لم يذكر القسم الثالث وهو أن يكون هو عليه السلام وليه دونهم لانه لم يقل به قائل فان الناس كانوا على قولين في ذلك أحدهما ان عليا وطلحة والزبير مسهم لطخ من عثمان لا بمعنى أنهم باشروا قتله بل بمعنى الاغراء والتحريض وثانيهما ان عليا عليه السلام بريء من ذلك وان طلحة والزبير غير بريئين منه ثم قال وان أول عدلهم للحكم على أنفسهم يقول ان هؤلاء خرجوا ونقضوا البيعة وقالوا انما خرجنا للامر بالمعروف والنهي عن المنكر واظهار العدل واحياء الحق وامانة الباطل وأول العدل أن يحكموا على أنفسهم فانه يجب على الانسان أن يقضي على نفسه ثم على غيره واذا كان دم عثمان قبلهم فالواجب أن ينكروا على أنفسهم قبل انكارهم على غيرهم قال وان معي لبصيرتي أي عقلي ما لبست على الناس أمرهم ولا لبس الامر علي أي لم يلبسه رسول الله صلى الله عليه وآله علي بل أوضحه لي وعرفنيه ثم قال وانها للفئة الباغية لام التعريف في الفئة تشعر بأن نصا قد كان عنده انه ستخرج عليه فئة باغية ولم يعين له وقتها ولا كل صفاتها بل بعض علاماتها فلما خرج أصحاب الجمل ورأى تلك العلامات موجودة فيهم قال وانها للفئة الباغية أي وان هذه الفئة أي الفئة التي وعدت بخروجها علي ولولا هذا القال وانها لفئة باغية على التنكير ثم ذكر بعض العلامات ثم قال ان الامر لواضح كل هذا يؤكد به عند نفسه وعند غيره ان هذه الجماعة هي تلك الفئة الموعود بخروجها وقد ذهب الباطل وزاح وخرس لسانه بعد شغبه ثم أقسم ليملأن لهم حوضا هو ماتحه وهذه كناية عن الحرب والهيجاء وما يتعقبهما من القتل والهلاك لا يصدرون عنه بري أي ليس كهذه الحياض الحقيقية التي اذا وردها الظمآن صدر عن ري و نقع غليله بل لا يصدرون عنه الا وهم جزر السيوف ولا يعبون بعده في حسي لانهم هلكوا فلا يشربون بعده البارد العذب وكان عمرو بن الليث الصفار أمير خراسان أنفذ جيشا لحرب اسمعيل ابن أحمد الساماني فانكسر ذلك الجيش وعادوا الى عمرو بن الليث فغضب ولقي القواد بكلام غليظ فقال له بعضهم أيها الامير انه قد طبخ لك مرجل عظيم وانما نلنا منه لهمة يسيرة والباقي مذخور لك فعلام نتركه اذهب اليهم فكله فسكت عمرو بن الليث عنه ولم يجب ومرادنا من هذه المشابهة والمناسبة بين الكنايتين

(الاصل) (مِنْهَا) فَأَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ الْعُوذِ الْمَطَافِيلِ عَلَى أَوْلَادِهَا ٭ تَقُولُونَ الْبَيْعَةَ الْبَيْعَةَ قَبَضْتُ كَفِّي فَبَسَطْتُمُوهَا ٭ وَنَازَعَتْكُمْ يَدِي فَجَذَبْتُمُوهَا ٭ اللَّهُمَّ إِنَّهُمَا قَطَعَانِي وَظَلَمَانِي ٭ وَنَكَثَا بَيْعَتِي ٭ وَأَلَّبَا النَّاسَ عَلَيَّ ٭ فَاحْلُلْ مَا عَقَدَا ٭ وَلَا تُحْكِمْ لَهُمَا مَا أَبْرَمَا وَأَرِهِمَا الْمَسَاءَةَ فِيمَا أَمَّلَا وَعَمِلَا ٭ وَلَقَدِ اسْتَثَبْتُهُمَا قَبْلَ الْقِتَالِ ٭ وَاسْتَأْنَيْتُ بِهِمَا أَمَامَ الْوِقَاعِ فَغَمَطَا النِّعْمَةَ ٭ وَرَدَّا الْعَافِيَةَ

(الشرح) العوذ النوق الحديثات النتاج الواحدة عائذ مثل حائل وحول وقد يقال ذلك للخيل والظباء و يجمع أيضا على عوذان مثل راع ورعيان وهذه عائذة بينة العوذ وذلك اذا ولدت عن قريب وهي في عياذها أي بحدثان نتاجها والمطافيل جمع مطفل وهي التي زال عنها اسم العياذ ومعها طفلها وقد تسمى المطافيل عوذا الى أن يبعد العهد بالنتاج مجازا وعلى هذا الوجه قال أمير المؤمنين اقبال العوذ المطافيل والا فالاسمان معا لا يجتمعان حقيقة واذا زال الاول ثبت الثاني قوله وألبا الناس علي أي حرضا يقال حسود مؤلب واستثبتهما بالثاء المعجمة بثلاث طلبت منهما أن يثوبا أي يرجعا وسمي المنزل مثابة لان أهله ينصرفون في أمورهم ثم يثوبون اليه و يروى ولقد استتبتهما أي طلبت منهما أن يتوبا الى الله من ذنبهما في نقض البيعة واستأنيت بهما من الاناءة والانتظار والوقاع بكسر الواو مصدر واقعتهم في الحرب وقاعا مثل نازلتهم نزالا وقاتلتهم قتالا وغمط فلان النعمة اذا حقرها وازرى بها غمطا و يجوز غمط النعمة بالكسر والمصدر كالمصدر غير محرك و يقال ان الكسر أفصح من الفتح بقول عليه السلام انكم أقبلتم مزدحمين كما تقبل النوق الى أولادها

تسألوننى البيعة فامتنعت عليكم حتى علمت اجتماعكم عن آخركم فبايعتكم ثم دعا على طلحة و الزبير بعد أن وصفهما بالقطيعة والنكث والتأليب عليه بأن يحل الله تعالى ما عقدا وأن لا يحكم لهما ما أبرما وأن يريهما المساءة فيما أملا وعملا فأما الوصف لهما بما وصفهما به فقد صدق عليه السلام فيه وأما دعاؤه فاستجيب له والمساءة التى دعا بها هى مساءة الدنيا لا مساءة الآخرة فان الله تعالى قد وعدهما على لسان رسوله بالجنة وانما استوجباها بالتوبة التى نقلها أصحابنا رحمهم الله فى كتبهم عنهما ولولاها لكانا من الهالكين

(الاصل) ﴿ ومن خطبة له عليه السلام ﴾

يومئ فيها الى ذكر الملاحم

يَعطِفُ الهوَى على الهُدَى إذَا عَطَفُوا الهُدَى على الهوَى * وَيَعْطِفُ الرَّأْيَ على القرْآنِ إذَا عَطفُوا القرْآنَ على الرَّأْيِ

(الشرح) هذا اشارة الى امام يخلقه الله تعالى فى آخر الزمان وهو الموعود به فى الاخبار والآثار ومعنى يعطف الهوى يقهره و يثنيه عن جانب الايثار والارادة عاملا عمل الهدى فيجعل الهدى قاهرا له وظاهرا عليه وكذلك قوله و يعطف الرأى على القرآن أى يقهر حكم الرأى والقياس والعمل بغلبة الظن عاملا على القرآن وقوله اذا عطفوا الهدى واذا عطفوا القرآن اشارة الى الفرق المخالفين لهذا الامام المشاقين له الذين لا يعملون بالهدى بل بالهوى ولا يحكمون بالقرآن بل بالرأى

(الاصل) (منها) حتَّى تَقُومَ الحَرْبُ بِكُمْ على ساقٍ بادِيًا نَواجِذُها * مَمْلُوءَةً أخلافُها حُلْوًا رَضاعُها * عَلْقَمًا عاقِبَتُها * ألاَ وَفِي غَدٍ وَسَيَأْتي غَدٌ بِمَا لاَ تَعرِفُونَ يأْخُذُ الوَالِي مِنْ غَيْرِها عُمَّالَها على مَساوِي أعْمالِها * وَتُخْرِجُ لَهُ الأرْضُ أفالِيذَ كَبِدِها * وَتُلْقِي اليْهِ سِلْمًا مَقالِيدَها * فَيُرِيكُمْ كَيْفَ عَدْلُ السِّيرَةِ * وَيُحْيِي مَيِّتَ الكِتابِ والسُّنَّةِ

(الشرح) الساق الشدة ومنه قوله تعالى يوم يكشف عن ساق والنواجذ أقصى الاضراس والكلام كناية عن بلوغ الحرب غايتها كما ان غاية الضحك أن تبدو النواجذ وكذلك قوله مملوءة اخلافها والاخلاف للناقة حلمات الضرع واحدها خلف وقوله حلوا رضاعها علقما عاقبتها قد أخذه الشاعر فقال

الحرب أول ما تكون فتية * تسعى بزينتها لكل جهول
حتى اذا اشتعلت وشب ضرامها * عادت عجوزا غير ذات حليل
شمطاء جزت رأسها وتنكرت * مكروهة للشم والتقبيل

وهو الرضاع بالفتح والماضى رضع بالكسر مثل سمع سماعا وأهل نجد يقولون رضع بالفتح يرضع بالكسر رضعا مثل ضرب يضرب ضربا وأنشدوا

وذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها * أفاويق حتى ما يدر لها ثعل

بكسر الضاد وقوله الا وفى غد تمامه يأخذ الوالى و بين الكلام جملة اعتراضية وهى قوله وسيأتى غد بما لا تعرفون والمراد تعظيم شأن الغد الموعود بمجيئه ومثل ذلك فى القرآن كثير نحو قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم فقوله تعالى انه لقرآن كريم هو الجواب المتلقى به قوله فلا أقسم وقد اعترض بينهما قوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم واعترض بين هذا الاعتراض قوله لو تعلمون لانك لو حذفته لبقى الكلام على افادته

وهو قولك وانه لقسم عظيم والمراد تعظيم شأن ما أقسم به من مواقع النجوم وتأكيد اجلاله فى النفوس لا سيما بقوله لو تعلمون عظيم ومن ذلك قوله تعالى و يجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون فقوله سبحانه اعتراض والمراد به التنزيه وكذلك قوله تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض فلقد علمتم اعتراض والمراد به تقرير اثبات البراءة من تهمة السرقة وكذلك قوله واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر فاعترض بين اذا وجوابها بقوله والله أعلم بما ينزل فكأنه أراد أن يجيبهم عن دعواهم فجعل الجواب اعتراضا ومن ذلك قوله ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك فاعترض بقوله حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين بين وصينا و بين الموصى به وفائدة ذلك اذكار الولد بما كابدته أمه من المشقة فى حمله وفصاله ومن ذلك قوله واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها فقوله والله مخرج ما كنتم تكتمون اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه والمراد أن يقرر فى أنفس السامعين أنه لا ينفع البشر كتمانهم واخفاؤهم لما يريد الله اظهاره ومن الاعتراض فى الشعر قول جرير

ولقد أرانى والجديد الى بلى * فى موكب بيض الوجوه كرام

فقوله والجديد الى بلى اعتراض والمراد تعزيته نفسه عما مضى من تلك اللذات وكذلك قول كثير

لو ان الباخلين وأنت منهم * رأوك تعلموا منك المطالا

فقوله وأنت منهم اعتراض وفائدته أن لا تظن انها ليست باخلة ومن ذلك قول الشاعر

فلو سألت سراة الحى سلمى * على أن قد تلون بى زمانى
لخبرها ذوو احساب قومى * وأعدائى فكل قد بلانى
بذب الذم عن حسبى ومالى * وزبونات أشوس تيحان
وانى لا أزال أخا حروب * اذا لم أجن كنت مجن جانى

فقوله على ان قد تلون بى زمانى اعتراض وفائدته الاخبار عن ان السن قد أخذت منه وتغيرت بطول العمر أوصافه ومن ذلك قول أبى تمام

رددت رونق وجهى فى صحيفته * رد الصقال بهاء الصارم الخذم
وما أبالى وخير القول أصدقه * حقنت لى ماء وجهى أم حقنت دمى

فقوله وخير القول أصدقه اعتراض وفائدته اثبات صدقه فى دعواه أنه لا يبالى أيهما حقن فأما قول أبى تمام أيضا

وان الغنى لى ان لحظت مطالبى * من الشعر الا فى مديحك أطوع

فان الاعتراض فيه هو قوله الا فى مديحك وليس قوله ان لحظت مطالبى اعتراضا كما زعم ابن الاثير الموصلى لان فائدة البيت معلقة عليه لانه لا يريد ان الغنى لى على كل حال أطوع من الشعر وكيف يريد هذا وهو كلام فاسد مختل بل مراده ان الغنى لى بشرط ان تلحظ مطالبى ومن الشعر أطوع لى الا فى مديحك فان الشعر فى مديحك أطوع لى منه واذا كانت الفائدة معلقة بالشرط المذكور لم يكن اعتراضا وكذلك وهم ابن الاثير أيضا فى قول امرئ القيس

فلو ان ما أسعى لادنى معيشة * كفانى ولم أطلب قليل من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤثل * وقد يدرك المجد المؤثل أمثالى

فقال ان قوله ولم أطلب اعتراض وليس بصحيح لان فائدة البيت مرتبطة به وتقديره لو سعيت لان آكل وأشرب لكفانى القليل ولم أطلب الملك فكيف يكون قوله ولم أطلب الملك اعتراضا ومن شأن الاعتراض أن يكون فضلة ترد لتحسين وتكملة وليست فائدته أصلية وقد يأتى الاعتراض ولا فائدة فيه وهو غير مستحسن نحو قول النابغة

يقول رجال يجهلون خليقتى * لعل زيادا لا أبالك غافل

فقوله لا أبالك اعتراض لا معنى تحته ههنا ومثله قول زهير

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش * ثمانين حولا لا أبالك يسأم

فان جاءت لا أبالك تعطى معنى يليق بالموضع فهى اعتراض جيد نحو قول أبى تمام * عتابك عنى لا أبالك واقصد * فانه أراد زجرها وذمها لما أسرفت فى عتابه وقد يأتى الاعتراض على غاية من القبح والاستهجان وهو على سبيل التقديم والتأخير نحو قول الشاعر

فقد والشك بين لى عناء * بوشك فراقهم صرد فصيح

تقديره فقد بين لى صرد يصيح بوشك فراقهم والشك عناء فلاجل قوله والشك عناء بين قد والفعل الماضى وهو بين عد اعتراضا مستهجنا وامثال هذا للعرب كثير قوله عليه السلام يأخذ الوالى من غيرها عمالها على مساوى أعمالها كلام منقطع عما قبله وقد كان تقدم ذكر طائفة من الناس ذات ملك وامرة فذكر عليه السلام ان الوالى يعنى الامام الذى يخلقه الله تعالى فى آخر الزمان يأخذ عمال هذه الطائفة على سوء أعمالهم وعلى ههنا متعلقة بيأخذ التى هى بمعنى يؤاخذ من قولك أخذته بذنبه وآخذته والهمز أفصح والافاليذ جمع افلاذ وافلاذ جمع فلذ وهى القطعة من الكبد وهذا كناية عن الكنوز التى تظهر للقائم بالامر وقد جاء ذكر ذلك فى خبر مرفوع فى لفظه وقاءت له الارض افلاذ كبدها وقد فسر قوله تعالى وأخرجت الارض أثقالها بذلك فى بعض التفاسير والمقاليد المفاتيح

(الاصل) (منها) كأنّى بِهِ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ * وفَحَصَ بِرَاياتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفانَ * فَعَطَفَ إِلَيْها عَطْفَ الضَّرُوسِ * وفَرَشَ الأَرْضَ بِالرُّؤُسِ * قَدْ فَغَرَتْ فاغِرَتُهُ * وثَقُلَتْ فِي الأَرْضِ وَطْأَتُهُ * بَعِيدَ الجَوْلَةِ * عَظِيمُ الصَّوْلَةِ * واللهِ لَيُشَرِّدَنَّكُمْ فِي أَطْرَافِ الأَرْضِ حتى لاَ يَبْقَى مِنْكُمْ الأَ قَلِيلٌ كَالْكُحْلِ فِي الْعَيْنِ * فَلاَ تَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى تَؤُوبَ إِلَى الْعَرَبِ عَوَازِبُ أَحْلاَمِها * فَالْزَمُوا السُّنَنَ القائِمَةَ * وَالآثارَ الْبَيِّنَةَ * وَالْعَهْدَ القَرِيبَ الَّذِي عَلَيْهِ باقِي النُّبُوَّةِ * واعْلَمُوا أَنَّ الشَّيْطانَ إِنَّما يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ لِتَتَّبِعُوا عَقِبَهُ

(الشرح) هذا اخبار عن عبد الملك بن مروان وظهوره بالشام وملكه بعد ذلك العراق وما قتل من العرب فيها أيام عبد الرحمن بن الاشعث وقتله أيام مصعب بن الزبير ونعق الراعى بغنمه بالعين المهملة ونغق الغراب بالغين المعجمة وفحص براياته ههنا مفعول محذوف تقديره وفحص الناس براياته أى نحاهم وقلبهم يمينا وشمالا وكوفان اسم الكوفة وضواحيها ماقرب منها من القرى والضروس الناقة السيئة الخلق تعض حالبها قال بشر بن أبى حازم

عطفنا لهم عطف الضروس من الملا * شهباء لا يمشى الضراء رقيبها وقوله وفرش الارض بالرؤس غطاها بها كما يغطى المكان بالفراش وفغرت فاغرته كانه يقول فتح فاه والكلام استعارة وفغر فعل يتعدى ولا يتعدى وثقلت فى الارض وطأته كناية عن الجور والظلم بعيد الجولة استعارة أيضا والمعنى أن تطواف خيوله وجيوشه فى البلاد أو جولان رجاله فى الحرب على الاقران طويل جدا لا يتعقبه السكون الا نادرا و بعيد منصوب على الحال واضافته غير محضة وعوازب أحلامها ماذهب من عقولها عزب عنه الرأى أى بعد و يسنى لكم طرقه أى يسهل والعقب بكسر القاف مؤخر القدم وهى مؤنثة فان قلت فان قوله حتى تؤوب يدل على أن غاية ملكه أن تؤوب الى العرب عوازب أحلامها وعبد الملك مات فى ملكه ولم يزل الملك عنه باوبة أحلام العرب اليها فان فائدة حتى الى وهى موضوعة للغاية قلت ان ملك أولاده ملكه أيضا وما زال الملك عن بنى مروان حتى آبت الى العرب عوازب أحلامها والعرب ههنا بنو العباس ومن اتبعهم من العرب أيام ظهور الدولة كقحطبة بن شبيب الطائى وابنيه حميد والحسن وكبنى رزيق بتقديم الراء المهملة الذين منهم طاهر بن الحسين واسحق بن

ابراهيم المصعبى وعدادهم فى خزاعة وغيرهم من العرب من شيعة بنى العباس وقد قيل ان أبا مسلم أيضا عربى أصله وكل هؤلاء وآباؤهم كانوا مستضعفين مقهورين مغمورين فى دولة بنى أمية لم ينهض منهم ناهض ولا وثب الى الملك واثب الى ان أفاء الله تعالى الى هؤلاء ما كان عزب عنهم من اباءتهم وحميتهم فغاروا للدين والمسلمين من جور بنى مروان وظلمهم وقاموا بالامر وأزالوا تلك الدولة التى كرهها الله تعالى واذن فى انتقالها ثم أمرهم عليه السلام بان يلزموا بعد زوال تلك الدولة بالكتاب والسنة والعهد القريب الذى عليه باقى النبوة يعنى عهده وأيامه عليه السلام وكأنه خاف من أن يكون باخباره لهم بان دولة هذا الجبار ستنقضى اذا آبت الى العرب عوازب أحلامها كالامر لهم باتباع ولاة الدولة الجديدة فى كل ما تفعله فاستظهر عليهم بهذه الوصية وقال لهم اذا ابتدأت الدولة فالزموا الكتاب والسنة والعهد الذى فارقتكم عليه

(الاصل) *(ومن كلام له عليه السلام)*

في وقت الشورى

لَمْ يُسْرِعْ أَحَدٌ قَبْلِي الَى دَعْوَةِ حَقٍّ وصِلَةِ رَحِمٍ وعائِدَةِ كَرَمٍ فاسْمَعُوا قَوْلِي وعُوا مَنْطِقِي * عَسَى أَنْ تَرَوْا هَذَا الأَمْرَ مِنْ بَعْدِ هَذَا الْيَوْمِ تُنْتَضَى فِيهِ السُّيُوفُ * وتُخانُ فِيهِ الْعُهُودُ * حَتَّى يَكُونَ بَعْضُكُمْ أَئِمَّةً لِأَهْلِ الضَّلاَلَةِ * وشِيعَةً لِأَهْلِ الْجَهالَةِ

(الشرح) هذا من جملة كلام قاله عليه السلام لاهل الشورى بعد وفاة عمر وقد ذكرنا من حديث الشورى فيما تقدم ما فيه كفاية ونحن نذكر ههنا مالم نذكره هناك وهو من رواية عوانة عن اسمعيل بن أبى خالد عن الشعبى فى كتاب الشورى ومقتل عثمان وقد رواه أيضا أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهرى فى زيادات كتاب السقيفة قال لما طعن عمر جعل الامر شورى بين ستة نفر على بن أبى طالب وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وسعد بن مالك وكان طلحة يومئذ بالشام وقال عمر ان رسول الله صلى الله عليه وآله قبض وهو عن هؤلاء راض فهم أحق بهذا الامر من غيرهم وأوصى صهيب بن سنان مولى عبد الله بن جدعان ويقال ان أصله من حى من ربيعة بن نزار يقال لهم عنزة فأمره أن يصلى بالناس حتى يرضى هؤلاء القوم رجلا منهم وكان عمر لا يشك ان هذا الامر صائر الى أحد الرجلين على وعثمان وقال ان قدم طلحة فهو معهم والا فلتختر الخمسة واحدا منها وروى ان عمر قبل موته أخرج سعد بن مالك من أهل الشورى وقال الامر فى هؤلاء الاربعة ودعوا سعدا على حاله أميرا بين يدى الامام ثم قال ولو كان أبو عبيدة بن الجراح حيا لما تخالجتنى فيه الشكوك فان اجتمع ثلاثة على واحد فكونوا مع الثلاثة وان اختلفوا فكونوا مع الجانب الذى فيه عبد الرحمن وقال لابى طلحة الانصارى يا أبا طلحة فوالله لطالما أعز الله بكم الدين ونصر بكم الاسلام اختر من الاسلام خمسين رجلا فائت بهم هؤلاء القوم فى كل يوم مرة فاستحثوهم حتى يختاروا لانفسهم وللامة رجلا منهم ثم جمع قوما من المهاجرين والانصار فاعلمهم ما أوصى به وكتب فى وصيته أن يولى الامام سعد بن مالك الكوفة وأبا موسى الاشعرى لانه كان عزل سعدا عن سخطة فاحب أن يطلب ذلك الى من يقوم بالامر من بعده استرضاء لسعد قال الشعبى فحدثنى من لا أتهمه من الانصار وقال أحمد بن عبد العزيز الجوهرى هو سهل بن سعد الانصارى قال مشيت وراء على بن أبى طالب حيث انصرف من عند عمر والعباس بن عبد المطلب يمشى فى جانبه فسمعته يقول للعباس ذهبت منا والله فقال كيف علمت قال ألا تسمعه يقول كونوا فى الجانب الذى فيه عبد الرحمن لانه ابن عمه وعبد الرحمن نظير عثمان وهو صهره فاذا اجتمع هؤلاء فلو ان الرجلين الباقيين كانا معى لم يغنيا عنى شيئا مع انى لست أرجو الا أحدهما ومع ذلك فقد أحب عمر ان يعلمنا ان لعبد الرحمن عنده فضلا علينا لعمر والله ما جعل الله ذلك لهم

علينا كالم يجعله لاولاهم على أولانا اما والله لئن عمر لم يمت لأذكرنه ماأتى الينا قديما ولأعلمته سوء رأيه فينا وماأتى الينا
حديثا ولئن مات وليموتن ليجتمعن هؤلاء القوم على أن يصرفوا هذا الامر عنا ولئن فعلوها ليفعلن ليروني حيث
يكرهون والله مابى رغبة فى السلطان ولا حب الدنيا ولكن لاظهار العدل والقيام بالكتاب والسنة قال ثم التفت فرآنى
وراءه فعرفت انه قد ساءه ذلك فقلت لاترع أباحسن لا والله لايستمع أحد الذى سمعت منك فى الدنيا مااصطحبنا فيها
فوالله ماسمعه منى مخلوق حتى قبض الله عليا الى رحمته قال عوانة فحدثنا اسمعيل قال حدثنى الشعبى قال فلما مات
عمر وأدرج فى أكفانه ثم وضع ليصلى عليه تقدم على بن أبى طالب فقام عند رأسه وتقدم عثمان فقام عند رجليه فقال
على عليه السلام هكذا ينبغى أن تكون الصلاة فقال عثمان بل هكذا فقال عبد الرحمن ماأسرع مااختلفتم ياصهيب صل
على عمر كمارضى أن تصلى بهم المكتوبة فتقدم صهيب فصلى على عمر قال الشعبى وأدخل أهل الشورى دارا فاقبلوا
يتجادلون عليها وكلهم بها ضنين وعليها حريص اما الدنيا واما الآخرة فلما طال ذلك قال عبد الرحمن من رجل منكم
يخرج نفسه عن هذا الامر ويختار لهذه الامة رجلا منكم فانى طيبة نفسى أن أخرج منها واختار لكم قالوا قد رضينا الا
على بن أبى طالب فانه اتهم وقال انظروا الرأى فاقبل أبو طلحة عليه وقال ياأبا الحسن ارض برأى عبد الرحمن كان
الامر لك أو لغيرك فقال على اعطنى ياعبد الرحمن موثقا من الله لتؤثرن الحق ولا تتبع الهوى ولا تمل الى صهر ولا ذى
قرابة ولا تعمل الا لله ولا تألوا هذه الامة أن تختار لها خيرها قال فحلف له عبد الرحمن بالله الذى لا اله الا هو لاجتهدن لنفسى
ولكم وللامة ولا أميل الى هوى ولا الى صهر ولا ذى قرابة قال فخرج عبد الرحمن فمكث ثلاثة أيام يشاور الناس ثم رجع
واجتمع الناس وكثروا على الباب لايشكون انه يبايع على بن أبى طالب وكان هوى قريش كافة ماعدا بنى هاشم فى
عثمان وهوى طائفة من الانصار مع على وهوى طائفة أخرى مع عثمان وهى أقل الطائفتين وطائفة لايبالون أيهما بويع
قال فاقبل المقداد بن عمرو والناس مجتمعون فقال أيها الناس اسمعوا ماأقول أنا المقداد بن عمرو وانكم ان بايعتم عليا
سمعنا وأطعنا وان بايعتم عثمان سمعنا وعصينا فقام عبد الله بن أبى ربيعة بن المغيرة المخزومى فنادى أيها الناس انكم ان
بايعتم عثمان سمعنا وأطعنا وان بايعتم عليا سمعنا وعصينا فقال له المقداد ياعدو الله وعدو رسوله وعدو كتابه ومتى
كان مثلك يسمع له الصالحون فقال له عبد الله ياابن الحليف العسيف ومتى كان مثلك يجترئ على الدخول فى أمر قريش
فقال عبد الله بن سعد بن أبى سرح أيها الملأ ان أردتم أن لاتختلف قريش فيما بينها فبايعوا عثمان فقال عمار بن
ياسر ان أردتم أن لايختلف المسلمون فيما بينهم فبايعوا عليا ثم أقبل على عبد الله بن سعد بن أبى سرح فقال يافاسق ياابن
الفاسق أأنت ممن يستنصحه المسلمون أو يستشيرونه فى أمورهم وارتفعت الاصوات ونادى مناد لايدرى من هو فقريش
تزعم انه رجل من بنى مخزوم والانصار تزعم انه رجل طوال آدم مشرف على الناس لايعرفه أحد منهم ياعبد الرحمن افرغ
من أمرك وامض على مافى نفسك فانه الصواب قال الشعبى فاقبل عبد الرحمن على على بن أبى طالب فقال عليك عهد
الله وميثاقه وأشد ماأخذ الله على النبيين من عهد وميثاق ان بايعتك لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة أبى بكر
وعمر فقال على عليه السلام طاقتى ومبلغ علمى وجهد رأيى والناس يسمعون فاقبل على عثمان فقال له مثل ذلك
فقال نعم لاأزول عنه ولا أدع شيأ منه ثم أقبل على على فقال له ذلك ثلاث مرات ولعثمان ثلاث مرات فى كل
ذلك يجيب على مثل ماكان أجاب به ويجيب عثمان بمثل ما كان أجاب به فقال ابسط يدك ياعثمان
فبسط يده فبايعه وقام القوم فخرجوا وقد بايعوا الا على بن أبى طالب فانه لم يبايع قال فخرج عثمان على الناس
ووجهه متهلل وخرج على وهو كاسف البال مظلم وهو يقول ياابن عوف ليس هذا باول يوم تظاهرتم علينا من دفعنا
عن حقنا والاستئثار علينا وانها لسنة علينا وطريقة تركتموها فقال المغيرة بن شعبة لعثمان أما والله لو بويع غيرك لما
بايعناه فقال عبد الرحمن بن عوف كذبت والله لو بويع غيره لبايعته وما أنت وذاك ياابن الدباغة والله لو وليها غيره
لقلت له مثل ماقلت الآن تقربا اليه وطمعا فى الدنيا فاذهب اليك فقال المغيرة لولا مكان أمير المؤمنين لاسمعتك ماتكره
ومضيا قال الشعبى فلما دخل عثمان رحله دخل اليه بنو أمية حتى امتلأت بهم الدار ثم أغلقوها عليهم فقال أبو سفيان

ابن

ابن حرب أعندكم أحد من غيركم قالوا لا قال يابنى أمية تلقفوها تلقف الكرة فوالذى يحلف به أبو سفيان مامن عذاب
ولا حساب ولا جنة ولا نار ولا بعث ولا قيامة قال فانتهره عثمان وساءه بما قال وأمر باخراجه قال الشعبى فدخل عبد الرحمن
ابن عوف على عثمان فقال له ماصنعت فوالله ماوفقت حيث تدخل رحلك قبل ان تصعد المنبر فتحمد الله وتثنى عليه
وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتعد الناس خيرا قال فخرج عثمان فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال هذا مقام لم
نكن نقومه ولم نعد له من الكلام الذى يقام به فى مثله وسأهيئ ذلك ان شاء الله ولن آلو أمة محمد خيرا والله المستعان ثم نزل
قال عوانة فحدثنى يزيد بن جرير عن الشعبى عن شقيق بن مسلمة ان على بن أبى طالب لما انصرف الى رحله قال لبنى
أبيه يابنى عبد المطلب ان قومكم عادوكم بعد وفاة النبى كعداوتهم النبى فى حياته وان يطع قومكم لاتؤمروا أبدا ووالله
لاينيب هؤلاء الى الحق الا بالسيف قال وعبد الله بن عمر بن الخطاب داخل اليهم قد سمع الكلام كله فدخل وقال ياأبا
الحسن أتريد أن تضرب بعضهم ببعض فقال اسكت ويحك فوالله لولا أبوك ومارکب منى قديما وحديثا مانازعنى ابن
عفان ولا ابن عوف فقام عبد الله فخرج قال وأكثر الناس فى أمر الهرمزان وعبيد الله بن عمر وقتله اياه وبلغ ماقال
فيه على بن أبى طالب فقام فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انه كان من قضاء الله ان عبيد الله بن عمر بن
الخطاب أصاب الهرمزان وهو رجل من المسلمين وليس له وارث الا الله والمسلمون وأنا امامكم وقد عفوت أفتعفون
عن عبيد الله بن خليفتكم بالامس قالوا نعم فعفا عنه فلما بلغ ذلك عليا تضاحك وقال سبحان الله لقد بدأ بها عثمان
أيعفو عن حق امرئ ليس بواليه تالله ان هذا لهو العجب قالوا فكان ذلك أول مابدا من عثمان مما نقم عليه قال الشعبى
وخرج المقداد من الغد فلقى عبد الرحمن بن عوف فاخذ بيده وقال ان كنت أردت بما صنعت وجه الله فاثابك الله ثواب
الدنيا والآخرة وان كنت انما أردت الدنيا فاكثر الله مالك فقال عبد الرحمن اسمع رحمك الله اسمع قال لا أسمع
والله وجذب يده من يده ومضى حتى دخل على على عليه السلام فقال قم فقاتل حتى نقاتل معك قال على فبمن أقاتل
رحمك الله وأقبل عمار بن ياسر ينادى ياناعى الاسلام قم فانعه قد مات عرف وبدا نكر أما والله لو ان لى أعوانا
لقاتلتهم والله لئن قاتلهم واحد لاكونن له ثانيا فقال على ياأبا اليقظان والله لاأجد عليهم أعوانا ولا أحب ان أعرضكم
لما لاتطيقون وبقى عليه السلام فى داره وعنده نفر من أهل بيته وليس يدخل اليه أحد مخافة عثمان قال الشعبى واجتمع
أهل الشورى على أن تكون كلمتهم واحدة على من لم يبايع فقاموا الى على فقالوا قم فبايع عثمان قال فان لم أفعل قالوا
نجاهدك قال فمشى الى عثمان حتى بايعه وهو يقول صدق الله ورسوله فلما بايع أتاه عبد الرحمن بن عوف فاعتذر اليه
وقال ان عثمان أعطانا يده ويمينه ولم تفعل أنت فاحببت ان أتوثق للمسلمين فجعلتها فيه فقال ايها عنك انما آثرته بها
لتنالها بعده دق الله بينكما عطر منشم قال الشعبى وقدم طلحة من الشام بعد مابويع عثمان فقيل له رد هذا الامر حتى ترى
فيه رأيك فقال والله لو بايعتم شركم لرضيت فكيف وقد بايعتم خيركم قال ثم عدا عليه بعد ذلك وصاحبه حتى قتلاه ثم زعما
أنهما يطلبان بدمه قال الشعبى فأما مايذكره الناس من المناشدة وقول على عليه السلام لاهل الشورى أفيكم أحد قال له
رسول الله صلى الله عليه وآله كذا فانه لم يكن يوم البيعة وانما كان بعد ذلك بقليل دخل على عليه السلام على عثمان
وعنده جماعة من الناس منهم أهل الشورى وقد كان بلغه عنهم هنات وقوارص فقال لهم أفيكم أفيكم كل ذلك
يقولون لا قال لكنى أخبركم عن أنفسكم أما أنت ياعثمان ففررت يوم حنين وتوليت يوم التقى الجمعان وأما أنت ياطلحة
فقلت ان مات محمد لنركضن بين خلاخيل نسائه كما ركض بين خلاخيل نسائنا وأما أنت ياعبد الرحمن فصاحب قراريط
وأما أنت ياسعد فتدق أن تذكر قال ثم خرج فقال عثمان أما كان فيكم أحد يرد عليه قالوا ومامنعك من ذلك وأنت
أمير المؤمنين وتفرقوا قال عوانة قال اسمعيل قال الشعبى فحدثنى عبد الرحمن بن جندب عن أبيه جندب بن عبد الله
الازدى قال كنت جالسا بالمدينة حيث بويع عثمان فجئت فجلست الى المقداد بن عمرو فسمعته يقول والله مارأيت
مثل ماأتى الى أهل هذا البيت وكان عبد الرحمن بن عوف جالسا فقال وماأنت وذاك يامقداد قال المقداد انى والله
أحبهم لحب رسول الله صلى الله عليه وآله وانى لاعجب من قريش وتطاولهم على الناس بفضل رسول الله ثم انتزاعهم

سلطانه من أهله قال عبد الرحمن أما والله لقد أجهدت نفسي لكم قال المقداد أما والله لقد تركت رجالا من الذين يأمرون بالحق وبه يعدلون أما والله لو ان لي على قريش أعوانا لقاتلتهم قتالي اياهم ببدر وأحد فقال عبد الرحمن ثكلتك أمك لا يسمعن هذا الكلام الناس فاني أخاف أن تكون صاحب فتنة وفرقة قال المقداد ان من دعا الى الحق وأهله وولاة الامر لا يكون صاحب فتنة ولكن من أقحم الناس في الباطل وآثر الهوى على الحق فذلك صاحب الفتنة والفرقة قال فتربد وجه عبد الرحمن ثم قال لو أعلم انك اياي تعني لكان لي ولك شأن قال المقداد اياي تهدد يا ابن أم عبد الرحمن ثم قام عن عبد الرحمن فانصرف قال جندب بن عبد الله فاتبعته وقلت له يا عبد الله أنا من أعوانك فقال رحمك الله ان هذا الامر لا يغني فيه الرجلان ولا الثلاثة قال فدخلت من فوري ذلك على علي عليه السلام فلما جلست اليه قلت يا أبا الحسن والله ما أصاب قومك بصرف هذا الامر عنك فقال صبر جميل والله المستعان فقلت والله انك لصبور قال فان لم أصبر فماذا أصنع قلت اني جلست الى المقداد بن عمرو آنفا وعبد الرحمن بن عوف فقالا كذا وكذا ثم قام المقداد فاتبعته فقلت له كذا فقال لي كذا فقال علي عليه السلام لقد صدق المقداد فما أصنع فقلت تقوم في الناس فتدعوهم الى نفسك وتخبرهم انك أولى بالنبي صلى الله عليه وآله وتسألهم النصر على هؤلاء المظاهرين عليك فان أجابك عشرة من مائة شددت بهم على الباقين فان دانوا لك فذاك والا قاتلتهم وكنت أولى بالعذر قتلت أو بقيت وكنت أعلى عند الله حجة فقال أترجو يا جندب ان يبايعني من كل عشرة واحد قلت أرجو ذلك قال لكني لا أرجو ذلك لا والله ولا من المائة واحد وسأخبرك ان الناس انما ينظرون الى قريش فيقولون هم قوم محمد وقبيلته وأما قريش بينها فتقول ان آل محمد يرون لهم على الناس بنبوته فضلا ويرون انهم أولياء هذا الامر دون قريش ودون غيرهم من الناس وهم ان ولوه لم يخرج السلطان منهم الى أحد أبدا ومتى كان في غيرهم تداولته قريش بينها ألا والله لا يدفع الناس الينا هذا الامر طائعين ابدا فقلت جعلت فداك يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله لقد صدعت قلبي بهذا القول أفلا أرجع الى المصر فأوذن الناس بمقالتك وادعو الناس اليك فقال يا جندب ليس هذا زمان ذاك قال فانصرفت الى العراق فكنت أذكر فضل علي على الناس فلا أعدم رجلا يقول لي ما أكره وأحسن ما أسمعه قول من يقول دع عنك هذا وخذ فيما ينفعك فأقول ان هذا مما ينفعني وينفعك فيقوم عني ويدعني وزاد أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري حتى رفع ذلك من قولي الى الوليد بن عقبة أيام ولينا فبعث الى فحبسني حتى كلم في فخلي سبيلي وروى الجوهري قال نادى عمار بن ياسر ذلك اليوم يا معشر المسلمين انا قد كنا وما كنا نستطيع الكلام قلة وذلة فأعزنا الله بدينه وأكرمنا برسوله فالحمد لله رب العالمين يا معشر قريش الى متى تصرفون هذا الامر عن أهل بيت نبيكم تحولونه ههنا مرة وههنا مرة ما أنا آمن ان ينزعه الله منكم ويضعه في غيركم كما نزعتموه من أهله ووضعتموه في غير أهله فقال له هاشم بن الوليد بن المغيرة يا ابن سمية لقد عدوت طورك وما عرفت قدرك ما أنت وما رأت قريش لانفسها انك لست في شيء من أمرها وامارتها فتنح عنها وتكلمت قريش بأجمعها فصاحوا بعمار وانتهروه فقال الحمد لله رب العالمين ما زال أعوان الحق أذلاء ثم قام فانصرف

(الاصل) ﴿ ومن كلام له عليه السلام ﴾

في النهي عن غيبة الناس

وَإِنَّما يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْعِصْمَةِ وَالْمَصْنُوعِ إِلَيْهِمْ فِي السَّلَامَةِ ٭ أَنْ يَرْحَمُوا أَهْلَ الذُّنُوبِ وَالْمَعْصِيَةِ وَيَكُونَ الشُّكْرُ هُوَ الْغَالِبُ عَلَيْهِمْ وَالْحَاجِزُ لَهُمْ عَنْهُمْ فَكَيْفَ بِالْغَائِبِ الَّذِي غَابَ أَخَاهُ وَعَيَّرَهُ بِبَلْوَاهُ أَمَا ذَكَرَ مَوْضِعَ سَتْرِ اللهِ عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي غَابَهُ بِهِ وَكَيْفَ يَذُمُّهُ بِذَنْبٍ قَدْ رَكِبَ مِثْلَهُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَكِبَ ذَلِكَ الذَّنْبَ بِعَيْنِهِ

فَقَدْ عَصَى اللهَ فِيمَا سِوَاهُ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ وَايْمُ اللهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ عَصَاهُ فِي الْكَبِيرِ وَعَصَاهُ فِي الصَّغِيرِ لَجُرْأَتُهُ عَلَى عَيْبِ النَّاسِ أَكْبَرُ يَا عَبْدَ اللهِ لَا تَعْجَلْ فِي عَيْبِ أَحَدٍ بِذَنْبِهِ فَلَعَلَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ وَلَا تَأْمَنْ عَلَى نَفْسِكَ صَغِيرَ مَعْصِيَةٍ فَلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عَلَيْهِ فَلْيَكْفُفْ مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ وَلْيَكُنِ الشُّكْرُ شَاغِلاً لَهُ عَلَى مُعَافَاتِهِ مِمَّا ابْتُلِيَ بِهِ غَيْرُهُ

(الشرح) ليس في هذا الفصل من غريب اللغة ما نشرح ونحن نذكر مما ورد في الغيبة لمعا نافعة على عادتنا في ذكر الشيء عند مرورنا على ما يقتضيه ويستدعيه وقد ورد في الكتاب العزيز ذم الغيبة قال سبحانه ولا يغتب بعضكم بعضا وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا يغتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله اخوانا وروى جابر وأبو سعيد عنه صلى الله عليه وآله اياكم والغيبة فان الغيبة أشد من الزنا ان الرجل يزني فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه وروى أنس عنه صلى الله عليه وآله مررت ليلة أسري بي فرأيت قوما يخمشون وجوههم بأظافيرهم فسألت جبريل عنهم فقال هؤلاء الذين يغتابون الناس وفي حديث سلمان قلت يا رسول الله علمني خيرا ينفعني الله به قال لا تحقرن من المعروف شيأ ولو أن تفرغ من دلوك في اناء المستقي والق أخاك ببشر حسن ولا تغتابنه اذا أدبر وفي حديث البراء بن عازب خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أسمع العواتق في بيوتهن فقال ألا لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته وفي حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال في يوم صوم ان فلانة وفلانة كانتا يأكلان اليوم شحم امرأة مسلمة يعني الغيبة فمرهما فليتقيا فقاءت كل واحدة منهما علقة دم وفي الصحاح المجمع عليها انه عليه السلام مر بقبرين جديدين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان بكبير أما أحدهما فكان يغتاب الناس وأما الآخر فكان لا يتنزه من البول ودعا بجريدة رطبة فكسرها اثنتين أو قال دعا بجريدتين ثم غرسهما في القبرين وقال أما انه سيهون من عذابهما ما دامتا رطبتين وفي حديث ابن عباس ان رجلين من أصحابه اغتابا بحضرته رجلا وهو يمشي عليه السلام وهما يمشيان معه فمر على جيفة فقال انهشا منها فقالا يا رسول الله أو ننهش الجيفة فقال ما أصبتما من أخيكما أنتن من هذه وفي حديث أبي هريرة من أكل لحم أخيه حيا قرب اليه لحمه في الآخرة فقيل له كله ميتا كما أكلته حيا فيأكله ويضج ويكلح وروى أن رجلين كانا عند باب المسجد فمر بهما رجل كان مخنثا فترك ذلك فقالا لقد بقي عنده منه شيء فأقيمت الصلاة فصليا مع الناس وذلك يجول في أنفسهما فأتيا عطاء بن أبي رباح فسألاه فأمرهما أن يعيدا الوضوء والصلاة وان كانا صائمين أن يقضيا صيام ذلك اليوم وعن مجاهد ويل لكل همزة لمزة الهمزة الطعان في الناس واللمزة النمام وعن الحسن والله للغيبة أسرع في دين المؤمن من الاكلة في الجسد بعضهم أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في الكف عن اعراض الناس ابن عباس اذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك وهذا مشتق من كلام أمير المؤمنين عليه السلام أبو هريرة يبصر أحدهم القذى في عين أخيه ولا يبصر الجذع في عين نفسه وهذا كالاول الحسن يا ابن آدم انك ان قضيت حقيقة الايمان فلا تعيب الناس بعيب هو فيك حتى تبدأ باصلاح ذلك العيب من نفسك فاذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك وأحب العباد الى الله من كان هكذا ويروى ان المسيح عليه السلام مر على جيفة كلب فقال بعض التلامذة ما أشد نتنه فقال المسيح ما أشد بياض اسنانه كانه نهاهم عن غيبة الكلب ونبههم على انه لا ينبغي أن يذكر من كل شيء الا أحسنه وسمع علي بن الحسين عليه السلام رجلا يغتاب آخر فقال ان لكل شيء اداما وادام كلاب الناس الغيبة وفي خطبة حجة الوداع أيها الناس ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ان الله حرم الغيبة كما حرم المال والدم عمر ما يمنعكم اذا رأيتم من يخرق أعراض الناس أن تعربوا عليه أن تقبحوا قالوا نخاف سفهه وشره قال ذلك أدنى أن لا تكونوا شهداء أنس يرفعه

من مات على الغيبة حشر يوم القيامة مزرقة عيناه ينادى بالويل والندامة يعرف أهله ولا يعرفونه وقال هشام بن عبد الملك فى بعض ولد الوليد بن عقبة

أبلغ أبا وهب اذا ما لقيته * بانك شر الناس غيبا لصاحب
فتبدى له بشرا اذا ما لقيته * وتلسعه بالغيب لسع العقارب

مر الشعبى بقوم يغتابونه فى المسجد وفيهم بعض أصدقائه فاخذ بعضادتى الباب وقال

هنيئا مريئا غير داء مخامر * لعزة من أعراضنا ما استحلت

ومن كلام بعض الحكماء أبصر الناس بالعوار المعوار هذا مثل قول الشاعر

وأجرأ من رأيت بظهر غيب * على عيب الرجال ذوو العيوب

قيل لشبيب بن شيبة بن عقال ما بال عبد الله بن الاهتم يغتابك وينتقصك قال لانه شقيقى فى النسب وجارى فى البلد وشريكى فى الصنعة دخل أبو العيناء على المتوكل وعنده جلساؤه فقال له يا محمد كلهم كانوا فى غيبتك منذ اليوم ولم يبق أحد لم يذممك غيرى فقال

اذا رضيت عنى كرام عشيرتى * فلا زال غضبانا على لئامها

قال بعضهم بت بالبصرة ليلة مع المسجديين فلما كان وقت السحر حركهم واحد فقال الى كم هذا النوم عن اعراض الناس وقيل لشاعر وصله بعض الرؤساء وأنعم عليه ما صنع بك فلان قال ما وفت نعمته باساءته منعنى لذة الثلب وحلاوة الشكوى اعرابى من عاب سفلة فقد رفعه ومن عاب شريفا فقد وضع نفسه نظر بعض السلف الى رجل يغتاب رجلا وقال يا هذا انك تملى على حافظيك كتابا فانظر ماذا تقول ابن عباس ما الاسد الضارى على فريسة باسرع من الدنىء فى عرض السرى بعضهم

وطرفة عيناه عن عيب نفسه * فان لاح عيب من أخيه تبصرا

وقالت رابعة العدوية اذا نصح الانسان لله أطلعه الله تعالى على مساوى عمله فتشاغل بها عن ذكر مساوى خلقه قال عبد الله بن عروة بن الزبير لابنه يا بنى عليك بالدين فان الدنيا ما بنت شيأ الا هدمه الدين واذا بنى الدين شيأ لم تستطع الدنيا هدمه ألا ترى على بن أبى طالب وما يقول فيه خطباء بنى أمية من ذمه وعيبه وغيبته والله لكأنما يأخذون بناصيته الى السماء ألا تراهم كيف يندبون موتاهم ويرثيهم شعراؤهم والله لكأنما يندبون جيف الحمر ومن كلام بعض الصالحين الورع فى المنطق أشد منه فى الذهب والفضة لانك اذا استودعك أخوك مالا لم تجد بك نفسك لخيانته فيه وقد استودعك عرضه وأنت تغتابه ولا تبالى كان محمد بن سيرين قد جعل على نفسه كلما اغتاب أحدا ان يتصدق بدينار وكان اذا مدح أحدا قال هو كما يشاء الله واذا ذمه قال هو كما يعلم الله الاحنف فى خلتان لا أغتاب جليسى اذا قام عنى ولا أدخل بين القوم فيما لم يدخلونى فيه قيل لرجل من العرب من السيد فيكم قال الذى اذا أقبل هبناه واذا أدبر اغتبناه قيل للربيع بن خثيم ما نراك تعيب أحدا فقال لست راضيا على نفسى فاتفرغ لذكر عيوب الناس ثم قال

لنفسى أبكى لست أبكى لغيرها * لنفسى فى نفسى عن الناس شاغل

عبد الله بن المبارك قلت لسفيان ما أبعد أبا حنيفة من الغيبة ما سمعته يغتاب عدوا قال هو والله أعقل من أن يسلط على حسناته ما يذهب بها سئل فضيل عن غيبة الفاسق فقال لا تشتغل بذكره ولا تعود لسانك الغيبة اشغل لسانك بذكر الله واياك وذكر الناس فان ذكر الناس داء وذكر الله دواء بعض الشعراء

ولست بذى نيرب فى الصديق * خؤون العشيرة سبابها
ولا من اذا كان فى مجلس * أضاع القبيلة واغتابها
ولكن أبجل ساداتها * ولا أتعلم ألقابها

وكان يقال الغيبة فاكهة القراء وقيل لاسمعيل بن حماد بن أبى حنيفة أى اللحمان أطيب قال لحوم الناس هى والله أطيب من لحوم الدجاج والدراج يعنى الغيبة ابن المغيرة لاتذكر الميت بسوء فتكون الارض أكتم عليه منك

وكان

وكان عبد الملك بن صالح الهاشمى اذا ذكر عنده الميت بسوء يقول كفوا عن أسارى الثرى وفى الاثر سامع الغيبة أحد المغتابين أبو نواس

ما حطك الواشون من رتبة * عندى وما ضرك مغتاب
كانهم أثنوا ولم يعلموا * عليك عندى بالذى عابوا

الحسن ذم الرجل فى السر مدح له فى العلانية على عليه السلام الغيبة جهد العاجز أخذه المتنبى فقال

وأكبر نفسى عن جزاء بغيبة * وكل اغتياب جهد من ماله جهد

بلغ الحسن ان رجلا اغتابه فاهدى اليه طبقا من رطب فجاءه الرجل معتذرا وقال أصلحك الله اغتبتك فاهديت لى قال انك أهديت الى حسناتك فاردت أن أكافئك أتى رجل عمرو بن عبيد الله فقال له ان الاسوارى لم يزل أمس يذكرك ويقول عمرو الضال فقال له يا هذا والله ما رعيت حق مجالسة الرجل حين نقلت الينا حديثه ولا رعيت حقى حين بلغت عن أخى ما أكرهه أعلمه ان الموت يعمنا والبعث يحشرنا والقيامة تجمعنا والله يحكم بيننا واعلم ان العلماء ذكروا فى حد الغيبة ان تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه سواء ذكرت نقصانا فى بدنه مثل ان تقول الاقرع أو الاعور او فى نسبه نحو ان يقول ابن النبطى وابن الاسكاف أو الزبال أو الحائك أو فى خلقه نحو سيىء الخلق أو بخيل أو متكبر او فى أفعاله الدنيئة نحو قولك كذاب وظالم ومتهاون بالصلاة أو الدنيوية نحو قولك قليل الادب متهاون بالناس كثير الكلام كثير الاكل أو فى ثوبه كقولك وسخ الثياب كبير العمامة طويل الاذيال وقد قال قوم لا غيبة فى أمور الدين لان المغتاب انما ذم ما ذمه الله تعالى واحتجوا بما روى انه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وآله امرأة وكثرة صومها وصلاتها ولكنها تؤذى جارتها فقال هى فى النار ولم ينكر عليهم غيبتهم اياها وروى ان امرأة ذكرت عنده عليه السلام بانها بخيلة فقال فما خيرها اذن وأكثر العلماء على ان الغيبة فى أمور الدين محرمة أيضا وادعوا الاجماع على ان من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب سواء كان فى الدين أو فى غيره قالوا والمخالف مسبوق بهذا الاجماع وقالوا وقد روى عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك أخاك بما يكرهه فقائل قال أرأيت يا رسول الله ان كان ذلك فى أخى قال ان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فقد بهته قالوا وروى معاذ بن جبل ان رجلا ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وآله فقال قوم ما أعجزه فقال عليه السلام اغتبتم صاحبكم فقالوا قلنا ما فيه فقال ان قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه قالوا وما احتج به الزاعمون ان لا غيبة فى الدين ليس بحجة لان الصحابة انما ذكرت ذلك فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله لحاجتها الى تعرف الاحكام بالسؤال ولم يكن غرضها التنقص واعلم ان الغيبة ليست مقصورة على اللسان فقط بل كل ما عرفت به صاحبك نقص أخيك فهو غيبة فقد يكون ذلك باللسان وقد يكون بالاشارة والايماء وبالمحاكاة نحو ان يمشى خلف الاعرج متعارجا وبالكتاب فان القلم أحد اللسانين واذا ذكر المصنف شخصا فى تصنيفه وهجن كلامه فهو غيبة فاما قوله قال قوم كذا فليس بغيبة لانه لم يعين شخصا بعينه وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ما بال أقوام يقولون كذا فكان لا يعين ويكون مقصوده واحدا بعينه وأخبث أنواع الغيبة غيبة القراء المرائين وذلك نحو أن يذكر عندهم انسان فيقول قائلهم الحمد لله الذى لم يبلنا بدخول أبواب السلطان والتبذل فى طلب الحطام وقصده أن يفهم الغير عيب ذلك الشخص فتخرج الغيبة فى مخرج الحمد والشكر لله تعالى فيحصل من ذلك غيبة المسلم ويحصل منه الرياء واظهار التعفف عن الغيبة وهو واقع فيها وكذلك يقول لقد ساءنى ما يذكر به فلان نسأل الله أن يعصمه ويكون كاذبا فى دعوى انه ساءه وفى اظهار الدعاء له بل لو قصد الدعاء له لاخفاه فى خلوة عقب صلواته ولو كان قد ساءه لساءه أيضا اظهار ما يكرهه ذلك الانسان واعلم ان الاصغاء الى الغيبة على سبيل التعجب كالغيبة بل أشد لانه انما يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب فى الغيبة فيندفع فيها حكاية يستخرج الغيبة منه بذلك واذا كان السامع الساكت شريك المغتاب فما ظنك بالمجتهد فى حصول الغيبة والباعث على الاستزادة منها وقد روى أن أبا بكر وعمر ذكرا انسانا عند رسول الله فقال أحدهما انه لنؤوم ثم أخرج رسول الله صلى الله عليه وآله خبزا قفارا فطلبا منه أدما فقال قد ائتدمتما قالا

ما نعلمه قال بلى بما أكلتما من لحم صاحبكما فجمعهما فى الاثم وقد كان أحدهما قائلا والآخر مستمعا فالمستمع لا يخرج من اثم الغيبة الا بان ينكر بلسانه فان خاف فبقلبه وان قدر على القيام أو قطع الكلام بكلام آخر لزمه ذلك فان قال بلسانه اسكت وهو مريد للغيبة بقلبه فذلك نفاق ولا يخرجه عن الاثم الا أن يكرهه بقلبه ولا يكفى أن يشير باليد اى كفف أو بالحاجب والعين فان ذلك استحقار للمذكور بل ينبغى أن يذب عنه صريحا فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله من أذل عنده مؤمن وهو يقدر على أن ينصره فلم ينصره أذله الله يوم القيامة على رؤس الخلائق واعلم ان الاسباب الباعثة على الغيبة أمور منها اشفاء الغيظ وذلك أن يجرى من الانسان سبب يغضب به عليه آخر فاذا هاج غضبه تشفى بذكر مساويه وسبق اليها لسانه بالطبع ان لم يكن هناك دين وازع وقد يمنع تشفى الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب فى الباطن فيصير حقدا ثابتا فيكون سببا دائما لذكر المساوى ومنها موافقة الاقران ومساعدتهم على الكلام فانهم اذا اجتمعوا ربما أخذوا يتفكهون بذكر الاعراض فيرى انه لو أنكر أو قطع المجلس استثقلوه ونفروا عنه فيساعدهم و يرى ذلك من حسن المعاشرة ويظن انه مجاملة فى الصحبة وقد يغضب رفقاؤه من أمر فيحتاج الى أن يغضب لغضبهم اظهارا للمساهمة فى السراء والضراء فيخوض معهم فى ذكر العيوب والمساوى ومنها أن يستشعر من انسان انه سيذمه و يطول لسانه فيه و يقبح حاله عند بعض الرؤساء أو يشهد عليه بشهادة فيبادره قبل أن يقبح حاله فيطعن فيه ليسقط أثر شهادته عليه وقد يبتدى بذكر بعض ما فيه صادقا ليكذب عليه بعد ذلك فيروج كذبه بالصدق الاول ومنها أن ينسب الانسان الى أمر فيريد التبرى منه فيذكر الذى فعله وكان من حقه أن يبرئ نفسه ولا يذكر الذى فعله لكنه انما يذكر غيره تأكيدا للبراءة نفسه وكيلا يكون تبريا مبتورا وربما يعتذر بان يقول فلان فعله وكنت شريكا فى بعض الامر ليبرئ نفسه بعض البراءة ومنها المباهاة وحب الرياسة مثل أن يقول كلام فلان ركيك ومعرفته بالفن الفلانى ناقصة وغرضه اظهار فضله عليه ومنها الحسد وارادة اسقاط قدر من يمدحه الناس بذكر مساويه لانه يشق عليه ثناء الناس عليه ولا يجد سبيلا الى سد باب الثناء عليه الا بذكر عيوبه ومنها اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت بالضحك والسخرية فيذكر غيره بما يضحك الحاضرين على سبيل الهزء والمحاكاة ٭ واعلم ان الذى يقوى فى نفسى ان الغيبة لا تكون محرمة الا اذا كانت على سبيل القصد الى تنقص الانسان فقط وغض قدره فاما اذا خرجت مخرجا آخر فليست بحرام لمن يظلمه القاضى و يأخذ الرشوة على اسقاط حقوقه فان له أن يذكر حاله للسلطان متظلما من حيف الحاكم عليه اذ لا يمكنه استيفاء حقوقه الا بذلك فقد قال صلى الله عليه وآله مطل الغنى ظلم وقال لىّ الواجد يحل عقوبته وعرضه وكذلك النهى عن المنكر واجب وقد يحتاج الانسان الى الاستعانة بالغير على تغييره ورد القاضى الى منهج الصلاح فلا بد له ان يشرح للغير حال ذلك الانسان المرتكب المنكر ومن ذكر الانسان بلقب مشهور فعرف عن عيبه كالاعرج والاعمش المحدثين لم يكن مغتابا اذا لم يقصد الغض والنقص والصحيح ان المجاهر بالفسق لا غيبة له كصاحب الماخور والمخنث ومن يدعو الناس الى نفسه ابنة وكالعشار والمستخر بالضرب فان هؤلاء غير كارهين لما يذكرون به وربما تفاخروا بذلك وقد قال النبى صلى الله عليه وآله من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له وقال عمر ليس لفاجر حرمة وأراد المجاهر بالفسق دون المستتر وقال الصلت بن طريف قلت للحسن رحمه الله الرجل الفاجر المعلن بالفجور غير مراقب هل ذكرى له بما فيه غيبة فقال لا ولا كرامة له واعلم ان التوبة من الغيبة تكفر عقابها والتوبة منه هى الندم عليها والعزم على أن لا يعود فان لم يكن الشخص المذكور قد بلغته الغيبة فلا حاجة الى الاستحلال منه بل لا يجوز اعلامه بذلك هكذا قال شيخنا أبو الحسين رحمه الله لانه لم يؤلمه فيحتاج الى أن يستوهب منه اثم ذلك الايلام وفى اعلامه تضييق صدره وادخال مشقة عليه وان كان الشخص المذكور قد بلغته الغيبة وجب عليه أن يستحله و يستوهبه فان كان قد مات سقط بالتوبة عقاب ما يختص بالبارى سبحانه من ذلك الوقت و بقى ما يختص بذلك الميت لا يسقط حتى يؤخذ العوض له من المذنب يوم القصاص

(الاصل) ٭(ومن كلام له عليه السلام)

أيُّها النَّاسُ مَنْ عَرَفَ مِنْ أخيهِ وَثِيقَةَ دِينٍ وَسَدَادَ طَرِيقٍ فَلا يَسْمَعَنَّ فِيهِ أقاوِيلَ الرِّجالِ أمَا إنَّهُ قَدْ يَرْمِى الرَّامِى وَتُخْطِىءُ السِّهامُ ٭ وَيَحِيلُ الْكَلامُ وَباطِلُ ذَلِكَ يَبُورُ وَاللهُ سَمِيعٌ وَشَهِيدٌ أمَا إنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الحَقِّ والْباطِلِ الاَّ أرْبَعُ أصابِعَ (فَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلامُ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ هذَا فَجَمَعَ أصابِعَهُ وَوَضَعَها بَيْنَ أُذُنِهِ وَعَيْنِهِ ثُمَّ قالَ) الْباطِلُ أنْ تَقُولَ سَمِعْتُ والْحَقُّ أنْ تَقُولَ رَأيْتُ

(الشرح) هذا الكلام هو نهى عن التسرع الى التصديق بما يقال من العيب والقدح فى حق الانسان المستور الظاهر المشتهر بالصلاح والخير وهو خلاصة قوله سبحانه ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ثم ضرب عليه السلام لذلك مثلا فقال قد يرمى الرامى فلا يصيب الغرض وكذلك قد يطعن الطاعن فلا يكون طعنه صحيحا وربما كان لغرض فاسد أو سمعه ممن له غرض فاسد كالعدو والحسود وقد يشتبه الامر فيظن المعروف منكرا فيعجل الانسان بقول لا يتحققه كمن يرى غلام زيد يحمل فى اناء مستور مغطى خلا فيظنه خمرا قال عليه السلام و يحيل الكلام أى يكون باطلا أحال الرجل فى منطقه اذا تكلم بالمحال الذى لا حقيقة له ومن الناس من يرويه و يحيك الكلام بالكاف من قولك ما حاك فيه السيف و يجوز أحاك بالهمزة أى ما أثر يعنى ان القول يؤثر فى العرض وان كان باطلا والرواية الاولى أشهر وأظهر و يبور يفسد وقوله وباطل ذلك يبور مثل قولهم للباطل جولة وللحق دولة وهذا من قوله تعالى قل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا والاصبع مؤنثة ولذلك قال أربع أصابع بحذف الهاء فان قلت كيف يقول عليه السلام الباطل ما يسمع والحق ما يرى واكثر المعلومات انما هى من طريق السماع كعلمنا الآن بنبوة محمد صلى الله عليه وآله بما بلغنا من معجزاته التى لم نرها وانما سمعناها قلت ليس كلامه فى المتواتر من الاخبار وانما كلامه فى الاقوال الشاذة الواردة من طريق الآحاد التى تتضمن القدح فيمن قد غلبت نزاهته فلا يجوز العدول عن المعلوم بالمشكوك

(الاصل) ٭(ومن كلام له عليه السلام)٭

وَلَيْسَ لِواضِعِ الْمَعْرُوفِ فى غَيْرِ حَقِّهِ وَعِنْدَ غَيْرِ أهْلِهِ مِنَ الحَظِّ فِيما أتَى إلاَّ مَحْمَدَةُ اللِّئامِ وَثَناءُ الأشْرارِ وَمَقالَةُ الجُهَّالِ مادامَ مُنْعِماً عَلَيْهِمْ ما أجْوَدَ يَدَهُ وَهُوَ عَنْ ذاتِ اللهِ بَخِيلٌ فَمَنْ آتاهُ اللهُ مالاً فَلْيَصِلْ بِهِ الْقَرابَةَ وَلْيُحْسِنْ مِنْهُ الضِّيافَةَ وَلْيَفُكَّ بِهِ الأسِيرَ وَالْعانِىَ وَلْيُعْطِ مِنْهُ الْفَقِيرَ وَالْغارِمَ وَلْيَصْبِرْ نَفْسَهُ عَلى الحُقُوقِ وَالنَّوائِبِ ابْتِغاءَ الثَّوابِ فإنَّ فَوْزاً بِهَذِهِ الْخِصالِ شَرَفُ مَكارِمِ الدُّنْيا وَدَرْكُ فَضائِلِ الآخِرَةِ إنْ شاءَ اللهُ

(الشرح) هذا الكلام يتضمن ذم من يخرج ماله الى الفتيان والاقران والشعراء ونحوهم و يبتغى به المدح والسمعة و يعدل عن اخراجه فى وجوه البر وابتغاء الثواب قال عليه السلام ليس له من الحظ الا محمدة اللئام وثناء الاشرار وقولهم ما أجود يده أى ما أسمحه وهو بخيل بما يرجع الى ذات الله يعنى الصدقات وما يجرى مجراها من صلة الرحم

والضيافة وفك الاسير والعانى وهو الاسير بعينه وانما اختلف اللفظ والغارم من عليه الديون و يقال صبر فلان نفسه على كذا مخففا أى حبسها قال تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم وقال عنترة يذكر حربا

فصبرت عارفة لذلك حرة * ترسو اذا نفس الجبان تطلع

وفى الحديث النبوى فى رجل أمسك رجلا وقتله آخر فقال عليه السلام اقتلوا القاتل واصبروا الصابر أى احبسوا الذى حبسه للقتل الى أن يموت وقوله فان فوزا أفصح من ان يقول فان الفوز أو فان فى الفوز كما قال الشاعر

ان شواء ونشوة * وخبب البازل الامون من لذة العيش والفتى * للدهر والدهر ذو شؤون

ولم يقل ان الشواء والنشوة والسر فى هذا انه كانه يجعل هذا المصدر أو هذا الشواء شخصا من جملة أشخاص داخلة تحت نوع واحد و يقول ان واحدا منها أيها كان فهو من شرف مكارم الدنيا وان واحدا منها أيها كان فهو من لذة العيش وان لم يحصل له كل أشخاص ذلك النوع ومراده تقرير فضيلة هذه الخصال فى النفوس أى متى حصل للانسان فوز ما بها فقد حصل له الشرف وهذا المعنى وان أعطاه لفظة الفوز بالالف واللام اذا قصد بها الجنسية الا انه قد يسبق الى الذهن منها الاستغراق لا الجنسية فأتى بلفظة لا توهم الاستغراق وهى اللفظة المنكرة وهذا دقيق وهو من لباب علم البيان

(الاصل) *(ومن خطبة له عليه السلام في الاستسقاء)*

أَلاَ وَانَّ الأَرْضَ الَّتِى تَحْمِلُكُمْ وَالسَّمَاءَ الَّتِى تُظِلُّكُمْ مُطِيعَتَانِ لِرَبِّكُمْ وَمَا أَصْبَحَتَا تَجُودَانِ لَكُمْ بِبَرَكَتِهِمَا تَوَجُّعاً لَكُمْ وَلاَ زُلْفَةً إِلَيْكُمْ وَلاَ لِخَيْرٍ تَرْجُوَانِهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ أُمِرَتَا بِمَنَافِعِكُمْ فَأَطَاعَتَا وَأُقِيمَتَا عَلَى حُدُودِ مَصَالِحِكُمْ فَقَامَتَا انَّ اللهَ يَبْتَلِى عِبَادَهُ عِنْدَ الأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ وَحَبْسِ الْبَرَكَاتِ وَاغْلاَقِ خَزَائِنِ الْخَيْرَاتِ لِيَتُوبَ تَائِبٌ وَيُقْلِعَ مُقْلِعٌ وَيَتَذَكَّرَ مُتَذَكِّرٌ وَيَزْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ وَقَدْ جَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ الاِسْتِغْفَارَ سَبَباً لِدُرُورِ الرِّزْقِ وَرَحْمَةِ الْخَلْقِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً) فَرَحِمَ اللهُ امْرَأً اسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ وَاسْتَقَالَ خَطِيئَتَهُ وَبَادَرَ مَنِيَّتَهُ اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ مِنْ تَحْتِ الأَسْتَارِ وَالأَكْنَانِ وَبَعْدَ عَجِيجِ الْبَهَائِمِ وَالْوِلْدَانِ رَاغِبِينَ فِي رَحْمَتِكَ وَرَاجِينَ فَضْلَ نِعْمَتِكَ وَخَائِفِينَ مِنْ عَذَابِكَ وَنِقْمَتِكَ اللَّهُمَّ فَاسْقِنَا غَيْثَكَ وَلاَ تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ وَلاَ تُهْلِكْنَا بِالسِّنِينَ * وَلاَ تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ نَشْكُو إِلَيْكَ مَا لاَ يَخْفَى عَلَيْكَ حِينَ أَلْجَأَتْنَا الْمَضَايِقُ الْوَعِرَةُ وَأَجَاءَتْنَا الْمَقَاحِطُ الْمُجْدِبَةُ * وَأَعْيَتْنَا الْمَطَالِبُ الْمُتَعَسِّرَةُ وَتَلاَحَمَتْ عَلَيْنَا الْفِتَنُ الْمُسْتَصْعِبَةُ * اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ لاَ تَرُدَّنَا خَائِبِينَ وَلاَ تَقْلِبَنَا وَاجِمِينَ * وَلاَ تُخَاطِبَنَا بِذُنُوبِنَا * وَلاَ تُقَايِسَنَا بِأَعْمَالِنَا * اللَّهُمَّ انْشُرْ

عَلَيْنَا غَيْثَكَ وَبَرَكَتَكَ وَرِزْقَكَ وَرَحْمَتَكَ وَاسْقِنَا سُقْيَا نَافِعَةً مُرْوِيَةً مُعْشِبَةً تُنْبِتُ بِهَا مَا قَدْ فَاتَ وَتُحْيِي بِهَا مَا قَدْ مَاتَ * نَافِعَةَ الْحَيَا كَثِيرَةَ الْمُجْتَنَى تُرْوِى بِهَا الْقِيعَانَ * وَتُسِيلُ الْبُطْنَانَ * وَتَسْتَوْرِقُ الاَشْجَارَ وَتُرْخِصُ الاَسْعَارَ إِنَّكَ عَلَى مَا تَشَاءُ قَدِيرٌ

(الشرح) تظلكم تعلو عليكم وقد أظلتنى الشجرة واستظللت بها والزلفة القربة يقول ان السماء والارض اذا جاءتا بمنافعكم أما السماء فبالمطر واما الارض فبالنبات فانهما لم تأتيا بذلك تقربا اليكم ولا رحمة لكم ولكنهما أمرتا بنفعكم فامتثلتا الامر لانه أمر من تجب طاعته ولو أمرتا بغير ذلك لفعلتاه والكلام مجاز واستعارة لان الجماد لا يؤمر والمعنى ان الكل مسخر تحت القدرة الالهية ومراده تمهيد قاعدة الاستسقاء كانه يقول اذا كانت السماء والارض أيام الخصب والمطر والنبات لم يكن ما كان منهما محبة لكم ولا رجاء منفعة منكم بل طاعة الصانع الحكيم سبحانه فيما سخرهما له فكذلك السماء والارض أيام الجدب وانقطاع المطر وعدم الكلأ ليس ما كان منهما بغضا لكم ولا استدفاع ضرر يخاف منكم بل طاعة الصانع الحكيم سبحانه فيما سخرهما له واذا كان كذلك فبالحرى ان لا نأمل السماء ولا الارض وان نجعل آمالنا معلقة بالملك الحق المدبر لهما وان نسترحمه وندعوه ونستغفره لا كما كانت العرب فى الجاهلية يقولون مطرنا بنوء كذا وقد سخط النوء الفلانى على بنى فلان فامحلوا ثم ذكر عليه السلام ان الله تعالى يبتلى عباده عند الذنوب بتضييق الارزاق عليهم وحبس مطر السماء عنهم وهذا الكلام مطابق للقواعد الكلامية لان أصحابنا يذهبون الى ان الغلاء قد يكون عقوبة على ذنب وقد يكون لطفا للمكلفين فى الواجبات العقلية وهو معنى قوله ليتوب تائب الى آخر الكلمات ويقلع يكف ويمسك ثم ذكر ان الله سبحانه جعل الاستغفار سببا فى درور الرزق واستدل عليه بالآية التى أمر نوح عليه السلام فيها قومه بالاستغفار يعنى التوبة عن الذنوب وقدم اليهم الموعد بما هو واقع فى نفوسهم واحب اليهم من الامور الآجلة فمناهم الفوائد العاجلة ترغيبا فى الايمان وبركاته والطاعة ونتائجها كما قال سبحانه للمسلمين وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب فوعدهم بمحبوب الانفس الذى يرونه فى العاجل عيانا ونقدا لا جزاء ونسيئة وقال تعالى فى موضع آخر ولو ان أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وقال سبحانه ولو انهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقال تعالى وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا وكل ما فى التوراة من الوعد والوعيد فهو لمنافع الدنيا ومضارها اما منافعها فمثل ان يقول ان أطعتم باركت فيكم وكثرت من أولادكم وأطلت أعماركم وأوسعت أرزاقكم واستبقيت اتصال نسلكم ونصرتكم على أعدائكم وان عصيتم وخالفتم اخترمتكم ونقصت من آجالكم وشتت شملكم ورميتكم بالجوع والمحل وأذللت أولادكم وأشمت بكم أعداءكم ونصرت عليكم خصومكم وشردتكم فى البلاد وابتليتكم بالمرض والذل ونحو ذلك ولم يأت فى التوراة وعد ووعيد بامر يتعلق بما بعد الموت وأما المسيح عليه السلام فانه صرح بالقيامة وبعث الابدان ولكن جعل العقاب روحانيا وكذلك الثواب أما العقاب فالوحشة والفزع وتخيل الظلمة وخبث النفس وكدرها وخوف شديد وأما الثواب فما زاد على أن قال انهم يكونون كالملائكة وربما قال يصعدون الى ملكوت السماء وربما قال أصحابه وعلماء ملته الضوء واللذة والسرور والامن من زوال اللذة الحاصلة لهم هذا هو قول المحققين منهم وقد أثبت بعضهم نارا حقيقية لان لفظة النار وردت فى الانجيل فقال محققوهم نار قلبية أى نفسية روحانية وقال الاقلون نار كهذه النار ومنهم من أثبت عقابا غير النار وهو بدنى فقال الرعدة وصرير الاسنان فاما الجنة بمعنى الاكل والشرب والجماع فانه لم يقل منهم قائل به أصلا لان الانجيل صرح بانتفاء ذلك فى القيامة تصريحا لا يبقى بعده ريب لمرتاب وجاء خاتم الانبياء محمد صلى الله عليه وسلم فاثبت المعاد على وجه محقق كامل أكمل مما ذكره الاولان فقال ان البدن والنفس معا مبعوثان ولكل منهما حظ فى الثواب والعقاب وقد شرح الرئيس أبو على الحسين بن عبد الله بن

سينا هذا الموضع فى رسالة له فى المعاد تعرف بالرسالة الاضحوية شرحا جيدا فقال ان الشريعة المحمدية أثبتت فى القيامة رد النفس الى البدن وجعلت للمثاب والمعاقب ثوابا وعقابا بحسب البدن والنفس جميعا فكان للمثاب لذات بدنية من حور عين وولدان مخلدين وفاكهة مما يشتهون وكأس لا يصدعون عنها ولا ينزفون وجنات تجرى من تحتها الانهار من لبن وعسل وخمر وماء زلال وسرر وأرائك وخيام وقباب فرشها من سندس واستبرق وما جرى مجرى ذلك ولذات نفسانية من السرور ومشاهدة الملكوت والامن من العذاب والعلم اليقينى بدوام ما هم فيه وانه لا يتعقبه عدم ولا زوال والخلو عن الاحزان والمخاوف وللمعاقب عقاب بدنى وهو المقامع من الحديد والسلاسل والحريق والحميم والغسلين والصراخ والجلود التى كلما نضجت بدلوا جلودا غيرها وعقاب نفسانى من اللعن والخزى والخجل والندم والخوف الدائم واليأس من الفرج والعلم اليقينى بدوام الاحوال السيئة التى هم عليها قال فوفت الشريعة الحكمة حقها من الوعد الكامل والوعيد الكامل وبهما ينتظم الامر وتقوم الملة فاما النصارى وما ذهبوا اليه من أمر بعث الابدان ثم خلوها فى الدار الآخرة من المطعم والملبس والمشرب والمنكح فهو أرك ما ذهب اليه أرباب الشرائع وأسخفه وذلك انه ان كان السبب فى البعث هو ان الانسان هو البدن أو ان البدن شريك النفس فى الاعمال الحسنة والسيئة فوجب أن يبعث فهذا القول بعينه ان أوجب ذلك فانه يوجب أن يثاب البدن ويعاقب بالثواب والعقاب البدنى المفهوم عند العالم وان كان الثواب والعقاب روحانيا فما الغرض فى بعث الجسد ثم ما ذلك الثواب والعقاب الروحانيان وكيف تصور العامة ذلك حتى يرغبوا ويرهبوا كلا بل لم تصور لهم الشريعة النصرانية من ذلك شيأ غير انهم يكونون فى الآخرة كالملائكة وهذا لا يفى بالترغيب التام ولا ما ذكروه من العقاب الروحانى وهو الظلمة وخبث النفس كاف فى الترهيب والذى جاءت به شريعة الاسلام حسن لا زيادة عليه انقضى كلام هذا الحكيم فاما كون الاستغفار سببا لنزول القطر ودرور الرزق فان الآية بصريحها ناطقة به لانها أمر وجوابه قال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا كما تقول قم أكرمك أى ان قمت أكرمتك وعن عمر انه خرج يستسقى فما زاد على الاستغفار فقيل له ما رأيناك استسقيت فقال لقد استسقيت بمجاديح السماء التى يستنزل بها المطر وعن الحسن ان رجلا شكا اليه الجدب فقال استغفر الله فشكا آخر اليه الفقر وآخر قلة النسل وآخر قلة ريع أرضه فأمرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح رجال أتوك يشكون أبوابا ويشكون أنواعا فأمرتهم كلهم بالاستغفار فتلا له الآية قوله استقبل توبته أى استأنفها وجددها واستقال خطيئته طلب الاقالة منها والرحمة وبادر منيته سابق الموت قبل ان يدهمه قوله عليه السلام لا تهلكنا بالسنين جمع سنة وهى الجدب والمحل قال تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين وقال النبى صلى الله عليه وآله يدعو على المشركين اللهم سنين كسنى يوسف والسنة لفظ محذوف منها حرف قيل انه الهاء وقيل الواو فمن قال المحذوف هاء قال أصله سنهة مثل جبهة لانهم قالوا نخلة سنهاء أى تحمل سنة ولا تحمل أخرى وقال بعض الانصار فليست بسنهاء ولا رجبية ٭ ولكن عرايا فى السنين الجوائح ومن قال أصلها الواو احتج بقولهم أسنى القوم يسنون اسناء اذا لبثوا فى المواضع سنة فاما التصغير فلا يدل على أحد المذهبين بعينه لانه يجوز سنيهة وسنية والا كثر فى جمعها بالواو والنون سنون بكسر السين كما فى هذه الخطبة وبعضهم يقول سنون بالضم والمضايق الوعرة بالتسكين ولا يجوز التحريك وقد وعر هذا الشئ بالضم وعورة وكذلك توعر أى صار وعرا واستوعرت الشئ استصعبته واجاءتنا ألجأتنا قال تعالى فأجاءها المخاض الى جذع النخلة والمقاحط المجدبة السنون الممحلة جمع مقحطة وتلاحمت اتصلت والواجم الذى قد اشتد حزنه حتى أمسك عن الكلام والماضى وجم بالفتح يجم وجوما قوله ولا تخاطبنا بذنوبنا ولا تقايسنا بأعمالنا أى لا تجعل جواب دعائنا لك ما تقتضيه ذنوبنا كأنه يجعله كالمخاطب لهم والمجيب عما سألوه اياه كما يفاوض الواحد منا صاحبه ويستعطفه فقد يجيبه ويخاطبه بما يقتضيه ذنبه اذا اشتدت موجدته عليه ونحوه ولا تقايسنا بأعمالنا قاست الشئ بالشئ اذا حذوته ومثلته به أى لا تجعل ما تجيبنا به مقايسا ومماثلا لاعمالنا السيئة قوله سقيا ناقعة هى فعلى مؤنثة غير مصروفة والحيا المطر وناقعة مروية مسكنة للعطش نقع الماء العطش نقعا ونقوعا سكنه وفى المثل الرشف أنقع أى ان الشراب الذى يرشف قليلا قليلا أنجع واقطع

للعطش

للعطش وان كان فيه بطء وكثيرة المجتنى أى كثيرة الكلا والكلا الذى يجتنى ويرعى والقيعان جمع قاع وهو الفلاة والبطنان جمع بطن وهو الغامض من الارض مثل ظهر وظهران وعبد وعبدان

(الاصل) ٭(ومن خطبة له عليه السلام)٭

بَعَثَ رُسُلَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ وَجَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ عَلَى خَلْقِهِ لِئَلاَّ تَجِبَ الْحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ الإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ فَدَعَاهُمْ بِلِسَانِ الصِّدْقِ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ أَلاَ إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ كَشَفَ الْخَلْقَ كَشْفَةً لاَ أَنَّهُ جَهِلَ مَا أَخْفَوْهُ مِنْ مَصُونِ أَسْرَارِهِمْ وَمَكْنُونِ ضَمَائِرِهِمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً فَيَكُونَ الثَّوَابُ جَزَاءً وَالْعِقَابُ بَوَاءً ٭ أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا كَذِباً وَبَغْياً عَلَيْنَا أَنْ رَفَعَنَا اللهُ وَوَضَعَهُمْ وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ وَأَدْخَلَنَا وَأَخْرَجَهُمْ ٭ بِنَا يُسْتَعْطَى الْهُدَى وَيُسْتَجْلَى الْعَمَى ٭ إِنَّ الأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ لاَ تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ وَلاَ تَصْلُحُ الْوُلاَةُ مِنْ غَيْرِهِمْ

(الشرح) أول الكلام مأخوذ من قوله سبحانه رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فان قلت فهذا يناقض مذهب المعتزلة فى قولهم بالواجبات عقلا ولو لم تبعث الرسل قلت صحة مذهبهم تقتضى ان يحمل عموم الالفاظ على ان المراد بها الخصوص فيكون التأويل لئلا يكون للناس على الله حجة فيما لم يدل العقل على وجوبه ولا قبحه كالشرعيات وكذلك وما كنا معذبين على ما لم يكن العقل دليلا عليه حتى نبعث رسولا الاعذار تقديم العذر ثم قال ان الله تعالى كشف الخلق بما تعبدهم به من الشرعيات على ألسنة الانبياء ولم يكن أمرهم خافيا عنه فيحتاج الى أن يكشفهم بذلك ولكنه أراد ابتلاءهم واختبارهم ليعلم أيهم أحسن عملا فيعاقب المسىء ويثيب المحسن فان قلت الاشكال قائم لانه اذا كان يعلم أيهم يحسن وأيهم يسىء فما فائدة الابتلاء وهل هو الا محض العبث قلت فائدة الابتداء ايصال نفع الى زيد لم يكن ليصح ايصاله اليه الا بواسطة هذا الابتلاء وهو ما يقوله أصحابنا ان الابتلاء بالثواب قبيح والله تعالى يستحيل ان يفعل القبيح قوله وللعقاب بواء أى مكافأة قالت ليلى الاخيلية فان تكن القتلى بواء فانكم ٭ فتى ما قتلتم آل عوف بن عامر وأبأت القاتل بالقتيل واستبأته أيضا اذا قتلته به وقد باء الرجل بصاحبه أى قتل به وفى المثل باءت عرار بكحل وهم بقرتان قتلت احداهما بالاخرى وقال مهلهل لبجير لما قتله بؤ بشسع نعل كليب قوله عليه السلام أين الذين زعموا هذا الكلام كناية واشارة الى قوم من الصحابة كانوا ينازعونه الفضل فمنهم من كان يدعى له انه أفرض ومنهم من كان يدعى له انه أقرأ ومنهم من كان يدعى له انه أعلم بالحلال والحرام هذا مع تسليم هؤلاء له انه عليه السلام أقضى الامة وان القضاء يحتاج الى كل هذه الفضائل وكل واحدة منها لا يحتاج الى غيرها فهو اذن أجمع للفقه وأكثرهم احتواء عليه الا انه عليه السلام لم يرض بذلك ولم يصدق الخبر الذى قيل أفرضكم فلان الى آخره فقال انه كذب وافتراء حمل قوما على وضعه الحسد والبغى والمنافسة لهذا الحى من بنى هاشم أن رفعهم الله على غيرهم واختصهم دون من سواهم وان ههنا للتعليل أى لان فحذف اللام التى هى اداة التعليل على الحقيقة قال سبحانه بئس ما قدمت لهم أنفسهم ان سخط الله عليهم وقال بعض النحاة لبعض الفقهاء الزاعمين ان لا حاجة للفقه الى النحو ما تقول لرجل قال لزوجته أنت طالق ان

دخلت الدار فقال لا يقع الا بالدخول فقال فان فتح الهمزة قال كذلك فعرفه ان العربية نافعة فى الفقه وان الطلاق منجز لا معلق ان كان مراده تعليل الطلاق بوقوع الدخول لا اشتراطه به ثم قال بنا يستعطى الهدى أى يطلب ان يعطى وكذلك يستجلى أى يطلب جلاؤه ثم قال ان الائمة من قريش الى آخر الفصل قد اختلف الناس فى اشتراط النسب فى الامامة فقال قوم من قدماء أصحابنا ان النسب ليس بشرط فيها أصلا وانها تصلح فى القرشى وغير القرشى اذا كان فاضلا مستجمعا للشرائط المعتبرة واجتمعت الكلمة عليه وهو قول الخوارج وقال أكثر أصحابنا وأكثر الناس ان النسب شرط فيها وانها لا تصلح الا فى العرب خاصة ومن العرب فقريش خاصة وقال أكثر أصحابنا معنى قول النبى صلى الله عليه وآله الائمة من قريش ان القرشية شرط اذا وجد فى قريش من يصلح للامامة فان لم يكن فيها من يصلح فليست القرشية شرطا فيها وقال بعض أصحابنا معنى الخبر انه لا تخلو قريش أبدا ممن يصلح للامامة فاوجبوا بهذا الخبر وجود من يصلح من قريش لها فى كل عصر وأزمان وقال معظم الزيدية انها فى الفاطميين خاصة من الطالبيين لا تصلح فى غير البطنين ولا يصح الا بشرط أن يقوم بها ويدعو اليها فاضل زاهد عالم عادل شجاع سائس وبعض الزيدية يجيز الامامة فى غير الفاطميين من ولد على عليه السلام وهو من أقوالهم الشاذة وأما الراوندية فانهم خصصوها بالعباس رحمه الله وولده من بين بطون قريش كلها وهذا القول الذى ظهر فى أيام المنصور والمهدى وأما الامامية فانهم جعلوها سارية فى ولد الحسين عليه السلام فى أشخاص مخصوصين ولا تصلح عندهم لغيرهم وجعلها الكيسانية فى محمد بن الحنفية وولده ومنهم من نقلها منه الى ولد غيره فان قلت انك شرحت هذا الكتاب على قواعد المعتزلة وأصولهم فما قولك فى هذا الكلام وهو تصريح بان الامامة لا تصلح من قريش الا فى بنى هاشم خاصة وليس ذلك بمذهب للمعتزلة لا متقدميهم ولا متأخريهم قلت هذا الموضع مشكل ولى فيه نظر وان صح ان عليا عليه السلام قاله قلت كما قال لانه ثبت عندى ان النبى صلى الله عليه وآله قال انه مع الحق وان الحق يدور معه حيثما دار ويمكن ان يتأول ويطبق على مذهب المعتزلة فيحمل على ان المراد به كمال الامامة كما حمل قوله صلى الله عليه وآله لا صلاة لجار المسجد الا فى المسجد على نفى الكمال لا على نفى الصحة

(الاصل) (منها) آثَرُوا عاجِلاً وَأَخَّرُوا آجِلاً وَتَرَكُوا صافِياً وَشَرِبُوا آجِناً ٭ كَأَنِّي أَنْظُرُ الى فاسِقِهِمْ وَقَدْ صَحِبَ الْمُنْكَرَ فَأَلِفَهُ وَبَسِئَ بِهِ وَوَافَقَهُ ٭ حَتَّى شابَتْ عَلَيْهِ مَفارِقُهُ وَصُبِغَتْ بِهِ خَلائِقُهُ ٭ ثُمَّ أَقْبَلَ مُزْبِداً كَالتَّيَّارِ لا يُبالِي ما غَرَّقَ ٭ أَوْ كَوَقْعِ النَّارِ فِي الْهَشِيمِ لا يَحْفِلُ ما حَرَّقَ ٭ أَيْنَ الْعُقُولُ الْمُسْتَصْبِحَةُ بِمَصابِيحِ الْهُدَى وَالْأَبْصارُ اللّامِحَةُ إِلَى مَنازِلِ التَّقْوَى ٭ أَيْنَ الْقُلُوبُ الَّتِي وُهِبَتْ لِلَّهِ وَعُوقِدَتْ على طاعَةِ اللَّهِ ٭ إِزْدَحَمُوا على الْحُطامِ وَتَشاحُّوا على الْحَرامِ وَرُفِعَ لَهُمْ عَلَمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَصَرَفُوا عَنِ الْجَنَّةِ وُجُوهَهُمْ وَأَقْبَلُوا إِلَى النَّارِ بِأَعْمالِهِمْ وَدَعاهُمْ رَبُّهُمْ فَنَفَرُوا وَوَلَّوْا وَدَعاهُمُ الشَّيْطانُ فَاسْتَجابُوا وَأَقْبَلُوا

(الشرح) آثروا اختاروا وأخروا تركوا والآجن الماء المتغير أجن الماء يأجن ويأجن وبسئ به ألفه وناقة بسوء ألفت الحالب ولا تمنعه وشابت عليه مفارقه طال عهده به منذ زمن الصبا حتى صار شيخا وصبغت به خلائقه صار طبعا لان العادة طبيعة ثانية مزبدا أى ذو زبد وهو ما يخرج من الفم كالرغوة يضرب مثلا للرجل الصائل المقتحم والتيار معظم اللجة والمراد به ههنا السيل والهشيم دقاق الحطب ولا يحفل بفتح حرف المضارعة لان الماضى ثلاثى أى لا يبالى والابصار اللامحة الناظرة وتشاحوا تضايقوا كل منهم يريد ان لا يفوته ذلك وأصله الشح وهو البخل فان قلت هذا الكلام يرجع

الى الصحابة الذين تقدم ذكرهم فى أول الخطبة قلت لا وان زعم قوم انه عناهم بل هو اشارة الى قوم ممن يأتى من الخلف بعد السلف ألا تراه قال كأنى أنظر الى فاسقهم قد صحب المنكر فألفه وهذا اللفظ انما يقال فى حق من لم يوجد بعد كما قال فى حق الاتراك كأنى أنظر اليهم قوما كان وجوههم المجان وكما قال فى حق صاحب الزنج كأنى به يا أحنف قد سار فى الجيش وكما قال فى الخطبة التى ذكرناها آنفا كأنى به قد نعق بالشام يعنى به عبد الملك وحوشى عليه السلام ان يعنى بهذا الكلام الصحابة لانهم ما آثروا العاجل ولا أخروا الآجل ولا صحبوا المنكر ولا أقبلوا كالتيار لا يبالى ما غرق ولا كالنار لا تبالى ما أحرقت ولا ازدحموا على الحطام ولا تشاحوا على الحرام ولا صرفوا عن الجنة وجوههم ولا أقبلوا الى النار بأعمالهم ولا دعاهم الرحمن فولوا ولا دعاهم الشيطان فاستجابوا وقد علم كل أحد حسن سيرتهم وسداد طريقتهم واعراضهم عن الدنيا وقد ملكوها وزهدهم فيها وقد تمكنوا منها ولولا قوله كأنى أنظر الى فاسقهم لم أبعد أن يعنى بذلك قوما ممن عليه اسم الصحابة وهو ردى الطريقة كالمغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص ومروان بن الحكم ومعاوية وجماعة معدودة أحبوا الدنيا واستغواهم الشيطان وهم معدودون فى كتب أصحابنا ومن اشتغل بعلوم السيرة والتواريخ عرفهم باعيانهم

(الاصل) ﴿ ومن خطبة له عليه السلام ﴾

أَيُّها النَّاسُ إِنَّما أَنْتُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ الْمَنايا ٭ مَعَ كُلِّ جَرْعَةٍ شَرَقٌ وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ لا تَنالُونَ مِنْها نِعْمَةً إِلَّا بِفِراقِ أُخْرَى وَلا يُعَمَّرُ مُعَمَّرٌ مِنْكُمْ يَوْماً مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا بِهَدْمِ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ وَلا تُجَدَّدُ لَهُ زِيادَةٌ فِي أَكْلِهِ إِلَّا بِنَفادِ ما قَبْلَها مِنْ رِزْقِهِ وَلا يَحْيَى لَهُ أَثَرٌ إِلَّا ماتَ لَهُ أَثَرٌ وَلا يَتَجَدَّدُ لَهُ جَدِيدٌ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَخْلَقَ لَهُ جَدِيدٌ ٭ وَلا تَقُومُ لَهُ نابِتَةٌ إِلَّا وَتَسْقُطُ مِنْهُ مَحْصُودَةٌ وَقَدْ مَضَتْ أُصُولٌ نَحْنُ فُرُوعُها فَما بَقاءُ فَرْعٍ بَعْدَ ذَهابِ أَصْلِهِ

(الشرح) الغرض ما ينصب ليرمى وهو الهدف وتنتضل فيه المنايا تترامى فيه للسبق ومنه الانتضال بالكلام والشعر كانه يجعل المنايا أشخاصا تتناضل بالسهام من الناس من يموت قتلا ومنهم من يموت غرقا أو يتردى فى بئر أو يسقط عليه حائط أو يموت على فراشه ثم قال مع كل جرعة شرق وفى كل أكلة غصص بفتح الغين مصدر قولك غصصت يا فلان بالطعام وروى غصص جمع غصة وهى الشجا وهذا مثل قول بعضهم المنحة فيها مقرونة بالمحنة والنعمة مشفوعة بالنقمة وقد بالغ بعض الشعراء فى الشكوى فأتى بهذه الالفاظ لكنه أسرف فقال

حظى من العيش أكل كله غصص ٭ مر المذاق وشرب كله شرق

ومراد أمير المؤمنين عليه السلام بكلامه ان نعيم الدنيا لا يدوم فاذا أحسنت أساءت واذا أنعمت أنقمت ثم قال لا تنالون منها نعمة الا بفراق أخرى هذا معنى لطيف وذلك ان الانسان لا يتهيأ له ان يجمع بين الملاذ الجسمانية كلها فى وقت فحال ما يكون آكلا لا يكون مجامعا وحال ما يشرب لا يأكل وحال ما يركب للقنص والرياضة لا يكون جالسا على فراش وثير ممهد وعلى هذا القياس لا يأخذ فى ضرب من ضروب الملاذ الا وهو تارك لغيره منها ثم قال ولا يعمر معمر منكم يوما من عمره الا بهدم آخر من أجله وهذا أيضا لطيف لان المسرور ببقائه الى يوم الاحد لم يصل اليه الا بعد ان قضى يوم السبت وقطعه ويوم السبت من أيام عمره فاذا قد هدم من عمره يوما فيكون قد قرب الى الموت لانه قد قطع من المسافة جزأ ثم قال ولا تجدد له زيادة فى أكله الا بنفاد ما قبلها من رزقه وهذا صحيح فان فسرنا الرزق بما وصل الى البطن على أحد تفسيرات المتكلمين فان الانسان لا يأكل لقمة الا وقد فرغ من اللقمة التى قبلها فهو اذا

لا يتجدد له زيادة فى أكله الا بنفاد ما قبلها من رزقه ثم قال ولا يحيا له أثر الا مات له أثر وذلك ان الانسان فى الاعم الاغلب لا ينتشر صيته و يشيع فضله الا عند الشيخوخة وكذلك لا تعرف أولاده و يصير لهم اسم فى الدنيا الا بعد كبره وعلو سنه فاذا ما حيى له أثر الا بعد ان مات له أثر وهو قوته ونشاطه وشبيبته ومثله قوله ولا يتجدد له جديد الا بعد أن يخلق له جديد ثم قال ولا تقوم له نابتة الا وتسقط منه محصودة هذه اشارة الى ذهاب الآباء عند حدوث أبنائهم فى الاعم الاغلب ولهذا قال وقد مضت أصول نحن فروعها فما بقاء فرع بعد ذهاب أصله وقد نظر الشعراء الى هذا المعنى فقالوا فيه وأكثروا نحو قول الشاعر

فان أنت لم تصدقك نفسك فانتسب * لعلك تهديك القرون الاوائل
فان لم تجد من دون عدنان والدا * ودون معد فلتزعك العواذل

وقال الشاعر

فعددت آبائى الى غرف الثرى * فدعوتهم فعلمت ان لم يسمعوا
لابد من تلف مصيب فانتظر * أبأرض قومك أم بأخرى تصرع

وقد صرح أبو العتاهية بالمعنى فقال

كل حياة الى ممات * وكل ذى جدة يحول
كيف بقاء الفروع يوما * وقد ذوت قبلها الاصول

(الاصل) (منها) وَما أُحْدِثَتْ بِدْعَةٌ الأَتُرِكَ بِها سُنَّةٌ فاتَّقُوا الْبِدَعَ والْزَمُوا الْمَهْيَعَ * إنَّ عَوازِمَ الامُورِ أفْضَلُها * وَانَّ مُحْدِثاتِها شِرارُها

(الشرح) البدعة كل ما أحدث مما لم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله فمنها الحسن كصلاة التراويح ومنها القبيح كالمنكرات التى ظهرت فى أواخر الخلافة العثمانية وان كانت قد تكلفت الاعذار عنها ومعنى قوله عليه السلام ما أحدثت بدعة الا ترك بها سنة ان من السنة ان لا تحدث البدعة فوجود البدعة عدم للسنة لا محالة والمهيع الطريق الواضح من قولهم أرض هيعة أى مبسوطة واسعة والميم مفتوحة وهى زائدة وعوازم الامور ما تقادم منها من قولهم عجوز عوزم أى مسنة قال الراجز

لقد غدوت خلق الثياب * أحمل عدلين من التراب لعوزم وصبية سغاب * فآكل ولاحس وآبى

و يجمع فوعل على فواعل كدورق ودوارق و يجوز أن يكون عوازم جمع عازمة و يكون فاعل بمعنى مفعول أى معزوم عليها أى مقطوع معلوم بيقين صحتها ومجىء فاعلة بمعنى مفعولة كثير كقولهم عيشة راضية بمعنى مرضية والاول أظهر عندى لان فى مقابلته قوله وان محدثاتها شرارها والمحدث فى مقابلة القديم

(لاصل) *(ومن كلام له عليه السلام)*

(وقد استشاره عمر في الشخوص لقتال الفرس بنفسه)

إنَّ هذَا الأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ ولاَ خِذْلاَنُهُ بِكَثْرَةٍ ولاَ بِقِلَّةٍ وَهُوَ دِينُ اللهِ الَّذِى أَظْهَرَهُ وَجُنْدُهُ الَّذِى أَعَدَّهُ وَأَمَدَّهُ حَتَّى بَلَغَ ما بَلَغَ وَطَلَعَ حَيْثُما طَلَعَ وَنَحْنُ على مَوْعُودٍ مِنَ اللهِ وَاللهُ مُنْجِزٌ وَعْدَهُ وَناصِرٌ جُنْدَهُ وَمَكانُ الْقَيِّمِ بِالأَمْرِ مَكانُ النِّظامِ مِنَ الْخَرَزِ يَجْمَعُهُ وَيَضُمُّهُ * فاذَا انْقَطَعَ النِّظامُ تَفَرَّقَ الْخَرَزُ وَذَهَبَ ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِحَذافِيرِهِ أَبَداً وَالْعَرَبُ

الْيَوْمَ وَإنْ كانُوا قَلِيلاً فَهُمْ كَثِيرُونَ بِالإِسْلاَمِ عَزِيزُونَ بِالاِجْتِماعِ فَكُنْ قُطْباً وَاسْتَدِرِ الرَّحَى بِالْعَرَبِ وَأَصْلِهِمْ دُونَكَ نارَ الْحَرْبِ فانَّكَ إنْ شَخَصْتَ مِنْ هذِهِ الارْضِ انْتَقَضَتْ عَلَيْكَ الْعَرَبُ مِنْ أَطْرافِها وَأَقْطارِها * حَتَّى يَكُونَ ما تَدَعُ وَراءَكَ مِنَ الْعَوْراتِ أَهَمَّ الَيْكَ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ إنَّ الأَعاجِمَ إنْ يَنْظُرُوا إلَيْكَ غَداً يَقُولُوا هذَا أَصْلُ الْعَرَبِ فاذَا اقْتَطَعْتُمُوهُ اسْتَرَحْتُمْ فَيَكُونُ ذَلِكَ أَشَدَّ لِكَلَبِهِمْ عَلَيْكَ وَطَمَعِهِمْ فِيكَ فَأَمَّا ما ذَكَرْتَ مِنْ مَسِيرِ الْقَوْمِ إلى قِتالِ الْمُسْلِمِينَ فانَّ اللهَ سُبْحانَهُ هُوَ أَكْرَهُ لِمَسِيرِهِمْ مِنْكَ وَهُوَ أَقْدَرُ على تَغْيِيرِ ما يَكْرَهُ وَأَمَّا ما ذَكَرْتَ مِنْ عَدَدِهِمْ فانَّا لَمْ نَكُنْ نُقاتِلُ فِيما مَضَى بِالْكَثْرَةِ وَإنَّما كُنَّا نُقاتِلُ بِالنَّصْرِ وَالْمَعُونَةِ

(الشرح) نظام العقد الخيط الجامع له وتقول أخذته كله بحذافيره أى باصله وأصل الحذافير أعالى الشئ ونواحيه الواحد حذفار وأصلهم نار الحرب اجعلهم صالين لها يقال صليت اللحم وغيره أصليه صليا مثل رميته أرميه رميا اذا شويته وفى الحديث انه صلى الله عليه وآله أتى بشاة مصلية أى مشوية و يقال أيضا صليت الرجل نارا اذا أدخلته النار وجعلته يصلاها فان ألقيته فيها القاء كانك تريد الاحراق قلت أصليته بالالف وصليته تصلية وقرئ و يصلى سعيرا ومن خفف فهو من قولهم صلى فلان بالنار بالكسر يصلى صليا احترق قال الله تعالى هم أولى بها صليا و يقال أيضا صلى فلان بالامر اذا قاسى حره وشدته قال الطهوى ولا تبلى بسالتهم وان هم * صلوا بالحرب حينا بعد حين وعلى هذا الوجه يحمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام وهو مجاز من الاحراق والشئ الموضوع لهما هذا اللفظ حقيقة والعورات الاحوال التى يخاف انتقاضها فى ثغر أو حرب قال تعالى يقولون ان بيوتنا عورة وما هى بعورة والكلب الشر والاذى * واعلم ان هذا الكلام قد اختلف فى الحال التى قاله فيها لعمر فقيل قاله له فى غزاة القادسية وقيل فى غزاة نهاوند والى هذا القول الاخير ذهب محمد بن جرير الطبرى فى التاريخ الكبير والى القول الاول ذهب المدائنى فى كتاب الفتوح ونحن نشير الى ماجرى فى هاتين الوقعتين اشارة خفيفة على مذهبنا فى ذكر السير والايام فأما وقعة القادسية فكانت فى سنة أربع عشرة للهجرة استشار عمر المسلمين فى أمر القادسية فأشار عليه على بن أبى طالب فى رواية أبى الحسن على بن محمد ابن سيف المدائنى ان لا يخرج بنفسه وقال انك ان تخرج لا يكن للعجم همة الا استئصالك لعلمهم انك قطب رحا العرب فلا يكون للاسلام بعدها دولة وأشار عليه غيره من الناس ان يخرج بنفسه فأخذ برأى على عليه السلام وروى غير المدائنى ان هذا الرأى أشار به عبد الرحمن بن عوف قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى لما بدا لعمر فى المقام بعد ان كان عزم على الشخوص بنفسه أمر سعد بن أبى وقاص على المسلمين و بعث يزدجرد رستم الارمنى أميرا على الفرس فأرسل سعد النعمان بن مقرن رسولا الى يزدجرد فدخل عليه وكلمه بكلام غليظ فقال يزدجرد لولا ان الرسل لا تقتل لقتلتك ثم حمله وقرا من تراب على رأسه وساقه حتى أخرجه من باب من أبواب المدائن وقال ارجع الى صاحبك فقد كتبت الى رستم ان يدفنه وجنده من العرب فى خندق القادسية ثم لاشغلن العرب بعدها بانفسهم ولاصيبنهم باشد مما أصابهم به سابور ذو الاكتاف فرجع النعمان الى سعد فأخبره فقال لا تخف فان الله قد ملكنا أرضهم تفاؤلا بالتراب قال أبو جعفر وتثبط رستم عن القتال وكرهه وآثر المسالمة واستعجله يزدجرد مرارا واستحثه على الحرب وهو يدافع بها و يرى المطاولة وكان عسكره مائة وعشرين ألفا وكان عسكر سعد بضعا وثلاثين ألفا وأقام رستم بريدا من الرجال الواحد منهم الى جانب الآخر من القادسية الى المدائن كلما تكلم رستم كلمة أداها بعضهم الى بعض حتى يصل الى سمع يزدجرد فى

وفيها وشهد وقعة القادسية مع المسلمين طليحة بن خويلد وعمرو بن معد يكرب والشماخ بن ضرار وعبدة بن الطبيب الشاعر وأوس بن معن الشاعر وقاموا في الناس ينشدونهم الشعر ويحرضونهم وقرن أهل فارس أنفسهم بالسلاسل لئلا يهربوا فكان المقرنون منها نحو ثلاثين ألفا والتحم الفريقان في اليوم الاول فحملت الفيلة التي مع رستم على الخيل فطحنتها وثبت لها جمع من الرجالة وكانت ثلاثة وثلاثين فيلا منها فيل الملك وكان أبيض عظيما فضربت الرجال خراطيم الفيلة بالسيوف فقطعتها وارتفع عواؤها وأصيب في هذا اليوم وهو اليوم الاول خمسمائة من المسلمين وألفان من الفرس ووصل في الثاني أبو عبيدة بن الجراح من الشام في عساكر من المسلمين فكان مددا لسعد وكان هذا اليوم على الفرس أشد من اليوم الاول قتل من المسلمين ألفان ومن المشركين عشرة آلاف وأصبحوا في اليوم الثالث على القتال وكان عظيما على العرب والعجم معا وصبر الفريقان وقامت الحرب ذلك اليوم وتلك الليلة جمعاء لا ينطقون كلامهم الهرير فسميت ليلة الهرير وانقطعت الاخبار والاصوات عن سعد ورستم وانقطع سعد الى الصلاة والدعاء والبكاء وأصبح الناس حسرى لم يغمضوا ليلتهم كلها والحرب قائمة بعد الى وقت الظهر فأرسل الله تعالى ريحا عاصفا في اليوم الرابع أمالت الغبار والنقع على العجم فانكسروا ووصلت العرب الى سرير رستم وقد قام عنه ليركب جملا وعلى رأسه العلم فضرب هلال بن علقمة الجمل الذي رستم فوقه فقطع حباله ووقع على هلال أحد العدلين فأزال فقار ظهره ومضى رستم نحو العتيق فرمى نفسه فيه واقتحم هلال عليه فأخذ برجله وخرج به يجره حتى ألقاه تحت أرجل الخيل وقد قتله وصعد السرير فنادى أنا هلال أنا قاتل رستم فانهزمت الفرس وتهافتوا في العتيق فقتل منهم نحو ثلاثين ألفا ونهبت أموالهم وأسلابهم وكانت عظيمة جدا وأخذت العرب منهم كافورا كثيرا فلم يعبؤا به لانهم لم يعرفوه وباعوه من قوم بملح كيلا بكيل وسروا بذلك وقالوا أخذنا منهم ملحا طيبا ودفعنا اليهم ملحا غير طيب وأصابوا من الجامات من الذهب والفضة ما لا يقع عليه العد لكثرته فكان الرجل منهم يعرض جامين من ذهب على صاحبه ليأخذ منه جاما واحدا فضة يعجبه بياضها ويقول من يأخذ صفراوين ببيضاء وبعث سعد بالانفال والغنائم الى عمر فكتب الى سعد لا تتبع الفرس وقف مكانك واتخذه منزلا فنزل موضع الكوفة اليوم واختط مسجدها وبنى فيها الخطط للعرب ٭ فأما وقعة نهاوند فان أبا جعفر محمد بن جرير الطبري ذكر في كتاب التاريخ ان عمر لما أراد ان يغزو العجم وجيوش كسرى وهي مجتمعة بها ونهاوند استشار الصحابة فقام عثمان فتشهد فقال أرى يا أمير المؤمنين ان تكتب الى أهل الشام فيسيروا من شامهم وتكتب الى أهل اليمن فيسيروا من يمنهم ثم تسير أنت بأهل هذين الحرمين الى المصرين البصرة والكوفة فتلقى جمع المشركين بجمع المسلمين فانك اذا سرت بمن معك ومن عندك تكن في نفسك بالكاثر من عدد القوم وكنت أعز عزا وأكثر انك لا تستبقي من نفسك بعد اليوم باقية ولا تمتع من الدنيا بعزيز ولا تكون منها في حرز حريز ان هذا اليوم له ما بعده فاشهده بنفسك ورأيك وأعوانك ولا تغب عنه قال أبو جعفر وقام طلحة فقال أما بعد يا أمير المؤمنين فقد أحكمتك الامور وعجمتك البلايا وحنكتك التجارب وأنت وشأنك وأنت ورأيك لا ننبو في يديك ولا نكل أمرنا الا اليك فأمرنا نجب وادعنا نطع واحملنا نركب وقدنا ننقد فانك ولي هذا الامر وقد بلوت وجربت واختبرت فلم ينكشف شيء من عواقب الامور لك الا عن خيار فقال علي بن أبي طالب عليه السلام أما بعد فان هذا الامر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا قلة انما هو دين الله الذي أظهره وجنده الذي أعزه وأمده بالملائكة حتى بلغ ما بلغ فنحن على موعود من الله والله منجز وعده وناصر جنده وان مكانك منهم مكان النظام من الخرز يجمعه ويمسكه فان انحل تفرق ما فيه وذهب ثم لم يجتمع بحذافيره أبدا والعرب اليوم وان كانوا قليلا فانهم كثير عزيز بالاسلام أقم مكانك واكتب الى أهل الكوفة فانهم أعلام العرب ورؤساؤهم وليشخص منهم الثلثان وليقم الثلث واكتب الى أهل البصرة ان يمدوهم ببعض من عندهم ولا تشخص الشام ولا اليمن انك ان أشخصت أهل الشام من شامهم سارت الروم الى ذراريهم وان أشخصت أهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة الى ذراريهم ومتى شخصت من هذه الارض انتقضت عليك العرب من أقطارها وأطرافها حتى يكون ما تدع وراءك أهم اليك مما بين يديك من العورات والعيالات

ان الاعاجم ان ينظروا اليك غدا قالوا هذا أمير العرب وأصلهم فكان ذلك أشد لكلبهم عليك واما ما ذكرت من مسير القوم فان الله هو أكره لمسيرهم منك وهو أقدر على تغيير ما يكره واما ما ذكرت من عددهم فانا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة وانما كنا نقاتل بالصبر والنصر فقال عمر أجل هذا الرأي وقد كنت أحب ان أتابع عليه فأشيروا علي برجل أوليه ذلك الثغر قالوا أنت أفضل رأيا فقال أشيروا علي به واجعلوه عراقيا قالوا أنت أعلم بأهل العراق وقد وفدوا عليك فرأيتهم وكلمتهم قال أما والله لاولين أمرهم رجلا يكون عمدا لاول الاسنة قيل ومن هو يا أمير المؤمنين قال النعمان بن مقرن قالوا هو لها وكان النعمان يومئذ بالبصرة فكتب اليه عمر فولاه أمر الجيش قال أبو جعفر كتب اليه عمر سر الى نهاوند فقد وليتك حرب الفيروزان وكان المقدم على جيوش كسرى فان حدث بك حدث فعلى الناس حذيفة ابن اليمان فان حدث به حدث فعلى الناس نعيم بن مقرن فان فتح الله عليكم فاقسم على الناس ما أفاء الله عليهم ولا ترفع الي منه شيأ وان نكث القوم فلا تراني ولا أراك وقد جعلت معك طليحة بن خويلد وعمرو بن معد يكرب لعلمهما بالحرب فاستشرهما ولا تولهما شيأ قال أبو جعفر فسار النعمان بالعرب حتى وافى نهاوند وذلك في السنة السابعة من خلافة عمر وتراءى الجمعان ونشب القتال وحجزهم المسلمون في خنادقهم واعتصموا بالحصون والمدن وشق على المسلمين ذلك فأشار طليحة عليه فقال أرى ان تبعث خيلا ينعض القوم وتحمشهم فاذا استحمشوا خرج بعضهم واختلطوا بكم فاستطردوا لهم فانهم يطمعون بذلك ثم نعطف عليهم حتى يقضي الله بيننا وبينهم بما يحب ففعل النعمان ذلك فكان كما ظن طليحة وانقطع العجم عن حصونهم بعض الانقطاع فلما أمعنوا في الانكشاف للمسلمين حمل النعمان بالناس فاقتتلوا قتالا شديدا لم يسمع السامعون مثله وزلق بالنعمان فرسه فصرع وأصيب وتناول الراية نعيم أخوه فأتى حذيفة لها فدفعها اليه وكتم المسلمون مصاب أميرهم واقتتلوا حتى أظلم الليل ورجعوا والمسلمون وراءهم فعمي عليهم قصدهم فتركوه وغشيهم المسلمون بالسيوف فقتلوا منهم ما لا يحصى وأدرك المسلمون الفيروزان وهو هارب وقد انتهى الى ثنية مشحونة ببغال موقرة عسلا فحبسته على أجله فقتل فقال المسلمون ان لله جنودا من عسل ودخل المسلمون نهاوند فاحتووا على ما فيها وكانت أنفال هذا اليوم عظيمة فحملت الى عمر فلما رآها بكى فقال له المسلمون ان هذا اليوم يوم سرور وجذل فما يبكيك قال ما أظن ان الله تعالى زوى هذا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن أبي بكر الا لخير أراده بهما ولا أراه فتحه على الا لشر أريد بي ان هذا المال لا يلبث ان يفتن الناس ثم رفع يده الى السماء يدعو ويقول اللهم اعصمني ولا تكلني الى نفسي يقولها مرارا ثم قسمه بين المسلمين عن آخره

٭(ومن خطبة له عليه السلام)٭

فَبَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِهِ وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَهُ وَأَحْكَمَهُ لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ وَلِيُقِرُّوا بِهِ بَعْدَ إِذْ جَحَدُوهُ وَلِيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ فَتَجَلَّى لَهُمْ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ وَخَوَّفَهُمْ مِنْ سَطْوَتِهِ وَكَيْفَ مَحَقَ مَنْ مَحَقَ بِالْمَثُلَاتِ ٭ وَاحْتَصَدَ مَنِ احْتَصَدَ بِالنَّقِمَاتِ

(الشرح) الاوثان جمع وثن وهو الصنم ويجمع أيضا على وثن مثل أسد وآساد وأسد وسمي وثنا لانتصابه وبقائه على حال واحدة من قولك وثن فلان بالمكان فهو واثن وهو الثابت الدائم قوله فتجلى سبحانه لهم أي ظهر من غير أن يرى بالبصر بل بما نبههم عليه في القرآن من قصص الاولين وما حل بهم من النقمة عند مخالفة الرسل والمثلات بضم الثاء العقوبات فان قلت ظاهر هذا الكلام ان الرسول عليه الصلاة والسلام بعث الى الناس ليقروا بالصانع ويثبتوه وهذا خلاف

قول المعتزلة لان فائدة الرسالة عندهم هي الطاف المكلفين بالاحكام الشرعية المقربة الى الواجبات العقلية والمبعدة من المقبحات العقلية ولا مدخل للرسول في معرفة البارى سبحانه لان العقل يوجبها وان لم يبعث الرسل قلت ان كثيرا من شيوخنا أوجبوا بعثة الرسل اذا كان في حثهم المكلفين على ما في العقول فائدة وهو مذهب شيخنا أبي على رحمه الله فلا يمتنع أن يكون ارسال محمد صلى الله عليه وآله الى العرب وغيرهم لان الله تعالى علم انهم مع تنبيهه اياهم على ماهو واجب في عقولهم من المعرفة أقرب الى حصول المعرفة فحينئذ يكون بعثه لطفا و يستقيم كلام أمير المؤمنين

(الاصل) وَإِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَى مِنَ الْحَقِّ وَلاَ أَظْهَرَ مِنَ الْبَاطِلِ وَلاَ أَكْثَرَ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى اللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرَ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلاَوَتِهِ وَلاَ أَنْفَقَ مِنْهُ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ * وَلاَ فِي الْبِلاَدِ شَيْءٌ أَنْكَرَ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَلاَ أَعْرَفَ مِنَ الْمُنْكَرِ * فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلَتُهُ وَتَنَاسَاهُ حَفَظَتُهُ فَالْكِتَابُ يَوْمَئِذٍ وَأَهْلُهُ طَرِيدَانِ مَنْفِيَّانِ * وَصَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ لاَ يُؤْوِيهِمَا مُؤْوٍ فَالْكِتَابُ وَأَهْلُهُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ فِي النَّاسِ وَلَيْسَا فِيهِمْ وَمَعَهُمْ وَلَيْسَا مَعَهُمْ لِأَنَّ الضَّلاَلَةَ لاَ تُوَافِقُ الْهُدَى وَإِنِ اجْتَمَعَا فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الْفُرْقَةِ وَافْتَرَقُوا عَنِ الْجَمَاعَةِ كَأَنَّهُمْ أَئِمَّةُ الْكِتَابِ وَلَيْسَ الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلاَّ اسْمُهُ وَلاَ يَعْرِفُونَ إِلاَّ خَطَّهُ وَزَبْرَهُ * وَمِنْ قَبْلُ مَا مَثَّلُوا بِالصَّالِحِينَ كُلَّ مُثْلَةٍ * وَسَمَّوْا صِدْقَهُمْ عَلَى اللّٰهِ فِرْيَةً * وَجَعَلُوا فِي الْحَسَنَةِ عُقُوبَةَ السَّيِّئَةِ وَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ وَتَغَيُّبِ آجَالِهِمْ حَتَّى نَزَلَ بِهِمُ الْمَوْعُودُ الَّذِي تُرَدُّ عَنْهُ الْمَعْذِرَةُ وَتُرْفَعُ عَنْهُ التَّوْبَةُ وَتَحُلُّ مَعَهُ الْقَارِعَةُ وَالنِّقْمَةُ

(الشرح) أخبر عليه السلام انه سيأتي على الناس زمان من صفته كذا وكذا وقد رأيناه ورآه من كان قبلنا أيضا قال شعبة امام المحدثين تسعة أعشار الحديث كذب وقال الدارقطني ما الحديث الصحيح في الحديث الا كالشعرة البيضاء في الثور الاسود واما غلبة الباطل على الحق حتى يخفى الحق عنده فظاهرة وأبور أفسد من بار الشيء أي هلك والسلعة المتاع ونبذ الكتاب ألقاه ولا يؤويهما لا يضمهما اليه و ينزلهما عنده والزبر مصدر زبرت از بر بالضم أي كتبت وجاء يزبر بالكسر والزبر بالكسر الكاف وجمعه ز بور مثل قدر وقدور وقرأ بعضهم وآتينا داود ز بورا أي كتبا والز بور بفتح الكتاب المز بور فعول بمعنى مفعول وقال الاصمعي سمعت اعرابيا يقول أنا أعرف بز برتي أي خطي وكتابتي ومثلوا بالصالحين بالتخفيف نكلوا بهم مثلت بفلان أمثل بالضم مثلا بالفتح وسكون الثاء والاسم المثلة بالضم ومن روى مثلوا بالتشديد أراد جدعوهم بعد قتلهم وعلى في قوله وسموا صدقهم على الله فرية ليست متعلقة بصدقهم بل بفرية أي وسموا صدقهم فرية على الله فان امتنع ان يتعلق حرف الجر به لتقدمه عليه وهو مصدر فليكن متعلقا بفعل مقدر دل عليه هذا المصدر الظاهر وروى وجعلوا في الحسنة العقوبة السيئة والرواية الاولى بالاضافة أكثر وأحسن والموعود ههنا الموت والقارعة المصيبة تقرع أي تلقى بشدة وقوة

(الاصل)

(الاصل) أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ مَنِ اسْتَنْصَحَ اللّٰهَ وُفِّقَ وَمَنِ اتَّخَذَ قَوْلَهُ دَلِيلاً هُدِيَ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ فَإِنَّ جَارَ اللّٰهِ آمِنٌ وَعَدُوَّهُ خَائِفٌ وَإِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ اللّٰهِ أَنْ يَتَعَظَّمَ فَإِنَّ رِفْعَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا عَظَمَتُهُ أَنْ يَتَوَاضَعُوا لَهُ وَسَلاَمَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا قُدْرَتُهُ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا لَهُ فَلاَ تَنْفِرُوا مِنَ الْحَقِّ نِفَارَ الصَّحِيحِ مِنَ الأَجْرَبِ وَالْبَارِئِ مِنْ ذِي السَّقَمِ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي تَرَكَهُ وَلَنْ تَأْخُذُوا بِمِيثَاقِ الْكِتَابِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَقَضَهُ وَلَنْ تَمَسَّكُوا بِهِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَبَذَهُ فَالْتَمِسُوا ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ فَإِنَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ وَمَوْتُ الْجَهْلِ هُمُ الَّذِينَ يُخْبِرُكُمْ حُكْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ وَصَمْتُهُمْ عَنْ مَنْطِقِهِمْ وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ لاَ يُخَالِفُونَ الدِّينَ وَلاَ يَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَهُوَ بَيْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ وَصَامِتٌ نَاطِقٌ

(الشرح) من استنصح الله من أطاع أوامره وعلم انه يهديه الى مصالحه و يرده عن مفاسده و يرشده الى ما فيه نجاته و يصرفه عما فيه عطبه والتي هي أقوم يعني الحالة والخلة التي اتباعها أقوم وهذا من الالفاظ القرآنية قال سبحانه ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم والمراد بتلك الحالة المعرفة بالله وتوحيده وعدله ثم نهى عليه السلام عن التكبر والتعظم وقال ان رفعة القوم الذين يعرفون عظمة الله ان يتواضعوا له وما ههنا بمعنى أي شيء ومن روى بالنصب جعلها زائدة وقد ورد في ذم التعظم والتكبر ما يطول استقصاؤه وهو مذموم على العباد فكيف بمن يتعظم على الخالق سبحانه وانه لمن الهالكين وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لما افتخر أنا سيد ولد آدم ثم قال ولا فخر فجهر بلفظة الافتخار ثم أسقط استطالة الكبر وانما جهر بما جهر به لانه أقامه مقام شكر النعمة والتحدث بها وفي الحديث المرفوع عنه صلى الله عليه وآله ان الله قد أذهب عنكم حمية الجاهلية وفخرها بالآباء الناس بنو آدم وآدم من تراب مؤمن تقي وفاجر شقي لينتهين أقوام يفخرون برجال انما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من جعلات تدفع النتن بأنفها قوله واعلموا انكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذي تركه فيه تنبيه على انه يجب البراءة من أهل الضلال وهو قول أصحابنا جميعهم فانهم بين مكفر لمن خالف أصول التوحيد والعدل وهم الاكثرون أو مفسق وهم الاقلون وليس أحد منهم معذورا عند أصحابنا وان ضل بعد النظر كما لا تعذر اليهود والنصارى اذا ضلوا بعد النظر ثم قال عليه السلام فالتمسوا ذلك عند أهله هذا كناية عنه عليه السلام وكثيرا ما يسلك هذا المسلك و يعرض هذا التعريض وهو الصادق الامين العارف باسرار الالهية ثم ذكر ان هؤلاء الذين أمر باتباعهم ينبئ حكمهم عن علمهم وذلك لان الامتحان يظهر خبيئة الانسان ثم قال وصمتهم عن نطقهم صمت العارف أبلغ من نطق غيره ولا يخفى فضل الفاضل وان كان صامتا ثم ذكر انهم لا يخالفون الدين لانهم قوامه وأربابه ولا يختلفون فيه لان الحق في التوحيد والعدل واحد فالدين بينهم شاهد صادق يأخذون بحكمه كما يؤخذ بحكم الشاهد الصادق وصامت ناطق لانه لا ينطق بنفسه بل لا بد له من مترجم فهو صامت في الصورة وهو في المعنى أنطق الناطقين لان الاوامر والنواهي والآداب كلها مبنية عليه ومتفرعة عليه

(الاصل) *(ومن كلام له عليه السلام)*

في ذكر أهل البصرة

كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُو الأَمْرَ لَهُ وَيَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُونَ صاحبِهِ لا يَمُتَّانِ إِلَى اللهِ بِحَبْلٍ وَلاَ يَمُدَّانِ إِلَيْهِ بِسَبَبٍ * كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حامِلُ ضَبٍّ لِصاحبِهِ وَعَمَّا قَلِيلٍ يُكْشَفُ قِناعُهُ بِهِ وَاللهِ لَئِنْ أَصابُوا الَّذِي يُرِيدُونَ لَيَنْتَزِعَنَّ هَذَا نَفْسَ هَذَا وَلَيَأْتِيَنَّ هَذَا عَلَى هَذَا قَدْ قامَتِ الْفِئَةُ الْباغِيَةُ فَأَيْنَ الْمُحْتَسِبُونَ قَدْ سُنَّتْ لَهُمُ السُّنَنُ وَقُدِّمَ لَهُمُ الْخَبَرُ وَلِكُلِّ ضَلَّةٍ عِلَّةٌ وَلِكُلِّ ناكِثٍ شُبْهَةٌ وَاللهِ لاَ أَكُونُ كَمُسْتَمِعِ اللَّدْمِ * يَسْمَعُ النَّاعِيَ وَيَحْضُرُ الْباكِيَ ثُمَّ لاَ يَعْتَبِرُ

(الشرح) ضمير التثنية راجع الى طلحة والزبير رضى الله عنهما ويمتان يتوسلان الماضى ثلاثى مت يمت بالضم والضب الحقد والمحتسبون طالبو الحسبة وهى الاجر ومستمع اللدم كناية عن الضبع تسمع وقع الحجر بباب جحرها من يد الصائد فتنخذل وتكف جوارحها اليها حتى يدخل عليها فيربطها يقول لا أكون مقرا بالضيم واهنا أسمع الناعى المخبر عن قتل عسكر الجمل لحكيم بن جبلة واتباعه فلا يكون عندى من التغيير والانكار لذلك الا ان أسمعه وأحضر الباكين على قتلاهم وقوله لكل ضلة علة ولكل ناكث شبهة هو جواب سؤال مقدر كانه يقول ان قيل لاى سبب خرج هؤلاء فانه لابد أن يكون لهم تأويل فى خروجهم وقد قيل انهم يطلبون بدم عثمان فهو عليه السلام قال كل ضلالة فلابد لها من علة اقتضتها وكل ناكث فلابد له من شبهة يستند اليها وقوله لينتزعن هذا نفس هذا قول صحيح لاريب فيه لان الرياسة لا يمكن ان يدبرها اثنان معا فلو صح لهما ما أراداه لوثب أحدهما على الآخر فقتله فان الملك عقيم وقد ذكر أرباب السيرة ان الرجلين اختلفا من قبل وقوع الحرب فانهما اختلفا فى الصلاة فاقامت عائشة محمد بن طلحة وعبد الله ابن الزبير يصلى هذا يوما وهذا يوما الى ان تنقضى الحرب ثم ان عبد الله بن الزبير ادعى ان عثمان نص عليه بالخلافة يوم الدار واحتج فى ذلك بانه استخلفه على الصلاة واحتج تارة أخرى بنص صريح زعمه وادعاه وطلب طلحة من عائشة ان يسلم الناس عليه بالامرة وأدلى اليها بالتيمية وأدلى الزبير اليها باسماء أختها فأمرت الناس ان يسلموا عليهما معا بالامرة واختلفا فى تولى القتال فطلبه كل منهما أولا ثم نكل كل منهما عنه وتفادى منه وقد ذكرنا فى الاجزاء المتقدمة قطعة صالحة من أخبار الجمل وروى أبو مخنف قال لما تزاحف الناس يوم الجمل والتقوا قال على عليه السلام لاصحابه لا يرمين رجل منكم بسهم ولا يطعن أحدكم فيهم برمح حتى أحدث اليكم وحتى يبدؤكم بالقتال وبالقتل فرمى أصحاب الجمل عسكر على عليه السلام بالنبل رميا شديدا متتابعا فضج اليه أصحابه وقالوا عقرتنا سهامهم يا أمير المؤمنين وجىء برجل اليه وانه لفى فسطاط له صغير فقيل له هذا فلان قد قتل فقال اللهم اشهد ثم قال اعذروا الى القوم فأتى برجل آخر فقيل وهذا قد قتل فقال اللهم اشهد اعذروا الى القوم ثم أقبل عبد الله بن بديل ابن ورقاء الخزاعى وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يحمل أخاه عبد الرحمن بن بديل قد أصابه سهم فقتله فوضعه بين يدى على عليه السلام وقال يا أمير المؤمنين هذا أخى قد قتل فعند ذلك استرجع على عليه السلام ودعا بدرع رسول الله صلى الله عليه وآله ذات الفضول فلبسها فتدلت على بطنه فرفعها بيده وقال لبعض أهله فحزم وسطه بعمامة وتقلد ذا الفقار ودفع الى ابنه محمد راية رسول الله صلى الله عليه وآله السوداء وتعرف بالعقاب وقال لحسن وحسين عليهما السلام انما دفعت الراية الى أخيكما وتركتكما لمكانكما من رسول الله صلى الله عليه وآله قال أبو مخنف وطاف على عليه السلام على أصحابه وهو يقرأ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب ثم قال أفرغ الله علينا وعليكم الصبر وأعز لنا ولكم النصر وكان لنا ولكم ظهيرا فى كل أمر ثم رفع مصحفا بيده فقال من يأخذ هذا المصحف فيدعوهم الى ما فيه وله الجنة فقام غلام شاب اسمه مسلم عليه قباء أبيض فقال أنا آخذه فنظر اليه على وقال يا فتى ان أخذته فان يدك اليمنى تقطع فتأخذه بيدك اليسرى فتقطع ثم تضرب بالسيف حتى تقتل فقال الغلام لا صبر لى على

ذلك فنادى على ثانية فقام الغلام واعاد عليه القول وأعاد الغلام القول مرارا حتى قال الغلام أنا آخذه وهذا الذى ذكرت فى الله قليل فأخذه وانطلق فلما خالطهم ناداهم هذا كتاب الله بيننا وبينكم فضربه رجل فقطع يده اليمنى فتناوله باليسرى فضربه أخرى فقطع اليسرى فاحتضنه فضربوه بأسيافهم حتى قتل فقالت أم ذريح العبدية فى ذلك

يارب ان مسلما أتاهم * بمصحف أرسله مولاهم
للعدل والايمان قد دعاهم * يتلو كتاب الله لا يخشاهم
فخضبوا من دمه ظباهم * وأمهم واقفة تراهم
* تأمرهم بالغى لا تنهاهم *

قال أبو مخنف فعند ذلك أمر على عليه السلام ولده محمدا أن يحمل بالراية فحمل وحمل معه الناس واستحر القتل فى الفريقين وقامت الحرب على ساق قال فأما طلحة فان أهل الجمل لما تضعضعوا قال مروان لا أطلب ثار عثمان من طلحة بعد اليوم فانتحى له بسهم فأصاب ساقه فقطع أكحله فجعل الدم يبض فاستدعى من مولى له بغلة فركبها وأدبر وقال لمولاه ويحك أما مكان أقدر فيه على النزول فقد قتلنى الدم فيقول له مولاه انج والا لحقك القوم فقال بالله ما رأيت مصرع شيخ أضيع من مصرعى هذا حتى انتهى الى دار من دور البصرة فنزلها ومات بها وقد روى أنه رمى قبل أن يرميه مروان وجرح فى غير موضع من جسده وروى أبو الحسن المدائنى ان عليا عليه السلام مر بطلحة وهو يكيد بنفسه فوقف عليه وقال أما والله ان كنت لابغض أن أراكم مصرعين فى البلاد ولكن ما حتم واقع ثم تمثل وقال

وما تدرى اذا أزمعت أمرا * بأى الارض يدركك المقيل
وما يدرى الفقير متى غناه * ولا يدرى الغنى متى يعيل
وما تدرى اذا ألقحت شولا * أتنتج بعد ذلك أم تحيل

وأما الزبير فقتله ابن جرموز غيلة بوادى السباع وهو منصرف عن الحرب نادم على ما فرط منه وتقدم ذكر كيفية قتله فيما سبق وروى الكلبى قال كان العرق الذى أصابه السهم اذا أمسكه طلحة بيده استمسك واذا رفع يده عنه سال فقال طلحة هذا سهم أرسله الله تعالى وكان أمر الله قدرا مقدورا ما رأيت كاليوم دم قرشى أضيع قال وكان الحسن البصرى اذا سمع هذا وحكى له يقول ذق عقق وروى أبو مخنف عن عبد الله بن عون عن نافع قال سمعت مروان بن الحكم يقول أنا قتلت طلحة وقال أبو مخنف وقد قال عبد الملك بن مروان لولا ان أبى أخبرنى أنه رمى طلحة فقتله ما تركت تيميا الا قتلته بعثمان قال يعنى ان محمد بن أبى بكر وطلحة قتلاه وكانا تيميين قال أبو مخنف وحدثنا عبد الرحمن بن جندب عن أبيه جندب بن عبد الله قال مررت بطلحة وان معه عصابة يقاتل بهم وقد فشت فيهم الجراح وكثرهم الناس فرأيته جريحا والسيف فى يده وأصحابه يتصدعون عنه رجلا فرجلا واثنين فاثنين وأنا أسمعه وهو يقول عباد الله الصبر الصبر فان بعد الصبر النصر والأجر فقلت له النجاء النجاء ثكلتك أمك فوالله ما أجرت ولا نصرت ولكنك وزرت وخسرت ثم صحت بأصحابه فانذعروا عنه ولو شئت ان أطعنه لطعنته فقلت له أما والله لو شئت لجدلتك فى هذا الصعيد فقال والله لهلكت هلاك الدنيا والآخرة اذن فقلت له والله لقد أمسيت وان دمك لحلال وانك لمن النادمين فانصرف ومعه ثلاثة نفر وما أدرى كيف كان أمره الا انى أعلم انه قد هلك وروى ان طلحة قال ذلك اليوم ما كنت أظن ان هذه الآية نزلت فينا واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وروى المدائنى قال لما أدبر طلحة وهو جريح يرتاد مكانا ينزله جعل يقول لمن يمر به من أصحاب على عليه السلام أنا طلحة من يجيرنى يكررها قال فكان الحسن البصرى اذا ذكر ذلك يقول لقد كان فى جوار عريض

(الاصل) ﴿ ومن كلام له عليه السلام ﴾

قبل موته

أيُّها النَّاسُ كُلُّ امْرِئٍ لاقٍ ما يَفِرُّ مِنْهُ في فِرارِهِ الأَجَلُ مَساقُ النَّفْسِ والهَرَبُ مِنْهُ مُوافاتُهُ * كَمْ أَطْرَدْتُ الأَيَّامَ أَبْحَثُها عَنْ مَكْنُونِ هَذَا الأَمْرِ فَأَبَى اللهُ إلاَّ إخْفاءَهُ * هَيْهاتَ * عِلْمٌ مَخْزُونٌ * أَمَّا وَصِيَّتِي فَاللهُ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ومُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ فَلا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ * أَقِيمُوا هَذَيْنِ العَمُودَيْنِ * وأَوْقِدُوا هَذَيْنِ المِصْباحَيْنِ وخَلاكُمْ ذَمٌّ ما لَمْ تَشْرُدُوا * حَمَلَ كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ مَجْهُودَهُ وخُفِّفَ عَنِ الجَهَلَةِ * رَبٌّ رَحِيمٌ * ودِينٌ قَوِيمٌ * وإمامٌ عَلِيمٌ * أَنا بِالأَمْسِ صاحِبُكُمْ * وأَنا اليَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ وغَداً مُفارِقُكُمْ * غَفَرَ اللهُ لِي ولَكُمْ * إنْ تَثْبُتِ الوَطْأَةُ في هَذِهِ المَزَلَّةِ فَذاكَ * وإنْ تَدْحَضِ القَدَمُ فَإنَّا كُنَّا في أَفْياءِ أَغْصانٍ ومَهَبِّ رِياحٍ وتَحْتَ ظِلِّ غَمامٍ اضْمَحَلَّ في الجَوِّ مُتَلَفَّقُها * وعَفا في الأَرْضِ مَخَطُّها * وإنَّما كُنْتُ جاراً جاوَرَكُمْ بَدَنِي أَيَّاماً وسَتُعْقَبُونَ مِنِّي جُثَّةً خَلاءً ساكِنَةً بَعْدَ حَراكٍ * وصامِتَةً بَعْدَ نُطُوقٍ * لِيَعِظَكُمْ هُدُوِّي وخُفُوتُ إطْراقِي وسُكُونُ أَطْرافِي * فَإنَّهُ أَوْعَظُ لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنَ المَنْطِقِ البَلِيغِ والقَوْلِ المَسْمُوعِ * وَداعِي لَكُمْ وَداعُ امْرِئٍ مُرْصَدٍ لِلتَّلاقِي غَداً تَرَوْنَ أَيَّامِي ويُكْشَفُ لَكُمْ عَنْ سَرائِرِي * وتَعْرِفُونَنِي بَعْدَ خُلُوِّ مَكانِي * وقِيامِ غَيْرِي مَقامِي

(الشرح) أطردت الرجل اذا أمرت باخراجه وطرده وطردته اذا نفيته وأخرجته فالاطراد ادل على العز والقهر من الطرد وكأنه عليه السلام جعل الايام أشخاصا يأمر باخراجهم وابعادهم عنه أي مازلت أبحث عن كيفية قتلي وأي وقت يكون بعينه وفي أي أرض يكون يوما يوما فاذا لم أجده في اليوم أطردته واستقبلت غده فأبحث فيه أيضا فلا أعلم فابعده واطرده واستأنف يوما آخر هكذا حتى وقع المقدور وهذا الكلام يدل على أنه لم يكن يعرف حال قتله معرفة مفصلة من جميع الوجوه وان رسول الله صلى الله عليه وآله أعلمه بذلك علما مجملا لانه قد ثبت أنه صلى الله عليه وآله قال له ستضرب على هذه وأشار الى هامته فتخضب منها هذه وأشار الى لحيته وثبت أنه صلى الله عليه وآله قال له أتعلم من أشقى الاولين قال نعم عاقر الناقة فقال له أتعلم من أشقى الآخرين قال لا قال من يضرب بك ههنا فيخضب هذه وكلام أمير المؤمنين عليه السلام يدل على أنه بعد ضرب ابن ملجم له لا يقطع على أنه يموت من ضربته ألا تراه يقول ان تثبت الوطأة في هذه المزلة فذاك وان تدحض فانما كنا في أفياء أغصان ومهاب رياح أي ان سلمت فذاك الذي تطلبونه يخاطب أهله وأولاده ولا ينبغي أن يقال فذاك ما أطلبه لانه عليه السلام كان يطلب الآخرة أكثر من الدنيا وفي كلامه المنقول عنه ما يؤكد ما قلناه وهو قوله ان عشت فأنا ولي دمي وان مت فضربة بضربة وليس قوله عليه السلام وأنا اليوم عبرة لكم وغدا مفارقكم وما يجري مجراه من ألفاظ الفصل بناقض لما قلناه وذلك لانه لا يعني غدا بعينه بل ما يستقبل من الزمان كما يقول الانسان الصحيح أنا غدا ميت فما لي أحرص على الدنيا ولان الانسان قد يقول في مرضه الشديد لاهله وولده ودعتكم وأنا مفارقكم وسوف يخلو منزلي مني وتتأسفون على فراقي وتعرفون موضعي بعدي كله على غلبة الظن وقد يقصد الصالحون به العظة والاعتبار وجذب السامعين الى جانب التقوى وردعهم عن الهوى وحب الدنيا فان قلت فما تصنع بقوله عليه السلام لابن ملجم أريد حياته ويريد قتلي * عذيرك من خليلك من مراد وقول الخلص من شيعته فهلا تقتله فقال

فكيف أقتل قاتلي وتارة قال انه لم يقتلني وكيف أقتل من لم يقتل وكيف قال في البط الصائح خلفه في المسجد ليلة ضربه ابن ملجم دعوهن فانهن نوائح وكيف قال تلك الليلة اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله فشكوت اليه وقلت ما لقيت من أمتك من الأود واللدد فقال ادع الله عليهم فقلت اللهم ابدلني بهم خيرا منهم وأبدلهم بي شرا مني وكيف قال اني لا أقتل محاربا وانما أقتل فتكا وغيلة يقتلني رجل خامل الذكر وقد جاء عنه عليه السلام من هذا الباب آثار كثيرة قلت كل هذا لا يدل على أنه كان يعلم الأمر مفصلا من جميع الوجوه ألا ترى أنه ليس في الاخبار والآثار ما يدل على الوقت الذي يقتل فيه بعينه ولا على المكان الذي يقتل فيه بعينه وأما ابن ملجم فمن الجائز أن يكون علم أنه هو الذي يقتله ولم يعلم علما محققا ان هذه الضربة تزهق نفسه الشريفة منها بل قد كان يجوز أن يبل ويفيق منها ثم يكون قتله فيما بعد على يد ابن ملجم وان طال الامد وليس هذا بمستحيل وقد وقع مثله فان عبد الملك جرح عمرو بن سعيد الاشدق في أيام معاوية على منافرة كانت بينهما فعفا عمرو عنه ثم كان من القضاء والقدر ان عبد الملك قتل عمرا أيضا بيده ذبحا كما تذبح الشاة وأما قوله في البط دعوهن فانهن نوائح فلعله علم أنه تلك الليلة يصاب ويجرح وان لم يعلم أنه يموت منه والنوائح قد ينحن على المقتول وقد ينحن على المجروح والمنام والدعاء لا يدل على العلم بالوقت بعينه ولا يدل على ان اجابة دعائه تكون على الفور لا محالة ثم نعود الى الشرح أما قوله كل امرئ لاق ما يفر منه في فراره أي اذا كان مقدورا والا فقد رأينا من يفر من الشيء ويسلم لانه لم يقدر وهذا من قوله تعالى ولو كنتم في بروج مشيدة لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم ومن قوله تعالى قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم وفي القرآن العزيز مثل هذا كثير قوله والاجل مساق النفس أي الامر الذي تساق اليه وتنتهي عنده وتقف اذا بلغته فلا يبقى لها حينئذ أكلة في الدنيا قوله والهرب منه موافاته هذا كلام خارج مخرج المبالغة في عدم النجاة وكون الفرار غير مغن ولا عاصم من الموت يقول الهرب بعينه من الموت موافاة للموت أي اتيان اليه كأنه لم يرتض بأن يقول الهارب لا بد أن ينتهي الى الموت بل جعل نفس الهرب هو ملاقاة الموت قوله أبحثها أي أكشفها وأكثر ما يستعمل بحث معدى بحرف الجر وقد عداه بنفسه الى الايام والى مكنون الامر بحرف الجر وقد جاء بحثت الدجاجة التراب أي نبشته قوله فأبى الله الا اخفاءه هيهات علم مخزون تقديره هيهات ذلك مبتدأ وخبر هيهات اسم للفعل معناها بعد أي علم هذا الغيب علم مخزون مصون لم أطلع عليه فان قلت ما معنى قوله كم اطردت الايام أبحثها وهل علم الانسان بموته كيف يكون وفي أي وقت يكون وفي أي أرض يكون مما يمكن استدراكه بالنظر والفكر والبحث قلت مراده عليه السلام اني كنت في أيام رسول الله صلى الله عليه وآله أسأله كثيرا عن هذا الغيب فما أنبأني منه الا بامور اجمالية غير مفصلة ولم يأذن الله تعالى في اطلاعي على تفاصيل ذلك قوله فالله لا تشركوا به شيئا الرواية المشهورة فالله بالنصب وكذلك محمدا بتقدير فعل لان الوصية تستدعي الفعل بعدها أي وحدوا الله وقد روي بالرفع وهو جائز على المبتدأ أو الخبر قوله أقيموا هذين العمودين وأوقدوا هذين المصباحين وخلاكم ذم ما لم تشردوا كلام داخل في باب الاستعارة شبه الكتاب والسنة بعمودي الخيمة وبمصباحين يستضاء بهما وخلاكم ذم كلمة جارية مجرى المثل معناها ولا ذم عليكم فقد أعذرتم وذم مرفوع بالفاعلية ومعناه عداكم وسقط عنكم فان قلت اذا لم يشركوا بالله ولم يضيعوا سنة محمد صلى الله عليه وآله فقد قاموا بكل ما يجب وانتهوا عن كل ما يقبح فأي حاجة له الى أن يستثني ويقول ما لم تشردوا وانما كان يحتاج الى هذه اللفظة لو قال وصيتي اليكم أن توحدوا الله وتؤمنوا بنبوة محمد صلى الله عليه وآله كان حينئذ يحتاج الى قوله ما لم تشردوا ويكون مراده بها فعل الواجبات وتجنب المقبحات لانه ليس في الاقرار بالوحدانية والرسالة العمل بل العمل خارج عن ذلك فوجب اذا أوصى أن يوصي بالاعتقاد والعمل كما قال عمر لابي بكر في واقعة أهل الردة كيف تقاتلهم وهم مقرون بالشهادتين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله أمرت بأن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله فقال أبو بكر انه قال تتمة هذا فاذا هم قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وأداء الزكاة من حقها قلت مراده بقوله ما لم تشردوا ما لم ترجعوا عن ذلك فكأنه قال خلاكم ذم ان وحدتم الله واتبعتم سنة رسوله ودمتم على ذلك ولا شبهة ان هذا الكلام منتظم وان اللفظتين

الاولين ليستا بمغنيتين عن اللفظ الثالث وبتقدير أن يغنيا عنه فان في ذكره مزيد تأكيد وايضاح غير موجودين لو لم يذكر وهذا كقوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاؤلئك هم الفائزون وليس لقائل أن يقول من لا يخشى الله لا يكون مطيعا لله والرسول وأي حاجة به الى ذكر ما قد أغنى اللفظ الاول عنه قوله حمل كل امرئ مجهوده وخفف عن الجهلة هذا كلام متصل بما قبله لانه لما قال مالم تشردوا انباء عن تكليفهم كل ما وردت به السنة النبوية وأن يدوموا عليه وهذا في الظاهر تكليف أمور شاقة فاستدرك بكلام يدل على التخفيف فقال ان التكاليف على قدر المكلفين فالعلماء تكليفهم غير تكليف العامة وأرباب الجهل والمبادي كالنساء وأهل البادية وطوائف من الناس الغالب عليهم البلادة وقلة الفهم كاقاصي الحبشة والترك ونحوهم وهؤلاء عند المكلفين غير مكلفين الا بحمل التوحيد والعدل بخلاف العلماء الذين تكليفهم الأمور المفصلة وحل المشكلات الغامضة وقد روى حمل على صيغة الماضي ومجهوده بالنصب وخفف على صيغة الماضي أيضا ويكون الفاعل هو الله تعالى المتقدم ذكره والرواية الأولى أكثر وأليق ثم قال رب رحيم أي ربكم رب رحيم ودين قويم أي مستقيم وامام عليم يعني رسول الله صلى الله عليه وآله ومن الناس من يجعل رب رحيم فاعل خفف على رواية من رواه فعلا ماضيا وليس بمستحسن لان عطف الدين عليه يقتضي أن يكون الدين أيضا مخففا وهذا لا يصح ثم دعا لنفسه ولهم بالغفران ثم قسم الايام الماضية والحاضرة والمستقبلة قسمة حسنة فقال أنا بالامس صاحبكم وأنا اليوم عبرة لكم وغدا مفارقكم انما كان عبرة لهم لانهم يرونه بين أيديهم ملقى صريعا بعد ان صرع الابطال وقتل الاقران فهو كما قال الشاعر

> اكال اشلاء الفوارس بالقنا ＊ أضحى بهن وشلوه مأكول

ويقال دحضت قدم فلان أي زلت وزلقت ثم شبه وجوده في الدنيا بافياء الاغصان ومهاب الرياح وظلال الغمام لان ذلك كله سريع الانقضاء لاثبات له قوله اضمحل في الجو متلفقها وعفا في الارض مخطها اضمحل ذهب والميم زائدة ومنه الضحل وهو الماء القليل واضمحل السحاب تقشع وذهب وفي لغة الكلابيين امضحل الشئ بتقديم الميم ومتلفقها مجتمعها أي ما اجتمع من الغيوم في الجو والتلفيق الجمع وعفا درس ومخطها أثرها كالخط قوله وانما كنت جارا جاوركم بدني أياما في هذا الكلام اشعار بما يذهب اليه أكثر العقلاء من أمر النفس وان هوية الانسان شئ غير هذا البدن وقوله ستعقبون مني أي انما تجدون عقيب فقدي جثة يعني بدنا خلاء أي لا روح فيه بل قد أقفر من تلك المعاني التي كنتم تعرفونها وهي العقل والنطق والقوة وغير ذلك ثم وصف تلك الجثة فقال ساكنة بعد حراك بالفتح أي بعد حركة وصامتة بعد نطق وهذا الكلام أيضا مشعر بما قلناه من أمر النفس بل يصرح بذلك ألا تراه قال ستعقبون مني جثة أي تستبدلون بي جثة صفتها كذا وتلك الجثة هي جثته عليه السلام ومحال أن يكون العوض والمعوض عنه واحدا فدل على ان هويته عليه السلام التي أعقبتنا منها الجثة غير الجثة قوله ليعظكم هدوي أي سكوني وخفوت اطراقي مثله خفت خفوتا سكن وخفت خفاتا مات فجأة واطراقه ارخاؤه عينيه ينظر الى الارض لضعفه عن رفع جفنه وسكون أطرافه يداه ورجلاه ورأسه عليه السلام قال فانه أوعظ للمعتبرين من المنطق البليغ والقول المسموع وصدق عليه السلام فان خطبا أخرس ذلك اللسان وهد تلك القوى لخطب جليل ويجب أن يتعظ العقلاء به وما عسى يبلغ قول الواعظين بالاضافة الى من شاهد تلك الحال بل بالاضافة الى من سمعها وأفكر فيها فضلا عن مشاهدتها عيانا وفي هذا الكلام شبه من كلام الحكماء الذين تكلموا عند تابوت الاسكندر فقال أحدهم حركنا بسكونه وقال الآخر قد كان سيفك لا يجف وكانت مراقيك لا ترام وكانت نقماتك لا تؤمن وكانت عطاياك يفرح بها وكان ضياؤك لا ينكشف فأصبح ضوءك قد خمد وأصبحت نقماتك لا تخشى وعطاياك لا ترجى ومراقيك لا تمنع وسيفك لا يقطع وقال الآخر انظروا الى حلم المنام كيف انجلى والى ظل الغمام كيف انسرى وقال آخر ما كان أحوجه الى هذا الحلم والى هذا الصبر والسكون أيام حياته وقال آخر القدرة العظيمة التي ملأت الدنيا العريضة الطويلة طويت في ذراعين وقال الآخر أصبح آسر الاسراء أسيرا وقاهر الملوك مقهورا كان بالامس مالكا فصار اليوم هالكا ثم قال عليه السلام ودعتكم

وداع امرئ مرصد للتلاق أرصدته لكذا اي أعددته له وفي الحديث الأ أن أرصده لدين علي والتلاق ههنا لقاء الله ويروى وداعيكم أي وداعي اياكم والوداع مفتوح الواو ثم قال غدا ترون أيامي ويكشف لكم عن سرائري وتعرفونني بعد خلو مكاني وقيام غيري مقامي هذا معنى قد تداوله الناس قديما وحديثا قال أبو تمام

> راحت وفود الارض عن قبره ＊ فارغة الايدي ملاء القلوب
> قد علمت ما رزئت انما ＊ تعرف قدر الشمس بعد الغروب

وقال أبو الطيب

> ونذيمهم وبهم عرفنا فضله ＊ وبضدها تتبين الاشياء

ومن أمثالهم الضد يظهر حسنه الضد ومنها أيضا لولا مرارة المرض لم تعرف حلاوة العافية وانما قال عليه السلام ويكشف لكم عن سرائري لانهم بعد فقده وموته يظهر لهم ويثبت عندهم اذا رأوا وشاهدوا امرة من بعده انه انما كان يريد بتلك الحروب العظيمة وجه الله تعالى وأن لا يظهر المنكر في الارض وان ظن قوم في حياته انه كان يريد الملك والدنيا

(الاصل) ＊(وَمِنْ خطبة لهُ عليهِ السلامُ)＊

ويومئ فيها الى الملاحم

وأَخَذُوا يَمِيناً وَشِمالاً طَعْناً فِى مَسالِكِ الغَىِّ ＊ وتَرْكاً لِمَذاهِبِ الرُّشْدِ ＊ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوا ماهُوَ كائِنٌ مُرْصَدٌ ＊ ولاَ تَسْتَبْطِئُوا ما يَجِيءُ بِهِ الغَدُ ＊ فَكَمْ مِنْ مُسْتَعْجِلٍ بِما إِنْ أَدْرَكَهُ وَدَّ أَنَّهُ لَمْ يُدْرِكْهُ ＊ وما أَقْرَبَ اليَوْمَ مِنْ تَباشِيرِ غَدٍ ＊ ياقَوْمِ هذا إِبّانُ وُرُودِ كُلِّ مَوْعُودٍ ＊ ودُنُوٌّ مِنْ طَلْعَةِ مالاَ تَعْرِفُونَ ＊ أَلاَ وانَّ مَنْ أَدْرَكَها مِنّا يَسْرِى فِيها بِسِراجٍ مُنِيرٍ ＊ ويَحْذُو فِيها على مِثالِ الصالِحِينَ ＊ لِيَحُلَّ فِيها رِبْقاً ＊ ويُعْتِقَ فِيها رِقّاً ويَصْدَعَ شَعْباً ويَشْعَبَ صَدْعاً فِي سُتْرَةٍ عَنِ النّاسِ لاَ يُبْصِرُ القائِفُ أَثَرَهُ ＊ ولَوْ تابَعَ نَظَرَهُ ＊ ثُمَّ لَيُشْحَذَنَّ فِيها قَوْمٌ شَحْذَ القَيْنِ النَّصْلَ ＊ تُجْلَى بِالتَّنْزِيلِ أَبْصارُهُمْ ＊ ويُرْمَى بِالتَّفْسِيرِ فِى مَسامِعِهِمْ ＊ ويُغْبَقُونَ كَأْسَ الحِكْمَةِ بَعْدَ الصَّبُوحِ

(الشرح) يذكر عليه السلام قوما من فرق الضلال أخذوا يمينا وشمالا أي ضلوا عن الطريق الوسطى التي هي منهاج الكتاب والسنة وذلك لان كل فضيلة وحق فهو محبوس بطرفين خارجين عن العدالة وهو جانبا الافراط والتفريط كالفطانة التي هي محبوسة بالجربزة والغباوة والشجاعة التي هي محبوسة بالتهور والجبن والجود المحبوس بالتبذير والشح فمن لم يقع على الطريق الوسطى وأخذ يمينا وشمالا فقد ضل ثم فسر قوله أخذ يمينا وشمالا فقال ظعنوا ظعنا في مسالك الغي وتركوا مذاهب الرشد تركا وينصب تركا وظعنا على المصدرية والعامل فيهما من غير لفظهما وهو قوله أخذوا ثم نهاهم عن استعجال ما هو معد ولا بد من كونه ووجوده وانما سماه كائنا لقرب كونه كما قال تعالى انك ميت وانهم ميتون ونهاهم أن يستبطئوا ما يجيء في الغد لقرب وقوعه كما قال وان غدا للناظرين قريب وقال الآخر غد ما غد ما أقرب اليوم من غد وقال تعالى ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب ثم قال كم من مستعجل أمرا ويحرص عليه فاذا حصل ود انه لم يحصل قال أبو العتاهية

> من عاش لاقى ما يسو ＊ ء من الأمور وما يسر ＊ ولرب حتف فوقه ＊ ذهب وياقوت ودر

وقال آخر

> فلا تتمنين الدهر شيأ ＊ فكم أمنية جلبت منية

وقال تعالى وعسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون وتباشير الصبح أوائله ثم قال ياقوم قد دنا وقت القيامة وظهور الفتن التي تظهر أمامها وايذان الشئ بالكسر والتشديد وقته وزمانه وكنى عن تلك الاهوال بقوله ودنو من طامة مالا تعرفون لان تلك الملاحم والآثار الهائلة غير معهود مثلها نحو دابة الارض والدجال وفتنته ومايظهر على يده من المخاريق والامور الموهمة وواقعة السفياني ومايقتل فيهامن الخلائق الذين لايحصى عددهم ثم ذكران مهدي آل محمد صلى الله عليه وآله وهو الذي عنى بقوله وان من أدركها منايسرى في ظلمات هذه الفتن بسراج منير وهو المهدي واتباع الكتاب والسنة ويحذو فيها يقتفي ويتبع مثال الصالحين ليحل في هذه الفتن ربقا أي حبلا معقودا ويعتق رقاأي يستفك أسرى وينقذ مظلومين من أيدي ظالمين ويصدع شعباأي يفرق جماعة من جماعات الضلال ويشعب صدعا يجمع ماتفرق من كلمة أهل الهدى والايمان قوله عليه السلام في سترة عن الناس هذا الكلام يدل على استتار هذا الانسان المشار اليه وليس ذلك بنافع للامامية في مذهبهم وان ظنوا أنه تصريح بقولهم وذلك لانه من الجائز أن يكون هذا الامام يخلقه الله تعالى في آخر الزمان ويكون مستترا مدة وله دعاة يدعون اليه ويقررون أمره ثم يظهر بعد ذلك الاستتار ويملك الممالك ويقهر الدول ويمهد الارض كما ورد في قوله لا يبصر القائف أي هو في استتار شديد لا يدركه القائف وهو الذي يعرف الآثار والجمع قافة ولا يعرف أثره ولواستقصى في الطلب وتابع النظر والتأمل ويقال شحذت السكين أشحذه شحذا أي حددته يريد ليحرضن في هذه الملاحم قوم على الحرب وقتل أهل الضلال وليشحذن عزائمهم كما يشحذ الصيقل السيف ويرقق حده ثم وصف هؤلاء القوم المشحوذي العزائم فقال تجلى بصائرهم بالتنزيل أي يكشف الرين والغطاء عن قلوبهم بتلاوة القرآن والهامهم تأويله ومعرفة اسراره ثم صرح بذلك فقال ويرمى بالتفسير في مسامعهم ويكشف لهم الغطاء وتخلق المعارف في قلوبهم ويلهمون فهم الغوامض والاسرار الباطنة ويغبقون كأس الحكمة بعد الصبوح أي لا تزال المعارف الربانية والاسرار الالهية تفيض عليهم صباحا ومساء فالغبوق كناية عن الفيض الحاصل لهم في الآصال والصبوح كناية عما يحصل لهم منه في الغدوات وهؤلاء هم العارفون الذين جمعوا بين الزهد والحكمة والشجاعة وحقيق بمثلهم أن يكونوا أنصار الولي الله الذي يجتبيه ويخلقه في آخر أوقات الدنيا فيكون خاتمة أوليائه والذي يلقى عصا التكليف عنده

(الاصل) (منها) وطالَ الأمَدُ بِهِمْ لِيَسْتَكْمِلُوا الخِزْيَ * ويَسْتَوْجِبُوا الغِيَرَ * حتَّى اذَا اخْلَوْلَقَ الأَجَلُ * واسْتَرَاحَ قَوْمٌ الَى الفِتَنِ * واشْتَالُوا عَنْ لِقاحِ حَرْبِهِمْ * لَمْ يَمُنُّوا على اللهِ بالصَّبْرِ * ولَمْ يَسْتَعْظِمُوا بَذْلَ أنْفُسِهِمْ في الحَقِّ * حتَّي اذَا وافَقَ وارِدُ القَضاءِ انْقِطاعَ مُدَّةِ البَلَاءِ * حَمَلُوا بَصائِرَهُمْ على أسْيافِهِمْ * ودَانُوا لِرَبِّهِمْ بأمْرِ واعِظِهِمْ

(الشرح) هذا الكلام يتصل بكلام قبله لم يذكره الرضي رحمه الله وهو وصف فئة ضالة قد استولت وملكت وأملى لها الله سبحانه قال عليه السلام وطال الأمد بهم ليستكملوا الخزي ويستوجبوا الغير أي النعم التي يغيرها بهم من نعم الله سبحانه كما قال واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وكما قال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون حتى اذا اخلولق الأجل أي قارب أمرهم الانقضاء من قولك اخلولق السحاب أي استوى وصار خليقا بأن يمطر واخلولق الرسم استوى مع الارض واستراح قوم الى الفتن أي صبا قوم من شيعتنا وأوليائنا الى هذه الفئة واستراحوا الى ضلالها وفتنتها واتبعوها واشتالوا عن لقاح حربهم أي رفعوا أيديهم وسيوفهم عن أن يشبوا الحرب بينهم وبين هذه الفئة مهادنة لها وسلما وكراهية للقتال يقال شال فلان كذا أي رفعه واشتال افتعل هو

في نفسه كقولك حجم زيد عمرا واحتجم هو نفسه ولقاح حربهم هو بفتح اللام مصدر من لقحت الناقة قوله لم يمنوا هذا جواب قوله حتى اذا والضمير في يمنوا راجع الى العارفين الذين تقدم ذكرهم في الفصل السابق ذكره يقول حتى اذا ألقى هؤلاء السلم الى هذه الفئة عجزوا عن القتال واستراحوا من منابذتهم بدخولهم في ضلالتهم وفتنتهم اما تقية منهم أو لشبهة دخلت عليهم أنهض الله تعالى هؤلاء العارفين الشجعان الذين خصهم بحكمته وأطلعهم على أسرار ملكوته فنهضوا ولم يمنوا على الله تعالى بصبرهم ولم يستعظموا أن يبذلوا في الحق نفوسهم قال حتى اذا وافق قضاء الله تعالى وقدره في انقضاء مدة تلك الفئة وارتفاع ما كان شمل الخلق من البلاء بملكها وامرتها حمل هؤلاء العارفون بصائرهم على أسيافهم وهذا معنى لطيف يعني أنهم أظهروا بصائرهم وعقائدهم وقلوبهم للناس وكشفوها وجردوها من جفانها مع تجريد السيوف من أجفانها فكأنها شئ محمول على السيوف يبصره من يبصر السيوف ولاريب أن السيوف المجردة من أجلى الأجسام للابصار فكذلك ما يكون محمولا عليها ومن الناس من فسر هذا الكلام فقال أراد بالبصائر جمع بصيرة وهو الدم فكأنه أراد طلبوا ثارهم والدماء التي سفكتها هذه الفئة وكأن تلك الدماء المطلوب ثارها محمولة على أسيافهم التي جردوها للحرب وهذا اللفظ قد قاله بعض الشعراء المتقدمين بعينه راحوا بصائرهم على أكتافهم * وبصيرتي يعدو بها عتد وفسره أبو عمرو بن العلاء فقال يريد أنهم تركوا دم أبيهم وجعلوه خلفهم أي لم يثأروا به وأنا طلبت ثاري وكان أبو عبيدة معمر بن المثنى يقول في هذا البيت البصيرة الترس أو الدرع ويرويه حملوا بصائرهم

(الاصل) (منها) حتَّي اذَا قَبَضَ اللهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ رَجَعَ قَوْمٌ على الأعْقابِ وغالَتْهُمُ السُّبُلُ واتَّكَلُوا على الوَلَائِجِ ووَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ وهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ * ونَقَلُوا البِناءَ عَنْ رَصِّ أساسِهِ فبَنَوْهُ في غَيْرِ مَوْضِعِهِ * مَعادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ * وأبْوابُ كُلِّ ضارِبٍ في غَمْرَةٍ * قَدْ مارُوا في الحَيْرَةِ * وذَهَلُوا في السَّكْرَةِ * على سُنَّةٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ مِنْ مُنْقَطِعٍ إلى الدُّنْيا رَاكِنٍ * أوْ مُفارِقٍ لِلدِّينِ مُبايِنٍ

(الشرح) رجعوا على الاعقاب تركوا ما كانوا عليه قال سبحانه ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ وغالتهم السبل أهلكهم اختلاف الآراء والاهواء غاله كذا أي أهلكه والسبل الطرق والولائج جمع وليجة وهي البطانة يتخذها الانسان لنفسه قال سبحانه ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة ووصلوا غير الرحم أي غير رحم الرسول صلى الله عليه وآله فذكرها عليه السلام ذكرا مطلقا غير مضاف للعلم بها كما يقول القائل أهل البيت فيعلم السامع أنه أراد أهل بيت الرسول وهجروا السبب يعني أهل البيت أيضا وهذه اشارة الى قول النبي صلى الله عليه وآله خلفت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي حبلان ممدودان من السماء الى الارض لا يفترقان حتى يردا على الحوض فعبر أمير المؤمنين عن أهل البيت بلفظ السبب لما كان النبي صلى الله عليه وآله قال حبلان والسبب في اللغة الحبل ومعنى قوله أمروا بمودته قول الله تعالى قل لا أسئلكم عليه أجرا الا المودة في القربى قوله ونقلوا البناء عن رص أساسه الرص مصدر رصصت الشئ أرصه أي ألصقت بعضه ببعض ومنه قوله تعالى كأنهم بنيان مرصوص وتراص القوم في الصف أي تلاصقوا فبنوه في غير موضعه ونقلوا الامر عن أهله الى غير أهله ثم ذمهم عليه السلام وقال انهم معادن كل خطيئة وأبواب كل ضارب في غمرة الغمرة الضلال والجهل والضارب فيها الداخل المعتقد لها قد ماروا في الحيرة مار يمور اذا ذهب وجاء فكأنهم يسبحون في الحيرة كما يسبح الانسان في الماء وذهل فلان بالفتح يذهل على سنة من آل فرعون أي على طريقة وآل فرعون أتباعه قال تعالى ادخلوا آل فرعون أشد العذاب من منقطع الى الدنيا لاهم له غيرها راكن مخلد اليها قال الله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا أو مفارق للدين ومباين مزايل فان قلت

أى فرق بين الرجلين وهل يكون المنقطع الى الدنيا الامفارقا للدين قلت قد يكون فى أهل الضلال من هو مفارق للدين مباين وليس براكن الى الدنيا ولا منقطع اليها كما نرى كثيرا من أحبار النصارى ورهبانهم فان قلت أليس هذا الفصل صريحا فى تحقيق مذهب الامامية قلت لا بل نحمله على انه عنى عليه السلام أعداءه الذين حاربوه من قريش وغيرهم من أفناء العرب فى أيام صفين وهم الذين نقلوا البناء وهجروا السبب ووصلوا غير الرحم واتكلوا على الولائج وغالتهم السبل ورجعوا على الاعقاب كعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ومروان بن الحكم والوليد بن عقبة وحبيب ابن مسلمة وبسر بن أرطاة وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وحوشب وذى الكلاع وشرحبيل بن السمط وأبى الاعور السلمى وغيرهم ممن تقدم ذكرناله فى الفصول المتعلقة بصفين واخبارها فان هؤلاء نقلوا الامامة عنه عليه السلام الى معاوية فنقلوا البناء عن رص أصله الى غير موضعه فان قلت لفظ الفصل يشهد بخلاف ما تأولته لانه قال عليه السلام حتى اذا قبض الله رسوله رجع قوم على الاعقاب فجعل رجوعهم على الاعقاب عقيب قبض الرسول صلى الله عليه وآله وما ذكرته أنت كان بعد قبض الرسول بنيف وعشرين سنة قلت ليس يمتنع أن يكون هؤلاء المذكورون رجعوا على الاعقاب لما مات رسول الله صلى الله عليه وآله وأضمروا فى أنفسهم مشاقة أمير المؤمنين وأذاه وقد كان فيهم من يتحكك به فى أيام أبى بكر وعمر وعثمان ويتعرض له ولم يكن أحد منهم ولا من غيرهم يقدم على ذلك فى حياة رسول الله ولا يمتنع أيضا أن يريد برجوعهم على الاعقاب ارتدادهم عن الاسلام بالكلية فان كثيرا من أصحابنا يطعنون فى ايمان بعض من ذكرناه ويعدونهم من المنافقين وقد كان سيف رسول الله صلى الله عليه وآله يقمعهم ويردعهم عن اظهار ما فى أنفسهم من النفاق فاظهر قوم منهم بعده ما كانوا يضمرونه من ذلك خصوصا فيما يتعلق بأمير المؤمنين الذى ورد فى حقه ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله الا ببغض على بن أبى طالب عليه السلام وهو خبر محقق مذكور فى الصحاح فان قلت يمنعك من هذا التأويل قوله ونقلوا البناء عن رص أساسه فجعلوه فى غير موضعه وذلك لان اذا ظرف والعامل فيها قوله رجع قوم على الاعقاب وقد عطف عليه قوله ونقلوا البناء فاذا كان الرجوع على الاعقاب واقعا فى الظرف المذكور وهو وقت قبض الرسول وجب أن يكون نقل البناء الى غير موضعه واقعا فى ذلك الوقت أيضا لان أحد الفعلين معطوف على الآخر ولم ينقل أحد وقت قبض الرسول صلى الله عليه وآله البناء الى معاوية عن أمير المؤمنين عليه السلام وانما نقل عنه الى شخص آخر وفى اعطاء العطف حقه اثبات مذهب الامامية صريحا قلت اذا كان الرجوع على الاعقاب واقعا وقت قبض النبى صلى الله عليه وآله فقد قمنا بما يجب من وجود عامل فى الظرف ولا يجب أن يكون نقل البناء الى غير موضعه واقعا فى تلك الحال أيضا بل يجوز أن يكون واقعا فى زمان آخر اما بأن تكون الواو للاستئناف لا للعطف أو بأن تكون للعطف فى مطلق الحدث لا فى وقوع الحدث فى ذلك الزمان المخصوص كقوله تعالى حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه فالعامل فى الظرف استطعما ويجب أن يكون استطعامهما وقت اتيانهما أهلها لا محالة ولا يجب أن تكون جميع الافعال المذكورة المعطوفة واقعة حال الاتيان أيضا ألا ترى ان من جملتها فأقامه ولم يكن اقامة الجدار حال اتيانهما القرية بل متراخيا لانه لا يمكن ان يجعل اقامة الجدار مقارنا للاتيان الا على هذا الوجه وهذا لم يكن ولا قاله مفسر ولو كان قد وقع على هذا الوجه لما قال له لو شئت لاتخذت عليه أجرا لان الأجر انما يكون على اعتمال عمل فيه مشقة وانما يكون فيه مشقة اذا بناه بيده وباشره بجوارحه وأعضائه واعلم انا نحمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام على ما يقتضيه سؤدده الجليل ومنصبه العظيم ودينه القويم من الاغضاء عما سلف ممن سلف فقد كان صاحبهم بالمعروف برهة من الدهر فاما أن يكون ما كانوا فيه حقهم أو حقه فتركه لهم رفعا لنفسه عن المنازعة أو لما رآه من المصلحة وعلى كلا التقديرين فالواجب علينا أن نطبق بين آخر أفعاله وأقواله بالنسبة اليهم وبين أولها فان بعد تأويل ما تأولناه من كلامه فليس بأبعد من تأويل أهل التوحيد والعدل الآيات المتشابهة فى القرآن ولم يمنع بعدها من الخوض فى تأويلها محافظة على الأصول المقررة فكذلك ههنا

(الاصل)

(الاصل) ﴿ ومن خطبة له عليه السلام ﴾

وَأَسْتَعِينُهُ على مَدَاحِرِ الشَّيْطانِ وَمَزَاجِرِهِ * وَالاعْتِصامِ مِنْ حَبائِلِهِ وَمَخاتِلِهِ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَنَجِيبُهُ وَصَفْوَتُهُ لا يُوَازَى فَضْلُهُ وَلا يُجْبَرُ فَقْدُهُ أَضاءَتْ بِهِ الْبِلادُ بَعْدَ الضَّلالَةِ الْمُظْلِمَةِ وَالْجَهالَةِ الْغالِبَةِ وَالْجَفْوَةِ الْجافِيَةِ وَالنَّاسُ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيمَ وَيَسْتَذِلُّونَ الْحَكِيمَ يَحْيَوْنَ على فَتْرَةٍ * وَيَمُوتُونَ على كَفْرَةٍ ثُمَّ إِنَّكُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ أَغْراضُ بَلايا قَدِ اقْتَرَبَتْ فاتَّقُوا سَكَرَاتِ النِّعْمَةِ وَاحْذَرُوا بَوَائِقَ النِّقْمَةِ * وَتَثَبَّتُوا فِي قَتامِ الْعِشْوَةِ وَاعْوِجاجِ الْفِتْنَةِ عِنْدَ طُلُوعِ جَنِينِها وَظُهُورِ كَمِينِها وَانْتِصابِ قُطْبِها وَمَدارِ رَحاها تَبْدُو فِي مَدارِجَ خَفِيَّةٍ * وَتَؤُولُ إِلى فَظاعَةٍ جَلِيَّةٍ * شِبابُها كَشِبابِ الْغُلامِ * وَآثارُها كَآثارِ السِّلامِ * تَتَوارَثُها الظَّلَمَةُ بِالْعُهُودِ * أَوَّلُهُمْ قائِدٌ لِآخِرِهِمْ وَآخِرُهُمْ مُقْتَدٍ بِأَوَّلِهِمْ يَتَنافَسُونَ فِي دُنْيا دَنِيَّةٍ * وَيَتَكالَبُونَ على جِيفَةٍ مُرِيحَةٍ * وَعَنْ قَلِيلٍ يَتَبَرَّأُ التَّابِعُ عَنِ الْمَتْبُوعِ وَالْقائِدُ مِنَ الْمَقُودِ فَيَتَزايَلُونَ بِالْبَغْضاءِ * وَيَتَلاعَنُونَ عِنْدَ اللِّقاءِ * ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذلِكَ طالِعُ الْفِتْنَةِ الرَّجُوفِ * وَالْقاصِمَةِ الزَّحُوفِ * فَتَزِيغُ قُلُوبٌ بَعْدَ اسْتِقامَةٍ وَتَضِلُّ رِجالٌ بَعْدَ سَلامَةٍ وَتَخْتَلِفُ الْأَهْواءُ عِنْدَ هُجُومِها * وَتَلْتَبِسُ الآراءُ عِنْدَ نُجُومِها مَنْ أَشْرَفَ لَها قَصَمَتْهُ * وَمَنْ سَعى فِيها حَطَمَتْهُ * يَتَكادَمُونَ فِيها تَكادُمَ الْحُمُرِ فِي الْعانَةِ * قَدِ اضْطَرَبَ مَعْقُودُ الْحَبْلِ وَعَمِيَ وَجْهُ الْأَمْرِ تَغِيضُ فِيها الْحِكْمَةُ * وَتَنْطِقُ فِيها الظَّلَمَةُ وَتَدُقُّ أَهْلَ الْبَدْوِ بِمِسْحَلِها * وَتَرُضُّهُمْ بِكَلْكَلِها يَضِيعُ فِي غُبارِها الْوُحْدانُ وَيَهْلِكُ فِي طَرِيقِها الرُّكْبانُ * تَرِدُ بِمُرِّ الْقَضاءِ وَتَحْلُبُ عَبِيطَ الدِّماءِ * وَتَثْلِمُ مَنارَ الدِّينِ وَتَنْقُضُ عَقْدَ الْيَقِينِ تَهْرُبُ مِنْها الْأَكْياسُ * وَتُدَبِّرُها الْأَرْجاسُ * مِرْعادٌ مِبْراقٌ كاشِفَةٌ عَنْ ساقٍ تُقْطَعُ فِيها الْأَرْحامُ * وَيُفارَقُ عَلَيْها الْإِسْلامُ * بَرِيُّها سَقِيمٌ * وَظاعِنُها مُقِيمٌ

(الشرح) مداحر الشيطان الامور التى يدحر بها أى يطرد ويبعد دحرته ادحره دحورا قال تعالى دحورا ولهم عذاب واصب وقال سبحانه اخرج منها مذؤما مدحورا أى مقصى ومزاجره الامور يزجر بها جمع مزجر ومزجرة وكثيرا ما يبنى عليه السلام من الافعال مفعلا ومفعلة ويجمعه واذا تأملت كلامه عرفت ذلك وحبائل الشيطان مكايده واشراكه التى يضل بها البشر ومخاتله الامور التى يختل بها بالكسر أى يخدع لا يوازى فضله لا يساوى واللفظة مهموزة آذيت فلانا حاذيته ولا يجوز واذيته ولا يجبر فقده لا يسد أحد مسده بعده والجفوة الجافية غلظ الطبع وبلادة الفهم ويستذلون الحكيم يستضيمون العقلاء واللام ههنا للجنس كقوله وجاء ربك والملك صفا صفا يحيون على فترة على انقطاع الوحى

مابين نبوتين و يموتون على كبرة بالفتح واحدة السكرات كالضربة واحدة الضربات و يروى ثم انكم معشر الناس والاعراض الاهداف وسكرات النعمة ماتحدثه النعم عند أربابها من الغفلة المشابهة السكر قال الشاعر

خمس سكرات اذا منى المرء ✲ بها صار عرضة للزمان
سكرة المال والحداثة والعشق وسكر الشراب والسلطان

ومن كلام الحكماء للوالي سكرة لايفيق منها الا بالعزل والبوائق الدواهي جمع بائقة يقال باقتهم الداهية بوقا أى أصابتهم وكذلك باقتهم بؤوق على فعول وابتاقت عليهم بائقة شر مثل انباحت أى انفتقت وانباق عليهم الدهر هجم بالداهية كما يخرج الصوت من البوق وفى الحديث لايدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه أى غوائله وشره والقتام بفتح القاف الغبار والاقتم الذى يعلوه قتمة وهو لون فيه غبرة وحمرة والعشوة بكسر العين ركوب الامر على غير بيان ووضوح و يروى وتبينوا فى قتام العشوة كما قرئ ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا وافتثبتوا واعوجاج الفتنة أخذها فى غير القصد وعدولها عن المنهج ثم كنى عن ظهور المستور المخفى منها بقوله عند طلوع جنينها وظهور كمينها والجنين الولد مادام فى البطن والجمع أجنة و يجوز أن لا يكون الكلام كناية بل صريحا أى عند طلوع ما استجن منها أى استتر وظهور ماكمن أى مابطن وكنى عن استحكام أمر الفتنة بقوله وانتصاب قطبها ومدار رحاها ثم قال انها تبدو يسيرة ثم تصير كثيرة والفظاعة مصدر فظع بالضم فهو فظيع أى شديد شنيع تجاوز المقدار وكذلك أفظع الرجل فهو مفظع وأفظع الرجل على مالم يسم فاعله نزل به امر عظيم وأفظعت الشئ وجدته فظيعا ومثلها استفظعته وهذا المعنى كما قال الشاعر

ولربما هاج الكبير من الأمور لك الصغير

وفى المثل والشر تبدؤه صغاره وقال الشاعر

فان النار بالعودين تذكى ✲ وان الحرب أولها كلام

وقال أبو تمام رب قليل جدا كثير ✲ كم مطر بدؤه مطير
وقال أيضا لاتذيلن صغير همك وانظر ✲ كم بذى الاسل دوحة من قضيب

قوله شبابها كشباب الغلام بالكسر مصدر شب الفرس والغلام يشب و يشب شبابا وشبيبا اذا قمص ولعب وأشببته أنا أى هجته والسلام الحجارة جمع واحده سلمة بكسر اللام يذكر الفتنة و يقول انها تبدو فى أول الامر وأربابها يمرحون و يشبون كما يشب الغلام و يمرح ثم تؤول الى أن تعقب فيهم آثارا كآثار الحجارة فى الأبدان قال الشاعر

والحب مثل الحرب أو ✲ لها التخيل والنشاط وختامها أمر يسوق الى تضرب انقطاط

ثم ذكر ان هذه الفتنة يتوارثها قوم من قوم وكلهم ظالم أولهم يقود آخرهم كما يقود الانسان القطار من الابل وهو أمامها وهى تتبعه وآخرهم يقتدى بأولهم أى يفعل فعله و يحذو حذوه وجيفة مريحة منتنة أراحت ظهر ريحها و يجوز أن تكون من أراح البعير أى مات وقد جاء فى أراح بمعنى أنتن راح بلا همز ثم ذكر تبرؤ التابع من المتبوع يعنى يوم القيامة فان قلت ان الكتاب العزيز انما ذكر تبرؤ المتبوع من التابع فى قوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب وههنا قد عكس ذلك فقال ان التابع يتبرأ من المتبوع قلت انه قد ورد فى الكتاب العزيز مثل ذلك فى قوله أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعو من قبل شيأ فقولهم لم نكن ندعو من قبل شيأ هو التبرؤ وهو قوله حكاية عنهم والله ربنا ما كنا مشركين وهذا هو التبرؤ ثم ذكر عليه السلام ان القائد يتبرأ من المقود أى يتبرؤ المتبوع من التابع فيكون كل من الفريقين تبرأ من صاحبه كما قال سبحانه و يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض و يلعن بعضكم بعضا و يتزايلون يتفرقون قوله ثم يأتى بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف طالعها مقدماتها وأوائلها وسماها رجوفا لشدة الاضطراب فيها فان قلت ألم يكن قلت ان قوله عن قليل يتبرأ التابع من المتبوع يعنى به يوم القيامة فكيف يقول ثم يأتى بعد ذلك طالع الفتنة وهذا انما يكون قبل القيامة قلت انه لما ذكر تنافس الناس على الجيفة المنتنة وهى الدنيا أراد أن يقول بعده بلا فصل ثم يأتى بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف لكنه لما تعجب من تزاحم الناس وتكالبهم

على تلك الجيفة أراد أن يؤكد ذلك التعجب فأتى بجملة معترضة بين الكلامين تؤكد معنى تعجبه منهم فقال انهم على ماقد ذكرنا من تكالبهم عليها عن قليل يتبرأ بعضهم من بعض و يلعن بعضهم بعضا وذلك ادعى لهم لو كانوا يعقلون الى أن يتركوا التكالب والتهارش على هذه الجيفة الخسيسة ثم عاد الى نظام الكلام فقال ثم يأتى بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف ومثل هذا الاعتراض فى الكلام كثير وخصوصا فى القرآن وقد ذكرنا منه فيما تقدم طرفا قوله والقاصمة الزحوف القاصمة الكاسرة وسماها زحوفا تشبيها لمشبهها قدما بمشى الدبى الذى يهلك الزروع و يبيدها والزحف السير على تؤدة كسير الجيوش بعضها الى بعض قوله وتزيغ قلوب أى تميل وهذه اللفظة والتى بعدها دالتان على خلاف ماتذهب اليه الامامية من ان المؤمن لايكفر وناصرتان لمذهب أصحابنا ونجومها مصدر نجم الشر اذا ظهر من أشرف لها من صادمها وقابلها ومن سعى فيها أى فى تسكينها واطفائها وهذا كله اشارة الى الملحمة الكائنة فى آخر الزمان والتكادم التعاض بأدنى الفم كما يكدم الحمار و يقال كدم يكدم والمكدم المعض والعانة القطيع من حمر الوحش والجمع عون تغيض فيها الحكمة تنقص فان قلت ليس قوله وتنطق فيها الظلمة واقعا فى نقيض قوله تغيض فيها الحكمة فأين هذا من الخطابة التى هو فيها نسيج وحده قلت بل المناقضة ظاهرة لان الحكمة اذا غاضت فيها لم ينطق بها أحد ولا بد من نطق ما فاذا لم تنطق الحكماء وجب أن يكون النطق لمن ليس من الحكماء فهو من الظلمة فقد ثبت التناقض والمسحل المبرد يقول تنحت أهل البدو وتسحتهم كما تسحت الحديد أو الخشب بالمبرد وأهل البدو أهل البادية و يجوز أن يريد بالمسحل الحلقة التى فى طرف شكيم اللجام المعترضة بازاء حلقة أخرى فى الطرف الآخر وتدخل احداهما فى الاخرى بمعنى ان هذه الفتنة تصدم أهل البدو بمقدمة جيشها كما يصدم الفارس الراجل أمامه بمسحل لجام فرسه والكلكل الصدر وترضهم تدقهم دقا جريشا قوله تضيع فى غبارها الوحدان جمع واحد مثل شاب وشبان وراع ورعيان و يجوز الاحدان بالهمز أى من كان يسير وحده فانه يهلك بالكلية فى غبارها وأما اذا كانوا جماعة ركبانا فانهم يضلون وهو أقرب من الهلاك و يجوز أن يكون الوحدان جمع أوحد يقال فلان أوحد الدهر وهؤلاء الوحدان أو الاحدان مثل أسود وسودان أى يضل فى هذه الفتنة وضلالها الذى كنى عنه بالغبار فضلاء عصرها وعلماء عهدها لغموض الشبهة فيها واستيلاء الباطل على أهل وقتها و يكون معنى الفقرة الثانية على هذا التفسير ان الراكب الذى هو مظنة النجاة لاينجو والركبان جمع راكب ولا يكون الا ذا بعير قوله يرد بمر القضاء أى بالبوار والهلاك والاستئصال فان قلت أيجوز أن يقال للفتنة القبيحة انها من القضاء قلت نعم لا بمعنى الخلق بل بمعنى الاعلام كما قال سبحانه وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن أى أعلمناهم أى ترد هذه الفتنة باعلام الله تعالى لمن يشاء اعلامه من المكلفين انها أم اللهيم التى لاتبقى ولاتذر فذلك الاعلام هو المر الذى لايبلغ الوصف مرارته لان الاخبار عن حلول المكروه الذى لامدفع عنه ولا محيص منه مر جدا قوله وتحلب عبيط الدماء أى هذه الفتنة يحلبها الحالب دما عبيطا وهذه كناية عن الحرب وقد قال عليه السلام فى موضع آخر اما والله ليحلبنها دما وليتبعنها ندما والعبيط الدم الطرى الخالص وثلمت الاناء أثلمه بالكسر والاكياس العقلاء والارجاس جمع رجس وهو القذر والنجس والمراد ههنا الفاسقون فاما أن يكون على حذف المضاف أى و يدبرها ذوو الارجاس أو أن يكون جعلهم الارجاس أنفسها لما كانوا قد أسرفوا فى الفسق فصاروا كأنهم الفسق والنجاسة نفسها كما يقال رجل عدل ورجل رضا قوله مرعاد مبراق أى ذات وعيد وتهدد و يجوز أن يعنى بالرعد صوت السلاح وقعقعته و بالبرق لونه وضوءه وكاشفة عن ساق عن شدة ومشقة قوله بريئها سقيم يمكن أن يعنى بها انها لشدتها لايكاد الذى لايبرأ منها و ينفض يده عنها بريئا بالحقيقة بل لابد أن يستثنى شيأ من الفسق والضلال أى لشدة التباس الامر واشتباه الحال على المكلفين حينئذ و يمكن أن يعنى به ان الهارب منها غير ناج بل لابد أن يصيبه بعض معرتها ومضرتها وظاعنها مقيم أى مايفارق الانسان من أذاها وشرها فكأنه غير مفارق له لانه قد أبقى عنده ندوبا وعقابيل من شرورها وغوائلها

(الاصل) (منها) بَيْنَ قَتِيلٍ مَطْلُولٍ وَخَائِفٍ مُسْتَجِيرٍ يَخْتِلُونَ بِعَقْدِ الأَيْمانِ وَبِغُرُورِ

الايمان فَلاَ تَكُونُوا أَنصابَ الفِتَنِ * وَأَعلاَمَ البِدَعِ والزَمُوا ما عُقِدَ عَلَيهِ حَبْلُ الجَماعَةِ وَبُنِيَت عَلَيهِ أَرْكانُ الطَّاعَةِ وَاقدَمُوا على اللهِ مَظلُومِينَ وَلاَ تَقدَمُوا عَلَيهِ ظالِمِينَ وَاتَّقُوا مَدارِجَ الشَّيطانِ وَمَهابِطَ العُدوَانِ وَلاَ تُدخِلُوا بُطُونَكُمْ لُعَقَ الحَرَامِ * فَانَّكُمْ بِعَينِ مَنْ حَرَّمَ عَلَيكُمُ المَعصِيَةَ * وَسَهَّلَ لَكُمْ سُبُلَ الطَّاعَةِ

(الشرح) يقال طل دم فلان فهو مطلول أى مهدر لا يطلب به و يجوز أطل دمه وطله الله وأطله اهدره ولا يقال طل دم فلان بالفتح وأبو عبيدة والكسائى يقولانه و يختلون يخدعون بالايمان التى يعقدونها و يقسمون بها و بالايمان الذى يظهرونه و يقرون به ثم قال فلا تكونوا أنصار الفتن وأعلام البدع أى لا تكونوا ممن يشار اليكم فى البدع كما يشار الى الاعلام المبنية القائمة وجاء فى الخبر المرفوع كن فى الفتنة كابن اللبون لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب وهذه اللفظة يروبها كثير من الناس لامير المؤمنين عليه السلام قوله واقدموا على الله مظلومين جاء فى الخبر كن عبد الله المقتول ومدارج الشيطان جمع مدرجة وهى السبيل التى يدرج فيها ومهابط العدوان محاله التى يهبط فيها ولعق الحرام جمع لعقة بالضم وهى اسم لما تأخذه الملعقة واللعقة بالفتح المرة الواحدة قوله فانكم بعين من حرم يقال أنت بعين فلان أى أنت بمرأى منه وقد قال عليه السلام فى موضع آخر بصفين فانكم بعين الله ومع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وهذا من باب الاستعارة قال سبحانه ولتصنع على عينى وقال تجرى باعيننا

(الاصل) *(ومن خطبة له عليه السلام)*

الحَمْدُ للهِ الدَّالِّ عَلَى وُجُودِهِ بِخَلقِهِ وَبِمُحدَثِ خَلقِهِ على أَزَلِيَّتِهِ وَباشتِباهِهِمْ على أَنْ لاَ شَبَهَ لَهُ * لاَ تَستَلِمُهُ المَشاعِرُ * وَلاَ تَحجُبُهُ السَّوَاتِرُ لِافتِرَاقِ الصَّانِعِ وَالمَصنُوعِ وَالحَادِّ والمَحدُودِ وَالرَّبِّ وَالمَربُوبِ الأَحَدِ بِلاَ تَأوِيلِ عَدَدٍ وَالخَالِقِ لاَ بِمَعنَى حَرَكَةٍ وَنَصَبٍ وَالسَّمِيعِ لاَ بِأَدَاةٍ * وَالبَصِيرِ لاَ بِتَفرِيقِ آلَةٍ * وَالشَّاهِدِ لاَ بِمُماسَّةٍ وَالبائِنِ لاَ بِتَرَاخِي مَسافَةٍ * وَالظَّاهِرِ لاَ بِرُؤْيَةٍ وَالبَاطِنِ لاَ بِلَطافَةٍ بانَ مِنَ الأَشياءِ بِالقَهرِ لَها وَالقُدرَةِ عَلَيها وَبانَتِ الأَشياءُ مِنهُ بِالخُضُوعِ لَهُ وَالرُّجُوعِ إِلَيهِ مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ حَدَّهُ * وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ وَمَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبطَلَ أَزَلَهُ وَمَنْ قالَ كَيفَ فَقَدِ استَوْصَفَهُ وَمَنْ قالَ أَينَ فَقَدْ حَيَّزَهُ * عالِمٌ اذ لاَ مَعلُومٌ وَرَبٌّ إِذ لاَ مَربُوبٌ وَقادِرٌ إِذ لاَ مَقدُورٌ

(الشرح) فى هذا الفصل أبحاث أولها فى وجوده تعالى واثبات ان للعالم صانعا وهاتان طريقتان فى الدلالة على وجود الاول سبحانه أحدهما الطريقة المذكورة فى هذا الفصل وهى طريقة المتكلمين وهى اثبات ان الاجسام محدثة ولابد للمحدث من محدث والثانية اثبات وجوده تعالى من النظر فى نفس الوجود وذلك لان الوجود ينقسم بالاعتبار الاول الى قسمين واجب وممكن وكل ممكن لابد أن ينتهى الى الواجب لان طبيعة الممكن يمتنع من أن يستقل بنفسه فى قوامه فلابد من واجب تستند اليه وذلك الواجب الوجود الضرورى الذى لابد منه هو الله تعالى وثانيها اثبات أزليته و بيانه ماذكره فى هذا الفصل وهو ان العالم مخلوق له سبحانه حادث من جهته والمحدث لابد له من محدث فان كان ذلك المحدث محدثا عاد القول فيه كالقول فى الاول و يتسلسل فلابد من محدث قديم وذلك هو الله تعالى وثالثها انه

لاشبيه له أى ليس بجسم كهذه الاجسام و بيانه ماذكر أيضا ان مخلوقاته متشابهة يعنى بذلك مايريده المتكلمون من قولهم الاجسام متماثلة فى الجسمية وان نوع الجسمية واحد أى لايخالف جسم جسما بذاته واذا كانت متماثلة صح على كل واحد منها ماصح على الآخر فلو كان له سبحانه شبيه منها أى لو كان جسما مثلها لوجب أن يكون محدثا مثلها أو تكون قديمة مثله وكلا الامرين محال ورابعها ان المشاعر لاتستلمه وروى لاتلمسه والمشاعر الحواس و بيانه انه تعالى ليس بجسم لما سبق وما ليس بجسم استحال ان يكون المشاعر لامسة له لان ادراك المشاعر مقصور على الاجسام وهيئاتها والاستلام فى اللغة لمس الحجر باليد وتقبيله ولا يهمز لان أصله من السلام وهى الحجارة كما يقال استنوق الجمل و بعضهم يهمزه وخامسها ان السواتر لاتحجبه و بيانه ان السواتر والحجب انما تحجب ما كان فى جهة وذلك لانها ذوات أين ووضع فلا نسبة لها الى ماليس من ذوات الاين والوضع ثم قال عليه السلام لافتراق الصانع والمصنوع اشارة الى ان المصنوع من ذوات الجهة والصانع منزه عن ذلك برىء عن المواد فلا يلزم فيه مايلزم فى ذوات المادة والجهة وسادسها قال عليه السلام معنى قولنا انه أحد انه ليس بمعنى العدد كما يقوله الناس أول العدد أحد وواحد بل المراد باحديته كونه لايقبل التجزى و باعتبار آخر كونه لاثانى له فى الربوبية وسابعها انه خالق لابمعنى الحركة والنصب وهو التعب وذلك لان الخالقين منا يحتاجون الى الحركة من حيث كانوا أجساما تفعل بالآلات والبارى سبحانه ليس بجسم ولا يفعل بالآلة بل كونه قادرا انما هو لذاته المقدسة لا لأمر زائد عليها فلم يكن فاعلا بالحركة وثامنها انه سميع لابأداة وذلك لان حاجتنا الى الحواس انما كانت لامر يخصنا وهو كوننا احياء بحياة حالة فى أبعاضنا والبارى تعالى حى لذاته فلم يحتج فى كونه مدركا الى الاداة والجارحة وتاسعها انه بصير لابتفريق آلة والمراد بتفريق الآلة ههنا الشعاع الذى باعتباره يكون الواحد منا مبصرا فان القائلين بالشعاع يقولون انه يخرج من العين أجسام لطيفة هى الاشعة وتكون آلة للحى فى ابصار المبصرات فيتفرق عليها فكل جسم يقع عليه ذلك الشعاع يكون مبصرا والبارى تعالى بصير لابشعاع يجعله آلة فى الادراك و يتفرق على المرئيات فيدركها به وذلك لما قدمناه من انه حى لذاته لابمعنى فلا يحتاج الى آلة وأداة ووصلة تكون كالواسطة بينه و بين المدركات وعاشرها انه الشاهد لابمماسة وذلك لان الشاهد منا هو الحاضر بجسمه عند المشهود ألا ترى ان من فى الصين لا يكون شاهدا من فى المغرب لان الحضور الجسمانى يفتقر الى القرب والقرب من لوازم الجسمية فما ليس بجسم وهو عالم بكل شئ يكون شاهدا من غير قرب ولا مماسة ولا أين مطلوب وحادى عشرها انه البائن لابتراخى مسافة بينونة المفارق عن المادة بينونة ليست أينية لانه لانسبة لاحدهما الى الآخر بالجهة فلاجرم كان البارى تعالى مباينا عن العالم لابمسافة بين الذاتين وثانى عشرها انه الظاهر لابرؤية والباطن لابلطافة وذلك لان الظاهر من الاجسام ما كان مرئيا بالبصر والباطن منها ما كان لطيفا جدا اما لصغره أو لشفافيته والبارى تعالى ظاهر للبصائر لا للابصار باطن أى غير مدرك بالحواس لان ذاته لاتقبل المدركية لامن حيث كان لطيف الحجم أو شفاف الجرم وثالث عشرها انه قال بان من الاشياء بالقهر لها والقدرة عليها و بانت الاشياء عنه بالخضوع له والرجوع اليه هذا هو معنى قول المتكلمين والحكماء والفرق بينه و بين الموجودات كلها انه واجب الوجود لذاته والاشياء كلها ممكنة الوجود بذواتها فكلها محتاجة اليه لانها لا وجود لها الا به وهذا هو معنى خضوعها له ورجوعها اليه وهو سبحانه غنى عن كل شئ ومؤثر فى كل شئ اما بنفسه أو بان يكون مؤثرا فيما هو مؤثر فى ذلك الشئ كافعالنا فانه يؤثر فينا ونحن نؤثر فيها فاذا هو قاهر لكل شئ وقادر على كل شئ فهذه هى البينونة بينه و بين الاشياء كلها ورابع عشرها انه لاصفة له زائدة على ذاته ونعنى بالصفة ذاتا موجودة قائمة بذاته وذلك لان من أثبت هذه الصفة له فقد حده ومن حده فقد عده ومن عده فقد أبطل أزله وهذا كلام غامض وتفسيره ان من أثبت له علما قديما أو قدرة قديمة فقد أوجب ان يعلم بذلك العلم معلومات محدودة أى محصورة وكذلك قد أوجب ان يقدر بتلك القدرة على مقدورات محدودة وهذه المقدمة ثابتة فى كتب أصحابنا المتكلمين بما يذكرونه فى تقرير ان العلم الواحد لايتعلق بمعلومين وان القدرة الواحدة لايمكن أن تتعلق فى الوقت الواحد من الجنس الواحد فى المحل الواحد الا بجزء واحد وسواء فرض هذان

المعنيان قديمين أو محدثين فان هذا الحكم لازم لهما فقد ثبت ان من أثبت المعانى القديمة فقد أثبت البارى تعالى محدود العالمية والقادرية ومن قال بذلك فقد عده أى جعله من جملة الجثة المعدودة فيما بيننا كسائر البشر والحيوانات ومن قال بذلك فقد أبطل أزله لان كل ذات مماثلة لهذه الذوات المحدثة فانها محدثة مثلها والمحدث لا يكون أزليا وخامس عشرها أن من قال كيف فقد استوصفه أى من قال لزيد كيف الله فقد استدعى أن يوصف الله بكيفية من الكيفيات والبارى تعالى لا تجوز الكيفيات عليه والكيفيات هى الالوان والطعوم ونحوها والاشكال والمعانى وما يجرى مجرى ذلك وكل هذا لا يجوز الا على الاجسام فان قلت ينبغى أن يقول فقد وصفه ولا يقال فقد استوصفه لان السائل لم يستوصف الله وانما استوصف صاحبه الذى سأله عن كيفية الله قلت استوصف ههنا بمعنى وصف كقولك استغنى زيد عن عمرو أى غنى عنه واستعلى عليه أى علا ومثله كثير وسادس عشرها ان من قال أين فقد حيزه لان أين سؤال عن المكان وليس الله تعالى فى مكان ويأتى انه فى كل مكان بمعنى العلم والاحاطة وسابع عشرها انه عالم اذ لا معلوم ورب اذ لا مربوب وقادر اذ لا مقدور وكل هذا صحيح ومدلول عليه لانه عالم فيما لم يزل وليس شئ من الاشياء بموجود وهو رب كل شئ قبل أن يخلقه كما تقول انه سميع بصير قبل أن يدرك المسموعات والمبصرات أى قبل أن يخلقها وقادر على الاشياء قبل كونها لانه يستحيل حال كونها ان تكون مقدورة لاستحالة ايجاد الموجود وقد شرحنا كل هذه المسائل التوحيدية فى كتبنا المصنفة فى علم الكلام

(الاصل) (منها) قَدْ طَلَعَ طالِعٌ وَلَمَعَ لامِعٌ وَلاحَ لائِحٌ * وَاعْتَدَلَ مائِلٌ وَاسْتَبْدَلَ اللّهُ بِقَوْمٍ قَوْماً وَبِيَوْمٍ يَوْماً وَانْتَظَرْنا الْغِيَرَ انْتِظارَ الْمُجْدِبِ الْمَطَرَ * وَانَّما الْأَئِمَّةُ قُوّامُ اللّهِ عَلى خَلْقِهِ وَعُرَفاؤُهُ عَلى عِبادِهِ وَلا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ الّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ وَلا يَدْخُلُ النّارَ الّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ إِنَّ اللّهَ تَعالَى خَصَّكُمْ بِالْاِسْلامِ وَاسْتَخْلَصَكُمْ لَهُ وَذٰلِكَ لِأَنَّهُ اسْمُ سَلامَةٍ وَجِماعُ كَرامَةٍ * اصْطَفَى اللّهُ تَعالَى مَنْهَجَهُ وَبَيَّنَ حُجَجَهُ مِنْ ظاهِرِ عِلْمٍ وَباطِنِ حِكَمٍ لا تَفْنَى غَرائِبُهُ وَلا تَنْقَضِي عَجائِبُهُ * فِيهِ مَرابِيعُ النِّعَمِ * وَمَصابِيحُ الظُّلَمِ * لا تُفْتَحُ الْخَيْراتُ إِلّا بِمَفاتِيحِهِ وَلا تُكْشَفُ الظُّلُماتُ إِلّا بِمَصابِيحِهِ * قَدْ أَحْمَى حِماهُ * وَأَرْعَى مَرْعاهُ * فِيهِ شِفاءُ الْمُشْتَفِي وَكِفايَةُ الْمُكْتَفِي

(الشرح) هذه خطبة خطب بها بعد قتل عثمان حين أفضت الخلافة اليه قد طلع طالع يعنى عود الخلافة اليه وكذلك قوله ولمع لامع ولاح لائح كل هذا يراد به معنى واحد واعتدل مائل اشارة الى ما كانت الامور عليه من الاعوجاج فى أواخر أيام عثمان واستبدل الله بعثمان وشيعته عليا وشيعته وبأيام ذلك أيام هذا ثم قال وانتظرنا الغير انتظار المجدب المطر وهذا الكلام يدل على انه قد كان يتربص بعثمان الدوائر ويرتقب حلول الخطوب باحته ليلى الخلافة فان قلت أليس هو الذى طلق الدنيا فأين هذا القول من طلاقها قلت انه طلق الدنيا ان يقبل منها حظا دنيويا ولم يطلقها ان ينهى فيها عن المنكرات التى أمره الله تعالى بالنهى عنها ويقيم فيها الدين الذى أمره الله باقامته ولا سبيل له الى النهى عن المنكر والامر بالمعروف الا بولاية الخلافة فان قلت أيجوز على مذهب المعتزلة ان يقال انه عليه السلام كان ينتظر قتل عثمان انتظار المجدب المطر وهل هذا الا محض مذهب الشيعة قلت انه عليه السلام لم يقل وانتظرنا قتله وانما انتظر الغير فيجوز أن يكون أراد انتظار خلعه وعزله عن الخلافة فان عليا عليه السلام عند أصحابنا كان يذهب الى ان عثمان

استحق الخلع باحداثه ولم يستحق القتل وهذا الكلام اذا حمل على انتظار الخلع كان موافقا لمذهب أصحابنا فان قلت أتقول المعتزلة ان عليا كان يذهب الى فسق عثمان المستوجب لاجله الخلع قلت حاش لله أن تقول المعتزلة ذلك وانما تقول ان عليا كان يرى ان عثمان يضعف عن تدبير الخلافة وان أهله غلبوا عليه واستبدوا بالامر دونه واستعجزه المسلمون واستسقطوا رأيه فصار حكمه حكم الامام اذا عمى أو أسره العدو فانه ينخلع من الامامة ثم قال عليه السلام الأئمة قوام الله على خلقه أى يقومون بمصالحهم وقيم المنزل هو المدبر له قال وعرفاؤه على عباده جمع عريف وهو النقيب والرئيس يقال عرف فلان بالضم عرافة بالفتح مثل خطب خطابة أى صار عريفا واذا أردت انه عمل ذلك قلت عرف فلان علينا سنين يعرف عرافة بالكسر مثل كتب يكتب كتابة قال لا يدخل الجنة الا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار الا من أنكرهم وأنكروه هذا اشارة الى قوله تعالى يوم ندعو كل أناس بامامهم قال المفسرون ينادى فى الموقف يا أتباع فلان ويا أصحاب فلان فينادى كل قوم باسم امامهم يقول أمير المؤمنين عليه السلام لا يدخل الجنة يومئذ الا من كان فى الدنيا عارفا بامامه ومن يعرفه امامه فى الآخرة فان الأئمة تعرف اتباعها يوم القيامة وان لم يكونوا رأوهم فى الدنيا كما أن النبى صلى الله عليه وآله يشهد للمسلمين وعليهم وان لم يكن رأى أكثرهم قال سبحانه فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وجاء فى الخبر المرفوع من مات بغير امام مات ميتة جاهلية وأصحابنا كافة قائلون بصحة هذه القضية وهى انه لا يدخل الجنة الا من عرف الأئمة ألا ترى انهم يقولون الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فلان وفلان ويعدونهم واحدا واحدا فلو أن انسانا لا يقول بذلك لكان عندهم فاسقا والفاسق لا يدخل الجنة عندهم أبدا أعنى من مات على فسقه فقد ثبت ان هذه القضية وهى قوله عليه السلام لا يدخل الجنة الا من عرفهم قضية صحيحة على مذهب المعتزلة وليس قوله وعرفوه بمنكر عند أصحابنا اذا فسرنا قوله تعالى يوم ندعو كل أناس بامامهم على ما هو الاظهر والاشهر من التفسيرات وهو ما ذكرناه وبقيت القضية الثانية ففيها الاشكال وهى قوله عليه السلام ولا يدخل النار الا من أنكرهم وأنكروه وذلك ان لقائل أن يقول قد يدخل النار من لم ينكرهم مثل أن يكون انسان يعتقد صحة امامة القوم الذين يذهب انهم أئمة عند المعتزلة ثم يزنى أو يشرب الخمر من غير توبة فانه يدخل النار وليس بمنكر للائمة فكيف يمكن الجمع بين هذه القضية وبين الاعتزال فالجواب ان الواو فى قوله وأنكروه بمعنى أو كما فى قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فالانسان المفروض فى السؤال وان كان لا ينكر الأئمة الا انهم ينكرونه أى يسخطون يوم القيامة أفعاله يقال أنكرت فعل فلان أى كرهته فهذا هو تأويل الكلام على مذهبنا فأما الامامية فانهم يحملون ذلك على تأويل آخر ويفسرون قوله ولا يدخل النار فيقولون أراد ولا يدخل النار دخولا مؤبدا الا من ينكرهم وينكرونه ثم ذكر عليه السلام شرف الاسلام وقال انه مشتق من السلامة وانه جامع للكرامة وان الله قد بين حججه أى الادلة على صحته ثم بين ما هذه الادلة فقال من ظاهر علم وباطن حكم أى حكمة فمن ههنا للتبيين والتفسير كما تقول دفعت اليه سلاحا من سيف ورمح وسهم ويعنى بظاهر علم وباطن حكم القرآن ألا تراه كيف أتى بعده بصفات ونعوت لا تكون الا للقرآن من قوله لا تفنى غرائبه أى آياته المحكمة وبراهينه العازمة أى القاطعة ولا تنقضى عجائبه لانه مهما تأمله الانسان استخرج منه بفكره غرائب وعجائب لم تكن عنده من قبل فيه مرابيع النعم المرابيع الامطار التى تجىء فى أول الربيع فتكون سببا لظهور الكلا وكذلك تدبر القرآن سبب للنعم الدينية وحصولها قوله قد أحمى حماه وأرعى مرعاه الضمير فى أحمى يرجع الى الله تعالى أى قد أحمى الله حماه أى عرضه لان يحمى كما تقول أقتلت الرجل أى عرضته لان يقتل وأضربته أى عرضته لان يضرب أى قد عرض الله تعالى حمى القرآن ومحارمه لان يجتنب ومكن منها وعرض مرعاه لان يرعى أى مكن من الانتفاع بما فيه من الزواجر والمواعظ لانه خاطبنا بلسان عربى مبين ولم يقنع ببيان ما لا نعلم الا بالشرع حتى نبه فى أكثره على أدلة العقل

(الاصل) * ومن خطبة له عليه السلام *

وَهُوَ فِي مُهْلَةٍ مِنَ اللهِ يَهْوِي مَعَ الغَافِلِينَ * وَيَغْدُو مَعَ المُذْنِبِينَ بِلاَ سَبِيلٍ قَاصِدٍ وَلاَ إِمَامٍ قَائِدٍ

(الشرح) يصف أناسا من أهل الضلال غير معين بل كما تقول رحم الله امرأ اتقى ربه وخاف ذنبه وبئس الرجل رجل قل حياؤه وعدم وفاؤه ولست تعني رجلا بعينه ويهوي يسقط والسبيل القاصد الطريق المؤدية الى المطلوب والامام اما الخليفة واما الاستاذ أو الدين أو الكتاب على كل من هؤلاء تطلق هذه اللفظة

(الاصل) (منها) حَتَّى اذَا كَشَفَ لَهُمْ عَنْ جَزَاءِ مَعْصِيَتِهِمْ وَاسْتَخْرَجَهُمْ مِنْ جَلاَبِيبِ غَفْلَتِهِمْ * اسْتَقْبَلُوا مُدْبِرًا وَاسْتَدْبَرُوا مُقْبِلاً فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِمَا أَدْرَكُوا مِنْ طَلِبَتِهِمْ وَلاَ بِمَا قَضَوْا مِنْ وَطَرِهِمْ * وَإِنِّي أُحَذِّرُكُمْ وَنَفْسِي هَذِهِ المَنْزِلَةَ فَلْيَنْتَفِعِ امْرُؤٌ بِنَفْسِهِ فَإِنَّمَا البَصِيرُ مَنْ سَمِعَ فَتَفَكَّرَ وَنَظَرَ فَأَبْصَرَ وَانْتَفَعَ بِالعِبَرِ ثُمَّ سَلَكَ جَدَدًا وَاضِحًا يَتَجَنَّبُ فِيهِ الصَّرْعَةَ فِي المَهَاوِي وَالضَّلاَلَ فِي المَغَاوِي * وَلاَ يُعِينُ عَلَى نَفْسِهِ الغُوَاةَ بِتَعَسُّفٍ فِي حَقٍّ أَوْ تَحْرِيفٍ فِي نُطْقٍ أَوْ تَخَوُّفٍ مِنْ صِدْقٍ فَأَفِقْ أَيُّهَا السَّامِعُ مِنْ سَكْرَتِكَ وَاسْتَيْقِظْ مِنْ غَفْلَتِكَ وَاخْتَصِرْ مِنْ عَجَلَتِكَ وَأَنْعِمِ الفِكْرَ فِيمَا جَاءَكَ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِمَّا لاَ بُدَّ مِنْهُ وَلاَ مَحِيصَ عَنْهُ وَخَالِفْ مَنْ خَالَفَ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِهِ وَدَعْهُ وَمَا رَضِيَ لِنَفْسِهِ وَضَعْ فَخْرَكَ وَاحْطُطْ كِبْرَكَ وَاذْكُرْ قَبْرَكَ فَإِنَّ عَلَيْهِ مَمَرَّكَ وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ وَكَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ وَمَا قَدَّمْتَ اليَوْمَ تَقْدَمُ عَلَيْهِ غَدًا فَامْهَدْ لِقَدَمِكَ * وَقَدِّمْ لِيَوْمِكَ فَالحَذَرَ الحَذَرَ أَيُّهَا المُسْتَمِعُ وَالجِدَّ الجِدَّ أَيُّهَا الغَافِلُ (وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ)

(الشرح) فاعل كشف هو الله تعالى وقد كان سبق ذكره في الكلام الذي لم يحك وانما كشف لهم عن جزاء معصيتهم بأن أراهم حال الموت من دلائل الشقوة والعذاب فقد ورد في الخبر الصحيح انه لا يموت ميت حتى يرى مقره من جنة أو نار ولما انفتحت أعين أبصارهم عند مفارقة الدنيا سمى ذلك عليه السلام استخراجا لهم من جلابيب غفلتهم كأنهم كانوا من الغفلة والذهول في لباس نزع عنهم قال استقبلوا مدبرا أي استقبلوا أمرا كان في ظنهم واعتقادهم مدبرا عنهم وهو الشقاء والعذاب واستدبروا مقبلا تركوا وراء ظهورهم ما كانوا خولوه من الاولاد والاموال والنعم وفي قوة هذا الكلام أن يقول عرفوا ما أنكروه وأنكروا ما عرفوه وروى أحذركم ونفسي هذه المزلة مفعلة من الزلل وفي قوله ونفسي لطافة رشيقة وذلك لانه طيب قلوبهم بأن جعل نفسه شريكة لهم في هذا التحذير ليكونوا الى الانقياد له أقرب وعن الاباء والنفرة أبعد بطريق جدد لاحب والمهاوي جمع مهواة وهي الهوة يتردى فيها والمغاوي جمع مغواة وهي الشبهة التي يغوى بها الناس أي يضلون ثم فصل الامور التي يعين بها الانسان أرباب الضلال على نفسه وهي أن يتعسف في حق يقوله أو يأمر به فان الرفق أنجح وان يحرف المنطق فان الكذب لا يثمر خيرا وان يتخوف من الصدق في ذات الله قال سبحانه اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله فذم من لا يصدق ويجاهد في الحق قوله واختصر من عجلتك أي لا تكن عجلتك كثيرة بل اذا كانت لك عجلة فلتكن شيأ يسيرا ويقول أنعمت النظر في كذا أي دققته من قولك أنعمت سحق الحجر وقيل انه مقلوب أمعن والنبي الامي اما الذي لا يحسن الكتابة أو المنسوب الى أم القرى وهي

مكة ولا محيص عنه لا مفر ولا مهرب حاص أي تخلص من أمر كان نشب فيه قوله فان عليه ممرك أي ليس القبر بدار مقام وانما هو ممر وطريق الى الآخرة وكما تدين تدان أي كما تجازي غيرك تجازى بفعلك وبحسب ما عملت ومنه قوله سبحانه انا لمدينون أي مجزيون ومنه الديان في صفة الله تعالى قوله وكما تزرع تحصد معنى قد قاله الناس بعده كثيرا قال الشاعر

اذا أنت لم تزرع وأدركت حاصدا * ندمت على التقصير في زمن البذر

ومن أمثالهم من زرع شرا حصد ندما فامهد لنفسك أي سو ووطئ ولا ينبئك مثل خبير من القرآن العزيز أي ولا يخبرك بالامور أحد على حقائقها كالعارف بها العالم بكنهها

(الاصل) إِنَّ مِنْ عَزَائِمِ اللهِ فِي الذِّكْرِ الحَكِيمِ الَّتِي عَلَيْهَا يُثِيبُ وَيُعَاقِبُ وَلَهَا يَرْضَى وَيَسْخَطُ أَنَّهُ لاَ يَنْفَعُ عَبْدًا وَإِنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ وَأَخْلَصَ فِعْلَهُ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا لاَقِيًا رَبَّهُ بِخَصْلَةٍ مِنْ هَذِهِ الخِصَالِ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا أَنْ يُشْرِكَ بِاللهِ فِيمَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَتِهِ أَوْ يَشْفِيَ غَيْظَهُ بِهَلاَكِ نَفْسٍ أَوْ يَعُرَّ بِأَمْرٍ فَعَلَهُ غَيْرُهُ أَوْ يَسْتَنْجِحَ حَاجَةً إِلَى النَّاسِ بِإِظْهَارِ بِدْعَةٍ فِي دِينِهِ * أَوْ يَلْقَى النَّاسَ بِوَجْهَيْنِ أَوْ يَمْشِيَ فِيهِمْ بِلِسَانَيْنِ * إِعْقِلْ ذَلِكَ فَإِنَّ المِثْلَ دَلِيلٌ عَلَى شِبْهِهِ إِنَّ البَهَائِمَ هَمُّهَا بُطُونُهَا * وَإِنَّ السِّبَاعَ هَمُّهَا العُدْوَانُ عَلَى غَيْرِهَا * وَإِنَّ النِّسَاءَ هَمُّهُنَّ زِينَةُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالفَسَادُ فِيهَا * إِنَّ المُؤْمِنِينَ مُسْتَكِينُونَ * إِنَّ المُؤْمِنِينَ مُشْفِقُونَ إِنَّ المُؤْمِنِينَ خَائِفُونَ

(الشرح) عزائم الله هي موجباته والامر المقطوع عليه الذي لا ريب فيه ولا شبهة قال عليه السلام ان من الامور التي نص الله تعالى عليها نصا لا يحتمل التأويل وهي من العزائم التي يقطع بها ولا رجوع فيها ولا نسخ لها ان من مات وهو على ذنب من هذه الذنوب المذكورة ولو اكتفى بذلك عليه السلام لاغناه عن قوله لم يتب الا انه ذكر ذلك تأكيدا أو زيادة في الايضاح فانه لا ينفعه فعل شيء من الافعال الحسنة ولا الواجبة ولا تفيده العبادة ولو أجهد نفسه فيها بل يكون من أهل النار والذنوب المذكورة هي ان يتخذ مع الله الها آخر فيشركه في العبادة أو يقتل انسانا بغير حق بل ليشفي غيظه أو يقذف غيره بأمر قد فعله هو عره بكذا يعره عرا أي عابه ولطخه أو يروم بلوغ حاجة من أحد باظهار بدعة في الدين كما يفعل أكثر الناس في زماننا أو يكون ذا وجهين وهو أيضا قوله أو يمشي فيهم بلسانين وانما أعاده تأكيدا لما نصب معاوية ابنه يزيد لولاية العهد أقعده في قبة حمراء وأدخل الناس يسلمون على معاوية ثم يميلون الى قبة يزيد فيسلمون عليه بولاية العهد حتى جاء رجل ففعل ذلك ثم رجع الى معاوية فقال يا أمير المؤمنين أما انك لو لم تول هذا أمور المسلمين لاضعتها وكان الاحنف جالسا فلما خف الناس قال معاوية ما بالك لا تقول يا أبا بحر قال أخاف الله ان كذبتك وأخافك ان صدقتك فماذا أقول فقال جزاك الله عن الطاعة خيرا وأمر له بصلة جزيلة فلما خرج لقيه ذلك الرجل بالباب فقال يا أبا بحر اني لاعلم ان شر من خلق الله هذا الرجل ولكن هؤلاء قد استوثقوا من هذه الاموال بالابواب والاقفال فلسنا نطمع في استخراجها الا بما سمعت فقال يا هذا أمسك عليك فان ذا الوجهين خليق أن لا يكون وجيها عند الله غدا ثم أمر عليه السلام بأن يعقل ما قاله ويعلم باطن خطابه وانما رمز بباطن هذا الكلام الى الرؤساء يوم الجمل لانهم حاولوا أن يشفوا غيظهم باهلاكه واهلاك غيره من المسلمين وعروه عليه السلام بأمر هم فعلوه وهو التأليب على عثمان وحصره واستنجحوا حاجتهم الى أهل البصرة باظهار البدعة والفتنة ولقوا الناس بوجهين ولسانين لانهم بايعوه وأظهروا الرضا به ثم دبوا له الخمر فجعل ذنوبهم هذه مماثلة للشرك بالله سبحانه في انها لا تغفر الا بالتوبة وهذا هو معنى قوله اعقل ذلك فان المثل دليل على شبهه وروى فان المثل واحد الامثال أي هذا الحكم بعدم المغفرة لمن أتى شيأ من هذه الاشياء عام

والواحد منها دليل على ما يماثله ويشابهه فان قلت فهذا تصريح بمذهب الامامية فى طلحة والزبير وعائشة قلت كلا فان هذه الخطبة خطب بها وهو سائر الى البصرة ولم تقع الحرب الا بعد تعدد الكبائر ورمز فيها الى المذكورين وقال ان لم يتوبوا وقد ثبت انهم تابوا والاخبار عنهم بالتوبة كثيرة مستفيضة ثم أراد عليه السلام أن يومئ الى ذكر النساء للحال التى كان وقع اليها من استنجاد أعدائه بامرأة فقدم ذكرا قبل ذكر النساء أنواعا من الحيوان تمهيد القاعدة ذكر النساء فقال ان البهائم همها بطونها كالحمر والبقر والابل والغنم وان السباع همها العدوان على غيرها كالاسود الضارية والنمور والفهود والبزاة والصقور ثم قال وان النساء همهن زينة الحياة الدنيا والفساد فيها نظر حكيم الى امرأة مصلوبة على شجرة فقال ليت كل شجرة تحمل مثل هذه الثمرة ومرت امرأة بسقراط وهو يتشرق فى الشمس فقالت ما أقبحك أيها الشيخ فقال لولا انكن من المرائى الصدية لغمنى ما بان من قبح صورتى فيكن ورأى حكيم امرأة تعلم الكتابة فقال سهم يسقى سما ليرمى به يوما ما ورأى بعضهم جارية تحمل نارا فقال نار على نار والحامل شر من المحمول وقيل لسقراط أى السباع أحسن قال المرأة وتزوج بعضهم امرأة نحيفة فقيل له فى ذلك فقال اخترت من الشر أقله ورأى بعض الحكماء امرأة غريقة قد احتملها السيل فقال زادت الكدر كدرا والشر بالشر يهلك ثم ذكر عليه السلام خصائص المؤمن فقال ان المؤمنين مستكينون استكان الرجل أى خضع وذل ان المؤمنين مشفقون التقوى رأس الايمان كما ورد فى الخبر ثم قال ان المؤمنين خائفون هو الاول وانما أكده والتأكيد مطلوب فى باب الخطابة

(الاصل) *(ومن خطبة له عليه السلام)*

وَنَاظِرُ قَلْبِ اللَّبِيبِ بِهِ يُبْصِرُ أَمَدَهُ * وَيَعْرِفُ غَوْرَهُ وَنَجْدَهُ * دَاعٍ دَعَا وَرَاعٍ رَعَى فَاسْتَجِيبُوا لِلدَّاعِي وَاتَّبِعُوا الرَّاعِيَ

(الشرح) يقول ان قلب اللبيب له عين يبصر بها غايته التى يجرى اليها ويعرف من أحواله المستقبلة ما كان مرتفعا أو منخفضا ساقطا والنجد المرتفع من الارض ومنه قولهم للعالم بالامور طلاع أنجد ثم قال داع دعا موضع داع رفع لانه مبتدأ محذوف الخبر تقديره فى الوجود داع دعا وراع رعى ويعنى بالداعى رسول الله صلى الله عليه وآله وبالراعى نفسه عليه السلام

(الاصل) قَدْ خَاضُوا بِحَارَ الْفِتَنِ وَأَخَذُوا بِالْبِدَعِ دُونَ السُّنَنِ وَأَرَزَ الْمُؤْمِنُونَ * وَنَطَقَ الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ * نَحْنُ الشِّعَارُ وَالْأَصْحَابُ وَالْخَزَنَةُ وَالْأَبْوَابُ وَلَا تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقًا

(الشرح) هذا كلام متصل بكلام لم يحكه الرضى رحمه الله وهو ذكر قوم من أهل الضلال قد كان أخذ فى ذمهم ونعى عليهم عيوبهم وارز المؤمنون أى انقبضوا والمضارع يأرز بالكسر ارزا وأروزا ورجل أروز أى منقبض وفى الحديث ان الاسلام ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها أى ينضم اليها ويجتمع ثم قال نحن الشعار والاصحاب يشير الى نفسه وهو أبدا يأتى بلفظ الجمع ومراده الواحد والشعار ما يلى الجسد من الثياب فهو أقرب من سائرها اليه ومراده الاختصاص برسول الله صلى الله عليه وآله والخزنة والابواب يمكن أن يعنى به خزنة العلم وأبواب العلم لقول رسول الله صلى الله عليه وآله أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد الحكمة فليأت الباب وقوله فيه خازن علمى وقال تارة أخرى عيبة علمى ويمكن أن يريد به خزنة الجنة وأبواب الجنة أى لا يدخل الجنة الا من وافى بولايتنا فقد جاء فى حقه الخبر الشائع المستفيض انه قسيم النار والجنة وذكر أبو عبيد الهروى فى الجمع بين الغريبين أن قوما من أئمة العربية فسروه فقالوا لانه لما كان محبه من أهل الجنة ومبغضه من أهل النار كان بهذا الاعتبار قسيم النار والجنة قال أبو عبيد وقال غير هؤلاء

بل

بل هو قسيمها بنفسه فى الحقيقة يدخل قوما الى الجنة وقوما الى النار وهذا الذى ذكره أبو عبيد أخيرا هو ما يطابق الاخبار الواردة فيه يقول للنار هذا لى فدعيه وهذا لك فخذيه ثم ذكر ان البيوت لا تؤتى الا من أبوابها قال الله تعالى وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها ثم قال من أتاها من غير أبوابها سمى سارقا وهذا حق ظاهرا وباطنا أما الظاهر فلان من يتسور البيوت من غير أبوابها هو السارق وأما الباطن فلان من طلب العلم من غير استاذ محقق فلم يأته من بابه فهو أشبه شئ بالسارق * واعلم ان أمير المؤمنين عليه السلام لو فخر بنفسه وبالغ فى تعديد مناقبه وفضائله بفصاحته التى آتاه الله تعالى اياها واختصه بها وساعده على ذلك فصحاء العرب كافة لم يبلغوا الى معشار ما نطق به الرسول الصادق صلوات الله عليه فى أمره ولست أعنى بذلك الاخبار العامة الشائعة التى يحتج بها الامامية على امامته كخبر الغدير والمنزلة وقصة براءة وخبر المناجاة وقصة خيبر وخبر الدار بمكة فى ابتداء الدعوة ونحو ذلك بل الاخبار الخاصة التى رواها فيه أئمة الحديث التى لم يحصل أقل القليل منها لغيره وأنا أذكر من ذلك شيئا يسيرا مما رواه علماء الحديث الذين لا يتهمون فيه وجلهم قائلون بتفضيل غيره عليه فروايتهم فضائله توجب سكون النفس ما لا يوجبه رواية غيرهم الخبر الاول يا على ان الله قد زينك بزينة لم يزين العباد بزينة أحب اليه منها هى زينة الابرار عند الله تعالى الزهد فى الدنيا جعلك لا ترزأ من الدنيا شيئا ولا ترزأ الدنيا منك شيئا ووهب لك حب المساكين فجعلك ترضى بهم اتباعا ويرضون بك اماما رواه أبو نعيم الحافظ فى كتابه المعروف بحلية الاولياء وزاد فيه أبو عبد الله أحمد ابن حنبل فى المسند فطوبى لمن أحبك وصدق فيك وويل لمن أبغضك وكذب فيك الخبر الثانى قال لوفد ثقيف لتسلمن أو لابعثن اليكم رجلا منى أو قال عديل نفسى فليضربن أعناقكم وليسبين ذراريكم وليأخذن أموالكم قال عمر فما تمنيت الامارة الا يومئذ وجعلت أنصب له صدرى رجاء أن يقول هو هذا فالتفت فأخذ بيد على وقال هو هذا مرتين رواه أحمد فى المسند ورواه فى كتاب فضائل على عليه السلام انه قال لتنتهن يا بنى وليعة أو لابعثن اليكم رجلا كنفسى يمضى فيكم أمرى يقتل المقاتلة ويسبى الذرية قال أبو ذر فما راعنى الا برد كف عمر فى حجزتى من خلفى يقول من تراه يعنى فقلت انه لا يعنيك وانما يعنى خاصف النعل بالبيت وانه قال هو هذا الخبر الثالث ان الله عهد الى فى على عهدا فقلت يارب بينه لى قال اسمع ان عليا راية الهدى وامام أوليائى ونور من أطاعنى وهو الكلمة التى ألزمتها المتقين من أحبه فقد أحبنى ومن أطاعه فقد أطاعنى فبشره بذلك فقلت قد بشرته يارب فقال أنا عبد الله وفى قبضته فان يعذبنى فبذنوبى لم يظلم شيأ وان يتم لى ما وعدنى فهو أولى وقد دعوت له فقلت اللهم اجل قلبه واجعل ربيعه الايمان بك قال قد فعلت ذلك غير أنى مختصه بشئ من البلاء لم اختص به أحدا من أوليائى فقلت رب أخى وصاحبى قال انه سبق فى علمى انه لمبتلى ومبتلى ذكره أبو نعيم الحافظ فى حلية الاولياء عن أبى برزة الاسلمى ثم رواه باسناد آخر بلفظ آخر عن أنس بن مالك ان رب العالمين عهد الى فى على عهدا انه راية الهدى ومنار الايمان وامام أوليائى ونور جميع من أطاعنى ان عليا أمينى غدا فى القيامة فصاحب رايتى بيد على مفاتيح خزائن رحمة ربى الخبر الرابع من أراد أن ينظر الى نوح فى عزمه والى آدم فى علمه والى ابراهيم فى حلمه والى موسى فى فطنته والى عيسى فى زهده فلينظر الى على بن أبى طالب عليه السلام رواه أحمد بن حنبل فى المسند ورواه أحمد البيهقى فى صحيحه الخبر الخامس من سره ان يحيا حياتى ويموت ميتتى ويتمسك بالقضيب من الياقوتة التى خلقها الله تعالى بيده ثم قال لها كونى فكانت فليتمسك بولاء على بن أبى طالب عليه السلام ذكره أبو نعيم الحافظ فى كتاب حلية الاولياء ورواه أبو عبد الله أحمد بن حنبل فى المسند وفى كتاب فضائل على بن أبى طالب وحكاية لفظ أحمد رضى الله عنه من أحب ان يتمسك بالقضيب الاحمر الذى غرسه الله فى جنة عدن بيمينه فليتمسك بحب على بن أبى طالب عليه السلام الخبر السادس والذى نفسى بيده لولا ان تقول طوائف من أمتى فيك ما قالت النصارى فى ابن مريم لقلت اليوم فيك مقالا لا تمر بملأ من المسلمين الا أخذوا التراب من تحت قدميك للبركة ذكره أبو عبد الله أحمد بن حنبل فى المسند الخبر السابع خرج صلى الله عليه وآله على الحجيج عشية عرفة فقال لهم ان الله قد باهى بكم الملائكة عامة وغفر لكم عامة وباهى بعلى خاصة وغفر له خاصة انى قائل لكم قولا غير محاب فيه لقرابتى ان السعيد كل

السعيد حق السعيد من أحب عليا فى حياته و بعد موته رواه أبو عبد الله أحمد بن حنبل فى كتاب فضائل على عليه السلام وفى المسند أيضا الخبر الثامن رواه أبو عبد الله أحمد بن حنبل فى الكتابين المذكورين أنا أول من يدعى به يوم القيامة فأقوم عن يمين العرش فى ظله ثم أكسى حلة ثم يدعى بالنبيين بعضهم على أثر بعض فيقومون عن يمين العرش و يكسون حللا ثم يدعى بعلى بن أبى طالب لقرابته منى ومنزلته عندى و يدفع اليه لوائى لواء الحمد آدم ومن دونه تحت ذلك اللواء ثم قال لعلى فتسير به حتى تقف بينى و بين ابراهيم الخليل ثم تكسى حلة وينادى مناد من العرش نعم العبد أبوك ابراهيم ونعم الاخ أخوك على أبشر فانك تدعى اذا دعيت وتكسى اذا كسيت وتحيا اذا حييت الخبر التاسع يا أنس اسكب لى وضوأ ثم قام فصلى ركعتين ثم قال أول من يدخل عليك من هذا الباب امام المتقين وسيد المسلمين و يعسوب الدين وخاتم الوصيين وقائد الغر المحجلين قال أنس فقلت اللهم اجعله رجلا من الانصار وكتمت دعوتى فجاء على عليه السلام فقال صلى الله عليه وآله من جاء يا أنس فقلت على عليه السلام فقام اليه مستبشرا فاعتنقه ثم جعل يمسح عرق وجهه فقال على يا رسول الله صلى الله عليك وآلك لقد رأيت منك اليوم تصنع بى شيأ ما صنعته بى قبل قال وما يمنعنى وأنت تؤدى عنى وتسمعهم صوتى وتبين لهم ما اختلفوا فيه بعدى رواه أبو نعيم الحافظ فى حلية الاولياء الخبر العاشر ادعوا الى سيد العرب عليا فقالت عائشة ألست سيد العرب فقال أنا سيد ولد آدم وعلى سيد العرب فلما جاء أرسل الى الانصار فأتوه فقال لهم يا معشر الانصار ألا أدلكم على ما ان تمسكتم به لن تضلوا أبدا قالوا بلى يا رسول الله قال هذا على فأحبوه بحبى وأكرموه بكرامتى فان جبرائيل أمرنى بالذى قلت لكم عن الله عز وجل رواه الحافظ أبو نعيم فى حلية الاولياء الخبر الحادى عشر مرحبا بسيد المؤمنين وامام المتقين فقيل لعلى عليه السلام كيف شكرك فقال أحمد الله على ما آتانى وأسأله الشكر على ما أولانى وان يزيدنى مما أعطانى ذكره صاحب الحلية أيضا الخبر الثانى عشر من سره ان يحيا حياتى و يموت مماتى و يسكن جنة عدن التى غرسها ربى فليوال عليا من بعدى وليوال وليه وليقتد بالائمة من بعدى فانهم عترتى خلقوا من طينتى ورزقوا فهما وعلما فويل للمكذبين من أمتى القاطعين فيهم صلتى لا أنالهم الله شفاعتى ذكره صاحب الحلية أيضا الخبر الثالث عشر بعث رسول الله صلى الله عليه وآله خالد بن الوليد فى سرية و بعث عليا عليه السلام فى سرية أخرى وكلاهما الى اليمن وقال ان اجتمعتما فعلى على الناس وان افترقتما فكل واحد منكما على جنده فاجتمعا وأغارا وسبيا نساء وأخذا أموالا وقتلا ناسا وأخذ على جارية فاختصها لنفسه فقال خالد لاربعة من المسلمين منهم بريدة الاسلمى اسبقوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله فاذكروا له كذا واذكروا له كذا لامور عددها على على فسبقوا اليه فجاء واحد من جانبه فقال ان عليا فعل كذا فأعرض عنه فجاء الآخر من الجانب الآخر فقال ان عليا فعل كذا فأعرض عنه فجاء بريدة الاسلمى فقال يا رسول الله ان عليا فعل ذلك فأخذ جارية لنفسه فغضب صلى الله عليه وآله حتى احمر وجهه وقال دعوا الى عليا يكررها ان عليا منى وأنا من على وان حظه فى الخمس أكثر مما أخذ وهو ولى كل مؤمن من بعدى رواه أبو عبد الله أحمد فى المسند غير مرة ورواه فى كتاب فضائل على ورواه أكثر المحدثين الخبر الرابع عشر كنت أنا وعلى نورا بين يدى الله عز وجل قبل ان يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام فلما خلق آدم قسم ذلك فيه وجعله جزأين فجزء أنا وجزء على رواه أحمد فى المسند وفى كتاب فضائل على عليه السلام وذكره صاحب كتاب الفردوس وزاد فيه ثم انتقلنا حتى صرنا فى عبد المطلب فكان لى النبوة ولعلى الوصية الخبر الخامس عشر النظر الى وجهك يا على عبادة أنت سيد فى الدنيا وسيد فى الآخرة من أحبك أحبنى وحبيبى حبيب الله وعدوك عدوى وعدوى عدو الله الويل لمن أبغضك رواه أحمد فى المسند قال وكان ابن عباس يفسره و يقول ان من ينظر اليه يقول سبحان الله ما أعلم هذا الفتى سبحان الله ما أشجع هذا الفتى سبحان الله ما أفصح هذا الفتى الحديث السادس عشر لما كانت ليلة بدر قال رسول الله صلى الله عليه وآله من يستقى لنا ماء فأحجم الناس فقام على فاحتضن قربة ثم أتى بئرا بعيدة القعر مظلمة فانحدر فيها فأوحى الله الى جبريل وميكائيل واسرافيل ان تأهبوا لنصر محمد وأخيه وحزبه فهبطوا من السماء لهم لغط يذعر من يسمعه فلما حاذوا البئر سلموا عليه من عند آخرهم اكراما له واجلالا رواه أحمد فى كتاب فضائل على عليه

السلام وزاد فيه فى طريق أخرى عن أنس بن مالك لتؤتين يا على يوم القيامة بناقة من نوق الجنة فتركبها وركبتك مع ركبتى وفخذك مع فخذى حتى تدخل الجنة الحديث السابع عشر خطب صلى الله عليه وآله الناس يوم جمعة فقال أيها الناس قدموا قريشا ولا تقدموها وتعلموا منها ولا تعلموها قوة رجل من قريش تعدل قوة رجلين من غيرهم وأمانة رجل من قريش تعدل امانة رجلين من غيرهم أيها الناس أوصيكم بحب ذى قرباها أخى وابن عمى على بن أبى طالب عليه السلام لا يحبه الا مؤمن ولا يبغضه الا منافق من أحبه فقد أحبنى ومن أبغضه فقد أبغضنى ومن أبغضنى عذبه الله بالنار رواه أحمد رضى الله عنه فى كتاب فضائل على عليه السلام الحديث الثامن عشر الصديقون ثلاثة حبيب النجار الذى جاء من أقصى المدينة يسعى ومؤمن آل فرعون الذى كان يكتم ايمانه وعلى بن أبى طالب عليه السلام وهو أفضلهم رواه أحمد فى كتاب فضائل على عليه السلام الحديث التاسع عشر أعطيت فى على خمسا هن أحب الى من الدنيا وما فيها أما واحدة فهو كاب بين يدى الله عز وجل حتى يفرغ من حساب الخلائق وأما الثانية فلواء الحمد بيده آدم ومن ولد تحته وأما الثالثة فواقف على عقر حوضى يسقى من عرف من أمتى وأما الرابعة فساتر عورتى ومسلمى الى ربى وأما الخامسة فانى لست أخشى عليه ان يعود كافرا بعد ايمان ولا زانيا بعد احصان رواه أحمد فى كتاب الفضائل الحديث العشرون كانت لجماعة من الصحابة أبواب شارعة فى مسجد الرسول صلى الله عليه وآله فقال عليه الصلاة والسلام يوما سدوا كل باب فى المسجد الا باب على فسدت فقال فى ذلك قوم حتى بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله فقام فيهم فقال ان قوما قالوا فى سد الابواب وترك باب على انى ما سددت ولا فتحت ولكنى أمرت بأمر فاتبعته رواه أحمد فى المسند مرارا وفى كتاب الفضائل الحديث الحادى والعشرون دعا صلى الله عليه وآله عليا فى غزاة الطائف فانتجاه وأطال نجواه حتى كره قوم من الصحابة ذلك فقال قائل منهم لقد أطال اليوم نجوى ابن عمه فبلغه عليه الصلاة والسلام ذلك فجمع منهم قوما ثم قال ان قائلا قال لقد أطال اليوم نجوى ابن عمه أما انى ما انتجيته ولكن الله انتجاه رواه أحمد رحمه الله فى المسند الحديث الثانى والعشرون اخصمك يا على بالنبوة فلا نبوة بعدى وتخصم الناس بسبع لا يجاحد فيها أحد من قريش أنت أولهم ايمانا بالله وأوفاهم بعهد الله وأقومهم بأمر الله وأقسمهم بالسوية وأعدلهم فى الرعية وأبصرهم بالقضية وأعظمهم عند الله مزية رواه أبو نعيم الحافظ فى حلية الاولياء الخبر الثالث والعشرون قالت فاطمة انك زوجتنى فقيرا لا مال له فقال زوجتك أقدمهم سلما وأعظمهم حلما وأكثرهم علما ألا تعلمين ان الله اطلع الى الارض اطلاعة فاختار منها أباك ثم اطلع اليها ثانية فاختار منها بعلك رواه أحمد فى المسند الحديث الرابع والعشرون لما أنزل اذا جاء نصر الله والفتح بعد انصرافه عليه السلام من غزاة حنين جعل يكثر من سبحان الله استغفر الله ثم قال يا على انه قد جاء ما وعدت به جاء الفتح ودخل الناس فى دين الله أفواجا وانه ليس أحد أحق منك بمقامى لقدمك فى الاسلام وقربك منى وصهرك وعندك سيدة نساء العالمين وقبل ذلك ما كان من بلاء أبى طالب عندى حين نزل القرآن فانا حريص على ان أراعى ذلك لولده رواه أبو اسحق الثعلبى فى تفسير القرآن ❊ واعلم أنا انما ذكرنا هذه الاخبار ههنا لان كثيرا من المنحرفين عنه عليه السلام اذا مروا على كلامه فى نهج البلاغة وغيره المتضمن التحدث بنعمة الله عليه من اختصاص الرسول له صلى الله عليه وآله وتميزه اياه عن غيره ينسبونه الى التيه والزهو والفخر ولقد سبقهم بذلك قوم من الصحابة قيل لعمر ول عليا أمر الجيش والحرب فقال هو أتيه من ذلك وقال زيد بن ثابت ما رأينا أزهى من على وأسامة فاردنا بايراد هذه الاخبار ههنا عند تفسير قوله نحن الشعار والاصحاب ونحن الخزنة والابواب أن ننبه على عظم منزلته عند الرسول صلى الله عليه وآله وان من قيل فى حقه ما قيل لو رقى الى السماء وعرج فى الهواء وفخر على الملائكة والانبياء تعظما وتبجحا لم يكن ملوما بل كان بذلك جديرا فكيف وهو عليه السلام لم يسلك قط مسلك التعظم والتكبر فى شئ من أقواله ولا من أفعاله وكان ألطف البشر خلقا وأكرمهم طبعا وأشدهم تواضعا وأكثرهم احتمالا وأحسنهم بشرا وأطلقهم وجها حتى نسبه من نسبه الى الدعابة والمزاح وهما خلقان ينافيان التكبر والاستطالة وانما كان يذكر أحيانا ما يذكره من هذا النوع نفثة مصدور وشكوى مكروب وتنفس مهموم ولا يقصد به اذا ذكره الا شكر النعمة وتنبيه الغافل على ما خصه الله به من الفضيلة فان

ذلك من باب الامر بالمعروف والحض على اعتقاد الحق والصواب في أمره والنهي عن المنكر الذي هو تقديم غيره عليه في الفضل فقد نهى الله سبحانه عن ذلك فقال أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي الا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون

(الاصل) (منها) فِيهِمْ كَرَائِمُ الْقُرْآنِ * وَهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمَنِ إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا وَإِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسْبَقُوا * فَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ وَلْيُحْضِرْ عَقْلَهُ وَلْيَكُنْ مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ فَإِنَّهُ مِنْهَا قَدِمَ وَإِلَيْهَا يَنْقَلِبُ فَالنَّاظِرُ بِالْقَلْبِ الْعَامِلُ بِالْبَصَرِ يَكُونُ مُبْتَدَأُ عَمَلِهِ أَنْ يَعْلَمَ أَعَمَلُهُ عَلَيْهِ أَمْ لَهُ * فَإِنْ كَانَ لَهُ مَضَى فِيهِ وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ وَقَفَ عَنْهُ فَإِنَّ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ طَرِيقٍ فَلَا يَزِيدُهُ بُعْدُهُ عَنِ الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ إِلَّا بُعْداً مِنْ حَاجَتِهِ وَالْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ أَسَائِرٌ هُوَ أَمْ رَاجِعٌ

(الشرح) قوله فيهم يرجع الى آل محمد صلى الله عليه وآله الذين عناهم بقوله نحن الشعار والاصحاب وهو يطلق دائما هذه الصيغ الجمعية ويعني نفسه وفي القرآن كثير من ذلك نحو قوله تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وكرائم الايمان جمع كريمة وهي المنفسات منه قال الشاعر

ماض من العيش لو يفدى بذلت له * كرائم المال من خيل ومن نعم

فان قلت أيكون في الايمان كرائم وغير كرائم قلت نعم لان الايمان عند أكثر أصحابنا اسم للطاعات كلها واجبها ونفلها فمن كانت نوافله أكثر كانت كرائم الايمان عنده أكثر ومن قام بالواجبات فقط من غير نوافل كان عنده الايمان ولم يكن عنده كرائم الايمان فان قلت فعلى هذا تكون النوافل أكرم من الواجبات قلت هي أكرم منها باعتبار والواجبات أكرم منها باعتبار آخر أما الاول فلأن صاحبها اذا كان قد قام بالواجبات كان أعلى مرتبة في الجنة ممن اقتصر على الواجبات فقط وأما الثاني فلان المخل بها لا يعاقب والمخل بالواجبات يعاقب قوله وهم كنوز الرحمن لان الكنز مال يدخر لشديدة أو ملمة تلم بالانسان وكذلك هؤلاء قد ذخروا لايضاح المشكلات الدينية على المكلفين ثم قال ان نطقوا صدقوا وان سكتوا لم يكن سكوتهم عن عي يوجب كونهم مسبوقين لكنهم ينطقون حكما ويصمتون حلما ثم أمر عليه السلام بالتقوى والعمل الصالح وقال ليصدق رائد أهله الرائد الذاهب من الحي يرتاد لهم المرعى وفي أمثالهم الرائد لا يكذب أهله والمعنى انه عليه السلام أمر الانسان بان يصدق نفسه ولا يكذبها بالتسويف والتعليل قال الشاعر

أخي اذا خاصمت نفسك فاحتشد * لها واذا حدثت نفسك فاصدق

وفي المثل المتشبع بما لا يملك كلابس ثوبي زور فانه منها قدم قد قيل ان الله تعالى خلق أرواح البشر قبل أجسادهم والخبر في ذلك مشهور والآية أيضا وهي قوله واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم ويمكن ان يفسر على وجه آخر وذلك ان الآخرة اليوم عدم محض والانسان قدم من العدم والى العدم ينقلب فقد صح انه قدم من الآخرة ويرجع الى الآخرة وروي ان العالم بالبصر أي بالبصيرة فيكون هو وقوله فالناظر بالقلب سواء وانما قاله تأكيدا وعلى هذا الوجه لا يحتاج الى تفسير وتأويل فاما الرواية المشهورة فالوجه في تفسيرها أن يكون قوله فالناظر مبتدأ والعامل صفة له وقوله بالبصر يكون مبتدأ عمله جملة مركبة من مبتدأ وخبر موضعها رفع لانها خبر المبتدأ الذي هو فالناظر وهذه الجملة المذكورة قد دخلت عليها كان فالجار والمجرور وهو الكلمة الاولى منها منصوبة الموضع لانها خبر كان ويكون قوله فيما بعد ان يعلم منصوب الموضع لانه بدل من البصر الذي هو خبر يكون والمراد بالبصر ههنا البصيرة فيصير تقدير الكلام فالناظر بقلبه العامل بجوارحه يكون مبتدأ عمله بالفكر والبصيرة بان يعلم أعمله له أم عليه ويروى كالسابل

على غير طريق والسابل طالب السبيل وقد جاء في الخبر المرفوع من عمل بغير هدى لم يزدد من الله الا بعدا وفي كلام الحكماء العامل بغير علم كالرامي من غير وتر

(الاصل) وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِناً عَلَى مِثَالِهِ فَمَا طَابَ ظَاهِرُهُ طَابَ بَاطِنُهُ وَمَا خَبُثَ ظَاهِرُهُ خَبُثَ بَاطِنُهُ وَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ الصَّادِقُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ (إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ * وَيُبْغِضُ عَمَلَهُ وَيُحِبُّ الْعَمَلَ وَيُبْغِضُ بَدَنَهُ)

(الشرح) هذا الكلام مشتق من قوله تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا وهو تمثيل ضربه الله تعالى لمن ينجع فيه الوعظ والتذكير من البشر ولمن لا يؤثر ذلك فيه مثله بالارض العذبة الطيبة تخرج النبت والارض السبخة الخبيثة لا تنبت وكلام أمير المؤمنين عليه السلام الى هذا المعنى يومئ يقول ان لكل حالتي الانسان الظاهرة أمرا باطنا يناسبها من أحواله والحالتان الظاهرتان ميله الى العقل وميله الى الهوى فالمتبع لمقتضى عقله يرزق السعادة والفوز فهذا هو الذي طاب ظاهره وطاب باطنه والمتبع لمقتضى هواه وعادته ودين اسلافه يرزق الشقاوة والعطب وهذا هو الذي خبث ظاهره وخبث باطنه فان قلت فلم قال فما طاب وهلا قال فمن طاب وكذلك في خبث قلت كلامه في الاخلاق والعقائد وما تنطوي عليه الضمائر يقول ما طاب من هذه الاخلاق والملكات وهي خلق النفس الربانية المريدة للحق من حيث هو حق سواء كان ذلك مذهب الآباء والاجداد أو لم يكن وسواء كان ذلك مستقبحا مستهجنا عند العامة أو لم يكن وسواء نال به من الدنيا حظا أو لم ينل يستطيب باطنه يعني ثمرته وهي السعادة وهذا المعنى من مواضع مالا من مواضع من فأما الخبر المروي فانه مذكور في كتب المحدثين وقد فسره أصحابنا المتكلمون فقالوا ان الله تعالى قد يحب المؤمن ومحبته له ارادة اثابته ويبغض عملا من أعماله وهو ارتكاب صغيرة من الصغائر فانها مكروهة عند الله وليست قادحة في ايمان المؤمن لانها تقع مكفرة وكذلك قد يبغض العبد بأن يريد عقابه نحو أن يكون فاسقا لم يتب ويحب عملا من أعماله نحو أن يطيع ببعض الطاعات وحبه لتلك الطاعة هي ارادته تعالى أن يسقط عنه بها بعض ما يستحقه من العقاب المتقدم

(الاصل) وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ نَبَاتاً وَكُلُّ نَبَاتٍ لَا غِنَاءَ بِهِ عَنِ الْمَاءِ وَالْمِيَاهُ مُخْتَلِفَةٌ فَمَا طَابَ سَقْيُهُ طَابَ غَرْسُهُ وَحَلَتْ ثَمَرَتُهُ وَمَا خَبُثَ سَقْيُهُ خَبُثَ غَرْسُهُ وَأَمَرَّتْ ثَمَرَتُهُ

(الشرح) السقي مصدر سقيت والسقي بالكسر النصيب من الماء وأمر الشئ أي صار مرا وهذا الكلام مثل في الاخلاص وضده وهو الرياء وحب السمعة فكل عمل يكون مدده الاخلاص لوجهه تعالى لا غير فانه زاك حلو الجنا وكل عمل يكون الرياء وحب الشهرة مدده فليس بزاك وتكون ثمرته مرة المذاق

(الاصل) *(ومن خطبة له عليه السلام)*

يذكر فيها بديع خلقة الخفاش

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي انْحَسَرَتِ الْأَوْصَافُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ * وَرَدَعَتْ عَظَمَتُهُ الْعُقُولَ فَلَمْ تَجِدْ مَسَاغاً إِلَى بُلُوغِ غَايَةِ مَلَكُوتِهِ * هُوَ اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ أَحَقُّ وَأَبْيَنُ مِمَّا تَرَى الْعُيُونُ لَمْ تَبْلُغْهُ الْعُقُولُ بِتَحْدِيدٍ فَيَكُونَ مُشَبَّهاً * وَلَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ الْأَوْهَامُ بِتَقْدِيرٍ فَيَكُونَ مُمَثَّلاً خَلَقَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ تَمْثِيلٍ وَلَا مَشُورَةِ مُشِيرٍ وَلَا مَعُونَةِ مُعِينٍ فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ وَأَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ فَأَجَابَ وَلَمْ يُدَافِعْ

وَانْقَادَ وَلَمْ يُنَازِعْ * وَمِنْ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ وَعَجَائِبِ حِكْمَتِهِ مَا أَرَانَا مِنْ غَوَامِضِ الْحِكْمَةِ فِي هَذِهِ الْخَفَافِيشِ الَّتِي يَقْبِضُهَا الضِّيَاءُ الْبَاسِطُ لِكُلِّ شَيْءٍ وَيَبْسُطُهَا الظَّلَامُ الْقَابِضُ لِكُلِّ حَيٍّ وَكَيْفَ عَشِيَتْ أَعْيُنُهَا عَنْ أَنْ تَسْتَمِدَّ مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِيئَةِ نُورًا تَهْتَدِي بِهِ فِي مَذَاهِبِهَا وَتَتَّصِلُ بِعَلَانِيَةِ بُرْهَانِ الشَّمْسِ إِلَى مَعَارِفِهَا وَرَدَعَهَا بِتَلَأْلُؤِ ضِيَائِهَا عَنِ الْمُضِيِّ فِي سُبُحَاتِ إِشْرَاقِهَا وَأَكَنَّهَا فِي مَكَامِنِهَا عَنِ الذَّهَابِ فِي بُلَجِ ائْتِلَاقِهَا * فَهِيَ مُسْدَلَةُ الْجُفُونِ بِالنَّهَارِ عَلَى أَحْدَاقِهَا وَجَاعِلَةُ اللَّيْلِ سِرَاجًا تَسْتَدِلُّ بِهِ فِي الْتِمَاسِ أَرْزَاقِهَا فَلَا يَرُدُّ أَبْصَارَهَا إِسْدَافُ ظُلْمَتِهِ * وَلَا تَمْتَنِعُ مِنَ الْمُضِيِّ فِيهِ لِغَسَقِ دُجْنَتِهِ * فَإِذَا أَلْقَتِ الشَّمْسُ قِنَاعَهَا وَبَدَتْ أَوْضَاحُ نَهَارِهَا * وَدَخَلَ مِنْ إِشْرَاقِ نُورِهَا عَلَى الضِّبَابِ فِي وِجَارِهَا * أَطْبَقَتِ الْأَجْفَانَ عَلَى مَآقِيهَا * وَتَبَلَّغَتْ بِمَا اكْتَسَبَتْهُ مِنَ الْمَعَاشِ فِي ظُلَمِ لَيَالِيهَا * فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ اللَّيْلَ لَهَا نَهَارًا وَمَعَاشًا وَالنَّهَارَ سَكَنًا وَقَرَارًا وَجَعَلَ لَهَا أَجْنِحَةً مِنْ لَحْمِهَا تَعْرُجُ بِهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَى الطَّيَرَانِ كَأَنَّهَا شَظَايَا الْآذَانِ * غَيْرَ ذَوَاتِ رِيشٍ وَلَا قَصَبٍ * إِلَّا أَنَّكَ تَرَى مَوَاضِعَ الْعُرُوقِ بَيِّنَةً أَعْلَامًا * لَهَا جَنَاحَانِ لَمْ يَرِقَّا فَيَنْشَقَّا * وَلَمْ يَغْلُظَا فَيَثْقُلَا * تَطِيرُ وَوَلَدُهَا لَاصِقٌ بِهَا لَاجِئٌ إِلَيْهَا يَقَعُ إِذَا وَقَعَتْ وَيَرْتَفِعُ إِذَا ارْتَفَعَتْ لَا يُفَارِقُهَا حَتَّى تَشْتَدَّ أَرْكَانُهُ وَيَحْمِلَهُ لِلنُّهُوضِ جَنَاحُهُ وَيَعْرِفَ مَذَاهِبَ عَيْشِهِ وَمَصَالِحَ نَفْسِهِ فَسُبْحَانَ الْبَارِئِ لِكُلِّ شَيْءٍ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ

(الشرح) الخفاش واحد جمعه خفافيش وهو هذا الطائر الذي يطير ليلا ولا يطير نهارا وهو مأخوذ من الخفش وهو ضعف في البصر خلقة والرجل أخفش وقد يكون علة وهو الذي يبصر بالليل لا بالنهار أو في يوم غيم لا في يوم صحو وانحسرت الاوصاف كلت وأعيت وردعت كفت والمساغ المسلك قال أحق وأبين مما ترى العيون وذلك لان العلوم العقلية اذا كانت ضرورية أو قريبة من الضرورية كانت أوثق من المحسوسات لان الحس يغلط دائما فيرى الكبير صغيرا كالبعيد والصغير كبيرا كالعنبة في الماء ترى كالاجاصة ويرى الساكن متحركا كجرف الشط اذا رآه راكب السفينة متصاعدا ويرى المتحرك ساكنا كالظل الى غير ذلك من الأغاليط والقضايا العقلية الموثوق بها لانها بديهية او تكاد فالغلط غير داخل عليها قوله يقبضها الضياء أي يقبض أعينها قوله وتتصل بعلانية برهان الشمس كلام جيد في مذاهب الاستعارة وسبحات اشراقها جلاله وبهاؤه واكنها استرها وبلج ائتلافها جمع بلجة وهي أول الصبح وجاء بلجة أيضا بالفتح والحداق جمع حدقة العين والاسداف مصدر أسدف الليل أظلم وغسق الدجنة ظلام الليل فاذا ألقت الشمس قناعها أي سفرت عن وجهها وأشرقت والأوضاح جمع وضح وقد يراد به حلي يعمل من الدراهم الصحاح وقد يراد به الدراهم الصحاح نفسها وان لم يكن حليا والضباب جمع ضب ووجارها بيتها وشظايا الآذان اقطاع منها والقصب ههنا الغضروف وخلاصة الخطبة التعجب من أعين الخفافيش التي تبصر ليلا ولا تبصر نهارا وكل الحيوانات بخلاف ذلك فقد صار الليل لها معاشا والنهار لها سكنا بعكس الحال فيما عداها ثم من أجنحتها التي تطير بها وهي لحم لا ريش عليه ولا غضروف وليست رقيقة فتنشق ولا كثيفة فتثقلها عن الطيران ثم من ولدها اذا طارت احتملته وهو لاصق بها فاذا وقعت وقع ملتصقا بها هكذا الى أن يشتد ويقوى على النهوض فيفارقها واعلم انه عليه السلام قد أتى بالعلة الطبيعية في

عدم ابصارها نهارا وهو انفعال حاسة بصرها عن الضوء الشديد وقد يعرض مثل ذلك لبعض الناس وهو المرض المسمى روزكور أي أعمى النهار ويكون ذلك عن افراط التحلل في الروح النوري فاذا لقي حر النهار أصابه فرثم يستدرك ذلك برد الليل فيزول فيعود الابصار وأما طيرانها من غير ريش فانه ليس بذلك الطيران الشديد وانما هو نهوض وخفة أفادها الله تعالى اياه بواسطة الطبيعة والتصاق الولد بها لانها تضمه اليها بالطبع و ينضم اليها كذلك وتستعين على ضمه برجليها و بقصر المسافة وجملة الامر انه تعجب من عجيب وفي الاحاديث العامية قيل للخفاش لماذا لا جناح لك قال لاني تصوير مخلوق قيل فلماذا لا تخرج نهارا قال حياء من الطيور يعنون ان المسيح عليه السلام صوره وان اليه الاشارة بقوله تعالى واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وفي الطير عجائب وغرائب لا تهتدي العقول اليها و يقال ان ضربين من الحيوان اصمان لا يسمعان وهما النعام والافاعي و تقول العرب ان الظليم يسمع بعينه وأنفه لا يحتاج معهما الى حاسة أخرى والكركي يجمعها أميرها كيعسوب النحل ولا يجمعها الا أزواجا والعصافير آلفة للناس آنسة بهم لا تسكن دارا حتى يسكنها انسان ومتى سكنتها لم تقم فيها اذا خرج الانسان منها فبفراقه تفارق و بسكناه تسكن و يذكر أهل البصرة انه اذا كان زمن الخروج الى البساتين لم يبق في البصرة عصفور الا خرج اليها الا ما أقام على بيضه وفراخه وقد يذرب العصفور فيستجيب من المكان البعيد و يرجع وقال شيخنا أبو عثمان بلغني انه درب فيرجع من ميل وليس في الارض رأس أشبه برأس الحية من رأس العصفور وليس في الحيوان الذي يعايش الناس أقصر عمرا منه قيل لاجل السفاد الذي يستكثر منه و يميز الذكر من الانثى في العصافير تميز الديك من الدجاجة لان له لحية ولا شيء أحنى على ولده منه واذا عرض له شيء صاح فأقبلت اليه العصافير يساعدنه وليس في مثل جسم العصفور مع شدة وطئه اذا كنت تحت السطح ووقع حسبت وقعته وقعة جرذ كور العصافير لا تعيش الا سنة وكثيرا ما تجلب الحيات الى المنازل لان الحيات تتبعها حرصا على ابتلاع بيضها وفراخها و يقال ان الدجاجة اذا باضت بيضتين في يوم واحد وتكرر ذلك ماتت واذا هرمت الدجاجة لم يكن لاواخر ما تبيضه صفرة واذا لم يكن للبيضة مح لم يخلق فيها فروخ لان غذاءه المح ما دام في البيضة وقد يكون للبيضة محان فتنفقص عن فرخين يخلقان من البياض و يغتذيان بالمحين لان الفراريج من البياض وتغتذي بالصفرة وكل ديك فانه يلتقط الحبة فيحذف بها الى الدجاجة سماحا وايثارا ولهذا قالوا أسمح من لافظة يعنون الديكة الا ديكة مرو بخراسان فانها تطرد دجاجها عن الحب وتنزعه من أفواهها فتبتلعه * والحمامة بلهاء في أمثالهم أحمق من حمامة وهي مع حمقها مهتدية الى مصالح نفسها وفراخها قال ابن الاعرابي قلت لشيخ من العرب من علمك هذا قال علمني الذي علم الحمامة على بلهها تقليب بيضها كي تعطي الوجهين جميعا نصيبهما من الحضن والهداية في الحمام لا يكون الا في الخضر والسمر فأما الاسود الشديد السواد فهو كالزنجي القليل المعرفة والابيض ضعيف القوة واذا خرج الفرخ عن بيضته علم أبواه ان حلقه لا يتسع للغذاء فلا يكون لهما هم الا أن ينفخا في حلقه الريح لتتسع حوصلته بعد التحامها ثم يعلمان انه لا يحتمل في أول اغتذائه أن يزق بالطعم فيزقانه باللعاب المختلط بقواهما وقوى الطعم ثم يعلمان ان حوصلته تحتاج الى دباغ فيأكلان من شورج أصول الحيطان وهو شيء من الملح الخالص والتراب فيزقانه به فاذا علما أنه قد اندبغ زقاه بالحب الذي قد غب في حواصلهما ثم بالذي هو أطرى فأطرى حتى يتعود فاذا علما أنه قد أطاق اللقط منعاه بعض المنع ليحتاج ويتشوف فتطلبه نفسه ويحرص عليه فاذا فطماه و بلغا منتهى حاجته اليهما نزع الله تلك الرحمة منهما وأقبل بهما على طلب نسل آخر و يقال ان حية أكلت بيض مكاء فجعل المكاء يشرشر على رأسها و يدنو منها حتى دلعت الحية لسانها وفتحت فاها تريده وثم به فألقى فيها حسكة فأخذت بحلقها حتى ماتت ومن دعاء الصالحين يا رزاق النعاب في عشه وذلك ان الغراب اذا فقص عن فراخه فقص عنها بيض الالوان فينفر عنها ولا يرزقها فتفتح أفواهها فيأتيها ذباب يتساقط في أفواهها فيكون غذاءها الى أن تسود فينقطع الذباب عنها و يعود الغراب اليها فيأنس بها و يغذيها والحبارى تدبق جناح الصقر بذرقها ثم يجتمع عليه الحباريات فينتفن ريشه طاقة طاقة حتى يموت ولذلك يحاول الحبارى العلو عليه و يحاول هو العلو عليها

ولا يتجاسر أن يدنو منها مستقلاً عنها و يقال ان الحبارى تموت كمدا اذا انحسر عنها ريشها ورأت صويحباتها تطير وكل الطير يتسافد بالاستاه الا الحجل فان الحجلة تكون فى سفالة الريح واليعقوب فى علاوتها فتلقح منه كما تلقح النخلة من الفحال بالريح والحبارى شديدة الحمق يقال انها أحمق الطير وهى أشده حياطة لبيضها وفراخها والعقعق مع كونه أخبث الطير وأصدقها خبثا وأشدها حذرا ليس فى الارض طائر أشد تضييعا لبيضه وفراخه منه ومن الطير ما يؤثر التفرد كالعقاب ومنه ما يتعايش زوجا كالقطا والظليم يبتلع الحديد المحمى ثم يميعه بحرقانصته حتى يحيله كالماء الجارى وفى ذلك أعجوبتان التغذى بما لا يغتذى واستمراؤه وهضمه شيأ لو طبخ بالنار أبدا ما انحل وكما سخر الحديد لجوف الظليم فأحاله سخر الصخر الاصم لاذناب الجراد اذا أراد أن يلقى بيضه غرس ذنبه فى أشد الارض صلابة فانصدع له وذلك من فعل الطبيعة بتسخير الصانع القديم سبحانه كما ان عود الحلفاء الرخو الدقيق المنبت يلقى فى نباته الآجر والخزف الغليظ فيثقبه وقد رأيت فى مسناة سور بغداد فى حجر صلد نبعة نبات قد شقت وخرجت من موضع لو حاول جماعة أن يضربوه بالبيارم الشديدة مدة طويلة لم يؤثر فيه أثرا وقد قيل ان ابرة العقرب أنفذ فى الطنجير والطست وفى الظليم شبه من البعير من جهة المنسم والوظيف والعنق والخزامة التى فى أنفه وشبه من الطائر من جهة الريش والجناحين والذنب والمنقار ثم ان ما فيه من شبه الطير جذبه الى البيض وما فيه من شبه البعير لم يجذبه الى الولادة ويقال ان النعامة مع عظم عظامها وشدة عدوها لا مخ فيها وأشد ما يكون عدوها أن تستقبل الريح فكلما كان أشد لعصوفها كان أشد لحضرها تضع عنقها على ظهرها ثم تخرق الريح ومن أعاجيبها ان الصيف اذا دخل وابتدأ البسر فى الحمرة ابتدأ لون وظيفها فى الحمرة فلا يزالان يزدادان حمرة الى أن تنتهى حمرة البسر ولذلك قيل للظليم خاضب ومن العجب أنها لا تأنس بالطير ولا بالابل مع مشاكلتها للنوعين ولا يكاد يرى بيضها مبددا البتة بل تصفه طولا صفا مستويا على غاية الاستواء حتى لو مددت عليه خيط المسطر لما وجدت لبعضه خروجا عن البعض ثم تعطى لكل واحدة نصيبها من الحضن والذئب لا يعرض لبيض النعام ما دام الابوان حاضرين فانهما متى نقفاه ركبه الذكر فيطحره وأدركته الانثى فركضته ثم اسلمته الى الذكر وركبته عوضه فلا يزالان يفعلان به ذلك حتى يقتلاه أو يعجزهما هربا والنعام قد يتخذ فى الدور وضرره شديد لان النعامة ربما رأت فى اذن الجارية قرطا فيه حجر أو حبة لؤلؤ فخطفته وأكلته وخرمت الاذن أو رأت ذلك فى لبتها فضربت بمنقارها اللبة فخرقتها

(الاصل) ﴿ ومن كلام له عليه السلام ﴾

خاطب به أهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم

فَمَنِ اسْتَطَاعَ عِنْدَ ذَلِكَ أَنْ يَعْتَقِلَ نَفْسَهُ الى اللهِ فَلْيَفْعَلْ فانْ أَطَعْتُمُونى فانّى حامِلُكُمْ ان شاء اللهُ على سَبِيلِ الجَنَّةِ وَإنْ كانَ ذا مَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ وَمَذَاقَةٍ مَرِيرَةٍ وَأَمَّا فُلانَةُ فَادْرَكَهَا رَأْيُ النِّساءِ وَضِغْنٌ غَلاَ فِي صَدْرِها كَمِرْجَلِ القَيْنِ * وَلَوْ دُعِيَتْ لِتَنالَ مِنْ غَيْرِى ما أَتَتْ إلَيَّ لَمْ تَفْعَلْ وَلَها بَعْدُ حُرْمَتُها الأُولَى وَالْحِسابُ على اللهِ

(الشرح) يعتقل نفسه على الله يحبسها على طاعته ثم ذكر ان السبيل التى حملهم عليها وهى سبيل الرشاد ذات مشقة شديدة ومذاقة مريرة لان الباطل محبوب النفوس فانه اللهو واللذة وسقوط التكليف وأما الحق فمكروه النفس لان التكليف صعب وترك الملاذ العاجلة شاق شديد المشقة والضغن الحقد والمرجل قدر كبيرة والقين الحداد أى كغليان قدر من حديد وفلانة كناية عن أم المؤمنين عائشة أبوها أبو بكر وقد تقدم ذكر نسبه وأمها أم رومان ابنة عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة بن سبيع بن دهمان بن الحرث بن الغنم بن مالك بن كنانة تزوجها رسول الله

صلى

صلى الله عليه وآله قبل الهجرة بسنتين بعد وفاة خديجة وهى بنت سبع سنين و بنى عليها بالمدينة وهى بنت تسع سنين وعشرة أشهر وكانت قبله تذكر لجبير بن مطعم وتسمى له وكان رسول الله صلى الله عليه وآله رأى فى المنام عائشة فى سرقة من حرير عند متوفى خديجة فقال ان يكن هذا من عند الله يمضه روى هذا الخبر فى المسانيد الصحيحة وكان نكاحه اياها فى شوال و بناؤه عليها فى شوال أيضا فكانت تحب أن تدخل النساء من أهلها وأحبتها على أزواجهن فى شوال وتقول هل كان فى نسائه أحظى منى وقد نكحنى و بنى على فى شوال ردا بذلك على من يزعم من النساء ان دخول الرجل بالمرأة بين العيدين مكروه وتوفى رسول الله صلى الله عليه وآله عنها وهى بنت عشرين سنة واستأذنت رسول الله صلى الله عليه وآله فى الكنية فقال لها اكتنى بابنك عبد الله بن الزبير يعنى ابن أختها فكانت تكنى أم عبد الله وكانت فقيهة راوية للشعر ذات حظ من رسول الله صلى الله عليه وآله وميل ظاهر اليها وكانت لها عليه جراءة وادلال عليه لم يزل ينمى و يستشرى حتى كان منها فى أمره فى قصة مارية ما كان من الحديث الذى أسره الى الزوجة الاخرى وأدى الى تظاهرهما عليه وأنزل فيهما قرآنا يتلى فى المحاريب يتضمن وعيدا غليظا عقيب تصريح بوقوع الذنب وصغو القلب وأعقبتها تلك الجرأة وذلك الانبساط ان حدث منها فى أيام الخلافة العلوية ما حدث ولقد عفا الله تعالى عنها وهى من أهل الجنة عندنا بسابق الوعد وما صح من أمر التوبة وروى أبو عمر بن عبد البر فى كتاب الاستيعاب فى باب عائشة عن سعيد بن نصر عن قاسم بن أصبغ عن محمد بن وضاح عن أبى بكر بن أبى شيبة عن وكيع عن عصام بن قدامة عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لنسائه أيتكن صاحبة الجمل الادبب يقتل حولها قتلى كثير وتنجو بعد ما كادت قال أبو عمر بن عبد البر وهذا الحديث من اعلام نبوته صلى الله عليه وآله قال وعصام بن قدامة ثقة وسائر الاسناد فثقة رجاله أشهر من أن تذكر ولم تحمل عائشة من رسول الله صلى الله عليه وآله ولا ولد له ولد من مهيرة الا من خديجة ومن السرارى من مارية وقذفت عائشة فى أيام رسول الله صلى الله عليه وآله بصفوان بن المعطل السلمى والقصة مشهورة فأنزل الله تعالى براءتها فى قرآن يتلى و ينقل وجلد قاذفوها الحد وتوفيت فى سنة سبع وخمسين للهجرة وعمرها أربع وستون سنة ودفنت بالبقيع فى ملك معاوية وصلى عليها المسلمون ليلا وأمهم أبو هريرة ونزل فى قبرها خمسة من أهلها عبد الله وعروة ابنا الزبير والقاسم وعبد الله ابنا محمد بن أبى بكر وعبد الرحمن بن عبد الرحمن بن أبى بكر وذلك لسبع عشرة خلت من شهر رمضان من السنة المذكورة فأما قوله فأدركها رأى النساء أى ضعف آرائهن وقد جاء فى الخبر لا يفلح قوم أسندوا أمرهم الى امرأة وجاء انهن قليلات عقل ودين أو قال ضعيفات ولذلك جعل شهادة المرأتين بشهادة الرجل الواحد والمرأة فى أصل الخلقة سريعة الانخداع سريعة الغضب سيئة الظن فاسدة التدبير والشجاعة فيهن مفقودة أو قليلة وكذلك السخاء وأما الضغن فاعلم ان هذا الكلام يحتاج الى شرح وقد كنت قرأته على الشيخ أبى يعقوب يوسف بن اسمعيل اللمعانى رحمه الله أيام اشتغالى عليه بعلم الكلام وسألته عما عنده فيه فأجابنى بجواب طويل أنا أذكر محصوله بعضه بلفظه رحمه الله و بعضه بلفظى فقد شذ عنى الآن لفظه كله بعينه قال أول بدء الضغن كان بينها و بين فاطمة عليها السلام وذلك لان رسول الله صلى الله عليه وآله تزوجها عقيب موت خديجة فأقامها مقامها وفاطمة هى ابنة خديجة ومن المعلوم ان ابنة الرجل اذا ماتت أمها وتزوج أبوها أخرى كان بين الابنة و بين المرأة كدر وشنآن وهذا لا بد منه لان الزوجة تنفس عليها ميل الاب والبنت تكره ميل أبيها الى امرأة غريبة كالضرة لامها بل هى ضرة على الحقيقة وان كانت الام ميتة ولانا لو قدرنا الام حية لكانت العداوة مضطرمة متسعرة فاذا كانت قد ماتت ورثتا ابنتها تلك العداوة وفى المثل عداوة الحماة والكنه وقال الراجز ان الحماة أولعت بالكنه * وأولعت كنتها بالظنه ثم اتفق ان رسول الله صلى الله عليه وآله مال اليها وأحبها فازداد ما عند فاطمة بحسب زيادة ميله وأكرم رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة اكراما عظيما أكثر مما كان الناس يظنونه وأكثر من اكرام الرجال لبناتهم حتى خرج بها عن حد حب الآباء للاولاد فقال بمحضر الخاص والعام مرارا لا مرة واحدة فى مقامات مختلفة لا فى مقام واحد انها سيدة نساء العالمين وانها عديلة مريم بنت عمران وانها اذا مرت فى الموقف نادى مناد من جهة العرش يا أهل الموقف

غضوا أبصاركم لتعبر فاطمة بنت محمد وهذا من الاحاديث الصحيحة وليس من الاخبار المستضعفة وان انكاحه عليا اياها
ما كان الا بعد ان أنكحه الله تعالى اياها في السماء بشهادة الملائكة وكم قال لامرة يؤذيني ما يؤذيها ويغضبني ما يغضبها
وانها بضعة مني يريبني ما رابها فكان هذا وامثاله يوجب زيادة الضغن عند الزوجة حسب زيادة هذا التعظيم والتبجيل
والنفوس البشرية تغيظ على ما هو دون هذا فكيف هذا ثم حصل عند بعلها ما هو حاصل عندها أعني عليا عليه السلام
فان النساء كثيرا ما يحصلن الاحقاد في قلوب الرجال لاسيما وهن محدثات الليل كما قيل في المثل وكانت تكثر الشكوى
من عائشة ويغشاها نساء المدينة وجيران بيتها فينقلن اليها كلمات عن عائشة ثم يذهبن الى بيت عائشة فينقلن اليها كلمات
عن فاطمة وكما كانت فاطمة تشكو الى بعلها كانت عائشة تشكو الى أبيها لعلمها ان بعلها لا يشكيها على ابنته فحصل
في نفس أبي بكر من ذلك أثرما ثم تزايد تقريظ رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام وتقريبه واختصاصه
فاحدث ذلك حسدا له وغبطة في نفس أبي بكر عنه وهو أبوها وفي نفس طلحة وهو ابن عمها وهي تجلس اليهما وتسمع
كلامهما وهما يجلسان اليها ويحادثانها فأعدى اليها منهما كما أعدتهما قال ولست أبرئ عليا عليه السلام من مثل ذلك
فانه كان ينفس على أبي بكر سكون النبي صلى الله عليه وآله اليه وثناءه عليه ويحب أن ينفرد هو بهذه المزايا والخصائص
دونه ودون الناس اجمعين ومن انحرف عن انسان انحرف عن أهله وأولاده فتأكدت البغضة بين هذين الفريقين
ثم كان من أمر القذف ما كان ولم يكن علي عليه السلام من القاذفين ولكنه كان من المشيرين على رسول الله صلى
الله عليه وآله بطلاقها تنزيها لعرضه عن أقوال الشناة والمنافقين قال له لما استشاره ان هي الا شسع نعلك وقال له سل
الخادم وخوفها وان أقامت على الجحود فاضربها وبلغ عائشة هذا الكلام كله وسمعت أضعافه مما جرت عادة الناس
أن يتداولوه في مثل هذه الواقعة ونقل النساء اليها كلاما كثيرا عن علي وفاطمة وانهما قد أظهرا الشماتة جهارا وسرا
بوقوع هذه الحادثة لها فتفاقم الامر وغلظ ثم ان رسول الله صلى الله عليه وآله صالحها ورجع اليها ونزل القرآن ببراءتها
فكان منها ما يكون من الانسان ينتصر بعد ان قهر ويستظهر بعد ان غلب ويبرأ بعد ان اتهم من بسط اللسان وفلتات
القول وبلغ ذلك كله عليا عليه السلام وفاطمة عليها السلام فاشتدت الحال وغلظت وطوى كل من الفريقين قلبه على
الشنآن لصاحبه ثم كان بينها وبين علي عليه السلام في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله أحوال وأقوال كلها تقتضي تهييج ما
في النفوس نحو قولها له وقد استدناه رسول الله فجاء حتى قعد بينه وبينها وهما متلاصقان أما وجدت مقعدا لكذا
لا تكني عنه الا بكذا ونحو ما روي انه سايره يوما وأطال مناجاته فجاءت وهي سائرة خلفهما حتى دخلت بينهما وقالت
فيم أنتما فقد أطلتما فيقال ان رسول الله صلى الله عليه وآله غضب ذلك اليوم وما روي من حديث الجفنة من الثريد التي
أمرت الخادم فوقفت لها فأكفأتها ونحو ذلك مما يكون بين الاهل وبين المرأة واحمائها ثم اتفق ان فاطمة ولدت
أولادا كثيرة بنين وبنات ولم تلد هي ولدا وان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقيم بني فاطمة مقام بنيه ويسمي
الواحد منهما ابني ويقول دعوا الي ابني ولا تزرموا على ابني وما فعل ابني فما ظنك بالزوجة اذا حرمت الولد من البعل ثم
رأت البعل يتبنى بني ابنته من غيرها ويحنو عليهم حنو الوالد المشفق هل تكون محبة لاولئك البنين ولامهم ولابيهم أم
مبغضة وهل تود دوام ذلك واستمراره أم زواله وانقضاءه ثم اتفق ان رسول الله صلى الله عليه وآله سد باب أبيها الى
المسجد وفتح باب صهره ثم بعث أباها ببراءة الى مكة ثم عزله عنها بصهره فقدح ذلك أيضا في نفسها وولد لرسول الله صلى
الله عليه وآله ابراهيم من مارية فأظهر علي عليه السلام بذلك سرورا كثيرا وكان يتعصب لمارية ويقوم بأمرها عند
رسول الله صلى الله عليه وآله ميلا على غيرها وجرت لمارية نكبة مناسبة لنكبة عائشة فبرأها علي عليه السلام منها
وكشف بطلانها أو كشفه الله تعالى على يده وكان ذلك كشفا محسا بالبصر لا يتهيأ للمنافقين أن يقولوا فيه ما قالوه في
القرآن المنزل ببراءة عائشة وكل ذلك مما كان يوغر صدر عائشة عليه ويؤكد ما في نفسها منه ثم مات ابراهيم فأبطنت
شماتة وان أظهرت كآبة ووجم علي عليه السلام من ذلك وكذلك فاطمة وكانا يؤثران ويريدان أن تتميز مارية عليها
بالولد فلم يقدر لهما ولا لمارية ذلك وبقيت الامور على ما هي عليه وفي النفوس ما فيها حتى مرض رسول الله صلى الله

عليه

عليه وآله المرض الذي توفي فيه وكانت فاطمة عليها السلام وعلي عليه السلام يريدان أن يمرضاه في بيتهما وكذلك كان
أزواجه كلهن فمال الى بيت عائشة بمقتضى المحبة القلبية التي كانت لها دون نسائه وكره أن يزاحم فاطمة وبعلها في بيتهما فلا
يكون عنده من الانبساط لوجودهما ما يكون اذا خلا بنفسه في بيت من يميل اليه بطبعه وعلم ان المريض يحتاج الى فضل
مداراة ونوم ويقظة وانكشاف وخروج حدث فكانت نفسه الى بيته أسكن منها الى بيت صهره وبنته فانه اذا تصور
حياءهما منه استحياهو أيضا منهما وكل أحد يحب أن يخلو بنفسه ويحتشم الصهر والبنت ولم يكن له الى غيرها من
الزوجات مثل ذلك الميل اليها فتمرض في بيتها فغبطت على ذلك ولم يمرض رسول الله صلى الله عليه وآله منذ قدم
المدينة مثل هذا المرض وانما كان مرضه الشقيقة يوما أو بعض يوم ثم يبرأ فتطاول هذا المرض وكان علي عليه السلام
لا يشك ان الامر له وانه لا ينازعه فيه أحد من الناس ولهذا قال له عمه وقد مات رسول الله صلى الله عليه وآله أمدد يدك
أبايعك فيقول الناس عم رسول الله صلى الله عليه وآله بايع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله فلا يختلف عليك اثنان
قال يا عم وهل يطمع فيها طامع غيري قال ستعلم قال فاني لا أحب هذا الامر من وراء رتاج وأحب أن أصحر به فسكت
عنه فلما ثقل رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه أنفذ جيش أسامة وجعل فيه أبا بكر وغيره من أعلام المهاجرين
والانصار فكان علي عليه السلام حينئذ بوصوله الى الامر ان حدث برسول الله صلى الله عليه وآله حدث أوثق
وتغلب على ظنه ان المدينة لو مات لخلت من منازع ينازعه الامر بالكلية فيأخذه صفوا عفوا وتتم له البيعة فلا يتهيأ
فسخها لورام ضد منازعته عليها فكان من عود أبي بكر من جيش أسامة بارسالها اليه واعلامه بأن رسول الله صلى الله
عليه وآله يموت ما كان ومن حديث الصلاة بالناس ما عرف فنسب علي عليه السلام عائشة انها أمرت بلالا مولى أبيها
أن يأمره فليصل بالناس لان رسول الله كما روي قال ليصل بهم أحدهم ولم يعين وكانت صلاة الصبح فخرج رسول الله
صلى الله عليه وآله وهو في آخر رمق يتهادى بين علي والفضل بن العباس حتى قام في المحراب كما ورد في الخبر ثم دخل فمات
ارتفاع الضحى فجعل يوم صلاته حجة في صرف الامر اليه وقال أيكم يطيب نفسا أن يتقدم قدمين قدمهما رسول الله
في الصلاة ولم يحملوا خروج رسول الله صلى الله عليه وآله الى الصلاة لصرفه عنها بل لمحافظته على الصلاة مهما أمكن
فبويع على هذه النكتة التي اتهمها علي عليه السلام على انها ابتدأت منها وكان علي عليه السلام يذكر هذا
لاصحابه في خلواته كثيرا ويقول انه لم يقل صلى الله عليه وآله انكن لصويحبات يوسف الا انكارا لهذه الحال وغضبا
منها لانها وحفصة تبادرتا الى تعيين أبويهما وانه استدركها بخروجه وصرفه عن المحراب فلم يجد ذلك ولا أثر مع قوة
الداعي الذي كان يدعو الى أبي بكر ويمهد له قاعدة الامر وتقرر حاله في نفوس الناس ومن اتبعه على ذلك من أعيان
المهاجرين والانصار ولما ساعد على ذلك من الحظ الفلكي والامر السمائي الذي جمع عليه القلوب والاهواء فكانت
هذه الحال عند علي أعظم من كل عظيم وهي الطامة الكبرى والمصيبة العظمى ولم ينسبها الا الى عائشة وحدها ولا علق
الامر الواقع الا بها فدعا عليها في خلواته وبين خواصه وتظلم الى الله منها وجرى له في تخلفه عن البيعة ما هو مشهور حتى
بايع وكان يبلغه وفاطمة عنها كل ما يكرهانه منذ مات رسول الله صلى الله عليه وآله الى أن توفيت فاطمة وهما صابران
على مضض ورمض واستظهرت بولاية أبيها واستطالت وعظم شأنها وانخذل علي وفاطمة وقهرا وأخذت فدك
وخرجت فاطمة تجادل في ذلك مرارا فلم تظفر بشيء وفي ذلك تبلغها النساء والداخلات والخارجات عن عائشة كل كلام
يسوءها ويبلغن عائشة عنها وعن بعلها مثل ذلك الا انه شتان ما بين الحالين وبعد ما بين الفريقين هذه غالبة وهذه
مغلوبة وهذه آمرة وهذه مأمورة وظهر التشفي والشماتة ولا شيء أعظم مرارة ومشقة من شماتة العدو فقلت له رحمه الله
أفتقول أنت ان عائشة عينت أباها للصلاة ورسول الله صلى الله عليه وآله لم يعينه فقال أما أنا فلا أقول ذلك ولكن عليا كان
يقوله وتكليفي غير تكليفه كان حاضرا ولم أكن حاضرا فأنا محجوج بالاخبار التي اتصلت بي وهي تتضمن تعيين النبي
صلى الله عليه وآله لابي بكر في الصلاة وهو محجوج بما كان قد علمه أو يغلب على ظنه من الحال التي كان حضرها قال
ثم ماتت فاطمة فجاء نساء رسول الله صلى الله عليه وآله كلهن الى بني هاشم في العزاء الا عائشة فانها لم تأت وأظهرت مرضا

ونقل الى علي عليه السلام عنها كلام يدل على السرور ثم بايع على أباها فسرت بذلك وأظهرت من الاستبشار بتمام البيعة واستقرار الخلافة وبطلان منازعة الخصم ما قد نقله الناقلون فأكثروا واستمرت الامور على هذا مدة خلافة أبيها وخلافة عمر وعثمان والقلوب تغلي والاحقاد تذيب الحجارة وكلما طال الزمان على علي تضاعفت همومه وغمومه وباح بما في نفسه الى أن قتل عثمان وقد كانت عائشة فيها أشد الناس عليه تأليبا وتحريضا فقالت أبعده الله لما سمعت قتله وأملت أن تكون الخلافة فى طلحة فتعود الامرة تيمية كما كانت أولا فعدل الناس عنه الى على بن أبى طالب فلما سمعت ذلك صرخت واعثماناه قتل عثمان مظلوما وثار ما فى الانفس حتى تولد من ذلك يوم الجمل وما بعده هذه خلاصة كلام الشيخ أبى يعقوب رحمه الله ولم يكن يتشيع وكان شديدا فى الاعتزال الا أنه فى التفضيل كان بغداديا فاما قوله عليه السلام ولو دعيت لتنال من غيرى مثل ما أتت الى لم تفعل فانما يعنى به عمر يقول لو ان عمر ولى الخلافة بعد قتل عثمان على الوجه الذى قتل عليه والوجه الذى أنا وليت الخلافة عليه ونسب عمر الى انه كان يؤثر قتله أو يحرض عليه ودعيت عائشة الى ان تخرج عليه فى عصابة من المسلمين الى بعض بلاد الاسلام تثير فتنة وتنقض البيعة لم تفعل وهذا حق لانها لم تكن تجد على عمر ما تجده على علي عليه السلام ولا الحال الحال فاما قوله ولها بعد حرمتها الاولى والحساب على الله فانه يعنى بذلك حرمتها بنكاح رسول الله صلى الله عليه وآله لها وحبه اياها وحسابها على الله لانه غفور رحيم لا يتعاظم عفوه زلة ولا يضيق عن رحمته ذنب فان قلت هذا الكلام يدل على توقفه عليه السلام فى أمرها وأنتم تقولون انها من أهل الجنة فكيف تجمعون بين مذهبكم وهذا الكلام قلت يجوز أن يكون قال هذا الكلام قبل ان يتواتر الخبر عنده بتوبتها فان أصحابنا يقولون انها تابت بعد قتل أمير المؤمنين وندمت وقالت لوددت ان لى من رسول الله صلى الله عليه وآله عشرة بنين كلهم ماتوا ولم يكن يوم الجمل وانها كانت بعد قتله تثنى عليه وتنشر مناقبه مع انهم رووا أيضا انها عقيب الجمل كانت تبكى حتى تبل خمارها وانها استغفرت الله وندمت ولكن لم يبلغ أمير المؤمنين عليه السلام حديث توبتها عقيب الجمل بلاغا يقطع العذر ويثبت الحجة والذى شاع عنها من امر الندم والتوبة شياعا مستفيضا انما كان بعد قتله عليه السلام الى ان ماتت وهى على ذلك والتائب مغفور له ويجب قبول التوبة عندنا فى العدل وقد أكد وقوع التوبة منها ما روى فى الاخبار المشهورة انها زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله فى الآخرة كما كانت زوجته فى الدنيا ومثل هذا الخبر اذا شاع أوجب علينا ان نتكلف اثبات توبتها ولو لم ينقل فكيف والنقل لها يكاد ان يبلغ حد التواتر

(الاصل) (مِنها) سَبِيلٌ أَبْلَجُ المِنْهاجِ أَنْوَرُ السِّرَاجِ فَبالإِيمانِ يُسْتَدَلُّ على الصَّالِحاتِ وَبِالصَّالِحاتِ يُسْتَدَلُّ على الإِيمانِ وَبالإِيمانِ يُعْمَرُ العِلْمُ وَبِالعِلْمِ يُرْهَبُ المَوْتُ وَبِالمَوْتِ تُخْتَمُ الدُّنْيا وَبِالدُّنْيا تُحْرَزُ الآخِرَةُ وَبِالقِيامَةِ تُزْلَفُ الجَنَّةُ وَتُبَرَّزُ الجَحِيمُ لِلغاوِينَ وَانَّ الخَلْقَ لامَقْصَرَ لَهُمْ عَنِ القِيامَةِ * مُرْقِلِينَ فِي مِضْمارِها إِلَى الغايَةِ القُصْوَى

(الشرح) هو الآن فى ذكر الايمان وعنه قال سبيل ابلج المنهاج أى واضح الطريق ثم قال فبالايمان يستدل على الصالحات يريد بالايمان ههنا مسماه اللغوى لا الشرعى لان الايمان فى اللغة هو التصديق قال سبحانه وما أنت بمؤمن لنا أى بمصدق والمعنى ان من حصل عنده التصديق بالوحدانية والرسالة وهما كلمتا الشهادة استدل بهما على وجوب الاعمال الصالحة عليه أو ندبه اليها لان المسلم يعلم من دين نبيه صلى الله عليه وآله انه أوجب عليه أعمالا صالحة وندبه الى أعمال صالحة فقد ثبت ان بالايمان يستدل على الصالحات ثم قال وبالصالحات يستدل على الايمان فالايمان ههنا مستعمل فى مسماه الشرعى لا فى مسماه اللغوى ومسماه الشرعى هو العقد بالقلب والقول باللسان والعمل بالجوارح فلا يكون المؤمن مؤمنا حتى يستكمل فعل كل واجب ويجتنب كل قبيح ولا شبهة انا متى علمنا أو ظننا من مكلف أنه يفعل الافعال الصالحة ويجتنب الافعال القبيحة استدللنا بذلك على حسن اطلاق لفظ المؤمن

عليه وبهذا التفسير الذى فسرناه نسلم من اشكال الدور لان لقائل أن يقول من شرط الدليل ان يعلم قبل العلم بالمدلول فلو كان كل واحد من الايمان والصالحات يستدل به على الآخر لزم تقدم العلم بكل واحد منهما على العلم بكل واحد منهما فيؤدى الى الدور ولا شبهة أن هذا الدور غير لازم على التفسير الذى فسرناه نحن ثم قال عليه السلام وبالايمان يعمر العلم وذلك لان العالم وهو غير عامل بعلمه غير منتفع بما علم بل مستضر به غاية الضرر فكان علمه خراب غير معمور وانما يعمر بالايمان وهو فعل الواجب وتجنب القبيح على مذهبنا أو الاعتقاد والمعرفة على غيرنا أو القول اللسانى على قول آخرين ومذهبنا أرجح لان عمارة العلم انما تكون بالعمل من الاعضاء والجوارح وبدون ذلك يبقى العلم على خرابه كما كان ثم قال وبالعلم يرهب الموت هذا من قول الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ثم قال وبالموت تختم الدنيا وهذا حق لانه انقطاع التكليف ثم قال وبالدنيا تحرز الآخرة هذا كقول بعض الحكماء الدنيا متجر والآخرة ربح ونفسك رأس المال ثم قال وبالقيامة تزلف الجنة للمتقين وتبرز الجحيم للغاوين هذا من القرآن العزيز وتزلف لهم تقدم لهم وتقرب اليهم ولا مقصر لى عن كذا لا محبس ولا غاية لى دونه وأرقل أسرع والمضمار حيث تستبق الخيل

(الاصل) (مِنها) قَدْ شَخَصُوا مِنْ مُسْتَقَرِّ * الأَجْداثِ وَصارُوا الَى مَصائِرِ الغاياتِ لِكُلِّ دارٍ أَهْلُها لايَسْتَبْدِلُونَ بِها وَلا يُنْقَلُونَ عَنْها وَإِنَّ الأَمْرَ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ المُنْكَرِ لَخُلُقانِ مِنْ خُلُقِ اللهِ سُبْحانَهُ * وانَّهُما لايُقَرِّبانِ مِنْ أَجَلٍ وَلا يَنْقُصانِ مِنْ رِزْقٍ وَعَلَيْكُمْ بِكِتابِ اللهِ فانَّهُ الحَبْلُ المَتِينُ وَالنُّورُ المُبِينُ وَالشِّفاءُ النّافِعُ وَالرِّيُّ النّاقِعُ * وَالعِصْمَةُ لِلمُتَمَسِّكِ وَالنَّجاةُ لِلمُتَعَلِّقِ لايَعْوَجُّ فَيُقامَ وَلا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ * وَلا تُخْلِقُهُ كَثْرَةُ الرَّدِّ وَوُلُوجُ السَّمعِ * مَنْ قالَ بِهِ صَدَقَ وَمَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ

(الشرح) شخصوا من بلد كذا خرجوا ومستقر الاجداث مكان استقرارهم بالقبور وهى جمع جدث ومصائر الغايات جمع مصير والغايات جمع غاية وهى ما ينتهى اليه قال الكميت فالآن صرت الى أمية والامور الى مصاير ثم ذكر ان أهل الثواب والعقاب كل من الفريقين يقيم بدار لا يتحول عنها وهذا كما ورد فى الخبر انه ينادى مناد يا أهل الجنة سعادة لا فناء لها ويا أهل النار شقاوة لا فناء لها ثم ذكر ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر خلقان من خلق الله سبحانه وذلك لانه تعالى ما أمر الا بمعروف وما نهى الا عن منكر ويبقى الفرق بيننا وبينه انا يجب علينا النهى عن المنكر بالمنع منه وهو سبحانه لا يجب عليه ذلك لانه لو منع من اتيان المنكر لبطل التكليف ثم قال انهما لا يقربان من أجل ولا ينقصان من رزق وانما قال عليه السلام ذلك لان كثيرا من الناس يكف عن نهى الظلمة عن المناكير توهما منه انهم اما ان يبطشوا به فيقتلوه أو يقطعوا رزقه ويحرموه فقال عليه السلام ان ذلك ليس مما يقرب من الاجل ولا يقطع الرزق وينبغى ان يحمل كلامه عليه السلام على حال السلامة وغلبة الظن بعدم تطرق الضرر الموفى على مصلحة النهى عن المنكر ثم امر باتباع الكتاب العزيز ووصفه بما وصفه به وجاء ناقع ينقع الغلة أى يقطعها ويروى منها ولا يزيغ يميل فيستعتب يطلب منه العتبى هى الرضا كما يطلب من الظالم يميل فيسترضى قال ولا يخلقه كثرة الرد وولوج السمع هذا من خصائص القرآن المجيد شرفه الله تعالى وذلك ان كل كلام منثور أو منظوم اذا تكررت تلاوته وتردد ولوجه الاسماع مل وسمج واستهجن الا القرآن فانه لا يزال غضا طريا محبوبا غير مملول

(الاصل) (وَقامَ اِلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلامُ رَجُلٌ فَقالَ اخْبِرْنا عَنِ الفِتْنَةِ وَهَلْ سأَلْتَ عَنها رَسُولَ

اللهِ صلى اللهُ عليهِ وآلهِ فقالَ عليهِ السَّلامُ) انَّهُ لمَّا أنزَلَ اللهُ سبحانَهُ قولَهُ (آلم أحَسِبَ النَّاسُ أنْ يُتْرَكُوا أنْ يقولُوا آمنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ) علمتُ أنَّ الفتنةَ لا تنزِلُ بنا ورسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وآلهِ بينَ أظهُرِنا فقلتُ يارسولَ اللهِ ما هذهِ الفتنةُ التي أخبرَكَ اللهُ بها * فقالَ ياعليُّ إنَّ أُمَّتي سيُفْتَنُونَ بَعْدِي) فقلتُ يارسولَ اللهِ أوَلَيسَ قد قلتَ لي يومَ أُحُدٍ حيثُ استُشْهِدَ مَن استُشْهِدَ مِنَ المُسلمينَ وحِيزَتْ عنِّي الشَّهادةُ * فشقَّ ذلكَ عليَّ فقلتَ لي (أبْشِرْ فانَّ الشَّهادةَ مِنْ وَرَائِكَ) فقالَ لي (إنَّ ذلكَ لكذلكَ فكيفَ صبرُكَ إذًا) فقلتُ يارسولَ اللهِ ليسَ هذا مِنْ مواطِنِ الصَّبرِ ولكنْ مِنْ مواطِنِ البُشْرى والشُّكرِ (وقالَ ياعليُّ إنَّ القومَ سيُفْتَنُونَ بَعْدِي بأموالِهِمْ ويَمُنُّونَ بدينِهِمْ على ربِّهِمْ ويتمنَّونَ رحمتَهُ ويأمَنُونَ سَطْوتَهُ ويستحِلُّونَ حرامَهُ بالشُّبُهاتِ الكاذبةِ والأهواءِ السَّاهيةِ فيستحِلُّونَ الخمرَ بالنَّبيذِ والسُّحْتَ بالهديَّةِ والرِّبا بالبيعِ) فقلتُ يارسولَ اللهِ فبأيِّ المنازلِ أُنزِلُهُمْ عندَ ذلكَ أبمنزلةِ رِدَّةٍ أمْ بمنزلةِ فتنةٍ فقالَ (بمنزلةِ فتنةٍ)

(الشرح) قد كان عليه السلام يتكلم فى الفتنة ولذلك ذكر الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ولذلك قال فعليكم بكتاب الله أى اذا وقع الامر واختلط الناس فعليكم بكتاب الله فلذلك قام اليه من سأله عن الفتنة وهذا الخبر مروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله قد رواه كثير من المحدثين عن على عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال له ان الله قد كتب عليك جهاد المفتونين كما كتب على جهاد المشركين قال فقلت يارسول الله ماهذه الفتنة التى كتب على فيها الجهاد قال قوم يشهدون أن لا اله الا الله وانى رسول الله وهم مخالفون للسنة فقلت يارسول الله فعلام أقاتلهم وهم يشهدون كما أشهد قال على الاحداث فى الدين ومخالفة الامر فقلت يارسول الله انك كنت وعدتنى الشهادة فاسأل الله أن يعجلها لى بين يديك قال فمن يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين أما انى وعدتك الشهادة وستستشهد تضرب على هذه فتخضب هذه فكيف صبرك اذا قلت يارسول الله ليس ذا بموطن صبر هذا موطن شكر قال أجل أصبت فاعد للخصومة فانك مخاصم فقلت يارسول الله لو بينت لى قليلا فقال ان أمتى ستفتن من بعدى فتتأول القرآن وتعمل بالرأى وتستحل الخمر بالنبيذ والسحت بالهدية والربا بالبيع وتحرف الكتاب عن مواضعه وتغلب كلمة الضلال فكن جليس بيتك حتى تقلدها فاذا قلدتها جاشت عليك الصدور وقلبت لك الامور تقاتل حينئذ على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله فليست حالهم الثانية بدون حالهم الاولى فقلت يارسول الله فبأى المنازل أنزل هؤلاء المفتونين من بعدك أبمنزلة فتنة أم بمنزلة ردة فقال بمنزلة فتنة يعمهون فيها الى ان يدركهم العدل فقلت يارسول الله أيدركهم العدل منا أم من غيرنا قال بل منا بنا فتح وبنا يختم وبنا ألف الله بين القلوب بعد الشرك وبنا يؤلف بين القلوب بعد الفتنة فقلت الحمد لله على ما وهب لنا من فضله واعلم ان لفظه عليه السلام المروى فى نهج البلاغة يدل على أن الآية المذكورة وهى قوله عليه السلام ألم أحسب الناس أنزلت بعد أحد وهذا خلاف قول أرباب التفسير لان هذه الآية هى اول سورة العنكبوت وهى عندهم بالاتفاق مكية ويوم احد كان بالمدينة وينبغى ان يقال فى هذا ان هذه الآية خاصة أنزلت بالمدينة وأضيفت الى السورة المكية فصارتا واحدة وغلب عليها نسب المكى لان الاكثر كان بمكة وفى القرآن مثل هذا كثير كسورة النحل فانها

مكية

مكية بالاجماع وآخرها ثلاث آيات أنزلت بالمدينة بعد يوم أحد وهى قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون فان قلت فلم قال علمت ان الفتنة لا تنزل بنا ورسول الله صلى الله عليه وآله بين أظهرنا قلت لقوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وقوله حيزت عنى الشهادة أى منعت قوله ليس هذا من مواطن الصبر كلام عال جدا يدل على يقين عظيم وعرفان تام ونحوه قوله وقد ضربه ابن ملجم فزت ورب الكعبة قوله سيفتنون بعدى باموالهم من قوله تعالى انما أموالكم وأولادكم فتنة قوله ويمنون بدينهم على ربهم من قوله تعالى يمنون عليك ان أسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان قوله ويتمنون رحمته من قوله أحمق الحمقى من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله قوله ويامنون سطوته من قوله تعالى أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون والاهواء الساهية الغافلة والسحت الحرام ويجوز ضم الحاء وقد اسحت الرجل فى تجارته اذا اكتسب السحت وفى قوله بل بمنزلة فتنة تصديق لمذهبنا فى أهل البغى وانهم لم يدخلوا فى الكفر بالكلية بل هم فساق والفاسق عندنا فى منزلة بين المنزلتين خرج من الايمان ولم يدخل فى الكفر

(الاصل) *(ومن خطبة له عليه السلام)*

الحمدُ للهِ الَّذي جعلَ الحمدَ مفتاحًا لذِكرِهِ وسببًا للمزيدِ مِنْ فضلِهِ ودليلاً على آلائِهِ وعظمتِهِ * عبادَ اللهِ إنَّ الدَّهرَ يجري بالباقينَ كجريهِ بالماضينَ لا يعودُ ما قد وَلَّى منهُ ولا يبقى سرمدًا ما فيهِ * آخرُ فعالِهِ كأوَّلِهِ * متسابقةٌ أمورُهُ * متظاهرةٌ أعلامُهُ فكأنَّكُمْ بالسَّاعةِ تحدُوكُمْ حَدْوَ الزَّاجِرِ بشَوْلِهِ فمَنْ شغلَ نفسَهُ بغيرِ نفسِهِ تحيَّرَ في الظُّلُماتِ وارتبكَ في الهَلَكاتِ ومدَّتْ بهِ شياطينُهُ في طُغيانِهِ وزيَّنَتْ لهُ سيِّئَ أعمالِهِ فالجنَّةُ غايةُ السَّابقينَ والنَّارُ غايةُ المُفرِّطينَ إعلموا عبادَ اللهِ أنَّ التَّقوى دارُ حِصْنٍ عزيزٍ والفُجورُ دارُ حِصْنٍ ذليلٍ لا يمنعُ أهلَهُ ولا يُحرِزُ مَنْ لجأَ إليهِ * ألا وبالتَّقوى تُقطَعُ حُمَةُ الخطايا * وباليقينِ تُدرَكُ الغايةُ القُصوى عبادَ اللهِ اللهَ اللهَ في أعزِّ الأنفُسِ عليكُمْ وأحبِّها إليكُمْ فانَّ اللهَ قد أوضحَ لكُمْ سبيلَ الحقِّ وأنارَ طُرُقَهُ فشِقْوةٌ لازمةٌ أوْ سعادةٌ دائمةٌ فتزوَّدُوا في أيَّامِ الفناءِ * لأيَّامِ البقاءِ قد دُلِلْتُمْ على الزَّادِ وأُمِرْتُمْ بالظَّعْنِ * وحُثِثْتُمْ على السَّيرِ فانَّما أنتُمْ كَرَكْبٍ وُقُوفٍ لا تدرُونَ متى تُؤمَرُونَ بالسَّيرِ ألا فما يصنعُ بالدُّنيا مَنْ خُلِقَ للآخرةِ وما يصنعُ بالمالِ مَنْ عمَّا قليلٍ يُسْلَبُهُ وتبقى عليهِ تَبِعَتُهُ وحسابُهُ عبادَ اللهِ انَّهُ ليسَ لما وعدَ اللهُ مِنَ الخيرِ مترَكٌ ولا فيما نُهِيَ عنهُ مِنَ الشَّرِّ مرغبٌ * عبادَ اللهِ احذرُوا يومًا تُفحَصُ فيهِ الأعمالُ ويكثُرُ فيهِ الزِّلزالُ وتشيبُ فيهِ الأطفالُ اعلمُوا عبادَ اللهِ أنَّ عليكُمْ رَصَدًا مِنْ أنفُسِكُمْ * وعُيُونًا مِنْ جوارِحِكُمْ وحُفَّاظَ صِدْقٍ يحفظُونَ أعمالَكُمْ وعددَ أنفاسِكُمْ لا تستُرُكُمْ منهُمْ ظُلمةُ ليلٍ داجٍ

ولا يُكَنِّكُمْ منهم باب ذُو رِتاج وانّ غداً من اليوم قريب يَذهبُ اليومُ بما فيه ويَجيء الغدُ لاَحِقاً به فكأنّ كلَّ امرئ منكم قد بلغ من الارض منزلَ وحدته ٭ ومَخطَّ حفرته ٭ فيالَهُ من بيت وحدة ومنزل وحشة ومفرد غربة وكأنّ الصيحة قد أتتكم والساعة قد غشيتكم وبرزتم لفصل القضاء قد زاحت عنكم الاباطيلُ ٭ واضمحلّت عنكم العِلَلُ واستحقّت بكم الحقائقُ وصدرت بكم الامورُ مصادرَها فاتّعظوا بالعِبَرِ واعتبروا بالغِيَرِ وانتفعوا بالنُّذُرِ

(الشرح) جعل الحمد مفتاحاً للذكر لان اول الكتاب العزيز الحمد لله رب العالمين والقرآن هو الذكر قال سبحانه انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وسبباً للمزيد لانه تعالى قال لئن شكرتم لازيدنكم والحمد ههنا هو الشكر ومعنى جعله الحمد دليلاً على عظمته وآلائه انه اذا كان سبباً للمزيد فقد دل ذلك على عظمة الصانع وآلائه اما دلالته على عظمته فلانه دال على ان قدرته لا تتناهى أبداً بل كلما ازداد الشكر ازدادت النعمة واما دلالته على آلائه فلانه لا جود أعظم من جود من يعطى من يحمده لا حمداً متطوعاً بل حمداً واجباً عليه ٭ قوله يجرى بالباقين كجريه بالماضين من هذا أخذ الشعراء وغيرهم ما نظموه فى هذا المعنى قال بعضهم

مات من مات والثريا الثريا ٭ والسماك السماك والنسر نسر
ونجوم السماء تضحك منا ٭ كيف تبقى من بعد نا وتمر

وقال آخر فما الدهر الا كالزمان الذى مضى ٭ ولا نحن الا كالقرون الاوائل

قوله لا يعود ما قد ولى منه كقول الشاعر

ما أحسن الايام الا انها ٭ يا صاحبى اذا مضت لم ترجع

قوله ولا يبقى سرمداً ما فيه كلام مطروق المعنى قال عدى ليس شئ على المنون بباق ٭ غير وجه المهيمن الخلاق قوله آخر أفعاله كاوله يروى كاولها ومن رواه كاوله اعاد الضمير الى الدهر أى آخر أفعال الدهر كاول الدهر فحذف المضاف متشابهة اموره لانه كما كان من قبل يرفع ويضع ويغنى ويفقر ويوجد ويعدم فكذلك هو الآن أفعاله متشابهة وروى متسابقة أى شئ منها قبل شئ كأنها خيل تتسابق فى مضمار متظاهرة أعلامه أى دلالاته على سجيته التى عامل الناس بها قديماً وحديثاً متظاهرة يقوى بعضها بعضاً وهذا الكلام جار منه عليه السلام على عادة العرب فى ذكر الدهر وانما الفاعل على الحقيقة رب الدهر والشول النوق التى خف لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر او ثمانية الواحدة شائلة وهى جمع على غير القياس وشولت الناقة أى صارت شائلة فاما الشائل بغير هاء فهى الناقة تشول بذنبها للقاح ولا لبن لها أصلاً والجمع شول مثل راكع وركع قال أبو النجم ٭ كأن فى اذنابهن الشول ٭ والزاجر الذى يزجر الابل يسوقها او يقال حدوت ابلى وحدوت بابلى والحدو سوقها والغناء لها وكذلك الحداء ويقال للشمال حدواء لانها تحدو السحاب أى تسوقه قال العجاج ٭ حدواء جاءت من بلاد الطور ٭ ولا يقال للمذكر احدى وربما قيل للحمار اذا قدم اتنه حادى قال ذو الرمة ٭ حادى ثلاث من الحقب السماحيج ٭ والمعنى ان سائق الشول يعسف بها ولا يتقى سوقها ولا يداريك كما يسوق العشار ثم قال عليه السلام من شغل نفسه بغير نفسه هلك وذلك ان من لا يوفى النظر حقه ويميل الى الاهواء ونصرة الاسلاف والحجاج عما ربى عليه بين الاهل والاستاذين الذين زرعوا فى قلبه العقائد يكون قد شغل نفسه بغير نفسه لانه لم ينظر لها ولا قصد الحق من حيث هو حق وانما قصد نصرة مذهب معين يشق عليه فراقه ويصعب عنده الانتقال منه ويسوءه ان يرد عليه حجة تبطله فيسهر عينه ويتعب قلبه فى تهويس تلك الحجة والقدح فيها بالغث والسمين

لالانه يقصد الحق بل يقصد نصرة المذهب المعين وتشييد دليله لاجرم انه متحير فى ظلمات لا نهاية لها والارتباك الاختلاط أربكت الشئ اربكه اربكاً خلطته فارتبك أى اختلط وارتبك الرجل فى الامر أى نشب فيه ولم يكد يتخلص منه قوله ومدت به شياطينه فى طغيانه مأخوذ من قوله تعالى واخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون وروى ومدت له شياطينه باللام ومعناه الامهال مدله فى الغى أى طول له وقال تعالى قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مداً قوله وزينت له سيئ اعماله مأخوذ من قوله تعالى أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً قوله التقوى دار حصن عزيز معناه دار حصانة عزيزة فاقام الاسم مقام المصدر وكذلك فى الفجور وبحرز من لجأ اليه يحفظ من اعتصم به وحمة الخطايا سمها ويقطع الحمة كما تقول قطعت سريان السم فى بدن الملسوع بالبنزهيرات والترياقات فكأنه جعل سم الخطايا سارياً فى الابدان والتقوى تقطع سريانه قوله وباليقين تدرك الغاية القصوى وذلك لان اقصى درجات العرفان الكشف وهو المراد ههنا بلفظ اليقين وانتصب الله الله على الاغراء وفى متعلقة بالفعل المقدر وتقديره راقبوا واعزا الانفس عليهم أنفسهم قوله فشقوة لازمة مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف تقديره فغايتكم أو فجزاؤكم أو فشأنكم وهذا يدل على مذهبنا فى الوعيد لانه قسم الجزاء الى قسمين اما العذاب أبداً أو النعيم أبداً وفى هذا ابطال قول المرجئة ان ناساً يخرجون من النار فيدخلون الجنة لان هذا لو صح لكان قسماً ثالثاً قوله فقد دللتم على الزاد أى الطاعة وأمرتم بالظعن أى أمرتم بهجر الدنيا وان تظعنوا عنها بقلوبكم ويجوز الظعن بالتسكين وحثثتم على المسير لان الليل والنهار سائقان عنيفان قوله وانما أنتم كركب وقوف لا يدرون متى يؤمرون بالسير السير ههنا هو الخروج من الدنيا الى الآخرة فالموت جعل الناس ومقامهم فى الدنيا كركب وقوف لا يدرون متى يقال لهم سيروا فيسيرون لان الناس لا يعلمون الوقت الذى يموتون فيه فان قلت كيف سمى الموت والمفارقة سيراً قلت لان الارواح يعرج بها اما الى عالمها وهم السعداء أو تهوى الى أسفل السافلين وهم الاشقياء وهذا هو السير الحقيقى لا حركة الرجل بالمشى ومن أثبت الانفس المجردة قال سيرها خلوصها من عالم الحس واتصالها المعنوى لا الايدى ببارئها فهو سير فى المعنى لا فى الصورة ومن لم يقل بهذا ولا بهذا قال ان الابدان منذ الموت تأخذ فى التحلل والتزايل فيعود كل شئ منها الى عنصره فذاك هو السير وما فى عما قليل زائدة وتبعته اثمه وعقوبته قوله انه ليس لما وعد الله من الخير مترك أى ليس الثواب فيما ينبغى للمرء ان يتركه ولا الشر فيما ينبغى ان يرغب المرء فيه وتفحص فيه الاعمال تكشف والزلزال بالفتح اسم للحركة الشديدة والاضطراب والزلزال بالكسر المصدر قال تعالى وزلزلوا زلزالاً شديداً قوله ويشيب فيه الاطفال كلام جار مجرى المثل يقال فى اليوم الشديد انه ليشيب نواصى الاطفال وقال تعالى فكيف تتقون ان كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً وليس ذلك على حقيقته لان الامة مجمعة على ان الاطفال لا تتغير حالهم فى الآخرة الى الشيب والاصل فى هذا ان الهموم والاحزان اذا توالت على الانسان شاب سريعاً قال أبو الطيب والهم يخترم الجسيم نحافة ٭ وتشيب ناصية الصبى ويهرم قوله ان عليكم رصداً من أنفسكم وعيوناً من جوارحكم لان الاعضاء تنطق فى القيامة باعمال المكلفين وتشهد عليهم والرصد جمع راصد كالحرس جمع حارس قوله وحفاظ صدق يعنى الملائكة الكاتبين لا يعتصم منهم بسترة ولا ظلام ليل ومن هذا المعنى قول الشاعر اذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل ٭ خلوت ولكن قل على رقيب

قوله وان غداً من اليوم قريب ومنه قول القائل ٭ وان غداً للناظرين قريب ٭ ومنه قوله غد ما غد ما أقرب اليوم من غد ومنه قول الله تعالى ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب والصيحة نفخة الصور وزاحت الاباطيل بعدت واضمحلت تلاشت وذهبت قوله واستحقت أى حقت ووقعت استفعل بمعنى فعل كقولك استمر على باطله أى مر عليه وصدرت بكم الامور مصادرها كل وارد فله صدر عن مورده وصدر الانسان عن مورد الدنيا الموت ثم البعث

(الاصل) ٭(ومن خطبة له عليه السلام)٭

أرسله على حين فترة من الرسل وطول هجعة من الأمم * وانتقاض من المبرم فجاءهم بتصديق الذي بين يديه والنور المقتدى به ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق ولكن أخبركم عنه * ألا إن فيه علم ما يأتي والحديث عن الماضي ودواء دائكم ونظم ما بينكم

(الشرح) الهجعة النومة الخفيفة وقد تستعمل في النوم المستغرق أيضا والمبرم الحبل المفتول والذي بين يديه التوراة والانجيل فان قلت التوراة والانجيل قبله فكيف جعلهما بين يديه قلت أحد جزأي الصلة محذوف وهو المبتدأ والتقدير بتصديق الذي هو بين يديه وهو ضمير القرآن أي و بتصديق الذي القرآن بين يديه وحذف احدى جزأي الصلة ههنا ثم حذفه في قوله تعالى تماما على الذي أحسن وتفصيلا في قراءة من جعله اسما مرفوعا وأيضا فان العرب تستعمل بين يديه بمعنى قبل قال تعالى بين يدي عذاب شديد أي قبله

(الاصل) (منها) فعند ذلك لا يبقى بيت مدر ولا وبر إلا وأدخله الظلمة ترحة وأولجوا فيه نقمة فيومئذ لا يبقى لهم في السماء عاذر ولا في الأرض ناصر * أصفيتم بالأمر غير أهله * وأوردتموه غير مورده * وسينتقم الله ممن ظلم مأكلا بمأكل ومشربا بمشرب من مطاعم العلقم ومشارب الصبر والمقر * ولباس شعار الخوف ودثار السيف * وإنما هم مطايا الخطيئات وزوامل الآثام * فأقسم ثم أقسم لتنخمنها أمية من بعدي كما تلفظ النخامة * ثم لا تذوقها ولا تطعم بطعمها أبدا ما كر الجديدان

(الشرح) الترحة الحزن قال فحينئذ لا يبقى لهم أي يحيق بهم العذاب و يبعث الله عليهم من ينتقم وهذا اخبار عن ملك بني أمية بعده وزوال أمرهم عند تفاقم فسادهم في الارض ثم خاطب أولياء هؤلاء الظلمة ومن كان يؤثر ملكهم فقال اصفيتم بالامر غير أهله أصفيت فلانا بكذا خصصته به وصفية المغنم شئ كان يصطفيه الرئيس لنفسه من الغنيمة وأوردتموه غير ورده أنزلتموه عند غير مستحقه ثم قال سيبدل الله مآكلهم اللذيذة الشهية بمآكل مريرة علقمية والمقر المر ومأكلا منصوب بفعل مقدر أي بمأكول مأكلا والباء ههنا للمجازاة الدالة على الصلة كقوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم وكقول أبي تمام فبما قد رأمر بان مكتسب والمعالي من كل حسن وطيب وقال سبحانه قال رب بما انعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين وجعل شعارهم الخوف لانه باطن في القلوب ودثارهم السيف لانه ظاهر في البدن كما ان الشعار ما كان الى الجسد والدثار ما كان فوقه ومطايا الخطيات حوامل الذنوب وزوامل الآثام جمع زاملة وهي بعير يستظهر به الانسان يحمل متاعه عليه قال الشاعر

زوامل اشعار ولا علم عندهم * بجيدها الا كعلم الاباعر

وتنخمت النخامة اذا تنخعتها والنخامة النخاعة والجديدان الليل والنهار وقد جاء في الاخبار الشائعة المستفيضة في كتب المحدثين ان رسول الله صلى الله عليه وآله أخبر ان بني أمية تملك الخلافة بعده مع ذم منه عليه الصلاة والسلام لهم نحو ما روى عنه في تفسير قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن فان المفسرين قالوا انه رأى بني أمية ينزون على منبره نزو القردة هذا لفظ رسول الله صلى الله عليه وآله الذي فسر لهم الآية به فساءه ذلك ثم قال الشجرة الملعونة بنو أمية و بنو المغيرة ونحو قوله صلى الله عليه وآله اذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلا اتخذوا مال

الله دولا وعباده خولا ونحو قوله صلى الله عليه وآله في تفسير قوله تعالى ليلة القدر خير من ألف شهر قال ألف شهر يملك فيها بنو أمية وورد عنه صلى الله عليه وآله من ذمهم الكثير المشهور نحو قوله أبغض الاسماء الى الله الحكم وهشام والوليد وفي خبر آخر اسمان يبغضهما الله مروان والمغيرة ونحو قوله ان ربكم يحب و يبغض كما يحب أحدكم و يبغض وانه يبغض بني أمية ويحب بني عبد المطلب فان قلت كيف قال ثم لا تذوقها أبدا وقد ملكوا بعد قيام الدولة الهاشمية بالمغرب مدة طويلة قلت الاعتبار بملك العراق والحجاز وما عداهما من الاقاليم النائية لا اعتداد به

(الاصل) *(ومن خطبة له عليه السلام)*

ولقد أحسنت جواركم وأحطت بجهدي من ورائكم وأعتقتكم من ربق الذل * وحلق الضيم * شكرا مني للبر القليل واطراقا عما أدركه البصر وشهده البدن من المنكر الكثير

(الشرح) أحطت بجهدي من ورائكم حطتكم وحفظتكم والجهد بالضم الطاقة والربق جمع ربقة وهي الحبل يربق به البهم وحلق الضيم جمع حلقة بالتسكين و يجوز حلق بكسر الحاء وحلاق فان قلت كيف يجوز له ان يطرق و يغضي عن المنكر قلت يجوز له ذلك اذا علم أو غلب على ظنه انه ان نهاهم عنه لم يرتدعوا واضافوا اليه منكرا آخر فحينئذ يخرج الاطراق والاغضاء عن حد الجواز الى حد الوجوب لان النهي عن المنكر يكون والحالة هذه مفسدة

(الاصل) *(ومن خطبة له عليه السلام)*

أمره قضاء وحكمة ورضاه أمان ورحمة يقضي بعلم ويعفو بحلم * اللهم لك الحمد على ما تأخذ وتعطي وعلى ما تعافي وتبتلي حمدا يكون أرضى الحمد لك وأحب الحمد إليك وأفضل الحمد عندك حمدا يملأ ما خلقت ويبلغ ما أردت حمدا لا يحجب عنك ولا يقصر دونك حمدا لا ينقطع عدده ولا يفنى مدده * فلسنا نعلم كنه عظمتك الا أنا نعلم أنك حي قيوم لا تأخذك سنة ولا نوم لم ينته اليك نظر ولم يدركك بصر * أدركت الابصار وأحصيت الاعمار وأخذت بالنواصي والاقدام * وما الذي نرى من خلقك ونعجب له من قدرتك ونصفه من عظيم سلطانك * وما تغيب عنا منه وقصرت أبصارنا عنه وانتهت عقولنا دونه وحالت ستور الغيوب بيننا وبينه أعظم * فمن فرغ قلبه وأعمل فكره ليعلم كيف أقمت عرشك وكيف ذرأت خلقك * وكيف علقت في الهواء سمواتك وكيف مددت على مور الماء أرضك * رجع طرفه حسيرا * وعقله مبهورا وسمعه والها وفكره حائرا

(الشرح) يجوز ان يكون أمره ههنا هو الامر الفعلي لا الامر القولي كما يقال أمر فلان مستقيم وما أمر كذا وقال تعالى وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب فيكون المعنى ان شأنه تعالى ليس الا احد شيئين وهما ان يقول وان يفعل فعبر عن ان يقول بقوله قضاء لان القضاء الحكم وعبر عن ان يفعل بقوله

وحكمة لان أفعاله كلها تتبع دواعي الحكمة ويجوز أن يكون أمره هو الامر القولي وهو المصدر من أمر له بكذا أمرا فيكون المعنى ان أوامره ايجاب والزام بما فيه حكمة ومصلحة وقد جاء القضاء بمعنى الالزام والايجاب في القرآن العزيز قوله وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه أي أوجب والزم قوله ورضاه امان ورحمة لان من فاز بدرجة الرضا فقد أمن وحصلت له الرحمة لان الرضا رحمة وزيادة قوله يقضي بعلم أي يحكم وما يحكم به لانه عالم بحسن ذلك القضاء أو وجوبه في العدل قوله ويعفو بحلم أي لا يعفو عن عجز وذل كما يعفو الضعيف عن القوي بل هو قادر على الانتقام ولكنه يحلم ثم حمد الله تعالى على الاعطاء والاخذ والعافية والبلاء لان ذلك كله من عند الله اصلح للمكلف يعلمها وما يعلمها المكلف والحمد على المصالح واجب ثم أخذ في تفخيم شأن ذلك الحمد وتعظيمه والمبالغة في وصفه احتذاء بقول رسول الله صلى الله عليه وآله الحمد لله زنة عرشه الحمد لله عدد خلقه الحمد لله مل‌ء سمائه وأرضه فقال عليه السلام حمدا يكون أرضى الحمد لك أي يكون رضاك له أوفى وأعظم من رضاك بغيره وكذلك القول في أحب وأفضل قوله ويبلغ ما أردت أي هو غاية ما ينتهي اليه الارادة وهذا كقول الاعرابية في صفة المطر عشبنا ما شئنا وهو من فصيح الكلام قوله لا يحجب عنك لان الاخلاص يقارنه والرياء منتف عنه قوله ولا يقصر دونك أي لا يحبس أي لا مانع عن وصوله اليك وهذا من باب التوسع ومعناه انه بري‌ء من الموانع عن اثماره الثواب واقتضائه اياه وروى ولا يقصر من القصور وروى ولا يقصر من التقصير ثم أخذ في بيان ان العقول قاصرة عن ادراك الباري سبحانه والعلم به وانا انما نعلم منه صفات اضافية أو سلبية كالعلم بانه حي ومعنى ذلك انه لا يستحيل على ذاته أن يعلم ويقدر وانه قيوم بمعنى أن لا يجوز ذاته عليها العدم أي يقيم الاشياء ويمسكها وكل شي‌ء يقيم الاشياء كلها ويمسكها فليس يحتاج الى من يقيمه ويمسكه والا لم يكن مقيما وممسكا لكل شي‌ء وكل من ليس يحتاج الى من يقيمه ويمسكه فذاته لا يجوز عليها العدم وانه تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم لان هذا من صفات الاجسام وما لا يجوز عليه العدم لا يكون جسما ولا يوصف بخواص الاجسام ولوازمها فانه لا ينتهي اليه نظر لان انتهاء النظر اليه يستلزم مقابلته وهو تعالى منزه عن الجهة والا لم يكن ذاته مستحيلا عليها العدم وانه لا يدركه بصر لان أبصار الاشياء بانطباع أمثلتها في الرطوبة الجليدية كانطباع أشباح المرئيات في المرآة والباري تعالى لا يتمثل ولا ينتقش والا لم يكن قيوما وانه يدرك الابصار لانه اما عالم لذاته أو لانه حي لا آفة به وانه يحصي الاعمال لانه عالم لذاته فيعلم كل شي‌ء حاضرا وماضيا ومستقبلا وانه يأخذ بالنواصي والاقدام لانه قادر لذاته فهو متمكن من كل مقدور ثم خرج الى فن آخر فقال وما الذي نجب لاجله من قدرتك وعظيم ملكك والغائب عنا من عظمتك أعظم من الحاضر مثال ذلك ان جرم الشمس أعظم من جرم الارض مائة وستين مرة ولا نسبة لجرم الشمس الى فلكها المائل ولا نسبة لفلكها المائل الى فلكها المميل وفلك تدوير المريخ الذي فوقها أعظم من مميل الشمس ولا نسبة لفلك تدوير المريخ الى فلكه المميل وفلك تدوير المشترى أعظم من مميل المريخ ولا نسبة لفلك تدوير المشترى الى فلكه المميل وفلك تدوير زحل أعظم من مميل المشترى ولا نسبة لفلك تدوير زحل الى مميل زحل ولا نسبة لمميل زحل الى كرة الثوابت ولا نسبة لكرة الثوابت الى الفلك الاطلس الاقصى فانظر أي نسبة تكون الارض بكليتها على هذا الترتيب الى الفلك الاطلس وهذا مما تقصر العقول عن فهمه وتنتهي دونه وتحول سواتر الغيوب بينها وبينه كما قال عليه السلام ثم ذكر أن من أعمل فكره ليعلم كيف أقام سبحانه العرش وكيف ذرأ الخلق وكيف علق السموات بغير علاقة ولا عمد وكيف مد الارض على الماء رجع طرفه حسيرا وعقله مبهورا وهذا كله حق ومن تأمل كتبنا العقلية واعتراضنا على الفلاسفة الذين عللوا هذه الامور وزعموا انهم استنبطوا لها اسبابا عقلية وادعوا وقوفهم على كنهها وحقائقها علم صحة ما ذكره عليه السلام من أن من حاول تقدير ملك الله تعالى وعظيم مخلوقاته بمكيال عقله فقد ضل ضلالا مبينا وروى وفكره جائرا بالجيم أي عادلا عن الصواب والحسير المتعب والمبهور المغلوب والواله المتحير

(الاصل)

(الاصل) (منها) يَدَّعِي بِزَعْمِهِ أَنَّهُ يَرْجُو اللهَ * كَذَبَ وَالْعَظِيمِ مَا بَالُهُ لَا يَتَبَيَّنُ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ فَكُلُّ مَنْ رَجَا عُرِفَ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ إِلَّا رَجَاءَ اللهِ فَإِنَّهُ مَدْخُولٌ * وَكُلُّ خَوْفٍ مُحَقَّقٌ إِلَّا خَوْفَ اللهِ فَإِنَّهُ مَعْلُولٌ * يَرْجُو اللهَ فِي الْكَبِيرِ وَيَرْجُو الْعِبَادَ فِي الصَّغِيرِ فَيُعْطِي الْعَبْدَ مَا لَا يُعْطِي الرَّبَّ فَمَا بَالُ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يُقَصَّرُ بِهِ عَمَّا يُصْنَعُ بِهِ لِعِبَادِهِ أَتَخَافُ أَنْ تَكُونَ فِي رَجَائِكَ لَهُ كَاذِبًا أَوْ تَكُونَ لَا تَرَاهُ لِلرَّجَاءِ مَوْضِعًا وَكَذَلِكَ إِنْ هُوَ خَافَ عَبْدًا مِنْ عَبِيدِهِ أَعْطَاهُ مِنْ خَوْفِهِ مَا لَا يُعْطِي رَبَّهُ فَجَعَلَ خَوْفَهُ مِنَ الْعِبَادِ نَقْدًا وَخَوْفَهُ مِنْ خَالِقِهِ ضِمَارًا وَوَعْدًا * وَكَذَلِكَ مَنْ عَظُمَتِ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ وَكَبُرَ مَوْقِعُهَا مِنْ قَلْبِهِ آثَرَهَا عَلَى اللهِ فَانْقَطَعَ إِلَيْهَا وَصَارَ عَبْدًا لَهَا

(الشرح) يجوز يزعمه بالضم ويزعمه بالفتح ويزعمه بالكسر ثلاث لغات أي بقوله فاما من زعمت أي كفلت فالمصدر الزعم بالفتح والزعامة ثم اقسم على كذب هذا الزاعم فقال والعظيم ولم يقل والله العظيم تأكيدا لعظمة الباري سبحانه لان الموصوف اذا ألقي وترك واعتمد على الصفة حتى صارت كالاسم كان أدل على تحقق مفهوم الصفة كالحارث والعباس ثم بين مستند هذا التكذيب فقال ما بال هذا الزاعم انه يرجو ربه لا يظهر رجاؤه في عمله فانا نرى من يرجو واحدا من البشر يلازم بابه ويواظب على خدمته ويتحبب اليه ويتقرب الى قلبه بانواع الوسائل والقرب ليظفر بمراده منه ويتحقق رجاؤه فيه وهذا الانسان الذي يزعم انه يرجو الله تعالى لا يظهر من أعماله الدينية ما يدل على صدق دعواه ومراده عليه السلام ههنا ليس شخصا بعينه بل كل انسان هذه صفته فالخطاب له والحديث معه ثم قال كل رجاء الا رجاء الله فهو مدخول أي معيب والدخل بالتسكين العيب والريبة ومن كلامهم ترى الفتيان كالنخل وما يدريك ما الدخل وجاء الدخل بالتحريك أيضا يقال هذا الامر فيه دخل ودغل بمعنى قوله تعالى ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم أي مكرا وخديعة وهو من هذا الباب أيضا ثم قال وكل خوف محقق الا خوف الله فانه معلول محقق أي ثابت أي كل خوف حاصل حقيقة فانه مع هذا الحصول والتحقق معلول ليس بالخوف الصريح الا خوف الله وحده وتقواه ورهبته وسطوته وسخطه وذلك لان الامر الذي يخاف من العبد سريع الانقضاء والزوال والامر الذي يخاف من الباري تعالى لا غاية له ولا انقضاء لمحذوره كما قيل في الحديث المرفوع فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة ثم عاد الى الرجاء فقال يرجو هذا الانسان الله في الكبير أي يرجو رحمته في الآخرة ولا يتعلق رجاؤه بالله تعالى الا في هذا الموضع فاما ما عدا ذلك من أمور الدنيا كالمكاسب والاموال والجاه والسلطان واندفاع المضار والتوصل الى الاغراض بالشفاعات والتوسلات فانه لا يخطر له الله تعالى ببال بل يعتمد في ذلك على السفراء والوسطاء ويرجو حصول هذه المنافع ودفع هذه المضار من أبناء نوعه من البشر فقد أعطى العباد من رجائه ما لم يعطه الخالق سبحانه فهو مخطى‌ء لانه اما أن يكون هو في نفسه صالحا لان يرجوه سبحانه واما أن لا يكون الباري تعالى في نفسه صالحا لان يرجى فان كان الثاني فهو كفر صراح وان كان الاول فالعبد مخطى‌ء حيث لم يجعل نفسه مستعد الفعل الصالحات لان يصلح لرجاء الباري سبحانه ثم انتقل عليه السلام الى الخوف فقال وكذلك ان خاف هذا الانسان عبدا مثله خافه أكثر من خوفه الباري سبحانه لان كثيرا من الناس يخافون السلطان وسطوته أكثر من خوفهم مؤاخذة الباري سبحانه وهذا مشاهد ومعلوم من الناس فخوفهم بعضهم من بعض كالنقد المعجل وخوفهم من خالقهم ضمار ووعد والضمار ما لا يرجى من الوعود والديون قال الراعي

جدن مزاره واصبن منه ❊ عطاءلم يكن عدة ضمارا

ثم قال وكذلك من عظمت الدنيا في عينه يختارها على الله و يستعبده حبها و يقال كبر بالضم يكبر أي عظم فهو كبير وكبار بالتخفيف فاذا أفرط قيل كبار بالتشديد فاما كبر بالكسر فمعناه أسن والمصدر منهما كبرا بفتح الباء

(الاصل) وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ كافٍ لَكَ فِي الأُسْوَةِ ❊ وَدَلِيلٌ لَكَ عَلى ذَمِّ الدُّنْيا وَعَيْبِها وَكَثْرَةِ مَخازِيها وَمَساوِيها إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ أَطْرافُها وَوُطِّئَتْ لِغَيْرِهِ أَكْنافُها ❊ وَفُطِمَ عَنْ رَضاعِها وَزُوِيَ عَنْ زَخارِفِها وَإِنْ شِئْتُ ثَنَّيْتُ بِمُوسَى كَلِيمِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ يَقُولُ (رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) وَاللهِ مَا سَأَلَهُ الاَّ خُبْزًا يَأْكُلُهُ لأَنَّهُ كانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ الأَرْضِ وَلَقَدْ كانَتْ خُضْرَةُ الْبَقْلِ تُرَى مِنْ شَفِيفِ صِفاقِ بَطْنِهِ لِهُزالِهِ وَتَشَذُّبِ لَحْمِهِ ❊ وَانْ شِئْتُ ثَلَّثْتُ بِداوُدَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ صاحِبِ الْمَزامِيرِ وَقارِئِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلَقَدْ كانَ يَعْمَلُ سَفائِفَ الْخُوصِ بِيَدِهِ ❊ وَيَقُولُ لِجُلَسائِهِ أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَها وَيَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِها ❊ وَانْ شِئْتُ قُلْتُ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيهِ السَّلامُ فَلَقَدْ كانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ وَيَلْبَسُ الْخَشِنَ وَيَأْكُلُ الْجَشِبَ وَكانَ إِدامُهُ الْجُوعَ وَسِراجُهُ بِاللَّيْلِ الْقَمَرَ وَظِلالُهُ فِي الشِّتاءِ مَشارِقُ الأَرْضِ وَمَغارِبُها ❊ وَفاكِهَتُهُ وَرَيْحانُهُ ما تُنْبِتُ الأَرْضُ لِلْبَهائِمِ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ وَلاَ وَلَدٌ يَحْزُنُهُ وَلاَ مالٌ يَلْفِتُهُ وَلاَ طَمَعٌ يُذِلُّهُ ❊ دابَّتُهُ رِجْلاهُ ❊ وَخادِمُهُ يَداهُ

(الشرح) يجوز اسوة واسوة وقرئ التنزيل بهما والمساوى العيوب ساءه كذا يسوءه سوأ بالفتح ومساءة ومسائية وسوائية ومسائية بالتخفيف أي ساءه ما رآه مني وسأل سيبويه الخليل عن سوائية فقال هي فعالية بمنزلة علانية والذين قالوا سوائية حذفوا الهمزة تخفيفا وهي في الاصل قال وسألته عن مسائية فقال هي مقلوبة وأصلها مساوئة فكرهوا الواو مع الهمزة والذين قالوا مسائية حذفوا الهمزة أيضا تخفيفا ومن أمثالهم الخيل تجري في مساويها أي انها وان كانت بها عيوب وأوصاب فان كرمها يحملها على الجري والمخازي جمع مخزاة وهي الامر يستحي من ذكره لقبحه واكنافها جوانبها وزوى قبض وزخارف جمع زخرف وهو الذهب روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال عرضت علي كنوز الارض ودفعت الي مفاتيح خزائنها فكرهتها واخترت الدار الآخرة وجاء في الاخبار الصحيحة انه كان يجوع ويشد حجرا على بطنه وانه ما شبع آل محمد من لحم قط وان فاطمة وبعلها وبنيها كانوا يأكلون خبز الشعير وانهم آثروا سائلا بأربعة أقراص منه كانوا أعدوها لفطورهم وباتوا جياعا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله ملك قطعة واسعة من الدنيا فلم يتدنس منها بقليل ولا كثير ولقد كانت الابل التي غنمها يوم حنين أكثر من عشرة آلاف بعير فلم يأخذ منها وبرة لنفسه وفرقها كلها على الناس وهكذا كانت شيمته وسيرته في جميع أحواله الى أن توفي والصفاق الجلد الباطن الذي فوقه الجلد الظاهر من البطن وشفيفه رقيقه لذي يستشف ماوراءه وبالتفسير الذي فسره عليه السلام الآية فسرها المفسرون وقالوا ان خضرة البقل كانت ترى في بطنه من الهزال وانه ما سأل الله الا أكلة من الخبز وما في قوله أنزلت بمعنى أي أي اني لاي شيء أنزلت الي قليل أو كثير غث أو سمين فقير فان قلت لم عدى فقيرا باللام وانما يقال فقير الى كذا قلت لانه ضمن معنى سائل ومطالب ومن فسر الآية بغير ما ذكره عليه السلام لم يحتج

الى الجواب عن هذا السؤال فان قوما قالوا أراد أني فقير من الدنيا لاجل ما أنزلت الي من خير أي من خير الدين وهو النجاة من الظالمين فان ذلك رضا بالبدل السني وفرحا به وشكرا له والتشذب اللحم تفرقه والمزامير جمع مزمار وهو الآلة التي يزمر فيها و يقال زمر يزمر و يزمر بالضم والكسر فهو زمار ولا يكاد يقال زامر و يقال للمرأة زامرة ولا يقال زمارة فاما الحديث انه نهى عن كسب الزمارة فقالوا انها الزانية ههنا ويقال ان داود أعطى من طيب النغم ولذة ترجيع القراءة ما كانت الطيور لاجله تقع عليه وهو في محرابه والوحش تسمعه فتدخل بين الناس ولا تنفر منهم لما قد استغرقها من طيب صوته وقال النبي صلى الله عليه وآله لابي موسى وقد سمعه يقرأ لقد أوتيت مزمارا من مزامير داود وكان أبو موسى شجي الصوت اذا قرأ وورد في الخبر داود قاري أهل الجنة وسفائف الخوص جمع سفيفة وهي النسيجة منه سففت الخوص وأسففته بمعنى وهذا الذي ذكره عليه السلام عن داود يجب أن يحمل على انه شرح حاله قبل أن يملك فانه كان فقيرا فاما حيث ملك فان المعلوم من سيرته غير ذلك فاما عيسى فحاله كما ذكرها عليه السلام لا ريب في ذلك على انه أكل اللحم وشرب الخمر وركب الحمار وخدمه التلامذة ولكن الاغلب من حاله هي الامور التي عددها أمير المؤمنين عليه السلام و يقال حزنني الشيء يحزنني بالضم ويجوز أحزنني بالهمز يحزنني وقرئ بهما وهو في كلامه عليه السلام في هذا الفصل بهما و يقال لفته عن كذا يلفته بالكسر أي صرفه ولواه

(الاصل) فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الأَطْيَبِ الأَطْهَرِ ❊ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَانَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى وَعَزاءً لِمَنْ تَعَزَّى وَأَحَبُّ الْعِبادِ إِلَى اللهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ وَالْمُقْتَصُّ لأَثَرِهِ ❊ قَضَمَ الدُّنْيا قَضْماً ❊ وَلَمْ يُعِرْها طَرْفاً أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيا كَشْحاً ❊ وَأَخْمَصُهُمْ مِنَ الدُّنْيا بَطْناً ❊ عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَها وَعَلِمَ أَنَّ اللهَ تَعالَى أَبْغَضَ شَيْئاً فَأَبْغَضَهُ وَحَقَّرَ شَيْئاً فَحَقَّرَهُ وَصَغَّرَ شَيْئاً فَصَغَّرَهُ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِينا الاَّ حُبُّنا ما أَبْغَضَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَتَعْظِيمُنا ما صَغَّرَ اللهُ وَرَسُولُهُ لَكَفَى بِهِ شِقاقاً للهِ تَعالَى وَمُحادَّةً عَنْ أَمْرِ اللهِ تَعالَى وَلَقَدْ كانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَأْكُلُ عَلَى الأَرْضِ وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ وَيَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ ❊ وَيَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ وَيَرْكَبُ الْحِمارَ الْعارِيَ وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ وَيَكُونُ السِّتْرُ عَلَى بابِ بَيْتِهِ فَتَكُونُ فِيهِ التَّصاوِيرُ فَيَقُولُ يا فُلانَةُ لإِحْدَى أَزْواجِهِ غَيِّبِيهِ عَنِّي فَإِنِّي إِذا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيا وَزَخارِفَها فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيا بِقَلْبِهِ وَأَماتَ ذِكْرَها مِنْ نَفْسِهِ وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُها عَنْ عَيْنِهِ لِكَيْلا يَتَّخِذَ مِنْها رِياشاً ❊ وَلاَ يَعْتَقِدَها قَراراً وَلاَ يَرْجُوَ فِيها مَقاماً فَأَخْرَجَها مِنَ النَّفْسِ وَأَشْخَصَها عَنِ الْقَلْبِ ❊ وَغَيَّبَها عَنِ الْبَصَرِ وَكَذَلِكَ مَنْ أَبْغَضَ شَيْئاً أَبْغَضَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ وَأَنْ يُذْكَرَ عِنْدَهُ وَلَقَدْ كانَ فِي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ما يَدُلُّكَ عَلَى مَساوِي الدُّنْيا وَعُيُوبِها إِذْ جاعَ فِيها مَعَ خاصَّتِهِ ❊ وَزُوِيَتْ عَنْهُ زَخارِفُها مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ ❊ فَلْيَنْظُرْ ناظِرٌ بِعَقْلِهِ أَكْرَمَ اللهُ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِذَلِكَ أَمْ أَهانَهُ فَانْ قالَ أَهانَهُ فَقَدْ كَذَبَ وَاللهِ الْعَظِيمِ بِالإِفْكِ الْعَظِيمِ وَانْ قالَ أَكْرَمَهُ فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيا لَهُ وَزَواها عَنْ

أَقْرَبِ النَّاسِ منهُ فَتَأَسَّى مُتَأَسٍّ بِنَبِيِّهِ * واقْتَصَّ أَثَرَهُ وَوَلَجَ مَوْلِجَهُ وَالَّا فَلَا يَأْمَنِ الهَلَكَةَ فَانَّ اللهَ جَعَلَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَمًا لِلسَّاعَةِ * ومُبَشِّرًا بالجَنَّةِ ومُنْذِرًا بالعُقُوبَةِ * خَرَجَ مِنَ الدُّنيا خَمِيصًا * وَوَرَدَ الآخِرَةِ سَلِيمًا لَمْ يَضَعْ حَجَرًا على حَجَرٍ حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ وأَجابَ دَاعِيَ رَبِّهِ فَما أَعْظَمَ مِنَّةَ اللهِ عِنْدَنا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنا بِهِ سَلَفًا نَتَّبِعُهُ وَقائِدًا نَطَأُ عَقِبَهُ وَاللهِ لَقَدْ رَقَّعْتُ مِدْرَعَتِي هٰذِهِ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِها * وَلَقَدْ قالَ لِي قائِلٌ أَلَا تَنْبِذُها عَنْكَ فَقُلْتُ اعْزُبْ عَنِّي * فَعِنْدَ الصَّباحِ يَحْمَدُ القَوْمُ السُّرَى

(الشرح) المقتص لاثره المتبع له ومنه قوله تعالى وقالت لاخته قصيه وقضم الدنيا تناول منها قدر الكفاف وماتدعو اليه الضرورة من خشن العيشة وقال أبو ذر رحمه الله يخضمون ونقضم والموعد الله واصل القضم أكل الشئ اليابس باطراف الاسنان والخضم أكل بكل الفم للاشياء الرطبة وروى قصم بالصاد أى كسر قوله اهضم أهل الدنيا كشحا الكشح الخاصرة ورجل أهضم بين الهضم اذا كان خميصا قلة لا كل وروى وحقر شيأ فحقره بالتخفيف والشقاق الخلاف والمحادة المعاداة وخصف النعل خرزها والرياش الزينة والمدرعة لدراعة وقوله عند الصباح يحمد القوم السرى مثل يضرب لمحتمل المشقة العاجلة رجاء الراحة الآجلة جاء في الاخبار الصحيحة انه عليه الصلاة والسلام قال انما أنا عبد آكل أكل العبيد واجلس جلسة العبد وكان يأكل على الارض ويجلس جلوس العبيد يضع قصبتي ساقيه على الارض ويعتمد عليهما بباطني فخذيه وركوبه الحمار العارى آية التواضع وهضم النفس وارداف غيره خلفه آكد في الدلالة على ذلك وجاء في الاخبار الصحيحة النهى عن التصاوير وعن نصب الستور التي فيها التصاوير وكان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا رأى سترا فيه تصاوير أمر ان تقطع رأس تلك الصورة وجاء في الخبر من صور صورة كلف في القيامة ان ينفخ فيها الروح فاذا قال لا أستطيع عذب قوله لم يضع حجرا على حجر هو عين ما جاء في الاخبار الصحيحة خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من الدنيا ولم يضع حجرا على حجر وجاء في أخبار على عليه السلام التي ذكرها أبو عبد الله أحمد بن حنبل في كتاب فضائله وهو روايتي عن قريش بن السبيع بن المهنا العلوى عن نقيب الطالبيين أبى عبد الله أحمد بن على بن المعمر عن المبارك بن عبد الجبار أحمد بن القاسم الصيرفي المعروف بابن الطيورى عن محمد بن على بن محمد بن يوسف العلاف المزنى عن أبى بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعى عن عبد الله بن أحمد ابن حنبل عن أبيه أبى عبد الله أحمد رحمه الله قال قيل لعلى عليه السلام يا أمير المؤمنين لم ترقع قميصك قال ليخشع القلب ويقتدى بى المؤمنون وروى أحمد رحمه الله ان عليا كان يطوف الاسواق مؤتزرا بازار مرتديا برداء ومعه الدرة كانه اعرابى بدوى فطاف مرة حتى بلغ سوق الكرابيس فقال لواحد يا شيخ بعنى قميصا تكون قيمته ثلاثة دراهم فلما عرفه الشيخ لم يشتر منه شيأ ثم أتى آخر فلما عرفه لم يشتر منه شيأ فأتى غلاما حدثا فاشترى منه قميصا بثلاثة دراهم فلما جاء أبو الغلام أخبره فأخذ درهما ثم جاء الى على عليه السلام ليدفعه اليه فقال له ما هذا أو قال ما شأن هذا فقال يا مولاى ان القميص الذى باعك ابنى كان يساوى درهمين فلم يأخذ الدرهم وقال باعنى رضاى وأخذ رضاه وروى أحمد رحمه الله عن أبى النوار بائع الخام بالكوفة قال جاءنى على بن أبى طالب الى السوق ومعه غلام له وهو خليفة فاشترى منى قميصين وقال لغلامه اختر أيهما شئت فأخذ أحدهما وأخذ على الآخر ثم لبسه ومديده فوجد كمه فاضلة فقال اقطع الفاضل فقطعته ثم كفه وذهب وروى أحمد رحمه الله عن الصمال بن عمير قال رأيت قميص على عليه السلام الذى أصيب فيه وهو كرابيس سبيلانى ورأيت دمه قد سال عليه كالدردى وروى أحمد رحمه الله قال لما أرسل عثمان الى على عليه السلام وجده مؤتزرا بعباءة محتجزا بعقال وهو يهنأ بعيرا له والاخبار في هذا المعنى كثيرة وفيما ذكرناه كفاية

(الاصل) ﴿ ومن خطبة له عليه السلام ﴾

ابْتَعَثَهُ بِالنُّورِ المُضِيءِ وَالبُرْهانِ الجَلِيِّ وَالمِنْهاجِ البادِي * وَالكِتابِ الهادِي أُسْرَتُهُ خَيْرُ أُسْرَةٍ * وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَةٍ أَغْصانُها مُعْتَدِلَةٌ وثِمارُها مُتَهَدِّلَةٌ * مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ وَهِجْرَتُهُ بِطَيْبَةَ * عَلا بِها ذِكْرُهُ وَامْتَدَّ مِنْها صَوْتُهُ أَرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ كافِيَةٍ وَمَوْعِظَةٍ شافِيَةٍ وَدَعْوَةٍ مُتَلافِيَةٍ * أَظْهَرَ بِهِ الشَّرائِعَ المَجْهُولَةَ وَقَمَعَ بِهِ البِدَعَ المَدْخُولَةَ * وَبَيَّنَ بِهِ الأَحْكامَ المَفْصُولَةَ * فَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الاِسْلامِ دِينًا تَتَحَقَّقْ شِقْوَتُهُ وَتَنْفَصِمْ عُرْوَتُهُ وَتَعْظُمْ كَبْوَتُهُ وَيَكُونُ مَآبُهُ الَى الحُزْنِ الطَّوِيلِ وَالعَذابِ الوَبِيلِ وَأَتَوَكَّلُ على اللهِ تَوَكُّلَ الانابَةِ الَيْهِ * وأَسْتَرْشِدُهُ السَّبِيلَ المُؤَدِّيَةَ إِلَى جَنَّتِهِ القاصِدَةَ الَى مَحَلِّ رَغْبَتِهِ

(الشرح) بالنور المضىء أى بالدين أو بالقرآن وأسرته أهله أغصانها معتدلة كناية عن عدم الاختلاف بينهم في الامور الدينية وثمارها متهدلة أى متدلية كناية عن سهولة اجتناء العلم منها وطيبة اسم المدينة كان اسمها يثرب فسماها رسول الله صلى الله عليه وآله طيبة وبما أكفر الناس به يزيد بن معاوية انه سماها خبيثة مراغمة لرسول الله صلى الله عليه وآله وعلا بها ذكره لانه صلى الله عليه وآله انما انتصر وقهر الاعداء بعد الهجرة ودعوة متلافية أى تتلافى ما فسد في الجاهلية من أديان البشر قوله وبين به الاحكام المفصولة ليس يعنى انها كانت مفصولة قبل ان بينها بل المراد بين به الاحكام التي هي الآن مفصولة عندنا وواضحة لنا لاجل بيانه لها والكبوة مصدر كبا الجواد اذا عثر فوقع الى الارض والمآب المرجع والعذاب الوبيل ذو الوبال وهو الهلاك والانابة الرجوع والسبيل الطريق يذكر ويؤنث والقاصدة ضد الجائرة فان قلت لم عدى القاصدة بالى قلت لانها لما كانت قاصدة تضمنت معنى الافضاء الى المقصد فعداها بالى باعتبار المعنى

(الاصل) أُوصِيكُمْ عِبادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ وَطاعَتِهِ فانَّها النَّجاةُ غَدًا وَالمَنْجاةُ أَبَدًا رَهَّبَ فَأَبْلَغَ وَرَغَّبَ فَأَسْبَغَ * وَوَصَفَ لَكُمُ الدُّنْيا وَانْقِطاعَها وَزَوالَها وَانْتِقالَها فَأَعْرِضُوا عَمَّا يُعْجِبُكُمْ فِيها لِقِلَّةِ ما يَصْحَبُكُمْ مِنْها * أَقْرَبُ دارٍ مِنْ سَخَطِ اللهِ وَأَبْعَدُها مِنْ رِضْوانِ اللهِ فَغُضُّوا عَنْكُمْ عِبادَ اللهِ غُمُومَها وَأَشْغالَها لِمَا أَيْقَنْتُمْ بِهِ مِنْ فِراقِها وَتَصَرُّفِ حالاتِها فاحْذَرُوها حَذَرَ الشَّفِيقِ النّاصِحِ * وَالمُجِدِّ الكادِحِ وَاعْتَبِرُوا بِما قَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ مَصارِعِ القُرُونِ قَبْلَكُمْ قَدْ تَزايَلَتْ أَوْصالُهُمْ * وَزالَتْ أَبْصارُهُمْ وَأَسْماعُهُمْ وَذَهَبَ شَرَفُهُمْ وَعِزُّهُمْ وَانْقَطَعَ سُرُورُهُمْ وَنَعِيمُهُمْ فَبُدِّلُوا بِقُرْبِ الأَوْلادِ فَقْدَها وَبِصُحْبَةِ الأَزْواجِ مُفارَقَتَها لا يَتَفاخَرُونَ ولا يَتَناسَلُونَ ولا يَتَزاوَرُونَ ولا يَتَجاوَرُونَ * فاحْذَرُوا عِبادَ اللهِ حَذَرَ الغالِبِ لِنَفْسِهِ المانِعِ لِشَهْوَتِهِ النّاظِرِ بِعَقْلِهِ فانَّ الأَمْرَ واضِحٌ والعَلَمَ قائِمٌ والطَّرِيقَ جَدَدٌ والسَّبِيلَ قَصْدٌ

(الشرح) المنجاة مصدر نجا ينجو نجاة ومنجاة والنجاة الناقة ينجى عليها فاستعارها هنا للطاعة والتقوى كانها كالمطية المركوبة يخلص بها الانسان من المهلكة قوله رهب فابلغ الضمير يرجع الى الله سبحانه أي خوف المكلفين فأبلغ في التخويف ورغبهم فأتم الترغيب وأسبغه ثم أمر بالاعراض عما يسر ويروق من أمر الدنيا لقلة ما يصحب الناس من ذلك ثم قال انها أقرب دار من سخط الله وهذا نحو قول النبي صلى الله عليه وآله حب الدنيا رأس كل خطيئة قوله فغضوا عنكم عباد الله غمومها أي كفوا عن أنفسكم ثم لا جلها والاشتغال بها يقال غضضت فلانا عن كذا أي كففته قال تعالى واغضض من صوتك قوله فاحذروها حذر الشفيق الناصح أي فاحذروها على أنفسكم لانفسكم كما يحذر الشفيق الناصح على صاحبه وكما يحذر المجد الكادح أي الساعي من خيبة سعيه والاوصال الاعضاء والمحاورة المخاطبة والمناجاة وروى ولا يتجاورون بالجيم والعلم ما يستدل به في المفازة وطريق جدد أي سهل واضح والسبيل قصد أي مستقيم

(الاصل) ﴿ ومن كلام له عليه السلام ﴾

لبعض أصحابه وقد سأله كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به فقال عليه السلام ياأخا بني أسد إنك لقلق الوضين ۞ ترسل في غير سدد ولك بعد ذمامة الصهر وحق المسألة وقد استعلمت فاعلم أما الاستبداد علينا بهذا المقام ونحن الاعلون نسبا والاشدون برسول الله صلى الله عليه وآله نوطا ۞ فانها كانت أثرة شحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين والحكم الله والمعود إليه يوم القيامة ودع عنك نهبا صيح في حجراته ۞ ولكن حديثا ماحديث الرواحل ۞ وهلم الخطب في ابن أبي سفيان ۞ فلقد أضحكني الدهر بعد ابكائه ولا غرو والله فيا له خطبا يستفرغ العجب ويكثر الاود ۞ حاول القوم اطفاء نور الله من مصباحه وسد فواره من ينبوعه ۞ وجدحوا بيني وبينهم شربا وبيئا ۞ فان ترتفع عنا وعنهم محن البلوى أحملهم من الحق على محضه ۞ وان تكن الاخرى ۞ (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون)

(الشرح) الوضين بطان القتب وحزام السرج ويقال للرجل المضطرب في أموره انه لقلق الوضين وذلك ان الوضين اذا قلق اضطرب القتب أو الهودج أو السرج ومن عليه ويرسل في غير سدد أي يتكلم في غير قصد وفي غير صواب والسدد والاستداد الاستقامة والصواب والسديد الذي يصيب السدد وكذلك المسد واستد الشيء أي استقام وذمامة الصهر بالكسر أي حرمته وهو الذمام قال ذو الرمة

فكن عوجة يجزيكها الله عنده ۞ بها الاجر أو تقضى ذمامة صاحب

ويروى مانة الصهر أي حرمته وانما قال عليه السلام له ولك بعد ذمامة الصهر لان زينب بنت جحش زوج رسول الله صلى الله عليه وآله كانت أسدية وهي زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كثير ابن غانم بن دودان بن أسد بن خزيمة وأمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف فهي بنت عمة رسول الله صلى

الله

الله عليه وآله والمصاهرة المشار اليها هي هذه ولم يفهم القطب الراوندي ذلك فقال في الشرح كان أمير المؤمنين عليه السلام قد تزوج في بني أسد ولم يصب فان عليا عليه السلام لم يتزوج في بني أسد ألبتة ونحن نذكر أولاده أما الحسن والحسين وزينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى فأمهم فاطمة بنت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وأما محمد فامه خولة بنت اياس بن جعفر من بني حنيفة وأما أبو بكر وعبد الله فامهما ليلى بنت مسعود النهشلية من تميم وأما عمر ورقية فامهما سبية من بني تغلب يقال لها الصهباء سبيت في خلافة أبي بكر وامارة خالد بن الوليد بعين التمر وأما يحيى وعون فأمهما أسماء بنت عميس الخثعمية وأما جعفر والعباس وعبد الله وعبد الرحمن فأمهم أم البنين بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد من بني كلاب وأما رملة وأم الحسن فامهما أم سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفي وأما أم كلثوم الصغرى وزينب الصغرى وجمانة وميمونة وخديجة وفاطمة وأم الكرام ونفيسة وأم سلمة وأم أبيها وامامة بنت علي عليه السلام فهن لامهات أولاد شتى فهؤلاء أولاده وليس فيهم أحد من أسدية ولا بلغنا انه تزوج في بني أسد ولم يولد له ولكن الراوندي يقول ما يخطر له ولا يحقق وأما حق المسئلة فلان للسائل على المسؤل حقا حيث أهله لان يستفيد منه والاستبداد بالشيء التفرد به والنوط الالتصاق وكانت اثرة أي استئثارا بالامر واستبدادا به قال النبي صلى الله عليه وآله للانصار ستلقون بعدي اثرة وشحت بخلت وسخت جادت ويعني بالنفوس التي سخت نفسه وبالنفوس التي شحت أما على قولنا فانه يعني نفوس أهل الشورى بعد مقتل عمر وأما على قول الامامية فنفوس أهل السقيفة وليس في الخبر ما يقتضي صرف ذلك اليهم فالاولى ان يحمل على ما ظهر عنه من تألمه من عبد الرحمن بن عوف وميله الى عثمان ثم قال ان الحكم هو الله وان الوقت الذي يعود الناس كلهم اليه هو يوم القيامة وروى يوم بالنصب على انه ظرف والعامل فيه المعود على أن يكون مصدرا وأما البيت فهو لامرئ القيس بن حجر الكندي وروى أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يستشهد الا بصدره فقط وأتمه الرواة وكان من قصة هذا الشعر ان امرأ القيس لما تنقل في أحياء العرب بعد قتل أبيه نزل على رجل من جديلة طي يقال له طريف بن مل فأجاره وأكرمه وأحسن اليه فمدحه وأقام عنده ثم انه لم يوله نصيبا في الجبلين أجأ وسلمى فخاف أن لا يكون له منعة فتحول ونزل على خالد بن سدوس بن أسمع النبهاني فاغارت بنو جديلة على امرئ القيس وهو في جوار خالد بن سدوس فذهبوا بابله وكان الذي أغار عليه منهم باعث بن حويص فلما أتى امرأ القيس الخبر ذكر ذلك لجاره فقال له اعطني رواحلك الحق عليها القوم فأرد عليك ابلك ففعل فركب خالد في أثر القوم حتى أدركهم فقال يا بني جديلة أغرتم على ابل جاري فقالوا ما هو لك بجار قال بلى والله وهذه رواحله قالوا كذلك قال نعم فرجعوا اليه فأنزلوه عنهن وذهبوا بهن وبالابل وقيل بل انطوى خالد على الابل فذهب بها فقال امرؤ القيس

دع عنك نهبا صيح في حجراته ۞ ولكن حديثا ما حديث الرواحل
كأن دثارا حلقت بلبونه ۞ عقاب تنوفى لاعقاب القواعل
تلعب باعث بجيران خالد ۞ وأودى دثار في الخطوب الاوائل
وأعجبني مشي الحزقة خالد ۞ كمشي أتان حليت بالمناهل
أبت أجأ أن تسلم العام جارها ۞ فمن شاء فلينهض لها من مقاتل
تبيت لبوني بالقرية آمنا ۞ وأسرحها غبا باكناف حائل
بنو ثعل جيرانها وحماتها ۞ وتمنع من رجال سعد ونابل
تلاعب أولاد الوعول رباعها ۞ دوين السماء في رؤس المجادل
مكللة حمراء ذات أسرة ۞ لها حبك كأنها من وصائل

دثار اسم راع كان لامرئ القيس وتنوفى والقواعل جبال والحزقة القصير الضخم البطن واللبون الابل ذوات الالبان والقرية موضع معروف بين الجبلين وحائل اسم موضع أيضا وسعد ونابل حيان من طي والرباع جمع ربع وهو ما نتج في الربيع والمجادل القصور ومكللة يرجع الى المجادل مكللة بالصخر والاسرة الطرائق وكذلك الحبك والوصائل جمع

وصيلة وهو ثوب أمعز الغزل فيه خطوط والنهب الغنيمة والجمع النهاب والانهاب مصدر انتهبت المال اذا أبحته يأخذه من شاء والنهبى اسم ما أنهب وحجرانه نواحيه الواحدة حجرة مثل جمرات وجمرة وصيح فى حجراته صياح الغارة والرواحل جمع راحلة وهى الناقة التى تصلح أن ترحل أى يشد الرحل على ظهرها ويقال للبعير راحلة وانتصب حديثا باضمار فعل أى هات حديثا أو حدثنى حديثا ويروى ولكن حديث أى ولكن مرادى أو غرضى حديث فحذف المبتدأ وما ههنا يحتمل أن يكون ابهامية وهى التى اذا اقترنت باسم نكرة زادته ابهاما وشياعا كقولك اعطنى كتابا ما تريد أى كتاب كان ويحتمل أن تكون صلة مؤكدة كالتى فى قوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله فأما حديث الثانى فقد ينصب وقد يرفع فمن نصب أبدله من حديث الاول ومن رفع جاز أن يجعل ما موصولة بمعنى الذى وصلتها الجملة أى الذى هو حديث الرواحل ثم حذف صدر الجملة كما حذف فى تماما على الذى أحسن ويجوز أن يجعل ما استفهامية بمعنى أى ثم قال وهلم الخطب هذا يقوى رواية من روى عنه انه عليه السلام لم يستشهد الا بصدر البيت لانه قال دع عنك ما مضى وهلم ما نحن الآن فيه من أمر معاوية فجعل هلم ما نحن الآن فيه من أمر معاوية قائما مقام قول امرئ القيس ولكن حديثا ما حديث الرواحل * وهلم لفظ يستعمل لازما ومتعديا فاللازم بمعنى تعال قال الخليل أصله لم من قولهم لم الله شعثه أى جمعه كأنه أراد لم نفسك الينا أى اجمعها واقرب منا وجاءت ها للتنبيه قبلها وحذفت الالف لكثرة الاستعمال وجعلت الكلمتان كلمة واحدة يستوى فيها الواحد والاثنان والجمع والمؤنث والمذكر فى لغة أهل الحجاز قال سبحانه والقائلين لاخوانهم هلم الينا وأهل نجد يصرفونها فيقولون للاثنين هلما وللجمع هلموا وعلى ذلك وقد يوصل اذا كان لازما باللام فيقال هلم لك وهلم لكما كما قالوا هيت لك واذا قيل لك هلم الى كذا أى تعال اليه قلت لا أهلم مفتوحة الالف والهاء مضمومة الميم فأما المتعدية فهى بمعنى هات تقول هلم كذا وكذا قال الله تعالى هلموا شهداءكم ويقول لمن قال لك ذلك لا أهلمه أى لا أعطيكه يأتى بالهاء ضمير المفعول ليتميز من الاولى يقول عليه السلام ولكن هات ذكر الخطب فحذف المضاف والخطب الحادث الجليل يعنى الاحوال التى أدت الى أن صار معاوية منازعا له فى الرئاسة قائما عند كثير من الناس مقامه صالحا لان يقع فى مقابلته وأن يكون نداله ثم قال فلقد أضحكنى الدهر بعد ابكائه يشير الى ما كان عنده من الكآبة لتقدم من سلف عليه فلم يقنع الدهر له بذلك حتى جعل معاوية نظيرا له فضحك عليه السلام مما تحكم به الاوقات ويقتضيه تصرف الدهر وتقلبه وذلك ضحك تعجب واعتبار ثم قال ولا غرو والله أى ولا عجب والله ثم فسر ذلك فقال ياله خطبا يستفرغ العجب أى يستنفده ويفنيه يقول قد صار العجب لا عجب لان هذا الخطب استغرق التعجب فلم يبق منه ما يطلق عليه لفظ التعجب وهذا من باب الاغراق والمبالغة فى المبالغة قال أبو الطيب

أسفى على أسفى الذى دلهتنى عن علمه فيه على خفاء
وشكيتى فقد السقام لانه قد كان لما كان لى أعضاء

وقال ابن هانئ المغربى

قد سرت فى الميدان يوم طرادهم فعجبت حتى كدت أن لا أعجبا

والاود العوج ثم ذكر تمالؤ قريش عليه فقال حاول القوم اطفاء نور الله من مصباحه يعنى ما تقدم من منابذة طلحة والزبير وأصحابهما له وما شفع ذلك من معاوية وعمرو وشيعتهما وفوار الينبوع ثقب البئر قوله وجدحوا بينى وبينهم شربا أى خلطوه ومزجوه وأفسدوه والوبى ذو الوباء والمرض وهذا استعارة كأنه جعل الحال التى كانت بينه وبينهم قد أفسدها القوم وجعلوها مظنة الوباء والسقم كالشرب الذى يخلط بالسم أو بالصبر فيفسد ويوبى ثم قال فان كشف الله تعالى هذه المحن التى يحصل منها ابتلاء الصابرين والمجاهدين وحصل لى التمكن من الامر حملتهم على الحق المحض الذى لا يمازجه باطل كاللبن المحض الذى لا يخالطه شىء من الماء وان تكن الاخرى أى وان لم يكشف الله تعالى هذه الغمة ومت أو قتلت والامور على ما هى عليه من الفتنة ودولة الضلال فلا تذهب نفسك عليهم حسرات والآية من القرآن العزيز وسألت أبا جعفر يحيى بن محمد العلوى نقيب البصرة وقت قراءتى عليه عن هذا الكلام وكان رحمه الله على

مايذهب اليه من مذهب العلوية منصفا وافر العقل فقلت له من يعنى عليه السلام بقوله كانت أثرة شحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين ومن القوم الذين عناهم الاسدى بقوله كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به هل المراد يوم السقيفة أو يوم الشورى فقال يوم السقيفة فقلت ان نفسى لا تسامحنى أن أنسب الى الصحابة عصيان رسول الله صلى الله عليه وآله ودفع النص فقال وأنا فلا تسامحنى أيضا نفسى أن أنسب الرسول صلى الله عليه وآله الى اهمال أمر الامامة وان يترك الناس فوضى سدى مهملين وقد كان لا يغيب عن المدينة الا ويؤمر عليها أميرا وهو حى ليس بالبعيد عنها فكيف لا يؤمر وهو ميت لا يقدر على استدراك ما يحدث ثم قال ليس يشك أحد من الناس أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان عاقلا كامل العقل أما المسلمون فاعتقادهم فيه معلوم وأما اليهود والنصارى والفلاسفة فيزعمون انه حكيم تام الحكمة سديد الرأى أقام ملة وشرع شريعة فاستجد ملكا عظيما بعقله وتدبيره وهذا الرجل العاقل الكامل يعرف طباع العرب وغرائزهم وطلبهم بالثارات والذحول ولو بعد الازمان المتطاولة ويقتل الرجل من القبيلة رجلا من بيت آخر فلا يزال أهل ذلك المقتول وأقاربه يتطلبون القاتل ليقتلوه حتى يدركوا ثارهم منه فان لم يظفروا به قتلوا بعض أقاربه وأهله فان لم يظفروا بأحدهم قتلوا واحدا أو جماعة من تلك القبيلة به وان لم يكونوا رهطه الادنين والاسلام لم يحل طبائعهم ولا غير هذه السجية المركوزة فى أخلاقهم والغرائز بحالها فكيف يتوهم لبيب ان هذا العاقل الكامل وتر العرب وعلى الخصوص قريشا وساعده على سفك الدماء وارهاق الانفس وتقلد الضغائن ابن عمه الادنى وصهره وهو يعلم انه سيموت كما يموت الناس ويتركه بعده وعنده ابنته وله منها ابنان يجريان عنده مجرى ابنين من ظهره حنوا عليهما ومحبة لهما ويعدل عنه فى الامر بعده ولا ينص عليه ولا يستخلفه فيحقن دمه ودم بنيه وأهله باستخلافه ألا يعلم هذا العاقل الكامل انه اذا تركه وترك بنيه وأهله سوقة ورعية فقد عرض دماءهم للاراقة بعده بل يكون هو عليه السلام هو الذى قتلهم وأشاط بدمائهم لانهم لا يعتصمون بعده بأمر يحميهم وانما يكونون مضغة للآكل وفريسة للمفترس يتخطفهم الناس وتبلغ فيهم الاغراض فأما اذا جعل السلطان فيهم والامر اليهم فانه يكون قد عصمهم وحقن دماءهم بالرئاسة التى يصولون بها ويرتدع الناس عنهم لاجلها ومثل هذا معلوم بالتجربة ألا ترى أن ملك بغداد أو غيرها من البلاد لو قتل الناس ووترهم وأبقى فى نفوسهم الاحقاد العظيمة عليه ثم أهمل أمر ولده وذريته من بعده وفسح للناس أن يقيموا ملكا من عرضهم وواحدا منهم وجعل بنيه سوقة كبعض العامة لكان بنوه بعده قليلا بقاؤهم سريعا هلاكهم ولوثب عليهم الناس ذوو الاحقاد والترات من كل جهة يقتلونهم ويشردونهم كل مشرد ولو أنه عين ولدا من أولاده للملك وقام خواصه وخدمه وخوله بأمره بعده لحقنت دماء أهل بيته ولم تطل يد أحد من الناس اليهم لناموس الملك وابهة السلطنة وقوة الرئاسة وحرمة الامارة أفترى ذهب عن رسول الله صلى الله عليه وآله هذا المعنى أم أحب أن تستأصل أهله وذريته من بعده وأين موضع الشفقة على فاطمة العزيزة عنده الحبيبة الى قلبه أتقول انه أحب أن يجعلها كواحدة من فقراء المدينة تتكفف الناس وأن يجعل عليا المكرم المعظم عنده الذى كانت حاله معلومة معه كأبى هريرة الدوسى وأنس بن مالك الانصارى يحكم الامراء فى دمه وعرضه ونفسه وولده فلا يستطيع الامتناع وعلى رأسه مائة ألف سيف مسلول تتلظى أكباد أصحابها عليه ويودون أن يشربوا دمه بأفواههم ويأكلوا لحمه بأسنانهم قد قتل أبناءهم واخوانهم وآباءهم وأعمامهم والعهد لم يطل والقروح لم تتقرف والجروح لم تندمل فقلت له لقد أحسنت فيما قلت الا أن لفظه عليه السلام يدل على انه لم يكن نص عليه ألا تراه يقول ونحن الاعلون نسبا والاشدون بالرسول نوطا فجعل الاحتجاج بالنسب وشدة القرب فلو كان عليه نص لقال عوض ذلك وأنا المنصوص على المخطوب باسمى فقال رحمه الله انما أتاه من حيث يعلم لا من حيث يجهل ألا ترى انه سأله فقال كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به فهو انما سأل عن دفعهم عنه وهم أحق به من جهة اللحمة والعترة ولم يكن الاسدى يتصور النص ولا يعتقده ولا يخطر بباله لانه لو كان هذا فى نفسه لقال له لم دفعك الناس عن هذا المقام وقد نص عليك رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يقل له هذا وانما قال كلاما عاما لبنى هاشم كافة كيف دفعكم قومكم عن هذا وأنتم أحق به أى

باعتبار الهاشمية والقربى فاجابه بجواب أعاد قبله المعنى الذي تعلق به الاسدي بعينه تمهيدا للجواب فقال انما فعلوا ذلك مع انا أقرب الى رسول الله صلى الله عليه وآله من غيرنا لانهم استأثروا علينا ولو قال له أنا المنصوص عليه والمخاطب باسمي في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله لما كان قد أجابه لانه ما سأله هل أنت منصوص عليك أم لا ولا هل نص رسول الله صلى الله عليه وآله بالخلافة على أحد ام لا وانما قال لم دفعكم قومكم عن الامر وأنتم أقرب الى ينبوعه ومعدنه منهم فاجابه جوابا ينطبق على السؤال ويلائمه أيضا فلو أخذ يصرح له بالنص ويعرفه تفاصيل باطن الامر لنفر عنه واتهمه ولم يقبل قوله ولم ينجذب الى تصديقه فكان أولى الامور في حكم السياسة وتدبير الناس أن يجيب بما لا نفرة منه ولا مطعن عليه فيه

(الاصل) ﴿ومن خطبة له عليه السلام﴾

الحَمْدُ لِلّٰهِ خالِقِ العِبادِ وَساطِحِ المِهادِ * وَمُسِيلِ الوِهادِ وَمُخْصِبِ النِّجادِ لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ابْتِداءٌ وَلا لِأَزَلِيَّتِهِ انْقِضاءٌ هُوَ الأَوَّلُ وَلَمْ يَزَلْ وَالباقي بِلا أَجَلٍ خَرَّتْ لَهُ الجِباهُ وَوَحَّدَتْهُ الشِّفاهُ حَدَّ الأَشْياءَ عِنْدَ خَلْقِهِ لَها إِبانَةً لَهُ مِنْ شَبَهِها * لا تُقَدِّرُهُ الأَوْهامُ بِالحُدُودِ وَالحَرَكاتِ وَلا بِالجَوارِحِ وَالأَدَواتِ لا يُقالُ لَهُ مَتَى وَلا يُضْرَبُ لَهُ أَمَدٌ بِحَتَّى الظّاهِرُ لا يُقالُ مِمّا * وَالباطِنُ لا يُقالُ فِيما * لا شَبَحٌ فَيَتَقَضّى * وَلا مَحْجُوبٌ فَيُحْوَى * لَمْ يَقْرُبْ مِنَ الأَشْياءِ بِالتِصاقٍ وَلَمْ يَبْعُدْ عَنْها بِافْتِراقٍ * وَلا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ عِبادِهِ شُخُوصُ لَحْظَةٍ وَلا كُرُورُ لَفْظَةٍ وَلا ازْدِلافُ رَبْوَةٍ * وَلا انْبِساطُ خَطْوَةٍ في لَيْلٍ داجٍ * وَلا غَسَقٍ ساجٍ يَتَفَيَّأُ عَلَيْهِ القَمَرُ المُنِيرُ * وَتَعْقُبُهُ الشَّمْسُ ذاتُ النُّورِ فِي الأُفُولِ وَالكُرُورِ * وَتَقَلُّبِ الأَزْمِنَةِ وَالدُّهُورِ مِنْ إِقْبالِ لَيْلٍ مُقْبِلٍ وَإِدْبارِ نَهارٍ مُدْبِرٍ * قَبْلَ كُلِّ غايَةٍ وَمُدَّةٍ * وَكُلِّ إِحْصاءٍ وَعِدَّةٍ * تَعالَى عَمّا يَنْحَلُهُ * المُحَدِّدُونَ مِنْ صِفاتِ الأَقْدارِ وَنِهاياتِ الأَقْطارِ وَتَأَثُّلِ المَساكِنِ * وَتَمَكُّنِ الأَماكِنِ فَالحَدُّ لِخَلْقِهِ مَضْرُوبٌ وَإِلى غَيْرِهِ مَنْسُوبٌ * لَمْ يَخْلُقِ الأَشْياءَ مِنْ أُصُولٍ أَزَلِيَّةٍ وَلا مِنْ أَوائِلَ أَبَدِيَّةٍ خَلَقَ ما خَلَقَ فَأَقامَ حَدَّهُ وَصَوَّرَ ما صَوَّرَ فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ * لَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ امْتِناعٌ وَلا لَهُ بِطاعَةِ شَيْءٍ انْتِفاعٌ * عِلْمُهُ بِالأَمْواتِ الماضِينَ كَعِلْمِهِ بِالأَحْياءِ الباقِينَ وَعِلْمُهُ بِما فِي السَّمٰواتِ العُلَى كَعِلْمِهِ بِما فِي الأَرَضِينَ السُّفْلَى

(الشرح) المهاد هنا هو الارض وأصله الفراش وساطحه باسطه ومنه تستطيح القبور خلاف تسنيمها ومنه أيضا المسطح للموضع الذي يبسط فيه التمر ليجفف والوهاد جمع وهدة وهي المكان المطمئن ومسيلها مجرى السيل فيها والنجاد جمع نجد وهو ما ارتفع من الارض ومخصبها مروضها وجاعلها ذات خصب واعلم انه عليه السلام أورد في هذه الخطبة ضروبا من علم التوحيد وكلها مبنية على ثلاثة أصول الاصل الاول انه تعالى واجب الوجود لذاته ويتفرع على هذا الاصل فروع أولها انه ليس لاوليته ابتداء لانه لو كان لاوليته ابتداء لكان محدثا ولا شيء من المحدث بواجب الوجود لان معنى واجب الوجود ان ذاته لا تقبل العدم ويستحيل الجمع بين قولنا هذه الذات محدثة أي كانت معدومة

من قبل وهي في حقيقتها لا تقبل العدم وثانيها انه ليس لازليته انقضاء لانه لو صح عليه العدم لكان لعدمه سبب فكان وجوده موقوفا على سبب عدمه والمتوقف على غيره يكون ممكن الذات فلا يكون واجب الوجود وقوله عليه السلام هو الاول لم يزل والباقي بلا أجل تكرار لهذين المعنيين السابقين على سبيل التأكيد ويدخل فيه أيضا قوله لا يقال له متى ولا يضرب له أمد بحتى لان متى للزمان وواجب الوجود يرتفع عن الزمان وحتى للغاية وواجب الوجود لا غاية له ويدخل أيضا فيه قوله قبل كل غاية ومدة وكل احصاء وعدة وثالثها انه لا يشبه الاشياء البتة لان ما عداه اما جسم أو عرض أو مجرد فلو أشبه الجسم أو العرض لكان اما جسما أو عرضا ضرورة تساوي المتشابهين المتماثلين في حقائقهما ولو شابه غيره من المجردات مع ان كل مجرد غيره ممكن لكان ممكنا وليس واجب الوجود بممكن فيدخل في هذا المعنى قوله عليه السلام حد الاشياء عند خلقه لها ابانة له من شبهها أي جعل المخلوقات ذوات حدود ليتميز هو سبحانه عنها اذ لا حد له فبطل ان يشبهه شيء منها ودخل فيه قوله عليه السلام لا تقدره الاوهام بالحدود والحركات ولا بالجوارح والادوات جمع اداة وهي ما يعتمد به ودخل فيه قوله الظاهر فلا يقال مما أي لا يقال من أي شيء ظهر والباطن فلا يقال فيما أي لا يقال فيما ذا بطن ويدخل فيه قوله لا شبح فيتقضى والشبح الشخص ويتقضى يطلب اقصاه ويدخل فيه قوله ولا محجوب فيحوى وقوله لم يقرب من الاشياء بالتصاق ولم يبعد عنها بافتراق لان هذه الامور كلها من خصائص الاجسام وواجب الوجود لا يشبه الاجسام ولا يماثلها ويدخل فيه قوله عليه السلام تعالى عما ينحله المحددون من صفات الاقدار أي مما ينسبه اليه المشبهة والمجسمة من صفات المقادير وذوات المقادير ونهايات الاقطار أي الجوانب وتأثل المساكن بجدها مؤثل أي أصيل وبيت مؤثل أي معمور وكان أصل الكلمة أن يبنى الدار بالاثل وهو شجر معروف وتمكن الاماكن ثبوتها واستقرارها وقوله فالحد لخلقه مضروب والى غيره منسوب وقوله ولا له بطاعة شيء انتفاع لانه انما ينتفع الجسم الذي يصح عليه الشهوة والنفرة كل هذا داخل تحت هذا الوجه الاصل الثاني انه تعالى عالم لذاته فيعلم كل معلوم ويدخل تحت هذا الاصل قوله عليه السلام لا تخفى عليه خافية من عباده شخوص لحظة أن تسكن العين فلا تتحرك ولا كرور لفظة أي رجوعها ولا ازدلاف ربوة صعود انسان أو حيوان ربوة من الارض وهي الموضع المرتفع ولا انبساط خطوط في ليل داج أي مظلم ولا غسق ساج أي ساكن ثم قال يتفيأ عليه القمر المنير هذا من صفات الغسق ومن تتمة نعته ومعنى يتفيأ عليه يتقلب ذاهبا وجائيا في حالتي أخذه في الضوء الى التبدر وأخذه في النقص الى المحاق وقوله وتعقبه أي وتتعقبه فحذف احدى التاءين كما قال سبحانه الذين توفتهم الملائكة أي تتوفاهم والهاء في وتعقبه يرجع الى القمر أي وتسير الشمس عقيبه في كروره وأفوله أي غيبوبته وفي تقليب الازمنة والدهور من اقبال ليل وادبار نهار فان قلت اذا كان قوله يتفيأ عليه القمر المنير في موضع جر لانه صفة غسق فكيف يتعقب الشمس القمر مع وجود الغسق وهل يمكن اجتماع الشمس والغسق قلت لا يلزم من تعقب الشمس للقمر ثبوت الغسق بل قد يصدق تعقبها له ويكون الغسق معدوما كانه عليه السلام قال لا يخفى على الله حركة في نهار ولا ليل يتفيأ عليه القمر وتعقبه الشمس أي تظهر عقيبه فيزول الغسق بظهورها وهذا التفسير الذي فسرناه يقتضي أن يكون حرف الجر وهو في التي في قوله في الكرور متعلقا بمحذوف ويكون موضعه نصبا على الحال أي وتعقبه كارا وآفلا ويدخل تحته أيضا قوله عليه السلام علمه بالاموات الماضين كعلمه بالاحياء الباقين وعلمه بما في السموات العلى كعلمه بما في الارضين السفلى الاصل الثالث انه تعالى قادر لذاته فكان قادرا على كل الممكنات ويدخل تحته قوله لم يخلق الاشياء من أصول أزلية ولا من أوائل أبدية بل خلق ما خلق فأقام حده وصور ما صور فأحسن صورته والرد في هذا على أصحاب الهيولى والطينة التي يزعمون قدمها ويدخل تحته قوله ليس لشيء امتناع لانه متى أراد ايجاد شيء أوجده ويدخل تحته قوله خرت له الجباه أي سجدت ووحدته الشفاه يعني الافواه فعبر بالجزء عن الكل مجازا وذلك لان القادر لذاته هو المستحق للعبادة لخلقه أصول النعم كالحياة والقدرة والشهوة واعلم ان هذا الفن هو الذي بان به أمير المؤمنين عليه السلام عن العرب في زمانه قاطبة

واستحق به التقدم والفضل عليهم أجمعين وذلك لان الخاصة التى يتميز بها الانسان عن البهائم هى العقل والعلم ألا ترى انه يشاركه غيره من الحيوانات فى اللحمية والدموية والقوة والقدرة والحركة الكائنة على سبيل الارادة والاختيار فليس الامتياز الا بالقوة الناطقة أى العاقلة العالمة فكلما كان الانسان أكثر حظا منها كانت انسانيته أتم ومعلوم ان هذا الرجل انفرد بهذا الفن وهو أشرف العلوم لان معلومه أشرف المعلومات ولم ينقل عن أحد من العرب غيره فى هذا الفن حرف واحد ولا كانت أذهانهم تصل الى هذا ولا يفهمونه بهذا الفن متفرد وبغيره من الفنون وهى العلوم الشرعية مشارك لهم وأرجح عليهم فكان أكمل منهم لانا قد بينا ان الاعلم أدخل فى صورة الانسانية وهذا هو معنى الافضلية

(الاصل) (منها) أَيُّها المَخلُوقُ السَّوِيُّ * وَالمُنْشَأُ المَرْعِيُّ في ظُلُماتِ الأَرْحامِ وَمُضاعَفاتِ الأَستارِ * بُدِئْتَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ * وَوُضِعْتَ في قَرارٍ مَكِينٍ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ وأَجَلٍ مَقْسُومٍ تَمُورُ في بَطْنِ أُمِّكَ جَنِيناً لا تُحِيرُ دُعاءً ولا تَسْمَعُ نِداءً ثُمَّ أُخْرِجْتَ مِنْ مَقَرِّكَ إِلَى دارٍ لَمْ تَشْهَدْها وَلَم تَعْرِفْ سُبُلَ مَنافِعِها فَمَنْ هَداكَ لاجْتِرارِ الغِذاءِ مِنْ ثَدْيِ أُمِّكَ وَعَرَّفَكَ عِنْدَ الحاجَةِ مواضِعَ طَلَبِكَ وَإرادَتِكَ * هَيْهاتَ انَّ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفاتِ ذِي الهَيْئَةِ وَالأَدواتِ فَهُوَ عَنْ صِفاتِ خالِقِهِ أَعْجَزُ * وَمِنْ تَناوُلِهِ بِحُدُودِ المَخْلُوقِينَ أَبْعَدُ

(الشرح) السوى المستوى الخلقة غير ناقص قال سبحانه فتمثل لها بشرا سويا والمنشأ مفعول من أنشأ أى خلق وأوجد والمرعى المحوط المحفوظ وظلمات الارحام ومضاعفات الاستار مستقر النطف والرحم موضوعة فيما بين المثانة والمعا المستقيم وهى مربوطة برباطات على هيئة السلسلة وجسمها عصبى ليمكن امتدادها واتساعها وقت الحاجة الى ذلك عند الولادة وتنضم وتتقلص اذا استغنى عن ذلك ولها بطنان ينتهيان الى فم واحد وزائدتان يسميان قرنى الرحم وخلف هاتين الزائدتين بيضتا المرأة وهما أصغر من بيضتى الرجل وأشد تفرطحا ومنهما ينصب منى المرأة الى تجويف الرحم وللرحم رقبة منتهية الى فرج المرأة وتلك الرقبة من المرأة بمنزلة الذكر من الرجل فاذا امتزج منى الرجل بمنى المرأة فى تجويف الرحم كان العلوق ثم ينمى ويزيد من دم الطمث ويتصل بالجنين عروق تأتى الى الرحم فيغذوه حتى يتم ويكمل فاذا تم لم يكتف بما تحته من تلك العروق فيتحرك حركات قوية طلبا للغذاء فتنهتك أربطة الرحم التى قلنا انها على هيئة السلسلة وتكون منها الولادة قوله بدئت من سلالة من طين أى كان ابتداء خلقك من سلالة وهى خلاصة الطين لانها سلت من بين الكدر وفعالة بناء للقلة كالقلامة والقمامة وقال الحسن هى ماظهر من الطين ثم قال ووضعت فى قرار مكين الكلام الاول لآدم الذى هو أصل البشر والثانى لذريته والقرار المكين الرحم متمكنة فى موضعها برباطاتها لانها لو كانت متحركة لتعذر العلوق ثم قال الى قدر معلوم واجل مقسوم الى متعلقة بمحذوف كانه قال منتهيا الى قدر معلوم أى مقدار طوله وشكله الى أجل مقسوم مدة حياته ثم قال تمور فى بطن أمك أى تتحرك لا تحير أى لا ترجع جوابا أحار يحير الى دار لم تشهدها يعنى الدنيا ويقال أشبه شئ بحال الانتقال من الدنيا الى الاحوال التى بعد الموت انتقال الجنين من ظلمة الرحم الى فضاء الدنيا فلو كان الجنين يعقل ويتصور كان يظن انه لا دار له الا الدار التى هو فيها ولا يشعر بما وراءها ولا يحس بنفسه الا وقد حصل فى دار لم يعرفها ولا تخطر بباله فبقى هو كالحائر المبهوت وهكذا حالنا فى الدنيا اذا شاهدنا ما بعد الموت ولقد أحسن ابن الرومى فى صفة خطوب الدنيا وصروفها بقوله

لما تؤذن الدنيا به من صروفها * يكون بكاء الطفل ساعة يولد
والا فما يبكيه منها وانها * لاوسع مما كان فيه وارغد
اذا ذكر الدنيا استهل كأنه * بما سوف يلقى من أذاها يهدد

قال فمن هداك الى اجترار الغذاء من ثدى أمك اجترار امتصاص اللبن من الثدى وذلك بالالهام الالهى قال وعرفك عند الحاجة أى أعلمك بموضع الحلمة عند طلبك الرضاع فالتقمتها بفمك ثم قال هيهات أى بعد أن يحيط علما بالخالق من عجز عن معرفة المخلوق قال الشاعر

رأيت الورى يدعون الهدى * وكم يدعى الحق خلق كثير
ومافى البرايا امرؤ عنده * من العلم بالحق الا اليسير
خفى فما ناله ناظر * وما ان أشار اليه مشير
ولا شئ أظهر من ذاته * وكيف يرى الشمس أعمى ضرير

(الاصل) *(ومن كلام له عليه السلام)*

لعثمان بن عفان قالوا لما اجتمع الناس الى أمير المؤمنين عليه السلام وشكوا اليه ما نقموه على عثمان وسألوه مخاطبته عنهم واستعتابه لهم فدخل عليه السلام على عثمان فقال عليه السلام

انَّ النَّاسَ وَرائِي وَقَدِ اسْتَسْفَرُونِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ * وَوَاللهِ ما أَدْرِي ما أَقُولُ لَكَ ما أَعْرِفُ شَيْئاً تَجْهَلُهُ ولا أَدُلُّكَ على أَمْرٍ لا تَعْرِفُهُ * انكَ لَتَعْلَمُ مانَعْلَمُ * ما سَبَقْناكَ الى شَيْءٍ فَنُخْبِرَكَ عَنْهُ ولا خَلَوْنا بِشَيْءٍ فَنُبَلِّغَكَهُ وَقَدْ رَأَيْتَ كَما رَأَيْنا وَسَمِعْتَ كَما سَمِعْنا وَصَحِبْتَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَما صَحِبْنا وما ابْنُ أَبِي قُحافَةَ وَلا ابْنُ الخَطَّابِ بِأَوْلَى بِعَمَلِ الحَقِّ مِنْكَ وَأَنْتَ أَقْرَبُ الى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسلمَ وَشِيجَةَ رَحِمٍ مِنْهُما وَقَدْ نِلْتَ مِنْ صِهْرِهِ مالَمْ يَنالا فَاللهَ اللهَ في نَفْسِكَ فانَّكَ وَاللهِ ما تُبَصَّرُ مِنْ عَمًى وَلا تُعَلَّمُ مِنْ جَهْلٍ وَانَّ الطُّرُقَ لَواضِحَةٌ وَانَّ أَعْلامَ الدِّينِ لَقائِمَةٌ * فاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبادِ اللهِ عِنْدَ اللهِ امامٌ عادِلٌ هُدِيَ وَهَدَى فَأَقامَ سُنَّةً مَعْلُومَةً وَأَماتَ بِدْعَةً مَجْهُولَةً وإِنَّ السُّنَنَ لَنَيِّرَةٌ لَها أَعْلامٌ وَانَّ البِدَعَ لَظاهِرَةٌ لَها أَعْلامٌ وَانَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ امامٌ جائِرٌ ضَلَّ وَضُلَّ بِهِ فَأَماتَ سُنَّةً مَأْخُوذَةً وَأَحْيا بِدْعَةً مَتْرُوكَةً وانِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ يَقُولُ يُؤْتَى يَوْمَ القِيامَةِ بِالإِمامِ الجائِرِ وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ ولا عاذِرٌ فَيُلْقَى في نارِ جَهَنَّمَ فَيَدُورُ فيها كَما تَدُورُ الرَّحَى ثُمَّ يَرْتَبِطُ فى قَعْرِها * واني أَنْشُدُكَ اللهَ أَنْ تَكُونَ إِمامَ هذِهِ الامَّةِ المَقْتُولَ فانَّهُ كانَ يُقالُ يُقْتَلُ في هذِهِ الأُمَّةِ امامٌ يَفْتَحُ عَلَيْها القَتْلَ وَالقِتالَ إِلَى يَوْمِ القِيامَةِ وَيَلْبِسُ أُمُورَها عَلَيْها وَيَبُثُّ الفِتَنَ فيها فَلا يُبْصِرُونَ الحَقَّ مِنَ الباطِلِ يَمُوجُونَ فيها مَوْجاً وَيَمْرُجُونَ فيها مَرْجاً * فَلا تَكُونَنَّ لِمَرْوانَ سَيِّقَةً يَسُوقُكَ حَيْثُ شاءَ بَعْدَ جَلالِ السِّنِّ وَتَقَضِّي

العُمُرِ فَقَالَ لَهُ عُثْمانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (كَلِّمِ النَّاسَ فِي أَنْ يُؤَجِّلُونِي حَتَّى أُخْرِجَ إِلَيْهِمْ مِنْ مَظالِمِهِمْ) فَقالَ عَلَيْهِ السَّلامُ ما كانَ بِالْمَدِينَةِ فَلا أَجَلَ فِيهِ وَما غابَ فَأَجَلُهُ وُصُولُ أَمْرِكَ إِلَيْهِ

(الشرح) نقمت على زيد بالفتح أنقم فانا ناقم اذا عتبت عليه وقال الكسائي نقمت بالكسر أيضا أنقم لغة وهذه اللفظة تجيء لازمة ومتعدية قالوا انقمت الامر أي كرهته واستعتبت فلانا طلبت منه العتبى وهي الرضا واستعتابهم عثمان طلبهم منه ما يرضيهم عنه واستسفروني جعلوني سفيرا ووسيطا بينك وبينهم ثم قال له وأقسم على ذلك انه لا يعلم ماذا يقول له لانه لا يعرف أمرا يجهله أي من هذه الاحداث خاصة وهذا حق لان عليا عليه السلام لم يكن يعلم منها ما يجهله عثمان بل كان أحداث الصبيان فضلا عن العقلاء المميزين يعلمون وجهي الصواب والخطأ فيها ثم شرع معه في مسلك الملاطفة والقول اللين فقال ما سبقناك الى الصحبة ولا انفردنا بالرسول دونك وأنت مثلنا ونحن مثلك ثم خرج الى ذكر الشيخين فقال قولا معناه انهما ليسا خيرا منك فانك مخصوص دونهما بقرب النسب يعني المنافية وبالصهر وهذا كلام هو موضع المثل يسر حسوا في ارتغاء ومراده تفضيل نفسه عليه السلام عليهما لان العلة التي باعتبارها فضل عثمان عليهما محققة فيه وزيادة لان له مع المنافية الهاشمية فهو أقرب والوشيجة عروق الشجرة ثم حذره جانب الله تعالى ونبهه على أن الطريق واضحة وأعلام الهدى قائمة وان الامام العادل أفضل الناس عند الله وان الامام الجائر شر الناس عند الله ثم روى له الخبر المذكور وروى ثم يرتبك في قعرها أي ينشب وخوفه أن يكون الامام المقتول الذي يفتح الفتن بقتله وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله قال كلاما هو هذا أو يشبه هذا ومرج الدين أي فسد والسيقة ما استاقه العدو من الدواب مثل الوسيقة قال الشاعر

فما أنا الا مثل سيقة العدى ✽ ان استقدمت نحر وان جبئت عقر

والجلال بالضم الجليل كالطوال والطويل أي بعد السن الجليل أي العمر الطويل وقوله ما كان بالمدينة فلا أجل فيه وما غاب فأجله وصول أمرك اليه كلام شريف فصيح لان الحاضر أي معنى لتأجيله والغائب فلا عذر بعد وصول الامر في تأخيره لان السلطان لا يؤخر أمره وقد ذكرنا من الاحداث التي نقمت على عثمان فيما تقدم ما فيه كفاية وقد ذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري رحمه الله في التاريخ الكبير هذا الكلام فقال ان نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله تكاتبوا فكتب بعضهم الى بعض أن اقدموا فان الجهاد بالمدينة لا بالروم واستطال الناس على عثمان ونالوا منه وذلك في سنة أربع وثلاثين ولم يكن أحد من الصحابة يذب عنه ولا ينهى الا نفر منهم زيد بن ثابت وأبو أسيد الساعدي وكعب بن مالك وحسان بن ثابت فاجتمع الناس فكلموا علي بن أبي طالب عليه السلام وسألوه أن يكلم عثمان فدخل عليه وقال له ان الناس وروى الكلام الى آخره بالفاظه فقال عثمان وقد علمت انك لتقولن ما قلت أما والله لو كنت مكاني ما عنفتك ولا عتبت عليك ولم آت منكرا انما وصلت رحما وسددت خلة وآويت ضائعا ووليت شبيها بمن كان عمر يوليه أنشدك الله يا علي ألا تعلم ان المغيرة بن شعبة ليس هناك قال بلى قال أفلا تعلم ان عمر ولاه قال بلى قال فلم تلومني ان وليت ابن عامر في رحمه وقرابته فقال علي عليه السلام ان عمر كان يطأ على صماخ من يوليه ثم يبلغ منه ان أنكر منه أمرا أقصى العقوبة وأنت فلا تفعل ضعفت ورققت على أقربائك فقال عثمان أفلا تعلم ان عمر ولى معاوية فقد وليته قال علي أنشدك الله ألا تعلم ان معاوية كان أخوف لعمر من يرفا غلامه له قال بلى قال فان معاوية يقطع الامور دونك ويقول للناس هذا أمر عثمان وأنت تعلم ذلك فلا تغير عليه ثم قام علي فخرج عثمان على أثره فجلس على المنبر فخطب الناس وقال أما بعد فان لكل شيء آفة ولكل أمر عاهة وان آفة هذه الامة وعاهة هذه النعمة عيابون طعانون يرونكم ما تحبون ويسرون عنكم ما تكرهون يقولون لكم ويقولون أمثال النعام يتبع أول ناعق أحب مواردها اليها البعيد لا يشربون الا نغصا ولا يردون الا عكرا أما والله لقد عبتم علي ما أقررتم لابن الخطاب بمثله ولكنه وطئكم برجله وضربكم بيده وقمعكم بلسانه فدنتم له على ما أحببتم وكرهتم ولنت لكم وأوطأتكم كتفي وكففت يدي ولساني عنكم فاجترأتم علي أما والله لانا

أقرب ناصرا وأعز نفرا وأكثر عددا وأحرى ان قلت هلم أن يجاب صوتي ولقد أعددت لكم أقرانا وكشرت لكم عن نابي وأخرجتم مني خلقا لم أكن أحسنه ومنطقا لم أكن أنطق به فكفوا عني ألسنتكم وطعنكم وعيبكم على ولاتكم فما الذي تفقدون من حقكم والله ما قصرت شيئا عن بلوغ من كان قبلي وما وجدتكم تختلفون عليه فما بالكم فقام مروان بن الحكم فقال وان شئتم حكمنا بيننا وبينكم السيف فقال عثمان أسكت لا سكت دعني وأصحابي ما منطقك في هذا ألم أتقدم اليك أن لا تنطق فسكت مروان ونزل عثمان

(الاصل) ✽(ومن خطبة له عليه السلام)✽

يذكر فيها عجب خلقة الطاوس

ابْتَدَعَهُمْ خَلْقاً عَجِيباً مِنْ حَيَوانٍ وَمَوَاتٍ وَساكِنٍ وَذِي حَرَكاتٍ فَأَقامَ مِنْ شَواهِدِ الْبَيِّناتِ عَلى لَطِيفِ صَنْعَتِهِ وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ ما انْقادَتْ لَهُ الْعُقُولُ مُعْتَرِفَةً بِهِ وَمُسَلِّمَةً لَهُ ✽ وَنَعَقَتْ فِي أَسْماعِنا دَلائِلُهُ عَلى وَحْدانِيَّتِهِ ✽ وَما ذَرَأَ مِنْ مُخْتَلِفِ صُوَرِ الْأَطْيارِ الَّتِي أَسْكَنَها أَخادِيدَ الْأَرْضِ وَخُرُوقَ فِجاجِها وَرَواسِيَ أَعْلامِها مِنْ ذاتِ أَجْنِحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ وَهَيْئاتٍ مُتَبايِنَةٍ مُصَرَّفَةٍ فِي زِمامِ التَّسْخِيرِ ✽ وَمُرَفْرِفَةٍ بِأَجْنِحَتِها فِي مَخارِقِ الْجَوِّ الْمُنْفَسِحِ وَالْفَضاءِ الْمُنْفَرِجِ كَوَّنَها بَعْدَ إِذْ لَمْ تَكُنْ فِي عَجائِبِ صُوَرٍ ظاهِرَةٍ وَرَكَّبَها فِي حِقاقِ مَفاصِلَ مُحْتَجِبَةٍ ✽ وَمَنَعَ بَعْضَها بِعَبالَةِ خَلْقِهِ أَنْ يَسْمُوَ فِي الْهَواءِ خُفُوفاً وَجَعَلَهُ يَدِفُّ دَفِيفاً وَنَسَقَها عَلى اخْتِلافِها فِي الْأَصابِيغِ بِلَطِيفِ قُدْرَتِهِ وَدَقِيقِ صَنْعَتِهِ فَمِنْها مَغْمُوسٌ فِي قالَبِ لَوْنٍ لا يَشُوبُهُ غَيْرُ لَوْنِ ما غُمِسَ فِيهِ وَمِنْها مَغْمُوسٌ فِي لَوْنِ صِبْغٍ قَدْ طُوِّقَ بِخِلافِ ما صُبِغَ بِهِ

(الشرح) الموات بالفتح ما لا حياة فيه وأرض موات أي قفر والساكن ههنا كالارض والجبال وذوا الحركات كالنار والماء الجاري والحيوان ونعقت في أسماعنا دلائله أي صاحت دلائله لظهورها كالاصوات المسموعة التي تعلم يقينا وأخاديد الارض شقوقها جمع أخدود وفجاجها جمع فج وهو الطريق بين الجبلين ورواسي اعلامها أثقال جبالها مصرفة في زمام التسخير أي هي مسخرة تحت القدرة الالهية وحقاق المفاصل جمع حق وهو مجمع المفصلين من الاعضاء كالركبة وجعلها محتجبة لانها مستورة بالجلد واللحم وعبالة الحيوان كثافة جسده والخفوف سرعة الحركة والدفيف للطائر طيرانه فويق الارض يقال عقاب دفوف قال امرؤ القيس يصف فرسه ويشبهها بالعقاب كأني بفتخاء الجناحين لقوة ✽ دفوف من العقبان طأطأت شملالي ونسقها رتبها والاصابيغ جمع أصباغ وأصباغ جمع صبغ والمغموس الاول هو ذو اللون الواحد كالاسود والاحمر والمغموس الثاني ذو اللونين نحو أن يكون أحمر وعنقه خضراء وروي قد طورق لون أي على لون كما تقول طارقت بين الثوبين فان قلت ما هذه الطيور التي تسكن بعضها الاخاديد وبعضها الفجاج وبعضها رؤس الجبال قلت أما الاول فكالقطا والصدا والثاني كالقبج والطيهوج والثالث كالصقر والعقاب

(الاصل) وَمِنْ أَعْجَبِها خَلْقاً الطَّاوُسُ الَّذِي أَقامَهُ فِي أَحْكَمِ تَعْدِيلٍ وَنَضَّدَ أَلْوانَهُ فِي أَحْسَنِ تَنْضِيدٍ ✽ بِجَناحٍ أَشْرَجَ قَصَبَهُ وَذَنَبٍ أَطالَ مَسْحَبَهُ إِذا دَرَجَ إِلَى الْأُنْثَى

نَشَرَهُ مِنْ طَيِّهِ وسَمَا بِهِ مُطِلاًّ على رَأْسِهِ كأنَّهُ قِلْعُ دَارِيٍّ عَنَجَهُ نُوتِيُّهُ يَخْتَالُ بأَلْوَانِهِ ويَمِيسُ بزَيَفَانِهِ يُفْضِي كإفضاءِ الدِّيَكَةِ * ويَؤُرُّ بمُلاقَحَةٍ أَرَّ الفُحُولِ المُغْتَلِمَةِ لِلضِّرَابِ احيلُكَ مِنْ ذَلِكَ على مُعَايَنَةٍ * لاَ كَمَنْ يُحِيلُ على ضَعِيفٍ اسنادُهُ ولَوْ كانَ كَزَعْمِ مَنْ يَزْعُمُ انَّهُ يُلْقِحُ بِدَمْعَةٍ تَسْفَحُهَا مَدَامِعُهُ * فتَقِفُ في ضَفَّتَيْ جُفُونِهِ وَأَنَّ أُنْثَاهُ تَطْعَمُ ذَلِكَ ثُمَّ تَبِيضُ لاَ مِنْ لِقَاحِ فَحْلٍ سِوَى الدَّمْعِ المُنْبَجِسِ لَمَا كانَ ذَلِكَ بأَعْجَبَ مِنْ مُطَاعَمَةِ الغُرَابِ

(الشرح) الطاوس فاعول كالماضوم والكابوس وترخيمه طويس ونضد رتب قوله اشرج قصبه القصب ههنا عروق الجناح وغضاريفه عظامه الصغار وأشرجها ركب بعضها فى بعض كما تشرج العيبة أى يداخل بين أشراجها وهى عراها واحدها شرج بالتحريك ثم ذكر ذنب الطاوس وانه طويل المسحب وان الطاوس اذا درج الى الانثى للسفاد نشر ذنبه من طيه وعلا به مرتفعا على رأسه والقلع شراع السفينة وجمعه قلاع والدارى جالب العطر فى البحر من دارين وهى فرضة بالبحرين فيها سوق يحمل اليها المسك من الهند وفى الحديث الجليس الصالح كالدارى ان لم يحذك من عطره علقك من ريحه قال الشاعر

اذا التاجر الدارى جاء بفأرة * من المسك راحت فى مفارقهم تجرى

والنوتى الملاح وجمعه نواتى وعنجه عطفه وعنجت خطام البعير رددته على رجليه أعنجه بالضم والاسم العنج بالتحريك وفى المثل عود تعلم العنج يضرب مثلا لتعليم الحاذق و يختال من الخيلاء وهى العجب و يميس يتبختر وزيفانه تبختره زاف يزيف ومنه ناقة زيافة أى مختالة قال عنترة زيافة مثل الفنيق المكدم * وكذلك ذكر الحمام عند الحمامة اذا جر الذنابى ودفع مقدمه بمؤخره واستدار عليها و يفضى يسفد والديكة جمع ديك كالقرطة والحجرة جمع قرط وحجر ويؤر يسفد والأر الجماع ورجل آركثير الجماع وملاقحه أدوات الالقاح وأعضاؤه وهى آلات التناسل قوله ار الفحول أى أرا مثل أر الفحول ذوات الغلمة والشبق ثم ذكر أنه لم يقل ذلك عن اسناد قد يضعف و يتداخله الطعن بل قال ذلك عن عيان ومشاهدة فان قلت من أين للمدينة طواويس وأين العرب وهذا الطائر حتى يقول أمير المؤمنين عليه السلام أحيلك من ذلك على معاينة لاسيما وهو يعنى السفاد ورؤية ذلك لمن تكثر الطواويس فى داره و يطول مكثها عنده نادرة قلت لم يشاهد أمير المؤمنين عليه السلام الطواويس بالمدينة بل بالكوفة وكانت يومئذ تجبى اليها ثمرات كل شئ وتأتى اليها هدايا الملوك من الآفاق ورؤية المسافدة مع وجود الذكر والانثى غير مستبعدة * واعلم ان قوما زعموا ان الذكر تدمع عينه فتقف الدمعة بين أجفانه فتأتى الانثى فتطعمها فتلقح من تلك الدمعة وأمير المؤمنين عليه السلام لم يحل ذلك ولكنه قال ليس بأعجب من مطاعمة الغراب والغراب تزعم ان العرب لا يسفد ومن أمثالهم أخفى من سفاد الغراب فيزعمون ان اللقاح من مطاعمة الذكر والانثى منهما وانتقال جزء من الماء الذى فى قانصته اليها من منقاره وأما الحكماء فقل أن يصدقوا بذلك على أنهم قد قالوا فى كتبهم ما يقرب من هذا قالوا فى السمك البياض ان سفاده خفى جدا وانه لم يظهر ظهورا يعتد به و يحكم بسببه هذا لفظ ابن سينا فى كتاب الشفاء ثم قال والناس يقولون ان الاناث تأخذ زرع الذكور فى أفواهها الى بطونها ثم قال وقد شوهدت الاناث منها تتبع الذكور مبتلعة للزرع وأما عند الولادة فان الذكور تتبع الاناث مبتلعة بيضها قال ابن سينا والقبجة تحبلها ريح تهب من ناحية الحجل الذكر ومن سماع صوته قال والنوع المسمى مالاقيا تتلاصق بأفواهها ثم تتشابك فذاك سفادها وسمعت أنا ان الغراب يسفد وانه قد شوهد سفاده و يقول الناس ان من شاهد سفاد الغراب يثرى ولا يموت الا وهو كثير المال موسر والضفتان بفتح الضاد الجانبان هما ضفتا النهر وقد جاء ذلك بالكسر أيضا والفتح أفصح والمنبجس المنفجر و يسفحها يصبها وروى تنشجها مدامعه من النشيج وهو صوت الماء وغليانه من زق أو حب أو قدر

(الاصل) تَخَالُ قَصَبَهُ مَدَارِيَ مِنْ فِضَّةٍ * وَمَا أُنْبِتَ عَلَيْهَا مِنْ عَجِيبِ دَارَاتِهِ وَشُمُوسِهِ خَالِصَ العِقْيَانِ وفِلَذَ الزَّبَرْجَدِ فإنْ شَبَّهْتَهُ بمَا أَنْبَتَتِ الارْضُ قُلْتَ جَنًى جُنِيَ مِنْ زَهْرَةِ كُلِّ رَبِيعٍ * وَإنْ ضَاهَيْتَهُ بالمَلاَبِسِ فَهُوَ كَمَوْشِيِّ الحُلَلِ * أو كمُونِقِ عَصْبِ اليَمَنِ وَإنْ شَاكَلْتَهُ بالحُلِيِّ فَهُوَ كَفُصُوصٍ ذاتِ أَلْوَانٍ قد نُطِّقَتْ باللُّجَيْنِ المُكَلَّلِ * يَمْشِي مَشْيَ المَرِحِ المُخْتَالِ * ويَتَصَفَّحُ ذَنَبَهُ وجَنَاحَيْهِ فيُقَهْقِهُ ضَاحِكاً لجَمَالِ سِرْبَالِهِ وأَصَابِيغِ وِشَاحِهِ فإذا رَمَى ببَصَرِهِ إلى قَوَائِمِهِ زَقَا مُعْوِلاً يَكَادُ يُبِينُ عَنِ اسْتِغَاثَتِهِ ويَشْهَدُ بصَادِقِ تَوَجُّعِهِ لأَنَّ قَوَائِمَهُ حُمْشٌ كَقَوَائِمِ الدِّيَكَةِ الخِلاَسِيَّةِ

(الشرح) قصبه عظام أجنحته والمدارى جمع مدرى وهو فى الاصل القرن قال النابغة يصف الثور والكلاب

شك الفريصة بالمدرى فأنفذها * شك المبيطر اذ يشفى من العضد

وكذلك المدرة و يقال المدرى لشئ كالمسلة تصلح بها الماشطة شعور النساء قال الشاعر

تهلك المدراة فى أكنافه * واذا ما أرسلته يعتفر

وتمدرت المرأة أى سرحت شعرها شبه عظام أجنحة الطاوس بمدارى من فضة لبياضها وشبه ما أنبت الله عليها من تلك الدارات والشموس التى فى الريش بخالص العقيان وهو الذهب وفلذ الزبرجد جمع فلذة وهى القطعة والزبرجد هذا الجوهر الذى تسميه الناس البلخش ثم قال ان شبهته بنبات الارض قلت انه قد جنى من زهرة كل ربيع فى الارض لاختلاف ألوانه وأصباغه وان ضاهيته بالملابس المضاهاة المشاكلة يهمز ولا يهمز وقرئ يضاهون قول الذين كفروا و يضاهؤن وهذا ضهى هذا على فعيل أى شبيهه وموشى الحلل ما دبج بالوشى وهو الارقم الملون والعصب برود اليمن والحلى جمع حلى وهو ما تلبسه المرأة من الذهب والفضة مثل ثدى وثدى ووزنه فعول وقد يكسر الحاء لمكان الياء مثل عصى وقرئ من حليهم بالضم والكسر ونطقت باللجين جعلت الفضة كالنطاق لها والمكلل ذو الاكليل وزقا صوت يزقو زقوا وزقيا وزقاء وكل صائح زاق والزقية الصيحة وهو أثقل من الزواقى أى الديكة لانهم كانوا يسمرون فاذا صاحت الديكة تفرقوا ومعولا صارخا أعولت الفرس صوتت ومنه العويل والعولة وقوائمه حمش دقاق وهو أحمش الساقين وحمش الساقين بالتسكين وقد حمشت قوائمه أى دقت وتقول العرب للغلام اذا كانت أمه بيضاء وأبوه عربيا آدم فجاء لونه بين لونيهما خلاسى بالكسر والانثى خلاسية وقال الليث الديكة الخلاسية هى المتولدة من الدجاج الهندى والفارسى يقول عليه السلام ان الطاوس يزهى بنفسه و يتيه اذا نظر فى أعطافه ورأى ألوانه المختلفة فاذا نظر الى ساقيه وجم لذلك وانكسر نشاطه وزهوه فصاح صياح العويل لحزنه وذلك لدقة ساقيه وتنوء عرقوبيه

(الاصل) وَقَدْ نَجَمَتْ مِنْ ظُنْبُوبِ سَاقِهِ صِيصِيَةٌ خَفِيَّةٌ * وَلَهُ في مَوْضِعِ العُرْفِ قُنْزُعَةٌ خَضْرَاءُ مُوَشَّاةٌ * وَمَخْرَجُ عُنُقِهِ كالإبْرِيقِ وَمَغْرِزُهَا إلَى حَيْثُ بَطْنُهُ كَصِبْغِ الوَسِمَةِ اليَمَانِيَّةِ * أو كَحَرِيرَةٍ مُلْبَسَةٍ مِرْآةً ذَاتَ صِقَالٍ * وكَأَنَّهُ مُتَلَفِّعٌ بمِعْجَرٍ أَسْحَمَ إلاَّ أَنَّهُ يُخَيَّلُ لِكَثْرَةِ مَائِهِ وَشِدَّةِ بَرِيقِهِ أَنَّ الخُضْرَةَ النَّاضِرَةَ مُمْتَزِجَةٌ بِهِ وَمَعَ فَتْقِ سَمْعِهِ خَطٌّ كمُسْتَدَقِّ القَلَمِ في لَوْنِ الأُقْحُوَانِ * أَبْيَضُ يَقَقٌ فَهُوَ بِبَيَاضِهِ في سَوَادِ مَا هُنَالِكَ

يَأْتَلِقُ * وَقَلَّ صِبْغٌ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ * وَعَلَاهُ بِكَثْرَةِ صِقَالِهِ وَبَرِيقِهِ وَبَصِيصِ دِيبَاجِهِ وَرَوْنَقِهِ * فَهُوَ كَالْأَزَاهِيرِ الْمَبْثُوثَةِ * لَمْ تُرَبِّهَا أَمْطَارُ رَبِيعٍ وَلَا شُمُوسُ قَيْظٍ

(الشرح) نجمت ظهرت والظنبوب حرف الساق وهو هذا العظم اليابس والصيصية فى الاصل شوكة الحائك التى يسوى بها السدة واللحمة ومنه قوله * كوقع الصياصى فى النسيج الممدد * ونقل الى صيصية الديك لتلك الهيئة التى فى رجله والعرف الشعر المرتفع من عنقه على رأسه والقنزعة واحدة القنازع وهى الشعر حوالى الرأس وفى الحديث غطى عنا قنازعك يا أم أيمن وموشاة ذات وشى والوسمة بكسر السين العظلم الذى يخضب به و يجوز تسكين السين والاسحم الاسود والمتلفع الملتحف و يروى متقنع بمعجر وهو ما تشده المرأة على رأسها كالرداء والاقحوان البابونج الابيض وجمعه اقاح وأبيض يقق خالص البياض وجاء يقق بالكسر و يأتلق يلمع والبصيص البريق و بص الشئ لمع ونر بها الامطار تربيها وتجمعها يقول عليه السلام كان هذا الطائر ملتحف بملحفة سوداء الا انها لكثرة رونقها يتوهم أنه قد امتزج بها خضرة ناضرة وقل ان يكون لون الا وقد أخذ هذا الطائر منه بنصيب فهو كأزاهير الربيع الا أن الازهار تربيها الامطار والشموس وهذا مستغن عن ذلك

(الاصل) وَقَدْ يَنْحَسِرُ مِنْ رِيشِهِ * وَيَعْرَى مِنْ لِبَاسِهِ فَيَسْقُطُ تَتْرَى وَيَنْبُتُ تِبَاعاً فَيَنْحَتُّ مِنْ قَصَبِهِ انْحِتَاتَ أَوْرَاقِ الْأَغْصَانِ * ثُمَّ يَتَلَاحَقُ نَامِياً حَتَّى يَعُودَ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ سُقُوطِهِ لَا يُخَالِفُ سَالِفَ أَلْوَانِهِ وَلَا يَقَعُ لَوْنٌ فِي غَيْرِ مَكَانِهِ وَإِذَا تَصَفَّحْتَ شَعْرَةً مِنْ شَعَرَاتِ قَصَبِهِ أَرَتْكَ حُمْرَةً وَرْدِيَّةً وَتَارَةً خُضْرَةً زَبَرْجَدِيَّةً وَأَحْيَاناً صُفْرَةً عَسْجَدِيَّةً * فَكَيْفَ تَصِلُ إِلَى صِفَةِ هَذَا عَمَائِقُ الْفِطَنِ * أَوْ تَبْلُغُهُ قَرَائِحُ الْعُقُولِ أَوْ تَسْتَنْظِمُ وَصْفَهُ أَقْوَالُ الْوَاصِفِينَ وَأَقَلُّ أَجْزَائِهِ قَدْ أَعْجَزَ الْأَوْهَامَ أَنْ تُدْرِكَهُ وَالْأَلْسِنَةَ أَنْ تَصِفَهُ فَسُبْحَانَ الَّذِي بَهَرَ الْعُقُولَ عَنْ وَصْفِ خَلْقٍ جَلَّاهُ لِلْعُيُونِ فَأَدْرَكَتْهُ مَحْدُوداً مُكَوَّناً وَمُؤَلَّفاً مُلَوَّناً وَأَعْجَزَ الْأَلْسُنَ عَنْ تَلْخِيصِ صِفَتِهِ وَقَعَدَ بِهَا عَنْ تَأْدِيَةِ نَعْتِهِ وَسُبْحَانَ مَنْ أَدْمَجَ قَوَائِمَ الذَّرَّةِ وَالْهَمَجَةِ إِلَى مَا فَوْقَهُمَا مِنْ خَلْقِ الْحِيتَانِ وَالْفِيَلَةِ وَوَأَى عَلَى نَفْسِهِ أَنْ لَا يَضْطَرِبَ شَبَحٌ مِمَّا أَوْلَجَ فِيهِ الرُّوحَ إِلَّا وَجَعَلَ الْحِمَامَ مَوْعِدَهُ وَالْفَنَاءَ غَايَتَهُ

(الشرح) ينحسر من ريشه ينكشف فيسقط و يروى ينحسر تترى أى شيأ بعد شئ و بينهما فترة قال الله تعالى ثم أرسلنا رسلنا تترى لانه لم يرسلهم على تراسل بل بعد فترات وهذا مما يغلط فيه قوم فيعتقدون أن تترى للمواصلة والالتصاق وأصلها الواو من الوتر وهو الفرد وفيها لغتان تنون ولا تنون فمن ترك صرفها للمعرفة جعل ألفها ألف تانيث ومن نونها جعل ألفها للالحاق قال عليه السلام و ينبت تباعا أى لا فترات بينهما وكذلك حال الريش الساقط يسقط شيأ بعد شئ و ينبت جميعا و ينحت يتساقط وانحتات الورق تناثرها ونامياً زائداً يقول عليه السلام اذا عاد ريشه عاد مكان كل ريشة ريشة ملونة بلون الريشة الاولى فلا يتخالف الاوائل والاواخر والخضرة الزبرجدية منسوبة الى الزمرد ولفظة الزبرجد

تارة تستعمل له وتارة لهذا الحجر الاحمر المسمى بلخش والعسجد الذهب وعمائق الفطن البعيدة القعر والقريحة الخاطر والذهن و بهر غلب وجلاه أظهره و يروى بالتخفيف وأدمج القوائم أحكمها كالحبل المدمج الشديد الفتل والذرة النملة الصغيرة والهمجة واحدة الهمج وهو ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه الغنم والحمر وأعينها ووأى وعد والوأى الوعد واعلم ان الحكماء ذكروا فى الطاوس أمورا قالوا انه يعيش خمسا وعشرين سنة وهى أقصى عمره و يبيض فى السنة الثالثة من عمره عندما يتنقش لونه و يتم ريشه و يبيض فى السنة مرة واحدة ثنتى عشرة بيضة فى ثلاثة أيام و يحضنها ثلاثين يوما فيفرخ و يلقى ريشه مع سقوط ورق الشجر و ينبته مع ابتداء نبات الورق والدجاج قد يحضن بيض الطاوس وانما يختار الدجاج لحضانته وان وجدت الطاوسة لان الطاوس الذكر يعبث بالانثى و يشغلها عن الحضانة و ربما نقص البيض من تحتها ولهذه العلة يخبأ كثير من الاناث محاضنها عن ذكرانها ولا تقوى الدجاجة على أكثر من بيضتى طاوس و ينبغى أن يتعهد الدجاجة حينئذ بتقريب العلف منها وقال شيخنا أبو عثمان الجاحظ رحمه الله فى كتاب الحيوان ان الطاوسة قد تبيض من الريح بأن يكون فى سفالة الريح وفوقها طاوس ذكر فيحمل ريحه فتبيض عنه وكذلك القبجة قال و بيض الريح قل أن يفرخ

(الاصل) (مِنْهَا فِي صِفَةِ الْجَنَّةِ) فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا لَعَزَفَتْ نَفْسُكَ عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَّاتِهَا وَزَخَارِفِ مَنَاظِرِهَا وَلَذَهِلَتْ بِالْفِكْرِ فِي اصْطِفَاقِ أَشْجَارٍ غُيِّبَتْ عُرُوقُهَا فِي كُثْبَانِ الْمِسْكِ عَلَى سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا وَفِي تَعْلِيقِ كَبَائِسِ اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ فِي عَسَالِيجِهَا وَأَفْنَانِهَا * وَطُلُوعِ تِلْكَ الثِّمَارِ مُخْتَلِفَةً فِي غُلُفِ أَكْمَامِهَا * تُجْنَى مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ فَتَأْتِي عَلَى مُنْيَةِ مُجْتَنِيهَا وَيُطَافُ عَلَى نُزَّالِهَا فِي أَفْنِيَةِ قُصُورِهَا بِالْأَعْسَالِ الْمُصَفَّقَةِ وَالْخُمُورِ الْمُرَوَّقَةِ * قَوْمٌ لَمْ تَزَلِ الْكَرَامَةُ تَتَمَادَى بِهِمْ حَتَّى حَلُّوا دَارَ الْقَرَارِ * وَأَمِنُوا نُقْلَةَ الْأَسْفَارِ * فَلَوْ شَغَلْتَ قَلْبَكَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ بِالْوُصُولِ إِلَى مَا يَهْجُمُ عَلَيْكَ مِنْ تِلْكَ الْمَنَاظِرِ الْمُونِقَةِ لَزَهِقَتْ نَفْسُكَ شَوْقاً إِلَيْهَا وَلَتَحَمَّلْتَ مِنْ مَجْلِسِي هَذَا إِلَى مُجَاوَرَةِ أَهْلِ الْقُبُورِ اسْتِعْجَالاً بِهَا جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ يَسْعَى بِقَلْبِهِ إِلَى مَنَازِلِ الْأَبْرَارِ بِرَحْمَتِهِ (قَالَ الرَّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى) (تَفْسِيرُ بَعْضِ مَا فِي هَذِهِ الْخُطْبَةِ مِنَ الْغَرِيبِ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَؤُرُّ بِمَلَاقِحِهِ الْأَرُّ كِنَايَةٌ عَنِ النِّكَاحِ يُقَالُ أَرَّ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ يَؤُرُّهَا إِذَا نَكَحَهَا وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَأَنَّهُ قِلْعُ دَارِيٍّ عَنَجَهُ نُوتِيُّهُ * الْقِلْعُ شِرَاعُ السَّفِينَةِ وَدَارِيٌّ مَنْسُوبٌ إِلَى دَارِينَ وَهِيَ بَلْدَةٌ عَلَى الْبَحْرِ يُجْلَبُ مِنْهَا الطِّيبُ وَعَنَجَهُ أَيْ عَطَفَهُ يُقَالُ عَنَجْتُ النَّاقَةَ كَنَصَرْتُ أَعْنُجُهَا عَنْجاً إِذَا عَطَفْتَهَا وَالنُّوتِيُّ الْمَلَّاحُ وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ضَفَّتَيْ جُفُونِهِ أَرَادَ جَانِبَيْ جُفُونِهِ وَالضَّفَّتَانِ الْجَانِبَانِ وَقَوْلُهُ وَفِلَذَ الزَّبَرْجَدِ الْفِلَذُ جَمْعُ فِلْذَةٍ وَهِيَ الْقِطْعَةُ وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَبَائِسِ اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ الْكِبَاسَةُ الْعِذْقُ * وَالْعَسَالِيجُ

الغُصُونُ واحِدُها عُسْلُوجٌ)

(الشرح) رميت ببصر قلبك أى أفكرت وتأملت وعرفت نفسك كرهت وزهدت والزخارف جمع زخرف وهو الذهب وكل مموه واصطفاق الاشجار انتظامها صفا ويروى فى اصطفاق أغصان أى اضطرابها وبأى على منية مجتنيها لا يترك له منية أصلا لانه يكون قد بلغ نهاية الامانى والعسل المصفق المصفى تحويلا من اناء الى اناء والمونقة المعجبة وزهقت نفسه مات واعلم انه لا مزيد فى التشويق الى الجنة على ماذكره الله تعالى فى كتابه فكل الصيد فى جانب الفرا وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله فى ذلك اخبار صحيحة فروى أسامة بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يذكر الجنة فقال ألا مشمر لها هى ورب الكعبة ريحانة تهتز ونور يتلألأ ونهر يطرد وزوجة لا تموت مع حبور ونعيم ومقام الابد وروى أبو سعيد الخدرى عنه صلى الله عليه وآله أن الله سبحانه لما حوط حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وغرس غرسها قال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون فقال طوبى لك منزل الملوك وروى جابر بن عبد الله عنه عليه الصلاة والسلام اذا دخل أهل الجنة الجنة قال لهم ربهم تعالى أتحبون أن أزيدكم فيقولون وهل خير مما أعطيتنا فيقول نعم رضوانى أكبر وعنه عليه الصلاة والسلام ان أحدهم ليعطى قوة مائة رجل فى الاكل والشرب فقيل له فهل يكون منهم حدث أو قال خبث قال عرق يفيض من أعراضهم كريح المسك يضمر منه البطن وروى الزمخشرى فى ربيع الابرار ومذهبه فى الاعتزال ونصرة أصحابنا معلوم وكذلك فى انحرافه عن الشيعة وتسخيفه لمقالاتهم ان رسول الله محمدا صلى الله عليه وآله قال لما أسرى بى أخذنى جبرائيل فاقعدنى على درنوك من درانيك الجنة ثم ناولنى سفرجلة فبينا انا أقلبها انفلقت فخرجت منها جارية لم أر أحسن منها فسلمت فقلت من أنت قالت أنا الراضية المرضية خلقنى الجبار من ثلاثة أصناف أعلاى من عنبر وأوسطى من كافور وأسفلى من مسك ثم عجننى بماء الحياة وقال لى كونى كذا فكنت خلقنى لاخيك وابن عمك على بن أبى طالب عليه السلام قلت الدرنوك ضرب من البسط ذو خمل ويشبه به فروة البعير قال الراجز * جعد الدرانيك وفل الاجلاد *

(الاصل) *(ومن خطبة له عليه السلام)*

لِيَتَأَسَّ صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرِكُمْ * وَلْيَرْأَفْ كَبِيرُكُمْ بِصَغِيرِكُمْ وَلاَ تَكُونُوا كَجُفَاةِ الجَاهِلِيَّةِ لاَ فِى الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ وَلاَ عَنِ اللهِ يَعْقِلُونَ كَقَيْضِ بَيْضٍ فِي أَدَاحٍ * يَكُونُ كَسْرُهَا وِزْرًا وَيُخْرِجُ حِضَانُهَا شَرًّا

(الشرح) أمرهم عليه السلام أن يتأسى الصغير منهم بالكبير فى أخلاقه وآدابه فان الكبير لكثرة التجربة أحزم وأكيس وأن يرأف الكبير بالصغير والرأفة الرحمة لان الصغير مظنة الضعف والرقة ثم نهاهم عن خلق الجاهلية فى الجفاء والقسوة وقال انهم لا يتفقهون فى دين ولا يعقلون عن الله ما يأمرهم به وهذا من قول الله سبحانه صم بكم عمى فهم لا يعقلون وروى تتفقهون بتاء الخطاب ثم شبههم ببيض الأفاعى فى الاعشاش يظن بيض القطا فلا يحل لمن رآه أن يكسره لانه يظنه بيض القطا وحضانه يخرج شرا لانه يفقص عن أفعى واستعار لفظة الأداحى للاعشاش مجازا لان الاداحى لا تكون الا للنعام تدحوها بارجلها وتبيض فيها ودحوها توسيعها من دحوت الارض والقيض الكسر والفلق قضت القارورة والبيضة وانقاضت هى وانقاض الجدار انقياضا أى تصدع من غير أن يسقط فان سقط قيل تقيض تقيضا وتقوض تقوضا وقوضته أنا وتقول للبيضة اذا تكسرت فلقا تقيضت تقيضا فان تصدعت ولم تنفلق قلت انقاضت فهى منقاضة والقارورة مثله

(الاصل) (منها) افْتَرَقُوا بَعْدَ أُلْفَتِهِمْ وَتَشَتَّتُوا عَنْ أَصْلِهِمْ فَمِنْهُمْ آخِذٌ بِغُصْنٍ أَيْنَمَا

مالَ مالَ مَعَهُ على أَنَّ اللهَ تَعَالَى سَيَجْمَعُهُمْ لِشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِي أُمَيَّةَ كَمَا تَجْتَمِعُ قَزَعُ الخَرِيفِ * يُؤَلِّفُ اللهُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَجْعَلُهُمْ رُكَامًا كَرُكَامِ السَّحَابِ ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ لَهُمْ أَبْوَابًا يَسِيلُونَ مِنْ مُسْتَثَارِهِمْ كَسَيْلِ الجَنَّتَيْنِ حَيْثُ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيْهِ قَارَةٌ وَلَمْ تَثْبُتْ عَلَيْهِ أَكَمَةٌ وَلَمْ يَرُدَّ سَنَنَهُ رَصُّ طَوْدٍ وَلاَ حِدَابُ أَرْضٍ يُذَعْذِعُهُمُ اللهُ فِي بُطُونِ أَوْدِيَتِهِ * ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ يَأْخُذُ بِهِمْ مِنْ قَوْمٍ حُقُوقَ قَوْمٍ وَيُمَكِّنُ لِقَوْمٍ فِي دِيَارِ قَوْمٍ وَايْمُ اللهِ لَيَذُوبَنَّ مَا فِي أَيْدِيهِمْ بَعْدَ العُلُوِّ وَالتَّمْكِينِ كَمَا تَذُوبُ الأَلْيَةُ عَلَى النَّارِ * أَيُّهَا النَّاسُ لَوْ لَمْ تَتَخَاذَلُوا عَنْ نَصْرِ الحَقِّ وَلَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِينِ البَاطِلِ لَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ وَلَمْ يَقْوَ مَنْ قَوِيَ عَلَيْكُمْ * لَكِنَّكُمْ تِهْتُمْ مَتَاهَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَعَمْرِي لَيُضَعَّفَنَّ لَكُمُ التِّيهُ مِنْ بَعْدِي أَضْعَافًا بِمَا خَلَّفْتُمُ الحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَقَطَعْتُمُ الأَدْنَى وَوَصَلْتُمُ الأَبْعَدَ * وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنِ اتَّبَعْتُمُ الدَّاعِيَ لَكُمْ سَلَكَ بِكُمْ مِنْهَاجَ الرَّسُولِ وَكُفِيتُمْ مَؤُونَةَ الاِعْتِسَافِ وَنَبَذْتُمُ الثِّقْلَ الفَادِحَ عَنِ الأَعْنَاقِ

(الشرح) هو عليه السلام يذكر حال أصحابه وشيعته بعده فيقول افترقوا بعد ألفتهم أى بعد اجتماعهم وتشتتوا عن أصلهم أى عنى بعد مفارقتى فمنهم آخذ بغصن أى يكون منهم من يتمسك بمن أخلفه بعدى من ذرية الرسول أينما سلكوا سلكوا معهم وتقدير الكلام ومنهم من لا يكون هذه حاله لكنه لم يذكره عليه السلام اكتفاء بذكر القسم الاول لانه دال على القسم الثانى ثم قال على ان هؤلاء القوم من ثبت منهم على عقيدته فينا ومن لم يثبت لا بد أن يجمعهم الله تعالى لشر يوم لبنى أمية وكذا كان فان الشيعة الهاشمية اجتمعت على ازالة ملك بنى مروان من كان منهم ثابتا على ولاء على بن أبى طالب عليه السلام ومن حاد منهم عن ذلك وذلك فى أواخر أيام مروان الحمار عند ظهور الدعوة الهاشمية وقزع الخريف جمع قزعة وهى سحب صغار تجتمع فتصير ركاما وهو ما كثف من السحاب وركمت الشئ أركمه اذا جمعته وألقيت بعضه على بعض ومستثارهم موضع ثورتهم والجنتان هما اللتان قال الله تعالى فيهما لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال وسلط الله عليهما السيل قال الله تعالى فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم فشبه عليه السلام سيلان الجيوش الى بنى أمية بالسيل المسلط على تينك الجنتين فانه لم تسلم عليه قارة وهى الجبيل الصغير ولم تثبت له أكمة وهى السلعة من الارض ولم يرد سننه أى طريقه طود مرصوص أى جبل شديد التصاق الاجزاء بعضها ببعض ولا حداب أرض جمع حدبة وهى الروابى والنجاد ثم قال يذعذعهم الله أى يفرقهم الذعذعة بالذال المعجمة مرتين التفريق وذعذعة الشر اذاعته ثم يسلكهم ينابيع فى الارض من ألفاظ القرآن والمراد انه كما ان الله تعالى ينزل من السماء ماء فيستكن فى أعماق الارض ثم يظهر منها ينابيع الى ظاهرها كذلك هؤلاء القوم يفرقهم الله تعالى فى بطون الاودية وغوامض الاغوار ثم يظهرهم بعد الاختفاء فيأخذ بهم من قوم حقوق آخرين ويمكن منهم قوما من ملك قوم وديارهم ثم أقسم ليذوبن ما فى أيدى بنى أمية بعد علوهم وتمكينهم كما تذوب الألية على النار وهمزة الألية مفتوحة وجمعها أليات بالتحريك والتثنية أليان بغير تاء قال الراجز * ترتج أليان ارتجاج الوطب * وجمع الالية آلاء على فعال وكبش آلى على أفعل ونعجة الياء والجمع الى على فعل ويقال أيضا كبش اليان بالتحريك وكباش اليانات ورجل آلى أى عظيم الألية وامرأة عجزاء ولا تقل الياء وقد قاله بعضهم وقد ألى الرجل بالكسر يألى عظمت اليته ثم قال لو لا تخاذلكم

يطمع فيكم من هو دونكم وتهنوا مضارع وهن أى ضعف وهو من ألفاظ القرآن أيضا وتهتم متاه بنى اسرائيل حتى وضللتم الطريق وقد جاء فى المسانيد الصحيحة ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال لتركبن سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه فقيل يارسول الله اليهود والنصارى قال فمن اذا ومن الاخبار الصحيحة أيضا أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى وفى صحيحى البخارى ومسلم رحمهما الله أنه سيجاء يوم القيامة باناس من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال فاذا رأيتهم اختلجوا دونى قلت أى رب أصحابى فيقال لى انك لاتدرى ما عملوا بعدك فأقول ماقال العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد الاسناد فى هذا الحديث عن ابن عباس رضى الله عنه وفى الصحيحين أيضا عن زينب بنت جحش قالت استيقظ رسول الله صلى الله عليه وآله يوما من نومه محمرا وجهه وهو يقول لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فقلت يارسول الله أنهلك وفينا الصالحون فقال نعم اذا كثر الخبث وفى الصحيحين أيضا يهلك أمتى هذا الحى من قريش قالوا يارسول الله فما تأمرنا قال لو أن الناس اعتزلوهم رواه أبو هريرة عنه صلى الله عليه وآله ثم قال عليه السلام ليضعفن لكم التيه من بعدى يعنى الضلال يضعفه لكم الشيطان وأنفسكم بما خلفتم الحق وراء ظهوركم أى لاجل ترككم الحق وقطعكم الادنى يعنى نفسه ووصلكم الابعد يعنى معاوية و يروى ان اتبعتم الراعى لكم بالراء والاعتساف سلوك غير الطريق والفادح المثقل فدحه الدين أثقله

(الاصل) ﴿ ومن خطبة له عليه السلام ﴾

في أول خلافته

إنَّ اللهَ تَعَالَى سُبْحانَهُ أَنْزَلَ كِتاباً هادِياً بَيَّنَ فِيهِ الخَيْرَ وَالشَّرَّ فَخُذُوا نَهْجَ الخَيْرِ تَهْتَدُوا واصْدِفُوا عَنْ سَمْتِ الشَّرِّ تَقْصِدُوا * الفَرائِضَ الفَرائِضَ أَدُّوها إلَى اللهِ تُؤَدِّكُمْ إلَى الجَنَّةِ إنَّ اللهَ حَرَّمَ حَراماً غَيْرَ مَجْهُولٍ وأَحَلَّ حَلالاً غَيْرَ مَدْخُولٍ وَفَضَّلَ حُرْمَةَ المُسْلِمِ على الحُرَمِ كُلِّها وشَدَّ بالإخْلاصِ والتَّوْحِيدِ حُقُوقَ المُسْلِمِينَ في مَعاقِدِها * فالمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسانِهِ وَيَدِهِ إلاَّ بالحَقِّ وَلاَ يَحِلُّ أَذَى المُسْلِمِ إلاَّ بما يَجِبُ بادِرُوا أَمْرَ العامَّةِ وخاصَّةَ أَحَدِكُمْ وَهُوَ المَوْتُ فإنَّ النَّاسَ أَمامَكُمْ وَإنَّ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ مِنْ خَلْفِكُمْ * تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا فإنَّما يُنْتَظَرُ بأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ * اتَّقُوا اللهَ في عِبادِهِ وَبِلادِهِ فإنَّكُمْ مَسْؤُولُونَ حَتَّى عَنِ البِقاعِ وَالبَهائِمِ وأَطِيعُوا اللهَ وَلاَ تَعْصُوهُ وَإذا رَأَيْتُمُ الخَيْرَ فَخُذُوا بِهِ وَاذا رَأَيْتُمُ الشَّرَّ فاعْرِضُوا عَنْهُ

(الشرح) واصدفوا عن سمت الشر اى أعرضوا عن طريقه تقصدوا أى تعدلوا والقصد العدل ثم أمر بلزوم الفرائض من العبادات والمحافظة عليها كالصلاة والزكاة وانتصب ذلك على الاغراء ثم ذكر ان الحرام غير مجهول للمكلف بل معلوم والحلال غير مدخول أى لاعيب ولا نقص فيه وان حرمة المسلم أفضل من جميع الحرمات وهذا لفظ الخبر النبوى حرمة المسلم فوق كل حرمة دمه وعرضه وماله قال عليه السلام وشد بالاخلاص والتوحيد حقوق المسلمين فى معاقدها لان الاخلاص والتوحيد داعيان الى المحافظة على حقوق المسلمين صارفان عن انتهاك محارمهم قال فالمسلم من سلم الناس هذا لفظ الخبر النبوى بعينه قوله ولا يحل أذى المسلم الا بما يجب أى الا بحق وهو الكلام الاول وانما أعاده تأكيدا ثم أمر بمبادرة الموت وسماه الواقعة العامة لانه يعم الحيوان كله ثم سماه خاصة أحدكم لانه وان كان عاما الا ان له مع كل انسان

بعينه خصوصية زائدة على ذلك العموم قوله فان الناس امامكم أى قد سبقوكم والساعة تسوقكم من خلفكم ثم أمر بالتخفف وهو القناعة من الدنيا باليسير وترك الحرص عليها فان المسافر الخفيف أحرى بالنجاة ولحاق أصحابه و بلوغ المنزل من الثقيل قوله فانما ينتظر بأولكم آخركم أى انما ينتظر ببعث الموتى المتقدمين أن يموت الأواخر أيضا فيبعث الكل جميعا فى وقت واحد ثم ذكر أنهم مسؤلون عن كل شئ حتى عن البقاع لم استوطنتم هذه وزهدتم فى هذه ولم أخربتم هذه الدار وعمرتم هذه الدار وحتى عن البهائم لم ضربتموها لم أجعتموها وروى فان البأس امامكم يعنى الفتنة والرواية الاولى أظهر وقد ورد فى الاخبار النبوية لينتصفن للجماء من القرناء وقد جاء فى الخبر الصحيح ان الله تعالى عذب انسانا بهر حبسه فى بيت وأجاعه حتى هلك

(الاصل) ﴿ ومن كلام له عليه السلام ﴾

بعد ما بويع له بالخلافة وقد قال له قوم من الصحابة لو عاقبت قوما

ممن أجلب على عثمان فقال عليه السلام

يا إخْوَتاهُ إنِّي لَسْتُ أَجْهَلُ ما تَعْلَمُونَ وَلَكِنْ كَيْفَ لِي بِقُوَّةٍ وَالقَوْمُ المُجْلِبُونَ على حَدِّ شَوْكَتِهِمْ يَمْلِكُونَنا ولاَ نَمْلِكُهُمْ وَهاهُمْ هؤُلاءِ قَدْ ثارَتْ مَعَهُمْ عِبْدانُكُمْ والْتَفَّتْ إلَيْهِمْ أَعْرابُكُمْ وَهُمْ خِلالَكُمْ يَسُومُونَكُمْ ما شاؤُا وَهَلْ تَرَوْنَ مَوْضِعاً لِقُدْرَةٍ على شَيْءٍ تُرِيدُونَهُ وَإنَّ هذا الأَمْرَ أَمْرُ جاهِلِيَّةٍ وإنَّ لِهؤُلاءِ القَوْمِ مادَّةً انَّ النَّاسَ مِنْ هذَا الأَمْرِ اذا حُرِّكَ على أُمُورٍ فِرْقَةٌ تَرَى ما تَرَوْنَ وَفِرْقَةٌ تَرَى ما لاَ تَرَوْنَ وَفِرْقَةٌ لاَ تَرَى هذا وَلاَ ذاكَ فاصْبِرُوا حَتَّى يَهْدَأَ النَّاسُ وَتَقَعَ القُلُوبُ مَواقِعَها وَتُؤْخَذَ الحُقُوقُ مُسْمَحَةً * فاهْدَؤُا عَنِّي وَانْظُرُوا ماذا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِي وَلاَ تَفْعَلُوا فَعْلَةً تُضَعْضِعُ قُوَّةً وَتُسْقِطُ مُنَّةً وَتُورِثُ وَهْناً وذِلَّةً * وَسَأُمْسِكُ الأَمْرَ ما اسْتَمْسَكَ واذا لَمْ أَجِدْ بُدّاً فآخِرُ الدَّواءِ الكَيُّ

(الشرح) أجلب عليه أعان عليه وأجلبه أعانه والالف فى ياأخوتاه بدل من ياء الاضافة والهاء للسكت وعلى حد شوكتهم شدتهم أى لم تنكسر سورتهم والعبدان جمع عبد بالكسر مثل جحش وجحشان وجاء عبدان بالضم مثل تمر وتمران وجاء عبيد مثل كلب وكليب وهو جمع عزيز وجاء أعبد وعباد وعبدان مشددة الدال وعبداء بالمد وعبدى بالقصر ومعبوداء بالمد وعبد بالضم مثل سقف وسقف وأنشدوا ￼ أنسب العبد الى آبائه * أسود الجلدة من قوم عبد ￼ ومنه قرأ بعضهم وعبد الطاغوت واضافة قوله والتفت اليهم اعرابكم انضمت واختلطت بهم وهم خلالكم أى بينكم يسومونكم ماشاؤا يكلفونكم قال تعالى يسومونكم سوء العذاب وتؤخذ الحقوق مسمحة من أسمح أى ذل وانقاد فاهدؤا عنى أى فاسكنوا هدأ الرجل هدأ وهدوءا أى سكن وأهدأه غيره وتضعضع قوة تضعف وتهد ضعضعت البناء هددته والمنة القوة والوهن الضعف وآخر الدواء الكى مثل مشهور ويقال آخر الطب و يغلط فيه العامة فتقول آخر الداء والكى ليس من الداء ليكون آخره * واعلم ان هذا الكلام يدل على انه عليه السلام كان فى نفسه عقاب الذين حصروا عثمان والاقتصاص ممن قتله ان كان بقى ممن باشر قتله أحد ولهذا قال انى لست أجهل ما تعلمون فاعترف بأنه عالم بوجوب ذلك واعتذر بعدم التمكن كما ينبغى وصدق عليه السلام فان أكثر أهل المدينة أجلبوا عليه وكان من أهل مصر ومن الكوفة عالم عظيم حضروا من بلادهم وطووا المسالك البعيدة لذلك وانضم اليهم أعراب اجلاف من البادية وكان

الامر أمر جاهلية كما قال عليه السلام ولو حرك سا كنا لاختلف الناس واضطربوا فقوم يقولون أصاب وقوم يقولون أخطأ وقوم لا يحكمون بصواب ولا خطأ بل يتوقفون ولا يأمن لو شرع في عقوبة الناس والقبض عليهم من تجدد فتنة أخرى كالاولى وأعظم فكان الاصوب في التدبير والذي يوجبه الشرع والعقل الامساك الى حين سكون الفتنة وتفرق تلك الشعوب وعود كل قوم الى بلادهم وكان عليه السلام يؤمل أن يطيعه معاوية وغيره وأن يحضر بنو عثمان عنده يطالبون بدم أبيهم ويعينون قوما باعيانهم بعضهم للقتل وبعضهم للحصار وبعضهم للتسور كما جرت عادة المتظلمين الى الامام والقاضي فحينئذ يتمكن من العمل بحكم الله تعالى فلم يقع الامر بموجب ذلك وعصى معاوية وأهل الشام والتجأ ورثة عثمان اليه وفارقوا حوزة أمير المؤمنين عليه السلام ولم يطلبوا القصاص طلبا شرعيا وانما طلبوه مغالبة وجعلها معاوية عصبية الجاهلية ولم يأت أحد منهم الامر من بابه وقبل ذلك ما كان من أمر طلحة والزبير ونقضهما البيعة ونهبهما أموال المسلمين بالبصرة وقتلهما الصالحين من أهلها وجرت أمور كلها تمنع الامام عن التصدي للقصاص واعتماد ما يجب اعتماده لو كان الامر وقع على القاعدة الصحيحة من المطالبة بذلك على وجه السكون والحكومة وقد قال هو عليه السلام لمعاوية فأما طلبك قتلة عثمان فادخل في الطاعة وحاكم القوم الى أحملك واياهم على كتاب الله وسنة رسوله قال أصحابنا المعتزلة رحمهم الله وهذا عين الحق ومحض الصواب لانه يجب دخول الناس في طاعة الامام ثم تقع المحاكمة اليه فان حكم بالحق استديمت امامته وان حكم بالجور انتقض أمره وتعين خلعه فان قلت فما معنى قوله وسأمسك الامر ما استمسك فاذا لم أجد بدا فآخر الدواء الكي قلت ليس معناه وسأصبر عن معاقبة هؤلاء ما أمكن الصبر فاذا لم أجد بدا عاقبتهم ولكنه كلام قاله أول مسير طلحة والزبير الى البصرة فانه حينئذ أشار عليه قوم بمعاقبة المجلبين فاعتذر بما قد ذكر ثم قال وسأمسك الامر ما استمسك أي أمسك نفسي عن محاربة هؤلاء الناكثين للبيعة ما أمكنني وأدفع الايام بمراسلتهم وتخويفهم وانذارهم واجتهد في ردهم الى الطاعة بالترغيب والترهيب فاذا لم أجد بدا من الحرب فآخر الدواء الكي أي الحرب لانها الغاية التي ينتهي أمر العصاة اليها

(الاصل) *(ومن خطبة له عليه السلام)*

عند مسير أصحاب الجمل الى البصرة

انَّ اللهَ بَعَثَ رَسُولاً هادِياً بِكِتابٍ ناطِقٍ وأَمْرٍ قائِمٍ لا يَهْلِكُ عَنْهُ الاَّ هالِكٌ * وانَّ المُبْتَدَعاتِ المُشَبَّهاتِ هُنَّ المُهْلِكاتُ * الاَّ ما حَفِظَ اللهُ مِنْها وَانَّ في سُلْطانِ اللهِ عِصْمَةً لِاَمْرِكُمْ فَأَعْطُوهُ طاعَتَكُمْ غَيْرَ مُلَوَّمَةٍ وَلاَ مُسْتَكْرَهٍ بِها * واللهِ لَتَفْعَلُنَّ أَوْ لَيَنْقُلَنَّ اللهُ عَنْكُمْ سُلْطانَ الاِسْلامِ ثُمَّ لاَ يَنْقُلُهُ إِلَيْكُمْ أَبَداً حَتَّى يَأْرِزَ الاَمْرُ إِلَى غَيْرِكُمْ انَّ هؤُلاءِ قَدْ تَمالَؤُا على سَخْطَةِ امارَتِي وَسَأَصْبِرُ ما لَمْ أَخَفْ على جَماعَتِكُمْ * فَانَّهُمْ انْ تَمَّمُوا على فَيالَةِ هذَا الرَّأْيِ انْقَطَعَ نِظامُ المُسْلِمِينَ وانَّما طَلَبُوا هذِهِ الدُّنْيا حَسَداً لِمَنْ أَفاءَها اللهُ عَلَيْهِ فَأَرادُوا رَدَّ الاُمُورِ على أَدْبارِها * ولَكُمْ عَلَيْنا العَمَلُ بِكِتابِ اللهِ تَعالَى وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ والقِيامُ بِحَقِّهِ والنَّعْشُ لِسُنَّتِهِ

(الشرح) وأمر قائم أي مستقيم ليس بذي عوج لا يهلك عنه الا هالك تقديره لا يهلك عادلا عنه الا هالك وهذا كما يقول لا يعلم هذا الفن الا عالم أي من قد بلغ الغاية في العلم واستحق أن يوصف بذلك ويشار اليه فيه كذلك لا يهلك

بعدوله

بعدوله عنه الا من هو أعظم الهالكين ومن يشار اليه بالهلاك وقد بلغ الغاية في الهلاك ثم قال ان المبتدعات المشبهات هن المهلكات المبتدعات ما أحدث ولم يكن على عهد الرسول والمشبهات التي تشبه السنن وليست منها أي المشبهات بالسنن وروى المشبهات بالكسر أي المشبهات على الناس يقال قد شبه عليه الامر أي ألبس عليه وروى المشتبهات أي الملتبسات لا يعرف حقها من باطلها ثم قال الا من حفظ الله أي من عصمه الله بالطاف يمتنع لاجلها عن الخطأ ثم أمرهم بلزوم الطاعة واتباع السلطان وقال ان فيه عصمة لامركم فاعطوه طاعتكم غير ملومة أي مخلصين ذوي طاعة محضة لا يلام باذلها أي لا ينسب الى النفاق ولا مستكره بها أي ليست عن استكراه بل يبذلونها اختيارا ومحبة ويروى غير ملوية اي معوجة من لويت العود ثم أقسم انهم ان لم يفعلوا والا نقل الله عنهم سلطان الاسلام يعني الخلافة ثم لا يعيده اليهم أبدا حتى يأرز الامر الى غيرهم أي حتى ينقبض وينضم ويجتمع وفي الحديث ان الاسلام ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها فان قلت كيف قال انه لا يعيده اليهم أبدا وقد عاد اليهم بالخلافة العباسية قلت لان الشرط لم يقع وهو عدم الطاعة فان أكثرهم أطاعوه طاعة غير ملومة ولا مستكره بها واذا لم يتحقق الشرط لم يتحقق المشروط وقد أجاب قوم عن هذا فقالوا خاطب الشيعة الطالبية فقال ان لم تعطوني الطاعة المحضة نقل الله الخلافة عن هذا البيت حتى يأرز وينضم الى بيت آخر وهكذا وقع فانها انضمت الى بيت آخر من بني هاشم وأجاب قوم آخرون فقالوا أراد بقوله أبدا المبالغة كما تقول احبس هذا الغريم أبدا والمراد بالقوم الذين يأرز الامر اليهم بنو أمية كأنه قال ان لم تفعلوا نقل الله الخلافة عنكم حتى يجعلها في قوم آخرين وهم أعداؤكم من أهل الشام وبني أمية ولا يعيده اليكم الى مدة طويلة وهكذا وقع وقد تمالؤا قد اجتمعوا وتساعدوا على سخطة امارتي على كراهيتها وبغضها ثم وعد بالصبر عليهم ما لم يخف من فرقة الجماعة وانتشار حبل الاسلام وفيالة الرأي ضعفه وكذلك فيولته ورجل فيل الرأي أي ضعيفه قال

بني رب الجواد فلا تفيلوا * فما أنتم فنعذركم لفيل

أي لستم على رجل ضعيف الرأي والجمع أفيال ويقال أيضا رجل فال قال

رأيتك ما أحيطك اذ جربنا * وجربت الفراسة كنت فالا

قال ان تموا على هذا الرأي الضعيف قطعوا نظام المسلمين وفرقوا جماعتهم ثم ذكر ان الحسد دعاهم الى ذلك وأفاءها عليه ردها عليه فاء يفيء رجع وفلان سريع الفيء من غضبه أي سريع الرجوع وانه لحسن الفيئة بالكسر مثال الفيعة أي حسن الرجوع وهذا الكلام لا يشعر بأنه عليه السلام كان يعتقد أن الامر له وانه غلب عليه ثم رجع اليه ولكنه محمول على انه من رسول الله صلى الله عليه وآله بمنزلة الجزء من الكل وانهما من جوهر واحد فلما كان الوالي قديما هو رسول الله صلى الله عليه وآله ثم تخلل بين ولايته صلى الله عليه وآله وولاية أمير المؤمنين عليه السلام ولايات غريبة سمى ولايته فيأ ورجوعا لانها رجعت الى الدوحة الهاشمية وبهذا يجب أن يتأول قوله فأرادوا رد الامور على أدبارها أي أرادوا انتزاع الخلافة من بني هاشم كما انتزعت أولا واقرارها في بيوت بعيدة عن هذا البيت أسوة بما وقع من قبل والنعش مصدر نعش أي رفع ولا يجوز أنعش

(الاصل) ﴿ ومن كلام له عليه السلام ﴾

كَلَّمَ بِهِ بَعْضَ العَرَبِ وَقَدْ أَرْسَلَهُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ البَصْرَةِ لَمَّا قَرُبَ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْها لِيَعْلَمَ لَهُمْ مِنْهُ حَقِيقَةَ حالِهِ مَعَ أَصْحابِ الجَمَلِ لِتَزُولَ الشُّبْهَةُ مِنْ نُفُوسِهِمْ فَبَيَّنَ لَهُ عليهِ السَّلامُ مِنْ أَمْرِهِ مَعَهُمْ ما عَلِمَ بِهِ أَنَّهُ على الحَقِّ ثُمَّ قالَ لَهُ بايِعْ فَقالَ إِنِّي رَسُولُ قَوْمٍ وَلاَ أُحْدِثُ حَدَثاً حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْهِمْ فَقالَ عليهِ السَّلامُ أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ الَّذِينَ وَرَاءَكَ بَعَثُوكَ رَائِداً تَبْتَغِي لَهُمْ مَساقِطَ

الغَيْثِ فَرَجَعْتَ اليهِمْ وأخْبَرْتَهُمْ عنِ الكَلَإِ وَالماءِ فَخالَفُوا الى المَعاطِشِ وَالمَجادِبِ ما كُنْتَ صانِعاً • قالَ كُنْتُ تارِكَهُمْ وَمُخالِفَهُمْ الى الكَلَإِ وَالماءِ • فَقالَ عليهِ السَّلامُ فامْدُدْ اذاً يَدَكَ • فَقالَ الرَّجُلُ فَوَاللهِ ما اسْتَطَعْتُ أنْ أمْتَنِعَ عِنْدَ قِيامِ الحُجَّةِ عَلَيَّ فَبايَعْتُهُ عليهِ السَّلامُ وَالرَّجُلُ يُعْرَفُ بِكُلَيْبٍ الجَرْمِي

(الشرح) الجرمى منسوب الى بنى جرم بن زبان وهو علاف بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة من حمير وكان هذا الرجل بعثه قوم من أهل البصرة اليه عليه السلام يستعلم حاله أهو على حجة أم على شبهة فلما رآه عليه السلام وسمع لفظه علم صدقه و برهانه فكان بينهما ما قد شرحه عليه السلام ولا شئ ألطف ولا أوقع ولا أوضح من المثال الذى ضربه عليه السلام وهو حجة لازمة لا مدفع لها قوله ولا أحدث حدثا أى لا أفعل مالم يأمرونى به انما أمرت باستعلام حالك فقط فأما المبايعة لك فان أحدثتها كنت فاعلا مالم أندب له ومساقط الغيث المواضع التى يسقط الغيث فيها والكلأ النبت اذا طال وأمكن أن يرعى وأول ما يظهر يسمى الرطب فاذا طال قليلا فهو الخلا فاذا طال شيأ آخر فهو الكلا فاذا يبس فهو الحشيش والمعاطش والمجادب مواضع العطش والجدب وهو المحل

(الاصل) •(ومن كلام له عليه السلام)•

لما عزم على لقاء القوم بصفين

اللهمَّ رَبَّ السَّقْفِ المَرْفُوعِ وَالجَوِّ المَكْفُوفِ الَّذي جَعَلْتَهُ مَغِيضاً لِلَّيْلِ وَالنَّهارِ وَمَجْرَى لِلشَّمْسِ وَالقَمَرِ ومُخْتَلَفاً لِلنُّجُومِ السَّيَّارَةِ وَجَعَلْتَ سُكَّانَهُ سِبْطاً مِنْ مَلائِكَتِكَ لا يَسْأَمُونَ مِنْ عِبادَتِكَ وَرَبَّ هَذِهِ الأرْضِ الَّتي جَعَلْتَها قَرَاراً لِلأنامِ وَمَدْرَجاً لِلْهَوامِّ والأنْعامِ وَما لا يُحْصَى مِمَّا يُرَى وَما لا يُرَى وربَّ الجِبالِ الرَّواسِي الَّتي جَعَلْتَها لِلأرْضِ أوْتاداً وَلِلْخَلْقِ اعْتِماداً • انْ أظْهَرْتَنا على عَدُوِّنا فَجَنِّبْنا البَغْيَ وَسَدِّدْنا لِلْحَقِّ وَانْ أظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنا فارْزُقْنا الشَّهادَةَ وَاعْصِمْنا مِنَ الفِتْنَةِ أيْنَ المانِعُ لِلذِّمارِ وَالغائِرُ عِنْدَ نُزُولِ الحَقائِقِ مِنْ أهْلِ الحِفاظِ العارُ وَراءَكُمْ وَالجَنَّةُ أمامَكُمْ

(الشرح) السقف المرفوع السماء والجو المكفوف السماء أيضا كفه أى جمعه وضم بعضه الى بعض و يمر فى كلامه نحو هذا وان السماء هواء جامد أو ماء جامد وجعلته مغيضا لليل والنهار أى غيضة لهما وهى فى الاصل الاجمة يجتمع اليها الماء فتسمى غيضة ومغيضا و ينبت فيها الشجر كانه جعل الفلك كالغيضة والليل والنهار كالشجر النابت فيها ووجه المشاركة ان المغيض أو الغيضة يتولد منهما الشجر وكذلك الليل والنهار يتولدان من جريان الفلك ثم عاد فقال ومجرى للشمس والقمر أى موضعا لجريانهما ومختلفا للنجوم السيارة أى موضعا لاختلافها واللام مفتوحة ثم قال جعلت سكانه سبطا من ملائكتك أى قبيلة قال تعالى اثنتى عشرة أسباطا أمما لا يسأمون لا يملون وقرار اللانام أى موضع استقرارهم وسكونهم ومدرجا للهوام أى موضع دروجهم وسيرهم وحركاتهم والهوام الحشرات والمخوف من الاحناش وما لا يحصى أى لا يضبط بالاحصاء والعد مما نراه ونعرفه وما لا نراه ولا نعرفه وقال بعض العلماء ان أردت أن تعرف حقيقة قوله مما يرى وما لا يرى فأوقد نارا صغيرة فى فلاة فى ليلة صيفية وانظر ما يجتمع عليها من الانواع الغريبة العجيبة الخلق التى لم

تشاهدها أنت ولا غيرك قط قوله وللخلق اعتمادا لانهم يجعلونها كالمساكن لهم فينتفعون بها و يبنون منازل الى جانبها فيقوم مقام جدار قد استغنوا عن بنيانه ولانها أمهات العيون ومنابع المياه باعتماد الخلق على مرافقهم ومنافعهم ومصالحهم عليها قوله وسددنا للحق أى صوبنا اليه من قولك سهم سديد أى مصيب وسدد السنان الى القرن أى صوبه نحوه والذمار ما يحامى عنه والغائر ذو الغيرة ونزول الحقائق نزول الامور الشديدة كالحرب ونحوها ثم قال النار وراءكم أى ان رجعتم القهقرى هاربين والجنة امامكم أى ان أقدمتم على العدو مجاهدين وهذا الكلام شريف جدا

(الاصل) •(ومن خطبة له عليه السلام)•

الحَمْدُ للهِ الَّذي لا تُوارِى عَنْهُ سَماءٌ سَماءً • وَلا أرْضٌ أرْضاً

(الشرح) هذا الكلام يدل على اثبات أرضين بعضها فوق بعض كما ان السموات كذلك ولم يأت فى الكتاب العزيز ما يدل على هذا الا قوله تعالى الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن وهو قول كثير من المسلمين وقد تأول ذلك أرباب المذهب الآخر القائلون بأنها أرض واحدة فقالوا انها سبعة أقاليم فالمثلية هى من هذا الوجه لا من تعدد الارضين فى ذاتها و يمكن أن يتأول مثل ذلك كلام أمير المؤمنين عليه السلام فيقال انها وان كانت أرضا واحدة لكنها أقاليم وأقطار مختلفة وهى كرية الشكل فمن على حدبة الكرة لا يرى من تحته ومن تحته لا يراه ومن على أحد جانبيها لا يرى من على الجانب الآخر والله تعالى يدرك ذلك كله أجمع ولا يحجب عنه شئ منها بشئ منها فأما قوله عليه السلام لا توارى عنه سماء سماء فلقائل أن يقول ولا يتوارى شئ من السموات عن المدركين منا لانها شفافة فأى خصيصة للبارى تعالى فى ذلك فينبغى أن يقال هذا الكلام على قاعدة غير القاعدة الفلسفية بل هو على قاعدة الشريعة الاسلامية التى تقتضى ان السموات تحجب ما وراءها عن المدركين بالحاسة وانها ليست طباقا متراصة بل بينها خلق من خلق الله تعالى لا يعلمهم غيره واتباع هذا القول واعتقاده أولى

(الاصل) (منها) وَقَدْ قالَ قائِلٌ إنَّكَ على هَذَا الأمْرِ يا ابْنَ أبِى طالِبٍ لَحَرِيصٌ فَقُلْتُ بَلْ أنْتُمْ وَاللهِ لأحْرَصُ وَأبْعَدُ وَأنا أخَصُّ وَأقْرَبُ وَانَّما طَلَبْتُ حَقّاً لى وأنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْنى وَبَيْنَهُ وَتَضْرِبُونَ وَجْهى دُونَهُ • فَلَمَّا قَرَعْتُهُ بِالحُجَّةِ فِي المَلَإِ الحاضِرِينَ هَبَّ كأنَّهُ بُهِتَ لا يَدْرِى ما يُجِيبُنِى بِهِ اللَّهُمَّ انِّى أسْتَعْدِيكَ على قُرَيْشٍ وَمَنْ أعانَهُمْ فانَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمى وَصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتى وَأجْمَعُوا على مُنازَعَتِي أمْراً هُوَ لى ثُمَّ قالُوا ألا انَّ فِي الحَقِّ أنْ تَأخُذَهُ وَفِي الحَقِّ أنْ تَتْرُكَهُ

(الشرح) هذا من خطبة يذكر فيها عليه السلام ما جرى يوم الشورى بعد مقتل عمر والذى قال له انك على هذا الامر لحريص سعد بن أبى وقاص مع روايته فيه أنت بمنزلة هرون من موسى وهذا عجب فقال لهم بل أنتم والله أحرص وأبعد الكلام المذكور وقد رواه الناس كافة وقالت الامامية هذا الكلام يوم السقيفة والذى قال له انك على هذا الامر لحريص أبو عبيدة بن الجراح والرواية الاولى أظهر وأشهر وروى فلما قرعته بالتخفيف أى صدمته بها وروى هب لا يدرى ما يجيبنى كما تقول استيقظ وانتبه كانه كان غافلا ذاهلا عن الحجة فهب لما ذكرتها استعديك أطلب ان تعدينى عليهم وان تنتصف لى منهم قطعوا رحمى لم يرعوا قربى من رسول الله صلى الله عليه وآله وصغروا عظيم منزلتى لم يقفوا مع النصوص الواردة فيه وأجمعوا على منازعتى أمرا هو لى أى بالافضلية انا هو أحق به منهم هكذا ينبغى أن يتأول كلامه وكذلك قوله انما أطلب حقا لى وأنتم تحولون بينى و بينه وتضربون وجهى دونه قال ثم قالوا ألا ان فى الحق أن تأخذه

وفى الحق أن نتركه قال لم يقتصروا على أخذ حقى ساكتين عن الدعوى ولكنهم أخذوه وادعوا ان الحق لهم وأنه يجب على أن أترك المنازعة فيه فليتهم أخذوه معترفين بأنه حق فكانت المصيبة به أخف وأهون ❊ واعلم أنه قد تواترت الأخبار عنه عليه السلام بنحو من هذا القول نحو قوله مازلت مظلوما منذ قبض الله رسوله حتى يوم الناس هذا وقوله اللهم أخز قريشا فانها منعتنى حقى وغصبتنى أمرى وقوله فجزى قريشا عنى الجوازى فانهم ظلمونى حقى واغتصبونى سلطان ابن أمى وقوله وقد سمع صارخا ينادى أنا مظلوم فقال هلم فلنصرخ معا فانى مازلت مظلوما وقوله وانه ليعلم ان محلى منها محل القطب من الرحى وقوله أرى تراثى نهبا وقوله أصغيا بانائنا وحملا الناس على رقابنا وقوله ان لنا حقا نعطه نأخذه وان نمنعه نركب أعجاز الابل وان طال السرى وقوله مازلت مستأثرا على مدفوعا عما استحقه واستوجبه وأصحابنا يحملون ذلك كله على ادعائه الامر بالافضلية والاحقية وهو الحق والصواب فان حمله على الاستحقاق بالنص تكفير أو تفسيق لوجوه المهاجرين والانصار ولكن الامامية والزيدية حملوا هذه الاقوال على ظواهرها وارتكبوا بها مركبا صعبا ولعمرى ان هذه الالفاظ موهمة مغلبة على الظن مايقوله القوم لكن تصفح الاحوال يبطل ذلك الظن ويدرأ ذلك الوهم فوجب أن يجرى مجرى الآيات المتشابهات الموهمة مالا يجوز على البارى فانه لا نعمل بها ولا نعول على ظواهرها لانا لما تصفحنا أدلة العقول اقتضت العدول عن ظاهر اللفظ وأن نحمل على التأويلات المذكورة فى الكتب وحدثنى يحيى بن سعيد بن على الحنبلى المعروف بابن عالية من ساكنى قطفتا بالجانب الغربى من بغداد وأحد الشهود المعدلين بها قال كنت حاضرا الفخر اسمعيل بن على الحنبلى الفقيه المعروف بغلام ابن المنى وكان الفخر اسمعيل بن على هذا مقدم الحنابلة ببغداد فى الفقه والخلاف ويشتغل بشئ فى علم المنطق وكان حلو العبارة وقد رأيته أنا وحضرت عنده وسمعت كلامه وتوفى سنة عشرة وستمائة قال ابن عالية ونحن عنده نتحدث اذ دخل شخص من الحنابلة قد كان له دين على بعض أهل الكوفة فانحدر اليه يطالبه به واتفق ان حضره زيارة يوم الغدير والحنبلى المذكور بالكوفة وهذه الزيارة هى اليوم الثامن عشر من ذى الحجة ويجتمع بمشهد أمير المؤمنين عليه السلام من الخلائق جموع عظيمة تتجاوز حد الاحصاء قال ابن عالية فجعل الشيخ الفخر يسائل ذلك الشخص مافعلت مارأيت هل وصل مالك اليك هل بقى لك منه بقية عند غريمك وذلك يجاوبه حتى قال له ياسيدى لو شاهدت يوم الزيارة يوم الغدير وما يجرى عند قبر على بن أبى طالب من الفضائح والاقوال الشنيعة وسب الصحابة جهارا باصوات مرتفعة من غير مراقبة ولا خيفة فقال اسمعيل أى ذنب لهم والله ما جرأهم على ذلك ولا فتح لهم هذا الباب الا صاحب ذلك القبر فقال ذلك الشخص ومن صاحب القبر قال على بن ابى طالب عليه السلام قال ياسيدى هو الذى سن لهم ذلك وعلمهم اياه وطرقهم اليه قال نعم والله قال ياسيدى فان كان محقا فمالنا أن نتولى فلانا وفلانا وان كان مبطلا فمالنا نتولاه ينبغى أن نبرأ اما منه أو منهما قال ابن عالية فقام اسمعيل مسرعا فلبس نعليه وقال لعن الله اسمعيل الفاعل ان كان يعرف جواب هذه المسئلة ودخل دار حرمه وقمنا نحن وانصرفنا

(الاصل) (مِنْهَا فِي ذِكْرِ أَصْحَابِ الْجَمَلِ) فَخَرَجُوا يَجُرُّونَ حُرْمَةَ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَمَا تُجَرُّ الْأَمَةُ عِنْدَ شِرَائِهَا مُتَوَجِّهِينَ بِهَا إِلَى الْبَصْرَةِ فَحَبَسَا نِسَاءَهُمَا فِي بُيُوتِهِمَا وَأَبْرَزَا حَبِيسَ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَهُمَا وَلِغَيْرِهِمَا فِي جَيْشٍ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ أَعْطَانِي الطَّاعَةَ وَسَمَحَ لِي بِالْبَيْعَةِ طَائِعًا غَيْرَ مُكْرَهٍ فَقَدِمُوا عَلَى عَامِلِي بِهَا وَخُزَّانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِهَا فَقَتَلُوا طَائِفَةً صَبْرًا وَطَائِفَةً غَدْرًا فَوَاللّٰهِ إِنْ لَوْ لَمْ يُصِيبُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا مُعْتَمِدِينَ لِقَتْلِهِ ❊ بِلَا جُرْمٍ جَرَّهُ لَحَلَّ لِي قَتْلُ ذَلِكَ الْجَيْشِ كُلِّهِ إِذْ حَضَرُوهُ فَلَمْ يُنْكِرُوا وَلَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ بِلِسَانٍ وَلَا بِيَدٍ ❊ دَعْ مَا أَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا

من

مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ الْعِدَّةِ الَّتِي دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ

(الشرح) حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله كناية عن الزوجة وأصله الاهل والحرم وكذلك حبيس رسول الله صلى الله عليه وآله كناية عنها وقتلوهم صبرا أى بعد الاسر وقوله فوالله ان لو لم يصيبوا ان ههنا زائدة ويجوز أن تكون مخففة من الثقيلة ويسأل عن قوله عليه السلام لو لم يصيبوا الا رجلا واحدا لحل لى قتل ذلك الجيش بأسره لانهم حضروه فلم ينكروا فيقال أيجوز قتل من لم ينكر المنكر مع تمكنه من انكاره والجواب انه يجوز قتلهم لانهم اعتقدوا ذلك القتل مباحا فانهم اذا اعتقدوا اباحته فقد اعتقدوا اباحة ماحرم الله فيكون حالهم حال من اعتقد ان الزنا مباح أو ان شرب الخمر مباح وقال القطب الراوندى يريد انهم داخلون فى عموم قوله تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا ولقائل أن يقول الاشكال انما وقع فى قوله لو لم يصيبوا من المسلمين الا رجلا واحدا لحل لى قتل ذلك الجيش بأسره لانهم حضروا المنكر ولم يدفعوه بلسان ولا يد فهو علل استحلاله قتلهم بانهم لم ينكروا المنكر ولم يعلل ذلك بعموم الآية وأما معنى قوله دع ما انهم قد قتلوا من المسلمين مثل العدة التى دخلوا بها عليهم فهو انه لو كان المقتول واحدا لحل لى قتلهم كلهم فكيف وقد قتلوا من المسلمين عدة مثل عدتهم التى دخلوا بها البصرة وما ههنا زائدة وصدق عليه السلام فانهم قتلوا من أوليائه وخزان بيت المال بالبصرة خلقا كثيرا بعضهم غدرا وبعضهم صبرا كما خطب به عليه السلام وروى أبو مخنف قال حدثنا اسمعيل بن خالد عن قيس بن أبى حازم وروى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس وروى جرير بن يزيد عن عامر الشعبى وروى محمد بن اسحاق عن حبيب بن عمير قالوا جميعا لما خرجت عائشة وطلحة والزبير من مكة الى البصرة طرقت ماء الحوأب وهو ماء لبنى عامر بن صعصعة فنبحتهم الكلاب فنفرت صعاب ابلهم فقال قائل منهم لعن الله الحوأب فما أكثر كلابها فلما سمعت عائشة ذكر الحوأب قالت أهذا ماء الحوأب قالوا نعم فقالت ردونى ردونى فسألوها ماشأنها مابدا لها فقالت انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول كأنى بكلاب ماء يدعى الحوأب قد نبحت بعض نسائى ثم قال لى اياك ياحميراء ان تكونيها فقال لها الزبير مهلا يرحمك الله فانا قد جزنا ماء الحوأب بفراسخ كثيرة فقالت أعندك من يشهد بان هذه الكلاب النابحة ليست على ماء الحوأب فلفق لها الزبير وطلحة خمسين اعرابيا جعلا لهم جعلا فحلفوا لها وشهدوا ان هذا الماء ليس بماء الحوأب فكانت هذه أول شهادة زور فى الاسلام فسارت عائشة لوجهها قال أبو مخنف وحدثنا عصام بن قدامة عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال يوما لنسائه وهن عنده جميعا ليت شعرى أيتكن صاحبة الجمل الادبب تنبحها كلاب الحوأب يقتل عن يمينها وشمالها قتلى كثيرة كلهم فى النار وتنجو بعد ما كادت قلت وأصحابنا المعتزلة رحمهم الله يحملون قوله عليه السلام وتنجو على نجاتها من النار والامامية يحملون ذلك على نجاتها من القتل ومحملنا أرجح لان لفظة فى النار أقرب اليه من لفظة القتلى والقرب معتبر فى هذا الباب ألا ترى ان نحاة البصريين اعملوا أقرب العاملين نظرا الى القرب قال أبو مخنف وحدثنى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس ان الزبير وطلحة أغذا السير بعائشة حتى انتهوا الى حفر أبى موسى الاشعرى وهو قريب من البصرة وكتبا الى عثمان بن حنيف الانصارى وهو عامل على عليه السلام على البصرة أن أخل لنا دار الامارة فلما وصل كتابهما اليه بعث الى الاحنف بن قيس فقال له ان هؤلاء القوم قدموا علينا ومعهم زوجة رسول الله والناس اليها سراع كما ترى فقال الاحنف انهم جاؤك بها للطلب بدم عثمان وهم الذين ألبوا على عثمان الناس وسفكوا دمه وأراهم والله لا يزايلون حتى يلقوا العداوة بيننا ويسفكوا دماءنا وأظنهم والله سيركبون منك خاصة مالا قبل لك به ان لم تتأهب لهم بالنهوض اليهم فيمن معك من أهل البصرة فانك اليوم الوالى عليهم وأنت فيهم مطاع فسر اليهم بالناس وبادرهم قبل أن يكونوا معك فى دار واحدة فيكون الناس لهم أطوع منهم لك فقال عثمان بن حنيف الرأى مارأيت لكننى أكره الشر وأن أبدأهم به وأرجو العافية والسلامة الى أن يأتينى كتاب أمير المؤمنين ورأيه فاعمل به ثم أتاه بعد الاحنف حكيم بن جبلة العبدى من بنى عمرو بن وديعة فاقرأه كتاب طلحة والزبير فقال له

مثل قول الاحنف وأجابه عثمان بمثل جوابه للاحنف فقال له حكيم فاذن لى حتى أسير اليهم بالناس فان دخلوا فى طاعة أمير المؤمنين والانابذتهم على سواء فقال عثمان لو كان ذلك رأيى لسرت اليهم بنفسى قال حكيم أما والله ان دخلوا عليك هذا المصر لينتقلن قلوب كثير من الناس اليهم وليزيلنك عن مجلسك هذا وأنت أعلم فأبى عليه عثمان قال وكتب على الى عثمان لما بلغه مشارفة القوم البصرة من عبد الله على أمير المؤمنين عليه السلام الى عثمان بن حنيف أما بعد فان البغاة عاهدوا الله ثم نكثوا وتوجهوا الى مصرك وساقهم الشيطان لطلب مالا يرضى الله به والله أشد بأسا وأشد تنكيلا فاذا قدموا عليك فادعهم الى الطاعة والرجوع الى الوفاء بالعهد والميثاق الذى فارقونا عليه فان أجابوا فأحسن جوارهم ماداموا عندك وان أبوا الا التمسك بحبل النكث والخلاف فناجزهم القتال حتى يحكم الله بينك و بينهم وهو خير الحاكمين وكتبت كتابى هذا اليك من الربذة وأنا معجل المسير اليك ان شاء الله وكتبه عبيد الله بن أبى رافع فى سنة ست وثلاثين قال فلما وصل كتاب على عليه السلام الى عثمان أرسل الى أبى الاسود الدؤلى وعمران بن الحصين الخزاعى فأمرهما أن يسيرا حتى يأتياه بعلم القوم وما الذى أقدمهم فانطلقا حتى اذا أتيا حفر أبى موسى وبه معسكر القوم فدخلا على عائشة فنالاها ووعظاها وأذكراها وناشداها الله فقالت لهما القيا طلحة والزبير فقاما من عندها ولقيا الزبير فكلماه فقال لهما انا جئنا للطلب بدم عثمان وندعو الناس الى أن يردوا أمر الخلافة شورى ليختار الناس لانفسهم فقالا له ان عثمان لم يقتل بالبصرة ليطلب دمه فيها وأنت تعلم قتلة عثمان من هم وأين هم وانك وصاحبك وعائشة كنتم أشد الناس عليه وأعظمهم اغراء بدمه فأقيدوا من أنفسكم وأما اعادة أمر الخلافة شورى فكيف وقد بايعتم عليا طائعين غير مكرهين وأنت يا أبا عبد الله لم يبعد العهد بقيامك دون هذا الرجل يوم مات رسول الله صلى الله عليه وآله وأنت آخذ قائم سيفك تقول ما أحد أحق بالخلافة منه ولا أولى بها منه وامتنعت من بيعة أبى بكر فأين ذلك الفعل من هذا القول فقال لهما اذهبا فالقيا طلحة فقاما الى طلحة فوجداه أخشن الملمس شديد العريكة قوى العزم فى اثارة الفتنة واضرام نار الحرب فانصرفا الى عثمان بن حنيف فأخبراه وقال له أبو الاسود

يا ابن حنيف قد أتيت فانفر ٭ وطاعن القوم وجالد واصبر ٭ وابرز لها مستلئما وشمر

فقال ابن حنيف أى والحرمين لأفعلن وأمر مناديه فنادى فى الناس السلاح السلاح فاجتمعوا اليه وقال أبو الاسود

أتينا الزبير فدانا الكلام ٭ وطلحة كالنجم أو أبعد
وأحسن قوليهما فادح ٭ يضيق به الخطب مستنكد
وقد أوعدونا بجهد الوعيد ٭ فأهون علينا بما أوعدوا
فقلنا ركضتم ولم ترملوا ٭ وأصدرتم قبل أن توردوا
فان تلقحوا الحرب بين الرجال ٭ فملقحها حده الانكد
وان عليا لكم مصحر ٭ الا انه الاسد الاسود
أما انه ثالث العابدين ٭ بمكة والله لا يعبد
فرخوا الخناق ولا تعجلوا ٭ فان غدا لكم موعد

قال وأقبل القوم فلما انتهوا الى المربد قام رجل من بنى جشم فقال أيها الناس أنا فلان الجشمى وقد أتاكم هؤلاء القوم فان كانوا أتوكم من المكان الذى يأمن فيه الطير والوحش والسباع وان كانوا انما أتوكم بطلب دم عثمان فغيرنا ولى قتله فأطيعونى أيها الناس وردوهم من حيث أقبلوا فانكم ان لم تفعلوا لم تسلموا من الحرب الضروس والفتنة الصماء التى لا تبقى ولا تذر قال فحصبه ناس من أهل البصرة فأمسك قال واجتمع أهل البصرة الى المربد حتى ملؤه مشاة وركبانا فقام طلحة فأشار الى الناس بالسكون ليخطب فسكتوا بعد جهد فقال أما بعد فان عثمان بن عفان كان من أهل السابقة والفضيلة ومن المهاجرين الاولين الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه ونزل القرآن ناطقا بفضلهم واحد أئمة المسلمين الوالين عليكم بعد أبى بكر وعمر صاحبى رسول الله صلى الله عليه وآله وقد كان أحدث احداثا نقمناها عليه فأتيناه فاستعتبناه

فاعتبنا فعدا عليه امرؤ ابتز هذه الأمة أمرها غصبا بغير رضا منها ولا مشورة فقتله وساعده على ذلك قوم غير أتقياء ولا ابرار فقتل محرما بريئا تائبا وقد جئناكم أيها الناس نطلب بدم عثمان وندعوكم الى الطلب بدمه فان نحن أمكننا الله من قتلته قتلناهم به وجعلنا هذا الامر شورى بين المسلمين وكانت خلافة رحمة للامة جميعا فان كل من أخذ الامر من غير رضا من العامة ولا مشورة منها ابتزازا كان ملكه ملكا عضوضا وحدثا كبيرا ثم قام الزبير فتكلم بمثل كلام طلحة فقام اليهما ناس من أهل البصرة فقالوا لهما ألم تبايعا عليا فيمن بايعه ففيم بايعتما ثم نكثتما فقالا ما بايعناه وما لاحد فى أعناقنا بيعة وانما استكرهنا على بيعة فقال ناس قد صدقا وأحسنا القول وقطعا بالثواب وقال ناس ما صدقا ولا أصابا فى القول حتى ارتفعت الاصوات قال ثم أقبلت عائشة على جملها فنادت بصوت مرتفع أيها الناس أقلوا الكلام واسكتوا فأسكت الناس لها فقالت ان أمير المؤمنين عثمان قد كان غير وبدل ثم لم يزل يغسل ذلك بالتوبة حتى قتل مظلوما تائبا وانما نقموا عليه ضربه بالسوط وتأميره الشبان وحمايته موضع الغمامة فقتلوه محرما فى حرمة الشهر وحرمة البلد ذبحا كما يذبح الجمل ألا وان قريشا رمت غرضها بنبالها وأدمت أفواهها بأيديها وما نالت بقتلها اياه شيئا ولا سلكت به سبيلا قاصدا اما والله ليرونها بلايا عقيمة تنبه النائم وتقيم الجالس وليسلطن عليهم قوم لا يرحمونهم يسومونهم سوء العذاب أيها الناس انه ما بلغ من ذنب عثمان ما يستحل به دمه مصصتموه كما يماص الثوب الرحيض ثم عدوتم عليه فقتلتموه بعد توبته وخروجه من ذنبه وبايعتم ابن أبى طالب بغير مشورة من الجماعة ابتزازا وغصبا ترانى أغضب لكم من سوط عثمان ولسانه ولا أغضب لعثمان من سيوفكم ألا ان عثمان قتل مظلوما فاطلبوا قتلته فاذا ظفرتم بهم فاقتلوهم ثم اجعلوا الامر شورى بين الرهط الذين اختارهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ولا يدخل فيهم من شرك فى دم عثمان قال فماج الناس واختلطوا فمن قائل القول ما قالت ومن قائل يقول وما هى وهذا الامر انما هى امرأة مأمورة بلزوم بيتها وارتفعت الاصوات وكثر اللغط حتى تضاربوا بالنعال وتراموا بالحصا ثم ان الناس تمايزوا فصاروا فريقين فريق مع عثمان بن حنيف وفريق مع عائشة وأصحابها قال وحدثنا الاشعث بن سوار عن محمد بن سيرين عن أبى الخليل قال لما نزل طلحة والزبير المربد أتيتهما فوجدتهما مجتمعين فقلت لهما ناشدتكما الله وصحبة رسول الله صلى الله عليه وآله ما الذى أقدمكما أرضنا هذه فلم يتكلما فأعدت عليهما فقالا بلغنا أن بأرضكم هذه دنيا فجئنا نطلبها قال وقد روى محمد بن سيرين عن الاحنف بن قيس أنه لقيهما فقالا له مثل مقالتهما الاولى انما جئنا لطلب الدنيا وقد روى المدائنى أيضا نحوا مما روى أبو مخنف قال بعث على عليه السلام ابن عباس يوم الجمل الى الزبير قبل الحرب فقال له ان أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام و يقول لكم ألم تبايعنى طائعا غير مكره فما الذى رابك منى فاستحللت به قتالى قال فلم يكن له جواب الا انه قال لى انا مع الخوف الشديد لنطمع لم يقل غير ذلك قال أبو اسحق فسألت محمد بن على بن الحسين عليه السلام ما تراه يعنى بقوله هذا فقال أما والله ما تركت ابن عباس حتى سألته عن هذا فقال يقول أنا مع الخوف الشديد مما نحن عليه نطمع أن نلى مثل الذى وليتم وقال محمد بن اسحق حدثنى جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عن ابن عباس قال بعثنى على عليه السلام يوم الجمل الى طلحة والزبير وبعث معى بمصحف منشور وان الريح لتصفق ورقه فقال لى قل لهما هذا كتاب الله بيننا وبينكم فما تريدان فلم يكن لهما جواب الا أن قالا نريد ما أراد كأنهما يقولان الملك فرجعت الى على فأخبرته وقد روى قاضى القضاة رحمه الله فى كتاب المغنى عن وهب بن جرير قال قال رجل من أهل البصرة لطلحة والزبير ان لكما فضلا وصحبة فأخبرانى عن مسيركما هذا وقتالكما أشئ أمركما به رسول الله صلى الله عليه وآله أم رأى رأيتماه فأما طلحة فسكت وجعل ينكت فى الارض وأما الزبير فقال ويحك حدثنا ان ههنا دراهم كثيرة فجئنا لنأخذ منها وجعل قاضى القضاة هذا الخبر حجة فى أن طلحة تاب وان الزبير لم يكن مصرا على الحرب والاحتجاج بهذا الخبر على هذا المعنى ضعيف وان صح هو وما قبله انه لدليل على حرص شديد وضعف عظيم ونقص ظاهر وليت شعرى ما الذى أحوجهما الى هذا القول واذ كان هذا فى أنفسهما فهلا كتماه ثم نعود الى خبرهما قال أبو مخنف فلما أقبل طلحة والزبير من المربد يريدان عثمان بن حنيف فوجداه وأصحابه قد أخذوا بأفواه السكك فمضوا حتى انتهوا الى موضع الدباغين فاستقبلهم أصحاب ابن

حنيف فشجرهم طلحة والزبير وأصحابهما بالرماح فحمل عليهم حكيم بن جبلة فلم يزل هو وأصحابه يقاتلونهم حتى أخرجوهم من جميع السكك ورماهم النساء من فوق البيوت بالحجارة فأخذوا الى مقبرة بني مازن فوقفوا بها مليا حتى ثابت اليهم خيلهم ثم أخذوا على مسناة البصرة حتى انتهوا الى الرابوقة ثم أتوا سبخة دار الرزق فنزلوها قال وأتاهما عبد الله بن حكيم التميمي لما نزلا السبخة بكتب كانا كتباها اليه فقال لطلحة يا أبا محمد أما هذا كتبك الينا قال بلى قال فكتبت أمس تدعونا الى خلع عثمان وقتله حتى اذا قتلته أتيتنا ثائرا بدمه فلعمري ما هذا رأيك لا تريد الا هذه الدنيا مهلا اذا كان هذا رأيك فلم قبلت من علي ما عرض عليك من البيعة فبايعته طائعا راضيا ثم نكثت بيعتك ثم جئت لتدخلنا في فتنتك فقال ان عليا دعاني الى بيعته بعد ما بايع الناس فعلمت لو لم أقبل ما عرضه علي لم يتم لي ثم يغري بي من معه قال ثم أصبحا من غد فصفا للحرب وخرج عثمان بن حنيف اليهما في أصحابه فناشدهما الله والاسلام وأذكرهما بيعتهما عليا عليه السلام فقالا نطلب بدم عثمان فقال لهما وما أنتما وذاك أين بنوه أين بنو عمه الذين هم أحق به منكم كلا والله ولكنكما حسدتماه حيث اجتمع الناس عليه وكنتما ترجوان هذا الامر وتعملان له وهل كان أحد أشد على عثمان قولا منكما فشتماه شتما قبيحا وذكرا أمه فقال للزبير أما والله لولا صفية ومكانها من رسول الله فانها أدنتك الى الظل وان الامر بيني وبينك يا ابن الصعبة يعني طلحة أعظم من القول لاعلمتكما من أمركما ما يسوءكما اللهم اني قد أعذرت الى هذين الرجلين ثم حمل عليهم واقتتل الناس قتالا شديدا ثم تحاجزوا واصطلحوا على أن يكتب بينهم كتاب صلح فكتب هذا ما اصطلح عليه عثمان بن حنيف الانصاري ومن معه من المؤمنين من شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وطلحة والزبير ومن معهما من المؤمنين والمسلمين من شيعتهما ان لعثمان بن حنيف دار الامارة والرحبة والمسجد وبيت المال والمنبر وان لطلحة والزبير ومن معهما أن ينزلوا حيث شاؤا من البصرة ولا يضار بعضهم بعضا في طريق ولا فرضة ولا سوق ولا شرعة ولا مرفق حتى يقدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فان أحبوا دخلوا فيما دخلت فيه الامة وان أحبوا الحق كل قوم بهواهم وما أحبوا من قتال أو سلم أو خروج أو اقامة وعلى الفريقين بما كتبوا عهد الله وميثاقه وأشد ما أخذه على نبي من أنبيائه من عهد وذمة وختم الكتاب ورجع عثمان بن حنيف حتى دخل دار الامارة وقال لأصحابه ألحقوا رحمكم الله بأهلكم وضعوا سلاحكم وداووا جراحكم فمكثوا كذلك أياما ثم ان طلحة والزبير قالا ان قدم علي ونحن على هذه الحال من القلة والضعف ليأخذن بأعناقنا فأجمعا على مراسلة القبائل واستمالة العرب فأرسلا الى وجوه الناس وأهل الرئاسة والشرف يدعوانهم الى الطلب بدم عثمان وخلع علي واخراج ابن حنيف من البصرة فبايعهم على ذلك الازد وضبة وقيس بن غيلان كلها الا الرجل والرجلين من القبيلة كرهوا أمرهم فتواروا عنهم وأرسلوا الى هلال بن وكيع التميمي فلم يأتهم فجاءه طلحة والزبير الى داره فتوارى عنهما فقالت له أمه ما رأيت مثلك أتاك شيخا قريش فتواريت عنهما فلم تزل به حتى ظهر لهما وبايعهما ومعه بنو عمرو بن تميم كلهم وبنو حنظلة الا بني يربوع فان عامتهم كانوا شيعة لعلي عليه السلام وبايعهم بنو دارم كلهم الا نفرا من بني مجاشع ذوي دين وفضل فلما استوثق لطلحة والزبير أمرهما خرجا في ليلة مظلمة ذات ريح ومطر ومعهما أصحابهما قد ألبسوهم الدروع وظاهروا فوقها بالثياب فانتهوا الى المسجد وقت صلاة الفجر وقد سبقهم عثمان بن حنيف اليه وأقيمت الصلاة فتقدم عثمان ليصلي بهم فأخره أصحاب طلحة والزبير وقدموا الزبير فجاءت السيابجة وهم الشرط حرس بيت المال فأخرجوا الزبير وقدموا عثمان فغلبهم أصحاب الزبير فقدموا الزبير وأخروا عثمان فلم يزالوا كذلك حتى كادت الشمس تطلع وصاح بهم أهل المسجد ألا تتقون أصحاب محمد وقد طلعت الشمس فغلب الزبير فصلى بالناس فلما انصرف من صلاته صاح بأصحابه المستلحين أن خذوا عثمان بن حنيف فأخذوه بعد أن تضارب هو ومروان بن الحكم بسيفيهما فلما أسر ضرب ضرب الموت ونتف حاجباه وأشفار عينيه وكل شعرة في رأسه ووجهه وأخذوا السيابجة وهم سبعون رجلا فانطلقوا بهم وبعثمان بن حنيف الى عائشة فقالت لأبان بن عثمان اخرج اليه فاضرب عنقه فان الانصار قتلت أباك وأعانت على قتله فنادى عثمان يا عائشة ويا طلحة ويا زبير ان أخي سهل بن حنيف خليفة علي بن أبي طالب على المدينة

واقسم

وأقسم بالله ان قتلتموني ليضعن السيف في بني أبيكم وأهليكم ورهطكم فلا يبقي منكم أحدا منكم فكفوا عنه وخافوا أن يقع سهل بن حنيف بعيالاتهم وأهلهم بالمدينة فتركوه وأرسلت عائشة الى الزبير أن اقتل السيابجة فانه قد بلغني الذي صنعوا بك قال فذبحهم والله الزبير كما يذبح الغنم ولي ذلك منهم عبد الله ابنه وهم سبعون رجلا وبقيت منهم طائفة مستمسكين ببيت المال قالوا لا ندفعه اليكم حتى يقدم أمير المؤمنين فسار اليهم الزبير في جيش ليلا فأوقع بهم وأخذ منهم خمسين أسيرا فقتلهم صبرا قال أبو مخنف فحدثنا الصقعب بن زهير قال كانت السيابجة القتلى يومئذ أربعمائة رجل قال فكان غدر طلحة والزبير بعثمان بن حنيف أول غدر كان في الاسلام وكان السيابجة أول قوم ضربت أعناقهم من المسلمين صبرا قال وخيروا عثمان بن حنيف بين أن يقيم أو يلحق بعلي فاختار الرحيل فخلوا سبيله فلحق بعلي عليه السلام فلما رآه بكى وقال له فارقتك شيخا وجئتك أمرد فقال علي انا لله وانا اليه راجعون قالها ثلاثا قلت السيابجة لفظة معربة قد ذكرها الجوهري في كتاب الصحاح قال هم قوم من السند كانوا بالبصرة جلاوزة وحراس السجن والهاء للعجمة والنسب قال يزيد بن مفرغ الحميري وطماطيم من سبابيج خزر يلبسوني مع الصباح القيودا قال فلما بلغ حكيم بن جبلة ما صنع القوم بعثمان بن حنيف خرج في ثلثمائة من عبد القيس مخالفا لهم ومنابذا فخرجوا اليه وحملوا عائشة على جمل فسمي ذلك اليوم يوم الجمل الاصغر ويوم علي يوم الجمل الاكبر وتجالد الفريقان بالسيوف فشد رجل من الازد من عسكر عائشة على حكيم بن جبلة فضرب رجله فقطعها ووقع الازدي عن فرسه فجثا حكيم فأخذ رجله فرمى بها الازدي فصرعه ثم دب اليه فقتله متكئا عليه خانقا له حتى زهقت نفسه فمر بحكيم انسان وهو يجود بنفسه فقال من فعل بك قال وسادي فنظر فاذا الازدي تحته وكان حكيم شجاعا مذكورا قال وقتل مع حكيم اخوة له ثلاثة وقتل أصحابه كلهم وهم ثلثمائة من عبد القيس والقليل منهم من بكر بن وائل فلما صفت البصرة لطلحة والزبير بعد قتل حكيم وأصحابه وطرد ابن حنيف عنهما اختلفا في الصلاة وأراد كل منهما أن يؤم بالناس وخاف أن تكون صلاته خلف صاحبه تسليما له ورضا بتقدمه فأصلحت بينهما عائشة بأن جعلت عبد الله بن الزبير ومحمد بن طلحة يصليان بالناس هذا يوما وهذا يوما قال أبو مخنف ثم دخلا بيت المال بالبصرة فلما رأوا ما فيه من الاموال قال الزبير وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه فنحن أحق بها من أهل البصرة فأخذا ذلك المال كله فلما غلب علي عليه السلام رد تلك الاموال الى بيت المال وقسمها في المسلمين وقد ذكرنا فيما تقدم كيفية الوقعة ومقتل الزبير فارا عن الحرب خوفا أو توبة ونحن نقول انها توبة وذكرنا مقتل طلحة والاستيلاء على أم المؤمنين واحسان علي عليه السلام اليها والى من أسر في الحرب أو ظفر به بعدها كان القاسم بن محمد بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله التيمي يلقب أبا بعرة ولي شرطة الكوفة لعيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس كلم اسمعيل بن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام بكلام خرجا فيه الى المنافرة فقال القاسم بن محمد لم يزل فضلنا واحساننا سابغا عليكم يا بني هاشم وعلى بني عبد مناف كافة فقال اسمعيل أي فضل واحسان أسديتموه الى بني عبد مناف أغضب أبوك جدي بقوله ليموتن محمد ولنجولن بين خلاخيل نسائه كما جال بين خلاخيل نسائنا فأنزل الله تعالى مراغمة لابيك وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ومنع ابن عمك أمي حقها من فدك وغيرها من ميراث أبيها وأجلب أبوك على عثمان وحصره حتى قتل ونكث بيعة علي وشام السيف في وجهه وأفسد قلوب المسلمين عليه فان كان لبني عبد مناف قوم غير هؤلاء أسديتم اليهم احسانا فعرفني من هم جعلت فداك وتزوج عبد الله بن الزبير أم عمرو ابنة منظور بن زبان الفزارية فلما دخل بها قال لها تلك الليلة أتدرين من معك في حجلتك قالت نعم عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى قال ليس غير هذا قالت فما الذي تريد قال معك من أصبح في قريش بمنزلة الرأس من الجسد لا بل بمنزلة العينين من الرأس قالت أما والله لو أن بعض بني عبد مناف حضرك لقال لك خلاف قولك فغضب وقال الطعام والشراب علي حرام حتى أحضرك الهاشميين وغيرهم من بني عبد مناف فلا يستطيعون لذلك انكارا قالت ان أطعتني لم تفعل وأنت أعلم وشأنك فخرج الى المسجد فرأى حلقة فيها قوم من قريش منهم عبد الله

ابن العباس وعبد الله بن الحصين بن الحرث بن عبد المطلب بن عبد مناف فقال لهم ابن الزبير أحب أن تنطلقوا معى الى منزلى فقام القوم بأجمعهم حتى وقفوا على باب بيته فقال ابن الزبير ياهذه اطرحى عليك سترك فلما أخذوا مجالسهم دعا بالمائدة فتغدى القوم فلما فرغوا قال لهم انما جمعتكم لحديث ردته على صاحبة الستر وزعمت انه لو كان بعض بنى عبد مناف حضرنى لما أقر لى بما قلت وقد حضرتم جميعا وأنت يا ابن عباس ماتقول انى أخبرتها ان معها فى خدرها من أصبح فى قريش بمنزلة الرأس من الجسد لا بل بمنزلة العينين من الرأس فردت على مقالتى فقال ابن عباس أراك قصدت قصدى فان شئت أن أقول قلت وان شئت أن أكف كففت قال بل قل وما عسى أن تقول ألست تعلم أنى ابن الزبير حوارى رسول الله صلى الله عليه وآله وان أمى أسماء بنت أبى بكر الصديق ذات النطاقين وان عمتى خديجة سيدة نساء العالمين وأن صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وآله جدتى وان عائشة أم المؤمنين خالتى فهل تستطيع لهذا انكارا قال ابن عباس لا ولقد ذكرت شرفا شريفا وفخرا فاخرا غير انك تفاخر من بفخره فخرت وبفضله سموت قال وكيف ذلك قال لانك لم تذكر فخرا الا برسول الله صلى الله عليه وآله وأنا أولى بالفخر به منك قال ابن الزبير لو شئت لفخرت عليك بما كان قبل النبوة قال ابن عباس قد أنصف القارة من راماها نشدتكم الله أيها الحاضرون أعبد المطلب أشرف أم خويلد فى قريش قالوا عبد المطلب قال أفهاشم كان أشرف فيها أم أسد قالوا بل هاشم قال أفعبد مناف أشرف أم عبد العزى قالوا عبد مناف فقال ابن عباس

تنافرنى يا ابن الزبير وقد قضى * عليك رسول الله لا قول هازل

ولو غيرنا يا ابن الزبير فخرته * ولكنما ساميت شمس الاصائل

قضى لنا رسول الله صلى الله عليه وآله بالفضل فى قوله ما افترقت فرقتان الا كنت فى خيرهما فقد فارقناك من بعد قصى ابن كلاب أفنحن فى فرقة الخير أم لا ان قلت نعم خصمت وان قلت لا كفرت فضحك بعض القوم فقال ابن الزبير أما والله لولا تحرمك بطعامنا يا ابن عباس لاعرفت جبينك قبل أن تقوم من مجلسك قال ابن عباس ولم أبباطل فالباطل لا يغلب الحق أم بحق فالحق لا يخشى من الباطل فقالت المرأة من وراء الستر انى والله لقد نهيته عن هذا المجلس فأبى الا ما ترون فقال ابن عباس مه أيتها المرأة اقنعى ببعلك فما أعظم الخطر وما أكرم الخبر فأخذ القوم بيد ابن عباس وكان قد عمى فقالوا انهض أيها الرجل فقد أفحمته غير مرة فنهض وقال

ألا ياقومنا ارتحلوا وسيروا * فلو ترك القطا لغفا وناما

فقال ابن الزبير يا صاحب القطا أقبل على فما كنت لتدعنى حتى أقول وايم الله لقد عرف الاقوام انى سابق غير مسبوق وابن حوارى وصديق متبجح فى الشرف الانيق خير من طليق وابن طليق فقال ابن عباس رسعت بجرتك فلم تبق شيأ هذا الكلام مردود من امرئ حسود فان كنت سابقا فالى من سبقت وان كنت فاخرا فبمن فخرت فان كنت أدركت هذا الفخر بأسرتك دون أسرتنا فالفخر لك علينا وان كنت انما أدركته بأسرتنا فالفخر لنا عليك والكثكث فى فمك ويديك وأما ما ذكرت من الطليق فوالله لقد ابتلى فصبر وأنعم عليه فشكر وان كان والله لوفيا كريما غير ناقض بيعة بعد توكيدها ولا مسلم كتيبة بعد التأمر عليها فقال ابن الزبير أتعير الزبير بالجبن والله انك لتعلم منه خلاف ذلك قال ابن عباس والله انى لا أعلم الا انه فر وما كر وحارب فما صبر وبايع فما تمم وقطع الرحم وأنكر الفضل ورام ما ليس له بأهل

وأدرك منها بعض ما كان يرتجى * وقصر عن جرى الكرام وبلدا

وما كان الا كالهجين أمامه * عناق فجاراه العناق فأجهدا

فقال ابن الزبير لم يبق يا بنى هاشم غير المشاتمة والمضاربة فقال عبد الله بن الحصين بن الحرث أقمناه عنك يا ابن الزبير وتأبى الامنازعته والله لو نازعته من ساعتك الى انقضاء عمرك ما كنت الا كالسغب الظمآن يفتح فاه يستزيد من الريح فلا يشبع من سغب ولا يروى من عطش فقل ان شئت أودع وانصرف القوم

(الاصل) *(ومن خطبة له عليه السلام)*

أمينُ وَحيه وَخاتَمُ رُسُلِهِ وَبَشيرُ رَحمَتِهِ وَنَذيرُ نقمَتِهِ أيُّها النّاسُ إنَّ أحقَّ النّاسِ بِهَذا الأَمرِ أقْوَاهُمْ عَلَيْهِ وَأعلَمُهُمْ بِأمرِ اللهِ فيهِ فانْ شَغَبَ شاغِبٌ استُعتِبَ فانْ أبَى قُوتِلَ وَلَعَمرِي لَئِنْ كانَتِ الاِمامَةُ لاتَنعَقِدُ حَتّى تَحضُرَها عامّةُ النّاسِ فَما الَى ذَلِكَ سَبيلٌ وَلَكِنْ أهلُها يَحكُمُونَ عَلى مَنْ غابَ عَنها ثُمَّ لَيسَ لِلشّاهِدِ أنْ يَرجِعَ وَلَا لِلغائِبِ أنْ يَختارَ ألاَ وَانّي اقاتِلُ رَجُلَينِ رَجُلاً ادَّعَى ما لَيسَ لَهُ وَآخَرَ مَنَعَ الَّذي عَلَيهِ

(الشرح) صدر الكلام فى ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله ويتلوه فصول أولها ان أحق الناس بالامامة أقواهم عليها وأعلمهم بحكم الله فيها وهذا لا ينافى مذهب أصحابنا البغداديين فى صحة امامة المفضول لانه ما قال ان امامة غير الاقوى فاسدة ولكنه قال ان الاقوى أحق وأصحابنا لا ينكرون انه عليه السلام أحق ممن تقدمه بالامامة مع قولهم بصحة امامة المتقدمين لانه لا منافاة بين كونه أحق وبين صحة امامة غيره فان قلت أى فرق بين أقواهم عليه وأعلمهم بأمر الله فيه قلت أقواهم أحسنهم سياسة وأعلمهم بأمر الله أكثرهم علما واجراء للتدبير بمقتضى العلم وبين الامرين فرق واضح فقد يكون سائسا حاذقا ولا يكون عالما بالفقه وقد يكون سائسا فقيها ولا يجرى التدبير على مقتضى علمه وفقهه وثانيها ان الامامة لا يشترط فى صحة انعقادها أن يحضرها الناس كافة لانه لو كان ذلك مشترطا لادى الى أن لا تنعقد امامة أبدا لتعذر اجتماع المسلمين من أطراف الارض ولكنها تنعقد بعقد العلماء وأهل الحل والعقد الحاضرين ثم لا يجوز بعد عقدها لحاضريها أن يرجعوا من غير سبب يقتضى رجوعهم ولا يجوز لمن غاب عنها أن يختار غير من عقد بل يكون محجوجا بعقد الحاضرين مكلفا طاعة الامام المعقود له وعلى هذا جرت الحال فى خلافة أبى بكر وعمر وعثمان وانعقد اجماع المسلمين عليه وهذا الكلام تصريح بصحة مذهب أصحابنا فى ان الاختيار طريق الى الامامة ومبطل لما تقوله الامامية من دعوى النص عليه ومن قولهم لا طريق الى الامامة سوى النص أو المعجز وثالثها أن الخارج على الامام يستعتب أولا بالكلام والمراسلة فان أبى قوتل وهذا هو نص الكتاب العزيز وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله ورابعها انه يقاتل أحد رجلين اما رجلا ادعى ما ليس له نحو أن يخرج على الامام من يدعى الخلافة لنفسه واما رجلا منع ما عليه نحو أن يخرج على الامام رجل لا يدعى الخلافة ولكنه يمتنع من الطاعة فقط فان قلت الخارج على الامام مدعى الخلافة لنفسه مانع ما عليه أيضا لانه قد امتنع من الطاعة فقد دخل أحد القسمين فى الآخر قلت لما كان مدعى الخلافة قد اجتمع له أمران ايجابى وسلبى فالايجابى دعواه الخلافة والسلبى امتناعه من الطاعة كان متميزا ممن لم يحصل له الا القسم السلبى فقط وهو مانع الطاعة لا غير فكان الاحسن فى فن علم البيان أن يشتمل اللفظ على التقسيم الحاصر للايجاب والسلب فلذلك قال اما مدعيا ما ليس له أو مانعا ما هو عليه

(الاصل) أُوصِيكُمْ عِبادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ فَانَّها خَيرُ ما تَوَاصَى العِبادُ بِهِ وَخَيرُ عَوَاقِبِ الاُمُورِ عِندَ اللهِ وَقَد فُتِحَ بابُ الحَرْبِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أهلِ القِبلَةِ * وَلا يَحمِلُ هَذا العَلَمَ الا أهلُ البَصَرِ وَالصَّبرِ وَالعِلمِ بِمَوَاقِعِ الحَقِّ فَامضُوا لِمَا تُؤمَرُونَ بِهِ وَقِفُوا عِندَ ما تُنْهَوْنَ عَنهُ وَلا تَعجَلُوا في أمرٍ حَتّى تَتَبَيَّنُوا فَانَّ لَنا مَعَ كُلِّ أمرٍ تُنكِرُونَهُ غِيَراً ألا وَانَّ هَذِهِ

الدنيا التي أصبحتم تتمنونها وترغبون فيها وأصبحت تغضبكم وترضيكم ليست بداركم ولا منزلكم الذي خلقتم له ولا الذي دعيتم اليه ألا وانها ليست بباقية لكم ولا تبقون عليها وهي وان غرتكم منها فقد حذرتكم شرها فدعوا غرورها لتحذيرها واطماعها لتخويفها وسابقوا فيها الى الدار التي دعيتم اليها وانصرفوا بقلوبكم عنها ولا يخنن أحدكم خنين الأمة على مازوي عنه منها * واستتموا نعمة الله عليكم بالصبر على طاعة الله والمحافظة على مااستحفظكم من كتابه * ألا وانه لا يضركم تضييع شيء من دنياكم بعد حفظكم قائمة دينكم * ألا وانه لا ينفعكم بعد تضييع دينكم شيء حافظتم عليه من أمر دنياكم أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم الى الحق وألهمنا واياكم الصبر

(الشرح) لم يكن المسلمون قبل حرب الجمل يعرفون كيفية قتال أهل القبلة وانما تعلموا فقه ذلك من أمير المؤمنين عليه السلام وقال الشافعي لولا علي لما عرف شيء من أحكام أهل البغي قوله عليه السلام ولا يحمل هذا العلم الا أهل البصر والصبر وذلك لان المسلمين عظم عندهم حرب أهل القبلة وأكبروه ومن أقدم عندهم عليه أقدم على خوف وحذر فقال عليه السلام ان هذا العلم ليس يدركه كل أحد وانما له قوم مخصوصون ثم أمرهم بالمضي عند ما يأمرهم به وبالانتهاء عما ينهاهم عنه ونهاهم عن أن يعجلوا بالحكم على أمر ملتبس حتى يتبين ويتضح ثم قال ان عندنا تغيير الكل ما تنكرونه من الامور التي يثبت أنه يجب انكارها وتغييرها أي لست كعثمان أصر على ارتكاب ما أنهى عنه بل أغير كل ماينكره المسلمون ويقتضي الحال والشرع تغييره ثم ذكر ان الدنيا التي تغضب الناس وترضيهم وهي منتهى أمانيهم ورغبتهم ليست دارهم وانما هي طريق الى الدار الآخرة ومدة اللبث في ذلك الطريق يسيرة جدا وقال انها وان كانت غرارة فانها منذرة ومحذرة لابنائها بما أرتهم من آثارها في سلفهم واخوتهم وأحبائهم ومناداتها على نفسها بأنها فاعلة بهم مافعلت بأولئك من الفناء وفراق المألوف قال فدعوا غرورها لتحذيرها وذلك لان جانب تحذيرها أولى بان يعمل عليه من جانب غرورها لان غرورها انما هو بامر سريع مع التصرم والانقضاء وتحذيرها انما هو لامر جليل عظيم فان الفناء المعجل محسوس وقد دل العقل والشرائع كافة على أن بعد ذلك الفناء سعادة وشقاوة فينبغي للعاقل أن يحذر من تلك الشقاوة ويرغب في تلك السعادة ولا سبيل الى ذلك الا برفض غرور الدنيا على انه لو لم يكن ذلك لكان الواجب على أهل اللب والبصيرة رفضها لان الموجود منها خيال فانه أشبه شيء باحلام المنام فالتمسك به والاخلاد اليه حمق والخنين صوت يخرج من الانف عند البكاء وأضافه الى الامة لان الاماء كثيرا مايضربن فيبكين ويسمع الخنين منهن ولان الحرة تأنف من البكاء والخنين وزوي قبض ثم ذكر انه لا يضر المكلف فوات قسط من الدنيا اذا حفظ قائمة دينه يعني القيام بالواجبات والانتهاء عن المحظورات ولا ينفعه حصول الدنيا كلها بعد تضييعه دينه لان ابتياع لذة متناهية بلذة غير متناهية يخرج اللذة المتناهية من باب كونها نفعا ويدخلها في باب المضار فكيف اذا انضاف الى عدم اللذة غير المتناهية حصول مضار وعقوبات غير متناهية أعاذنا الله منها

﴿ تم الجزء التاسع من شرح نهج البلاغة ويليه الجزء العاشر ﴾

الجزء العاشر

بسم الله الرحمن الرحيم

(الاصل) *(ومن كلام له عليه السلام في طلحة بن عبيد الله)*

قد كنت وما أهدد بالحرب ولا أرهب بالضرب وأنا على ماقد وعدني ربي من النصر والله مااستعجل متجردا للطلب بدم عثمان الا خوفا من أن يطالب بدمه لانه مظنته ولم يكن في القوم أحرص عليه منه * فأراد أن يغالط بما أجلب فيه ليلتبس الأمر ويقع الشك ووالله ماصنع في أمر عثمان واحدة من ثلاث لئن كان ابن عفان ظالما كما كان يزعم لقد كان ينبغي له أن يوازر قاتليه * وأن ينابذ ناصريه * ولئن كان مظلوما لقد كان ينبغي له أن يكون من المنهنهين عنه * والمعذرين فيه * ولئن كان في شك من الخصلتين لقد كان ينبغي له أن يعتزله ويركد جانبا * ويدع الناس معه فما فعل واحدة من الثلاث وجاء بأمر لم يعرف بابه ولم تسلم معاذيره

(الشرح) كان ههنا تامة والواو واو الحال أي خلقت ووجدت وأنا بهذه الصفة كما تقول خلقني الله وأنا شجاع ويجوز أن تكون الواو زائدة وتكون كان ناقصة وخبرها ما أهدد كما في المثل لقد كنت وما أخشى بالذئب فان قلت اذا كانت ناقصة لزم أن يكون الآن بخلاف مامضى فيكون الآن يهدد ويرهب قلت لا يلزم ذلك لان كان الناقصة للماضي من حيث هو ماض وليس يشترط في ذلك أن يكون منقطعا بل قد يكون دائما كقوله تعالى وكان الله عليما حكيما ثم ذكر عليه السلام انه على ماوعده ربه من النصر وانه واثق بالظفر والغلبة الآن كما كانت عادته فيما سبق ثم شرح حال طلحة وقال انه تجرد للطلب بدم عثمان مغالطة للناس في أمر عثمان وايهاما لهم انه بريء من دمه فيلتبس الامر ويقع الشك وقد كان طلحة أجهد نفسه في أمر عثمان والاجلاب عليه والحصر له والاغراء به ومنته نفسه الخلافة بل تلبس بها وتسلم بيوت الاموال وأخذ مفاتيحها وغشيته الناس وأحدقوا به ولم يبق الا أن يصفق بالخلافة على يده ذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في كتاب التاريخ قال حدثني عمر بن شبة عن علي بن محمد عن عبد ربه عن نافع عن اسمعيل بن أبي طالب عن حكيم بن جابر قال قال علي عليه السلام لطلحة وعثمان محصور أنشدك الله الارددت الناس عن عثمان قال لا والله حتى تعطي بنو أمية الحق من أنفسها وروى الطبري أن عثمان كان له على طلحة خمسون ألفا فخرج عثمان يوما الى المسجد فقال له طلحة قد تهيأ مالك فاقبضه فقال هو لك يا أبا محمد معونة لك على مروءتك قال فكان عثمان يقول وهو

محصور جزاء سنمار وروى الطبرى أيضا أن طلحة باع أرضا له من عثمان بسبعمائة ألف فحملها اليه فقال طلحة ان رجلا يبيت وهذه عنده وفى بيته لا يدرى ما يطرقه من أمر الله لغرير بالله فبات ورسله تختلف بها فى سكك المدينة يقسمها حتى أصبح وما عنده منها درهم واحد قال الطبرى روى ذلك الحسن البصرى وكان اذا روى ذلك يقول ثم جاء الينا يطلب الدينار والدرهم والصفراء والبيضاء وروى الطبرى أيضا قال قال ابن عباس رحمه الله لما حججت بالناس نيابة عن عثمان وهو محصور مررت بعائشة بالصلصل فقالت يا ابن عباس أنشدك الله فانك قد أعطيت فهما ولسانا وعقلا أن لا تخذل الناس عن طلحة فقد بانت لهم بصائرهم فى عثمان وانهجت ورفعت لهم المنابر وتجلبوا من البلدان لأمر عظيم قد حم وان طلحة فيما بلغنى قد اتخذ رجالا على بيوت الاموال وأخذ مفاتيح الخزائن وأظنه يسير ان شاء الله بسيرة ابن عمه أبى بكر فقال يا أمه لو حدث بالرجل حدث ما فزع الناس الا الى صاحبنا فقالت ايها عنك يا ابن عباس انى لست أريد مكابرتك ولا مجادلتك وروى المدائنى فى كتاب مقتل عثمان أن طلحة منع من دفنه ثلاثة أيام وان عليا عليه السلام لم يبايع الناس الا بعد قتل عثمان بخمسة أيام وان حكيم بن حزام أحد بنى أسد بن عبد العزى وجبير بن مطعم بن الحرث بن نوفل استنجدا بعلى عليه السلام على دفنه فاقعد طلحة لهم فى الطريق ناسا بالحجارة فخرج به نفر يسير من اهله وهم يريدون به حائطا بالمدينة يعرف بحش كوكب كانت اليهود تدفن فيه موتاهم فلما صار هناك رجم سريره وهموا بطرحه فارسل على عليه السلام الى الناس يعزم عليهم ليكفوا عنه فكفوا فانطلقوا به حتى دفنوه فى حش كوكب وروى الطبرى نحو ذلك الا انه لم يذكر طلحة بعينه وزاد فيه أن معاوية لما ظهر على الناس أمر بذلك الحائط فهدم حتى أفضى به الى البقيع وأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حول قبره حتى اتصل بمقابر المسلمين وروى المدائنى فى هذا الكتاب قال دفن عثمان بين المغرب والعتمة ولم يشهد جنازته الا مروان بن الحكم وابنة عثمان وثلاثة من مواليه فرفعت ابنته صوتها تندبه وقد جعل طلحة ناسا هناك أكمنهم كمينا فاخذتهم الحجارة وصاحوا نعثل نعثل فقالوا الحائط الحائط فدفن فى حائط هناك وروى الواقدى قال لما قتل عثمان تكلموا فى دفنه فقال طلحة يدفن بدير سلع يعنى مقابر اليهود وذكر الطبرى فى تاريخه هذا الا أنه روى عن طلحة فقال قال رجل يدفن بدير سلع فقال حكيم بن حزام والله لا يكون هذا أبدا وأحد من ولد قصى حى كاد الشر يلتحم فقال ابن عديس البلوى أيها الشيخ وما يضرك أين دفن قال لا يدفن الا ببقيع الغرقد حيث دفن سلفه ورهطه فخرج به حكيم بن حزام فى اثنى عشر رجلا منهم الزبير بن العوام فمنعهم الناس عن البقيع فدفنوه بحش كوكب وروى الطبرى فى التاريخ ان عثمان لما حصر كان على عليه السلام بخيبر فى أمواله فلما قدم أرسل اليه يدعوه فلما دخل عليه قال له ان لى عليك حقوقا حق الاسلام وحق النسب وحق مالى عليك من العهد والميثاق والله ان لو لم يكن من هذا كله شئ وكنا فى جاهلية لكان عارا على بنى عبد مناف أن يبتزهم أخو تيم ملكهم يعنى طلحة فقال له عليه السلام سيأتيك الخبر ثم قام فدخل المسجد فرأى أسامة بن زيد جالسا فدعاه فاعتمد على يده وخرج يمشى الى طلحة فدخل داره وهى رجاس من الناس فقام عليه السلام فقال يا طلحة ما هذا الامر الذى وقعت فيه فقال يا أبا حسن أبعد ما مس الحزام الطبيين فانصرف على عليه السلام ولم يحر اليه شيأ حتى أتى بيت المال فنادى افتحوا هذا الباب فلم يقدروا على فتحه فقال اكسروه فكسر فقال اخرجوا هذا المال فجعلوا يخرجونه وهو يعطى الناس وبلغ الذين فى دار طلحة ما صنع على عليه السلام فجعلوا يتسللون اليه حتى بقى طلحة وحده وبلغ الخبر عثمان فسر بذلك فاقبل طلحة يمشى عامدا الى دار عثمان فاستأذن عليه فلما دخل قال يا أمير المؤمنين استغفر الله وأتوب اليه لقد رمت أمرا حال الله بينى وبينه فقال عثمان انك والله ما جئت تائبا ولكن جئت مغلوبا الله حسيبك يا طلحة * ثم قسم عليه السلام حال طلحة فقال لا يخلو اما أن يكون معتقدا حل دم عثمان أو حرمته أو يكون شاكا فى الامرين فان كان يعتقد حله لم يجز له أن ينقض البيعة لنصرة انسان حلال الدم وان كان يعتقد حرمته فقد كان يجب عليه أن ينهنه عنه الناس أى يكفهم وان يعذر فيه بالقتل يدا أى يقصر ولم يفعل ذلك وان كان شاكا فقد كان يجب عليه أن يعتزل الامر ويركد جانبا ولم يعتزل وانما صلى بنار الحرب وأصلاها غيره فان قلت يمكن أن يكون طلحة اعتقد

اباحة دم عثمان أولا ثم تبدل ذلك الاعتقاد بعد قتله فاعتقد أن قتله حرام وانه يجب أن يقتص من قاتليه قلت لو اعترف بذلك لم يقسم على عليه السلام هذا التقسيم وانما قسمه لبقائه على اعتقاد واحد وهذا التقسيم مع فرض بقائه على اعتقاد واحد صحيح لا مطعن فيه وكذا كان حال طلحة فانه لم ينقل عنه انه قال ندمت على ما فعلت بعثمان فان قلت كيف قال أمير المؤمنين عليه السلام فما فعل واحدة من الثلاث وقد فعل واحدة منها لانه وازر قاتليه حيث كان محصورا قلت مراده عليه السلام أنه ان كان عثمان ظالما وجب أن يوازر قاتليه بعد قتله يحامى عنهم ويمنعهم ممن يروم دماءهم ومعلوم انه لم يفعل ذلك وانما وازرهم وعثمان حى وذلك غير داخل فى التقسيم

(الاصل) *(ومن خطبة له عليه السلام)*

أيها النَّاسُ الغافلونَ غيرُ المغفولِ عنهمْ والتَّارِكونَ المأْخوذُ منهمْ * مالى أراكُمْ عنِ اللهِ ذاهبينَ والى غيرِهِ راغبينَ كأنَّكُمْ نعمٌ أراحَ بها سائمٌ الى مرعًى وبىٍّ ومشربٍ دوىٍّ * انَّما هى كالمعلوفةِ للمُدى لا تعرفُ ماذا يُرادُ بها اذا أُحسنَ اليها تحسبُ يومَها دهرَها * وشِبعَها أمرَها والله لو شئتُ أنْ أُخبرَ كلَّ رجلٍ منكمْ بمخرجِهِ وموْلجِهِ وجميعِ شأنِهِ لفعلتُ ولكنْ أخافُ أنْ تكفرُوا فىَّ برسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ ألا وانى مُفْضِيهِ الى الخاصةِ ممَّنْ يُؤمنُ ذلكَ منهُ * والَّذى بعثَهُ بالحقِّ واصطفاهُ على الخلقِ ما أنطقُ الا صادقًا ولقدْ عهدَ الىَّ بذلكَ كلِّهِ وبمهلِكِ منْ يهلِكُ ومنجى منْ ينجُو ومآلِ هذا الأمرِ وما أبقى شيئًا يمرُّ على رأْسى الا أفرغَهُ فى أُذنىَّ وأفضى بهِ الىَّ أيها النَّاسُ انّى والله ما أحثُّكُمْ على طاعةٍ الا وأسبقُكُمْ اليها ولا أنهاكُمْ عنْ معصيةٍ الا وأتناهى قبلَكُمْ عنها

(الشرح) خاطب المكلفين كافة وقال انهم غافلون عما يراد بهم ومنهم وليسوا بمغفول عنهم بل أعمالهم محفوظة مكتوبة ثم قال والتاركون أى يتركون الواجبات ثم قابل ذلك بقوله والمأخوذ منهم لان الاخذ فى مقابلة الترك ومعنى الاخذ منهم انتقاص أعمارهم وانتقاص قواهم واستلاب أحبابهم وأموالهم ثم شبههم بالنعم التى تتبع نعما أخرى سائمة أى راعية وانما قال ذلك لانها اذا اتبعت أمثالها كان أبلغ فى ضرب المثل بجهلها من الابل التى يسيمها راعيها والمرعى الوبى ذو الوباء والمرض والمشرب الدوى ذو الداء وأصل الوبى اللين الوبىء المهموز ولكنه لينه يقال أرض وبئة على فعلة ووبئة على فعلة ويجوز أوبأت فهى موبئة والاصل فى الدوى دو بالتخفيف ولكنه شدده للازدواج ثم ذكر ان هذه النعم الجاهلة التى أوقعت أنفسها فى هذا المرتع والمشرب المذمومين كالغنم وغيرها من النعم المعلوفة للمدى جمع مدية وهى السكين لا تعرف ماذا يراد بها وتظن أن ذلك العلف احسان اليها على الحقيقة ومعنى قوله تحسب يومها دهرها أى تظن أن ذلك العلف والاطعام كما هو حاصل لها ذلك اليوم يكون حاصلا لها أبدا وشبعها أمرها مثل ذلك أى تظن أنه ليس أمرها وشأنها الا أن يطعمها أربابها لتشبع وتحسن وتسمن ليس يريدون بها غير ذلك ثم خرج عليه السلام من هذا الفن الى فن آخر فأقسم انه لو شاء أن يخبر كل واحد منهم من أين خرج وكيفية خروجه من منزله وأين يلج وكيفية ولوجه وجميع شأنه من مطعمه ومشربه وما عزم عليه من أفعاله وما أكله وما ادخره فى بيته وغير ذلك من شؤنه وأحواله لفعل وهذا كقول المسيح عليه السلام أنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم قال الا أنى أخاف أن تكفروا فى برسول الله صلى الله عليه وآله أى أخاف عليكم الغلو فى أمرى وان تفضلونى على رسول الله صلى

الله عليه وآله بل أخاف عليكم أن تدعوا فىَّ الالهية كما ادعت النصارى ذلك فى المسيح لما أخبرهم بالامور الغائبة ثم قال الا وانى مفضيه الى الخاصة أى مفض به ومودع اياه خواص أصحابى وثقاتى الذين آمن منهم الغلو وأعلم انهم لا يكفرون فىَّ بالرسول صلى الله عليه وآله لعلمهم أن ذلك من أعلام نبوته اذ يكون تابع من أتباعه وصاحب من أصحابه بلغ الى هذه المنزلة الجليلة ثم أقسم قسما ثانيا انه ما ينطق الا صادقا وان رسول الله صلى الله عليه وآله عهد بذلك كله اليه وأخبره بمهلك من يهلك من الصحابة وغيرهم من الناس وبنجاة من ينجو وبمآل هذا الامر يعنى ما يفضى أمر والاسلام أمر الدولة والخلافة وانه ما ترك شيأ يمر على رأسه عليه السلام الا أخبره به وأسره اليه واعلم انه غير مستحيل أن يكون بعض الانفس مختصة بخاصية تدرك بها المغيبات وقد تقدم من الكلام فى ذلك ما فيه كفاية ولكن لا يمكن أن تكون نفس تدرك كل المغيبات لان القوة المتناهية لا تحيط بامور غير متناهية وكل قوة فى نفس حادثة فهى متناهية فوجب أن يحمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام لا على أن يريد به عموم العالمية بل يعلم أمورا محدودة من المغيبات مما اقتضت حكمة البارى سبحانه أن يؤهله لعلمه وكذلك القول فى رسول الله صلى الله عليه وآله انه انما كان يعلم أمورا معدودة لا أمورا غير متناهية ومع انه عليه السلام قد كتم ما علمه حذرا من أن يكفروا فيه برسول الله صلى الله عليه وآله فقد كفر كثير منهم وادعوا فيه النبوة وادعوا فيه انه شريك الرسول فى الرسالة وادعوا فيه انه هو كان الرسول ولكن الملك غلط فيه وادعوا انه هو الذى بعث محمدا صلى الله عليه وآله الى الناس وادعوا فيه الحلول وادعوا فيه الاتحاد ولم يتركوا نوعا من أنواع الضلالة فيه الا وقالوه واعتقدوه وقال شاعرهم فيه من أبيات

ومن أهلك عادا وثمود ابدواهيه ۞ ومن كلم موسى فوق طور أو يناديه
ومن قال على المنبر يوما وهو راقيه ۞ سلونى أيها الناس لحاروا فى معانيه

وقال بعض شعرائهم

انما خالق الخلائق من ۞ زعزع أركان حصن خيبر جذبا
قد رضينا به اماما ومولى ۞ وسجدنا له الها وربا

وقد ذكرنا فيما تقدم من اخباره عليه السلام عن الغيوب طرفا صالحا ومن عجيب ما وقفت عليه من ذلك قوله فى الخطبة التى يذكر فيها الملاحم وهو يشير الى القرامطة ينتحلون لنا الحب والهوى ويضمرون لنا البغض والقلى وآية ذلك قتلهم وراثنا وهجرهم أحداثنا وصح ما أخبر به لان القرامطة قتلت من آل أبى طالب عليه السلام خلقا كثيرة وأسماؤهم مذكورة فى كتاب مقاتل الطالبيين لابى الفرج الاصفهانى ومر أبو طاهر سليمان بن الحسن الجنابى فى جيشه بالغرى وبالحائر فلم يعرج على واحد منهما ولا دخل ولا وقف وفى هذه الخطبة قال وهو يشير الى السارية التى كان يستند اليها فى مسجد الكوفة كأنى بالحجر الاسود منصوبا ههنا ويحهم ان فضيلته ليست فى نفسه بل فى موضعه واسه يمكث ههنا برهة ثم ههنا برهة وأشار الى البحرين ثم يعود الى مأواه وأم مثواه ووقع الامر فى الحجر الاسود بموجب ما أخبر به عليه السلام وقد وقفت له على خطب مختلفة فيها ذكر الملاحم فوجدتها تشتمل على ما يجوز أن ينسب اليه وما لا يجوز أن ينسب اليه ووجدت فى كثير منها اختلالا ظاهرا وهذه المواضع التى أنقلها ليست من تلك الخطب المضطربة بل من كلام له وجدته متفرقا فى كتب مختلفة ومن ذلك أن تميم بن أسامة بن زهير بن دريد التميمى اعترضه وهو يخاطب على المنبر ويقول سلونى قبل أن تفقدونى فوالله لو تسألونى عن فئة تضل مائة أو تهدى مائة الا نبأتكم بناعقها وسائقها ولو شئت لاخبرت كل واحد منكم بمخرجه ومدخله وجميع شأنه فقال له فكم فى رأسى طاقة شعر فقال له أما والله انى لاعلم ذلك ولكن أين برهانه لو أخبرتك به ولقد أخبرتك بقيامك ومقالك وقيل لى ان على كل شعرة من شعر رأسك ملكا يلعنك وشيطانا يستفزك وآية ذلك ان فى بيتك سخلا يقتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ويحض على قتله فكان الامر بموجب ما أخبر به عليه السلام كان ابنه حصين بالصاد المهملة يومئذ طفلا صغيرا يرضع اللبن ثم عاش الى أن صار على شرطة عبيد الله بن زياد وأخرجه عبيد الله الى عمر بن سعد يأمره بمناجزة الحسين عليه السلام ويتوعده

على

على لسانه ان أرجأ ذلك فقتل عليه السلام صبيحة اليوم الذى ورد فيه الحصين بالرسالة فى ليلته ومن ذلك قوله عليه السلام للبراء بن عازب يوما يا براء أيقتل الحسين وأنت حى فلا تنصره فقال البراء لا كان ذلك يا أمير المؤمنين فلما قتل الحسين عليه السلام كان البراء يذكر ذلك ويقول أعظم بها حسرة اذ لم أشهده واقتل دونه وسنذكر من هذا النمط فيما بعد اذا مررنا بما يقتضى ذكره ما يحضرنا ان شاء الله

(الاصل) ۞(ومن خطبة له عليه السلام)۞

إنتَفِعُوا بِبَيَانِ اللهِ وَاتَّعِظُوا بِمَوَاعِظِ اللهِ وَاقبَلُوا نَصِيحَةَ اللهِ فَانَّ اللهَ قَدْ أَعْذَرَ الَيْكُمْ بِالجَلِيَّةِ ۞ وأَخَذَ عَلَيْكُمُ الحجَّةَ وَبَيَّنَ لَكُمْ مَحَابَّهُ مِنَ الأَعْمَالِ وَمَكَارِهَهُ مِنْهَا لِتَتَّبِعُوا هَذِهِ وَتَجْتَنِبُوا هَذِهِ فَانَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ يَقُولُ إنَّ الجَنَّةَ حُفَّتْ بِالمَكَارِهِ وَانَّ النَّارَ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ وَاعلَمُوا أنَّهُ ما مِنْ طَاعَةِ اللهِ شَيْءٌ الاَّ يَأْتِى فِي كُرْهٍ ۞ وَمَا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ شَيْءٌ الاَّ يَأتِى فى شَهْوَةٍ فَرَحِمَ اللهُ امْرأً نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِهِ ۞ وَقَمَعَ هَوَى نَفْسِهِ فَانَّ هَذِهِ النَّفْسَ أَبْعَدُ شَيْءٍ مَنْزَعًا وَانَّهَا لاَ تَزَالُ تَنْزِعُ إلَى مَعْصِيَةٍ فِي هَوًى ۞ وَاعلَمُوا عِبَادَ اللهِ أَنَّ المُؤْمِنَ لاَ يُمْسِى وَلاَ يُصْبِحُ الاَّ وَنَفْسُهُ ظَنُونٌ عِنْدَهُ ۞ فَلاَ يَزَالُ زَارِيًا عَلَيْهَا وَمُسْتَزِيدًا لَهَا فَكُونُوا كَالسَّابِقِينَ قَبْلَكُمْ وَالمَاضِينَ أَمَامَكُمْ قَوَّضُوا مِنَ الدُّنْيَا تَقْوِيضَ الرَّاحِلِ ۞ وَطَوَوْهَا طَيَّ المَنَازِلِ

(الشرح) اعذر اليكم أوضح عذره فى عقابكم اذا خالفتم أوامره والجلية اليقين وانما اعذر اليهم بذلك لانه مكنهم من العلم اليقينى بتوحيده وعدله وأوجب عليهم ذلك فى عقولهم فاذا تركوه ساغ له فى الحكمة تعذيبهم وعقوبتهم فكانه قد أبان لهم عذره ان لو قالوا لم تعاقبنا ومحابه من الاعمال هى الطاعات التى يحبها وحبه لها ارادة وقوعها من المكلفين ومكارهه من الاعمال القبائح التى يكرهها منهم وهذا الكلام حجة لاصحابنا على المجبرة والخبر الذى رواه عليه السلام مروى فى كتب المحدثين وهو قول رسول الله صلى الله عليه وآله حجبت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات ومن المحدثين من يرويه حفت فيهما وليس منهم من يرويه حجبت فى النار وذلك لان لفظ الحجاب انما يستعمل فيما يرام دخوله وولوجه لمكان النفع فيه ويقال حجب زيد عن مأدبة الامير ولا يقال حجب زيد عن الحبس ثم ذكر عليه السلام انه لا طاعة الا فى أمر تكرهه النفس ولا معصية الا بمواقعة أمر تحبه النفس وهذا حق لان الانسان ما لم يكن متردد الدواعى لا يصح التكليف وانما تتردد الدواعى اذا أمر بما فيه مشقة أو نهى عما فيه لذة ومنفعة فان قلت أليس قد أمر الانسان بالنكاح وهو لذة قلت ما فيه من ضرر الانفاق ومعالجة أخلاق النساء يربى على اللذة الحاصلة فيه مرارا ثم قال عليه السلام رحم الله امرأ نزع عن شهوته أى أقلع وقمع هوى نفسه أى قهره ثم قال فان هذه النفس أبعد شئ منزعا أى مذهبا قال أبو ذؤيب

والنفس راغبة اذا رغبتها ۞ واذا ترد الى قليل تقنع

ومن الكلام المروى عنه عليه السلام ويروى أيضا عن غيره أيها الناس ان هذه النفوس طلعة فلا تقدعوها تنزع بكم الى شر غاية وقال الشاعر

وما النفس الا حيث يجعلها الفتى ۞ فان أطمعت تاقت والا تسلت

ثم قال عليه السلام نفس المؤمن ظنون عنده الظنون البئر التى لايدرى أفيها ماء أم لا فالمؤمن من لايصبح ولايمسى الا وهو على حذر من نفسه معتقدا فيها التقصير والتضجيع فى الطاعة غير قاطع على صلاحها وسلامة عاقبتها وزاريا عليها عائبا زريت عليه عبت ثم أمرهم بالتأسى بمن كان قبلهم وهم الذين قوضوا من الدنيا خيامهم أى نقضوها وطووا أيام العمر كما يطوى المسافر منازل طريقه

(الاصل) وَاعلَمُوا أَنَّ هذَا القُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِى لايَغُشُّ وَالهادِى الَّذِي لايَضِلُّ وَالمُحَدِّثُ الَّذِى لايَكْذِبُ وَماجالَسَ هذَا القُرْآنَ أَحَدٌ الاَّ قامَ عَنْهُ بِزِيادَةٍ أَوْ نُقْصانٍ زِيادَةٍ فِي هُدًى وَنُقْصانٍ مِنْ عمًى وَاعلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ على أَحَدٍ بَعْدَ القُرْآنِ مِنْ فاقَةٍ ۞ وَلاَ لاَحَدٍ قَبْلَ القُرْآنِ مِنْ غِنًى فاستَشْفُوهُ مِنْ أَدْوائِكُمْ وَاستَعِينُوا بِهِ على لأْوائِكُمْ ۞ فَانَّ فِيهِ شِفاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ وَهُوَ الكُفْرُ وَالنِّفاقُ وَالغَيُّ وَالضَّلالُ فاسأَلُوا اللهَ بِهِ ۞ وَتَوَجَّهُوا اليهِ بِحُبِّهِ وَلاَ تَسأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ انَّهُ ماتَوَجَّهَ العِبادُ الَى اللهِ تَعالى بِمِثْلِهِ وَاعلَمُوا أَنَّهُ شافِعٌ وَمُشَفَّعٌ وَقائِلٌ مُصَدَّقٌ وَأَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ القُرْآنُ يَوْمَ القِيامَةِ صُدِّقَ عَلَيْهِ فانَّهُ يُنادِى مُنادٍ يَوْمَ القِيامَةِ شُفِّعَ فِيهِ ۞ وَمَنْ مَحَلَ بِهِ القُرْآنُ يَوْمَ القِيامَةِ صُدِّقَ عَلَيْهِ فانَّهُ يُنادِى مُنادٍ يَوْمَ القِيامَةِ (أَلاَ انَّ كُلَّ حارِثٍ مُبْتَلًى فِي حَرْثِهِ وَعاقِبَةِ عَمَلِهِ غَيْرَ حَرَثَةِ القُرْآنِ) فَكُونُوا مِنْ حَرَثَتِهِ وَأَتْباعِهِ وَاستَدِلُّوهُ على رَبِّكُمْ واستَنْصِحُوهُ على أَنْفُسِكُمْ وَاتَّهِمُوا عَلَيْهِ آراءَكُمْ ۞ واستَغِشُّوا فِيهِ أَهْواءَكُمْ

(الشرح) غشه يغشه بالضم غشا خلاف نصحه واللأواء الشدة وشفع له القرآن شفاعة بالفتح وهو مما يغلط فيه العامة فيكسرونه وكذلك شفعت كذا بكذا اتبعته مفتوح أيضا ومحل به الى السلطان قال عنه مايضره كانه جعل القرآن يمحل يوم القيامة عند الله بقوم أى يقول عنهم شرا ويشفع عند الله لقوم أى يثنى عليهم خيرا والحارث المكتسب والحرث الكسب وحرثة القرآن المتاجرون به الله واستنصحوه على أنفسكم أى اذا أشار عليكم بأمر وأشارت عليكم أنفسكم بأمر يخالفه فاقبلوا مشورة القرآن دون مشورة أنفسكم وكذلك معنى قوله واتهموا عليه آراءكم واستغشوا فيه أهواءكم ۞ واعلم ان هذا الفصل من أحسن ماورد فى تعظيم القرآن واجلاله وقد قال الناس فى هذا الباب فأكثروا ومن الكلام المروى عن أمير المؤمنين عليه السلام فى ذكر القرآن أيضا مارواه ابن قتيبة فى كتاب عيون الاخبار عنه عليه السلام أيضا وهو مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الاترجة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذى لايقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولاريح لها ومثل الفاجر الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل الفاجر الذى لايقرأ القرآن مثل الحنظلة طعمها مر وريحها منتنة وقال الحسن رحمه الله قرأ القرآن ثلاثة رجل اتخذه بضاعة فنقله من مصر الى مصر يطلب به ماعند الناس ورجل حفظ حروفه وضيع حدوده واستدر به الولاة واستطال به على أهل بلاده وقد كثر الله هذا الضرب من حملة القرآن لا كثرهم الله ورجل قرأ القرآن فبدأ بما يعلم من دواء القرآن فوضعه على داء قلبه فسهر ليله وانهملت عيناه وتسربل بالخشوع وارتدى بالحزن فبذاك وأمثاله يسقى الناس الغيث وينزل النصر ويدفع البلاء والله لهذا الضرب من حملة القرآن أعز وأقل من الكبريت الاحمر وفى الحديث المرفوع ان من تعظيم جلال الله اكرام ذى الشيبة فى الاسلام واكرام الامام العادل واكرام حملة القرآن وفى

الخبر المرفوع أيضا لاتسافروا بالقرآن الى أرض العدو فانى أخاف أن يناله العدو وكانت الصحابة تكره بيع المصاحف وتراه عظيما وكانوا يكرهون أن يأخذ المعلم على تعليم القرآن أجرا وكان ابن عباس يقول اذا وقعت فى آل حم وقعت فى روضات دمثات أتأنق فيهن وقال ابن مسعود لكل شئ ديباجة وديباجة القرآن آل حم قيل لابن عباس أيجوز أن يحلى المصحف بالذهب والفضة فقال حليته فى جوفه وقال النبي صلى الله عليه وآله أصفر البيوت جوف صفر من كتاب الله وقال الشعبى اياكم وتفسير القرآن فان الذى يفسره انما يحدث عن الله الحسن رحمه الله رحم الله امرأ عرض نفسه وعمله على كتاب الله فان وافق حمد الله وسأله الزيادة وان خالف أعتب وراجع من قريب حفظ عمر بن الخطاب سورة البقرة فنحر وأطعم وفد غالب بن صعصعة على على عليه السلام ومعه ابنه الفرزدق فقال له من أنت فقال غالب ابن صعصعة المجاشعى قال ذو الابل الكثيرة قال نعم قال مافعلت ابلك قال أذهبتها النوائب وأرهقتها الحقوق قال ذاك خير سبلها ثم قال ياأبا الاخطل من هذا الغلام معك قال ابنى وهو شاعر قال علمه القرآن فهو خير له من الشعر فكان ذلك فى نفس الفرزدق حتى قيد نفسه وآلى أن لايحل قيده حتى يحفظ القرآن فما حله حتى حفظه وذلك قوله

وماصب رجلى فى حديد مجاشع ۞ مع القد الاحاجة لى أريدها

قلت تحت قوله عليه السلام ياأبا الاخطل قبل أن يعلم أن ذلك الغلام ولده وانه شاعر رمز غامض ويكاد يكون اخبارا عن غيب فليلمح ۞ الفضيل بن عياض بلغنى أن صاحب القرآن اذا وقف على معصية خرج القرآن من جوفه فاعتزل ناحية وقال ألهذا حملتنى قلت وهذا القول على سبيل المثل والتخويف من مواقعة المعاصى لمن يحفظ القرآن أنس قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وآله يا ابن أم سليم لاتغفل عن قراءة القرآن صباحا ومساء فان القرآن يحيى القلب الميت وينهى عن الفحشاء والمنكر كان سفيان الثورى اذا دخل شهر رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن من المصحف كعب الاحبار قال الله تعالى لموسى عليه السلام مثل كتاب محمد صلى الله عليه وآله فى الكتب مثل سقاء فيه لبن كلما مخضته استخرجت منه زبدا أسلم الخواص كنت أقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة فقلت لنفسى يا أسلم اقرأ القرآن كانك تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله فجاءت حلاوة قليلة فقلت اقرأه كانك تسمعه من جبريل عليه السلام فازدادت الحلاوة فقلت اقرأه كانك تسمعه من الله عز وجل حين تكلم به فجاءت الحلاوة كلها بعض أرباب القلوب ان الناس يهمزون فى قراءة القرآن ماخلا المحبين فان لهم خان اشارات اذا مروا به تزلوا يريد آيات من القرآن يقفون عندها فيفكرون فيها فى الحديث المرفوع مامن شفيع من ملك ولانبى ولاغيرهما أفضل من القرآن وفى الحديث المرفوع أيضا من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أوتى أفضل مما أوتى فقد استصغر عظمة الله وجاء فى بعض الآثار ان الله تعالى خلق بعض القرآن قبل أن يخلق آدم وقرأه على الملائكة فقالوا طوبى لامة ينزل عليها هذا وطوبى لاجواف تحمل هذا وطوبى لالسنة تنطق بهذا وقال النبي صلى الله عليه وآله ان القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد قيل يارسول الله وما جلاؤها قال قراءة القرآن وذكر الموت وعنه عليه السلام ماأذن الله لشئ اذنه لنبى حسن الترنم بالقرآن وعنه عليه السلام ان ربكم لاشد أذنا الى قارئ القرآن من صاحب القينة الى قينته وعنه عليه السلام أنت تقرأ القرآن مانهاك فاذا لم ينهك فلست تقرأه ابن مسعود رحمه الله ينبغى لحامل القرآن أن يعرف بليله اذا الناس نائمون وبنهاره اذا الناس مفطرون وبحزنه اذا الناس يفرحون وببكائه اذا الناس يضحكون وبخشوعه اذا الناس يختالون وينبغى لحامل القرآن أن يكون سكيتا زميتا لينا ولاينبغى أن يكون جافيا ولا مماريا ولا صياحا ولا حديدا ولا صخابا بعض السلف ان العبد ليفتتح سورة فتصلى عليه حتى يفرغ منها وان العبد ليفتتح سورة فتلعنه حتى يفرغ منها قيل كيف ذاك قال اذا أحل حلالها وحرم حرامها صلت عليه والا لعنته ابن مسعود أنزل الله عليهم القرآن ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملا ان أحدهم ليقرأ القرآن من فاتحته الى خاتمته مايسقط منه حرفا وقد أسقط العمل به ابن عباس لأن أقرأ البقرة وآل عمران أرتلهما وأتدبرهما أحب الى من أن أقرأ القرآن كله هذرمة ثابت البنانى كابدت فى القرآن عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة

(الاصل) العَمَلَ العَمَلَ ثمَّ النِّهايَةَ النِّهايَةَ والاستِقامَةَ الاستِقامَةَ ثمَّ الصَّبْرَ الصَّبْرَ والوَرَعَ الوَرَعَ انَّ لَكُمْ نِهايَةً فانتَهُوا الى نِهايَتِكُمْ وَانَّ لَكُمْ عَلَماً فاهتَدُوا بِعَلَمِكُمْ * وانَّ للاسلامِ غايَةً فانتَهُوا الى غايَتِهِ وَاخرُجُوا الى اللهِ مِمَّا افتَرَضَ عَلَيكُمْ مِنْ حَقِّهِ * وَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ وَظائِفِهِ أنا شاهِدٌ لَكُمْ وَحَجيجٌ يَوْمَ القِيامَةِ عَنكُمْ ألاَ وَانَّ القَدَرَ السَّابِقَ قَدْ وَقَعَ والقَضاءَ الماضِيَ قَدْ تَوَرَّدَ * وانّي مُتَكَلِّمٌ بِعِدَةِ اللهِ وَحُجَّتِهِ قالَ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ (انَّ الَّذينَ قالُوا رَبُّنا اللهُ ثُمَّ استَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيهِمُ المَلائِكَةُ أنْ لاَ تَخافُوا ولاَ تَحزَنُوا وأبْشِرُوا بالجَنَّةِ الَّتي كُنتُمْ تُوعَدُونَ)وَقَدْ قُلتُمْ رَبُّنا اللهُ فاستَقيمُوا على كِتابِهِ وَعلى مِنهاجِ أمْرِهِ وعلى الطَّريقَةِ الصَّالِحَةِ مِنْ عِبادَتِهِ ثمَّ لاَ تَمرُقُوا مِنها ولاَ تَبتَدِعُوا فِيها وَلاَ تُخالِفُوا عَنها فانَّ أهْلَ المُرُوقِ مُنقَطَعٌ بِهِمْ عِندَ اللهِ يَوْمَ القِيامَةِ

(الشرح) النصب على الاغراء وحقيقته فعل مقدر أي الزموا العمل وكرر الاسم لينوب أحد اللفظين عن الفعل المقدر والاشبه أن يكون اللفظ الاول هو القائم مقام الفعل لانه في رتبته أمرهم بلزوم العمل ثم أمرهم بمراعاة العاقبة والخاتمة وعبر عنها بالنهاية وهي آخر أحوال المكلف التي يفارق الدنيا عليها اما مؤمنا أو كافرا أو فاسقا وافعل المقدر ههنا راعوا أو أحسنوا أو أصلحوا ونحو ذلك ثم أمرهم بالاستقامة وان يلزموها وهي أداء الفرائض ثم أمرهم بالصبر عليها وملازمته وبملازمة الورع ثم شرع بعد هذا الكلام المجمل في تفصيله فقال ان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم وهذا لفظ رسول الله صلى الله عليه وآله أيها الناس ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم وان لكم غاية فانتهوا الى غايتكم والمراد بالنهاية والغاية أن يموت الانسان على توبة من فعل القبيح والاخلال بالواجب ثم أمرهم بالاهتداء بالعلم المنصوب لهم وانما يعني نفسه عليه السلام ثم ذكر ان للاسلام غاية وأمرهم بالانتهاء اليها وهي أداء الواجبات واجتناب المقبحات ثم أوضح ذلك بقوله واخرجوا الى الله مما افترض عليكم من حقه وبين لكم من وظائفه فكشف بهذا الكلام معنى الغاية التي أجملها أولا ثم ذكر انه شاهد لهم ومحاج يوم القيامة عنهم وهذا اشارة الى قوله تعالى يوم ندعوا كل أناس بامامهم وحجيج فعيل بمعنى فاعل وانما سمى نفسه حجيجا عنهم وان لم يكن ذلك الموقف موقف محاجة لانه اذا شهد لهم فكأنه أثبت لهم الحجة فصار محاجا عنهم قوله عليه السلام الاوان القدر السابق قد وقع يشير به الى خلافته وهذه الخطبة من أوائل الخطب التي خطب بها أيام بويع بعد قتل عثمان وفي هذا اشارة الى أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد أخبره أن الامر سيفضي اليه منتهى عمره وعند انقضاء أجله ثم أخبرهم انه سيتكلم بوعد الله تعالى ومحجته على عباده في قوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الآية ومعنى الآية ان الله تعالى وعد الذين أقروا بالربوبية ولم يقتصروا على الاقرار بل عقبوا ذلك بالاستقامة أن ينزل عليهم الملائكة عند موتهم بالبشرى ولفظة ثم للتراخي والاستقامة مفضلة على الاقرار باللسان لان الشأن كله في الاستقامة ونحوها قوله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا أي ثم ثبتوا على الاقرار ومقتضياته والاستقامة ههنا هي الاستقامة الفعلية شافعة للاستقامة القولية وقد اختلف فيه قول أمير المؤمنين عليه السلام وأبي بكر فقال أمير المؤمنين عليه السلام أدوا الفرائض وقال أبو بكر استمروا على التوحيد وروى أن أبا بكر تلاها وقال ما تقولون فيها فقالوا لم يذنبوا فقال حملتم الامر على أشده فقالوا فقل قال لم يرجعوا الى عبادة الاوثان ورأى أبي بكر في هذا الموضع ان ثبت عنه يؤكد مذهب الارجاء وقول أمير المؤمنين عليه السلام يؤكد مذهب أصحابنا

وروى سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول الله أخبرني بأمر اعتصم به فقال قل لا اله الا الله ثم استقم فقلت ما أخوف ما تخافه علي فقال هذا وأخذ بلسان نفسه صلى الله عليه وآله وتتنزل عليهم الملائكة عند الموت أو في القبر أو عند النشور وان لا تخافوا أن بمعنى أي أو تكون خفيفة من الثقيلة وأصله انه لا تخافوا والهاء ضمير الشأن وقد فسر أمير المؤمنين الاستقامة المشترطة في الآية فقال قد أقررتم بان الله ربكم فاستقيموا على كتابه وعلى منهاج أمره وعلى الطريقة الصالحة من عبادته ثم لا تمرقوا منها مروق السهم اذا خرج من الرمية مروقا ولا تبتدعوا لا تحدثوا ما لم يأت به الكتاب والسنة ولا تخالفوا عنها تقول خالفت عن الطريق أي عدلت عنها قال فان أهل المروق منقطع بهم بفتح الطاء انقطع بزيد بضم الهمزة فهو منقطع به اذا لم يجد بلاغا ووصولا الى المقصد

(الاصل) ثُمَّ إيَّاكُمْ وَتَهزِيعَ الأخلاقِ وَتَصريفَها * واجعَلُوا اللِّسانَ واحِداً وَليَخزُنِ الرَّجُلُ لِسانَهُ * فانَّ هذا اللِّسانَ جَمُوحٌ بِصاحِبِهِ * وَاللهِ ما أرَى عَبداً يَتَّقي تَقوَى تَنفَعُهُ حتَّى يَخزُنَ لِسانَهُ وَإنَّ لِسانَ المُؤمِنِ مِنْ وَراءِ قَلبِهِ * وَإنَّ قَلبَ المُنافِقِ مِنْ وَراءِ لِسانِهِ * لِأنَّ المُؤمِنَ إذا أرادَ أنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلامٍ تَدَبَّرَهُ في نَفسِهِ فانْ كانَ خَيراً أبداهُ وَإنْ كانَ شَرًّا وَاراهُ وَإنَّ المُنافِقَ يَتَكَلَّمُ بِما أتَى على لِسانِهِ لاَ يَدرِي ماذا لَهُ وَماذا عَلَيهِ وَلَقَدْ قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ (لاَ يَستَقيمُ إيمانُ عَبدٍ حتَّى يَستَقيمَ قَلبُهُ * وَلاَ يَستَقيمُ قَلبُهُ حتَّى يَستَقيمَ لِسانُهُ) فَمَنِ استَطاعَ مِنكُمْ أنْ يَلقَى اللهَ سُبحانَهُ وَهُوَ نَقِيُّ الرَّاحَةِ مِنْ دِماءِ المُسلِمينَ وَأموالِهِمْ سَليمُ اللِّسانِ مِنْ أعراضِهِمْ فَليَفعَلْ

(الشرح) تهزيع الاخلاق تغييرها وأصل الهزع الكسر أسد مهزع يكسر الاعناق ويرض العظام ولما كان المتصرف بخلقه الناقل له من حال قد أعدم سيمته الاولى كما يعدم الكاسر صورة المكسور اشتركا في مسمى شامل لهما فاستعمل التهزيع في الخلق للتغيير والتبديل مجازا قوله واجعلوا اللسان واحدا نهي عن النفاق واستعمال الوجهين قال وليخزن الرجل لسانه أي ليحبسه فان اللسان يجمح بصاحبه فيلقيه في الهلكة ثم ذكر انه لا يرى التقوى نافعة الا مع حبس اللسان قال فان لسان المؤمن وراء قلبه وقلب الاحمق وراء لسانه وشرح ذلك وبينه فان قلت المسموع المعروف لسان العاقل من وراء قلبه وقلب الاحمق وراء لسانه كيف نقله الى المؤمن والمنافق قلت لانه قل أن يكون المنافق الا أحمق وقل أن يكون العاقل الا مؤمنا فلا كثرية ذلك استعمل لفظ المؤمن وأراد العاقل ولفظ المنافق وأراد الاحمق ثم روى الخبر المذكور عن النبي صلى الله عليه وآله وهو مشهور ثم أمرهم بالاجتهاد في أن يلقوا الله تعالى وكل منهم نقي الراحة من دماء المسلمين وأموالهم سليم اللسان من أعراضهم وقد قال النبي صلى الله عليه وآله انما المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده فسلامتهم من لسانه سلامة أعراضهم وسلامتهم من يده سلامة دمائهم وأموالهم وانتصاب تهزيع على التحذير وحقيقته تقدير فعل وصورته جنبوا أنفسكم تهزيع الاخلاق فاياكم قائم مقام أنفسكم والواو عوض عن الفعل المقدر وأكثر ما يجيء بالواو وقد جاء بغير واو في قول الشاعر

فاياك اياك المراء فانه * الى الشر دعاء وللشر جالب

وكان يقال ينبغي للعاقل أن يتمسك بست خصال فانها من المروءة أن يحفظ دينه ويصون عرضه ويصل رحمه ويحمي جاره ويرعى حقوق اخوانه ويخزن عن البذاء لسانه وفي الخبر المرفوع من كفي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه دخل الجنة فالقبقب البطن والذبذب الفرج واللقلق اللسان وقال بعض الحكماء من علم ان لسانه جارحة من جوارحه أقل من

اعنما لها واستقبح تحريكها كما يستقبح تحريك رأسه أو منكبه دائما

(الاصل) واعلموا عباد الله أن المؤمن يستحل العام ما استحل عاما أول ويحرم العام ما حرم عاما أول وأن ما أحدث الناس لا يحل لكم شيئا مما حرم عليكم * ولكن الحلال ما أحل الله والحرام ما حرم الله فقد جربتم الأمور وضرستموها * ووعظتم بمن كان قبلكم وضربت لكم الأمثال ودعيتم الى الامر الواضح فلا يصم عن ذلك الا أصم ولا يعمى عنه الا أعمى ومن لم ينفعه الله بالبلاء والتجارب لم ينتفع بشيء من العظة وأتاه التقصير من أمامه * حتى يعرف ما أنكر وينكر ما عرف فان الناس رجلان متبع شرعة ومبتدع بدعة ليس معه من الله سبحانه برهان سنة ولا ضياء حجة

(الشرح) يقول ان الاحكام الشرعية لا تجوز بعد ثبوت الادلة عليها من طريق النص أن تنقض باجتهاد وقياس بل كل ما ورد به النص تتبع مورد النص فيه فما استحللته عاما أول فهو في هذا العام حلال لك وكذلك القول في التحريم وهذا هو مذهب أكثر أصحابنا أن النص مقدم على القياس وقد ذكرناه في كتبنا في أصول الفقه وأول ههنا لا ينصرف لانه صفة على وزن أفعل قال ان ما أحدث الناس لا يحل لكم شيئا مما حرم عليكم أي ما أحدثوه من القياس والاجتهاد وليس هذا بقادح في القياس ولكنه مانع من تقديمه على النص وهكذا يقول أصحابنا قوله وضرستموها بالتشديد أي أحكمتموها تجربة وممارسة يقال قد ضرسته الحرب ورجل مضرس قوله فلا يصم عن ذلك الا أصم أي لا يصم عنه الا من هو حقيق أن يقال عنه انه أصم كما تقول ما يجهل هذا الامر الا جاهل أي بالغ في الجهل ثم قال من لم ينفعه الله بالبلاء أي بالامتحان والتجربة لم تنفعه المواعظ وجاءه النقص من بين يديه حتى يتخيل فيما أنكره انه قد عرفه وينكر ما قد كان عارفا به وسمى اعتقاد العرفان وتخيله عرفانا على المجاز ثم قسم الناس الى رجلين اما متبع طريقة ومنهاجا أو مبتدع ما لا يعرف وليس بيده حجة فالاول المحق والثاني المبطل والشرعة المنهاج والبرهان الحجة

(الاصل) فان الله سبحانه لم يعظ أحدا بمثل هذا القرآن فانه حبل الله المتين وسببه الأمين وفيه ربيع القلب وينابيع العلم وما للقلب جلاء غيره مع أنه قد ذهب المتذكرون وبقي الناسون أو المتناسون فاذا رأيتم خيرا فاعينوا عليه * واذا رأيتم شرا فاذهبوا عنه فان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول يا ابن آدم اعمل الخير ودع الشر فاذا أنت جواد قاصد

(الشرح) انما جعله حبل الله لان الحبل ينجو من يعلق به من هوة والقرآن ينجو من الضلال من يتعلق به وجعله متينا أي قويا لانه لا انقطاع له أبدا وهذه غاية المتانة والقوة ومتن الشيء بالضم أي صلب وقوي وسببه الامين مثل حبله المتين وانما خالف بين اللفظين على قاعدة الخطابة وفيه ربيع القلب يحيا به كما تحيا الانعام برعي الربيع وينابيع العلم لان العلم منه يتفرع كما يخرج الماء من الينبوع ويتفرع الى الجداول والجلاء بالكسر مصدر جلوت السيف يقول لا جلاء لصدأ القلوب من الشبهات والغفلات الا القرآن ثم قال ان المتذكرين قد ذهبوا وماتوا وبقي الناسون الذين

لا علوم لهم أو المتناسون الذين عندهم العلوم ويتكلفون اظهار الجهل لاغراض دنيوية تعرض لهم وروي والمتناسون بالواو ثم قال أعينوا على الخير اذا رأيتموه بتحسينه عند فاعله وبدفع الامور المانعة عنه وبتسهيل اسبابه وتسنية سبله واذا رأيتم الشر فاذهبوا عنه لا تقاربوه ولا تقيموا أنفسكم في مقام الراضي به الموافق على فعله ثم روى لهم الخبر والجواد القاصد السهل السير لا سريع يتعب بسرعته ولا بطيء يفوت الغرض ببطئه

(الاصل) ألا وان الظلم ثلاثة فظلم لا يغفر وظلم لا يترك وظلم مغفور لا يطلب فاما الظلم الذي لا يغفر فالشرك بالله قال الله سبحانه (ان الله لا يغفر أن يشرك به) وأما الظلم الذي يغفر فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات * وأما الظلم الذي لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضا القصاص هناك شديد ليس هو جرحا بالمدى * ولا ضربا بالسياط ولكنه ما يستصغر ذلك معه * فاياكم والتلون في دين الله فان جماعة فيما تكرهون من الحق خير من فرقة فيما تحبون من الباطل وان الله سبحانه لم يعط أحدا بفرقة خيرا ممن مضى ولا ممن بقي يا أيها الناس طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وطوبى لمن لزم بيته وأكل قوته واشتغل بطاعة ربه وبكى على خطيئته * فكان من نفسه في شغل والناس منه في راحة

(الشرح) قسم عليه السلام الظلم ثلاثة أقسام أحدها ظلم لا يغفر وهو الشرك بالله أي أن يموت الانسان مصرا على الشرك ويجب عند أصحابنا أن يكون أراد الكبائر وان لم يذكره لان حكمها حكم الشرك عندهم وثانيها الهنات المغفورة وهي صغائر الذنوب هكذا يفسر أصحابنا كلامه عليه السلام وثالثها ما يتعلق بحقوق البشر بعضهم على بعض فان ذلك لا يتركه الله هملا بل لا بد من عقاب فاعله وانما أفرد هذا القسم مع دخوله في القسم الاول لتميزه بكونه متعلقا بحقوق بني آدم بعضهم على بعض وليس الاول كذلك فان قلت لفظه عليه السلام مطابق للآية وهي قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء والآية ولفظه عليه السلام صريحان في مذهب المرجئة لانكم اذا فسرتم قوله لمن يشاء بان المراد به أرباب التوبة قيل لكم فالمشركون هكذا حالهم يقبل توبتهم ويسقط عقاب شركهم بها فلأي معنى خصص المشيئة بالقسم الثاني وهو ما دون الشرك وهل هذا الا تصريح بان الشرك لا يغفر لمن مات عليه وما دونه من المعاصي اذا مات الانسان عليه لا يقطع له بالعقاب ولا لغيره بل أمره الى الله قلت الاصوب في هذا الموضع أن لا يجعل قوله لمن يشاء معنيا به التائبون بل نقول المراد ان الله لا يستر في موقف القيامة من مات مشركا بل يفضحه على رؤس الاشهاد كما قال تعالى ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم وأما من مات على كبيرة من أهل الاسلام فان الله تعالى يستره في الموقف ولا يفضحه بين الخلائق وان كان من أهل النار ويكون معنى المغفرة في هذه الآية الستر وتغطية حال العاصي في موقف الحشر وقد يكون من أهل الكبائر ممن يقر بالاسلام لعظيم كبائره جدا فيفضحه الله تعالى في الموقف كما يفضح المشرك فهذا معنى قوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فاما الكلام المطول في تأويلات هذه الآية فمذكور في كتبنا الكلامية واعلم انه لا تعلق للمرجئة ولا جدوى عليهم من عموم لفظ الآية لانهم قد وافقونا على ان الفاسق غير مغفور له وليس بمشرك فاذا أرادوا بقوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ومن جرى مجرى المشركين قيل لهم ونحن نقول ان الزاني والقاتل يجريان مجرى المشركين كما أجريتم الفلاسفة مجرى المشركين فلا تنكروا علينا ما لم تنكروه على أنفسكم ثم ذكر عليه السلام ان القصاص في الآخرة شديد ليس كما يعهده الناس من عقاب الدنيا الذي هو ضرب السوط وغايته أن يذوق الانسان طعم الحديد وهو معنى قوله جرحا بالمدى جمع مدية وهي السكين بل هو

شئ آخر عظيم لا يعبر النطق عن كنهه وشدة نكاله وألمه قال الاوزاعى فى مواعظه للمنصور روى لى عن رسول الله صلى الله عليه وآله لو أن ثوبا من ثياب أهل النار علق بين السماء والارض لاحرق أهل الارض قاطبة فكيف بمن يتقمصه ولو أن ذنوبا من حميم جهنم صب على ماء الارض كله لاجنه حتى لا يستطيع مخلوق شربه فكيف بمن يتجرعه ولو أن حلقة من سلاسل النار وضعت على جبل لذاب كما يذوب الرصاص فكيف بمن يسلك فيها ويرد فضلها على عاتقه وروى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله لو كان فى هذا المسجد مائة ألف أو يزيدون وأخرج اليهم رجل من النار فتنفس وأصابهم نفسه لاحرق المسجد ومن فيه وروى أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لجبريل مالى لا أرى ميكائيل ضاحكا قال ان ميكائيل لم يضحك منذ خلقت النار ورآها وعنه صلى الله عليه وآله لما أسرى بى سمعت هدة فسألت جبريل عنها فقال حجر أرسله الله من شفير جهنم فهو يهوى منذ سبعين خريفا حتى بلغ الآن فيه وروى عن النبى صلى الله عليه وآله فى قوله تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون قال تتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفته السفلى حتى تضرب سرته وروى عبيد بن عمير الليثى عنه عليه السلام لتزفرن جهنم زفرة لا يبقى ملك ولا نبى الا خر ترعد فرائصه حتى ان ابراهيم الخليل ليجثو على ركبتيه فيقول يارب انى لا أسألك الا نفسى أبو سعيد الخدرى مرفوعا لو ضربت جبال الدنيا بمقمع من تلك المقامع الحديد لصارت غبارا الحسن البصرى قال الاغلال لم تجعل فى أعناق أهل النار لانهم أعجزوا الرب ولكن اذا أصابهم اللهب أرسبتهم فى النار ثم خر الحسن صعقا وقال ودموعه تتحادر يا ابن آدم نفسك نفسك فانما هى نفس واحدة ان نجت نجوت وان هلكت لم ينفعك من نجا طاوس أيها الناس ان النار لما خلقت طارت أفئدة الملائكة فلما خلقتم سكنت مطرف بن الشخير انكم لتذكرون الجنة وان ذكر النار قد حال بينى وبين ان أسأل الله الجنة منصور بن عمار يامن البعوضة تقلقه والبقة تسهره أمثلك يقوى على وهج السعير أو تطيق صفحة خده لفح سمومها ورقة أحشائه خشونة ضريعها ورطوبة كبده تجرع غساقها قيل لعطاء السلمى أيسرك أن يقال لك قع فى جهنم فتحرق فتذهب فلا تبعث أبدا لا اليها ولا الى غيرها فقال والله الذى لا اله الا هو لو سمعت أن يقال لى ذلك لظننت أنى أموت فرحا قبل أن يقال لى ذلك الحسن والله ما يقدر العباد قدر حرها روينا لو أن رجلا كان بالمشرق وجهنم بالمغرب ثم كشف عن غطاء واحد منها لغلت جمجمته ولو أن دلوا من صديدها صب فى الارض ما بقى على وجهها شئ فيه روح الا مات كان الاحنف يصلى صلاة الليل ويضع المصباح قريبا منه فيضع أصبعه عليه ويقول يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا حتى يصبح ثم نهاهم عليه السلام عن التفرق فى دين الله وهو الاختلاف والفرقة ثم أمرهم باجتماع الكلمة وقال ان الجماعة فى الحق المكروه اليكم خير لكم من الفرقة فى الباطل المحبوب عندكم فان الله لم يعط أحدا خيرا بالفرقة لا ممن مضى ولا ممن بقى وقد تقدم ذكر ما ورد عن النبى صلى الله عليه وآله فى الامر بلزوم الجماعة والنهى عن الاختلاف والفرقة ثم أمر عليه السلام بالعزلة ولزوم البيت والاشتغال بالعبادة ومجانبة الناس ومتاركتهم واشتغال الانسان بعيب نفسه عن عيوبهم وقد ورد فى العزلة أخبار وآثار كثيرة واختلف الناس قديما وحديثا فيها ففضلها قوم على المخالطة وفضل قوم المخالطة عليها ممن فضل العزلة سفيان الثورى وابراهيم بن أدهم وداود الطائى والفضيل بن عياض وسليمان الخواص ويوسف بن أسباط وبشر الحافى وحذيفة المرعشى وجمع كثير من الصوفية وهو مذهب أكثر العارفين وقول المتألهين من الفلاسفة وممن فضل المخالطة على العزلة ابن المسيب والشعبى وابن أبى ليلى وهشام بن عروة وابن شبرمة والقاضى شريح وشريك بن عبد الله وابن عيينة وابن المبارك فاما كلام أمير المؤمنين عليه السلام فيقتضى عند امعان النظر فيه ان العزلة خير لقوم وان المخالطة خير لقوم آخرين على حسب أحوال الناس واختلافهم وقد احتج أرباب المخالطة بقول الله تعالى وألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وبقوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا وهذا ضعيف لان المراد بالآية تفرق الآراء واختلاف المذاهب فى أصول الدين والمراد بتأليف القلوب وبالاخوة عدم الاحن والاحقاد بينهم بعد استعار نارها فى الجاهلية وهذا أمر خارج عن

حديث العزلة واحتجوا بقول النبى صلى الله عليه وآله المؤمن ألف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وهذا أيضا ضعيف لان المراد منه ذم سوء الخلق والامر بالرفق والبشر فلا يدخل تحته الانسان الحسن الخلق الذى لو خولط لالف وألف وانما يعدمه من المخالطة طلب السلامة من الناس واحتجوا بقوله من شق عصا المسلمين فقد خلع ربقة الاسلام عن عنقه وهذا ضعيف أيضا لانه مختص بالبغاة والمارقين عن طاعة الامام فلا يتناول أهل العزلة الذين هم أهل طاعة للائمة الا أنهم لا يخالطون الناس واحتجوا بنهيه صلى الله عليه وآله عن هجر الانسان أخاه فوق ثلاث وهذا ضعيف لان المراد منه النهى عن الغضب واللجاج وقطع الكلام والسلام لثوران الغيظ فهذا أمر خارج عن الباب الذى نحن فيه واحتجوا بان رجلا أتى جبلا يعبد فيه فجاء أهله الى رسول الله صلى الله عليه وآله فنهاه وقال له ان صبر المسلم فى بعض مواطن الجهاد يوما واحدا خير له من عبادة أربعين سنة وهذا ضعيف لانه انما كان ذلك فى ابتداء الاسلام والحث على جهاد المشركين واحتجوا بما روى عنه صلى الله عليه وآله انه قال الشيطان ذئب والناس كالغنم يأخذ القاصية والشاذة اياكم والشعاب وعليكم بالعامة والجماعة والمساجد وهذا ضعيف لان المراد به من اعتزل الجماعة وخالفها واحتج من رجح العزلة وآثرها على المخالطة بالآثار الكثيرة الواردة فى ذلك نحو قول عمر خذوا بحظكم من العزلة وقول ابن سيرين العزلة عبادة وقول الفضيل كفى بالله محبوبا وبالقرآن مؤنسا وبالموت واعظا اتخذ الله صاحبا ودع الناس جانبا وقال ابن الربيع الزاهد لداود الطائى عظنى فقال صم عن الدنيا واجعل فطرك للآخرة وفر من الناس فرارك من الاسد وقال الحسن كلمات أحفظهن من التوراة قنع ابن آدم فاستغنى اعتزل الناس فسلم ترك الشهوات فصار حرا ترك الحسد فظهرت مروءته صبر قليلا فتمتع طويلا وقال وهيب بن الورد بلغنا ان الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها فى الصمت والعاشر فى العزلة عن الناس وقال يوسف بن مسلم لعلى بن بكار ما أصبرك على الوحدة وكان قد لزم البيت فقال كنت وأنا شاب أصبر على أشد من هذا كنت أجالس الناس ولا أكلمهم وقال الثورى هذا وقت السكوت وملازمة البيوت وقال بعضهم كنت فى سفينة ومعنا شاب علوى فمكث معنا سبعا لا نسمع له كلاما فقلنا له قد جمعنا الله واياك منذ سبع ولا نراك تخالطنا ولا تكلمنا فانشد

قليل الهم لا ولد يموت ✱ وليس يخاف أمرا يفوت
قضى وطر الصبا وأفاد علما ✱ فغايته التفرد والسكوت
وأكبر همه مما عليه ✱ سيان من يرى خلعا وقوت

قال النخعى لصاحب له تفقه ثم اعتزل وكان مالك بن أنس الفقيه يشهد الجنائز ويعود المرضى ويعطى الاخوان حقوقهم ثم ترك واحدا واحدا من ذلك الى أن ترك الجميع وقال ليس يتهيأ للانسان أن يخبر بكل عذر له وقيل لعمر بن عبد العزيز لو تفرغت لنا فقال ذهب الفراغ فلا فراغ الا عند الله تعالى وقال الفضيل بن عياض انى لاجد للرجل عندى يدا اذا لقينى ان لا يسلم على واذا مرضت أن لا يعودنى وقال الدارانى بينا ابن خثيم جالسا على باب داره اذ جاء حجر فصك وجهه فسجد وجعل يمسح الدم ويقول لقد وعظت يار بيع ثم قام فدخل الدار فما جلس بعد ذلك على بابه حتى مات وكان سعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد قد لزما بيوتهما بالعقيق فلم يكونا يأتيان المدينة لا لحاجة لهما ولا لغيرهما حتى ماتا بالعقيق قال بشر أقلل من معرفة الناس فانك لا تدرى ما تكون يوم القيامة فان تكن فضيحة كان من يعرفك أقل وأحضر بعض الامراء حاتما الاصم فكلمه ثم قال له ألك حاجة قال نعم ان لا ترانى ولا أراك وقيل للفضيل ان ابنك يقول لوددت انى فى مكان أرى الناس ولا يرونى فبكى الفضيل وقال ياويح على ألا أتمها فقال ولا أراهم ومن كلام الفضيل أيضا من سخافة عقل الرجل كثرة معارفه وقد جاء فى الأحاديث المرفوعة ذكر العزلة وفضلها نحو قوله عليه السلام لعبد الله بن عامر الجهنى لما سأله عن طريق النجاة فقال له ليسعك بيتك أمسك عليك دينك وابك على خطيئتك وقيل له صلى الله عليه وآله أى الناس أفضل فقال رجل معتزل فى شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره وقال عليه السلام ان الله يحب التقى الخفى وفى العزلة فوائد

منها الفراغ للعبادة والذكر والاستئناس بمناجاة الله عن مناجاة الخلق فيتفرغ لاستكشاف أسرار الله تعالى فى أمر الدنيا والآخرة وملكوت السموات والارض لان ذلك لا يمكن الا بفراغ ولا فراغ مع المخالطة ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله فى ابتداء أمره يتبتل فى جبل حراء و يعتزل فيه حتى أتته النبوة وقيل لبعض الحكماء ما الذى أرادوا بالخلوة والعزلة فقال دوام الفكر وثبات العلوم فى قلوبهم ليحيوا حياة طيبة و يموتوا موتا طيبا وقيل لبعضهم ما أصبرك على الوحدة فقال لست وحدى أنا جليس ربى اذا شئت أن يناجينى قرأت كتابه واذا شئت أن أناجيه صليت وقال سفيان بن عيينة لقيت ابراهيم بن أدهم فى بلاد الشام فقلت له يا ابراهيم تركت خراسان فقال ما تهنأت بالعيش الا ههنا أفر بدينى من شاهق الى شاهق فمن رآنى قال موسوس أو حمال وقيل للحسن يا أبا سعيد ههنا رجل لم نره قط جالسا الا وحده خلف سارية فقال الحسن اذا رأيتموه فاخبرونى فنظروا اليه ذات يوم فقالوا للحسن وأشاروا اليه فمضى نحوه وقال له يا عبد الله لقد حببت اليك العزلة فما يمنعك من مجالسة الناس قال أمر شغلنى عنهم قال فما يمنعك أن تأتى هذا الرجل الذى يقال له الحسن فتجلس اليه قال أمر شغلنى عن الناس وعن الحسن قال وما ذلك الشغل يرحمك الله قال انى أمسى وأصبح بين نعمة وذنب فأشغل نفسى بشكر الله على نعمه والاستغفار من الذنب فقال الحسن أنت أفقه عندى يا عبد الله من الحسن فالزم ما أنت عليه وجاء هرم بن حيان الى أويس فقال له ما جاء بك قال جئت لآنس بك قال ما كنت أعرف أحدا يعرف ربه فيأنس بغيره وقال الفضيل اذا رأيت الليل مقبلا فرحت به وقلت أخلو بربى واذا رأيت الصبح أدركنى استرجعت كراهية لقاء الناس وأن يجىء الى من يشغلنى عن ربى وقال مالك بن دينار من لم يأنس بمحادثة الله عن محادثة المخلوقين فقد قل علمه وعمى قلبه وضاع عمره وقال بعض الصالحين بينا أنا أسير فى بعض بلاد الشام اذا أنا بعابد خارج من بعض تلك الجبال فلما نظر الى تنحى الى أصل شجرة وتستر بها فقلت سبحان الله أتبخل على بالنظر اليك فقال يا هذا انى أقمت فى هذا الجبل دهرا طويلا أعالج قلبى فى الصبر عن الدنيا وأهلها فطال فى ذلك تعبى وفنى عمرى ثم سألت الله تعالى أن لا يجعل حظى من أيامى فى مجاهدة قلبى فقط فسكنه الله عن الاضطراب وألفه الوحدة والانفراد فلما نظرت اليك و ردتنى خفت أن أقع فى الامر الاول فأعود الى الف المخلوقين فاليك عنى فانى أعوذ من شرك برب العارفين وحبيب التائبين ثم صاح واغماه من طول المكث فى الدنيا ثم حول وجهه عنى ثم نفض يده وقال اليك عنى يا دنيا لغيرى فتزينى وأهلك فغرى ثم قال سبحان من أذاق العارفين من لذة الخدمة وحلاوة الانقطاع اليه ما ألهى قلوبهم عن ذكر الجنان والحور الحسان فانى فى الخلوة آنس بذكر الله واستلذ بالانقطاع الى الله ثم أنشد

وانى لاستغشى ومابى نعسة ۞ لعل خيالا منك يلقى خياليا
وأخرج من بين البيوت لعلنى ۞ أحدث عنك النفس فى السر خاليا

وقال بعض العلماء انما يستوحش الانسان من نفسه لخلو ذاته عن الفضيلة فيتكثر حينئذ بملاقاة الناس و يطرد الوحشة عن نفسه بهم فاذا كانت ذاته فاضلة طلب الوحدة ليستعين بها على الفكرة و يستخرج العلم والحكمة وكان يقال الاستئناس بالناس من علامات الافلاس ومنها التخلص بالعزلة عن المعاصى التى يتعرض الانسان لها غالبا بالمخالطة وهى الغيبة والرياء وترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ومسرقة الطبع بعض الاخلاق الرديئة والاعمال الخبيثة من الغير أما الغيبة فان التحرز منها مع مخالطة الناس صعب شديد لا ينجو من ذلك الا الصديقون فان عادة أكثر الناس التمضمض باعراض من يعرفونه والتنقل بلذة ذلك فهى أنسهم الذى يستريحون اليه فى الخلوة والمفاوضة فان خالطتهم ووافقتهم أثمت وان سكت كنت شريكا فالمستمع أحد المغتابين وان أنكرت تركوا ذلك المغتاب واغتابوك فازدادوا اثما على اثمهم فأما الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فان من خالط الناس لا يخلو عن مشاهدة المنكرات فان سكت عصى الله وان أنكر تعرض بأنواع من الضرر وفى العزلة خلاص عن ذلك وفى الامر بالمعروف اثارة للخصام وتحريك لكوامن ما فى الصدور وقال الشاعر

وكم سقت فى آثاركم من نصيحة ۞ وقد يستفيد الظنة المتنصح

ومن تجرد للامر بالمعروف ندم عليه فى الاكثر كجدار مائل يريد الانسان أن يقيمه وحده فيوشك أن يقع عليه فاذا سقط قال يا ليتنى تركته مائلا نعم لو وجد الاعوان حتى يحكم ذلك الحائط و يدعمه استقام ولكنك لا تجد القوم أعوانا على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فدع الناس وانج بنفسك وأما الرياء فلا شبهة ان من خالط الناس داراهم ومن داراهم راياهم ومن راياهم كان منافقا وأنت تعلم انك اذا خالطت متعاديين ولم تلق كل واحد منهما بوجه يوافقه صرت بغيضا اليهما جميعا وان جاملتهما كنت من شرار الناس وصرت ذا وجهين وأقل ما يجب فى مخالطة الناس اظهار الشوق والمبالغة فيه وليس يخلو ذلك عن كذب اما فى الاصل واما فى الزيادة باظهار الشفقة بالسؤال عن الاحوال فقولك كيف أنت وكيف أهلك وأنت فى الباطن فارغ القلب عن همومه نفاق محض قال سرى السقطى لو دخل على أخ فسويت لحيتى بيدى لدخوله خشيت أن أكتب فى جريدة المنافقين كان الفضيل جالسا وحده فى المسجد فجاء اليه أخ له فقال ما جاء بك قال المؤانسة قال هى والله بالمواحشة أشبه هل تريد الا أن تتزين لى وأتزين لك وتكذب لى وأكذب لك اما أن تقوم عنى واما أن أقوم عنك وقال بعض العلماء ما أحب الله عبدا الا أحب أن لا يشعر به خلقه ودخل طاوس على هشام بن عبد الملك فقال كيف أنت يا هشام فغضب وقال لم لم تخاطبنى بامرة المؤمنين قال لان جميع الناس ما اتفقوا على خلافتك فخشيت أن أكون كاذبا فمن أمكنه أن يحترز هذا الاحتراز فليخالط الناس والا فليرض باثبات اسمه فى جريدة المنافقين ان خالطهم ولا نجاة من ذلك الا بالعزلة وأما مسرقة الطبع من الغير فالتجربة تشهد بذلك لان من خالط الاشرار اكتسب من شرهم وكلما طالت صحبة الانسان لاصحاب الكبائر هانت الكبائر عنده وفى المثل فان القرين بالمقارن يقتدى ۞ ومنها الخلاص من الفتن والحروب بين الملوك والامراء على الدنيا روى أبو سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال يوشك أن يكون خير مال المسلم غنيمات يتتبع بها شعاف الجبال ومواضع القطر يفر بدينه من الفتن وروى عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وآله ذكر الفتن فقال اذا رأيت الناس قد مرجت عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا وشبك بأصابعه فقلت ما تأمرنى فقال الزم بيتك وأملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بأمر الخاصة ودع عنك أمر العامة وروى ابن مسعود عنه صلى الله عليه وآله أنه قال سيأتى على الناس زمان لا يسلم لذى دين دينه الا من فر من قرية الى قرية ومن شاهق الى شاهق كالثعلب الرواغ قيل ومتى ذلك يا رسول الله قال اذا لم تنل المعيشة الا بمعاصى الله سبحانه فاذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يد أبويه فان لم يكن له أبوان فعلى يد زوجته وولده وان لم يكن فعلى يد قرابته قالوا كيف ذلك يا رسول الله قال يعيرونه بالفقر وضيق اليد فيكلفونه ما لا يطيقه حتى يورده ذلك موارد الهلكة وروى ابن مسعود أيضا أنه صلى الله عليه وآله ذكر الفتنة فقال الهرج فقلت وما الهرج يا رسول الله قال حين لا يأمن المرء جليسه قلت فبم تأمرنى يا رسول الله ان أدركت ذلك الزمان قال كف نفسك و يدك وادخل دارك قلت أرأيت ان دخل على دارى قال ادخل بيتك قلت ان دخل على البيت قال ادخل مسجدك واصنع هكذا وقبض على الكوع وقل ربى الله حتى تموت ومنها الخلاص من شر الناس فانهم يؤذونك تارة بالغيبة وتارة بسوء الظن والتهمة وتارة بالاقتراحات والاطماع الكاذبة التى يعسر الوفاء بها وتارة بالنميمة والكذب بما يرونه منك من الاعمال والاقوال بما لا تبلغ عقولهم كنهه فيدخرون ذلك فى نفوسهم عدة لوقت ينتهزون فيه فرصة الشر ومن يعتزلهم يستغن عن التحفظ لذلك وقال بعض الحكماء لصاحبه أعلمك شعرا هو خير لك من عشرة آلاف درهم وهو

اخفض الصوت ان نطقت بليل ۞ والتفت بالنهار قبل المقال
ليس للقول رجعة حين يبدو ۞ بقبيح يكون أو بجمال

ومن خالط الناس لا ينفك من حاسد وطاعن ومن جرب ذلك عرف ومن الكلام المأثور عن على عليه السلام اخبر تقله قال الشاعر

من جد الناس ولم يبلهم * ثم بلاهم ذم من يحمد
وصار بالوحدة مستأنسا * يوحشه الاقرب والابعد

وقيل لسعد بن أبي وقاص ألا تأتي المدينة قال ما بقي فيها الا حاسد نعمة أو فرح بنقمة وقال ابن السماك كتب الينا صاحب لنا أما بعد فان الناس كانوا دواء يتداوى به فصاروا داء لا دواء لهم ففر منهم فرارك من الاسد وكان بعض الاعراب يلازم شجرة ويقول هذه نديمي وهو نديم فيه ثلاثة خصال ان سمع لم ينم علي وان تفلت في وجهه احتمل وان عربدت عليه لم يغضب فسمع الرشيد هذا الخبر فقال قد زهدني سماعه في الندماء وكان بعضهم يلازم الدفاتر والمقابر فقيل له في ذلك قال لم أر أسلم من الوحدة ولا أوعظ من قبر ولا أمتع من دفتر وقال الحسن مرة اني أريد الحج فجاء اليه ثابت البناني وقال بلغني انك تريد الحج فأحببت أن نصطحب فقال الحسن دعنا نتعاشر بستر الله اني أخاف أن نصطحب فيرى بعضنا من بعض ما نتماقت عليه وقال بعض الصالحين كان الناس ورقا لا شوك فيه فالناس اليوم شوك لا ورق فيه وقال سفيان بن عيينة قال لي سفيان الثوري في اليقظة في حياته وفي المنام بعد وفاته أقلل معرفة الناس فان التخلص منهم شديد ولا أحسبني رأيت ما أكره الا ممن عرفت وقال بعضهم جئت الى مالك بن دينار وهو قاعد وحده وعنده كلب رابض قريبا منه فذهبت أطرده فقال دعه فانه لا يضر ولا يؤذي وهو خير من الجليس السوء وقال أبو الدرداء اتقوا الله واحذروا الناس فانهم ما ركبوا ظهر بعير الا أدبروه ولا ظهر جواد الا عقروه ولا قلب مؤمن الا خربوه وقال بعضهم اقلل المعارف فانه أسلم لدينك وقلبك وأخف لظهرك وادعى الى سقوط الحقوق عنك لانه كلما كثرت المعارف كثرت الحقوق وعسر القيام بالجميع وقال بعضهم اذا أردت النجاة فانكر من تعرف ولا تتعرف الى من لا تعرف * ومنها ان في العزلة بقاء الستر على المروءة والخلق والفقر وسائر العورات وقد مدح الله تعالى المتسترين فقال يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وقال الشاعر

ولا عار ان زالت عن الحر نعمة * ولكن عارا ان يزول التجمل

وليس يخلو الانسان في دينه ودنياه وأفعاله عن عورات يتقين ويجب سترها ولا تبقى السلامة مع انكشافها ولا سبيل الى ذلك الا بترك المخالطة * ومنها أن ينقطع طمع الناس عنك وينقطع طمعك عن الناس أما انقطاع طمع الناس عنك ففيه نفع عظيم فان رضاء الخلق غاية لا تدرك لان أهون حقوق الناس وأيسرها حضور الجنازة وعيادة المريض وحضور الولائم والاملاكات وفي ذلك تضييع الاوقات والتعرض للآفات ثم قد يعوق عن بعضها العوائق وتستقل فيها المعاذير ولا يمكن اظهار كل الاعذار فيقول لك قائل انك قمت بحق فلان وقصرت في حقي ويصير ذلك سبب عداوة فقد قيل ان من لم يعد مريضا في وقت العيادة يشتهي موته خيفة من تخجيله اياه اذا برئ من تقصيره فاما من يعم الناس كلهم بالحرمان فانهم يرضون كلهم عنه ومتى خصص وقع الاستيحاش والعتاب وتعميمهم بالقيام بجميع الحقوق مما لا يقدر عليه المتجرد له ليله ونهاره فكيف من له مهم يشغله ديني أو دنيوي ومن كلام بعضهم كثرة الاصدقاء كثرة الغرماء وقال الشاعر

عدوك من صديقك مستفاد * فلا تستكثرن من الصحاب
فان الداء أكثر ما تراه * يكون من الطعام أو الشراب

وأما انقطاع طمعك عنهم ففيه أيضا فائدة جزيلة فان من نظر الى زهرة الدنيا وزخرفها تحرك حرصه وانبعث بقوة الحرص طمعه وأكثر الاطماع يتعقبها الخيبة فيتأذى الانسان بذلك واذا اعتزل لم يشاهد واذا لم يشاهد لم يشتهه ولم يطمع ولذلك قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا وقال عليه السلام انظروا الى من دونكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فانه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم وقال عون بن عبد الله كنت أجالس الاغنياء فلا أزال مغموما أرى ثوبا أحسن من ثوبي ودابة أفره من دابتي فجالست الفقراء فاسترحت وخرج المزني صاحب الشافعي من باب جامع الفسطاط بمصر وكان فقيرا مقلا فصادف ابن الحكم قد أقبل في موكبه فبهره ما رأى من حاله وحسن هيآته فتلا قوله تعالى وجعلنا بعضكم

لبعض فتنة أتصبرون ثم قال نعم اصبر وأرضى فالمعتزل عن الناس في بيته لا يبتلى بمثل هذه الفتن فان من شاهد زينة الدنيا اما أن يقوى دينه ويقينه فيصبر فيحتاج الى أن يتجرع مرارة الصبر وهو أمر من الصبر أو تنبعث رغبته فيحتال في طلب الدنيا فيهلك دنيا وآخرة أما في الدنيا فبالطمع الذي في أكثر الاوقات يتضمن الذل المعجل وأما في الآخرة فلايثاره متاع الدنيا على ذكر الله والتقرب اليه ولذلك قال الشاعر

اذا كان باب الذل من جانب الغنى * سموت الى العلياء من جانب الفقر

أشار الى أن الطمع يوجب في الحال ذلا * ومنها الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقى ومقاساة أخلاقهم فان رؤية الثقيل هي العمى الاصغر قيل للاعمش بم عمشت عيناك قال بالنظر الى الثقلاء ودخل الى أبي حنيفة رحمه الله فقال له روي في الخبر ان من سلب كريمتيه عوضه الله ما هو خير منهما فما الذي عوضك قال كفاني رؤية ثقيل مثلك يمازحه وقال الشافعي رحمه الله ما جالست ثقيلا الا وجدت الجانب الذي يليه من بدني كانه أثقل علي من الجانب الآخر وهذه المقاصد وان كان بعضها دنيويا لانها تضرب في الدين بنصيب وذلك لان من تأذى برؤية ثقيل لم يلبث ان يغتابه ويثلبه وذلك فساد في الدين وفي العزلة السلامة عن جميع ذلك * واعلم ان كلام أمير المؤمنين عليه السلام يختلف مناهجه فقد رجح العزلة في هذا الفصل على المخالطة ونهى عن العزلة في موضع آخر سيأتي ذكره في الفصل الذي أوله انه دخل على العلاء بن زياد الحارثي عائدا ويجب ان يحمل ذلك على ان من الناس من العزلة خير له من المخالطة ومنهم من هو بالضد من ذلك وقد قال الشافعي قريبا من ذلك قال ليونس بن عبد الاعلى صاحبه يا يونس الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط اليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين المنقبض والمنبسط فاذا اردت العزلة فينبغي للمعتزل ان ينوي بعزلته كف شره عن الناس أولا ثم طلب السلامة من شر الاشرار ثانيا ثم الخلاص من آفة القصور عن القيام بحقوق المسلمين ثالثا ثم التجرد بكنه الهمة بعبادة الله تعالى رابعا فهذه آداب نيته ثم ليكن في خلوته مواظبا على العلم والعمل والذكر والفكر ليجتني ثمرة العزلة ويجب ان يمنع الناس عن ان يكثروا غشيانه وزيارته فيتشوش وقته وان يكف نفسه عن السؤال عن أخبارهم وأحوالهم وعن الاصغاء الى اراجيف الناس وما الناس مشغولون به فان كل ذلك ينغرس في القلب حتى ينبعث على الخاطر والبال وقت الصلاة ووقت الحاجة الى احضار القلب فان وقوع الاخبار في السمع كوقوع البذر في الارض لا بد ان ينبت ويتفرع عروقه وأغصانه وأحد مهمات المعتزل قطع الوساوس الصارفة عن ذكر الله ولا ريب ان الاخبار ينابيع الوساوس وأصولها ويجب ان يقنع باليسير من المعيشة والا اضطره التوسع الى الناس واحتاج الى مخالطتهم وليكن صبورا على ما يلقاه من اذى الجيران اذ يسد سمعه عن الاصغاء الى ما يقال فيه من ثني عليه بالعزلة وقدح فيه بترك المخالطة فان ذلك لا بد ان يؤثر في القلب ولو مدة يسيرة وحال اشتغال القلب به لا بد أن يكون واقفا عن سيره في طريق الآخرة فان السير فيها اما يكون بالمواظبة على ورد أو ذكر مع حضور قلب واما بالفكر في جلال الله وصفاته وأفعاله وملكوت سماواته واما بالتأمل في دقائق الاعمال ومفسدات القلب وطلب طرق التخلص منها وكل ذلك يستدعي الفراغ ولا ريب ان الاصغاء الى ما ذكرناه يشوش القلب ويجب أن يكون للمعتزل أهل صالح أو جليس صالح لتستريح نفسه اليه ساعة عن كد المواظبة ففي ذلك عون له على بقية الساعات وليس يتم للانسان الصبر على العزلة الا بقطع الطمع عن الدنيا وما الناس منهمكون فيه ولا ينقطع طمعه الا بقصر الامل وان لا يقدر لنفسه عمرا طويلا بل يصبح على انه لا يمسي ويمسي على انه لا يصبح فيسهل عليه صبر يوم ولا يسهل عليه العزم على صبر عشرين سنة لو قدر تراخي أجله وليكن كثير الذكر للموت ووحدة القبر مهما ضاق قلبه من الوحدة وليتحقق ان من لم يحصل في قلبه من ذكر الله ومعرفته ما يأنس به فانه لا يطيق وحشة الوحدة بعد الموت وان من أنس بذكر الله ومعرفته فان الموت لا يزيل أنسه لان الموت ليس يهدم محل الانس والمعرفة بل يبقى حيا بمعرفته وأنسه فرحا بفضل الله عليه قال سبحانه ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله وكل من يجرد نفسه في ذات الله فهو شهيد مهما أدركه الموت فالمجاهد من جاهد نفسه وهواه كما صرح به

عليه السلام وقال لاصحابه رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر فالجهاد الاصغر محاربة المشركين والجهاد الاكبر جهاد النفس وهذا الفصل في العزلة نقلناه على طوله من كلام أبي حامد الغزالي في احياء علوم الدين وهذبنا منه ما اقتضت الحال تهذيبه

(الاصل) ﴿ ومن كلام له عليه السلام ﴾

في معنى الحكمين

فَأَجْمَعَ رَأْيُ مَلَئِكُمْ على أَنِ اخْتَارُوا رَجُلَيْنِ فَأَخَذْنَا عَلَيْهِما أَنْ يُجَعْجِعا عِنْدَ القُرْآنِ * وَلاَ يُجَاوِزَاهُ وَتَكُونَ أَلْسِنَتُهُما مَعَهُ وَقُلُوبُهُما تَبَعَهُ * فَتَاهَا عَنْهُ وَتَرَكَا الحَقَّ وَهُما يُبْصِرَانِهِ وَكَانَ الجَوْرُ هَوَاهُما وَالاعْوِجَاجُ رَأْيُهُما وقَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنا عَلَيْهِما في الحُكْمِ بِالعَدْلِ وَالعَمَلِ بِالحَقِّ سُوءَ رَأْيِهِما * وَجَوْرَ حُكْمِهِما * وَالثِّقَةُ في أَيْدِينا لِأَنْفُسِنا * حِينَ خَالَفَا سَبِيلَ الحَقِّ وَأَتَيَا بِما لاَ يُعْرَفُ مِنْ مَعْكُوسِ الحُكْمِ

(الشرح) الملأ الجماعة ويجعجعا يحبسا نفوسهما وآراءهما عند القرآن جعجعت أى حبست أخذت عليهما العهد والميثاق أن يعملا بما في القرآن ولا يتجاوزاه فتاها عنه أى عدلا وتركا الحق على علم منهما به والدأب العادة وسوء رأيهما منصوب لانه مفعول سبق والفاعل استثناؤنا ثم قال والثقة في أيدينا أى نحن على برهان وثقة من أمرنا وليس بضائر لنا ما فعلاه لأنهما خالفا الحق وعدلا عن الشرط وعكسا الحكم وروى الثورى عن أبي عبيدة قال أمر بلال ابن أبي بردة وكان قاضيا بتفريق بين رجل وامرأته فقال الرجل يا آل أبي موسى انما خلقكم الله للتفريق بين المسلمين كتب معاوية الى عمرو بن العاص وهو على مصر قد قبضها بالشرط الذى اشترط على معاوية أما بعد فان سؤال أهل الحجاز وزوار أهل العراق كثروا على وليس عندى فضل عن اعطيات الحجاز فاعنى بخراج مصر هذه السنة فكتب عمرو اليه

معاوية ان تدركك نفس شحيحة * فما مصر الا كالهباءة في الترب
وما نلتها عفوا ولكن شرطتها * وقد دارت الحرب العوان على قطب
ولولا دفاعى الاشعرى ورهطه * لالفيتها ترغو كراغية السقب

ثم كتب في ظاهر الكتاب ورأيت أنا هذه الابيات بخط أبي زكريا يحيى بن على الخطيب التبريزى رحمه الله

معاوى حظى لا تغفل * وعن سنن الحق لا تعدل
أتنسى مخادعتى الاشعرى * وما كان في دومة الجندل
ألين فيطمع في غرتى * وسهمى قد خاض في المقتل
فالمظه عسلا باردا * واخبأ من تحته حنظلى
وأعليته المنبر المشمخر * كرجع الحسام الى المفصل
فاضحى لصاحبه خالعا * كخلع النعال من الارجل
وأثبتها فيك موروثة * ثبوت الخواتم في الانمل
وهبت لغيرى وزن الجبال * وأعطيتنى زنة الخردل
وان عليا غدا خصمنا * سيحتج بالله والمرسل
وما دم عثمان منج لنا * فليس عن الحق من مزحل

فلما بلغ الجواب الى معاوية لم يعاوده في شئ من أمر مصر بعدها بعث عبد الملك روح بن زنباع وبلال بن أبي بردة

ابن أبي موسى الى زفر بن الحارث الكلابي بكلام وحذرهما من كيده وخص بالتحذير روحا فقال يا أمير المؤمنين ان أباه كان المخدوع يوم دومة الجندل لا أبي فعلام تخوفني الخداع والكيد فغضب بلال وضحك عبد الملك

(الاصل) *(ومن خطبة له عليه السلام)*

لاَ يُشْغِلُهُ شَأْنٌ وَلاَ يُغَيِّرُهُ زَمانٌ وَلاَ يَحْوِيهِ مَكانٌ * وَلاَ يَصِفُهُ لِسانٌ * لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ عَدَدُ قَطْرِ المَاءِ * وَلاَ نُجُومُ السَّماءِ * وَلاَ سَوَافِي الرِّيحِ في الهَوَاءِ وَلاَ دَبِيبُ النَّمْلِ على الصَّفَا وَلاَ مَقِيلُ الذَّرِّ في اللَّيْلَةِ الظَّلْماءِ * يَعْلَمُ مَسَاقِطَ الاَوْرَاقِ وخَفِيَّ طَرْفِ الاَحْدَاقِ وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ الاَّ اللهُ غَيْرُ مَعْدُولٍ بِهِ * وَلاَ مَشْكُوكٍ فِيهِ وَلاَ مَكْفُورٍ دِينُهُ وَلاَ مَجْحُودٍ تَكْوِينُهُ * شَهادَةَ مَنْ صَدَقَتْ نِيَّتُهُ وصَفَتْ دِخْلَتُهُ * وَخَلَصَ يَقِينُهُ وَثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ المُجْتَبَى مِنْ خَلاَئِقِهِ * وَالمُعْتَامُ لِشَرْحِ حَقَائِقِهِ وَالمُخْتَصُّ بِعَقَائِلِ كَرَامَاتِهِ * وَالمُصْطَفَى لِكَرَائِمِ رِسالاَتِهِ * وَالمُوَضَّحَةُ بِهِ أَشْرَاطُ الهُدَى * وَالمَجْلُوُّ بِهِ غِرْبِيبُ العَمَى

(الشرح) لا يشغله أمر لان الحى الذى تشغله الاشياء هو الحى العالم بالبعض دون البعض والقادر على البعض دون البعض فاما من لا يغيب عنه شئ أصلا ولا يعجز عن شئ أصلا ولا يمنعه من ايجاد مقدوره اذا أراد مانع أصلا فكيف يشغله شأن وكذلك لا يغيره زمان لانه واجب الوجود ولا يحويه مكان لانه ليس بجسم ولا يصفه لسان لان كنه ذاته غير معلوم وانما المعلوم منه اضافات أو سلوب ولا يعزب عنه أمر من الامور أى لا يفوته علم شئ أصلا والسوافى التى تسفى التراب أى تذريه والصفا مقصور الصخر الاملس ولا وقف عليها ههنا لان المقصور لا يكون في مقابلة الممدود وانما الفقرة المقابلة للهواء هى الظلماء ويكون الصفا في ادراج الكلام اسوة بكلمة من الكلمات والذر صغار النمل ويعلم مساقط الاوراق من قوله تعالى وما تسقط من ورقة الا يعلمها وطرف الاحداق مصدر طرف البصر يطرف طرفا اذا انطبق أحد الجفنين على الآخر ولكونه مصدرا وقع على الجماعة كما وقع على الواحد فقال عليه السلام طرف الاحداق كما قال سبحانه لا يرتد اليهم طرفهم وغير معدول به غير مسوى بينه وبين أحد والدخلة بكسر الدال باطن الامر ويجوز الدخلة بالضم والمعتام المختار والعيمة بالكسر خيار المال اعتام الرجل اذا أخذ العيمة فان قلت لفظة معتام ومختار تصلح للفاعل والمفعول فماذا يفصل بينهما قلت بما يقترن باللفظ من الكلام قبله وبعده فان قلت فهل يختلفان في التقدير في صناعة النحو وان اتفق في اللفظ قلت نعم فان عين الكلمة ياء مفتوح ما قبلها فان أردت الفاعل فهى مكسورة وتقديره مختير مثل مخترع وان كان مفعولا فهى مفتوحة وتقديره مختير مثل مخترع وعلى كلا التقديرين لا بد من انقلاب الياء ألفا واللفظ واحد ولكن يقدر على الالف كسرة للفاعل وفتحة للمفعول وكذلك القول في معتام ومضطر ونحوهما وحكى أن بعض المتكلمين من المجبرة قال اسمى العبد مضطرا الى الفعل اذا فعله ولا اسمى الله تعالى مضطرا اليه قيل فكيف تقول قال مضطر بكسر الطاء فضحك أهل المجلس منه والعقائل جمع عقيلة وهى كريمة كل شئ من الناس والابل وغير ذلك ويقال للدرة عقيلة البحر واشراط الهدى علاماته ومنه أشراط الساعة قال تعالى فقد جاء اشراطها والغربيب الاسود الشديد السواد ويجلى به غربيب العمى تكشف به ظلم الضلال وتستنير بهدايته وقوله تعالى وغرابيب سود ليس على ان الصفة قد تقدمت على الموصوف بل يجعل السود بدلا من الغرابيب فان قلت الهاء في حقائقه الى ماذا ترجع قلت الى البارى سبحانه وحقائقه حقائق توحيده وعدله فالمضاف محذوف ومعنى حقائق توحيده الامور

المحققة اليقينية التى لا تعتريها الشكوك ولا تتخالجها الشبه وهى أدلة أصحابنا المعتزلة التى استنبطوها بعقولهم بعد ان دلهم اليها ونبههم على طرق استنباطها رسول الله صلى الله عليه وآله بواسطة أمير المؤمنين عليه السلام لانه امام المتكلمين الذى لم يعرف علم الكلام من أحد قبله

(الاصل) أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الدُّنْيَا تَغُرُّ الْمُؤَمِّلَ لَهَا وَالْمُخْلِدَ إِلَيْهَا * وَلَا تَنْفَسُ بِمَنْ نَافَسَ فِيهَا وَتَغْلِبُ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهَا * وَايْمُ اللهِ مَا كَانَ قَوْمٌ قَطُّ فِي غَضِّ نِعْمَةٍ مِنْ عَيْشٍ فَزَالَ عَنْهُمْ إِلَّا بِذُنُوبٍ اجْتَرَحُوهَا * لِأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ حِينَ تَنْزِلُ بِهِمُ النِّقَمُ وَتَزُولُ عَنْهُمُ النِّعَمُ فَزِعُوا إِلَى رَبِّهِمْ بِصِدْقٍ مِنْ نِيَّاتِهِمْ وَوَلَهٍ مِنْ قُلُوبِهِمْ لَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَارِدٍ وَأَصْلَحَ لَهُمْ كُلَّ فَاسِدٍ * وَإِنِّي لَأَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي فَتْرَةٍ * وَقَدْ كَانَتْ أُمُورٌ مَضَتْ مِلْتُمْ فِيهَا مَيْلَةً كُنْتُمْ فِيهَا عِنْدِي غَيْرَ مَحْمُودِينَ وَلَئِنْ رُدَّ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ إِنَّكُمْ لَسُعَدَاءُ * وَمَا عَلَيَّ إِلَّا الْجُهْدُ وَلَوْ أَشَاءُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ

(الشرح) المخلد المائل اليها قال تعالى ولكنه أخلد الى الارض ولا تنفس بمن نافس فيها لا تضن به أى من نافس فى الدنيا فان الدنيا تهينه ولا تضن به كما يضن بالعلق النفيس ثم قال وتغلب من غلب عليها أى من غلب على الدنيا مقاهرة فسوف تغلبه الدنيا وتهلكه ثم أقسم انه ما كان قوم فى غض نعمة أى فى نعمة غضة أى طرية ناضرة فزالت عنهم الا بذنوب اجترحوها أى اكتسبوها وهذا يكاد يشعر بمذهب أهل التناسخ ومن قال ان الألم لا يحسن أن يفعله الحكيم سبحانه وتعالى بالحيوانات الا مستحقا فاما مذهب أصحابنا فلا يتخرج هذا الكلام عليه لانه يجوز عندهم أن تزول النعم عن الناس لضرب من اللطف مضاف الى عوض يعوضهم الله تعالى به فى الآخرة فيجب أن يحمل هذا الكلام لا على عمومه بل على الاكثر والاغلب ثم قال عليه السلام لو أن الناس عند حلول النقم بهم وزوال النعم عنهم يلتجئون الى الله تعالى تائبين من ذنوبهم لرفع عنهم النقمة وأعاد اليهم النعمة والوله كالتحير يحدث عند الخوف أو الوجد والشارد الذاهب قوله وانى لاخشى عليكم أن تكونوا فى فترة أى فى أمر جاهلية لغلبة الضلال والجهل على الاكثرين منهم وهذه الخطبة خطب بها عليه السلام بعد قتل عثمان فى أول خلافته عليه السلام وقد تقدم ذكر بعضها والامور التى مالوا فيها عليه اختيارهم عثمان وعدولهم عنه يوم الشورى وقال لئن رد عليكم أمركم أى أحوالكم التى كانت أيام رسول الله صلى الله عليه وآله من صلاح القلوب والنيات انكم لسعداء والجهد بالضم الطاقة ثم قال لو أشاء أن أقول لقلت أى لو شئت لذكرت سبب التحامل على وتأخرى عن غيرى ولكنى لا أشاء ذلك ولا أستصلح ذكره ثم قال عفا الله عما سلف لفظ ماخوذ من الكتاب العزيز عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام وهذا الكلام يدل على مذهب أصحابنا فى ان ما جرى من عبد الرحمن وغيره فى يوم الشورى وان كان لم يقع على الوجه الافضل فانه معفو عنه مغفور لفاعله لانه لو كان فسقا غير مغفور لم يقل أمير المؤمنين عليه السلام عفا الله عما سلف

(الاصل) *(ومن كلام له عليه السلام)*

وقد سأله ذِعْلِبُ اليماني فقال هل رأيتَ رَبَّك يا أميرَ المؤمنينَ فقال عليه السلام أفأعبُدُ ما لا أرى فقال وكيف تراه قال

لَا تُدْرِكُهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ وَلَكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ * قَرِيبٌ مِنَ

الْأَشْيَاءِ غَيْرَ مُلَامِسٍ * بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرَ مُبَايِنٍ مُتَكَلِّمٌ بِلَا رَوِيَّةٍ مُرِيدٌ لَا بِهِمَّةٍ * صَانِعٌ لَا بِجَارِحَةٍ لَطِيفٌ لَا يُوصَفُ بِالْخَفَاءِ كَبِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْجَفَاءِ * بَصِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْحَاسَّةِ رَحِيمٌ لَا يُوصَفُ بِالرِّقَّةِ * تَعْنُو الْوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ * وَتَجِبُ الْقُلُوبُ مِنْ مَخَافَتِهِ

(الشرح) الذعلب فى الاصل الناقة السريعة وكذلك الذعلبة ثم نقل فسمى به انسان وصار علما كما نقلوا بكرا عن فتى الابل الى بكر بن وائل واليمانى بتخفيف النون ولا يجوز تشديدها جعلوا الالف عوضا عن الياء الثانية وكذلك فعلوا فى الشامى والاصل يمنى وشامى وقوله عليه السلام أفأعبد ما لا أرى مقام رفيع جدا لا يصلح أن يقوله غيره عليه السلام ثم ذكر ماهية هذه الرؤية قال انها رؤية البصيرة لا رؤية البصر ثم شرح ذلك فقال انه تعالى قريب من الاشياء غير ملامس لها لانه ليس بجسم وانما قربه منها علمه بها كما قال تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم قوله بعيد منها غير مباين لانه أيضا ليس بجسم فلا يطلق عليه البينونة وبعده منها هو عبارة عن انتفاء اجتماعه معها وذلك كما يصدق على البعيد بالوضع يصدق أفضل الصدق على البعيد بالذات الذى لا يصح الوضع والاين عليه أصلا قوله متكلم بلا روية الروية الفكرة يرتئى الانسان بها ليصدر عنه ألفاظ سديدة دالة على مقصده والبارى تعالى متكلم لا بهذا الاعتبار بل لانه اذا أراد تعريف خلقه أمرا من جهة الحروف والاصوات وكان فى ذلك مصلحة ولطف لهم خلق الاصوات والحروف فى جسم جمادى فيسمعها من يسمعها ويكون ذلك كلامه لان المتكلم فى اللغة العربية فاعل الكلام لا من حله الكلام وقد شرحنا هذا فى كتبنا الكلامية قوله مريد بلا همة أى بلا عزم فالعزم عبارة عن ارادة متقدمة للفعل تفعل توطينا للنفس على الفعل وتمهيدا للارادة المقارنة له وانما يصح ذلك على الجسم الذى يتردد فيما يدعوه اليه الدواعى فأما العالم لذاته فلا يصح ذلك فيه قوله صانع لا بجارحة أى لا بعضو لانه ليس بجسم قوله لطيف لا يوصف بالخفاء لان العرب اذا قالوا لشئ انه لطيف أرادوا أنه صغير الحجم والبارى تعالى لطيف لا بهذا الاعتبار بل يطلق باعتبارين أحدهما انه لا يرى لعدم صحة رؤية ذاته فلما شابه اللطيف من الاجسام فى استحالة رؤيته أطلق عليه لفظ اللطيف اطلاقا للفظ السبب على المسبب وثانيهما انه لطيف بعباده كما قال فى الكتاب العزيز أى يفعل الالطاف المقربة لهم من الطاعة المبعدة لهم من القبيح أو لطيف بهم بمعنى انه يرحمهم ويرفق بهم قوله كبير لا يوصف بالجفاء لما كان لفظ كبير اذا استعمل فى الجسم أفاد تباعد أقطاره ثم لما وصف البارى كبير أراد بأنه ينزهه عما يدل لفظ كبير عليه اذا استعمل فى الاجسام والمراد من وصفه تعالى بأنه كبير عظمة شأنه وجلالة سلطانه قوله بصير لا يوصف بالحاسة لانه تعالى يدرك اما لانه حى لذاته أو أن يكون ادراكه هو علمه ولا جارحة له ولا حاسة على كل واحد من القولين قوله رحيم لا يوصف بالرقة لان لفظة الرحمة فى صفاته تعالى تطلق مجازا على انعامه على عباده لان الملك اذا رق على رعيته وعطف أصابهم بانعامه ومعروفه قوله تعنو الوجوه أى تخضع قال تعالى وعنت الوجوه للحى القيوم قوله وتجب القلوب أى تخفق وأصله من وجب الحائط سقط ويروى توجل القلوب أى تخاف وجل خاف وروى صانع لا بحاسة وروى لا تراه العيون بمشاهدة العيان عوضا عن لا تدركه

(الاصل) *(ومن خطبة له عليه السلام في ذم أصحابه)*

أَحْمَدُ اللهَ عَلَى مَا قَضَى مِنْ أَمْرٍ وَقَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ وَعَلَى ابْتِلَائِي بِكُمْ أَيَّتُهَا الْفِرْقَةُ الَّتِي إِذَا أَمَرْتُ لَمْ تُطِعْ وَإِذَا دَعَوْتُ لَمْ تُجِبْ * إِنْ أُهْمِلْتُمْ خُضْتُمْ * وَإِنْ حُورِبْتُمْ خُرْتُمْ * وَإِنِ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى إِمَامٍ طَعَنْتُمْ وَإِنْ أُجِئْتُمْ إِلَى مُشَاقَّةٍ نَكَصْتُمْ * لَا أَبَا لِغَيْرِكُمْ * مَا تَنْتَظِرُونَ

بِنَصْرِكُمْ وَالْجِهَادَ عَلَى حَقِّكُمْ * الْمَوْتُ أَوِ الذُّلُّ لَكُمْ * فَوَاللهِ لَئِنْ جَاءَ يَوْمِي وَلَيَأْتِيَنِّي لَيُفَرِّقَنَّ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَنَا لِصُحْبَتِكُمْ قَالٍ * وَبِكُمْ غَيْرُ كَثِيرٍ * لِلّٰهِ أَنْتُمْ * أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ وَلَا حَمِيَّةٌ تَشْحَذُكُمْ * أَوَلَيْسَ عَجَباً أَنَّ مُعَاوِيَةَ يَدْعُو الْجُفَاةَ الطَّغَامَ فَيَتَّبِعُونَهُ عَلَى غَيْرِ مَعُونَةٍ وَلَا عَطَاءٍ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ وَأَنْتُمْ تَرِيكَةُ الْإِسْلَامِ * وَبَقِيَّةُ النَّاسِ إِلَى الْمَعُونَةِ أَوْ طَائِفَةٍ مِنَ الْعَطَاءِ فَتَتَفَرَّقُونَ عَنِّي وَتَخْتَلِفُونَ عَلَيَّ إِنَّهُ لَا يَخْرُجُ إِلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِي رِضًى فَتَرْضَوْنَهُ وَلَا سَخَطٌ فَتَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ وَإِنَّ أَحَبَّ مَا أَنَا لَاقٍ إِلَيَّ الْمَوْتُ * قَدْ دَارَسْتُكُمُ الْكِتَابَ * وَفَاتَحْتُكُمُ الْحِجَاجَ وَعَرَّفْتُكُمْ مَا أَنْكَرْتُمْ وَسَوَّغْتُكُمْ مَا مَجَجْتُمْ * لَوْ كَانَ الْأَعْمَى يَلْحَظُ * أَوِ النَّائِمُ يَسْتَيْقِظُ وَأَقْرِبْ بِقَوْمٍ مِنَ الْجَهْلِ بِاللهِ قَائِدُهُمْ مُعَاوِيَةُ وَمُؤَدِّبُهُمُ ابْنُ النَّابِغَةِ

(الشرح) قضى وقدر في هذا الموضع واحد ويروى على ما ابتلاني وأهملتم خليتم وتركتم ويروى أمهلتم أي أخرتم وخرتم ضعفتم والخور الضعف رجل خوار ورمح خوار وأرض خوارة والجمع خور ويجوز أن يكون خرتم أي صحتم كما يخور الثور ومنه قوله تعالى عجلا جسدا له خوار ويروى جرتم أي عدلتم عن الحرب فرارا وأجئتم ألجئتم قال تعالى فأجاءها المخاض الى جذع النخلة والمشاقة المقاطعة والمصارمة ونكصتم أحجمتم قال تعالى فلما تراءى الجمعان نكص على عقبيه أي رجع محجما أي دعيتم الى كشف القناع مع العدو جبنتم وهبتموه قوله لا أبا لغيركم الافصح لا أب بحذف الالف كما قال الشاعر

أبي الاسلام لا أب لي سواه * اذا افتخروا بقيس أو تميم

وأما قولهم لا أبا لك باثباته فدون الاول في الفصاحة كأنهم قصدوا الاضافة وأقحموا اللام مزيدة مؤكدة كما قالوا يا تيم تيم عدي وهو غريب لان حكم لا ان تعمل في النكرة فقط وحكم الالف أن يثبت مع الاضافة والاضافة تعرف فاجتمع فيها حكمان متنافيان فصار من الشواذ كالملامح والمذاكير ولدن غدوة قال الشيخ أبو البقاء رحمه الله يجوز فيها وجهان آخران أحدهما انه أشبع فتحة الباء فنشأت الالف والاب باق على تنكيره والثاني أن يكون استعمل أبا على لغة من قالها أبا في جميع أحوالها مثل عصا ومنه ان أباها وأبا أباها قوله الموت أو الذل لكم دعاء عليهم بأن يصيبهم أحد الامرين كأنه شرع داعيا عليهم بالفناء الكلي وهو الموت ثم استدرك فقال أو الذل لانه نظير الموت في المعنى ولكنه في الصورة دونه ولقد أجيب دعاؤه عليه السلام بالدعوة الثانية فان شيعته ذلوا بعده في الايام الأموية حتى كانوا كفقع قرقر ثم أقسم أنه اذا جاء يومه ليكونن مفارقته لهم عن قلى وهو البغض وأدخل حشوة بين أثناء الكلام وهي ليأتيني وهي حشوة لطيفة لان لفظة ان أكثر ما تستعمل لما لا يعلم حصوله ولفظة اذا لما يعلم أو يغلب على الظن حصوله تقول اذا طلعت الشمس جئت اليك ولا تقول ان طلعت الشمس جئت اليك وتقول اذا احمر البسر جئتك ولا تقول ان احمر البسر جئتك فلما قال لئن جاء يومي أتى بلفظة دالة على ان الموضع موضع اذا لا موضع ان فقال وليأتيني والواو في قوله وانا لصحبتكم واو الحال وكذلك الواو في قوله وبكم غير كثير وقوله غير كثير لفظ فصيح وقال الشاعر

لي خمسون صديقا * بين قاض وأمير * لبسوا الوفر فلم * أخلع بهم ثوب النفير

* لكثيرهم ولكني * بهم غير كثير *

قوله لله أنتم في موضع رفع لانه خبر عن المبتدأ الذي هو أنتم ومثله لله در فلان ولله بلاد فلان ولله أبوك واللام ههنا فيها معنى التعجب والمراد بقوله لله أنتم لله سعيكم أو لله عملكم كما قالوا لله درك أي عملك فحذف المضاف وأقيم الضمير المنفصل المضاف اليه مقامه فان قلت أجاءت هذه اللام بمعنى التعجب في غير لفظة الله قلت لا كما ان تاء القسم لم تأت الا في اسم

الله تعالى قوله عليه السلام أما دين يجمعكم ارتفاع دين على أنه فاعل فعل مقدر تأويله أي أما يجمعكم دين يجمعكم اللفظ الثاني مفسر للاول كما قدرناه بعد اذا في قوله سبحانه اذا السماء انشقت ويجوز أن يكون حمية مبتدأ أو الخبر محذوف تقديره أما لكم حمية والحمية الانفة وشحذت النصل أحددته فان قلت كيف قال ان معاوية لم يكن يعطي جنده وأنه هو عليه السلام كان يعطيهم والمشهور ان معاوية كان يمد أصحابه بالاموال والرغائب قلت ان معاوية لم يكن يعطي جنده على وجه المعونة والعطاء وانما كان يعطي رؤساء القبائل من اليمن وساكني الشام الاموال الجليلة يستعبدهم بها ويدعو أولئك الرؤساء أتباعهم من العرب فيطيعونهم فمنهم من يطيعهم حمية ومنهم من يطيعهم لايادٍ وعوارف من أولئك الرؤساء عندهم ومنهم من يطيعهم ديناً زعموا والطلب بدم عثمان ولم يكن يصل الى هؤلاء الاتباع من اموال معاوية قليل ولا كثير وأما أمير المؤمنين عليه السلام فانه كان يقسم بين الرؤساء والاتباع على وجه العطاء والرزق ولا يرى لشريف على مشروف فضلا فكان من يقعد عنه بهذا الطريق أكثر ممن ينصره ويقوم بأمره وذلك لان الرؤساء من أصحابه كانوا يجدون في أنفسهم من ذلك أعني المساواة بينهم وبين الاتباع فيخذلونه عليه السلام باطنا وان أظهروا له النصر واذا أحس اتباعهم بتخاذلهم وتواكلهم تخاذلوا أيضا وتواكلوا أيضا ولم يجد عليه صلوات الله عليه ما أعطى الاتباع من الرزق لان انتصار الاتباع له وقتالهم دونه لا يتصور وقوعه والرؤساء متخاذلون فكان يذهب ما يرزقهم ضياعا فان قلت فأي فرق بين المعونة والعطاء قلت المعونة ان يطلق الى الجند شيء يسير من المال برسم ترميم أسلحتهم واصلاح دوابهم ويكون ذلك خارجا عن العطاء المفروض شهرا فشهرا والعطاء المفروض شهرا فشهرا يكون شيأ له مقدار يصرف في أثمان الاقوات ومؤنة العيال وقضاء الديون والتريكة بيضة النعام تتركها في مجثمها يقول أنتم خلف الاسلام وبقيته كالبيضة التي تتركها النعامة فان قلت ما معنى قوله لا يخرج اليكم من أمري رضا فترضونه ولا سخط فتجتمعون عليه قلت معناه انكم لا تقبلون مما أقول لكم شيأ سواء كان مما يرضيكم أو مما يسخطكم بل لا بد من المخالفة والافتراق عنه ثم ذكر ان أحب الاشياء اليه أن يلقى الموت وهذه الحال التي ذكرها أبو الطيب فقال

كفى بك داء ان ترى الموت شافيا * وحسب المنايا ان تكن أمانيا

تمنيتها لما تمنيت ان أرى * صديقا فأعيا أو عدوا مداجيا

قوله قد دارستكم الكتاب أي درسته عليكم دارست الكتب وتدارستها وأدرستها ودرستها بمعنى وهي من الألفاظ القرآنية وفاتحتكم الحجاج أي حاكمتكم بالمحاجة والمجادلة وقوله تعالى ربنا افتح بيننا أي احكم والفتاح الحاكم وعرفتكم ما أنكرتم بصرتكم ما عمي عنكم وسوغتكم ما مججتم يقال مججت الشراب من فمي أي رميت به وشيخ ماج يمج ريقه ولا يستطيع حبسه من كبره وأحمق ماج أي يسيل لعابه يقول ما كانت عقولكم وأذهانكم تنفر عنه من الأمور الدينية أوضحته لكم حتى عرفتموه واعتقدتموه وانطوت قلوبكم عليه ولم يجزم عليه السلام بحصول ذلك لهم لانه قال لو كان الاعمى يلحظ والنائم يستيقظ أي اني قد فعلت معكم ما يقتضي حصول الاعتقادات الحقيقية في أذهانكم لو أزلتم عن قلوبكم ما يمنع من حصولها لكم والمانع المشار اليه هو الهوى والعصبية والاصرار على اللجاج وعدم محبة نصرة عقيدة قد سبقت الى القلب وزرعها التعصب ومشقة مفارقة الاسلاف الذين قد انغرس في النفس تعظيمهم ومالت القلوب الى تقليدهم لحسن الظن بهم ثم قال أقرب بقوم أي ما أقربهم من الجهل كما قال تعالى أسمع بهم وأبصر أي ما أسمعهم وأبصرهم فان قلت قد كان يجب أن يقول وأقرب بقوم قائدهم معاوية ومؤدبهم ابن النابغة من الجهل فلا يحول بين النكرة الموصوفة وصفتها بفاصل غريب ولم يقل ذلك بل فصل بين الصفة والموصوف بأجنبي منهما قلت قد جاء كثير من ذلك نحو قوله تعالى وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق في قول من لم يجعل مردوا صفة أقيمت مقام الموصوف لانه يجعل مردوا صفة لقوم المحذوف المقدر بعد الاعراب وقد حال بين ذلك وبين مردوا قوله ومن أهل المدينة ونحو قوله تعالى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما فان قيما حال من الكتاب وقد توسط بين الحال وذي الحال ولم يجعل له عوجا كالصفة ولانهم قد أجازوا مررت برجل

أيها الناس طويل والنداء أجنبي على أن لا نسلم ان قوله من الجهل أجنبي لانه متعلق بأقرب والاجنبي ما لا تعلق له بالكلام

(الاصل) ﴿ ومن كلام له عليه السلام ﴾

وَقَدْ أَرْسَلَ رَجُلاً مِنْ أَصْحَابِهِ يَعْلَمُ لَهُ عِلْمَ أَحْوَالِ قَوْمٍ مِنْ جُنْدِ الْكُوفَةِ قَدْ هَمُّوا بِاللِّحَاقِ بِالْخَوَارِجِ وَكَانُوا عَلَى خَوْفٍ مِنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَمَّا عَادَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ قَالَ لَهُ ءَأَمِنُوا فَقَطَنُوا أَمْ جَبُنُوا فَظَعَنُوا * فَقَالَ الرَّجُلُ بَلْ ظَعَنُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بُعْدًا لَهُمْ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ أَمَا لَوْ أُشْرِعَتِ الْأَسِنَّةُ إِلَيْهِمْ * وَصُبَّتِ السُّيُوفُ عَلَى هَامَاتِهِمْ لَقَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ * إِنَّ الشَّيْطَانَ الْيَوْمَ قَدِ اسْتَفَلَّهُمْ * وَهُوَ غَدًا مُتَبَرِّئٌ مِنْهُمْ وَمُخَلٍّ عَنْهُمْ فَحَسْبُهُمْ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ الْهُدَى * وَارْتِكَاسِهِمْ فِي الضَّلَالِ وَالْعَمَى وَصَدِّهِمْ عَنِ الْحَقِّ وَجِمَاحِهِمْ فِي التِّيهِ

(الشرح) قد ذكرنا قصة هؤلاء القوم فيما تقدم عند شرحنا قصة مصقلة بن هبيرة الشيباني وقطن الرجل بالمكان يقطن بالضم أقام به وتوطنه فهو قاطن والجمع قطان وقاطنة وقطين أيضا مثل غاز وغزى وعازب للكلأ البعيد وعزيب وظعن الرجل ظعنا وظعنا وقرئ بهما يوم ظعنكم وأظعنه سيره وانتصب بعدا على المصدر وثمود اذا أردت القبيلة غير مصروف واذا أردت الحي أو اسم الاب مصروف ويقال انه ثمود بن عابر بن آدم بن سام بن نوح قيل سميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى وأشرعت الرمح الى زيد أي سددته نحوه وشرع الرمح نفسه وصبت السيوف على هاماتهم استعارة من صبيت الماء شبه وقع السيوف وسرعة اعتوارها الرؤس بصب الماء واستفلهم الشيطان وجدهم مفلولين فاستزلهم هكذا فسروه ويمكن عندي أن يريد انه وجدهم فلا لا خير فيهم والفل في الاصل الارض لا نبات بها لانها لم تمطر قال حسان يصف بعض القرى

وان التي بالجذع من بطن نخلة * ومن دانها فل من الخير معزل

أي خال من الخير ويروى من استفزهم أي استخفهم والارتكاس في الضلال الرجوع اليه كأنه جعلهم في ترددهم في طبقات الضلال كالمرتكس الراجع الى أمر قد كان تخلص منه والجماح في التيه الغلو والافراط مستعار من جماح الفرس وهو أن يعتز صاحبه ويغلبه جمح فهو جموح

(الاصل) ﴿ ومن خطبة له عليه السلام ﴾

رُوِيَ عَنْ نَوْفٍ الْبِكَالِيِّ * قَالَ خَطَبَنَا بِهَذِهِ الْخُطْبَةِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْكُوفَةِ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى حِجَارَةٍ نَصَبَهَا لَهُ جَعْدَةُ بْنُ هُبَيْرَةَ الْمَخْزُومِيُّ وَعَلَيْهِ مِدْرَعَةٌ مِنْ صُوفٍ وَحَمَائِلُ سَيْفِهِ لِيفٌ وَفِي رِجْلَيْهِ نَعْلَانِ مِنْ لِيفٍ وَكَأَنَّ جَبِينَهُ ثَفِنَةُ بَعِيرٍ * فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ مَصَائِرُ الْخَلْقِ وَعَوَاقِبُ الْأَمْرِ * نَحْمَدُهُ عَلَى عَظِيمِ إِحْسَانِهِ وَنَيِّرِ بُرْهَانِهِ وَنَوَامِي فَضْلِهِ وَامْتِنَانِهِ * حَمْدًا يَكُونُ لِحَقِّهِ قَضَاءً وَلِشُكْرِهِ أَدَاءً وَإِلَى ثَوَابِهِ مُقَرِّبًا وَلِحُسْنِ مَزِيدِهِ مُوجِبًا وَنَسْتَعِينُ بِهِ اسْتِعَانَةَ رَاجٍ لِفَضْلِهِ مُؤَمِّلٍ لِنَفْعِهِ وَاثِقٍ بِدَفْعِهِ مُعْتَرِفٍ لَهُ

بِالطَّوْلِ * مُذْعِنٍ لَهُ بِالْعَمَلِ وَالْقَوْلِ وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانَ مَنْ رَجَاهُ مُوقِنًا وَأَنَابَ إِلَيْهِ مُؤْمِنًا وَخَنَعَ لَهُ مُذْعِنًا * وَأَخْلَصَ لَهُ مُوَحِّدًا وَعَظَّمَهُ مُمَجِّدًا وَلَاذَ بِهِ رَاغِبًا مُجْتَهِدًا

(الشرح) قال الجوهري في الصحاح نوف البكالي بفتح الباء كان حاجب علي عليه السلام ثم قال وقال ثعلب هو منسوب الى بكالة قبيلة وقال القطب الراوندي في شرح نهج البلاغة بكال وبكيل شيء واحد وهو اسم حي من همدان وبكيل أكثر قال الكميت * فقد شركت فيه بكيل * وأرحب والصواب غير ما قالاه وانما بنو بكال بكسر الباء حي من حمير منهم هذا الشخص هو نوف بن فضالة صاحب علي عليه السلام والرواية الصحيحة الكسر لان نوف بن فضالة بكالي بالكسر من حمير وقد ذكر ابن الكلبي نسب بني بكال الحميريين فقال هو بكال بن دعمي بن غوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير وأما جعدة بن هبيرة فهو ابن أخت أمير المؤمنين عليه السلام أمه أم هانئ بنت أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم وأبوه هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب وكان جعدة فارسا شجاعا فقيها وولي خراسان لامير المؤمنين عليه السلام وهو من الصحابة الذين أدركوا رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الفتح مع أمه أم هانئ بنت أبي طالب وهرب أبوه هبيرة بن أبي وهب ذلك اليوم هو وعبد الله بن الزبعرى الى نجران وروى أهل الحديث أن أم هانئ كانت يوم الفتح في بيتها فدخل عليها هبيرة بن أبي وهب بعلها ورجل من بني عمه هاربين من علي عليه السلام وهو يتبعهما وبيده السيف فقامت أم هانئ في وجهه دونهما وقالت ما تريد منهما ولم تكن رأته من ثماني سنين فدفع في صدرها فلم تزل عن موضعها وقالت أتدخل يا علي بيتي وتهتك حرمتي وتقتل بعلي ولا تستحيي مني بعد ثماني سنين فقال ان رسول الله صلى الله عليه وآله أهدر دمهما فلا بد أن أقتلهما فقبضت على يده التي فيها السيف فدخلا بيتا ثم خرجا منه الى غيره ففاتاه وجاءت أم هانئ الى رسول الله صلى الله عليه وآله فوجدته يغتسل من جفنة فيها أثر العجين وفاطمة ابنته تستره بثوبها فوقفت حتى أخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثماني ركعات من الضحى ثم انصرف فقال مرحبا وأهلا بأم هانئ ما جاء بك فأخبرته خبر بعلها وابن عمه ودخول علي عليه السلام بيتها بالسيف فجاء علي عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله يضحك فقال له ما صنعت بأم هانئ فقال سلها يا رسول الله ما صنعت بي والذي بعثك بالحق لقد قبضت على يدي وفيها السيف فما استطعت ان أخلصها الا بعد لأي وفاتني الرجلان فقال صلى الله عليه وآله لو ولد أبو طالب الناس كلهم لكانوا شجعانا قد أجرنا من أجارت أم هانئ وأمنا من أمنت فلا سبيل لك عليهما فأما هبيرة فلم يرجع وأما الرجل الآخر فرجع فلم يعرض له قالوا وأقام هبيرة بن أبي وهب بنجران حتى مات بها كافرا وروى له محمد بن اسحق في كتاب المغازي شعرا أوله

أشاقتك هند أم أتاك سؤالها * كذاك النوى أسبابها وانفتالها

يذكر فيها أم هانئ واسلامها وأنه مهاجرها اذ صبت الى الاسلام ومن جملته

فان كنت قد تابعت دين محمد * وقطعت الارحام منك حبالها

فكوني على أعلى سحوق بهضبة * ململمة غبراء يبس قلالها

وقال ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب ولدت أم هانئ لهبيرة بن أبي وهب بنين أربعة جعدة وعمرا وهانئا ويوسف قال وجعدة الذي يقول

أبي من بني مخزوم ان كنت سائلا * ومن هاشم أمي لخير قبيل

فمن ذا الذي ينأى علي بخاله * كخالي علي ذي الندى وعقيل

المدرعة الجبة وتدرع لبسها وربما قالوا تمدرع وثفنة البعير واحدة ثفناته وهو ما يقع على الارض من أعضائه اذا استناخ فيغلظ ويكثف كالركبتين وغيرهما ويقال ذو الثفنات الثلاثة لعلي بن الحسين وعلي بن عبد الله بن العباس عليهم السلام ولعبد الله بن وهب الراسبي رئيس الخوارج لان طول السجود كان قد أثر في ثفناتهم قال دعبل

ديارعلي والحسين وجعفر ☆ وحمزة والسجاد ذي الثفنات

ومصائر الامور جمع مصير وهو مصدر صار الى كذا ومعناه المرجع قال تعالى والى الله المصير فأما المصدر من صار الشيء كذا فصير وصيرورة والقياس في مصدر صار اليه أي رجع مصار كمعاش وانما جمع المصدر ههنا لان الخلائق يرجعون الى الله تعالى في أحوال مختلفة في الدنيا وفي الدار الآخرة فجمع المصدر وان كان يقع بلفظ على القليل والكثير لاختلاف وجوهه كقوله تعالى وتظنون بالله الظنونا وعواقب الامر جمع عاقبة وهي آخر الشيء ثم قسم الحمد فجعله على ثلاثة أقسام أحدها الحمد على عظيم احسانه وهو أصول نعمه تعالى كالحياة والقدرة والشهوة وغيرها مما لا يدخل جنسه تحت مقدور القادر وثانيها الحمد على نير برهانه وهو ما نصبه في العقول من العلوم البديهية المفضية الى العلوم النظرية بتوحيده وعدله وثالثها الحمد على أرزاقه النامية أي الزائدة وما يجري مجراها من اطالة الاعمار وكثرة الارزاق وسائر ضروب الاحسان الداخلة في هذا القسم ثم بالغ في الحمد حمدا يكون لحقه قضاء ولشكره اداء وذلك لان الحمد والشكر ولو بلغ أقصى غاياته لم يصل الى أن يكون قاضيا لحق الله تعالى ولا مؤديا لشكره ولكنه قال ذلك على سبيل المبالغة ثم قال والى ثوابه مقربا وحسن مزيده موجبا وذلك لان الشكر يوجب الثواب والمزيد قال الله تعالى فاشكروا لي أشكركم أي أثبكم وقال لئن شكرتم لازيدنكم ثم شرع في الاستعانة بالله ففصلها أحسن تفصيل فذكر انه يستعين به استعانة راج لفضله في الآخرة مؤمل لنفعه في الدنيا واثق بدفعه المضار عنه وذلك لانه أراد أن يحتوي على وجوه ما يستعان به تعالى لاجله فذكر الامور الايجابية وأعقبها بالامور السلبية فالاولى جلب المنافع والثانية دفع المضار والطول الافضال والاذعان الانقياد والطاعة وأناب اليه أقبل وتاب وخنع خضع والمصدر الخنوع ولاذ به لجأ اليه

(الاصل) لَمْ يُولَدْ سُبْحانَهُ فَيَكُونَ فِي الْعِزِّ مُشارَكاً ☆ وَلَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مُورِثاً هالِكاً وَلَمْ يَتَقَدَّمْهُ وَقْتٌ وَلاَ زَمانٌ وَلَمْ يَتَعاوَرْهُ زِيادَةٌ وَلاَ نُقْصانٌ ☆ بَلْ ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِما أَرانا مِنْ عَلاَماتِ التَّدْبِيرِ الْمُتْقَنِ وَالْقَضاءِ الْمُبْرَمِ ☆ فَمِنْ شَواهِدِ خَلْقِهِ خَلْقُ السَّمٰواتِ مُوَطَّداتٍ بِلاَ عَمَدٍ ☆ قائِماتٍ بِلاَ سَنَدٍ دَعاهُنَّ فَأَجَبْنَ طائِعاتٍ مُذْعِناتٍ غَيْرَ مُتَلَكِّئاتٍ وَلاَ مُبْطِئاتٍ وَلَوْلاَ إِقْرارُهُنَّ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَإِذْعانُهُنَّ لَهُ بِالطَّواعِيَةِ لَما جَعَلَهُنَّ مَوْضِعاً لِعَرْشِهِ وَلاَ مَسْكَناً لِمَلاَئِكَتِهِ وَلاَ مَصْعَداً لِلْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالْعَمَلِ الصّالِحِ مِنْ خَلْقِهِ

(الشرح) نفى عليه السلام أن يكون الباري سبحانه مولودا فيكون له شريك في العز والالهية وهو أبوه الذي ولده وانما قال ذلك جريا على عادة ملوك البشر فان الاكثر ان الملك يكون ابن ملك قبله ونفى أن يكون له ولد جريا أيضا على عادة البشر في ان كل والد في الاكثر فانه يهلك قبل هلاك الولد ويرثه الولد وهذا النمط من الاحتجاج يسمى خطابة وهو نافع في مواجهة العرب به لان المراد من الاحتجاج اثبات العقيدة فتارة تثبت في نفوس العلماء بالبرهان وتارة تثبت في نفوس العوام بالخطابة والجدل ثم نفى أن يتقدمه وقت أو زمان والوقت هو الزمان وانما خالف بين اللفظين وأتى بحرف العطف كقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ونفى أن يتعاوره أي تختلف عليه زيادة أو نقصان يقال عاورت زيدا الضرب أي فعلت به من الضرب مثل ما فعل بي واعتوروا الشيء أي تداولوه فيما بينهم وكذلك تعوروه وتعاوروه وانما ظهرت الواو في اعتوروا لانه في معنى تعاوروا فبني عليه ولو لم يكن في معناه لاعتلت كما قالوا اجتوروا لما كان في معنى تجاوروا التي لا بد من صحة الواو فيها لسكون الالف قبلها واعتورت الرياح رسم الدار اختلفت عليه فان قلت هذا يقتضي أن يقول ولم يتعاوره زيادة ونقصان لان التعاور يستدعي الضدين معا ولا ينبغي أن يقول ولا نقصان كما لا يجوز أن تقول لم يختلف زيد ولا عمرو قلت لما كانت مراتب الزيادة مختلفة جاز أن يقال لا يعتوره الزيادة

فكذلك القول في جانب النقصان وجرى كل واحد من النوعين مجرى أشياء متنافية تختلف على الموضع الموصوف بها قوله عليه السلام موطدات أي ممهدات مثبتات والعمد جمع عماد نحو اهاب واهب وأديم وأدم وهو على خلاف القياس ومنه قوله تعالى في عمد ممددة وقوله تعالى خلق السموات بغير عمد ترونها والسند ما يستند اليه ثم قال دعاهن فأجبن طائعات هذا من باب المجاز والتوسع لان الجماد لا يدعى وأما من قال ان السموات أحياء ناطقة فانه لم يحمله مكافات ليقال ولولا اقرارهن له بالربوبية لما فعل كذا بل يقول ذلك على وجه آخر ولكن لغة العرب تنطق بمثل هذا المجاز نحو قول الراجز

امتلأ الحوض وقال قطني ☆ مهلا رويدا قد ملأت بطني

ومنه قوله تعالى ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ومنه قول مكاتب لبني منقر التميميين كان قد ظلع بكتابته فأتى قبر غالب بن صعصعة فاستجار به وأخذ منه حصيات فشدهن في عمامته ثم أتى الفرزدق فأخبره خبره وقال اني قد قلت شعرا قال هاته فأنشده

بقبر ابن ليلى غالب عذت بعدما ☆ خشيت الردى أو أن أرد على قسر
بقبر امرئ يقري المئين عظامه ☆ ولم يك الا غالبا ميت يقري
فقال لي استقدم أمامك انما ☆ فكاكك أن تلقى الفرزدق بالمصر

فقال ما اسمك فقال لهذم قال يا لهذم حكمك مسمطا قال ناقة كوماء سوداء الحدقة قال يا جارية اطرحي لنا حبلا ثم قال يا لهذم اخرج بنا الى المربد فألقه في عنق ما شئت من ابل الناس فتخير لهذم على عينه ناقة ورمى بالحبل في عنقها وجاء صاحبها فقال له الفرزدق أغد على أوفك ثمنها فجعل لهذم يقودها والفرزدق يسوقها حتى أخرجها من البيوت الى الصحراء فصاح به الفرزدق يا لهذم قبح الله أخسرنا خبر الشاعر عن القبر يقول فقال لي استقدم أمامك والقبر والميت الذي فيه لا يخبران ولكن العرب وأهل الحكمة من العجم يجعلون كل دليل قولا وجوابا ألا ترى الى قول زهير ☆ أمن أم أوفى دمنة لم تكلم ☆ وانما كلامها عنده أن يبين ما يرى من الآثار فيها عن قدم العهد بأهلها ومن كلام بعض الحكماء هلا وقفت على تلك الجنان والحيطان فقلت أيتها الجنان أين من شق أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك فان لم تجبك حوارا اجابتك اعتبارا وقال النعمان بن المنذر ومعه عدي بن زيد في ظل شجرات مونقات يشرب فقال عدي أبيت اللعن وأراد أن يعظه أتدري ما تقول هذه الشجرات قال ما تقول قال

رب ركب قد أناخوا حولنا ☆ يشربون الخمر بالماء الزلال
ثم أضحوا عصف الدهر بهم ☆ وكذاك الدهر يودي بالرجال

فتنغص النعمان يومه ذلك والمذعن المنقاد المطيع والمتلكئ المتوقف والكلم الطيب شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا صلى الله عليه وآله رسوله والعمل الصالح اداء الواجبات والنوافل واللفظات من القرآن العزيز والمصعد موضع الصعود ولا شبهة ان السماء أشرف من الارض على رأي المليين وعلى رأي الحكماء أما أهل الملة فلان السماء مصعد الاعمال الصالحة ومحل الانوار ومكان الملائكة وفيها العرش والكرسي والكواكب المدبرات أمرا وأما الحكماء فلامور أخرى تقتضيها أصولهم

(الاصل) جَعَلَ نُجُومَها أَعْلاَماً يَسْتَدِلُّ بِها الْحَيْرانُ فِي مُخْتَلِفِ فِجاجِ الأَقْطارِ ☆ لَمْ يَمْنَعْ ضَوْءَ نُورِها ادْلِهْمامُ سُجُفِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ☆ وَلاَ اسْتَطاعَتْ جَلاَبِيبُ سَوادِ الْحَنادِسِ أَنْ تَرُدَّ ما شاعَ فِي السَّمٰواتِ مِنْ تَلأْلُؤِ نُورِ الْقَمَرِ فَسُبْحانَ مَنْ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ سَوادُ غَسَقٍ داجٍ وَلاَ لَيْلٍ ساجٍ ☆ فِي بِقاعِ الأَرَضِينَ الْمُتَطَأْطِئاتِ ☆ وَلاَ فِي يَفاعِ السُّفْعِ الْمُتَجاوِراتِ وَما يَتَجَلْجَلُ

بِهِ الرَّعْدُ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ وما تَلَاشَتْ عَنْهُ بُرُوقُ الْغَمَامِ وما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ تُزِيلُهَا عَنْ مَسْقَطِهَا عَوَاصِفُ الْأَنْوَاءِ وَانْهِطَالُ السَّمَاءِ * وَيَعْلَمُ مَسْقَطَ الْقَطْرَةِ وَمَقَرَّهَا وَمَسْحَبَ الذَّرَّةِ وَمَجَرَّهَا وَمَا يَكْفِي الْبَعُوضَةَ مِنْ قُوتِهَا وَمَا تَحْمِلُ الْأُنْثَى فِي بَطْنِهَا

(الشرح) اعلاما أى يستدل بها والفجاج جمع فج وهو الطريق فى الجبل ثم قال ان ادلهمام سواد الليل أى شدة ظلمته لم يمنع الكواكب من الاضاءة وكذلك أيضا لم يمنع ظلام الليل القمر من تلألؤ نوره وانما خص القمر بالذكر وان كان من جملة الكواكب لشرفه بما يظهر للابصار من عظم جرمه وشدة اضاءته فصار كقوله تعالى فيهما فاكهة ونخل ورمان وقد روى بعض الرواة ادلهمام بالنصب وجعله مفعولا وضوء نورها بالرفع وجعله فاعلا وهذه الرواية أحسن فى صناعة الكتابة لمكان الازدواج أى لا القمر ولا الكواكب تمنع الليل من الظلمة ولا الليل يمنع الكواكب والقمر من الاضاءة والسجف جمع سجف وهو الستر ويجوز فتح السين وشاع تفرق وانتلأ لؤ اللمعان والجلابيب الثياب والغسق الظلمة والساجى الساكن والداجى المظلم والمتطأطئ المنخفض والسفع المتجاورات ههنا الجبال وسماها سفعا لان السفعة سواد مشرب بحمرة وكذلك لونها فى الاكثر واليفاع الارض المرتفع والتجلجل صوت الرعد وما تلاشت عنه بروق الغمام هذه الكلمة أهمل بناءها كثير من أئمة اللغة وهى صحيحة وقد جاءت ووردت قال ابن الاعرابى لشا الرجل اذا اتضع وخس بعد رفعة واذا صح أصلها صح استعمال الناس تلاشى الشئ بمعنى اضمحل وقال القطب الراوندى تلاشى مركب من لا شئ ولم يقف على أصل الكلمة وقد ظهر الآن ان معنى كلامه عليه السلام انه سبحانه يعلم ما يصوت به الرعد ويعلم ما يضمحل عنه البرق فان قلت وهل يقصد الرعد بجلجلته معنى معقولا ليقال ان البارى يعلمه ثم ما المراد بكونه عالما بما يضمحل البرق عنه قلت قد يكون تعالى يحدث فى الرعد جلجلة أى صوتا ليهلك به قوما أولينفع به قوما فعلمه بما تتضمنه تلك الجلجلة هو معنى قولنا يعلم ما يصوت به الرعد ولا ريب ان البرق يلمع فيضئ أقطارا مخصوصة ثم يتلاشى عنها فالبارى سبحانه عالم بتلك الاقطار التى يتلاشى البرق عنها فان قلت هو سبحانه عالم بما يضيئه البرق وبما لا يضيئه فلماذا خص بالعالمية ما يتلاشى عنه البرق قلت لان علمه بما ليس بمضئ بالبرق أعجب وأغرب لان ما يضيئه البرق يمكن أن يعلمه أولوا الابصار الصحيحة فأراد عليه السلام أن يشرح من صفاته سبحانه ما هو بخلاف المعتاد بين البشر ليكون اعظام السامعين له سبحانه أتم وأكمل والعواصف الرياح الشديدة واضافها الى الانواء لان أكثر ما يكون عصفانها فى الانواء وهى جمع نوء وهو سقوط النجم من منازل القمر الثمانية والعشرين فى المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه من المشرق مقابلا له من ساعته ومدة النوء ثلاثة عشر يوما الا الجبهة فان لها أربعة عشر يوما قال أبو عبيد ولم يسمع النوء انه السقوط الا فى هذا الموضع وكانت العرب تضيف الرياح والامطار والحر والبرد الى الساقط منها وقال الاصمعى بل الى الطالع فى سلطانه فتقول مطرنا بنوء كذا وكذا ونهى النبى صلى الله عليه وآله عن ذلك والجمع أنواء ونوآن أيضا مثل بطن وبطنان وعبد وعبدان قال حسان بن ثابت

ويثرب تعلم انا بها * اذا قحط القطر نوآنها

والانهطال الانصباب ومسقط القطرة من المطر موضع سقوطها ومقرها موضع قرارها ومسحب الذرة الصغيرة من النمل ومجرها موضع سحبها وجرها وهذا الفصل من فصيح الكلام ونادره ويتضمن من توحيد الله تعالى وتمجيده والثناء عليه ما يشهد لنفسه

(الاصل) الْحَمْدُ لِلهِ الْكَائِنِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كُرْسِيٌّ أَوْ عَرْشٌ أَوْ سَمَاءٌ أَوْ أَرْضٌ أَوْ جَانٌّ أَوْ إِنْسٌ * لَا يُدْرَكُ بِوَهْمٍ وَلَا يُقَدَّرُ بِفَهْمٍ * وَلَا يَشْغَلُهُ سَائِلٌ * وَلَا يَنْقُصُهُ

نَائِلٌ * وَلَا يَنْظُرُ بِعَيْنٍ وَلَا يُحَدُّ بِأَيْنٍ * وَلَا يُوصَفُ بِالْأَزْوَاجِ وَلَا يُخْلَقُ بِعِلَاجٍ وَلَا يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ * وَلَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ * الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيماً وَأَرَاهُ مِنْ آيَاتِهِ عَظِيماً بِلَا جَوَارِحَ وَلَا أَدَوَاتٍ وَلَا نُطْقٍ وَلَا لَهَوَاتٍ * بَلْ إِنْ كُنْتَ صَادِقاً أَيُّهَا الْمُتَكَلِّفُ لِوَصْفِ رَبِّكَ * فَصِفْ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَجُنُودَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ فِي حُجُرَاتِ الْقُدُسِ مُرْجَحِنِّينَ * مُتَوَلِّهَةً عُقُولُهُمْ أَنْ يَحُدُّوا أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ وَإِنَّمَا يُدْرَكُ بِالصِّفَاتِ ذَوُو الْهَيْئَاتِ وَالْأَدَوَاتِ وَمَنْ يَنْقَضِي إِذَا بَلَغَ أَمَدَ حَدِّهِ بِالْفَنَاءِ فَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَضَاءَ بِنُورِهِ كُلَّ ظَلَامٍ وَأَظْلَمَ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ نُورٍ

(الشرح) ليس يعنى بالكائن ههنا ما يعنيه الحكماء والمتكلمون بل مراده الموجود أى هو الموجود قبل أن يكون الكرسى والعرش وغيرهما والاوائل يزعمون ان فوق السموات السبع سماء ثامنة وسماء تاسعة ويقولون ان الثامنة هى الكرسى وان التاسعة هى العرش قوله عليه السلام لا يدرك بوهم الوهم ههنا الفكرة والتوهم ولا يقدر بفهم أى لا تستطيع الافهام أن تقدره وتحده ولا يشغله سائل كما يشغل السؤال منا من يسألونه ولا ينقصه العطاء كما ينقص العطاء خزائن الملوك ولا يبصر بجارحة ولا يحد بأين ولفظة اين فى الاصل مبنية على الفتح فاذا نكرتها صارت اسما متمكنا كما قال الشاعر

ليت شعرى وأين منى ليت * ان ليتا وان لوا عناء

وان شئت قلت انه تكلم بالاصطلاح الحكمى والاين عندهم حصول الجسم فى المكان وهو أحد المقولات العشر قوله عليه السلام ولا يوصف بالازواج أى صفات الازواج وهى الاصناف قال سبحانه وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج قوله ولا يخلق بعلاج أى لا يحتاج فى ايجاد المخلوقات الى معالجة ومزاولة قوله وكلم موسى تكليما من الالفاظ القرآنية والمراد ههنا من ذكر المصدر تأكيد الامر وازالة لبس عساه يصلح للسامع فيعتقد أنه أراد المجاز وأنه لم يكن كلام على الحقيقة قوله وأراه من آياته عظيما ليس يريد به الآيات الخارجة عن التكليم كانشقاق البحر وقلب العصا لانه يكون بادخال ذلك بين قوله تكليما وقوله بلا جوارح ولا أدوات ولا نطق ولا لهوات مستهجنا وانما يريد أنه أراد بتكليمه اياه عظيما من آياته وذلك أنه كان يسمع الصوت من جهاته الست ليس على حد سماع كلام البشر من جهة مخصوصة وله دوى وصلصلة كوقع السلاسل العظيمة على الحصا الاصم فان قلت أتقول ان الكلام حل أجساما مختلفة من الجهات الست قلت لا وانما حل الشجرة فقط وكان يسمع من كل جهة والدليل على حلوله فى الشجرة قوله تعالى فلما أتاها نودى من شاطئ الواد الايمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى فلا يخلو اما أن يكون النداء حل الشجرة أو المنادى حلها والثانى باطل فثبت الاول ثم قال عليه السلام ان تكلف أن يصف ربه ان كنت صادقا انك قد وصلت الى معرفة صفته فصف لنا الملائكة فان معرفة ذات الملك أهون من معرفة ذات الاول سبحانه وحجرات القدس جمع حجرة ومرجحنين مائلين الى جهة تحت خضوعا لجلال البارى سبحانه ارجحن الحجر اذا مال هاويا متولهة عقولهم أى حائرة ثم قال انما يدرك بالصفات ويعرف كنهه ما كان ذا هيئة وأداة وجارحة وما ينقضى ويفنى ويتطرق اليه العدم وواجب الوجود سبحانه بخلاف ذلك وتحت قوله أضاء بنوره كل ظلام الى آخر الفصل معنى دقيق وسر خفى وهو ان كل رذيلة فى الخلق البشرى مع معرفته بالادلة البرهانية غير مؤثرة ولا قادحة فى جلالة المقام الذى قد بلغ اليه وذلك نحو أن يكون العارف بخيلا أو جبانا أو حريصا أو نحو ذلك وكل فضيلة فى الخلق البشرى مع الجهل به سبحانه فليست بفضيلة فى الحقيقة ولا معتد بها لان نقيصة الجهل به تكسف تلك الانوار وتمحق فضلها وذلك نحو أن يكون الجاهل به سبحانه جوادا أو شجاعا أو عفيفا أو نحو ذلك وهذا

يطابق ما يقوله الأوائل من ان العارف المذنب يشقى بعد الموت قليلا ثم يعود الى النعيم السرمدى وان الجاهل ذا العبادة والاحسان يشقى بعد الموت شقاء مؤبدا ومذهب الخلص من مرجئة الاسلام يناقض هذه اللفظات ويقال انه مذهب أبى حنيفة رحمه الله ويمكن تأويلها على مذهب أصحابنا بأن يقال كل ظلام من المعاصى الصغائر فانه ينجلى بضياء معرفته وطاعته وكل طاعة يفعلها المكلف مع الكفر به سبحانه فانها غير نافعة ولا موجبة ثوابا ويكون هذا التأويل من باب صرف اللفظ عن عمومه الى خصوصه

(الاصل) أوصيكُمْ عبادَ اللهِ بتقوى اللهِ الَّذِى أَلْبَسَكُمُ الرِّياشَ * وأَسْبَغَ عَلَيْكُمُ المَعَاشَ فَلَوْ أَنَّ أَحَدًا يجِدُ الى البَقاء سُلَّمًا أَوْ لِدَفْعِ المَوْتِ سَبِيلاً لَكانَ ذَلِكَ سُلَيْمانُ ابْنُ دَاوُدَ عليهِ السَّلامُ الَّذِى سُخِّرَ لَهُ مُلْكُ الجِنِّ والإِنْسِ مَعَ النُّبُوَّةِ وَعَظِيمِ الزُّلْفَةِ * فَلَمَّا اسْتَوْفَى طُعْمَتَهُ * وَاسْتَكْمَلَ مُدَّتَهُ رَمَتْهُ قِسِيُّ الفَنَاء بِنِبالِ المَوْتِ وأَصْبَحَتِ الدِّيارُ مِنْهُ خالِيَةً وَالمَساكِنُ مُعَطَّلَةً وَوَرِثَها قَوْمٌ آخَرُونَ وانَّ لَكُمْ فِي القُرُونِ السّالِفَةِ لَعِبْرَةً * أَيْنَ العَمالِقَةُ وأَبْناءُ العَمالِقَةِ * أَيْنَ الفَراعِنَةُ وأَبْناءُ الفَراعِنَةِ * أَيْنَ أَصْحابُ مَدائِنِ الرَّسِّ الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيِّينَ وَأَطْفَؤُا سُنَنَ المُرْسَلِينَ وَأَحْيَوْا سُنَنَ الجَبّارِينَ * أَيْنَ الَّذِينَ سارُوا بالجُيُوشِ وهَزَمُوا بالأُلُوفِ وعَسْكَرُوا العَساكِرَ وَمَدَّنُوا المَدائِنَ

(الشرح) الرياش اللباس وأسبغ أوسع وانما ضرب المثل بسليمان عليه السلام لانه كان ملك الانس والجن ولم يحصل لغيره ذلك ومن الناس من أنكر هذا لان اليهود والنصارى يقولون انه لم يتعد ملكه حدود الشام بل بعض الشام وينكرون حديث الجن والطير والريح ويحملون ما ورد من ذلك على وجوه وتأويلات عقلية معنوية ليس هذا موضع ذكرها والزلفة القرب والطعمة بضم الطاء المأكلة يقال قد جعلت هذه الضيعة طعمة لزيد والقسى جمع قوس وأصلها قووس على فعول كضرب وضروب الا انهم قدموا اللام فقالوا قسوو على فلوع ثم قلبت الواو ياء وكسروا القاف كما كسروا عين عصى فصارت قسى والعمالقة أولاد لاذ بن ارم بن سام بن نوح كان الملك باليمن والحجاز وما تاخم ذلك من الاقاليم فمنهم عملاق بن لاوذ بن سام ومنهم طسم بن لاوذ أخوه ومنهم جديس بن لاوذ أخوهما وكان العز والملك بعد عملاق بن لاوذ فى طسم فلما ملكهم عملاق بن طسم بغى وأكثر الفساد فى الارض حتى كان يطأ العروس ليلة اهدائها الى بعلها وان كانت بكرا افتضها قبل وصولها الى البعل ففعل ذلك بامرأة من جديس يقال لها عفيرة بنت عفار فخرجت الى قومها وهى تقول لا أحد اذل من جديس * أهكذا يفعل بالعروس فغضب لها أخوها الاسود بن عفار وتابعه قومه على الفتك بعملاق بن طسم وأهل بيته فصنع الاسود طعاما ودعا عملاق الملك اليه ثم وثب به وبطسم فأتى على رؤسائهم ونجا منهم رباح بن مر فصار الى ذى جيشان بن تبع الحميرى ملك اليمن فاستغاث به واستنجده على جديس فسار ذو جيشان فى حمير فأتى بلاد جو وهى قصبة اليمامة فاستأصل جديسا كلها وأخرب اليمامة فلم يبق لجديس باقية ولا لطسم الا اليسير منهم ثم ملك بعد طسم وجديس وبار بن أميم بن لاوذ بن ارم فسار بولده وأهله فنزل بارض وبار وهى المعروفة الآن برمل عالج فبغوا فى الارض حينا حتى أفناهم الله ثم ملك الارض بعد وبار عبد ضخم بن أثيف بن لاوذ فنزلوا بالطائف حينا ثم بادوا وممن يعد مع العمالقة عاد وثمود فأما عاد فهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح كان يعبد القمر ويقال انه رأى من صلبه أولادا وأولاد أولاد أولاده أربعة آلاف وانه نكح ألف جارية وكانت بلاده الأحقاف المذكورة فى القرآن وهى من شحر عمان الى حضرموت ومن أولاده شداد بن عاد صاحب المدينة المذكورة وأما ثمود فهو ثمود بن عابر

ابن

ابن ارم بن سام بن نوح وكانت دياره بين الشام والحجاز الى ساحل نهر الحبشة قوله عليه السلام أين الفراعنة وأبناء الفراعنة جمع فرعون وهم ملوك مصر فمنهم الوليد بن الريان فرعون يوسف ومنهم الوليد بن مصعب فرعون موسى ومنهم فرعون بن الاعرج الذى غزا بنى اسرائيل وأخرب بيت المقدس قوله عليه السلام أين أصحاب مدائن الرس قيل انهم أصحاب شعيب النبى صلى الله عليه وآله وكانوا عبدة أصنام ولهم مواش وآبار يسقون منها والرس بئر عظيمة جدا انخسفت بهم وهم حولها فهلكوا وخسفت بأرضهم كلها وديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان بها قوم من بقايا ثمود بغوا فأهلكوا وقيل قوم من العرب القديمة بين الشام والحجاز وكانت العنقاء تختطف صبيانهم فتقتلهم فدعوا الله أن ينقذهم منها فبعث اليهم حنظلة بن صفوان فدعاهم الى الدين على أن يقتل العنقاء فشارطوه على ذلك فدعا عليها فأصابتها الصاعقة فلم يفوا له وقتلوه فأهلكوا وقيل هم أصحاب الاخدود والرس هو الاخدود وقيل الرس أرض بانطاكية قتل فيها حبيب النجار وقيل بل كذب أهلها نبيهم ورسوه فى بئر أى رموه فيها وقيل ان الرس نهر فى اقليم الباب والابواب مبدؤها من مدينة طراز وينتهى الى نهر الكر فيختلط به حتى يصب فى بحر الخزر كان هناك ملوك أولو بأس وقدرة فأهلكهم الله ببغيهم

(الاصل) (منها) قَدْ لَبِسَ لِلْحِكْمَةِ جُنَّتَها * وَأَخَذَها بِجَمِيعِ أَدَبِها مِنَ الإِقْبالِ عَلَيْها وَالمَعْرِفَةِ بِها وَالتَّفَرُّغِ لَها فَهِىَ عِنْدَ نَفْسِهِ ضالَّتُهُ الَّتِى يَطْلُبُها وَحاجَتُهُ الَّتِى يَسْأَلُ عَنْها فَهُوَ مُغْتَرِبٌ اذَا اغْتَرَبَ الإِسْلامُ * وَضَرَبَ بِعَسِيبِ ذَنَبِهِ وَأَلْصَقَ الأَرْضَ بِجِرانِهِ بَقِيَّةٌ مِنْ بَقايا حُجَّتِهِ * خَلِيفَةٌ مِنْ خَلائِفِ أَنْبِيائِهِ

(الشرح) هذا الكلام فسره كل طائفة على حسب اعتقادها فالشيعة الامامية تزعم ان المراد به المهدى المنتظر عندهم والصوفية يزعمون انه يعنى به ولى الله فى الارض وعندهم ان الدنيا لا تخلو عن الابدال وهم أربعون وعن الاوتاد وهم سبعة وعن القطب وهو واحد فاذا مات القطب صار أحد السبعة قطبا وصار أحد الاربعين وتدا عوض الوتد وصار بعض الاولياء الذين يصطفيهم الله تعالى بدلا عوض ذلك البدل وأصحابنا يزعمون ان الله تعالى لا يخلى الامة من جماعة من المؤمنين العلماء بالعدل والتوحيد وان الاجماع انما يكون حجة باعتبار أقوال أولئك العلماء لكنه لما تعذرت معرفتهم بأعيانهم اعتبر اجماع سائر العلماء وانما الاصل قول أولئك قالوا وكلام أمير المؤمنين عليه السلام ليس يشير فيه الى جماعة أولئك العلماء من حيث هم جماعة ولكنه يصف حال كل واحد منهم فيقول من صفته كذا ومن صفته كذا والفلاسفة يزعمون أن مراده عليه السلام بهذا الكلام العارف ولهم فى العرفان وصفات أربابه كلام يعرفه من له أنس بأقوالهم وليس يبعد عندى أن يريد به القائم من آل محمد صلى الله عليه وآله فى آخر الوقت اذا خلقه الله تعالى وان لم يكن الآن موجودا فليس فى الكلام ما يدل على وجوده الآن وقد وقع اتفاق الفرق من المسلمين أجمعين على ان الدنيا والتكليف لا ينقضى الا عليه قوله عليه السلام قد لبس للحكمة جنتها الجنة ما يستتر به من السلاح كالدرع ونحوها ولبس جنة الحكمة قمع النفس عن المشتهيات وقطع علائق النفس عن المحسوسات فان ذلك مانع للنفس عن أن يصيبها سهام الهوى كما تمنع الدرع الدارع عن أن يصيبه سهام الرماية ثم عاد الى صفة هذا الشخص فقال وأخذ بجميع أدبها من الاقبال عليها أى شدة الحرص والهمة ثم قال والمعرفة بها أى والمعرفة بشرفها ونفاستها ثم قال والتفرغ لها لان الذهن متى وجهته نحو معلومين تخبط وفسد وانما يدرك الحكمة بتخلية السر من كل ما سواها قال فهى عند نفسه ضالته التى يطلبها هذا مثل قوله عليه السلام الحكمة ضالة المؤمن ومن كلام الحكماء لا يمنعك من الانتفاع بالحكمة حقارة من وجدتها عنده كما لا يمنعك خبث تراب المعدن من التقاط الذهب ووجدت بخط أبى محمد عبد الله ابن أحمد الخشاب رحمه الله فى تعاليق مسودة أبياتا للعطوى وهى

قد رأينا الغزال والغصن والنجميـن شمس الضحى بدر التمام
فوحق البيان يعضده البرهان فى مأقط شديد الخصام
ما رأينا سوى المليحة شيأ جمع الحسن كله فى نظام
هى تجرى مجرى الاصالة فى الرأى ومجرى الارواح فى الاجسام

وقد كتب ابن الخشاب بخطه تحت المليحة ما أصدقه ان أراد بالمليحة الحكمة قوله عليه السلام وحاجته التى يسأل عنها هو مثل قوله ضالته التى يطلبها ثم قال هو مغترب اذا اغترب الاسلام يقول هذا الشخص يخفى نفسه ويخملها اذا اغترب الاسلام واغتراب الاسلام أن يظهر الفسق والجور على الصلاح والعدل قال عليه السلام بدأ الاسلام غريبا وسيعود كما بدأ قال وضرب بعسيب ذنبه والصق الارض بجرانه هذا من تمام قوله اذا اغترب الاسلام أى اذا صار الاسلام غريبا مقهورا وصار الاسلام كالبعير البارك يضرب الارض بعسيبه وهو أصل الذنب ويلصق جرانه وهو صدره فى الارض فلا يكون له تصرف ولا نهوض ثم عاد الى صفة الشخص المذكور وقال بقية من بقايا حججه خليفة من خلائف أنبيائه الضمير ههنا يرجع الى الله سبحانه وان لم يجر ذكره للعلم به كما قال حتى توارت بالحجاب ويمكن أن يقال ان الضمير راجع الى مذكور وهو الاسلام أى من بقايا حجج الاسلام وخليفة من خلائف أنبياء الاسلام فان قلت ليس للاسلام الانبى واحد قلت بل له أنبياء كثير قال تعالى ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وقال سبحانه ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وكل الانبياء دعوا الى ما دعا اليه محمد صلى الله عليه وآله من التوحيد والعدل فكلهم أنبياء للاسلام فان قلت أليس لفظ الحجة ولفظ الخليفة مشعرا بما تقوله الامامية قلت لا فان أهل التصوف يسمون صاحبهم حجة وخليفة وكذلك الفلاسفة وأصحابنا لا يمتنعون من اطلاق هذه الالفاظ على العلماء المؤمنين فى كل عصر لانهم حجج الله أى اجماعهم حجة وقد استخلفهم الله فى أرضه ليحكموا بحكمه وعلى ما اخترناه نحن فالجواب ظاهر

(الاصل) (ثُمَّ قَالَ عَلَيهِ السَّلَامُ) أَيُّهَا النَّاسُ انّى قَدْ بَثَثْتُ لَكُمُ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ بِهَا الأَنْبِياءُ أُمَمَهُمْ وَأَدَّيْتُ الَيْكُمْ ما أَدَّتِ الأَوْصِياءُ الَى مَنْ بَعْدَهُمْ وَأَدَّبْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا وَحَدَوْتُكُمْ بِالزَّوَاجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا * لِلّهِ أَنْتُمْ أَتَتَوَقَّعُونَ إماماً غَيْرِي يَطَأُ بِكُمُ الطَّرِيقَ وَيُرْشِدُكُمُ السَّبِيلَ أَلا إِنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ الدُّنْيا ما كانَ مُقْبِلاً وَأَقْبَلَ مِنْها ما كانَ مُدْبِراً وأَزْمَعَ التَّرْحالَ عِبادُ اللّهِ الأَخْيارُ وَباعُوا قَلِيلاً مِنَ الدُّنْيا لا يَبْقَى بِكَثِيرٍ مِنَ الآخِرَةِ لا يَفْنى ماضَرَّ اخْوانَنا الَّذِينَ سُفِكَتْ دِماؤُهُمْ بِصِفِّينَ أَنْ لا يَكُونُوا الْيَوْمَ أَحْياءً يُسِيغُونَ الْغُصَصَ وَيَشْرَبُونَ الرَّنْقَ * قَدْ واللّهِ لَقُوا اللّهَ فَوَفّاهُمْ أُجُورَهُمْ وأَحَلَّهُمْ دارَ الأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ أَيْنَ إِخْوانِي الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ وَمَضَوْا عَلى الْحَقِّ أَيْنَ عَمّارٌ * وَأَيْنَ ابْنُ التَّيِّهانِ وأَيْنَ ذُو الشَّهادَتَيْنِ وأَيْنَ نُظَراؤُهُمْ مِنْ اخْوانِهِمُ الَّذِينَ تَعاقَدُوا عَلى الْمَنِيَّةِ وَأُبْرِدَ بِرُؤُسِهِمْ إِلَى الْفَجَرَةِ (قالَ ثُمَّ ضَرَبَ عليهِ السَّلامُ بِيَدِهِ عَلى لِحْيَتِهِ الشَّرِيفَةِ الْكَرِيمَةِ فَأَطالَ الْبُكاءَ ثُمَّ قالَ عليهِ السَّلامُ) أَوِّهْ عَلى إِخْوانِى الَّذِينَ قَرَؤُا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ * وَتَدَبَّرُوا

الْفَرْضَ فَأَقامُوهُ أَحْيَوُا السُّنَّةَ وَأَماتُوا الْبِدْعَةَ دُعُوا لِلْجِهادِ فَأَجابُوا وَوَثِقُوا بِالْقائِدِ فَاتَّبَعُوهُ (ثُمَّ نادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ) الْجِهادَ الْجِهادَ عِبادَ اللّهِ أَلا وَإِنِّي مُعَسْكِرٌ فِي يَوْمِي هذا فَمَنْ أَرادَ الرَّوَاحَ إِلَى اللّهِ فَلْيَخْرُجْ * قالَ نَوْفٌ وَعَقَدَ لِلْحُسَيْنِ عليهِ السَّلامُ فى عَشَرَةِ آلافٍ وَلِقَيْسِ ابْنِ سَعْدٍ رَحِمَهُ اللّهُ فِي عَشَرَةِ آلافٍ وَلِأَبِي أَيُّوبَ الأَنْصارِيِّ فِي عَشَرَةِ آلافٍ وَلِغَيْرِهِمْ عَلى أَعْدادٍ أُخَرَ وَهُوَ يُرِيدُ الرَّجْعَةَ إِلَى صِفِّينَ فَما دارَتِ الْجُمُعَةُ حَتَّى ضَرَبَهُ الْمَلْعُونُ ابْنُ الْمُلْجِمِ لَعَنَهُ اللّهُ فَتَراجَعَتِ الْعَساكِرُ فَكُنّا كَأَغْنامٍ فَقَدَتْ راعِيَها تَخْتَطِفُها الذِّئابُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ

(الشرح) بثثت لكم المواعظ فرقتها ونشرتها والاوصياء الذين يأتمنهم الانبياء على الاسرار الالهية وقد يمكن أن لا يكونوا خلفاء بمعنى الامرة والولاية فان مرتبتهم أعلى من مراتب الخلفاء وحدوتكم سقتكم كما تحدى الابل فلم تستوسقوا أى لم تجتمعوا قال * مستوسقات لم يجدن سائقا * قوله يطأ بكم الطريق أى يحملكم على المنهاج الشرعى ويسلك بكم مسلك الحق كانه جعلهم ضالين عن الطريق التى يطلبونها وقال أتريدون اماما غيرى يوقفكم على الطريق التى تطلبونها حتى تطؤها وتسلكوها ثم ذكر انه قد أدبر من الدنيا ما كان مقبلا وهو الهدى والرشاد فانه كان فى أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وخلفائه مقبلا ثم أدبر عند استيلاء معاوية واتباعه وأقبل منها ما كان مدبرا وهو الضلال والفساد ومعاوية عند أصحابنا مطعون فى دينه منسوب الى الالحاد قد طعن فيه صلى الله عليه وآله وروى فيه شيخنا أبو عبد الله البصرى فى كتاب نقض السفيانية على الجاحظ وروى عنه أخبارا كثيرة تدل على ذلك وقد ذكرناها فى كتابنا فى مناقضة السفيانية وروى أحمد بن أبى طاهر فى كتاب أخبار الملوك أن معاوية سمع المؤذن يقول أشهد أن لا اله الا الله فقالها ثلاثا فقال أشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لله أبوك يا ابن عبد الله لقد كنت عالى الهمة ما رضيت لنفسك الا أن يقرن اسمك باسم رب العالمين قوله عليه السلام وازمع الترحال أى ثبت عزمهم عليه يقال أزمعت الامر ولا يقال أزمعت على الامر هكذا يقول الكسائى وأجازه الخليل والفراء ثم قال عليه السلام انه لم يضر اخواننا القتلى بصفين كونهم اليوم ليسوا باحياء حياتنا المشوبة بالغصص ويقال ماء رنق بالتسكين أى كدر رنق الماء بالكسر يرنق رنقا فهو رنق وأرنقته أى كدرته وعيش رنق بالكسر أى كدر ثم أقسم أنهم لقوا الله فوفاهم أجورهم وهذا يدل على ما يذهب اليه جمهور أصحابنا من نعيم القبر وعذابه ثم قال عليه السلام أين اخوانى ثم عددهم فقال أين عمار وهو عمار بن ياسر بن عامر بن كنانة بن قيس العنسى بالنون المذحجى يكنى أبا اليقظان حليف بنى مخزوم ونحن نذكر طرفا من أمره من كتاب الاستيعاب لابى عمر بن عبد البر المحدث قال أبو عمر كان ياسر والد عمار عربيا قحطانيا من عنس فى مذحج الا أن ابنه عمارا كان مولى لبنى مخزوم لان أباه ياسرا قدم مكة مع أخوين له يقال لهما مالك والحرث فى طلب أخ لهم رابع فرجع الحارث ومالك الى اليمن وأقام ياسر بمكة فحالف أبا حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم فزوجه أبو حذيفة أمة يقال لها سمية فاولدها عمارا فاعتقه أبو حذيفة فمن ههنا كان عمار مولى بنى مخزوم وأبوه عربى لا يختلفون فى ذلك وللحلف والولاء الذى بين بنى مخزوم وعمار وأبيه ياسر كان احتمال بنى مخزوم على عثمان حين نال من عمار غلمان عثمان ما نالوا من الضرب حتى انفتق له فتق فى بطنه زعموا وكسروا ضلعا من أضلاعه فاجتمعت بنو مخزوم فقالوا والله لئن مات لا قتلنا به أحدا غير عثمان قال أبو عمر كان عمار بن ياسر ممن عذب فى الله ثم أعطاهم عمار ما أرادوا بلسانه واطمأن الايمان بقلبه فنزل فيه الا من أكره وقلبه

مطمئن بالايمان وهذا مما أجمع عليه أهل التفسير وهاجر الى أرض الحبشة وصلى الى القبلتين وهو من المهاجرين الاولين ثم شهد بدرا والمشاهد كلها وابلى بلاء حسنا ثم شهد اليمامة فابلى فيها أيضا يومئذ وقطعت اذنه قال أبو عمر وقد روى الواقدى عن عبد الله بن نافع عن أبيه عن عبد الله بن عمر قال رأيت عمارا يوم اليمامة على صخرة وقد أشرف عليها يصيح يامعشر المسلمين أمن الجنة تفرون أنا عمار بن ياسر هلموا الى وأنا أنظر الى أذنه قد قطعت فهى تذبذب وهو يقاتل أشد القتال قال أبو عمر وكان عمار آدم طوالا مضطربا أشهل العينين بعيد ما بين المنكبين لا يغير شيبه قال وبلغنا ان عمارا قال كنت تربا لرسول الله صلى الله عليه وآله فى سنه لم يكن أحد أقرب اليه منى سنا وقال ابن عباس فى قوله تعالى أومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس انه عمار بن ياسر كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها انه أبو جهل بن هشام قال وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ان عمارا ملئ ايمانا الى مشاشه ويروى الى اخمص قدميه وروى أبو عمر عن عائشة انها قالت مامن أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أشاء أن أقول فيه الا قلت الا عمار بن ياسر فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول انه ملئ ايمانا الى اخمص قدميه قال أبو عمر وقال عبد الرحمن بن ابزى شهدنا مع على عليه السلام صفين ثمانمائة ممن بايع بيعة الرضوان قتل منا ثلاثة وستون منهم عمار ابن ياسر قال أبو عمر ومن حديث خالد بن الوليد ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال من أبغض عمارا أبغضه الله فما زلت أحبه من يومئذ قال أبو عمر ومن حديث على بن أبى طالب عليه السلام ان عمارا جاء يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وآله يوما فعرف صوته فقال مرحبا بالطيب المطيب يعنى عمارا ائذنوا له قال أبو عمر ومن حديث أنس عن النبى صلى الله عليه وآله اشتاقت الجنة الى أربعة على عليه السلام وعمار وسلمان وبلال قال أبو عمر وفضائل عمار كثيرة جدا يطول ذكرها قال وروى الاعمش عن أبى عبد الرحمن السلمى قال شهدنا مع على عليه السلام صفين فرأيت عمار بن ياسر لا يأخذ فى ناحية ولا واد من أودية صفين الا رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله يتبعونه كانه علم لهم وسمعته يقول يومئذ لهاشم بن عتبة ياهاشم تقدم الجنة تحت البارقة اليوم ألقى الاحبه ٭ محمدا وحزبه والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنا على الحق وانهم على الباطل ثم قال

نحن ضربناكم على تنزيله ٭ فاليوم نضربكم على تأويله
ضربا يزيل الهام عن مقيله ٭ ويذهل الخليل عن خليله
٭ أو يرجع الحق الى سبيله ٭

فلم أر أصحاب محمد صلى الله عليه وآله قتلوا فى موطن ماقتلوا يومئذ قال وقد قال ابو مسعود البدرى وطائفة لحذيفة حين احتضر وقد ذكر الفتنة اذا اختلف الناس فبمن تأمرنا قال عليكم بابن سمية فانه لن يفارق الحق حتى يموت أو قال فانه يزول مع الحق حيث زال قال أبو عمر وبعضهم يجعل هذا الحديث عن حذيفة مرفوعا قال أبو عمر وروى الشعبى عن الاحنف أن عمارا حمل يوم صفين فحمل عليه ابن جزء السكسكى وأبو الغادية الفزارى فاما أبو الغادية فطعنه وأما ابن جزء فاحتز رأسه قلت هذا الموضع مما اختلف فيه قول أبى عمر رحمه الله فانه ذكر فى كتاب الكنى من الاستيعاب أبا الغادية بالغين المعجمة وقال انه جهنى من جهينة وجهينة من قضاعة وقد نسبه ههنا فزاريا وقال فى كتاب الكنى ان اسم أبى الغادية يسار وقيل مسلم وقد ذكر ابن قتيبة فى كتاب المعارف عن أبى الغادية انه كان يحدث عن نفسه بقتل عمار ويقول ان رجلا طعنه فانكشف المغفر عن رأسه فضربت رأسه فاذا رأس عمار قد ندر وكيفية هذا القتل تخالف الكيفية التى رواها ابن عبد البر قال أبو عمر وقد روى وكيع عن شعبة عن عبد بن مرة عن عبد الله بن سلمة قال لكانى أنظر الى عمار يوم صفين وهو صريع فاستسقى فأتى بشربة من لبن فشرب فقال اليوم ألقى الاحبة ان رسول الله صلى الله عليه وآله عهد الى ان آخر شربة أشربها فى الدنيا شربة من لبن ثم استسقى ثانية فأتته امرأة طويلة اليدين باناء فيه ضياح من لبن فقال حين شربه الحمد لله الجنة تحت الاسنة والله لو ضربونا حتى يبلغوا نا سعفات هجر لعلمنا انا على الحق وانهم على الباطل ثم قاتل حتى قتل قال أبو عمر وقد روى حارثة بن المضراب قرأت كتاب عمر الى أهل

الكوفة أما بعد فانى بعثت اليكم عمارا أميرا وعبد الله بن مسعود معلما ووزيرا وهما من النجباء من أصحاب محمد فاسمعوا لهما واقتدوا بهما فانى قد آثرتكم بعبد الله على نفسى اثرة قال أبو عمر وانما قال عمر هما من النجباء لقول رسول الله صلى الله عليه وآله انه لم يكن نبى الا أعطى سبعة من أصحابه نجباء وزراء فقهاء وانى قد أعطيت أربعة عشرة حمزة وجعفرا وعليا وحسنا وحسينا وأبا بكر وعمر وعبد الله بن مسعود وسلمان وعمارا وأبا ذر وحذيفة والمقداد وبلالا قال أبو عمر وتواترت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال تقتل عمارا الفئة الباغية وهذا من اخباره بالغيب واعلام نبوته صلى الله عليه وآله وهو من أصح الاحاديث وكانت صفين فى ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين ودفنه على عليه السلام فى ثيابه ولم يغسله وروى أهل الكوفة انه صلى عليه وهو مذهبهم فى الشهداء انهم لا يغسلون ولكن يصلى عليه قال أبو عمر وكان سن عمار يوم قتل نيفا وتسعين سنة قيل احدى وتسعين وقيل اثنتين وتسعين وقيل ثلاثا وتسعين ثم قال عليه السلام وأين ابن التيهان هو أبو الهيثم بن التيهان بالياء المنقوطة باثنتين تحتها المشددة المكسورة وقبلها تاء منقوطة باثنتين فوقها واسمه مالك واسم أبيه مالك أيضا ابن عبيد بن عمرو بن عبد الاعلم ابن عامر الانصارى أحد النقباء ليلة العقبة وقيل انه لم يكن من أنفسهم وانه من بلى بن أبى الحارث بن قضاعة وانه حليف لبنى عبد الاشهل كان أحد النقباء ليلة العقبة وشهد بدرا قال أبو عمر بن عبد البر فى كتاب الاستيعاب اختلف فى وقت وفاته فذكر خليفة عن الاصمعى قال سألت قومه فقالوا مات فى حياة رسول الله صلى الله عليه وآله قال أبو عمر وهذا لم يتابع عليه قائله وقيل انه توفى سنة عشرين أو احدى وعشرين وقيل انه أدرك صفين وشهدها مع على عليه السلام وهو الاكثر وقيل انه قتل بها ثم قال أبو عمر حدثنا خلف بن قاسم قال حدثنا الحسن بن رشيق قال حدثنا الدولابى قال حدثنا أبو بكر الوجيهى عن أبيه عن صالح بن الوجيه قال وممن قتل بصفين عمار وأبو الهيثم بن التيهان وعبد الله بن بديل وجماعة من البدريين رحمهم الله ثم روى أبو عمر رواية أخرى فقال حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد ابن عبد المؤمن قال حدثنا عثمان بن أحمد بن السماك قال حدثنا حنبل بن اسحق بن على قال قال أبو نعيم أبو الهيثم ابن التيهان اسمه مالك واسم التيهان عمرو بن الحارث أصيب أبو الهيثم مع على يوم صفين قال أبو عمر هذا قول أبو نعيم وغيره قلت وهذه الرواية أصح من قول ابن قتيبة فى كتاب المعارف وذكر قوم ان أبا الهيثم شهد صفين مع على عليه السلام ولا يعرف ذلك أهل العلم ولا يثبتونه فان تعصب ابن قتيبة معلوم وكيف يقول لا يعرفه أهل العلم وقد قاله أبى نعيم وقاله صالح بن الوجيه ورواه ابن عبد البر وهؤلاء شيوخ المحدثين ثم قال عليه السلام وأين ذو الشهادتين هو خزيمة ابن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة الخطمى الانصارى من بنى خطمة من الاوس جعل رسول الله صلى الله عليه وآله شهادته كشهادة رجلين لقصة مشهورة يكنى أبا عمارة شهد بدرا وما بعدها من المشاهد وكانت راية بنى خطمة بيده يوم الفتح قال أبو عمر بن عبد البر فى كتاب الاستيعاب وشهد صفين مع على بن أبى طالب عليه السلام فلما قتل عمار قاتل حتى قتل قال أبو عمر وقد روى حديث مقتله بصفين من وجوه كثيرة ذكرناها فى كتاب الاستيعاب عن ولد ولده وهو محمد بن عمارة بن خزيمة ذى الشهادة وانه كان يقول فى صفين سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول تقتل عمارا الفئة الباغية ثم قاتل حتى قتل قلت ومن غريب ماوقعت عليه من العصبية القبيحة ان أبا حيان التوحيدى قال فى كتاب البصائر ان خزيمة بن ثابت المقتول مع على عليه السلام بصفين ليس هو خزيمة بن ثابت ذا الشهادتين بل آخر من الانصار صحابى اسمه خزيمة بن ثابت وهذا خطأ لان كتب الحديث والنسب تنطق بانه لم يكن فى الصحابة من الانصار ولا من غير الانصار خزيمة بن ثابت الا ذو الشهادتين وانما الهوى لادواء له على ان الطبرى صاحب التاريخ قد سبق أبا حيان بهذا القول ومن كتابه نقل أبو حيان والكتب الموضوعة لاسماء الصحابة تشهد بخلاف ماذكراه ثم أى حاجة لناصرى أمير المؤمنين أن يتكثروا بخزيمة وأبى الهيثم وعمار وغيرهم لو أنصف الناس هذا الرجل ورأوه بالعين الصحيحة لعلموا انه لو كان وحده وحاربه الناس كلهم أجمعون لكان على الحق وكانوا على الباطل ثم قال عليه السلام وأين نظراؤهم من اخوانهم يعنى الذين قتلوا بصفين معه من الصحابة كابن بديل وهاشم بن عتبة وغيرهما ممن ذكرناه فى

أخبار صفين وتعاقدوا على المنية جعلوا بينهم عقدا وروى تعاهدوا وأبرد برؤسهم الى الفجرة حملت رؤسهم مع البريد الى الفسقة للبشارة بها والفجرة ههنا امراء عسكر الشام تقول قد أبردت الى الامير فانا مبرد والرسول بريد ويقال للفرانق البريد لانه ينذر قدام الاسد قوله أوه على اخوانى ساكنة الواو مكسورة الهاء كلمة شكوى وتوجع وقال الشاعر

فاوه لذكراها اذا ماذكرتها * ومن بعد أرض دونها وسماء

وربما قلبوا الواو ألفا فقالوا آه من كذا آه على كذا وربما شددوا الواو وكسروها وسكنوا الهاء فقالوا أوه من كذا وربما حذفوا الهاء مع التشديد وكسروا الواو فقالوا أو من كذا بلا مد وقد يقولون آوه بالمد والتشديد وفتح الالف وسكون الهاء لتطويل الصوت بالشكاية وربما أدخلوا فيه الياء تارة يمدونه وتارة لا يمدونه فيقولون أوياه وآوياه وقد أوه الرجل تأويها وتأوه تأوها اذا قال أوه والاسم منه الآهة بالمد قال المثقب العبدى

اذا ماقمت أرحلها بليل * تأوه آهة الرجل الحزين

قوله عليه السلام ووثقوا بالقائد فاتبعوا يعنى نفسه أى وثقوا بانى على الحق وتيقنوا ذلك فاتبعونى فى حرب من حاربت وسلم من سالمت قوله الجهاد الجهاد منصوب بفعل مقدر وانى معسكر فى يومى أى خارج بالعسكر الى منزل يكون لهم معسكرا وقيس بن سعد بن عبادة بن دلهم الخزرجى صحابى يكنى أبا عبد الملك روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أحاديث وكان طوالا جدا سباطا شجاعا جوادا وأبوه سعد رئيس الخزرج وهو الذى حاولت الانصار اقامته فى الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يبايع أبا بكر حين بويع وخرج الى حوران فمات بها قيل قتلته الجن لانه بال قائما فى الصحراء ليلا ورووا بيتين من شعر قيل انهما سمعا ليلة قتله ولم يرقائلهما

نحن قتلنا سيد الخزرج سعد بن عباده * ورميناه بسهمين فلم تخطئ فؤاده

ويقول قوم ان أمير الشام يومئذ كمن له من رماه ليلا وهو خارج الى الصحراء بسهمين فقتله لخروجه عن طاعة الامام وقد قال بعض المتأخرين فى ذلك

يقولون سعد شكت الجن قلبه * ألاربما صححت دينك بالغدر
وما ذنب سعد انه بال قائما * ولكن سعدا لم يبايع أبا بكر
وقد صبرت من لذة العيش أنفس * وما صبرت عن لذة النهى والامر

وكان قيس بن سعد من كبار شيعة أمير المؤمنين عليه السلام وقائل بمحبته وولائه وشهد معه حروبه كلها وكان مع الحسن عليه السلام ونقم عليه صلحه معاوية وكان طالبى الرأى مخلصا فى اعتقاده ووده وأكد ذلك عنده فوات الامر أباه ومانيل يوم السقيفة وبعده منه فوجد من ذلك فى نفسه وأضمره حتى تمكن من اظهاره فى خلافة أمير المؤمنين وكما قيل عدو عدوك صديق لك وأما أبو أيوب الانصارى فهو خالد بن يزيد بن كعب بن ثعلبة الخزرجى من بنى النجار شهد العقبة وبدرا وسائر المشاهد وعليه نزل رسول الله صلى الله عليه وآله لما خرج عن بنى عمرو بن عوف حين قدم المدينة مهاجرا من مكة فلم يزل عنده حتى بنى مسجده ومساكنه ثم انتقل اليها ويوم المؤاخاة آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بينه وبين مصعب بن عمير وقال أبو عمر فى كتاب الاستيعاب ان أبا أيوب شهد مع على عليه السلام مشاهده كلها وروى ذلك عن الكلبى وابن اسحق قالا شهد معه يوم الجمل وصفين وكان مقدمته يوم النهروان قوله تختطفها الذئاب الاختطاف أخذك الشئ بسرعة ويروى تتخطفها قال تعالى تتخطفكم الناس ويقال ان هذه الخطبة آخر خطبة خطبها أمير المؤمنين عليه السلام قائما

(الاصل) *(ومن خطبة له عليه السلام)*

الحَمْدُ لِلّٰهِ المَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ * الخَالِقِ مِنْ غَيْرِ مَنْصَبَةٍ * خَلَقَ الخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ

وَاستَعْبَدَ الأَرْبَابَ بِعِزَّتِهِ وَسَادَ العُظَمَاءَ بِجُودِهِ وَهُوَ الَّذِى أَسْكَنَ الدُّنْيَا خَلْقَهُ وَبَعَثَ إِلَى الجِنِّ وَالإِنْسِ رُسُلَهُ لِيَكْشِفُوا لَهُمْ عَنْ غِطَائِهَا وَلِيُحَذِّرُوهُمْ مِنْ ضَرَّائِهَا وَلِيَضْرِبُوا لَهُمْ أَمْثَالَهَا وَلِيُبَصِّرُوهُمْ عُيُوبَهَا وَلِيَهْجُمُوا عَلَيْهِمْ بِمُعْتَبَرٍ مِنْ تَصَرُّفِ مَصَاحِّهَا وَأَسْقَامِهَا * وَحَلَالِهَا وَحَرَامِهَا وَمَا أَعَدَّ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ لِلْمُطِيعِينَ مِنْهُمْ وَالعُصَاةِ مِنْ جَنَّةٍ وَنَارٍ وَكَرَامَةٍ وَهَوَانٍ * أَحْمَدُهُ الى نَفْسِهِ كَمَا اسْتَحْمَدَ إِلَى خَلْقِهِ * وَجَعَلَ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا وَلِكُلِّ قَدْرٍ أَجَلًا وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابًا

(الشرح) المنصبة بالفتح والنصب التعب والماضى نصب بالكسر وهم ناصب فى قول النابغة * كلينى لهم يا أميمة ناصب * ذو نصب مثل رجل تامر ولابن ويقال هو فاعل بمعنى مفعول فيه لانه ينصب فيه ويتعب كقولهم ليل نائم أى ينام فيه ويوم عاصف أى تعصف فيه الريح واستعبدت فلانا اتخذته عبدا والضراء الشدة ومعتبر مصدر بمعنى الاعتبار ومصاحها جمع مصحة مفعلة من الصحة كمضار جمع مضرة ووصفه سبحانه بانه معروف بالادلة لا من طريق الرؤية كما تعرف المرئيات وبانه يخلق الاشياء ولا يتعب كما يتعب الواحد منا فيما يزاوله ويباشره من أفعاله خلق الخلائق بقدرته على خلقهم لا بحركة واعتماد وأسبغ النعمة عليهم أوسعها واستعبد الذين يدعون فى الدنيا أربابا بعزه وقهره وساد كل عظيم بسعة جوده وأسكن الدنيا خلقه كما ورد فى الكتاب العزيز انى جاعل فى الارض خليفة وبعث رسله الى الجن والانس كما ورد فى الكتاب العزيز يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا قال ليكشفوا لهم عن غطاء الدنيا أى عن عوراتها وعيوبها المستورة وليخوفوهم من مضرتها وغرورها المفضى الى عذاب الابد وليضربوا لهم أمثالها كالامثال الواردة فى الكتاب العزيز نحو قوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض الآية قوله وليهجموا عليهم هجمت على الرجل دخلت عليه بغتة يقول ليدخلوا عليهم بما فى تصاريف الدنيا من الصحة والسقم وما أحل وما حرم على طريق الابتلاء ثم قال وما أعد الله سبحانه للمطيعين منهم والعصاة يجوز أن تكون ما معطوفة على عيوبها فيكون موضعها نصبا ويجوز أن يكون موضعها جرا ويكون من تتمة أقسام ما يعتبر به والاول أحسن ثم قال عليه السلام انى أحمد الله كما استحمد اليهم فعل ما يوجب عليهم حمده ثم قال انه سبحانه جعل لكل شئ من أفعاله قدرا أى فعله مقدرا محدود الغرض اقتضى ذلك القدر وتلك الكيفية كما قال سبحانه وكل شئ عنده بمقدار وجعل لكل شئ مقدر وقتا ينتهى اليه وينقطع عنده وهو الاجل ولكل أجل كتابا أى رقوما تعرفها الملائكة فتعلم انقضاء عمر من ينقضى عمره وعدم ما ألطافهم فى معرفة عدمه

(الاصل) (مِنْهَا) فِى ذِكْرِ القُرْآنِ فَالقُرْآنُ آمِرٌ زَاجِرٌ وَصَامِتٌ نَاطِقٌ حُجَّةُ اللّٰهِ عَلَى خَلْقِهِ أَخَذَ عَلَيْهِ مِيثَاقَهُمْ وَارْتَهَنَ عَلَيْهِمْ أَنْفُسَهُمْ * أَتَمَّ نُورَهُ وَأَكْرَمَ بِهِ دِينَهُ وَقَبَضَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَقَدْ فَرَغَ إِلَى الخَلْقِ مِنْ أَحْكَامِ الهُدَى بِهِ * فَعَظِّمُوا مِنْهُ سُبْحَانَهُ مَا عَظَّمَ مِنْ نَفْسِهِ فَإِنَّهُ لَمْ يُخْفِ عَنْكُمْ شَيْئًا مِنْ دِينِهِ وَلَمْ يَتْرُكْ شَيْئًا رَضِيَهُ أَوْ كَرِهَهُ إِلَّا وَجَعَلَ لَهُ عَلَمًا بَادِيًا وَآيَةً مُحْكَمَةً تَزْجُرُ عَنْهُ أَوْ تَدْعُو إِلَيْهِ فَرِضَاهُ فِيمَا بَقِىَ وَاحِدٌ

وسخطه فيما بقي واحد واعلموا أنه لن يرضى عنكم بشيء سخطه على من كان قبلكم ولن يسخط عليكم بشيء رضيه ممن كان قبلكم وانما تسيرون في أثر بين وتتكلمون برجع قول قد قاله الرجال من قبلكم ٭ قد كفاكم مؤنة دنياكم وحثكم على الشكر وافترض من ألسنتكم الذكر وأوصاكم بالتقوى وجعلها منتهى رضاه وحاجته من خلقه ٭ فاتقوا الله الذي أنتم بعينه ٭ ونواصيكم بيده وتقلبكم في قبضته إن أسررتم علمه وإن أعلنتم كتبه ٭ قد وكل بكم حفظة كراما لا يسقطون حقا ولا يثبتون باطلا واعلموا أنه من يتق الله يجعل له مخرجا من الفتن ونورا من الظلم ويخلده فيما اشتهت نفسه وينزله منزلة الكرامة عنده في دار اصطنعها لنفسه ٭ ظلها عرشه ٭ ونورها بهجته ٭ وزوارها ملائكته ٭ ورفقاؤها رسله ٭ فبادروا المعاد ٭ وسابقوا الآجال فان الناس يوشك أن ينقطع بهم الأمل ويرهقهم الأجل ٭ ويسد عنهم باب التوبة فقد أصبحتم في مثل ماسأل اليه الرجعة من كان قبلكم ٭ وأنتم بنو سبيل على سفر من دار ليست بداركم ٭ وقد أوذنتم منها بالارتحال ٭ وأمرتم فيها بالزاد

(الشرح) جعل القرآن آمرا وزاجرا لما كان خالقه وهو الله سبحانه آمرا زاجرا به فاسند الامر والزجر اليه كما تقول سيف قاتل وانما القاتل الضارب به وجعله صامتا ناطقا لانه من حيث هو حروف وأصوات صامت اذ كان العرض يستحيل أن يكون ناطقا لان النطق حركة الاداة بالكلام والكلام يستحيل أن يكون ذا أداة ينطق بالكلام بها وهو من حيث يتضمن الاخبار والامر والنهي والنداء وغير ذلك من أقسام الكلام كالناطق لان الفهم يقع عنده وهذا من باب المجاز كما تقول هذه الربوع الناطقة وأخبرتني الديار بعد رحيلهم بكذا ثم وصفه بانه حجة الله على خلقه لانه المعجزة الاصلية أخذ سبحانه على الخلائق ميثاقه وارتهن عليه أنفسهم لما كان سبحانه قد قرر في عقول المكلفين أدلة التوحيد والعدل ومن جملة مسائل العدل النبوة ويثبت نبوة محمد صلى الله عليه وآله عقلا كان سبحانه بذلك كالآخذ ميثاق المكلفين بتصديق دعوته وقبول القرآن الذي جاء وجعل به نفسهم رهنا على الوفاء بذلك فمن خالف خسر نفسه وهلك هلاك الابد هذا تفسير المحققين ومن الناس من يقول المراد بذلك قصة الذرية قبل خلق آدم عليه السلام كما ورد في الاخبار وكما فسر قوم عليه الآية ثم ذكر عليه السلام ان الله تعالى قبض رسوله صلى الله عليه وآله وقد فرغ الى الخلق بالقرآن من الاكمال والاتمام كقوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم واذا كان قد أكمله لم يبق فيه نقص ينتظر اتمامه قال فعظموا من الله ما عظم من نفسه لانه سبحانه وصف نفسه بالعظمة والجلال في أكثر القرآن فالواجب علينا أن نعظمه على حسب ما عظم نفسه سبحانه ثم علل وجوب تعظيمه وحسن أمره لنا بتعظيمه سبحانه بكونه لم يخف عنا شيأ من أمر ديننا وذلك لان الشرعيات مصالح المكلفين واذا فعل الحكيم سبحانه بنا ما فيه صلاحنا فقد أحسن الينا ومن جملة صلاحنا تعريفنا من الشرعيات ما فعله لطف ومفض بنا الى الثواب وهذا أبلغ ما يكون من الاحسان والمحسن يجب تعظيمه وشكره قال لم يترك شيئا الا وجعل له نصا ظاهرا يدل عليه أو علما يستدل به عليه أي اما منصوص عليه صريحا أو يمكن أن يستنبط حكمه من القرآن اما بذكره أو بتركه فيبقى على البراءة الاصلية وحكم

العقل قوله فرضاه فيما بقي واحد معناه ان ما لم ينص عليه صريحا بل هو في محل النظر ليس يجوز للعلماء أن يجتهدوا فيه فيحله بعضهم ويحرمه بعضهم بل رضا الله سبحانه أمر واحد وكذلك سخطه فليس يجوز أن يكون شيء من الاشياء يفتي فيه قوم بالحل وقوم بالحرمة وهذا القول منه عليه السلام بتحريم الاجتهاد وقد سبق منه عليه السلام مثل هذا الكلام مرارا قوله واعلموا انه ليس يرضى عنكم الكلام الى منتهاه معناه انه ليس يرضى عنكم بالاختلاف في الفتاوى والاحكام كما اختلف الامم من قبلكم فسخط اختلافهم قال سبحانه ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء وكذلك ليس يسخط عليكم بالاتفاق والاجتماع الذي رضيه ممن كان قبلكم من القرون ويجوز أن يفسر هذا الكلام بانه لا يرضى عنكم بما سخطه على الذين من قبلكم من الاعتقادات الفاسدة في التوحيد والعدل ولا يسخط عليكم بما تعتقدونه من الاعتقادات الصحيحة التي رضيها ممن كان قبلكم في التوحيد والعدل فيكون الكلام مصروفا الى الاصول لا الى الفروع قال فانما يسيرون في أثر بين أي ان الادلة واضحة وليس مراده الامر بالتقليد وكذلك قوله وتتكلمون برجع قول قد قاله الرجال من قبلكم يعني كلمة التوحيد لا اله الا الله قد قالها الموحدون من قبل هذه الملة لا تقليدا بل بالنظر والدليل فقولوها أنتم كذلك ثم ذكر انه سبحانه قد كفى الخلق مؤنة دنياهم قال الحسن البصري ان الله تعالى كفانا مؤنة دنيانا وحثنا على القيام بوظائف ديننا فليته كفانا مؤنة ديننا وحثنا على القيام بوظائف دنيانا قوله وافترض من ألسنتكم الذكر افترض عليكم أن تذكروه وتشكروه بألسنتكم ومن متعلقه محذوف دل عليه المصدر المتأخر تقديره وافترض عليكم الذكر من ألسنتكم الذكر ثم ذكر ان التقوى المفترضة هي رضا الله وحاجته من خلقه لفظة حاجته مجاز لان الله تعالى غني غير محتاج ولكنه لما بالغ في الحث والحض عليها وتوعد على تركها جعله كالمحتاج الى الشيء ووجه المشاركة ان المحتاج يحث ويحض على حاجته وكذلك الآمر المكلف اذا أكد الامر قوله أنتم بعينه أي يعلم أحوالكم ونواصيكم بيده الناصية مقدم شعر الرأس أي هو قادر عليكم قاهر لكم متمكن من التصرف فيكم كالانسان القابض على ناصية غيره وتقلبكم في قبضته أي تصرفكم تحت حكمه لو شاء أن يمنعكم منعكم فهو كالشيء في قبضة الانسان ان شاء استدام القبض عليه وان شاء تركه ثم قال ان أسررتم أمرا علمه وان أظهرتموه كتبه ليس على ان الكتابة غير العلم بل هما شيء واحد ولكن اللفظ مختلف ثم ذكر ان الملائكة موكلة بالمكلف وهذا هو نص الكتاب العزيز وقد تقدم القول في ذلك ثم انتقل الى ذكر الجنة والكلام يدل على انها في السماء وان العرش فوقها ومعنى قوله اصطنعها لنفسه اعظامها واجلالها كما قال لموسى واصطنعتك لنفسي ولانه لما تعارف الناس في تعظيم ما يصنعونه أن يقول الواحد منهم لصاحبه قد وهبتك هذه الدار التي اصطنعتها لنفسي أي أحكمتها ولم أكن في بنائها متكلفا بأن أبنيها لغيري صح وحسن من البليغ الفصيح أن يستعير مثل ذلك فيما لم يصطنعه في الحقيقة لنفسه وانما هو عظيم جليل عنده قوله ونورها بهجته هذا أيضا مستعار كأنه لما كان اشراق نورها عظيما جدا نسبه الى بهجة الباري وليس هناك بهجة على الحقيقة لان البهجة حسن الخلقة قال تعالى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج أي من كل صنف حسن قوله وزوارها ملائكته قد ورد في هذا من الاخبار كثير جدا ورفقاؤها رسله من قوله تعالى وحسن أولئك رفيقا ويوشك بكسر الشين فعل مستقبل ماضيه أوشك أي أسرع ورهقه الامر بالكسر فاجأه ويسد عنهم باب التوبة لانه لا يقبل عند نزول الموت بالانسان من حيث كان يفعلها خوفا فقط لا لقبح القبيح قال تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن وانما قال في مثل ماسأل اليه الرجعة من كان قبلكم كقوله سبحانه حتى اذا حضر أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون وبنو سبيل أرباب طريق مسافرون وأوذن فلان بكذا أعلم وآذنته أعلمته وقد تقدم لنا كلام بالغ في التقوى وماهيتها وتأكيد وصاة الخالق سبحانه والرسول عليه الصلاة والسلام بها ٭ روى المبرد في الكامل أن رجلا قال لعمر بن الخطاب اتق الله يا أمير المؤمنين فقال له رجل أتألت أمير المؤمنين أي انتقصته فقال عمر دعه فلا خير فيهم اذا لم يقولوها

ولا خير فينا اذا لم تقل لنا وكتب أبو العتاهية الى سهل بن صالح وكان مقيما بمكة أما بعد فانا أوصيك بتقوى الله الذي لا غنا بك عن تقاته وأتقدم اليك عن الله وأذكرك مكر الله فيما دبت به اليك ساعات الليل والنهار فلا تخدعن دينك فان ساعاتك وأوقاتك ان ظفرت بذلك منك وجدت الله فيك أسرع مكرا وأنفذ فيك أمرا ووجدت ما مكرت به في غير ذات الله غير راد عنك يد الله ولا مانع لك من أمر الله ولعمري لقد ملأت عينك الفكر واضطربت في سمعك أصوات العبر ورأيت آثار نعم الله نسختها آثار نقمه حين استهزئ بأمره وجوهر بمعاندته الا ان في حكم الله انه من أكرمه الله فاستهان بأمره أهانه الله والسعيد من وعظ بغيره لا وعظك الله في نفسك وجعل عظتك في غيرك ولا جعل الدنيا عليك حسرة وندامة برحمته ومن كلام رسول الله صلى الله عليه وآله لا كرم كالتقوى ولا مال أعود من العقل ولا وحدة أوحش من العجب ولا عقل كالتدبير ولا قرين كحسن الخلق ولا ميراث كالادب ولا فائدة كالتوفيق ولا تجارة كالعمل الصالح ولا ربح كثواب الله ولا ورع كالوقوف عند الشبهة ولا زهد كالزهد في الحرام ولا علم كالتفكر ولا عبادة كاداء الفرائض ولا ايمان كالحياء والصبر ولا حسب كالتواضع ولا شرف كالعلم ولا مظاهرة أوفق من المشورة فاحفظ الرأس وما حوى والبطن وما وعى واذكر الموت وطول البلى

(الاصل) وَاعلَمُوا أَنَّهُ لَيسَ لِهذَا الجِلدِ الرَّقِيقِ صَبرٌ عَلى النَّارِ فَارحَمُوا نُفُوسَكُم فَانَّكُم قَد جَرَّبتُمُوها في مَصَائِبِ الدُّنيا ❊ أَفَرَأَيتُم جَزَعَ أَحَدِكُم مِنَ الشَّوكَةِ تُصِيبُهُ وَالعَثرَةِ تُدمِيهِ وَالرَّمضاءِ تُحرِقُهُ فَكَيفَ اذا كانَ بَينَ طابَقَينِ مِن نارٍ ضَجِيعَ حَجَرٍ وَقَرِينَ شَيطانٍ أَعَلِمتُم أَنَّ مالِكاً اذا غَضِبَ عَلى النَّارِ حَطَمَ بَعضُها بَعضاً لِغَضَبِهِ ❊ وَاذا زَجَرَها تَوَثَّبَت بَينَ أَبوابِها جَزَعاً مِن زَجرَتِهِ أَيُّها اليَفَنُ الكَبِيرُ ❊ الَّذِي قَد لَهَزَهُ القَتِيرُ كَيفَ أَنتَ اذا التَحَمَت أَطواقُ النَّارِ بِعِظامِ الأَعناقِ وَنَشِبَتِ الجَوامِعُ ❊ حَتَّى أَكَلَت لُحُومَ السَّواعِدِ فَاللهَ اللهَ مَعشَرَ العِبادِ وَأَنتُم سالِمُونَ فِي الصِّحَّةِ قَبلَ السُّقمِ وَفي الفُسحَةِ قَبلَ الضِّيقِ فَاسعَوا فِي فَكاكِ رِقابِكُم مِن قَبلِ أَن تُغلَقَ رَهائِنُها ❊ أَسهِرُوا عُيُونَكُم وَأَضمِرُوا بُطُونَكُم وَاستَعمِلُوا أَقدامَكُم وَأَنفِقُوا أَموالَكُم وَخُذُوا مِن أَجسادِكُم فَجُودُوا بِها عَلى أَنفُسِكُم وَلا تَبخَلُوا بِها عَنها فَقَد قالَ اللهُ سُبحانَهُ (إِن تَنصُرُوا اللهَ يَنصُركُم وَيُثَبِّت أَقدامَكُم) وَقالَ تَعالَى (مَن ذَا الَّذِي يُقرِضُ اللهَ قَرضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجرٌ كَرِيمٌ) فَلَم يَستَنصِركُم مِن ذُلٍّ وَلَم يَستَقرِضكُم مِن قُلٍّ ❊ استَنصَرَكُم وَلَهُ جُنُودُ السَّمواتِ وَالأَرضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ وَاستَقرَضَكُم وَلَهُ خَزائِنُ السَّمواتِ وَالأَرضِ وَهُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ وَانَّما أَرادَ أَن يَبلُوَكُم أَيُّكُم أَحسَنُ عَمَلاً فَبادِرُوا بِأَعمالِكُم تَكُونُوا مَعَ جِيرانِ اللهِ فِي دارِهِ رافَقَ بِهِم رُسُلَهُ وَأَزارَهُم مَلائِكَتَهُ وَأَكرَمَ أَسماعَهُم أَن تَسمَعَ حَسِيسَ نارٍ أَبَداً ❊ وَصانَ أَجسادَهُم أَن تَلقَى لُغُوباً وَنَصَباً ❊ (ذَلِكَ فَضلُ اللهِ يُؤتِيهِ مَن يَشاءُ وَاللهُ ذُو الفَضلِ

العَظِيمِ) أَقُولُ ما تَسمَعُونَ وَاللهُ المُستَعانُ عَلى نَفسِي وَأَنفُسِكُم وَهُوَ حَسبُنا وَنِعمَ الوَكِيلُ

(الشرح) الرمضاء الارض الشديدة الحرارة والرمض بالتحريك شدة وقع الشمس على الرمل وغيره وقد رمض يومنا بالكسر يرمض رمضا اشتد حره وأرض رمضة الحجارة ورمضت قدمه من الرمضاء احترقت والطابق بالفتح الآجرة الكبيرة وهو فارسي معرب وضجيع حجر يومئ فيه الى قوله تعالى وقودها الناس والحجارة قيل انها حجارة الكبريت وقرين شيطان يومئ فيه الى قوله تعالى قال قرينه ربنا ما أطغيته وحطم بعضها بعضا كسره أو أكله والحطمة من أسماء النار لانها تحطم ما تلقى ومنه سمي الرجل الكثير الاكل حطمة واليفن الشيخ الكبير ولهزه خالطه ويقال له حينئذ ملهوز ثم أشمط ثم أشيب ولهزت القوم خالطتهم ودخلت بينهم والقتير الشيب وأصله رؤس المسامير في الدروع تسمى قتيرا والتحمت أطواق النار بالعظام التفت عليها وانضمت اليها والتصقت بها والجوامع جمع جامعة وهي الغل لانها تجمع اليدين الى العنق ونشبت علقت والسواعد جمع ساعد وهو الذراع وفي من قوله في الصحة قبل السقم متعلقة بالمحذوف الناصب لله وهو اتقوا أي اتقوه سبحانه في زمان صحتكم قبل أن ينزل بكم السقم وفي فسحة أعماركم قبل أن تبدل بالضيق وفكاك الرقاب بفتح الفاء عتقها قبل أن تغلق رهائنها يقال غلق الرهن بالكسر اذا استحقه المرتهن بان لا يفكه الراهن في الوقت المشروط وكان ذلك من شرع الجاهلية فنهى النبي صلى الله عليه وآله وقال لا يغلق الرهن وخذوا من أجسادكم أي اتعبوها بالعبادة حتى تنحل والقل القلة والذل الذلة وحسيس النار صوتها واللغوب النصب ونظير قوله عليه السلام استقرضكم وله خزائن السموات والارض ما رواه المبرد في الكامل عن أبي عثمان المازني عن أبي زيد الانصاري قال وقف علينا اعرابي في حلقة يونس فقال الحمد لله كما هو أهله وأعوذ بالله أن أذكر به وأنساه خرجنا من المدينة مدينة الرسول صلى الله عليه وآله ثلاثين رجلا ممن أخرجته الحاجة وحمل على المكروه ولا يمرضون مرضاهم ولا يدفنون ميتهم ولا ينتقلون من منزل الى منزل وان كرهوه والله يا قوم لقد جعت حتى أكلت النوى المحرق ولقد مشيت حتى انتعلت الدم وحتى خرج من قدمي بخص ولحم كثير أفلا رجل يرحم ابن سبيل وفل طريق ونضو سفر فانه لا قليل من الاجر ولا غنى عن الله ولا عمل بعد الموت وهو سبحانه يقول من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ملي وفي ماجد واجد لا يستقرض من عوز ولكنه يبلو الاخيار قال المازني فبلغني انه لم يبرح حتى أخذ ستين دينارا ومن كلام علي بن عبيدة الريحاني الايام مستودعات الاعمال ونعم الارضون هي لمن بذر فيها الخير والعمل الصالح وخطب الحجاج فقال أيها الناس انكم أغراض حمام وفرص هلكة قد أنذركم القرآن ونادى برحيلكم الجديدان ها ان لكم موعدا لا تؤخر ساعته ولا تدفع هجمته وكان قد دلفت اليكم بازلته فتعلق بكم ريب المنون وعلقت بكم أم اللهيم الحيزبون فماذا هيأتم للرحيل وماذا أعددتم للتنزيل من لم يأخذ أهبة الحذر نزل به مرهوب القدر قلت وقد شغف الناس في المواعظ بكلام كاتب محدث يعرف بابن أبي الشحماء العسقلاني وأنا أورد ههنا خطبة من مواعظه هي أحسن ما وجدته له ليعلم الفرق بين الكلام الاصيل والمولد أيها الناس فكوا أنفسكم من حلقات الآمال المتعبة وخففوا ظهوركم من الآصار المستحقبة ولا تسيموا أطماعكم في رياض الأماني المتشعبة ولا تميلوا اصغوكم الى زبارج الدنيا المحببة فتظل أجسامكم في هشائمها عاملة نصبة أما علمتم ان طباعها على الغدر مركبة وانها لاعمار أهلها منتهبة ولما ساءهم منتظرة مرتقبة في هبتها راجعة متعقبة فانضوا رحمكم الله ركائب الاعتبار مشرقة ومغربة واجروا خيول التفكر مصعدة ومصوبة هل تجدون الا قصورا على عروشها خربة وديارا معطشة من أهلها مجدبة أين الامم السالفة المتشعبة والجبابرة الماضية المتغلبة والملوك المعظمة المرجبة أولوا الحفدة والحجبة والزخارف المعجبة والجيوش الجرارة اللجبة والخيام الفصفاصة المطنبة والجياد الاعوجية المجنبة والمصاعب الشدقية المصحبة واللدان المثقفة المدربة والماذية الحصينة المنتخبة طرقت والله خيامهم غير منتهبة وأزارتهم من الاسقام سيوفا معطبة وسيرت اليهم الايام من نوبها كتائب مكتبة فاصبحت أظفار المنية من مهجهم قانية مختضبة وغدت أصوات النادبات عليهم مجلبة وأكلت لحومهم هوام الارض السغبة ثم انهم مجموعون ليوم

لايقبل فيه عذر ولامعتبة ونجازى كل نفس بما كانت. كنسبة فسعيدة. قربة تجرى من تحتها الانهار مثوبة وشقية معذبة فى النار مكبكبة هذه أحسن خطبة خطبها هذا الكاتب وهى كما تراها ظاهرة التكلف بينة التوليد تخطب على نفسها وانما ذكرت هذا لان كثيرا من أرباب الهوى يقولون ان كثيرا من نهج البلاغة كلام محدث صنعه قوم من فصحاء الشيعة وربما عزوا بعضه الى الرضى أبى الحسن وغيره وهؤلاء قوم أعمت العصبية أعينهم فضلوا عن النهج الواضح وركبوا بينات الطريق ضلالا وقلة معرفة بأساليب الكلام وأنا أوضح لك بكلام مختصر مافى هذا الخاطر من الغلط فاقول لايخلو اما أن يكون كل نهج البلاغة مصنوعا منحولا أو بعضه والاول باطل بالضرورة لانا نعلم بالتواتر صحة اسناد بعضه الى أمير المؤمنين عليه السلام وقد نقل المحدثون كلهم أوجلهم والمؤرخون كثيرا منه وليسوا من الشيعة لينسبوا الى غرض فى ذلك والثانى يدل على ماقلناه لان من قد أنس بالكلام والخطابة وشدا طرفا من علم البيان وصار له ذوق فى هذا الباب لابد أن يفرق بين الكلام الركيك والفصيح وبين الفصيح والافصح وبين الاصيل والمولد واذا وقف على كراس واحد يتضمن كلاما لجماعة من الخطباء أو لاثنين منهم فقط فلابد أن يفرق بين الكلامين ويميز بين الطريقتين ألاترى انا مع معرفتنا بالشعر ونقده لوتصفحنا ديوان أبى تمام فوجدناه قد كتب فى أثنائه قصائد أوقصيدة واحدة لغيره لعرفنا بالذوق مباينتها لشعر أبى تمام ونفسه وطريقته ومذهبه فى القريض ألاترى أن العلماء بهذا الشأن حذفوا من شعره قصائد كثيرة منحولة اليه لمباينتها لمذهبه فى الشعر وكذلك حذفوا من شعر أبى نواس شيئا كثيرا لما ظهر لهم انه ليس من ألفاظه ولامن شعره وكذلك غيرهما من الشعراء ولم يعتمدوا فى ذلك الاعلى الذوق خاصة وأنت اذا تأملت نهج البلاغة وجدته كله ماء واحدا ونفسا واحدا وأسلوبا واحدا كالجسم البسيط الذى ليس بعض من أبعاضه مخالفا لباقى الابعاض فى الماهية وكالقرآن العزيز أوله كاوسطه وأوسطه كآخره وكل سورة منه وكل آية مماثلة فى المأخذ والمذهب والفن والطريق والنظم لباقى الآيات والسور ولو كان بعض نهج البلاغة منحولا وبعضه صحيحا لم يكن ذلك كذلك فقد ظهر لك بهذا البرهان الواضح ضلال من زعم أن هذا الكتاب أو بعضه منحول الى أمير المؤمنين عليه السلام واعلم أن قائل هذا القول يطرق على نفسه مالاقبل له به لانا متى فتحنا هذا الباب وسلطنا الشكوك على أنفسنا فى هذا النحو لم نثق بصحة كلام منقول عن رسول الله صلى الله عليه وآله أبدا وساغ لطاعن أن يطعن ويقول هذا الخبر منحول وهذا الكلام مصنوع وكذلك مانقل عن أبى بكر وعمر من الكلام والخطب والمواعظ والادب وغير ذلك وكل أمر جعله هذا الطاعن مستندا له فيما يرويه عن النبى صلى الله عليه وآله والأئمة الراشدين والصحابة والتابعين والشعراء والمترسلين والخطباء فلناصرى أمير المؤمنين عليه السلام أن يستندوا الى مثله فيما يروونه عنه من نهج البلاغة وغيره وهذا واضح

(الاصل) ﴿ومن كلام له عليه السلام﴾

قاله للبرج بن مسهر الطائى وقد قال له بحيث يسمعه

لاحكم الا الله وكان من الخوارج

أُسكُتْ قَبَحَكَ اللهُ يا أَثْرَمُ * فَوَاللهِ لَقَدْ ظَهَرَ الحَقُّ فَكُنْتَ فِيهِ ضَئِيلاً شَخْصُكَ خَفِيًّا صَوْتُكَ حَتَّى اذا نَعَرَ الباطِلُ نَجَمْتَ نُجُومَ قَرْنِ الماعِزِ

(الشرح) البرج بن مسهر بضم الميم وكسر الهاء ابن الجلاس بن وهب بن قيس بن عبيد بن طريف بن مالك بن جدعاء بن ذهل بن رومان بن جندب بن خارجة بن سعد بن قطرة بن طى بن داود بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد ابن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان شاعر مشهور من شعراء الخوارج نادى بشعارهم بحيث يسمعه

أمير المؤمنين عليه السلام فزجره وقبحك الله لفظة معناها كسرك يقال قبحت الجوزة أى كسرتها وقيل قبحه نحاه عن الخير وكان البرج ساقط الثنية فاهانه بان دعاه به كما يهان الاعور بان يقال له يا أعور والضئيل الدقيق الخفى ضؤل الرجل بالضم ضآلة نحف وضؤل رأيه صغر ورجل متضائل أى شخت كذلك ونعر الباطل صاح والمراد أهل الباطل ونعر فلان فى الفتنة نهض فيها ونجم طلع أى طلع بلاشرف ولاقدم بل على غفلة كما ينبت قرن الماعز وهذا من باب البديع وهو ان يشبه الامر يراد اهانته بالمهين و يشبه الامر يراد اعظامه بالعظيم ولو كان قد تكلم فى شأن ناجم يريد تعظيمه لقال نجم نجوم الكوكب من تحت الغمام أو نجوم نور الربيع من الاكمام ونحو ذلك

(الاصل) ﴿ومن خطبة له عليه السلام﴾

(رُوِىَ أَنَّ صاحِباً لِأَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُقالُ لَهُ هَمَّامٌ كانَ رَجُلاً عابِدًا فَقالَ لَهُ يا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ صِفْ لِى المُتَّقِينَ حَتَّى كَأَنِّى أَنْظُرُ الَيْهِمْ فَتَثاقَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ جَوابِهِ ثُمَّ قالَ يا هَمَّامُ اتَّقِ اللهَ وَأَحْسِنْ (فَانَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) فَلَمْ يَقْنَعْ هَمَّامٌ بِهَذا القَوْلِ حَتَّى عَزَمَ عَلَيْهِ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى النَّبِىِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثُمَّ قالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمَّا بَعْدُ فَانَّ اللهَ سُبْحانَهُ وَتَعالَى خَلَقَ الخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيًّا عَنْ طاعَتِهِمْ آمِنًا مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ لأَنَّهُ لا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصاهُ وَلا تَنْفَعُهُ طاعَةُ مَنْ أَطاعَهُ فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعايِشَهُمْ وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيا مَواضِعَهُمْ فَالمُتَّقُونَ فِيها هُمْ أَهْلُ الفَضائِلِ مَنْطِقُهُمُ الصَّوابُ وَمَلْبَسُهُمُ الاقْتِصادُ وَمَشْيُهُمُ التَّواضُعُ * غَضُّوا أَبْصارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَوَقَفُوا أَسْماعَهُمْ عَلَى العِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ نُزِّلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي البَلاءِ كَالَّتِى نُزِّلَتْ فِي الرَّخاءِ * وَلَوْلا الأَجَلُ الَّذِى كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْواحُهُمْ فِي أَجْسادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ شَوْقًا الَى الثَّوابِ وَخَوْفًا مِنَ العِقابِ * عَظُمَ الخالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مادُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ فَهُمْ وَالجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآها * فَهُمْ فِيها مُنَعَّمُونَ وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآها فَهُمْ فِيها مُعَذَّبُونَ قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ وَأَجْسادُهُمْ نَحِيفَةٌ * وَحاجاتُهُمْ خَفِيفَةٌ وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ * صَبَرُوا أَيَّامًا قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ راحَةً طَوِيلَةً تِجارَةٌ مُرْبِحَةٌ * يَسَّرَها لَهُمْ رَبُّهُمْ * أَرادَتْهُمُ الدُّنْيا فَلَمْ يُرِيدُوها وَأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْها * أَمَّا اللَّيْلُ فَصافُّونَ أَقْدامَهُمْ تالِينَ لِأَجْزاءِ القُرْآنِ يُرَتِّلُونَهُ تَرْتِيلاً * يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَيَسْتَثِيرُونَ بِهِ دَواءَ دائِهِمْ * فَاذا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيها تَشْوِيقٌ رَكَنُوا الَيْها طَمَعًا وَتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ الَيْها شَوْقًا وَظَنُّوا أَنَّها نُصْبُ أَعْيُنِهِمْ وَاذا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيها تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا الَيْها مَسامِعَ قُلُوبِهِمْ وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهِيقَها فِي أُصُولِ آذانِهِمْ * فَهُمْ حانُونَ عَلَى أَوْساطِهِمْ مُفْتَرِشُونَ لِجِباهِهِمْ وَأَكُفِّهِمْ وَرُكَبِهِمْ وَأَطْرافِ أَقْدامِهِمْ يَطْلُبُونَ

إِلَى اللهِ تَعالَى فِي فَكاكِ رِقابِهِمْ * وَأَمَّا النَّهارُ فَحُلَماءُ عُلَماءُ أَبْرارٌ أَتْقِياءُ * قَدْ بَرَاهُمُ الْخَوْفُ بَرْيَ الْقِدَاحِ * يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاظِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَى وما بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ وَيَقُولُ لَقَدْ خُولِطُوا وَلَقَدْ خالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ * لاَ يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمالِهِمُ الْقَلِيلَ وَلاَ يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ * فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ وَمِنْ أَعْمالِهِمْ مُشْفِقُونَ * اذا زُكِّيَ أَحَدُهُمْ * خافَ مِمَّا يُقالُ لَهُ فَيَقُولُ أَنا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي وَرَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنِّي بِنَفْسِي * اللّهُمَّ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِما يَقُولُونَ وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ وَاغْفِرْ لِي مالاَ يَعْلَمُونَ

(الشرح) همام المذكور فى هذه الخطبة هو همام بن شريح بن يزيد بن مرة بن عمرو بن جابر بن يحيى بن الاصهب بن كعب بن الحرث بن سعد بن عمرو بن ذهل بن مران بن سيفى بن سعد العشيرة وكان همام هذا من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام وأوليائه وكان ناسكا عابدا قال له يا أمير المؤمنين صف لى المتقين حتى أصير بوصفك اياهم كالناظر اليهم فتثاقل عن جوابه أى أبطأ فعزم عليه أى أقسم عليه وتقول لمن يكرر عليك الطلب والسؤال قد عزم على أى أصر وقطع وكذلك تقول فى الامر يريد فعله وتقطع عليه عزمت عزما وعزما وعزيمة وعزيما فان قلت كيف جاز له عليه السلام أن يتثاقل عن جواب المسترشد قلت يجوز أن يكون تثاقل عن جوابه لانه علم أن المصلحة فى تأخير الجواب ولعله كان حضر المجلس من لا يحب أن يجيب وهو حاضر فلما انصرف أجاب ولعله رأى أن تثاقله عن الجواب يشد تشوق همام الى سماعه فيكون أنجع فى موعظته ولعله كان من باب تأخير البيان الى وقت الحاجة لا من باب تأخير البيان عن وقت الحاجة ولعله تثاقل عن الجواب ليرتب المعانى التى خطرت له فى ألفاظ مناسبة لها ثم ينطق بها كما يفعله المتروى فى الخطبة والقريض فان قلت فما معنى اجابته له أولا بقوله يا همام اتق الله وأحسن فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وأى جواب فى هذا عن سؤال همام قلت كانه لم ير فى بادئ الحال شرح صفات المتقين على التفصيل فقال لهمام ماهية التقوى معلومة فى الجملة فاتق الله وأحسن فان الله قد وعد فى كتابه أن يكون وليا وناصرا لاهل التقوى والاحسان وهذا كما يقول لك قائل ماصفات الله الذى أعبده أنا والناس فتقول له لا عليك أن لا تعرف صفاته مفصلة بعد أن تعلم أنه خالق العالم وأنه واحد لا شريك له فلما أبى همام الا الخوض فيما سأله على وجه التفصيل قال له ان الله تعالى خلق الخلق حين خلقهم ويروى حيث خلقهم وهو غنى عن طاعتهم لانه ليس بجسم فيستضر بأمر أو ينتفع به وقسم بين الخلق معايشهم كما قال سبحانه نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحيوة الدنيا وفى قوله وضعهم مواضعهم معنى قوله ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا فكانه عليه السلام أخذ الالفاظ فألغاها وأتى بمعناها فلما فرغ من هذه المقدمة شرع فى ذكر صفات المتقين فقال انهم أهل الفضائل ثم بين ماهذه الفضائل فقال منطقهم الصواب فان قلت أى فائدة فى تقديم تلك المقدمة وهى كون البارى سبحانه غنيا لا تضره المعصية ولا تنفعه الطاعة قلت لانه لما تضمنت الخطبة مدح الله تعالى للمتقين وما أعده لهم من الثواب وذمه للعاصين وما أعده لهم من العقاب العظيم فربما يتوهم متوهم ان الله تعالى انما رغب فى الطاعة هذا الترغيب البالغ وخوف من المعصية هذا التخويف البالغ لانه منتفع بالاولى مستضر بالثانية فقدم عليه السلام تلك المقدمة نفيا لهذا الوهم واعلم ان القول فى خطر الكلام وفضل الصمت وفضل الاقتصار فى المنطق وسيع جدا وقد ذكرنا منه طرفا فيما تقدم ونذكر الآن منه طرفا آخر قال النبى صلى الله عليه وآله من صمت نجا وقال أيضا الصمت حكم وقليل فاعله وقال له صلى الله عليه وآله بعض أصحابه أخبرنى عن الاسلام بأمر لا أسال عنه أحدا بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم قال فما اتقى فأومأ بيده الى لسانه وقال له عليه السلام عقبة بن عامر يارسول الله ما النجاة قال أملك عليك لسانك وابك على خطيئتك وليسعك بيتك وروى سهل بن سعد الساعدى عنه صلى الله عليه وآله

من يتوكل لى بما بين لحييه ورجليه أتوكل له بالجنة وقال من وقى شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقى وروى سعيد بن جبير مرفوعا اذا أصبح ابن آدم أصبحت الاعضاء كلها تشكو اللسان تقول أى بنى آدم اتق الله فينا فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا وقد روى ان عمر رأى أبا بكر وهو يمد لسانه فقال ما تصنع قال هذا الذى أوردنى الموارد ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال ليس شئ فى الجسد الا يشكو الى الله تعالى اللسان على حدته وسمع ابن مسعود يلبى على الصفا ويقول يا لسان قل خيرا تغنم أو اصمت تسلم من قبل أن تندم فقيل له يا أبا عبد الرحمن أهذا شئ سمعته أم تقوله من تلقاء نفسك قال بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول أكثر خطايا ابن آدم من لسانه وروى الحسن مرفوعا رحم الله عبدا تكلم فغنم أو سكت فسلم وقالت التلامذة لعيسى عليه السلام دلنا على عمل ندخل به الجنة قال لا تنطقوا أبدا قالوا لا نستطيع ذلك قال فلا تنطقوا الا بخير وقال النبى صلى الله عليه وآله ان الله عند لسان كل قائل فاتقى الله امرؤ وعلم ما يقول وكان يقال لا شئ أحق بطول سجن من لسان وكان يقال لسانك سبع ان أطلقته أكلك فى حكمة آل داود حقيق على العاقل أن يكون عارفا بزمانه حافظا للسانه مقبلا على شانه وكان يقال من علم ان كلامه من عمله أقل كلامه فيما لا ينفعه وقال محمد بن واسع حفظ اللسان أشد على الناس من حفظ الدينار والدرهم اجتمع أربعة حكماء من الروم والفرس والهند والصين فقال أحدهم أنا أندم على ماقلت ولا أندم على مالم أقل وقال الآخر اذا تكلمت بالكلمة ملكتنى ولم أملكها واذا لم أتكلم ملكتها ولم تملكنى وقال الآخر عجبت للمتكلم ان رجعت عليه كلمته ضرته وان لم ترجع لم تنفعه وقال الرابع أنا على رد مالم أقل أقدر منى على رد ماقلت * واعلم ان آفات اللسان كثيرة فمنها الكلام فيما لا يعنيك وهو أهون آفات اللسان ومع ذلك فهو عيب قال النبى صلى الله عليه وآله من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه وروى انه عليه السلام مر بشهيد يوم أحد فقال أصحابه هنيئا له الجنة قال وما يدريكم لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه وقال ابن عباس خمس هى أحسن وأنفع من حمر النعم لا تتكلم فيما لا يعنيك فانه فضل لا آمن عليه الوزر ولا تكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعا فرب متكلم فى أمر يعنيه قد وضعه فى غير موضعه فأساء ولا تمار حليما ولا سفيها فان الحليم يقليك والسفيه يؤذيك واذكر أخاك اذا تغيب عنك بما تحب أن يذكرك به واعفه عما تحب أن يعفيك عنه واعمل عمل رجل يرى انه مجازى بالاحسان مأخوذ بالجرائم * ومنها فضول الكلام وكثرته وترك الاقتصار وكان يقال فضول المنطق وزيادته نقص فى العقل وهما ضدان متنافيان كلما زاد أحدهما انقص الآخر وقال عبد الله بن مسعود اياكم وفضول الكلام حسب امرئ ما بلغ به حاجته وكان يقال من كثر كلامه كثر سقطه وقال الحسن فضول الكلام كفضول المال كلاهما مهلك * ومنها الخوض فى الباطل والحديث فيما لا يحل كحديث النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق واليه الاشارة بقوله تعالى وكنا نخوض مع الخائضين ومنها المراء والجدال قال عليه السلام دع المراء وان كنت محقا وقال مالك بن أنس المراء يقسى القلب ويورث الضغائن وقال سفيان الثورى لو خالفت أخى فى رمانة فقال حلوة وقلت حامضة لسعى بى الى السلطان وكان يقال صاف من شئت ثم أغضبه بالجدال والمراء فليرمينك بداهية تمنعك العيش وقيل لميمون بن مهران مالك لا تفارق أخا لك عن قلى قال لانى لا أشاريه ولا أماريه * ومنها التقعر فى الكلام بالتشديد والتكلف فى الالفاظ قال النبى صلى الله عليه وآله أبغضكم الى وأبعدكم منى مجالس يوم القيامة الثرثارون المتفيهقون المتشدقون وقال عليه السلام هلك المتنطعون ثلاث مرات والتنطع هو التعمق والاستقصاء وقال عمر ان شقاشق الكلام من شقاشق الشيطان * ومنها الفحش والسب والبذاء فقال النبى صلى الله عليه وآله اياكم والفحش فان الله لا يحب الفحش ولا يرضى الفحش وقال عليه السلام ليس المؤمن بالطعان ولا باللعان ولا بالسباب ولا البذى وقال عليه السلام لو كان الفحش رجلا لكان رجل سوء * ومنها المزاح الخارج عن قانون الشرع وكان يقال من مزح استخف به وكان يقال المزاح فحل لا ينتج الا الشر * ومنها الوعد الكاذب وقد قال النبى صلى الله عليه وآله العدة دين وقد أثنى الله سبحانه على اسمعيل فقال انه كان صادق الوعد وقال سبحانه يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود * ومنها الكذب فى القول واليمين والامر فيهما مشهور * ومنها الغيبة وقد تقدم القول فيها قوله عليه السلام ومنلبسهم الاقتصاد أى ليس بالثمين

جداولا بالحقير جدا كالخرق التى توجد من على المزابل ولكنه أمر بين أمرين وكان عليه السلام يلبس الكرابيس وهو الخام الغليظ وكذلك كان عمر رضى الله عنه وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يلبس اللين تارة والخشن أخرى قوله عليه السلام ومشيهم التواضع تقديره وصفة مشيهم التواضع فحذف المضاف وهذا مأخوذ من قوله تعالى واقصد فى مشيك واغضض من صوتك رأى محمد بن واسع ابناله يمشى وهو يتبختر ويميس فى مشيته فصاح به فأقبل فقال له ويلك لو عرفت نفسك لقصدت فى مشيك أما أمك فأمة ابتعتها بمائة درهم وأما أبوك فلا أكثر الله فى الناس أمثاله والاصل فى هذا الباب قوله تعالى ولا تمش فى الارض مرحا انك ان تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا وقوله غضوا أبصارهم أى خفضوها وغمضوها وغضضت طرفى عن كذا احتملت مكروهه وقوله وقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم أى لم يشغلوا سمعهم بشئ غير العلوم النافعة أى لم يشتغلوا بسماع شعر ولا غناء ولا أحاديث أهل الدنيا قوله نزلت أنفسهم منهم من البلاء كالذى نزلت فى الرخاء يعنى انهم قد طابوا نفسا فى البلاء والشدة كطيب أنفسهم بأحوالهم فى الرخاء والنعمة وذلك اقلة مبالاتهم بشدائد الدنيا ومصائبها وتقدير الكلام من جهة الاعراب نزلت أنفسهم منهم فى حال البلاء نزولا كالنزول الذى نزلته منهم فى حال الرخاء فموضع كالذى نصب لانه صفة مصدر محذوف والموصول قد حذف العائد اليه وهو الهاء فى نزلته كقولك ضربت الذى ضربت أى ضربت الذى ضربته ثم قال عليه السلام انهم من شدة شوقهم الى الجنة ومن شدة خوفهم من النار تكاد أرواحهم أن تفارق أجسادهم لولا أن الله تعالى ضرب لهم آجالا ينتهون اليها ثم ذكر ان الخالق لما عظم فى أعينهم استصغروا كل شئ دونه وصار والشدة يقينهم ومكاشفتهم كمن رأى الجنة فهو يتنعم فيها وكمن رأى النار وهو يعذب فيها ولا ريب أن من يشاهد هاتين الحالتين يكون على قدم عظيمة من العبادة والخوف والرجاء وهذا مقام جليل ومثله قوله عليه السلام فى حق نفسه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا والواو فى والجنة واو مع وقد روى بالعطف بالرفع على أنه معطوف على هم والاول أحسن ثم وصفهم بحزن القلوب ونحافة الاجسام وعفة الانفس وخفة الحوائج وان شرورهم مأمونة على الناس وأنهم صبروا يسيرا صبرا أعقبهم نعيما طويلا ثم ابتدأهم فقال تجارة مربحة أى تجارتهم تجارة مربحة فحذف المبتدا وروى تجارة مربحة بالنصب على أنه مصدر محذوف الفعل قوله أما الليل بالنصب على الظرفية وروى أما الليل على الابتداء قوله تالين منصوب على أنه حال اما من الضمير المرفوع بالفاعلية فى صافون أومن الضمير المجرور بالاضافة فى أقدامهم والترتيل التبيين والايضاح وهو ضد الاسراع والعجل ويروى يرتلونه على أن الضمير يعود الى القرآن والرواية الاولى يعود الضمير فيها الى أجزاء القرآن قوله يحزنون به أنفسهم أى يستجلبون لها الحزن به ويستثيرون به دواء دائهم اشارة الى البكاء فانه دواء داء الحزن قال الشاعر

فقلت لها ان البكاء لراحة ٭ به يشتفى من ظن أن لا تلاقى

وقال آخر

شجاك من ليلتك الطول ٭ فالدمع من عينيك مسدول

وهو اذا أنت تأملته ٭ حزن على الخدين محلول

ثم ذكر انهم اذا مروا بآية فيها ذكر الثواب مالوا اليها واطمأنوا بها طمعا فى نيله وتطلعت أنفسهم اليها شوقا أى اشرأبت ونصب أعينهم منصوب على الظرفية وروى بالرفع على أنه خبر ان والظن ههنا يمكن أن يكون على حقيقته ويمكن أن يكون بمعنى العلم كقوله تعالى ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون واصغى الى الكلام مال اليه بسمعه وزفير النار صوتها وقد جاء فى فضل قراءة القرآن شئ كثير روى عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال من قرأ القرآن ثم رأى ان أحدا أوتى أفضل مما أوتى فقد استصغر ما عظمه الله وقال صلى الله عليه وآله لو كان القرآن فى اهاب ما مسته النار وقال أفضل عبادة أمتى قراءة القرآن وقال أهل القرآن أهل الله وخاصته وقال ان هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد قيل فما جلاؤها قال تلاوة القرآن وذكر الموت وقال عليه السلام ان الله سبحانه لاشد اذنا الى قارئ القرآن من صاحب القينة الى قينته وقال الحسن رحمه الله ما دون القرآن من غنى ولا بعد القرآن من فاقة ثم ذكر عليه السلام صورة صلاتهم وركوعهم

فقال حانون على أوساطهم حنيت العود عطفته يصف هيئة ركوعهم وانحنائهم فى الصلاة مفترشون لجباههم باسطون لها على الارض ثم ذكر الاعضاء السبعة التى مباشرتها بالارض فروض فى الصلاة وهى الجبهة والكفان والركبتان والقدمان قوله عليه السلام يطلبون الى الله أى يسألونه يقال طلبت اليك فى كذا أى سألتك والكلام على الحقيقة مقدر فيه حال محذوفة يتعلق بها حرف الجر أى يطلبون سائلين الى الله فى فكاك رقابهم لان طلب لا يتعدى بحرف الجر ثم لما فرغ من ذكر الليل قال وأما النهار فحلماء علماء أبرار أتقياء هذه الصفات هى التى يطلع عليها الناظرون لهم نهارا وتلك الصفات المتقدمة من وظائف الليل ثم ذكر ما هم عليه من الخوف فقال عليه السلام ان خوفهم قد براهم برى القداح وهى السهام واحدها قدح فينظر اليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بهم من مرض نظير هذا قول الشاعر

ومخرق عنه القميص تخاله ٭ بين البيوت من الحياء سقيما

حتى اذا رفع اللواء رأيته ٭ تحت اللواء على الخميس زعيما

ويقال للمتقين لشدة خوفهم كأنهم مرضى ولا مرض بهم وتقول العرب للكرام من الناس القليلى المأكل والمشرب رافضى اللباس الرفيع ذوى الاجسام النحيفة مراض من غير مرض ويقولون أيضا المرأة ذات الطرف الغضيض الفاتر ذات الكسل مريضة من غير مرض قال الشاعر

ضعيفة كر الطرف تحسب انها ٭ حديثة عهد بالافاقة من سقم

واعلم ان الخوف مقام جليل من مقامات العارفين وهو أحد الاركان التى هى أصول هذا الفن وهو التقوى التى حث الله تعالى عليها وقال ان أكرم الناس عنده أشدهم خوفا له واذا نظرت القرآن العزيز وجدت أكثره ذكر المتقين وهم الخائفون وقال النبى صلى الله عليه وآله من خاف الله خافه كل شئ ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شئ وقال عليه السلام أتمكم عقلا أشدكم لله خوفا وأحسنكم فيما أمر به ونهى عنه نظرا وقال يحيى بن معاذ مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة وقال ذو النون المصرى ينبغى أن يكون الخوف أغلب من الرجاء فان الرجاء اذا غلب تشوش القلب وقيل لبعض الصالحين من آمن الخلق غدا قال أشدهم خوفا اليوم وقيل للحسن يا أبا سعيد كيف نصنع بمجالسة أقوام من أصحابك يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير فقال انك والله لأن تصحب قوما يخوفونك حتى تدرك الامن خير لك من أن تصحب قوما يؤمنونك حتى يدركك الخوف وقيل للنبى صلى الله عليه وآله فى قوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة هم الذين يعصون ويخافون المعصية قال لا بل الرجل يصوم ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه وقال صلى الله عليه وآله ما من قطرة أحب الى الله تعالى من قطرة دمع من خشية الله أو قطرة دم أريقت فى سبيل الله وقال عليه السلام سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل الا ظله وذكر منهم رجلا ذكر الله فى خلوة ففاضت عيناه قوله عليه السلام ويقول قد خولطوا أى أصابتهم جنة ثم قال ولقد خالطهم أمر عظيم أى مازجهم خوف عظيم تولهوا لاجله فصاروا كالمجانين ثم ذكر أنهم لا يستكثرون كثيرا من أعمالهم ولا يرضيهم اجتهادهم وانهم يتهمون أنفسهم وينسبونها الى التقصير فى العبادة والى هذا نظر المتنبى فقال

يستصغر الخطر الكبير لنفسه ٭ ويظن دجلة ليس تروى شاربا

قال ومن أعمالهم مشفقون أى مشفقون من عباداتهم أن لا يقبل والى هذا نظر أبو تمام فقال

يتجنب الآثام ثم يخافها ٭ فكأنما حسناته آثام

ومثل قوله أنا أعلم بنفسى من غيرى قوله عليه السلام لمن زكاه نفاقا أنا دون ما تقول وفوق ما فى نفسك وقوله اللهم لا تؤاخذنى بما يقولون الى آخر الكلام مفرد مستقل بنفسه منقول عنه عليه السلام أنه قال لقوم مر عليهم وهم مختلفون فى أمره فمنهم الحامد له ومنهم الذام فقال اللهم لا تؤاخذنى الكلمات الى آخرها ومعناه اللهم ان كان ما ينسبه الذامون الى من الافعال الموجبة للذم حقا فلا تؤاخذنى بذلك واغفر لى ما لا يعلمونه من أفعالى وان كان ما يقوله الحامدون حقا فاجعلنى أفضل مما يظنونه فى

(الاصل) فَمِنْ علامةِ احدِهمْ انَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً في دِينٍ ۞ وَحَزْماً في لِينٍ ۞ وَايماناً في يَقِينٍ وحِرْصاً في عِلْمٍ وَعِلْماً في حِلْمٍ وَقَصْداً في غِنًى ۞ وَخُشُوعاً في عِبادَةٍ وتَجَمُّلاً في فاقَةٍ وصَبْراً في شِدَّةٍ وطَلَباً في حَلالٍ وَنَشاطاً في هُدًى وَتَحَرُّجاً عَنْ طَمَعٍ ۞ يَعْمَلُ الاَعْمالَ الصالِحَةَ وَهُوَ على وَجَلٍ ۞ يُمْسِي وَهَمُّهُ الشُّكْرُ وَيُصْبِحُ وَهَمُّهُ الذِّكْرُ ۞ يَبِيتُ حَذِراً وَيُصْبِحُ فَرِحاً ۞ حَذِراً لِما حُذِّرَ مِنَ الغَفْلَةِ ۞ وَفَرِحاً بِما أصابَ مِنَ الفضلِ وَالرَّحْمَةِ ۞ ان اسْتَصْعَبَتْ عليهِ نَفْسُهُ فيما تَكْرَهُ ۞ لَمْ يُعْطِها سُؤْلَها فيما تُحِبُّ ۞ قُرَّةُ عَيْنِهِ فيما لا يَزُولُ وَزَهادَتُهُ فيما لا يَبْقَى ۞ يَمْزُجُ الحِلْمَ بِالعِلْمِ وَالقَوْلَ بِالعَمَلِ ۞ تَراهُ قَرِيباً أمَلُهُ قَلِيلاً زَلَلُهُ خاشِعاً قَلْبُهُ قانِعَةً نَفْسُهُ مَنْزُوراً أكْلُهُ سَهْلاً أمْرُهُ حَرِيزاً دِينُهُ ۞ مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ مَكْظُوماً غَيْظُهُ ۞ الخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ إنْ كانَ في الغافِلِينَ كُتِبَ في الذّاكِرِينَ وَإنْ كانَ في الذّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الغافِلِينَ ۞ يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ ۞ بَعِيداً فُحْشُهُ ۞ لَيِّناً قَوْلُهُ غائِباً مُنْكَرُهُ حاضِراً مَعْرُوفُهُ مُقْبِلاً خَيْرُهُ مُدْبِراً شَرُّهُ ۞ في الزَّلازِلِ وَقُورٌ ۞ وَفي المَكارِهِ صَبُورٌ وَفي الرَّخاءِ شَكُورٌ لا يَحِيفُ على مَنْ يُبْغِضُ ولا يَأْثَمُ فِيمَنْ يُحِبُّ ۞ يَعْتَرِفُ بِالحَقِّ قَبْلَ أنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ ۞ لا يُضِيعُ ما اسْتُحْفِظَ وَلا يَنْسَى ما ذُكِّرَ وَلا يُنابِزُ بِالأَلْقابِ ۞ ولا يُضارُّ بِالجارِ وَلا يَشْمَتُ بِالمَصائِبِ وَلا يَدْخُلُ في الباطِلِ ولا يَخْرُجُ مِنَ الحَقِّ ۞ إنْ صَمَتَ لَمْ يَغُمَّهُ صَمْتُهُ وإنْ ضَحِكَ لَمْ يَعْلُ صَوْتُهُ وَإنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ ۞ نَفْسُهُ مِنْهُ في عَناءٍ وَالنّاسُ مِنْهُ في راحَةٍ ۞ أتْعَبَ نَفْسَهُ لآخِرَتِهِ وَأراحَ النّاسَ مِنْ نَفْسِهِ ۞ بُعْدُهُ عَمَّنْ تَباعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزاهَةٌ وَدُنُوُّهُ مِمَّنْ دَنا مِنْهُ لِينٌ ورَحْمَةٌ ۞ لَيْسَ تَباعُدُهُ بِكِبْرٍ وَعَظَمَةٍ وَلا دُنُوُّهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ (قالَ فَصَعِقَ هَمّامٌ صَعْقَةً كانَتْ نَفْسُهُ فِيها ۞ فَقالَ أمِيرُ المُؤْمِنِينَ عليهِ السَّلامُ ۞ أما واللهِ لَقَدْ كُنْتُ أخافُها عَلَيْهِ ثُمَّ قالَ هكَذا تَصْنَعُ المَواعِظُ البالِغَةُ بِأهْلِها ۞ فَقالَ لَهُ قائِلٌ فَما بالُكَ يا أمِيرَ المُؤْمِنِينَ ۞ فَقالَ عليهِ السَّلامُ وَيْحَكَ إنَّ لِكُلِّ أجَلٍ وَقْتاً لا يَعْدُوهُ وَسَبَباً لا يَتَجاوَزُهُ فَمَهْلاً لا تَعُدْ لِمِثْلِها فَانَّما نَفَثَ الشَّيْطانُ على لِسانِكَ)

(الشرح) هذه الالفاظ التي أولها قوة في دين بعضها يتعلق حرف الجر فيه بالظاهر فيكون موضعه نصبا بالمفعولية وبعضها يتعلق بمحذوف فيكون موضعه نصبا أيضا على الصفة ونحن نفصلها فقوله قوة في دين حرف الجر ههنا متعلق

بالظاهر

بالظاهر وهو قوة تقول فلان قوي في كذا او على كذا كما تقول مررت بكذا او بلغت الى كذا وحزما في لين ههنا لا يتعلق حرف الجر بالظاهر لانه لا معنى له ألا ترى انك لا تقول فلان حازم في اللين لان اللين ليس أمرا يحزم الانسان فيه وليس كما تقول فلان حازم في رأيه أو في تدبيره فوجب أن يكون حرف الجر متعلقا بمحذوف تقديره وحزما كائنا في لين وكذلك قوله وايمانا في يقين حرف الجر متعلق بمحذوف أي كائنا في يقين أي مع يقين فان قلت الايمان هو اليقين فكيف قال وايمانا في يقين قلت الايمان هو الاعتقاد مضافا الى العمل واليقين هو سكون القلب فقط فأحدهما غير الآخر قوله وحرصا في علم حرف الجر ههنا يتعلق بالظاهر وفي بمعنى على كقوله تعالى ولأصلبنكم في جذوع النخل قوله وقصدا في غنى حرف الجر متعلق بمحذوف أي هو مقتصد مع كونه غنيا وليس يجوز أن يكون متعلقا بالظاهر لانه لا معنى لقولك اقتصد في الغنى انما يقال اقتصد في النفقة وذلك الاقتصاد موصوف بأنه مقارن للغنى ومجامع له قوله وخشوعا في عبادة حرف الجر ههنا يحتمل الامرين معا قوله وتجملا في فاقة حرف الجر ههنا متعلق بمحذوف ولا يصح تعلقه بالظاهر لانه انما يقال فلان يتجمل في لباسه ومروءته مع كونه ذا فاقة ولا يقال يتجمل في الفاقة على أن يكون التجمل متعديا الى الفاقة قوله وصبرا في شدة حرف الجر ههنا يحتمل الامرين قوله وطلبا في حلال حرف الجر ههنا يتعلق بالظاهر وفي بمعنى اللام قوله ونشاطا في هدى حرف الجر ههنا يحتمل الامرين قوله وتحرجا عن طمع حرف الجر ههنا يتعلق بالظاهر لا غير قوله يعمل الاعمال الصالحة وهو على وجل قد تقدم مثله قوله ويمسي وهمه الشكر هذه درجة عظيمة من درجات العارفين وقد أثنى الله تعالى على الشكر والشاكرين في كتابه في مواضع كثيرة نحو قوله فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون فقرن الشكر بالذكر وقال تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وقال تعالى وسيجزي الله الشاكرين ولعلو مرتبة الشكر طعن ابليس في بني آدم فقال ولا تجد أكثرهم شاكرين وقد صدقه الله تعالى في هذا القول فقال وقليل من عبادي الشكور وقال بعض أصحاب المعاني قد قطع الله تعالى بالمزيد مع الشكر ولم يستثن فقال لئن شكرتم لأزيدنكم واستثنى في خمسة أمور وهي الغنى والاجابة والرزق والمغفرة والتوبة فقال فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء وقال بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وقال يرزق من يشاء وقال ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال يتوب الله على من يشاء وقال بعضهم كيف لا يكون الشكر مقاما جليلا وهو خلق من أخلاق الربوبية قال تعالى في صفة نفسه والله شكور حليم وقد جعل الله تعالى الشكر مفتاح كلام أهل الجنة فقال وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وجعله خاتمة كلامهم أيضا فقال وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين وقيل للنبي صلى الله عليه وآله قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فلم تقوم الليل وتتعب نفسك قال أفلا أكون عبدا شكورا قوله عليه السلام ويصبح وهمه الذكر هذه أيضا درجة كبيرة عظيمة من درجات العارفين قال تعالى فاذكروني أذكركم قال بعض العارفين لاصحابه أنا أعلم متى يذكرني ربي ففزعوا منه فقال اذا ذكرته ذكرني وتلا الآية فسكتوا وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وقال فاذكروا الله عند المشعر الحرام وقال فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا وقال فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وقال في ذم المنافقين ولا يذكرون الله الا قليلا وقال واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة وقال ولذكر الله أكبر وقال النبي صلى الله عليه وآله ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط الهشيم وقال صلى الله عليه وآله من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر من ذكر الله وسئل عليه السلام أي الاعمال أفضل قال أن تموت ولسانك رطب بذكر الله وقال صلى الله عليه وآله حكاية عن الله تعالى اذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي واذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملئه واذا تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا واذا تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا واذا مشى الي هرولت اليه وقال صلى الله عليه وآله ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله تعالى الا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده قوله عليه السلام يبيت حذرا ويصبح فرحا حذرا لما حذر من الغفلة وفرحا بما أصاب من الفضل والرحمة وقد تقدم ذكر الخوف وقد عرض عليه السلام ههنا بالرجاء المقابل للخوف فان فرح العارف بما أصاب من الفضل والرحمة يمكن أن يحمل

على انه فرح بمجرد ما أصاب من فضل الله ورحمته ويمكن أن يحمل على انه فرح بما يرجوه من ثواب الله ونعيمه لذى استدل على وصوله اليه وقوى ظنه بظفره به بما عجل الله تعالى له من الفضل والرحمة في الدنيا ومقام الرجاء للعارفين مقام شريف وهو في مقابلة مقام الخوف وهو المقام الذى يوجد العارف فيه فرحا قال الله تعالى ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور وقال النبي صلى الله عليه وآله حكاية عن الله تعالى أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ماشاء ودخل صلى الله عليه وآله على رجل من أصحابه وهو يجود بنفسه فقال كيف تجدك قال أجدنى أخاف من ذنوبى وأرجو رحمة ربى فقال صلى الله عليه وآله ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن الا أعطاه الله مارجاه وأمنه مما خافه قوله عليه السلام ان استصعبت عليه نفسه أى صارت صعبة غير منقادة يقول اذا لم تطاوعه نفسه الى ماهى كارهة له لم يعطها مرادها فيما تحبه قوله عليه السلام قرة عينه فيما لا يزول وزهادته فيما لا يبقى يقال للفرح المسرور انه لقرير العين وقرت عينه تقر والمراد بردها لان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة وهذا الكلام يحتمل أمرين أحدهما أن يعنى بما لا يزول البارى سبحانه وهذا مقام شريف جدا أعظم من سائر المقامات وهو حب العارف لله سبحانه وقد أنكره قوم فقالوا لامعنى لمحبة البارى الا المواظبة على طاعته ونحوه قول أصحابنا المتكلمين ان محبة الله تعالى للعبد هى ارادته لثوابه ومحبة العبد للبارى هى ارادته لطاعته فليست المحبة عندهم شيأ زائدا على الارادة ولا يجوز أن تتعلق بذات الله سبحانه لان الارادة لا تتعلق الا بالحدوث وخالفهم شيخنا أبو الحسن فقال ان الارادة يمكن أن تتعلق بالباقى ذكر ذلك في الكلام في الاكوان في أول التصفح فأما اثبات الحب في الجملة فقد نطق به القرآن قال سبحانه يحبهم ويحبونه وقال أيضا والذين آمنوا أشد حبا لله وقال ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وآله نظر الى مصعب بن عمير مقبلا وعليه اهاب كبش قد تنطق به فقال انظروا الى الرجل الذى قد نور الله قلبه لقد رأيته بين أبوين يغذوانه بأطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله ورسوله الى ماترون ويقال ان عيسى عليه السلام مر بثلاثة نفر قد نحلت أبدانهم وتغيرت ألوانهم فقال ما الذى بلغ بكم ما أرى قالوا الخوف من النار قال حق على الله أن يؤمن من يخافه ثم جاوزهم الى ثلاثة آخرين فاذا هم أشد نحولا وتغيرا فقال ما الذى بلغ بكم ما أرى قالوا الشوق الى الجنة فقال حق على الله أن يعطى من رجاه ثم مر الى ثلاثة آخرين فاذا هم أشد نحولا وعلى وجوههم مثل المرائى من النور فقال ما الذى بلغ بكم ما أرى قالوا حب الله عز وجل فقال أنتم المقربون ثلاثا وقال بعض العارفين

أحبك حبين حب الهوى * وحبا لانك أهل لذاكا
فأما الذى هو حب الهوى * فشغلى بذكرك عمن سواكا
وأما الذى أنت أهل له * فكشفك لى الحجب حتى أراكا
فلا الحمد من ذا ولا ذاك لى * ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

ليس يريد بكشف الحجب والرؤية ما يظنه الظاهريون من انها الابصار بالعين بل المعرفة التامة وذلك لان المعارف النظرية يصح أن تصير ضرورية عند جمهور أصحابنا فهذا أحد محملى الكلام وثانيهما أن يريد بما لا يزول نعيم الجنة وهذا أدون المقامين لان الخلص من العارفين يحبونه ويعشقونه سبحانه لذاته لا خوفا من النار ولا شوقا الى الجنة وقد قال بعضهم لست أرضى لنفسى أن أكون كأجير السوء ان دفعت اليه الاجرة رضى وفرح وان منعها سخط وحزن انما أحبه لذاته وقال بعض شعرائهم شعرا من جملته

فهجره أعظم من ناره * ووصله أطيب من جنته

وقد جاء في كلام أمير المؤمنين عليه السلام من هذا الكثير نحو قوله لم أعبده خوفا ولا طمعا لكنى وجدته أهلا للعبادة فعبدته قوله عليه السلام يمزج الحلم بالعلم أى لا يحلم الا عن علم بفضل الحلم ليس كما يحلم الجاهلون قوله والقول بالعمل أى لا يقتصر على القول ومثل هذا قول الاحوص وأراك تفعل ما تقول وبعضهم * مذق اللسان يقول مالا يفعل قوله عليه السلام تراه قريبا أمله أى ليست نفسه متعلقة بما عظم من آمال الدنيا وانما قصارى أمره أن يؤمل

القوت والملبس قليلا زلله أى خطؤه قوله منزورا أكله أى قليلا ويحمد من الانسان الاكل النزر قال أعشى باهلة

تكفيه حزة فلذ ان ألم بها * من الشواء ويكفى شربه الغمر

وقال متمم بن نويرة

لقد كفن المنهال تحت ردائه * فتى غير مبطان العشيات أروعا

قوله عليه السلام مكظوما غيظه كظم الغيظ من الاخلاق الشريفة قال زيد بن على عليه السلام ماسرنى بجرعة غيظ أتجرعها وأصبر عليها حمر النعم وجاء رجل الى الربيع بن زياد الحارثى فقال يا أبا عبد الرحمن ان فلانا يغتابك وينال منك فقال والله لأغيظن من أمره بذلك قال الرجل ومن أمره قال الشيطان عدو الله استغواه ليؤثمه وأراد أن يغضبنى عليه فأكافئه والله لأعطينه ماهو أحب من ذلك غفر الله لنا وله وجهل انسان على عمر بن عبد العزيز فقال أظنك أردت أن يستفزنى الشيطان بعز السلطان فأنال منك اليوم ما تناله منى غدا انصرف عافاك الله وقال النبي صلى الله عليه وآله الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال انسان لرسول الله صلى الله عليه وآله أوصنى فقال لا تغضب فأعاد عليه السؤال فقال لا تغضب فقال زدنى فقال لا أجد مزيدا ومن كلام بعض الحكماء لا يفى عز الغضب بذلة الاعتذار قوله ان كان في الغافلين معناه انه لا يزال ذاكرا لله تعالى سواء كان جالسا مع الغافلين أو مع الذاكرين أما اذا كان مع الغافلين فانه يذكر الله بقلبه وأما اذا كان مع الذاكرين فانه يذكره بقلبه ولسانه قوله عليه السلام يعفو عمن ظلمه ويعطى من حرمه ويصل من قطعه من كلام المسيح عليه السلام في الانجيل أحبوا أعداءكم وصلوا قاطعيكم واعفوا عن ظالميكم وباركوا على لاعنيكم لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى في السماء تشرق شمسه على الصالحين والفجرة وينزل مطره على المطيعين والأثمة قوله عليه السلام بعيدا فحشه ليس يعنى به انه قد يفحش تارة ويترك الفحش تارات بل لا فحش له أصلا فكنى عن العدم بالبعد لانه قريب منه قوله لينا قوله العارف بسام طلق الوجه لين القول وفي صفات النبي صلى الله عليه وآله ليس بفظ ولا صخاب قوله في الزلازل وقور أى لا تحركه الخطوب الطارقة ويقال ان على بن الحسين عليه السلام كان يصلى فوقعت عليه حية فلم يتحرك لها ثم انسابت بين قدميه فما حرك احداهما عن مكانه ولا تغير لونه قوله لا يحيف على من يبغض هذا من الاخلاق الشريفة النبوية وفي كلام أبى بكر في صفات من يصلح للامامة ان رضى لم يدخله رضاه في باطل وان غضب لم يخرجه غضبه عن الحق قوله يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه لانه ان أنكر ثم شهد عليه فقد ثبت كذبه وان سكت ثم شهد عليه فقد أقام نفسه في مقام الريبة قوله ولا ينابز بالالقاب هذا من قوله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب قوله ولا يضار بالجار في الحديث المرفوع أوصانى ربى بالجار حتى ظننت أن يورثه قوله ولا يشمت بالمصائب نظير هذا قول الشاعر

فلست تراه شامتا بمصيبة * ولا جزعا من طارق الحدثان

قوله ان صمت لم يغمه صمته أى لا يحزن لفوات الكلام لانه يرى الصمت مغنما لا مغرما قوله وان ضحك لم يعل صوته هكذا كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وآله أكثره التبسم وقد يفتر أحيانا ولم يكن من أهل القهقهة والكركرة قوله وان بغى عليه صبر هذا من قول الله تعالى ومن بغى عليه لينصرنه الله قوله نفسه منه في عناء لانه يتعبها بالعبادة والناس لا يلقون منه عنتا ولا أذى فحالهم بالنسبة اليه خلاف حال نفسه بالنسبة اليه قوله فصعق همام أغمى عليه ومات قال الله تعالى فصعق من في السموات ومن في الارض * واعلم ان الوجد أمر شريف قد اختلف الناس فيه فقالت الحكماء فيه أقوالا وقالت الصوفية فيه أقوالا أما الحكماء فقالوا الوجد هو حالة تحدث للنفس عند انقطاع علائقها عن المحسوسات بغتة اذا كان قد ورد عليها وارد مشوق وقال بعضهم الوجد هو اتصال النفس بمباديها المجردة عند سماع ما يقتضى ذلك الاتصال وأما الصوفية فقد قال بعضهم الوجد رفع الحجاب ومشاهدة المحبوب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ومحادثة السر وهو فناؤك من حيث أنت أنت وقال بعضهم الوجد سر الله عند العارفين ومكاشفة من الحق توجب الفناء عن الحق والاقوال فيه متقاربة في المعنى وان اختلفت العبارة وقد مات كثير من الناس بالوجد عند سماع وعظ أو صوت مطرب والاخبار في هذا الباب كثيرة جدا وقد رأينا نحن في زماننا من مات بذلك فجأة قوله كانت نفسه فيها أى مات ونفث الشيطان على لسانك

أى تكلم بلسانك وأصله النفخ بالفم وهو أقل من التفل وانما نهى أمير المؤمنين القائل فهلا أنت يا أمير المؤمنين لانه اعترض فى غير موضع الاعتراض وذلك انه لا يلزم من موت العامى عند وعظ العارف أن يموت العارف عند وعظ نفسه لان انفعال العامى ذى الاستعداد التام للموت عند سماع المواعظ البالغة أتم من استعداد العارف عند استماع كلام نفسه أو الفكر فى كلام نفسه لان نفس العارف قوية جدا والآلة التى يحفر بها الطين قد لا يحفر بها الحجر فان قلت فان جواب أمير المؤمنين عليه السلام للسائل غير هذا الجواب قلت صدقت انما أجابه من حيث يعلم هو والسامعون وتصل أفهامهم اليه فخرج معه الى حديث الآجال وانها أوقات مقدرة لا تتعداها وما كان يمكنه عليه السلام أن يذكر الفرق بين نفسه ونفوسهم ولا كانت الحال تقتضيه فأجابه بجواب مسكت وهو مع اسكانه الخصم حق وعدل عن جواب يحصل منه اضطراب و يقع فيه تشويش وهذا نهاية السداد وصحة القول

(الاصل) ﴿ ومن خطبة له عليه السلام ﴾

يصف فيها المنافقين

نَحْمَدُهُ على ما وَفَّقَ لَهُ مِنَ الطَّاعَةِ وَذَادَ عَنْهُ مِنَ المَعْصِيَةِ ۞ وَنَسْأَلُهُ لِمِنَّتِهِ تَمَاماً وَبِحَبْلِهِ اعْتِصَاماً ۞ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَاضَ إِلَى رِضْوَانِ اللهِ كُلَّ غَمْرَةٍ ۞ وَتَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ غُصَّةٍ وقَدْ تَلَوَّنَ لَهُ الأَدْنَوْنَ ۞ وَتَأَلَّبَ عَلَيْهِ الأَقْصَوْنَ وَخَلَعَتْ إِلَيْهِ العَرَبُ أَعِنَّتَهَا وَضَرَبَتْ الى مُحَارَبَتِهِ بُطُونَ رَوَاحِلِهَا حَتَّى أَنْزَلَتْ بِسَاحَتِهِ عَدَاوَتَهَا مِنْ أَبْعَدِ الدَّارِ وَأَسْحَقِ المَزَارِ أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ وَأُحَذِّرُكُمْ أَهْلَ النِّفَاقِ فَإِنَّهُمْ الضَّالُّونَ المُضِلُّونَ وَالزَّالُّونَ المُزِلُّونَ ۞ يَتَلَوَّنُونَ أَلْوَاناً وَيَفْتَنُّونَ افْتِنَاناً ۞ وَيَعْمِدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَادٍ وَيَرْصُدُونَكُمْ بِكُلِّ مِرْصَادٍ ۞ قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ ۞ وَصِفَاحُهُمْ نَقِيَّةٌ ۞ يَمْشُونَ الخَفَاءَ ۞ وَيَدِبُّونَ الضَّرَاءَ ۞ وَصْفُهُمْ دَوَاءٌ وَذِكْرُهُمْ شِفَاءٌ وَفِعْلُهُمُ الدَّاءُ العَيَاءُ ۞ حَسَدَةُ الرَّخَاءِ ۞ وَمُؤَكِّدُو البَلَاءِ وَمُقْنِطُوا الرَّجَاءِ ۞ لَهُمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ صَرِيعٌ ۞ وَإِلَى كُلِّ قَلْبٍ شَفِيعٌ وَلِكُلِّ شَجْوٍ دُمُوعٌ ۞ يَتَقَارَضُونَ الثَّنَاءَ ۞ وَيَتَرَاقَبُونَ الجَزَاءَ ۞ إِنْ سَأَلُوا أَلْحَفُوا ۞ وَإِنْ عَذَلُوا كَشَفُوا وَإِنْ حَكَمُوا أَسْرَفُوا ۞ قَدْ أَعَدُّوا لِكُلِّ حَقٍّ بَاطِلاً وَلِكُلِّ قَائِمٍ مَائِلاً وَلِكُلِّ حَيٍّ قَاتِلاً وَلِكُلِّ بَابٍ مِفْتَاحاً وَلِكُلِّ لَيْلٍ مِصْبَاحاً ۞ يَتَوَصَّلُونَ إِلَى الطَّمَعِ بِاليَأْسِ لِيُقِيمُوا بِهِ أَسْوَاقَهُمْ وَيُنْفِقُوا بِهِ أَعْلَاقَهُمْ ۞ يَقُولُونَ فَيُشَبِّهُونَ ۞ وَيَصِفُونَ فَيُمَوِّهُونَ قَدْ هَوَّنُوا الطَّرِيقَ وَأَضْلَعُوا المَضِيقَ فَهُمْ لُمَةُ الشَّيْطَانِ ۞ وَحُمَةُ النِّيرَانِ ۞ (أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الخَاسِرُونَ)

(الشرح) الضمير فى له وهو الهاء راجع الى ما التى بمعنى الذى وقيل بل هو راجع الى الله سبحانه كأنه قال نحمده على ما وفق من طاعته والصحيح هو الاول لان له فى الفقرة الاولى بازاء عنه فى الفقرة الثانية والهاء فى عنه ليست عائدة الى الله

وذاد طرد والمصدر الذياد وخاض كل غمرة مثل قولك ارتكب كل مهلكة وتقحم كل هول والغمرة ما ازدحم وكثر من الماء وكذلك من الناس والجمع غمار والغصة الشجا والجمع غصص وتلون له الأدنون تغير عليه أقاربه ألوانا وتألب عليه الاقصون تجمع عليه الابعدون عنه نسبا وخلعت اليه العرب أعنتها مثل معناه أوجفوا اليه مسرعين لمحاربته لان الخيل اذا خلعت أعنتها كان أسرع لجريها وضربت الى محاربته بطون رواحلها كناية عن اسراع العرب نحوه للحرب لان الرواحل اذا ضربت بطونها الساق كان أوحى لها ومراده انهم كانوا فرسانا وركبانا قوله حتى أنزلت بساحته عداوتها أى حربها فعبر عنها بالعداوة لان العداوة سبب الحرب فعبر بالسبب عن المسبب كما قالوا ما زلنا نطأ السماء حتى أتيناك يعنون الماء لما كان اعتقادهم ان السماء سبب الماء واسحق المزار ابعده مكان سحيق أى بعيد والسحق بضم السين البعد يقال سحقا له ويجوز ضم الحاء كما قالوا عسر وعسر وسحق الشئ بالضم أى بعد وأسحقه الله أبعده والمزار المكان الذى يزار منه أو المكان الذى يزار فيه والمراد ههنا هو الاول ومن قرأ كتب السيرة علم ما لاقى رسول الله صلى الله عليه وآله فى ذات الله سبحانه من المشقة واستهزاء قريش به فى أول الدعوة ورميهم اياه بالحجارة حتى أدموا عقبيه وصياح الصبيان به وفرث الكرش على رأسه وفتل الثوب فى عنقه وحصره وحصر أهله فى شعب بنى هاشم سنين عدة محرمة معاملتهم ومبايعتهم ومناكحتهم وكلامهم حتى كادوا يموتون جوعا ولولا أن بعض من كان يحنو عليهم لرحم أو لسبب غيره فهو يسرق الشئ القليل من الدقيق أو التمر فيلقيه اليهم ليلا ثم ضربهم أصحابه وتعذيبهم بالجوع والوثاق فى الشمس وطردهم اياهم عن شعاب مكة حتى خرج من خرج منهم الى الحبشة وخرج عليه السلام مستجيرا منهم تارة بثقيف وتارة ببنى عامر وتارة بربيعة الفرس وبغيرهم ثم أجمعوا على قتله والفتك به ليلا حتى هرب منهم لائذا بالاوس والخزرج تاركا أهله وأولاده وما حوته يده ناجيا بحشاشة نفسه حتى وصل الى المدينة فناصبوه الحرب ورموه بالمناسر والكتائب وضربوا اليه آباط الابل ولم يزل منهم فى عناء شديد وحروب متصلة حتى أكرمه الله تعالى ونصره وأيد دينه وأظهره ومن له أنس بالتواريخ يعلم من تفاصيل هذه الاحوال ما يطول شرحه سمى النفاق نفاقا من النافقاء وهى بيت اليربوع له بابان يدخل من أحدهما و يخرج من الآخر وكذلك الذى يظهر دينا و يبطن غيره والضالون المضلون الذين يضلون أنفسهم و يضلون غيرهم وكذلك الزالون المزلون زل فلان عن الامر أى أخطأه وأزله غيره قوله يفتنون يتشعبون فنونا أى ضروبا و يعمدونكم أى يهدونكم و يفدحونكم يقال عمده المرض يعمده أى هده ومنه قولهم للعاشق عميد القلب قوله بعماد أى بأمر فادح وخطب مؤلم واصل العمد انشداخ سنام البعير وماضيه عمد السنام بالكسر عمدا فهو عمد و يرصدونكم يعدون المكايد لكم أرصدت أعددت ومنه فى الحديث الا ان أرصده لدين على وقلب دو بالتخفيف أى فاسد من داء أصابه وامرأة دوية فاذا قلت رجل دوى بالفتح استوى فيه المذكر والمؤنث والجماعة لانه مصدر فى الاصل ومن روى دوية بالتشديد على بعده فانما شدده ليقابل نقية والصفاح جمع صفحة الوجه وهى ظاهره يقول باطنهم عليل وظاهرهم صحيح يمشون الخفاء أى فى الخفاء ثم حذف الجار فنصب وكذلك يدبون الضراء والضراء شجر الوادى الملتف وهذا مثل يضرب لمن يختل صاحبه و يخدعه يقال هو يدب له الضراء و يمشى له الخمر وهو جرف الوادى ثم قال وصفهم داء وقولهم شفاء وفعلهم الداء العياء أى أقوالهم أقوال الزاهدين العابدين ثم قال وأفعالهم أفعال الفاسقين الفاجرين والداء العياء الذى يعيى الاساة ثم قال حسدة الرخاء يحسدون على النعم ومؤكدو البلاء اذا وقع واحد من الناس فى بلاء أكدوه عليه بالسعايات والنمائم واغراء السلطان به ولقد أحسن أبو الطيب فى قوله بذم الشر

وكأنا لم يرض فينا بريب الدهر حتى أعانه من أعانا
كلما أنبت الزمان قناة ۞ ركب المرء فى القناة سنانا

ومقنطو الرجاء أى أهل الرجاء أى يبدلون بشرورهم واذاهم رجاء الراجى قنوطا قوله والى كل قلب شفيع يصف خلابة ألسنتهم وشدة ملقهم فقد استحوذوا على قلوب الناس بالرياء والتصنع قوله ولكل شجو دموع الشجو الحزن أى يبكون تباكيا وتعملا لا حقا عند أهل كل حزن ومصاب يتقارضون الثناء أى يثنى زيد على عمرو ويثنى عمرو عليه فى ذلك

المجلس و يبلغه فيثنى عليه فى مجلس آخر مأخوذ من القرض و يترقبون الجزاء يرتقب كل واحد منهم على ثنائه ومدحه لصاحبه جزاء منه اما بالمال أو بأمر آخر نحو ثناء يثنى عليه أو شفاعة يشفع له أو نحو ذلك والالحاف فى السؤال الاستقصاء فيه وهو مذموم قال الله تعالى لا يسألون الناس الحافا قوله وان عذلوا كشفوا أى اذا عذلك أحدهم كشف عيوبك فى ذلك اللوم والعذل وجبهك بها ورب ما لا يستحى أن يذكرها لك بمحضر ممن لا تحب ذكرها بحضرته وليسوا بالناصحين على الحقيقة الذين يعرضون عند العتاب بالذنب تعريضا لطيفا ليقلع الانسان عنه وان حكموا أسرفوا اذا سألك أحدهم ففوضته فى مالك أسرف ولم يقنع بشئ وأحب الاستئصال قد أعدوا لكل حق باطلا يقيمون الباطل فى معارضة الحق والشبهة فى مصادمة الحجة ولكل دليل قائم وقول صحيح ثابت احتجاجا مائلا مضادا لذلك الدليل وكلاما مضطربا لذلك القول ولكل باب مفتاحا أى ألسنتهم ذلقة قادرة على فتح المغلقات للطف توصلهم وظرف منطقهم ولكل ليل مصباحا أى كل أمر مظلم فقد أعدوا له كلاما ينيره ويضيئه ويجعله كالمصباح الطارد لليل و يتوصلون الى مطامعهم باظهار اليأس عما فى أيدى الناس وبالزهد فى الدنيا وفى الاثر شركم من أخذ الدنيا بالدين ثم قال انما فعلوا ذلك ليقيموا به أسواقهم أى لتنفق سلعتهم والاعلاق جمع علق وهو السلعة الثمينة يقولون فيشبهون يوقعون الشبه فى القلوب و يصفون فيموهون التمويه التزيين وأصله أن تطلى الحديدة بذهب يحسنها قد هيؤا الطريق أى الطريق الباطل قد هيؤها السالك بتمويهاتهم وأضلعوا المضيق أمالوه وجعلوه ضلعا أى معوجا أى جعلوا المسلك الضيق معوجا بكلامهم وتلبيسهم فاذا أسلكوه انسانا اعوج لاعوجاجه والحمة بالتخفيف الحاجة والحمة بالتخفيف أيضا السم وكنى عن احراق النار بالحمة للمشابهة فى المضرة

(الاصل) ﴿ ومن خطبة له عليه السلام ﴾

الحمد لله الذى أظهر من آثار سلطانه وجلال كبريائه ما حير مقل العيون من عجائب قدرته • وردع خطرات هماهم النفوس عن عرفان كنه صفته • وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة إيمان وإيقان وإخلاص وإذعان • وأشهد أن محمدا عبده ورسوله • أرسله وأعلام الهدى دارسة ومناهج الدين طامسة • فصدع بالحق ونصح للخلق وهدى إلى الرشد وأمر بالقصد صلى الله عليه وآله وسلم واعلموا عباد الله أنه لم يخلقكم عبثا ولم يرسلكم هملا علم مبلغ نعمه عليكم وأحصى احسانه إليكم فاستفتحوه واستنجحوه • واطلبوا اليه واستمنحوه فما قطعكم عنه حجاب ولا أغلق عنكم دونه باب وإنه لبكل مكان وفي كل حين وأوان ومع كل إنس وجان لا يثلمه العطاء • ولا ينقصه الحباء ولا يستنفده سائل ولا يستقصيه نائل ولا يلويه شخص عن شخص ولا يلهيه صوت عن صوت ولا تحجزه هبة عن سلب ولا يشغله غضب عن رحمة ولا توله رحمة عن عقاب ولا يجنه البطون عن الظهور ولا يقطعه الظهور عن البطون • قرب فنأى وعلا فدنا وظهر فبطن وبطن فعلن ودان ولم يدن • لم يذرإ الخلق باحتيال •

ولا استعان بهم لكلال أوصيكم عباد الله بتقوى الله فانها الزمام والقوام • فتمسكوا بوثائقها واعتصموا بحقائقها تؤل بكم إلى أكنان الدعة • وأوطان السعة ومعاقل الحرز ومنازل العز في يوم تشخص فيه الأبصار وتظلم له الأقطار وتعطل فيه صروم العشار • وينفخ فى الصور • فتزهق كل مهجة وتبكم كل لهجة وتذل الشم الشوامخ • والصم الرواسخ •فيصير صلدها سرابا رقراقا ومعهدها قاعا سملقا فلا شفيع يشفع ولا حميم ينفع ولا معذرة تدفع

(الشرح) أظهر سبحانه من آثار سلطانه نحو خلق الأفلاك ودخول بعضها فى بعض كالميل الذى يشتمل على المائل وفلك التدوير وغيرهما ونحو ذلك خلق الانسان وما يدل كتب التشريح من عجيب الحكمة فيه ونحو خلق النبات والمعادن وترتيب العناصر وطبقاتها والآثار العلوية المتجددة حسب تجدد أسبابها ما حير عقول العقلاء وأشعر بأنها اذا لم تحط بتفاصيل تلك الحكم مع انها مصنوعة فالاولى أن لا تحيط بالصانع الذى هو برئ عن المادة وعلائق الحس والمقل جمع مقلة وهى شحمة العين التى تجمع السواد والبياض ومقلت الشئ نظرت اليه بمقلتى وأضاف المقل الى العيون مجازا ومراده البصائر وردع زجر ودفع وهماهم النفوس أفكارها وما يهمهم به عند التمثيل والروية فى الامر وأصل الهمهمة صوت يسمع لا يفهم محصوله والعرفان المعرفة وكنه الشئ نهايته وأقصاه والايقان العلم القطعى والاذعان الانقياد والاعلام المنار والجبال يستدل بها فى الطرقات والمناهج السبل الواضحة والطامة الدارسة وصدع بالحق بين واصله الشق يظهر ما تحته و يقال نصحت لزيد وهو أفصح من قولك نصحت زيدا والقصد العدل والعبث ما لا غرض فيه أو ما ليس فيه غرض مثله والهمل الابل بلا راع وقد أهملت الابل أرسلتها سدى قوله علم مبلغ نعمه عليكم واحصى احسانه اليكم أى هو عالم بكمية انعامه عليكم علما مفصلا وكل من علم قدر نعمته على غيره كان أحرى أن تشتد نقمته عليه عند عصيانه له وجراءته عليه بخلاف من يجهل قدر نعمته على الغير فانه لا يشتد غضبه لانه لا يعلم قدر نعمته المكفورة قوله فاستفتحوه أى اطلبوا منه الفتح عليكم والنصر لكم واستنجحوه اطلبوا منه النجاح والظفر واطلبوا اليه أى اسألوا يقال طلبت الى زيد كذا وفى كذا واستمنحوه بكسر النون اطلبوا منه المنحة وهى العطية و يروى واستميحوه بالياء استمحت الرجل طلبت عطاءه ومحت بالرجل أعطيته ثم ذكر عليه السلام أنه لا حجاب يمنع عنه ولا دونه باب يغلق وأنه بكل مكان موجود وفى كل حين وأوان والمراد بوجوده فى كل مكان احاطة علمه وهو معنى قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم وقوله سبحانه وهو معكم أينما كنتم قوله لا يثلمه العطاء بالكسر لا ينقص قدرته والحباء النوال ولا يستنفده أى لا يفنيه ولا يستقصيه لا يبلغ الجود أقصى مقدوره وان عظم الجود لانه قادر على ما لا نهاية له ولا يلويه شخص عن شخص ولا يوجب ما يفعله لشخص أو مع شخص اعراضا وذهولا عن شخص آخر بل هو عالم بالجميع لا يشغله شأن عن شأن لوى الرجل وجهه أى أعرض وانحرف ومثل هذا أراد بقوله ولا يلهيه صوت عن صوت ألهاه كذا أى شغله ولا يحجزه بالضم هبة عن سلب أى لا يمنعه أى ليس كالقادرين بالقدرة مثلنا فان الواحد منا يصرفه اهتمامه بعطية زيد عن سلب مال عمرو وحال ما يكون مهتما بتلك العطية لان اشتغال القلب باحدى الامرين يشغله عن الآخر ومثل هذا قوله ولا يشغله غضب عن رحمة ولا توله رحمة عن عقاب أى يحدث الرحمة لمستحقها عنده ولها وهو التحير والتردد وتصرفه عن عقاب المستحق وذلك لان الواحد منا اذا رحم انسانا حدث عنده رقة خصوصا اذا توالت منه الرحمة لقوم متعددين فانه تصير الرحمة كالملكة عنده فلا يطيق مع تلك الحال ان ينتقم والبارى تعالى بخلاف ذلك لانه ليس بذى مزاج سبحانه ولا يجنه البطون عن الظهور ولا يقطعه الظهور عن البطون هذه كلها مصادر بطن بطونا أى خفا وظهر

ظهورا أى تجلى يقول لا يمنعه خفاؤه عن العقول أن ندركه عند ظهوره بأفعاله لها وان لم يكن ظاهرا بذاته وكذلك لا يقطعه ظهوره بأفعاله عن أن يخفى كنهه عن ابصار العقول وادراكها له ويقال اجتننت كذا أى سترته ومنه الجنين والجنة للترس وسمى الجن جنا لاستتارهم ثم زاد المعنى تأكيدا فقال قرب فنأى أى قرب فعلا فنأى ذاتا أى أفعاله قد تعلم ولكن ذاته لا تعلم ثم قال وعلا فدنا أى لما علا عن أن تحيط به العقول عرفته العقول لانها عرفت ذاته لكن عرفت انه شئ لا يصح أن يعرف وذلك خاصته سبحانه فان ماهيته يستحيل أن تتصور للعقل لا فى الدنيا ولا فى الآخرة بخلاف غيره من الممكنات ثم أكد المعنى بعبارة أخرى قال وظهر فبطن و بطن فعلن وهذا مثل الاول ودان غلب وقهر ولم يدن لم يقهر ولم يغلب ثم قال لم يذرأ الخلق باحتيال أى لم يخلقهم بحيلة توصل بها الى ايجادهم بل أوجدهم على حسب علمه بالمصلحة خلقا مخترعا من غير سبب ولا واسطة قال ولا استعان بهم لكلال أى لاعياء أى لم يأمر المكلفين بالجهاد لحاجته فى قهر أعدائه وجاحدى نعمته اليهم وليس بكال ولا عاجز عن اهلاكهم ولكن الحكمة اقتضت ذلك قال سبحانه ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض أى لبطل التكليف ثم ذكر أن التقوى قوام الطاعات التى تقوم بها وزمام العبادات لانها تمسك وتحصن كزمام الناقة المانع لها من الخبط والوثائق جمع وثيقة وهى مايوثق به وحقائقها جمع حقيقة وهى الراية يقال فلان حامى الحقيقة قوله تؤل بالجزم لانه جواب الامر أى ترجع والاكنان جمع كن وهو الستر والدعة الراحة والسعة الجدة والمعاقل جمع معقل وهو الملجأ والحرز الحفظ وتشخص الابصار تبقى مفتوحة لا تطرف والاقطار الجوانب والصروم جمع صرم وصرمة وهى القطعة من الابل نحو الثلاثين والعشار النوق أتى عليها من يوم أرسل الفحل فيها عشرة أشهر فزال عنها اسم المخاض ولا يزال ذلك اسمها حتى تضع والواحدة عشراء وهذا من قوله تعالى واذا العشار عطلت أى تركت مسيبة مهملة لا يلتفت اليها أربابها ولا يحلبونها لاشتغالهم بأنفسهم وتزهق كل مهجة تهلك وتبكم كل لهجة أى تخرس رجل أبكم و بكيم والماضى بكم بالكسر والشم الشوامخ الجبال العالية وذلها اندكاكها وهى أيضا الصم الرواسخ فيصير صلدها وهو الصلب الشديد انصلابه سرابا وهو مايتراءى فى النهار فيظن ماء والرقراق الخفيف ومعهدها ماجعل منها منزلا للناس قاعا أرضا خالية والسملق الصفصف المستوى ليس بعضه أرفع و بعضه أخفض

(الاصل) ﴿ ومن خطبة له عليه السلام ﴾

بَعَثَهُ حِينَ لاَ عَلَمٌ قَائِمٌ ✻ وَلاَ مَنَارٌ سَاطِعٌ وَلاَ مَنْهَجٌ وَاضِحٌ أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ واحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا دَارُ شُخُوصٍ ✻ وَمَحَلَّةُ تَنْغِيصٍ ✻ سَاكِنُهَا ظَاعِنٌ وَقَاطِنُهَا بَائِنٌ ✻ تَمِيدُ بِأَهْلِهَا مَيَدَانَ السَّفِينَةِ تَقْصِفُهَا الْعَوَاصِفُ فِي لُجَجِ الْبِحَارِ ✻ فَمِنْهُمُ الْغَرِقُ الْوَبِقُ ✻ وَمِنْهُمُ النَّاجِى عَلَى بُطُونِ الْأَمْوَاجِ تَحْفِزُهُ الرِّيَاحُ بِأَذْيَالِهَا وَتَحْمِلُهُ عَلَى أَهْوَالِهَا فَمَا غَرِقَ مِنْهَا فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرَكٍ وَمَا نَجَا مِنْهَا فَإِلَى مَهْلَكٍ عِبَادَ اللهِ الْآنَ فَاعْلَمُوا وَالْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ وَالْأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ وَالْأَعْضَاءُ لَدْنَةٌ ✻ وَالْمُنْقَلَبُ فَسِيحٌ وَالْمَجَالُ عَرِيضٌ قَبْلَ إِرْهَاقِ الْفَوْتِ وَحُلُولِ الْمَوْتِ ✻ فَحَقِّقُوا عَلَيْكُمْ نُزُولَهُ وَلَا تَنْتَظِرُوا قُدُومَهُ

(الشرح) يقول بعث الله سبحانه محمدا صلى الله عليه وآله لما لم يبق علم يهتدى به المكلفون لانه كان زمان الفترة وتبدل المصلحة واقتضاء وجوب اللطف عليه سبحانه تجديد البعثة ليعرف المبعوث المكلفين الافعال التى تقربهم من فعل الواجبات العقلية وتبعدهم عن المقبحات الفعلية والمنار الساطع المرتفع سطع الصبح سطوعا ارتفع ودار

شخوص دار رحلة شخص عن البلد رحل عنه والظاعن المسافر والقاطن المقيم والبائن البعيد يقول ساكن الدنيا ليس بساكن على الحقيقة بل هو ظاعن فى المعنى وان كان فى الصورة ساكنا والمقيم بها مفارق وان ظن أنه مقيم وتميد بأهلها تتحرك وتميل والميدان حركة واضطراب وتصفقها العواصف تضربها بشدة ضربا بعد ضرب والعواصف الرياح القوية واللجج جمع لجة وهى معظم البحر الوبق الهالك وبق الرجل بالفتح يبق وبوقا هلك والموبق المهلك كالموعد مفعل من وعد يعد ومنه قوله تعالى وجعلنا بينهم موبقا وفيه لغة أخرى وبق الرجل يوبق وبقا وفيه لغة ثالثة وبق الرجل بالكسر يبق بالكسر أيضا وأوبقه الله أى أهلكه وتحفزه الرياح تدفعه ضرب صلى الله عليه وآله لاهل الدنيا مثلا بركبى السفينة فى البحر وقد مادت بهم فمنهم الهالك على الفور ومنهم من لا يتعجل هلاكه وتحمله الرياح ساعة أو ساعات ثم مآله الى الهلاك أيضا ثم أمر عليه السلام بالعمل وقت الامكان قبل أن لا يمكن العمل فكنى عن ذلك بقوله والالسن مطلقة لان المحتضر يعتقل لسانه والابدان صحيحة لان المحتضر سقيم البدن والاعضاء لدنة أى لينة أى قبل الشيخوخة والهرم و يبس الاعضاء والاعصاب والمنقلب فسيح والمجال عريض أى أيام الشبيبة وفى الوقت والاجل مهلة قبل أن يضيق الوقت عليكم قبل ارهاق الفوت أى قبل أى يحلكم الفوت وهو فوات الامر وتعذر استدراكه عليكم مرهقين والمرهق الذى أدرك ليقتل قال الكميت ✻ تندى أكفهم وفى أبياتهم ✻ ثقة المجاور والمضاف المرهق قوله فحققوا عليكم نزوله ولا تنتظروا قدومه أى اعملوا عمل من يشاهد الموت حقيقة لا عمل من ينتظره انتظارا و يطاول الاوقات مطاولة فان التسويف داعية التقصير

(الاصل) ﴿ومن خطبة له عليه السلام﴾

وَلَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفَظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ✻ أَنِّي لَمْ أَرُدَّ عَلَى اللهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ سَاعَةً قَطُّ ✻ وَلَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَنْكُصُ فِيهَا الْأَبْطَالُ ✻ وَتَتَأَخَّرُ فِيهَا الْأَقْدَامُ نَجْدَةً أَكْرَمَنِي اللهُ بِهَا ✻ وَلَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَى صَدْرِي وَلَقَدْ سَالَتْ نَفْسُهُ فِي كَفِّي فَأَمْرَرْتُهَا عَلَى وَجْهِي ✻ وَلَقَدْ وُلِّيتُ غُسْلَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالْمَلَائِكَةُ أَعْوَانِي فَضَجَّتِ الدَّارُ وَالْأَفْنِيَةُ ✻ مَلَأٌ يَهْبِطُ وَمَلَأٌ يَعْرُجُ وَمَا فَارَقَتْ سَمْعِي هَيْنَمَةٌ مِنْهُمْ ✻ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى وَارَيْنَاهُ فِي ضَرِيحِهِ فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيًّا وَمَيِّتًا ✻ فَانْفُذُوا عَلَى بَصَائِرِكُمْ ✻ وَلْتَصْدُقْ نِيَّاتُكُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّكُمْ فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنِّي لَعَلَى جَادَّةِ الْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَعَلَى مَزَلَّةِ الْبَاطِلِ أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ

(الشرح) يمكن أن يعنى بالمستحفظين الخلفاء الذين تقدموا لانهم الذين استحفظوا الاسلام أى جعلوا حافظين له وحارسين لشريعته و يحوزونه ويجوز ان يعنى به العلماء والفضلاء من الصحابة لانهم استحفظوا الكتاب أى كلفوا حفظه وحراسته والظاهر انه يرمز فى قوله عليه السلام لم أرد على الله ولا على رسوله ساعة قط الى أمور وقعت من غيره كما جرى يوم الحديبية عند سطر كتاب الصلح فان بعض الصحابة أنكر ذلك وقال يا رسول الله ألسنا المسلمين قال بلى قال أوليسوا الكافرين قال بلى قال فكيف نعطى الدنية فى ديننا فقال صلى الله عليه وآله انما أعمل بما أومر به فقام فقال لقوم من الصحابة ألم يكن قد وعدنا بدخول مكة وها نحن قد صددنا عنها ثم ننصرف بعد أن أعطينا

الدنيـة في ديننا والله لو أجـد أعوانا لم أعط الدنيـة أبدا فقال أبو بكر لهـذا القائل ويحـك الزم غرزه فوالله انه لرسول الله صـلى الله عليه وآله وان الله لا يضيعه ثم قال له أقال لك انه سـيدخلها هذا العام قال لا قال فسـيدخلها فلما فتح النبي صلى الله عليه وآله مكة وأخذ مفاتيح الكعبة دعاه فقال هذا الذي وعـدتم به * واعلم ان هذا الخبر صحيح لا ريب فيه والناس كلهم رووه وليس عندي بقبيح ولا مستهجن أن يكون سؤال هذا الشخص لرسول الله صلى الله عليه وآله عما سأله عنه على سبيل الاسـترشاد والتماسا الطمأنينة النفس فقد قال الله تعالى لخليله ابراهيم أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي وقد كانت الصحابة تراجع رسول الله صـلى الله عليه وآله في الأمور وتسأله عما يبتهم عليها وتقول له أهذا منك أم من الله وقال له السعدان رحمهما الله يوم الخندق وقد عزم على مصالحة الاحزاب ببعض تمر المدينـة أهذا من الله أم رأى رأيته في نفسك قال بل من نفسي قالا لا والله لا نعطيهم منها تمرة واحدة وأيدينا في مقابض سيوفنا وقالت الانصار له يوم بدر وقـد نزل بمنزل لم يستصلحوه أنزلت هذا المنزل عن رأى رأيت أم بوحي أوحي اليك قال بل عن رأى رأيتـه قالوا انه ليس لنا بمنزل ارحل عنه فأنزل بموضـع كذا وأما قول أبي بكر له الزم غرزه فوالله انه لرسول الله صـلى الله عليه وآله فانما هو تأكيد وتثبيت على عقيدته التي في قلبه ولا يدل ذلك على الشك فقد قال الله تعالى لنبيه ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شـيأ قليلا وكل أحد لا يستغني عن زيادة اليقين والطمأنينة وقد كانت وقعت من هذا القائل أمور دون هذه القصـة كقوله دعني أضرب عنق أبي سـفيان وقوله دعني أضرب عنق عبد الله بن أبي وقوله دعني أضرب عنق حاطب بن أبي بلتعة ونهي النبي صـلى الله عليه وآله له عن التسرع الى ذلك وجذبه ثوب رسول الله صلى الله عليه وآله حين قام على جنازة ابن سلول يصلي وقوله كيف تستغفر لرأس المنافقين وليس في ذلك جميعه ما يدل على وقوع القبيح منه وانما الرجـل كان مطبوعا على الشـدة والشراسـة والخشونة وكان يقول ما يقول على مقتضى السجية التي طبع عليها وعلى أي حال كان فلقد نال الاسلام بولايته وخلافته خيرا كثيرا قوله عليه السلام ولقد واسيته بنفسي يقال واسيته وآسيته بالهمزة أفصح وهذا مما اختص عليه السلام بفضيلته غير مدافع ثبت معه يوم أحد وفر الناس وثبت معه يوم حنين وفر الناس وثبت تحت رايته يوم خيبر حتى فتحها وفر من كان بعث بها من قبله وروى المحدثون أن رسول الله صـلى الله عليه وآله لما ارتث يوم أحـد قال الناس قتل محمد رأته كتيبة من المشركين وهو صريع بين القتلى الا أنه حي فصمدت له فقال لعلي عليه السلام اكفني هذه فحمل عليه السـلام وقتل رئيسها ثم صمدت له كتيبة أخرى فقال يا علي اكفني هـذه فحمل عليها فهزمها وقتل رئيسها ثم صـمدت كتيبة ثالثة فكذلك فكان رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ذلك يقول قال لي جبريل يا محمد ان هـذه للمواساة فقلت وما يمنعه وهو مني وأنا منـه فقال جبريل وأنا منكما وروى المحـدثون أيضا ان المسلمين سمعوا ذلك اليوم صائحا من جهة السماء ينادي لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي فقال رسول الله صـلى الله عليه وآله لمن حضره ألا تسمعون هذا صوت جبريل وأما يوم حنين فثبت معه في نفر يسير من بني هاشم بعد أن ولى المسلمون الادبار وحامى عنه وقتل قوما من هوازن بين يديه حتى ثابت اليه الانصار وانهزمت هوازن وغنمت أموالها وأما يوم خيبر فقصته مشهورة قوله عليه السـلام نجدة أكرمني الله سـبحانه بها النجدة الشـجاعة وانتصابها ههنا على أنها مصـدر والعامل فيه محذوف ثم ذكر عليه السلام وفاة رسول الله صـلى الله عليه وآله فقال لقد قبض وان رأسـه لعلى صـدري ولقد سالت نفسه في كفي فأمررتها على وجهي يقال ان رسول الله صلى الله عليه وآله قاء دما يسـيرا وقت موته وان عليا عليه السـلام مسح بذلك الدم وجهه وقد روى أن أبا طيبـة الحجام شرب دمه عليه السـلام وهو حي فقال له اذن لا يجع بطنك قوله عليه السـلام فضجت الدار والأفنية أي النازلون في الدار من الملائكة أي ارتفع ضجيجهم ولجبهم يعني اني سمعت ذلك ولم يسمعه غيري من أهل الدار والملأ الجماعة يهبط قوم من الملائكة ويصعد قوم والعروج الصعود والهينمة الصوت الخفي والضريح الشق في القبر وقد روى من قصة وفاة رسول الله صـلى الله عليه وآله أنه عرضت له الشكاة التي عرضت في أواخر صفر من سنة احدى عشرة للهجرة فجهز جيش اسامة بن زيد فأمرهم بالمسير الى البلقاء حيث أصيب زيد وجعفر عليهما السـلام من الروم وخرج في تلك الليلة الى البقيع وقال اني قد

امرت

أمرت بالاستغفار لاهل البقيع فقال عليه السلام السـلام عليكم يا أهل القبور ليهنكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيـه أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع أولها آخرها ثم اسـتغفر لاهل البقيع طويلا ثم قال لاصحابه ان جبريل كان يعارضني القرآن في كل عام مرة وقـد عارضني به العام مرتين فلا أراه الا لحضور أجلي ثم انصرف الى بيته فخطب الناس في غده فقال معاشر الناس قد حان مني خفوق من بين أظهركم فمن كان له عندي عدة فليأتني أعطه اياها ومن كان له علي دين فليأتني أقضـه أيها الناس انه ليس بين الله وبين أحد نسب ولا أمر يؤتيه به خيرا أو يصرف عنـه شرا الا العمل ألا لا يدعين مدع ولا يتمنـين متمن والذي بعثني بالحق لا ينجي الا عمـل مع رحمة ولو عصيت لهويت اللهم قـد بلغت ثم نزل فصلى بالناس صـلاة خفيفة ثم دخل بيت أم سلمة ثم انتقل الى بيت عائشـة يعلله النساء والرجال أما النساء فأزواجه وبنته عليهما السـلام وأما الرجال فعلي عليه السـلام والعباس والحسن والحسين عليهما السلام وكانا غلامين يومئذ وكان الفضل ابن العباس يدخل أحيانا اليهم ثم حدث الاختـلاف بين المسلمين أيام مرضه فأول ذلك التنازع الواقع يوم قال صـلى الله عليـه وآله ائتوني بدواة وقرطاس وتلا ذلك حديث التخلف عن جيش أسامة وقول عياش بن أبي ربيعـة أيولى هذا الغلام على جلة المهاجرين والانصار ثم اشـتد به المرض وكان عند خفة مرضه يصلي بالناس بنفسـه فلما اشـتد به المرض أمر أبا بكر أن يصلي بالناس وقد اختلف في صـلاته بهم فالشيعة تزعم انه لم يصل بهم الا صلاة واحدة وهي الصـلاة التي خرج رسول الله صلى الله عليه وآله فيها يتهادى بين علي عليه السـلام والفضل فقام في المحراب مقامه وتأخر أبو بكر والصحيح عنـدي وهو الأكثر الاشهر انها لم تكن آخر صـلاة في حياته صلى الله عليه وآله بالناس جماعة وان أبا بكر صلى بالناس بعد ذلك يومين ثم مات صـلى الله عليه وآله فمن قائل يقول انه توفي لليلتين بقيتا من صـفر وهو القول الذي تقوله الشيعة والأكثرون انه توفي في شهر ربيع الاول بعد مضي أيام منه وقد اختلفت الرواية في موته فأنكر عمر ذلك وقال انه لم يمت وانه غاب وسـيعود فثناه أبو بكر عن هذا القول وتلا عليه الآيات المتضـمنة انه سـيموت فرجع الى قوله ثم اختلفوا في موضع دفنه فرأى قوم أن يدفنوه بمكة لانها مسـقط رأسـه وقال من قال بل بالمدينة ندفنه بالبقيع عنـد شهداء أحد ثم اتفقوا على دفنه في البيت الذي قبض فيه وصـلوا عليه ارسالا لا يؤمهم أحد وقيل ان عليا عليه السـلام أشار بذلك فقبلوه وأنا أعجب من ذلك لان الصـلاة عليه كانت بعـد بيعة أبي بكر فما الذي منع من أن يتقدم أبو بكر فيصلي عليه اماما وتنازعوا في تلحيده وتضريحه فأرسـل العباس عمه الى أبي عبيـدة بن الجراح وكان يحفر لاهل مكة ويضرح على عادتهم وأرسـل علي رجلا الى أبي طلحة الانصاري وكان يلحد لاهل المدينة على عادتهـم وقال اللهم اختر لنبيك فجاء أبو طلحة فلحد له وأدخل في اللحد وتنازعوا فيمن ينزل معه القبر فمنع علي عليه السـلام الناس أن ينزلوا معه وقال لا ينزل قبره غيري وغير العباس ثم أذن في نزول الفضـل وأسامة بن زيد ثم ضجت الانصار وسألت أن ينزل منها رجل في قبره فأنزلوا أوس بن خولي وكان بدريا فأما الغسـل فان عليا عليه السـلام تولاه بيده وكان الفضـل ابن العباس يصب عليه الماء وروى المحدثون عن علي عليه السـلام انه قال ما قلبت منه عضوا الا وانقلب لا أجد له ثقلا كان معي من يساعدني عليـه وما ذاك الا الملائكة وأما حديث الهينمة وسماع الصوت فقد رواه خلق كثير من المحدثين عن علي عليه السلام وتروي الشيعة ان عليا عليه السـلام عصب عيني الفضـل بن العباس حين صب عليه الماء وأن رسول الله صـلى الله عليه وآله أوصاه بذلك وقال انه لا يبصر عورتي أحد غيرك الا عمي قوله عليه السـلام فمن ذا أحق به مني حيا وميتا انتصابهما على الحال من الضمير المجرور في به أي أي شخص أحق برسول الله صـلى الله عليه وآله حال حياته وحال وفاته مـني ومراده من هـذا الكلام انه أحـق بالخـلافة بعـده حيث كان بتلك المـنزلة منه في الدنيا وليس يجوز أن يكونا حالين من الضـمير المجـرور في مـني لانه لا يحسـن أن يقول أنا أحـق به اذا كنت حيا من كل أحد وأحق به اذا كنت ميتا من كل أحد لان الميت لا يوصف بمثـل ذلك ولانه لا حال ثبتت له من الاحقية اذا كان حيا الا وهي ثابتة له اذا كان ميتا ان كان الميت يوصف بالاحقية فلا فائدة في قوله وميتا على هذا الفرض ولا يبقى في تقسيم

الكلام الى قسمين فائدة وأما اذا كان حالا من الضمير في به فانه لا يلزم من كونه أحق بالمنزلة الرفيعة من رسول الله صلى الله عليه وآله وهو حي أن يكون أحق بالخلافة بعد وفاته أى ليس أحدهما يلزم الآخر فاحتاج الى أن يبين أنه أحق بالرسول صلى الله عليه وآله من كل أحد ان كان الرسول حيا وان كان ميتا ولم يستهجن أن يقسم الكلام الى القسمين المذكورين قوله عليه السلام فانفذوا الى بصائركم أى أسرعوا الى الجهاد على عقائدكم التى أنتم عليها ولا يدخلن الشك والريب في قلوبكم قوله عليه السلام انى لعلى جادة الحق وانهم لعلى مزلة الباطل كلام عجيب على قاعدة الصناعة المعنوية لانه لا يحسن أن يقول وانهم لعلى جادة الباطل لان الباطل لا يوصف بالجادة ولهذا يقال لمن ضل وقع في بنيات الطريق فتعوض عنها بلفظ المزلة وهى الموضع الذى يزل فيه الانسان كالمزلقة موضع الزلق والمغرقة موضع الغرق والمهلكة موضع الهلاك

(الاصل) ﴿ومن خطبة له عليه السلام﴾

يعلم عجيج الوحوش في الفلوات ومعاصي العباد في الخلوات واختلاف النينان في البحار الغامرات * وتلاطم الماء بالرياح العاصفات وأشهد أن محمدا نجيب الله * وسفير وحيه ورسول رحمته أما بعد فانى أوصيكم بتقوى الله الذى ابتدأ خلقكم واليه يكون معادكم وبه نجاح طلبتكم واليه منتهى رغبتكم ونحوه قصد سبيلكم واليه مرامي مفزعكم * فان تقوى الله دواء داء قلوبكم وبصر عمى أفئدتكم وشفاء مرض أجسادكم وصلاح فساد صدوركم وطهور دنس أنفسكم وجلاء غشاء أبصاركم وأمن فزع جاشكم * وضياء سواد ظلمتكم

(الشرح) العجيج رفع الصوت وكذلك العج وفى الحديث أفضل الحج العج والثج التلبية واراقة الدم وعجيج أى صوت ومضاعفة اللفظ دليل على تكرر التصويت والنينان جمع نون وهو الحوت واختلافها هاهنا هو اصعادها وانحدارها ونجيب الله منتجبه ومختاره وسفير وحيه رسول وحيه والجمع سفراء مثل فقيه وفقهاء واليه مرامى مفزعكم اليه تفزعون وتلجأون و يقال فلان مرمى قصدى أى هو الموضع الذى أنحوه وأقصده و يروى وجلاء عشا أبصاركم بالعين المهملة والالف المقصورة والجاش القلب وتقدير الكلام وضياء سواد ظلمة عقائدكم ولكنه حذف المضاف للعلم به

(الاصل) فاجعلوا طاعة الله شعارا دون دثاركم * ودخيلا دون شعاركم ولطيفا بين أضلاعكم وأميرا فوق أموركم ومنهلا لحين ورودكم * وشفيعا لدرك طلبتكم وجنة ليوم فزعكم ومصابيح لبطون قبوركم وسكنا لطول وحشتكم ونفسا لكرب مواطنكم فان طاعة الله حرز من متالف مكتنفة ومخاوف متوقعة وأوار نيران موقدة * فمن أخذ بالتقوى عزبت عنه الشدائد بعد دنوها * واحلولت له الامور بعد مرارتها وانفرجت عنه الامواج بعد تراكمها وأسهلت له الصعاب بعد انصابها * وهطلت عليه الكرامة بعد قحوطها وتحدبت عليه الرحمة بعد نفورها * وتفجرت عليه النعم بعد

نضوبها وو بلت عليه البركة بعد ارذاذها فاتقوا الله الذى نفعكم بموعظته ووعظكم برسالته وامتن عليكم بنعمته فعبدوا أنفسكم لعبادته * واخرجوا اليه من حق طاعته

(الشرح) الشعار أقرب الى الجسد من الدثار والدخيل ما خالط باطن الجسد فهو أقرب من الشعار ثم لم يقتصر على ذلك حتى امر بان تجعل التقوى لطيفا بين الاضلاع أى في القلب وذلك أمس بالانسان من الدخيل فقد يكون الدخيل في الجسد وان لم يخامر القلب ثم قال وأميرا فوق أموركم أى يحكم على أموركم كما يحكم الامير في رعيته والمنهل الماء يرده الوارد من الناس وغيرهم وقوله لحين وردكم أى لوقت وردكم والطلبة بكسر اللام ما طلبته من شئ قوله ومصابيح لبطون قبوركم جاء في الخبر أن العمل الصالح يضئ قبر صاحبه كما يضئ المصباح الظلمة والسكن ما يسكن اليه قوله ونفسا الكرب مواطنكم أى سعة وروحا ومكتنفة محيطة والاوار حر النار والشمس وعزبت بعدت واحلولت صارت حلوة وتراكمها اجتماعها وتكاثفها وأسهلت صارت سهلة بعد انصابها أى بعد اتعابها لكم أنصبته أتعبته وهطلت سالت وقحوطها قلتها ونأخيها وتحدبت عليه عطفت وحنت نضوبها انقطاعها كنضوب الماء ذهابه وو بل المطر صار وابلا وهو أشد المطر وأكثره وارذاذها اتيانها بالرذاذ وهو ضعيف المطر قوله فعبدوا أنفسكم أى ذللوها ومنه طريق معبد واخرجوا اليه من حق طاعته أى أدوا المفترض عليكم من العبادة يقال خرجت الى فلان من دينه أى قضيته اياه

(الاصل) ثم إن هذا الاسلام دين الله الذى اصطفاه لنفسه واصطنعه على عينه وأصفاه خيرة خلقه وأقام دعائمه على محبته * أذل الاديان بعزته ووضع الملل برفعه وأهان أعداءه بكرامته وخذل محاديه بنصره * وهدم أركان الضلالة بركنه وسقى من عطش من حياضه وأتأق الحياض بمواتحه * ثم جعله لا انفصام لعروته ولا فك لحلقته ولا انهدام لأساسه ولا زوال لدعائمه ولا انقلاع لشجرته ولا انقطاع لمدته ولا عفاء لشرائعه ولا جذ لفروعه ولا ضنك لطرقه ولا وعوثة لسهولته ولا سواد لوضحه ولا عوج لانتصابه ولا عصل في عوده ولا وعث لفجه ولا انطفاء لمصابيحه ولا مرارة لحلاوته فهو دعائم أساخ في الحق أسناخها * وثبت لها آساسها وينابيع غزرت عيونها ومصابيح شبت نيرانها ومنار اقتدى بها سفارها * وأعلام قصد بها فجاجها ومناهل روى بها وردادها جعل الله فيه منتهى رضوانه وذروة دعائمه وسنام طاعته فهو عند الله وثيق الاركان رفيع البنيان منير البرهان مضيء النيران عزيز السلطان مشرف المنار * معوذ المثار فشرفوه واتبعوه وأدوا إليه حقه وضعوه مواضعه

(الشرح) واصطنعه على عينه كلمة تقال لما يشتد الاهتمام به تقول للصانع اصنع لى كذا على عينى أى اصنعه صنعة كاملة كالصنعة التى تصنعها وأنا حاضر أشاهدها بعينى قال تعالى ولتصنع على عينى وأصفاه خيرة خلقه أى آثر به خيرة خلقه وهم المسلمون و ياء خيرة مفتوحة قال وأقام الله دعائم الاسلام على حب الله وطاعته والمحاد المخالف قال تعالى من يحادد الله أى من يعاد الله كأنه يكون فى حد وجهة وذاك الانسان فى حد آخر وجهة منها وكذلك الشاق يكون فى شق والآخر

فى شق آخر وأناق الحياض ملأها ونيق السقاء نفسه يتأق تأقا وكذلك الرجل اذا امتلأ غضبا قوله بمواتحه وهى الدلاء
يمتح بها أى يستقى بها والانفصام الانكسار والعفاء الدروس والجذ القطع ويروى بالدال المهملة وهو القطع أيضا والضنك
الضيق والوعوثة كثرة فى السهولة توجب صعوبة المشى لان الاقدام تعيث فى الارض والوضح البياض والعوج
بفتح العين فيما ينتصب كالنخلة والرمح والعوج بكسرها فيما لا ينتصب كالارض والرأى والدين والعصل الالتواء
والاعوجاج ناب أعصل وشجرة عصلة وسهام عصل والفج الطريق الواسع بين الجبلين يقول لا وعث فيه أى ليس
طريق الاسلام بوعث وقد ذكرنا أن الوعوثة ماهى قوله فهو دعائم أساخ فى الحق أسناخها الاسناخ جمع سنخ وهو
الاصل وأساخها فى الارض أدخلها فيها وساخت قوائم فرسه فى الارض تسوخ وتسيخ دخلت وغابت والآساس بالمد
جمع أسس مثل سبب وأسباب والاسس والاس والاساس واحد وهو أصل البناء وغزرت عيونها بضم الزاى كثرت
وشبت نيرانها بضم الشين أوقدت والمنار الاعلام فى الفلاة قوله قصد بها فجاجها أى قصد بنصب تلك الاعلام اهداء
المسافرين فى تلك الفجاج فأضاف القصد الى الفجاج وروى روادها جمع رائد وهو الذى يسبق القوم فيرتاد لهم الكلا
والماء والذروة أعلى السنام والرأس وغيرهما قوله معوذ المنار أى يعجز الناس اثارته وازعاجه لقوته ومتانته

(الاصل) ثُمَّ اِنَّ اللّٰهَ سُبْحانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْحَقِّ حِينَ دَنا مِنَ الدُّنْيا الِانْقِطاعُ وَأَقْبَلَ مِنَ الآخِرَةِ الِاطِّلاعُ * وأَظْلَمَتْ بَهْجَتُها بَعْدَ إِشْراقٍ * وقامَتْ بِأَهْلِها عَلى ساقٍ * وخَشُنَ مِنْها مِهادٌ * وأَزِفَ مِنْها قِيادٌ * فى انْقِطاعٍ مِنْ مُدَّتِها * وَاقْتِرابٍ مِنْ أَشْراطِها * وَتَصَرُّمٍ مِنْ أَهْلِها وَانْفِصامٍ مِنْ حَلْقَتِها وانْتِشارٍ مِنْ سَبَبِها وعَفاءٍ مِنْ أَعْلامِها وَتَكَشُّفٍ مِنْ عَوْراتِها وَقِصَرٍ مِنْ طُولِها جَعَلَهُ اللّٰهُ سُبْحانَهُ بَلاغًا لِرِسالَتِهِ وَكَرامَةً لِأُمَّتِهِ وَرَبِيعًا لِأَهْلِ زَمانِهِ وَرِفْعَةً لِأَعْوانِهِ وشَرَفًا لِأَنْصارِهِ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتابَ نُورًا لا تُطْفَأُ مَصابِيحُهُ وَسِراجًا لا يَخْبُو تَوَقُّدُهُ * وَبَحْرًا لا يُدْرَكُ قَعْرُهُ وَمِنْهاجًا لا يُضِلُّ نَهْجُهُ * وَشُعاعًا لا يُظْلِمُ ضَوْؤُهُ وَفُرْقانًا لا يُخْمَدُ بُرْهانُهُ وَتِبْيانًا لا تُهْدَمُ أَرْكانُهُ وَشِفاءً لا تُخْشَى أَسْقامُهُ وَعِزًّا لا تُهْزَمُ أَنْصارُهُ وَحَقًّا لا تُخْذَلُ أَعْوانُهُ * فَهُوَ مَعْدِنُ الإِيمانِ وبُحْبُوحَتُهُ * وَيَنابِيعُ الْعِلْمِ وَبُحُورُهُ وَرِياضُ الْعَدْلِ وَغُدْرانُهُ * وَأَثافِيُّ الإِسْلامِ وبُنْيانُهُ وَأَوْدِيَةُ الْحَقِّ وَغِيطانُهُ * وبَحْرٌ لا يَنْزِفُهُ الْمُسْتَنْزِفُونَ * وَعُيُونٌ لا يُنْضِبُها الماتِحُونَ وَمَناهِلُ لا يَغِيضُها الْوارِدُونَ وَمَنازِلُ لا يَضِلُّ نَهْجَها الْمُسافِرُونَ وأَعْلامٌ لا يَعْمَى عَنْها السّائِرُونَ وإِكامٌ لا يَجُوزُ عَنْها الْقاصِدُونَ

(الشرح) قوله عليه السلام حين دنا من الدنيا الانقطاع أى أزفت الآخرة وقرب وقتها وقد اختلف الناس فى ذلك
اختلافا شديدا فذهب قوم الى أن عمر الدنيا خمسون ألف سنة قد ذهب بعضها وبقى بعضها واختلفوا فى مقدار الذاهب
والباقى واحتجوا لقولهم بقوله تعالى تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة قالوا اليوم هو
اشارة الى الدنيا وفيها يكون عروج الملائكة والروح اليه واختلافهم بالامر من عنده الى خلقه والى رسله قالوا وليس
قول بعض المفسرين انه عنى يوم القيامة بمستحسن لان يوم القيامة لا يكون للملائكة والروح عروج اليه سبحانه

لانقطاع التكليف ولان المؤمنين اما أن يطول عليهم ذلك اليوم بمقدار خمسين ألف سنة أو يكون هذا مختصا
بالكافرين فقط ويكون قصيرا على المؤمنين والاول باطل لانه أشد من عذاب جهنم ولا يجوز أن يلقى المؤمن هذه المشقة
والثانى باطل لانه لا يجوز أن يكون الزمان الواحد طويلا قصيرا بالنسبة الى شخصين اللهم الا أن يكون أحدهما نائما أو
مغمى عليه بعلة تجرى مجرى النوم فلا يحس بالحركة ومعلوم ان حال المؤمنين بعد بعثهم ليست هذه الحال قالوا وليست هذه
الآية مناقضة للآية الاخرى وهى قوله تعالى يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره
ألف سنة مما تعدون وذلك لان سياق الكلام يدل على أنه أراد به الدنيا وذلك لانه قد ورد فى الخبر ان بين الارض
والسماء مسيرة خمسمائة عام فاذا نزل الملك الى الارض ثم عاد الى السماء فقد قطع فى ذلك اليوم مسيرة ألف عام ألا ترى الى
قوله يدبر الامر من السماء الى الارض أى ينزل الملك بالوحى والامر والحكم من السماء الى الارض ثم يعود راجعا اليه
وعارجا صاعدا الى السماء فيجتمع من نزوله وصعوده مقدار مسير ألف سنة وذكر حمزة بن الحسن الاصفهانى فى
كتابه المسمى تواريخ الامم أن اليهود تذهب الى أن عدد السنين من ابتداء التناسل الى سنة الهجرة لمحمد صلى الله عليه
وآله أربعة آلاف واثنتان وأربعون سنة وثلاثة أشهر والنصارى تذهب الى أن عدد ذلك خمسة آلاف وتسعمائة
وتسعون سنة وثلاثة أشهر وان الفرس تذهب الى ان من عهد كيومرت والد البشر عندهم الى هلاك يزدجرد بن
شهريار الملك أربعة آلاف ومائة واثنتين وثمانين سنة وعشرة أشهر وتسعة عشر يوما ويسندون ذلك الى كتابهم
الذى جاء به زردشت وهو الكتاب المعروف بابستا فاما اليهود والنصارى فيسندون ذلك الى التوراة ويختلفون فى
كيفية استنباط المدة وتزعم النصارى واليهود أن مدة الدنيا كلها سبعة آلاف سنة قد ذهب منها ما ذهب وبقى ما بقى
وقيل ان اليهود انما قصرت المدة لانهم يزعمون أن شيخهم الذى هو منتظرهم يخرج فى أول الالف السابع فلولا
تنقيصهم المدة وتقصيرهم أيامها لتعجل افتضاحهم ولكن سيفتضحون فيما بعد عند من يأتى بعدنا من البشر قال حمزة
وأما المنجمون فقد أتوا بما يغمر هذا كله فزعموا أنه قد مضى من الدنيا منذ أول يوم سارت فيه الكواكب من
رأس الحمل الى اليوم الذى خرج فيه المتوكل بن معتصم بن الرشيد من سامرا الى دمشق ليجعلها دار الملك وهو أول
يوم من المحرم سنة أربع وأربعين ومائتين للهجرة المحمدية أربعة آلاف ألف ألف وثلاثمائة ألف لفظات وثلثمائة ألف
وعشرون ألف سنة بسنى الشمس قالوا والذى مضى من الطوفان الى صبيحة اليوم الذى خرج فيه المتوكل الى دمشق
ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمس وثلاثون سنة وعشرة أشهر واثنان وعشرون يوما وذكر أبو الريحان البيرونى فى
كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية أن الفرس والمجوس يزعمون أن عمر الدنيا اثنا عشر ألف سنة على عدد البروج
وعدد الشهور وان الماضى منها الى وقت ظهور زردشت صاحب شريعتهم ثلاثة آلاف سنة وبين ابتداء ظهور زردشت
وبين أول تاريخ الاسكندر مائتان وثمان وخمسون سنة وبين تاريخ الاسكندر وبين سنته التى كتبنا فيها شرح هذا
الفصل وهى سنة سبع وأربعين وستمائة للهجرة النبوية ألف وخمسمائة وسبعون سنة فعلى هذا يكون الماضى الى
يومنا هذا من أصل اثنى عشر ألف سنة أربعة آلاف وثمانمائة وثمانية عشر سنة فيكون الباقى من الدنيا على قولهم
أكثر من الماضى وحكى أبو الريحان عن الهند فى بعض كتبه أن مدة عمر الدنيا مقدار تضعيف الواحد من أول
بيت فى رقعة الشطرنج الى آخر البيوت فاما الاخباريون من المسلمين فاكثرهم يقولون ان عمر الدنيا سبعة آلاف سنة
ويقولون اننا فى السابع والحق انه لا يعلم أحد هذا الا الله تعالى وحده كما قال سبحانه يسألونك عن الساعة أيان مرساها
فيم أنت من ذكراها الى ربك منتهاها وقال لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت فى السموات والارض لا تأتيكم الا بغتة يسألونك
كانك حفى عنها قل انما علمها عند الله ونقول مع ذلك كما ورد به الكتاب العزيز اقتربت الساعة واقترب للناس حسابهم
وأتى أمر الله فلا تستعجلوه ولا نعلم كمية الماضى ولا كمية الباقى ولكنا نقول كما أمرنا ونسمع ونطيع كما أدبنا ومن
الممكن أن يكون ما بقى قريبا عند الله وغير قريب عندنا كما قال سبحانه انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وبالجملة هذا موضع
غامض يجب السكوت عنه قوله عليه السلام وقامت باهلها على ساق الضمير للدنيا والساق الشدة أى انكشفت عن شدة

عظيمة وقوله تعالى والتفت الساق بالساق أى التفت آخر شدة الدنيا باول شدة الآخرة والمهاد الفراش وازف منها قياد أى قرب انقيادها الى التقضى والزوال واشراط الساعة علاماتها واضافتها الى الدنيا لانها فى الدنيا تحدث وان كانت علامات للاخرى والعفاء الدروس وروى من طولها والطول الحبل ثم عاد الى ذكر النبى صلى الله عليه وآله فقال جعله الله سبحانه بلاغا لرسالته أى ذا بلاغ والبلاغ التبليغ فحذف المضاف ولا تخبو لا تطفى والفرقان مايفرق به بين الحق والباطل وأثافى الاسلام جمع اثفية وهى الاحجار توضع عليها القدر شكل مثلث والغيطان جمع غائط وهو المطمئن من الارض ولا يغيضها بفتح حرف المضارعة غاض الماء وغضته أنا يتعدى ولا يتعدى وروى لا يغيضها بالضم على قول من قال أغضت الماء وهى لغة ليست بالمشهورة والاكام جمع أكم مثل جبال جمع جبل والاكم جمع أكمة مثل عنب جمع عنبة والاكمة ماعلا من الارض وهى دون الكثيب

(الاصل) جَعَلَهُ اللهُ رِيًّا لِعَطَشِ العُلَماءِ ورَبِيعاً لِقُلُوبِ الفُقَهاءِ ومَحاجَّ لِطُرُقِ الصُّلَحاءِ وَدَوَاءً لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ وَنُوراً لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ وَحَبْلاً وَثِيقاً عُرْوَتُهُ ٭ وَمَعْقِلاً مَنِيعاً ذِرْوَتُهُ وعِزّاً لِمَنْ تَوَلَّاهُ ٭ وَسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ ٭ وهُدًى لِمَنْ ائْتَمَّ بِهِ وعُذْراً لِمَنِ انْتَحَلَهُ وَبُرْهاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ وَشاهِداً لِمَنْ خاصَمَ بِهِ وَفَلْجاً لِمَنْ حاجَّ بِهِ ٭ وحامِلاً لِمَنْ حَمَلَهُ وَمَطِيَّةً لِمَنْ أَعْمَلَهُ وآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ وجُنَّةً لِمَنِ اسْتَلْأَمَ ٭ وعِلْماً لِمَنْ وَعَى وحَدِيثاً لِمَنْ رَوَى وَحُكْماً لِمَنْ قَضَى

(الشرح) الضمير يرجع الى القرآن جعله الله ريا لعطش العلماء اذا ضل العلماء فى أمر والتبس عليهم رجعوا اليه فسقاهم كما يسقى الماء العطش وكذا القول فى ربيعا لقلوب الفقهاء والربيع ههنا الجدول ويجوز أن يريد المطر فى الربيع يقال ربعت الارض فهى مربوعة والمحاج جمع محجة وهى جادة الطريق والمعقل الملجأ وسلما لمن دخله أى مأمنا وانتحله دان به وجعله نحلته والبرهان الحجة والفلج الظفر والفوز وحاج به خاصم قوله عليه السلام وحاملا لمن حمله أى ان القرآن ينجى يوم القيامة من كان حافظا له فى الدنيا بشرط أن يعمل به قوله عليه السلام ومطية لمن أعمله استعارة يقول كما أن المطية تنجى صاحبها اذا أعملها وبعثها على النجاء فكذلك القرآن اذا أعمله صاحبه أنجاه ومعنى اعماله اتباع قوانينه والوقوف عند حدوده قوله وآية لمن توسم أى لمن تفرس قال تعالى ان فى ذلك لآيات للمتوسمين والجنة مايستتر به واستلأم لبس لامة الحرب وهى الدرع ووعى حفظ قوله وحديثا لمن روى قد سماه الله تعالى حديثا فقال الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها وأصحابنا يحتجون بهذه اللفظة على أن القرآن ليس بقديم لان الحديث ضد القديم وليس للمخالف أن يقول ليس المراد بقوله أحسن الحديث ماذكرتم بل المراد أحسن القول وأحسن الكلام لان العرب تسمى الكلام والقول حديثا لانا نقول لعمرى انه هكذا ولكن العرب ماسمت القول والكلام حديثا الا انه مستحدث متجدد حالا فحالا ألا ترى الى قول عمر لمعاوية قد ملأت كل شئ الا الحديث فقال انما بل العتيق فدل ذلك على انه فهم معنى تسميتهم الكلام والقول حديثا وفطن لمغزاهم ومقصدهم فى هذه التسمية واذا كنا قد كلفنا أن نجرى على ذاته وصفاته وأفعاله ما أجراه سبحانه فى كتابه ونطلق ما أطلقه على سبيل الوضع والكيفية التى أطلقها وكان قد وصف كلامه بانه حديث وكان القرآن فى عرف اللغة انما سمى حديثا لحدوثه وتجدده فقد ساغ لنا أن نطلق على كلامه انه محدث ومتجدد وهذا هو المقصود

(الاصل) ٭(ومن كلام له عليه السلام)٭

كان يوصى به أصحابه

تَعاهَدُوا أَمْرَ الصَّلاةِ وحافِظُوا عَلَيْها واسْتَكْثِرُوا مِنْها وَتَقَرَّبُوا بِها فَإِنَّها كانَتْ على المُؤْمِنِينَ كِتاباً مَوْقُوتاً ٭ أَلاَ تَسْمَعُونَ إِلَى جَوابِ أَهْلِ النّارِ حِينَ سُئِلُوا ٭ ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قالُوا لَمْ نَكُ مِنَ المُصَلِّينَ ٭ وإِنَّها لَتَحُتُّ الذُّنُوبَ حَتَّ الوَرَقِ ٭ وَتُطْلِقُها إِطْلاقَ الرِّبَقِ ٭ وشَبَّهَها رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ بِالحَمَّةِ ٭ تَكُونُ على بابِ الرَّجُلِ فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْها في اليَوْمِ واللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرّاتٍ فَما عَسَى أَنْ يَبْقَى عَلَيْهِ مِنَ الدَّرَنِ ٭ وقَدْ عَرَفَ حَقَّها رِجالٌ مِنَ المُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لا تَشْغَلُهُمْ عَنْها زِينَةُ مَتاعٍ ولا قُرَّةُ عَيْنٍ مِنْ وَلَدٍ ولا مالٍ يَقُولُ اللهُ سُبْحانَهُ (رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وإِقامِ الصَّلاةِ وإِيتاءِ الزَّكاةِ) وكانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ نَصِباً بِالصَّلاةِ بَعْدَ التَّبْشِيرِ لَهُ بِالجَنَّةِ لِقَوْلِ اللهِ سُبْحانَهُ (وأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ واصْطَبِرْ عَلَيْها) فَكانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ ويَصْبِرُ عَلَيْها نَفْسَهُ ثُمَّ إِنَّ الزَّكاةَ جُعِلَتْ مَعَ الصَّلاةِ قُرْباناً لِأَهْلِ الإِسْلامِ فَمَنْ أَعْطاها طَيِّبَ النَّفْسِ بِها فَإِنَّها تُجْعَلُ لَهُ كَفّارَةً وَمِنَ النّارِ حِجازاً وَوِقايَةً فَلا يُتْبِعَنَّها أَحَدٌ نَفْسَهُ ٭ وَلا يُكْثِرَنَّ عَلَيْها لَهَفَهُ فَإِنَّ مَنْ أَعْطاها غَيْرَ طَيِّبِ النَّفْسِ بِها يَرْجُو بِها ما هُوَ أَفْضَلُ مِنْها فَهُوَ جاهِلٌ بِالسُّنَّةِ مَغْبُونُ الأَجْرِ ضالُّ العَمَلِ طَوِيلُ النَّدَمِ ثُمَّ أَداءَ الأَمانَةِ فَقَدْ خابَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِها إِنَّها عُرِضَتْ على السَّمَوَاتِ المَبْنِيَّةِ وَالأَرَضِينَ المَدْحُوَّةِ وَالجِبالِ ذاتِ الطُّولِ المَنْصُوبَةِ فَلا أَطْوَلَ وَلا أَعْرَضَ وَلا أَعْلَى وَلا أَعْظَمَ مِنْها وَلَوِ امْتَنَعَ شَيْءٌ بِطُولٍ أَوْ عَرْضٍ أَوْ قُوَّةٍ أَوْ عِزٍّ لامْتَنَعْنَ وَلَكِنْ أَشْفَقْنَ مِنَ العُقُوبَةِ وَعَقَلْنَ ما جَهِلَ مَنْ هُوَ أَضْعَفُ مِنْهُنَّ وهُوَ الإِنْسانُ (إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً) إِنَّ اللهَ سُبْحانَهُ وتَعالَى لا يَخْفَى عَلَيْهِ ما العِبادُ مُقْتَرِفُونَ في لَيْلِهِمْ وَنَهارِهِمْ ٭ لَطُفَ بِهِ خُبْراً وَأَحاطَ بِهِ عِلْماً أَعْضاؤُكُمْ شُهُودُهُ وَجَوارِحُكُمْ جُنُودُهُ وضَمائِرُكُمْ عُيُونُهُ وَخَلَواتُكُمْ عِيانُهُ

(الشرح) هذه الآية يستدل بها الاصوليون من أصحابنا على أن الكفار يعاقبون فى الآخرة على ترك الواجبات الشرعية وعلى فعل القبائح الشرعية لانها فى الكفار وردت ألا ترى الى قوله فى جنات يتساءلون عن المجرمين ماسلككم فى سقر فليس يجوز أن يعنى بالمجرمين ههنا الفاسقين من أهل القبلة لانه قال قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين وقالوا وليس لقائل أن يقول معنى قوله لم نك من المصلين لم نكن من القائلين بوجوب الصلاة لانه قد أغنى عن هذا التعليل قوله وكنا نكذب بيوم الدين لان أحد الامرين هو الآخر وحمل الكلام على مايفيد فائدة جديدة أولى من حمله على التكرار والاعادة فقد ثبت بهذا التقرير صحة احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على تأكيد أمر الصلاة وانها من العبادات المهمة فى نظر الشارع قوله

عليه السلام وانها لتحت الذنوب الحت نثر الورق من الغصن وانحات أى تناثر وقد جاء هذا اللفظ فى الخبر النبوى بعينه والربق جمع ربقة وهى الحبل أى تطلق الصلاة الذنوب كما تطلق الحبال المعقدة أى تحل ما انعقد على المكلف من ذنوبه وهذا من باب الاستعارة ويروى تعهدوا أمر الصلاة بالتضعيف وهو لغة يقال تعاهدت ضيعتى وتعهدتها وهو القيام عليها وأصله من تجديد العهد بالشئ والمراد المحافظة عليه وقوله تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا أى واجبا وقيل موقوتا أى منجما كل وقت لصلاة معينة وتؤدى هذه الصلاة فى نجومها وقوله كتابا أى فرضا واجبا كقوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة أى أوجب والحمة الحفيرة فيها الحيم وهو الماء الحار وهذا الخبر من الاحاديث الصحاح قال صلى الله عليه وآله أيسر أحدكم أن تكون على بابه حمة يغتسل منها كل يوم خمس مرات فلا يبقى عليه من درنه شئ قالوا نعم قال فانها الصلوات الخمس والدرن الوسخ والتجارة فى الآية اما أن يراد بها لا يشغلهم نوع من هذه الصناعة عن ذكر الله ثم أفرد البيع بالذكر وخصه وعطفه على التجارة العامة لانه أدخل فى الالهاء لان الربح فى البيع بالكسب معلوم والربح فى الشراء مظنون واما أن يريد بالتجارة الشراء خاصة اطلاقا لاسم الجنس الاعم على النوع الاخص كما تقول رزق فلان تجارة رابحة اذا اتيح له شراء صالح فاما اقام الصلاة فان التاء فى اقامة عوض من العين الساقطة للاعلال فان أصله اقوام مصدر أقام كقولك أعرض اعراضا فلما أضيفت أقيمت الاضافة مقام حرف التعويض فاسقطت التاء قوله عليه السلام وكان رسول الله صلى الله عليه وآله نصبا بالصلاة أى تعبا قال تعالى ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى وروى انه عليه السلام قام حتى تورمت قدماه مع التبشير له بالجنة وروى انه قيل له فى ذلك فقال افلا أكون عبدا شكورا ويصبر نفسه من الصبر ويروى ويصبر عليها نفسه أى يحبس قال سبحانه واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم وقال عنترة يذكر حربا كان فيها

فصبرت عارفة لذلك حرة ٭ ترسو اذا نفس الجبان تطلع

واعلم ان الصلاة قد جاء فى فضلها الكثير الذى يعجز نا حصره ولو لم يكن الا ما ورد فى الكتاب العزيز من تكرار ذكرها وتأكيد الوصاة بها والمحافظة عليها لكان بعضه كافيا وقال النبى صلى الله عليه وآله الصلاة عمود الدين فمن تركها فقد هدم الدين وقال أيضا عليه السلام علم الايمان الصلاة فمن فرغ لها قلبه وقام بحدودها فهو المؤمن وقالت أم سلمة كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه وقيل للحسن رحمه الله ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوها قال لانهم خلوا بالرحمن فالبسهم نورا من نوره وقال عمر ان الرجل ليشيب عارضاه فى الاسلام ما أكمل الله له صلاة قيل له وكيف ذلك قال لا يتم خشوعها وتواضعها واقباله على ربه فيها وقال بعض الصالحين ان العبد ليسجد السجدة عنده انه متقرب بها الى الله ولو قسم ذنبه فى تلك السجدة على أهل مدينة لهلكوا قيل وكيف ذلك قال يكون ساجدا وقلبه عند غير الله انما هو مصغ الى هوى أو دنيا صلى اعرابى فى المسجد صلاة خفيفة وعمر بن الخطاب يراه فلما قضاها قال اللهم زوجنى الحور العين فقال عمر يا هذا لقد أسأت النقد وأعظمت الخطبة وقال على عليه السلام لا يزال الشيطان ذعرا من المؤمن ما حافظ على الخمس فاذا ضيعهن تجرأ عليه وأوقعه فى العظائم وروى عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال الصلاة الى الصلاة كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر وجاء فى الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة وقال هشام بن عروة كان أبى يطيل المكتوبة ويقول هى رأس المال قال يونس بن عبيد ما استخف أحد بالنوافل الا استخف بالفرائض يقال ان محمد بن المنكدر جزأ الليل عليه وعلى أمه واخته أثلاثا فماتت أخته فجزأه عليه وعلى أمه نصفين فماتت أمه فقام الليل كله كان مسلم بن يسار لا يسمع الحديث اذا قام يصلى ولا يفهمه وكان اذا دخل بيته سكت أهله فلا يسمع لهم كلام حتى يقوم الى الصلاة فيتحدثون ويلغطون فهو لا يشعر بهم ووقع حريق الى جنبه وهو فى الصلاة فلم يشعر به حتى حرق كان خلف بن أيوب لا يطرد الذباب اذا وقع على وجهه وهو فى الصلاة فى بلاد كثيرة الذبان فقيل له كيف تصبر فقال بلغنى ان الشطار يصبرون

تحت السياط ليقال فلان صبور أفلا اصبر وانا بين يدى ربى على أذى ذباب يقع على قال ابن مسعود الصلاة مكيال فمن وفى وفى له ومن طفف فويل للمطففين قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وآله يا رسول الله ادع لى أن يرزقنى الله مرافقتك فى الجنة فقال أعنى على اجابة الدعوة بكثرة السجود قوله عليه السلام قربانا لاهل الاسلام القربان اسم لما يتقرب به من نسيكة أو صدقة وروى ومن النار حجازا بالزاى أى مانعا واللهف الحسرة ينهى عليه السلام عن اخراج الزكاة مع التسخط لاخراجها والتلهف والتحسر على دفعها الى أربابها ويقول ان من يفعل ذلك يرجو بها نيل الثواب ضال مضيع لماله غير ظافر بما رجاه من المثوبة وقد جاء فى فضل الزكاة الواجبة وفضل صدقة التطوع الكثير جدا ولو لم يكن الا أن الله تعالى قرنها بالصلاة فى أكثر المواضع التى ذكر فيها الصلاة لكفى وروى بريدة الاسلمى أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال ما حبس قوم الزكاة الا حبس الله عنهم القطر وجاء فى الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله ما جاء فى الذكر الحكيم وهو قوله تعالى يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم الآية قال المفسرون انفاقها فى سبيل الله اخراج الزكاة منها وروى الاحنف قال قدمت المدينة فبينا أنا فى حلقة فيها ملأ من قريش اذ جاء رجل خشن الجسد خشن الثياب فقام عليهم فقال بشر الكانزين برضف يحمى عليها فى نار جهنم فتوضع على حلمة ثدى الرجل حتى تخرج من نغض كتفه ثم توضع على نغض كتفه حتى تخرج من حلمة ثديه فسألت عنه فقيل هذا أبو ذر الغفارى وكان يذكره ويرفعه ابن عباس يرفعه من كان عنده ما يزكى فلم يزك وكان عنده ما يحج به فلم يحج سأل الرجعة يعنى قوله رب ارجعون أبو هريرة سئل رسول الله صلى الله عليه وآله أى الصدقة أفضل فقال أن تعطى وأنت صحيح شحيح تأمل البقاء وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل للشبلى ما يجب فى مائتى درهم قال أما من جهة الشرع فخمسة وأما من جهة الاخلاص فالكل أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بعض نسائه أن تقسم شاة على الفقراء فقالت يا رسول الله لم يبق منها غير عنقها فقال عليه الصلاة والسلام كلها بقى غير عنقها أخذ شاعر هذا المعنى فقال

يبكى على الذاهب من ماله ٭ وانما يبقى الذى يذهب

كان الرجل من السلف يضع الصدقة ويمثل قائما بين يدى السائل الفقير ويسأله قبولها حتى يصير هو فى صورة السائل وكان بعضهم يبسط كفه ويجعلها تحت يدى الفقير لتكون يد الفقير العليا وعن النبى صلى الله عليه وآله ما أحسن عبد الصدقة الا أحسن الله اليه فى مخلفيه وعنه صلى الله عليه وآله الصدقة تسد سبعين بابا من الشر وعنه صلى الله عليه وآله أذهبوا مذمة السائل ولو بمثل رأس الطائر من الطعام كان النبى صلى الله عليه وآله لا يكل خصلتين الى غيره لا يوضئه أحد ولا يعطى السائل الا بيده بعض الصالحين الصلاة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه بغير اذن الشعبى من لم ير نفسه أحوج الى ثواب الصدقة من الفقير الى صدقته فقد أبطل صدقته وضرب بها وجهه كان الحسن بن صالح اذا جاءه سائل فان كان عنده ذهب أو فضة أو طعام أعطاه فان لم يكن أعطاه زيتا أو سمنا أو نحوهما مما ينتفع به فان لم يكن أعطاه كحلا أو خرج بابرة وخيط وخاط بها ثوب السائل أو بخرقة يرقع بها ما تخرق من ثوبه ووقف مرة على بابه سائل ليلا ولم يكن عنده ما يدفعه اليه فخرج اليه بقصبة فى رأسها شعلة وقال خذ هذه وتبلغ بها الى أبواب ناس لعلهم يعطونك قوله عليه السلام ثم أداء الامانة هى العقد الذى يلزم الوفاء به وأصح ما قيل فى تفسير الآية ان الامانة ثقيلة المحمل لان حاملها معرض لخطر عظيم فهى بالغة من الثقل وصعوبة المحمل ما لو انها عرضت على السموات والارض والجبال لامتنعت من حملها فاما الانسان فانه حملها وألزم القيام بها وليس المراد بقولنا انها عرضت على السموات والارض أنها عرضت عليها وهى جمادات بل المراد تعظيم شأن الامانة كما تقول هذا الكلام لا تحمله الجبال وقوله امتلأ الحوض وقال قطنى وقوله تعالى قالتا أتينا طائعين ومذهب العرب فى هذا الباب وتوسعها ومجازاتها مشهور شائع

(الاصل) ﴿ومن كلام له عليه السلام﴾

وَاللهِ ما مُعاوِيَةُ بِأَدْهَى مِنّي وَلٰكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ وَلَوْلا كَراهَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النّاسِ وَلٰكِنْ كُلُّ غَدْرَةٍ فَجْرَةٌ وَلِكُلِّ فَجْرَةٍ كَفْرَةٌ وَلِكُلِّ غادِرٍ لِواءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَاللهِ ما أُسْتَغْفَلُ بِالْمَكِيدَةِ وَلا أُسْتَغْمَزُ بِالشَّدِيدَةِ

(الشرح) الغدرة على فعلة الكثير الغدر والفجرة والكفرة الكثير الفجور والكفر وكل ما كان على هذا البناء فهو للفاعل فان سكنت العين فهو للمفعول تقول رجل ضحكة أى يضحك وضحكه يضحك منه وسخرة يسخر وسخرة يسخر به يقول عليه السلام كل غادر فاجر وكل فاجر كافر ويروى ولكن كل غدرة فجرة وكل فجرة كفرة على فعلة للمرة الواحدة وقوله لكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة حديث صحيح مروى عن النبي صلى الله عليه وآله ثم أقسم عليه السلام انه لا يستغفل بالمكيدة أى لا تجوز المكيدة على كما تجوز على ذوى الغفلة وانه لا يستغمز بالشديدة أى لا أوهن وألين للخطب الشديد ٭ واعلم أن قوما ممن لم يعرف حقيقة فضل أمير المؤمنين عليه السلام زعموا أن عمر كان أسوس منه وان كان هو أعلم من عمر وصرح الرئيس أبو على بن سينا بذلك فى الشفاء فى الحكمة وكان شيخنا أبو الحسين يميل الى هذا وقد عرض به فى كتاب الغرر ثم زعم أعداؤه ومباغضوه أن معاوية كان أسوس منه وأصح تدبيرا وقد سبق لنا بحث قديم فى هذا الكتاب فى بيان حسن سياسة أمير المؤمنين عليه السلام وصحة تدبيره ونحن نذكر ههنا ما لم نذكره هناك مما يليق بهذا الفصل الذى نحن فى شرحه اعلم أن السائس لا يتمكن من السياسة البالغة الا اذا كان يعمل برأيه وبما يرى فيه صلاح ملكه وتمهيد أمره وتوطيد قاعدته سواء وافق الشريعة أو لم يوافقها ومتى لم يعمل فى السياسة والتدبير بموجب ما قلناه والا فبعيد أن ينتظم أمره أو يستوثق حاله وأمير المؤمنين كان مقيدا بقيود الشريعة مدفوعا الى اتباعها ورفض ما يصلح اعتماده من آراء الحرب والكيد والتدبير اذا لم يكن للشرع موافقا فلم تكن قاعدته فى خلافته قاعدة غيره ممن لم يلتزم بذلك ولسنا بهذا القول زارين على عمر بن الخطاب ولا ناسبين اليه ما هو منزه عنه ولكنه كان مجتهدا يعمل بالقياس والاستحسان والمصالح المرسلة ويرى تخصيص عمومات النص بالآراء وبالاستنباط من أصول تقتضى خلاف ما يقتضيه عموم النصوص ويكيد خصمه ويأمر امراءه بالكيد والحيلة ويؤدب بالدرة والسوط من يغلب على ظنه انه يستوجب ذلك ويصفح عن آخرين قد اجترموا ما يستحقون به التأديب كل ذلك بقوة اجتهاده وما يؤديه اليه نظره ولم يكن أمير المؤمنين عليه السلام يرى ذلك وكان يقف مع النصوص والظواهر ولا يتعداها الى الاجتهاد والاقيسة ويطبق أمور الدنيا على أمور الدين ويسوق الكل مساقا واحدا ولا يضع ولا يرفع الا بالكتاب والنص فاختلفت طريقتاهما فى الخلافة والسياسة وكان عمر مع ذلك شديد الغلظة والسياسة وكان على عليه السلام كثير الحلم والصفح والتجاوز فازدادت خلافة ذاك قوة وخلافة هذا لينا ولم يمن عمر بما منى به على عليه السلام من فتنة عثمان التى أحوجته الى مداراة أصحابه وجنده ومقاربتهم للاضطراب الواقع بطريق تلك الفتنة ثم تلا ذلك فتنة الجمل وفتنة صفين ثم فتنة النهروان وكل هذه الأمور مؤثرة فى اضطراب أمر الوالى وانحلال معاقد ملكه ولم يتفق لعمر شئ من ذلك فشتان بين الخلافتين فيما يعود الى انتظام المملكة وصحة تدبير الخلافة فان قلت فما قولك فى سياسة الرسول صلى الله عليه وآله وتدبيره أليس كان منتظما سديدا مع انه كان لا يعمل الا بالنصوص والتوقيف من الوحى فهلا كان تدبير على عليه السلام وسياسته كذلك اذا قلتم انه كان لا يعمل الا بالنص قلت أما سياسة الرسول صلى الله عليه وآله وتدبيره فخارج عما نحن فيه لانه معصوم لا تتطرق الغفلة الى أفعاله ولا واحد من هذين الرجلين بواجب العصمة عندنا وأيضا فان كثيرا من الناس ذهبوا الى ان الله تعالى اذن للرسول صلى الله عليه وآله أن يحكم فى الشرعيات وغيرها برأيه وقال له احكم بما تراه فانك لا تحكم الا بالحق وهذا مذهب يونس بن عمران وعلى هذا فقد سقط السؤال لانه صلى الله عليه وآله يعمل بما يراه من المصلحة ولا ينتظر الوحى وأيضا فبتقدير فساد

هذا

هذا المذهب أليس قد ذهب خلق كثير من علماء أصول الفقه الى أن الرسول صلى الله عليه وآله كان يجوز أن يجتهد فى الاحكام والتدبير كما يجتهد الواحد من العلماء واليه ذهب القاضى أبو يوسف رحمه الله واحتج بقوله تعالى لتحكم بين الناس بما أراك الله والسؤال أيضا ساقط على هذا المذهب لان اجتهاد على عليه السلام لا يساوى اجتهاد النبى صلى الله عليه وآله وبين الاجتهادين كما بين المنزلتين وكان أبو جعفر بن أبى زيد الحسنى نقيب البصرة رحمه الله اذا حدثناه فى هذا يقول انه لا فرق عند من قرأ السيرتين سيرة النبى صلى الله عليه وآله وسياسة أصحابه أيام حياته وبين سيرة أمير المؤمنين عليه السلام وسياسة أصحابه أيام حياته فكما أن عليا عليه السلام لم يزل أمره مضطربا معهم بالمخالفة والعصيان والهرب الى أعدائه وكثرة الفتن والحروب فكذلك كان النبى صلى الله عليه وآله لم يزل ممنوا بنفاق المنافقين واذاهم وخلاف أصحابه عليه وهرب بعضهم الى أعدائه وكثرة الحروب والفتن وكان يقول ألست ترى القرآن العزيز مملوا بذكر المنافقين والشكوى منهم والتألم من أذاهم له كما أن كلام على عليه السلام مملوا بالشكوى من منافقى أصحابه والتألم من أذاهم له والتوائهم عليه وذلك نحو قوله تعالى ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير وقوله انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا الآية وقوله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون السورة بأجمعها وقوله تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم وقوله تعالى رأيت الذين فى قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت فأولى لهم طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم وقوله تعالى أم حسب الذين فى قلوبهم مرض ان لن يخرج الله أضغانهم ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم فى لحن القول والله يعلم أعمالكم وقوله تعالى سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيأ ان أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا وزين ذلك فى قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا وقوله تعالى سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون الا قليلا وقوله ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم قال وأصحابه هم الذين نازعوا فى الانفال وطلبوها لانفسهم حتى أنزل الله تعالى قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين وهم الذين التووا عليه فى الحرب يوم بدر وكرهوا لقاء العدو حتى خيف خذلانهم وذلك قبل أن تتراءى الفئتان وأنزل فيهم يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون وهم الذين كانوا يتمنون لقاء العير دون لقاء العدو حتى أنهم ظفروا برجلين فى الطريق فسألوهما عن العير فقالوا لا علم لنا بها وانما رأينا جيش قريش من وراء ذلك الكثيب فضربوهما ورسول الله صلى الله عليه وآله قائم يصلى فلما ذاقا مس الضرب قالا بل العير أمامكم فاطلبوها فلما رفعوا الضرب عنهما قالا والله ما رأينا العير ولا رأينا الا الخيل والسلاح والجيش فأعادوا الضرب عليهما مرة ثانية فقالا وهما يضربان العير أمامكم فخلوا عنا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وآله من الصلاة وقال اذا صدقاكم ضربتموهما واذا كذباكم خليتم عنهما دعوهما فما رأيا الا جيش أهل مكة وأنزل قوله تعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين قال المفسرون الطائفتان العير ذات اللطيمة الواصلة الى مكة من الشام صحبة أبى سفيان بن حرب واليها كان خروج المسلمين والاخرى الجيش ذو الشوكة وكان عليه السلام قد وعدهم باحدى الطائفتين فكرهوا الحرب وأحبوا الغنيمة قال وهم الذين فروا عنه صلى الله عليه وآله يوم أحد وأسلموه

وأصعدوا فى الجبل وتركوه حتى شج الاعداء وجهه وكسروا ثنيته وضربوه على بيضته حتى دخل جماجمه ووقع من فرسه الى الارض بين القتلى وهو يستصرخ بهم ويدعوهم فلا يجيبه أحد منهم الا من كان جاريا مجرى نفسه وشديد الاختصاص به وذلك قوله تعالى اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم فى أخراكم أى ينادى فيسمع نداءه آخر الهارب بين لا أولهم لان أولهم أوغلوا فى الفرار وبعدوا عن أن يسمعوا صوته وكان قصارى الامر أن يبلغ صوته واستصراخه من كان على ساقة الهارب منهم قال ومنهم الذين عصوا أمره فى ذلك اليوم حيث أقامهم على الشعب فى الجبل وهو الموضع الذى خاف أن تكر عليه منه خيل العدو من ورائه وهم أصحاب عبد الله بن جبير فانهم خالفوا أمره وعصوه فيما تقدم به اليهم ورغبوا فى الغنيمة ففارقوا مركزهم حتى دخل الوهن على الاسلام بطريقهم لان خالد بن الوليد كر فى عصابة من الخيل فدخل من الشعب الذى كانوا يحرسونه فما أحس المسلمون بهم الا وقد غشوهم بالسيوف من خلفهم فكانت الهزيمة وذلك قوله تعالى حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة قال وهم الذين عصوا أمره فى غزاة تبوك بعد أن أكد عليهم الاوامر وخذلوه وتركوه ولم يشخصوا معه فأنزل فيهم يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شئ قدير وهذه الآية خطاب مع المؤمنين لا مع المنافقين وفيها أوضح دليل على أن أصحابه وأولياءه المصدقين لدعوته كانوا يعصونه ويخالفون أمره وأكد عتابهم وتقريعهم وتوبيخهم بقوله تعالى لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم انهم لكاذبون ثم عاتب رسول الله صلى الله عليه وآله على كونه أذن لهم فى التخلف وانما أذن لهم لعلمه أنهم لا يجيبونه فى الخروج فرأى أن يجعل المنة به عليهم الى الاذن لهم والا قعدوا ولم يصل له المنة فقال له عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين أى هلا أمسكت عن الاذن لهم حتى يتبين لك قعود من يقعد وخروج من يخرج صادقهم من كاذبهم لانهم كانوا قد وعدوه بالخروج معه كلهم وكان بعضهم ينوى الغدر وبعضهم يعزم على أن يخنس بذلك الوعد فلو لم يأذن لهم لعلم من يتخلف ومن لا يتخلف فعرف الصادق منهم والكاذب ثم بين سبحانه وتعالى ان الذين يستأذنونه فى التخلف خارجون من الايمان فقال له لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون ولا حاجة الى التطويل بذكر الآيات المفصلة فيما يناسب هذا المعنى فمن تأمل الكتاب العزيز علم حاله صلوات الله عليه مع أصحابه كيف كانت ولم ينقله الله تعالى الى جواره الا وهو مع المنافقين له والمظهرين خلاف ما يضمرون من تصديقه فى جهاد شديد حتى لقد كاشفوه مرارا فقال لهم يوم الحديبية احلقوا وانحروا مرارا فلم يحلقوا ولم ينحروا ولم يتحرك أحد منهم عند قوله وقال له بعضهم وهو يقسم الغنائم اعدل يا محمد فانك لم تعدل وقالت الانصار له مواجهة يوم حنين أتأخذ ما أفاء الله علينا بسيوفنا فتدفعه الى أقاربك من أهل مكة حتى أفضى الامر الى أن قال لهم فى مرض موته ائتونى بدواة وكتف أكتب لكم ما لا تضلون بعده فعصوه ولم يأتوه بذلك وليتهم اقتصروا على عصيانه ولم يقولوا له ما قالوا وهو يسمع وكان أبو جعفر رحمه الله يقول من هذا ما يطول شرحه والقليل منه ينبئ عن الكثير وكان يقول ان الاسلام ما حلا عندهم ولا ثبت فى قلوبهم الا بعد موته حين فتحت عليهم الفتوح وجاءتهم الغنائم والاموال وكثرت عليهم المكاسب وذاقوا طعم الحياة وعرفوا لذة الدنيا ولبسوا الناعم وأكلوا الطيب وتمتعوا بنساء الروم وملكوا خزائن كسرى وتبدلوا بذلك القشف والشظف والعيش الخشن وأكل الضباب والقنافذ واليرابيع ولبس الصوف والكرابيس أكل اللوزينجات والفالوذجات ولبس الحرير والديباج فاستدلوا بما فتحه الله عليهم وأتاحه لهم على صحة الدعوة وصدق الرسالة وقد كان صلى الله عليه وآله وعدهم بأنه سيفتح عليهم كنوز كسرى وقيصر فلما وجدوا الامر قد وقع بموجب ما قاله عظموه وبجلوه وانقلبت تلك الشكوك وذلك النفاق وذلك الاستهزاء ايمانا ويقينا

واخلاصا

واخلاصا وطاب لهم العيش وتمسكوا بالدين لانه زادهم طريقا الى نيل الدنيا فعظموا ناموسه وبالغوا فى اجلاله واجلال الرسول الذى جاء به ثم انقرض الاسلاف وجاء الاخلاف على عقيدة ممهدة وأمر أخذوه تقليدا من أسلافهم الذين ربوا فى حجورهم ثم انقرض ذلك القرن وجاء من بعدهم كذلك وهلم جرا قال ولولا الفتوح والنصر والظفر الذى منحهم الله تعالى اياه والدولة التى ساقها اليهم لانقرض دين الاسلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وكان يذكر فى التواريخ كما يذكر الآن نبوة خالد بن سنان العبسى حيث ظهر ودعا الى الدين وكان الناس يعجبون من ذلك ويتذاكرونه كما يعجبون ويتذاكرون أخبار من نبغ من الرؤساء والملوك والدعاة الذين انقرض أمرهم وبقيت أخبارهم وكان يقول من تأمل حال الرجلين وجدهما متشابهتين فى جميع أمورهما أو فى أكثرها وذلك لان حرب رسول الله صلى الله عليه وآله مع المشركين كانت سجالا انتصر يوم بدر وانتصر المشركون عليه يوم أحد وكان يوم الخندق كفافا خرج هو وهم سواء لا عليه ولا له لانهم قتلوا رئيس الاوس وهو سعد بن معاذ وقتل منهم فارس قريش وهو عمرو بن عبد ود وانصرفوا عنه بغير حرب بعد تلك الساعة التى كانت ثم حارب بعدها قريشا يوم الفتح فكان الظفر له وهكذا كانت حروب على عليه السلام انتصر يوم الجمل وخرج الامر بينه وبين معاوية على سواء قتل من أصحابه رؤساء ومن أصحاب معاوية رؤساء وانصرف كل واحد من الفريقين عن صاحبه بعد الحرب على مكانه ثم حارب بعد صفين أهل النهروان فكان الظفر له قال ومن العجب ان أول حروب رسول الله صلى الله عليه وآله كانت بدرا وكان هو المنصور فيها وأول حروب على عليه السلام الجمل وكان هو المنصور فيها ثم كان من صحيفة الصلح والحكومة يوم صفين نظير ما كان من صحيفة الصلح والهدنة يوم الحديبية ثم دعا معاوية فى آخر أيام على عليه السلام الى نفسه وتسمى بالخلافة كما ان مسيلمة والاسود العنسى دعوا الى أنفسهما فى آخر أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وتسميا بالنبوة واشتد على على عليه السلام ذلك كما اشتد على رسول الله صلى الله عليه وآله أمر الاسود ومسيلمة وأبطل الله أمرهما بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله وكذلك أبطل أمر معاوية وبنى أمية بعد وفاة على عليه السلام ولم يحارب رسول الله صلى الله عليه وآله أحد من العرب الا قريش ما عدا يوم حنين ولم يحارب عليا عليه السلام من العرب أحد الا قريش ما عدا يوم النهروان ومات على عليه السلام شهيدا بالسيف ومات رسول الله صلى الله عليه وآله شهيدا بالسم وهذا لم يتزوج على خديجة أم أولاده حتى ماتت وهذا لم يتزوج على فاطمة أم أشرف أولاده حتى ماتت ومات رسول الله صلى الله عليه وآله عن ثلاث وستين سنة ومات على عليه السلام عن مثلها وكان يقول انظروا الى أخلاقهما وخصائصهما هذا شجاع وهذا شجاع وهذا فصيح وهذا فصيح وهذا سخى جواد وهذا سخى جواد وهذا عالم بالشرائع والامور الالهية وهذا عالم بالفقه والشريعة والامور الالهية الدقيقة الغامضة وهذا زاهد فى الدنيا غير نهم عليها ولا مستكثر منها وهذا زاهد فى الدنيا تارك لها غير متمتع بلذاتها وهذا مذيب نفسه فى الصلاة والعبادة وهذا مثله وهذا غير محبب اليه شئ من الامور العاجلة الا النساء وهذا مثله وهذا ابن ابن عبد المطلب بن هاشم وهذا فى قعدده وأبواهما أخوان لاب واحد دون غيرهما من بنى عبد المطلب وربى محمد صلى الله عليه وآله فى حجر والد هذا وهو أبو طالب فكان جاريا عنده مجرى أحد أولاده ثم لما شب صلى الله عليه وآله وكبر استخلصه من بنى أبى طالب وهو غلام فرباه فى حجره مكافأة لصنيع أبى طالب به فامتزج الخلقان وتماثلت السجيتان واذا كان القرين مقتديا بالقرين فما ظنك بالتربية والتثقيف الدهر الطويل فواجب أن تكون أخلاق محمد صلى الله عليه وآله كأخلاق أبى طالب وأن تكون أخلاق على عليه السلام كأخلاق أبى طالب أبيه ومحمد عليه السلام مربيه وأن يكون الكل شيمة واحدة وسوسا واحدا وطينة مشتركة ونفسا غير منقسمة ولا متجزئة وأن لا يكون بين بعض هؤلاء وبعض فرق ولا فضل لولا ان الله تعالى اختص محمدا صلى الله عليه وآله برسالته واصطفاه لوحيه لما يعلمه من مصالح البرية فى ذلك ومن أن اللطف به أكمل والنفع بمكانه أتم وأعم فامتاز رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك عمن سواه وبقى ما عدا الرسالة على أمر الاتحاد والى هذا المعنى أشار صلى الله عليه وآله بقوله أخصمك بالنبوة فلا نبوة بعدى وتخصم الناس بسبع وقال له أيضا أنت منى بمنزلة هرون من موسى

الا أنه لا نبي بعدي فأبان نفسه منه بالنبوة وأثبت له ما عداها من جميع الفضائل والخصائص مشتركا بينهما وكان النقيب أبو جعفر رحمه الله غزير العلم صحيح العقل منصفا في الجدال غير متعصب للمذهب فانه كان علويا وكان يعترف بفضائل الصحابة ويثني على الشيخين ويقول انهما مهدا دين الاسلام وأرسيا قواعده ولقد كان شديد الاضطراب في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وانما مهداه بما تيسر للعرب من الفتوح والغنائم في دولتهما وكان يقول في عثمان ان الدولة في أيامه كانت على اقبالها وعلو جدها بل كانت الفتوح في أيامه أكثر والغنائم أعظم لولا أنه لم يراع ناموس الشيخين ولم يستطع أن يسلك مسلكهما وكان مضعفا في أصل القاعدة مغلوبا عليه وكثير الحب لاهله وأتيح له من مروان وزير سوء أفسد القلوب عليه وحمل الناس على خلعه وقتله وكان أبو جعفر رحمه الله لا يجحد الفاضل فضله والحديث شجون قلت له مرة ما سبب حب الناس لعلي بن أبي طالب عليه السلام وعشقهم له وتهالكهم في هواه ودعني في الجواب من حديث الشجاعة والعلم والفصاحة وغير ذلك من الخصائص التي رزقه الله سبحانه الكثير الطيب منها فضحك وقال لي كم تجمع جراميزك علي ثم قال ههنا مقدمة ينبغي أن تعلم وهي ان أكثر الناس موتورون في الدنيا أما المستحقون فلا ريب في ان أكثرهم محرومون نحو عالم يرى أنه لا حظ له في الدنيا ويرى جاهلا غيره مرزوقا وموسعا عليه وشجاع قد أبلى في الحرب وانتفع بموضعه ليس له عطاء يكفيه ويقوم بضروراته ويرى غيره وهو جبان فشل يفرق من ظله مالكا لقطر عظيم من الدنيا وقطعة وافرة من المال والرزق وعاقل سديد التدبير صحيح العقل قد قدر عليه رزقه وهو يرى غيره أحمق مائقا تدر عليه الخيرات وتتحلب عليه أخلاف الرزق وذي دين قويم وعبادة حسنة واخلاص وتوحيد وهو محروم ضيق الرزق ويرى غيره يهوديا أو نصرانيا أو زنديقا كثير المال حسن الحال حتى ان هذه الطبقات المستحقة يحتاجون في أكثر الاوقات الى الطبقات التي لا استحقاق لها وتدعوهم الضرورة الى الذل لهم والخضوع بين أيديهم اما لدفع ضرر أو لاستجلاب نفع ودون هذه الطبقات من ذوي الاستحقاق أيضا ما نشاهده عيانا من نجار حاذق أو بناء عالم أو نقاش بارع أو مصور لطيف على غاية ما يكون من ضيق رزقهم وقعود الوقت بهم وقلة الحيلة لهم ويرى غيرهم ممن ليس يجري مجراهم ولا يلحق طبقتهم مرزوقا مرغوبا فيه كثير المكسب طيب العيش واسع الرزق فهذا حال ذوي الاستحقاق والاستعداد وأما الذين ليسوا من أهل الفضائل كحشو العامة فانهم أيضا لا يخلون من الحقد على الدنيا والذم لها والحنق والغيظ منها لما يلحقهم من حسد أمثالهم وجيرانهم ولا يرى أحد منهم قانعا بعيشه ولا راضيا بحاله بل يستزيد ويطلب حالا فوق حاله قال فاذا عرفت هذه المقدمة فمعلوم ان عليا عليه السلام كان مستحقا محروما بل هو أمير المستحقين المحرومين وسيدهم وكبيرهم ومعلوم ان الذين ينالهم الضيم وتلحقهم المذلة والهضيمة يتعصب بعضهم لبعض ويكونون ألبا ويدا واحدة على المرزوقين الذين ظفروا بالدنيا ونالوا مآربهم منها لاشتراكهم في الامر الذي آلمهم وساءهم وعضهم ومضهم واشتراكهم في الانفة والحمية والغضب والمنافسة لمن علا عليهم وقهرهم وبلغ من الدنيا ما لم يبلغوه فاذا كان هؤلاء أعني المحرومين متساوين في المنزلة والمرتبة وتعصب بعضهم لبعض فما ظنك بما اذا كان منهم رجل عظيم القدر جليل الخطر كامل الشرف جامع للفضائل محتو على الخصائص والمناقب وهو مع ذلك محروم محدود وقد جرعته الدنيا علاقمها وعلته عللا بعد نهل من صابها وصبرها ولقي منها برحا بارحا وجهدا جهيدا وعلا عليه من هو دونه وحكم فيه وفي بنيه وأهله ورهطه من لم يكن ما ناله من الامرة والسلطان في حسابه ولا دائرا في خلده ولا خاطرا بباله ولا كان أحد من الناس يرتقب ذلك له ولا يراه له ثم كان في آخر الامر ان قتل هذا الرجل الجليل في محرابه وقتل بنوه بعده وسبي حريمه ونساؤه وتتبع أهله وبنو عمه بالقتل والطرد والتشريد والسجون مع فضلهم وزهدهم وعبادتهم وسخائهم وانتفاع الخلق بهم فهل يمكن أن لا يتعصب البشر كلهم مع هذا الشخص وهل تستطيع القلوب أن لا تحبه وتهواه وتذوب فيه وتفنى في عشقه انتصارا له وحمية من أجله وأنفة مما ناله وامتعاضا مما جرى عليه وهذا أمر مركوز في الطبائع ومخلوق في الغرائز كما يشاهد الناس على الجرف انسانا قد وقع في الماء العميق وهو لا يحسن السباحة فانهم بالطبع البشري يرقون عليه رقة

شديدة وقد يلقي قوم منهم أنفسهم في الماء نحوه يطلبون تخليصه لا يتوقعون على ذلك مجازاة منه بمال أو شكر ولا ثواب في الآخرة فقد يكون منهم من لا يعتقد أمر الآخرة ولكنها رقة بشرية وكان الواحد منهم يتخيل في نفسه انه ذلك الغريق فكما يطلب خلاص نفسه لو كان هذا الغريق كذلك يطلب تخليص من هو في تلك الحال الصعبة للمشاركة الجنسية وكذلك لو أن ملكا ظلم أهل بلد من بلاده ظلما عنيفا لكان أهل ذلك البلد يتعصب بعضهم لبعض في الانتصار من ذلك الملك والاستعداء عليه فلو كان من جملتهم رجل عظيم القدر جليل الشأن قد ظلمه الملك أكثر من ظلمه اياهم وأخذ أمواله وضياعه وقتل أولاده وأهله كان لياذهم به وانضواؤهم اليه واجتماعهم والتفافهم به أعظم وأعظم لان الطبيعة البشرية تدعو الى ذلك على سبيل الايجاب الاضطراري ولا يستطيع الانسان منه امتناعا هذا محصول قول النقيب أبي جعفر رحمه الله قد حكيته والالفاظ لي والمعنى له لاني لا أحفظ الآن ألفاظه بعينها الا أن هذا هو كان معنى قوله ونحواه رحمه الله وكان لا يعتقد في الصحابة ما يعتقده أكثر الامامية فيهم ويسفه رأي من يذهب فيهم الى النفاق والتكفير وكان يقول حكمهم حكم مسلم مؤمن عصى في بعض الافعال وخالف الامر فحكمه الى الله ان شاء آخذه وان شاء غفر له قلت له مرة أفتقول انهما من أهل الجنة فقال اي والله اعتقد ذلك لانهما اما أن يعفو الله تعالى عنهما ابتداء أو بشفاعة الرسول صلى الله عليه وآله أو بشفاعة علي عليه السلام أو يؤاخذهما بعقاب أو عتاب ثم ينقلهما الى الجنة لا أستريب في ذلك أصلا ولا أشك في ايمانهما برسول الله صلى الله عليه وآله وصحة عقيدتهما فقلت له فعثمان قال وكذلك عثمان ثم قال رحم الله عثمان وهل كان الا واحدا منا وغصنا من شجرة عبد مناف ولكن أهله كدروه علينا وأوقعوا العداوة والبغضاء بيننا وبينه قلت له فيلزم لك على ما تراه في أمر هؤلاء أن تجوز دخول معاوية الجنة لانه لم يكن منه الا المخالفة وترك امتثال الامر النبوي فقال كلا ان معاوية من أهل النار لا لمخالفته عليا ولا بمحاربته اياه ولكن عقيدته لم تكن صحيحة ولا ايمانه حقا وكان من رؤس المنافقين هو وأبوه ولم يسلم قلبه قط وانما أسلم لسانه وكان يذكر من حديث معاوية ومن فلتات قوله وما حفظ عنه من كلام يقتضي فساد العقيدة شيئا كثيرا ليس هذا موضعه فاذكره وقال لي مرة حاش لله أن يثبت معاوية في جريدة الشيخين الفاضلين أبي بكر وعمر والله ما هما الا كالذهب الابريز ولا معاوية الا كالدرهم الزائف أو قال كالدرهم القسي ثم قال لي فما يقول أصحابكم فيهما قلت أما الذي استقر عليه رأي المعتزلة بعد اختلاف كثير بين قدمائهم في التفضيل وغيره أن عليا عليه السلام أفضل الجماعة وانهم تركوا الافضل لمصلحة رأوها وانه لم يكن هناك نص يقطع العموض وانما كانت اشارة وايماء لا يتضمن شيء منها صريح النص وان عليا عليه السلام نازع ثم بايع وجمح ثم استجاب ولو أقام على الامتناع لم تقل بصحة البيعة ولا لزومها ولو جرد السيف كما جرده في آخر الامر لقلنا بفسق كل من خالفه على الاطلاق كائنا من كان ولكنه رضي بالبيعة آخرا ودخل في الطاعة وبالجملة أصحابنا يقولون ان الامر كان له وكان هو المستحق والمتعين فان شاء أخذه لنفسه وان شاء ولاه غيره فلما رأيناه قد وافق على ولاية غيره اتبعناه ورضينا لما رضي فقال قد بقي بيني وبينكم قليل أنا أذهب الى النص وأنتم لا تذهبون اليه فقلت له انه لم يثبت النص عندنا بطريق يوجب العلم وما تذكرونه أنتم صريحا فأنتم تنفردون بنقله وما عدا ذلك من الاخبار التي نشارككم فيها فلها تأويلات معلومة فقال لي وهو ضجر يا فلان لو فتحنا باب التأويلات لجاز أن تتأول قولنا لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله دعني من التأويلات الباردة التي تعلم القلوب والنفوس انها غير مرادة وان المتكلمين تكلفوها وتعسفوها فانما أنا وأنت في الدار ولا ثالث لنا فيستحي أحدنا من صاحبه أو يخافه فلما بلغنا الى هذا الموضع دخل قوم ممن كان يخشاه فتركنا ذلك الاسلوب من الحديث وخضنا في غيره فأما القول في سياسة معاوية وان شناة علي عليه السلام ومبغضيه زعموا انها خير من سياسة أمير المؤمنين فيكفينا في الكلام على ذلك ما قاله شيخنا أبو عثمان ونحن نحكيه بألفاظه قال أبو عثمان وربما رأيت بعض من يظن بنفسه العقل والتحصيل والفهم والتمييز وهو من العامة ويظن انه من الخاصة يزعم أن معاوية كان أبعد غورا وأصح فكرا وأجود روية وأبعد

غاية وأدق مسلكا وليس الامر كذلك وسأومئ اليك بجملة تعرف بها موضع غلطه والمكان الذي دخل عليه الخطأ
من قبله كان علي عليه السلام لا يستعمل في حربه الا ما وافق الكتاب والسنة وكان معاوية يستعمل خلاف الكتاب
والسنة كما يستعمل الكتاب والسنة ويستعمل جميع المكايد حلالها وحرامها ويسير في الحرب بسيرة ملك الهند
اذا لاقى كسرى وخاقان اذا لاقى رتبيل وعلي عليه السلام يقول لا تبدؤهم بالقتال حتى يبدؤكم ولا تتبعوا مدبرا ولا
تجهزوا على جريح ولا تفتحوا بابا مغلقا هذه سيرته في ذي الكلاع وفي أبي الاعور السلمي وفي عمرو بن العاص وحبيب
ابن مسلمة وفي جميع الرؤساء كسيرته في الحاشية والحشو والاتباع والسفلة وأصحاب الحروب ان قدروا على البيات
بيتوا وان قدروا على رضخ الجميع بالجندل وهم نيام فعلوا وان أمكن ذلك في طرفة عين لم يؤخروه الى ساعة وان كان
الحرق أعجل من الغرق لم يقتصروا على الغرق ولم يؤخروا الحرق الى وقت الغرق وان أمكن الهدم لم يتكلفوا الحصار
ولم يدعوا أن ينصبوا المجانيق والعرادات والنقب والترتيب والدبابات والكمين ولم يدعوا دس السموم ولا التضريب
بين الناس بالكذب وطرح الكتب في عساكرهم بالسعايات وتوهيم الامور وايحاش بعض من بعض وقتلهم بكل آلة
وحيلة كيف وقع القتل وكيف دارت بهم الحال فمن اقتصر حفظك الله من التدبير على ما في الكتاب والسنة كان
قد منع نفسه الطويل العريض من التدبير وما لا يتناهى من المكايد والكذب حفظك الله أكثر من الصدق والحرام
أكثر عددا من الحلال ولو سمى انسان انسانا باسمه لكان قد صدق وليس له اسم غيره ولو قال هو شيطان أو كلب
أو حمار أو شاة أو بعير أو كل ما خطر على البال لكان كاذبا في ذلك وكذلك الايمان والكفر وكذلك الطاعة والمعصية
وكذلك الحق والباطل وكذلك السقم والصحة وكذلك الخطأ والصواب فعلي عليه السلام كان ملجما بالورع عن
جميع القول الا ما هو لله عز وجل رضا وممنوع اليدين من كل بطش الا ما هو لله رضا ولا يرى الرضا الا فيما يرضاه الله
ويحبه ولا يرى الرضا الا فيما دل عليه الكتاب والسنة دون ما يعول عليه أصحاب الدهاء والمكر والمكايد والآراء فلما
أبصرت العوام كثرة نوادر معاوية في المكايد وكثرة غرائبه في الخداع وما اتفق له وتهيأ على يده ولم يروا ذلك من علي
عليه السلام ظنوا بقصر عقولهم وقلة علومهم أن ذلك من رجحان عند معاوية ونقصان عند علي عليه السلام فانظر بعد
هذا كله هل يعد له من الخدع الا رفع المصاحف ثم انظر هل خدع بها الا من عصى رأي علي عليه السلام وخالف
أمره فان زعمت ان ما أردت من الاختلاف فقد صدقت وليس في هذا اختلفنا ولا عن غزارة أصحاب
علي عليه السلام وعجلتهم وتسرعهم وتنازعهم دفعنا وانما كان قولنا في التميز بينهما في الدهاء والنكراء وصحة العقل
والرأي على أنه لا نصف الصالحين بالدهاء والنكراء لا تقول ما كان أنكر أبا بكر بن أبي قحافة وما كان أنكر عمر
ابن الخطاب ولا يقول أحد عنده شئ من الخير كان رسول الله صلى الله عليه وآله أدهى العرب والعجم وأنكر قريش
وأمكر كنانة لان هذه الكلمة انما وضعت في مديح أصحاب الازب ومن يتعمق في الرأي في توكيد أمر الدنيا
وزبرجها وتشديد أركانها فاما أصحاب الآخرة الذين يرون الناس لا يصلحون على تدبير البشر وانما يصلحون على
تدبير خالق البشر فان هؤلاء لا يمدحون بالدهاء والنكراء ولم يمنعوا هذا الا ليعطوا أفضل منه ألا ترى أن المغيرة بن
شعبة وكان أحد الدهات حين رد على عمرو بن العاص قوله في عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص أحد الدهات أيضا أنت
كنت تفعل أو توهم عمر شيئا فيلقنه عنك ما رأيت عمر مستخليا بأحد الا رحمته كائنا من كان ذلك الرجل كان عمر والله
أعقل من أن يخدع وأفضل من أن يخدع ولم يذكر بالدهاء والنكراء هذا مع عجبه باضافة الناس ذلك اليه ولكنه قد علم انه اذا
أطلق على الأئمة الالفاظ التي لا تصلح في أهل الطهارة كان ذلك غير مقبول منه فهذا هذا وكذلك كان حكم قول معاوية
للجميع اخرجوا الينا قتلة عثمان ونحن لكم سلم فاجهد كل جهدك واستعن بمن شايعك الى أن تتخلص الى صواب
رأي في ذلك الوقت أضله علي حتى تعلم أن معاوية خادع وان عليا عليه السلام كان المخدوع فان قلت فقد بلغ ما أراد ونال
ما أحب فهل رأيت كتابنا وضع الاعلى ان عليا كان قد امتحن في أصحابه وفي دهره بما لم يمتحن امام قبله من
الاختلاف والمنازعة والتشاح من الرئاسة والتسرع والعجلة وهل أتي عليه السلام الا من هذا المكان أولسنا قد عرفنا

من هذا أمره وقد علمنا أن ثلاثة نفر تواطؤا على قتل ثلاثة نفر فانفرد ابن ملجم بالتماس ذلك من علي عليه
السلام وانفرد البرك الضريمي بالتماس ذلك من عمرو بن العاص وانفرد الآخر وهو عمرو بن بكر القيمي بالتماس ذلك
من معاوية فكان من الاتفاق أو من الامتحان ان كان علي من بينهم هو المقتول وفي قياس مذهبكم أن تزعموا أن
سلامة عمرو ومعاوية انما كانت بحزم منهما وان قتل علي عليه السلام انما هو من تضييع منه فاذ قد تبين لكم انه من
الابتلاء والامتحان في نفسه بخلاف الذي قد شاهد تموه في عدوه فكل شئ سوى ذلك فانما هو تبع للنفس هذا آخر
كلام أبي عثمان في هذا الموضع ومن تأمله بعين الانصاف ولم يتبع الهوى أقر على صحة جميع ما ذكره وأن أمير المؤمنين
دفع من اختلاف أصحابه وسوء طاعتهم له ولزومه سنن الشريعة ومنهج العدل وخروج معاوية وعمرو بن العاص عن
قاعدة الشرع في استمالة الناس اليهم بالرغبة والرهبة الى ما لم يدفع اليه غيره فلولا انه عليه السلام كان عارفا بوجوه السياسة
وتدبير أمر السلطان والخلافة حاذقا في ذلك لم يجتمع عليه الا القليل من الناس وهم أهل الآخرة خاصة الذين لا ميل لهم
الى الدنيا فلما وجدناه دبر الامر حين وليه فاجتمع عليه من العساكر والاتباع ما يتجاوز العد والحصر وقاتل بهم أعداءه
الذين حالهم حالهم فظفر في أكثر حروبه ووقف الامر بينه وبين معاوية على سواء وكان هو الاظهر والاقرب الى
الانتصار علمنا انه من معرفته تدبير الدول والسلطان بمكان مكين وقد تعلق من طعن في سياسته بأمور منها قولهم لو
كان حين بويع له بالخلافة في المدينة أقر معاوية على الشام الى أن يستقر الامر له ويتوطد ويبايعه معاوية وأهل الشام
ثم يعزله بعد ذلك لكان قد كفي ما جرى بينهما من الحرب والجواب أن قرائن الاحوال حينئذ كان قد علم أمير المؤمنين
عليه السلام منها أن معاوية لا يبايع له وان أقره على ولاية الشام بل كان اقراره له على امرة الشام أقوى لحال معاوية
وآكد في الامتناع من البيعة لانه لا يخلو صاحب السؤال اما أن يقول كان ينبغي أن يطالبه بالبيعة ويقرن الى ذلك
تقليده بالشام فيكون الامران معا أو يتقدم منه عليه السلام المطالبة بالبيعة أو يتقدم منه اقراره على الشام وتتأخر
المطالبة بالبيعة الى وقت ثان فان كان الاول فمن الممكن أن يقرأ معاوية على أهل الشام تقليده بالامرة فيؤكد حاله عندهم
ويقرر في أنفسهم لولا انه أهل لذلك لما اعتمده علي عليه السلام معه ثم يماطله بالبيعة ويحاجزه عنها وان كان الثاني فهو
الذي فعله أمير المؤمنين عليه السلام وان كان الثالث فهو كالقسم الاول بل هو آكد فيما يريده معاوية من الخلاف
والعصيان وكيف يتوهم من يعرف السير أن معاوية كان يبايع له لو أقره على الشام وبينه وبينه ما لا تترك الابل عليه
من الترات القديمة والاحقاد وهو الذي قتل حنظلة أخاه والوليد خاله وعتبة جده في مقام واحد ثم ما جرى بينهما في أيام
عثمان حتى أغلظ كل واحد منهما لصاحبه وحتى تهدده معاوية وقال له اني شاخص الى الشام وتارك عندك هذا الشيخ
يعني عثمان والله لئن انحصت منه شعرة واحدة لاضربنك بمائة ألف سيف وقد ذكرنا شيئا مما جرى بينهما فيما تقدم
وأما قول ابن عباس له عليه السلام وله شهرا واعزله دهرا وما أشار به المغيرة بن شعبة فانهما قالا ما توهماه وما غلب على
ظنونهما وخطر بقلوبهما وعلي عليه السلام كان أعلم بحاله مع معاوية وانها لا تقبل العلاج والتدبير وكيف يخطر ببال
عارف بحال معاوية ونكره ودهائه وما كان في نفسه من علي عليه السلام من قتل عثمان ومن قبل قتل عثمان انه يقبل
اقرار علي عليه السلام له على الشام وينخدع بذلك ويبايع ويعطي صفقة يمينه أن معاوية لأدهى من أن يكاد بذلك
وان عليا عليه السلام لاعرف بمعاوية ممن ظن انه لو استماله باقراره لبايع له ولم يكن عند علي عليه السلام دواء لهذا
المرض الا السيف لان الحال اليه كانت تؤل لا محالة فجعل الآخر أولا وأنا أذكر في هذا الموضع خبرا رواه الزبير بن بكار في
الموفقيات ليعلم من يقف عليه أن معاوية لم يكن لينجذب الى طاعة علي عليه السلام أبدا ولا يعطيه البيعة وان مضادته
له ومباينته اياه كمضادة السواد للبياض لا يجتمعان أبدا وكمباينة السلب للايجاب فانها مباينة لا يمكن زوالها أبدا قال
الزبير حدثني محمد بن محمد بن زكريا بن بسطام قال حدثني محمد بن يعقوب بن أبي الليث قال حدثني أحمد بن محمد بن
الفضل بن يحيى المكي عن أبيه عن جده الفضل بن يحيى عن الحسن بن عبد الصمد عن قيس بن عرفجة قال لما حصر
عثمان أبرد مروان بن الحكم بخبره بريدين أحدهما الى الشام والآخر الى اليمن وبها يومئذ يعلى بن منية ومع كل واحد

منهما كتاب فيه أن بنى أمية فى الناس كالشامة الحمراء وان الناس قد قعدوا لهم برأس كل محجة وعلى كل طريق فجعلوهم مرمى العز والعضيهة ومقذف القشب والافيكة وقد علمتم انها لم تأت عثمان الا كرها تجبذ من ورائها وانى خائف ان قتل أن تكون من بنى أمية بمناط الثريا ان لم نصر كرصيف الاساس المحكم ولئن وها عمود البيت لتتداعين جدرانه والذى عيب عليه اطعامكما الشام واليمن ولا شك انكما تابعاه ان لم تحذرا وأما أنا فساعف كل مستشير ومعين كل مستصرخ ومجيب كل داع أتوقع الفرصة فأثب وثبة الفهد أبصر غفلة مقتنصه ولولا مخافة عطب البريد وضياع الكتب لشرحت لكما من الامر مالا تفزعان معه الى أن يحدث الامر فجدا فى طلب ما أتتماوليا وعلى ذلك فليكن العمل ان شاء الله وكتب فى آخره

وما بلغت عثمان حتى تخطمت * رجال ودانت للصغار رجال
لقد رجعت عودا على بدء كونها * وان لم تجد افالمصير زوال
سيبدى مكنون الضمائر قولهم * ويظهر منهم بعد ذاك فعال
فان تقعدا لا تطلبا ماورثتما * فليس لنا طول الحياة مقال
نعيش بدار الذل فى كل بلدة * وتظهر منا كآبة وهزال

فلما ورد الكتاب على معاوية أذن فى الناس الصلاة جامعة ثم خطبهم خطبة المستنصر المستصرخ وفى أثناء ذلك ورد عليه قبل أن يكتب الجواب كتاب مروان بقتل عثمان وكانت نسخته وهب الله لك أبا عبد الرحمن قوة العزم وصلاح النية ومن عليك بمعرفة الحق واتباعه فانى كتبت اليك هذا الكتاب بعد قتل عثمان أمير المؤمنين عليه السلام وأى قتلة قتل نحر كما ينحر البعير الكبير عند اليأس من أن ينوء بالحمل بعد أن نقبت صفحته بطى المراحل وسير الهجير وانى معلمك من خبره غير مقصر ولا مطيل ان القوم استطالوا مدته واستقلوا ناصره واستضعفوه فى بدنه وأملوا بقتله بسط أيديهم فيما كان قبضه عنهم واعصوصبوا عليه فظل محاصرا قد منع من صلاة الجماعة ورد المظالم والنظر فى أمور الرعية حتى كأنه هو فاعل لما فعلوه فلما دام ذلك أشرف عليهم فخوفهم الله وناشدهم وذكرهم مواعيد رسول الله صلى الله عليه وآله وقوله فيه فلم يجحدوا فضله ولم ينكروه ثم رموه بأباطيل اختلقوها ليجعلوا ذلك ذريعة الى قتله فأظهر لهم التوبة عما كرهوا ووعدهم الرجعة الى ما أحبوا فلم يقبلوا ذلك ونهبوا داره وانتهكوا حرمته ووثبوا عليه فسفكوا دمه وانقشعوا عنه انقشاع سحابة قد أفرغت ماءها منكفئين قبل ابن أبى طالب انكفاء الجراد أبصر المرعى فأخلق ببنى أمية أن يكونوا من هذا الامر بمجرى العيوق ان لم يثأره ثائر فان شئت أبا عبد الرحمن أن تكونه فكنه والاسلام فلما ورد الكتاب على معاوية أمر بجمع الناس ثم خطبهم خطبة أبكى منها العيون وقلقل القلوب حتى علت الرنة وارتفع الضجيج وهم النساء أن يتسلحن ثم كتب الى طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعيد بن العاص وعبد الله بن عامر بن كريز والوليد بن عقبة ويعلى بن منية وهو اسم أمه وانما اسم أبيه أمية فكان كتاب طلحة أما بعد فانك أقل قريش فى قريش وترا مع صباحة وجهك وسماحة كفك وفصاحة لسانك فأنت بازاء من تقدمك فى السابقة وخامس المبشرين بالجنة ولك يوم أحد وشرفه وفضله فسارع رحمك الله الى ما تقلدك الرعية من أمرها مما لا يسعك التخلف عنه ولا يرضى الله منك الا بالقيام به فقد أحكمت لك الامر قبلى والزبير فغير متقدم عليك بفضل وأيكما قدم صاحبه فالمقدم الامام والامر من بعده للمقدم له سلك الله بك قصد المهتدين ووهب لك رشد الموفقين والسلام وكتب الى الزبير أما بعد فانك الزبير بن العوام ابن أبى خديجة وابن عمة رسول الله صلى الله عليه وآله وحواريه وسلفه وصهر أبى بكر وفارس المسلمين وأنت الباذل فى الله مهجته بمكة عند صيحة الشيطان بعثك المنبعث فخرجت كالثعبان المنسلخ بالسيف المنصلت تخبط خبط الجمل الرديع كل ذلك قوة ايمان وصدق يقين وسبقت لك من رسول الله صلى الله عليه وآله البشارة بالجنة وجعلك عمر أحد المستخلفين على الامة واعلم يا أبا عبد الله أن الرعية أصبحت كالغنم المتفرقة لغيبة الراعى فسارع

رحمك

رحمك الله الى حقن الدماء ولم الشعث وجمع الكلمة وصلاح ذات البين قبل تفاقم الامر وانتشار الامة فقد أصبح الناس على شفا جرف هار عما قليل ينهار ان لم يرأب فشمر لتأليف الامة وابتغ الى ربك سبيلا فقد أحكمت الامر من قبلى لك ولصاحبك على ان الامر للمقدم ثم لصاحبه من بعده جعلك الله من أئمة الهدى وبغاة الخير والتقوى والسلام وكتب الى مروان بن الحكم أما بعد فقد وصل الى كتابك بشرح خبر أمير المؤمنين وما ركبوه به ونالوه منه جهلا بالله وجراءة عليه واستخفافا بحقه ولأمانى لوح الشيطان بها فى شرك الباطل ليدهدههم فى أهويات الفتن ووهدات الضلال ولعمرى لقد صدق عليهم ابليس ظنه ولقد اقتنصهم بأنشوطة فخه فعلى رسلك أبا عبد الملك يتى الهوينا ويكون أولا فاذا قرأت كتابى هذا فكن كالفهد لا يصطاد الا غيلة ولا يتشازر الا عن حيلة وكالثعلب لا يفلت الا روغانا واخف نفسك منهم اخفاء القنفذ رأسه عند لمس الاكف وامتهن نفسك امتهان من ييأس القوم من نصره وانتصاره وابحث عن أمورهم بحث الدجاجة عن حب الدخن عند فقاسها وانغل الحجاز فانى منغل الشام والسلام وكتب الى سعيد بن العاص أما بعد فان كتاب مروان ورد على من ساعة وقعت النازلة تقبل به البرد بسير المطى الوجيف تتوجس توجس الحية الذكر خوف ضربة الفأس وقبضة الحاوى ومروان الرائد لا يكذب أهله فعلام الافكاك يا ابن العاص ولات حين مناص ذلك انكم يا بنى أمية عما قليل تسألون أدنى العيش من أبعد المسافة فينكركم من كان منكم عارفا ويصد عنكم من كان لكم واصلا متفرقين فى الشعاب تتمنون لمظة المعاش ان أمير المؤمنين عتب عليه فيكم وقتل فى سبيلكم ففيم القعود عن نصرته والطلب بدمه وأنتم بنو أبيه ذوو رحمه وأقربوه وطلاب ثأره أصبحتم متمسكين بشظف معاش زهيد عما قليل ينزع منكم عند التخاذل وضعف القوى فاذا قرأت كتابى هذا فدب دبيب البرء فى الجسد النحيف وسر سير النجوم تحت الغمام واحشد حشد الذرة فى الصيف لانجحارها فى الصرد فقد أيدتكم بأسد وتيم وكتب فى الكتاب

تالله لا يذهب شيخى باطلا * حتى أبير مالكا وكاهلا
القاتلين الملك الحلاحلا * خير معد حسبا ونائلا

وكتب الى عبد الله بن عامر أما بعد فان المنبر مركب ذلول سهل الرياضة لا ينازعك اللجام وهيهات ذلك الا بعد ركوب أثباج المهالك واقتحام أمواج المعاطب وكأنى بكم يا بنى أمية شعارير كالاوارك تقودها الحداة أو كرخم الخندمة تذرف خوف العقاب فثب الآن رحمك الله قبل أن يستشرى الفساد وندب السوط جديد والجرح لما يندمل ومن قبل استضراء الاسد والتقاء لحييه على فريسته وساور الامر مساورة الذئب الاطلس كسيرة القطيع ونازل الرأى وانصب الشرك وارم عن تمكن وضع الهناء مواضع النقب واجعل أكبر عدتك الحذر وأحد سلاحك التحريض واغض عن العوراء وسامح اللجوج واستعطف الشارد ولاين الاشوس وقو عزم المريد وبادر العقبة وازحف زحف الحية واسبق أن تسبق وقم قبل أن يقام لك واعلم انك غير متروك ولا مهمل فانى لكم ناصح أمين والسلام وكتب فى أسفل الكتاب أبيات

عليك سلام الله قيس بن عاصم * ورحمته ماشاء أن يترحما
تحية من أهدى السلام لاهله * اذا شط دارا عن مزارك سلما
فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

وكتب الى الوليد بن عقبة يا ابن عقبة كن الجيش وطيب العيش أطيب من سفع سموم الجوزاء عند اعتدال الشمس فى أفقها ان عثمان أخاك أصبح بعيدا منك فاطلب لنفسك ظلا تستكن به انى أراك على التراب رقودا وكيف بالرقاد بك لا رقاد لك فلو قد استتب هذا الامر لمريده ألفيت كشريد النعام يفزع من ظل الطائر وعن قليل تشرب الرنق وتستشعر الخوف أراك فسيح الصدر مسترخى اللبب رخو الحزام قليل الاكتراث وعن قليل يجتث أصلك والسلام وكتب فى آخر الكتاب

اخترت نومك ان هبت شآمية * عند الهجير وشربا بالعشيات

علي طلابك ثارا من بنى حكم ٭ هيهات من راقد طلاب ثارات

وكتب الى يعلى بن أمية حاطك الله بكلاءته وأيدك بتوفيقه كتبت اليك صبيحة وردعلى كتاب مروان بخبر قتل أمير المؤمنين وشرح الحال فيه وان أمير المؤمنين طال به العمر حتى نقصت قواه وثقلت نهضته وظهرت الرعشة فى أعضائه فلما رأى ذلك أقوام لم يكونوا عنده موضعا للامامة والامانة وتقليد الولاية وثبوا به وألبوا عليه فكان أعظم مانقموا عليه وعابوه به ولايتك اليمن وطول مدتك عليها ثم ترامى بهم الامر حالا بعد حال حتى ذبحوه ذبح النطيحة مبادرا بها الفوت وهو مع ذلك صائم معانق المصحف يتلو كتاب الله فيه عظمت مصيبة الاسلام بصهر الرسول والامام المقتول على غير جرم سفكوا دمه وانتهكوا حرمته وأنت تعلم أن بيعته فى أعناقنا وطلب ثاره لازم لنا فلا خير فى دنيا تعدل بنا عن الحق ولا فى امرة توردنا النار وان الله جل ثناؤه لا يرضى بالتعذير فى دينه فشمر لدخول العراق فاما الشام فقد كفيتك أهلها وأحكمت أمرها وقد كتبت الى طلحة بن عبيد الله أن يلقاك بمكة حتى يجتمع رأيكما على اظهار الدعوة والطلب بدم عثمان أمير المؤمنين المظلوم وكتبت الى عبد الله بن عامر يمهد لكم العراق ويسهل لكم حزونة عقابها واعلم يا ابن أمية أن القوم قاصدوك بادئ بدء لاستنزاف ماحوته يداك من المال فاعلم ذلك واعمل على حسبه ان شاء الله وكتب فى أسفل الكتاب

ظل الخليفة محصورا يناشدهم ٭ بالله طورا وبالقرآن أحيانا
وقد تألف أقوام على حنق ٭ عن غير جرم وقالوا فيه بهتانا
فقام يذكرهم وعد الرسول له ٭ وقوله فيه اسرارا واعلانا
فقال كفوا فانى معتب لكم ٭ وصارف عنكم يعلى ومروانا
فكذبوا ذاك منه ثم ساوره ٭ من حاض لبته ظلما وعدوانا

قال فكتب اليه مروان جوابا عن كتابه أما بعد فقد وصل كتابك فنعم كتاب زعيم العشيرة وحامى الذمار وأخبرك أن القوم على سنن استقامة الا شظايا شعب شتتت بينهم مقولى على غير مجابهة حسب ماتقدم من أمرك وانما كان ذلك رسيس العصا ورمى الجذر من أغصان الدوحة ولقد طويت أديمهم على نغل يحلم منه الجلد كذبت نفس الظان بنا ترك المظلمة وحب الهجوع الا تهويمة الراكب العجل حتى تجذ جماجم ٤ وأنا على صحة نيتى وقوة عزيمتى وتحريك الرحم لى وغليان الدم منى غير سابقك بقول ولا متقدمك بفعل وأنت ابن حرب طلاب الترات وآبى الضيم وكتابى اليك وأنا كحرباء السبسب فى الهجير ترقب عين الغزالة وكالسبع المفلت من الشرك يفرق من صوت نفسه منتظرا لما تصح به عزيمتك ويرد به أمرك فيكون العمل به والمحتذى عليه وكتب فى أسفل الكتاب

أيقتل عثمان وترقا دموعنا ٭ ونرقد هذا الليل لا نتفزع
ونشرب برد الماء ريا وقد مضى ٭ على ظمأ يتلو القران ويركع
فانى ومن حج الملبون بيته ٭ وطافوا به سعيا وذو العرش يسمع
سأمنع نفسى كل مافيه لذة ٭ من العيش حتى لا يرى فيه مطمع
واقتل بالمظلوم من كان ظالما ٭ وذلك حكم الله ماعنه مدفع

وكتب اليه عبد الله بن عامر أما بعد فان أمير المؤمنين كان لنا الجناح الحاضنة تأوى اليها فراخها تحتها فلما أقصده السهم صرنا كالنعام الشارد ولقد كنت مشرد الفكر ضال الفهم ألتمس دريئة أستجن بها من خطأ الحوادث حتى دفع الى كتابك فانتبهت من غفلة طال فيها رقادى فانا كواجد المحجة كان الى جانبها حائرا وكأنى أعاين ماوصفت من تصرف الاحوال والذى أخبرك به ان الناس فى هذا الامر تسعة لك وواحد عليك ووالله للموت فى طلب العز أحسن

٤ الجماجم جذ العراجين المهدلة حين ابتياعها

من الحياة فى الذلة وأنت ابن حرب فتى الحروب ونضار بنى عبد شمس والهمم بك منوطة وأنت منهضها فاذا نهضت فليس حين قعود وأنا اليوم على خلاف ما كانت عليه عزيمتى من طلب العافية وحب السلامة قبل قرعك سويداء القلب بسوط الملام ولنعم مؤدب العشيرة أنت وانا لنرجوك بعد عثمان وها أنا متوقع مايكون منك لأمتثله واعمل عليه ان شاء الله وكتب فى أسفل الكتاب

لاخير فى العيش فى ذل ومنقصة ٭ والموت أحسن من ضيم ومن عار
انا بنو عبد شمس معشر أنف ٭ غر جحاجحة طلاب أوتار
والله لو كان ذميا مجاورنا ٭ ليطلب العز لم نقعد عن الجار
فكيف عثمان لم يدفن بمزبلة ٭ على القمامة مطروحا بها عارى
فازحف الى فانى زاحف لهم ٭ بكل أبيض ماض الحد بتار

وكتب اليه الوليد بن عقبة أما بعد فانك أسد قريش عقلا وأحسنهم فهما وأصوبهم رأيا معك حسن السياسة وأنت موضع الرئاسة تورد بمعرفة وتصدر عن منهل روى مناويك كالمتقلب من العيوق فهوى به عاصف الشمال الى لجة البحر كتبت الى تذكر كن الجيش وابن العيش فلأت بطنى على حرام الامسكة الرمق حتى أفرى أوداج قتلة عثمان فرى الاهب بشبا الشفار وأما اللين فهيهات الاخفية المرتقب يرتقب غفلة الطالب انا على مداجاة ولما تبد صفحاتنا بعد وليس دون الدم بالدم مزحل ان العار منقصة والضعف ذل أيخبط قتلة عثمان زهرة الحياة الدنيا ويسقون برد المصير ولما يتمطوا الخوف ويستحلسوا الحذر بعد مسافة الطرد وامتطاء العقبة الكؤد فى الرحلة لادعيت لعقبة ان كان ذلك حتى انصب لهم حربا تضع الحوامل لها أطفالها قد ألوت بنا المسافة ووردنا حياض المنايا وقد عقلت نفسى على الموت عقل البعير واحتسبت أنى ثانى عثمان أو أقتل قاتله فعجل على ما يكون من رأيك فانا منوطون بك متبعون عقبك ولم أحسب الحال تتراخى بك الى هذه الغاية لما أخافه من احكام القوم أمرهم وكتب فى أسفل الكتاب

نومى على محرم ان لم أقم ٭ بدم ابن أمى من بنى العلات
قامت على اذا قعدت ولم أقم ٭ بطلاب ذاك مناحة الاموات
عذبت حياض الموت عندى بعدما ٭ كانت كريهة مورد النهلات

وكتب اليه يعلى بن أمية أنا وأنتم يا بنى أمية كالحجر لا يبنى بغير مدر وكالسيف لا يقطع الا بضاربه وصل كتابك بخبر القوم وحالهم فلئن كانوا ذبحوه ذبح النطيحة يبادر بها الموت لينحرن ذابحه نحر البدنة وافى بها الهدى الاجل ثكلتنى من أنا ابنها ان نمت عن طلب وتر عثمان أو يقال لم يبق فيه رمق انى أرى العيش بعد قتل عثمان مرا ان أدلج القوم فانى مدلج وأما قصدهم ماحوته يدى من المال فالمال أيسر مفقود ان دفعوا الينا قتلة عثمان وان أبوا ذلك أنفقنا المال على قتالهم وان لنا ولهم لمعركة نتناحر فيها نحر الجزار النقائع عن قليل تصل لحومها وكتب فى أسفل الكتاب

لمثل هذا اليوم أوصى الناس ٭ لاتعط ضيما أو يخر الراس

قال فكل هؤلاء كتبوا الى معاوية يحرضونه ويغرونه ويحركونه ويهيجونه الا سعيد بن العاص فانه كتب بخلاف ما كتب به هؤلاء كان كتابه أما بعد فان الحزم فى التثبت والخطا فى العجلة والشؤم فى البدار والسهم سهمك مالم ينبض به الوتر ولن يرد الحالب فى الضرع اللبن ذكرت حق أمير المؤمنين علينا وقرابتنا منه وأنه قتل فينا فخصلتان ذكرهما نقص والثالثة تكذب وأمرتنا بطلب دم عثمان فأى جهة تسلك فيها أبا عبد الرحمن ردمت الفجاج وأحكم الأمر عليك وولى زمامه غيرك فدع مناواة من لو كان افترش فراشه صدر الامر لم يعدل به غيره وقلت كأنا عن قليل لا نتعارف فهل نحن الا حى من قريش ان لم تنلنا الولاية لم يضق عنا الحق انها خلافة منافية وبالله أقسم قسما مبرورا لئن صحت عزيمتك على ماورد به كتابك لألفينك بين الحالين طليحا وهبنى أخالك بعد خوض الدماء تنال الظفر هل فى ذلك عوض من ركوب المأثم ونقص الدين أما أنا فلا على بنى أمية ولا لهم أجعل الحزم دارى والبيت سجنى وأتوسد الاسلام واستشعر العافية فأعدل أبا عبد الرحمن زمام راحلتك الى

محجة الحق واستوهب العافية لأهلك واستعطف الناس على قومك وهيهات من قبولك ما أقول حتى يفجر مروان ينابيع الفتن تاجج فى البلاد وكأنى بكما عند ملاقاة الابطال تعتذران بالقدر ولبئس العاقبة الندامة وعما قليل يضح لك الامر والسلام هذا آخر ما تكاتب القوم به ومن وقف عليه علم ان الحال لم يكن حالا يقبل العلاج والتدبير وانه لم يكن بد من السيف وان عليا عليه السلام كان أعرف بما عمل به وقد أجاب ابن سنان فى كتابه الذى سماه العادل عن هذا السؤال فقال قد علم الناس كافة أنه عليه السلام فى قصة الشورى عرض عليه عبد الرحمن بن عوف أن يعقد له الخلافة على أن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة أبى بكر وعمر فلم يستجب الى ذلك وقال بل على ان أعمل بكتاب الله وسنة رسوله واجتهد برأيى وقد اختلف الناس فى ذلك فقالت الشيعة انما لم يدخل تحت الشرط لانه لم يستصوب سيرتهما وقال غيرهم انما امتنع لانه مجتهد والمجتهد لا يقلد المجتهد فأيهما أقرب على القولين جميعا انما وأيسر وزرا أن يقر معاوية على ولاية الشام مدة الى أن تتوطد خلافته مع ما ظهر من جور معاوية وعداوته ومد يده الى الاموال والدماء أيام سلطانه أو أن يعاهد عبد الرحمن على العمل بسيرة أبى بكر وعمر ثم يخالف بعض أحكامهما اذا استقر الامر له ووقع العقد ولا ريب أن أحدا لا يخفى عليه فضل ما بين الموضعين وفضل ما بين الاثمين فمن لا يجيب الى الخلافة والاستيلاء على جميع بلاد الاسلام اذا تسمح بلفظة يتلفظ بها يجوز أن يتأولها أو يورى فيها كيف يستجيب الى اقرار الجائر وتقويته يده مع تمكينه فى سلطانه ليحصل له طاعة أهل الشام واستضافة طرف من الاطراف وكأن معنى قول القائل هلا أقر معاوية على الشام هو هلا كان عليه السلام متهاونا بأمر الدين راغبا فى تسديد أمر الدنيا والجواب عن هذا ظاهر وجهل السائل عنه واضح واعلم أن حقيقة الجواب هو ان عليا عليه السلام كان لا يرى مخالفة الشرع لأجل السياسة سواء كانت تلك السياسة دينية أو دنيوية أما الدنيوية فنحو أن يتوهم الامام فى انسان انه يروم فساد خلافته من غير أن يثبت ذلك عليه يقينا فان عليا عليه السلام لم يكن يستحل قتله ولا حبسه ولا يعمل بالتوهم و بالقول غير المحقق وأما الدينية فنحو ضرب المتهم بالسرقة فانه أيضا لم يكن يعمل به بل يقول ان يثبت عليه باقرار او بينة أقمت عليه الحد والا لم أعترضه وغير على عليه السلام قد كان منهم من يرى خلاف هذا الرأى ومذهب مالك بن أنس العمل على المصالح المرسلة وانه يجوز للامام أن يقتل ثلث الأمة لاصلاح الثلثين ومذهب أكثر الناس انه يجوز العمل بالرأى و بغالب الظن واذا كان مذهبه عليه السلام ما قلناه وكان معاوية عنده فاسقا وقد سبق عنده مقدمة أخرى يقينية هى ان استعمال الفاسق لا يجوز ولم يكن ممن يرى تمهيد قاعدة الخلافة بمخالفة الشريعة فقد تعين مجاهرته بالعزل وان أفضى ذلك الى الحرب فهذا هو الجواب الحقيقى ولو لم يكن هذا هو الجواب الحقيقى لكان لقائل أن يقول لابن سنان القول فى عدوله عن الدخول تحت شرط عبد الرحمن كالقول فى عدوله عن اقرار معاوية على الشام فان من ذهب الى تغليطه فى أحد الموضعين له أن يذهب الى تغليطه فى الموضع الآخر قال ابن سنان وجواب آخر وهو انا قد علمنا ان أحد الاحداث التى نقمت على عثمان وأفضت بالمسلمين الى حصاره وقتله تولية معاوية الشام مع ما ظهر من جوره وعدوانه ومخالفة أحكام الدين فى سلطانه وقد خوطب عثمان فى ذلك فاعتذر بأن عمر ولاه قبله فلم يقبل المسلمون عذره ولا قنعوا منه الا بعزله حتى أفضى الامر بعثمان الى ما أفضى وكان على عليه السلام من أكثر المسلمين لذلك كراهية وأعرفهم بما فيه من الفساد فى الدين فلو انه عليه السلام افتتح عقد الخلافة له بتوليته معاوية الشام واقراره فيه أليس كان يبتدى فى أول أمره بما انتهى اليه عثمان فى آخره فأفضى الى خلعه وقتله ولو كان ذلك فى حكم الشريعة سائغا والوزر فيه مأمونا لكان غلطا قبيحا فى السياسة وسببا قويا للعصيان والمخالفة ولم يكن يمكنه عليه السلام أن يقول للمسلمين ان حقيقة رأيى عزل معاوية عند استقرار الامر وطاعة الجمهور لى وان قصدى باقراره على الولاية مخادعته وتعجيل طاعته ومبايعة الاجناد الذين قبله ثم استأنف بعد ذلك فيه ما يستحقه من العزل وأعمل فيه بموجب العدل لان اظهاره عليه السلام لهذا العزم كان يتصل خبره بمعاوية فيفسد التدبير الذى شرع فيه وينتقض الرأى الذى عول عليه ❊ ومنها قولهم انه ترك طلحة والزبير حتى خرجا الى مكة وأذن لهما فى العمرة وظهر عنه الرأى فى ارتباطهما قبله ومنعهما من البعد عنه والجواب عنه أنه قد

اختلفت

اختلفت الرواة فى خروج طلحة والزبير من المدينة هل كان باذن على عليه السلام أم لا فمن قال انهما خرجا عن غير اذنه ولا علمه فسؤاله ساقط ومن قال انهما استأذناه فى العمرة وأذن لهما فقد روى أنه قال والله ما تريدان العمرة وانما تريدان الغدرة وخوفهما بالله من التسرع الى الفتنة وما كان يجوز له فى الشرع أن يحبسهما ولا فى السياسة أما فى الشرع فلانه محظور ان يعاقب الانسان بما لم يفعل وعلى ما يظن منه ويجوز أن لا يقع وأما فى السياسة فلانه لو أظهر التهمة لهما وهما من أفاضل السابقين وجلة المهاجرين لكان فى ذلك من التنفير عنه ما لا يخفى ومن الطعن عليه ما هو معلوم بأن يقال انه ليس من امامته على ثقة فلذلك يتهم الرؤساء ولا يأمن الفضلاء لا سيما وطلحة كان أول من بايعه والزبير لم يزل مشتهرا بنصرته فلو حبسهما وأظهر الشك فيهما لم يسكن أحد الى جهته ولنفر الناس كلهم عن طاعته فان قالوا فهلا استصلحهما وولاهما وأوهمهما بالاجابة الى أغراضهما قيل لهم فحوى هذا انكم تطلبون من أمير المؤمنين عليه السلام أن يكون فى الامامة مغلوبا على رأيه مفتاتا عليه فى تدبيره فيقر معاوية على ولاية الشام غصبا ويولى طلحة والزبير مصر والعراق كرها وهذا شئ ما دخل تحته أحد ممن قبله ولا رضوا أن يكون لهم من الامامة الاسم ومن الخلافة اللفظ ولقد حورب عثمان وحصر على أن يعزل بعض ولاته فلم يجب الى ذلك فكيف تسومون عليا عليه السلام أن يفتتح أمره بهذه الدنية و يرضى بالدخول تحت هذه الخطة وهذا ظاهر ❊ ومنها تعلقهم بتولية أمير المؤمنين عليه السلام محمد بن أبى بكر مصر وعزله قيس بن سعد عنها حتى قتل محمد بها واستولى معاوية عليها والجواب انه ليس يمكن أن يقال ان محمدا رحمه الله لم يكن بأهل لولاية مصر لانه كان شجاعا زاهدا فاضلا صحيح العقل والرأى وكان مع ذلك من المخلصين فى محبة أمير المؤمنين عليه السلام والمجتهدين فى طاعته وممن لا يتهم عليه ولا يرتاب بنصحه وهو ربيبه وخريجه ويجرى مجرى أحد أولاده عليه السلام لتربيته له واشفاقه عليه ثم كان المصريون على غاية المحبة له والايثار لولايته ولما حاصروا عثمان وطالبوه بعزل عبد الله بن سعد بن أبى سرح عنهم اقترحوا تأمير محمد بن أبى بكر عليهم فكتب له عثمان بالعهد على مصر وصار مع المصريين حتى تعقبه كتاب عثمان الى عبد الله بن سعد فى أمره وأمر المصريين بما هو معروف فعادوا جميعا وكان من قتل عثمان ما كان فلم يكن ظاهر الرأى ووجه التدبير الا تولية محمد بن أبى بكر على مصر لما ظهر من ميل المصريين اليه وايثارهم له واستحقاقه لذلك بتكامل خصال الفضل فيه فكان الظن قويا باتفاق الرعية على طاعته وانقيادهم الى نصرته واجتماعهم على محبته فكان من فساد الامر واضطرابه عليه حتى قتل ما كان وليس ذلك بعيب على أمير المؤمنين عليه السلام فان الأمور انما يعتمدها الامام على حسب ما يظن فيها من المصلحة ولا يعلم الغيب الا الله تعالى وقد ولى رسول الله صلى الله عليه وآله فى مؤتة جعفرا فقتل وولى زيدا فقتل وولى عبد الله بن رواحة فقتل وهزم الجيش وعاد من عاد منهم الى المدينة بأسوأ حال فهل لاحد أن يعيب رسول الله صلى الله عليه وآله بهذا او يطعن فى تدبيره ❊ ومنها قولهم ان جماعة من أصحابه عليه السلام فارقوه وصاروا الى معاوية كعقيل بن أبى طالب أخيه والنجاشى شاعره ورقبة بن مصقلة أحد الوجوه من أصحابه ولولا أنه كان يوحشهم ولا يستميلهم لم يفارقوه ويصيروا الى عدوه وهذا يخالف حكم السياسة وما يجب من تألف قلوب الاصحاب والرعية والجواب انا أولا لا ننكر أن يكون كل من رغب فى حطام الدنيا وزخرفها وأحب العاجل من ملاذها وزينتها يميل الى معاوية الذى يبذل منها كل مطلوب ويسمح بكل مأمول ويطعم خراج مصر عمرو بن العاص ويضمن لذى الكلاع وحبيب بن مسلمة ما يوفى على الرجاء والاقتراح وعلى عليه السلام لا يعدل فيما هو أمين عليه من مال المسلمين عن قضية الشريعة وحكم الملة حتى يقول خالد ابن معمر السدوسى لعلباء بن الهيثم وهو يحمله على مفارقة على عليه السلام واللحاق بمعاوية اتق الله يا علباء فى عشيرتك وانظر لنفسك ولرحمك ماذا تؤمل عند رجل أردته على أن يزيد فى عطاء الحسن والحسين دريهمات يسيرة ريثما يرأبان بها ظلف عيشهما فأبى وغضب فلم يفعل فأما عقيل فالصحيح الذى اجتمع ثقات الرواة عليه انه لم يجتمع مع معاوية الا بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام ولكنه لازم المدينة ولم يحضر حرب الجمل وصفين وكان ذلك باذن أمير المؤمنين عليه السلام وقد كتب عقيل اليه بعد الحكمين يستأذنه فى القدوم عليه الكوفة بولده و بقية أهله فأمره

عليه السلام بالمقام وقد روى فى خبر مشهور ان معاوية وبخ سعيد بن العاص على تأخيره عنه فى صفين فقال سعيد لو دعوتنى لوجدتنى قريبا ولكنى جلست مجلس عقيل وغيره من بنى هاشم ولو أوعبنا لاوعبوا وأما النجاشى فانه شرب الخمر فى شهر رمضان فأقام على عليه السلام الحد عليه وزاده عشرين جلدة فقال النجاشى ما هذه العلاوة قال لجرأتك على الله فى شهر رمضان فهرب النجاشى الى معاوية وأما رقبة بن مصقلة فانه ابتاع سبى بنى ناجية وأعتقهم وألط بالمال وهرب الى معاوية فقال عليه السلام فعل فعل السادة وابق اباق العبيد وليس تعطيل الحدود واباحة حكم الدين واضاعة مال المسلمين من التألف والسياسة لمن يريد وجه الله تعالى والتلزم بالدين ولا يظن بعلى عليه السلام التساهل والتسامح فى صغير من ذلك ولا كبير ❁ ومنها شبهة الخوارج فى التحكيم وقد يحتج به على أنه اعتمد ما لا يجوز فى الشرع وقد يحتج به على أنه اعتمد ما ليس بصواب فى تدبير الامر أما الاول فقولهم انه حكم الرجال فى دين الله والله سبحانه يقول ان الحكم الا لله وأما الثانى فقولهم انه كان قد لاح له النصر وظهرت أمارات الظفر بمعاوية ولم يبق الا أن يؤخذ برقبته فترك التصميم على ذلك وأخلد الى التحكيم وربما قالوا ان تحكيمه يدل على شك منه فى أمره وربما قالوا كيف رضى بحكومة أبى موسى وهو فاسق عنده بتثبيطه أهل الكوفة عنه فى حرب البصرة وكيف رضى بتحكيم عمرو بن العاص وهو أفسق الفاسقين والجواب ان تحكيم الرجال فى الدين ليس بمحظور فقد أمر الله تعالى بالتحكيم بين المرأة وزوجها فقال وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها وقال فى جزاء الصيد يحكم به ذوا عدل منكم وأما قولهم كيف ترك التصميم بعد ظهور أمارات النصر فقد تواتر الخبر بان أصحابه لما رفع أهل الشام المصاحف عند ظهور أهل العراق عليهم ومشارفة هلاك معاوية وأصحابه انخدعوا برفع المصاحف وقالوا لا يحل لنا التصميم على حربهم ولا يجوز لنا الا وضع السلاح ورفع الحرب والرجوع الى المصاحف وحكمها فقال لهم انها خديعة وانها كلمة حق يراد بها باطل وأمرهم بالصبر ولو ساعة واحدة فأبوا ذلك وقالوا ارسل الى الاشتر فليعد فأرسل اليه فقال كيف أعود وقد لاحت أمارات النصر والظفر فقالوا له ابعث اليه مرة أخرى فبعث اليه فاعاد الجواب بنحو قوله الاول وسأل أن يمهل ساعة من النهار فقالوا ان بينك وبينه وصية أن لا يقبل فان لم تبعث اليه من يعيده والا قتلناك بسيوفنا كما قتلنا عثمان أو قبضنا عليك وأسلمناك الى معاوية فعاد الرسول الى الاشتر فقال أتحب أن تظفر أنت ههنا وتكسر جنود الشام ويقتل أمير المؤمنين عليه السلام فى مضربه فقال أوقد فعلوها لا بارك الله فيهم أبعد أن أخذت بمخنق معاوية ورأى الموت عيانا أرجع ثم عاد فشتم أهل العراق وسبهم وقال لهم وقالوا له ما هو منقول مشهور وقد ذكرنا الكثير منه فيما تقدم فاذا كانت الحال وقعت هكذا فأى تقصير وقع من أمير المؤمنين عليه السلام وهل ينسب المغلوب على أمره المقهور على رأيه الى تقصير او فساد تدبير وبهذا يجيب عن قولهم ان التحكيم يدل على الشك فى أمره لانه انما يدل على ذلك لو ابتدأ هو به فأما اذا دعاه الى ذلك غيره واستجاب اليه أصحابه فمنعهم وأمرهم أن يمروا على وتيرتهم وشأنهم فلم يفعلوا وبين لهم أنها مكيدة فلم يتبينوا وخاف أن يقتل أو يسلم الى عدوه فانه لا يدل تحكيمه على شكه بل يدل على أنه قد دفع بذلك ضررا عظيما من نفسه ورجا أن يحكم الحكمان بالكتاب فتزول الشبهة عمن طلب التحكيم من أصحابه وأما تحكيمه عمرا مع ظهور فسقه فانه لم يرض به وانما رضى به مخالفه وكرهه هو فلم يقبل منه وقد قيل انه أجاب ابن عباس رحمه الله عن هذا فقال للخوارج أليس قد قال الله تعالى فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها أرأيتم لو كانت المرأة يهودية فبعثت حكما من أهلها أكنا نسخط ذلك وأما أبو موسى فقد كرهه أمير المؤمنين عليه السلام وأراد أن يجعل بدله عبد الله بن عباس فقال أصحابه لا يكون الحكمان من مضر فقال فالاشتر فقالوا وهل أضرم النار الا الاشتر وهل جر ما ترى الا حكومة الاشتر ولكن أبا موسى فأباه فلم يقبلوا منه وأثنوا عليه وقالوا لا نرضى الا به فحكمه على مضض ❁ ومنها قولهم ترك الرأى لما دعاه العباس وقت وفاة الرسول صلى الله عليه وآله الى البيعة وقال له امدد يدك أبايعك فيقول الناس عم رسول الله صلى الله عليه وآله بايع ابن عمه فلا يختلف عليك اثنان فلم يفعل وقال وهل يطمع فيها طامع غيرى فما راعه الا الضوضاء واللغط فى باب الدار يقولون قد بويع أبو بكر بن أبى قحافة والجواب ان صواب

الرأى وفساده فيما يرجع الى مثل هذه الواقعة يستندان الى ما قد كان غلب على الظن ولا ريب انه عليه السلام لم يغلب على ظنه ان أحدا يستأثر عليه بالخلافة لاحوال قد كان مهدها له رسول الله صلى الله عليه وآله وما توهم الا أنه ينتظر ويرتقب خروجه من البيت وحضوره ولعله قد كان يخطر له انه اما أن يكون هو الخليفة أو يشاور فى الخلافة الى من يفوض اليه وما كان يتوهم انه يجرى الامر على ما جرى من الغلبة عند ثوران تلك الفتنة ولا يشاور هو ولا العباس ولا أحد من بنى هاشم وانما كان يكون تدبيره فاسدا لو كان يحاذر خروج الامر عنه ويتوهم ذلك ويغلب على ظنه ان لم يبادر تحصيله بالبيعة المعجلة فى الدار من وراء الابواب والاغلاق والا فانه ثم يهمل ذلك ولا يفعله وقد صرح هو بما عنده فقال وهل يطمع فيها طامع غيرى ثم قال انى أكره البيعة ههنا وأحب أن أصحر بها فبين أنه يستهجن أن يبايع سرا خلف الحجب والجدران ويحب أن يبايع جهرة بمحضر من الناس كما قال حيث طلبوا منه بعد قتل عثمان أن يبايعهم فى داره فقال لا بل فى المسجد ولا يعلم ولا خطر له ما فى ضمير الانام وما يحدث الوقت من وقوع ما لا يتوهم العقلاء وأرباب الافكار وقوعه ❁ ومنها قولهم انه قصر فى طلب الخلافة عند بيعة أبى بكر وقد كان اجتمع له من بنى هاشم وبنى أمية وغيرهم من افناء الناس من يتمكن بهم من المنازعة وطلب الخلافة فقصر عن ذلك لا جبنا لانه كان أشجع البشر ولكن قصور تدبير وضعف رأى ولهذا أكفرته الكاملية وأكفرت الصحابة فقالوا كفرت الصحابة لتركهم بيعته وكفر هو بترك المنازعة لهم والجواب اما على مذهبنا فانه لم يكن عليه السلام منصوصا عليه وانما كان يدعيها بالافضلية والقرابة والسابقة والجهاد ونحو ذلك من الخصائص فلما وقعت بيعة أبى بكر رأى هو عليه السلام ان الاصلح للاسلام ترك النزاع وانه يخاف من النزاع حدوث فتنة تحل معاقد الملة وتزعزع أركانها فحضر وبايع طوعا ووجب علينا بعد مبايعته ورضاه ان نرضى بمن رضى هو عليه السلام ونطيع من أطاعه لانه القدوة وأفضل من تركه صلى الله عليه وآله بعده وأما الامامية فلهم عن ذلك جواب آخر معروف من قواعدهم ❁ ومنها قولهم انه قصر فى الرأى حيث دخل فى الشورى لانه جعل نفسه بدخوله فيها نظيرا لعثمان وغيره من الخمسة وقد كان الله تعالى رفعه عنهم وعلى من كان قبلهم فوهن بذلك قدره وطأطأ من جلالته ألا ترى انه يستهجن ويقبح من أبى حنيفة والشافعى رحمهما الله أن يجعلا أنفسهما نظراء لبعض من بدأ طرفا من الفقه ويستهجن ويقبح من سيبويه والاخفش أن يوازيا أنفسهما من يعلم أبوابا يسيرة من النحو والجواب انه عليه السلام وان كان أفضل من أصحاب الشورى فانه كان يظن ان ولى الامر أحدهم بعد عمر لا يسير سيرة صالحة وأن تضطرب بعض أمور الاسلام وقد كان يثنى على سيرة عمر ويحمدها فوجب عليه بمقتضى ظنه أن يدخل معهم فيما أدخله عمر فيه توقعا لان يفضى الامر اليه فيعمل بالكتاب والسنة ويحيى معالم رسول الله صلى الله عليه وآله وليس اعتماد ما يقتضيه الشرع مما يوجب نقصا فى الرأى فلا تدبير أصح ولا أسد من تدبير الشرع ❁ ومنها قولهم انه ما أصاب حيث أقام بالمدينة وعثمان محصور وقد كان يجب فى الرأى أن يخرج عنها بحيث لا تنوط بنو أمية به دم عثمان فانه لو كان بعيدا عن المدينة لكان من قذفهم اياه بذلك أبعد وعنه أنزه والجواب انه لم يكن يخطر له مع براءته من دم عثمان ان أهل الفساد من بنى أمية يرمونه بأمره والغيب لا يعلمه الا الله وكان يرى ان مقامه بالمدينة أدعى الى انتصار عثمان على المحاصرين له فقد حضر هو بنفسه مرارا وطرد الناس عنه وأنفذ اليه ولديه وابن أخيه عبد الله ولولا حضور على عليه السلام بالمدينة لقتل عثمان قبل أن يقتل بمدة وما تراخى أمره وتأخر قتله الا لمراقبة الناس له حيث شاهدوه ينتصر له ويحامى عنه ❁ ومنها قولهم كان يجب فى مقتضى الرأى حيث قتل عثمان أن يغلق بابه ويمنع الناس من الدخول اليه فان العرب كانت تضطرب اضطرابة ثم تؤول اليه لانه أمين للامر بحكم الحال الحاضرة فلم يفعل وفتح بابه وترشح للامر وبسط له يده فلذلك انتقضت عليه العرب من أقطارها والجواب انه عليه السلام كان يرى ان القيام بالامر يومئذ فرض عليه لا يجوز له الاخلال به لعدم من يصلح فى ظنه للخلافة فما كان يجوز له أن يغلق بابه ويمتنع وما الذى كان يؤمنه أن يبايع الناس طلحة أو الزبير أو غيرهما ممن لا يراه أهلا للامر فقد كان عبد الله بن الزبير يومئذ يزعم ان عثمان عهد اليه بالخلافة وهو محصور وكان مروان يطمع أن ينحاز الى طرف من الاطراف فيخطب

لنفسه بالخلافة وله من بنى أمية شيعة وأصحاب بشبهة انه ابن عم عثمان وانه كان يدبر أمر الخلافة على عهده وكان معاوية يرجو أن ينال الخلافة لانه من بنى أمية وابن عم عثمان وأمير الشام عشرين سنة وقد كان قوم من بنى أمية يتعصبون لاولاد عثمان المقتول ويرومون اعادة الخلافة فيهم وما كان يسوغ لعلى عليه السلام فى الدين اذا طلبه المسلمون للخلافة ان يمتنع عنها و يعلم انها ستصير اذا امتنع الى هؤلاء فلذلك فتح بابه وامتنع امتناع من يحاول أن يعلم ما فى قلوب الناس هل لرغبتهم اليه حقيقة أم لا فلما رأى منهم التصميم وافق لوجوب الموافقة عليه وقد قال فى خطبته لولا حضور الحاضر ووجوب الحجة بوجود الناصر لالقيت حبلها على غاربها ولاسقيت آخرها بكاس أولها وهذا تصريح بما قلناه * ومنها قولهم هلا اذ ملك شريعة الفرات على معاوية بعد ان كان معاوية ملكها عليه ومنعه أهل العراق منها منع معاوية وأهل الشام منها فكان يأخذهم قبضا بالايدى فانه لم يصبر على منعهم عن الماء بل فسح لهم فى الورود وهذا يخالف ما يقتضيه تدبير الحرب الجواب انه عليه السلام لم يكن يستحل ما استحله معاوية من تعذيب البشر بالعطش فان الله تعالى ما أمر فى أحد من العصاة الذين أباح دماءهم بذلك ولا فسح فيه فى نحو القصاص أو حد الزانى المحصن أو قتل قاطع الطريق أو قتال البغاة والخوارج وما كان أمير المؤمنين ممن يترك حكم الله وشريعته و يعتمد ما هو محرم فيها لاجل الغلبة والقهر والظفر بالعدو ولذلك لم يكن يستحل البيات ولا الغدر ولا النكث وأيضا فمن الجائز أن يكون عليه السلام غلب على ظنه ان أهل الشام ان منعوا من الماء كان ذلك أدعى لهم الى الحملات الشديدة المنكرة على عسكره وأن يضعوا فيهم السيوف فيأتوا عليهم و يكسروهم بشدة حنقهم وقوة دواعيهم الى ورود الماء فان ذلك من أشد الدواعى الى أن يستميت القوم و يستقتلوا ومن الذى يقف بين يدى جيش عظيم عرمرم حنق قد اشتد بهم العطش وهم يرون الماء كبطون الحيات لا يحول بينهم و بينه الا قوم مثلهم بل أقل منهم عدة وأضعف عدة ولذلك لما حال معاوية بين أهل العراق و بين الماء قال ولامنعنهم وروده فاقتلهم بشفار الظمأ قال له عمرو بن العاص خل بين القوم و بين الماء فليسوا ممن يرى الماء و يصبر عنه فقال لا والله لا أخلى لهم عنه فسفه رأيه وقال أتظن أن ابن أبى طالب وأهل العراق يموتون بازائك عطشا والماء منهم بمعقد الازر وسيوفهم فى أيديهم فلج معاوية وقال لا أسقيهم قطرة كما قتلوا عثمان عطشا فلما مس أهل العراق العطش أشار على عليه السلام الى الاشعث أن احمل والى الاشتر أن احمل فحملا بمن معهما فضربا أهل الشام ضربا أشاب الوليد وفر معاوية ومن رأى رأيه وتابعه على قوله من الماء كما تفر الغنم خالطتها السباع وكان قصارى أمره ومنتهى همته أن يحفظ رأسه و ينجو بنفسه وملك أهل العراق عليهم الماء ودفعوهم عنه فصاروا فى البر القفر وصار على عليه السلام وأصحابه على شريعة الفرات مالكين لها فما الذى كان يؤمن عليا عليه السلام لو أعطش القوم أن يذوق هو وأصحابه منهم مثل ما أذاقهم وهل بعد الموت بالعطش أمر يخافه الانسان وهل يبقى له ملجأ الا السيف يحمل به فيضرب خصمه الى أن يقتل أحدهما * ومنها قولهم أخطأ حيث محا اسمه بالخلافة من صحيفة الحكومة فان ذلك مما وهنه عند أهل العراق وقوى الشبهة فى نفوس أهل الشام والجواب أنه عليه السلام احتذى فى ذلك لما دعى اليه واقترحه الخصم عليه فعل رسول الله صلى الله عليه وآله فى صحيفة الحديبية حيث محا اسمه من النبوة لما قال له سهيل بن عمرو لو علمنا أنك رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حاربناك ولا منعناك عن البيت وقد قال له صلى الله عليه وآله وهو يومئذ كاتب تلك الصحيفة ستدعى الى مثلها فتجيب وهذا من اعلام نبوته صلوات الله عليه ومن دلائل صدقه ومثله جرى له حذو القذة بالقذة * ومنها قولهم انه كان غير مصيب فى ترك الاحتراس فقد كان يعلم كثرة أعدائه ولم يكن يحترس منهم وكان يخرج ليلا فى قميص ورداء وحده حتى كمن له ابن ملجم فى المسجد فقتله ولو كان احترس وحفظ نفسه ولم يخرج الا فى جماعة ولو خرج ليلا كانت معه اضواء وشرطة لم يوصل اليه والجواب ان هذا ان كان قادحا فى السياسة وصحة التدبير فليكن قادحا فى تدبير عمر وسياسته وهو عند الناس فى الطبقة العليا فى السياسة وصحة التدبير وليكن قادحا فى تدبير معاوية فقد ضربه الخارجى بالسيف ليلة ضرب أمير المؤمنين عليه السلام فجرحه ولم يأت على نفسه ومعاوية عند هؤلاء سديد التدبير وليكن قادحا فى صحة تدبير رسول الله صلى الله عليه وآله فقد كان يخرج وحده فى

المدينة ليلا ونهارا مع كثرة أعدائه وقد كان يأكل ما دعى اليه ولا يحترس حتى أكل من يهودية شاة مشوية قد سمته فيها فمرض وخيف عليه التلف ولما برئ لم تزل تنتقض عليه حتى مات منها وقال عند موته انى ميت من تلك الاكلة ولم تكن العرب فى ذلك الزمان تحترس ولا تعرف الغيلة والفتك وكان ذلك عندهم قبيحا يعير به فاعله لان الشجاعة غير ذلك والغيلة فعل العجزة من الرجال ولان عليا عليه السلام كانت هيبته قد تمكنت فى صدور الناس فلم يكن يظن ان أحدا يقدم عليه غيلة أو مبارزة فى حرب فقد كان بلغ من الذكر بالشجاعة مبلغا عظيما لم يبلغه أحد من الناس لا من تقدم ولا من تأخر حتى كانت أبطال العرب تفزع باسمه ألا ترى الى عمرو بن معديكرب وهو شجاع العرب الذى يضرب به الامثال كتب اليه عمر بن الخطاب فى أمر أنكره عليه وغدر تخوفه منه أما والله لئن أنت على ما أقمت عليه لأبعثن اليك رجلا تستصغر معه نفسك يضع سيفه على هامتك فيخرجه من بين فخذيك فقال عمرو لما وقف على الكتاب هددنى بعلى عليه السلام والله ولهذا قال شبيب بن بجرة لابن ملجم لما رآه يشد الحديد على بطنه وصدره ويلك ما تريد أن تصنع قال أقتل عليا قال هبلتك الهبول لقد جئت شيأ ادا كيف تقدر على ذلك فاستبعد أن يتم لابن ملجم ما عزم عليه ورآه مرا ما وعرا والامر فى هذا وأمثاله مسند الى غلبات الظنون فمن غلب على ظنه السلامة مع الاسترسال لم يجب عليه الاحتراس وانما يجب الاحتراس على من يغلب على ظنه العطب ان لم يحترس فقد بان بما أوضحناه فساد قول من قال ان تدبيره عليه السلام وسياسته لم تكن صالحة و بان انه أصح الناس تدبيرا وأحسنهم سياسة وانما الهوى والعصبية لا حيلة فيهما

(الاصل) *(ومن كلام له عليه السلام)*

أَيُّهَا النَّاسُ لاَ تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَى لِقِلَّةِ أَهْلِهِ فَإِنَّ النَّاسَ اجْتَمَعُوا عَلَى مَائِدَةٍ شِبَعُهَا قَصِيرٌ * وَجُوعُهَا طَوِيلٌ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضَا وَالسُّخْطُ * وَإِنَّمَا عَقَرَ نَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَمَّهُمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ لَمَّا عَمُّوهُ بِالرِّضَا فَقَالَ سُبْحَانَهُ (فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ) فَمَا كَانَ إِلاَّ أَنْ خَارَتْ أَرْضُهُمْ بِالْخَسْفَةِ خُوَارَ السِّكَّةِ الْمُحْمَاةِ فِي الأَرْضِ الْخَوَّارَةِ أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ وَرَدَ الْمَاءَ وَمَنْ خَالَفَ وَقَعَ فِي التِّيهِ

(الشرح) الاستيحاش ضد الاستئناس وكثيرا ما يحدثه التوحد وعدم الرفيق فنهى عليه السلام عن الاستيحاش فى طريق الهدى لأجل قلة أهله فان المهتدى ينبغى أن يأنس بالهداية فلا وحشة مع الحق وعنى بالمائدة الدنيا لذتها قليلة ونغصتها كثيرة والوجود فيها زمان قصير جدا والعدم عنها زمان طويل جدا ثم قال ليست العقوبة لمن اجترم ذلك الجرم بعينه بل لمن اجترمه ومن رضى به وان لم يباشره بنفسه فان عاقر ناقة صالح انما كان انسانا واحدا فعم الله ثمود بالسخط لما كانوا راضين بذلك الفعل كلهم واسم كان مضمر فيها أى ما كان الانتقام منهم الا كذا وخارت أرضهم بالخسفة صوتت كما يخور الثور وشبه عليه السلام ذلك بصوت السكة المحماة فى الارض الخوارة وهى اللينة وانما جعلها محماة لتكون أبلغ فى ذهابها فى الارض ومن كلامه عليه السلام يوم خيبر يقوله لرسول الله صلى الله عليه وآله وقد بعثه بالراية أكون فى أمرك كالسكة المحماة فى الارض أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فقال له بل يرى الشاهد ما لا يرى الغائب وقال له أيضا هذه اللفظة لما بعثه فى شأن مارية القبطية وما كانت اتهمت به من أمر الاسود القبطى ولهذه علة فى العلم الطبيعى وذلك ان السكة المحماة تخرق الارض بشيئين أحدهما تحدد رأسها والثانى حرارته فان الجسم المحدد الحار اذا اعتمد عليه فى الارض اقتضت الحرارة اعانة ذلك الطرف المحدد على النفوذ بتحليلها ما تلاقى من صلابة الارض لان شأن الحرارة التحليل فيكون غوص ذلك الجسم المحدد فى الارض أوحى وأسهل والتيه المفازة يتحير

سالكها قال المفسرون ان عادا لما أهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الارض وكثروا وعمروا أعمارا طوالا حتى ان الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت في الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله وأفسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من أوسطهم نسبا فدعاهم الى الله فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وأنذرهم فسألوه آية فقال أية آية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو الهك وندعو الهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا قال نعم فخرج معهم ودعوا أوثانهم وسألوها الاستجابة فلم تجب فقال سيدهم جندع بن عمرو وأشار الى صخرة منفردة في ناحية الجبل يسمونها الكاثبة أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التي شاكلت البخت فان فعلت صدقناك وأجبناك فأخذ عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع ورهط من قومه ومنع أعقابهم ناس من رؤسهم أن يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا فاذا كان يومها وضعت رأسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ماء فيها ثم تتفحج فيحتلبون ما شاؤا حتى تمتلئ أوانيهم فيشربون ويدخرون فاذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها أنعامهم فتهبط الى بطنه واذا وقع البرد تشتت ببطن الوادي فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امرأتان عنيزة أم غنم وصدقة بنت المختار لما اضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها عقرها قدار الاحمر واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها رقي جبلا اسمه قاره فرغا ثلاثا وكان صالح قال لهم أدركوا الفصيل عسى أن يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد وجوهكم محمرة واليوم الثالث وجوهكم مسودة ثم يغشاكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا أن يقتلوه فأنجاه الله سبحانه الى ارض فلسطين فلما كان اليوم الرابع وارتفعت الضحوة فتحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء وخسف شديد وزلزال فتقطعت قلوبهم فهلكوا وقد جاء في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله مر بالحجر في غزوة تبوك فقال لاصحابه لا يدخلن أحد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل ما أصابهم وروى المحدثون أن النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام أتدري من أشقى الاولين قال نعم عاقر ناقة صالح قال أفتدري من أشقى الآخرين قال الله ورسوله اعلم قال من يضربك على هذه حتى تخضب هذه

(الاصل) ﴿ ومن كلام له عليه السلام ﴾

روى عنه أنه قاله عند دفن سيدة النساء فاطمة عليها السلام كالمناجي به رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قبره

السَّلَامُ عَلَيْكَ يا رَسُولَ اللّٰهِ عَنّي وَعَنِ ابْنَتِكَ النّازِلَةِ في جِوارِكَ وَالسَّرِيعَةِ اللَّحاقَ بِكَ قَلَّ يا رَسُولَ اللّٰهِ عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْري وَرَقَّ عَنْها تَجَلُّدِي إلّا أَنَّ لي في التَّأَسّي بِعَظيمِ فُرْقَتِكَ وَفادِحِ مُصِيبَتِكَ مَوْضِعَ تَعَزٍّ ۞ فَلَقَدْ وَسَّدْتُكَ في مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ وفاضَتْ بَيْنَ نَحْري وَصَدْري نَفْسُكَ فَانّا لِلّٰهِ وَإنّا إلَيْهِ راجِعُونَ فَلَقَدِ اسْتُرْجِعَتِ الْوَدِيعَةُ وَأُخِذَتِ الرَّهِينَةُ أَمّا حُزْني فَسَرْمَدٌ وَأَمّا لَيْلي فَمُسَهَّدٌ ۞ إلى أَنْ يَخْتارَ اللّٰهُ لي دارَكَ الَّتي أَنْتَ بِها مُقيمٌ وَسَتُنَبِّئُكَ ابْنَتُكَ

بِتَضافُرِ أُمَّتِكَ عَلى هَضْمِها ۞ فَأَحْفِها السُّؤالَ واسْتَخْبِرْها الحالَ ۞ هٰذا وَلَمْ يَطُلِ الْعَهْدُ وَلَمْ يَخْلُقْ مِنْكَ الذِّكْرُ والسَّلامُ عَلَيْكُما سَلامَ مُوَدِّعٍ لا قالٍ وَلا سَئِمٍ ۞ فَانْ أَنْصَرِفْ فَلا عَنْ مَلالَةٍ وَإنْ أُقِمْ فَلا عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِما وَعَدَ اللّٰهُ الصّابِرينَ

(الشرح) أما قول الرضي رحمه الله عند دفن سيدة النساء فلانه قد تواتر الخبر عنه صلى الله عليه وآله انه قال فاطمة سيدة نساء العالمين اما هذا اللفظ بعينه أو لفظ يؤدي هذا المعنى روى انه قال وقد رآها تبكي عند موته ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الامة وروى انه قال سادات نساء العالمين أربع خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران قوله عليه السلام وسريعة اللحاق بك جاء في الحديث انه رآها تبكي عند موته فأسر اليها أنت أسرع أهلي لحوقا بي فضحكت قوله عن صفيتك أجله صلى الله عليه وآله عن أن يقول عن ابنتك فقال صفيتك وهذا من لطيف عبارته ومحاسن كنايته يقول عليه السلام ضعف جلدي وصبري عن فراقها لكني أتأسى بفراقك فأقول كل عظيم بعد فراقك جلل وكل خطب بعد موتك يسير ثم ذكر حاله معه وقت انتقاله صلوات الله عليه الى جوار ربه فقال لقد وسدتك في ملحودة قبرك أي في الجهة المشقوقة من قبرك واللحد الشق في جانب القبر وجاء بضم اللام في لغة غير مشهورة قال وفاضت بين نحري وصدري نفسك يروى انه صلى الله عليه وآله قذف دما يسيرا وقت موته ومن قال بهذا القول زعم ان مرضه كان ذات الجنب وان القرحة التي كانت في الغشاء المستبطن للاضلاع انفجرت في تلك الحال وكانت فيها نفسه صلى الله عليه وآله وذهب قوم الى أن مرضه انما كان الحمى والسرسام الحار وان أهل داره ظنوا ان به ذات الجنب فلدوه وهو مغمى عليه وكانت العرب تداوي باللدود من به ذات الجنب فلما أفاق علم أنهم قد لدوه فقال لم يكن الله ليسلطها على لدوا كل من في الدار فجعل بعضهم يلد بعضا واحتج الذاهبون الى أن مرضه كان ذات الجنب بما روي من انتصابه وتعذر الاضطجاع والنوم عليه قال سلمان الفارسي دخلت عليه صبيحة يوم قبل اليوم الذي مات فيه فقال لي يا سلمان ألا تسأل عما كابدته الليلة من الألم والسهر أنا وعلي فقلت يا رسول الله ألا أسهر الليلة معك بدله فقال لا هو أحق بذلك منك وزعم آخرون ان مرضه كان أثر التلك السم التي أكلها عليه السلام واحتجوا بقوله صلى الله عليه وآله مازالت أكلة خيبر تعاودني فهذا أوان قطعت ابهري ومن لم يذهب الى ذات الجنب فأولوا قول علي عليه السلام وفاضت بين نحري وصدري نفسك فقالوا أراد بذلك آخر الانفاس التي يخرجها الميت ولا يستطيع ادخال الهواء الى الرئة عوضا عنها ولا بد لكل ميت من نفخة تكون آخر حركاته ويقول قوم انها الروح وعبر علي عليه السلام عنها بالنفس لما كانت العرب لا ترى بين الروح والنفس فرقا ۞ واعلم أن الاخبار مختلفة في هذا المعنى فقد روى كثير من المحدثين عن عائشة انها قالت توفي رسول الله صلى الله عليه وآله بين سحري ونحري وروى كثير منهم هذا اللفظ عن علي عليه السلام انه قال عن نفسه وقال في رواية أخرى ففاضت نفسه في يدي فأمررتها على وجهي والله أعلم بحقيقة هذه الحال ولا يبعد عندي أن يصدق الخبران معا بأن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وقت الوفاة مستندا الى علي وعائشة جميعا فقد وقع الاتفاق على أنه مات وهو حاضر لموته وهو الذي كان يقلبه بعد موته وهو الذي كان يعلله ليالي مرضه فيجوز أن يكون مستندا الى زوجته وابن عمه ومثل هذا لا يبعد وقوعه في زماننا هذا فكيف في ذلك الزمان الذي كان النساء فيه والرجال مختلطين لا يستتر البعض عن البعض فان قلت فكيف تعمل بآية الحجاب وما صح من استتار أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله عن الناس بعد نزولها قلت قد وقع اتفاق المحدثين كلهم على أن العباس كان ملازما للرسول صلى الله عليه وآله أيام مرضه في بيت عائشة وهذا لا ينكره أحد فعلى القاعدة التي كان العباس ملازمه صلى الله عليه وآله كان علي عليه السلام ملازمه وذلك يكون بأحد الامرين اما بأن نساءه لا يستترون من العباس وعلي لكونهما أهل الرجل وجزأ منه أو لعل

النساء كن يختمرن بأخمرتهن و يخالطن الرجال فلا يرون وجوههن وما كانت عائشة وحدها في البيت عند موته بل
كان نساؤه كلهن في البيت وكانت ابنته فاطمة عند رأسه صلى الله عليه وآله فأما حديث مرضه صلوات الله عليه ووفاته فقد
ذكرناه فيما تقدم قوله انا لله الى آخره أي عبيده كما تقول هذا الشيء لزيد أي يملكه ثم عقب الاعتراف بالملكية بالاقرار بالرجعة
والبعث وهذه الكلمة تقال عند المصيبة كما أدب الله تعالى خلقه وعباده والوديعة والرهينة عبارة عن فاطمة ومن
هذا الموضع أخذ ابن ثوابة الكاتب قوله عن قطر الندى بنت خمارويه بن أحمد بن طولون لما حملت من مصر الى المعتضد
أحمد بن طلحة بن المتوكل وقد وصلت الوديعة سالمة والله المحمود وكيف يوصي الناظر بنوره أم كيف يحض القلب على
حفظ سروره وأخذ الصابي هذه اللفظة أيضا فكتب عن عز الدولة بختيار بن بويه الى عدة الدولة أبي تغلب بن حمدان
وقد نقل اليه ابنته قد وجهت الوديعة يا سيدي وانما انتقلت من وطن الى سكن ومن معرس الى معرس ومن مأوى بر
وانعطاف الى مثوى كرامة والطاف فأما الرهينة فهي المرتهنة يقال للمذكر هذا رهين عندي على كذا وللانثى هذه
رهينة عندي على كذا كأنها عليها السلام كانت عنده عوضا من رؤيته رسول الله صلى الله عليه وآله كما تكون الرهينة
عوضا عن الامر الذي أخذت رهينة عليه ثم ذكر عليه السلام ان حزنه دائم وانه يسهر ليله ولا ينام الى أن يلتحق
برسول الله صلى الله عليه وآله ويجاوره في الدار الآخرة وهذا من باب المبالغة كما يبالغ الخطباء والكتاب والشعراء
في المعاني لانه عليه السلام ما سهر منذ ماتت فاطمة ودام سهره الى أن قتل عليه السلام وانما سهر ليلة أو شهرا أو سنة ثم استمر
أمره وارعوى وسنه فأما الحزن فانه لم يزل حزينا اذا ذكرت فاطمة هكذا وردت الرواية عنه قوله عليه السلام وستنبئك
ابنتك أي ستعلمك فأحفها السؤال أي استقص في مسئلتها واستخبرها الحال أحفيت احفاء في السؤال استقصيت
وكذلك في الحجاج والمنازعة قال الحارث بن حلزة ان اخواننا الاراقم * يغلون علينا في قيلهم احفاء ورجل حفي
أي مستقص في السؤال واستخبرها الحال أي عن الحال فحذف الجار كقولك اخترت الرجال زيدا أي من الرجال أي سلها
عما جرى بعدك من الاستبداد بعقد الامر دون مشاورتنا ولا يدل هذا على وجود النص لانه يجوز أن تكون الشكوى
والتألم من اطراحهم وترك ادخالهم في المشاورة فان ذلك مما تكرهه النفوس وتتألم منه وهجا الشاعر قوما فقال

ويقضى الأمر حين تغيب تيم * ولا يستأذنون وهم شهود

قوله هذا ولم يطل العهد ولم يخلق الذكر أي لم ينس فان قلت فما هذا الامر الذي لم ينس ولم يخلق ان لم يكن هناك نص
قلت قوله صلى الله عليه وآله اني مخلف فيكم الثقلين وقوله اللهم أدر الحق معه حيث دار وامثال ذلك من النصوص
الدالة على تعظيمه وتبجيله ومنزلته في الاسلام فهو عليه السلام كان يريد أن يؤخر عقد البيعة الى أن يحضر و يستشار
و يقع الوفاق بينه و بينهم على أن يكون العقد لواحد من المسلمين بموجبه امالة أولابي بكر أولغيرهما ولم يكن ليليق أن
يبرم الامر وهو غير حاضر له مع جلالته في الاسلام وعظيم أثره وما ورد في حقه من وجوب موالاته والرجوع الى قوله
وفعله فهذا هو الذي كان ينقم عليه السلام ومنه كان يتألم و يطيل الشكوى وكان ذلك في موضعه وما أنكر الا منكرا
فأما النص فانه لم يذكره عليه السلام ولا احتج به ولما طال الزمان صفح عن ذلك الاستبداد الذي وقع منهم وحضر
عندهم فبايعهم وزال ما كان في نفسه فان قلت فهل كان يسوغ لأبي بكر وقد رأى وثوب الانصار على الامر أن يؤخره
الى أن يخرج عليه السلام و يحضر المشورة قلت انه لم يلم أبا بكر بعينه وانما تألم من استبداد الصحابة بالامر دون
حضوره ومشاورته و يجوز أن يكون أكثر تألمه وعتابه مصروفا الى الانصار الذين فتحوا باب الاستبداد والتغلب
وروى القاضي أبو حامد أحمد بن بشر المروروذي العامري فيما حكاه عنه أبو حيان التوحيدي قال أبو حيان سمرنا
عند القاضي أبي حامد ليلة ببغداد بدار ابن جيشان في شارع الماديان فتصرف الحديث بنا كل متصرف وكان والله
معنا مزيلا مخلاطا غزير الرواية لطيف الدراية في كل جو متنفس وفي كل نار مقتبس فجرى حديث السقيفة وتنازع
القوم الخلافة فركب كل منا فنا وقال قولا وعرض بشيء ونزع الى مذهب فقال أبو حامد هل فيكم من يحفظ رسالة أبي بكر
الى علي وجواب علي له ومبايعته اياه عقيب تلك الرسالة فقالت الجماعة لا والله فقال هي والله من درر الحقاق المصونة

ومخبئات الصناديق في الخزائن المحوطة ومنذ حفظتها ما رويتها الا للمهلبي في وزارته فكتبها عني في خلوة بيده وقال لا أعرف
في الارض رسالة أعقل منها ولا أبين وانها لتدل على علم وحكم وفصاحة وفقاهة في دين ودهاء و بعد غور وشدة غوص
فقال له واحد من القوم أيها القاضي فلو أتممت المنة علينا بروايتها سمعناها ورويناها عنك فنحن أوعى لها من المهلبي
وأوجب ذماما عليك فقال هذه الرسالة رواها عيسى بن داب عن صالح بن كيسان عن هشام بن عروة عن أبيه عروة بن
الزبير عن ابي عبيدة بن الجراح قال أبو عبيدة لما استقامت الخلافة لأبي بكر بين المهاجرين والانصار ولحظ بعين الوقار والهيبة
بعد هنة كاد الشيطان بها يسر فدفع الله شرها وأدحض عسرها فركد كيدها وتيسر خيرها وقصم ظهر النفاق والفسق بين
أهلها بلغ أبا بكر عن علي عليه السلام تلكؤ وشماس وتهمهم ونفاس فكره أن يتمادى الحال وتبدو له العورة وتنفرج ذات
البين ويصير ذلك دربة لجاهل مغرور أو عاقل ذي دهاء أو صاحب سلامة ضعيف القلب خوار العنان دعاني في خلوة فحضرته
وعنده عمر وحده وكان عمر قبالة وظهيرا معه يستضيء بناره و يستملي من لسانه فقال لي يا أبا عبيدة ما أيمن ناصيتك
وأبين الخير بين عارضيك لقد كنت من رسول الله صلى الله عليه وآله بالمكان المحوط والمحل المغبوط ولقد قال فيك
في يوم مشهود أبو عبيدة أمين هذه الامة وطالما أعز الله الاسلام بك وأصلح ثلمه على يديك ولم تزل للدين ناصرا
وللمؤمنين روحا ولاهلك ركنا ولاخوانك مردا لقد أردتك لامر ما بعده خطر مخوف وصلاحه معروف ولئن لم يندمل
جرحه بسبارك ورفقك ولم تجب جزونه برقيتك فقد وقع اليأس وأعضل البأس واحتيج بعدك الى ما هو أمر من ذلك
وأعلق وأعسر منه وأغلق والله أسأل تمامه بك ونظامه على يدك فتأن له يا أبا عبيدة وتلطف فيه وانصح لله ولرسوله
ولهذه العصابة غير آل جهدا ولا قال جدا والله كالئك وناصرك وهاديك ومبصرك امض الى علي واخفض جناحك له
واغضض من صوتك عنده واعلم أنه سلالة أبي طالب ومكانه ممن فقدناه بالامس مكانه وقل له البحر مغرقة والبر مفرقة
والجو أكلف والليل أغلف والسماء جلواء والارض صلعاء والصعود متعذر والهبوط متيسر والحق عطوف رؤف
والباطل نسوف عصوف والعجب مقدحة الشر والضغن رائد البوار والتعريض شجار الفتنة والقحة مفتاح العداوة
والشيطان متكئ على شماله باسط ليمينه نافخ حضنيه لاهله ينتظر الشتات والفرقة و يدب بين الامة بالشحناء والعداوة
عنادا لله ولرسوله ولدينه يوسوس بالفجور ويدلي بالغرور و يمني أهل الشرور و يوحي الى أوليائه الباطل دأبا له منذ كان
على عهد أبينا آدم وعادة منه منذ أهانه الله في سالف الدهر لا ينجي منه الا من عض الناجذ على الحق وغض الطرف عن
الباطل ووطئ هامة عدو الله والدين بالاشد فالاشد والاجد فالاجد واسلم النفس لله فيما حاز رضاه وجنب سخطه ولا بد
من قول ينفع اذ قد أضر السكوت وخيف غبه ولقد أرشدك من أفاء ضالتك وصافاك من أحيا مودته لك بعتابك
وأراد الخير من آثر البقيا معك ما هذا الذي تسول لك نفسك و يدوى به قلبك و يلتوي عليه رأيك و يتخاوص دونه
طرفك و يستشري به ضغنك و يتراد معه نفسك و يكثر لاجله صعداؤك ولا يفيض به لسانك أعجمة بعد افصاح ألبسا
بعد ايضاح أدينا غير دين الله أخلقا غير خلق القرآن أهديا غير هدي محمد أمثلي يمشي له الضراء و يدب له الخمر أم مثلك
يغص عليه الفضاء وتكسف في عينه القمراء ما هذه القعقعة بالشنان والوعوعة باللسان انك لجد عارف باستجابتنا
لله ولرسوله وخروجنا من أوطاننا وأولادنا وأحبتنا هجرة الى الله ونصرة لدينه في زمان أنت منه في كن الصبا وخدر
الغرارة غافل عما يشيب و يريب لا تلقى ما يشاد و يراد ولا تحصل ما يساق و يقاد سوى ما أنت جار عليه من أخلاق الصبيان
أمثالك وسجايا الفتيان أشكالك حتى بلغت الى غايتك هذه التي اليها أجريت وعندها حط رحلك غير مجهول القدر
ولا مجحود الفضل ونحن في أثناء ذلك نعاني أحوالا تزيل الرواسي ونقاسي أهوالا تشيب النواصي خائضين غمارها
راكبين تيارها نتجرع صابها ونسوغ عبابها ونحكم أساسها ونبرم أمراسها والعيون تحدج بالحسد والانوف تعطس
بالكبر والصدور تستعر بالغيظ والاعناق تتطاول بالفخر والالسنة تشحذ بالمكر والارض تميد بالخوف لا ننتظر عند
المساء صباحا ولا عند الصباح مساء ولا ندفع في نحر أمر الا بعد أن نحسو الموت دونه ولا نبلغ الى شيء الا بعد تجرع العذاب
قبله ولا نقوم بناد الا بعد اليأس من الحياة عنده فادين في كل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله بالأب والأم والخال

والعم والمال والنشب والسبد واللبد والهلة والبلة بطيب أنفس وقرة أعين ورحب اعطاف وثبات عزائم وصحة عقود
وطلاقة أوجه وذلاقة ألسن هذا الى خبيئات أسرار ومكنونات أخبار كنت عنها غافلا ولولا سنك لم تك عن شئ منها ناكلا
كيف وفؤادك مشهوم وعودك مجموم وغيبك مخبور والخير منك كثير فالآن قد بلغ الله بك وارهص الخير لك
فاسمع ما أقول لك واقبل ما يعود قبوله عليك ودع التجسس والتعسس لمن لا يضطلع لك اذا خطا ولا يتزحزح عنك اذا
عطا فالأمر غض وفى النفوس مض وأنت أديم هذه الامة فلم تحلم لجاجا وسيفها العضب فلا تنب اعوجاجا وماؤها العذب فلا
تحل اجاجا والله لقد سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن هذا لمن هو فقال هو لمن يرغب عنه لا لمن يجاحش عليه ولم
يتضاءل له لا لمن يشمخ اليه وهو لمن يقال له هو لك لا لمن يقول هو لى ولقد شاورنى رسول الله صلى الله عليه وآله فى الصهر
فذكر فتيانا من قريش فقلت له أين أنت من على فقال انى لأكره لفاطمة ميعة شبابه وحداثة سنه فقلت متى كنفته
يدك ورعته عينك حفت بهما البركة وسبغت عليهما النعمة مع كلام كثير خطبت به رغبته فيك وما كنت عرفت
منك فى ذلك حوجاء ولا لوجاء ولكنى قلت ما قلت وأنا أرى مكان غيرك وأجد رائحة سواك وكنت لك اذ ذاك خيرا منك
الآن لى ولئن كان عرض بك رسول الله صلى الله عليه وآله فى هذا الامر فقد كنى عن غيرك وان قال فيك فاسكت
عن سواك وان اختلج فى نفسك شئ فهلم فالحكم مرضى والصواب مسموع والحق مطاع ولقد نقل رسول الله صلى
الله عليه وآله الى ما عند الله وهو عن هذه العصابة راض وعليها حدب يسره ما سرها و يكيده ما كادها و يرضيه
ما أرضاها و يسخطه ما أسخطها ألم تعلم أنه لم يدع أحدا من أصحابه وخلطائه وأقاربه وسجرائه الا أبانه بفضيلة وخصه
بمزية وأفرده بحالة لو أصفقت الامة عليه لاجلها لكان عنده ايالتها وكفالتها أتظن أنه عليه السلام ترك الامة سدى
بددا عددا مباهل عباهل طلاحا مفتونة بالباطل ملوية عن الحق لا ذائد ولا رائد ولا ضابط ولا خابط ولا رابط ولا ساقى
ولا واقى ولا حادى ولا هادى كلا والله ما اشتاق الى ربه ولا سأله المصير الى رضوانه الا بعد ان أقام الصوى وأوضح الهدى
وأمن المهالك وحمى المطارح والمبارك والا بعد أن شدخ يافوخ الشرك باذن الله وشرم وجه النفاق لوجه الله وجدع
أنف الفتنة فى دين الله وتفل فى عين الشيطان بعون الله وصدع بملء فيه ويده بأمر الله و بعد فهؤلاء المهاجرون
والانصار عندك ومعك فى بقعة جامعة ودار واحدة ان استقادوا لك وأشاروا بك فأنا واضع يدى فى يدك وصائر الى
رأيهم فيك وان تكن الاخرى فادخل فى صالح ما دخل فيه المسلمون وكن العون على مصالحهم والفاتح لمغالقهم والمرشد
لضالهم والرادع لغاويهم فقد أمر الله بالتعاون على البر وحض على التناصر على الحق ودعنا نقض هذه الحياة الدنيا
بصدور بريئة من الغل ونلقى الله بقلوب سليمة من الضغن وانما الناس ثمامة فارفق بهم واحن عليهم ولن لهم ولا تسول لك
نفسك فرقتهم واختلاف كلمتهم واترك ناجم الشر حصيدا وطائر الحقد واقعا وباب الفتنة مغلقا لا قال ولا قيل ولا لوم
ولا تعنيف ولا عتاب ولا تثريب والله على ما أقول وكيل و بما نحن عليه بصير قال أبو عبيدة فلما تهيأت للنهوض قال لى
عمر كن على الباب هنيهة فلى معك دور من الكلام فوقفت وما أدرى ما كان بعدى الا انه لحقنى بوجه يندى تهللا وقال
لى قل لعلى الرقاد محلمة واللجاج ملحمة والهوى مقحمة وما منا أحد الا له مقام معلوم وحق مشاع أو مقسوم و نبأ
ظاهر أو مكتوم وان أكيس الكيس من منح الشارد تألفا وقارب البعيد تلطفا ووزن كل أمر بميزانه ولم يجعل خبره
كعيانه ولا قاس فتره بشبره دينا كان أو دنيا وضلالا كان أو هدى ولا خير فى علم معتمل فى جهل ولا فى معرفة مشوبة
بنكرة ولسنا كجلدة رفع البعير بين العجان و بين الذنب كل صال فبناره يصلى وكل سيل فالى قراره يجرى وما كان
سكوت هذه العصابة الى هذه الغاية لعى وحصر ولا كلا مها اليوم لفرق وحذر فقد جدع الله بمحمد عليه السلام أنف
كل متكبر وقصم به ظهر كل جبار وسل لسان كل كذوب فماذا بعد الحق الا الضلال ما هذه الخنزوانة فى فراش رأسك
وما هذا الشجا المعترض فى مدارج أنفاسك وما هذه الوخزة التى أكلت شراسيفك والقذاة التى أعشت ناظرك
وما هذا الدخس والدكس اللذان يدلان على ضيق الباع وخور الطباع وما هذا الذى لبست بسببه جلد النمر
واشتملت عليه بالشحناء والنكرة لشدما استسعيت لها وسريت سرى ابن أنقد اليها ان العوان لا تعلم الخمرة ما أحوج

الفرعاء الى فالية وما أفقر الصلعاء الى حالية ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله والامر مقيد محبس ليس لاحد فيه
ملمس لم يسير فيك قولا ولم يستنزل لك قرآنا ولم يجزم فى شأنك حكما لسنا فى كسروية كسرى ولا قيصرية
قيصر نحن فى نور نبوة وضياء رسالة وثمرة حكمة وأثر رحمة وعنوان نعمة وظل عصمة بين أمة مهدية بالحق والصدق
مأمونة على الرتق والفتق لها من الله تعالى قلب أبى وساعد قوى ويد ناصرة وعين ناظرة أتظن ظنا أن أبا بكر وثب
على هذا الامر مفتاتا على الامة خادعا لها ومتسلطا عليها أتراه امتلخ أحلامها وأزاغ أبصارها وحل عقودها واحال عقولها
واستل من صدورها حميتها ونكث رشاءها وصب ماءها وأضلها عن هداها وساقها الى رداها وجعل نهارها ليلا ووزنها
كيلا و يقظتها رقادا وصلاحها فسادا ان كان هكذا ان سحره لمبين وان كيده لمتين كلا والله بأى خيل ورجل و بأى
سنان ونصل و بأى منة وقوة و بأى مال وعدة و بأى أيد وشدة و بأى عشيرة وأسرة و بأى قدرة ومكنة و بأى تدرع
و بسطة لقد أصبح بما وسمته منيع الرقبة رفيع العتبة لا والله لكن سلا عنها فولهت نحوه وتطامن لها فالتفت به ومال
عنها فمالت اليه واستمر دونها فاشتملت عليه حبوة حباه الله بها وغاية بلغه الله اليها ونعمة سربله جمالها و يد لله أوجب
عليه شكرها وأمة نظر الله به لها وطالما حلقت فوقه فى أيام النبى صلى الله عليه وآله وهو لا يلتفت اليها ولا يرتصد
وقتها والله أعلم بخلقه وأرأف بعباده يختار ما كان لهم الخيرة وانك بحيث لا تجهل موضعك من بيت النبوة ومعدن
الرسالة وكهف الحكمة ولا يجحد حقك فيما أتاك ربك من العلم ومنحك من الفقه والدين هذا الى مزايا خصصت
بها وفضائل اشتملت عليها ولكن كل من يزاحمك بمنكب أضخم من منكبك وقربى أمس من قرباك وسن أعلى
من سنك وشيبة أروع من شيبتك وسيادة معروفة فى الاسلام والجاهلية ومواقف ليس لك فيها جمل ولا ناقة ولا تذكر
فيها فى مقدمة ولا ساقة ولا تضرب فيها بذراع ولا أصبع ولا تعد منها ببازل ولا هبع ان أبا بكر كان حبة قلب رسول الله صلى
الله عليه وآله وعلاقة همه وعيبة سره ومثوى حزنه وراحة باله ومرمق طرفه شهرته مغنية عن الدلالة عليه ولعمرى انك
لاقرب منه الى رسول الله صلى الله عليه وآله قرابة ولكنه أقرب منك قربة والقرابة لحم ودم والقربة روح ونفس وهذا
فرق يعرفه المؤمنون ولذلك صاروا اليه أجمعون ومهما شككت فلا تشك فى أن يد الله مع الجماعة ورضوانه لاهل
الطاعة فادخل فيما هو خير لك اليوم وأنفع غدا والفظ من فيك ما هو متعلق بلهاتك وأنفث سخيمة صدرك فان يكن
فى الامد طول وفى الاجل فسحة فستأكله مريا أو غير مرى وستشربه هنيا أو غير هنى حين لا راد لقولك الا من كان
آيسا منك ولا تابع لك الا من كان طامعا فيك حين يمض اهابك و يعرك أديمك و يزرى على هديك هناك تقرع
السن من ندم وتشرب الماء ممزوجا بدم حين تأسى على ما مضى من عمرك وانقضى وانقرض من دارج قومك
وتود ان لو سقيت بالكأس التى سقيتها غيرك ورددت الى الحال التى كنت تكرهها فى أمسك ولله فينا وفيك أمر هو
بالغه وعاقبة هو المرجو لسرائها وضرائها وهو الولى الحميد الغفور الودود قال أبو عبيدة فمشيت الى على متباطئا
كأنما أخطو على أم رأسى فرقا من الفتنة واشفاقا على الامة وحذرا من الفرقة حتى وصلت اليه فى خلاء فأبثثته بثى
كله و برئت اليه منه ودفعته له فلما سمعها ووعاها وسرت فى أوصاله حمياها قال حلت معلوطة وولت مخروطة ثم قال

احدى لياليك فهيسى هيسى ٭ لا تنعمى الليلة بالتعريس

يا أبا عبيدة هذا كله فى أنفس القوم يستبطنونه و يضطغنون عليه فقلت لا جواب عندى انما جئتك قاضيا حق الدين
وراتقا فتق الاسلام وسادا ثلمة الامة يعلم الله ذلك من خلجان قلبى وقرارة نفسى فقال ما كان قعودى فى كسر هذا
البيت قصدا للخلاف ولا انكارا للمعروف ولا زراية على مسلم بل لما وقذنى به رسول الله صلى الله عليه وآله من فراقه
وأودعنى من الحزن لفقده فانى لم أشهد بعده مشهدا الا جدد على حزنا وذكرنى شجنا وان الشوق الى اللحاق به كاف
عن الطمع فى غيره وقد عكفت على عهد الله أنظر فيه وأجمع ما تفرق منه رجاء ثواب معد لمن أخلص لله عمله وسلم لعلمه
ومشيئته أمره على أنى أعلم أن التظاهر على واقع ولى عن الحق الذى سيق الى دافع واذ قد أفعم الوادى لى وحشد النادى

على فلا مرحبا بما ساء أحدا من المسلمين وفي النفس كلام لولا سابق قول وسالف عهد لشفيت غيظي بخنصري
و بنصري وخضت لجته باخمصي ومفرقي ولكني ملجم الى أن ألقى الله تعالى عنده احتسب ما نزل بي وأنا غاد ان شاء الله
الى جماعتكم ومبايع لصاحبكم وصابر على ما ساءني وسركم ليقضي الله أمرا كان مفعولا وكان الله على كل شئ شهيدا
قال أبو عبيدة فعدت الى أبي بكر وعمر فقصصت القول على غره ولم أترك شيأ من حلوه ومره وذكرت غدوه الى المسجد
فلما كان صباح يومئذ وافى علي فخرق الجماعة الى أبي بكر و بايعه وقال خيرا ووصف جيلا وجلس زميتا واستأذن
للقيام ونهض فتبعه عمر اكراما له واجلالا لموضعه واستنباطا لما في نفسه وقام أبو بكر اليه فأخذ بيده وقال ان عصابة
أنت منها يا أبا الحسن لمعصومة وان أمة أنت فيها لمرحومة ولقد أصبحت عزيزا علينا كريما لدينا نخاف الله اذا سخطت
و نرجوه اذا رضيت ولولا أني شدهت لما أجبت الى ما دعيت اليه ولكني خفت الفرقة واستئثار الانصار بالامر على
قريش وأعجلت عن حضورك ومشاورتك ولو كنت حاضرا لبايعتك ولم أعدل بك ولقد حط الله عن ظهرك ما أثقل
كاهلي به وما أسعد من ينظر الله اليه بالكفاية وانا اليك لمحتاجون و بفضلك عالون والى رأيك وهديك في جميع
الاحوال راغبون وعلى حمايتك وحفيظتك معولون ثم انصرف وتركه مع عمر فالتفت علي الى عمر فقال يا أبا حفص
والله ما قعدت عن صاحبك جزعا على ما صار اليه ولا أتيته خائفا منه ولا أقول ما أقول بعلة واني لاعرف مسمى طرفي
ومخطى قدمي ومنزع قوسي وموقع سهمي ولكني تخلفت اعذارا الى الله والى من يعلم الامر الذي جعله لي رسول الله
وأتيت فبايعت حفظا للدين وخوفا من انتشار أمر الله فقال له عمر يا أبا الحسن كفكف من غربك ونهنه من سربك
ودع العصا بلحائها والدلو برشائها فانا من خلفها وورائها ان قدحنا أورينا وان قرحنا أدمينا وقد سمعت أمثالك التي
ألغزت بها صادرة عن صدر أكله الجوى وقلب جزوع انك قعدت في كسر بيتك لما وقذك به فراق رسول الله صلى الله عليه
وآله أفراق رسول الله صلى الله عليه وآله وقذك وحدك ولم يقذ سواك ان مصابه لاعز وأعظم من ذاك وان من حق مصابه
أن لا يصدع شمل الجماعة بكلمة لاعصام لها فانك لترى الاعراب حول المدينة لو تداعت علينا في صبح يوم لم نلتق
في ممساه وزعمت أن الشوق الى اللحاق به كاف عن الطمع في غيره فمن الشوق اليه نصرة دينه وموازرة المسلمين عليه
ومعاونتهم فيه وزعمت أنك مكب على عهد الله تجمع ما تفرق منه فمن العكوف على عهده النصيحة لعباده والرأفة على
خلقه وان تبذل من نفسك ما يصلحون به و يجتمعون عليه وزعمت أن التظاهر عليك واقع أي تظاهر وقع عليك
وأي حق استؤثر به دونك لقد علمت ما قالت الانصار أمس سرا وجهرا وما تعلنت عليه ظهرا و بطنا فهل ذكرتك أو
أشارت بك أو طلبت رضاها من عندك وهؤلاء المهاجرون من الذي قال منهم انك صاحب هذا الامر أو أومأ اليه
أوهمهم بك في نفسه أتظن ان الناس ضلوا من أجلك وعادوا كفارا أو زهدوا فيك أو باعوا الله تعالى بهواهم بغضا لك
ولقد جاءني قوم من الانصار فقالوا ان عليا ينتظر الامامة و يزعم انه أولى بها من أبي بكر فأنكرت عليهم ورددت
القول في نحورهم حتى قالوا انه ينتظر الوحي و يتوكف مناجاة الملك فقلت ذاك أمر طواه الله بعد محمد عليه السلام
ومن أعجب قولك لولا سابق قول لشفيت غيظي بخنصري و بنصري وهل ترك الدين لاحد أن يشفي غيظه بيده أو
لسانه تلك جاهلية استأصل الله ساقتها واقتلع جرثومتها ونور ليلها وغور سيلها وأبدل منها الروح والريحان والهدى
والبرهان وزعمت انك ملجم فلعمري ان من اتقى الله وآثر رضاه وطلب ما عنده أمسك لسانه وأطبق فاه وغلب عقله
ودينه على هواه وأما قولك اني لاعرف منزع قوسي فاذا عرفت منزع قوسك عرف غيرك مضرب سيفه ومطعن رمحه
وأما ما تزعمه من الامر الذي جعله رسول الله صلى الله عليه وآله لك فتخلفت اعذارا الى الله والى العارفة به من المسلمين
فلو عرفه المسلمون لجنحوا اليه وأصفقوا عليه وما كان الله ليجمعهم على العمى ولا ليضربهم بالضلال بعد الهدى
ولو كان لرسول الله صلى الله عليه وآله فيك رأي وعليك عزم ثم بعثه الله فرأى اجتماع أمته على أبي بكر لما سفه آراءهم
ولا ضلل أحلامهم ولا آثرك عليهم ولا أرضاك بسخطهم ولأمرك باتباعهم والدخول معهم فيما ارتضوه لدينهم فقال
علي مهلا أبا حفص أرشدك الله خفض عليك ما بذلت وأنا أريد عنه حولا وان أخسر الناس صفقة عند الله من

استبطن

استبطن النفاق واحتضن الشقاق وفي الله خلف عن كل فائت وعوض من كل ذاهب وسلوة عن كل حادث وعليه التوكل
في جميع الحوادث ارجع أبا حفص الى مجلسك ناقع القلب مبرود الغليل فصيح اللسان رحب الصدر متهلل الوجه فليس
وراء ما سمعته مني الا ما يشد الازر و يحبط الوزر و يضع الاصر و يجمع الالفة و يرفع الكلفة ان شاء الله فانصرف عمر
الى مجلسه قال أبو عبيدة فلم أسمع ولم أر كلاما ولا مجلسا كان أصعب من ذلك الكلام والمجلس قلت الذي يغلب
على ظني ان هذه المراسلات والمحاورات والكلام كله مصنوع موضوع وانه من كلام أبي حيان التوحيدي لانه بكلامه
ومذهبه في الخطابة والبلاغة أشبه وقد حفظنا كلام عمر ورسائله وكلام أبي بكر وخطبه فلم نجدهما يذهبان هذا المذهب
ولا يسلكان هذا السبيل في كلامهما وهذا كلام عليه أثر التوليد لا يخفى وأين أبو بكر وعمر من البديع وصناعة
المحدثين ومن تأمل كلام أبي حيان عرف ان هذا الكلام من ذلك المعدن خرج و يدل عليه انه أسنده الى القاضي
أبي حامد المروروذي وهذه عادته في كتاب البصائر يسند الى القاضي أبي حامد كل ما يريد أن يقوله هو من تلقاء
نفسه اذا كان كارها لان ينسب اليه وانما ذكرناه نحن في هذا الكتاب لانه وان كان عندنا موضوعا منحولا فانه
صورة ما جرت عليه حال القوم فهم وان لم ينطقوا به بلسان المقال فقد نطقوا به بلسان الحال ومما يوضح لك انه مصنوع
ان المتكلمين على اختلاف مقالاتهم من المعتزلة والشيعة والاشعرية وأصحاب الحديث وكل من صنف في علم الكلام
والامامة لم يذكر أحد منهم كلمة واحدة من هذه الحكاية ولقد كان الرضي رحمه الله يلتقط من كلام أمير المؤمنين عليه
السلام اللفظة الشاذة والكلمة المفردة الصادرة عنه عليه السلام في معرض التألم والتظلم فيحتج بها و يعتمد عليها
نحو قوله مازلت مظلوما منذ قبض رسول الله حتى يوم الناس هذا وقوله لقد ظلمت عدد الحجر والمدر وقوله ان لنا حقا
ان نعطه نأخذه وان نمنعه نركب أعجاز الابل وان طال السرى وقوله فصبرت وفي الحلق شجا وفي العين قذى وقوله
اللهم اني أستعديك على قريش فانهم ظلموني حقي وغصبوني ارثي وكان الرضي اذا ظفر بكلمة من هذه فكأنما
ظفر بملك الدنيا و يودعها كتبه وتصانيفه فأين كان الرضي عن هذا الحديث وهلا ذكر في كتاب الشافي
في الامامة كلام أمير المؤمنين عليه السلام هذا وكذلك من قبله من الامامية كابن النعمان و بني نوبخت و بني
بابويه وغيرهم وكذلك من جاء بعده من متأخري متكلمي الشيعة وأصحاب الاخبار والحديث منهم الى وقتنا هذا
وأين كان أصحابنا عن كلام أبي بكر وعمر له عليه السلام وهلا ذكره قاضي القضاة في المغني مع احتوائه على كل ما جرى
بينهم حتى انه يمكن أن يجمع منه تاريخ كبير مفرد في أخبار السقيفة وهلا ذكره من كان قبل قاضي القضاة من مشايخنا
وأصحابنا ومن جاء بعده من متكلمينا ورجالنا وكذلك القول في متكلمي الاشعرية وأصحاب الحديث كابن
الباقلاني وغيره وكان ابن الباقلاني شديدا على الشيعة عظيم العصبية على أمير المؤمنين عليه السلام فلو ظفر بكلمة
من كلام أبي بكر وعمر في هذا الحديث لملأ الكتب والتصانيف بها وجعلها هجيراه ودأبه والامر فيما ذكرناه من
وضع هذه القصة ظاهر لمن عنده أدنى ذوق من علم البيان ومعرفة كلام الرجال ولمن عنده أدنى معرفة بعلم السير وأقل أنس
بالتواريخ قوله عليه السلام مودع لاقال ولا مبغض ولا سئم أي لا ماول سئمت من الشئ أسأم سأما وسآما
وسآمة سئمته اذا مللته ورجل سؤم ثم أكد عليه السلام هذا المعنى فقال ان انصرفت فلا عن ملالة وان أقمت
فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين أي ليست اقامتي على قبرك وجزعي عليك انكارا مني لفضيلة الصبر والتجلد
والتعزي والتأسي وما وعد الله به الصابرين من الثواب بل أنا عالم بذلك ولكن الجزع يغلبني بالطبع البشري وروى
ان فاطمة بنت الحسين عليهما السلام ضربت فسطاطا على قبر بعلها الحسن بن الحسن عليه السلام سنة فلما انقضت
السنة قوضت الفسطاط راجعة الى بيتها فسمعت هاتفا يقول هل بلغوا ما طلبوا فأجابه هاتف آخر بل يئسوا فانصرفوا
وذكر أبو العباس محمد بن يزيد المبرد في كتابه الكامل ان عليا عليه السلام تمثل عند قبر فاطمة

ذ كرت أبا أروى فبت كأنني ٭ برد الهموم الماضيات وكيل
لكل اجتماع من خليلين فرقة ٭ وكل الذى دون الفراق قليل
وان افتقادى واحدا بعد واحد ٭ دليل على أن لا يدوم خليل
والناس يروونه ٭ وان افتقادى فاطما بعد أحمد

﴿تم الجزء العاشر من شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد وبه تم المجلد الثانى ويليه الجزء الحادى عشر﴾





﴿فهرست المجلد الثانى المحتوى على خمسة أجزاء من شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد﴾

﴿الجزء السادس﴾

صحيفة

صحيفة

صحيفة

﴿ الجزء السابع ﴾

صحيفة

صحيفه

﴿الجزء الثامن﴾

صحيفه

صحيفة

صحيفه

﴿الجزء التاسع﴾

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

﴿الجزء العاشر﴾

صحيفة

صحيفة

﴿ تمت الفهرست ﴾

اعلان

عن طبع كتاب الفتوحات المكية

ان أهم مايسعى له الانسان تصفية نفسه من كدورات الاخلاق وتحليتها بالمعارف التى توجب لها السمو الى رضا الخلاق وأحسن ماجمع هذين النوعين على حسب ماجاءت به الشريعة الغراء واستنارت صفحاته بدرارى النصوص والحكم الزهراء هى كتب السادة الصوفية الذين سطعت لهم أنوار الحقائق من مشكاة المجاهدات الشرعية ومن أكبر من تحلى بتلك الصفات وكان مجلى لهاتيك التنزلات الامام الاوحد والجوهر المفرد سيدى محيي الدين بن عربى قدست أسراره وعمت أنواره ومن أعظم مؤلفاته فى هذا الشان مؤلفه الذى استنارت به حقائق العرفان وانتشر شذاه فانتعشت به أرواح السالكين وأشرقت شموسه فهامت به بصائر الواصلين ألا وهو (كتاب الفتوحات المكية) وهو كتاب جمع فاوعى وصفا زلاله فللعطاش أروى وقد سبق طبعه فى المطبعة الأميريه ولكن لنفاد نسخه أصبح فى حكم المفقود بالكليه ولما رأينا استعادة طبعه من أكبر المساعدات الأدبية والمهمات الدينية استحضرنا للتصحيح نسخة من المطبوع بالمطبعة الاميرية توجهت همة الامير الكبير والرجل الخطير الحاج عبد القادر الجزايرلى رحمه الله الى تصحيحها على نسخة بخط المؤلف موجوده بمدينة (قونيه) من البلاد التركيه فوجه لفيفا من العلماء الذين لهم بهذا الشأن اعتناء فأدوا تلك المأمورية على حسب ما رام وقاموا بذلك المهم أتم قيام وعثروا فى تلك النسخة على زيادات كثيره وتحقيق مهمات خطيرة فاثبتوها على حسب خطه الشريف وأصلحوا التغيير والتحريف فصارت هذه النسخة لم يسبق لها مثيل ولم يكن لاحد الى محاسنها سبيل وجاء الطبع على مثالها وبذل أقصى المجهود فى التصحيح على منوالها

مكتبة

دار الكتب العربيه الكبرى

بمصر



